٤١٤ سيطه

RAĞIP P.
Ka. Nu.
60

الرابع الثالث من بحر ابي حيان

سوره الروم ١	سوره اللقمان ١١	سوره السجده ١٦	سوره الاحزاب ٢١
سوره سبا ٤٣	سوره الفاطر ٥٩	سوره يس ٧١	سوره والصافات ٨٤
سوره ص ٩٧	سوره زمر ١١١ سوره غافر ١٢٦	سوره حم السجده ١٤١	سوره حم عسق ١٥٣
سوره الزخرف ١٦٤	سوره الدخان ١٧٧	سوره الجاثيه	سوره الاحقاف ١٨٨
سوره القتال ١٩٦	سوره الفتح ٢٠٤	سوره ق ٢١٢	سوره والذاريات ٢٢٢
سوره والطور ٢٢٧	سوره والنجم ٢٣١	سوره اقتربت الساعه ٢٣٨	سوره الرحمن ٢٤٤
سوره الواقعه ٢٥٠	سوره المجادله ٢٦٢	سوره الحشر ٢٦٥	سوره الممتحنه ٢٧٠
سوره الصف ٢٧٣	سوره الجمعه ٢٧٥	سوره المنافقين ٢٧٧	سوره التغابن ٢٧٩
سوره الطلاق ٢٨١	سوره التحريم ٢٨٤	سوره الملك ٢٨٧	سوره ن والقلم ٢٩١
سوره الحاقه ٢٩٦	سوره سال سايل ٣٠١	سوره نوح عليه السلام ٣٠٣	سوره الجن ٣٠٦

سورة المزمل ٣١٢	سورة المدثر ٣١٥	سورة لا اقسم بيوم القيامة ٣٢١	سورة هل اتى على الانسان ٣٢٥
سورة والمرسلات ٣٣٠	سورة عم يتساءلون ٣٣٣	سورة والنازعات ٣٣٧	سورة عبس ٣٤٠
سورة اذا الشمس كورت ٣٤٣	سورة اذا السماء انفطرت ٣٤٤	سورة ويل للمطففين ٣٤٥	سورة اذا السماء انشقت ٣٤٧
سورة البروج ٣٤٩	سورة الطارق ٣٥١	سورة الاعلى ٣٥٣	سورة الغاشية ٣٥٤
سورة والفجر ٣٥٦	سورة البلد ٣٥٩	سورة والشمس وضحاها ٣٦١	سورة والليل اذا يغشى ٣٦٢
سورة والضحى ٣٦٤	سورة الم نشرح ٣٦٤	سورة والتين ٣٦٥	سورة اقرأ ٣٦٦
سورة القدر ٣٦٨	سورة لم يكن ٣٦٩	سورة اذا زلزلت ٣٧٠	سورة والعاديات ٣٧١
سورة القارعة ٣٧٢	سورة الهاكم التكاثر ٣٧٣	سورة والعصر ٣٧٤	سورة ويل لكل همزة ٣٧٤
سورة الفيل ٣٧٥	سورة قريش ٣٧٥	سورة أرأيت ٣٧٧	سورة الكوثر ٣٧٨
سورة الكافرون ٣٧٨	سورة النصر ٣٧٩	سورة تبت ٣٨٠	سورة اخلاص شريف ٣٨١

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BA[illegible]IĞI
RAGIP PAŞA K[illegible]LIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 48/1

RAĞIP P[illegible]
Ka. Nu.
60

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥

٥٧
٦١

البحر المحيط
المشتهر بتفسير ابي حيان

٦١

T.C. KP

RAGIP PAŞA

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين
لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز
الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق
واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم
بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى
ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون هذه
السورة مكية قال ابن عطية بلا خلاف وقال الزمخشري الا قوله فسبحان الله وسبب
نزولها ان كسرى بعث جيشا الى الروم وامر عليهم رجلا واختلف النقلة في اسمه فسار
اليهم باهل فارس وظفر وقتل وخرب وقطع زيتونهم وكان التقاؤهم باذرعات
وبصرى وكان قد بعث قيصر رجلا امير على الروم وقال مجاهد التقت بالجزيرة
وقال السدي بارض الاردن وفلسطين وشق ذلك على المسلمين لكونهم مع
الروم اهل كتاب وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المجوس ليسوا باهل كتاب واخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس من
قريش زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارسا في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك فقال
بلى وذلك قبل تحريم الرهان فاتفقوا ان جعلوا بضع سنين ست سنين وثلاث قلايص واخبر
ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هلا احتطت فارجع فزدهم في الاجل
والرهان فجعلوا القلايص مائة والاجل تسعة اعوام فظهرت الروم على فارس في السنة
السابعة وكان ممن راهن ابي بن خلف فلما اراد ابو بكر الهجرة طلب منه ابي كفيلا بالخطر فكفل
به ابنه عبد الرحمن فلما اراد ابي الخروج الى احد طلبه عبد الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا ومات
ابي من جرح جرحه النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم
بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تصدق به وسبب ظهور الروم ان كسرى بعث الى شهربراز وهو الذي ولاه على محاربة
الروم ان اقتل اخاك فرخان لمقالة قالها وهي قوله لقد رايتني جالسا على سرير كسرى
فلم يقتله فبعث الى فارس اني عزلت شهربراز ووليت اخاه فرخان وامره ان يقتل
اخاه شهربراز فاراد قتله فاخرج له شهربراز ثلاث صحايف من كسرى
يامره بقتل فرخان قال فراجعته في امرك مرارا ثم تقتلني بكتاب
واحد فرد الملك الى اخيه وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم فتعاونا
على كسرى فغلب الروم فارس وجاء الخبر ففرح المسلمون وكان ذلك
من الايات البينات الشاهدة بصحة النبوة وان القران من عند
الله لانها انباء من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله عز وجل وقرا
علي وابو سعيد الخدري رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر
ومعاوية بن قرة والحسن غلبت الروم مبنيا للفاعل والجمهور ايضا
مبنيا للمفعول سيغلبون مبنيا للمفعول والجمهور ايضا مبنيا للمفعول

سيغلبون

سيغلبون مبنيا للفاعل وتاويل ذلك على ما فسر ابن عمر ان الروم غلبت على ادنى ريف الشام
يعني بالريف السواد وجا كذلك عن عثمان وتاوله ابو حاتم على ان الروم غلبت يوم بدر وفي ذلك
على كفار قريش وسر المسلمون وبشر الله عباده بانهم سيغلبون في بضع سنين اي يغلبون فيكون هذا خبر
عن الروم بانهم قد غلبوا وبانهم سيغلبون فيكون غلبهم مرتين قال ابن عطية والقراءة بضم الغين
اصح واجمع الناس على سيغلبون بضم اليا وفي هذه القراءة قلب للمعنى الذي تظاهرت به الروايات
انتهى وقوله واجمع الناس كذا الاثر يعني ان الذين قروا غلبت بفتح الغين هم الذين قروا سيغلبون
بضم اليا وفتح اللام وليست هذه مخصوصة بابن عمر وقرا الجمهور غلبهم بفتح الغين واللام وعلي وابن
عمر ومعاوية بن قرة باسكانها والعباس عن ابي عمرو وغلابهم على وزن كتاب والروم طائفة
من النصارى وادنى الارض اقربها فان كانت الوقعة في اذرعات فهي ادنى الارض بالنظر الى مكة
وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله

تنورتها من اذرعات واهلها ... بيثرب ادنى دارها نظر عال

وان كانت بالجزيرة فهي ادنى بالنظر الى ارض كسرى وان كانت بالاردن فهي ادنى الى ارض الروم
وقرا الكلبي في ادانى الارض وتقدم الكلام في البضع في سورة يوسف عليه السلام والغلب مدلوله
والغلب والغلابة مصادر ويختلف ما اضيف اليه المصدر باعتبار القراءتين ففي غلبت
بضم الغين يكون مضافا للمفعول وبالفتح يكون مضافا للفاعل ويكون المعنى سيغلبهم الفاعل
المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة التي هي اقصى مدلول البضع اخذ المسلمون في
جهاد الروم وكان شيخنا الاستاذ ابو جعفر بن الزبير يحكي عن ابي الحكم بن برجان انه استخرج
من قوله تعالى الم غلبت الروم الى قوله في بضع سنين افتتاح المسلمين بيت المقدس معينا زمانه
ويومه وكان اذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى وان ابن برجان مات قبل الوقت
الذي عينه للفتح وانه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عينه ابو الحكم وكان
ابو جعفر يعتقد في ابي الحكم هذا انه كان يطلع على اشيا من المغيبات يستخرجها من كتاب
الله تعالى قوله تعالى لله الامر اي انفاذ الاحكام وتصريفها على ما يريد وقرا الجمهور من
قبل ومن بعد بضمهما اي من قبل غلبة الروم ومن بعدها ولما كانا مضافين الى معرفة
وحذفت بنيا على الضم والكلام على ذلك مذكور في علم النحو وقرا ابو السماك والجحدري وعون
العقيلي من قبل ومن بعد بالكسر والتنوين قال الزمخشري على الجر من غير تقدير مضاف
اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا وقال ابن عطية ومن العرب من يقول
من بعد ومن قبل بالخفض والتنوين قال الفرا ويجوز ترك التنوين فيبقى كما هو في الاضافة
وان حذف المضاف انتهى وانكر النحاس ما قال الفرا ورده وقال الفرا في كتابه في القران اشيا
كثيرة الغلط منها انه زعم انه يجوز من قبل ومن بعد وانما يجوز من قبل ومن بعد على انهما
نكرتان والمعنى من متقدم ومن متاخر وحكى الكسائي عن بعض بني اسد لله الامر من قبل
ومن بعد الاول مخفوض منون والثاني مضموم بلا تنوين والظاهر ان يومئذ منصوب بيفرح وحول
التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة اي ويوم اذ يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون
وعلى هذا المعنى فسر المفسرون وقيل ويومئذ عطف على من قبل ومن بعد كانه حصر
الازمنة الثلاثة الماضي والحال والمستقبل ثم ابتدا الاخبار بفرح المؤمنين بالنصر ويقصد
الفعل بالروم على فارس او المسلمين على عدوهم او في ان صدق ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام

من ان الروم ستغلب فارس وفي ان سلط بعض الظالمين على بعض حتى تفانوا وتناقصوا
وفي الحديث فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعدها ابدا والروم ذات القرون كلما ذهب قرن
خلف قرن الى اخر الابد وقال ابن عباس يوم بدر كانت هزيمة عبدة الاوثان وعبدة النيران
وقال معناه ابو سعيد الخدري وقيل ورد الخبر يوم الحديبية بوفاة كسرى فسر المسلمون
بحرب المشركين وبموت عدو لهم في الارض متمكن **قوله** وهو العزيز بالانتقام من اعدائه
الرحيم لاوليائه وانتصب وعد الله على انه مصدر موكد لمضمون الجملة التي تقدمته وهو قوله
سيغلبون وقوله يفرح المومنون ولكن اكثر الناس الكفار من قريش وغيرهم لا يعلمون نفي العلم
النافع للاخرة وقد اثبته لهم باحوال الدنيا فقيل والمعنى لا يعلمون ان الامور من عند الله
وان وعده لا يخلف وان ما يورده نبيه صلى الله عليه وسلم حق يعلمون ظاهرا اي ما ادته
اليهم حواسهم فكان علومهم كانها في علوم البهائم وقال ابن عباس والحسن والجمهور معناه
ما فيه الظهور والعلو في الدنيا من اتقان الصناعات والمباني ومظان كسب المال والفلاحات
ونحو هذا وقالت فرقة معناه ذاهبا زائلا اي يعلمون امور الدنيا التي لا بقاء لها ولا عاقبة
وقال الهذلي ۝ وعيرها الواشون اني احبها ۝ وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ۝
وقال الرماني كل ما يعلم باوائل الروية فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن وقال
الزمخشري يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله
بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود
العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها
ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة
يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وهم الثانية تكون توكيدا لهم الاولى ومبتدا وفي اظهار هم
على الوجهين كانت تنبيه على غفلتهم التي صاروا متلبسين بها لا ينفكون عنها وفي انفسهم
معمول ليتفكروا واما على تقدير مضاف اي في خلق انفسهم ليخرجوا من الغفلة فيعلموا انهم يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا فقط ويستدلوا بذلك على الخالق المخترع ثم اخبر عقب هذا بان الحق هو السبب
في خلق السموات والارض واما على ان يكون في انفسهم توكيدا لقوله يتفكروا كما تقول ابصر
بعينيك واسمع باذنيك وقال الزمخشري في هذا الوجه كانه قال اولم يحدثوا التفكر في
انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير
لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وقال ايضا تكون صلة للتفكر
كقولك تفكر في الامر واجال فكره وما خلق الله متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا
فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه انتهى والدليل هو قوله اولم
يتفكروا متصل بما بعده ومثله ثم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ومثله وظنوا ما لهم من محيص
فتكون في معنى التامة كانه قال اولم يتفكروا والتفكر به فيعلموا انتهى ويجوز ان يكون تفكروا هنا
معلقة ومتعلقها الجملة من قوله ما خلق الى اخره وفي انفسهم ظرف على سبيل التاكيد اذ الفكر
لا يكون الا في النفس كما ان الكتابة لا تكون الا باليد وبالحق في موضع الحال وهي ملتبسة بالحق مقترنة
به وينتقد باجل مسمى لا بد لها ان تنتهي اليه وهي قيام الساعة ووقت الحساب والثواب
والعقاب الا ترى الى قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى
تركهم غير راجعين اليه عبثا والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى وقال ابن عطية الا بالحق اي بسبب

المنافع

النافع التي هي حق واجب يريد من الدلالة عليه والعبادة له دون غيره والانتصاب للعبر ومنافع
الارزاق ونحو غيره ذكر واجل عطف على الحق اي وباجل مسمى وهو يوم القيامة وفي الاية اشارة الى البعث
والنشور وفساد بنية هذا العالم ثم اخبر عن كثير من الناس انهم كفروا بذلك المعنى
فعبر عنها بلقاء الله لان لقاء الله هو معظم الامر وفيه النجاة والهلكة انتهى وقال ابو عبد الله
الرازي قدم هنا دلائل الانفس على دلائل الافاق وفي سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم دلائل الافاق
على دلائل الانفس وحكمة ذلك ان المفيد يذكر الفائدة على وجه يختاره فيهتم ولا انتقل الى الابين والمستفيد
يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى الاخفى وفي اولم يتفكروا يفعل مستندا الى السامع فبدا بما يفهم اولا ثم
بما يرتقي اليه ثانيا وفي سنريهم اسند الى المفيد فذكر دلائل الافاق فان لم يفهموا فالانفس لانه لا ذهول
للانسان عن دلائلها بخلاف دلائل الافاق لانه قد يذهل عنها وهذا طريق في الذين يذكرون الله
فيها ما الاية بدا باحوال الانفس ثم بدلائل الافاق فقوله ايضا هنا وان كثيرا وقبل ولكن اكثر الناس وذلك
ان هنا ذكر كثيرا بعد ذكر الدلائل الواضحة وهنا اولم يتفكروا في خلق السموات انفسهم وما خلق الله والايمان
بعد الدليل اكثر من الايمان قبله فبعد ذكر الدليل لا بد من ذلك ان يكون اكثر من جمع فلا يبقى الا كثيرا
انتهى وفيه تلخيص واتم كلامه الاول الا اذا جعل في انفسهم محلا للتفكر وجعل ما خلق ايضا محلا
ثانيا **قوله تعالى** اولم يسيروا في الارض هذا تقرير توبيخ اي قد ساروا ونظروا الى ما حل بمن
كان قبلهم من مكذبي الرسل ووصف حالهم من الشدة واثارة الارض وعمارتها وانهم اقوى منهم
في ذلك قال مجاهد اثاروا الارض حرثوها وقال الفراء قلبوها للزراعة وقال غيرهما قلبوا وجه الارض
لاستنباط المياه واستخراج المعادن والقاء البذر فيها للزراعة والاثارة تحريك الشيء حتى يرتفع
ترابه وقرا ابو جعفر واثاروا الارض بمدة بعد الهمزة وقال ابن مجاهد ليس بشيء وخرجه ابو الفتح
على الاشباع كقول الشاعر ۝ ومن ذم الزمان بمنتزاح ۝ وقالوا من ضرورة الشعر
ولا يجيء في القران وقرا ابو حيوة واثروا من الاثرة وهو الاستبداد بالشيء وقرئ واثروا الارض
اي ابقوا فيها اثارا وعمروها من العمارة اي بقاؤهم فيها اكثر من بقاء هؤلاء او من العمارة اي سكنوا
فيها او من العمارة وقال الزمخشري اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير
ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وتضعيف حالهم في دنياهم
لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدنيا وهم ايضا ضعاف القوى
فما كان الله ليظلمهم قبله محذوف اي فكذبوهم فاهلكوا وقرا الحرميان وابو عمرو ثم كان عاقبة
بالرفع اسم كان وخبرها السوأى وهو تانيث الاسوأ افعل من السوء وان يكون السوأى مفعولا
من اجله متعلق بالخبر اساءوا والاول فيه الفصل بين الصلة ومتعلقها بالخبر وهو لا يجوز والمعنى
ثم كان عاقبتهم فوضع المظهر موضع المضمر السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الاخرة وهي
جهنم ويجوز ان يكون السوأى مصدرا على وزن فعلى كالرجعى ويكون خبرا ايضا ويجوز ان يكون
مفعولا باساءوا بمعنى اقترفوا او صفة مصدر محذوف اي الاساءة السوأى ويكون خبر كان ان كذبوا
وقرا الاعمش والحسن بابدال الهمزة واوا وادغام الواو فيها كقراءة من قرا بالسو بالادغام في يوسف
وقرا ابن مسعود السوء بالتذكير وقرا الكوفيون وابن عامر عاقبة بالنصب خبر كان والاسم
السوأى او السوأى مفعول وان كذبوا الاسم وقال الزمخشري ويجوز ان تكون ان بمعنى اي التفسير
الاساءة للتكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب ووجه اخر وهو ان يكون اساءوا
السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف

اي اخر مضا الهم اجمعين ان الكلام مستقل في غاية الحسن بلا حذف فنتكلف له بحذف وقال ابي
اخر لا يدل دليل عليه واصحابنا الجبر ونحو وخبر كان واخواتها لا اقتصارا ولا اختصارا
الا ان ورد منه شي فلا يقاس عليه وقرا عبد الله وطلحة يبدي البا وكسر الدال والجمهور
بفتحها والابوان ترجعون بيا الغيبة والجمهور بتا الخطاب اي الي ثوابه وعقابه والجمهور يبلس
بكسر اللام وعلي والسلمي بفتحها من ابلسه اذا اسكته والجمهور ولم يكن بالبا وخارجة والاولى بالتا
كلاهما عن نافع وابن سنان عن ابي جعفر والانطاكي عن شيبة بالتا الثانية من شركائهم من الذين
عبدوهم من دون الله وهي الاوثان واضيفوا اليهم لانهم اشركوا في اموالهم وقيل لانهم اتخذوها بزعمهم
شركا لله تعالى وقال مقاتل اي عند معاينتهم امر الله تعالى وفساد حال الاصنام وعبر بالماضي
لتيقن الامر وصحته وتوعد ولئن التبسوا بالعذاب قبل البلا كتبوا علموا بني اسرايل يوا وقيل الا لغة
والتنوين في يومئذ تنوين عوض عن الجملة المحذوفة اي ويوم تقوم الساعة يومئذ يبلس
المجرمون والضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه قاله الزمخشري ويظهر
انه عايد علي ما قبله اذ قبله الله يبدا الخلق ثم يعيده قال قتادة هي فرقة لا اجتماع بعدها **قوله
تعالى** في روضة الروضة الارض ذات النبات والما وفي المثل احسن من بيضة في روضة يريدون
بيض النعامة والروضة مما تعجب العرب وقد اكثروا في مدحها في اشعارهم يحبرون يسرون
حبر سر سرورا تهلل له وجهه وظهر اثره يحبر بالضم حبرا وحبرة وحبورا وفي الحبر امثلة ت
يبوبهم حبرة فهم ينتظرون الصبرة وحكى الكسائي احبرته اكرمته ونعمته وقال علي بن سليمان
هيبين قولهم علي اسنانه حبرة اي اثرا تبين عليهم اثر النعمة وقيل من التحبير وهو التحسين اي
يحسنون ويقال فلان حسن الحبر والسبر بالفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة وما فسروه الحبور
هو علي سبيل التمثيل قال قتادة ينعمون وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد يكرمون وقال
يحيي بن ابي كثير والاوزاعي ووكيع يسمعون الاغاني وقال ابو بكر بن عياش يتوجون علي روسهم
وقال ابن كيسان يحلون ومعني محضرون مجموعون لا يغيب احد منهم عنه لقوله وما هم بخارجين
منها وجاء في روضة منكرا وفي العذاب معرفا قال الزمخشري والتنكير لابهام امرها وتفخيمه وجاء
يحبرون بالفعل المضارع لاستمرار التجدد لانهم كل ساعة ياتيهم ما يسرون به من متجدد الملاذ
والملاذ وانواعها المختلفة وجاء محضرون باسم الفاعل لاستقراره للثبوت فهم اذا دخلوا العذاب
يبقون فيه محضرين فهو وصف لازم لهم **قوله تعالى** فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات
للعالمين ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
لما بين تعالى عظيم قدرته في خلق السموات والارض بالحق وهو حالة ابتدا العالم وفي مصيرهم
الي الجنة والنار وهي حالة الانتها امر تعالى بتنزيهه من كل سوء والظاهر انه امر من عباده
بتنزيهه في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من النعم ويحتمل ان يكون كناية عن استغراق زمان العبد وهو ان

بكونا

٤

يكون ذاكرا ربه واصفه بما يجب له علي كل حال وقال الزمخشري لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل
الي الوعد وينجي من الوعيد وقيل المراد هنا بالتسبيح الصلاة فعن ابن عباس وقتادة المغرب والصبح
والظهر والعصر واما العشا ففي قوله وزلفا من الليل وعن ابن عباس الخمس وجعل حين تمسون
شاملا للمغرب والعشا وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الوقتين ومعناه ان الحمد واجب
علي اهل السموات واهل الارض وكان الحسن يذهب الي ان هذه الاية مدنية لانه كان يقول فرضت
الخمس بالمدينة وقال الاكثرون بل فرضت بمكة وفي التحرير اتفق المفسرون علي ان الخمس داخلة في
هذه الاية وعن ابن عباس ما ذكرت الخمس الا فيها وقدم الامسا علي الاصباح كما قدم في قوله
يولج الليل في النهار والظلمات علي النور وقابل بالعشي الامسا وبالاظهار الاصباح لان كلا
منهما يعقب بما يقابله فالعشي يعقبه الامسا والاصباح يعقبه الاظهار ولما لم يتصرف
من العشي فعل لا يقال اعشي كما يقال اصبح وامسي واظهر جا التركيب وعشيا وقرا عكرمة
حينا تمسون وحينا تصبحون بتنوين حين والجملة صفة حذف منها العايد تقديره
تمسون فيه وتصبحون فيه ولما ذكر الابدا والاعادة ناسبه ذكر يخرج الحي من الميت
وتقدم الكلام علي نظير هذه الاية في ال عمران ولما كان مثل ذلك الاخراج والعود
تساويا الابدا والاعادة في حقه تعالى وقرا الجمهور تخرجون بالتا المضموم مبنيا
للمفعول ومن قرا بالبا مبنيا للمفعول وابن وثاب وطلحة والاعمش بفتح التا الخطاب
وضم الرا ثم ذكر تعالى اياته من بدا خلق الانسان فابتدا الي حين بعثه من القبر فقال
ومن اياته ان خلقكم من تراب جعل خلقهم من تراب حيث كان خلق اباهم ادم من تراب
وتنتشرون تتصرفون في اغراضكم واسفاركم واذا المفاجاة ولما كان بين الخلق
وبين الانتشار رتبة اخر ثم العطف بثم المقتضية للمهلة والتراخي ونبه تعالى علي عظيم
قدرته بخلق الانسان من تراب وهو ابعد الاشيا عن درجة الاحياء لانه بارد يابس والحياة
بالحرارة والرطوبة وكدر والروح نير وثقيل والروح خفيف وساكن والحيوان متحرك الي
الجهات الست فالتراب ابعد عن الحياة من ساير الاجسام من انفسكم فيها قولان
وخلق منها زوجها اما لان حوا خلقت من ضلع ادم واما من جنسكم ونوعكم ولما
خلق الازواج بالسكون اليها وهو الالف فمن كان من الجنس كان بينهما الف بخلاف الجنسين
فانه يكون بينهما التنافر وهذه الحكمة في بعث الرسل من جنس بني ادم وبقيا لتسكنوا بنجح
اليه فال ومنه السكن وجعل بمعنى مفعول مودة ورحمة اي بالازدواج بعد ان لم تكن
سابقة تعارف توجب التواد وقال مجاهد والحسن وعكرمة المودة النكاح والرحمة
الولد كني بذلك عنهما وقيل مودة للشابة ورحمة للعجوز وقيل مودة للكبير ورحمة
للصغير وقيل هما اشتباك الرحم وقيل المودة من الله والبغض من الشيطان واختلاف
السنتكم اي لغاتكم فمن اطلع علي لغات رأى من اختلاف تراكيبها وقوانينها مع اتحاد
المدلول عجايب وغرايب في المفردات والمركبات وعن وهب الالسنة اثنان
وسبعون لسانا في ولد حام سبعة عشر وفي ولد سام تسعة عشر وفي ولد يافث
ستة وثلاثون وقيل المراد باللغات الاصوات والنغم وقال الزمخشري الالسنة
اللغات واجناس النطق واشكاله خالفه وجل بين هذه الاشيا حتى لا تكاد تسمع
منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة

وانظم والاسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله انتهى والوانكم السواد والبياض
وغيرهما او الانواع والضروب تتخطط الصور ولولا ذلك الاختلاف لوقع الالتباس و
وتعطلت مصالح كثيرة من المعاملات وغيرها وفيه اية بينة حيث ولدوا من اصل
واحد وتباينوا في الاشكال على كثرتهم وقرا الجمهور للعالمين بفتح اللام لانها في نفسها اية
منصوبة للعالم وقرا حفص وحماد بن شعيب عن ابي بكر وعصمة عن عاصم ويونس عن ابي
عمرو وكيسان الله ثم لان المنتفع بها انما هم اهل العلم لقوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ٥
والظاهر ان بالليل والنهار يتعلق بمنامكم فامتن تعالى بذلك لان النهار قد يقام
فيه خصوصا من كان مشتغلا في حوايجه بالليل وابتغاوكم من فضله اي فيهما اكثر
في الليل والنهار لان بعض الناس قد يبتغي الفضل بالليل كالمسافرين والحراس بالليل
وغيرهم وقال الزمخشري هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم
بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان
والزمان والواقع فيه كشي واحد مع اعانة اللف على ذلك ويجوز ان يراد منامكم في
الزمانين وابتغاوكم من فضله فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القران واشد المعاني
ما دل عليه القران وقال ابن عطية قال بعض المفسرين في الكلام تقديم وتاخير وهذا ضعيف
وانما اراد ان يرتبا النوم لليل والابتغا للنهار ولفظ الاية لا يعطي ذلك ٥ ومن اياته يريكم
البرق خوفا امال ان يتعلق من اياتكم بيريكم فيكون في موضع نصب ومن لابتداء الغاية
او يكون يريكم على اضمار ان كما قال ٥ الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى ٥ برفع احضر والتقدير
ان احضر فلما حذف ان ارتفع الفعل وليس هذا من المواضع التي تحذف منها ان قياسا
او على انزال الفعل منزلة من المصدر من غير ما يسبكه له كما قال الخليل في قوله ٥
اريد لانسى ذكرها ٥ اي ارادني لانسى ذكرها فيكون التقدير في هذين الوجهين ومن اياته
اراته اياكم البرق فمن اياته في موضع رفع على انه خبر المبتدا وقال الرماني يحتمل ان يكون
التقدير ومن اياته اية يريكم البرق بها وحذف لدلالة من عليها كما قال الشاعر ٥
٥ وما الدهر الا تارتان فمنهما ٥ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ٥ اي فمنهما تارة اموت
ويتسق على هذه الاوجه الثلاثة للتضعيف وانتصب خوفا وطمعا على انهما مصدران في موضع
الحال اي خايفين وطامعين وقيل مفعول من اجله وقاله الزجاج واجاز الزمخشري على
تقدير ارادة خوف وطمع فيتحد الفاعل في العامل والمحذوف ولا يصح ان يكون الى مثل
يريكم لاختلاف الفاعل في العامل والمصدر وقال الزمخشري المفعولون فاعلون في المعنى
لانهم راون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا انتهى وكونه فاعلا قبل
همزة التعدية لا يستقيم حكم بعدها على ان المسئلة فيها خلاف مذهب الجمهور اشتراط
اتحاد الفاعل ومن النحويين من لا يشترطه ولو قيل على مذهب من يشترط ان التقدير
يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا لحذف العامل للدلالة لكان اعرابا سايغا واتحد فيهما
الفاعل وقال الضحاك خوفا من صواعقه وطمعا في مطره وقال قتادة خوفا للمسافر
وطمعا للمقيم وقيل خوفا ان يكون خلبا وطمعا ان يكون ماطرا ٥ وقال الشاعر ٥
٥ لا يكون برقك برقا خلبا ٥ ان خير البرق ما الغيث معه ٥ وقال ابن سلام
خوفا من البرد ان يهلك الزرع وطمعا في المطر ان يحييه ومن اياته ان تقوم اي تثبت

وتتمسك

وتتمسك واذا الظرف عليهم اي اذا انتم تنشوا بامره اي بارادته واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجاة
جواب الشرط والمعنى اذا ابنا احوطوه عنتم حتى وحكم عن دعايه كما يجيب الداعي المطيع مدعوه
كما قال الشاعر ٥ دعوت كليبا دعوة فكانما ٥ دعوت قرين الطود او هو اسرع ٥
يريد بقرين الطود الصدا او الحجر اذا انهدا او الطود الجبل والدعوة البعث من القبور ومن الارض
يتعلق بدعاكم ودعوة اي مرة فلا يحتاج الى تكرير دعا لسرعة الاجابة وقيل من الارض
صفة لدعوة وقال ابن عطية ومن عندي هنا لانتهاء الغاية كما تقول دعوتك من الجبل
اذا كان المدعو في الجبل انتهى وكونه من لانتهاء الغاية قول مردود لاصحابنا وعن نافع ويعقوب
انهما وقفا على دعوة وابتدا من الارض اذا انتم تخرجون علقا من الارض يتخرجون وهذا
لا يجوز لان حيته الفصل بين الشرط وجوابه بالوقف على دعوة وفيه اعمال ما بعد وهو
اذا الفجائية فيما قبلها وهو لا يجوز وقال الزمخشري وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم
في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض
ثم خروج الموتى من قبورهم اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا وانما عطف
هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لما يكون من عظيم ذلك الامر واقتداره على
مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت
تنظر انتهى وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التا وضم الرا وباقي السبعة بضمها
وفتح الرا وبدا تعالى من الايات بالنشاة الاولى وهي خلق الانسان من تراب ثم كونه
بشرا منتشرا وهو خلق حي من جماد ثم اتبعه بان خلق له من نفسه زوجا وجعل
بينهما توادد وذلك خلق حي من عضو حي ٥ وقال لقوم يتفكرون لان ذلك لا يدرك
الا بالفكر في تاليف بين شخصين لم يكن بينهما تعارف ثم اتبعه بما هو مشاهد للعالم
كلهم وهو خلق السموات والارض واختلاف اللغات والالوان والاختلاف قد يكون
للانسان لا يفارقه وقال للعالمين لانها اية مكشوفة للعالم ثم اتبعه بالمنام والابتغا
وهما من الامور المفارقة في بعض الاوقات بخلاف الالسنة والالوان ٥ وقال
لقوم يسمعون لانه كان من افعال العباد فقد يتوهم انه لا يحتاج الى مرشد فنبه على
السماع وجعل البال من كلام المرشد ولما ذكر عرضات الانفس اللازمة والمفارقة
ذكر عرضات الافاق المفارقة من اراءة البرق وانزال المطر وقدمهما على ما هو من
الارضية واخلال النبات والاحيا كما قدم السموات على الارض وقدم البرق على الانزال لانه
كالمبشر يجي بين يدي القادم والاعراب لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد
راوا البروق اللايحة من جانب الى جانب ٥ وقال لقوم يعقلون لانه البرق والانزال
ليس امرا عاديا فيتوهم انه طبيعة اذ قد يقع ذلك ببلد دون اخرى وفي وقت دون
وقت وقويا وضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار ٥ فقال هو اية
لمن عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم ختم هذه الايات بقيام السموات والارض لان ذلك
من العوارض اللازمة فان كلا من السموات والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب
من وقوف الارض وعدم نزولها ومن علو السما وثباتها من غير عمد ثم اتبع ذلك بالنشاة
الاخرى وهي الخروج من الارض وذكر تعالى من كل باب امرين من الانفس خلقكم وخلق
لكم ومن الافاق السما والارض ومن لوازم الانسان اختلاف الالسنة واختلاف

الالوان ومن عوارضه الغمام والابتغا ومن عوارض الاناق البرق والمطر ومن لوازمها
قيام السماء وقيام الارض قوله تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون ٭ وهو
الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم ٭ ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما
رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون
بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين ٭ فاقم وجهك
للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ٭ منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ٭ من الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ٭ من في السموات والارض في كونهم تحت ملكه
وقهره وقال الحسن قانتون قائمون بالشهادة على وحدانيته ٭ كما قال الشاعر
وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد ٭ وقال ابن عباس مطيعون اي في تصريفه
لا يمتنع عليه شيء يريد فعله بهم من حياة وموت وصحة ومرض فهي طاعة الارادة لا طاعة
العبادة وقيل قائمون يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ٭ واذا حمل القنوت
على الاخلاص كما قال ابن جبير او على الاقرار بالعبودية او ما تنوب من ملكوتهم كان كلاما
مخصوصا وهو اهون عليه اي والعود اهون عليه ولبيت اهون افعل تفضيل لانه لا تفاوت
عند الله في النشأة بين الابداء والاعادة فلذلك تاوله ابن عباس والربيع بن خثيم على انه بمعنى
هين وكذا هو في مصحف عبد الله والضمير في عليه عائد على الله عز وجل وقيل اهون للتفضيل
وذلك بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من ان الاعادة في كثير من الاشياء اهون
من البداءة للاستغناء عن الروية التي كانت في البداءة وهذا وان كان الاثنان عنده تعالى من
التيسير في حيز واحد وقيل الضمير في عليه عائد على الخلق اي والعود اهون على الخلق بمعنى
اسرع لان البداءة فيها تدرج من طور الى طور الى ان يصير انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدر
يجات في الاطوار انما يدعو الله فيخرج فكانه قال وهو ايسر عليه اي اقصر مدة واقل انتقالا
وقيل المعنى هو اهون على المخلوق اي ان يعيد شيئا بعد انشائه فهذا عرف المخلوقين فكيف
تنكرون انتم الاعادة في جانب الخالق قال ابن عطية والاظهر عندي عود الضمير على الله تعالى
ويؤيده قوله تعالى وله المثل الاعلى لما جاء بلفظ فيه استعارة واستشهاد بالمخلوق على الخالق
وتشبيه بما يعهده الناس من انفسهم خلص جانب العظمة بان جعل له المثل الاعلى الذي لا يتصل
به تكييف ولا تمثيل مع شيء انتهى وقال الزمخشري فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو
اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل
وهو علي هين وان كان مستصعبا عندك وان تولد بين هم وعاقر واما هاهنا فلا معنى للاختصاص
كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير
المعنى انتهى ويبنى كلامه على ان تقديم المعمول يؤذن بالاختصاص وقد تكلمنا معه في ذلك
هل تسلم في قوله تعالى اياك نعبد وله المثل الاعلى قيل هو متعلق بما قبله قال الزجاج وهو قوله
وهو اهون قد ضربه لكم مثلا فيما يسهل او يصعب وقيل بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا
من انفسكم وقيل المثل الوصف الارفع الاعلى قيل هو متعلق بما قبله قال الزجاج وهو قوله وهو
اهون قد ضربه لكم مثلا فيما يسهل او يصعب وقيل بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم

وقيل

وقيل المثل الوصف الارفع الاعلى الذي ليس لغيره مثله وقوله القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء
واعادة وغيرهما وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي افعاله على مقتضى حكمته وعن مجاهد
المثل الاعلى قول لا اله الا الله والمعنى وله الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم وقال
ابن عباس ويعني بين تعالى امر الاصنام وفساد معتقد من يشركها بالله تعالى بضربه هذا
المثل ومعناه انكم ايها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لا تشركونهم في اموالكم ومهم اموركم
ولا في شيء على جهة استواء المنزلة وليس من شانكم ان تخافوهم في ان يرثوا اموركم او يقاسمونكم
اياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركاء
في سلطانه والوهيته وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم وجاء هذا المعنى في معرض السؤال
والتقرير وقال السدي كانوا يورثون الهتهم فنزلت وقيل لما نزلت قال اهل مكة لا يكون ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجوز لربكم ومن في انفسكم لابتداء الغاية كانه اخذ
مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهو انفسكم ولا يبعد ومن في مما ملكت للتبعيض
وفي من شركاء زائدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي يقول ليس يرضى احد منكم ان يشركه عبده
في ماله وزوجه وما يختص به حتى يكون مثله فكيف ترضون لي ان تجعلوا لله تعالى وهو رب
الارباب ومالك الاحرار والعبيد وقال ابو عبد الله الرازي بين المثل والممثل به تشابه وتخالف
فالمشابهة معلومة والمخالفة من وجوه قوله من انفسكم اي من نسلكم مع حقارة الانفس
ونقصها وعجزها وقاس من نفسه عليكم مع عظمتها وجلالتها وقدرتها وقوله ما ملكت ايمانكم
اي عبيدكم والملك طارئ قابل للنقل بالبيع والزوال بالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك
فاذا لم يجز ان يشرككم مملوككم وهو مثلكم اذا حرر من جميع الوجوه المباين له بالكلية وقوله
فيما رزقناكم يعني ان ما لكم في الحقيقة انما هو لله تعالى فاذا لم يجز ان يشرككم فيما هو لكم من حيث
الاسم فكيف يكون له تعالى فاذا لم يجز ان يشرككم من حيث الاسم فكيف يكون له تعالى شريك فيما له
من جهة الحقيقة انتهى وفيه بعض تلخيص وشركاء في موضع رفع على الابتداء وفيما رزقناكم متعلق به
ولكم الخبر ومما ملكت في موضع رفع الحال والمجرور الواقع خبرا وهو مقدر بعد المبتدأ ومن
وما في واقعة على النوع والتقدير هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكت ايمانكم
كائنون لكم وكونان يتعلق لكم بشركاء ويكون فيما رزقناكم في موضع الخبر كما تقول لزيد في المدينة
مبغض فلزيد متعلق بمبغض الذي هو مبتدأ وفي المدينة الخبر فانتم فيه سواء جملة في موضع
الجواب للاستفهام المضمن معنى النفي وفيه متعلق بسواء وتخافونهم خبر ثان لانتم والتقدير
فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفوهم ان يقاسموكم بعضكم بعضا لاجل المساواة والمقصود
نفي الشركة والاستواء والخوف وليس النفي منسحبا على الجواب وما بعده فقط كما في قوله ما
تاتينا فتحدثنا اي ما تاتينا محدثا انما تاتي ولا تحدث بل هو على الوجه الاخر ايضا ما تاتينا
فكيف تحدثنا اي ليس منك اتيان ولا يكون حديث وكذلك هذا المعنى ليس لهم شريك ولا
استواء ولا خوف وقرا الجمهور انفسكم بالنصب اضيف المصدر الى الفاعل وابن ابي عبلة بالرفع
اضيف المصدر الى المفعول وهما وجهان حسنان ولا قبح في اضافة المصدر الى المفعول
مع وجود الفاعل كذلك اي مثل ذلك التفصيل نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما
يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك
بالصورة المشوهة وقرا الجمهور نفصل بالنون حملا على رزقناكم وعباس عن ابي عمرو بيا الغيبة

وعبادتهم اذ هو مسند للغائب وذكر بعض العلماء في هذه الآية دليلا على هذا اصل الشركة
بين المخلوقين لافتقار بعضهم الى بعض كأنه يقول الممتنع شركة العبيد لاسيادهم اما شركة
السادات بعضهم لبعض فلا يمتنع ولا يستقبح والاضراب ببل في قوله بل اتبع على ما
تضمنته الآية اذ المعنى ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من اشراكهم بالله تعالى بل ذلك مجرد
دعوى بغير علم لانه قد يكون هوى للانسان وهو يعلم والذين ظلموا هم المشركون اتبعوا اهواءهم
جاهلين هائمين على وجوههم لا يردعهم عن هواهم علم اذ هم خالون من العلم الذي قد
يردع متبعوا الهوى فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يهدي من اضله الله اي هؤلاء
ممن اضلهم الله فلا هادي لهم وقال الزمخشري من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه
انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال
الخذلان انتهى وهو على طريقة الاعتزال فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير
ملتفت وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه
فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وقوم له وجهه مقبلا به عليه والدين دين الاسلام
وذكر الوجه لانه جامع حواس الانسان واشرفه وحنيفا حال من الضمير في اقم او من الوجه
او من الدين ومعناه مائلا عن الاديان المحرفة المنسوخة فطرة الله منصوب بفعل مضمر
كقوله صبغة الله وقال الزمخشري الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمر على خطاب
الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا
معطوف على هذا الضمير انتهى وقيل فاقم وجهك المراد به فاقيموا وجوهكم وليس خصوصا
بالرسول وحده وكانه خطاب لمفرد اريد به الجمع اي فاقم ايها المخاطب ثم جمع على المعنى لانه
لا يراد به مخاطب واحد فاذا كان هذا فقوله منيبين واقيموا ولا تكونوا ملحوظ فيه معنى
الجمع وقول الزمخشري او عليكم فطرة الله لا يجوز لان فيه حذف كلمة الاغراء ولا يجوز حذفها لانه قد حذف
الفعل وعوض عليك منه لو جاز حذفه لكان اجحافا اذ فيه حذف العوض والمعوض منه
والفطرة قيل دين الاسلام والناس مخصوصون بالمؤمنين وقيل العهد الذي اخذه الله على
ذرية آدم حين اخرجهم نسما من ظهره ورجح الحذاق انها القابلية التي في الطفل للنظر
في مصنوعات الله تعالى والاستدلال بها على موجدها فيؤمن به ويتبع شرائعه لكن قد تعرض
له عوارض تصرفه عن ذلك كتهويد ابويه له وتنصيرهما واغواء شياطين الانس والجن لا تبديل
لخلق الله اي لا تبديل لهذه القابلية من جهة الخالق وقال مجاهد وابن جبير والضحاك والنخعي
وابن زيد لا تبديل لدين الله والمعنى لمعتقدات الاديان اذ هي متفقة في ذلك وقال
الزمخشري اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير قال ابن عباس لا تبديل لقضاء الله بسعادتهم
وشقاوتهم وقيل هو نفي معناه النهي اي لا تبدلوا ذلك الدين وقيل لا تبديل لخلق الله بعني
الوحدانية مترسخة فيه لا تغيير لها حتى لو سألته من خلق السموات والارض يقول الله
ويستشنع ما روي عن ابن عباس ان معنى لا تبديل لخلق الله النهي عن خصاء الفحول من الحيوان
وقال من ذهب الى ان المعنى في هذه الجملة ابقاء على الكفرة اعترض به اثناء الكلام كانه يقول بل
اقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا فان هؤلاء الكفرة ومن خلق الله لهم الكفر ولا تبديل
لخلق الله اي انهم لا يفلحون ذلك الذي امرت به باقامة وجهك له هو الدين المبالغ في الاستقامة
والقيم بناء مبالغة من القيام بمعنى الاستقامة ووزنه فيعل اصله قيوم كهيد اجتمعت اليا

والواو

والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا فيها وهو بناء مختص بالمعتل العين
لم يجي منه في الصحيح الا بيئس وصيقل علم امراة منيبين حال من الناس ولاسيما اذا اريد
بالناس المؤمنون او من الضمير في الزموا فطرة الله وهو تقدير الزمخشري او من الضمير في فاقم
اذ المقصود الرسول وامته وكانه حذف معطوف اي فاقم وجهك وامتك وكذا زعم الزجاج
في يا ايها النبي اذا طلقتم اي يا ايها النبي والناس ودل على ذلك مجي الحال في منيبين جمعا وفي اذا طلقتم
جاء الخطاب فيه وفيما بعده جمعا او على خبر كان مضمرة اي كونوا منيبين ويدل عليه قوله
بعد ولا تكونوا وهذه احتمالات منقولة كلها من المشركين من اليهود والنصارى قاله قتادة وقال
ابن زيد هم اليهود وعن ابي هريرة وعائشة انهم اهل القبلة ولفظة الاشراك على هذا تجوز بانهم
صاروا في دينهم فرقا والظاهر ان المشركين فارقوا دينهم اي دين الاسلام وجعلوه اديانا مختلفة
لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا كل فرقة تشايع امامها الذي كان سبب ضلالها كل حزب
اي منهم فرح بمذهبه مفتون به والظاهر ان كل حزب مبتدا وفرحون الخبر وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما
لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غيرها ضم نفسه
انتهى قدر ان فرحين مجرور صفة لحزب ثم قال ولكنه رفع على الوصف لكل لان كلا اذا قلت من
قومك كل رجل صالح جاز في صالح الخفض نعتا للرجل وهو الاكثر كقوله
جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم وجاز الرفع نعتا لكل
كقوله ولهت عليه كل معصفة هوجاء ليس للبها زبر يرفع هوجاء صفة
لكل قوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة
اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه
الله واولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم
من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون الضر الشدة من فقر او مرض او قحط
او غير ذلك والرحمة الخلاص من ذلك الضر دعوا ربهم افردوه بالتضرع والدعاء لينجوا من ذلك الضر
وتركوا اصنامهم لعلمهم انه لا يكشف الضر الا هو تعالى فلهم في ذلك الوقت انابة وخضوع واذا خلصهم
من ذلك الضر اشرك فريق ممن خلص وهذا الفريق هم عبدة الاصنام قال ابن عطية ويلحق من
هذه الاشياء لفظ يلحق للمؤمنين اذا جاءهم فرج بعد شدة علقوا ذلك بمخلوقين او بحذق آرائهم
او بغير ذلك ففيه قلة شكر لله تعالى ويسمى تشريكا مجازا وقال ابو عبد الله الرازي تقول تخلصت
بسبب اتصال الكوكب الفلاني وبسبب الصنم الفلاني بل لا ينبغي ان يقول بفلان تخلص لسبب
فلان اذا كان ظاهرا لانه شرك خفي انتهى واذا فريق جواب اذا اذاقهم الاولى شرطية والثانية للمفاجاة
وتقدم نظيره وجاء هنا فريق لان قوله واذا مس الناس عام للمؤمن والكافر فلا يشرك الا الكافر
وضر هنا مطلق وفي اخر العنكبوت اذا هم يشركون لانهم مخصوصون من المشركين عبدة الاصنام
والضر هناك معين وهو ما يتخوف من ركوب البحر مجيئا اذ هم اي ركاب البحر عبدة الاصنام
ويدل على ذلك ما قبله وما بعده واللام في ليكفروا لام كي او لام الامر للتهديد وتقدم نظيره

في آخر العنكبوت وقرأ الجمهور فتمتعوا فسوف تعلمون بالتاء فيهما وقرأ أبو العالية فيمتعوا بالياء مبنيا
للمفعول وهو معطوف على ليكفروا فسوف يعلمون بالياء على التهديد لهم وعن أبي العالية فيتمتعوا بياء
قبل التاء معطوف عطفا أيضا على ليكفروا أي ليطول أعمارهم على الكفر وعنه وعن عبد الله فليتمتعوا وقال
هارون في مصحف عبد الله يمتعوا أم أنزلنا أم بمعنى بل والهمزة بل للإضراب عن الكلام السابق
والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام إنكار وتوبيخ والسلطان البرهان من كتاب أو نحوه فهو
يتكلم أي يظهر مذهبهم وينطق بشركهم والتكلم مجاز كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وفهو
يتكلم جواب للاستفهام الذي تضمنه أم كأنه قال بل أنزلنا عليهم سلطانا أي برهانا شاهدا
لكم بالشرك فهو يشهد بصحة ذلك وإن قدر ذا سلطان أي ملكا ذا برهان لأن التكلم حقيقة
وإذا أذقنا الناس رحمة أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة وإن تصبهم سيئة أي بلاء من جدب
أو ضيق أو مرض بما قدمت أيديهم من المعاصي إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
فرحوا بها أي بالرحمة ذهلوا وفرحوا عن شكر من أسداها إليهم وفي البلاء قنطوا ويئسوا وذهلوا
عن الصبر ونسوا ما أنعم به عليهم قبل إصابة البلاء وإذا هم جواب وإن تصبهم يقوم مقام
الفاء في الجملة الاسمية الواقعة جوابا للشرط وحين ذكر إذاقة الرحمة لم يذكر سببها وهو زيادة
الإحسان والتفضل وحين ذكر إصابة السيئة ذكر سببها وهو العصيان ليتحقق عدله ثم ذكر
تعالى الأمر الذي من اعتبره لم ييأس من روح الله وهو أنه تعالى هو الباسط القابض فينبغي أن
لا يقنط وأن يتلقى ما يرد من قبل الله عز وجل بالصبر في البلاء والشكر في النعماء وأن يقلع عن
المعصية التي أصابته السيئة بسببها حتى تعود إليه رحمة ربه ومناسبة فآت ذا القربى لما
قبله أنه لما ذكر تعالى أنه هو الباسط القابض وجعل في ذلك آية للمؤمنين أمر نبيه صلى الله عليه
وسلم بالإحسان لمن به فاقة واحتياج لأن من الإيمان الشفقة على خلق الله تعالى فالخطاب
لمن بسط له الرزق بأداء حق الله تعالى من المال وصرفه إلى من يقرب منه في رحم وإلى المحتاج
من مسكين وابن سبيل قال الحسن هذا خطاب لكل سامع بصلة الرحم والمسكين وابن
السبيل وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب يعطون
حقوقهم من الغنيمة والفيء وقال الحسن حق المسكين وابن السبيل من الصدقة المسماة لهما
واحتج أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب
أثبت تعالى لذي القربى حقا وللمسكين وابن السبيل حقهما والسورة مكية فالظاهر أن الحق ليس
الزكاة وإنما يصير حقا بجهة الإحسان والمواساة والاهتمام بذي القربى قدم على المسكين وابن
السبيل لأن من صرفه صلة ذلك أي الإيتاء خير أي يضاعف لهم الأجر في الآخرة وينمو أموالهم
في الدنيا وجه الله تعالى أي بما التقرب إلى رضى الله تعالى لا الغير ثم ذكر تعالى من يصرف في المال
على غير الجهة المرضية فقال وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ولا يبارك
فيه كقوله يمحق الله الربا ويربي الصدقات قال السدي نزلت في ربا ثقيف كانوا يعملون
بالربا وتعمله قريش فيهم وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وطاوس هذه الآية نزلت في هبات
للثواب وقال ابن عطية وما جرى مجراها يصنع للمجازاة كالسلم وغيره فهو وإن كان لا إثم فيه
فلا أجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وقال ابن عباس أيضا والنخعي نزلت في قوم يعطون
قراباتهم وإخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا في أموالهم على جهة
النفع لهم وقال الشعبي قريبا من هذا وهو ما خدم به الإنسان غيره لينتفع به فذلك النفع

لا يربوا

لا يربوا عند الله والظاهر القول الأول وهو النهي عن الربا وقرأ الجمهور وما آتيتم الأول بمد الهمزة أي
وما أعطيتم وابن كثير بقصرها أي وما جئتم وقرأ الجمهور ليربو بالياء وإسناد الفعل إلى الربا وابن عباس
والحسن وقتادة وأبو رجاء والشعبي ونافع وأبو حيوة بالتاء مضمومة وإسناد الفعل إليهم وقرأ
أبو مالك لتربوها بضمير المؤنث والمضعف ذو أضعاف في الأجر قال الفراء أصحاب المضاعفة
كما تقول العرب مسمن أي صاحب إبل سمان ومعطش أي صاحب إبل عطاش وقرأ أبي المضعفون بفتح
العين اسم مفعول وقال الزمخشري فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال للملائكة وخواص
خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون والمعنى المضعفون به لأنه لا بد من
ضمير يرجع إلى ما ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل
عليه وهذا أسهل مأخذا والأول أملأ بالفائدة انتهى وإنما احتاج إلى تقديره ما خبر لأنها اسم الشرط
الذي ليس بظرف ولا بد أن يكون في الجواب ضمير يعود عليه ليتم به الربط قوله تعالى الله الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما
يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين
القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل
صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين
عاد تعالى إلى خطاب الكفار في إقامة الحجة عليهم فذكر أفعاله التي لا يمكن أن يدعى له فيها شريك وهي الخلق
والرزق والإماتة والإحياء ثم استفهم على جهة التقرير لهم والتوبيخ ثم نزه نفسه عن مقالتهم
والله الذي خلقكم مبتدأ وخبر وقال الزمخشري ويجوز أن يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ
والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لأن معناه من أفعاله انتهى والذي
ذكره النحويون أن اسم الإشارة يكون رابطا إذا كان أشير به إلى المبتدأ وأما ذلكم هنا فليس إشارة
إلى المبتدأ لكنه شبيه بما أجازه الفراء في الربط بالمعنى وخالفه الناس وذلك في قوله والذين يتوفون
منكم ويذرون أزواجا يتربصن قال التقدير يتربص أزواجهم فقدر الضمير بمضاف
إلى ضمير الذين فحصل به الربط كذلك قدر الزمخشري من ذلكم من أفعاله المضاف إلى الضمير العائد
على المبتدأ وقال الزمخشري أيضا هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أندادا له من الأصنام وغيرها
من يفعل شيئا قط من تلك الأفعال حتى يصح ما ذهبتم إليه فاستعمل قط في غير موضعها لأنها ظرف
للماضي وهنا جعلها معمولة ليفعل وقال الزمخشري أيضا ومن الأولى والثانية كل واحدة منهما مستقلة
تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم انتهى ولا أدري ما أراد بهذا الكلام ومن في شركائكم للتبعيض
والجار والمجرور خبر المبتدأ ومن يفعل هو المبتدأ ومن الثانية في موضع الحال من شيء لأنه نعت
نكرة تقدم عليها فانتصبت على الحال ومن الثالثة زائدة لانسحاب الاستفهام الذي معناه النفي
على الكلام التقدير من يفعل شيئا من ذلكم أي من تلك الأفعال وقرأ الجمهور يشركون بياء الغيبة
والأعمش وابن وثاب بتاء الخطاب والظاهر أن المراد ظاهر البر والبحر وقال الحسن ظهور الفساد فيهما
بارتفاع البركات ونزول رزايا وحدوث فتن وتغلب عدو كافر وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر
وقال ابن عباس في البحر انقطاع صيده وقال مجاهد في البر قتل ابن آدم أخاه وفي البحر أخذ
السفن غصبا وعنه أيضا البر البلاد البعيدة من البحر والبحر السواحل والمدن التي على ضفة
البحر والأنهار وقال قتادة البر الفيافي ومواضع القبائل وأهل الصحاري والعمود والبحر المدن

بلغ احمد

جمع بحرة ومنه ولقد اجمع اهل هذه البحرة ليتوجوه يعني قول سعد بن عبادة في عبد الله بن ابي بن سلول
ويؤيد هذا قراءة عكرمة والبحور ورويت عن ابن عباس وكانه قد ظهر الفساد في البر والبحر وقت
بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الظلم عم الارض فاظهر الله به الدين وازال الفساد
واخمده صلى الله عليه وسلم ٥ وقال النحاس فيه قولان احدهما ظهر الجدب في البر في البوادي والقرى
والبحر اي في مدن البحر مثل قوله واسال القرية اي ظهر قلة العشب وغلا السعر والثاني ظهرت
المعاصي من قطع السبيل والظلم فهذا هو الفساد في الحقيقة والاول مجاز وقيل اذا قل المطر
قل الغوص واخفق الصياد وعميت دواب البحر وقال ابن عباس اذا امطرت تفتحت الاصداف
في البحر فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ ٥ بما كسبت اي بسبب معاصيهم وذنوبهم ليذيقهم اي الله عز وجل
انفسهم اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بها جميعا في الاخرة
لعلهم يرجعون عما هم فيه وقال ابن عطية بما كسبت جزاء ما كسبت ويجوز ان يتعلق الباء بظهر
اي بكسبهم المعاصي في البر والبحر وهو نفس الفساد الظاهر وقرا السلمي والاعرج وابو حيوة وسلام
وسهل وروح وابن حسان وقنبل من طريق ابن مجاهد وابن الصباح وابي الفضل الواسطي عنه
ومحبوب عن ابي عمرو لنذيقهم بالنون والجمهور بالياء ثم امرهم بالمسير في الارض فينظروا كيف
اهلك الامم بسبب معاصيهم واشراكهم وذلك تنبيه لقريش وامرهم بالاعتبار بمن سلف من الامم
قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كان اكثرهم اهلكهم كلهم قوم بسبب الشرك وقوم بسبب المعاصي
لانه تعالى يهلك بالمعاصي كما يهلك بالشرك كاصحاب السبت او اهلكهم كلهم المشرك والمؤمن لقوله
تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة او اهلكهم كلهم وهم كفار وكان اكثرهم مشركون
وبعضهم معطل وحين ذكر امتنانه قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم فذكر الوجود ثم البقاء بسبب
الرزق وحين ذكر خذلانهم بالطغيان بسبب البقاء باظهار الفساد ثم سبب الوجود بالاهلاك من قبل
ان ياتي يوم القيامة ومنه تحذير لجميع الناس لا مرد له من الله المرد مصدر رد ومن الله يحتمل ان يتعلق
بياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا مرد له لا احد يرده حتى لا ياتي كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها
ويحتمل ان يتعلق بمحذوف يدل عليه مرد اي لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا راد له من جهته يومئذ
اي يوم اذ ياتي ذلك اليوم يصدعون يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير يقال تصدع القوم
اذا تفرقوا ومنه الصداع لانه يفرق شعب الراس وقال الشاعر ٥
٥ وكنا كندماني جذيمة حقبة ٥ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا ٥ ثم ذكر حالتي المتفرقين
من كفر فعليه كفره وعبر عن حالة الكافر بعليه وهي تدل على الثقل والمشقة وعن حال المؤمن بقوله
فلانفسهم يمهدون باللام التي هي لام الملك ويمهدون يوطئون وهي استعارة من الفرش وعبارة عن
كونهم يفعلون في الدنيا ما يلقون به ما تقر اعينهم به وتسر به انفسهم في الجنة ٥ وقال مجاهد
هو التمهيد للقبر ٥ وقال الزمخشري وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر
لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه انتهى وهو
جار على طريقته في دعواه ان تقديم المفعول وما جرى مجراه يدل على الاختصاص واما على مذهبنا
فيدل على الاهتمام واما ما يدعيه من الاختصاص فمفهوم من اي كثيرة في القرآن منها ولا تكسب
كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى واللام في ليجزي قال الزمخشري متعلق بيمهدون
تعليل له وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده
الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس وقال

ابن عطية

ابن عطية ليجزي متعلق بيصدعون ويجوز ان تكون متعلقة بمحذوف تقديره ذلك ليجزي
ويكون الاشارة الى ما تقرر من قوله تعالى من كفر ومن عمل صالحا انتهى ويكون فيهم الذين امنوا وعملوا
الصالحات على هذين التقديرين الذين ذكرهما ابن عطية محذوفا وفي تقديري كانه قال والكافرين بعدله
ودل على حذف هذا القسم قوله انه لا يحب الكافرين ومعنى نفي الحب هنا انه لا تظهر عليهم امارات
رحمته ولا يرضى الكفر لهم دينا وقال الزمخشري من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب
من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له
او اراد من عطاياه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب قوله تعالى ومن
اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك
بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٥ ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله
فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون ٥ وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
من قبله لمبلسين ٥ فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير ٥ ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ٥ فانك
لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ٥ وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان
تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون ٥ لما ذكر تعالى ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك
ذكر ظهور الصلاح والكريم لا يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لعقابه سببا لئلا يتوهم به الظلم فذكر
من اعلام قدرته ارسال الرياح مبشرات بالمطر لانها متقدمة والمبشرات رياح الرحمة
الجنوب والشمال والصبا واما الدبور فريح العذاب وليس تبشيرها مقتصرا
على المطر بل لها تبشيرات بسبب السفن والمسير بها الى مقاصد اهلها وكانه ابتداء لبني
عام وهو التبشير وقرأ الاعمش الريح مفردا واراد معنى الجمع ولذلك قرأ مبشرات ثم ذكر من اعظم تبشيرها
اذاقة الرحمة وهي نزول المطر ويتبعه حصول الخصب والروح الذي مع الهبوب وازالة العفونة من
الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك وليذيقكم رأيتم وبامره اي بامر الله تعالى يعني ان جريانها
لما كان مسندا اليها اخبر انه بامره تعالى ومن فضله مما يهيئ لكم من الربح في التجارات في البحر ومن غنائم
اهل الشرك ثم انس رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه ضرب له مثلا من ارسل من الانبياء ولما كان
تعالى من الانبياء وتوعد قريشا بان ضرب لهم مثل من اهلك من الامم الذين اجرموا وكذبوا
الانبياء ولما كان تعالى يبين الاصلين المبدأ والمعاد ويبرهن ذكر الاصل الثالث وهو النبوة
وفي الكلام حذف تقديره فامن به بعض وكذب بعض فانتقمنا من الذين اجرموا وفي قوله
وكان حقا علينا نصر المؤمنين تبشير للرسول صلى الله عليه وسلم وامته بالنصر والظفر اذ اخبر
ان المؤمنين باوليك نصروا وفي لفظ حقا مبالغة في التحتم وتكريم للمؤمنين واظهار لفضل سابقة الايمان
حيث جعلهم مستحقين النصر والظفر والظاهر ان حقا خبر كان ونصر المؤمنين الاسم واخر لكون
ما تعلق به فاصلة وللاهتمام بالخبر اذ هو محط الفائدة وقال ابن عطية ووقف بعض القراء على
حقا وجعله من الكلام المتقدم ثم استانف جملة من قوله علينا نصر المؤمنين وهذا قول ضعيف
لانه لم يدر قدر ما عرضه في نظم الاية قال الزمخشري وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام
منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين انتهى وفي الوقف على وكان حقا بيان انه لم يترك الانتقام

ظلما بل عدلا لانه لم يبق الا بعد كون بقائهم غير منتفع به لان ابادة الاثم وولادة الفاجر الكافر وكان عدمهم
خيرا من وجودهم الخبيث الله الذي يرسل الرياح هذا متعلق بقوله ومن اياته ان يرسل
الرياح مبشرات والجملة التي بينهما اعتراض جاءت تانيسا للرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية
ووعدا بالنصر ووعيدا لاهل الكفر وفي ارسالها قدرة وحكمة فان الهوا اللطيف الذي يستنشقه
البري بحيث يقلع الشجر ويهدم البنا وهو ليس بذاته يفعل ذلك دليلا على المختار واما على
الحكمة ففيما يفضي اليه تنفس الهبوب من اثارة السحب واخراج الما منها وانبات الزرع ودر الضرع
واختصاصا منه بناس دون ناس وهذه حكمة بالغة معروفة بالمشية والاثارة تحريكها وتسييرها
والبسط نشرها في الافاق والكسف القطع وتقدم الكلام على قوله فترى الودق يخرج من خلاله
وذكر الخلاف في كسفا وحلاله من جهة القرا والضمير في من خلاله الظاهر انه عائد على السحاب
اذ هو المحدث عنه وذكر الضمير لان السحاب اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه وقيل ويحتمل
ان يعود على كسفا في قراة من سكن السين والمراد بالسما سمت السما كقوله وفرعها في السما فاذا اصاب
به من يشا من عباده الارض من يشا اصابتها فاجاهم الاستبشار وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم
يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثير كالايام ونحوها فقوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل
بالمطر فهو تاكيد مفيد وقال الزمخشري وبمعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول
بعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك انتهى وما ذكره
ابن عطية والزمخشري من فائدة التاكيد في قوله من قبله غير ظاهر وانما هو عندي ذكره لمجرد التوكيد
ويفيد رفع المجاز فقط وقال قطرب التوكيد وانما هو من قبل التنزيل من قبل المطر انتهى وصار
من قبل النزال الى المطر من قبل المطر وهذا تركيب لا يسوغ في كلام فصيح فضلا عن القران وقيل
التنزيل من قبل تنزيل الغيث من قبل ان يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج بسبب المطر
ودل على ذلك قوله فراوه مصفرا يعني الزرع انتهى وهذا لا يستقيم لان من قبل ان ينزل عليهم
متعلق بقوله لمبلسين ولا يمكن من قبل الزرع ان يتعلق بمبلسين لان حرفي جر لا يتعلقان
بعامل واحد الا اذا كان بوساطة حرف العطف او على جهة البدل وليس التركيب هنا ومن
قبله بحرف العطف ولا يصح فيه البدل اذ انزال الغيث ليس هو الزرع ولا الزرع بعضه وقيل
يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما لاشتمال الانزال على الزرع بمعنى ان الزرع يكون ناشئا عن الانزال
لكان الانزال مشتملا عليه وهذا مذهب من يقول يشتمل على الثاني وقال المبرد الثاني
السحاب لانهم لما راوا السحاب كانوا راجين المطر ويريد من قبل رؤية السحاب ويحتاج ايضا
الى حرف عطف حتى يمكن تعلق الحرفين بمبلسين وقال علي بن عيسى من قبل الارسال وقال
الكرماني من قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه من به عليهم بالاستبشار انتهى ويحتاج قوله
وقول ابن عيسى الى حرف العطف كما ادعى في قول من جعل الضمير في من قبله عائدا الى غير انزال
الغيث ان حرف العطف محذوف امكن لكن في حذف حرف العطف خلاف اينقاس ام لا ينقاس
اما حذفه مع الجمل فجائز واما وحده فهو الذي فيه الخلاف ٥ وقرا الحرميان وابو عمرو وابو بكر
الى اثر بالافراد وباقي السبعة بالجمع وسلام بكسر الهمزة واسكان الثا وقرا الجحدري
وابن السميفع وابو حيوة تحيي بتاء التانيث والضمير عائد على الرحمة وقال صاحب
اللوامح وانما انث الاثر لاتصاله بالرحمة اضافة اليها فاكتسى التانيث منها ومثل ذلك
لا يكون الا اذا كان المضاف بمعنى المضاف اليه او من سببه واما اذا كان اجنبيا فلا يجوز كال

انتهى

انتهى وقرا زيد بن علي نحيي بنون العظمة والجمهور يحيي بيا الغيبة والضمير لله ويدل عليه قراة اثار
بالجمع وقيل يعود على اثر في قراة من افرد وقال ابن جني كيف يحيي جملة منصوبة الموضع على الحال
حملا على المعنى كانه محييا وهذا فيه نظر ان ذلك اي القادر على احيا الارض بعد موتها هو الذي
يحيي الناس بعد موتهم هذا اخبار على جهة القياس في البعث والبعث من الاشيا التي هو قادر
عليها سبحانه وتعالى ٥ ولئن ارسلنا ريحا اخبر تعالى عن حال تقلب ابن ادم في انه بعد الاستبشار
بالمطر يبعث الله ريحا فاصفر بها النبات فظلوا يكفرون قلقا منهم والريح التي تصفر النبات
حرور وحرو هما يبيسه النبات هشيما والحرشف الشمال اذا عصفت والضمير في فراوه عائد
على ما يفهم من سياق الكلام وهو النبات وقيل الى الاثر لان الرحمة هي الغيث واثرها هو النبات
ومن قرا اثار بالجمع رجع الضمير الى اثار الرحمة وهو النبات واسم النبات يقع على الكثير والقليل
لانه مصدر سمي به ما ينبت وقال ابن عيسى الضمير في فراوه عائد على السحاب لان السحاب
اذا اصفر لم يمطر وقيل على الريح وهذان قولان ضعيفان وقرا جناح بن حبيش مصفارا
بالف بعد الفا واللام في ولئن موذنة بقسم محذوف وجوابه لظلوا وهو مما وضع فيه الماضي
موضع المستقبل اتساعا تقديره ليظلون ونظيره قوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل اية ما تبعوا قبلتك اي ما يتبعون ذمهم تعالى في جميع احوالهم لان عليهم ان يتوكلوا على فضل
الله فقنطوا وان يشكروا نعمته فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه
فكفروا والضمير في من بعده عائد على المصفر اي من بعد اصفرار النبات يجحدون نعمه وتقوم
الكلام على قوله فانك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون في اواخر النمل الا ان هنا الربط في بالفا
في قوله فانك قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من قوة
بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشا وهو العليم القدير ٥ ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون ٥ وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ٥ فيومئذ لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ٥ ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ٥ كذلك يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ٥ لما ذكر تعالى من
دلائل الافاق ذكر شيئا من دلائل الانفس وجعل الخلق من ضعف اكثره ضعف الانسان
اول نشاته وطفولته كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والقوة التي تلت الضعف هي عنفوانه
ونماوه وقوته الى فصل الكهولة والضعف الذي بعد القوة هو حال الشيخوخة والهرم وقيل
من ضعف من النطفة كقوله من ما مهين والقوة اذ هي هذه الهيئات شاهد بقدرة الصانع
وعلمه وقرا الجمهور بضم الضاد في ضعف معا وعاصم وحمزة بفتحها فيها وهي قراة عبد الله
وابي رجا وروي عن ابي عبد الرحمن والجحدري والضحاك الضم في الاول والفتح في الثاني وقرا عيسى
بضمتين فيهما والظاهر ان الضعف والقوة هي بالنسبة الى ما عرى البدن ذلك وان الضم
والفتح بمعنى واحد في ضعف وقال كثير من اللغويين الضم في البدن والفتح في العقل ما لبثوا
هي جواب وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم كان يكون التركيب ما لبثنا غير ساعة اي ما اقاموا
تحت التراب غير ساعة او ما لبثوا في الدنيا استقلوها لما عاينوا من امر الاخرة او فيما
بين فناء الدنيا الى البعث واخبارهم بذلك هو على جهة النسور والتقول بغير علم او على جهة

قوة

النبيات او الكذب يو فكونه اي يصرفون عن قول الحق والنطق بالصدق والذين اوتوا العلم هم الملايكة
والانبيا والمومنون في كتاب الله فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث والعلم يعم الايمان وغيره ولكن
نص على هذا الخاص تشريفا وتنبيها على محله من العلم وقيل في كتاب الله اللوح المحفوظ وقيل في علمه
وقيل في حكمه وقرا الحسن البعث بفتح العين فيهما وقرى بكسرها وهو اسم والمفتوح مصدر وقال
قتادة هو على التقديم والتاخير تقديره اوتوا العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم فقيل وعلى هذا
تكون في بمعنى البا اي العلم بكتاب الله ولعل هذا القول لا يصح عن قتادة فان فيه تفكيكا للنظم لا يسوغ
في كلام غير فصيح فكيف يسوغ في كتاب الله تعالى وكان قتادة موصوفا بعلم العربية فلا يصدر
عنه مثل هذا القول والفا في فهذا يوم البعث عاطفة لهذه الجملة المقولة على الجملة قبلها وهي لقد
لبثتم اعقبتها في الذكر وقال الزمخشري فان قلت ما هذه الفا وما حقيقتها قلت هي التي في قوله
فقد جينا خراسانا ، وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من
ان اقصى ما يراد بنا فقد جينا خراسانا ، وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث فقد
تبين بطلان قولكم انتهى ، والبيت هو ، قالوا خراسانا اقصى ما يراد بنا ، ثم القفول فقد جينا خراسانا ،
واذا امكن جعل الفا عاطفة لم يتكلف اضمار شرط وجعل الفا جوابا لذلك الشرط المحذوف لا تعلمون
لتفريطكم في طلب الحق واتباعه وقيل لا تعلمون البعث ولا تعترفون به فصار مصيركم الى النار فتطلبون
التاخير فيومئذ اي يوم اذ يقع ذلك من اقسام الكفار وقول اولي العلم لهم وقرا الكوفيون
لا ينفع بالياء هنا وفي الطول ووافقهم نافع في الطول وبالتا في السبعة بتاء التانيث ولا هم يستعتبون
قال الزمخشري من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وكذلك اذا كان جانيا عليه
وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله ، غضبت تميم ان تقتل عامر ، يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ،
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم
ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت
كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الايات وغير معتبين في بعضها وفي قوله وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه
انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه
فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته وقال ابن عطية هذا
اخبار عن هول القيمة وشدة احواله على الكفرة في انهم لا ينفعهم الاعتذار ولا يعطون عتبى وهي الرضى
ويستعتبون بمعنى يعتبون كما تقول يملك ويستملك والباب في استفعل انه طلب الشي وليس هذا
منه لان المعنى كان يفسد اذ كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى انتهى فيكون استفعل في هذا
بمعنى الفعل المجرد وهو عتب اي هم من الاهمال وعدم الالتفات اليهم بمنزلة من لا يوهل للعتب وقد
قيل ايضا يتوبون على سياق ربما يقبلون وقيل لا تطلب لهم العتبى وقيل لا يلتمس منهم عمل وطاعة
ولقد ضربنا اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وقال الزمخشري وصفنا
لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم
القيمة وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جيتهم باية من ايات القران قالوا جيتنا بزور وباطل انتهى وانتم
خطاب للرسول والمومنين اي مبطلون في دعواكم الحشر والجزا وقال ابو عبد الله الرازي
قال ولين جيتهم بكل اية جات بها الرسل فيمكن ان يجاوبوا بقولهم انتم كلكم ايها المدعون الرسالة

وفي توحيد الخطاب بقوله ولين جيتهم والجمع في قوله ان انتم لطيفة وهي ان الله عز وجل قال ولين جيتهم

مبطلون

مبطلون كذلك يطبع الله اي مثل هذا الطبع يطبع اي يختم على قلوب الجهلة الذين قد ختم الله عليهم بالكفر
في الازل واسند الطبع الى ذاته تعالى اذ هو فاعل ذلك ومقدره وقال الزمخشري ومعنى طبع الله منع
الالطاف التي تنشرح بها الصدور حتى تقبل الحق ثم قال فكانه قال كذلك تصدا وتقسوا قلوب الجهلة
حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة انتهى وهو على طريقة الاعتزال ثم امر تعالى
بالصبر على عداوتهم وقواه بتحقيق الوعد وانه لا بد من انجازه والوفا به ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم
والتحرك فانهم لا يوقنون لهم وقرا ابن ابي اسحاق ويعقوب ولا يستحقنك بحا مهملة وقاف
من الاستحقاق والجمهور بخا معجمة وفا من الاستخفاف وسكن النون ابن ابي عبلة ويعقوب والمعنى
لا يفتننك ويكونوا احق بك من المومنين معرداف لقمان اسم علم فان كان عجميا
فمنعه الصرف للعجمة والعلمية وان كان عربيا فمنعه للعلمية وزيادة الالف والنون ويكون مشتقا
صعر من اللقم مرتجلا اذ لا يعلم له وضع في النكرات تصعر شدد العين لغة تميم ، قال شاعرهم ،
، وكنا اذا الجبار صعر خده ، اقمنا له من ميله فتقوما ، فتقوم امر بالاستقامة والقوافي
مخفوضة اي فتقوم انت قاله ابو عبيدة وانشده الطبري فتقوموا منقلبا ضابطا وتصاعر
لغة الحجاز ويقال تصعر ، قال الشاعر ، اقمنا له من خده المتصعر ، ويقال اصعر خده قاله
المفضل هو الميل وقال اليزيدي هو التشدق في الكلام وقال ابو عبيدة اصل هذا من الصعر دا
ياخذ الابل في روسها واعناقها فتلتوي منه اعناقها القلم معروف الختر اشد الغدر ومنه قولهم
، يا ليت لنا شبرا من غدر ، الا مددناك باعا من ختر ، وقال عمرو بن معدي كرب
، وانك لو رايت ابا عمير ، ملات يديك من غدر وختر ، وقال الاعشى
، بالابلق الفرد من تيما منزله ، حصن حصين وجار غير ختار ،

سورة لقمان عليه السلام

قوله تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم ، هدى ورحمة للمحسنين ، الذين يقيمون الصلاة ويوتون
الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون ، اوليك على هدى من ربهم واوليك هم المفلحون ، ومن الناس من يشتري
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اوليك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه
اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ، ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم ، خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم ، خلق السموات والارض بغير عمد ترونها
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السما ما فانبتنا فيها من كل زوج
كريم ، هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ، هذه
السورة مكية قال ابن عباس الا ثلاث ايات اولهن ولو ان ما في الارض وقال قتادة الا ايتين اولهما ولو
الى اخر الايتين وسبب نزولها ان قريشا سالت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بره والديه فنزلت وقيل
نزلت بالمدينة الايات الثلاث ولو ان ما في الارض الى اخرهن لما نزل وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقول
اليهود انا قد اوتينا التورية على موسى وخلفها فينا ومعنا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم التورية
وما فيها من الانبا قليل في علم الله تعالى فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة ومناسبتها لما قبلها انه قال
تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل فاشار الى ذلك بقوله الم تلك ايات الكتاب الحكيم وكان
في اخر تلك ولين جيتهم باية وهنا واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا وتلك اشارة الى البعيد فاحتمل
ان يكون ذلك لبعد غايته وعلو شانه والكتاب القران او اللوح المحفوظ ووصف الكتاب بالحكيم اما لتضمنه
للحكمة فعيل ومفعل فيه بمعنى الحكم وهذا انتقال لان يكون فعيل بمعنى مفعل ومنه اعتقدنا العسل فهو عقيد

أي مُعتمد ويجوز أن يكون حكيم بمعنى حاكم وقال الزمخشري الحكيم ذو الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد
المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا
بعد الجر استكن في الصفة المشبهة وقرأ الجمهور هدى ورحمة للمحسنين بالنصب على الحال من الآيات والعامل
فيها ما في تلك من معنى الإشارة قاله الزمخشري وغيره ويحتاج إلى نظر وقرأ حمزة والأعمش والزعفراني
وطلحة وقنبل من طريق أبي الفضل الواسطي وقطيب بالرفع خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر على مذهب
من يجيز ذلك للمحسنين الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان
بالآخرة ونظيره قول أوس ⁎ الألمعي الذي يظن بك الظن ⁎ كأن قد رأى وقد سمعا ⁎ حكي عن
الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد وخص المحسنون لأنهم هم الذين انتفعوا به ونظروا بعين
الحقيقة وقيل الذين يعملون بالحسن من الأعمال وخص منهم القائمون بهذه الثلاثة لعظم الاعتداد
بها ومن صفة الإحسان ما جاء في الحديث من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقيل المحسنون
المؤمنون وقال ابن سلام هم السعداء وقال ابن شجرة هم المنجحون وقيل الناجون وكرر الإشارة إليهم
تنبيها على عظم قدرهم ولما ذكر من صفات القرآن الحكمة وأنه هدى ورحمة وأن متبعه فائز ذكر
حال من بدل الحكمة باللهو وذكر ما يعقبه في ارتكابه حتى جعله مشتريا [illegible] رأس عقله
وذكر علته وأنها الإضلال عن طريق الله تعالى ونزلت هذه الآية في النضر بن الحارث كان يتجر إلى
فارس ويشتري كتب الأعاجم فيحدث قريشا بحديث رستم واسفنديار ويقول أنا أحسن
حديثا وقيل نزلت في ابن خطل اشترى جارية تغني بالسب وبهذا فسر لهو الحديث ابن
مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال الحسن لهو الحديث
المعازف والغناء وفي الحديث من رواية أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شراء
المغنيات وبيعهن حرام وقرأ هذه الآية وقال الضحاك لهو الحديث الشرك وقال مجاهد وابن جريج
الطبل وهذا ضرب من آلة الغناء وقال عطاء الترهات وقيل السحر وقيل كان يشتغل به أهل
الجاهلية من السامر وقال الحسن أيضا كل ما شغلك عن عبادة الله تعالى وذكره من السمر والأضاحيك
والخرافات والغناء وقال سهل الجدال في الدين والخوض في الباطل والظاهر أن الشراء هنا مجاز عن اختيار
الشيء وصرف عقله بكليته إليه فإن أريد به ما يقع عليه الشراء كالجواري المغنيات عند من يرى ذلك
وككتب الأعاجم التي اشتراها النضر فالشراء حقيقة ويكون على حذف أي من يشتري ذات لهو الحديث
وإضافة لهو إلى الحديث هي بمعنى من لأن اللهو قد يكون من حديث ومن غيره فهو كباب ساج
والمراد بالحديث الحديث المنكر وقال الزمخشري ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى التبعيض كأنه قال
ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ليضل بفتح الياء
وباقي السبعة بضمها قال الزمخشري فإن قلت القراءة بالرفع بينة لأن النضر كان
غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى
القراءة بالفتح قلت معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصرف عنه ويزيد
فيه ويمده فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل
موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فإن قلت ما معنى قوله
بغير علم ما معناه قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير
بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما
كانوا مهتدين أي بالتجارة وبصراء بها انتهى وسبيل الله الإسلام أو القرآن فوات قال

ابن عطية

ابن عطية والذي يترجح أن الآية نزلت في لهو الحديث مضافا إلى الكفر فلذلك شددت ألفاظ الآية بقوله
ليضل إلخ وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل تشريكا في الصلة وباقي
السبعة بالرفع عطفا على يشتري تشريكا في الصلة والظاهر عود الضمير في ويتخذها على السبيل
لقوله ويبغونها عوجا وقيل ويحتمل أن يعود على آيات الكتاب مثاله قوله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا وقيل
ويحتمل أن يعود على الأحاديث لأن الحديث اسم جنس بمعنى الأحاديث وقال صاحب التحرير ويظهر لي أنه
أراد بلهو الحديث ما كانوا يلهون به من الأحاديث في تقوية دينهم والأمر بالدوام عليه وتعييب صفة
الرسول صلى الله عليه وسلم وأن التوراة تدل على أنه من ولد إسحاق يقصدون صد أتباعهم عن الإيمان
وإطلاق اسم الشراء لكونهم يأخذون على ذلك الرشا والجعائل من ملوكهم ويريدون ليضل عن سبيله أي دينه
انتهى وفيه بعض حذف وتلخيص وإذا تتلى عليه بدأ أولا بالحمل على اللفظ فأفرد في قوله من يشتري
وليضل ويتخذها ثم جمع على المعنى في قوله أولئك لهم ثم حمل على اللفظ فأفرد في قوله وإذا تتلى إلى آخره
الضمائر وهي في من يشتري موصولة ونظيره في من الشرطية قوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا أفرد
ثم قال خالدين فيها فجمع ثم قال قد أحسن الله له رزقا فأفرد وما أعلم جاء في القرآن ما حمل على اللفظ ثم حمل
على المعنى ثم على اللفظ غيرهما إلا هاتين الآيتين والنحويون يذكرون ومن يؤمن بالله الآية فقط ويستدلون
بها على أن هذا الحكم جار في من الموصولة وتكثيرها مما لم يبين ولم يجمع من الموصولات ويتضمن هذه
الآية ذم المشتري من وجوه التولية عن الحكمة ثم الاستكبار ثم عدم الالتفات إلى سماعها كأنه غافل
عنها ثم الإيغال في الإعراض بكون أذنيه كأن فيهما صمما يصد عن السماع وكأنه لم يسمعها لكونه لا يجعل
لها بالا وأن المخففة أيها وكأن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واجب الحذف وكأن في أذنيه
وقرا حال من لم يسمعها وقال الزمخشري ويجوز أن يكونا استئنافين والجملتين من
التشبيهين ولما ذكر ما وعد به الكفار من العذاب الأليم ذكر ما وعد به المؤمنين وقرأ زيد بن علي
خالدون بالواو والجمهور بالياء وانتصب وعد الله على أنه مصدر مؤكد لنفسه وحقا على المصدر
المؤكد لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم والعامل فيهما متغاير فوعد الله منصوب بوعد الله وعلى
حقا منصوب بأحق ذلك حقا خلق السموات والأرض إلى وأنبتنا فيها تقدم الكلام على ذلك ومعنى
كريم من جنته بكرم جوهره ونفاسته وحسن منظره وما تقتضي له النفوس بأنه أفضل من غيره حتى يستحق
الكرم فتخصيص لفظ الأزواج ما كان نفيسا مستحسنا من جنسه إتقان صنعته وظهور حسن
الزينة والإحكام للصنع فيه فيعم جميع الأزواج وفي الأنواع هذا خلق الله إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته
ونعى بذلك الكفار وأظهر حجته والخلق بمعنى المخلوق كقولهم هذا درهم ضرب الأمير أي مضروبه ثم سألهم على
جهة التهكم بهم أن يروه ما خلقه الذين ملتهم لما ذكر مخلوقاته مكتفيا عن ذكر ما هو دونه ويجوز في ماذا
أن تكون ما موصولة بمعنى الذي ويكون معمولا لأروني واستفهامية ما ذا كلها موصولا قليلا قد ذكره
سيبويه ويجوز أن تكون ما استفهامية في موضع رفع على الابتداء وذا موصولة بمعنى الذي وهو خبر عنه
والجملة في موضع نصب في أروني وأروني معلقة عن العمل لفظا لأجل الاستفهام ثم أضرب عن توبيخهم
وتبكيتهم إلى التسجيل عليهم بأنهم في ضلال واضح لمن يتدبر بحال من عبد صنما وترك خالقا جدير بأن يكون
في حيرة وتيه لا يخلع عنه **قوله تعالى** ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر
لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ⁎ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن
الشرك لظلم عظيم ⁎ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن
اشكر لي ولوالديك إلي المصير ⁎ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما

في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ٭ يا بني انها ان تك
مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير
يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ٭ ولا تصعر
خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ٭ واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ٭ اختلف في لقمان اكان حرا او عبدا فاذا قلنا كان
حرا فقيل هو ابن باعوراء قاله وهب ابن اخت ايوب عليه السلام وقال مقاتل ابن خالته
وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل
مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت وكان قاضيا في بني اسرائيل
وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل وزمانه ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام والاكثرون على
انه لم يكن نبيا وقال عكرمة والشعبي كان نبيا واذا قلنا كان عبدا اختلف في جنسه فقال ابن
عباس وابن المسيب ومجاهد كان مشقق الرجلين ذا مشافر وقال الاوزاعي كان حبشيا
مجدوع الانف ذا مشفر واختلف فيما كان يعانيه من الاشتغال فقال خالد بن الربيع كان نجارا
وفي معاني الزجاج كان نجادا بالدال وقال ابن المسيب كان خياطا وقال ابن عباس كان راعيا
وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وهذا الاضطراب في كونه حرا او عبدا وفي جنسه وفيما كان
يعانيه من الاشتغال يوجب ان لا يكتب شيء من ذلك ولا ينقل لكن المفسرون مولعون بنقل المضطرب
حشوا وتكثيرا والصواب تركه ومن حكمة لقمان ما نورده كثير منها قيل له اي الناس شر قال
الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا وقال له داود عليه السلام كيف اصبحت فقال اصبحت في يد
غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وقال وهب بن منبه قرات من حكمة لقمان اكثر من عشرة
الاف والحكمة المنطق الذي يتعظ به وينبه به ويتناقله الناس لذلك ان اشكر قال الزمخشري
ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه سبحانه وتعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي
هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر وقال الزجاج
المعنى ولقد اتينا لقمان الحكمة لان يشكر الله تعالى فجعلها مصدرية لا تفسيرية وحكى سيبويه
كتبت اليه بان قم فانما يشكر لنفسه اي ثواب الشكر لا يحصل الا للشاكر اذ هو تعالى غني عن الشكر فشكر
الشاكر لا ينفعه وكفر من كفر لا يضره وحميد مستحق الحمد لذاته وصفاته واذ قال واذكر وقيل
يحتمل ان يكون التقدير وآتيناه الحكمة اذ قال واختصر لدلالة المتقدم عليه واسم ابنه ماران
او انعم او اسلم او مشكم او ماثان اقوال وهو يعظه جملة حالية قيل كان ابنه وامراته كافرين
فما زال يعظهما حتى اسلما والظاهر ان قوله ان الشرك لظلم عظيم من كلام لقمان وقيل هو خبر من الله
منقطع عن كلام لقمان متصل به في تاكيد المعنى وفي صحيح مسلم ما ظاهره انه من كلام لقمان
وقرا البزي يا بني بالسكون ويا بني انها بكسر الياء ويا بني اقم بفتحها وقنبل بالسكون في الاولى
والثالثة والكسر في الوسطى وحفص والمفضل عن عاصم بالفتح في الثلاثة على تقدير يا بنيا
والاجتزاء بالفتحة عن الالف وقرا باقي السبعة بالكسر في الثلاثة ٭ ووصينا الانسان بوالديه
لما بين لقمان لابنه ان الشرك لظلم ونهاه عنه كان ذلك حثا على طاعة الله تعالى ثم بين ان الطاعة
ايضا تكون للابوين وبين السبب في ذلك فهو من كلام لقمان مما وصى به ابنه اخبر الله تعالى
عنه بذلك وقيل هو من كلام الله تعالى قاله للقمان اي قلنا له اشكر وقلنا له ووصينا وقيل
هذه الآية اعتراض بين اثناء وصية لقمان وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الولد الوالد وامتثال امره

بطاعة

كطاعة الله تعالى وقال القرطبي والصحيح ان هاتين الآيتين نزلتا في سعد بن ابي وقاص وعليه
جماعة المفسرين ولما خص الام بالمشقات من الحمل والرضاع والنفاس والتربية على السببية الموجب
لان يصاحبها ولذلك جاء في الحديث الامر ببر الام ثلاث مرات ثم ذكر الاب فجعل لها ثلاثة ارباع البر وهنا على
وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق وقال الضحاك ضعفا بعد ضعف وقال قتادة جهدا
على جهد يعني ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف النفاس وانتصب على هذه الاقوال على الحال من امه
وقيل وهنا على وهن نطفة ثم علقة الى آخر النشاة فعلى هذا يكون حالا من الضمير المنصوب في حملته
وهو الولد وقرا عيسى الثقفي ورواها ابو عمرو في رواية وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما فاحتمل ان يكون
كالشعر والشعر واحتمل ان يكون مصدر وهن بكسر الهاء يوهن وهنا بفتحها في المصدر قياسا
وقرا الجمهور بسكون الهاء فيهما وقرا وفصاله وقرا الحسن وابو رجاء وقتادة والجحدري ويعقوب
وفصله ومعناه الفطام اي في تمام عامين عبر عنه بغايته واجمعوا على اعتبار العامين في مدة
الرضاع في باب الاحكام والنفقات واما في تحريم اللبن في الرضاع فخلاف مذكور في الفقه وان اشكر
في موضع نصب على قول الزجاج وقال النحاس الاجود ان يكون حرف لي على نعمة الايمان ولوالديك على نعمة
التربية الي المصير توعد اثناء الوصية وان جاهداك الى قوله فلا تطعهما تقدم الكلام عليه في العنكبوت
الا انه هنا على وهناك لتشرك بي ما ليس لك به علم وانتصب معروفا على صفة لمصدر محذوف اي صحابا او مصاحبا
معروفا وعشرة جميلة وهو اطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما اذا مرضا
ومواراتهما اذا ماتا واتبع سبيل من اناب الي اي رجع الى الله وهو سبيل الرسول لا سبيلهما ثم
الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك ولما نهى لقمان ابنه عن الشرك نبهه على قدرة
الله تعالى وانه لا يمكن ان يتاخر عن مقدوره شيء فقال يا بني انها ان تك والظاهر ان الضمير في انها
ضمير القصة وقرا نافع مثقال بالرفع على ان تك تامة وهي قراءة الاعرج وابي جعفر والخبر عن
مثقال وهو مذكر اخبار المؤنث لاضافته الى مؤنث وكانه قال ان تك زنة حبة وباقي السبعة
بالنصب على ان تك ناقصة واسمها ضمير يفهم من سياق الكلام تقديره هي التي سالت عنها وكان
فيما روي قد سال لقمان ابنه ارايت الحبة تقع في مقل البحر يعلمها الله فيكون الضمير ضمير جوهر
لا عرض ويؤيده قوله ان تك مثقال حبة وقرا عبد الكريم الجحدري فتكن بكسر الكاف وشد النون
وفتحها وقرا محمد بن ابي يحيى البعلبكي فتكن بضم التاء وفتح الكاف وشد النون وقرا قتادة فتكن
بفتح التاء وكسر الكاف وسكون النون من وكن يكن ورويت هذه القراءة عن عبد الكريم الجحدري
ايضا اي تستقر ويجوز ان يكون الضمير ضمير عوض اي تك الفعلة من الطاعة او المعصية وعلى
من قرا بالنصب مثقال يجوز ان يكون الضمير في انها ضمير الفعلة لا ضمير القصة قال الزمخشري
نصب يعني مثقال كان الضمير للهيئة من الاساءة والاحسان اي كانت مثلا في الصغر والقماءة
كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت من العالم
العلوي او السفلي يات بها الله يوم القيامة فيحاسب عليها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير
عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها وبدا بما يتعقل اولا وهو كينونة الشيء
في صخرة وهو ما صلب من الحجر وعسر اخراجه منها ثم اتبعه بالعالم العلوي وهو اغرب للسامع ثم
اتبعه بما يكون مقر الاشياء المشاهدة وهو الارض وعن ابن عباس والسدي ان هذه الصخرة
هي التي عليها الارض قال ابن عباس هي تحت الارضين السبع يكتب فيها اعمال الفجار قال ابن عطية اراد
الصخرة التي عليها الارض والحوت والماء وهي على ظهر ملك وقيل هي صخرة في الريح وهذا كله ضعيف

لا يبقى سنده وانما معنى الكلام المبالغة والانتها في التفخيم الى ان قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما
يكون في السما والارض انتهى وقيل وخفا الشي يطرق تضعيفين غايته وبعده عن الراي وبكونه في ظلمة
وباحتجاجه في صخرة اشارة الى الحجاب وفي السموات اشارة الى البعد وفي الارض اشارة الى الظلمة فان جوف
الارض اظلم الاماكن وفي قوله يات بها الله دلالة على العلم والقدرة كانه قال يحيط بها علمه وقدرته ولما
نهاه اولا عن الشرك واخبره ثانيا بعلمه تعالى وباهر قدرته امره بما يتوسل به الى الله تعالى من الطاعات
فبدا باشرفها وهو الصلاة حيث يتوجه اليه بها ثم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بالصبر على
ما يصيبه من المحن جميعها او على ما يصيبه بسبب الامر بالمعروف ممن يبعثه عليه والنهي عن المنكر
ممن ينكره عليه وكثيرا ما يوذي فاعل ذلك هذا انما يريد به بعد ان يمتثل هو في نفسه فياتي
المعروف ويزدجر عن المنكر ان ذلك اشارة الى ما تقدم مما نهاه عنه وامره به والعزم مصدر
فاحتمل ان يراد به المفعول اي من معزوم الامر واحتمل ان يراد به الفاعل اي عازم الامور كقوله
فاذا عزم الامر وقال ابن جريج مما عزمه الله وامر به وقيل من مكارم الاخلاق وعزايم اهل الحزم
السالكين طريق النجاة والظاهر انه يريد من لازمات الامور الواجبة لان الاشارة بذلك الى جميع ما امر به
ونهي عنه وهذه الطاعات يدل ايضا الفن على انها كانت مامورا بها في ساير الملل والعزم ضبط الامر
ومراعاة اصلاحه وقال مورج العزم الحزم بلغة هذيل والحزم والعزم اصلان وما قاله المبرد من
العين قلبت حا ليس بشي لاضطراد تصاريف كل واحد من اللفظين فليس احدهما اصلا للاخر
ولا تصعر خدك للناس اي لا تولهم شقّ وجهك كفعل المتكبر واقبل على الناس بوجهك من غير كبر ولا اعجاب
قاله ابن عباس والجماعة وقال ابن خويز منداد نهاه ان يذل نفسه من غير حاجة واورد قريبا من
هذا ابن عطية احتمالا قال ويحتمل ان يريد ان لا تذل نفسك سواء الاول اضاعة بالفقر والاول يعني
تاويل ابن عباس والجماعة اظهر لدلالة ذكر الاختيال والفخر بعده وقال مجاهد ولا تصعر اراد به
الاعراض عن اخيه وهجره بغير سبب وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم وزيد بن علي تصعر بفتح الصاد
وشد العين وباقي السبعة بالف والجحدري تصعر مضارع اصعر ولا تمش في الارض مرحا
تقدم الكلام على هذه الجملة في سبحان ان الله لا يحب كل مختال فخور تقدم الكلام عليها في النسا
ولما وصى به ابنه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر صار هو في نفسه ممتثلا للمعروف مزدجرا عن
المنكر امره ابنه بغيره وناهيا عنه غيره نهاه عن التكبر على الناس والاعجاب والمشي مرحا واخبر
انه تعالى لا يحب المختال وهو المتكبر ولا الفخور قال مجاهد وهو الذي يعدد ما اعطي ولا يشكر
الله تعالى ويدخل في الفخر الفخر بالانساب واقصد في مشيك واغضض من صوتك
لما نهاه عن الخلق الذميم امره بالخلق الكريم وهو القصد في المشي بحيث لا يبطى كما يفعل المتماوتون
والمتماجنون يتباطون في نقل خطواتهم المتمايسين للريا والتعاجب للترفع ولا يسرع
كما يفعل الخرف المتهور ونظر ابو جعفر المنصور الى عمرو بن عبيد فقال كلكم يمشي رويد كلكم
يطلب صيد غير عمرو بن عبيد وقال ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب
النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه اجعل بصرك موضع قدمك وفي وقرى واقصد بهمزة
القطع اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية ونسبها ابن خالويه
للحجازي والغض من الصوت التنقيص من رفعه وجهارته والغض رد طموح الشي كالصوت والنظر
والزمام وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت وتمدح به في الجاهلية ومنه قول الشاعر
جهير الكلام جهير العطاس
~~وجهلوا الرجال بخلق عمم وغض الصوت اوقر للمتكلم~~

جهير الرواء جهير النعم وكخطو على الابن خطو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم وغض الصوت
اوقر للمتكلم وانشط لنفس السامع وفهمه وانكر افعل بني من فعل المفعول كقولهم اشغل من
ذات النحيين وبناوه من ذلك شاذ والاصوات اصوات الحيوان كلها وانكر جامعة للمذام اللاحقة
للاصوات والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة ولذا يكنون عنه ويرغبون عن التصريح باسمه فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير واصواتهم بالنهاق
ولم يوت باداة التشبيه بل اخرج الكلام مخرج الاستعارة وهذه افصح مبالغة في الذم والتنفير عن
رفع الصوت ولما كان صوت الحمير مماثلا في نفسه لا يكاد يختلف في الفاظه افرد ولانه في الاصل مصدر
ولما كانت اصوات الحمير مختلفة جمعت في قوله ان انكر الاصوات فالمعنى انكر اصوات الحيوان المختلف
الجنس صوت هذا النوع منها وقرا ابن ابي عبلة اصوات الحمير بالجمع بغير لام وقال الحسن كان المشركون
يتفاخرون برفع الاصوات فرد عليهم بانه لو كان خيرا فضل به الحمير والظاهر ان قوله ان انكر الاصوات
لصوت الحمير من كلام لقمن لابنه تنفيرا له عن رفع الصوت ومماثلة الحمير في ذلك وقيل هو من كلام
الله تعالى ومن غير وصية لقمن في قوله واغضض من صوتك رد الله تعالى به على المشركين الذين كانوا
يتفاخرون بجهارة الصوت ورفع الصوت يوذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق الغشا
الذي هو داخل الاذن وقيل واقصد في مشيك اشارة الى الافعال واغضض من صوتك اشارة الى
الاقوال فنبه على التوسط في الافعال وعلى الاقلال من فضول الكلام قوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم
ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير وا ذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباونا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم
فننبيهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة ان الله سميع بصير سخر لكم تنبيه على الصنعة الدالة على الصانع من تسخير ما في
السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب وما في الارض من الحيوان والنبات والمعادن
والبحار وغير ذلك ولا يكون الا بتسخير مالك متصرف كما يشا وقرا ابن عباس ويحيى بن عمارة واصبغ
بالصاد وهي لغة لبني كلب يبدلون من السين اذا جا معها العين او الخا او القاف صادا وباقي
السبعة بالسين على الاصل وقرا الحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة ونافع وابو عمرو وحفص
نعمه جمعا مضافا للضمير وباقي السبعة وزيد بن علي نعمة على الافراد والظاهر انه يراد بالنعمة
في من قرا بالافراد الجنس كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام
وقال مجاهد لا اله الا الله والباطنة الامداد من الملايكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر
وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضا والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة السمع
والبصر واللسان وساير الجوارح والباطنة القلب والعقل والفهم والذي ينبغي ان يقال ان الظاهرة
هو ما يدرك بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم من نعمة في بدن الانسان
لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وانتصب ظاهرة على الحال من نعمة الجمع وعلى الصفة من نعمة على الافراد
وتقدم الكلام على ومن الناس الى قوله ولا كتاب منير في الحج وعلى ما بعده الى اباونا في سورة
البقرة اولو كان تقديره ايتبعونهم في حالهم وفي هذه الحال التي لا ينبغي ان يتبع فيها الا ابا لا تها حال

تلت وعذاب وقد تقدم لنا ان مثل هذا التركيب الذي بعد ولو انما يكون في الشيء الذي كان ينبغي ان
لا يكون نحو اعطوا السائل ولو جاء على فرس ردوا السائل ولو بظلف محرق وما انت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين وكذلك هذا ينبغي من دعا الى عذاب السعير ان لا يتبع وقرا الجمهور ومن يسلم مضارع اسلم وعلي
والسلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار بتشديد اللام مضارع سلم وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة
في البقرة والمراد التفويض الى الله فقد استمسك بالعروة الوثقى تقدم الكلام عليه في البقرة وقال
الزمخشري هو من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من تدلى من شاهق فاحتاط لنفسه
بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه انتهى ولما ذكر حال الكافر المجادل ذكر
حال المسلم واخبر بان منتهى الامور صائر اليه وقال ابن عطية العروة الوثقى الامر المنجي الذي لا يخاف
عليه استحالة ولا اخلال والعروة موضع التعليق فكان المؤمن متعلق بامر الله فشبه ذلك بالعروة
وسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ومن كفر الى اخره وشبه الزام العذاب وار[illegible]ها فهم
اليه باضطرار من يضطر الى الشيء الذي لا يمكنه دفعه ولا انفكاك عنه والغلظ يكون في الاجرام فاستعير
للمعنى والمراد شدته ليقولن الله اقام الحجة عليهم بانهم يقرون بان الله هو خالق العالم باسره و يدعون
مع ذلك الهة غيره قل الحمد لله على ظهور الحجة عليهم بل اكثرهم لا يعلمون اضراب عن مقدر تقديره ليس
دعواهم بحق لا يعلمون ان ما ارتكبوا من ادعاء اله غير الله لا يصح ولا يذهب اليه ذو علم ثم اخبر
انه ملك العالم كله وانه هو الغني فلا افتقار له لشيء هو الموجد ان الحميد المستحق الحمد على ما انشا
وانعم ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام تقدم في اول السورة سبب نزول هذه الاية ولما ذكر تعالى
ان ما في السموات وما في الارض ملك له وكان ذلك متناهيا بين ان في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية
لها فقال ولو ان ما في الارض وان بعد لو في موضع على الفاعلية لو وقع او ثبت على راي المبرد وفي
موضع مبتدا محذوف الخبر على راي سيبويه وتقدم ذكر ذلك في علم النحو ومن شجرة تبيين لما وهو في
التقدير في موضع الحال من الضمير الذي في الجار والمجرور المستقر من العامل فيه وتقدم ولو ان
الذي استقر في الارض كائنا من شجرة واقلام خبر ان وفيه دليل على بطلان دعوى الزمخشري
وبعض العجم ممن ينصر قوله ان خبر ان الجائية بعد لو لا يكون اسما جامدا ولا اسما مشتقا بل
يجب ان يكون فعلا وهو قول باطل ولسان العرب طافح بالرد عليه قال الشاعر

ولو انها عصفورة لحسبتها ... مسومة تدعو عبيدا وازنما — وقال اخر

ما اطيب العيش لو ان الفتى حجر ... تنبو الحوادث عنه وهو ملموم — وقال اخر

ولو ان حيا فائت الموت فاته ... اخو الحرب فوق القارح العدوان — وهو كثير في اشعارهم

والظاهر ان الواو في قوله والبحر في قراءة من رفع وهم الجمهور واو الحال والبحر مبتدا ويمده الخبر اي
في حال كون البحر ممدودا وقال الزمخشري عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت
البحر ممدودا بسبعة ابحر انتهى وهذا لا يتاتى الا على راي المبرد حيث زعم ان ان في موضع رفع على
الفاعلية وقال بعض النحويين هو عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتداء وهو اتبع الاعراب من يقول
ان ان بعد لو في موضع رفع بالابتداء ولا يليها المبتدا اسما صريحا الا في ضرورة شعر نحو قوله

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

فاذا عطفت والبحر على ان ومعمولها وهما
رفع بالابتداء لزم من ذلك ان لو يليها الاسم مبتدا اذ يصير التقدير ولو البحر وذلك لا يجوز الا في الضرورة
الا انه قد يقال انه يكون في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه نحو رب رجل واخيه يقولان ذلك
وقرا عبد الله وبحر يمده بالتنكير والرفع والواو للحال او العطف على ما تقدم واذا كانت الواو واو

الحال

الحال كان بحر وهو نكرة مبتدا وذكروا في مسوغات الابتدا بالنكرة ان تكون واو الحال تقدمته نحو قول
الشاعر

سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا ... محياك اخفى ضوءه كل شارق

وقرا الجمهور يمده بالياء
من مد وابن مسعود وابي بتاء التانيث من مد ايضا وعبد الله ايضا والحسن وابن مصرف
وابن هرمز بالياء من تحت من امد وجعفر بن محمد والبحر مداده اي مما يكتب به من السواد وقال
ابن عطية هو مصدر انتهى من بعده اي من بعد نفاده ما فيه سبعة ابحر لا يراد به الاقتصار على
هذا العدد بل جي به للكثرة كقوله المؤمن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا لا يراد بها العدد
بل ذلك اشارة الى القلة والكثرة ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعا في الاصل للتكثير وان كان
مرادا به هنا التكثير جاء مميزه بلفظ القلة وهو ابحر ولم يقل بحور وان كان لا يراد به الا التكثير
ليناسب بين اللفظين فكما تجوز في سبعة واستعمل للتكثير كذلك تجوز في ابحر واستعمل للتكثير وفي
الكلام جملة محذوفة يدل عليها المعنى وتكتب بها الكتاب كلمات الله ما نفدت والمعنى ولو ان اشجار
الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت
ونفدت الاقلام والمداد الذي في البحر وما يمده كما قال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية وقال
الزمخشري فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى
ذي الحال قلت هو كقوله

وقد اغتدي والطير في وكناتها ... وجئت والطير مصطف

وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض
انتهى وهذا الذي جعله سؤالا وجوابا واضح النحو الذي لا يجهله المبتدئون فيه وهو ان الجملة
الاسمية اذا كانت حالا بالواو فلا تحتاج الى ضمير يربط واكتفي بالواو فيها واما قوله وما اشبه
ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وليس بجيد لان الظرف اذا وقع حالا ففي العامل فيه
ضمير ينتقل الى الظرف والجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو فليس فيها ضمير منتقل واما قوله
ويجوز فلا يجوز الا على راي الكوفيين حيث يجعلون ال عوضا من الضمير وقال الزمخشري
فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر
وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما انتهى وهذا النوع
هو مما وقع فيه المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة ونظيره ما ننسخ من اية ما يفتح
الله للناس من رحمة والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة وقول العرب هذا اول
فارس وهذا افضل عالم يريد من الايات ومن الرحمات والدواب واول الفرسان
اخيرا وابا لمفرد النكرة واراد به معنى الجمع المعرف بال وهو منهيع في كلام العرب معروف
وكذلك يتعدد هذا من الشجرات ومن الاشجار يشتمل كل واحد منها على الاغصان الكثيرة
وتلك الاغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم فيبلغ عدد الاقلام في التناهي الى ما لا يعلم به
ولا يحيط بكنهه الا الله تعالى وقرا الجمهور ما نفدت كلمات الله بتاء التانيث في نفدت وجمع كلمة
بالالف والتاء وقرا الحسن على كلمة الله على التوحيد والمراد الجنس وقرا الحسن ما نفد بغير
تاء كلام الله قال ابو علي المراد بالكلمات والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه الى الوجود
وما [illegible] المراد بكلمات الله معلوماته وقال الزمخشري فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع
موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار
فكيف بكلمة انتهى وعلى تسليم ان كلمات جمع قلة فجموع القلة اذا تعرفت بالالف واللام
غير العهدية او اضيفت عمت وصارت لا تخص القليل والعام مستغرق لجميع الافراد ان الله

القدرة منفرد وانه لا نهاية لها حكيم كامل العلم معلوماته لا نهاية لها ولما ذكر عز وجل كمال قدرته
وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر كالنفس واحدة الا كخلق نفس واحدة وبعثها ومن لا نفاد لكلماته
يقول للموتى كونوا فيكونون فالقليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت في قدرته وقال النقاش
هذه الاية في ابي بن خلف وابي الاسد وبنيه ومنبه ابني الحجاج قالوا يا محمد انا نرى الطفل يخلق تدريجا
وانت تقول الله يعيدنا دفعة واحدة فنزلت ان الله سميع يسمع كل صوت بصير يبصر كل مبصر
في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث قوله تعالى الم تر ان الله
يولج في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ·
ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير · الم تر ان الفلك تجري
في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور · واذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور · يا ايها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله
حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور · ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله
عليم خبير · الجملتين شرحت في ال عمران وهنا الى اجل ويدل على الانتهاء اي يبلغه وينتهي اليه
وفي الزمر لاجل ويدل على الاختصاص يجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى وجري الشمس مختص باخر
السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين مناسب لها فلذلك عدي بهما وقرا عياش عن ابي عمرو
بما يعملون بيا الغيبة ذلك بان الله الاية تقدم شرحها في الحج وهنا وان ما تدعون من دونه الباطل
وفي الحج من دونه هو الباطل بزيادة هو ولما ذكر تعالى في تسخير النيرين وامتنانه بذلك علينا ذكر
ايضا من تسخير الفلك من العالم الارضي الجامع ما اشتركا فيه من الجريان وقرا الجمهور بنعمة الله على الافراد
اللفظي وقرا الاعرج والاعمش وابن يعمر بنعمات الله بكسر النون وسكون العين جمعا بالالف والتا
وقرا ابن ابي عبلة بفتح النون وكسر العين وبالالف والتا والبا تحتمل السببية اي تجري بسبب
الريح وتسخير الله وتحتمل الحالية اي مصحوبة بنعمة الله وهي ما تحمل السفن من الطعام والارزاق
والتجارات وقال ابن عطية الباء للالصاق انتهى وقرا موسى بن الزبير الفلك بضم اللام وصبار شكور
بنيتا للمبالغة وفعال ابلغ لزيادة حرفه ولما تقدم ذكر جري الفلك في البحر وكان في ذلك ما لا يخفى
على راكبه من الخوف وتقدم ذكر النعمة ناسب الختم بالصبر على ما يحذر وبالشكر على ما انعم به وشبه
الموج في ارتفاعه واسوداده بالظلل وهو السحاب وقيل كالظلل كالجبال الظلل على الجملة وقرا
محمد بن الحنفية كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال وقوله واذا غشيهم فيه التفات خرج من ضمير الخطاب
في ليريكم الى ضمير الغيبة في غشيهم وموج اسم جنس بينه وبين مفرده تا التانيث فهو يدل
على الجمع ولذلك شبهه بالجمع فمنهم مقتصد قال الحسن اي مؤمن يعرف حق الله تعالى في هذه النعم
وقال مجاهد مقتصد على كفره اي يتسلط الله ويعلم نحو هذا من القدرة وان ضل في الاصنام من
جهة انه يعظمها فيها ومقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر وقال الزمخشري يعني ان ذلك
الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط انتهى وكثر استعمال الزمخشري قط ظرفا والعامل فيه غير
ماض وهو مخالف لكلام العرب في ذلك وقيل حذف مقابل فمنهم مقتصد تقديره ومنهم جاهل
ودل عليه وما يجحد باياتنا الاية وعلى هذا القول يكون مقتصد معناه مؤمن مقتصد في اقواله
وافعاله بين الخوف والرجا موف بما عاهد عليه الله في البحر وختم هنا بشيئين مبالغة وهما

ختار

ختار وكفور فالصبار والشكور معترف بايات الله والختار والكفور يجحدها وتوازنت هذه
الكلمات لفظا ومعنى اما لفظا فظاهر واما معنى فالختار هو الشديد الغدر واما الغدار فينقض العهد
ويغدر فلا يصبر على العهد واما الكفور فمقابلته بمعنى الشكور واضح ولما ذكر تعالى الدلائل
على الوحدانية والحشر من اول السورة امر بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير بهذا
اليوم العظيم لا يجزي لا يقضي ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وتقدم الكلام في ذلك
في اوائل البقرة ولما كان الولد اكثر شفقة على الولد من الولد على ابيه بدا به اولا واتى في الاسناد
الى الوالد بالفعل المقتضي للتجدد لان شفقته متجددة على الولد في كل حال واتى في الاسناد
الى الولد باسم الفاعل لانه يدل على الثبوت والثبوت يصدق بالمرة الواحدة والجملة من لا يجزي
صفة ليوما والضمير محذوف اي فيه فاما ان يحذف برمته واما على التدريج حذف الجنس
متعدي الفعل الى الفعل وهو منصوب فحذف وقرا الجمهور لا يجزي مضارع جزى وعكرمة
بضم اليا وفتح الزاي مبنيا للمفعول وابو السمال وعامر بن عبد الله وابو السوار لا يجزي
بضم اليا وكسر الزاي مهموزا ومعناه لا يغني يقال اجزات عنك مجزا فلان اي اغنيت
ويجوز في ولا مولود وجهان احدهما ان يكون معطوفا على والد والجملة من قوله هو جاز صفة
لمولود والثاني ان يكون مبتدا وهو مبتدا ثان وجاز خبره والجملة خبر الاول وجاز الابتدا به
وهو نكرة لوجود مسوغ ذلك وهو النفي وذهل المهدوي فقال لا يكون مبتدا لانه نكرة مولود
وما بعده صفة له فيبقى بلا خبر وشيئا منصوب بجاز وهو من باب الاعمال لانه يطلبه
لا يجزي ولا يطلبه جاز فجعلناه من اعمال الثاني لانه المختار وقرا ابن ابي اسحاق وابن ابي
عبلة ويعقوب لا يغرنكم بالنون الخفيفة وقرا سماك بن حرب وابو حيوة الغرور بالضم وهو
مصدر والجمهور بالفتح وهو نكرة لوجود مسوغ ذلك بالفتح وفسره ابن مجاهد
والضحاك بالشيطان ويمكن حمل قراءة الضم عليه جعل الشيطان نفس الغرور مبالغة وقال
الزمخشري فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا هو وارد على طريق من التوكيد
لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد
انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وغالبهم
قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم
في الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الاوكد ومعنى
التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للوالد الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته
فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن
ولد منك ان الله عنده علم الساعة روي ان الحارث بن عمرو المحاربي قال يا رسول الله اخبرني
عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطات عن السما فمتى تمطر واخبرني
عن امراتي فقد اشتملت على ما في بطنها اذكر ام انثى وعلمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي
قد عرفته فاين اموت فنزلت وفي الحديث في خمس لا يعلمهن الا الله وتلا هذه الاية وعلم مصدر اضيف
الى الساعة والمعنى علم تعيين وقتها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وما في الارحام
من ذكر ام انثى تام او ناقص وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر
وربما عزمت على احدهما فعملت ضده باي ارض تموت وربما اقامت بمكان ناوية ان لا تفارقه
الى ان تدفن به ثم تدفن في مكان لم يخطر له ببال قط واسند العلم الى الله والدراية للنفس

لما في الدراية من معنى الحيل والحيلة ولهذا وصف الله تعالى بالعالم ولا يوصف بالداري واما قول الراجز
لاهم لا ادري وانت الداري . فقول عربي جلف جاهل بما يطلق على الله من الصفات ما يجوز منها
وما يمتنع وقرا الجمهور باي ارض وقرا موسى الاسواري وابن ابي عبلة باية ارض بتاء التانيث لاضافته
الى المونث وهي لغة قليلة كما ان كلا اذا اضيفت الى مونث قد تونث تقول كلهن فعلن ذلك وتدري
معلقة في الموضعين فالجملة من قوله ما ذا تكسب في موضع مفعول تدري ويجوز ان تكون
ما ذا كلها موصولا منصوبا بتدري كانه قال وما تدري النفس الشي الذي تكسبه غدا وباي
متعلق بتموت والناظر فيه في اي ارض فالجملة في موضع نصب بتدري ووقع الاخبار بان الله عز وجل
استاثر بعلم هذه الخمس لانها جواب لسايل سال وهو سبحانه وتعالى مستاثر بعلم اشيا
لا يحصيها الا هو ومنها هذه الخمس

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين . ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك لعلهم يهتدون . الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون .
ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون . وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم
كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون . ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا روسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون . هذه
السورة مكية قيل الا خمس ايات تتجافى الى يكذبون فقال ابن عباس ومقاتل والكلبي الا ثلاث
ايات نزلت بالمدينة افمن كان مومنا وقال تعالى قريش لم يبعث الله محمدا الينا وانما الذي جابه
اختلاف فنزلت ولما ذكر تعالى في ما قبلها دلايل التوحيد من بدء الخلق وهو الاصل الاول ثم ذكر
المعاد والحشر وهو الاصل الثاني وختم به السورة ذكر في بداءة هذه السورة الاصل الثالث
وهو تبيين الرسالة والكتاب هو القران قال الحوفي تنزيل مبتدا ولا ريب خبر ويجوز ان يكون
تنزيل خبر مبتدا اي هو المتلو تنزيل او هذه الحروف تنزيل والم يدل على الحروف وقال ابو البقا
الم مبتدا وتنزيل خبره بمعنى المنزل ولا ريب فيه حال من الكتاب والعامل فيه تنزيل ومن
رب العالمين متعلق بتنزيل ايضا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في فيه والعامل فيه الظرف
ويجوز ان تكون تنزيل مبتدا ولا ريب خبر فيه الخبر ومن رب العالمين حال كما تقدم ولا يجوز
على هذا ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه ويجوز ان يكون الخبر من رب العالمين ولا
ريب حال من الكتاب وان يكون خبرا بعد خبر انتهى والذي اختاره ان يكون تنزيل مبتدا
ولا ريب اعتراض ومن رب العالمين الخبر وقال ابن عطية من رب العالمين متعلق بتنزيل ففي
الكلام تقديم وتاخير ويجوز ان يتعلق بقوله لا ريب اي لا شك فيه من جهة الله تعالى وان وقع
شك الكفرة فذلك لا يراعى والريب الشك وكذا هو في كل القران الا قوله ريب المنون انتهى
واذا كان تنزيل خبر مبتدا وكانت الجملة اعتراضية بين ما افتقر الى غيره وبينه لم تقل ان
فيه تقديما وتاخيرا بل لو تاخر لم يكن اعتراضا واما كونه متعلقا بلا ريب فليس بالجيد
لان نفي الريب عنه مطلقا هو المقصود لان المعنى لا مدخل للريب فيه انه تنزيل الله لان

موجب

موجب نفي الريب عنه موجود فيه وهو الاعجاز فهو ابعد شي من الريب وقولهم افتراه كلام جاهل
لم يمعن النظر او جاحد مستيقن انه من عند الله وقال ذلك حسدا وحكم من الله عليه بالضلال
وقال الزمخشري والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا
من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون
من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح
محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون
افتراه لان ام هي المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجبا منه لظهور امره في عجز بلغايهم
عن مثل ثلاث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك انتهى وهو كلام فيه
تكثير وقال ابو عبيدة ام يكون معناه بل يقولون فهو خروج من حديث الى حديث ومن ربك
في موضع الحال اي كاينا من عند ربك وبه يتعلق لتنذر ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره انزله لتنذر والقوم
هنا قريش والعرب وما نافية ومن نذير من زايدة ونذير فاعل اتاهم اخبر تعالى انه لم
يبعث اليهم رسولا بخصوصيتهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم وما نالوا الي على ذلك الى ان غير ذلك
بعض روسايهم وعبدوا الاصنام وعم ذلك فهم مندرجون تحت قوله وان من امة الا خلا فيها نذير
اي بشر بعقيدته ودينه والنذير ليس بخصوص من باشر بل يكون نذير لمن باشره ولغير من باشره
فالعرب ممن سبق لها نذير ولم يباشرهم ولم يباشرهم غير محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
ومقاتل المعنى لم ياتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقال الزمخشري ما اتاهم
من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباوهم فهم غافلون وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل
محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة اي قيام
الحجة بالشرايع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته
فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان انتهى والذي ذهب اليه غير ما ذهب
اليه المفسرون وذلك انهم فهموا من قوله ما اتاهم وما انذر اباوهم ان ما نافية وعندي انها موصولة
والمعنى لتنذر قوما العقاب الذي اتاهم من نذير من قبلك ولتنذر قوما ما انذر اباوهم
اي العقاب الذي انذره اباوهم فما مفعولة في الموضعين وانذر يتعدى الى اثنين قال تعالى فان
اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القران قال تعالى وان من امة الا خلا
فيها نذير ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وما كان ربك ليهلك القرى بظلم حتى يبعث في امها رسولا ولما حكى عنهم تعالى انهم
يقولون ان محمدا افتراه ورد عليهم اقتصر في ذكر ما جا به القران على الانذار وان كان قد جاله لا
وللتبشير ليكون ذلك ردعا لهم ولانه اذا ذكر الانذار صار عند العاقل فكر فيما انذر به فلعل ذلك
الفكر سببا لهدايته ولعلهم يهتدون ترجية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان في قوله
لعله يتذكر او يخشى من موسى وهارون قال الزمخشري او ان يستعار لفظ الترجي للارادة
انتهى يعني انه عبر عن الارادة بلفظ الترجي ومعناه ارادة اهتدايهم وهذه نزغة اعتزالية
لانه عندهم ان يريد به هداية العبد فلا يقع ما يريد ويقع ما يريد العبد تعالى الله عن ذلك
ولما بين تعالى امر الرسالة ذكر ما على الرسول صلى الله عليه وسلم من الدعا الى التوحيد واقامة
الدليل بذكر مبدا العالم وتقدم الكلام على في ستة ايام في الاعراف . ما لكم من دونه من ولي
ولا شفيع افلا تتذكرون اي اذا جاوزتموه الى سواه فاتخذتموه ناصرا وشفيعا ما سواه . يدبر

الامر الامر واحد الامور قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك ينفذ الله قضاءه بجميع
ما يشاؤه ثم يعرج اليه اي يصعد خبر ذلك في يوم من ايام الدنيا مقداره لو سير فيه السير
المعروف من البشر الف سنة لان ما بين السما والارض خمسماية وقال مجاهد ايضا الضمير
في مقداره عايد على التدبير اي كان مقدار التدبير المقتضي في يوم الف سنة لو تصوره بين
البشر وقال مجاهد ايضا يدبر ويلقي الى الملايكة امور الف سنة من عندنا وهو اليوم عنده
فاذا فرغت القاها اليهم مثلها فالمعنى ان الامور تنفذ عنده لهذه المدة وتصير اليه اخرا لان عاقبة الامور
اليه وقيل المعنى يدبر في الدنيا الى ان تقوم الساعة فتنزل القضا والقدر ثم تعرج اليه يوم القيمة
ومقدار ما ذكر ليحكم فيه في ذلك اليوم حينئذ تنقطع امر الامر واحكام الحكام وينفرد بالامر كل يوم
من ايام الاخرة بالف سنة وهو على الكفار قدر خمسين الف سنة حسبما في سال سايل وثاني
الاقوال فيه ان يبنا الله تعالى وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السما الى الارض ثم يرجع
الى ما كان من قبول الوحي ورده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة
الوسية في الهبوط والصعود لان ما بين السما والارض مسيرة خمسماية سنة وهو يوم من ايام
الاخرة ايام مكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد قال الزمخشري يدبر
الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السما الى الارض ثم لا يعمل به
ولا يصعد اليه ذلك المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة خالصا كما يريد ويرتضيه
الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف
بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون انتهى وقيل يدبر امر الشمس
في طلوعها من المشرق وغروبها في المغرب ومدارها في العالم الى الارض لانها على اهل الارض تطلع
الى ان تغرب وترجع الى موضعها من الطلوع في يوم مقداره في المسافة الف سنة والضمير في اليه
قيل عايد الى السما لانها تذكر وقيل الى الله تعالى وقال عبد الله بن سابط يدبر امر الدنيا اربعة
جبريل للرياح والجنود وميكاييل للقطر والما وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل ينزل الامر عليهم
وقيل العرش موضع التدبير وما دونه موضع التفصيل وما دون السموات موضع التصريف وقال
السدي الامر الوحي وقال مقاتل القضا وقال غيره امر الدنيا وقال الزجاج عرج في السلم اعراجا
وعرج الرجل يعرج اذا صار اعرج وقرا ابن ابي عبلة يعرج مبنيا للمفعول والجمهور مبنيا
للفاعل وقال ابو عبد الله الرازي وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر في الاية المتقدمة
عالم الاجسام والخلق واشار الى عظمة الملك وذكر هنا عالم الارواح والامر بقوله يدبر الامر
والروح من عالم الامر كما قال قل الروح من امر ربي واشار الى دوامه بلفظ يوم الزمان
والمراد دوام النفاد كما يقال في العرف طال زمان فلان والزمان يمتد فيوجد في ازمنة
كثيرة فاشار الى عظمة الملك بالمكان واشار الى دوامه هنا بالزمان والمكان من خلقه
وملكه والزمان بحكمه وامره انتهى وهو كلام ليس جاريا على فهم العرب وقرا الجمهور ثم
تعرجون بتا الخطاب وقرا السلمي وابن وثاب والاعمش والحسن بيا الغيبة بخلاف
عن الحسن وقرا جناح بن حبيش ثم تعرج الملايكة بزيادة الملايكة ولعله تفسير منه
لسقوطه في سواد المصحف ذلك اي ذلك الموصوف بالخلق والاستوا والتدبير عالم الغيب
والغيب الاخر والشهادة العزيز الحكيم الرحيم بخفض الاوصاف الثلاثة وابو زيد النحوي بخفض
العزيز ووجه الخفض ان يكون ذلك اشارة الى الامر وهو فاعل يعرج اي ثم يعرج اليه ذلك

الامر

الامر المدبر ويكون عالم وما بعده بدلا من الضمير في اليه وقرا الجمهور خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا
صفة لكل او لشي وقرا العربيان وابن كثير بسكون اللام والظاهر انه بدل اشتمال والمبدل
منه كل اي احسن خلق كل شي فالضمير في خلقه عايد على كل وقيل الضمير في خلقه عايد
على الله فيكون انتصابه بنصب المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وهو
قول سيبويه اي خلقه خلقا ورجح على بدل الاشتمال بانه فيه اضافة المصدر الى الفاعل
وهو الاكثر من اضافته الى المفعول وبانه ابلغ في الامتنان لانه اذا قال احسن كل شي كان ابلغ
من احسن خلق كل شي لانه قد يحسن الخلق وهو المجاز له ولا يكون الشي في نفسه حسنا فاذا قال
احسن كل شي اقتضى ان كل شي خلقه حسن بمعنى انه وضع كل شي في موضعه انتهى وقيل
في هذا الوجه وهو عود الضمير في خلقه على الله تعالى يكون بدلا من كل شي وهما لمعنى واحد
ومعنى احسن حسن لانه ما من شي خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة فالمخلوقات
كلها حسنة وان تفاوتت في الحسن وحسنها من جهة المقصد الذي اريد بها ولهذا قال ابن
عباس ليست القردة بحسنة ولكنها متقنة محكمة وهي على قراءة من سكن لام خلقه قال
مجاهد اعطى كل جنس شكله والمعنى خلق كل شي على شكله الذي خصه به وقال الفرا
الهم كل شي خلقه فيما يحتاجون اليه لانه تعالى علمهم ذلك فيكون كقوله اعطى كل شي خلقه
وقرا الجمهور وبدا بالهمز والزهري بالالف بدلا من الهمزة وليس بقياس ان تقول في هدا هدا
بابدال الهمزة الفا بل قياس هذه الهمزة التسهيل بين بين على ان الاخفش حكى في قرات قريت
ونظاير من قيل وفي لغية والانصار تقول في بدا بدي بكسر عين الكلمة و يا بعدها وبعض طي
يقولون في بقي بقا فاحتمل ان تكون قراءة الزهري على هذه اللغة اصله بدي
ثم صار بدا على لغة الانصار قال ابن رواحة ❊ باسم الاله وبه بدينا ❊ ولو عبدنا غيره شقينا ❊
وبدا خلق الانسان هو ادم عليه السلام ثم جعل نسله اي ذريته نسلا من الشي ينفصل منه
ثم سواه قوموا فنفخ فيه من روحه اضاف الروح الى ذاته دلالة على انه خلق عجيب لا يعلم حقيقته الا هو وهي اضافة
ملك الى مالك وخلق الى خالق تعالى وتقدس وجعل لكم التفات اذ هو التفات خروج من
مفرد غايب الى جمع مخاطب وتقدير النعم وهي شاملة لادم كان التسوية ونفخ الروح شامل
له ولذريته والظاهر وقالوا الضمير للجمع وقيل القايل ابي بن خلف واسند الى الجمع لرضاهم به
والناصب للظرف محذوف يدل عليه انا وما بعدها تقديره انبعث اذا ظللنا ومن قرا
انا اذا بغير استفهام فجواب اذا محذوف اي اذا ضللنا في الارض نبعث ويكون ذلك
اخبارا منهم على طريق الاستهزا وكذلك من قرا انا على الخبر اكد وا ذلك الاستهزا باستهزا اخر
وقرا الجمهور بفتح اللام والمضارع يضل بكسر عين الكلمة وهي اللغة الشهيرة الفصيحة وهي لغة
نجد قال مجاهد هلكنا وكل شي غلب عليه غيره حتى تلف وخفي فقد هلك واصله من ضل
الما في اللبن اذا ذهب وقال قطرب ضللنا غبنا في الارض ❊ وانشد قول النابغة الذبياني
❊ فآب مضلوه بعين جلية ❊ وغودر بالجولان حزم ونايل ❊ وقرا يحيى بن يعمر
وابن محيصن وابو رجا وطلحة وابن وثاب بكسر اللام والمضارع بفتحها وهي لغة اهل العالية
وقرا ابو حيوة ضللنا بالضاد المنقوطة وضمها وكسر اللام مشددة وروي عن علي وقرا
علي وابن عباس والحسن والاعمش وابان بن سعيد بن العاصي صللنا بالصاد المهملة وفتح
اللام ومعناه انتننا وعن الحسن صللنا بكسر اللام يقال صل يصل بفتح العين في الماضي وكسرها

في المضارع وصل يصل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وأصل يصل بالمد على وزن
فعل قال الشاعر ٭ تلجلج مضغة فيها أنيض ٭ أصلت فهي تحت الكشح داء ٭
وقال الفراء معناه صرنا بين الصلة وهي الأرض اليابسة الصلبة وقال النحاس لا يعرف في اللغة
صللنا ولكن يقال أصل اللحم وصل وخم وخجم إذا أنتن وحكاه غيره بل هم بلقاء ربهم كافرون إضراب
عن معنى استفهامهم كأنه قال ليسوا مستفهمين بل هم كافرون جاحدون لقاء الله الصيرورة
إلى جزائه ثم أمر تعالى أن يخبرهم بجملة الحال غير مفصلة من قبض أرواحهم ثم عودهم إلى جزائهم
بالبعث وملك الموت اسمه عزرائيل ومعناه عبد الله وقرأ الجمهور ترجعون مبنيا للمفعول
وزيد بن علي مبنيا للفاعل ولو ترى الظاهر أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل له ولأمته
أي ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيمة لرأيت العجب وقال أبو العباس المعنى يا محمد
قل للمجرم ولو ترى ورأى أن الجملة معطوفة على يتوفاكم داخلة تحت قل فلذلك لم يجعله خطابا
للرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر أن لو هنا لم تشرب معنى التمني بل هي التي لما كان سيقع
لوقوع غيره والجواب محذوف أي لرأيت أسوأ حال ترى ولو تعليق في الماضي وإذ ظرف
في الماضي فلتحقق الأخبار ووقوعه قطعا أتى بهما تنزيلا منزلة الماضي وقال الزمخشري
يجوز أن يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أحدهما أنه يراد به التمني
كأنه قيل وليتك ترى والتمني له كما كان الترجي له لعلهم يهتدون لأنه تجرع منهم الغصص
ومن عداوتهم ومضارهم فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي
والغم ليتشمت بهم وأن تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا ويجوز
أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك
فلا يريد به مخاطبا بعينه وكأنك قلت إن أكرم وإن أحسن إليه انتهى والتمني بلو في هذا الموضع
بعيد وتسميته لو الامتناعية ليس بجيد بل العبارة الصحيحة لو لما كان سيقع لوقوع
غيره وهي عبارة سيبويه وقوله قد حذف جوابها تقديره وليتك ترى مما يدل على أنها
إذا كانت للتمني لا جواب لها والصحيح أنها إذا أشربت معنى التمني يكون لها جواب كما لها
إذا لم تشرب ٭ وقال الشاعر ٭ فلو نبش المقابر عن كليب ٭ فيخبر بالذنائب أي زير
بيوم الشعثمين لقر عينا ٭ وكيف لقاء من تحت القبور ٭ وقال الزمخشري وقد تجيء لو في
معنى التمني كقولك لو تأتيني فتحدثني كما تقول ليتك تأتيني فتحدثني فقال ابن مالك
إن أراد به الحذف أي وددت لو تأتيني فصحيح وإن أراد أنها موضوعة للتمني لا يصح(?)
تمنيت ليتك تفعل ويجوز تمنيت لو تقوم ولذلك امتنع الجمع بين لعل والترجي وبين إلا واستثني
انتهى ٭ ناكسوا رؤسهم مطرقوها من الذل والخزي والهم والندم ٭ وقرأ زيد بن علي
نكسوا رؤسهم فعلا ماضيا ومفعولا والجمهور اسم فاعل مضاف عند ربهم أي عند مجازاته
وهو مكان شدة الخجل لأن المربوب إذا أساء ووقف بين يدي ربه كان في غاية الخجل ربنا على
إضمار يقولون وقدره الزمخشري يستغيثون بقولهم ربنا أبصرنا ما كنا نكذب وسمعنا
ما كنا ننكر وأبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما
فأبصرنا وسمعنا فارجعنا إلى الدنيا إنا موقنون أي بالبعث قاله النقاش وقيل مصدقون
بالذي قال الرسول قاله يحيى بن سلام وموقنون مشعر بالالتباس في الحال أي حين أبصروا
وسمعوا وقيل موقنون الآن زالت عنا الشكوك ولم نكن في الدنيا نتدبر فكنا كمن لا يبصر

والسمع

والسمع وقيل ربنا لك الحجة ربنا فقد أبصرنا رسلك وعجائب معجزاتهم في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة
لنا وهذا اعتراف منهم **قوله تعالى** ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ٭ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم
وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ٭ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا
سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ٭ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا
وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ٭ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ٭
أفمن كان مؤمنا كان فاسقا لا يستوون ٭ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات كمن
المأوى نزلا بما كانوا يعملون ٭ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها
أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ٭ ولنذيقنهم من العذاب
الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ٭ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها
إنا من المجرمين منتقمون ٭ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها أي اخترعنا الإيمان فيها كقوله
أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولجمعهم على الهدى ولجعل الناس أمة واحدة وقال
الزمخشري على طريق الإلجاء والقسر ولكنا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار
فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء ألا ترى إلى ما
عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة
وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن
الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال
إنا نسيناكم على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك قاله ابن عباس
وغيره أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة انتهى وقوله على طريق الإلجاء والقسر
هو قول المعتزلة وقالت الإمامية يجوز أن يريد هداها إلى طريق الجنة في الآخرة ولم يعاقب
أحد لكن حق القول منه أنه يملأ جهنم فلا يجب على الله عندنا هداية الكل إليها قالوا بل الواجب
هداية المعصومين فأما من له ذنب فجائز هدايته إلى النار جزاء على أفعاله وفي جواز ذلك منع
لقطعهم على أن المراد هداها إلى الإيمان انتهى وهذا صفة ليومكم ومفعول فذوقوا محذوفا ومفعول
فذوقوا أي فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم وهو ما أنتم فيه من نكس الرؤس والخزي
والغم وذوقوا العذاب المخلد في جهنم وفي استئناف قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها
تشديد في الانتقام منهم إنما يؤمن بآياتنا أثنى تعالى على المؤمنين ووصفهم بالصفة الحسنى
من سجودهم عند التذكير وقول الحمد وإظهار التكبر(?) وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن
وقال ابن عباس السجود هنا بمعنى الركوع وروي عن ابن جريج وابن مجاهد أنها نزلت
بسبب قوم من المنافقين كانوا إذا أقيمت الصلاة خرجوا من المسجد فكان الركوع يقصد
من هذا ويلزم على هذا أن تكون الآية مدنية ومن مذهب ابن عباس أن القارئ للسجدة
يركع واستدل بقوله وخر راكعا وأناب تتجافى جنوبهم أي ترتفع وتتنحى يقال جفا
الرجل الموضع تركه وتجافى الجنب عن الموضع تركه ٭ وقال عبد الله بن رواحة ٭
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ٭ إذا استثقلت بالمشركين المضاجع ٭ فقال الزجاج
والرماني التجافي التنحي إلى جهة فوق والمضاجع أماكن الاتكاء للنوم الواحد مضجع أي
هم منتبهون لا يعرفون نوما وقال الجمهور المراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل

وهو قول الاوزاعي ومالك والحسن البصري وابن ابي العالية وغيرهم وفي الحديث ذكر قيام الليل
ثم استشهد بالاية يعني الرسول عليه السلام وقال ابو الدردا وقتادة والضحاك تجافي الجنب
هو ان يصلي الرجل العشا والصبح في جماعة وقال الحسن هو التهجد وقال ايضا هو وعطا هو العتمة
وفي الترمذي عن انس نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة وقال قتادة وعكرمة
التنفل ما بين المغرب والعشا يدعون حال او مستانف خوفا وطمعا مفعول من اجله
في موضع الحال والظاهر ان الدعا هو الابتهال الى الله وقيل الصلاة والجمهور ما اخفي لهم فعلا
ماضيا مبنيا للمفعول وحمزة والاعمش ويعقوب بسكون اليا فعلا مضارعا للمتكلم
وابن مسعود ما يخفى بنون العظمة والاعمش ايضا اخفيت وقرا محمد بن كعب ما اخفى
فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وقرا الجمهور من قرة على الافراد وقرا ابو عبد الله وابو الدردا
وابو هريرة وعون العقيلي وقرا الجمهور من قرة على الافراد ومن قرات على الجمع بالالف والتا
وهي رواية عن ابي عمرو وابي جعفر والاعمش وما اخفي يحتمل ما ان تكون موصولة وان
تكون استفهاما فيكون تعلم معلقة والجملة في موضع المفعول ان كانت تعلم مما يتعدى لواحد
وفي موضع المفعولين ان كانت تتعدى لاثنين وتقدم تفسير قرة اعين في طه وفي الحديث
قال النبي صلى الله عليه وسلم اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن مسعود مكتوب
في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعت الخ ولا تعلم
نفس نكرة في سياق النفي فيعم جميع الانفس فما ادخره الله تعالى لاوليك واخفاه عن جميع خلا
ما تقر به اعينهم لا يعلمه الا هو وهذه عدة عظيمة لا تبلغ الافهام كنهها بل ولا تفاصيلها وقال
الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت جزاء بما كانوا يعملون
وهو تعالى الموفق للعمل الصالح وقال الزمخشري يحسم اطماع المتمنين انتهى وهي نزعة اعتزالية
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون قال ابن عباس وعطا نزلت في علي رضي الله تعالى عنه — افمن كان مومنا
والوليد بن عقبة تلاحيا فقال له الوليد انا ادرب منك لسانا واحد سنانا وارد للكتيبة فقال
له علي اسكت فانك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة للمومنين والفاسقين فتناولهما
وكل من في مثل حالهما وقال الزجاج والنحاس نزلت في علي وعقبة بن ابي معيط فعلى هذا تكون
الاية مكية لان عقبة لم يكن بالمدينة وانما قتل بطريق مكة منصرف بدر والجمع في لا يستوون
والتقسيم بعد حمل على معنى من وقيل لا يستوون وهما المومن والفاسق والتثنية جمع وقاله
الزجاج ونزول الاية في علي والوليد ثم بين انتفاء الاستوا بمقر كل واحد منهما وهو ان المومن له الجنة
والفاسق له النار وقرا طلحة جنة الماوى بالافراد والجمهور جنات بالجمع وقيل سميت بذلك لما روي
عن ابن عباس قال تاوي اليها ارواح الشهدا وقيل هي عن يمين العرش وقرا الجمهور نزلا بضم الزاي وابو
حيوة باسكانها والنزل عطا النازل ثم صار عاما فيما يعد للضيف واما الذين فسقوا اي
بالكفر فماواهم اي المكان الذي ياوون اليه وقال الزمخشري ويجوز ان يراد فجنة الماوى وهم النار
اي النار لهم مكان جنة الماوى للمومنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم انتهى وهذا فيه بعد وانما يذهب
الى مثل فبشرهم اذا كان مصرحا به فيتقول قام مقام التبشير العذاب وكذلك قام مقام
التحية ضرب وجيع اما ان نحمل هنا الكلام مستقيم عنه جار على احسن وجوه الفصاحة
حتى نحمل الكلام على اضمار فليس بجيد والعذاب الادنى قال ابي وابن عباس والضحاك وابن

زبد

زيد مصائب الدنيا في الانفس والاموال وقال ابن مسعود والحسن ابن علي هو القتل بالسيف
يوم بدر وقال مجاهد القتل والجوع لقريش وعنه انه عذاب القبر وقال النخعي ومقاتل
هو السنون التي اجاعهم الله فيها وقال ابن عباس ايضا هو الحدود وقال ايضا هو البطشة
والدام والدخان والعذاب الاكبر يوم القيامة في النار وقيل هو القتل والسبي والاسر
وعن جعفر بن محمد انه خروج المهدي بالسيف لعلهم يرجعون قال ابن مسعود لعل
من بقي منهم يتوب وقال ابو العالية لعلهم يتوبون وقال مقاتل يرجعون عن الكفر الى الايمان
وقيل لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه لقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع
رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
ويقابل الادنى الابعد والاكبر الاصغر لكن الادنى يتضمن الاصغر لانه منقرض بموت
المعذب والتخويف انما يصلح بما هو قريب وهو العذاب العاجل والاكبر يتضمن الابعد
لانه واقع في الاخرة والتخويف بالبعيد انما يصلح بذكر عظمه وشدته فحصلت المقابلة
من حيث التضمن وصرح بكل منهما بما هو الوا للتخويف وقال الزمخشري فان قلت من ابن
صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله تعالى ارادة واذا اراد الله شيا كان ولم يمتنع توبتهم
ما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذايقي العذاب الاكبر قلت ارادة الله
تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص
الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسر
والجاية فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها
وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك
ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلم يكن
الا لعجزك انتهى وهو مذهب المعتزلة وقد رد عليهم اهل السنة وذلك مقرر في
علم الكلام ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بخلاف المومنين اذا ذكروا بها خروا
سجدا ثم اعرض عنها قال الزمخشري ثم للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل ايات
الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سوا السبيل والفوز بالسعادة العظمى
بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة
ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن
حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها
واستيقنها واطلع على شدتها انتهى من المجرمين عام في كل مجرم فيندرج
فيه بجهة الاولوية من كان اظلم ظالم والاجرام هنا هو الكفر قال يزيد بن رفيع هي
في اهل القدر وقرا انا من المجرمين الى قوله تعالى تجد رقي الحديث ثلاث من
كن فيه فقد اجرم من عقد لوا في غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما
قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا
منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق
الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون لما قرر الاصول الثلاثة الرسالة

وبدا الخلق والعباد عاد الي الامر الذي بدا به وهو الرسالة اي لست بدعا في الرسالة
اذ قد بعث قبلك رسلا وذكر موسى عليه السلام لقرب زمانه والزاما لمن كان على دينه
ولم يذكر عيسى عليه السلام لان معظم شريعته مستفاد من التوراة وكان اتباع
موسى لا يوافقون على نبوته واتباع عيسى متفقون على نبوة موسى والكتاب
التوراة وقرا الحسن في مرية بضم الميم والظاهر ان الضمير في لقايه عايد
على موسى مضافا اليه على طريق المفعول والفاعل محذوف ضمير الرسول اي من
لقايك موسى اي في ليلة الاسرا اي شاهدته حقيقة وهو النبي الذي اوتي
التوراة وقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادم طوال جعد كانه
من رجال شنوءة حين راه ليلة الاسرا قاله ابو العالية وقتادة وجماعة من السلف
وقاله المبرد حين امتحن الزجاج بهذه المسالة وقيل عايد على الكتاب فاما
مضافا اليه على طريق الفاعل والمفعول محذوف اي من لقا الكتاب موسى
ووصوله اليه واما بالعكس اي من لقا موسى الكتاب وتلقيه وقيل يعود
على الكتاب على تقدير مضاف اي من لقا مثل اي انا اتيناك مثل ما اتينا موسى
ولقناك مثل ما لقن من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله
ولقيت نظيره وكونه من لقايه قوله وانك لتلقى القران وقال الحسن يعود
على ما تضمنه القول من الشدة والمحنة التي لقي موسى وذلك الاخبار
بانه اي موسى عليه السلام الكتاب كانه قال ولقد اتينا موسى هذا العبء
الذي انت بسبيه فلا تمترا انك تلقى ما لقي من المحنة بالناس انتهى
وهذا قول بعيد وابعد منه من جعل الضمير عايدا على موسى وذكر يوم القيامة
اي من لقايه في الاخرة وابعد من هذا من جعله عايدا على ملك الموت
الذي تقدم ذكره والجملة اعتراضية وقيل عايد على الرجوع الى الاخرة وفي
الكلام تقديم وتاخير والتقدير ثم الي ربكم ترجعون فلا تكن في مرية من
لقايه اي من لقا البعث وهذه اقوال كان ينبغي ان تنزه كتابنا
عن نقلها ولكن نقلها المفسرون فاتبعناهم والضمير في وجعلناه لموسى
وهو لقتادة وقيل للكتاب جعله هاديا من الضلالة وخص بني اسرايل
بالذكر لانه لم يتعبد بما فيه ولد اسماعيل وجعلنا منهم اي من بني اسرايل
ايمة قادة يقتدى بهم وقرا الجمهور لما صبروا بفتح اللام وتشديد
الميم وعبد الله وطلحة والاعمش وحمزة والكساي ورويس بكسر اللام وتخفيف
الميم وكانوا يحتمل ان يكون معطوفا على صبروا وان يكون داخلا في التعليق
ويحتمل ان يكون عطفا على وجعلنا منهم وقرا عبد الله ايضا بما صبروا
بالجر والضمير في منهم ظاهره يعود على بني اسرايل والفصل يوم القيامة
يعم الخلق كلهم اولم يهد لهم تقدم الكلام على نحو هذه الاية اعرابا
وقراءة وتفسيرا في طه الا ان هنا من قبلهم ولقوم يسمعون وهناك
قبلهم والاولي النهى ويمشون والنهي من الفواصل اولم يروا انا نسوق
الما اقام تعالى الحجة على الكفرة بالامم السالفة الذين كفروا فاهلكوا اتبع اقامتها
عليهم باظهار قدرته وتنبيههم على البعث وتقدم تفسير الجرز في الكهف وكل

ارض

ارض جرز داخلة في هذا فلا تخصيص لها بمكان معين وقال ابن عباس هي ارض ابين من اليمن
تشرب بسيول المطر وقرى الجرز بسكون الرا فنخرج به اي بالما وخص الزرع بالذكر وان كان
يخرج الله تعالى به انواعا كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتفع به في الطلب
وغير تشريفا للزرع ولانه اعظم ما يقصد من النبات اذا اوقع الزرع موقع النبات
وقدمت الانعام لان ما ينبت تاكله الانعام اولا ولمن قيل ان تاكل بنو ادم
الحب الا ترى ان القصيد وهو شعير يزرع تاكله الانعام قبل ان يسبل والبرسيم
والفصفصة وامثال ذلك تبادره الانعام قبل ان ياكل بنو ادم حب الزرع او لانه
غذا الدواب والانسان قد يتغذى بغيره من حيوان وغيره او بدئ بالادنى
ثم ترقى الى الاشرف وهم بنو ادم وقرا ابو حيوة وابو بكر في رواية ياكل بالياء
من اسفل وقرا الجمهور يبصرون وزيد بن علي وابن مسعود بتا الخطاب وجات
الفاصلة افلا يبصرون لان ما سبق من نفي الاية قبله مسموع فناسب افلا
يسمعون ثم اخبر تعالى عن الكفرة باستعجال فصل القضا بينهم وبين الرسول [illegible]
على معنى الهزو والتكذيب والفتح الحكم قاله الجمهور وهو الذي يترتب عليه قوله قل
يوم الفتح الخ ويضعف قول الحسن ومجاهد فتح مكة لعدم مطابقته لما بعده لان
من امن يوم فتح مكة ينفعه ايمانه وكذا قول من قال يوم بدر ولا هم ينظرون
اي لا يوخرون عن العذاب ولما عرض عرضهم في سوالهم على سبيل الهزو وقيل
لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزوا فكان قد حصل لكم في ذلك اليوم وامنتم ولم
ينفعكم الايمان وانتظرتم في حلول العذاب فلم تنظروا امر منصوب بلا
ينفع ثم امره بالاعراض عنهم وانتظار النصر عليهم والظفر بهم انهم منتظرون
بالغلبة عليكم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقيل انهم منتظرون العذاب
اي هذا حكمهم وان كانوا لا يشعرون وقرا اليماني منتظرون بفتح الظا اسم مفعول
والجمهور بكسرها اسم فاعل اي منتظر هلاككم فانهم احق ان ينتظر هلاكهم يعني انهم
هالكون لا محالة وانتظر ذلك فان الملايكة ينتظرونه مفردات سورة في المام
الاحزاب الجوف معروف جمعه اجواف يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل
ارض المدينة في ناحية منها الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل
الطعام والشراب الاقطار النواحي واحدها قطر ويقال قتر بالتا لغة فيه عوق عن كذا
ثبط عنه سلقه اجترا عليه وضربه ويقال صلقه بالصاد قال الشاعر ♦ فصلقنا في مراد
صلقة وصدا الحقتهم بالثلل ♦ وقيل سلقه خاطبه مخاطبة بليغة ومنه خطيب مسلاق
ولسان سلاق ومسلاق ♦ النحب النذر والشي الذي يلتزمه الانسان ويعتقد الوفا به قال
♦ قضى الحارثيون بعد ما قضى نحبه ♦ في ملتقى القوم كموثرا ♦ وقال جرير ♦
بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا ♦ عشية بسطام جرين على نحب ♦ اي على امر عظيم التزم
القيام به وقيل النحب الموت نحبا الصياصي الحصون واحدها صيصة وهي كل ما يمتنع
به ويقال لقرن الثور والظبي والشوكة الديك وهي مخلبه الذي في ساقه لانه يتمنع
يتحصن به والصياصي ايضا شوكة الحايك ويتخذ من حديد ومنه قول دريد بن الصمة
نوقع الصياصي في النسيج الممدد الاسوة القدوة تضم همزته وتكسر وتياسى
فلان يقتدي به والاسوة من الايتساء كالقدوة من الاقتدا اسم وضع موضع
المصدر التبرج قال الليث تبرجت ابدت محاسنها من وجهها وجسدها ويرى مع

ذلك من عينها حتى نظر وقال ابو عبيدة تخرج محاسنها مما تندى به شهوة الرجال
واملاه من البرح في عينيه وفي لسانه برح اي سعة الوطر قال ابو عبيدة كالاربه
وانشد للربيع بن ضبع ٭ ودعنا قبل ان نودعه ٭ لما قضى من شانئنا وطرا ٭
وقال المبرد الوطر الشهوة والمحبة يقال ما قضيت من لقائك وطرا اي ما استمتعت بك
حتى تشتهي نفسي وانشد ٭ وكيف ثوائي بالمدينة بعدما ٭ قضى وطرا منها جميل بن معمر ٭
الجلباب ثوب اكبر من الخمار

سورة الاحزاب بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما
حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل
على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل
ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم
بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو
اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس
عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا
اليما هذه السورة مدنية ونداوه صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي يا ايها
الرسول هو على سبيل التشريف والتكرمة والتنويه بمحله وفضيلته وترك نداءه
باسمه كقوله يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا موسى يا داود يا عيسى وحيث ذكره على
سبيل الاخبار عنه بانه رسوله صرح باسمه فقال محمد رسول الله وما محمد الا رسول
اعلام انه رسوله وتلقين لهم ان يسموه بذلك وحيث لم يقصد الاعلام بذلك جا باسمه
كما جا في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب النبي اولى بالمؤمنين
وغير ذلك من الآي والامر بالتقوى للمتلبس بها امر بالديمومة عليها
والازدياد منها والظاهر انه امر للنبي صلى الله عليه وسلم واذا كان هو مامورا بذلك
فغيره اولى بالامر وقيل هو خطاب له لفظا وهو لامته وروي انه لما قدم المدينة
وكان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه
وكانوا يظهرون النصائح في طرق المخادعة ولخلقه الكريم وحرصه على ايمانهم
ربما كان يسمع منهم فنزلت تحذيرا له منهم وتنبيها على عداوتهم وروي
ايضا ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا في الموادعة
التي كانت بينه وبينهم وقام عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس
فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك
عليه وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت وناسب ان نهاه عن طاعة الكفار
وهم المتظاهرون به وعن طاعة المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان
ويبطنون الكفر فالشامل [illegible] الطائفتان اي ولا تطع الكافرين من
اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة

دعوه الى ان يرجع الى دينهم ويعطوه شطر اموالهم ويزوجه شيبة بن ربيعة
بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ومناسبة
اول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة وهو انه حكى انهم يستعجلون الفتح وهو
الفصل بينهم واخبر تعالى انه يوم الفتح لا ينفعهم ايمانهم فامر في اول
هذه السورة بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما
ارادوا به ان الله كان عليما بالصواب من الخطا والمصلحة عن المفسدة
حكيما لا يضع الاشيا الا مواضعها منوطة بالحكمة او عليما حيث امر بتقواه وانها
تكون من صميم القلب حكيما حيث نهى عن طاعة الكفار والمنافقين وقيل
هي تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم اي عليما بمن يتقي حكيما في هدي من شا
واضلال من شا ثم امره باتباع ما اوحي اليه وهو القران وهو الاقتصار وترك
مراسم الجاهلية وقرا ابو عمرو بما يعملون الاولى والثانية بيا الغيبة وباقي
السبعة بتا الخطاب فجاز في الاولى ان يكون من باب الالتفات وجاز ان
يكون مناسبا لقوله واتبع ثم امره بتفويض امره الى الله تعالى وتقدم
الكلام في وكفى بالله في اول ما وقع في القران روي انه كان في بني فهر رجل
يقال له ابو معمر جميل بن اسد وقيل جميل بن معمر بن حبيب بن وهب
ابن حارثة بن جمح وفيه يقول الشاعر ٭ وكيف ثوائي بالمدينة بعدما ٭
قضى وطرا منها جميل بن معمر ٭ يدعي ان له قلبين ويقال له ذو القلبين
وكان يقول ان لي قلبين افهم بهما افضل من فهم محمد فلما بلغته هزيمة بدر طاش لبه
وحدث ابا سفيان بن حرب الحديث كالمختل فنزلت وقال الحسن هم جماعة
يقول الواحد منهم نفس تامرني ونفس تنهاني وقيل ان بعض المنافقين
قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شي فنزع في غيره نزعه ثم عاد الى
شانه فنفى الله تعالى ذلك عنه وعن كل احد قيل نظم ووجه نظم هذه الآية بما قبلها
ان الله تعالى لما امره بالتقوى كان من حقها ان لا يكون في القلب تقوى
غير الله فان المرء ليس له قلبان يتقي باحدهما الله وبالآخر غيره ما لا يصرف
القلب عن جهة الله تعالى الى غيره ولا يليق ذلك بمن يتقي الله حق تقاته
اثنى مخلصا ولم يجعل الله للانسان قلبين لانه اما ان يفعل احدهما مثل
ما يفعل الآخر من افعال القلوب فلا حاجة الى احدهما وغيره فيودي الى
اتصاف الانسان بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة
وذكر الجوف وان كان من المعلوم ان القلب لا يكون الا في الجوف زيادة
للتصوير والتجلي للمدلول عليه كما قال ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
فاذا سمع بذلك صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فيسرع الى انكار ذلك وما
جعل ازواجكم جعل تعالى الزوجة والظاهر منها لان الام مخدومة محفوظ لها
جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوك وهما
حالتان متنافيتان وقرا قالون وقنبل اللاء هنا وفي المجادلة والطلاق
بالهمز من غير يا وورش بيا مختلسة الكسر والبزي وابو عمرو بيا ساكنة بدلا
من الهمزة وهو بدل مسموع لا مقيس وهي لغة قريش وباقي السبعة بالهمز
ويا بعدها وقرا عاصم تظاهرون بالف الخطاب وفي المجادلة بالياء الغيبة

مضارع ظاهر وشدد الظاء والها الحرميان وابو عمرو وشدد الظاء والف بعدها ابن عامر
وبتخفيفها والالف حمزة والكسائي ووافق ابن عامر الاخوان في المجادلة وباقي
السبعة فيها كقراءتهم هنا وقرا ابن وثاب فيما نقل ابن عطية بضم التاء وسكون الظاء
وكسر الها مضارع اظهر وفيهما حكى ابو الفضل الرازي عنه بتخفيف الظاء وكذا هو
تا المضارعة وشد الها وقرا الحسن تظهرون بضم التاء وتخفيف الظاء
وكسر الها مضارع اظهر وفيما حكى ابو الفضل الرازي عنه بتخفيف الظاء وشد
الها مضارع ظهر مخفف الها وفي مصحف ابي تتظهرون بتاءين فتلك
تسع قراءات والمعنى قال قالت له انت علي كظهر امي فتلك الافعال
ماخوذة من هذا اللفظ كقولهم لبى المحرم اذا قال لبيك وافف اذا قال
اف وعدي بمن لان الظهار كان طلاقا في الجاهلية فكانوا يتجنبون
المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فالمعنى انه تباعد منها بجهة الظهار
ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدي بمن وكنوا عن البطن
بالظهر لئلا يذكروا ما يقارب الفرج ولكونهم كانوا يقولون يحرم اتيان المراة
وظهرها الى السما واهل المدينة يقولون يجي الولد اذ ذاك احول فبالغوا
في التغليظ في تحريم الزوجة فشبهها بالظهر ثم بالغ فجعلها كظهر امه
وروي ان زيد بن حارثة من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام
لعمته خديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجا ابوه وعمه
بفدائه وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخير فاختار رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فنزل وما
جعل ادعياءكم ابناءكم الاية وكانوا في الجاهلية وصدرا من الاسلام اذا تبنى
الرجل ولد غيره صار يرثه وادعيا جمع دعي فعيل بمعنى مفعول جا شاذا
وقياسه فعلى كجريح وجرحى واما هذا الجمع فقياس فعيل المعتل اللام
بمعنى فاعل نحو تقي واتقيا شبهوا دعيا بتقي فجمعوه جمعه شذوذا كما شذ لو
في جمع اسير وقتيل فقالوا اسرا وقتلا وقد سمع الفتحي فيهما فقالوا
اسرى وقتلى والمعنى نفي التناسل في النسب والدعوة الصادق
عارض بالتشبيه فلا يجتمع الي الواحد ان املا عمرا امرأة لكم اي دعواكم
انها بحق قول لا حقيقة له لولده اذ لا يواطي اللفظ الاعتقاد اذ يعلم
حقيقة انه ليس ابنه والله يقول الحق اي ما يوافق ظاهرا وباطنا
وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم او سبيل
الشرع والايمان وقرا الجمهور يهدي مضارع هدى وقتادة بضم
اليا وفتح الها وشد الدال واقسط افعل التفضيل وتقدم الكلام عليه
في اواخر البقرة ومعناه اعدل ولما امر بان يدعى المتبنى لابيه ان علم
قالوا زيد بن حارثة ومواليكم ولذلك قالوا سالم مولى ابي حذيفة
وذكر الطبري ان ابا بكرة قرا هذه الاية فقال انا ممن لا يعرف ابوه
فانا اخوكم في الدين ومولاكم قال الراوي عنه لو علم والله
ان اباه حمار لانتمى اليه ورجال الحديث يقولون فيه نفيع بن
الحارث وفي الحديث من ادعى الى غير ابيه متعمدا حرم الله عليه الجنة

فيما

فيما اخطاتم به فيرفع الحرج عنهم فيما كان قبل النهي وهذا انه ضعيف
لا يوصف بالخطا ما كان قبل النهي وقيل فيما سبق اليه اللسان لا على
سبيل الغلط اذ كان مسبوق ذكره اليه قبل النهي فجري ذلك على اللسان
غلطا او على سبيل التحنن والشفقة اذ كثيرا ما يقول الانسان للصغير
يا ابني كما يقول للكبير يا ابي على سبيل التوقير والتعظيم وما عطف
على ما اخطاتم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم واجيز ان تكون ما في موضع
رفع بالابتدا اي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما حيث
رفع الجناح عن المخطي وكونه صلى الله عليه وسلم اولى بالمومنين من انفسهم اي لراف
بهم وعطف عليهم اذ هو يدعوهم الى النجاة وانفسهم تدعوهم الى الهلاك ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام انا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها
تقحم الفراش ومن حيث تنزل منزلة الاب وكذلك في مصحف ابي وقرا عبد الله
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم في الدين وقال مجاهد كل نبي ابو امته وقد قيل
في قول لوط عليه السلام هولاء بناتي انه اراد المومنات اي بناته في الدين
وان كل رجال امة انما المومنون اخوة اي في الدين وعنه صلى الله عليه وسلم ما من
مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة واقرؤا ان شيتم النبي اولى بالمومنين
من انفسهم فايما مومن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك
دينا او ضياعا فالي وقيل اطلق في قوله اولى بالمومنين اي في كل شي
ولم يقيد فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ اليهم من حكمها
وحقوقه اثر الى غير ذلك مما يجب عليهم في حقه انتهى ولو اريد هذا المعنى
لكان التركيب المومنون اولى بالنبي منهم بانفسهم وازواجه امهاتهم اي مثل
امهاتهم في التوقير والاحترام وفي بعض الاحكام من تحريم نكاحهن
وغير ذلك مما جرين فيه مجرى الاجانب وظاهر قوله وازواجه كل من اطلق
عليها انها زوجة له عليه الصلاة والسلام من طلقها ومن لم يطلقها وقيل
لا يثبت هذا الحكم لمطلقته وقيل من دخل بها تثبت حرمتها
قطعا وهم عمر برجم امراة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكحت بعده
فقالت ولم هذا وما ضرب علي حجابا ولا سميت ام المومنين فكف عنها وكان اولا
بالمدينة توارث باخوة الاسلام وبالهجرة ثم حكى تعالى بان اولي الارحام
احق في التوارث من الاخ في الاسلام وبالهجرة في كتاب الله اي في اللوح المحفوظ
او في القرآن من المومنين والمهاجرين اي اولى بالمومنين الذين كانوا يتوارثون
بمجرد الايمان ومن المهاجرين الذين كانوا يتوارثون بالهجرة وهذا هو الظاهر
فتكون من هنا كهي في زيد افضل من عمرو وقال الزمخشري يجوز ان تكون
بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هولاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من
الاجانب انتهى والظاهر عموم قوله الى اوليائكم فيشمل جميع افراد من
قريب واجنبي مومن وكافر يحسن اليه ويصله في حياته ويوصي له عند
الموت قاله قتادة والحسن وعطا ومحمد بن الحنفية وقال مجاهد وابن زيد
والرماني وغيره الى اوليائكم مخصوص بالمومنين وسياق ما تقدم في المومنين
يعضده هذا لكن هذه الاية النسب لا تدفع في الكافر انما تدفع ان يلقي اليه بموده

بالمودة كولي الاسلام وهذا الاستثنا في قوله الا ان تفعلوا مما يفهم من الكلام
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في النفع ميراث وغيره وعدي بالى لان المعنى الا ان
توصلوا الى اوليائكم كان ذلك لتنازه الى ما في الانتبين في الكتاب اما اللوح فهنا
القران في ما تقدم مسطورا اي مثبتا بالاسطار وهذه الجملة مستانفة هذه
كالخاتمة لما ذكر من الاحكام ولما كان ما سبق احكام عن الله تعالى وكان فيها اشيا
مما كانت في الجاهلية واستثنا في الاسلام نسخت ابتقه بقوله واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم اي في تبليغ الشرايع والدعاء الى الله تعالى فلست بدعا في
تبليغك عن الله تعالى والعامل في اذ قال الحوفي وابن عطية يجوز ان يكون مسطورا
اي مسطورا في الكتاب وحين اخذنا وقيل التامل واذكر وحين اخذنا وهذا
الميثاق هو في تبليغ رسالات الله تعالى والدعا الى الايمان ولا يمنع من ذلك
مانع الامن خوف وطمع قال الكلبي اخذ ميثاقهم بالتبليغ وقال قتادة بتصديق
بعضهم بعضا والاعلان بان محمدا رسول الله واعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا نبي بعده وقال الزجاج وغيره الذي اخذ عليهم وقت استخراج الذر من صلب
ادم قالوا اخذ الله ميثاق النبيين بالتبليغ وتصديق بعضهم بعضا وبجميع
ما تضمنته النبوة وروى نحوه عن ابي بن كعب وخص هولاء الخمسة
بالذكر بعد دخولهم في جملة النبيين تشريفا لهم اولو العزم لشرفهم وفضلهم
عن غيرهم وقدم محمد صلى الله عليه وسلم فيهم لكونه افضلهم واكثرهم تابعا
وقدم نوح عليه السلام في اية الشورى في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا الاية لان ايراده على خلاف الايراد هنا اورده على طريق الاسلام بالاصالة
فكانه قال شرع لكم يه الدين الاصل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم
وبعث عليه خاتم الانبيا في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من
الانبيا المشاهير والميثاق الثاني هو الاول وكرر لاجل صفته وغلظ
من صفة الاجرام واستعير للمعنى مبالغا في حرمته وعظمه وتقدم [illegible] الجملة
وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا بما حملوا واللام في ليسال
قيل يحتمل ان يكون لام الصيرورة اي اخذ الميثاق على الانبيا ليصير الامر الى كذا
والظاهر انها لام كي اي بعث الرسل واخذ عليهم المواثيق في التبليغ لكي
يجعل الله تعالى خلقه في فرقتين فرقة ليسالها عن صدقها على معنى اقامة الحجة
فتجيب بانها قد صدقت الله في ايمانها وجميع افعاله فيثيبها على ذلك وفرقة
كفرت فينالها ما اعد لها من العذاب قاله [illegible] هذا المسلول لون
هم المومنون والمعنى صدقهم عايد عليهم ومفعول صدقهم محذوف
تكذيبه عن صدقهم عهده او يكون صدقهم في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف
اي تصديقهم الانبيا لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسال
الانبيا الذين اجابتهم به اممهم حكاه [illegible] ولنسال الانبيا عن
الوفا بالميثاق الذي اخذ عليهم حكاه [illegible] او ليسال الانبيا عن تبليغهم
الرسالة الى قومهم قاله مجاهد وفي هذا تنبيه انه اذا كان الانبيا يسالون
فكيف من سواهم وقال مجاهد ايضا ليسال الصادقين اراد المومنين عن الرسل
ابتغي وسوال الرسل تبكيت للكافرين بهم كما قال تعالى اانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله وقال تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين واعد معطوف على اخذنا لان المعنى ان الله اكد على الانبيا الدعوة

الى

دقيق

المودبة لا جرا ثابة المومنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال
الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين قال الزمخشري ويجوز
ان يكون حذف من الاول ما اثيب به الصادقون وهم المومنون وذكرت العلة
وفقدت وحذف من الثاني العلة وذكر ما عوقبوا به وكان التقدير ليسال الصا
دقين عن صدقهم فاثابهم وليسال الكافرين عما اجابوا به رسلهم كقوله
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم المرسلين الانبيا واعد
لهم عذابا اليما فحذف من الاول ما اثبت مقابله في الثاني ومن الثاني ما اثبت
مقابله في الاول وهذه طريقة بليغة وتقدم لنا ذكر ذلك في قوله ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق واعمنا الكلام هناك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون هنالك ابتلي المومنون
وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا
بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله
مسيولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا
ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم
بالسنة حداد اشحة على الخير اوليك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم وكان
ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب
يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن انبايكم ولو كانوا فيكم
ما قاتلوا الا قليلا ذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم في غزوة الخندق وما اتصل
بها من غزو بني قريظة وقد اشتملت في ذلك الايات وتذكر من ذلك ما له تعلق
بالايات التي نفسرها واذ معموله لنعمة اي انعامه عليكم وقت مجي الجنود
والجنود كانوا عشرة الاف قريش ومن تابعهم في اربعة الاف يقودهم
ابو سفيان وبنو اسد يقودهم طليحة وغطفان يقودهم عيينة وبنو
عامر يقودهم عامر ابن الطفيل وسليم يقودهم ابو الاعور واليهود النضير
وروساهم حيي ابن اخطب وابنا ابي الحقيق وبنو قريظة سيدهم كعب
بن اسد وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنبذه بسعي
حيي ابن اخطب وقيل انه جمعوا وبعضهم خمسة عشر الفا وهم الاحزاب
ونزلوا بالمدينة وحفر الخندق باشارة سلمان وهو من عمل الفرس وظهرت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المعجزة العظيمة من كسر الصخرة التي
اعوزت الصحابة ثلاث فرق ظهرت مع كل فرقة منها برقة اراه الله تعالى منها

مداين كسرى وما حولها ومداين قيصر وما حولها ومداين الحبشة وما حولها وقد ربنتج
ذلك واقام الدراري والنسا بالاطام وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون في ثلاثة الاف فنزلوا بظهر سلع والخندق بينهم وبين المشركين
وكان ذلك في شوال سنة خمس قاله محمد بن اسحاق وقال مالك سنة اربع وقرا
الحسن ومنونا بفتح الجيم والجمهور بالضم بعث الله تعالى الصبا لنصرة نبيه
صلى الله عليه وسلم فاضرت بجنود الاحزاب هدمت بيوتهم واطفات نيرانهم
وقطعت حبالهم واكفات قدورهم ولم يمكنهم معها قرار وبعث الله تعالى
مع الصبا ملايكة تشدد الريح وتفعل نحو فعلها وقرا ابو عمرو في رواية
وابو بكر في رواية لم يروها بيا الغيبة وباقي السبعة والجمهور بتا الخطاب
من فوقكم من اعلا الوادي من قبل المغرب قريظة وغيرها قالوا انكون جملة
حتى نستاصل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من فوقكم يريد اهل
نجد مع عيينة بن حصن ومن اسفل منكم يريد مكة وساير تهامة وهو قول
قريب من الاول وقيل انما يراد ما يختص ببقعة المدينة اي نزلت طايفة
في اعلا المدينة وطايفة من اسفلها وهذا قريب من القول الاول وقد
يكون وقد يكون ذلك على معنى المبالغة اي جاوكم من جميع الجهات
كانه قيل اذ جاوكم محيطين بكم كقوله تعالى يغشاهم العذاب من فوقهم
ومن تحت ارجلهم المعنى يغشاهم محيطا بجميع ابدانهم وزيغ الابصار
ميلها عن مستوى نظرها فعل الواله الجزع وقال الفرا اعتت عن كل شي
وبلغت القلوب الحناجر مبالغة في اضطرابها
ووجيبها دون ان تنتقل من مقرها الى الحنجرة وقيل يحبت القلوب من شدة
النزع فيتصل وجيبها بالحنجرة فكانها بلغتها وقيل يخد خفوته وقلبه يصعد
علو السنفصل فالبلوغ حقيقة وقيل القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف
يجتمع فيلتصق بالحنجرة وقد يفضي الى ان يسد مخرج النفس فلا يقدر المرات
يتنفس ويموت خوفا ومثله اذ القلوب لدى الحناجر وقيل اذا انتفخت الرية
من شدة النزع والغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى
راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره والظنون جمع لما اختلفت متعلقاته
جمع وان كان لا ينقاس عند سيبويه جمع المصدر اذا اختلفت متعلقاته وينقاس
عند غيره وقد جا الظنون مجموعا في اشعارهم انشد ابو عمرو في كتاب الالحان
۵ اذا الجوزا اردفت الثريا ۵ ظننت بال فاطمة الظنونا ۵ فظن المومنون الخلص
ان ما وعدهم الله به النصر حق وانهم سيظهرون وظن الضعيف الايمان مضطرب
وظن المنافقين ان الرسول والمومنين سيغلبون وكل هولا شملهم الضمير في
وتظنون وقال الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المومنين يستاصلون
وظن المومنون انهم يبتلون وقال ابن عطية اي يكادون يضطربون ويقولون
ما هذا الخلف للوعد وهذه العبارة عن خواطر خطرت للمومنين لا يمكن البشر
دفعها واما المنافقون فالجحوا ونطقوا وقال الزمخشري ظن المومنون الثبت
القلوب بالله تعالى انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف
القلوب الذين هم على حرف والمنافقون ظنوا بالله ما حكي عنهم وكتب الظنونا في المصحف

والسبيلا

٢٥
والسبيلا في المصحف بالف فحذفها حمزة وابو عمرو ووقفا ووصلا وابن كثير والكسائي وحفص
بحذفها وصلا خاصة وباقي السبعة باثباتها في الحالتين واختار ابو عبيد والخزاز
ان يوقف على هذه الكلمة بالالف ولا يوصل فتحذف او تثبت لان حذفها مخالف
لما اجتمعت عليه مصاحف الامصار ولان اثباتها في الوصل معدوم في لسان العرب
نظمهم ونثرهم لا في اضطرار ولا في غيره اما اثباتها في الوقف ففيه اتباع الرسم
وموافقة مذاهب العرب لانهم يثبتون هذه الالف في قوافي اشعارهم ومصاريعها
والفواصل في الكلام كالمصاريع وقال ابو علي هي رووس الاي تشبيه بالقوافي
من حيث كانت مقاطع كما كانت القوافي مقاطع وهنالك ظرف مكان
للبعيد هذا اصله فيحمل عليه اي في ذلك المكان الذي وقع فيه الحصار والقتال
ابتلي المومنون والعامل فيه ابتلي وقال ابن عطية هنالك ظرف زمان قال
ومن قال ان العامل فيه وتظنون فليس قوله بالقوي لان البداءة ليست
متمكنة وابتلاوهم قال الضحاك بالجوع وقال مجاهد بالحصار وقيل
بالصبر على الايمان وزلزلوا قال ابن سلام حركوا بالخوف وقيل
اضطربوا في اليقين وقال الضحاك عن اماكنهم حتى لم يكن لهم الا موضع
الخندق وقيل زلزلوا فثبتوا وصبروا حتى نصروا وقيل
حركوا الى الفتنة فعصموا وقرا الجمهور وزلزلوا بضم الزاي وقرا
احمد بن موسى اللولوي عن ابي عمرو بكسر الزاي قال ابن خالويه وقال
الزمخشري وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا انتهى كانه يعني اشمامها
الكسر ووجه الكسر في هذه القراة الشاذة انه اتبع حركة الزاي الاولى لحركة
الثانية ولم يعتد بالساكن كما لم يعتد به من قال منتن بكسر الميم اتباعا لحركة التا وهو
اسم فاعل من انتن وقرا الجمهور زلزالا بكسر الزاي الجحدري وعيسى بفتحها وكذا
اذا زلزلت الارض زلزالها وهو مصدر فعلل من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح
نحو قلقل قلقالا وقد يراد بالمفتوح معنى اسم الفاعل فصلصال يعني مصلصل
فان كان من غير المضاعف فما سمع منه على فعلال مكسور الفا نحو سرهف سرهافا
واذ يقول المنافقون وهم المظهرون للاسلام المبطنون الكفر والذين في
قلوبهم مرض هم ضعفا الايمان الذين لم يتمكن الايمان من قلوبهم
فهم على حرف والعطف دال على التغاير بينه عليهم على جهة الذم لما ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصخرة برقت تلك البوارق وبشر بفتح
فارس والروم واليمن والحبشة قال معتب بن قشير يعدنا محمد ان نفتح
كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الان لا يقدر احدنا ان يذهب الى الغايط
ما يعدنا الا غرورا اي امرا يغرنا ويوقعنا فيما لا طاقة لنا به وقال
غيره من المنافقين نحوا من ذلك وقولهم ما وعدنا الله ورسوله
على سبيل الهزء اذ لو اعتقدوا انه رسوله صحيحة ما قالوا هذه المقالة
فالمعنى ورسوله على زعمكم وزعمه وقيل معتب ونظرايه نزلت هذه الاية
واذ قالت طايفة منهم اي من المنافقين لا مقام لكم في حومة القتال والممانعة
فارجعوا الى بيوتكم ومنازلكم امروهم بالهرب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ارجعوا كفارا الى دينكم الاول واسلموه الى اعدايه وقال السدي

يعها

القايل لذلك عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه وقال الكلبي بنو حارثة وقال مقاتل بنو سلمة وقال
اوس بن رومان اوس بن قيظي واصحابه ويمكن صحة هذه الاقوال فان جميعهم من
كان منافقا لا مقام قرا السلمي والاعرج واليماني وحفص بضم الميم فاحتمل ان يكون
مكانا اي لا مكان اقامة واحتمل ان يكون مصدرا اي لا اقامة وقرا ابو جعفر
وشيبة وابو رجاء والحسن وقتادة والنخعي وعبد الله بن مسلم وطلحة وباقي
السبعة بفتحها واحتمل ايضا المكان اي لا مكان قيام واحتمل المصدر اي لا قيام لكم
ويستاذن فريق منهم النبي هو اوس بن قيظي استاذن في الرجوع الى
المدينة عن اتفاق من عشيرته يقولون ان بيوتنا عورة
اي منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق اعور المنزل اذا انكشف وقال الشاعر
له الشدة الاولى اذا القرن اعورا وقال ابن عباس الفريق بنو حارثة وهم
كانوا عاهدوا الله لا يولون الادبار واعتذروا بان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة
للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه
فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار وقرا ابن عباس
وابن يعمر وقتادة وابو رجاء وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو طالوت
وابن مقسم واسماعيل بن سليمان عن ابن كثير عورة وعورة بكسر الواو فيهما
والجمهور باسكانها ويجوز ان يكون تخفيف عورة وباسكانها هو اسم فاعل
وقال ابن جني صحة الواو في هذا شاذة لانها متحركة مثلها مفتوحة انتهى يعني
انها تنقلب الفا فيقال عارة كما تقول رجل مال اي مرر واذا كان عورة اسم
فاعل فهو من عور الذي صحت عينه فاسم الفاعل كذلك تصح عينه فلا
يكون صحة العين على هذا شاذة وقيل السكون على انه مصدر وصف به
والبيت المعور هو المتورد الوصل لمن اراده بسوء وقال الزجاج عور
المكان يعور عورا وعورة فهو عور وبيوت عورة وقال الفرا
اعور المنزل بدا منه عورة واعور الفارس كان فيه موضع خلل للضرب
والطعن قال الشاعر متى تلقهم لم تلق في البيت معورا
ولا الضيف مخذولا ولا الجار مسلما وقال الكلبي عورة خالية من الرجال
ضايعة وقال قتادة قاصية تخشى عليها العدو وقال السدي قصيرة الحيطان
تخاف عليها السراق وقال الليث العورة سوءة الانسان وكل امر يستحيى منه
فهو عورة ويقال عورة في التذكير والتانيث والجمع كالمصدر وقال ابن عباس
قالت اليهود لعبد الله بن ابي بن سلول واصحابه من المنافقين ما الذي
يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة فانتم
امنون ان يريدون الا فرارا اي من الدين وقيل من نبيه واصحابه
القتال قال الضحاك ورجع ثمانون رجلا من غير اذن النبي صلى الله عليه وسلم
والضمير في دخلت الظاهر عوده على البيوت اذ هو اقرب مذكور وقيل
او على المدينة اي ولو دخلها الاحزاب الذين يفرون خوفا منهم واقاموا على
اهليهم واولادهم ثم سئلوا الفتنة اي الردة والرجوع الى اظهار الكفر ومقاتلة
المسلمين لاتوها اي لجاؤا اليها وفعلوها على قراة القصر وهي قراة نافع
وابن كثير وقرا باقي السبعة لاتوها بالمد اي لاعطوها وما تلبثوا بها وما

البثوا

البثوا اعطاها الا يسيرا اي ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او ما لبثوا بالمدينة
بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم او يخرجهم بالمومنين قال ابن عطية
ولو دخلت المدينة من اقطارها واشتد الحرب الحقيقي ثم سئلوا الفتنة والحرب
لمحمد صلى الله عليه وسلم لطاروا اليها واتوها محبين فيها ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها
الا يسيرا قيل قدر ما ياخذون سلاحهم انتهى وقرا الجمهور سئلوا وقرا الحسن
سولوا بواو ساكنة بعد السين المضمومة قالوا وهي من سال يسال كخاف يخاف
لغة في سال بالهمز وحكى ابو زيد هما يتساولان انتهى ويجوز ان يكون اصله
الهمز لانه يجوز ان يكون سولوا على قول من يقول ضرب ضرب ثم سهل الهمزة بابدالها
واوا على قول من قال في بوس بوس بابدال الهمزة واوا لضمة ما قبلها وقرا عبد
الوارث عن ابي عمرو والاعمش سيلوا بكسر السين من غير همز نحو قيل وقرا
مجاهد سوويلوا بواو بعد السين المضمومة وياء مكسورة بدلا من الهمزة وقال
الضحاك ثم سئلوا الفتنة اي في العصبية لاسرعوا اليها وقال الحسن الفتنة الشرك
والظاهر عود الضمير بها على الفتنة وقيل يعود على المدينة وعاهدوا اجري
مجرى اليمين ولذلك تلقي بقوله لا يولون الادبار هم الذين عاهدوا وهم بنو حارثة
وبنو سلمة وهما الطايفتان اللتان هما بالفشل في يوم احد ثم تابوا وعاهدوا
ان لا يفروا فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان وقال ابن عباس عاهدوا
بمكة ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل ناس غابوا عن وقعة
بدر قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقيل عن قبل هذه الغزوة غزوة
الخندق لا يولون الادبار كناية عن الفرار والانهزام وكان مسئولا مطلوبا مقتضى حتى
يوفى به وفي ذلك تهديد ووعيد قل لن ينفعكم الفرار خطاب توبيخ واعلام ان
الفرار لا ينجي من القدر وانه ينقطع اعمارهم في يسير من المدة واليسير مدة الاجال
قاله الربيع بن خثيم وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان فررتم
من الموت او القتل لا ينفعكم الفرار لانه لابد لكل اجل منه واذا هنا تقدمها حرف
عطف فلا يتحتم اعمالها بل يجوز ولذلك قرا بعضهم واذا لا يلبثون خلفك في سورة
الاسرا بحذف النون ومعنى خلفك اي بعد فرارهم اياك وقليلا نعت لمصدر
محذوف اي تمتيعا قليلا او لزمان محذوف اي زمانا قليلا وعن بعض المروانية
انه مر على حايط مايل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب وقرا
الجمهور لا تمتعون بتا الخطاب وقرئ بيا الغيبة ومن ذا استفهام وكنت امع
من وفيه معنى النفي اي لا احد يعصمكم من الله قال الزمخشري فان قلت
كيف جعلت الرحمة قرينة بالسوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه
او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا
سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع انتهى اما الوجه
الاول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو الى حذفها والثاني هو الوجه لا سيما
اذا قدر مضاف محذوف اي يمنعكم من مراد الله تعالى والقايلين لاخوانهم
كانوا المنافقين يثبطون اخوانهم فاما ساكني المدينة من انصار رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان محمدا واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لا
التهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وقيل هم اليهود كانوا يقولون لاهل المدينة

تعالوا الينا وكونوا معنا وقال ابن زيد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه
بين الرماح والسيوف هلم الي فقد احيط بك وبصاحبك والذي يحلف به لا يستقبلها محمد ابدا
فقال كذبت والذي يحلف به لاخبرنه بامرك فذهب يخبره فوجد جبريل عليه السلام قد
نزل بهذه الاية وقال ابن السايب هي في عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ومن رجع
من المنافقين من الخندق الى المدينة فاذا جاءهم المنافق قالوا له ويحك اجلس ولا
تخرج ويكتبون الى اخوانهم في العسكر ان ايتونا فانا ننتظركم وكانوا لا ياتون العسكر
الا ان لا يجدوا بدا من اتيانه فياتون ليرى الناس وجوههم فاذا غفل عنهم
عادوا الى المدينة فنزلت وتقدم الكلام في هلم في اواخر الانعام وقال الزمخشري
وهلموا الينا قربوا انفسكم الينا قال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر
وقرب انتهى والذي عليه النحويون ان هلم ليس صوتا وانما هو مركب مختلف في اصل
تركيبه فقيل مركب من ها التي للتنبيه ولم وهو مذهب البصريين وقيل
من هل وام والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور في النحو واما قوله سمي به
فعل متعد ولذلك قدرها الينا اي قربوا انفسكم الينا والنحويون يقولون انه
متعد ولازم فالمتعدي كقوله قل هلم شهداءكم اي احضروا شهداءكم واللازم
كقوله هلم الينا اي اقبلوا الينا ولا ياتون الباس اي القتال الا قليلا الا
اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقلته اما لقصر زمانه واما لقلة
غنائه وانه رياء وتلميع لا تحقيق انتهى اشحة جمع شحيح وهو البخيل وهو جمع لا ينقاس
وقياسه في الصفة المضعفة العين واللام افعلاء نحو خليل واخلاء والقياس
اشحاء وهو مسموع ايضا ومتعلق الشح بانفسهم او باموالهم
في النفقات في سبيل او بالغنيمة عند القسم اقوال والصواب ان يعم شحهم
بكل ما فيه منفعة للمؤمنين وقال الزمخشري اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم
يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف
ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت
حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة
نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة و
نسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا
قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم
عليهم انتهى وهو تكثير وتحميل للفظ ما لا يحتمله كعادته وقرا الجمهور
اشحة بالنصب قال الفراء على الذم واجاز نصبه على الحال والعامل يعوقون
اشحة وقال الطبري حال من هلم الينا وقال الزجاج حال من ولا ياتون
وقيل حال من المعوقين وقيل من القائلين ورد القولان بان فيهما تفريقا
بين الموصول وما هو معمول من تمام صلته وقرا ابن ابي عبلة اشحة
بالرفع على اضمار مبتدا اي هم اشحة فاذا جاء الخوف من العدو وتوقع ان
يستاصل اهل المدينة لاذ هؤلاء المنافقون ينظرون نظر الهلوع المختلط
النظر الذي يغشى عليه من الموت وتدور في موضع الحال اي دائرة
اعينهم كالذي في موضع الصفة لمصدر محذوف وهو مصدر
مشبه اي دورانا كدوران عين الذي يغشى عليه فبعد الكاف محذوف
وكذا دوران وعين ويجوز ان يكون من الذي لوحظ المضاف في الكلام

رأيتهم

رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في رؤوسهم وتجول وتضطرب رعبا وهلوعا لما
يحزبهم لانهم يحضرون بما منه ستر الا على نية خير والعدو للاول نحو الظاهر
سلقوكم قال قتادة بسطوا السنتهم فيكم قال يزيد بن رومان في اذى المؤمنين
وسبهم وتنقص الشرع وقال قتادة في طلب العطا من الغنيمة والالحاف في المسائل
وقيل السلق في مخادعة المؤمنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة
والمخاتلة وقرا الجمهور بالسين على الحال سلقوكم وعن الحسن بدل على عموم الشح
في قوله اولا اشحة عليكم وقيل هنا الشح على مال الغنائم وقيل على المال الذي ينفقونه
وقيل على الرسول بظفره اولئك لم يؤمنوا اشارة الى المنافقين اي لم يكن
لهم قط ايمان ولا احبط اعدم قبول اعمالهم فكانت كالمحبطة وقال الزمخشري
فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت
لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن الايمان باللسان ايمانا وان لم يواطئه القلب
وان ما يعمله المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل
لم يوجد معه باطل انتهى وفي كلامه استعمال عسى في هذه العاري فاحبط الله اعمالهم في بدر
وفيها وكان ذلك اي الاحباط ليس من شحهم ونظرهم ليسير الايمان به ولا له
اثر في زيغ جزء لا صبح قال الزمخشري كل شي عليه يسير معناه ان اعمالهم حقيقة
بالاحباط تدعوا اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف انتهى وهي الفاظ المعتزلة
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هم من الجزع بحيث هزم الله الاحزاب فرحلوا
وهم يحسبون انهم لم يرحلوا وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما
منوا به هذه الكرة انهم مقيمون في البدو مع الاعراب وهم اهل العمود يرحلون
من قطر الى قطر يسالون من قدم من المدينة عما جرى عليكم من قتال
الاحزاب يتعرفون احوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة فرقا وجبنا وغرضهم
من البداوة ان يكونوا سالمين من القتال ولو كانوا فيكم ولم يرحلوا الى البادية
وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلا لعلة ورياء وسمعة قال ابن السايب رميا بالحجارة
خاصة دون غيرها من انواع القتال وقرا الجمهور بادون جمع باد كغاز وقرا
عبد الله وابن عباس وابن يعمر وطلحة بدى على وزن فعل كغاز وغزى
وليس بقياس في معتل اللام بل شبه بضارب وقياسه فعلة كقاض وقضاة
وعن ابن عباس بدو فعلا ماضيا وفي رواية صاحب الاقليد بدى بوزن عدي
وقرا الجمهور يسالون مضارع سال وحكى ابن عطية ان ابا عمرو وعاصما والاعمش
قرؤوا يسلون بغير همز نحو قوله سل بني اسرائيل ولا يعرف ذلك عن ابي عمرو وعاصم ونقل
ذلك في شذوذها ونقلها صاحب اللوامح عن الحسن والاعمش وقرا زيد بن علي
وقتادة والجحدري والحسن ويعقوب بخلاف عنهما يساءلون بتشديد السين
والمد واصله يتساءلون فادغمت التاء في السين اي يسال بعضهم بعضا اي يقول
بعضهم لبعض ماذا سمعت وماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول تراءينا
الهلال ثم سلى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم وحقر شانهم بان اخبر
انهم لو حضروا لما اغنوا وما قاتلوا الا قتالا قليلا قال ابن عطية وقليل من
حيث هو رياء ولو كان لله كان كثيرا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ولما راى
المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله

وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله
الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطوها وكان الله على كل شي قديرا الظاهر ان الخطاب في قوله لقد كان لكم للمومنين
لقوله قبل ولو كانوا فيكم وقوله بعد لمن كان يرجو الله واليوم الاخر والمعنى انه صلى الله عليه وسلم
لكم فيه الاقتدا لكما نصركم ووازركم حتى قاتل بنفسه حتى كسرت رباعيته الكريمة
وشج وجهه الكريم وقتل عمه واوذي ضروبا من الايذا فيجب عليكم ان تنصروه ولا
ترغبوا بانفسكم عن نفسه ولا عن مكان هو فيه وتبذلوا انفسكم دونه فما حصل لكم من
الهداية والاسلام اعظم من كل ما تفعلونه معه عليه الصلاة والسلام من النصرة والجهاد
في سبيل الله تعالى وبعد قول من قال انه خطاب للمنافقين واليوم الاخر يوم القيامة
وقيل يوم السياق واسوة اسم كان ولكم الخبر ويتعلق في رسول الله بما تعلق به لكم او تكون
في موضع الحال لانه لو تاخر جاز ان يكون نعتا لاسوة او متعلقا بكان على مذهب من اجاز في
كان الناقصة ان تعمل في الظرف والمجرور ويجوز ان يكون في رسول الله الخبر
ولكم تبيين اي لكم اعني لمن كان يرجو الله قال الزمخشري بدل من لكم كقوله للذين
استضعفوا لمن امن منهم انتهى ولا يجوز على مذهب الجمهور البصريين ان يبدل
من ضمير المتكلم وكان ضمير المخاطب في بدل الشي من الشي وهما بعين واحدة
واجاز ذلك الكوفيون والاخفش ويدل عليه قول الشاعر بكم قريش كفينا كل معضلة
وام نهج الهدى من كان ضليلا والجمهور سوى بكر الهمزة وعاصم بضمها والرجا بمعنى
الامل او الخوف وقرن الرجا بذكر الله والمومن برسول الله هو الذي يكون راجيا
ذاكرا ولما بين تعالى حال المنافقين وقولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
بين حال المومنين وقولهم ضد ما قال المنافقون وكان الله وعدهم ان يزلزلهم
حتى يستنصروه في قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية فلما جا الاحزاب
ونهض بهم للقتال واضطربوا قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ان الاحزاب
سايرون اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا
للميعاد قالوا ذلك وقيل الوعد هو ما في البقرة وما وعده عليه الصلاة والسلام
حين امر بحفر الخندق فانه اعلمهم بانهم يحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك
واعلمهم انهم سينصرون بعد ذلك فلما راوا الاحزاب قالوا ذلك فسلموا الاول
الامر وانتظروا اخره وهذا اشارة الى الخطب او البلا وما زادهم اي ما زادهم ما راوا الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاقداره
وما زادهم اي شهود ذلك الموعود الا ايمانا اي بما وقع وبما اخبر به الرسول
مما لم يقع كفتح مكة وفارس والروم فالزيادة فيما يومن به لا في نفس الايمان
وقرا ابن ابي عبلة وما زادوهم بالواو وضمير الجمع ويعود على الاحزاب
ويقول صدقت زيدا الحديث وصدقت زيدا في الحديث وصدقت زيدا في الحرب
وقد عدي صدق هنا بتعدي بحرف الجر واصله ذلك ثم يتسع فيه فيحذف
الجر ويصل الفعل بنفسه ومنه قولهم في المثل صدقني سن بكره اي في سن
بكره

نكرة فما عاهدوا اما على اسقاط الحرف اي فيما عاهدوا او المفعول الاول محذوف والتقدير
صدقوا الله واما ان يكون صدق يتعدى الى واحد كما تقول صدقني اخوك اذا قال
له الصدق وكذبني اخوك اذا قال لك الكذب فكان المعاهد عليه مصدوقا
مجازا كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه فلو كانوا
ناكثين لكذبوه وكان مكذوبا وهولاء الرجال قال مقاتل والكلبي هم اهل العقبة
السبعون اهل البيعة وقال انس نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا فعاهدوا
ان لا يتاخروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوفوا وقال يزيد بن رومان
بنو حارثة فمنهم من قضى نحبه قال ابن عباس نحبه موته وقال الحسن
مات على ما عاهد وقيل الشهداء انس بن النضر ومن استشهد في ذات
الله تعالى ويقال لمن مات قضى نحبه اي عهده وقال ابو عبيدة نذره وقال
الزمخشري فمنهم من خرج الى الغزو فقضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاه
بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة الموصوف
بقضاء نحبه جماعة من الصحابة وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهدا
منهم والعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سيل
من الذين قضى نحبهم فنص عليه وجميع هذا القول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومنهم من ينتظر اذ فسر قضى النحب بالشهادة كان التقدير
ومنهم من ينتظر الشهادة واذا فسر بالوفا لعهود الاسلام كان التقدير ومنهم
من ينتظر الحصول في اعلا مراتب الايمان والصلاح وقال مجاهد ينتظر يوما
فيه جهاد فيقضي نحبه وما بدلوا الا المستشهدون ولا من ينتظر وقد ثبت
طلحة يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب لطلحة وفيه
تعريض لمن بدل من المنافقين حين ولوا الادبار وقد كانوا عاهدوا لا يولون
الادبار ليجزي الله الصادقين اي الذين صدقوا واعداوهم بخيس فكيف يصح تعليقه
على المشية وهو قد شا تعذيبهم اذا ماتوا على النفاق وقال ابن عطية تعذيب
المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة
موازنة لتلك الاقامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان
اقامة على نفاق او توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب او رحمة فذكر
تعالى على جهة الايجاز واحدة من هاتين وواحدة من هاتين ودل ما ذكر
على ما ترك ذكره ويدلك على ان المعنى كقوله ليعذب لبدومهم على النفاق قوله
ان شا ومعادلته بالتوبة وحرف او انتهى وكان ما ذكر الى ان التقدير
ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه ان شا فيعذبهم او يتوب عليهم فيرحمهم
فحذف سبب التعذيب واثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو
الرحمة والغفران وهذا من الايجاز الحسن وقال الزمخشري ويعذبهم
ان شا اذا لم يتوبوا ويتوب عليهم اذا تابوا انتهى ولا يجوز تعليق عذابهم
اذا لم يتوبوا بمشيته لانه تعالى قد شا ذلك واخبر انه يعذب
المنافقين حتما لا محالة واللام في ليجزي قيل لام الصيرورة وقيل لام
التعليل وقيل تتعلق بقوله وما بدلوا تبديلا وقال الزمخشري
جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم

بالجنة منهم اي من حصل
في هذه المرتبة ممن هو

كما صدق الصادقون بعاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين سوق الى عاقبته من
الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما فقال السدي يعني
ان شاء يميتهم على نفاقهم او يتوب عليهم ان شاء بنقلهم من النفاق الى
الايمان وقيل يعذبهم في الدنيا ان شاء ويتوب عليهم ان شاء ان الله كان غفورا
للمؤمنين رحيما بقبول التوبة ورد الله الذين كفروا الاحزاب من المدينة والمؤمنين
الى بلادهم بغيظهم اي متغيظين فهو حال والباء للمصاحبة ولم ينالوا خيرا ثانية
او من الضمير في بغيظهم فيكون حالا متداخلة وقال الزمخشري ويجوز ان تكون
الثانية بيانا للاولى او استئنافا انتهى والاظهر كونه بيانا للاولى دون الاستئناف
لانها تنبي على العلة مما قبلها وكفى الله المؤمنين القتال بارسال الريح والجنود هم
الملائكة فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار وقيل المراد علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه وقوم معه برزوا للقتال ودعوا اليه وقتل علي
كرم الله وجهه من الكفار عمرو بن عبد ود مبارزة حين طلبهم المبارزة
نحو علي فقال اني لا اود ان اقتلك نعمة لابيك فقال لكني اود ان اقتلك
فقتله علي مبارزته واقتحم نوفل بن الحارث فرمى الخندق بفرسه فقتل
فيه وقتل من الكفار ايضا منبه بن عثمان او عبيد بن السباق واستشهد
من المسلمين في غزوة الخندق سعد بن معاذ وانس بن اوس بن عتيك
وعبد الله بن سهيل وابو عمرو من بني عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبة
ابن عنمة وهما من بني سلمة وكعب بن زيد من بني دينار بن النجار
اصابه سهم غرب فقتله ولم تغز قريش المسلمين بعد الخندق وكفى الله مداومة
القتال وعونه بان هزموا بعيره ذكر بقوته وعزته سبحانه وتعالى وعن ابي
سعيد الخدري حبسنا يوم الخندق فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا
العشاء حتى كان بعد هوي من الليل كفينا وانزل الله وكفى الله المؤمنين
القتال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام وصلى ثم كذلك كل صلاة
باقامة وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا قريشا ومن معهم من الاحزاب
من اهل الكتاب هم يهود بني قريظة في قول الجمهور وعن
الحسن بنو النضير وقذف الرعب سبب انزالهم ولكنه قدم لما كان
السرور بانزالهم اكثر والاخبار به اهم قدم وقال رجل يا رسول الله [illegible]
العلو على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج فقال ذاك جبريل بعث الى بني قريظة
يزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم ولما رجعت الاحزاب جاء جبريل الى
الظهر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يامرك بالخروج الى بني قريظة
فنادى في الناس لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فخرجوا اليها فصلى في
الطريق من راى ان ذلك على وجه التاكيد والاستعجال ومنهم من صلى بعد
العشاء وكل مصيب فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة وقيل احدى وعشرين وقيل
خمس عشرة فنزلوا على حكم سعد بن معاذ الاوسي رضي الله عنه حلفا كان بينهم
رجوا رضوه عليهم فحكم ان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والعيال والاموال وان تكون
الارض والثمار للمهاجرين دون الانصار فقالت له الانصار في ذلك فقال اردت
ان تكون لهم اموال كما لكم اموال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم

بحكم

بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق لهم في سوق المدينة
وقدمهم وضرب اعناقهم وهم ما بين ثمان مائة الى تسع مائة وقيل كانوا
ستمائة مقاتل وسبع مائة اسير وحيي بن اخطب النضري وهو الذي
كان ادخلهم الى الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عندهم وفاء لهم
فنزل فيمن نزل على حكم سعد فلما قرب وعليه حلة تفاحية
مجموعة يداه الى عنقه بحبل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله يا محمد
ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال يا ايها الناس
انه لا باس بامر الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم تقدم فضرب عنقه
فقال فيه بعض بني ثعلبة

لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وقتل من نسائهم امراة وهي نباتة امراة الحكم القرظي كانت قد طرحت
الرحى على خلاد بن سويد فقتلته ولم يستشهد في حصار بني قريظة غيره
ومات في الحصار ابو سنان بن محصن اخو عكاشة بن محصن وكان
فتح قريظة في اخر ذي الحجة سنة خمس من الهجرة
الجمهور وتاسرون بتاء الخطاب وقرا السلمي وابو حيوة فيهما واليماني
بياء الغيبة وابن انس عن ابن ذكوان بتاء الغيبة في تقتلون وتاسرون
واورثكم فيه اسناد اليهم بعد موت اولئك المقتولين ومنه
نقلهم ارضهم وقدمت لكثرة المنتفعة بها من النخل والزرع ولانهم باستيلاء
عليها تمكنوا من اموالهم يستعانون بها في قوة المسلمين للجهاد ولانها كانت
في بيوتهم فوقع الاستيلاء عليها ثانيا وارضا لم تطؤوها وعد صادق في فتح البلاد
كالعراق والشام واليمن ومكة وسائر فتوح المسلمين وقال عكرمة اخبر تعالى انه
قضى بذلك وقال الحسن اراد الروم وفارس وقال قتادة كنا نتحدث انها
مكة وقال مقاتل ويزيد بن رومان وابن زيد هي خيبر وقيل اليمن ولا وجه
لهذه التخصيصات ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم وقرا الجمهور
تطؤوها بهمزة مضمومة بعدها واو وقرا زيد بن علي لم تطوها بحذف الهمزة
ابدل الهمزة الفا على حد قول الشاعر

ان السباع لتهدي في مرابضها ... والناس لا يهتدي من شرهم ابدا

فالتقت ساكنة مع الواو فحذفت كقولك لم تروها وختم تعالى هذه الاية
بقدرته على كل شيء فلا يعجزه شيء وكان في ذلك اشارة الى فتحه الله على المسلمين
الفتوح الكثيرة وانه لا تستبعد ذلك فلما ملكهم هذه فالذي هو قادر على ان يملكهم
غيرها من البلاد فقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا
نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبي لستن كاحد

بهم

من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة
واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان
لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات
والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين
والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما سبب نزولها ان ازواجه صلى الله
عليه وسلم تغايرن واردن زيادة في كسوة ونفقة فنزلت ولما نصر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم وفرق عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن ازواجه
انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى
وقيصر في الحلي والحلل والاماء والخول ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق
ولكن قلبه بمطالبتهن بتوسعة الحال وان يعاملهن بما يعامل به الملوك والاكابر
ازواجهم فامره الله تعالى ان يتلو عليهن ما نزل في امرهن وازواجه
اذ ذاك تسع عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان
وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت امية هؤلاء من قريش ومن غير قريش
ميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية
بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وقال ابو القاسم
الصيرفي لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار
الآخرة وامر بتخيير نسائه الا الخيرية وروي انه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة
وبدا بها وكانت احب اليه اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري
ابويك ثم قرا عليها القرآن فقالت افي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله
والدار الآخرة لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا
والظاهر انه لو اخترن الحياة الدنيا وزينتها لمتعهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وطلقهن وانه ليس باختيارهن ذلك يقع الفراق دون ان يوقعه وقال
الاكثرون هي آية تخيير فاذا قال لها اختاري فاختارت زوجها لم يكن ذلك
طلاقا وعن علي رضي الله عنه تكون واحدة رجعية وان اختارت نفسها وقعت
طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه وهو قول علي وواحدة رجعية عند الشافعي
وهو قول عمر وابن مسعود وثلاث عند مالك واكثر الناس ذهب الى ان الآية
في التخيير والطلاق وقال بعضهم في الآية تخييرهن بين الدنيا والآخرة لا تخيير
في الطلاق وهو عن الحسن وقتادة قال وهذا القائل وانما امر الطلاق
مرجى فان اخترن انفسهن نظر هو كيف يسرحهن وليس فيها تخيير في الطلاق
لان التخيير يتضمن ثلاث تطليقات وهو قد قال واسرحكن سراحا جميلا
وليس مع بت الطلاق سراح جميل انتهى والذي يدل عليه ظاهر الآية هو
ما ذكرناه اولا من انه علق على ارادتهن زينة الحياة الدنيا وقوع التمتيع
والتسريح منه والمعنى في الآية ان كان عظيم همكن ومطلبكن التعمق في الدنيا ونيل نعيمها

وزينتها

وزينتها وتقدم الكلام في تعالين في قوله تعالى تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم في آل عمران
امتعكن قيل المتعة واجبة في الطلاق وقيل مندوب اليها والامر في قوله ومتعوهن
يقتضي الوجوب في مذهب الفقهاء وتقدم الكلام في ذلك وفي تفصيل المذاهب
في البقرة والتسريح الجميل اما في دون البت او جميل الثناء ان تعتقد وحسن العشرة
ان كان تاما وقرا الجمهور امتعكن بالتشديد من متع وزيد بن علي بالتخفيف
من امتع ومعنى اعد هيأ ويسر ووضع الظاهر تنبيها على الوصف الذي ترتب
لهن به الاجر العظيم وهو الاحسان ولو انه قال اعد لكن لان من اراد الله
ورسوله والدار الآخرة كان محسنا وقرا حميد الخراز امتعكن واسرحكن بالرفع
على الاستئناف وقرا الجمهور بالجزم على جواب الامر او على جواب الشرط
ويكون فتعالين جملة اعتراض بين الشرط وجوابه ولا يضر دخول الفاء على
جملة الاعتراض ومثل ذلك قول الشاعر واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف
يأتي كل ما قدرا ثم نادى نساء النبي ليجعلن بالهن مما يلقى به اذا كان
امرا تحمل له الاهال وقرا زيد بن علي والجحدري وعمرو بن فائد الاسواري
ويعقوب من تأت بالتاء من فوق حملا على معنى من والجمهور حملا على لفظ من
بفاحشة مبينة كبيرة من المعاصي ولا يتوهم انه الزنا لعصمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك ولانه وصفها بالتبيين والزنا مما يتستر به وينبغي
ان تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته ولما كان مكانهن
مهبط الوحي من الاوامر والنواهي لزمهن بسبب ذلك وكونهن
تحت الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف
لهن الاجر والثواب وقرا نافع وحمزة وعاصم والكسائي يضاعف
بالالف وفتح العين والحسن وعيسى وابو عمرو بالتشديد وفتح العين
والجحدري وابن كثير وابن عامر بالنون وشد العين مكسورة وزيد
بن علي وابن محيصن وخارجة عن ابي عمرو بالالف والنون والكسر وفرقة
بياء الغيبة والالف ومن فتح العين رفع العذاب ومن كسرها نصبه
ضعفين اي عذابين فيضاعف الى العذاب سائر الناس عذاب
آخر فقال ابو عبيدة وابو عمرو فيما حكى الطبري عنهما انه يضاعف
الى العذاب عذابان فيكون ثلاثة وكون الاجر مرتين يبعد هذا القول لان
العذاب في الفاحشة بازاء الاجر في الطاعة وكان ذلك اي تضعيف
العذاب عليهن مرتين على الله يسيرا اي سهلا وفيه اعلام بان
كونهن من نسائه مع مقارفة الذنب لا يغني عنهن شيئا وهو يغني عنهن
وهو سبب مضاعفة العذاب ومن يقنت اي يطع ويخضع بالعبو دية
لله تعالى وبالموافقة لرسوله صلى الله عليه وسلم وقرا الجمهور ومن
يقنت بالياء المذكر حملا على لفظ من وتعمل بالتاء حملا على المعنى نؤتها بالنون
للعظمة وقرا الجحدري والاسواري ويعقوب ومن تقنت بتاء
التأنيث حملا على المعنى وبها قرا ابن عامر في رواية ورواها ابو
حاتم عن ابي جعفر وشيبة ونافع وقال ابن خالويه ما سمعت ان احدا
قرا ومن تقنت الا بالياء وقرا السلمي وابن وثاب

وحمزة والكسائي بياء من تحت في ثلاثتها وذكر ابو البقاء ان بعضهم قرأ ومن
يقنت منكن بالتاء حملا على المعنى ونقل بالتاء حملا على لفظ من فقال بعض النحويين هذا
ضعيف لان التذكير لا يحمل على التانيث وما علله به قد جاء مثله في القرآن وهو
قوله تعالى خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا انتهى وتقدم الكلام على
خالصة في الانعام والرزق الكريم الجنة قال ابن عطية ويجوز ان يكون في الامر
في ذلك وعد دنيا اي ان رزقها في الدنيا على الله وهو كريم من حيث هو حلال
وقصد وبرضى من الله في نيله وقال بعض المتاولين المفسرين العذاب الذي توعد
به ضعفين هو عذاب الدنيا ثم عذاب الاخرة وكذلك الاجر وهذا ضعيف
انتهى وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة والتوفر على عبادة الله تعالى
يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اي كل واحدة منكن كشخص واحد
من النساء اي من نساء عصركن ولستن في النفي متساويات في التشبيه في
كونهن نسوة تقول ليس فلان كاحاد الناس لا تريد نفي التشبيه في
كونه انسانا بل في وصف اخص موجود فيه وهو كونه عالما او عاملا او
متسلما فالمعنى انه يوجد فيكن من التميز ما لا يوجد في غيركن وهو كونكن
امهات المؤمنين وزوجات خير المرسلين ونزل القرآن في بيوتكن
فكان صلى الله عليه وسلم ليس كاحد من الرجال كما قال عليه الصلاة والسلام
لست كاحدكم كذلك زوجاته اللاتي تشرفن به وقال الزمخشري احد
في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه
المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن
جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة
واحدة تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين انتهى اما قوله احد
في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد فصحيح واما قوله ثم وضع الى قوله
وما وراءه فليس بصحيح لان الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير
مخصوص بمن يعقل وان واحدا ينطلق على كل شيء اتصف
بالوحدة واحد المستعمل في النفي العام مخصوص بمن يعقل وذكر
النحويون ان مادته همزة وحاء ودال ومادة احد بمعنى واحد اصله
واو وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولا واما قوله لستن كجماعة واحدة
فقد قلنا ان قوله لستن معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على
كل واحدة ليس حكما على المجموع من حيث هو مجموع وقلنا ان المعنى
كاحد كشخص واحد فابقينا احدا على موضوعه من التذكير ولم نتأوله بجماعة واحدة
واما ولم يفرقوا بين احد منهم فاحتمل ان يكون الذي للنفي العام ولذلك جاء في سياق
النفي فعم وصحت البينية للعموم واحتمل ان يكون احد بمعنى واحد ويكون قد حذف
معطوف اي بين واحد وواحد من رسله كما قال الشاعر

فما كان بين الخير لو جاء سالما ... ابو حجر الا ليال قلائل

اي

اي لستن مثلهن ان اتقيتن الله وذلك لما انضاف من تقوى من صحبة الرسول صلى الله عليه
وسلم وعظم المحرمة ونزول القرآن في بيوتهن وفي حقهن وقال الزمخشري ان اتقيتن
ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا
اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة
وفجور انتهى فعلى القول الاول يكون ان اتقيتن قيدا في كونهن لسن كاحد من النساء
ويكون جواب الشرط محذوفا وعلى ما قاله الزمخشري يكون ان اتقيتن ابتداء
شرط وجوابه فلا تخضعن وكلا القولين فيه حمل ان اتقيتن على تقوى الله
وهو ظاهر الاستعمال وعندي انه يجوز ان يكون معناه ان استقبلتن احدا فلا تخضعن
واتقى بمعنى استقبل في اللغة وقال النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

اي استقبلتنا باليد ويكون هذا المعنى ابلغ في مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على
التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات لله تعالى في انفسهن والتعليق
يقتضي ظاهره انهن لسن متحليات بالتقوى بمعنى قال ابن عباس لا ترخصن بالقول وقال
الحسن لا تكلمن بالرفث وقال الكلبي لا تكلمن بما يهوى المريب وقال ابن زيد
الخضوع بالقول ما يدخل في القلوب الغزل وقيل الامر بالقول للرجال امر ان تعالى ان
يكون الكلام خيرا لا على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت
الحال عليه نساء العرب من مكالمة الرجال برخيم الصوت ولينه مثل كلام المومسات
فنهاهن عن ذلك وقال الشاعر يحكي او يستطيع كلامه لدنت له اروى الهضاب الصخد

لو انها عرضت لاشمط راهب ... عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ... ولخاله رشدا وان لم يرشد

وقرا الجمهور فيطمع بفتح الميم ونصب العين جوابا للنهي وابان بن عثمان وابن هرمز بالجزم
فكسرت العين لالتقاء الساكنين نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن
الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا تطمع وقراءة النصب ابلغ لانها تقتضي الخضوع بسبب الطمع
وقال ابو عمرو الداني قرأ الاعرج وعيسى فيطمع بفتح الياء وكسر الميم ونقلها ابن خالويه
عن ابن السميفع قال وقد روي عن ابن محيصن وذكر ان الاعرج وهو ابن هرمز
قرأ فيطمع بضم الياء وفتح العين وكسر الميم اي فيطمع هو اي الخضوع بالقول والذي
مفعول والذي فاعل والمفعول محذوف اي فيطمع نفسه والمريض قال قتادة المنافق
وقال عكرمة الفسق والغزل وقلن قولا معروفا وهو الذي لا ينكره الشريعة ولا النفوس
قال الحصكفي المراة تندب اذا خاطبت الاجانب والمحرم عليها بالمصاهرة الى الغلظة
في القول من غير رفع الصوت فانها مامورة بخفض الكلام وقال الكلبي معروفا صحيحا
بلا هجر ولا تمريض وقال الضحاك عنيفا وقيل حسنا وقيل معروفا اي قولا اذن لكم فيه
وقيل ذكر الله وما يحتاج اليه من الكلام وقرا الجمهور وقرن بكسر القاف من وقر
يقر اذا سكن واصله اوقرن مثل عدن من وعد وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب
التبيان وجها وقار يقال اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل
والديش اجتمعوا فكونوا قارة فالمعنى اجمعن انفسكن في بيوتكن وقرن امرا من قار
كما تقول خفن من خاف او من القرار تقول قررت بالمكان واصله واقررن حذفت
الراء الثانية تخفيفا كما حذفوا اللام في ظللت ثم نقلت حركتها الى القاف فذهبت الف الوصل

وقال ابو علي ابدلت الراو ونقلت حركتها الى القاف ثم حذفت الياء لسكونها وسكون الراء بعدها انتهى وهذا
غاية في التمحل كعادته وقرا عاصم ونافع بفتح القاف وهي لغة العرب يقولون قررت بالمكان
بكسر الراء اقر بفتح القاف حكاه ابو عبيدة والزجاج وغيرهما وانكرها قوم منهم المازني وقالوا
بكسر الراء من قر العين وبفتحها من القرار وقرا ابن ابي عبلة واقررن بالوصل وكسر الراء
الاولى وتقدم لنا الكلام على اقررت وانه بالفتح والكسر من القرار ومن القراءة امرهن تعالى
بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج واعلم انه فعل الجاهلية الاولى وكانت عائشة
اذا قرات هذه الاية بكت حتى تبل خمارها فتذكر خروجها ايام الجمل تطلب بدم عثمان
وقيل لسودة الا تحجين وتعتمرين كما يفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرني
الله تعالى ان اقر في بيتي فما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت جنازتها رضي الله تعالى
عنها ولا تبرجن قال مجاهد وقتادة التبرج التبختر والتغنج والتكسر وقال قتادة تمشي
الحمارى في وجهها ولا تشده وقال التبرج ان تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره والجاهلية
الاولى تدل على جاهلية متقدمة واخرى متاخرة فقيل هما اثنان لادم سكن احدهما
الجبل فذكور اولاده صباح واناثهم قباح والاخر السهل واولاده على عكس ذلك فسوى لهم
ابليس عيدا يجتمع فيه جميعهم فبرز الذكور للجبل الى اناث السهل وبالعكس فكثرت
الفاحشة فهو تبرج الجاهلية الاولى وقال عكرمة والحكم بن عتيبة ما بين ادم ونوح
عليه السلام وهي ثمان مائة سنة كان الرجال صباحا والنساء قباحا فكانت المراة تدعو
الرجل الى نفسها وقال ابن عباس ايضا الجاهلية الاولى ما بين ادريس ونوح عليهما
السلام كانت الفتنة تجمع المراة بين زوج وعشيق وقال الكلبي ما بين نوح
وابراهيم عليهما السلام وقال مقاتل كانت زمن نمرود وكن يلبسن ارق الدروع
ويمشين في الطرق وقال الزمخشري والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها
الجاهلية الجهلاء وهي الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس
الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقال ابو العالية
زمن داود وسليمان كان للمراة قميص من الدر غير مخيط الجانبين تنظر منه الاعكان
والسوءات وقال المبرد كانت المراة تجمع بين زوجها وخلها للزوج نصفها
الاسفل وللخل نصفها يتمتع به في التقبيل والترشف وقيل ما بين موسى
وعيسى وقال الشعبي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام قبل ان يبعث وقال
الزجاج الاشبه قول الشعبي لانهم هم الجاهلية المعروفون كانوا يتخذون البغايا
وانما قيل الاولى لانه يقال لكل متقدم ومتقدمة اول واولى وتاويله انهم تقدموا
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عمر لابن عباس وهل كانت الجاهلية الا واحدة
فقال ابن عباس وهل كانت الاولى الا ولها اخرى فقال عمر لله درك يا ابن عباس وقال
الزمخشري والجاهلية الاخرى ما بين محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام
ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا يحدثن بالتبرج الجاهلية
في الاسلام يتشبهن بها اهل الجاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية
كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر انتهى والمعروف في الحديث انه عليه
السلام انما قال انك امرؤ فيك جاهلية لابي ذر رضي الله تعالى عنه

وقال

وقال ابن عطية والذي يظهر عندي انه اشار الى الجاهلية التي لحقنها فامرن بالنقلة عن سيرتهن
فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكان امر النساء
دون حجبة وجعلها اولى بالاضافة الى حالة الاسلام وليس المعنى ان ثم جاهلية اخرى
وقد مر اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي في الشعراء وقال
ابن عباس سمعت اي في الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي
الى غير هذا انتهى واقمن الصلاة امرهن امرا خاصا بالصلاة والزكاة اذ هما عمود
الطاعات البدنية والمالية ثم جاء بها في جميع الامر بالطاعة ثم بين ان نهيهن وامرهن
ووعظهن انما هو لاذهاب الماثم عنهن وتصونهن بالتقوى واستعار الرجس
للذنوب والطهر للتقوى لان عرض المقترف للمعاصي يدنس بها ويتلوث بدنها الانجاس
واما الطاعات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة تنفير عن
ما نهى الله تعالى عنه وترغيب فيما امر الله تعالى به والرجس يقع على الاثم والعذاب
وعلى النجاسة وعلى النقائص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت وقال الحسن
الرجس الشرك وقال السدي الاثم وقال ابن زيد الشيطان وقال الزجاج الفسق
وقيل المعاصي كلها ذكره الماوردي وقيل الشك وقيل البخل والطمع وقيل الاهواء
والبدع وانتصب اهل على النداء وعلى المدح او على الاختصاص وهو قليل في المخاطب
ومنه بك الله نرجو الفضل واكثر ما يكون في المتكلم وقوله
نحن بنات طارق نمشي على النمارق ولما كان اهل البيت يشمله واياهن غلب
المذكر على المؤنث في الخطاب عنكم ويطهركم وقول عكرمة ومقاتل وابن السائب ان
اهل البيت في هذه الاية مختص بزوجاته عليه الصلاة والسلام ليس بجيد اذ لو كان
كما قالوا لكان التركيب عنكن ويطهركن وان كان هذا القول مرويا عن ابن عباس فلعله
لا يصح عنه وقال ابو سعيد الخدري هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة
والحسن والحسين وروي نحوه عن انس وعائشة وام سلمة وقال الضحاك
هم اهله وازواجه وقال زيد بن ارقم والثعلبي بنو هاشم الذين يحرمون الصدقة
ال عباس وال علي وال عقيل وال جعفر ويظهر انهم زوجاته واهله فلا تخرج الزوجات
عن اهل البيت بل يظهر انهن احق بهذا الاسم لملازمتهن بيته صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عطية والذي يظهر ان زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة فاهل البيت
زوجاته وبنته وابوها وزوجها وقال الزمخشري وهذا دليل بين على ان نساء
النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين
ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هما ايات بينات تدل على صدق
النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا
حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن
يصلح ان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام جامعا بين الوصفين انتهى واتصال
واذكرن بما قبله يدل على انهن من اهل البيت ولكن لم يرد فيه وقال [illegible]
مخاطبة واذكرن اما بمعنى تفطن وتذكرنه بقلوبكن واذكرنه حتى يتلى ومن
ايات الله هو القران والحكمة هو ما كان من حديثه وسنته صلى الله عليه وسلم غير
القران ويحتمل ان يكون وصفا للايات وفي قوله لطيفا خبيرا تليين وفي خبيرا تحذير
ما وقرا زيد بن علي ما يتلى بتاء التانيث والجمهور بالياء وروي ان نساء

الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله تعالى الرجال في القرآن ولم يذكرنا وقيل
السائلة أم سلمة وقيل لما نزل في نسائه ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا
فنزلت إن المسلمين والمسلمات الآية وهذه الأوصاف العشرة تقدم شرحها
فبدأ أولا بالانقياد والظاهر ثم بالتصديق ثم بالأوصاف التي
تندرج في الإسلام وهو الانقياد وفي الإيمان وهو التصديق
ختمها بالحالة المراقبة وهي ذكر الله كثيرا ولم تذكر لهذه الأوصاف
متعلقا إلا في قوله تعالى فروجهم والذاكرين الله نص على متعلق
الحفظ لكونه منزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة ونص على متعلق
الذكر بالاسم الأعظم وهو لفظ الله المحتوي إذ هو العلم المحتوي على جميع
أوصافه ليتذكر المسلم من يذكره وهو الله تعالى وحذف من الحافظات
والذاكرات المفعول لدلالة ما تقدم والتقدير والحافظاتها والذاكراته
أعد لهم غلب المذكر في جمع الإناث وضميرهم وأدرجهن في الضمير وبريات
التركيب له قوله قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله
ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت
عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله
مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا
قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون
رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان
محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء
عليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو
الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان
بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر
المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين
ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا قال الجمهور ابن عباس وقتادة
ومجاهد وغيرهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد زينب بنت جحش فأبت
وقالت لست بناكحته فقال بلى فانكحيه فقد رضيته لك فنزلت وذكر أنها وأخاها
عبد الله كرها ذلك فلما نزلت الآية رضيا وقال ابن زيد وهبت أم كلثوم بنت
عقبة بن أبي معيط وهي أول امرأة هاجرت للنبي صلى الله عليه وسلم نفسها
فقال قد قبلتك وزوجك زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا إنما
أردناه فزوجنا عبده فنزلت والسبب الأول أصح ومناسبة هذه الآية أنه لما
ذكر تلك الأوصاف السابقة من الإسلام فما بعده عقب ذلك بما صدر من
بعض المسلمين إذ أشار عليه السلام بأمر ووقع منهم الإباء فأنكر عليهم إذ طاعته
صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تعالى وامتثال أمره من امتثال أمره والخيرة مصدر من
تخير على غير قياس كالطيرة من تطير وقرئ بسكون الياء ذكره عيسى بن

سليمان

سليمان وقرأ الكوفيون والحسن والأعمش والسلمي بالياء ولما كان قوله
لمؤمن ولا مؤمنة يعم في سياق النفي جاء الضمير مجموعا على المعنى في قوله لهم مغلبا فيه
المذكر على المؤنث وقال الزمخشري كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءني من رجل
ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا قلت ليس كما ذكر لأن هذا عطف بالواو فلا
يجوز إفراد الضمير إلا على تأويل الحذف أي ما جاءني من رجل إلا كان من شأنه
كذا وتقول ما جاء زيد ولا عمرو إلا ضربا خالدا ولا يجوز الإفراد إلا على الحذف
كما قلنا وإذ تقول الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والذي أنعم الله عليه
بالإسلام وهو أجل النعم هو زيد بن حارثة الذي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم تبناه وأنعمت عليه وهو عتقه وتقدم طرف من قصته في أوائل
السورة أمسك عليك زوجك وهي زينب بنت جحش وتقدم أن الرسول عليه
السلام كان خطبها له وقيل أنعم الله عليه بصحبتك ومودتك وأنعمت عليه
بتبنيه فجاء زيد فقال يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال عليه
السلام أرابك منها شيء قال لا والله ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني
بلسانها فقال أمسك عليك زوجك أي لا تطلقها وهو أمر ندب واتق الله أي في
معاشرتها فطلقها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها
وعلل تزويجه إياها بقوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ان لا يتزوجوا زوجات
من كانوا تبنوهم إذا فارقوهن وأن هؤلاء الزوجات لسن داخلات فيما حرم
في قوله تعالى وحلائل أبنائكم وقال علي بن الحسين كان قد أوحى الله تعالى
إليه أن زيدا سيطلقها وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما شكا زيد خلقها
وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له أمسك عليك زوجك واتق الله
على طريق الأدب والوصية وهو يعلم أنه سيطلقها وهذا هو الذي
أخفى في نفسه ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم من أنه سيطلقها وخشي رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو
مولاه وقد أمره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر في شيء قد أباحه الله تعالى
بأن قال أمسك مع علمه أنه يطلق وأعلمه أن الله أحق بالخشية أي في كل حال
انتهى وهذا المروي عن علي بن الحسين هو الذي عليه أهل التحقيق من
المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقشيري والقاضي أبي بكر بن
العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس إنما هو إرجاف المنافقين
في تزويج نساء الأبناء والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في حركاته
وسكناته ولبعض المفسرين كلام في الآية يقتضي النقص من منصب
النبوة أضربنا عنه صفحا وقيل فقوله واتق الله وتخفي في نفسك
ما الله مبديه خطاب من الله عز وجل ومن النبي صلى الله عليه وسلم لزيد
فإنه أخفى الميل إليها وأظهر الرغبة عنها لما توهم أن الرسول صلى الله
عليه وسلم تكون من نسائه انتهى وللزمخشري في هذه الآية كلام طويل
وبعضه لا يليق ذكره بما فيه غير صواب مما جرى فيه على مذهب الاعتزال
وغيره واحترزت منه بالتنبيه قال كم من شيء يتحفظ منه الإنسان
ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح حلال ومتسع مطلق

لامقال فيه ولاعيب عند الله تعالى وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى
حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير
من الناس في السلام الامن اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقايق الاشيا
ولبابها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مستوامرين نكرين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحيا يصده
ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم
ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل
لان طموح قلب الانسان الى بعض مستشهياته من امراة وغيرها غير
موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح الشرعي بالطريق الشرعي
ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها
ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته لـ
صديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار
بكل شي حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر
فاذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة
بزيد ولا باحد كان مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين
الى ما ذكر الله تعالى من المصلحة العامة في قوله لكي لا يكون الاية انتهى ما اقتربناه
من كلام الزمخشري وقوله امسك عليك فيه وصول الفعل الرافع الضمير المتصل
الى الضمير المجرور وهما لشخص واحد فهو كقوله هون عليك ودع عنك نهبا صيح
في حجراته وذهب واما في مثل هذا التركيب ان على وعن اسمان ولا يجوز ان تكونا حرفين
لامتناع فكر فيك واعني بك بل هذا مما تكون فيه النفس اي فكر في نفسك واعني
بنفسك وقد تكلمنا على هذا في قوله تعالى وهزي اليك واضمم اليك هنا نكد وقال
الحوفي وتخفي في نفسك مستانف وتخشى معطوف على وتخفي وقال الزمخشري
واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها
وتخفي خاشيا قالة الناس او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك
واخفاء خلافه وخشية الناس انتهى ولا يكون وتخفي حالا الا على اضمار مبتدا اي
وانت تخفي لانه مضارع مثبت فلا تدخل عليه الواو والا على ذلك الاضمار وهو
مع ذلك قليل نادر ولا تنبني على مثله القواعد ومنه قولهم قمت واصك عينه
اي وانا اصك عينه والله احق ان تخشاه تقدم اعراب نظيره في التوبة فلما
قضى زيد منها وطرا اي حاجة قيل هو الجماع قاله ابن عباس وروى
ابو عصمة نوح بن ابي مريم باسناد رفعه الى زينب انها قالت
ما لبثت استنهضته عنين ان الله تعالى شقني منه وقيل انه مذ تزوجها
لم يتمكن من الاستمتاع بها وروي انه كان يتورم ذكره منه حين اراد
ان يقربها وقال قتادة الوطر هنا الطلاق وقرا الجمهور زوجناكها
بنون العظمة وجعفر بن محمد وابن الحنفية واخواه الحسن والحسين

وابوهم

وابوهم علي رضي الله تعالى عنهم زوجتكها بتاء الضمير للمتكلم ونفى تعالى الحرج
عن المومنين في اجرا ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن
عليهم بعد انقطاع علايق الزواج بينهم وبينهن وكان امر الله مفعولا
قال ابن عطية والامر الذي يراد بالامر القديم لا يوصف بانه مفعول ويحتمل على بعد ان يكون
الامر واحد الامور التي شانها ان تفعل وقال الزمخشري وكان امر الله الذي يريد
ان يكون مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب ويجوز ان يراد بامر الله تعالى المكون لانه مفعول
بكن وكما نفى الحرج بخصوصه وذلك على سبيل التكريم والتشريف ونفى الحرج
عنه مرتين احداهما بالاندراج في العموم والاخرى بالخصوص فيما فرض الله
له قال الحسن فيما خصه الله به من صحة النكاح بلا صداق وقال قتادة فيما احل
له وقال الضحاك في الزيادة على الاربع وكانت اليهود عابوه بكثرة النكاح
فرد الله تعالى عليهم بقوله سنة الله اي في الانبيا بكثرة النسا حتى كان
لسليمان عليه السلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امراة
وثلثمائة سرية ونبه بالاشارة الى ان الرسول عليه السلام جمع بينه وبين
زينب كما جمع بين داود وبين التي تزوجها بعد قتل زوجها وانتصب
سنة الله على انه اسم موضوع موضع المصدر قاله الزمخشري اوعلى
المصدر او على انه اغرا فعل تقديره الزم او نحوه او على الاغرا كانه قال فعليه
سنة الله قاله ابن عطية وقوله على الاغرا ليس بجيد لان عامل الاسم
في الاغرا لا يجوز حذفه وايضا تقديره فعليه سنة الله بضمير الغايب لا يجوز
ذلك في الاغرا الا شذوذا وما جا من قولهم عليه رجلا ليسني له تاويل
وهو مع ذلك نادر والذين خلوا الانبيا بدليل وصفهم بعد بقوله
الذين يبلغون رسالات وكان امر الله اي ماموراته والكاينات عن امره
فهي مقدرة وقوله قدرا اي ذا قدر او قضيا مقضيا وحكما مبتوتا
والذين صفة للذين خلوا مرفوع او منصوب على اضمارهم او على امدح
وقرا عبد الله الذين بلغوا جعله فعلا ماضيا وقرا ابي رسالة
الله على التوحيد والجمهور يبلغون ورسالات جمعا وكفى بالله حسيبا
اي محاسبا على جميع الاعمال والعقايد او محسبا اي كافيا ثم نفى تعالى
كون رسوله ابا احد من رجالهم بينه وبين من تبناه من حرمة الصهر
والنكاح مما يثبت بين الاب وولده هذا مقصود هذه الجملة وليس
المقصود انه لم يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج في امر بنيه بانهم كانوا
ماتوا او لا في امر الحسن والحسين بانهما كانا طفلين واضافة رجالكم
الى ضمير المخاطبين يخرج من كان من بنيه لانهم رجاله لا رجال المخاطبين
وقرا الجمهور ولكن رسول الله وخاتم النبيين على تخفيف لكن ونصب
رسول على اضمار كان لدلالة كان المتقدمة عليه قيل او على
العطف على ابا احد وقرا عبد الوارث عن ابي عمرو بالتشديد
والنصب على انه خبر لكن والخبر محذوف تقديره ولكن رسول الله
وخاتم النبيين هو اي محمد صلى الله عليه وسلم وحذف خبر لكن واخواتها

جائز اذ ذاك عليه الدليل وبها جانى كيف قوله ۞ فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا غليظ المشافر
اي انت لا تعرف قرابتي وقرأ زيد بن علي وابن ابي عبلة بالتخفيف ورفع رسول
وخاتم اي ولكن هو رسول الله كما قال ۞ ولست الشاعر السفساف فيهم
ولكن مدرة الحرب العوان ۞ اي ولكن هو مدره وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التا
بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم وروي عنه صلى الله عليه وسلم الفاظ تقتضي نصا انه
لا نبي بعده والمعنى انه لا يتنبا احد بعده ولا يرد نزول عيسى عليه السلام اخر الزمان لانه
ممن نبي قبله وينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه
بعض امته قال ابن عطية وما ذكره ابو الطيب في كتابه المسمى بالهداية من
تجويز الاحتمال في الفاظ هذه الاية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الاية وهذا
المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد الحاد عندي وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة
المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته
وقرا الحسن والشعبي وزيد بن علي والاعرج بخلاف وعاصم بفتح التا بمعنى
انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم ومن ذهب الى ان النبوة مكتسبة
لا تنقطع او الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله وقد ادعى النبوة
ناس فقتلهم المسلمون على ذلك وكان في عصرنا شخص من الفقرا ادعى النبوة بمدينة مالقة
فقتله السلطان ابن الاحمر ملك الاندلس بغرناطة وصلب الى ان تناثر لحمه وكان الله
بكل شي عليما هذا عام والمقصود هنا علمه تعالى بما راه الاصلح لرسوله عليه السلام وما
قدره في الامر كله ثم امر المومنين بذكره بالثنا عليه وتحميده وتقديسه وتنزيهه
بما يليق به والذكر الكثير قال ابن عباس ان لا ينساه ابدا والتسبيح مندرج في الذكر
لكنه خصه لانه تنزيهه تعالى عما لا يليق به فهو افضل او من افضل الاذكار وعن
قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب وبكرة واصيلا يتعلقان
باذكروا وسبحوا والفعلان تنازعا في طرفي الاعمال او وقتان كناية عن جميع الزمان
ذكر الطرفين اشعارا بالاستغراق وقال ابن عباس اي صلوا صلاة الفجر والعشا وقال الاخفش
ما بين العصر الى العشا وقال قتادة الاشارة بهذين الوقتين الى صلاة الغداة وصلاة
العصر ويجوز ان يكون المراد بالامر بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال عليها فان
كل طاعة وكل ضرب من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلاة في
جميع اوقاتها لفضل الصلاة على غيرها او صلاة الفجر والعشائين لان اداها اشق ولما امر
بالذكر والتسبيح ذكر انه تعالى يصلي عليهم هو وملايكته وقال الحسن يصلي عليكم
يبرككم وقال ابن جبير يغفر لكم وقال ابو العالية يثني عليكم وقيل يترأف بكم وصلاة
الملايكة الاستغفار لقوله ويستغفرون للذين امنوا وقال مقاتل الدعا والمعنى هو
الذي يترحم عليكم حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والطاعة ليخرجكم من
ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقال ابن زيد من الضلالة الى الهدى وقال مقاتل
من الكفر الى الايمان وقيل من النار الى الجنة حكاه الماوردي وقيل من القبور الى البعث
وملايكته معطوف على الضمير المرفوع المستكن في يصلي واغنى الفصل بالجار والمجرور
عن التاكيد وصلاة الله غير صلاة الملايكة فكيف اشتركا في قدر مشترك وهو ارادة
وصول الخير اليهم فالله تعالى يريد برحمته اياهم ايصال الخير اليهم وملايكته يريدون

الاستغفار

الاستغفار لهم وقال الزمخشري جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة
والرافة ونظيره قولهم حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان
يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك
عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملايكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه
وكان بالمومنين رحيما دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة انتهى ومحصول من
قوله كانهم فاعلون فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز وما ذكرناه من ان الصلاتين
اشتركا في قدر مشترك اولى تحيتهم يوم يلقونه اي يوم القيامة سلام اي
يحييهم الله تعالى بقول للمومنين سلام عليكم مرحبا بعبادي الذين ارضوني
باتباع امري قاله الرقاشي وقيل تحييهم الملايكة بالسلامة من كل مكروه وقال
البرا بن عازب معناه ان ملك الموت لا يقبض روح المومن حتى يسلم عليه
وقال ابن مسعود اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك
السلام فعلى هذا الها في قوله يلقونه كناية عن غير مذكور وقيل تسلم الملايكة
عند خروجهم من القبور وقال قتادة يوم دخولهم الجنة يحيي بعضهم بعضا
بالسلام اي سلمنا وسلمت من كل مخوف وقيل تحييهم الملايكة يومئذ وقيل
هو سلام ملك الموت والملايكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة والتحية مصدر
في هذه الاقوال اضيف الى المفعول الا في قول من قال بعضهم فانه مصدر
مضاف للمحيي والمحيا لا على جهة العمل لان الضمير الواحد لا يكون فاعلا مفعولا
ولكنه كقوله وكنا لحكمهم شاهدين اي الحكم الذي جرى بينهم وبعث
اليهم فكذلك هذه التحية الجارية بينهم هي سلام وفرق الراغب بين التحية
والسلام فقال التحية تكون لكل دعا والسلام مخصوص ويقولون حياك تحية
وسلاما والاجر الكريم الجنة شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم يقيم
اي مقبولا قوله عند الله تعالى وشاهدا بالتبليغ اليهم وبتبليغ الانبيا
قبلك وانتصب شاهدا على انه حال مقدرة اذ كان وقت الارسال لم يكن
شاهدا عليهم وانما يكون شاهدا عليهم عند تحمل الشهادة وعند ادايها ولانه
اقرب زمان البعثة وايمان من امن وتكذيب من كذب كان ذلك وقع
في زمان واحد وداعيا الى الله قال ابن عباس الى شهادة ان لا اله الا الله وقال
ابن عيسى الى الطاعة باذنه اي بتسهيله وتيسيره ولا يراد به حقيقة الاذن
لانه قد فهم من قوله انا ارسلناك وداعيا انه ماذون له في الدعا ولما كان دعا
الشرك الى التوحيد صعبا جدا قيل باذنه اي بتسهيله تعالى وسراجا منيرا جلي به
ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى
به اذ امد الله تعالى بنور نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار
ووصف بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته
وقال الزجاج هو معطوف على شاهدا اي وذا سراج منير اي كتاب نير وقال
الفرا ان شئت كان نصبا على معنى وتاليا سراجا منيرا وقال الزمخشري ويجوز
على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك انتهى ولا يتضح هذا الذي قاله
اذ يصير المعنى ارسلنا ذا سراج منير وهو القران ولا يوصف بالارسال القران

١٤٢٥

انما يومن بالانزال وكذلك ايضا اذا كان التقدير وتاليا بصير المعنى ارسلنا تاليا سراجا منيرا
ففيه عطف الصفة التي للذات على الذات كقولك رايت زيدا والعالم اذا كان العالم صفة
لزيد والعطف مشعر بالتغاير وان حسن مثل هذا التخريج في كلام الله تعالى وثم ما يرجح
ما تقتضيه الفصاحة والبلاغة كما ذكر وقال لما ذكر انه ارسل نبيه شاهدا الى اخره تضمن ذلك
الامر بتلك الاحوال فكانه قال فاشهد وبشر وانذر وادع وانر ثم قال وبشر المومنين
فهذا متصل بما قبل من جهة المعنى وان كان يظهر انه منقطع من الذي قبله والفضل
الكبير الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل او المزيد على الثواب واذا ذكر المتفضل
به وكبره فما ظنك بالثواب او ما فضل به على سائر الامم وذلك من جهته تعالى او
الجنة وما اوتوا فيها ويفسره والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم
ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي له
عليه الصلاة والسلام عن اتباع منهم في اشيا كانوا يطلبونها مما لا يجب وفي اشيا
ينتصحون بها وهي غش ودع اذاهم الظاهر اضافته الى المفعول لما نهى عن طاعتهم
امر بتركه اذاهم وعقوبتهم ونسخ منه ما يخص الكافرين باية السيف وتوكل
على الله فانه يكفيك ويخذلهم ويجوز ان يكون مضافا للفاعل اي ودع اذايتهم اياك
اي مجازاة الاذاية من عقاب ونحوه حتى تومر وهذا تاويل مجاهد قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما
لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا ايها النبي
انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله
عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها
خالصة لك من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت
ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن
وتووي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان
تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم
وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شي رقيبا لما ذكر
تعالى قصة زيد وزينب وتطليقه اياها وكانت مدخولا بها واعتدت وخطبها الرسول صلى
الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها بين حال من طلقت قبل المسيس وانه لا عدة عليها
ومعنى نكحتم عقدتم عليهن وسمى العقد نكاحا لانه سبب اليه كما سميت الخمر اثما
لانها سبب له قالوا ولفظ النكاح في كتاب الله تعالى لم يرد الا في العقد وهو
من اداب القران كما كنى عن الوطي بالمماسة والملامسة والقربان والتغشي والاتيان
قيل الا في قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره فانه يعني الوطي وقد تقدم الكلام عليه
في البقرة والكتابيات وان شاركت المومنات في هذا الحكم فتخصيص المومنات
بالذكر تنبيه على ان المومن لا ينبغي له ان يتخير لنطفته الا المومنة وفايدة ثم المجي
وان كان الحكم ثابتا لمن تزوجت وطلقت على الفور ولمن تاخر طلاقها قال الزمخشري
نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة
العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حالة

الزوج

الزوج ثم يطلقها انتهى ويحتمل انه اعتنى وهو لا يجوز او لوحظ في ذلك الغالب فان
من اقدم على العقد على امراة انما يكون ذلك لرغبة فيستبعد ان يطلقها على الفور لان
الطلاق مشعر بعدم الرغبة فلا بد ان يتخلل بين العقد والطلاق مهلة يظهر فيها
للزوج نايه عن المراة وان المصلحة في ذلك له والظاهر ان الطلاق لا يكون الا
بعد العقد ولا يصح طلاق من لم يعقد عليها عينها او قبيلتها او البلد وهو
قول الجمهور من الصحابة والتابعين وقالت طايفة كبيرة منهم مالك
يصح ذلك والظاهر ان المسيس هنا كناية عن الجماع وانه اذا خلي بها ثم
طلقها لا تعتد وعند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المسيس
والظاهر ان المطلقة رجعية اذا راجعها زوجها قبل ان تنقضي عدتها ثم فارقها
قبل ان يمسها لا تتم عدتها من الطلقة الاولى ولا تستقبل عدة لانها مطلقة
قبل الدخول بها وبهذا وبه قال داود وقال عطا وجماعة تمضي في عدتها عن
طلاقها الاول وهو احد قولي الشافعي وقال مالك لا تبني على العدة من الطلاق
الاول وتستانف العدة من يوم طلقها الطلاق الثاني وهو قول جمهور
فقها الامصار والظاهر ايضا انها لو كانت بائنا غير مبتوتة فتزوجها في
العدة ثم طلقها قبل الدخول كالرجعية في قول داود ليس عليها عدة لا تتمة
عدة الطلاق الاول ولا استيناف عدة للثاني ولها نصف المهر وقال الحسن
وعطا وعكرمة وابن شهاب ومالك والشافعي وعثمان البتي وزفر لها نصف
الصداق وتتم بقية العدة الاولى وقال الثوري والاوزاعي وابو حنيفة
وابو يوسف لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم
المدخول بها لاعتدادها من مائه وقرا الجمهور تعتدونها بتشديد الدال افتعل
من العد اي تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها اي
استوفى عددها نحو قولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وعن ابن كثير وغيره
من اهل مكة بتخفيف الدال ونقلها عن ابن كثير ابن خالويه وابو الفضل
الرازي وقال ابن عطية وروى عن ابي برزة عن ابن كثير بتخفيف الدال
من العدوان كانه قال فما لكم عدة تلزمونها عدوانا وظلما
لهن والقراة الاولى اشهر عن ابن كثير ووهم من ابن ابي بزة انتهى وليس
بوهم اذ قد نقلها عن ابن كثير ابن خالويه وابو الفضل الرازي في كتاب
اللوامح في شواذ القراات ونقلها الرازي المذكور عن اهل مكة فقال تعتدونها
من الاعتداد لا محالة لكونهم كرهوا التضعيف فخففوها وان جعلته من
الاعتداء الذي هو الظلم ضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى انتهى واذا
كان يتعدى بعلى فيجوز ان يحذف على ويصل الفعل الى الضمير نحو قوله
تحن فتبدي ما بها من صبابة واخفي الذي لولا الاسى لقضاني
اي لقضى علي وقال الزمخشري وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون
فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا
لتعتدوا انتهى ويعني انه اذا انتصب بالفعل لما حذف حرف الجر وصل
الفعل الى ضمير العدة كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي شهدنا

منه اما على تقدير على فالمعنى تعتدون عليهن فيها وقرأ الحسن باسكان العين
كثيرًا وتشديد الدال جمعا بين الساكنين وقوله فما لكم يدل على ان العدة حق
الزوج فيها غالبا وان كانت لا تسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى
والظاهر ان من طلقت قبل المسيس لها المتعة مطلقا سواء كانت ممهورة
ام مفروضا لها او لا وقيل يختص هذا الحكم بمن لا مسمى لها والظاهر ان الامر
في متعوهن للوجوب وقيل للندب وتقدم الكلام مستوفى في المتعة في
البقرة والسراح الجميل هو كلمة طيبة دون اذى ولا منع واجب وقيل
ان لا يطالبها بما آتاها ولما بين تعالى بعض احكام انكحة المومنين اتبعه بذكر
طرف من امر نساء النبي صلى الله عليه وسلم والاجور المهور لانه اجر على
الاستمتاع بالبضع وغيره مما يجوز به الاستمتاع وفي وصفهن
باللاتي آتيت اجورهن تنبيه على ان الله تعالى اختار لنبيه الافضل
والاولى اتياء المهر اولى وافضل من تاخيره يشتغل الزوج عن عهدة
الدين وشغل ذمته به ولان تاخيره يقتضي انه يستمتع بها مجانا دون
عوض تسلمته والتعجيل كان سنة السلف لا يعرف منهم غيره
الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه حين سئل حالة التزوج فاين
درعك الحطمية وكذلك تخصيص ما ملكت يمينه بقوله مما افاء الله عليك
لانها اذا كانت سبية مالكها مما غنمه الله من اهل دار الحرب كانت
احل واطيب مما يشترى من الجلب فما سبي من دار الحرب قيل فيه سبي
طيب ومن له عهد قيل سبي خبيثة وفيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث
والظاهر ان قوله انا احللنا لك ازواجك مخصوص به لعظمة ازواجك من كانت
في عصمتك كعائشة وحفصة ومن تزوجها بمهر وقال ابن ابي زيد اي من
تزوج بمهر ومن تزوجها وجميع النساء حتى ذوات المحارم من ممهورة
ورقيقة وواهبة مخصوصة به ثم قال ترجي من تشاء منهن فيما
من تلك الاصناف كلها ثم الضمير بعد ذلك يعم الى قوله ولا ان تبدل بهن
من ازواج فينقطع من الاول ويعود الى ازواجه التسع فقط وفي التاويل
الاول تضييق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتزوج اي النساء شاء وكان ذلك يشق على نسائه فلما نزلت هذه الاية
وحرم عليه بها النساء الا من سمى سر نساؤه بذلك ومعنى اللاتي احللنا لك
في النادرة وبنات العم ومن ذكر معهن يسير ومن تحلل انه يتزوج منهن
محصور عند نسائه ولا سيما وقد قرنت بشرط الهجرة والواهبة ايضا من
النساء قليل فلذلك سروا بانحصار الامر ثم جاء ترجي من تشاء منهن
اشارة الى ما تقدم ثم جاء ولا ان تبدل بهن من ازواج اشارة الى ازواجه
اللواتي تقدم النص عليهن بالتحليل فيأتي الكلام متسقا مطردا اكثر من
اطراده على الحالة وبنات الاخوال وبنات عمك قالت ام هانئ بنت ابي طالب
خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم نزلت بعده
الاية فحرمني عليه لاني لم اهاجر معه وانما كنت من الطلقاء والتخصيص
باللاتي هاجرن معك لان من هاجر معه من قرابته غير المحارم افضل
من غير

من غير المهاجرات وقيل شرط الهجرة في التحليل منسوخ وحكى الماوردي في ذلك
قولين احدهما ان الهجرة شرط في احلال الازواج على الاطلاق والثاني انه شرط
في احلال قراباته المذكورات في الاية دون الاجنبيات والمعية هنا الاشتراك
في الهجرة لا في الصحبة فيها يقال دخل فلان معي وخرج معي اي كان عمله كعملي
وان لم يقترنا في الزمان ولو قلت خرجنا معا اقتضى المعنيين الاشتراك
في الفعل والاقتران في الزمان وافرد العم والخال لانه اسم جنس والعمة والخالة
[illegible] ذلك وهذا عرف لغوي قاله القاضي ابو بكر ابن العربي وامراة مومنة
قال ابن عباس وقتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك
ومقاتل هي ام شريك وقال عروة والشعبي هي زينب بنت خزيمة ام
المساكين امراة من الانصار وقال عروة ايضا هي خولة بنت حكيم بن الاوقص
السلمية واختلف في ذلك فقال ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة
بنت الحارث ومن ذكر معها وقيل وقرا الجمهور وامراة بالنصب ان وهبت
بكسر الهمزة اي احللناها لك ان وهبت ان اراد فهما شرطان والثاني في
معنى الحال شرط في احلال هبتها نفسها وفي الهبة اراد استنكاح النبي
كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان
ارادته هي قبوله للهبة وما به تتم وهذان الشرطان نظير الشرطين في قوله
تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
واذا اجتمع شرطان فالثاني شرط في الاول متاخر في اللفظ متقدم في الوقوع
ما لم تدل قرينة على الترتيب نحو ان تزوجتك او طلقتك فعبدي حر
واجتماع الشرطين مسالة فيها خلاف وتفصيل وقد استوفينا ذلك
في شرح التسهيل في باب الجوازم وقرا ابي والحسن والشعبي
وعيسى وسلام ان بفتح الهمزة وتقديره لان وهبت وذلك حكم في امراة
بعينها فهو فعل ماض وقراءة الكسر استقبال في كل امراة كانت تهب
نفسها دون واحدة بعينها وقرا زيد بن علي اذ وهبت
اذ ظرف لما مضى فهو في امراة بعينها وعدل عن الخطاب الى الغيبة
في للنبي اذا اراد النبي ثم رجع الى الخطاب في قوله خالصة لك للايذان
بانه مما خص به واوثر مجيئه بلفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص
تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة
لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه والجمهور على ان التزوج
لا يجوز بلفظ الاجارة ولا بلفظ الهبة وقال ابو الحسن الكرخي يجوز
بلفظ الاجارة لقوله اللاتي آتيت اجورهن وحجة من منع ان
عقد الاجارة موقت وعقد النكاح مؤبد فتنافيا وذهب ابو
حنيفة وصاحباه الى جواز عقد النكاح بلفظ الهبة اذا وهبت
فاشهد هو على نفسه بمهر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء في
الاحكام الا فيما خصه الدليل وحجة الجمهور انه صلى الله عليه وسلم خص
بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك

في اللفظ يحتاج الى دليل وقرأ الجمهور خالصة بالنصب وهو مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله اي اخلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا
ويجي المصدر على فاعل وعلى فاعلة وقال الزمخشري والفاعل والفاعلة في المصادر
غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة انتهى وليس كما ذكر بل هما
عزيزان وتمثيله كالخارج يشير الى قول الفرزدق ولا خارجا من في زور كلام
والقاعد الى احدانا وبلي في قولهم اقاعدا وقد سار الركب والكاذبة الى
قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقد بينا ولهذه الالفاظ اعني انها ليست
مصادر وقرئ خالصة بالرفع فمن جعله مصدرا قدره ذلك خلوص
لك وخصوص من دون المؤمنين والظاهر ان قوله خالصة لك من صفة
الواهبة نفسها لك فقراءة النصب على الحال قال الزجاج اي احللناها لك
خالصة لك والرفع خبر مبتدا اي هي خالصة لك اي هبة النساء انفسهن مختص
بك لا يجوز ان تهب المراة نفسها لاخر واجمعوا ان ذلك غير جائز لغيره عليه
الصلاة والسلام ويظهر لي من كتاب ان معنى قوله خالصة لك يراد به جميع
هذه الاباحة لان المؤمنين قصروا على مثنى وثلاث ورباع وقال الزمخشري
والدليل على انها وردت في احلال الاربع مخصوصة برسول الله صلى
الله عليه وسلم ما سيتين التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراض
وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى
الازواج الايماء وعلى اي حد وصفة ان يجب الفرض عليهم ففرضه وعلم
المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون
عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى
وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها ومن
جعل خالصة نعتا للمراة فمذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم انتهى والظاهر ان لكيلا
متعلق بقوله احللنا لك ازواجك وقال ابن عطية لكيلا يكون اي بينا هذا البيان وشرحنا
هذا الشرح لكيلا يكون عليك حرج وظن بك انك اثمت عند ربك ثم انس جميع المؤمنين
بغفرانه ورحمته وقال الزمخشري غفورا بالواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده
انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقيل قد علمنا ما فرضنا عليهم الاية معناه ان ما ذكرنا فرضك
وحكمك مع نسائك وحكم امتك عندنا علمه وتبيينه لهم وانما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من
المؤمنين نفسه على ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فان له في النكاح والتسري خصائص
ليست لغيره وقال مجاهد ما فرضنا عليهم هو ان لا يجاوز اربعا وقال قتادة هو الولي
والشهود والمهر وقيل ما فرضنا من المهر والنفقة والكسوة وما ملكت ايمانهم قيل لا يثبت
الملك الا اذا كانت ممن يجوز سبيها وقيل ما احل لهم من ملك اليمين مع الاربع الحرائر
من غير عدد محصور والمعنى قد علمنا مصالح كل شخص من امتك وما هو الاصلح لك
ولهم فشرعنا في حقك وحقهم على وفق ما علمنا ولما تغاير ازواجه عليه الصلاة والسلام
وابتغين زيادة النفقة فهجرهن شهرا ونزل التخيير اشفقن ان يطلقهن
فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وتقدم الكلام في معنى ترجي
في قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله في سورة براءة والظاهر ان الضمير في منهن
عائد على ازواجه عليه الصلاة والسلام والارجاء الايواء قال ابن عباس والحسن في طلاق

اضية

من تشا

من تشا ممن فضل في عصمتك وامسك من تشا وقال الشعبي في تزوج من تشا من الواهبات
وتاخر من تشا وقال مجاهد وقتادة والضحاك وترجي من تشا في القسمة لها وتؤوي اليك من
تشا وتقلل لمن تشا وتكثر لمن تشا لا حرج عليك في ذلك فاذا علمن ان هذا حكم الله وقضاه
زالت الانفة والغيرة عنهن ورضين وقرت اعينهن وهذا مناسب لما روي في سبب هذه
الاية المتقدم ذكره ومن ابتغيت ممن عزلت اي ومن طلبتها من المعزولات اتيتهن
المعزولات فلا جناح عليك في ردها وايوائها اليك ويجوز ان يكون ذلك توكيدا لما قبله اي
وممن ابتغيت ممن عزلت ومن عزلت سواء لا جناح عليك كما تقول من لقيك ممن لم
يلقك جميعهم لك شاكر تريد من لقيك ومن لم يلقك وفي هذا الوجه حذف
المعطوف وغرابة في الدلالة على هذا المعنى بهذا التركيب والراجح الاول وقال الحسن
المعنى من مات من نسائك اللواتي عندك او خليت سبيلها فلا جناح عليك في
ان تستبدل عوضها من اللاتي احللت لك فلا تزاد على عدة نسائك اللاتي عندك
وقال الزمخشري بمعنى تترك مضاجعة من تشا منهن وتضاجع من تشا او تطلق من تشا
وتمسك من تشا او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت
من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن
لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق
واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما
ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وصفية وجويرية
وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شا كما شا وكان ممن اوى اليه عائشة
وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع
ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى
احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى الى قرة اعينهن وانتفا
حزنهن ووجود رضاهن اذا علمن ان ذلك التفويض من عند الله فحالة كل منهن
كحالة الاخرى في ذلك وقرأ الجمهور ان تقر اعينهن مبنيا للفاعل من قرت العين
وابن محيصن تقر من اقر وفاعله ضمير الخطاب اي انت وقرئ
تقر مبنيا للمفعول اعينهن رفع وقرأ الجمهور كلهن بالرفع توكيدا لنون يرضين وابو
اياس جوية بن عائذ بالنصب توكيدا لضمير النصب في آتيتهن والله يعلم ما في قلوبكم عام قال
ابن عطية والاشارة به هنا الى ما في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من محبة
شخص دون شخص ويدخل في المعنى المؤمنون وقال الزمخشري وعيد لمن لم ترض
منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن
والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه
طيب نفسه انتهى وكان الله عليما بما انطوت عليه القلوب حليما يصفح عما يغلب على
القلب من الميول اذ هي مما لا يملك غالبا واتفقت الروايات على انه صلى الله عليه وسلم
كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيئا مما ابيح له ضبطا لنفسه
واخذا بالفضل غير ما جرى لسودة مما ذكرناه لا يحل لك النساء من بعد الظاهر انها
محكمة وهو قول ابي بن كعب وجماعة منهم الحسن وابن سيرين واختاره الطبري
ومن بعد المحذوف منه المضاف فقال ابي وعكرمة والضحاك من بعد اللواتي
احللنا لك في قوله انا احللنا لك ازواجك فعلى هذا المعنى لا تحل لك الا من تجد

النسا اللاتي نص عليهن اي لا يحل لك من الاصناف الاربعة لا اعرابية ولا عربية ولا كتابية ولا امة
بنكاح وقال ابن جبير وقتادة من بعد التسع لان التسع نصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الازواج
كما ان الاربع نصاب امته فهن قد اخترن الله ورسوله جازاهن ان حظر عليه
النسا غيرهن وتبديلهن ونسخ بذلك ما ابيح له قبل من التوسعة في جميع النسا وقال
مجاهد وابن جبير وروي عن عكرمة من بعد اي من بعد اباحة النسا على العموم ولا تحل
لك النسا اي غير المسلمات من ازواج يهوديات ونصرانيات وقيل في قوله ولا ان تبدل هو
البدل الذي كان في الجاهلية كما تقول الرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد
منهما عن امراته للاخر قال معناه ابن زيد وانه كان في الجاهلية وانكر هذا القول الطبري وغيره
في معنى الاية وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن انه قال للرسول
صلى الله عليه وسلم وقد دخل عليه بغير استيذان وعنده عايشة من هذه الحميرا فقال عايشة فقال
عيينة يا رسول الله ان شيت نزلت لك عن سيدة العرب جمالا ونسبا فليس بتبديل ولا اراد
ذلك وانما احتقر عايشة لانها كانت صبية ومن في من ازواج زايدة لتاكيد النفي وفايدته
استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل الاية منسوخة واختلف في الناسخ فقيل بالسنة قالت
عايشة رضي الله تعالى عنها ما مات حتى احل له النسا وروي ذلك عن ام سلمة وهو قول علي
وابن عباس والضحاك وقيل بالقران وهو قوله ترجي من تشا منهن الاية قال هبة الله الضرير في
الناسخ والمنسوخ وقال ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا قال ابن عطية وكلامه
يضعف من جهات انتهى وقيل قوله انا احللنا لك ازواجك الاية فترتيب النزول ليس على
ترتيب كتابة المصحف وقد روي عن ابن عباس القولان انها محكمة وانها منسوخة ولو اعجبك
حسنهن قيل منهن اسما بنت عميس اخت ميمونة امراة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه والجملة قال
الزمخشري في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج
لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وتقدم لنا في مثل هذا التركيب انه معطوف
على الحال التي تقتضي التبدل وهي حالة الاعجاب بالحسن قال ابن عطية وفي هذا اللفظ اعجبك
حسنهن دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها انتهى وقد جا ذلك في السنة من حديث
المغيرة بن شعبة وحديث محمد بن مسلمة الا ما ملكت يمينك فانه يحل لك وما ان كانت
موصولة واقعة على الجنس فهو استثنا من الجنس يختار فيه الرفع على البدل من النسا
ويجوز النصب على الاستثنا وان كانت مصدرية ففي موضع نصب لانه استثنا من غير الجنس الاول
قال ابن عطية وليس بجيد لانه قال والتقدير الا ملك اليمين وملك بمعنى مملوك فاذا
كان بمعنى مملوك صار من جملة النسا المباين حقيقة المصدر فيكون الرفع هو الراجح
ولانه قال وهو في موضع نصب ولا يتحتم ان تكون في موضع نصب ولو فرضنا انه من غير
الجنس حقيقة بل الحجازيون ينصبون وتميم تبدل لانه مستثنى يمكن توجه العامل
عليه وانما يكون النصب متحتما حيث كان المستثنى لا يمكن توجه العامل عليه نحو ما زاد
المال الا النقص فلا يمكن توجه الزيادة على النقص ولانه قال استثنا من غير الجنس
وقال الملك بمعنى مملوك فتناقض وكان الله على كل شي رقيبا اي راقبا او مراقبا
ومعناه حافظا وشاهدا مطلعا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام
غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين
لحديث ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا

سالتموهن متاعا فاسالوهن من ورا حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان
لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان
ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيا او تخفوه فان الله كان بكل شي عليما لا جناح
عليهن في ابايهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن ولا ابنا اخوانهن ولا ابنا اخواتهن ولا نسايهن ولا ما ملكت
ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شي شهيدا ان الله وملايكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يوذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يوذون
المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا في الصحيحين
انه صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون
واخذ كانه يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد
ثلاثة فجا ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا وجيت فاخبرت انهم
قد انطلقوا فجا حتى دخل وذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه وانزل الله هذه
الاية وقال ابن عباس كان ناس يتحينون طعامه عليه الصلاة والسلام فيدخلون عليه
قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان يتاذى بهم فنزلت واما سبب
الحجاب فعمر بن الخطاب قال يا رسول الله ان نساك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن
ان يحتجبن فنزلت وقال مجاهد طعم معه بعض اصحابه ومعهم عايشة فمست يد
رجل منهم يد عايشة فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الحجاب ولما كان نزول
الاية في شي خاص وقع للصحابة لم يدل ذلك على انه لا يجوز دخول بيوت النبي الا ان كان
عن اذن الى طعام غير ناظرين اناه بل يجوز دخول بيوته عليه السلام بالاذن سوا كان لطعام
ام غيره وايضا فاذا كان النبي لا ياذن الى طعام وهو مما تمس الحاجة اليه فالى ما لا تمس
الحاجة اليه يتحتم الاولى وبيوت جمع وان كانت الواقعة في بيت واحد فيعم جميع بيوته
والا ان يوذن في معنى الظرف تقديره وقت ان يوذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا
وقع الاستثنا على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا
تدخلوها الا غير ناظرين اناه انتهى اما ان يوذن في معنى الظرف وتقديره وقت ان
يوذن وانه وقع الاستثنا على الوقت فليس بصحيح وقد نصوا على ان المصدرية لا تكون
في معنى الظرف تقول اجيبك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز اجيبك ان يصيح
الديك ولا ان يقدم الحاج واما ان الاستثنا وقع على الوقت والحال معا فلا يجوز على
مذهب الجمهور لا يقع بعد الا في الاستثنا الا المستثنى او المستثنى منه او صفة المستثنى
منه واجاز الاخفش والكسائي ذلك في الحال اجاز ذهب القوم الا يوم الجمعة راحلين
عنا فيجوز ما قاله الزمخشري في الحال واما قوله الا ان يوذن لكم فلا يتعين ان يكون ظرفا
لانه يكون التقدير الا باذن يوذن لكم فتكون الباء للسبب كقوله تعالى فاخرجنا به
من كل الثمرات او للحال اي مصحوبين بالاذن واما غير ناظرين فحال والعامل فيه محذوف
تقديره ادخلوا بالاذن غير ناظرين كما قدر في قوله بالبينات والزبر ان العامل فيه ارسلناهم
بالبينات والزبر دل عليه لا تدخلوا كما دل على ارسلناهم قوله وما ارسلنا ومعنى
غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته اي وقت استوايه وتهيته وقرا الجمهور
غير بالنصب على الحال وابن ابي عبلة بالكسر صفة لطعام قال الزمخشري وليس
بالوجه لانه جرى على غير من هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال

غير ناظرين اناه انتم كقول ابن هند اي بمصادرة هي انتهى وفرق هذا الغير جائز عند الكوفيين
اذا لم يلبس واني الطعام ادراكه فقال اني الطعام اذا كنوكه فاناه وقيل وقته اي غير
ناظرين ساعة اكله وقرا الجمهور اناه مفردا والاعمش اناه بكسر بعد النون ورتبت الكلام نحو
على ان يدعوا فلا يتقدموا في الدخول حتى يدعوا ثم امر بالانتشار اذا طعموا ولا مستانسين
لحديث معطوف على ناظرين اناه فهو مجرور او معطوف على غير فهو منصوب اي لا تدخلوها
لا ناظرين ولا مستانسين وقيل ثم حال محذوفة اي لا تدخلوها هاجمين ولا مستانسين
فيعطف عليه واللام في لحديث اما لام العلة نهوا ان يطيلوا الجلوس ليستانس بعضهم
ببعض لاجل حديث يحدثه به او اللام المقوية لطلب اسم الفاعل المفعول فنهوا ان يستانسوا
حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه ان ذلكم اي انتظاركم واستيناسكم يوذي
النبي فيستحيي منكم اي من اخراجكم من البيوت او من منعكم منها او بدليل قوله فقوله
والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحيا مما يمنع
الحيا من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه وجا ذلك الحيا على سبيل المقابلة
لقوله فيستحيي منكم وعن عايشة وابن عباس حسبك في الثقلاء ان الله لم يحتملهم وترتيب هذه
الاية بين يدي اسماعيل بن حكيم فقال هذا ادب ادب الله به الثقلاء وقرا فرقة فلا يستحيي
بكسر الحا مضارع استحيا وهي لغة بني تميم واختلفوا ما المحذوفة اعين الكلمة ام لامها
فان كان العين فوزنه يستفل وان كان اللام فوزنه يستفع والترجيح مذكور في علم
النحو وقرا الجمهور بيا بين ويكون الحاء والمتاع عام فيما يمكن ان يطلب على عرف السكنى والمجاورة
من المواعين وساير المرافق للدين والدنيا اي السوال من ورا الحجاب اطهر من الخواطر
تخطر للرجال في امر النسا والنسا في امر الرجال اذ الرؤية سبب التعلق والفتنة الا ترى الى قول
الشاعر: والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ساء مهجته ... لا مرحبا بانتفاع جا بالضرر
وذكر ان بعضهم قال اننهى ان نكلم بنات عمنا الا من ورا حجاب لين مات محمد لاتزوجن فلانة
وقال ابن عباس فلانة عائشة وحكى مكي عن معمر انه قال هو طلحة بن عبيد الله وهذا عندي
لا يصح على طلحة عصمه الله منه وفي التحرير ان طلحة فنزل ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا فتاب واعتق رقبة وحمل على عشرة ابعرة في سبيل الله وحج ماشيا وروي ان بعض
المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بعد ابي سلمة وحفصة
بنت عمر بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لقد مات لاجلنا السهام على نسايه
ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب ثم رجعت تزوج عكرمة بن ابي جهل
قتيلة بنت الاشعث بن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوجها ولم
يبن بها ولا ارخى عليها حجابا وقيل بانها منه وردتها مع قومها فشكى ابو بكر وذهب
عمر الى انه لا يشهد جنازة زينب الا ذو محرم منها مراعاة للحجاب فدلته اسما بنت عميس
على ستر نعشها في القبة واعلمته انها رات ذلك في بلاد الحبشة وصنعه عمر رضي
الله تعالى عنهم وروي ان صنع ذلك في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما كان لكم ان توذوا رسول الله عام في كل ما يتاذى به ولا ان تنكحوا عام مخصوص لان
ذلك كان يكون اعظم الاذى فحرم الله تعالى نكاح ازواجه بعد وفاته ان ذلكم اي اذايته
ونكاح ازواجه كان عند الله عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه
وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه فان نحو هذا مما يحدث به

المرء نفسه

المرء نفسه ومن الناس من تزوج امراة تدعي حرمته حتى يتمنى بها الموت لئلا تنكح بعده
وخصوصا العرب فانهم اشد الناس غيرة وحكى الزمخشري ان بعض الفتيان قتل جارية
له كان يحبها في حكاية قال الغفور لما عسى يتفق من بقائها بعده حصولها تحت يد
غيره انتهى فقال لما عسى فجعل عسى صلة للموصول وقد كنت منعه هذا وهو لحن
وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هذه الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيا او تخفوه هو
وعيد لمن تقدم التعريض به في الاية ممن اشير اليه بقوله ذلكم اطهر ومن اشير اليه
بقوله وما كان لكم ان تؤذوا فقيل ان تبدوا شيا على السنتكم او تخفوه في
صدوركم مما يقع عليه العقاب فالله يعلمه ويجازي عليه وقال شيا ليدخل فيه
ما يؤذيه عليه الصلاة والسلام من نكاحهن وغيره وهو صالح لكل باد وخاف وروي
انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب ونحن يا رسول الله نكلمهن من وراء
حجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن قال قتادة في ترك الحجاب وقال مجاهد
في وضع الجلباب وابدا الزينة وقال الشعبي لم يذكر العم والخال وان كانا من المحارم لئلا
يصفاها لابنائهما وليسوا من المحارم وقد كره الشعبي وعكرمة ان تضع المراة خمارها عند
عمها او خالها وقيل لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا وذكر هنا
بعض المحارم والجمع في سورة النور ودخل في ولا نسائهن الامهات والاخوات وساير
القرابات ومن يتصل بهن من المتصرفات لهن قاله ابن زيد وغيره اراد جميع النسا
المؤمنات وتخصيص الاضافة انما هي في الايمان وقال مجاهد من اهل دينه وهو كقول
ابن زيد والظاهر من قوله او ما ملكت ايمانهن من دخول العبيد والاما دون ما ملك
غيرهن وقيل مخصوص بالاما وقيل جميع العبيد ممن في ملكهن او ملك غيرهن
وقال النخعي يباح لعبدها النظر اليها بالابواب الدرع من ظاهر بدنها وان
كان عبدا كاتب ما يؤدي فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الحجاب دونه
وفعلته ام سلمة مع مكاتبها نبهان واتقين الله امر بالتقوى وخروج من الغيبة
الى الخطاب اي واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل الله فيه الوحي من
الاستتار وكان في الكلام جملة حذفت تقديره اقتصرن على هذا واتقين الله
فيه ان الاخير ثم توعد بقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا من السر والعلن وظاهر
الحجاب وباطنه وغير ذلك لا يبعد تفاوت الاحوال في علمه تعالى وقرا
الجمهور وملايكته نصبا وابن عباس وعبد الوارث عن ابي عمرو رفعا
عند الكوفيين غير الفرا هو عطف على اسم ان والفرا يشترط خفا اعراب
اسم ان وعند البصريين هو على حذف الخبر اي يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وملايكته يصلون وتقدم الكلام على كيفية اجتماع الصلاتين
في قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته فالضمير في يصلون
عايد على الله وملايكته وقيل في الكلام حذف اي يصلي وملايكته
يصلون فرارا من اشتراك الضمير والظاهر وجوب الصلاة والسلام عليه
وقيل سنة واذا كانت الصلاة واجبة فقيل كلما جرى ذكره وقيل
في كل مجلس مرة وقد ورد الحديث في الصلاة عليه بفضائل كثيرة
وروي انه لما نزلت هذه الاية قال قوم من الصحابة هذا السلام عليك

يا رسول الله عرفناه فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم وآل ابراهيم وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت وباركت على ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد وفي بعض الروايات زيادة ونقصان الذين يوذون الله ورسوله
قال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي زوجا انتهى
والطعن في تامير اسامة بن زيد اذاية له عليه الصلاة والسلام وايذا الله
والرسول فعل ما نهى الله عنه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة
الشرع وما يصيبون به الرسول صلى الله عليه وسلم من انواع الاذى ولا
يتصور الاذى حقيقة في حق الله عز وجل فقيل هو على حذف مضاف اي
يوذون اوليا الله وقيل المراد يوذون رسول الله وقيل في اذى الله هو
قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن
الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاوه وعن عكرمة فعل اصحاب
التصاوير الذين يزعمون تكوين خلق مثل خلق الله تعالى وقيل في اذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل
كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد واطلق ايذا الله ورسوله وقيد ايذا
المومنين بقوله بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق اذى وقال مقاتل
نزلت في ناس من المنافقين يوذون عليا كرم الله وجهه ويسمعونه
السوء وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله تعالى عنها وقال الضحاك
والسدي والكلبي نزلت في زناة كانوا يتبعون النسا وهن كارهات وقيل
في عمر رأى ريبة على جارية من جواري الانصار فكرهها فضربها فاوذي اهلها
عمر باللسان فنزلت قال ابن عباس وروي ان عمر قال يوما لابي قرات البارحة
والذين يوذون المومنين والمومنات ففزعت منها واني لاضربهم وانهرهم فقال له
منهم انما انت معلم ومقوم قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونسا المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا
يوذين وكان الله غفورا رحيما لين لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في
الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسالك الناس عن
الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون
وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا
الله ورسوله وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل
ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا
عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله

المنافقين

المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين
والمومنات وكان الله غفورا رحيما كان داب الجاهلية ان تخرج الحرة والامة
مكشوفتي الوجه في درع وخمار وكان الزناة يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضا
حوايجهن في النخيل والغيطان للاما وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها
امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاما بلبس الاردية والملاحف
وستر الروس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن وروي انه كان
بالمدينة قوم يجلسون على الصعدات لروية النسا ومعارضتهن ومراودتهن
فنزلت قيل والجلابيب الاردية التي تستر من فوق الى اسفل وقال ابن جبير
المقانع وقيل الملاحف وقيل الجلباب كل ثوب تلبسه المراة فوق ثيابها
وقيل كل ما تستتر به من كسا او غيره قال ابو زيد تجلببت من سواد الليل
جلبابا وقيل الجلباب اكبر من الخمار وقال عكرمة تلقي جانب الجلباب على نحرها
فلا يرى وقال ابو عبيدة السلماني تغطي وجهها الا عينا واحدة وقال ابن سيرين سالت
عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على
انفها وقال السدي تغطي احدى عينيها والجبهة وقال الكسائي وغيرهما والشق
الآخر الا العين انتهى وكذا عادة بلادنا الاندلس لا يظهر من المراة الا عينها
الواحدة وقال الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى
الادنا وقال ابن عباس وقتادة وذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه
على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه والظاهر ان قوله
ونساء المومنين يشمل الحراير والاما والفتنة بالاما اكثر لكثرة تصرفهن
بخلاف الحراير فيحتاج اخراجهن من عموم النسا الى دليل واضح ومن في
جلابيبهن للتبعيض وعليهن شامل لجميع اجسادهن او عليهن على
وجوههن لان الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه ذلك ادنى ان
يعرفن اي اولى ان يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما
يكرهن لان المراة اذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف
المتبرجة فانها مطموع فيها وكان الله غفورا رحيما تانيس للنسا في ترك
الاستتار قبل ان يومرن بذلك ولما ذكر حال المشرك الذي يوذي الله ورسوله والمجاهر الذي
يوذي المومنين ذكر حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق ولما كان المذكورون
ثلاثة باعتبار اذايتهم لله ولرسوله وللمومنين كان المرجفون ثلاثة منافق ومن في قلبه
مرض ومرجف فالمنافق يوذي سرا والثاني يوذي المومن باتباع نسايه والثالث يرجف
بالرسول يقول غلب محمد وخرج من المدينة سيوخذ وهزمت سراياه وظاهر العطف التغاير بالشخص
فيكون المعنى لين لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون
عما يولعون به من اخبار السو ويشيعونه ويجوز ان يكون التغاير بالوصف فيكون واحدا
بالشخص ثلاثة بالوصف كما جاء ان المسلمين والمسلمات فذكر اوصافا ثم والموصوف بها واحد
ونص على هذين الوصفين من المنافقين لشدة ضررهما على المومنين قال عكرمة الذين
في قلوبهم هو الغزل وحب الزنا ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض وقال السدي المرض
النفاق ومنه في قلوبهم مرض وقال ابن عباس هم الزناة اذ لا عهد وقال الكلبي من اذى
المسلمين وقال ابن عباس المرجفون ملتمسو الفتن وقال قتادة الذين يوذون قلوب المومنين

بأنهم القتل والنفي لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم قاله ابن عباس وقال قتادة لنحرشنك بهم
ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة وثم لا يجاورونك معطوف على لنغرينك ولم يكن العطف
بالفاء لانه لم يقصد انه متسبب عن الاغرا بل كونه جوابا للقسم ابلغ وكان العطف بثم لان الجلا
عن الوطن كان اعظم عليهم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حالة الجلا عن حالة الاغرا الا قليلا
اي جوارا قليلا او زمانا قليلا او عددا قليلا وهذا الاخير استثنا من المنطوق وهو ضمير الرفع
في يجاورونك ان ينتصب قليلا على الحال اي الا قليلين والاول استثنا من المصدر الدال عليه
يجاورونك والثاني من الزمان الدال عليه يجاورونك والمعنى انهم يضطرون الى طلب الجلا عن المدينة
خوف القتل وانتصب ملعونين على الذم قاله الطبري واجاز ابن عطية ان يكون بدلا من قليلا
قال وهو من اجل الذي قصده واما انه هو فان يكون حالا من الضمير في يجاورونك قاله الزمخشري
والحوفي وتبعهما ابو البقا جوز ان يكون حالا من الضمير في لا يجاورونك كما قال ابن عطية قال
الزمخشري وهذا نصب ملعونين نصب على الحال والمعنى انهم لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف
الاستثنا على الظرف والحال معا كما مر في قوله تعالى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه
ولا يصح ان ينتصب على اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها انتهى وتقدم الكلام
معه في مجي الحال مما قبل الا مذكورة بعد ما استثني بالا فيكون الاستثنا منصبا عليهما وان
جمهور البصريين منعوا من ذلك واما تجويز ابن عطية ان يكون بدلا فالبدل بالمشتق
قليل واما قول الزمخشري لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها فليس هذا مجمعا عليه لان
ما بعد كلمة الشرط شيئان فعل الشرط والجواب فاما فعل الشرط فاجاز الكسائي تقديم معموله
عليه نحو ان زيدا تضرب اضرب وقد حكي عن بعض النحويين انه قال المعنى اينما ثقفوا اخذوا
ملعونين والصحيح ان ملعونين صفة لقليلا اي الا قليلين ملعونين ويكون قليلا استثنا
من الواو في لا يجاورونك والجملة الشرطية صفة ايضا اي مقهورين مغلوبا عليهم ونفي
ثقفوا حصروا وظفر بهم اخذوا اسروا والاخذ الاسر وقرا الجمهور وقتلوا بتشديد التا وقرئ
بتخفيفها فيكون تقتيلا مصدرا على غير المصدر والظاهر ان المنافقين انتهوا
عما كانوا يؤذون به الرسول والمومنين وتستر جميعهم وكفوا خوفا من ان يقع بهم
ما وقع القسم عليه وهو الاغرا والجلا والاخذ والقتل وقيل لم يمتثلوا الا انهم ما
جملة ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا الا ترى الى اخراجهم من المسجد ونهيه عن الصلاة
عليهم وما نزل فيهم في سورة براة وابعد من ذهب الى انهم لم ينتهوا هولا الاصناف
ولم ينفذ الله الوعيد عليهم ففيه دليل على بطلان القول بانفاذ الوعيد في الاخرة
ويكون هذا الوعيد مشروطا بالمشية سنة الله مصدر موكد
اي سن الله في الذين ينافقون الانبيا ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن
مقاتل كما قتل اهل بدر واسروا فالذين خلوا يشمل اتباع الانبيا الذين نافقوا
ومن قتل يوم بدر يسالك الناس اي المشركون عن وقت قيام الساعة استعجالا
على سبيل الهزء واليهود على سبيل الامتحان اذ كانت معمى وقتها في التوراة
فنزلت الاية بان يرد العلم الى الله تعالى اذ لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا ولما ذكر
حالهم في الدنيا انهم ملعونون مهانون مقتولون بين حالهم في الاخرة وما
يدريك استفهام في موضع رفع بالابتدا اي واي شي يدريك بها ومعناه النفي
ما يدريك بها احد لعل الساعة تكون قريبا بين قرب الساعة وفي ذلك تسكيت للممتحن وتهديد
للمستعجل وانتصب قريبا على الظرف اي في زمان قريب اذ استعمالها ظرفا كثير ويستعمل ايضا غير ظرف فتقول

ان قريبا

ان قريبا منك زيد فجاز ان يكون التقدير شيئا قريبا او تكون الساعة بمعنى الوقت فذكر قريبا على
المعنى او يكون التقدير على حذف مضاف اي لعل قيام الساعة فلوحظ الساعة في تكون فانث ولوحظ المضاف المحذوف وهو
قيام في قريبا فذكر يوم تقلب وجوههم في النار يجوز ان ينتصب يوم بقوله لا يجدون ويكون يقولون
استئنافا اخبارا عنهم او تم الكلام عند قوله ولا نصيرا وينتصب يوم بقوله يقولون او بمحذوف اي
اذكر ويقولون حال وقرا الجمهور تقلب مبنيا للمفعول والحسن وعيسى وابو جعفر الرواسي بفتح التا
اي تتقلب وحكاها ابن عطية عن ابي حيوة ايضا وقال ابن خالويه عن ابي حيوة نقلب بالنون وجوههم
بالنصب وحكاها ابن عطية عن ابي حيوة ايضا وخارجة فاد وفاعل نقلب زاد صاحب اللوامح انها قراءة
البصري وقرا عيسى الكوفي كذلك الا انه بدل النون تا وفاعل تقلب ضمير يعود على سعير او على جهنم
اسند اليهما التقليب وقرا ابن ابي عبلة تتقلب بتاين وتقليب الوجوه في النار تحريكها في
الجهات او تغييرها عن هيئتها او القاوها في النار منكوسة والظاهر هو الاول
والوجه اشرف ما في الانسان فاذا قلب في النار كان تقليب ما سواه اولى وعبر بالوجه
عن الجملة وتمنيهم حيث لا ينفع وتشكيهم من كبرائهم لا يجدي وقرا الجمهور ساداتنا جمعا
على وزن فعلة اذ اصله سودة وهو جمع شاذ في فيعل فان فعلة جمع سايد في فاعل من القياس وقرا
الحسن وابو رجا وقتادة والسلمي وابن عامر والعامة في الجامع بالبصرة ساداتنا على جمع الجمع بالالف
والتا وهو لا ينقاس كبيوتات وموالات بني هاشم وسادتهم وسادة الكفر الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم قال قتادة سادتنا رؤساونا وقال طاوس اشرافنا وقال ابو اسامة امراونا
وقال الشاعر سليل قروم سادة بعد قادة يبيدون اهل الجمع يوم المحصب
ويقال ضل السبيل وضل عن السبيل فاذا دخلت همزة النقل تعدى لاثنين وتقدم الكلام في
اثبات الالف في الرسولا والسبيلا في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولما لم يجد تمنيهم الايمان
وطاعة الله ورسوله ولا قام لهم عذر في انقيادهم ومعاصيهم لاضلال امرائهم وقرا الجمهور كثيرا بالثا
المثلثة وقرا حذيفة بن اليمان وابن عامر وعاصم والاعرج بخلاف عنه بالبا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قاله بعض الناس وقيل المراد حديث الافك
قاله عليه الصلاة والسلام ما اوذي نبي مثل ما اوذيت وفي حديث الرجل الذي قال القسمة قسمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وغضبه وقال [illegible]
اخاه رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر واذاية موسى عليه الصلاة والسلام قولهم
انه ابرص او ادر او انه حسد اخاه هارون فقتله او حديث المومسة المستاجرة لان تقول ان
موسى زنى بها او ما نسبوه اليه من السحر والجنون اقوال مما قالوا اي من وصمة ما قالوا
وما موصولة او مصدرية وقرا الجمهور وكان عند الله الظرف معمول لوجيها اي ذو وجاهة
ومنزلة عند الله تعالى تميط عنه الاذى وتدفع التوهم وقرا عبد الله والاعمش وابو حيوة
عبدا من العبودية لله حرم بلام الجر وعبدا خبر كان ووجيها صفة له قال ابن خالويه
صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرا وكان عبد الله على قراة
ابن مسعود قال ابن زيد وجيها مقبولا وقال الحسن مستجاب الدعوة ما سال
شيئا الا اعطي الا الروية في الدنيا وقال قطرب رفيع القدر في الدارين وقيل
وجاهته انه كلمه ولقبه كليم الله والسديد تقدم شرحه في اوايل النسا وقال
ابن عباس هنا صوابا وقال مقاتل وقتادة قولا سديدا في شان زيد
وزينب والرسول عليه السلام وعكرمة ايضا لا اله الا الله ما يوافق ظاهره
باطنه وقيل ما هو اصلاح من تسديد السهم ليصيب الرمي وقيل
السديد يعم الخيرات ورتب على القول السديد صلاح الاعمال

دمغرات الذنوب قال الزمخشري وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تكلم على النهي
عن ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه على الأمر باتقاء الله تعالى
في حفظ اللسان ليترادف عليهم الأمر والنهي مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة
موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البليغ والفوز فيقعن الأذى وهو
كلام حسن إنا عرضنا الأمانة لما أرشد المؤمنين إلى ما أرشد من ترك
الأذى واتقاء الله وسداد القول ورغب في الطاعة ما رتب بين أن
ما كلفه الإنسان أمر عظيم فقال إنا عرضنا الأمانة لفظها الأمر التكليف
والأمانة الظاهر أنها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن ودين ودنيا
فالشرع كله أمانة وهذا قول الجمهور وقال أبي بن كعب الأمانة أن
اؤتمنت المرأة على فرجها وقال أبو الدرداء على فرجها وقال أبو الدرداء غسل الجنابة
أمانة والظاهر عرض الأمانة على هذه المخلوقات العظام وهي الأوامر
والنواهي فتثاب إن أحسنت وتعاقب إن أساءت فأبت وأشفقت ويكون
ذلك بإدراك خلقه الله فيها وهذا غير مستحيل إذ قد سبح الحصى في كفه صلى
الله عليه وسلم وحن الجذع إليه وكلمته الذراع فيمكن أن يكون هذا العرض والإباء
حقيقة قال ابن عباس أعطيت الجمادات فهما وتمييزا لخيرات في الحمل
وذكر الجبال مع أنها من الأرض لزيادة قوتها وصلابتها تعظيما للأمر
وقال ابن الأنباري عرضت بمعنى عورضت آدم عليه السلام وأسمع من الجمادات
الإباء بتحقيق العرض عليه فتجاسر على الحمل وظهر فضله على الخلائق حرصا
على العبودية وتشرفا على البرية بعلو الهمة وقيل هو مجاز من مجاز
الحذف أي من فيها من الملائكة من باب التمثيل قال الزمخشري إن ما كلفه
الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من
الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به
وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه كان ظلوما جهولا حيث حمل
الأمانة حيث لم يف بها ونحو هذا من الكلام في لسان العرب كثير وما جاء القرآن
إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قول العرب لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج
وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقالة الشحم محال ولكن الغرض
أن السمن في الحيوان لا يعزم مما يحسن قبيحه وأن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن
فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك
تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها فإن قلت قد علم وجه التمثيل
في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تمثيله
وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي
في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك
ما في الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل
على المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم
أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كالمحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها حيث
وقال أيضا إن هذه الأجرام العظام وقد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهي ما يتأتى من الجمادات
لم يمتنع عن مشيئته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال أتينا طائعين يكن حاله فيما يصح منه

وأما الإنسان فلم

من

من الانقياد لأمر الله تعالى وبراءته وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات
فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وهو المراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة للوجود كما أن الأمانة
لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها وحمل الأمانة من قولك فلان حامل
للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها
لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق
فأبين أن لا يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا
لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه انتهى وفيه حذف وقال من قرر الآية ببعض
من المجاز أي إنا إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السموات والأرض والجبال رأينا أنها لا تطيقها
وأنها لو تكلمت لأبتها وأشفقت منها فعبر عن هذا المعنى بقوله إنا عرضنا الآية وهذا كما تقول
عرضت الحمل على البعير فأباه وأنت تريد بذلك قايست قوته بثقل الحمل فرأيتها تقصر عنه ونحو
قول ابن بحر معنى عرضنا عارضناها وقابلناها بها فأبين أن يحملنها أي قصرن ونقصن عنها
كما تقول ابن الصحيح أن تحمل ما قابلها وحملها الإنسان قال ابن عباس وابن جبير التزم القيام
بحقها الإنسان آدم وهو في ذلك ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه قال ابن عباس ما تم
له يوم حتى أخرج من الجنة وقال الضحاك وقال الحسن وحملها معناه خان فيها والإنسان
الكافر والمنافق والعاصي على قدره وقال ابن مسعود وابن عباس أيضا ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه
هابيل وكان قد تحمل لأبيه أمانة أن يحفظ الأهل بعده وكان آدم سافر عنهم إلى مكة في حديث
طويل ذكره الطبري وقال أبو إسحاق عرض الأمانة وضع شواهد الوحدانية في المصنوعات
والحمل الخيانة كما تقول حمل حقي واحتمله أي ذهب به قال الشاعر

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وليس وتحمل أخرى نصا في الذهاب بها بل يحتمل أنك تتحمل أخرى وتؤدي واحدة وتتحمل أخرى
فلا تزال دائما ذا أمانات فتخرج إذ ذاك واللام في ليعذب لام الصيرورة لأنها لم تحملها لأن
يعذب لكنه حملها فآل الأمر إلى أن يعذب من نافق وأشرك ويتوب على من آمن وقال
ابن عطية لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في ضربته
للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الأعمش ويتوب يعني بالرفع يجعل العلة قاصرة على فعل
الحامل ويبتدئ ويتوب ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن
لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر انتهى وذكر صاحب اللوامح أن
الحسن قرأ ويتوب بالرفع والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ه

سورة سبأ

المزق خرق الشيء يقال منه ثوب ممزوق ومزيق ومتمزق وممزق إذا صار قطعا بالبلى ومنه
قول الممزق العبدي: فإن كنت مأكولا فكن خير آكل ... وإلا فأدركني ولما أمزق
السابغات الدروع وأصله الوصف بالسبوغ وهو التمام والكمال وغلب على الدروع فصار قال الشاعر
عليها أسود ضاريات لبوسهم ... سوابغ بيض لا تخرقها النبل. السرد السرد اتباع الشيء
بالشيء من جنسه قال الشماخ

فظلت سراعا خيلنا في بيوتكم ... كما تابعت سرد العنان الخوارز

ويقال للدرع مسرودة لأنها تتوبع فيها الحلق بالحلق وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

ويقال لصانع ذلك سراد وزراد بتبديل السين الزاي كما قالوا سراط وزراط • ويقال
للشي مسرد وسراد وسرد القران اذا حدر فيه والكلام اذا تابعه مستعجلا فيه اسالـ
من سال الوادي والدمع جرى بسرعة ما فيه من الدم والدمع القطر النحاس والحديد
وما جرى مجراه الجفان جمع جفنة وهي معروفة الجوابي الحياض العظام واحدها جابية
لانه يجبى فيها الما اي يجمع • قال الشاعر •
• بجفان تعتري نادينا • من سديف حين هاج الصنبر •
• كالجوابي لا تني مترعة • لقرى الاضياف او للمحتضر • وقال الاعشى
• نفى الذم عن آل المحلق جفنة • كجابية الشيخ العراقي تفهق • وقال الافوه الاودي
• وقدور كالربا راسية • وجفان كالجوابي مترعة • القدور انما يطبخ فيه
من فخار وغيره وهو على شكل مخصوص المنساة العصا تهمز ولا تهمز ووزنها مفعلة
من نسأت اي اخرت وطرت ويقال منساه بالمد والهمز على وزن مفعالة كما قالوا ميضاة
وميضاه • وقال الشاعر • ضربنا بمنساة وجهه • فصار بذاك مهينا ذليلا •
وقال اخر • اذا دببت على المنساة من هرم • فقد تباعد عنك اللهو والغزل •
وقياس تخفيف همزتها ان تكون بين بين واما ابدالها الفا وحذفها فغير قياس العرم اما صفة
للسيل اضيف فيه الموصوف الى الصفة كقولهم مسجد الجامع واما اسم بيتي وباقي القول فيه
في تفسير المركبات الخمط قال ابو عبيدة كل شجرة مرة ذات شوك وقال ابن الاعرابي الخمط
ثمر شجر على صورة الخشخاش لا ينتفع به وقال القتبي يقال للحامضة خمطة الخبز اذا اخذ شيئا
من الريح نحو حامض وخميط وخمط الفحل هدر والرجل تغضب وتكبر والخمر اذا اخذت ريح الادراك
كرائحة التفاح ولم تدرك بعد ويقال هي الحامضة قال الجوهري الاثل شجر وهو ضرب من الطرفا
قال ابو حنيفة اللغوي في كتاب النبات له وباقي ما قال فيه المفسرون السدر قال ابن
الفرا هو السمر وقال الازهري السدر سدران سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله
ثمرة عفصة لا تؤكل وهو الذي يسمى الضال وسدر ينبت على الما وثمره النبق وورقه غسول
يشبه ورق العناب التناوش تناول سهل لشي قريب يقال ناشه ينوشه نوشا وتناوش القوم اذا ما تناوشوا
في الحرب ناش بعضهم بعضا بالسلاح • قال الراجز •
• فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا • واما بالهمز فقال
الفرا من نأشت اي تأخرت • قال الشاعر •
• تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت بعد الامور امور • وقال اخر •
• وجئت نئيشا بعدما فاتك الخبر • نئيشا اخيرا والله تعالى اعلم •

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في
السموات وما في الارض وله الحمد في الاولى والاخرة وهو الحكيم الخبير • يعلم ما يلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور • وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة
قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين • ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق
كريم • والذين سعوا في اياتنا معجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم • ويرى الذين اوتوا العلم

الذي

الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد • وقال الذين كفروا هل ندلكم
على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد • افترى على الله كذبا ام به جنة بل
الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد • افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
السما والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما ان في ذلك لاية
لكل عبد منيب • هذه السورة قال في التحرير مكية باجماعهم وقال ابن عطية مكية
الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم فقالت فرقة هي مدنية في من اسلم من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واشباهه انتهى وسبب نزولها ان ابا سفيان قال لكفار مكة لما سمعوا ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات كان محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد ان نموت ويخوفنا بالبعث
واللات والعزى لا تاتينا الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله تعالى قل يا محمد بلى وربي لتبعثن
قاله مقاتل وما في السورة تهديدهم وتخويف ومن ذكر هذا السبب ظهرت المناسبة بين هذه
السورة والتي قبلها • الحمد لله مستغرق لجميع المحامد وله الحمد في الاخرة ظاهره الاستغراق ولما
كانت نعمة الاخرة مخبرا بها غير مرئية لنا في الدنيا قياسا الغائب على الشاهد وان اختلفا في الفضيلة
والديمومة وقيل ال فيه للعهد والاشارة الى قوله واخر دعواهم ان الحمد لله والى قوله وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده وقال الزمخشري الفرق بين الحمدين وجوب الحمد في الدنيا لانه على نعمة
متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب وحمد الاخرة ليس بواجب لانه على
نعمة واجبة الاتصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المومنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به
انتهى وفيه بعض تلخيص يعلم ما يلج في الارض من المياه وقال الكلبي من الاموات والدفائن وما
يخرج منها من النبات وقال الكلبي من الجواهر والمعادن وما ينزل من السما من المطر والثلج
والبرد والصواعق والرزق والملك وما يعرج فيها من اعمال الخلق وقال الكلبي وما ينزل
وما يعرج من الملائكة وقيل من الاقضية والاحوال والادعية والاعمال وقيل من الانعام والعطايا
وقرا علي والسلمي وما ننزل بضم اليا وفتح النون وشد الزاي اي الله تعالى وبلى جواب للنفي السابق
من قولهم لا تاتينا الساعة التي انكروا مجيئها وقرا الجمهور لتاتينكم بتا التانيث اي لتاتينكم
الساعة لانه مقصودهم من نفي الساعة انهم لا يبعثون وقال الزمخشري او على معنى
الساعة ساعة اي اليوم او على اسناده الى الله تعالى على معنى ليأتينكم امر عالم الغيب كقوله
او ياتي ربك اي امره وبعيدا ان يكون ضمير الساعة لانه مذهوب به مذهب التذكير
ولا يكون الا في الشعر نحو قوله • ولا ارض ابقل ابقالها • ثم اكد الجواب بالقسم على
البعث واتبع القسم بقوله عالم الغيب وما بعده ليعلم ان اتيانها من الغيب الذي تفرد به تعالى
وجاء القسم بقوله وربي مضافا الى الرسول عليه الصلاة والسلام ليدل على شدة القسم اذ لم
يات به في الاسم المشترك بينه وبين من انكر الساعة وهو لفظ الله وقرا نافع وابن عامر
ورويس وسلام والجحدري وقعنب عالم بالرفع على اضمار هو وجوز الحوفي وابو البقا
ان يكون مبتدا والخبر لا يعزب وقال الحوفي او خبر محذوف وباقي عالم الغيب هو وباقي
السبعة عالم بالجر قال ابن عطية وابو البقا وذكر على البدل واجاز ابو البقا ان يكون
صفة ويعني انه عالم الغيب يجوز ان يتعرف وكذا كل ما اضيف الى معرفة مما كان لا يتعرف بذلك
يجوز ان يتعرف وكذا كل ما اضيف الى معرفة مما كان لا يتعرف بذلك يجوز ان يتعرف الا اضافة
المشبهة فلا تتعرف باضافة ذكر ذلك سيبويه في كتابه وقل من يعرفه وقرا ابن وثاب

والاعمش وحمزة والكسائي علام على المبالغة والخفض وتقدمت قراءة لا يعزب في يونس وقرا
الجمهور ولا اصغر من ذلك ولا اكبر برفع الرائين واحتمل ان يكون معطوفا على مثقال وان يكون مبتدا
والخبر في قوله الا في كتاب وعلى الاحتمال يكون الا في كتاب مبين توكيدا لما تضمن النفي في قوله لا يعزب
وتقديره ولكنه في كتاب مبين وهو كناية عن ضبط الشي والتحفظ به فكانه في كتاب وليس ثم كتاب
حقيقة وعلى التخريج الاول يكون الكتاب هو اللوح المحفوظ وروي عن ابي عمرو وعزاها ابن عطية الى نافع
ولا ينعكس ما قال بل تكون لا التي لنفي الجنس وهو مبتدا عنده مجموع لا وما بني معها على مذهب سيبويه
كما والخبر الا في كتاب مبين وهو من عطف الجمل لا من عطف المفردات كما قال ابن عطية وقال
الزمخشري جوابا لسوال من قال هلا جاز عطف ولا اصغر على مثقال ولا اصغر على ذرة قلت
يابى ذلك حرف الاستثنا الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل
ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن
الغيب شي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح انتهى ولا يحتاج الى هذا التاويل اذ جعلنا الكتاب
المبين ليس اللوح المحفوظ وقرا زيد بن علي ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بخفض الرائين بالكسر
كانه نوى مضافا اليه محذوفا التقدير ولا اصغره ولا اكبره ومن ذلك ليس متعلقا بافعل
بل هو تبيين لانه لما حذف المضاف اليه ابهم لفظا فبينه بقوله من ذلك اي اعني من ذلك
وقد جاز من مع كون افعل التفضيل مضافا في قول الشاعر

نحن بغرس الودي اعلمنا   منا بركض الجياد في السدف

ويخرج على انه اراد
علم منا فاجاز ناو بل اطراح المضاف اليه فاحتملت قراءة زيد هذا التوجيه الا انه لما
اضاف اصغر واكبر على اعرابهما حالة الاضافة وهذا اقل توجيه شذوذ وناسب وصفه تعالى
بعالم الغيب وانه لا يعزب عنه شي من الخفيات فاندرج في ذلك وقت قيام الساعة وصار
ذلك دليلا على صحة ما اقسم عليه لان من كان عالما بجميع الاشيا كليها وجزئيها وكانت
قدرته تامة كان قادرا على اعادة ما فني وجميع الارواح والاشباح فقيل وقوله
مثقال ذرة في السموات فانه يشار الى علمه بالارواح وفي الارض اشارة الى علمه بالاشباح وكما
ابرزها من العدم الى الوجود اولا فكذلك يعيدها ثانيا وقال الزمخشري فان قلت
كيف يكون بعض اليمين مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها
بالحجة القاطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزا
وان المحسن لابد له من ثواب والمسي لابد له من عقاب انتهى وفي السوال بعض اختصار له
وبنوه على سنة الاعتزال والظاهر ان قوله ليجزي متعلق بقوله لا يعزب وقيل بقوله
لياتينكم وقيل بالعامل في كتاب مبين اي الا مستقرا في كتاب مبين ليجزي وقرا
الجمهور معجزين مخففا وابن كثير وابو عمرو والجحدري وابو السمال مثقلا وتقدم في الحج اي
معجزين قدرة الله في زعمهم وقال ابن الزبير معناه مثبطين عن الايمان من اراده مدخلين
عليه العجز في نشاطه وهذا هو سعيهم في الايات اي في شان الايات وقال قتادة
مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا وقال عكرمة مراغمين وقال ابن زيد مجاهدين في ابطالها
وقرا ابن كثير وحفص وابن ابي عبلة اليم هنا وفي الجاثية بالرفع صفة للعذاب وباقي
السبعة بالجر صفة للرجز والرجز العذاب السي والظاهر ان قوله والذين سعوا مبتدا
والخبر في الجملة الثانية وهي اوليك وقيل هو منصوب عطفا على الذين امنوا اي ويجزي الذين

سعوا

سعوا واحتمل ان تكون الجملتان المصدرتان باوليك هي تفسير الثواب والعقاب واحتمل ان يكونا
مستانفتين والثواب والعقاب عبر بما تضمنتا مما هو اعظم كرضى الله على المومن دايما وسخطه
على الكافر دايما والظاهر ان قوله ويرى استيناف اخبار عمن اوتي العلم يعلمون القران المنزل عليك
هو الحق وقيل ويرى منصوب عطفا على ليجزي وقال الطبري والثعلبي وتقدم الخلاف في الذين
اوتوا العلم في ذكر المكان الذي نزلت فيه هذه السورة وقال الزمخشري اي وليعلم اولوا العلم
عند مجي الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كفروا وتولوا ويجوز ان يريد
وليعلم من لم يومن من الاحبار انه الحق فيزدادوا حسرة وغما انتهى وانما قال عند مجي الساعة
لانه علقه بليجزي اي بقوله لتاتينكم مبني التخريج على ذلك وقرا الجمهور الحق بالنصب مفعولا ثانيا
ليرى وهو فصل وابن ابي عبلة بالرفع جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة في موضع المفعول
الثاني ليرى وهي لغة تميم يجعلون ما هو فصل عند غيرهم مبتدا قاله ابو عمر الجرمي والظاهر
ان الفاعل بيهدي هو ضمير هو الذي انزل وهو القران وهو استيناف اخبار وقيل هو في موضع الحال
على اضمار وهو يهدي ويجوز ان يكون معطوفا على الحق عطف الفعل على الاسم كقوله صافات
ويقبضن اي وقابضات كما عطف الفعل على الاسم في قول الشاعر

فالفيته يوما يبير عدوه   ومجر عطا يستحق المعابرا

عطف
ومجر على يبير وقيل الفاعل بيهدي ضمير عايد على الله وفيه بعد   وقال
الذين كفروا هم قريش قال بعضهم لبعض على جهة التعجب والاستهزا كما يقول الرجل لمن يريد
ان يعجبه هل ادلك على قصة غريبة نادرة ولما كان البعث عندهم من المحال جعلوا من يخبر عنه
في حيز من يتعجب منه واتوا باسمه عليه الصلاة والسلام نكرة في قولهم هل ندلكم على
رجل وكان اسمه اشهر علم في قريش بل في الدنيا واخباره بالبعث اشهر خبر لانهم اخرجوا ذلك
مخرج الاستهزا والتحلي ببعض الاحاجي المعمولة للتلهي والتعمية فلذلك نكروا اسمه وقرا الجمهور ينبيكم
بالهمز وزيد بن علي بابدال الهمزة يا محضة وحكى عنه الزمخشري ينبيكم بالهمز من انبا واذا جوابها
محذوف تقديره تبعثون وحذف لدلالة ما بعده عليه وهو العامل في اذا على قول الجمهور وقال
الزجاج ذلك وقال ايضا هو والنحاس العامل مزقتم قال ابن عطية وهو خطا وافساد للمعنى انتهى
وليس بخطا ولا افساد للمعنى واذا الشرطية تختلف في العامل فيها وقد بينا فيما كتبناه من شرح
التسهيل ان الصحيح ان يعمل فيها فعل الشرط كسائر ادوات الشرط والجملة الشرطية يحتمل
ان تكون معمولة لينبيكم لانه في معنى يقول لكم اذا مزقتم كل ممزق تبعثون ثم اكد ذلك بقوله انكم
لفي خلق جديد ويحتمل ان يكون انكم لفي خلق جديد معمولا لينبيكم وينبيكم معلق ولولا اللام في خبر ان لكانت
مفتوحة فالجملة سدت مسد المفعولين والجملة الشرطية على هذا التقدير اعتراض وقد
منع قوم التعليق في باب اعلم والصحيح جوازه قال الشاعر

حذار فقد نبيت انك للذي   ستجزى بما تسعى فتسعد او تشقى

وممزق مصدر جا على زنة اسم المفعول على القياس في اسم المصدر من كل فعل زايد على الثلاثة
كقول الشاعر   الم تعلم مسرحي القوافي   فلا عيا بهن ولا اجتلابا   اي تسريحي القوافي
واجاز الزمخشري ان يكون ظرف مكان اي اذا مزقتم في كل مكان من القبور وبطون الطير
والسباع وما ذهبت به السيول كل مذهب وما نسفته الرياح فطرحته كل مطرح انتهى
وجديد عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جاد وجديد وبمعنى مفعول عند الكوفيين

من جزه اذ اقطعه والظاهر ان قوله افترى من قول بعضهم لبعض اي هو مفتر على الله كذبا
فيما ينسبه اليه من امر البعث ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه عادلوا بين الافترا والجنون
لان هذا القول عندهم انما يصدر عن احد هذين لانه ان كان يعتقد خلاف ما اتانا به فهو
مفتر وان كان لا يعتقده فهو مجنون وتحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن خاطبه
هل ندلكم رددوا بين الشيئين ولم يجزم باحدهما حيث جوزوا هذا اولم يجزم بانه افترى المحض
احترازا من ان ينسبه الكذب لعاقل ينسبه فطعنه اذ العاقل حتى الكافر لا يرضى بالكذب
لا من نفسه ولا من غيره واضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى ليس للرسول صلى الله عليه وسلم
كما نسبتم اليه بل انتم في عذاب النار في عذاب الدنيا بما تكابدونه من ابطال الشرع وهو
بحق واخفاء نور الله وهو متم نوره ولو كان الكلام في البعث قال بل الذين لا يومنون بالاخرة
فرتب العذاب على انكار البعث وتقدم الكلام في وصف الضلال بالبعد وهو من اوصاف
المحال استعير للمعنى ومعنى بصرهم انه لا تنقضي حيرة الملتبس به ؞ افلم يروا ان هولاء
الكفار الذين لا يومنون بالاخرة الى ما بين ايديهم الجهة ما تصرفوا فالسما والارض قد
احاطتا بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما ولا يخرجوا عن ملكوت الله تعالى فيهما
وقال الزمخشري اعموا فلم ينظروا واجعل بين الفا والعطف فعلا ليصح العطف عليه
وهو خلاف ما ذهب اليه النحويون من انه لا محذوف بينهما وان الفا للعطف
على ما قبل همزة الاستفهام وان التقدير فالم يكن همزة الاستفهام لما كان لها الصدر تقدمت
وقد رجع الزمخشري الى مذهب النحويين في ذلك وقد رددنا عليه هذا المذهب فيما كتبنا
في شرح التسهيل ونبههم تعالى على قدرته الباهرة وحذرهم احاطتها بهم على سبيل الاهلاك
لهم وكان ثم حال لا محذوف اي افلا يرون الى ما يحيط بهم من سماء وارض مقهورين تحت
قدرتنا نتصرف فيه كما نريد ان نشا نخسف بهم الارض كما فعلنا بقارون او نسقط
عليهم كسفا من السما كما فعلنا باصحاب الظلة او افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
محيطا وهم مقهورون تحته ان نشا ان في ذلك النظر الى السما والارض والتفكر فيهما وما
يدلان عليه من قدرة الله تعالى لآية لعلامة ودلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له قال
مجاهد مجيب وقال الضحاك مستقيم وقال ابو روق مخلص في التوحيد وقال قتادة مقبل على ربه
بقلبه لان المنيب لا يخلو من النظر في ايات الله على انه قادر على كل شي من البعث ومن عقاب
من يكفر به وقرا الجمهور ان نشا نخسف نسقط بالنون في الثلاثة وحمزة والكسائي وابن
وثاب وعيسى والاعمش وابن مصرف بالياء فيهما وادغم الكسائي الفا في البا من نخسف بهم
قال ابو علي وذلك لا يجوز لان البا اضعف في الصوت من الفا فلا تدغم فيها وان كانت البا
تدغم في الفا نحو اضرب فلانا وهذا كما تدغم البا في الميم كقولك اضرب مالكا ولا تدغم الميم في البا
كقولك اضمم بكرا لان البا انحطت عن الميم بفقد الغنة التي في الميم وقال الزمخشري وقرا
الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية انتهى والقراءة سنة متبعة ويوجد فيها
الفصيح والافصح وكل ذلك من تيسير تعالى القران للذكر فلا التفات لقول ابي علي ولا الزمخشري
قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان
اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ؞ ولسليمان الريح غدوها
شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ

منهم

منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير ؞ يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل وجفان
كالجواب وقدور راسيات اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ؞ فلما قضينا
عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ؞ مناسبة قصة داود وسليمان عليهما السلام
لما قبلها هي ان اولئك الكفار انكروا البعث لاستحالته عندهم فاخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة
مما لا يمكنهم انكاره اذ طفحت ببعضه اخبارهم وشعراوهم على ما ياتي ذكره ان شا الله تعالى من تاويب
الجبال والطير مع داود والانة الحديد وهو الجرم المستعصي وتسخير الريح لسليمان واسالة النحاس
له كما الان الحديد لابيه وتسخير الجن في ما يشا من الاعمال الشاقة وقيل لما ذكر تعالى من ينيب
من عباده ذكر من جملتهم داود كما قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وبين ما اتاه
الله تعالى على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلا وقيل ذكر نعمته على داود وسليمان
عليهما السلام احتجاجا على ما منح محمدا صلى الله عليه وسلم اي لا تستبعدوا هذا فقد تفضلنا
على عبيدنا قديما بكذا وكذا فلما فرغ التمثيل لمحمد عليه الصلاة والسلام رجع التمثيل لهم بسبا
وما كان من هلاكهم بالكفر والعتو انتهى فالفضل الذي اوتي داود الزبور والعدل في القضا او النبوة
با لله تعالى او تسخير الجبال والطير وتليين الحديد اقوال يا جبال هو على اضمار القول اما
مصدرا اي قولنا يا جبال فيكون بدلا من فضلا واما فعلا اي قلنا فيكون بدلا من اتينا
واما على الاستيناف اي قلنا يا جبال وجعل الجبال بمنزلة العقلا الذين اذا امرهم اطاعوا
واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد ناطق وصامت
الا وهو منقاد لمشيئته عز وجل غير ممتنع على ارادته ودلالة على عزة الربوبية وكبريا
الالهية حيث نادى الجبال وامرها فاطاعت وقرا الجمهور اوبي مضاعف اب يووب
ومعناه سبحي معه قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وقال مورج وابو ميسرة سبحي
بلغة الحبشة اي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح اي ترده بالذكر وضعف الفعل للمبالغة قاله
ابن عطية ويظهر ان التضعيف للتعدية فليس للمبالغة اذ اصله اب وهو لازم بمعنى
رجع اللازم فعدي بالتضعيف اذ شرحوه بقولهم رجعي معه التسبيح قال الزمخشري
ومعنى تسبيح الجبال ان الله تعالى يخلق فيها التسبيح كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع
من التسبيح معجزة لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت
الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها انتهى وقوله كما خلق الكلام في الشجرة
يعني ان الذي سمعه موسى عليه السلام هو ما خلق الله في الشجرة من الكلام لا انه سمع كلام الله
حقيقة وهذا مذهب المعتزلة واما قوله تسعده الجبال باصدائها فليس بشي لان الصدى
ليس بصوت الجبال حقيقة والله تعالى نادى الجبال وامرها بان تؤوب معه والصدى لا يومر
الجبال بان تفعله اذ ليس فعلا لها وانما هو من اثار صوت المتكلم على ما تقوم عليه البراهين
وقال الحسن معنى اوبي معه سيري معه اين سار والتاويب سير النهار كان
الانسان يسير الليل ثم يرجع للسير بالنهار اي يردده وقال تميم بن مقبل
لحقنا بحي اوبوا السير بعدما ؞ دفعنا شعاع الطرف بحدها يجنح ؞ وقال الاخر الشمس و
يومان يوم مقامات وانديه ؞ ويوم سير الى الاعدا تاويب ؞
وقيل اوبي تصرفي معه على ما يتصرف فيه فكان اذا قرا الزبور صوتت الجبال

معه واصحبتاليه الطير فكانها فعلت ما فعل وقرا ابن عباس والحسن وقتادة وابن ابي
اسحاق اوبي امر من اوب اي ارجعي معه في التسبيح او في السير على القولين وامر الجبال كامر الواحدة
المونثة لان جمع ما لا يعقل يجوز فيه ذلك ومنه يا جبل الله اركبي ومنه ما رب اخرى
وقد جاء ذلك في جمع ما يعقل من المونث قال الشاعر

تركنا الخيل والنعم المعدى • وقلنا للنساء بها اقيمي

لكن هذا قليل وقرا الجمهور
والطير بالنصب عطفا على موضع يا جبال قاله سيبويه وقال ابو عمرو باضمار فعل تقديره
وسخرنا له الطير وقال الكسائي عطفا على فضلا اي وتسبيح الطير وقال الزجاج نصبه على انه
مفعول معه انتهى وهذا لا يجوز لان قبله معه ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول معه الا على البدل
او العطف فكما لا يجوز جاء زيد مع عمرو مع زينب الا بالعطف كذلك هذا وقرا السلمي وابن هرمز
وابو يحيى وابن نوفل ويعقوب وابن ابي عبلة وجماعة من اهل المدينة وعاصم في رواية والطير
بالرفع عطفا على لفظ يا جبال وقيل عطفا على الضمير في اوبي وسوغ ذلك الفصل بالظرف
وقيل رفعا بالابتدا والخبر محذوف اي والطير تؤوب والناله الحديد قال ابن عباس وقتادة
صار كالشمع وقال الحسن كالعجين وكان يعمله من غير نار وقال السدي كالطين المبلول والعجين
والشمع يصرفه كيف يشا من غير نار ولا ضرب مطرقة وقيل اعطي قوة يلين بها الحديد وقال
مقاتل كان يفرغ من الدرع في بعض يوم او في بعض ليلة ثمنها الف درهم وكان داود عليه
السلام يتنكر فيسال الناس عن حاله فعرض له ملك في صورة انسان فساله فقال نعم العبد لولا خلة
فيه فقال وما هي قال يرتزق من بيت المال ولو اكل من عمل يده تمت فضايله فدعا الله ان
يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة الدروع والان له الحديد فاثرت وكان ينفق ثلث
المال في مصالح المسلمين وان في ان اعمل مصدرية وهي على اسقاط حرف الجر اي الناه لعمل سابغات
واجاز الحوفي وغيره ان تكون مفسرة ولا يصح لان من شرطها ان يتقدمها معنى القول والنا ليس
فيه معنى القول وقدر بعضهم قبلها فعلا محذوفا حتى يصح ان تكون مفسرة وتقديره وامرناه ان
اعمل اي اعمل ولا ضرورة تدعو الى هذا المحذوف وقرى صابغات بالصاد بدلا من السين وتقدم
انها قد في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه وقدر في السرد قال ابن زيد هو في قدر الحلقة
اي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها
وقال ابن عباس هو في المسمار لا يرق فيتسلسل ولا يغلظ فيفصم بالفا والقاف وروي قتادة ان الدروع
كانت قبل صفايح اثقالا وهو اول من صنع الدرع حلقا والظاهر ان الامر في قوله اعملوا لال
داود لم يجد لهم ذكر فيكون ان يكون امر لال داود وقد شرفه الله تعالى بان خاطبهم خطاب الجمع ولسليمان
الريح قال الحسن عقر سليمان الخيل اسفا على ما فوتته من صلاة العصر فابدله الله خيرا منها
واسرع الريح تجري بامره وقرا الجمهور الريح بالنصب اي ولسليمان سخرنا الريح وابو بكر بالرفع
على الابتدا والخبر في المجرور ويكون الريح على حذف مضاف اي تسخير الريح او على اضمار الخبر اي الريح
مسخرة وقرا الحسن وابو حيوة وخالد بن الياس الرياح بالرفع جمعا قال قتادة تقطع به
من الغدو الى قرب الزوال مسيرة شهر وفي الرواح من بعد الزوال الى الغروب مسيرة شهر وقال
الحسن تخرج من مستقره بالشام يريد تدمر التي بنتها الجن بالصفاح والعمد فيقيل في اصطخر
ويروح منها فيبيت في كابل من ارض خراسان والغدو ولبيس الشهر وهو على حذف مضاف
اي جري غدوها اي جريها في الغدو مسيرة شهر وجري رواحها اي جريها في الرواح مسيرة

شهر

شهر واخبر هنا عن الغدو والرواح بالزمان وهو شهر ويعني شهرا واحدا كاملا ونصب
شهر جايز ولكنه لم يقرا به فيما اعلم وقرا ابن ابي عبلة غدوتها وروحتها على وزن فعلة وهي المرة
الواحدة من غدا وراح وقال وهب كان مستقر سليمان عليه السلام تدمر وكانت الجن
الجن قد بنتها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاسود وفيه يقول النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له • قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ووجدت ابيات منقورة في صخرة بارض كسكر انشاها بعض اصحاب سليمان عليه السلام
وهي

ونحن ولا حول سوى حول ربنا • نروح من الاوطان من ارض تدمر
اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا • مسيرة شهر والغدو لاخر
اناس اعز الله طوعا نفوسهم • بنصر ابن داود النبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورفعة • وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى يركبوا الريح المطيعة اسرعت • مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم • متى رفرفت من فوقهم لم تنفر

انتهى ما حكاه ابن عطية واسلنا له عين القطر الظاهر انه جعل في معدنه عينا تسيل
كعيون الماء دلالة على نبوته قال قتادة يستعملها فيما يريد وعن ابن عباس ومجاهد والسدي
اجريت له ثلاثة ايام بلياليهن وكانت بارض اليمن قال مجاهد سالت من صنعا ولم
يذب النحاس فيما روي لاحد قبله وكان لا يذوب وقالت فرقة المعنى اذبنا له النحاس على نحو
ما كان الحديد يلين لداود عليهما السلام قالوا وكانت الاعمال تتاتى منه وهو بارد دون نار
وعين بمعنى الذات قالوا ولم يلن لاحد قبله وكذا ان قال الزمخشري اراد بها معدن النحاس
ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الما من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل
اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا انتهى ويحتمل من يعمل ان يكون موضع نصب اي وسخرنا
من الجن من يعمل وان يكون في موضع رفع على الابتدا وخبره في الجار والمجرور قبله باذن ربه اي بامر
ربه لقوله ومن يزغ منهم عن امرنا وقرا الجمهور يزغ مضارع زاغ اي ومن يعدل عن امرنا
الذي امرناه من طاعة سليمان عليه السلام وقرى يزغ بضم اليا من ازاغ اي من يمل
ويصرف نفسه من امرنا وعذاب السعير عذاب الاخرة قاله ابن عباس وقال السدي
كان معه ملك بيده سوط من نار كلما عصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني ولبعض [illegible]
او من يتشبههم تحريف هذه الجملة ان تسبيح الجبال هو من نوع قوله وان من شي الا يسبح بحمده وان بزغ
تسخير الريح هو انه راض الخيل وهي كالريح وان غدوها شهر يكون فرسخا لان من يخرج للتفرج لا يسير
في غالب الامر اكثر من فرسخ والانة الحديد واسالة القطر هو استخراج ذوبها بالنار واستعمال
الالة منهما ومن الجن هم ناس من بني ادم اقوياء شبهوا بهم في قواهم وهذا تاويل فاسد وخروج
بالجملة عما يقوله اهل التفسير في الاية وتعجيز للقدرة الالهية نعوذ بالله من ذلك والمحاريب قال
مجاهد المساجد سميت باسم بعضها تجوزا وقال ابن عطية القصور وقال قتادة كلها وقال
ابن مساكن وقيل ما يصعد اليه بالدرج كالغرف والتماثيل الصور وكانت لغير الحيوان
وقال الضحاك كانت تماثيل حيوان وكان عملها جايزا في ذلك الشرع وقال الزمخشري وصور
الملايكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس

يتعبدوا نحو عبادتهم وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل
كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما وتصوير محذوفة الرؤس
انتهى وفيه بعض حذف وقيل التماثيل طلسمات فيعمل تمثالا للتمساح او للذباب او للبعوض
او بامرات لا يتجاوزه ذلك الممثل به ما دام ذلك التمثال والتصوير حرام في شريعتنا وقد
ورد تشديد الوعيد على المصورين وللمفضل لعل استثنا في شي منها وفي حديث سهل
ابن حنيف لعن المصورين ولم يستثن عليه السلام وحكى مكي في الهداية ان قوما اجازوا التصوير
وحكاه النحاس عن قوم واحتجوا بقوله وتماثيل قال ابن عطية وما احفظ من ائمة
العلم من يجوزه وحذفت الياء من الجوابي تخفيفا وهو الاصل وحذفها اجتزا بالكسرة واجرا الالف واللام
مجرى ما عاقبها وهو التنوين وكما يحذف مع التنوين يحذف مع ما عاقبه وهو الالف واللام والراسيات
الثابتات على الاثافي فلا تنقل ولا تحمل لعظمها وقدمت المحاريب على التماثيل لان النقوش تكون
في الابنية وقدم الجفان على القدور مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الاكل والطبخ قبل
الاكل لما بين الابنية الملكية واراد عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور اشار الى الجفان
لانها تكون فيها والقدور ربما تكون في موضع اخر هناك ولهذا اتى بالراسيات ولما بين حال الجفان
سرى الوهم الى عظمة ما يطبخ فيه فذكر القدور للمناسبة وذكر في حق داود ما فيه انتفاعه بالة الحرب
لاحتياجه الى قتال الاعدا وفي حق سليمن المحاريب والتماثيل لانه كان ملكا ابن ملك قد اطد له
ابوه الملك فكانت حالته حالة سلم لا يحتاج احد يتفرغ على محاربته وقال عقيب ان اعمل سابغات
الاية واعملوا صالحا وعقيب ما يعمله الجن اعملوا ال داود شكرا اشارة الى الانسان لا يستغرق في
في الدنيا ولا يلتفت الى زخارفها وانه يجب ان يعمل صالحا اعملوا ال داود وقيل لهم اعملوا وصلوا
اعملوا محذوف اي اعملوا الطاعات وواظبوا عليها شكرا لربكم على ما انعم به عليكم فقيل انتصب
شكرا على الحال وقيل مفعول من اجله وقيل مفعول به باعملوا اي اعملوا عملا هو الشكر كانت
الصلاة والصيام والعبادات كلها في انفسها هي الشكر اذ سدت مسده وقيل على المصدر
لتضمين اعملوا اشكروا بالعمل لله شكرا روي ان مصلى ال داود لم يخل قط من قائم يصلي ليلا
ونهارا وكانوا يتناوبون وكان سليمن عليه السلام ياكل الشعير ويطعم اهله الخشكار
والمساكين الدرمك وما شبع قط وقيل له في ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجياع
والشكور صيغة مبالغة واريد به [illegible] قال ابن عباس الشكور من يشكر على احواله كلها وقال
السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وقيل من يرى وهذه الجملة تحتمل
ان تكون خطابا لال داود وهو الظاهر وان تكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وفيها تنبيه
وتحريض على الشكر فلما قضينا عليه الموت اي انفذنا عليه ما قضينا عليه الموت في الازل
من الموت واخرجناه الى حيز الوجود وجواب لما النفي الموجب وهو ابدا على ان لما حرف لا ظرف
خلافا لمن زعم ذلك لانه لو كان ظرفا لكان الجواب هو العامل وما دخلت عليه وهي نافية
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقد مضى لنا نظير هذا في يوسف عند ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي والضمير في دلهم عائد على الجن الذي كانوا يعملون له
وكان سليمن عليه السلام قد امر الجن ببنا صرح له فبنوه له ودخله مختليا ليتعبد فيه
يوما من الدهر ليس الكدر فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت علي فقال انما دخلت
باذن قال ومن اذن لك قال رب هذا الصرح فعلم انه ملك الموت اتى يقبض روحه فقال

سبحان الله

سبحان الله هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفا فقال له طلبت ما لم يخلق فاستوثق من الاتكا
على عصاه فقبض روحه وبقيت الجن تعمل على عادتها وكان سليمان قد عمي موته لانه
كان بقي من تمام بناء المسجد عمل سنة فسال الله تعميتها على الانس والجن وكان يخلو
بنفسه الشهرين والثلاثة وكانوا يقولون انه يتحنث وقيل ان ملك الموت اعلمه انه بقي من عمره
ساعة فدعا الشياطين وبنوا له الصرح وقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكي
عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر احد منهم اليه في صلاته الا احترق فمر واحد منهم
فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا هو قد خر ميتا وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك بعد
موت ابيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان ابوه قد اسس بنيان المسجد موضع فسطاط موسى
فمات قبل ان يتمه ووصى به الى ابنه فامر الشياطين باتمامه ومات قبل تمامه ودابة الارض
دابة الارض
هي سوسة الخشب وهي الارضة وقيل ليست سوسة الخشب لان السوسة ليست من دواب
الارض بل هذه حيوان من الارض شانه ان ياكل الخشب وذلك موجود وقالت فرقة منهم ابو
حاتم الارض هنا مصدر ارضت الاخشاب والخشبة كانها الارضة فكانه قال دابة الاكل الذي
هو تلك الصورة واذا كان الارض مصدرا كان فعله ارضت الدابة الخشبة تارضه ارضا من رضي
بكسر الراء كجذعت انفه تجذع وتقول انه مصدر لفعل المفتوح العين قراءة ابن عباس والعباس
ابن الفضل الارض بفتح الراء لان مصدر فعل المطاوع لفعل كجذع انفه جذعا واكلت الاسنان
اكلا وقيل الارض بفتح الراء جمع ارضة وهو من اضافة العام الى الخاص لان الدابة اعم من الارض
وقراءة الجمهور بسكون الراء فالمتبادر انها الارض المعروفة وتقدم انه مصدر لارضت الدابة
الخشبة وتاكل حال اي اكلة منساته وهي حال مصاحبة وتقدم ان المنساة هي العصا وكان
فيما روي يخروب وذلك انه كان يتعبد في بيت المقدس فينبت له في محرابه كل سنة شجرة ويسالها
فقالت انا الخروب خرجت لخراب ملكك فعرف انه حضر اجله فاستعد واتخذ منها عصى ه
واستند عن يزاد سنة والجن تتوهم انه يتعبد بالليل وروي انه سليمان عليه السلام كان في قبة
واوصى بعض اهله بكتمان موته عن الجن والانس سنة ليتم البنا الذي بدي به في زمن داود
عليه السلام فلما مضى لموته سنة خر عن العصا ونظروا الى مقدار ما تاكله الارضة يوم
وليلة فعلم انها اكلت العصا منذ سنة وقرا نافع وابو عمرو وجماعة من منساته
ابدلت الهمزة الفا بدلا غير قياسي وقال ابو عمرو وانا لا اهمزها لاني لا اعرف اشتقاقها فان
كانت مما لا يهمز فقد احتطت وان كانت تهمز فقد يجوز لي ترك الهمز فيما يهمز وقرا
ابن ذكوان وجماعة منهم بكار والوليد بن عتبة وابن مسلم منساته بهمزة ساكنة وهو
من تسكين المتحرك تخفيفا وليس بقياس وضعف النحاة هذه القراءة لانه يلزم فيها
ان يكون ما قبل تا التانيث ساكنا غير الف وقيل قياسها التخفيف بين بين والراوي
لم يضبط واستشهد هارون بن موسى الاخفش الدمشقي شاهدا على سكون هذه القراءة
قول الراجز ۔ صريع خمر قام من وكاته ۔ كقومة الشيخ الى منساته ۔
وقرا باقي السبعة بالهمزة مفتوحة وقري بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وعلى
وزن مفعالة منساءة وقرات فرقة منهم عمرو بن ثابت عن ابن جبير من مفصولة
حرف جر ساته بجر التا قيل ومعناه من عصاه يقال لها ساة القوس وسيتها معا وهي
يدها العليا والسفلى سميت العصا ساة القوس على الاستعارة ولا سيما ان صح النقل انه اتخذها

من شجر الخروب فقيل موته فيكون حين اتكا به عليه وهي كما قطعت من شجر خضرا فاعوجت
حتى صارت كالقوس لما تقدم انه لا يموت ابدا اذا اتكا على عصى خضرا كيف يعوج حتى يكاد يلتقي طرفاه
وفيها لغتان ساة وسية كالقحة وقحة والمجر وقيل من ساه وسببه فلما خر اي سقط
على العصا ميتا والظاهر ان الضمير في خر عائد على سليمان وقيل لم يمت الا في سفر مضطجعا ولكنه
كان في بيت مبني عليه واكلت الارضة عتبة الباب حتى خر الباب فعلم موته وقال ابن عباس مات
في متعبد على فراشه وقد اغلق الباب على نفسه فاكلت الارضة المنساة اي عتبة الباب فلما
خر اي الباب انتهى وهذا فيه ضعف لانه لو كانت المنساة هي العتبة وعاد الضمير عليها لكان التركيب
فلما خرت بتا التانيث ولا يجي حذف هذه التا الا في ضرورة الشعر ولا يكون من تذكير المعنى على
معنى العود لانه قليل وقرا الجمهور تبينت مبنيا للفاعل فاحتمل ان يكون من تبين بمعنى
بان اي ظهر فالجن فاعل وان وما بعدها بدل من الجن كما تقول بين زيد جهله اي ظهر جهل
زيد فالمعنى ظهر للناس جهل الجن علم الغيب وان ما ادعوه من ذلك ليس بصحيح واحتمل ان
يكون من تبين بمعنى علم وادرك والجن هنا خدم الجن وضعفتهم اي لو كانوا اي لو كان رؤساهم
وكبارهم يعلمون قاله قتادة وقال الزمخشري او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم
وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل
اذا دحضت حجته وظهر ابطاله كقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا
انتهى ويجي تبين بمعنى بان وظهر لازما وبمعنى علم متعديا موجود في كلام العرب قال الشاعر
تبين لي ان القماءة ذلة ⁂ وان اعزاء الرجال طيالها ⁂ وقال اخر
افاطم اني ميت فتبيني ⁂ ولا تجزعي كل الانام يموت ⁂ اي فتبيني ذلك ولا تجزعي عليه وقال
ابن عطية ذهب سيبويه الى ان ان لا موضع لها من الاعراب انما هي مؤذنة بجواب ما تنزل منزلة القسم
من الفعل الذي معناه التحقق واليقين لان هذه الافعال التي هي تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها
تحل محل القسم من الفعل فما لبثوا جواب القسم لا جواب لو وعلى الاقوال الاول جواب لو وفي كتاب
النحاس اشارة الى انه قرئ تبينت الجن بنصب الجن اي تبينت الانس الجن والمعنى ان الجن لو كانت
تعلم الغيب ما خفي عليها موت سليمان عليه السلام وقد ظهر انه خفي عليها بدوامها في الخدمة
في الصعبة وهو ميت وقرا ابن عباس فيما ذكر ابن خالويه ويعقوب بخلاف عنه تبينت
مبنيا للمفعول وعن ابن عباس وابي وابن مسعود وعلي بن الحسين والضحاك قراءات في هذا الموضع
مخالفة لسواد المصحف ولما روي عنهم ذكرها المفسرون واضربت عن ذكرها صفحا على عادتنا
في ترك نقل الشاذ الذي يخالف السواد مخالفة كثيرة قوله تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم اية
جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ⁂ فاعرضوا
فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشي من سدر بجنتيهم و
قليل ⁂ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ⁂ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى
ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين ⁂ فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ⁂ ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين ⁂ وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم
من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شي حفيظ ⁂ لما ذكر تعالى حال الشاكرين النعمة منها و
بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين بالنعمة بقصة سبا موعظة لقريش وتحذيرا وتنبيها

على

على ما جرى لمن كفر انعم الله وتقدم الكلام في سبا في النمل وفي ملكة بلقيس فقتل قومها على ما
اخذهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على ان تزوج فابت فقالوا لتزوجن او لنقتلنك
فقالت لهم لا عقل لكم ولا تطيعوني فقالوا نطيعك فرجعت الى عقلها وكانوا اذا مطروا اتاهم السيل
من مسيرة ثلاثة ايام فامرت به فسد ما بين الجبلين بمسناة بالصخر والقار وحبست الما من وراء
السد وجعلت له ابوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدة انهارهم
وكان الما يخرج لهم بالسوية الى ان كان من شانها مع سليمان عليه السلام ما سبق ذكره في سورة النمل
وقيل الذي بنا السد لهم هو حمير ابو القبايل اليمنية وعن الضحاك كانوا في الفترة التي كانت بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل وكان لهم رئيس يلقب بالحمار وكان في الفترة فمات ولد فرفع راسه
الى السما فبزق وكفر فلذا يقال في المثل اكفر من حمار ويقال تركته جوف حمار اي كوادي حمار لما سال
بهم السيل وقرا الجمهور في مساكنهم جمعا والنخعي وحمزة وحفص مفردا بفتح الكاف والكسائي مفردا
بكسرها وهي قراءة الاعمش وعلقمة قال ابو الحسن كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم
والفتح لغة الحجاز وهي اليوم قليلة وقال الفرا هي لغة يمانية فصيحة فمن قرا بالجمع فظاهر لان كلا احد له
مسكن ومن افرد فينبغي ان يحمل على المصدر اي في سكناهم حتى لا يكون مفردا يراد به الجمع لان
سيبويه يرى ذلك ضرورة نحو كلوا في بعض بطنكم تعفوا بر بطونكم ⁂ وقوله
قد عض اعناقهم ⁂ جلد الجواميس ⁂ اي جلود اية اي علامة دالة على الله تعالى وعلى
قدرته واحسانه ووجوب شكره او جعل قصتهما اية اذ اعرض اهلهما عن شكر
الله عليهما فدمرهما وابدلهما عنهما الخمط والاثل عبرة لهم وجنتان خبر مبتدا محذوف اي
هي جنتان قاله الزجاج او بدل قال معناه الفرا قال رفع لانه تفسير لاية وقاله مكي وغيره وضعفه
ابن عطية ولم يذكر جهة تضعيفه وقيل جنتان ابتدا وخبره في قوله عن يمين وشمال انتهى
ولا يظهر لانه نكرة لا مسوغ للابتدا بها الا ان اعتقد ان ثم صفة محذوفة اي جنتان لهم او
عظيمتان لهم عن يمين وشمال وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام مفلتا مما قبله وقرا ابن ابي
عبلة جنتين بالنصب على ان اية اسم كان وجنتين الخبر ووجه كون الجنتين اية نبات
الخمط والاثل والسدر مكان الاشجار المثمرة قال قتادة كانت بساتينهم ذات اشجار وثمار
تستر الناس بظلالها ولم يرد جنتين ثنتين بل اراد من الجهتين يمنة ويسرة انتهى وقال
الزمخشري وانما اراد جماعة من البساتين عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين
في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب انتهى وقال
ابن زيد لم يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا قمل ولا ذباب وكانت المراة تمشي تحت
الاشجار وعلى راسها المكتل فيمتلي ثمارا من غير ان تتناول بيدها شيا وروي نحو هذا
عن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس ⁂ كلوا من رزق ربكم ⁂ قول الله لهم على السنة الانبيا المبعوثين
اليهم وروي ذلك مع الايمان بالله او قول لسان الحال لما راوا انها كثيرة وارزاقا مبسوطة
وفيه اشارة الى تكميل النعمة عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض واشكروا له على ما انعم به
عليكم بلدة طيبة اي كريمة التربة حسنة الهوى رغدة النعم سليمة من الهوام والمضار ورب غفور
لا عقاب على التمتع بنعمه في الدنيا ولا عذاب في الاخرة فهذه لذة كاملة خالية عن المفاسد
العاجلة والاجلة وقرا رويس بنصب الاربعة قال احمد بن يحيى اسكنوا بلدة طيبة واعبدوا ربا غفورا

وقال الزمخشري منصوب على المدح ولما ذكر تعالى ما كان من جانبه من الاحسان اليهم ذكر ما كان
من جانبهم في مقابلته فقال تعالى فاعرضوا عما جاء به اليهم انبياؤهم وكانوا ثلاثة عشر نبيا دعوهم
الى الله تعالى وذكروهم نعمه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فبين كيفية الانتقام منهم كما قال
تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات الله ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون فسلط الله تعالى
عليهم الجرذ فارا اعمى توالد في سدهم وسمي الخلد فخرقه شيئا بعد شيء وارسل سيلا في ذلك الوادي
فحمل ذلك السد فروي كان ذلك من العظم وكثرة الماء بحيث ملا ما بين الجبلين ظاهرة قال
قتادة متصلة على الطريق يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في اخرى قيل
كان على كل ميل قرية بسوقه وهو سبب امن الطريق وقال المبرد ظاهرة مرتفعة اي
في الآكام والظراب وهي اشرف القرى وقيل ظاهرة اذا خرجت من هذه ظهرت لك الاخرى وقيل
ظاهرة معروفة يقال هذا امر ظاهر اي معروف وقيل ظاهرة اي عامرة وقال
ابن عطية والذي يظهر لي ان معنى ظاهرة خارجة عن المدن فهي عبارة عن القرى الصغار
التي هي في ظواهر المدن كانه فصل بهذه الصفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التي
هي المدن وظواهر المدن ما خرج عنها في الفيافي والخلوص ومنه قولهم نزلنا بظاهر فلانة اي
خارجا عنها وقوله ظاهرة قطر قطر تسمية الناس اياها بالبادية والضاحية ومن هذا
قول الشاعر ؛ فلو شهدتني من قريش عصابة ؛ قريش البطاح لا قريش الظواهر ؛
يعني الخارجين من بطحاء مكة وفي الحديث وجاء اهل الضواحي يشكون الغرق وقدرنا فيها السير
جعلنا ان الغادي يقيل في قرية والرائح في اخرى الى ان يصل الى مقصوده امنا من جوع او
عطش وعدو وآفات المسافر وقال الضحاك مقادير المراحل كانت القرى على مقاديرها وقال
الكلبي مقادير المقيل والمبيت وقال القتبي بين كل قرية وقرية مقدار واحد معلوم وقيل
بين كل قريتين نصف يوم وهذه اقوال متقاربة والظاهر ان قوله سيروا امر حقيقة على
لسان انبيائهم وقال الزمخشري والقول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم
امروا بذلك واذن لهم فيه انتهى ودخول الفاء في قولهم فكانهم لا يجوز والصواب كانهم انه حيث لكنهم
لما وقال قتادة كانوا يسيرون مسافة اربعة اشهر في امان ولو وجد الرجل قاتل ابيه
لم يهجه وكان المسافر لا يحمل زادا ولا سقاء مما بسط الله تعالى لهم من النعم وقال الزمخشري
سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات
او سيروا فيها امنين لا تخافون وان تطاولت مدة اسفاركم فيها وامتدت اياما وليالي
او سيروا فيها لياليكم واياكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن انتهى وقدم
الليالي لانها مظنة الخوف من مغتال ومن عليهم بالامن حتى تساوت بين الليل والنهار في ذلك ولما
طالت بهم مدة النعمة بطروا وملوا العافية وطلبوا استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير كما فعلت
بنو اسرائيل وقيل لو كان جنى ثمارنا ابعد كان اشهى واغلى قيمة فتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين
الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
وقرا الجمهور والسبعة ربنا بالنصب على النداء باعد طلبا وابن كثير وابو عمرو وهشام كذلك الا انهم
شددوا العين وابن عباس وابن الحنفية وعمرو بن فائد ربنا رفعا بعد فعلا ماضيا مشددا
العين وابن عباس ايضا وابن الحنفية ايضا وابو رجاء والحسن ويعقوب وابو حاتم وزيد
ابن علي وابو صالح ايضا وابن ابي ليلى والكلبي ومحمد بن علي وسلام وابو حيوة كذلك الا انه

بالف

انه بالف بين الباء والعين وسعيد بن ابي الحسن اخو الحسن وابن الحنفية ايضا وسفيان بن حسين
وابن السميفع ربنا بالنصب بعد بضم العين فعلا ماضيا يعني بالنصب الا سعيدا منهم
فضم نون بين فبالنصب جعله فعلا ومن نصب فالفاعل ضمير يعود على السير اي بعد السير
بين اسفارنا ومن نصب ربنا جعله نداء فان جاء بعد طلبا كان ذلك اشرا منهم وبطرا وان جاء بعد
فعلا ماضيا كان ذلك شكوى مما حل بهم من بعد الاسفار التي طلبوها اولا ومن رفع ربنا فلا يكون
الفعل الا ماضيا وهي جملة خبرية فيها شكوى بعضهم الى بعض مما حل بهم من بعد الاسفار ومن
قرا باعد او بعد بالالف او التشديد فبين منصوب لانهما فعلا متعديان وليس بين
ظرفا الا ترى الى قراءة من رفعه كيف جعله اسما فكذلك اذا نصب وقرئ بوعد مبنيا
للمفعول وقرا ابن يعمر بين سفرنا مفردا والجمهور بالجمع وظلموا انفسهم عطف على فقالوا
وقال الكلبي هو حال اي وقد ظلموا انفسهم بتكذيب الرسل فجعلناهم احاديث اي عظات وعبرا
يتحدث بهم ويتمثل وقيل لم يبق منهم الا الحديث ولو بقي منهم طائفة لم يكونوا احاديث ومزقناهم
كل ممزق اي فرقناهم اتخذه الناس مثلا مضروبا قال كثير ؛
؛ ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ؛ فلم يحل للعينين بعدك منظر ؛
وقال قتادة فرقناهم بالتباعد وقال ابن سلام جعلناهم ترابا تذروه الرياح وقال
الزمخشري لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وفي التحرير
وقع منهم قضاعة بمكة واسد بالبحرين وخزاعة بتهامة وفي الحديث ان سبا ابو عشرة
قبائل فلما جاء السيل على مارب وهو اسم بلادهم تيامن منهم ستة قبائل اي تبددت في بلاد اليمن
كندة والازد والاشعريون ومذحج وانمار التي منها بجيلة وخثعم وطائفة قيل لها حمير بقي عليها اسم الاب
الاول وتشاءمت اربعة لخم وجذام وغسان وخزاعة نزلت تهامة ومن هذه المتشائمة
اولاد قيلة وهم الاوس والخزرج ومنها عاملة وغير ذلك ان في ذلك لآيات في قصصها وكل
آية علامة لكل صبار عن المعاصي وعلى الطاعات شكور للنعم والظاهر ان الضمير في عليهم
عائد على من قبله من اهل سبا وقيل هو لبني آدم وقرا ابن عباس وقتادة وطلحة والاعمش
وزيد بن علي والكوفيون صدق بتشديد الدال وانتصب ظنه على انه مفعول به بصدق
والمعنى وجد ظنه صادقا اي ظن شيئا فوقع ما ظن وقرا باقي السبعة بالتخفيف فانتصب
ظنه على المصدر اي ظن ظنا او على اسقاط الحرف اي في ظنه او على المفعول به نحو قولهم
اخطات ظني واصبت ظني وظنه هذا كان حين قال لاضلنهم ولاغوينهم وهذا انما قاله ظنا منه
فصدق هذا الظن وقرا زيد بن علي والزهري وجعفر بن محمد وابو الجهجاه والاعرابي من
فصحاء العرب وبلال بن ابي بردة بنصب ابليس ورفع ظنه اسند الفعل الى ظنه لانه ظن
ظنا فصار ظنه في الناس صادقا كانه صدقه ظنه ولم يكذبه وقرا عبد الوارث عن ابي عمرو
ابليس ظنه برفعهما فظنه بدل من ابليس بدل اشتمال فاتبعوه اي في الكفر الا فريقا هم
المؤمنون ومن لبيان الجنس ولا يمكن ان تكون للتبعيض لاقتضاء ذلك ان فريقا من
المؤمنين اتبعوا ابليس وفي قوله الا فريقا تقليل لان المؤمنين بالاضافة الى الكفار قليل
كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وما كان له اي لابليس عليهم من سلطان اي من تسلط واستيلاء
بالوسوسة والاستغواء الا لحكمة بينة وهي تمييز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل
التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم قاله الزمخشري وقال ابن عطية الا ليعلم موجودا

لان العلم متقدم اولا وقال معناه ابن قتيبة فاكل ليعلم حادثا كما علمناه قبليا حر وقد وقال
قتادة ليعلم الله به المؤمن من الكافر علما ظاهرا يستحق به العقاب والثواب وقيل ليعلم وليبا
وحزبنا وقال الحسن والله ما كان له سوط ولا سيف ولكنه استمالهم فمالوا بتزيينه انتهى
كما قال تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقرى الزهري
الا ليعلم بضم اليا وفتح اللام مبنيا للمفعول وقال الا لتخالوبه الا ليعلم من يؤمن باليا الزهري وربك
على كل شي حفيظ اما للمبالغة عدل اليها عن حافظ واما بمعنى محافظ كجليس وخليط والحفظ
يتضمن العلم والقدرة لان من جهل الشي وعجز لا يمكنه حفظه قوله تعالى قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شركة
وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم
قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون قل
يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركا
كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما بين تعالى حال الكافرين وذكر قريبا الشاكرين وحال و
ومن لم يؤمن بمن مضى عاد الى خطابهم فقال قل يا محمد للمشركين الذين ضرب لهم المثل بقصة
سبا المعروفة عندهم بالنقل في اخبارهم واستفاد هم ادعوا الذين زعمتم وهم معبوداتهم من
الملائكة والجن والاصنام وهو امر بدعاء هو تعجيز واقامة حجة وروي ان ذلك عند الجوع
الذي اصاب قريشا اي ادعوهم ليكشفوا عنكم ما حل بكم والتجئوا اليهم فيما يعن لكم وزعم من الافعال
التي تتعدى الى اثنين ذلك انت اعتقادية والمفعول الاول هو الضمير المحذوف العايد على
الذين والثاني محذوف ايضا لدلالة المعنى وقامت صفته مقامه التقدير زعمتموهم
الهة من دونه وحسن حذف الثاني قيام صفته مقامه ولولا ذلك ما حسن اذ في حذف
احد مفعولي ظن واخواتها اختصارا خلاف منع ذلك ابن ملكون واجازه الجمهور وهو مع ذلك
قليل ولا يجوز ان يكون الثاني من دونه لانه لا يستقل كلاما لو قلت هم من دونه لم يصح ولا الجمل
من قوله لا يملكون مثقال ذرة لانه لو كانت هذه الصفة من عقيدتهم لكانوا معترفين بالحق
قايلين له وكان ذلك توحيدا منهم وان الهتهم ومعبوداتهم لا يملكون شيئا ما عرفوه ثم اخبر
عن الهتهم انهم لا يملكون مثقال ذرة وهو احقر الاشيا واذا انتفى الاحقر عنهم فلكل الاعظم
اولى ثم ذكر ذلك المثقال وهو السموات والارض ثم اخبر انهم ما لهم في السموات ولا في الارض
من شركة فتنفي نوعي الملك والاستبداد والشركة ثم نفى الاعانة منهم له تعالى في شي مما انشا
بقوله وما له منهم من ظهير فتبين عجز معبوداتهم من جميع الجهات ولما كان من العرب من يعبد

الملائكة

الملائكة لتشفع له بقي ان تشفعا عنهم تشفع والنفي منسحب على الشفاعة اي لا شفاعة لهم فتنفع وليس
المعنى انهم يشفعون ولا تنفع شفاعتهم وان تنفي ان معبوداتهم تشفع اصلا لان عابديهم كفار فان
كان المعبودون اصناما او كفارا كفرعون فسلب الشفاعة عنهم ظاهر وان كانوا ملائكة او غيرهم
ممن عبد كعيسى عليه السلام فنشفعا عنهم اذ وجدت تكون للمؤمن والا لمن اذن له انتشفا
مشفوع فالمستثنى منه محذوف تقديره ولا تنفع الشفاعة لاحد الا لمن اذن له واحتمل قوله لاحد
ان يكون مشفوعا وهو الظاهر فيكون قوله الا لمن اذن له اي للمشفوع اذن لاجله ان يشفع فيه
والشافع ليس بمذكور وانما دل عليه المعنى واحتمل ان يكون شافعا فيكون قوله الا لمن اذن له
بمعنى الا الشافع اذن له ان يشفع والمشفوع ليس بمذكور انما دل عليه المعنى وعلى هذا الاحتمال
تكون اللام في اذن له لام التبليغ لا لام العلة وقال الزمخشري تقول الشفاعة لزيد على معنى انه
الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى ان المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن
له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام
الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا
وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله انتهى تجعل الا لمن اذن له
استثناء مفرغا من الاحوال ولذلك قدره الا كائنة وعلى ما قررناه استثناء من الذوات وقال
ابو عبد الله الرازي المفضية الى الشرك اربعة فابطلها الله خلق السموات وجعل الارض والارضيات
في حكمها فنحن من جملة الارضيات فنعبد الكواكب والملائكة السموية وهم الالهة والله الههم فابطل
بقوله لا يملكون في السموات كما اعترفتم ولا في الارض خلاف ما زعمتم وقايل السموات من الله
استبداد والارضيات منه بواسطة الكواكب فان تعالى خلق العناصر والتركيبات التي فيها بالاتصالات
والحركات وطوالع فجعلوا مع الله شركا في الارض والاولون جعلوا الارض لغيره فابطل بقوله وما لهم
فيهما من شرك اي الارض كالسما لله تعالى لا لغيره ولا لغيره فيهما نصيب وقايل التركيبات
والحوادث من الله لكن فوض الى الكواكب وفعل الماذون ينسب الى الاذن ويسلب عن الماذون
له فيجعل السموات معينة لله تعالى فابطل بقوله وما له منهم من ظهير وقايل نعبد الاصنام
التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا فابطل بقوله ولا تنفع الشفاعة الجملة وال في الشفاعة
الظاهر العموم اي شفاعة جميع الخلق وقيل للعهد اي شفاعة الملائكة التي زعموها شركا وشفعا
انتهى وفيه بعض تلخيص وقال ابو البقا اللام في لمن اذن يجوز ان يتعلق بالشفاعة لانك تقول
شفعت له وان تتعلق بتنفع انتهى وهذا فيه قلة لان المفعول متاخر فدخول اللام عليه قليل
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة وباقي السبعة بفتحها اي اذن الله له والظاهر
ان الضمير في قوله قلوبهم عادت على ما عادت عليه الضماير التي للغيبة في قوله لا يملكون
وفي ما لهم وما له منهم وهم الملائكة الذين دعوهم الهة وشفعاء ويكون التقدير الا لمن اذن له منهم
وحتى تدل على الغاية وليس في الكلام ما يدل على ان حتى غاية له فقال ابن عطية في الكلام حذف
يدل عليه الظاهر كانه قال ولاهم شفعا كما تحبون انتم بل هم عبدة مسلمون ابدا يعني منقادون
حتى اذا فزع عن قلوبهم فتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله
حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي في الملايكة اذا سمعت الوحي الى جبريل عليه السلام وبالامر
يامر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة

وقيل حتى ان تقوم الساعة فاذا فزع ذلك عن قلوبهم اي اجلي الفزع عنها وكشف يقول بعضهم
لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المشركون قال الحق وهو العلي الكبير وهذا المعنى من ذكر الملائكة
في صدر الايات تتنسق هذه الاية بما قبلها علي الاولي ومن لم يشعر ان الملائكة مشار اليهم من اول
قوله الذين زعمتم لم يتصل له هذه الاية بما قبلها فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها حتى قال
بعضهم هي في الكفار بعد حلول الموت ففزع عن قلوبهم بفقد الحياة فراوا الحقيقة وزال فزعهم مما
يقال لهم في حياتهم فيقال لهم حينئذ ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق يقرون حين لا ينفعهم
الاقرار وقالت فرقة الاية في جميع العالم وقوله حتى يريد في الاخرة والتاويل الاول في الملائكة
هو الصحيح وهو الذي تظاهرت به الاحاديث وهذان بعيدان انتهى واذا كان الضمير في عن
قلوبهم لا يعود علي الذين زعمتم كان عائدا علي من عاد عليه الضمير في قوله ولقد صدق عليهم ابليس
ويكون الضمير في عليهم عائدا الي جميع الكفار وتكون حتى غاية لقوله فاتبعوه ويكون التفزيع
حالة مفارقة الحياة او يجعل اتباعهم اياه مستصحبا لهم الي يوم القيامة مجازا او الجملة اعتراض من قوله
فلا دعوا الي اعتراضه بين المغيا والغاية قال ابن زيد اقروا بالله حين لم ينفعهم الاقرار
في المعنى فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم ما كان يضلهم به قالوا ماذا قال ربكم وقال
الحسن وانما يقال للمشركين ماذا قال ربكم اي علي لسان الانبيا فاقروا حين لا ينفع وقيل
حتى غاية متعلقة بقوله زعمتم اي زعمتم الكفر الي غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال
الحق انتهى فيكون في الكلام التفات من خطاب في زعمتم الي غيبة في فزع قالوا اي الملائكة
لا وليدا للشفعين الشاكين ليسالوهم سوال توبيخ ماذا قال ربكم علي لسان من بعث اليكم
يعلمون كشف الغطا عن قلوبهم فيعترفون اذ ذاك ان الذي قاله وجاءت به انبياؤه هو
الحق لا الباطل الذي كنا فيه من اتباع ابليس وشككنا في البعث وما ذا يحتمل ان تكون
منصوبة بقال اي اي شي قال ربكم وان تكون في الجمع موضع رفع علي ان ذا موصولة
اي ما الذي قال ربكم وذا خبره ومعمول قال ضمير محذوف عائد علي الموصول وقرا ابن
ابي عبلة قالوا الحق برفع الحق خبر مبتدا اي مقوله الحق وهو العلي الكبير تنزيه منهم لله تعالى
وتمجيد ثم رجع الخطاب الي الكفار فسالهم عمن يرزقهم محتجا عليهم بان رازقهم هو الله تعالى
اذ لا يمكنهم ان يقولوا ان الهتهم ترزقهم وانهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
جاء بان يتولى الاجابة والاقرار منهم بقوله قل الله لانهم قد لا يجيبون عما في العبادة وانكار
للشرك ومعلوم انه لا جواب لهم ولا لاحد الا بان يقول هو الله وانا اي الموحدين العابدين له
او اياكم المشركين العابدين الاصنام والجمادات لعلي هدى اي طريقة مستقيمة او في حيرة
واضحة بينة والمعنى ان احد الفريقين منا ومنكم لعلي احد الامرين من الهدى والضلال اخرج الكلام
مخرج الشك والاحتمال ومعلوم ان من عبد الله ووحده هو علي الهدى وان من عبد غيره من جماد
او غيره في ضلال وهذه الجملة تضمنت الانصاف والتلطف في الدعوة الي الله وقد علم من سمعها
انها جملة انصاف والرد بالتورية والتعريض ابلغ من الرد بالتصريح ونحوه قول العرب اخزى الله الكاذب
مني ومنك يقول ذلك من تيقن ان صاحبه هو الكاذب ونظيره قول الشاعر

فانى ما واياك كان شرا ٭ فسيق الي المقادة في هوان
وقول حسان
اتهجوه ولست له بكفو ٭ فشركما لخيركما الفداء

وهذا النوع يسمى
في علم البيان استدراج المخاطب يذكر له امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي الي ما يلقيه

اليه

اليه اذ لو بداه بما يكره لم يصغ ولا يزال ينقله من حال الي حال حتى يتبين له الحق ويقبله
وهنا لما سمعوا الترداد بينه وبينهم ظهر لهم انه غير جازم ان الحق معه فنال لهم بطريق
الاستدلال ان الهتكم لا تملك مثقال ذرة ولا تنفع ولا تضر لانها جماد وهم يعلمون ذلك
فتحققوا ان الرازق لهم والنافع والضار هو الله سبحانه وقيل معنى الجملة استعطاف
المشركين والاستدراج لهم وقد تبينوا ان الهتهم لا ترزقهم شيا ولا تنفع ولا تضر فاراد
الله من نبيه وامره ان يوبخهم ويستفهم ويكذبهم بقول غير مكشوف اذ كان
ذلك ابلغ في استفهامهم كقولك احدنا لكاذب وقد علمت ان من خاطبت هو
الكاذب ولكنك وبخته بلفظ غير مكشوف واو هنا علي موضوعها لكونها لاحد الشيين
او الاشيا وخبر انا او اياكم هو لعلي هدى او في ضلال مبين ولا يحتاج الي تقدير حذف
اذ المعنى ان احدنا لفي احد هذين كقولك زيد او عمرو في القصر او في المسجد لا يحتاج
هذا الي تقدير حذف اذ معناه احد هذين في احد هذين وقيل الخبر محذوف
فقيل خبر الاول والتقدير وانا لعلي هدى او في ضلال مبين فحذف لدلالة خبر ما بعده
عليه فلعلي هدى او في ضلال مبين خبر قد او اياكم اذ هو علي تقدير ان وكما
لما حذفت الفصل الضمير وقيل خبر الثاني والتقدير او اياكم لعلي هدى او في ضلال
مبين وحذف لدلالة خبر الاول عليه وهو هذا المثبت لعلي هدى او في ضلال مبين
ولا حاجة لهذا التقدير من الحذف لو كان ما بعد او غير معطوف به نحو زيد او عمرو
قائم كان يحتاج الي المعطوف باو فلا يحتاج اليه وذهب ابو عبيدة الي ان او بمعنى
الواو فيكون من باب اللف والنشر والتقدير وانا لعلي هدى واياكم في ضلال
مبين قال ابو حيان كلا يا ناسب ولا حاجة الي اخراج او عن موضوعها وما ذهب اليه بعيد
لان صاحبه ذا استعلا ويتمكن مما هو عليه يتصرف حيث شا وصاحب الضلال يبقى
لانه منغمس في حيرة مرتبك فيها لا يدري اين يتوجه قل لا تسالون عما اجرمنا
هذا ادخل في الانصاف وابلغ من الاول واكثر تلطفا واستدراجا حيث سمى
فعله جرما كما يزعمون انه مثاب مشكور وسمى فعلهم عملا مع انه مزجور محظور
وقد يراد بالجرم مناسبة ذلك الي المومنين دون الرسول وذلك ما لا يكاد يخلوا
المومن منه من الصغائر والذي يعملون هو الكفر وما دونه من المعاصي الكباير
قيل وهذه الاية منسوخة باية السيف قل يجمع بيننا ربنا اي يوم القيامة ثم
يفتح اي يحكم بالحق بالعدل فيدخل المومنين الجنة والكفار النار وهو الفتاح
الحاكم الفاصل العليم باعمال العباد والفتاح والعليم صيغتا مبالغة وهذا فيه تهديد
وتوبيخ يقول لمن صح ونصحه ثم يفترق سو عاقبة الامر وقرا عيسى
الفاتح اسم فاعل والجمهور الفتاح قل اروني الذين الحقتم به شركا الظاهر ان اري
هنا بمعنى اعلم فيتعدى الي ثلاثة الضمير للمتكلم هو الاول والذين الثاني
وشركا الثالث اي اروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة وهل يخلقون
مثقال ذرة او يرزقونكم وقيل هي روية بصر وشركا نصب علي الحال من الضمير
المحذوف في الحقتم اذ تقديره الحقتموهم به في حال توهمكم شركا له قال
ابن عطية وهذا ضعيف لان استدعا روية العين في هذا لا غنا له وقال
الزمخشري فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم
قلت اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق الشركا بالله وان يقايس

على أصنامهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على حالة القبح إليه والاشراك به وكلا ردع لهم
عن مذهبهم بعد ما كسره بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم أف لكم ولما تعبدون
من دون الله بعد ما حجهم وقد نبههم على تفاحش غلطهم وأن يقدروا الله
حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من
هذه الصفات وهو راجع إلى الله أو هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله أحد
انتهى وقول ابن عطية لأن استفهام رؤية القلب في هذا الاستفهام لا يتعلق به ليس
بجيد بل قوله ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة الأمر بل المعنى أن الذين هم
شركاء لله على زعمكم هم ممن إن أريتموهم افتضحتم لأنهم خشب وحجر وغير ذلك
من الحجارة والجمادات تقول للرجل الخسيس الأصل اذكر لي أباك الذي قايست به
فلانا الشريف ولا تريد حقيقة الذكر إنما أردت تبكيته وأنه إن ذكر أباه افتضح
وكافة اسم فاعل من كف وقيل مصدر كالعاقبة والعافية فيكون على حذف مضاف
أي إلا ذا كافة أي ذا كف للناس أي منع لهم من الكفر إذ أسنع من أن يشذوا
عن تبليغكم أو الكاف اسم فاعل فالزجاج وغيره هو حال من الكاف في أرسلناك
والمعنى إلا جامعا للناس في الإبلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي
في علامة وراوية وقال الزجاج إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم
فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم قال ومن جعله حالا من المجرور متقدما
عليه في الحال بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ
ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوي له الخطأ الأول
إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين انتهى أما كافة بمعنى عامة
فالمنقول عن النحويين أنها لا تكون إلا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها
صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ أيضا استعمالها صفة لموصوف
محذوف وأما قول الزجاج إن كافة بمعنى جامعا والهاء فيه للمبالغة فإن اللغة
لا تساعد على ذلك لأن كف ليس محفوظا لأن معناه جمع وأما قول الزمخشري
ومن جعله حالا من المجرور إلخ فهذا مختلف فيه ذهب الأكثرون إلى أن ذلك لا يجوز
فذهب أبو علي وابن كيسان وابن برهان ومن معاصرينا ابن مالك إلى أنه
يجوز وهو الصحيح ومن أمثلة أبي علي زيد خير ما يكون خير منك التقدير
زيد خير منك خير ما يكون فجعل خير ما يكون حالا من الكاف في منك وقدمها
عليه قال الشاعر إذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد *
أي فمطلبها عليه كهلا شديد وقال آخر تسليت طرا عنكم بعد بينكم * بذكراكم حتى كأنكم عندي
أي تسليت عنكم طرا أي جميعا وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى
ما يتعلق به ومن ذلك قول الشاعر مشغوفة بك قد شغفت وإنما *
حتم الفراق فما إليك سبيل * وقال آخر غافلا تعرض المنية للمرء * فيدعى ولات حين إباء
أي شغفت بك مشغوفة وتعرض المنية للمرء غافلا وإذا جاز تقديمها
على المجرور والعامل فتقديمها عليه دون العامل أجوز وعلى أنه كافة حال من
الناس حمله ابن عطية وقال قدمت للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله أي
إلى العرب والعجم وسائر الأمم وتقديره إلى الناس كافة انتهى وقول
الزمخشري وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ إلخ كلامه تشنيع لا يقال
ذلك

ذلك لاجتماع إلى إلينا ولا اللام بمعنى إلى لأن أرسل يتعدى بإلى ويتعدى باللام كقوله
وأرسلناك للناس رسولا ولو ثبتا ولا اللام بمعنى إلى لم يكن ذلك خطأ لأن اللام قد
جاءت بمعنى إلى وإلى قد جاءت بمعنى اللام وأرسل مما جاء متعديا بهما إلى المجرور ثم حكى
تعالى مقالتهم في الاستهزاء بالبعث واستعجالهم على سبيل التكذيب ولم يجابوا بتعيين
الزمان إذ ذاك مما استأثر تعالى بعلمه أجيب بأن ما وعدوا به لا بد من
وقوعه وهو ميعاد يوم القيامة وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة ويجوز أن
يكون سؤالهم عن ما وعدوا به من العذاب في الدنيا واستعجلوا به استهزاء منهم
وقال أبو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى وقال الجمهور الوعد في
الخير والوعيد في الشر والميعاد يقع لهذا ويقع لهذا والظاهر أن الميعاد اسم
على وزن مفعال استعمل بمعنى المصدر أي لكم وقوع وعد يوم ونحو ما قال
الزمخشري الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل
عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم انتهى ولا يتعين ما قال إذ يكون
بدلا على تقدير محذوف أي لكم ميعاد يوم فلما حذف أعرب ما قام مقامه
بإعرابه وقرأ الجمهور ميعاد يوم بالإضافة ولما جعل الزمخشري الميعاد ظرف
زمان قال أما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وقرأ
الجمهور ميعاد يوم بالإضافة وكذا حمزة وقرأ ابن أبي عبلة واليزيدي يوما بتنوينهما
قال الزمخشري وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني
يوما وأريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم
انتهى لما جعل الميعاد ظرفا لم يجز في الرفع والنصب على ذلك ويجوز أن يكون
انتصابه على الظرف على حذف مضاف أي إنجاز وعد يوما من صفته كيت وكيت وقرأ
عيسى ميعاد منونا يوم بالنصب من غير تنوين مضافا إلى الجملة فاحتمل تخريج
الزمخشري على التعظيم واحتمل تخريجا على الظرف على حذف مضاف أي إنجاز وعد يوم
كذا وبأهذا الجواب على طريق التهديد مطابقا بمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت
وأنهم مرصدون بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه واليوم
يوم القيامة أو هو الذي يوم الهلاك في الدنيا أو يوم يجيء أجلهم عند حضور منيتهم أو
يوم بدر أقوال ولن نؤمن بهذا القرآن يعني الذي يتضمن التوحيد والرسالة
والبعث المتقدم ذكرها فيه ولا بالذي بين يديه هو ما نزل من كتب الله المنزلة
برسول الله روي أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن ما تقدمه
من كتب الله في الكفر ويكون الذين كفروا من قريش ومن جرى مجراهم
والمشهور أن الذي بين يديه التوراة والإنجيل وما تقدم من الكتب وهو
مروي عن ابن جريج وقالت فرقة الذي بين يديه هو القيامة قال ابن
عطية وهذا خطأ قائله لم يفهم أمر بين اليد في اللغة وأنه المتقدم في الزمان
وقد بيناه فيما تقدم انتهى ولو ترى إذ الظالمون إلخ تعجيب من حالهم في وقفة
التعجيب منها وترى في معنى رأيت لأنها إذا في الوقت الماضي ومفعول ترى
محذوف أي حال الظالمين إذ هم موقوفون وجواب لو محذوف أي
لرأيت لهم حالا منكرة من ذلهم وتخاذلهم وقعاهم حيث لا ينفعهم

نحي من ذلك ثم فرد ذلك الموضع والجدال بان الاتباع وهم الذين استضعفوا قالوا لرؤسايهم
على جهة التقريع والتوبيخ ورد الايمة عليهم لولا انتم لكنا مومنين اي انتم اغويتمونا
وامرتمونا بالكفر واتى الضمير بعد لولا ضمير رفع على الافصح وحكى الايمة سيبويه
والخليل وغيرهما مجيه ضمير الجر نحو لولاكم وانكار المبرد ذلك لا يلتفت اليه
ولما كان مقاما استوى فيه المرؤوس والرئيس بدا الاتباع بتوبيخ مضليهم اذ
زال تعاظم رياستهم ولم يمكنهم ان ينكروا انهم ما جاءهم رسول بل هم مقرون الا
ترى الى قول المتبوعين بعد اذ جاءكم بل الجميع مقرون بان الذكر قد جاءهم فقال
لهم روساهم انحن صددناكم فاتوا بالاسم بعد اداة الاستفهام انكارا لان
يكونوا هم الذين صدوهم بل مرد ذلك من قبل انفسكم وباختياركم انهم قالوا
انحن انكرونا منعناكم وبين الذكر بعد ان صممتم على الدخول في الايمان بل انتم
منعتم انفسكم حظها واثرتم الضلال على الهدى فكنتم مجرمين كافرين
باختياركم لا لقولنا وتسويلنا ولما انكروا وما هم انهم السبب في كفرهم واثبتوا
بقولهم بل كنتم مجرمين ان كفرهم هو من قبل انفسهم قابلوا اضرابا باضراب
فقال الاتباع بل مكر الليل والنهار اي ما كان اجرامنا من جهتنا بل مكركم لنا دايما
ليلا ونهارا اذ تامروننا ونحن اتباع لا نقدر على مخالفتكم مطيعين لكم
لاستيلايكم علينا بالكفر بالله واتخاذ الانداد واضيف المكر الى الليل والنهار اتساعا
في الظرفين فهما في موضع نصب على المفعول به على السعة او في موضع رفع على
الاسناد المجازي كما قالوا ليل نايم والاولى عندي ان يرتفع مكر على الفاعلية اي
بل صدنا مكركم بالليل والنهار ونظيره قول القايل لمن قال اضرب زيد ابل ضرب عمرو
فيقول عمرو بل ضربه مثل ذلك والاحسن في التقدير ان يكون المعنى مثل ذلك وقيل
يجوز ان يكون مبتدا وخبرا اي سبب كفرنا مكركم او مكركم سبب كفرنا وقرا
قتادة ويحيى بن يعمر بل مكر بالتنوين الليل والنهار نصب على الظرف وقرا
سعيد بن جبير وجعفر بن محمد وابو رزين وابن يعمر ايضا بفتح الكاف وشد الرا
مرفوعة مضافة ومعناه كرور الليل والنهار واختلافهما ومعناها الاحالة
على طول الامل والاغترار بالايام مع امرهم لنا بالكفر بالله وقرا ابن جبير
ايضا وطلحة وراشد القاري وراشد هذا من التابعين ممن صحح المصاحف
بامر الحجاج كذلك الا انهم نصبوا الرا على الظرف وناصبه فعل مضمر اي صددتمونا
مكر الليل والنهار اي في مكرهما ومعناه دايما وقال صاحب اللوامح يجوز ان
ينتصب باذ تامروننا اي اذ تامروننا مكر الليل والنهار انتهى وهذا
وهم لان ما بعد اذ لا يعمل فيما قبلها وقال الزمخشري بل يكون الاغترار مكرا دايبا
لا يفترون عنه انتهى وقال الذين استكبروا بغير واو لانه جواب لكلام
المستضعفين فاستونف وعطف وقال الذين استضعفوا على ما سبق من
كلامهم والضمير في واسروا للجميع المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون
الموقوفون وتقدم الكلام في واسروا الندامة لما راوا العذاب في سورة يونس
والندامة من المعاني القلبية فلا تظهر وانما يظهر ما يدل عليها وما يدل عليها ثم
وقيل هو من الاضداد وقال ابن عطية هنا ثبت قط في لغة ان اسر من الاضداد

وندامة

وندامة الذين استكبروا على اضلالهم في انفسهم واضلالهم غيرهم وندامة الذين استضعفوا
على ضلالهم واتباعهم المضلين وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا الظاهر
عموم الذين كفروا فيدخل فيه المستكبرون والمستضعفون لان من الكفار من
لا يكون له اتباع ثم اعيد القول في الاخرة ولا يكون ايضا تابعا لمن يسير له كافر
كالغلام الذي قتله الخضر وقيل الذين كفروا هم الذين سبقت منهم المحاورة
وجعل الاغلال الى كيفية العذاب قطعوا بانهم واقعون فيه فتركوا
التندم هل يجزون معناه النفي ولذلك دخلت الا بعد النفي
ما كانوا يعملون وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا
نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وهم في الغرفات امنون والذين يسعون في اياتنا معاجزين
اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم
يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مومنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما ارسلنا الاية
هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه قريش من الكفر
والافتخار بالاموال والاولاد وان ما ذكروا من ذلك هو عادة المترفين مع
انبيائهم فلا يهمك امرهم ومترفوها اي متنعموها بغيا بالله ان يوحدوه
وقال مترفوها حالية ونص على المترفين لانهم اول المكذبين للرسل لاشتغال
بهم من زخرفة الدنيا وما غلب على عقولهم منها فقلوبهم ابدا مشغولة
منهمكة بخلاف الفقرا فانهم خالون من ملذات الدنيا فقلوبهم اقبل
للخير ولذلك هم اتباع الانبيا كما في حديث هرقل وبما متعلق بكافرون
وبه متعلق بارسلتم وما عامة في ما جاءت به الرسل من طلب الايمان بالله
وافراده بالعبادة والاخبار بانهم رسله اليهم والتقوى والحض على الاعمال الصالحة
ان الضمير في وقالوا عايد على المترفين وقيل عايد على قريش ويدل عليه
ما بعده من الخطاب في قوله قل لان من تقدم من المترفين الهالكين
لا يخاطبون فلا يقول الا الموجودون وقوله وما اموالكم ولا اولادكم
وادعوا ان رضى الله عنهم باحسانه تعالى اليهم فلو لم يكرمهم عليه ما وسع علينا
وما انتم فلهوانكم عليه حرمكم اياه انا نعوت للمسلمين ثم نفوا ان يعذبوا نفيا
عاما لان الابنا قد يعذبون بعذاب عاجل في الدنيا واجل في الاخرة فنفوا
جميع ذلك فاما ان يكونوا منكرين للاخرة فقد نفوا تعذيبهم فيها لانها
اذ لم تكن فلا يكون فيها عذاب واما ان يكونوا مقرين بها حقيقة او على

سبيل الله فيقولون كما انعم علينا في الدنيا ينعم علينا في الاخرة على حالة الدنيا قياسا
فاسدا فابطل الله ذلك بان الرزق فضل منه يقسمه كما يشا لمن يشا فقد يوسع على
العاصي ويضيق على الطايع وقد يوسع على الطايع ويضيق على العاصي وقد
يوسع عليهما والموعود ثابت بذلك فلا تقاس التوسعة في الاخرة على التوسعة
في الدنيا لان ذلك في الاخرة انما هو على الاعمال الصالحة وقرا الاعمش
ويقدر في الموضعين مشددا والجمهور مخففا ومعناه ويضيق ضد يبسط
ويبسط ولكن اكثر الناس مثل هولا الكفرة لا يعلمون ان الرزق معروف
بالمشية وليس دليلا على الرضي ثم اخبر تعالى ان اموالهم واولادهم التي
افتخروا بها ليست بمقربة من الله وانما يقرب الايمان والعمل الصالح وقرا
الجمهور بالتي وجمع التكسير من العقلا وغيرهم يجوز ان يعامل معاملة الواحدة
المونثة وقال الزمخشري ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله
زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقرب انتهى يجعل التي نعتا
لموصوف محذوف وهو التقوى انتهى ولا حاجة الى تقدير هذا الموصوف
والظاهر ان التي راجع الى الاموال والاولاد قاله الفرا وقال ايضا هو
والزجاج حذف من الاول لدلالة الثاني عليه والتقدير وما اموالكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى انتهى ولا حاجة لتقدير
هذا الموصوف المحذوف اذ يصح ان يكون التي لمجموع الاموال والاولاد وقرا
الحسن باللاتي جمعا وهو ايضا راجع للاموال والاولاد وقرى باللاي
باللذي و زلفى مصدر كالقربى وانتصابه على المصدرية من المعنى
اي يقربكم وقرا الضحاك زلفا بفتح اللام وتنوين الفا جمع زلفة وهي القربة
الا من امن الظاهر انه استثنا منقطع زلفا بفتح اللام وتنوين الفا وهو
منصوب على الاستثنا اي لكن من امن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه وقال
الزجاج هو بدل من الكاف والميم في تقربكم وقال النحاس وهذا غلط لان الكاف
والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحاق
هذا هو قول الفرا انتهى ومذهب الاخفش والكوفيين انه يجوز ان يبدل
من ضمير المخاطب والمتكلم لكن البدل في الاية لا يصح الا انه لا يصح تفريغ الفعل
الواقع صلة لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يصح وتخيل
الزجاج ان الصلة وان كانت من حيث المعنى منفية انه يجوز البدل
وليس بجائز الا فيما يصح التفريغ له وقد تبعه الزمخشري فقال الا من امن
استثنا من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المومن الصالح الذي
ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم
للصلاح والطاعة انتهى وهو لا يجوز لما ذكرنا لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا
اخوه ولا ما زيد بالذي يضرب الا عمرا ولا ما زيد بالذي يمر الا ببكر والتركيب
الذي ركبه الزمخشري من قوله لا يقرب احدا الا المومن ليس موافقا للقران
فحمل الذي ركبه يجوز ما قال وفي لفظ القران لا يجوز واجاز الفرا ان تكون
من في موضع رفع وتقدير الكلام عنده ما هو المقرب الا من امن انتهى

وقوله

وقوله كلام لا يتحصل منه معنى كانه كان نايما حين قال ذلك وقرا الجمهور جزا الضعف
على الاضافة اضيف فيه المصدر الى المفعول وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول الذي
لم يسم فاعله فقال ان يجازوا الضعف والمصدر في كونه مبنيا للمفعول الذي لم يسم
فاعله فيه خلاف والصحيح المنع والتقدير هنا اي يجازيهم الله الضعف وجزا عن
امثالهم الحسنة بعشر امثالها وباكثر الى سبعماية لمن يشا وقرا قتادة جزا
الضعف برفعهما فالضعف بدل ويعقوب في رواية بنصب جزا ورفع الضعف
وحكى هذه القراة الداني عن قتادة واستضعف انتصابه على الحال كقولك في الدار
قايما زيد وقرا الجمهور في الغرفات جمعا مضموم الرا والحسن وعاصم بخلاف
عنه والاعمش ومحمد بن كعب باسكانها وبعض القرا بفتحها وابن وثاب والاعمش
وطلحة وحمزة وخلف في اختيارهم في الغرفة على التوحيد ساكنة الرا وابن وثاب
ايضا بضمها على التوحيد ولما ذكر جزا من امن ذكر عقاب الكفر ليظهر تباين
الجزاين وتقدم تفسير نظير هذه الكلمة ولما كان افتخارهم بكثرة الاموال
والاولاد اخبر ان ذلك على ما شاء الله كرر ذلك المعنى تاكيدا ان ذلك جار
على ما شاء الله الا ان ذلك على حسب الاستحقاق ولا التكرمة ولا الاهانة ومعنى
يخلفه اي ياتي بالخلف والعوض منه وكان لفظ من عباده مشعرا بالمومنين
وكذلك الخطاب في وما انفقتم فيقصد هنا رزق المومنين فليس مساق قل ان
ربي يبسط مساق ما قبل للكفار بل مساق الوعظ والتزهيد في الدنيا والحض
على النفقة في طاعة الله واخلاف ما انفق اما منجزا في الدنيا واما موجلا في الاخرة
ونصوص وشرط بقصد وجه الله وقال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه
فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة
الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتاولن وما
انفقتم من شي فهو يخلفه هذا في الاخرة ومعنى الاية ما كان من خلف
فهو منه وخير الرازقين جمعا وان كان الرازق حقيقة هو الله وحده لانه
يقال يرزق عياله والامير جنده والسيد عبده فالرازقون جمع بهذا
الاعتبار لكن اوليك يرزقون بما رزقهم الله وملكهم فيه التصرف والله تعالى
يرزق من خزاين لا تفنى ومن اخراج من عدم الى وجود ويوم نحشرهم
جميعا اي المكذبين من تقدم ومن تاخر وقرا الجمهور نحشرهم ثم نقول
بالنون فيهما وحفص بالياء وتقدمت في الانعام وخطاب الملايكة تقريع
للكفار وقد علم تعالى ان الملايكة منزهون برا مما وجه عليهم من السوال
وانما ذلك على طريق توقيف الكفار على سو ما ارتكبوه من عبادة غير الله
وان من عبدوه متبري منهم وهولا مبتدا كانوا يعبدون واياكم معمول يعبدون
لما تقدم انفصل وانما قدم لانه ابلغ في الخطاب وكون يعبدون فاصلة فلو اتى
بالضمير منفصلا كان التركيب يعبدونكم ولم تكن فاصلة واستدل بتقديم هذا
المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها اذا كان جملة وهي مسالة خلاف اجاز ذلك ابن
السراج ومنع ذلك قوم من النحويين وكذلك منعوا توسطه اذا كان جملة وقال
ابن السراج القياس جواز ذلك ولم يسمع ووجه الدلالة من الاية ان تقديم
المعمول موذن بتقديم العامل فكما جاز تقديم اياكم جاز تقديم يعبدون وهذه

التاعدة ليست مطردة والاولى منع ذلك الدال بدل على جواز سماع من العرب ولما اجابوا الله
بدؤا بتنزيهه وتبرائهم من كل سوء كما قال عيسى عليه السلام سبحانك ثم انتسبوا الى موالاته
دونك اولئك الكفرة اي انت ولينا اذ لا موالاة بيننا وبينهم وفي قولهم بل كانوا يعبدون
الجن اشعار بانهم ما عبدوهم وان لم يصرحوا بذلك لكن الاضراب ببل يدل عليه وذلك لانه
المعبود اذا لم يكن راضيا بعبادة عابده مريدا لها لم يكن ذلك العابد عابدا له حقيقة
فكذلك قالوا بل كانوا يعبدون الجن لان افعالهم القبيحة من وسوسة الشياطين
واغوائهم ومرادهم لانهم عابدون لهم حقيقة اذ الشياطين راضون تلك الافعال
وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة
فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها
وقال ابن عطية لم تنف الملائكة عبادة البشر اياها وانما قررت انها لم يكن لها
في ذلك مشاركة وعبادة البشر الجن هي فيما نوقنه بطاعتهم اياهم وسماعهم من وسوستهم
واغوائهم فهذا نوع من العبادة وقد يجوز ان يكون في الامم الكافرة من عبد
الجن وفي القران ايات يظهر منها ان الجن عبدت في سورة الانعام وغيرها انتهى
واذا كانوا قد عبدوا الجن فما وجه قولهم اكثرهم بهم مؤمنون ولم يثبتوه لهم
جميعهم وقد ذكروا انهم كانوا يعبدون الجن والجواب انهم لم يدعوا الاحاطة اذ
قد يكون في الكفار من لم يطلع الله الملائكة عليهم او انهم حكموا على الاكثر بايمانهم
بالجن لان الايمان من عمل القلب فلم يذكروا الاطلاع على جميع اعمال قلوبهم لان ذلك
لله تعالى ومعنى مؤمنون مصدقون انهم معبودون وقيل مصدقون قولهم انهم بنات
الله وانهم ملائكة وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واما من قال بان الاكثر بمعنى الجميع
فلا يرد عليه شيء لكنه ليس موضوع اللغة فاليوم هو يوم القيامة والخطاب في بعضكم
قيل للملائكة لانهم المخاطبون في قوله اهؤلاء اياكم فيكون ذلك تبكيتا للكفار حيث
بين لهم ان من عبدوه لا ينفع ولا يضر ويؤيده ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان بعده
ونقول للذين ظلموا ولو كان الخطاب للكفار لكان التركيب فذوقوا وقيل
الخطاب للكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم ويكون قوله ونقول تاكيدا لبيان
حالهم في الظلم وقيل هو خطاب من الله لمن عبد ولمن عبد وقوله نفعا قيل
بالشفاعة ولا ضرا بالتعذيب وقيل هنا التي كنتم بها تكذبون وفي السجدة الذي
كنتم به تكذبون بكلمتها اي من العذاب ومن النار لانهم هنا لم يكونوا ملتبسين
بالعذاب بل ذلك ولما راوا النار اذ جاء عقيب الحشر فوصفت لهم النار بانها هي
التي كنتم تكذبون بها واما الذي في السجدة فهم ملابسوا العذاب مترددون فيه
لقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فوصف لهم العذاب الذي هم مباشروه
وهو العذاب المؤبد الذي انكروه والاشارة بقوله ما هذا الا رجل الى تالي الايات
المفهوم من قوله واذا تتلى وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى تعالى مطاعنهم عند
تلاوة القران عليهم فبدؤا اولا بالطعن في التالي فانه يقدح في معبودات آلهتكم ثم
ثانيا فيما جاء به الرسول من القران بانه كذب مختلق من عنده وليس من عند الله وثالثا
بان ما جاء به سحر واضح لما اشتمل على ما يوجب الاستمالة وتاثر النفوس له واجابته وطعنوا
في الرسول وفيما جاء به وفي موضعه واحتمل ان يكون ذلك تقريرا من مجموعهم واحتمل ان تكون

كلا جملة

كل جملة منها قالها قوم غير من قال الجملة الاخرى وفي قوله لما جاءهم دليل على انه من جاءهم دليل على انه
حين لم يتفكروا فيه بل بادروه بالانكار ونسبته الى السحر ولم يكتفوا بقولهم انه سحر حتى وصفوه
بانه واضح لمن تامله وقيل انكار القران والمعجزة كان متفقا عليه من المشركين واهل
الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم على جهة العموم وما آتيناهم
من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من
قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما اعظكم
بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سالتكم من اجر فهو
لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق
علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما
اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وانى لهم
التناوش من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم
من قبل انهم كانوا في شك مريب وما آتيناهم اهل مكة من كتب قال السدي
من عندنا فيعلموا بدراستها بطلان ما جئت به وقال ابن زيد ليتفقهوا ان الشرك
جائز وهو كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقال قتادة
ما انزل الله على العرب كتابا قبل القران ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم
والمعنى من اين كذبوا ولم يأتهم كتاب ولا نذير بذلك وقيل وصفهم بانهم قوم امية
اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال ام
آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة يتعلق
بها كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب وشرائع ومستندون الى رسل
من رسل الله وقيل المعنى انهم يقولون بارائهم في كتاب الله يقول بعضهم سحر
وبعضهم افتراء ولا يستندون فيها الى اثارة من علم ولا الى خبر من يقبل خبره فان
ما آتيناهم كتبا يدرسونها وما ارسلنا اليهم نذيرا فيمكنهم ان يدعوا ان اقوالهم
تستند اليه وقرا الجمهور يدرسونها مضارع درس مخففا وابو حيوة بفتح الدال
وشدها وكسر الراء مضارع ادرس افتعل من الدرس ومعناه تتدارسونها وعن ابي
حيوة ايضا يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس ومن درس الكتاب مخففا
ودرس الكتب مشددا التضعيف باعتبار الجمع ومعنى قبلك قال ابن عطية اي ما ارسلنا
من نذير يشافههم بشيء ولا يباشر اهل عصرهم ولا من قرب من آبائهم وقد كانت النذارة
في العالم وفي العرب مع شعيب وصالح وهود ودعوة الله وتوحيده قائمة لم تخل
الارض من داع اليه وانما المعنى من نذير يختص بهؤلاء الذين بعثت اليهم وقد
كان عند العرب كثير من نذارة اسمعيل والله تعالى يقول انه كان صادق الوعد
وكان رسولا نبيا ولكن لم يتجرد للنذارة وقاتل عليها الا محمد صلى الله عليه وسلم
انتهى وكذب الذين من قبلهم توعد لهم ممن تقدمهم من الامم وما آل
اليه امرهم وتسلية لرسوله بان عادتهم في التكذيب عادة الامم السابقة
وسيحل بهم ما حل باولئك وان الضمير في بلغوا وفي ما آتيناهم عائد الى
الذين من قبلهم نسقا مع قوله فكذبوا اي ما بلغوا في شكر النعمة وجزاء المنة

بمعشار ما آتيناهم من النعم والإمكان اليوم وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد الضمير
في بلغوا لقريش وفي آتيناهم للأمم الذين من قبلهم والمعنى وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا
أولئك من طول الأعمار وقوة الأجسام وكثرة الأموال ومع ذلك كذبوا رسلي جاءهم
إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم تغن عنهم ما كانوا فيه من القوة
فكيف يكون حال هؤلاء إذا جاءهم العذاب والهلاك وقيل الضمير في بلغوا عائد
على الذين من قبلهم وفي آتيناهم على قريش وما بلغ الأمم المتقدمة
معشار ما آتينا قريشا من الآيات والبينات والنور الذي جئتهم به وأورد
ابن عطية هذه الأقوال احتمالات والزمخشري ذكر الثاني وأبو عبد
الله الرازي أخذ الثالث قال أي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار
ما آتينا قوم وأبو عبد الله الرازي اختار الثالث قال أي الذين من
قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قومك من البرهان وذلك لأن كتاب محمد
عليه السلام أكمل من سائر الكتب وأوضح ومحمد عليه السلام أفضل من جميع
الرسل وأفصح برهانه أوفى بيانه انتهى ويؤيد ما ذكرنا وما آتيناهم
من كتب يدرسونها يعني من القرآن فلما كان المؤتى في الآية الأولى هو
الكتاب حمل الإيتاء في الآية الثانية على إيتاء الكتاب وكان أولى انتهى ومن
ابن عباس فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه والمعشار
مفعال من العشر ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير
المرباع ومعناهما العشر والربع وقال قوم المعشار عشر العشر قال ابن عطية وهذا
ليس بشيء انتهى وقيل والعشر في هذا القول عشر العشرات فيكون جزءا من ألف
جزء قال الماوردي وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل وقال
الزمخشري فإن قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله
وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم
وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه
ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن
ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيتفضل عليه فكيف كان
نكير لتكذيب الأولين فليحذروا من مثله انتهى وكيف تعظيم للأمر وليست استفهاما
مجردا وفيه تهديد لقريش أي أنهم معرضون لنكير مثله والنكير مصدر كالإنكار
وهو من المصادر التي جاءت على وزن فعيل والفعل على وزن أفعل كالنذير والعذير
من أنذر وأعذر وحذفت الياء من نكيري تخفيفا لأنها آخر آية قل إنما أعظكم بواحدة
قال مجاهد هي طاعة الله وتوحيده وقال السدي هي لا إله إلا الله وقال قتادة
هي أن تقوموا قال أبو علي أن تقوموا في موضع خفض على البدل من واحدة وقال
الزمخشري بواحدة بخصلة واحدة وهو فسرها بقوله أن تقوموا على أنه عطف بيان
لها انتهى وهذا لا يجوز لأن بواحدة نكرة وأن تقوموا معرفة لتقديره قيامكم لله وعطف
البيان فيه مذهبان أحدهما أنه يشترط فيه أن يكون معرفة من معرفة وهو مذهب
البصريين والثاني أنه يتبع ما قبله في التعريف والتنكير وهو مذهب الكوفيين وأما
التخالف فلم يذهب فيه ذاهب إنما هو وهم من قائله وقد رد النحويون على
الزمخشري في قوله إن مقام إبراهيم عطف بيان من قوله آيات بينات وذلك لأجل

التخالف وكذلك هذا والظاهر أن القيام هنا هو الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة
لا القيام الذي يراد به المثول على القدمين ويحتمل أن يراد به ما جوزه الزمخشري من القيام
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده والمعنى إنما أعظكم
بواحدة فيها إصابتكم الحق وخلاصكم وهي أن تقوموا لوجه الله متفرقين اثنين اثنين
وواحدا واحدا ثم تتفكروا في أمر محمد وما جاء به وإنما قال مثنى وفرادى
لأن الجماعة تكون مع اجتماعهم تشويش الخاطر والمنع من الفكر وتخليط
الكلام والتعصب للمذاهب وقلة الإنصاف كما هو مشاهد في الدروس التي
تجتمع فيها الجماعة فلا يوقف فيها على تحقيق وأما الاثنان إذا نظرا نظر
إنصاف وعرض كل واحد منهما على صاحبه ما ظهر له فلا يكاد الحق أن يعدوهما
وأما الواحد إذا كان جيد الفكر صحيح النظر عاريا عن التعصب طالبا للحق
فبعيد أن يعدوه وانتصب مثنى وفرادى على الحال وقدم مثنى لأن طلب
الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحد فإذا انقدح الحق
بين الاثنين فكر كل واحد منهما بعد ذلك فيزيد بصيرة وقال الشاعر
إذا اجتمعوا جاؤوا بكل غريبة ... فيزداد بعض القوم من بعضهم علما
ثم تتفكروا عطف على أن تقوموا والتفكر هنا في حال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيما نسبوه إليه فإن الفكرة تهدي غالبا إلى الصواب إذا عريت
عن ما يشوش النظر والوقف عند أبي حاتم عند قوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم
من جنة نفي مستأنف قال ابن عطية وهو عند سيبويه جواب ما ينزل منزلة القسم
لأن تفكر من الأفعال التي تعطي التحقيق كتبين وتكون الفكرة على هذا في آيات
الله والإيمان به انتهى واحتمل أن يكون تتفكروا معلقا والجملة المنفية في موضع
نصب وهو محط التفكر أي ثم تتفكروا في انتفاء الجنة عن محمد صلى الله عليه وسلم فإن مثل
ذلك لا يصح أن يتصف به من كان أرجح قريش عقلا وأثقبهم ذهنا وأصدقهم قولا
وأنزههم نفسا ومن ظهر على يديه هذا القرآن المعجز فيعلمون بالفكرة أن نسبة الجنون
لا يمكن ولا يذهب إلى ذلك عاقل وأن من نسبه إلى ذلك فهو مفتر كاذب والظاهر أن ما نفي
كما قررنا وقيل ما استفهام وهو استفهام لا يراد به حقيقته بل يؤول معناه إلى النفي التقدير
أي شيء بصاحبكم من الجنون أي ليس به شيء من ذلك ولما انتفى تعالى عنه الجنة أثبت أنه نذير بين يدي
عذاب شديد أي هو متقدم في الزمان على العذاب الذي توعدوا به وبين يدي يشعر بقرب
العذاب قل ما سألتكم من أجر الآية فيها تبرؤ من طلب الدنيا وطلب الأجر على النور الذي أتى
به والتوكل على الله في الأجر واحتملت ما أن تكون موصولة مبتدأ والعائد من الصلة محذوف
تقديره سألتكموه وفهو لكم الخبر ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط واحتملت أن
تكون شرطية مفعولة بسألتكم وفهو لكم جملة في جواب الشرط وقوله ما سألتكم من أجر
فهو لكم على معنيين أحدهما نفي مسألة الأجر كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا
فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه أراد البت لتعليقه الأخذ بما لم يكن وتؤيده
إن أجري إلا على الله والثاني أن يريد بالأجر ما في قوله قل ما أسألكم عليه من أجر إلا
من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وفي قوله لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن
اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة بالقرابة لأن القرابة
قد انتظمته وإياهم قاله الزمخشري وفيه بعض زيادة وقال ابن عباس الأجر المودة

في الثوابي وقال قتادة فهو كقوله اي تريد وتمنوا به لا في سالتكم صلة الرحم وقال مقاتل تركتكم
كفر وهو على كل شي شهيد مطلع حافظ يعلم اني لا اطلب اجرا على نصحكم ودعايكم اليه الا منه ولا
اطمع منكم في شي وان تقذف الوحي بدفع واتمنا دو سفها لمعنى الالقا كقوله ان اقذفيه في
اليم وتقذف في قلوبهم الرعب قال قتادة يقذف بالوحي وعنه بين الحق القران وقيل
يلقي الحق الى انبيايه وقيل يقذف بالحق بين الحجة ويظهرها وقال ابن القشيري يبين الحجة
بحيث لا اعتراض عليها لانه علام الغيوب فانا متمسك بما يقذف الي من الحق وامر القذف
الوحي بالسهم والحصي والكلام وقال ابن عباس يقذف الباطل بالحق والظاهر ان بالحق هو
معمول فالحق هو المقذوف محذوف اي يقذف اي يلقي ما يلقي الي انبيايه من الوحي
والشرع بالحق لا بالباطل فتكون الباء اما للمصاحبة واما للسبب ويويد هذا الاحتمال
كون قذف متعديا بنفسه فاذا علقته بالحق هو المفعول كانت الباء زايدة في موضع
لا تطرد زيادتها وقرا الجمهور علام بالرفع فالظاهر انه خبر ثان وبعضهم قول
الزجاج قال هو رفع لان تاويله قل ربي علام الغيوب وقال الزمخشري رفع محمول على محل ان
واسمها او على المستكن في يقذف او هو مبتدا محذوف انتهى واما الحمل على محل ان
واسمها فهو مذهب سيبويه وليس بصحيح عند اصحابنا على ما قررناه في كتب النحو واما
قوله على المستكن في يقذف فلم يبينه وهو حمله وكانه يريد انه بدل من ضمير يقذف وقال
الكسائي هو نعت لذلك الضمير لان مذهبه جواز نعت الضمير الغايب وقرا عيسى وابن ابي
اسحاق وزيد بن علي وابن ابي عبلة وابو حيوة وحرب عن طلحة علام بالنصب فقال الزمخشري
صفة لربي وقال ابو الفضل الرازي وابن عطية بدل او صفة وقيل نصب على المدح وقرئ
الغيوب بالحركات الثلاث اما الضم فجمع غيب واما الكسر فكذلك استثقلوا ضمتين والواو
فكسروا التتباع لكسرة الباء الضمة التي في اليا مع الواو واما الفتح فمفعول للمبالغة كالصبور وهو
الشي الذي غاب وخفي جدا ولما ذكر انه تعالى يقذف بالحق بصيغة المضارع اخبر ان الحق قد جا
وهو القران والوحي وبطل ما سواه من الاديان فلم يبق لغير الاسلام ثبات لا في بدء ولا في
عاقبة فلا اخاف على الاسلام ما يبطله كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال
قتادة الباطل الشيطان لا يخلق شيا ولا يبعثه وقال الضحاك الاصنام لا تفعل ذلك وقال ابو
سليمان لا يبدي الصنم من عنده كلاما فيجاب ولا يرد ما جا من الحق بحجة وقيل الباطل
الذي يضاد الحق فالمعنى ذهب الباطل بمجي الحق فلم يبق منه بقية وذلك ان الحي اذا هلك
لم يبق له ابدا ولا اعادة فصار قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول الشاعر
اقفر من اهله عبيد ٥ فاليوم لا يبدي ولا يعيد ٥
والظاهر ان ما نفي وقيل استفهام ومالها من النفي كانه قيل اي شي يبدي الباطل اي
ابليس ويعيده قاله الزجاج وفرقه معه وعن الحسن لا يبدي اي ابليس لاهله
خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وقيل الشيطان الباطل لانه صاحب الباطل
ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك وقيل الحق السيف عن ابن مسعود دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثماية وستون صنما فجعل يطعنها بعود
معه ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جا الحق وما يبدي الباطل
وما يعيد وقرا الجمهور قل ان ضللت بفتح اللام فانما اضل بكسر الضاد وقرا
الحسن وابن وثاب وعبد الرحمن المقري بكسر اللام وفتح الضاد وهي لغة تميم
وكسر عبد الرحمن همزة اضل وقال الزمخشري هما لغتان نحو ضللت اضل وظللت اظل
وان

وان اهتديت فبما يوحي الي فاهتدائي بما يوحي وما يحتمل ان تكون بمعنى الذي اي فبالذي
يوحيه الي ربي وان تكون مصدرية اي بوحي ربي والتقابل اللفظي وان اهتديت
فانما اهتدي لها كما قال ومن اسا فعليها تقابل من عمل صالحا فلنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها مقابل من اهتدي فلنفسه او يقال فانما اضل لنفسي وانما في الاية
فالتقابل معنوي لان النفس كل ما عليها فهو بها اي كل وبال عليها فهو بسببها لانها
النفس الامارة بالسو وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل
مكلف وامر رسوله ان يسنده الى نفسه لانه اذا دخل تحته مع جلالة محله
وسداد طريقته كان غيره اولى به انتهى وهو من قول الزمخشري انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله والظاهر ان قوله ولو ترى اذ فزعوا انه
وقت البعث وقيام الساعة وكذا ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ
المجرمون ناكسوا رووسهم وكل ذلك في يوم القيامة [illegible] وقيل
وجي بلفظ الماضي لتحقق وقوعه بالخبر الصادق وقال ابن عباس والضحاك
هذا في عذاب الدنيا وقال الحسن في الكفار عند خروجهم من القبور وقال
مجاهد يوم القيامة وقال ابن زيد والسدي في اهل بدر حين ضربت اعناقهم فلم
يستطيعوا فرارا من العذاب ولا رجوعا الى التوبة وقال ابن جبير وابن ابي
ابزى في جيش يغزو الكعبة فيخسف بهم في بيدا من الارض ولا ينجو الا رجل
من جهينة فيخبر الناس بما نال الجيش قالوا وله قيل وعند جهينة الخبر اليقين وروي
في هذا المعنى حديث مطول عن حذيفة وذكر الطبري انه ضعيف السند مكذوب
فيه على رواد بن الجراح وقال الزمخشري وعن ابن عباس نزلت في خسف البيدا وذلك
ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيدا خسف بهم وذكر في
حديث حذيفة انه يكون فتنة بين اهل المشرق والمغرب فبيناهم كذلك اذ خرج
عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث
جيشا الى المدينة فينتهبونها ثلاثة ايام ثم يخرجون الى مكة فيبعث الله جبريل عليه
السلام فيضربها اي الارض برجله ضربة فيخسف الله بهم الارض فذلك قوله فلا
فوت ولا ينقلب منهم الا رجلان من جهينة فلذلك جرى المثل وعند جهينة
الخبر اليقين ثم احدهما يبشر اهل مكة والاخر ينذر يتقلب نحو السفياني
وقيل لا ينقلب الا رجل واحد يسمى ناجية من جهينة ينقلب وجهه الى قفاه
ومفعول ترى محذوف اي ولو ترى الكفار اذ فزعوا فلا فوت اي لا يفوتون
الله ولا يهرب لهم عنه ما يريده وقال الحسن فلا فوت من صيحة النشور
واخذوا من بطن الارض الى ظهرها حيثما ومن الموقف الى النار اذا بعثوا
او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحرا بدر الى القليب او من تحت
اقدامهم اذا خسف بهم وهذه الاقوال مبنية على تلك الاقوال السابقة في
عود الضمير في فزعوا ووصف المكان بالقرب من حيث قدرة الله عليهم
بحيث ما كانوا هو قريب وقرا الجمهور فلا فوت مبنيا على الفتح واخذوا
فعلا ماضيا والظاهر عطفه على فزعوا وقيل على فلا فوت لان معناه فلا
يفوتوا واخذوا وقرا عبد الرحمن مولى بني هاشم عن ابيه وطلحة فلا
فوت واخذوا مصدرين منونين وقرا ابي فلا فوت مبنيا واخذوا مصدرا

سوقا ومن رفع واحد فخبر مبتدأ اي ردهم اخذوا او مبتدأ اي وهناك اخذ وقال
الزمخشري وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك
وهناك اخذ انتهى كأنه يعني ان لا فوت مجموع لا والمبني معها في موضع مبتدأ
وخبره هناك فكذلك واخذ مبتدأ وخبره هناك محذوف عطف الجملتين كما ثبت احداهما
نفيت النفي والاخرى تضمنت الايجاب والضمير في به عائد على الله قاله مجاهد
اي بقولهم ذلك عند رؤية العذاب وقال الحسن على البعث وقال مقاتل على القرآن
وقيل على العذاب وقال الزمخشري وغيره على الرسول المردود ذكره في
قوله ما بصاحبكم من جنة وانى لهم التناوش قال ابن عباس التناوش
الرجوع الى الدنيا وانشد ابن الانباري تمنى ان تؤوب الى مي
وليس الى تناوشها سبيل اي تتمنى هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد
ان يتناول الشي من غلوة كما يتناوله الاخر من قرب وقرا الجمهور والتناوش بالواو
وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو وابو بكر بالهمز فيجوز ان يكونا مادتين احداهما
النون والواو والشين والاخرى النون والهمزة والشين وتقدم شرحهما في المفردات
ويجوز ان يكون اصل الهمزة الواو وعلى ما قاله الزجاج وتبعه الزمخشري وابن عطية
والحوفي وابو البقاء قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار ان
شئت همزتها وان شئت تركت همزتها فتقول ثلاث ادور بلا همز وادؤر بالهمز
قال القتبي من اين لهم تناول ما طلبوه من التوبة بعد فوات وقتها لانها انما تقبل
في الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدا من الاخرة وذلك قوله تعالى من
مكان بعيد وقال الزمخشري همزت الواو المضمومة كما همزت في اوجه وادؤر مضمومة
ضمة لازمة كما قالوا وقال ابن عطية واما التناؤش بالهمز فيحتمل ان يكون من
التناوش وهمزت الواو لما كانت مضمومة ضمة لازمة كما قالوا اقتت وقال الحوفي
ومن همز احتمل وجهان احدهما ان يكون من النأش وهو الحركة في ابطاء ويجوز ان يكون
من ناش ينوش همزت الواو لانها لما همزت اقتت وادؤر وقال ابو البقاء ويقرأ
بالهمز من اجل ضمة الواو وقيل هي اصل من ناشه انتهى وما ذكروه من ان الواو اذا كانت
مضمومة ضمة لازمة يجوز ان تبدل همزة ليس على اطلاقه بل لا يجوز ذلك في المتوسطة
اذا كانت مدغما فيها نحو تعود وتعوذ مصدرية ولا اذا صحت في الفعل نحو تهوك
تهوكا وتعاون تعاونا ولم يسمع همزتين من ذلك فلا يجوز والتناوش مثل التعاون
فلا يجوز همزه لان واوه قد صحت في الفعل اذ تقول تناوش وقد كفروا به الضمير
في به عائد على ما عاد عليه امنا به من الاقوال والجملة حالية ومن قبل اي من قبل
نزول العذاب وقرا الجمهور ويقذفون مبنيا للفاعل حكاية
حال متقدمة قال الحسن قولهم لا جنة ولا نار وزاد قتادة ولا بعث وقال ابن زيد
طاعنين في القرآن بقولهم اساطير الاولين وقال مجاهد في الرسول صلى الله عليه
وسلم بقولهم شاعر وساحر وكاهن من مكان بعيد اي من جهة بعيدة لان
نسبة الحق من ذلك من ابعد الاشياء قال الزمخشري وهذا تكلم بالغيب والامر
الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب
من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شي مما جاء به الشعر والسحر وابعد شي من

عادته

عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور انتهى وقيل هو مستانف اي يتلفظون
بكلمة الايمان حين لا ينفع نفسا ايمانها فمثلت حالهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان
في الدنيا بقولهم امنا في الاخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيا من مكان بعيد
لا مجال للنظر في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا والغيب الشي الغائب
وقرا مجاهد وابو حيوة ومحبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول قال
مجاهد ويرجمهم الوحي بما يكرهون من السما وقال ابو الفضل الرازي يرمون بالغيب
من حيث لا يعلمون ومعناه يجازون بسوء اعمالهم ولا علم لهم بما اتوه اما في حال
تعذر التوبة عند معاينة الموت واما في الاخرة وقال الزمخشري اي ياتيهم به
يعني بالغيب شياطينهم ويلقنونهم اياه وقيل يرمونه في النار وقيل هو مثل لان من
ينادى من مكان بعيد لا يسمع اي انهم لا يعقلون ولا يسمعون وقيل بينهم قال
الحوفي قام الظرف مقام اسم ما لم يسم فاعله انتهى ولو كان على ما ذكر لكان مرفوعا
بينهم كقراءة من قرأ لقد تقطع بينكم في احد الوجهين لا يقال لما اضيف الى مبني وهو
الضمير بني فهو في موضع رفع وان كان مبنيا كما قال بعضهم في قوله مثل ما انكم بني
انه في موضع رفع لاضافته الى المضمر وان كان مفتوحا لانه قول فاسد يجوز ان
تقول مررت بغلامك وقام غلامك بالفتح وهذا لا يقوله احد والبنا لاجل الاضافة
الى المبني ليس مطلقا بل له مواضع احكمت في النحو وما يقول قايل ذلك في قول الشاعر
وقد حيل بين العير والنزوان فان بين منصوب وهي مضافة الى معرب وانما تخرج
ما ورد من نحو هذا على ان القايم مقام الفاعل هو ضمير المصدر الدال عليه وحيل
هو اي الحول كانه قيل وحيل الحول وان لم يكن مصدرا موكدا فجاز ان يقام مقام الفاعل وعلى
ذلك تخرج قول الشاعر وقالت متى يبخل عليك ويعتلل يسؤك وان يكشف غرامك تدرب
اي ويعتلل هو اي الاعتلال والذي يشتهون الرجوع الى الدنيا قاله ابن عباس
او الاهل والمال والولد قاله مجاهد او الايمان قاله الحسن او طاعة الله قاله قتادة
او التوبة قاله السدي او بين الجيش وتخريب الكعبة او بين المؤمنين
او بين النجاة من العذاب او بين نعيم الدنيا ولذتها قاله مجاهد ايضا
كما فعل باشياعهم اي باشباههم من كفرة الامم اي حيل بينهم وبين مشتهياتهم
ومن قبل يصح ان يكون متعلقا باشياعهم اي من اتصف بصفتهم من قبل اي في
الزمان الاول ويترجح بان ما يفعل بجميعهم انما هو في وقت واحد ويصح ان يكون
متعلقا بفعل اذا كانت الحيلولة في الدنيا وقال الضحاك اشياعهم اصحاب الفيل
يعني اشياع قريش وكانه اخرجه مخرج التمثيل واما التخصيص فلا دليل
عليه انهم كانوا في شك مريب يعني في الدنيا ومريب اسم فاعل من اراب
الرجل اتى بريبة ودخل فيها واربت الرجل اوقعته في ريبة ونسبة الارابة
الى الشك مجاز قال الزمخشري الا انه ههنا فيه وجهان ان المريب من
المتعدي منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى ومن
اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر انتهى وفيه
بعض تلخيص وقيل يجوز ان يكون اردفه على الشك وهما بمعنى لتناسق اخر
الاية بالتي قبلها من مكان قريب كما تقول عجب عجيب وشيء شائن وليلة ليلاء
وقال ابن عطية الشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده اظلاما

المفردات

القطمير المشهور انه القشرة الرقيقة التي على نوى التمرة ويأتي ما قال المفسرون الجدد
جمع جدة وهي الطريقة تكون من الارض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولا
وقال الزمخشري والجدد الخطط والطرائق وقال لبيد ٭ او مذهب جدد على الواحه
ويقال جدة الحمار للخطة السودا على ظهره وبطنه انتهى وقال الشاعر ٭
كأن سراته وجدة ظهره ٭ كنائن يجري بينهن دليص ٭ الجدة الخط الذي
في وسط ظهره يصف حمار وحش الغربيب الشديد السواد غربيب يقال لغوبا ايضا

سورة فاطر بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل
الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء
ان الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا ايها الناس اذكروا نعمة
الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو
فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع
الامور يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله
عليم بما يصنعون

هذه السورة مكية ولما ذكر تعالى في اخر السورة التي قبلها هلاك
المشركين اعداء المومنين وانزالهم منازل العذاب تعين على المومنين حمده تعالى وشكره
لنعمائه ووصفه بعظيم الاية كما في قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين وقرا الضحاك والزهري فطر جعله فعلا ماضيا ونصب ما بعده
قال ابو الفضل الرازي فاما على اضمار الذي فيكون نعتا لله عز وجل واما بتقدير
قد فيما قبله فيكون بمعنى الحال انتهى وحذف الموصول الاسمي لا يجوز عند البصريين
واما الحال فيكون فالاحسن عندي ان يكون خبر مبتدا محذوف اي
هو فطر وتقدم شرح فاطر السموات والارض وان المعنى خالقها بعد ان لم تكن
والسموات والارض عما تحت العالم وقال ابو عبد الله الرازي الحمد يكون في غالب
الامر على النعمة ونعم الله عاجلة واجلة والحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور اشارة الى النعمة العاجلة ودليله هو الذي خلقكم من طين
ثم قضى اجلا والحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اشارة اليها ايضا وهي
الابقاء فان الابقاء والصلاح بالشرع والكتاب والحمد في سورة سبا اشارة
الى نعمة الايجاد والحشر ودليله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما
ينزل من السما من الارواح وما يعرج فيها منها وقوله وقال الذين كفروا لا تاتينا
الساعة وهنا اشارة الى نعمة البقاء في الاخرة ودليله وتتلقاهم الملائكة
ففاطر السموات والارض شاقهما لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد
من الارض ودليله جاعل الملائكة رسلا اي في ذلك اليوم فاول هذه السورة
متصل باخر ما مضى لان كما فعل باشياعهم من قبل بيان لانقطاع رجا من
كان في شك مريب ولما ذكر حالهم ذكر حال المومن وبشره بارسال الملائكة
اليهم

البشرين وانه يفتح لهم ابواب الرحمة وقرا الحسن جاعل بالرفع اي هو جاعل وعبد
الوارث عن ابي عمرو جاعل رفعا بغير تنوين الملائكة نصبا حذف التنوين لالتقا
الساكنين وقرا ابن يعمر وخليد بن نشيط جعل فعلا ماضيا الملائكة نصبا وذلك
بعد قراته فاطر بالالف والجر كقراءة من قرا فالق الاصباح وجعل الليل سكنا
وقرا الحسن وحميد بن قيس رسلا باسكان السين وهي لغة تميم وقال
الزمخشري وقري الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة فمن قرا فطر
وجعل فينبغي ان تكون هذه الجمل صلة من العبد الى ما اسداه الينا من النعم
كما تقول الفضل لزيد احسن للناس كذا اخولني كذا تكون ذلك جهة بيان
لفعله الجميل كذلك تكون في قوله فطر وجعل لانه في ذلك نعما لا تحصى ومن
قرا فاطر وجاعل فالاظهر انهما اسما فاعل بمعنى المضي فيكونا صفة لله ويجي
الخلاف في نصب رسلا فمذهب السيرافي انه منصوب باسم الفاعل وان كان
ماضيا لما لم يمكن اضافته الى اسمين نصب الثاني ومذهب ابي علي انه منصوب
باضمار فعل والترجيح بين المذهبين مذكور في النحو واما من نصب الملائكة
فتخرج على مذهب الكسائي وهشام في جواز اعمال الماضي النصب ويكون اذ
ذاك اعرابه بدلا او نقل هو مستقبل تقديره يجعل الملائكة رسلا ويكون ايضا
اعرابه بدلا ومعنى رسلا بالوحي وغيره من اوامره ولا يريد جميع الملائكة
لانهم ليسوا كلهم رسلا فمن الرسل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
والملائكة المتعاقبون والملائكة المسددون حكام العدل وغيرهم كالملك الذي
ارسله الله الى الاعمى والابرص والاقرع واجنحة جمع جناح صيغة جمع القلة
وقياس جمع الكثرة فيه جنح على وزن فعل فان كان لم يسمع كان اجنحة
مستعملا في القليل والكثير وتقدم الكلام على مثنى وثلاث ورباع في اول
النسا سبعا ولكن المفسرين توضحوا الكلام فيه هنا فقال الزمخشري مثنى
وثلاث ورباع صفات الاجنحة وانما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك
انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر
وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا تفترق الحال
فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع
وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها انتهى فجعل المانع للصرف هو تكرار العدل
فيها والمشهور انها امتنعت الصرف للصفة والعدل واما قوله الا تراك فانه لما
الصفة في نفس العدول الى الصفة في افعل وفي ثلاثة وليس بصحيح لانه
مطلق الصفة لم يعدوه علة بل اشترطوا فيه وليس الشرط موجودا في اربع
لان شرطه ان لا يقبل تا التانيث وليس شرطه في ثلاثة موجودا لانه
لم يجعله علة مع التانيث خفيفا والزمخشري تبع فيه السيرافي اذ نقل عن
شرط كون الصفة علة وقال ابن عطية عدلت عن حال التنكير فتعرفت
بالعدل فهي لا تنصرف في العدل والتعريف وقيل للعدل والصفة انتهى
وهذا الذي هو المشهور والاول قول بعض الكوفيين والظاهر ان الملك
الواحد من صنف له جناحان واخر ثلاثة واخر اربعة واخر اكثر من
ذلك لما روي ان جبريل له ستماية جناح منها اثنان يبلغ بهما من المشرق الى

العرب قال قتادة واخذ الزمخشري يتكلم على كيفية هذه الاجنحة وعلى صورة الثلاثة
بما لا يجدي في الاطالة ذكره في كتابه وقالت فرقة المعنى ان في كل جانب من
الملك جناحان ولبعضهم ثلاثة ولبعضهم اربعة والا فلو كانت ثلاثة لواحد لما
اعتدلت في معتاد ما رأينا نحن من الاجنحة وقيل بل هي ثلاثة لواحد كما يوجد
لبعض الحوت والظاهر ان المراد من الاجنحة ما وضعت له في اللغة وقال
ابو عبد الله الرازي بذيل بحثه في قوله الحمد لله فاطر السموات والارض
وهو الذي حكينا عنه ان قوله جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع اقل ما يكون لذي الجناح اشارة الى الجهة وبيانه ان الله ليس شيء دونه
وكل شيء تحت قدرته ونعمته والملائكة لهم وجه الى الله ياخذون منه نعمه
ويعطون من دونهم مما اخذوه باذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال تعالى فالمدبرات امرا
فهما جناحان وفيهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله
لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيهم من له ثلاث جهات ومنهم من له اربع
جهات واكثر انتهى وبحثه في هذا في فاطر السموات والارض بحث
عجيب وليس على طريقة فهم العرب من مدلولات الالفاظ التي حملها
محمل والظاهر ان مثنى وما بعده من صفات الاجنحة وقيل اولي اجنحة
معترض ومثنى حال والعامل فعل محذوف يدل عليه رسلا اي يرسلون
مثنى وثلاث ورباع وقيل انما جعلهم اولي اجنحة لانه لما جعلهم رسلا جعل لهم
اجنحة ليكون اسرع لنفاذ الامر وسرعة انفاذ القضا فان المسافة التي
بين السما والارض لا تقطع بالاقدام الا في سنين فجعلت لهم الاجنحة
حتى ينالوا المكان البعيد في الوقت القريب كالطير يزيد في الخلق ما يشا
تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب من امر الملائكة اولي الاجنحة
اي ليس هذا ببدع في قدرة الله فانه يزيد في خلقه ما يشا والظاهر عموم
الخلق وقال الفرا هذا في الاجنحة التي للملائكة اي يزيد في خلق
الملائكة في الاجنحة واليه ذهب الحسن وعن ابن عباس يزيد في خلق الملائكة
الاجنحة وقالوا في هذه الزيادة الخلق الحسن او حسن الصوت او حسن
الخط والملاحة في العينين او الانف او خفة الروح او الحسن او جعودة
الشعر او العقل او العلم او الصنعة او العفة في الفقر او الحلاوة في الفم
وهذه الاقوال على سبيل التمثيل لا الحصر والاية مطلقة تتناول كل زيادة
في الخلق وقد ترجموا هذه الزيادة بالاشيا المستحسنة وما يشاكلها لا يحصر
مستحسنا دون غيره وختم الاية بالقدرة على كل شي يدل على ذلك والفتح
والارسال استعارة للاطلاق فلا مرسل له كما ان لا فاتح له والمعنى اي
شي يطلق الله من رحمته اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن
او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وما روي عن المفسرين
المتقدمين من تعيين رحمة بشي معين فليس على الحصر وانما هو مثال
قال الزمخشري وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية
رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شي
يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه انتهى والعموم مفهوم من اسم الشرط
ومن رحمة لبيان ذلك العام من اي صنف هو وهو مما اجتزئ

بالنكرة

بالنكرة المفردة عن الجمع الموصوف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات ومن
في موضع الحال اي كائنا من الرحمات ولا يكون في موضع الصفة لان اسم الشرط لا يوصف
والظاهر ان قوله وما يمسك عام في الرحمة وفي غيرها بانه لم يمسك لانه لم يذكر له
تبيين فهو باق على العموم في كل ما يمسك عام في الرحمة وفي غيرها فان كان تفسيره
من رحمة وحذفت لدلالة الاول عليه فيكون تذكير الضمير في فلا مرسل له من
بعده حملا على لفظ ما وانث في فلا ممسك لها على معنى ما لان معناها الرحمة
فلا مرسل لها بتأنيث الضمير وهو دليل على ان التفسير هو من رحمة وحذف
لدلالة ما قبله عليه وعن ابن عباس من رحمة من باب توبة فلا ممسك لها اي
يتوبون ان شاءوا وان ابوا وما يمسك من باب توبة فلا مرسل له من بعده فهم
لا يتوبون وعنه ايضا من رحمة من هداية قال الزمخشري فان قلت
فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت اراد بالتوبة
الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس ان قاله فمقبول وان اراد
انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشا لم يتب فمردود لان الله تعالى
يشا التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاها انتهى وهو على طريقة الاعتزال
من بعده هو على حذف مضاف اي من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من
بعد الله اي من بعد اضلال الله اياه لان قبله واضله الله على علم وكقوله
من يضلل الله فلا هادي له وقدر الزمخشري من بعد هداية الله وهو
تقدير فاسد لا يناسب الاية جرى فيه على طريقة الاعتزال وهو العزيز الغالب
القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما اقتضته حكمته
يا ايها الناس خطاب لقريش وهو متجه لكل مؤمن وكافر ولا سيما من عبد غير
الله وذكر بنعمه في ايجادهم واذكروا ليس امرا بذكر اللسان ولكن به وبالقلب
وبحفظ النعمة من كفرانها وشكرها كقولك لمن انعمت عليه اذكر ايادي عندك
تريد حفظها وشكرها والجميع مغمورون في نعمة الله فالخطاب عام اللفظ وان
كان متوكد ذلك بسبب قريش ثم استفهم على جهة التقرير هل من خالق
غير الله اي فلا اله الا الخالق لا ما تعبدون انتم من الاصنام
ابن وثاب وشقيق وابو جعفر وزيد بن علي وحمزة والكسائي غير بالخفض
نعتا على اللفظ ومن خالق مبتدا وخبره يرزقكم وجوزوا ان يكون خبر المبتدا
وان يكون صفة وان يكون مستانفا والخبر على هذين الوجهين محذوف
تقديره لكم وقرا شيبة وعيسى والحسن وباقي السبعة غير بالرفع
وجوزوا ان يكون نعتا على الموضع كما كان الجر نعتا على اللفظ وهذا
اظهر لتوافق القرائتين وان تكون خبرا للمبتدا وان يكون فاعلا
باسم الفاعل الذي هو خالق لانه قد اعتمد على اداة الاستفهام فحسن
اعماله واجري مجرى الفعل فرفع ما بعده هل يجوز ان يذكر عليه من التي
للاستغراق فيقول هل من قائم الزيدون كما تقول هل قائم الزيدون
والظاهر انه لا يجوز الا ترى انه اذا جرى مجرى الفعل لا يكون فيه عموم خلافه
اذا دخلت عليه من ولا احفظ مثله في لسان العرب وينبغي ان لا يقدم على
اجازته مثل هذا الا بسماع من كلام العرب وقرا الفضل بن ابراهيم النحوي
غير بالنصب على الاستثنا والخبر اما يرزقكم واما محذوف ويرزقكم مستانف

وإذا كان من تكوينا فكان أولى لاستقصار وحال وعلى غير الله مخلا ذكونه صفة تأن
الصفة يقيد فيكون لهم خالق غير الله لكنه ليس برازق ويعني من السما بالمطر والأرض
بالنبات لا إله إلا هو جملة مستقلة لا موضع لها من الإعراب فأنى تؤفكون أي كيف
تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وإن يكذبوك إلى الأمور تقدم الكلام على ذلك إن وعد
الله حق شامل لجميع ما وعد به من ثواب وعقاب وغير ذلك وقرأ الجمهور الغرور بفتح
الغين وفسره ابن عباس بالشيطان وقرأ أبو حيوة وعيسى بضمها وغير ذلك وأبو السماك
جمع غار أو مصدر كقوله فدلاهما بغرور وتقدم الكلام على ذلك في آخر لقمان إن الشيطان
لكم عدو مبين عدو أنه سبق لأبيكم آدم وأي عداوة أعظم من أن يقول فبعزتك لأغوينهم
أجمعين ولأضلنهم فاتخذوه عدوا أي بالمقاطعة والمخالفة باتباع الشرع ثم بين أن
مقصوده في دعاء حزبه إنما هو تعذيبهم في النار ليشترك هو وهم في العذاب فهو حريص
على ذلك أشد الحرص حتى يثبت صدق قوله في فلأغوينهم ولأضلنهم لأن الاشتراك
مما يهون ما قد يبتلى به بخلاف المنفرد بالعذاب ثم ذكر الفريقين وما أعد لهما من
العقاب والثواب وبدأ بالكفار لمجاورته قوله إنما يدعو حزبه فأتبع خبر الكافر
بما له في الآخرة قال ابن عطية واللام في ليكونوا لام الصيرورة لأنه لم يدعهم إلى السعير
إنما اتفق أن صار أمرهم عن دعائه إلى ذلك انتهى ونقول هو مما عبر فيه عن السبب
بما تسبب عنه دعاهم إلى الكفر وتسبب عنه العذاب والذين كفروا والذين آمنوا ابتداء
وجوز بعضهم في الذين كفروا أن يكون في موضع خفض بدلا من حزبه أو نعتا وذلك كله
بمعزل عن فصاحة التقسيم وجزالة التركيب أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا أي فرأى
سوء عمله حسنا ومن مبتدأ موصول وخبره محذوف فقال الذي يقتضيه النظر أن يكون
التقدير كمن لم يزين له كقوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله أفمن
يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى أومن كان ميتا فأحييناه ثم قال كمن
مثله في الظلمات وقال الكسائي التقدير تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة فلا
تذهب نفسك وقيل التقدير فرآه حسنا كمن هداه الله فحذف ذلك
لدلالة فإن الله يضل من يشاء وذكر هذين الوجهين الزجاج وشرع الزمخشري
هنا يضل من يشاء وذكر هذين الوجهين الزجاج وشرح الزمخشري هنا بمعتقد
يشاء على عادته في غير موضع من كتابه من أن الإضلال هو خذلانه وتخليته
وشأنه وأتى بألفاظ كثيرة في هذا المعنى وقرأ الجمهور أفمن زين مبنيا للمفعول
سوء رفع وقرأ عبيد بن عمير زين له سوء مبنيا للفاعل ونصب سوء وعنه أيضا أسوأ
على وزن أفعل منصوبا وأسوأ عمله وهو الشرك وقرأ طلحة أمن بغير فا قال صاحب
اللوامح فالهمزة للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز أن يكون بمعنى حرف
النداء فحذف التمام كما حذف من المشهور الجواب انتهى ويعني بالجواب خبر المبتدا
وبالتمام ما يؤدي لأجله أي تفكر وارجع إلى الله فإن الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء فليته هو شيء يعني لكن توهمه ووجوب التسليم لله في إضلال من يشاء وهداية من يشاء
وقرأ الجمهور فلا تذهب نفسك مبنيا للفاعل من ذهب ونفسك فاعل وقرأ
أبو جعفر وقتادة وعيسى والأشهب وشيبة وأبو حيوة وحميد والأعمش وابن محيصن
تذهب من أذهب مسندا لضمير المخاطب نفسك نصب ورويت عن نافع والحسرة
هم النفس على فوات أمر وانتصب حسرات على أنه مفعول من أجله أي فلا تهلك
نفسك للحسرات وعليهم متعلق بتذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان
للمتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات لأنه مصدر فلا يتقدم معموله عليه وقال الزمخشري
ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ۝ حتى ذهبن كلاكلا وصدورا ۝ يريد رجعن كلاكلا وصدورا
أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله ۝ فعلى إثرهم تساقط نفسي ۝
حسرات وذكرهم لي سقام ۝ انتهى وما ذكر من أن كلاكلا وصدورا حالا هو مذهب
هو المبرد وهو تمييز منقول من الفاعل أي حتى ذهبت كلاكلها وصدورها ثم توعدهم
بالعقاب على سوء صنيعهم فقال إن الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي
أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها
كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك
هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من
أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك
على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ومن
كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر
لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير لما ذكر أشياء من
الأمور السماوية وإرسال الملائكة ذكر أشياء من الأمور الأرضية الرياح وإرسالها
وفي هذا احتجاج على منكري البعث دلهم على المثال الذي يعاينونه وهو إحياء
الموتى سيان وفي الحديث أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى
وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك ممحلا ثم مررت به
يهتز خضرا فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل
أرسل في معنى يرسل ولذلك عطف عليه فتثير وقيل جيء بالمضارع حكاية حال
يقع فيها إثارة الرياح السحاب ويستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على
القدرة الربانية ومنه فتصبح الأرض مخضرة وكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع
تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو يهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

۝ بأني قد لقيت الغول تهوي ۝ بسهب كالصحيفة صحصحان
۝ فأضربها بلا دهش فخرت ۝ صريعا لليدين وللجران

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه
يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول
وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض
بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا
معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه انتهى وقال
أبو عبد الله الرازي ما ملخصه أي أرسل بلفظ الماضي والإسناد إلى الله وما يفعله
تعالى بقوله كن لا يبقى زمانا ولا جزء زمان فلم يأت بلفظ المستقبل لوجوب
وقوعه وسرعة كونه ولأنه فرغ من كل شيء فهو قدر الإرسال في الأوقات المعلومة
وإلى المواضع المعينة ولما أسند الإثارة إلى الريح وهي تؤلف في زمان قال فتثير
وأسند أرسل إلى الغائب وفي فسقناه فأحيينا إلى المتكلم لأنه في الأول عرف نفسه

يفعل من الافعال وهو الارسال ثم كما عرف تعالى ان الذي عرفتني فغضب النبي ب فاجيب الاخفش
فوا الاول التعريف بالفعل العجيب وفي الثاني تذكير بالبعث وفسقناه فاحيينا بصيغه
الماضي يويد ما ذكرنا من التوزيع بين فتثير وارسل انتهى وهذا الذي ذكر من الفرق بين
ارسل وتثير لا نظهر الا تري الى قوله تعالى في سورة الروم الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا وفي الاعراف وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته كيف
جا بالارسال بالمضارع واما هنا فمن التفنن في الكلام والتصرف في البلاغة
واما الخروج من ضمير الغايب الى ضمير المتكلم المعظم نفسه فهو من باب الالتفات
وكذلك ما في الاعراف فسقناه الى بلد ميت فانزلنا به الما فاخرجنا به من كل
الثمرات وانما قوله وما يفعله تعالى الى الامر وكل فعل وان كان اسند الى غير
مجازا فهو مجازه وخلقته والنشور مصدر نشر الميت اذا احيي قال الاعشى
حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر والنشور مبتدا والجار
والمجرور قبله في موضع الخبر والتشبيه وقع بجهات لما تقبلت الارض
الميتة الحياة اللايقة بها كذا الاعضا تقبل الحياة او كما ان الريح تجمع
قطع السحاب كذلك تجمع الاعضا وابعاض الاشيا او كما يسوق الريح الرياح
والسحاب الى البلد الميت يسوق الروح والحياة الى البدن من كان يريد العزة
بمغالبة فلله العزة اي ليست لغيره ولا تتم الا به والغالب مغلوب ونحو
اليه مجاهد وقال من كان يريد العزة بعبادة الاوثان وهذا تمثيل لقوله واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال قتادة من كان يريد العزة وطريقها
القويم ويحب نيلها على وجهها فلله العزة اي به ومن امره لا تنال عزته الا
بطاعته وقال الفراء من كان يريد علم العزة فلله العزة اي هو المتصف بها وقيل
من كان يريد العزة اي لا يعقبها ذلة فهي لله لان عزة يعقبها ذلة ويصار بها
للذلة وقال الزمخشري كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال تعالى
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير
مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين قال الذين يتخذون الكافرين اوليا
من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا
عزة الا لله ولاوليايه وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين انتهى ولا تنافي
بين قوله فان العزة لله جميعا وان كان الظاهر انها له لا لغيره وبين قوله
ولله العزة ولرسوله وللمومنين وان كان يقتضي الاشتراك لان العزة في الحقيقة
لله بالذات وللرسول بواسطة قربه من الله وللمومنين بواسطة الرسول
فالمحكوم عليه غير المحكوم عليه ثانيا ومن اسم شرط وجملة الجواب لا بد ان يكون
فيها ضمير يعود على اسم الشرط اذا لم يكن ظرفا والجواب محذوف مقدر على حسب
تلك الاقوال السابقة فعلى قول مجاهد فهو مغلوب وعلى قول قتادة فليطلبها
من الله وعلى قول الفرا فلينسب ذلك الى الله وعلى القول الرابع فهو لا ينالها
وحذف الجواب استغنا عنه بقوله فلله العزة جميعا لانه دليل عليه والظاهر من
هذه الاقوال قول قتادة فليطلبها ممن العزة له يتصرف فيها كما يريد كما قال
تعالى وتعز من تشا وتذل من تشا واستعمل جميعا على المراد والمراد عزة
الدنيا وعزة الاخرة والكلم الطيب التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك
وقال ابن عباس نبههم دعاكم لا اله الا الله وقيل ثنا بالخير على صالحي المومنين

وقال

وقال كعب ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لها دوي حول العرش كدوي
النحل تذكر ما حبها وقرا الجمهور يصعد مبنيا للفاعل من صعد الكلم الطيب مرفوعا فاكل
جمع كلمة وقرا علي وابن مسعود والسلمي وابراهيم يصعد من اصعد الكلام الطيب منصوبا
وقال ابن عطية وقرا الضحاك يصعد بضم اليا ولم يذكر مبنيا للمفعول ولا مبنيا للفاعل ولا
اعراب ما بعده وقال الزمخشري وقري اليه يصعد الكلم الطيب على البنا للمفعول
انتهى وقرا زيد بن علي الى يصعد من صعد الكلام رفعا وصعود الكلم اليه تعالى
مجاز في الفاعل وفي المسند لانه تعالى ليس في جهة ولان الكلم الفاظ لا توصف بالصعود
لان الصعود من الاجرام يكون وانما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال كما
يقال علا كعبه وارتفع شانه ومنه ترافعوا الى الحاكم ورفع الامر اليه وليس هناك
علو في الجهة وقرا الجمهور والعمل الصالح يرفعه فالعمل مبتدا ويرفعه
الخبر وفاعل يرفعه ضمير يعود على العمل الصالح وضمير النصب يعود على الكلم اي يرفع الكلم
الطيب قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد والضحاك وقال الحسن يعرض القول على
الفعل فان وافق القول الفعل قبل وان خالف رد وعن ابن عباس نحوه قال اذا ذكر الله
العبد وقال كلاما طيبا فانه مكتوب له متقبلا وله حسناته وعليه سيأته والله يتقبل من كل
من اتقى الشرك وقال ابو صالح وشهر بن حوشب وحكي هذا التول ضمير الفاعل يعود على الكلم
وضمير النصب للعمل الصالح اي يرفعه الكلم الطيب وقال قتادة ان الفاعل هو ضمير
يعود على الله والها للعمل الصالح اي يرفعه الله اليه اي يتقبله وقال ابن عطية هذا
ارجح الاقوال وعن ابن عباس والعمل الصالح يرفع عامله ويشرفه فجعله على حذف مضاف
ويجوز عندي ان يكون والعمل معطوفا على الكلم الطيب اي يصعدان الى الله ويرفعه
استينافا اخبارا اي يرفعهما الله ووحد الضمير لاشتراكهما في الصعود والضمير قد يجري
مجرى اسم الاشارة فيكون لفظه مفردا والمراد به التثنية فكانه قيل ليس من ذا يهما
بل ذلك يرفعه الله اياهما وقرا عيسى وابن ابي عبلة والعمل الصالح بنصبهما على الاشتغال
فالفاعل ضمير الكلم او ضمير الله ومكر لازم والسيات نعت لمصدر محذوف اي
المكرات السيات او لمضاف الى المصدر اي اصناف المكر السيات ومن يمكرون
بمعنى يكتسبون فنصب السيات مفعولا به واذا كانت السيات نعتا للمصدر او لمضاف
للمصدر فالظاهر انه عنى به مكرات قريش في دار الندوة اذ تذاكروا احدى ثلاث
مكرات وهي المذكورة في الانفال اثباته او قتله او اخراجه واو نكر اشارة الى
الذين مكروا تلك المكرات يبور اي يفسد ويكسد ويهلك دون مكر الله بهم اذ اخرجهم
من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم
قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
وهو مبتدا ويبور خبره والجملة خبر عن قوله ومكر اوليك واجاز الحوفي وابو البقا
ان يكون هو فاصلة ويبور خبر ومكر اوليك والفاصلة لا يكون ما بعدها فعلا
ولم يذهب الى ذلك احد فيما علمناه الا عبد القاهر الجرجاني في شرح الايضاح له
فانه اجاز في كان زيد هو يقوم ان يكون هو فصلا ورد ذلك عليه والله
خلقكم من تراب من حيث خلق ابينا ادم ثم من نطفة اي بالتناسل ثم جعلكم
ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا كما قال او يزوجهم ذكرانا واناثا وقال
قتادة قدر بينكم الزوجية وزوج بعضكم بعضا وما تحمل من انثى ابدة كماه

بما يؤول اليه وهو الطويل العمر والظاهر ان الضمير في من عمره عائد على معمر لفظا ومعنى
وقال ابن عباس وغيره يعود على معمر الذي هو اسم جنس والمراد غير الذي يعمر
فالقول يتضمن شخصين يعمر احدهما مائة سنة وينقص من الآخر وقال ابن
عباس ايضا وابن جبير وابو مالك المراد شخص واحد اي يحصى ما مضى منه اذا
مر حول كتب ذلك ثم حول فهذا هو النقص وقال الشاعر

• حياتك انفاس تعد فكلما • مضى نفس منك انتقصت به جزءا •

وقال كعب الاحبار معنى ولا ينقص من عمره لا يخترم بسبب قدره الله ولو شا
لاخر ذلك السبب وروي عنه انه قال لما طعن عمر رضي الله عنه لو دعا الله
لزاد في اجله فانكر المسلمون عليه ذلك وقالوا ان الله تعالى يقول واذا جا
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فاحتج بهذه الآية قال ابن عطية
وهو قول ضعيف مردود يقتضي القول بالاجلين وبنحوه تمسك المعتزلة
وقرا الجمهور ولا ينقص مبنيا للمفعول وقرا يعقوب وسلام وعبد الوارث
وهرون كلاهما عن ابي عمرو ولا ينقص مبنيا للفاعل وقرا الحسن من عمْره
الا في كتاب قال ابن عباس وهو اللوح المحفوظ وقال الزمخشري يجوز ان يراد
بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان انتهى وما يستوي البحران هذه آية
اخرى يستدل بها على كمال قدرته انه مما لا مدخل لصنم فيه وتقدم شرح هذا عذب
فرات وملح وهذا ملح اجاج في سورة الفرقان وهنا يات التشبيه صفة
للعذب وتبين قوله سائغ شرابه وقرا الجمهور سائغ اسم فاعل من ساغ وقرا
عيسى سيغ مخففا من المشدد كميت مخفف ميت وقرا الجمهور ملح وابو
نهيك وطلحة بفتح الميم وكسر اللام قال ابو الفضل الرازي وهي لغة شاذة
ويجوز ان يكون مقصورا من مالح فحذف الالف تخفيفا وقد يقال ماء مالح
في الشذوذ وفي المستعمل مملوح وقال الزمخشري ضرب البحرين العذب
والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين
وما علق بهما من نعمته وعطاياه ومن كلام من شرح الزمخشري القائلين
الآية تكررت في سورة النحل ثم قال ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو
ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك
العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع
فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية انتهى
لتبتغوا من فضله بركوب التجارات والحج والغزو وكل سفر له وجه
شرعي يولج الليل تقدم شرح هذه الجمل ولما ذكر اشيا كثيرة تدل على قدرته
الباهرة من ارسال الرياح والايجاد من تراب وما عطف عليه وايلاج الليل
في النهار وتسخير الشمس والقمر اشار الى ان المتصف بهذه الافعال الغريبة
هو الله تعالى فقال ذلكم الله ربكم له الملك وهي اخبار مترادفة والمبتدا ذلكم والله
ربكم خبران وله الملك جملة مبتدا في قران قوله والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير وقال الزمخشري ويحتمل في حكم الاعراب ايقاع اسم
الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يابا ه
انتهى واما كونه صفة فلا يجوز لان الله علم والعلم لا يوصف به

وليس

وليس اسم جنس او بل يتخيل فيه الصفة واما قوله لولا ان المعنى يابا ه فلا يظهر ان
المعنى يا باه لانه يكون المعنى ذلكم الذي اشار اليه بتلك الصفات والافعال المذكورة ربكم
اي مالككم وما ملككم انتهى مقتضى لا يوساغ والذين يدعون من دونه هي الاوثان
وقرا الجمهور تدعون بتا الخطاب وعيسى وسلام ويعقوب بيا الغيبة وقال
صاحب الكامل ابو القسم بن جبارة يدعون بالياء اللؤلؤي عن ابي عمرو وسلام والنهاوندي
عن قتيبة وابن الجلاء عن نصير وابن جبير والاخيوني عن الكسائي وابو عمارة عن
حفص والقطمير تقدم شرحه وقال جويبر عن رجاله والضحاك هو القمع الذي
في راس التمرة وقال مجاهد لفافة النواة وقيل الذي بين قمع التمرة والنواة وقيل
قشر النواة واياما كان فهو تمثيل للقليل وقال الشاعر

• وابوك يخصف نعله متوركا • ما يملك المسكين من قطمير •

لا يسمعوا دعاكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لانهم
لا يدعون ما يدعون لهم من الالهية ويتبرءون منه وقيل باشراككم واما في
المصدر في بشرككم اي باشراككم لهم مع الله في عبادتكم اياهم كقوله ما كنتم ايانا
تعبدون لكن اضيف هنا الى الفاعل وقوله يكفرون يحتمل ان يكون بكلام يخلق
الله الاصنام عليه ويخلق لها ادراكا يقتضي ذلك ويحتمل ان يكون بما يظهر هناك
من صور دها ويظهر عند حركة كل ناطق وبالاضافة كل مجتمع فيجي هذا على طريق
التجوز كقول ذي الرمة

• وقفت على ربع لمية ناطق • تخاطبني اثاره واخاطبه •
• واسقيه حتى كاد مما ابثه • تكلمني احجاره وملاعبه •

ولا ينبئك مثل خبير قال قتادة وغيره من المفسرين الخبير هنا اراد به تعالى
نفسه فهو الخبير الصادق الخبر نبأ بهذا فلا شك في وقوعه وقال ابن عطية ويحتمل ان
يكون قوله ولا ينبئك مثل خبير من تمام ذكر الاصنام كانه قال ولا يخبرك مثل من
يخبرك عن نفسه اي لا اصدق في تبريها من عابديها ويريد بالخبير على هذا
المثل انها كانه تعالى قال ولا ينبئك مثل خبير عن نفسه وهي قد اخبرت عن انفسها
بالكفر بهولا قال الزمخشري ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد
ان الخبير بالامر هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا
الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به قال في التحرير
يحتمل وجهين ان يكون ذلك خطابا للرسول اخبر بان الالهة والجن يوم القيامة
ينطق ويكذب عابده فهو اخبار العليم بالفعل المجرد لولا اخبار الله عنه قال تعالى انهم يكفرون
بهم يوم القيامة وهذا القول مع كون المخبر عنه امرا محققا هو كما قال فان المخبر عنه خبير والثاني
ان يكون خطابا ليس مختصا باحد اي هذا الذي ذكرته كما ذكر لا ينبئك ايها السامع كائنا
من كنت مثل خبير يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا
الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات
ان الله يسمع من يشا وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا
ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير

أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير هذه آية موعظة وتذكير وأن جميع الناس محتاجون
إلى إحسان الله تعالى وإنعامه في جميع أحوالهم لا يستغني أحد عنه طرفة عين وهو الغني
عن العالم على الإطلاق وعرّف الفقراء ليريهم شدة افتقارهم إليه إذ هم جنس الفقراء
وإن كان العالم بأسره مفتقرا إليه لضعفهم جعلوا كأنهم جميع هذا الجنس ولو نكر لكان
المعنى أنتم بعض الفقراء وقوبل الفقراء بالغني ووصف بالحميد دلالة على أنه جواد منعم
فهو محمود على ما أسدى من النعم مستحق للحمد ولما ذكر أنه الغني على الإطلاق ذكر ما يدل
على استغنائه عن العالم وأنه ليس بمحتاج إليهم فقال إن يشأ يذهبكم أي إن يشأ إذهابكم
يذهبكم وفي هذا وعيد بإهلاكهم وما ذلك أي إذهابكم والإتيان بخلق جديد
بعزيز أي بممتنع عليه إذ هو المتصف بالقدرة التامة فلا يمتنع عليه شيء
مما يريده ومعنى بخلق جديد بدلكم كقوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم
وعن ابن عباس بخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا وقد جاء هذا المعنى من ذكر
الإذهاب بعد وصفه تعالى بالغنى في قوله وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ
يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء وجاء أيضا تعليق الإذهاب بنحو ما آخر
الآية لذكر القدرة الدالة على ذلك في قوله إن يشأ يذهبكم أيها الناس
ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا روي أن الوليد بن المغيرة
قال لقوم من المؤمنين اكفروا بمحمد وعليّ وزركم فنزلت والمعنى أن الله تعالى لا يحمل
أحدا ذنب أحد قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هذه الآية في الذنوب والجرائم
ويقال وزر الشيء حمله ووازرة صفة لمحذوف أي نفس وازرة أي حاملة
وذكر الصفة ولم يذكر الموصوف مقتصرا عليه لأن المعنى أن كل نفس لا ترى
إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها فلا يؤخذ نفس بذنب كما يأخذ جبابرة الدنيا
الجار بالجار والصديق بالصديق والقريب بالقريب وقال ابن عطية ومن
تطرق من الحكام إلى أخذ قريب بقريبه في جريمة كفعل زياد ونحوه فإنما
ذلك لأن المأخوذ ربما أعان المجرم بموازرة ومواصلة أو اطلاع على حاله
وتقرير لما هو فيه فقد أخذ من الجرم بنصيبه انتهى وكان ابن عطية تأول
أفعال زياد على ما ذكر وكأنه ما اطلع على سيرة زياد وما فعل في الإسلام وكانت
سيرته قريبة من سيرة الحجاج ولا منافاة بين هذه الآية والتي في العنكبوت
لأن تلك في الضالين المضلين يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال
ضلالهم فكل ذلك أثقالهم ما فيها من ثقل غيرهم شيء ألا ترى قوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء وإن تدع مثقلة أي نفس مثقلة أي نفس مثقلة
بحملها إلى حملها أي إلى حمل حملها لا يحمل منه شيء أي لا غياث يومئذ لمن استغاث
ولا إعانة حتى أن نفسا قد أثقلتها الأوزار لو دعت إلى أن يخفف بعض
وزرها لم تجب وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ فالآية
قبلها في الدلالة على عدل الله تعالى وحكمه وأنه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها وهذه
في نفي الإعانة والحمل ما كان على الظهر في الأجرام فاستعير للمعاني كالذنوب
ونحوها فجعل كل محمول متصلا بالظهر كقوله وهم يحملون أوزارهم
على ظهورهم كما جعل كل اكتساب منسوبا إلى الأيدي وقرأ الجمهور لا يحمل
بالياء مبنيا للمفعول وأبو السمال عن طلحة وإبراهيم بن زاذان عن الكسائي
بفتح التاء من فوق وكسر الميم وتقتضي هذه القراءة نصب شيء كما اقتضت

قراءة

قراءة الجمهور رفعه والفاعل بتحمل ضمير عائد على مفعول تدع المحذوف أي وإن تدع
مثقلة نفسا أخرى إلى حملها لم تحمل منه شيئا واسم كان ضمير يعود على المدعو المفهوم من
قوله وإن تدع هذا معنى قول الزمخشري قال وترك ذكر المدعو ليعم ويشمل كل مدعو
فإن قلت كيف استقام إضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة
قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل انتهى وقال ابن عطية واسم كان
مضمر تقديره ولو كان الداعي ذا قربى أي ولو كان الداعي ذا قربى من المدعو
فإن المدعو لا يحمل منه شيئا وذكّر الضمير حملا على المعنى لأن قوله مثقلة لا يريد
به مؤنث المعنى فقط بل كل شخص فكأنه قيل وإن يدع شخص مثقل وقرئ
ولو كان ذو قربى على أن كان تامة أي ولو حضر إذ ذاك ذو قربى ودعته
لم يحمل منه شيئا وقالت العرب قد كان لبن أي حضر وحدث وقال الزمخشري
نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إذا دعت أحدا
إلى حملها لا يحمل منه وإن كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت
ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن هو متسق
ملتئم على التقدير الذي ذكرناه وتفسيره كان وهو مبني للفاعل بوجد المبني
للمفعول تفسير معنى وليس مراده فإن مراده حدث أو حضر أو وقع هكذا
فسر النحاة ولما تضمن ما سبق الوعيد وتضمن أهوال القيامة كان ذلك إنذارا
فذكر أن الإنذار إنما يجدي وينفع من يخشى الله بالغيب حال من الفاعل أو
المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل
بالغيب في السر وقيل بالغيب أي وهو بحال غيبة عنهم إنما هي رسالة وقرأ
الجمهور ومن تزكى فعلا ماضيا فإنما يتزكى فعلا مضارعا من تزكى أي ومن تطهر
بفعل الطاعات وترك المعاصي فإنما ثمرة ذلك عائدة عليه وهو إنما زكوته
لنفسه لا لغيره والتزكي شامل للخشية وإقامة الصلاة وقرأ العباس عن
أبي عمرو ومن يزكى فإنما يزكى بالياء من تحت وشد الزاي فيهما وهما مضارعان
أصلهما ومن يتزكى أدغمت التاء في الزاي كما أدغمت في الذال في قوله يذكرون
وقرأ ابن مسعود وطلحة ومن ازكى بإدغام التاء في الزاي واجتلاب همزة الوصل
في الابتداء وطلحة أيضا فإنما يزكى بإدغام التاء في الزاي وإلى الله المصير
وعد لمن تزكى بالثواب وما يستوي الأعمى والبصير الآية هي طعن على الكفرة
وتمثيل فالأعمى الكافر والبصير المؤمن أو الأعمى الصنم والبصير الله عز وجل
أي لا يستوي معبودهم ومعبود المؤمنين والظلمات والنور والظل والحرور تمثيل
للحق والباطل وما يؤدي إليه من الثواب والعقاب والأحياء والأموات
تمثيل لمن دخل في الإسلام ومن لم يدخل فيه والحرور شدة حر الشمس وقال الزمخشري
والحرور السموم إلا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل انتهى
وقال ابن عطية قال رؤبة الحرور بالليل والسموم بالنهار وليس كما قال وإنما الأمر كما
حكى الفراء وغيره أن السموم يختص بالنهار ويقال الحرور في حر الليل وفي حر النهار
انتهى ولا يرد على رؤبة لأنه ممن تؤخذ عنه اللغة فأخبر عن لغة قومه وقال قوم
الظل هنا الجنة والحرور جهنم ويستوي من الأفعال التي لا تكتفي بفاعل واحد
فدخول لا في النفي لتأكيد معناه كقوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وقال ابن
عطية ودخول لا إنما هو على نية التكرار كأنه قال ولا الظلمات والنور ولا النور

والظلمات فاستغنى بذكر الاول بل معنى التوافي ودل مذكور الكلام على متروكه انتهى وما ذكر
غير محتاج الى تقدير لانه اذا انتفى استوا الظلمات والنور فاي فايدة في تقدير نفي
استوايهما ثانيا وادعا محذوف وانت تقول ما قام زيد ولا عمرو فتؤكد بلا معنى
النفي فكذلك هذا وقرا زاذان عن الكسائي وما تستوي الاحيا بتا التانيث
والجمهور بالياء وترتيب هذه المنفي عنها الاستوا في غاية الفصاحة ذكر الاعمى
والبصير مثلا للمومن والكافر ثم البصير ولو كان حديد النظر لا يبصر الا في
ضوء فذكر ما هو فيه الكافر من ظلمة الكفر وما هو فيه المومن من نور
الايمان ثم ذكر مالهما وهو الظل والحرور فان المومن بايمانه في ظل راحة والكافر
بكفره في حر وتعب ثم ذكر مثلا اخر في حق المومن والكافر فوق حال الاعمى
والبصير اذ الاعمى قد شارك البصير في ادراكها والكافر غير مدرك ادراكا
نافعا فهو كالميت ولذلك اعاد الفعل فقال وما يستوي الاحيا ولا الاموات
كانه جعل مقام سوال وكرر لا في الكل لتاكيد المنافاة فالظلمات تنافي النور
وتضاده والظل والحرور كذلك والاعمى والبصير ليس كذلك لان الشخص الواحد
قد يكون بصيرا ثم يعرض له العمى فلا منافاة الا من حيث الوصف والمنافاة
بين الظل والحرور دائمية لان المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت المنافاة
اتم اكد بالتكرار واما الاحيا والاموات من حيث ان الجسم الواحد يكون محلا
للحياة فيصير محلا للموت فالمنافاة بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى
والبصير لان هذين قد يشتركان في ادراك ما ولا كذلك الحي والميت يخالف
الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما تبين في الحكمة الالهية وقدم الاشرف في
مثلين وهو الظل والحي واخر في مثلين وهما البصير والنور ولا يقال لاجل السجع
والقران لمعنى صحيح واللفظ صحيح فصيح ولكن نواتبل المعنى في ضلالة وكانوا
كالعمى وطريقهم الظلمة فلما جا الرسول واهتدى به قوم صاروا بصيرين وطريقهم
النور وقدم ما كان متقدما من المتصف بالكفر وطريقته على ما كان متاخرا
من المتصف بالايمان وطريقته ثم لما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على
ما يتعلق بالغضب لما جا سبقت رحمتي غضبي فقدم الظل على الحرور ثم ان الكافر
المصر بعد البعثة صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك الحق
فقال وما يستوي الاحيا الذين امنوا بما انزل الله ولا الاموات الذين تليت
عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهولا كانوا بعد ايمان من امن قاحرهم
نوعا وصيوة المومنين فقابلهم بممات الكافر وافرد البصير او كان عنده من الذكا
ما يساوي به البصير البليد فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد
وجمعت الظلمات لان طرق الكفر متعددة وافرد النور لان التوحيد والحق
واحد والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد ومن هذا الوجه فقال الظلمات
لا نجد فيها ما يساوي هذا النور واما الاحيا والاموات فالتفاوت بينهما اكثر
اذ ما من ميت يساوي في الادراك حيا فذكر ان الاحيا ما يساوون الاموات سوا
قابلت الجنس بالجنس ام قابلت الفرد بالفرد انتهى من كلام ابي عبد الله الرازي
ولنرجع تخصيص ثم سلى رسوله بقوله ان الله يسمع من يشا اي اسماع هولا
منوط بمشيته وكنى بالاسماع عن الذي تكون عنه الاجابة للايمان ولما ذكر انه
ما يستوي الاحيا ولا الاموات قال وما انت بمسمع من في القبور اي هولا من عدم

اصغايهم

اصغايهم الى سماع الحق بمنزلة من هم قد ماتوا ولو هم في قبورهم فكما ان الاموات لا يقبلون منك
قول الحق فكذلك هولا لانهم اموات القلوب وقرا الاشهب والحسن بمسمع من على الاضافة
والجمهور بالتنوين ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن
اراد الله هدايته سمع واهتدى وان كان ممن اراد الله ضلاله فما عليك لانه تعالى
هو الذي يهدي ويضل وبالحق حال من الفاعل اي محقين او من المفعول اي
محقا او صفة لمصدر محذوف اي ارسالا بالحق اي مصحوبا قال الزمخشري او صلة
لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق انتهى ولا يمكن ان يتعلق
بالحق هذا ببشير ونذير معا بل ينبغي ان يتاول كلامه على انه اراد ان ثم محذوفا
والتقدير بالوعد الحق بشيرا وبالوعيد الحق نذيرا فحذف احدهما لدلالة ما يقابله
عليه وان من امة الا خلا فيها نذير الامة الجماعة الكثيرة والمعنى ان الدعا الى الله لم
ينقطع عن كل امة اما بمباشرة من انبياهم واما بنقل الى وقت بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم والايات التي تدل على ان قريشا ما جاهم نذير معناه لم يباشرهم ولا اباهم
الاقربين واما ان النذارة انقطعت فلا ولما شرعت اثار النذارة تدرس بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم وما ذكر اهل علم الكلام من حال اهل الفترات فان ذلك
على حسب الوضع لانه واقع ولا توصل امة على ظهر الارض الا وقد علمت الدعوة الى
الله وعبادته واكتفى بذكر نذير عن بشير لانها مشفوعة بها في قوله بشيرا ونذيرا اذ دل
ذلك على انه مراد وحذف لدلالة عليه وان يكذبوك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتقدم الكلام على نظير هذه الجمل في اواخر ال عمران وقوله فكيف كان نكير توعد لقريش بالاخذ
لمكذبي رسلهم الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلما ان الله عزيز غفور ان
الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور
والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده
لخبير بصير ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات
عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب لما قرر تعالى وحدانيته
بادلة قررها وامثال ضربها اتبعها بادلة سماوية وارضية فقال الم تر وهذا استفهام
تقرير ولا يكون الا في الشي الظاهر جدا والخطاب للسامع وترى من رؤية القلب لان
اسناد انزاله تعالى لا يدرك علمه الا بالعقل الواضح للمنقول وان كان انزال المطر مشاهدا
بالعين لكن رؤية القلب قد تكون مشتبهة لرؤية البصر ولغيرها وخرج من ضمير الغيبة
الى ضمير التكلم في قوله فاخرجنا لان في ذلك من الفخامة اذ هو مسند للمعظم المتكلم ولان
نعمة الاخراج اتم من نعمة الانزال لفايدة الاخراج فاسند الاتم الى ذاته بضمير التكلم وما
دونه بضمير الغايب والظاهر ان الالوان اريد بها ما يشابه البيض في الزهر في الحمرة
والصفرة والخضرة والسواد وغير ذلك كما يشاهد في الثمرات وقيل الالوان الانواع
كالتين والعنب والرمان والتفاح وغير ذلك والالوان بهذا اوسع واكثر من
الالوان بمعنى الاصباغ وقرا الجمهور مختلفا الوانها على حد اختلف الوانه

وقرأ زيد بن علي مختلفة ألوانها على ما اختلفت ألوانها وجمع التكسير يجوز فيه أن تلحق التاء وأن لا
تلحق. وقرأ الجمهور جدد بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة قال ابن بحر قطع من قولك جددت الشيء قطعته
وقرأ الزهري كقراءة الجمهور قال صاحب اللوامح جمع جدة وهي ما خالف من الطرائق في الجبال
لون ما يليها وعنه أيضا بضم الجيم والدال جمع جديدة يقال جديدة وجدد وجدائد كما يقال
في الاسم سفينة وسفن وسفائن قال أبو ذؤيب: جون السراة له جدائد أربع
وعنه أيضا جدد بفتح الجيم والدال ولم يجزه أبو حاتم في المعنى والأصمعي أثرا وقال ابن بحر هو
الطريق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقال أبو عبيدة يقال جدد في
جمع جديد ولا مدخل لمعنى الجديد في هذه الآية وقال صاحب اللوامح جدد جمع جديد بمعنى
آثار جديدة واضحة الألوان انتهى وقال مختلف ألوانها لأن البياض والحمرة تتفاوت
بالشدة والضعف فأبيض لا يشبه أبيض وأحمر لا يشبه أحمر وإن اشتركا في النقد
المشترك لكنه شكل والظاهر عطف وغرابيب على حمر عطف ذي لون على ذي لون وقال
الزمخشري معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها
ما هو على لون واحد ثم قال بعد ذلك ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن
الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن
الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرأ ابن السميفع ألوانها انتهى
والظاهر أنه لما ذكر الغرابيب وهو الشديد السواد لم يذكر فيه مختلف ألوانه لأنه ليس
حيث جعله شديد السواد وهو المبالغ في غاية السواد لم يكن له ألوان بل هو لون واحد
بخلاف البيض والحمر فإنها تختلف والظاهر أن قوله بيض وحمر ليسا مجموعين بجدة
واحدة بل المعنى جدد بيض وجدد حمر وجدد غرابيب ويقال أسود حلكوك وأسود غربيب
وهو حق التابع الموضح الفائت في ذلك اللون أن يكون تابعا فقال ابن عطية قدم
الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر وكذلك هو في المعنى لكن كلام العرب الفصيح يأتي
كثيرا على هذا النحو وقال يقق وما أشبه ذلك ووجهه أن يضمر المؤكد قبله فيكون الذي
بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة: والمؤمن العائذات الطير، وإنما يفعل لزيادة التأكيد
حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا انتهى وهذا لا يصح إلا على مذهب
من يجيز حذف المؤكد ومن النحاة من منع ذلك وهو اختيار ابن مالك وقيل هو على
التقديم والتأخير أي وسود غرابيب وقيل سود بدل من غرابيب وهذا أحسن ويحسنه
كون غرابيب لم يلزم فيه أن يستعمل تأكيدا ومنه ما جاء في الحديث إن الله يبغض الشيخ
الغربيب يعني الذي يخضب بالسواد وقال الشاعر: العين طامحة واليد سابحة
والرجل لائحة والوجه غربيب. وقال آخر: ومن تعاجيب خلق الله غاطية
يعصر منها ملاحي وغربيب. وقرأ الجمهور والدواب مشدد الباء والزهري بتخفيفها
كراهة التضعيف إذ فيه التقاء الساكنين كما همز بعضهم ولا الضالين فرارا من التقاء
الساكنين فحذف هنا آخر المضعفين وحرك هناك أول الساكنين ومختلف صفة لمحذوف
أي خلق مختلف ألوانه كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه من تمام الكلام
قبله والوقف عليه حسن قال ابن عطية ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مخرج
السبب كأنه قال كما جاءت القدرة في هذا كله إنما يخشى الله من عباده العلماء أي
المخلصون بهذه العبر الناظرون فيها انتهى وهذا الاحتمال لا يصح لأن ما بعد إنما لا يمكن
أن يتعلق بهذا المجرور قبلها ولو خرج مخرج السبب لكان التركيب كذلك يخشى الله من
عباده أي لذلك الاعتبار والنظر في مخلوقاته واختلاف ألوانها يخشى الله ولكن

التركيب جاء بإنما وهي تقطع هذا المجرور عما بعدها وإنما هم الذين علموه بصفاته وتوحيده
وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه فعظموه وقدروه حق قدره واتقوه حق خشيته ومن
ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وقد وردت أحاديث
وآثار في الخشية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه ومن ادعى
أن إنما للحصر قال المعنى ما يخشى الله إلا العلماء غيرهم لا يخشاه وهو قول الزمخشري وقال
ابن عطية وإنما في هذه الآية تخصيص العلماء لا للحصر هي لفظة تصلح للحصر وتأتي أيضا
دونه وإنما يعلم ذلك بحسب المعنى الذي جاءت فيه انتهى وجاءت هذه الجملة بعد قوله
ألم تر إذ ظاهره خطاب للرسول وصح عود آياته وأعلام قدرته وآثار صنعته وما
خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته فكأنه قال إنما يخشاه
مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وقرأ الجمهور بنصب الجلالة ورفع العلماء
وروي عن عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة عكس ذلك وتؤولت هذه القراءة على أن الخشية
استعارة للتعظيم لأن من خشي وهاب أجل وعظم من خشيه وهابه ولعل ذلك لا يصح عنهما
وقد رأينا كتبا في الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة وإنما ذكرها الزمخشري وذكرها عن أبي
حيوة أبو القاسم يوسف بن جبارة في كتابه الكامل إن الله عزيز غفور مقابل الخشية
إذ العزة تدل على عقوبة العصاة وقهرهم والمغفرة على إثابة الطائعين والعفو عنهم
إن الذين يتلون الظاهر أنهم يتلون كتاب الله أي يداومون تلاوته وقال مطرف بن عبد
الله بن الشخير هذه آية القراء وقيل يتبعون كتاب الله فيعملون بما فيه ومن الكلبي أخذوا بما
فيه وقال السدي هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وقال عطاء هم المؤمنون
ولما ذكر تعالى وصفهم بالخشية وهي عمل القلب ذكر أنهم يتلون كتاب الله وهو عمل اللسان
ويقيمون الصلاة وهو عمل الجوارح وينفقون وهو العمل المالي يرجون تجارة وهذه
إشارة إلى الإخلاص أي يفعلون تلك الأفعال من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق
بقصد وجه الله لا للرياء والسمعة تجارة لن تبور لن تكسد ولا يتعذر الربح
فيها بل تنفق عند الله ليوفيهم متعلق بيرجون أو بلن تبور أو بمضمر تقديره فعلوا ذلك
أقوال وقال الزمخشري وإن شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وأنفقوا راجين
ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض وخبر إن قوله إنه غفور شكور على معنى غفور
لهم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الإثابة انتهى وأجورهم هي التي رتب تعالى على
أعمالهم ويزيدهم من فضله قال أبو وائل بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم وقال
الضحاك بتفسيح القلوب وفي الحديث بتضعيف حسناتهم وقيل بالنظر إلى وجهه تعالى
والكتاب هو القرآن ومن للتبيين أو الجنس أو التبعيض تخريجات للزمخشري ومصدقا
حال مؤكدة لما بين يديه من الكتب الإلهية التوراة والإنجيل والزبور وغيرها وفيه
إشارة إلى كونه وحيا لأنه عليه السلام لم يكن قارئا كاتبا وأتى ببيان ما في كتب الله ولا
يكون ذلك إلا من الله تعالى إن الله بعباده لخبير بصير خبير عالم بدقائق الأشياء
وبواطنها بصير لما ظهر منها حيث أهلك لعصيته واصطفى برسالته وكتابه من
علم حيث يجعل رسالاته ثم أورثنا الكتاب وثم قيل بمعنى الواو وقيل للمهلة
إما في الزمان وإما في الإخبار على ما يأتي بيانه والكتاب فيه قولان أحدهما أن
المعنى أنزلنا الكتب الإلهية فالكتاب على هذا اسم جنس والمصطفون الأنبياء
وأتباعهم قاله الحسن وقال ابن عباس هم هذه الأمة أورثت أمة محمد صلى الله عليه

وسلم كل كتاب انزله الله وقال ابن جرير اورثهم الايمان فالكتب تامر باتباع القران فهم مومنون بها
عاملون بمقتضاها يدل عليه والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم اتبعه بقوله
ثم اورثنا الكتاب فعلمنا انهم امة محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان معنى الميراث
انتقال شي من قوم الى قوم ولم تكن امة انتقل اليها كتاب من قوم كانوا قبلهم غير امته
فاذا قلنا هم الانبيا واتباعهم كان المعنى اورثنا كل الكتاب الذي انزل على نبي ذلك
النبي واتباعه والقول الثاني ان الكتاب هو القران والمصطفون امة الرسول ومعنى
اورثنا قال مجاهد اعطينا لان الميراث عطا ثم قسم الوارثين على هذه الاقسام
الثلاثة قال مكي بن ابي طالب هم المذكورون في الواقعة فالسابق في الخيرات هو
المقرب والمقتصد اصحاب الميمنة والظالم لنفسه اصحاب المشيمة وهو قول
يروى معناه عن عكرمة والحسن وقتادة قالوا الضمير في منهم عايد على العباد
والظالم لنفسه الكافر والمنافق والمقتصد المومن العاصي والسابق التقي على
الاطلاق وقالوا هو نظير ما في الواقعة والاكثرون على ان هولا الثلاثة هم
في امة الرسول ومن كان من اصحاب المشيمة يكذب باصلا لا يورث الكتاب
ولا اصطفاه الله وانما الذي في الواقعة اصناف الخلق من الاولين والاخرين
قال عثمان بن عفان سابقنا اهل جهاد ومقتصدنا اهل حضرنا وظالمنا اهل
بدونا لا يشهدون جماعة ولا جمعة وقال معاذ الظالم لنفسه الذي مات على
كبيرة لم يتب منها والمقتصد من مات على صغيرة ولم يصب كبيرة لم يتب منها والسابق
من مات تايبا عن كبيرة او صغيرة او لم يصب ذلك وقيل الظالم لنفسه العاصي
المسرف والمقتصد متقي الكباير والسابق المتقي على الاطلاق وقال الحسن الظالم
من خفت حسناته والمقتصد من استوت والسابق من رجحت وقال الزمخشري
فمنهم ظالم مجرم وهو المرجا لامر الله ومنهم مقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا
واخر سيا ومنهم سابق من السابقين انتهى وذكر في التحرير ثلاثة واربعين قولا في
هولا الاصناف الثلاثة وقرا عمران الجوني وعمرو بن ابي شجاع ويعقوب
في رواية والقزاز عن ابي عمرو سباق والجمهور سابق قيل وقدم الظالم لانه
لا يتكل الا على رحمة الله وقال الزمخشري للايذان بكثرة الفاسقين منهم
وغلبتهم وان المقتصد قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل انتهى
باذن الله بتيسيره وتمكينه اي ان سبقه ليس من جهة ذاته بل ذلك منه تعالى
والظاهر ان الاشارة بذلك الى ايراث الكتاب واصطفا هذه الامة وجنات
على هذا مبتدا ويدخلونها خبره وجنات قراة الجمهور جمعا بالرفع ويكون ذلك
اشارة الى السبق ويكون المصطفين وقال الزمخشري وابن عطية جنات بدل من
الفضل قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت جنات عدن بدلا من
الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان
السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات
عدن انتهى ويدل على انه مبتدا قراة الجحدري وهرون عن عاصم جنات
منصوبا على الاشتغال اي يدخلون جنات عدن يدخلونها وقرا زر بن
حبيش والزهري جنة على الافراد بالرفع وقرا ابو عمرو يدخلونها مبنيا
للمفعول ورويت عن ابن كثير والجمهور مبنيا للفاعل والظاهر ان الضمير المرفوع
في يدخلونها عايد على الاصناف الثلاثة وهو قول عبد الله بن مسعود وعمر بن
الخطاب وعثمان بن عفان وابي الدردا وعقبة بن عامر وابي سعيد وعايشة

ومحمد

ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق وابي اسحاق السبيعي وكعب الاحبار وقرا عمر هذه الاية
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
ومن جعل الثلاثة الاصناف هي التي في الواقعة كان الضمير في يدخلونها عايدا على
المقتصد والسابق قال الزمخشري هو عايد على السابق فقط وكذلك جعل ذلك اشارة
الى السبق المفهوم من قوله سابق قال الزمخشري وفي اختصاص السابقين بعد
التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الاخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد
وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما
رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما
يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القران بذلك في مواضع من استقراها
اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع انتهى وهو على طريق المعتزلة وقرا
الجمهور يحلون بضم اليا وفتح الحا وشد اللام مبنيا للمفعول وقرى بفتح اليا
وسكون الحا وخف اللام من حليت المراة فهي حال اذا لبست الحلي وحلي الجيد حال
اذا كان فيه الحلي وتقدم في سورة الحج الكلام على يحلون فيها من اساور من ذهب
ولولو ولباسهم فيها حرير وقرا الجمهور الحزن بفتحتين وقرى بضم الحا
وسكون الزاي ذكره جناح بن حبيش والحزن يعم جميع الاحزان وقد حمل المفسرون
هنا اكثروا وينبغي ان يحمل ذلك على التمثيل لا على التعيين فقال ابو الدردا حزن
اهوال يوم القيامة وما يصيب هناك من ظلم نفسه من الغم والحزن وقال ابن
عباس حزن جهنم وقال عطية والضحاك حزن الموت يقولونها اذا ذبح الموت وقال
سمرة بن جندب معيشة الدنيا الخبز ونحوه وقال قتادة حزن الدنيا الخوف ان لا
يتقبل اعمالهم وقال مقاتل حزن الانتقال يقولونها اذا استقروا فيها وقال الكلبي
خوف الشيطان وقال ابن زيد حزن مظالم الاخرة والوقوف عن قبول الطاعات
وردها فيطول المكث على الصراط وقال الشمر بن محمد حزن زوال النعم وتقلب
القلب وخوف العاقبة وقد اكثروا حتى قال بعضهم كرا الدار ومعناه انه
يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا ان ربنا لغفور شكور لغفور فيه
اشارة الى دخول الظالم لنفسه الجنة وشكور فيه اشارة للسابق وانه كثر الحسنات
والمقامة هي الاقامة اي الجنة لانها دار اقامة دايما لا يرحل عنها من فضله من عطايه
لا يمسنا فيها نصب اي تعب بدن ولا يمسنا فيها لغوب اي تعب نفس وهو لازم
عن تعب البدن وقال قتادة اللغوب الوجع وقال الزمخشري النصب التعب
والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور
بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه
من الكلال والفترة انتهى فان قلت اذا انتفى السبب انتفى مسببه فما حكمه
نفي السبب ثم انتفى مسببه وان تقول ما شبعت ولا اكلت ولا تعكس ما اكلت ولا
شبعت لانه يلزم من انتفا الاكل انتفا الشبع ولا ينعكس فلو جا على هذا الاسلوب
لكان التركيب لا يمسنا فيها لغوب ولا نصب فالجواب انه تعالى بين مخالفة الجنة
لدار الدنيا فان اماكنها على قسمين موضع يمس فيه المشاق والمتاعب كالبراري
والصحاري وهو موضع يمس فيه الاحيا كالبيوت والمنازل التي فيها الاسفار وقال

لا يمسنا فيها نصب لانها ليست مظان المتاعب كدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب اي عي ولا احتياج منها الى موضع
تعب ونوم يستريح اليها فيستريح فيها الاحيا وقرا الجمهور لغوب بضم اللام وعلي بن ابي طالب والسلمي
بفتحها قال الفرا هو ما يلغب به كالفطور والسحور جاز ان تكون صفة للمصدر المحذوف كانه
لغوب كقولهم موت مائت وقال صاحب اللوامح يجوز ان تكون مصدرا كالقبول وان
شئت جعلته صفة لمضمر اي امر لغوب واللغوب ايضا في غير هذا الاحمق قال اعرابي ان
فلانا لغوب جاته كتابي فاحتقرها اي احمق فقيل له ام انثه فقال اليس بصحيفة والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير
ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور وهو الذي جعلكم
خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا
مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من
دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم
كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا لما ذكر حال المومنين وثوابهم ذكر حال الكافرين وهذا يدل
على ان اولئك الثلاثة هم في الجنة اذ الذين كفروا قسيمهم قابلهم لا يقضى عليهم اي
لا يجهز عليهم فيموتوا لانهم اذا ماتوا بطلت حواسهم فاستراحوا وقرا الجمهور
فيموتوا بحذف النون منصوبا في جواب النفي وهو على احد معنيي النصب فالمعنى
انتفا القضا عليهم فانتفى مسببه اي لا يقضى عليهم ولا يموتون كقولك ما تاتينا
فتحدثنا اي ما يكون منك اتيان فكيف يكون حديث انتفى الاتيان فانتفى الحديث
ولا يصح ان يكون على المعنى الثاني من معنيي النصب لان المعنى ما تاتينا محدثا انما
تاتي ولا تحدث وليس المعنى هنا لا يقضى عليهم ميتين انما يقضى عليهم ولا يموتون
وقرا عيسى والحسن فيموتون بالنون ووجهها ان تكون معطوفة على لا يقضى
وقال ابن عطية وهي قراءة ضعيفة انتهى وقال ابو عثمان المازني هو عطف اي فلا
يموتون لقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون اي فلا يعتذرون ولا يخفف عنهم من
عذابها ولا يعارض هذا قوله كلما خبت زدناهم سعيرا لان المعنى لا يخفف عنهم
نوع عذابهم والنوع في نفسه يدخله ان يخبو ويسعر قاله ابن عطية وقرا
عبد الوارث عن ابي عمرو ولا يخفف باسكان الفا المنفصل بالمتصل كقوله
فاليوم اشرب غير مستحقب ، وقرا الجمهور نجزي كل مبنيا للفاعل ونصب كل
وابو عمرو وابو حاتم عن نافع بالياء مبنيا للمفعول كل بالرفع وهم يصطرخون
يفتعلون من الصراخ يفتعل وابدلت من التاء طاء واصله يصترخون والصراخ شدة الصياح
قال الشاعر وجهد شقي طال في النار ما عوى كهم حرجبل اسليها قبيلها
واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته وقال الشاعر
وطول اصطراخ المرء في بعد قعرها ، وجهد شقي طال في النار ما عوى
ربنا اخرجنا اي قايلين ربنا اخرجنا منها اي من النار وردنا الى الدنيا نعمل صالحا
قال ابن عباس نقل لا اله الا الله غير الذي كنا نعمل اي من الشرك ونمتثل امر الرسل

فنومن

نومن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية وقال الزمخشري هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في فارجعنا نعمل
صالحا وما فايدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذي عملوه
قلت فايدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزايل
بظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما
قال الله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا
نحسبه صالحا فنعمله انتهى روي انهم يجابون بعد مقدار الدنيا اولم نعمركم وهو
استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير وما مصدرية اي مدة يتذكر وقرا الجمهور
ما يتذكر فيه من تذكر وقرا الاعمش ما يذكر فيه من اذكر بالادغام واجتلاب
همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذه المدة قال الحسن البلوغ يريد انه اول حال
التذكر وقيل سبع عشرة سنة وقال قتادة ثماني عشرة سنة وقال عمر بن عبد العزيز
عشرون وقال ابن عباس اربعون وقيل خمسون وقيل ستون وروي ذلك
عن ابن عباس وجاكم معطوف على اولم نعمركم لان معناه قد عمرناكم كقوله الم نربك
فينا وليدا وقوله الم نشرح لك صدرك ثم قال ولبثت فينا وقال ووضعنا
لان المعنى قد ربيناك وشرحنا والنذير جنس وهم الانبيا كل نبي نذير امته
وقري النذر جمعا وقيل النذير الشيب قاله ابن عباس وعكرمة وسفيان
ووكيع والحسين بن الفضل والفرا والطبري وقيل موت الاهل والاقارب وقيل كمال العقل نذير
اعقبنا بعقبهم وقرا ابو جعفر بن صبيح عالم غيب نصبا والجمهور على الاضافة وفي
هذه الجملة تعقيب ما تقدمها من انه تعالى ذكر ان الكافر يعذب دايما ومدة كفره كانت يسيرة
بيسير منقطعة فاخبر انه تعالى عالم غيب السموات والارض فلا يخفى عليه ما تنطوي عليه
الصدور من المضمرات وكان يعلم من الكافر انه تمكن الكفر في قلبه بحيث لو دام الى الابد
ما امن بالله ولا عبده وخلايف جمع خليفة وخلفا جمع خليف وهذا للمستخلف خليفة
وخليف وفي هذا تنبيه على انه تعالى استخلفهم بدل من كان قبلهم فلم يتعظوا بحال من تقدمهم
من مكذبي الرسل وما حل بهم من الهلاك ولا اعتبروا فمن كفر ولم يتعظ بمن تقدم فعليه
كفره اي عقاب كفره والظاهر انه خطاب عام وقيل لاهل مكة والمقت اشد الاحتقار
والبغض والغضب والخسار خسار العمر كان العمر راس مال فاذا انقضى في غير طاعة الله فقد
ضيع واستعاض به بدل الربح ما يفعل من الطاعات سخط الله وغضبه بحيث صار الى
النار قل ارايتم شركاكم قال الحوفي الف الاستفهام ذلك للتقرير وفي التحرير ارايتم
المراد منه اخبروني لان الاستفهام يستدعي ذلك يقول القايل ارايت ماذا فعل زيد
فيقول السامع باع واشترى ولولا تضمنه معنى اخبروني لكان الجواب نعم او لا وقال
ابن عطية ارايتم ينزل عند سيبويه منزلة اخبروني ولذلك لا تحتاج الى مفعولين وقال
الزمخشري اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هولا
الشركا وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جز من اجزا الارض استبدوا
بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق
بانهم شركاوه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في اتيناهم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام اتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون
بعضهم وهم الروسا بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هولا شفعاونا
عند الله انتهى اما قوله اروني بدل من ارايتم فلا يصح لانه اذا ابدل مما دخل عليه

الاستفهام فلا بد من دخول الاداة على البدل وايضا فابدال الجملة من الجملة لم يعهد في لسانهم ثم البدل على نية تكرار العامل ولا يتاتى ذلك هنا لانه لا عامل في ارايتم فيتخيل دخوله على اروني وقد تكلمنا في الانعام على ارايتم كلاما شافيا والذي اذهب اليه هنا ان ارايتم بمعنى اخبروني وهي تطلب مفعولين احدهما منصوب والاخر مشتمل على استفهام تقول العرب ارايت زيدا ما صنع فالاول هنا هو شركاءكم والثاني ماذا خلقوا واروني جملة اعتراضية فيها تاكيد للكلام وتشديد ويحتمل ان يكون ذلك ايضا من باب الاعمال لانه توارد على ماذا خلقوا ارايتم واروني لان اروني قد تعلق على مفعولها الثاني كما علقت رايت القلبية تدخل عليها همزة النقل من مفعولها في قولهم اما ترى اي برق هاهنا ويكون قد اعمل الثاني على المختار عند البصريين وقيل يحتمل ان يكون ارايتم استفهاما حقيقيا واروني امر تعجيز للتبيين اي اعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه من العجز او تتوهمون فيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها او توهمتم لها قدرة فاروني قدرتها في اي شيء هي اهي في الارض كما قال بعضهم ان الله اله في السماء وهؤلاء الهة في الارض قالوا ومنها من الكواكب والاصنام صورها ام في السموات كما قال بعضهم ان السماء خلقت باستعانة الملائكة فالملائكة شركاء في خلقها وهذه الاصنام صورها ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقربون عند الله فنعبدهم لتشفع لنا فهل معهم من الله كتاب فيه اذنه لهم بالشفاعة انتهى واضاف الشركاء اليهم من حيث هم جعلوهم شركاء لله اي ليس للاصنام شركة بوجه الا بقولهم وجعلهم وقيل يحتمل شركاءكم في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والظاهر ان الضمير في اتيناهم عائد على الشركاء لتناسب الضمائر اي هل لما جعلوه شركاء لله كتاب من الله فيه ان له شفاعة عنده فانه لا تنفع عنده الا باذنه وقيل عائد على المشركين فيكون التفاتا خرج من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة اعراضا عنهم وتنزيلا لهم منزلة الغائب الذي لا يصلح للخطاب ومعناه ان عبادة هؤلاء اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد ما لا يخلق من الارض جزءا من الاجزاء ولا له شرك في السماء واما بالنقل ولم نؤت المشركين كتابا فيه امر بعبادة هؤلاء فهذه عبادة لا عقلية ولا نقلية انتهى وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة وابو عمرو وابن كثير وحفص وابان عن عاصم على بينة بالافراد وباقي السبعة بالجمع ولما بين تعالى فساد امر الاصنام ووقف الحجة على بطلانها عقب بذكر عظمته وقدرته ليتبين الشيء بضده وتتاكد حقارة الاصنام بذكر عظمة الله فقال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والظاهر ان معناه ان تنتقلا عن اماكنها وتسقط السموات عن علوها وقيل معناه ان تزولا عن الدوران انتهى ولا يصح لان الارض لا تدور ويظهر من قول ابن مسعود ان السماء لا تدور وانما تجري فيها الكواكب وقال كفى بها زوالا ان تدور ولو دارت لكانت قد زالت وان تزولا في موضع المفعول له وقدر لئلا تزولا وكراهة ان تزولا وقال الزجاج يمسك يمنع من ان تزولا فيكون مفعولا ثانيا على اسقاط حرف الجر ويجوز ان يكون بدلا اي يمنع زوال السموات والارض بدل اشتمال ولئن زالتا ان تدخل غالبا على الممكن فان قدر بدخولها هنا على الممكن فيكون ذلك باعتبار يوم القيامة عند طي السماء ونسف الجبال فان ذلك ممكن ثم واقع بالخبر الصادق اي ولئن جاء وقت زوالهما ويجوز ان يكون ذلك على سبيل الفرض اي ولئن فرضنا زوالهما فيكون مثل لو في المعنى وقد قرا ابن ابي عبلة ولو زالتا وان نافية وامسكهما

في معنى

في معنى المضارع جواب للقسم المقدر بلام التوطئة في لئن وانما هو في معنى المضارع لدخول ان الشرطية كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك اي ما يتبعون كقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا اي ليظلون يقدر هذا كله مضارعا لاجل ان الشرطية وجواب ان في هذه المواضع وما اشبهها محذوف لدلالة جواب القسم عليه في ولئن اتيت هذا سد مسد الجوابين انتهى يعني انه دل على الجواب المحذوف وان اخذ كلامه على ظاهره لم يصح لانه لو سد مسدهما لكان له موضع من الاعراب باعتبار جواب الشرط ولا موضع له من الاعراب باعتبار جواب القسم والشيء الواحد لا يكون معمولا لا معمول ومن في من احد لتاكيد الاستغراق وفي من بعده لابتداء الغاية اي من بعد تركه امساكه وسال ابن عباس رجلا اقبل من الشام من لقيت قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية وقال ابن مسعود لجندب البجلي وكان رحل الى كعب الاحبار في كلام اخر ما تمكنت اليهودية في قلب فكادت ان تفارقه وقالت طائفة اتصافه بالحلم والغفران في هذه الاية انما هو اشارة الى ان السماء كادت تزول والارض كذلك لاشراك الكفرة فيمسكهما حلما منه عن المشركين وتربصا ليغفر لمن امن منهم كما قال في اخرى تكاد السموات يتفطرن منه الاية وقال الزمخشري حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا الضمير في واقسموا لقريش ولما بين انكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسل قيل وكانوا يلعنون اليهود والنصارى حين كذبوا رسلهم وقالوا لئن اتانا رسول ليكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه ولما جاءهم حكاية لمعنى كلامهم لا للفظهم اذ لو كان للفظ لكان التركيب لئن جاءنا نذير لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة مهتدية من الامم او من الامة التي يقال فيها احدى الامم اي من واحدة مهتدية من الامم او من الامة التي يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها كما قالوا هو احد الاحدين وهي احدى الاحد يريدون التفضيل في الدهاء والعقل بحيث لا نظير له وقال الشاعر

حتى استثاروا بي احدى الاحد ليثا هزبرا ذا سلاح معتد

فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وهو الظاهر وقال ابن عباس هو انشقاق القمر ما زادهم اي ما زادهم هو او مجيئه الا نفورا بعدا من الحق وهربا منه واسناد الزيادة اليه مجاز لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وصاروا اهل ما كانوا وجواب لما ما زادهم وفيه

وليدوا انهم على صرفة لما لا طرفيهما اذ لو كانت ظاهر المجاز يتقدم على ما سلها المنتقى بها وقد ذكرنا ذلك
في قوله فلما قضينا عليه الموت ما دلهم وفي قوله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني
عنهم والظاهر ان استكبارا مفعول من اجله اي بسبب النفور وهو الاستكبار ومكر السيء معطوف
على استكبار فهو مفعول من اجله ايضا اي الحامل لهم على الابعاد من الحق هو الاستكبار
والمكر السيء وهو الخداع الذي تروموه برسول الله والكيد له وقال قتادة المكر
السيء هو الشرك وقيل استكبارا بدل من نفورا قاله الاخفش وقيل حال يعني مستكبرين
وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ومكر السيء من اضافة الموصوف
الى صفته ولذلك جاء على الاصل ولا يحيق المكر السيء وقيل يجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا
على نفورا وقرا الجمهور ومكر السيء بكسر الهمزة والاعمش وحمزة باسكانها فاما اجرا الوصل
مجرى الوقف واما اسكانا لتوالي الحركات واجرا المنفصل مجرى المتصل كقوله لن
ابلان وزعم الزجاج ان هذه القراءة لحن قال ابو جعفر وانما صار لحنا لانه حذف الاعراب
منه وزعم محمد بن يزيد ان هذا لا يجوز في كلام ولا شعر لان حركات الاعراب دخلت للفرق
بين المعاني وقد اعظم بعض النحويين ان يكون الاعمش يقرا بهذا وقال انما كان
يقف عليه فغلط من ادى عنه والدليل على هذا انه تمام الكلام وان الثاني لما لم يكن
تمام الكلام اعربه والحركة في الثاني اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وقال
الزجاج ايضا قراءة حمزة ومكر السيء موقوفا فانه حذاق بالنحو لحن لا يجوز وانما يجوز
في الشعر للاضطرار واكثر ابو علي في الحجة من الاستشهاد والاحتجاج والاسكان بنحو
لثقل توالي الحركات والاضطرار والوصل بنية الوقف قال فاذا ساغ ما ذكرناه في
هذه القراءة من التاويل لم يسغ ان يقال لحن وقال ابن القشيري ما ثبت بالاستفاضة
او التواتر انه قرئ به فلا بد من جوازه ولا يجوز ان يقال لحن وقال الزمخشري لعله
اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وروي عن ابن
كثير ومكر السائ بهمزة ساكنة بعد السين وياء بعدها مكسورة وهو مقلوب
السيء المخفف من السيء كما قال الشاعر ولا يجزون من حسن بسيء ولا يجزون من غلظ بلين
وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا عطف نكرة على نكرة ولا يحيق اي يحيط ويحل ولا يحل
الا في الماكر وقرئ ولا يحيق بضم الياء المكر السيء بالنصب اي ولا يحيق الله الا باهله
اما في الدنيا بعاقبة ذلك على اهله وقال ابو عبد الله الرازي فان قلت
كثيرا نرى الماكر يفيده مكره ويغلب خصمه بالمكر والاية تدل على عدم ذلك فالجواب
من وجوه احدها ان المكر في الاية هو المكر بالرسول من العزم على القتل والاخراج ولا
يحيق الا بهم حيث قتلوا ببدر وثانيها انه عام وهو الاصح فانه عليه السلام نهى عن
المكر وقال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فانه تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله
فعلى هذا يكون الممكور به اهلا فلا يرد نقضا وثالثها ان الامور بعواقبها
ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر ففي الحقيقة هو الفائز والماكر هو
الهالك انتهى وقال كعب لابن عباس في التوراة من حفر حفرة لاخيه وقع فيها فقال
له ابن عباس انا وجدت هذا في كتاب الله ولا يحيق المكر السيء الا باهله انتهى
وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وسنة الاولين انزال
العذاب على الذين كفروا برسلهم من الامم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم
وسنة الاولين اضافة فيه المصدر الى المفعول وفي سنة الله اضافة الى الفاعل

ماضيقت

ماضيقت اولا اليهم لانها سنة بهم وثانيا اليه لانه هو الذي سنها وبين تعالى الانتقام من مكذبي
الرسل عادة لا يبدلها بغيرها ولا يحولها الى غير اهلها وان ذلك كاين لا محالة واستشهد عليهم بما
كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام والعراق واليمن من اثار
الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم كديار ثمود ونحوها وتقدم الكلام على نظير
هذه الجملة في سورة الروم وهناك كانوا اشد منهم قوة استئناف اخبار عما كانوا
عليه وهنا وكانوا اي وقد كانوا فالجملة حال فهما مقصودان وما كان الله ليعجزه
اي ليفوته ويسبقه من شيء اي شيء ومن لاستغراق الاشياء انه كان عليما قديرا
فبعلمه يعلم جميع الاشياء فلا يعزب عن علمه شيء وبقدرته لا يتعذر عليه شيء ثم
ذكر تعالى حلمه على عباده في تاخير العقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا اي من الشرك وتكذيب الرسل وهو المعنى في الاية التي في النحل وهو قوله
بظلمهم وتقدم الكلام على نظير هذه الاية في النحل وهناك عليها وهنا على ظهرها والضمير
عايد على الارض الا ان هناك يدل عليه سياق الكلام وهنا يمكن ان يعود على ملفوظ
به وهو قوله في السموات ولا في الارض ولما كانت حاملة لمن عليها استعير لها الظهر
كالدابة الحاملة للاثقال ولانه ايضا هو الظاهر بخلاف باطنها فانه كان بعباده
المفردات
بصيرا فيه توعد للمكذبين اي فيجازيهم باعمالهم قمح البعير راسه رفعه اثر شرب الما
ويأتي الكلام فيه مستوفى في العرجون عود العذق من بين الشماريخ الى منبته من
النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف الجدث القبر
وسمع فيه جدف بابدال الثاء فاء كما قالوا فم وفي ثم كما ابدلوا من الفاء ثاء قالوا في
مغفور مغثور وهو ضرب من الكماة المسخ تحويل الصورة الى صورة منكرة

بسم الله الرحمن الرحيم سورة يس عليه السلام التالي المقتت الرحيم

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز
الرحيم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم
فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم
مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما
تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم انا
نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام
مبين هذه السورة مكية الا ان فرقة زعمت ان قوله ونكتب ما قدموا واثارهم
نزلت في بني سلمة من الانصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد
الرسول وليس زعما صحيحا وقيل الا قوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الاية
وتقدم الكلام في الحروف المقطعة في اول البقرة قال ابن جبير هنا انه اسم من اسماء
محمد صلى الله عليه وسلم ودليله انك لمن المرسلين قال السيد الحميري

يا نفس لا تمحضي بالود جاهدة * على المودة الا ال ياسينا

وقال ابن عباس معناه يا انسان بالحبشية وعنه هو في لغة طي وذلك انهم يقولون
ايسان بمعنى انسان ويجمعونه على اياسين فهذا منه وقالت فرقة يا حرف نداء
والسين مقامه مقام الانسان انتزع منه حرف فاقيم مقامه وقال الزمخشري ان
صح ان معناه يا انسان في لغة طي فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء

على التسمي حتى اقتصر على شرطه كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله سمي والذي ينقل عن العرب في تصغير
انسان انيسيان بياء بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولا نعلمهم
قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه بقية انيسين فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم ولا
يبقى موقوفا لانه منادى مقبل عليه مع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة
وقولهم كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله هذا قول من النحو يجب ان يكون ان م حرف
قسم وليس بقية من ايمن وقرئ بفتح اليا وامالتها محضا وبين اللفظين وقرا
الجمهور بسكون النون مدغمة في الواو ومن السبعة الكسائي وابو بكر وورش وابن عامر
مظهرة عند باقي السبعة وقرا ابن ابي اسحاق وعيسى بفتح النون وقال قتادة يس قسم
قال ابو حاتم فقياس هذا القول فتح النون كما تقول الله لافعلن وقال الزجاج النصب كانه
قال اتل يس وهذا على مذهب سيبويه انه اسم للسورة وقرا الكلبي بضم النون وقال هي
بلغة طي يا انسان وقرا ابو السمال وابن ابي اسحاق ايضا بكسرها قيل والحركة لالتقاء الساكنين
فالفتح كاين طلبا للتخفيف والضم كحيث والكسر على اصل التقاء الساكنين واذا قيل انه قسم
فيجوز ان يكون معربا بالنصب على ما قال ابو حاتم والرفع على الابتداء نحو امانة الله لافعلن
والجر على اضمار حرف الجر وهو جائز عند الكوفيين والحكيم اما فعيل بمعنى مفعل كما عقدت
العسل فهو عقيد اي معقد واما للمبالغة من حاكم واما انها بمعنى النسب اي ذي حكمة
على صراط خبر ثان او في موضع الحال منه عليه السلام او من المرسلين او متعلق بالمرسلين
والصراط المستقيم شريعة الاسلام وقرا طلحة والاشهب وعيسى بخلاف عنهما وابن عامر
وحمزة والكسائي تنزيل بالنصب على المصدر وباقي السبعة وابو بكر وابو جعفر وشيبة
والحسن والاعرج والاعمش بالرفع خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل وابو حيوة واليزيدي
والنوري عن ابي جعفر وشيبة بالخفض اما على البدل من القران واما على الوصف بالمصدر
لتنذر متعلق بتنزيل او بارسلناك مضمرة ما انذر قال عكرمة بمعنى الذي اي الحق الذي
انذر اباؤهم من العذاب فما مفعول ثان كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا قال ابن
عطية ويحتمل ان تكون ما مصدرية اي ما انذر اباؤهم والاباء على هذا هم الاقدمون
من ولد اسماعيل وكانت النذارة فيهم وهم على هذا التاويل بمعنى فانهم وقيل ما نافية
تقطع الجملة من الجملة الواقعة صلة متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول
ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل وقال قتادة ما نافية اي ان
اباهم لم ينذروا وانا وهذا على هذا هم الذين يبعث منهم وما انذر في موضع الصفة اي غير منذر
اباؤهم وفهم غافلون متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو
سبب غفلتهم وباعتبار الاباء القدم والقرب يزول التعارض بين الانذار ونفيه لقد حق
القول على اكثرهم المشهور ان القول لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وتعلق القدر
في علمه وجوب العذاب وقيل حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من التوحيد
وغيره وبان برهانه فاكثرهم لا يؤمنون بعد ذلك والظاهر ان قوله انا جعلنا في اعناقهم
الى الاية حقيقة لا استعارة لما اخبر تعالى انهم لا يؤمنون اخبر عن شي من احوالهم
في الاخرة اذا دخلوا النار قال ابن عطية وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون يضعف هذا
لان بصر الكافر يوم انما هو حديد يرى قبح حاله انتهى ولا يضعف هذا لان ترى
الى قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله قال رب لم حشرتني اعمى
فاما ان يكون ذلك حالين واما ان يكون قوله فبصرك اليوم حديد كناية عن ادراكه
ما يوؤل

ما يوؤل اليه حتى كانه يبصره وقال الجمهور ذلك استعارة قال ابن عباس وابن اسحاق استعارة لحالة
الكفرة الذين ارادوا الرسول بسوء جعل الله هذا لهم مثلا في كفه اياهم عنه ومنعهم من اذاه حين
بيتوه وقال الضحاك والفرا استعارة لمنعهم من النفقة في سبيل الله كما قال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك وقال عكرمة نزلت حين اراد ابو جهل ضربه بالحجر العظيم وفي غير ذلك من الواقع نفسه
الله وهذا قريب من قول ابن عيسى عن عروة ان ابا جهل حمل حجرا ليدمغ به النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي فاثبتت يده الى عنقه حتى عاد الى اصحابه والحجر في يده قد لزق فما فكوه الا بجهد فاخذه
اخر فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم طمس الله بصره فلم يره فعاد الى اصحابه فلم يبصرهم
حتى نادوه فجعل الغل يكون استعارة عن منع ابي جهل وغيره في هذه القصة ولما كان اصحاب
ابي جهل راضين بما اراد ان يفعل نسب ذلك الى الجمع وقالت فرقة استعارة لمنع الله اياهم
من الايمان وحوله بينهم وبينه قال ابن عطية وهذا ارجح الاقوال لانه تعالى لما ذكر انهم
لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل عقب ذلك بان جعل لهم من المنع واحاطة الشقاوة ما حالهم
معه حال المغلولين انتهى وقال الزمخشري مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى
ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم
ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله
انتهى وهي دسيسة الاعتزال الا ترى الى قول اهل السنة استعارة لمنع الله اياهم من
الايمان وقول الزمخشري مثل تصميمهم ونسبة الافعال التي تعدها اليهم لا الى الله والغل ما احاط
بالعنق على معنى التثقيل والتضييق والتعذيب والاسر ومع العنق اليدان او اليد الواحدة
على معنى التقليل والظاهر عود الضمير في فهي الى الاغلال لانها هي المذكورة والمحدث عنها
قال ابن عطية هي عريضة تبلغ بحرفها الاذقان والذقن مجتمع اللحيين فيضطر المغلول
الى رفع وجهه نحو السماء وذلك هو الاقماح وهو نحو الاقناع في الهيئة وقال الزمخشري
الاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول
يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن
فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا انتهى وقال الفرا المقمح الذي يغض
بصره بعد رفع راسه وقال الزجاج نحوه فلا يقال المقمح البعير رافع راسه عن ري وغض بصره
وقال ابو عبيدة قمح البعير قموحا رفع راسه عن الحوض ولم يشرب والجمع قماح ومنه قول
بشر يصف سفينة احدهم المبرحينه ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح
وقال الليث هو رفع البعير راسه اذا شرب الماء الكريه ثم يعود وقال الزجاج
قيل للكانونين شهرا قماح لان الابل اذا وردت الماء ترفع رؤوسها لشدة برده وانشد
ابو زيد بيت الهذلي فتى ما ابن الاغر اذا شتونا وحب الزاد في شهري قماح
رواه بضم القاف وابن السكيت بكسرها وهما لغتان وسمي شهري قماح لكراهة
كل ذي كبد شرب الماء فيه وقال الحسن القامح الطامح ببصره الى موضع قدمه وقال مجاهد
الرافع الراس الواضع يده على فيه وقال الطبري الضمير في فهي عائد على الايدي وان لم
تذكر لوضوح مكانها من المعنى وذلك ان الغل انما يكون في العنق مع اليدين ولذلك سمي
الغل جامعة لجمعه اليد والعنق واري علي كرم الله وجهه الناس الاقماح فجعل يديه تحت لحيته
والصقها ورفع راسه وقال الزمخشري جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان فهم
ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه

ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدل بقوة المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يخبو عنه
ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج انتهى وقرأ عبد الله وعكرمة والنخعي وابن وثاب وطلحة
وحمزة والكسائي وابن كثير وحفص سدا بفتح السين فيهما والجمهور بالضم وتقدم شرح
السدين في الكهف وقرأ الجمهور فأغشيناهم بالغين منقوطة وابن عباس وعمر بن عبد
العزيز وابن يعمر وعكرمة والنخعي وابن سيرين والحسن وأبو رجاء وزيد بن علي ويزيد البربري
ويزيد بن المهلب وأبو حنيفة وابن مقسم بالعين من العشا وهو ضعف البصر
بصرهم وأغشيناه أنا والقراءة المشهورة أغشيناهم أي أغشينا أبصارهم فجعلنا عليها
غشاوة وسواء عليهم الآية تقدم الكلام على نظيرها تفسيرا وإعرابا في أول البقرة أأنذرتهم
وتقدم تسديدها لحمزة لما كانوا ما عليهم إلا يؤمنوا قال وسواء عليهم أأنذرتهم
أم لم تنذرهم بمجرد الإنذار لا تنتفع فقال إنما تنذر أي إنذارك ينتفع من اتبع
الذكر وهو القرآن قاله قتادة أو الوعظ وخشي الرحمن أي المتصف بالرحمة مع أن الرحمة
تدعو إلى الرجاء لكنه مع علمه برحمته هو يخشاه خوفا من أن يسلبه ما أنعم به عليه
بالغيب أي بالخلوة عند مغيب الإنسان عن عيون البشر ولما أحدث عنه النذارة بشره
بمغفرة لما سلف وأجر كريم على ما أسلف من العمل الصالح وهو الجنة ولما ذكر تعالى
الرسالة وهي أحد الأصول الثلاثة التي بها يصير المكلف مؤمنا ذكر الحشر وهو أحد
الأصول الثلاثة والثالث هو توحيد فقال إنا نحن نحيي الموتى أي بعد مماتهم
وأبعد الحسن والضحاك في قوله أي نحييهم بإخراجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب
ما قدموا كناية عن المجازات أي ونحصر فعبر عن إحاطة علمه بما عالم الكتابة التي تضبط
بها الأشياء وقرأ زر ومسروق ويكتب ما قدموا وآثارهم بالياء مبنيا للمفعول
وما قدموا من الأعمال وآثارهم خطاهم إلى المساجد وقيل إلى الجنة والسنة
وقيل ما قدموا من النيات وآثارهم من الأعمال وقال الزمخشري ونكتب ما أسلفوا
من الأعمال الصالحات وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب
صنفوه أو حبيس احتبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك
أو سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء
أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة
يستن بها ونحوه قوله ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من
أعماله وأخر من آثاره انتهى وقرأ الجمهور وكل شيء بالنصب على الاشتغال
وقرأ أبو السمال بالرفع على الابتداء والإمام المبين اللوح المحفوظ قاله مجاهد
وقتادة وابن زيد وقالت فرقة أراد صحف الأعمال واضرب لهم مثلا
أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن
من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا
البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب
أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون
ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين
إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي

ربي

ربي وجعلني من المكرمين تقدم الكلام على إعراب مع المثل في قوله أن يضرب مثلا
ما بعوضة والقرية أنطاكية بلا خلاف أي قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون
هو بدل [illegible] في المجيء وإنما اشتغلوا في زمان المجيء إذ أرسلنا إليهم اثنين الظاهر من أرسلنا
أنهم أنبياء أرسلهم الله ويدل عليه قول المرسل إليهم ما أنتم إلا بشر مثلنا وهذه
المحاورة لا تكون إلا مع من أرسله الله وهذا قول ابن عباس وكعب وقال
قتادة وغيرهم هم من الحواريين بعثهم عيسى عليه السلام حين رفع وصلب الذي
ألقي عليه الشبه فافترق الحواريون في الآفاق فقص الله قصة الذين ذهبوا
إلى أنطاكية وكان أهلها عباد أصنام واثنان صادق وصدوق قاله وهب
وكعب الأحبار وفي النقاش سمعان ويحيى وقال مقاتل تومان ويونس
فكذبوهما أي دعوهم إلى الله وأخبراهم بأنهما رسولا الله فكذبوهما فعززنا بثالث
أي قوينا وشددنا قاله مجاهد وابن قتيبة وقال يقال تعزز لحم الناقة إذا صلب
وقال غيره يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها ويقال للأرض الصلبة العزاز
وهذا على قراءة من شدد الزاي وهي قراءة الجمهور وقرأ الحسن وأبو حيوة وأبو بكر والمفضل
وأبان بالتخفيف قال أبو علي فغلبنا انتهى وذلك من قولهم من عز بز ومنه قوله
تعالى وعزني في الخطاب وقرأ عبد الله بالثالث بالألف واللام والثالث شمعون
الصفا قاله ابن عباس وقال كعب ووهب شلوم وقيل يونس وحذف معمول
فعززنا مشددا أي قويناهما وبثالث مخففا فغلبناهم أي بحجة ثالث وما
يلطف به من التوصل إلى الدعاء إلى الله حتى آمن الملك على ما ذكر في قصصهم
وشأنهم هي أو نبذ منها أن بث الله وحاءه أو الأمر لسلون بغير لام لأنه ابتداء إخبار
فلا حاجة إلى توكيد وبعد المحاورة لمرسلون بلام التوكيد لأنه جواب عن الإنكار
وهؤلاء أمة أنكرت النبوات بقولها ما أنزل الرحمن من شيء وراجعتهم الرسل
بأن ردوا العلم إلى الله وقنعوا بعلمه وأعلموهم أنهم إنما عليهم البلاغ فقط
وما عليهم من هداهم وضلالهم [illegible] ووصف البلاغ بالمبين
وهو الواضح بالآيات الشاهدة بصحة الإرسال كما روي في هذه القصة من
المعجزات الدالة على صدق الرسل من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت
قالوا إنا تطيرنا بكم تشاءمنا قال مقاتل احتبس المطر فقال أهل القرية
الحرام عند تكذيبهم الرسل قال ابن عطية والظاهر أن تطير هؤلاء كان
بسبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس كما وقع في بعث
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى نحو ما خوطب به موسى عليه السلام وفي الزمخشري
ولعلهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا
بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه
وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا أو بشؤم هذا كما حكى الله
عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة
وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك انتهى وعن قتادة إن أصابنا شيء
كان من أجلكم لنرجمنكم بالحجارة قال قتادة عذاب أليم هو الحريق قالوا طائركم
معكم أي حظكم وما صار لكم من خير وشر معكم أي من أفعالكم ليس هو من أجلنا بل
بكفركم وقرأ الحسن وابن هرمز وعمرو بن عبيد وزر بن حبيش طيركم بياء

ساكنة بعد الطا وقرا الحسن حيا مثل الابركم مصدر مطيرا الذي اصله قطير فادغمت
الثاني الطا قلبت همزة الامر في الماضي والمضارع وقرا الجمهور طائركم على وزن
فاعل وقرا الجمهور ان ذكرتم بهمزتين الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة ان
الشرطية فحققها الكوفيون وابن عامر وسهلها باقي السبعة وقرا زر بهمزتين
مفتوحتين وهي قراءة ابي جعفر وطلحة الا انهما لينا الثانية بين بين وقال
الشاطبي بتحقيقهما الا ان كتب داود بن ابي ... قلت براه لابي عمرو
والماجشون وهو ابو سلمة يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون المدني
بهمزة واحدة مفتوحة والحسن بها مكسورة وابو عمرو في رواية وزر ايضا
بمد قبل الهمزة المفتوحة استثقل اجتماعهما ففصل بينهما بالف وقرا ابو جعفر
ايضا والحسن ايضا وقتادة وعيسى الهمداني والاعمش اين بهمزة مفتوحة
وياء ساكنة وفتح النون ظرف مكان وروي هذا عن عيسى الثقفي ايضا القراءة
الاولى على معنى ان ذكرتم تطيرون فجعل المحذوف مصب الاستفهام على مذهب
س ويجعله للشرط على مذهب يونس فان قدرته مضارعا كان مجزوما والقراءة
الثانية على معنى الان ذكرتم تطيرتم فهو مفعول من اجله وكذلك الهمزة
الواحدة المفتوحة الذي والتي بمد قبل الهمزة المفتوحة وقراءة الهمزة
المكسورة وحدها حرف شرط بمعنى الاخبار اي ان ذكرتم تطيرتم والقراءة الاخيرة
اين فيها ظرف فاداة الشرط حذف جوابه للدلالة عليه وتقديره اين ذكرتم صحبكم طائركم
ويدل عليه قولهم طائركم معكم ومن جوز تقديم الجواب على الشرط وهم الكوفيون وابو
زيد والمبرد يجوز ان يكون الجواب ذكرتم فتشوموا بالطائر ... وكان في
اصله اين ذكرتم فطائركم معكم ولما قدم حذفت الفا وقرا الجمهور ذكرتم
بتشديد الكاف وابو جعفر وخالد بن الياس وطلحة والحسن وقتادة وابو حيوة
والاعمش من طريق زائدة والاصمعي عن نافع بتخفيفها بل انتم قوم مسرفون مجاوزون
الحد في ضلالكم فمن ثم اتاكم الشوم وجا من اقصى المدينة رجل يسعى اسمه حبيب قاله
ابن عباس وابو مجلز وكعب الاحبار ومجاهد ومقاتل قيل وهو ابن اسرائيل وكان نجارا
وقيل اسكافا وقيل كان ينحت الاصنام ويمكن ان يكون جامعا لهذه الصنائع
ومن اقصى المدينة اي من ابعد مواضعها قيل كان في خارج المدينة يعالج
زرعا له وقيل كان في غار يعبد ربه وقيل كان مجذوما فنزل اقصى باب من
ابوابها عبد الاصنام سبعين سنة يدعوهم لكشف ضره فلما دعاه الرسل الى عبادة
الله قال هل من اية قالوا نعم ندعو ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال ان
هذا لعجيب لي سبعون سنة ادعو هذه الالهة فلم تستطع يفرجه ربكم في غداة واحدة
قالوا نعم ربنا على ما يشا قدير وهذه لا تنفع شيا ولا تضر فامن ودعوا ربهم
فكشف الله ما به كان لم يكن به باس فاقبل على التكسب فاذا امسى تصدق بكسبه
نصف لعياله ونصف يطعمه فلما هم قومه بقتل الرسل جاهم فقال يا قوم
اتبعوا المرسلين وحبيب هذا ممن امن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما
ستماية سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يومن
نبي غيره احد الا بعد ظهوره وقال ابن ابي ليلى سباق الامم ثلاثة لم يكفروا قط طرفة

عين

عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومومن ال فرعون واورد الزمخشري قول ابن ابي ليلى
حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم قبل من حاله انه كان مجذوما وعكف على الاصنام
ثمانين سنة فالله اعلم وهنا تقدم من اقصى المدينة وفي القصص تاخر وهو من
الفنن في البلاغة رجل يسعى يمشي على قدميه قال يا قوم اتبعوا المرسلين الظاهر
انه لا يقول ذلك الا بعد تقدم ايمانه لحماسته في نصيحته وقيل جاء يسعى وسمع قولهم
وفهم مقالتهم روي انه تعقب امرهم وسبر حالهم قال لهم اتطلبون اجرا على
دعوتكم هذه قالوا لا فدعا عند ذلك قومه الى اتباعهم والايمان بهم واحتج عليهم
بقوله اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي وهم على هدى من الله امرهم
اولا باتباع المرسلين اي هم رسل الله اليكم فاتبعوهم ثم امرهم ثانيا بجملة جامعة
في الترغيب في كونهم لا ينقص منهم من حطام دنياهم شي وفي كونهم يهتدون بهداهم
فيشتملون على خيري الدنيا والاخرة وتلا ابن بعض النحويين نحو من ان تكون
بدلا من المرسلين ظهر فيه العامل كما ظهر اذا كان حرف جر كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم والجمهور لا يعرفون ما صرح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلا بل
يجعلون ذلك مخصوصا بحرف الجر اذا كان الرافع والناصب سموا ذلك بالتتبيع
لا بالبدل وفي قوله اتبعوا من لا يسالكم اجرا دليل على التعريض بان اخذ الاجر على شي من
افعال الشرع التي هي لازمة له كالصلاة ولما امرهم باتباع المرسلين اخذ يبدي
الدليل في اتباعهم وعبادة الله فابرزه في صورة نصيحة لنفسه وهو يريد نصحهم
ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه
فوضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني موضع وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ولذلك قال
واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال واليه ارجع ثم اتبع الكلام ذلك مخاطبا لنفسه
ءاتخذ من دونه الهة فاخبر عن كونها لا تنفع ولا تضر ولا تشفع فان ارادكم الله
بضر وشفعت لكم لم تنفع شفاعتهم ولم يقدروا على انقاذكم منه اولا بانتفا الجاه عن
كونهم شفعاءهم لا تنفع ثم ثانيا بانتفا القدرة فعبر بانتفا الانقاذ عنه اذ هو
نتيجته وفتح يا المتكلم في يردن طلحة السمان كذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب ابن خالويه
طلحة بن مصرف وعيسى الهمداني وابو جعفر ورويت عن نافع وعاصم وابي عمرو وقال
الزمخشري وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يردني ضرا اي يجعلني موردا للضر انتهى
وهذا والله اعلم راه في كتاب القراءات شهد في بفتح اليا فتوهم انها يا المضارعة
فجعل الفعل متعديا بالياء المعدية كالهمزة فلذلك ادخل عليه همزة التعدية ونصب
به اثنين والذي في كتب القراءات الشواذ انها يا الاضافة المحذوفة خطا ونطقا لالتقا
الساكنين قال في كتاب ابن خالويه بفتح اليا يا الاضافة وقال في اللوامح ان يردن
الرحمن بالفتح وهو اصل اليا عند البصريين لكن هذه محذوفة يعني الصرفية اي
المثبتة بالخط التي ترى بالبصر لكونها مكتوبة بخلاف المحذوفة خطا ولفظا فلا
ترى بالبصر اني اذا ان لم اعبد الذي فطرني واتخذت الهة من دونه في حيرة واضحة
لكل ذي عقل صحيح ثم صرح بايمانه وصدع بالحق فقال مخاطبا لقومه اني امنت
بربكم اي الذي كفرتم به فاسمعون اي اسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على
الحق وان العبادة لا تكون الا لمن منه نشاتكم واليه مرجعكم والظاهر ان الخطاب
بالكاف والميم وبالواو وهو لقومه والامر على جهة المبالغة والتنبيه قال ابن عباس

وكعب ووهب وقيل خاطب بقوله فاسمعون الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ
للامر عندهم وقيل الخطاب في بربكم وفي فاسمعون للرسل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه
فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال ذلك وليسمعوا اليه ويشهدوا الى قيل ادخلوا الجنة
ظاهره انه امر حقيقي وقيل معناه وجبت لك الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخولها
ولا يكون الا بعد البعث ولم يات في القرآن انه قتل فقال الحسن لما اراد قومه
قتله رفعه الله الى السما فهو في الجنة لا يموت الا بفنا السما وهلاك الجنة فاذا اعاد
الله الجنة دخلها وقيل لما قال ذلك دفعوه الى الحكم فطووا بعض الكلام لشغلهم
عن قتل الرسل الى ان صرح لهم بايمانه فوثبوا عليه فقتلوه قيل وقتلوا الرسل
وقال ابن مسعود قتلوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره والقي في بير وهي
الرس وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى مات وقال
الكلبي رموه في حفرة وردموا التراب عليه فمات وعن الحسن حرقوه وعلقوه
في سور المدينة وقبره في سوق انطاكية وقيل نشروه بالمناشير حتى خرج من بين رجليه
وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احيا عند ربهم
يرزقون فرحين وفي النسخة التي طالعنا من تفسير ابن عطية ما نصه وقرا
الجمهور يعلمون بفتح النون قال ابو حاتم هذا خطا لا يجوز لانه امر فاما حذف
النون واما كسرها على جهة اليا اسهل يعني يا المتكلم والنون نون الوقاية وقوله
وقرا الجمهور وهم فاحش ولا يكون والله اعلم الا من الناسخ بل القرا
مجمعون فيما اعلم على كسر النون سبعتهم وشواذهم الا ما روي عن عصمة عن
عاصم من فتح النون ذكره في الكامل ابو القاسم الهذلي ولعل ذلك
وهم من عصمة وقال ابن عطية هنا [illegible] تواترت به الاحاديث والروايات
وهو انهم قتلوه فتمثل له عند موته اهل الجنة وذلك والله اعلم بان عرض
عليه مقعده منها وتحقق انه من ساكنيها برؤية ما اقر عينه فلما حصل ذلك
تمنى ان يعلم قومه بذلك انتهى وقوله قيل ادخل الجنة كانه جواب لسائل
عن حاله عند لقا ربه بعد ذلك التصلب في دينه فقيل ادخل الجنة ولم يات
التركيب قيل له لانه معلوم انه المخاطب وتمنيه علم قومه بذلك هو مترتب على
[illegible] العنا ومدتهم فقولهم عند ذلك اسفا [illegible] لو علموا
ذلك لامنوا بالله وفي الحديث نصح قومه حيا وميتا وقيل تمنى ذلك
ليعلموا انهم كانوا على خطا فاحش وهو على صواب فيندموا ويحزنهم ذلك
وقيل ذلك موجود في طباع البشر ان من اصاب خيرا في غير موطنه ود ان يعلم
بنو جنسه بذلك وابناء الذين نشا فيهم وبلغنا ان الوزير [illegible] الدين المصري
وكان وزيرا للملك الناصر احال الى قريته التي كان بها وهي شبرا ذهن من اعمال
مصر فقيل له في ذلك فقال اردت ان يراني عجائز [illegible] في هذه الحالة
التي انا فيها وقال الشاعر • والعز مطلوب وملتمس واحبه ما نيل في الوطن •
والظاهر ان ما في قوله بما غفر لي ربي مصدرية وجوزوا ان تكون بمعنى الذي
والعائد محذوف تقديره بالذي غفره لي ربي من الذنوب وليس هذا
بجيد اذ يؤول الى تمني علمهم بالذنوب المغفورة والذي يحسن تمني علمهم
بمغفرة ربه له وجعله من المكرمين واجاز الفرا ان تكون ما استفهاما
وقال الكسائي لو صح هذا لقال بم من غير الف وقال الفرا

تجوز

يجوز ان يقال بما بالالف وانشد فيه ابياتا وقال الزمخشري ويحتمل ان تكون استفهامية
يعني باي شي غفر لي ربي يريد بما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز دين الله حتى قتل
الا ان قولك بم غفر لي ربي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت
بما صنعت هذا وبم صنعت انتهى والمشهور ان اثبات الالف في ما الاستفهامية اذا
دخل عليها حرف جر مختص بالضرورة نحو قوله • على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد •
ومن فيها هو المعروف في الكلام نحو قوله • علام تقول الرمح يثقل كاهلي •
اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت • وقرئ من المكرمين مشدد الرا مفتوح
الكاف والجمهور باسكان الكاف وتخفيف الرا وما انزلنا على قومه
من بعده من جند من السما وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزءون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا
منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها
من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي
خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق
النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشا نغرقهم
فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين
اخبر تعالى باهلاك قوم حبيب بصيحة واحدة صاح بهم جبريل وفي ذلك
توعد لقريش ان يصيبهم ما اصابهم اذ هم المضروب لهم المثل وانه تعالى
انه لم ينزل عليهم لاهلاكهم جندا من السما كالحجارة والريح وغير ذلك [illegible]
اهون عليه وكلمة من تعديه تدل على ابتدا الغاية اي لم يرسل اليهم رسولا
ولا عاتبهم بعد قتله بل عاجلهم بالهلاك والظاهر ان ما في قوله وما كنا
منزلين نافية فالمعنى ترتب من معنى الجملة قبله اي وما كان يصح في
حكمتنا ان ننزل في اهلاكهم جندا من السما لانه تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض
الوجوه دون بعض كما قال فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية وقالت فرقة ما اسم معطوف
على جند قال ابن عطية اي من جند ومن الذي كنا منزلين على الامم مثلهم انتهى
وهو تقدير لا يصح لان من في من جند زائدة ومذهب البصريين غير
الاخفش ان لزيادتها شرطين احدهما ان يكون قبلها نفي او نهي او استفهام
والثاني ان يكون بعدها نكرة وان كان كذلك فلا يجوز ان يكون المعطوف
على النكرة معرفة لا يجوز ما ضربت من رجل ولا زيد وانه لا يجوز ولا من زيد
وهو قد جعل المعطوف بالذي وهو معرفة فلا يعطف على النكرة المجرورة
بمن الزائدة وقال ابو البقا ويجوز ان تكون ما زائدة اي وقد كنا منزلين
وقوله ليس بشي وقرا ان كانت الا صيحة بنصب الصيحة وكانت ناقصة

واسمها مضمر اي ان كانت الاخذة او العقوبة وقرا ابو جعفر وشيبة ومعاذ بن الحارث القارئ
صيحة بالرفع في الموضعين على ان كانت تامة اي ما حدثت او وقعت الا صيحة وكان
الاصل ان لا يلحق التاء لانه اذا كان الفعل مسندا الى ما بعد الا من المؤنث لم تلحق
العلامة للتانيث فيقول ما قام الا هند ولا يجوز ما قامت الا هند عند اصحابنا
الا في الشعر وجوزه بعضهم في الكلام على قلة ومثله قراءة الحسن ومالك بن دينار
وابي رجا والجحدري وقتادة وابي حيوة وابن ابي عبلة وابي بحرية لا ترى الا مساكنهم
بالتا والقراءة المشهورة بالياء وقول ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع
وقول الاخر ما برئت من ريبة وذم في حربنا الا بنات العم وانكر ابو حاتم
وكثير من النحويين هذه القراءة بسبب لحوق تاء التانيث فاذا هم خامدون
اي فاجاهم الخمود اثر الصيحة لم يتاخر وكنى بالخمود عن سكونهم بعد حياتهم كنار
خمدت بعد توقدها ونداء الحسرة على معنى هذا وقت حضورك وظهورك هذا
تقدير ندا مثل هذا اعتقد سن وهو منادى منكور على قراءة الجمهور وقرا
ابي وابن عباس وعلي بن الحسين والضحاك ومجاهد والحسن يا حسرة العباد
على الاضافة فيجوز ان تكون الحسرة منهم على ما فاتهم ويجوز ان تكون الحسرة
من غيرهم عليهم لما فاتهم من اتباع الرسل حين احضروا للعذاب وطباع البشر
تتاثر عند معاينة عذاب غيرهم وتتحسر عليهم وقرا ابو الزناد عبد الله بن ذكوان
المدني وابن هرمز وابن جندب يا حسره على العباد بسكون الها في الحالين حمل فيه الوصل
على الوقف ووقفوا على الها مبالغة في التحسر لما في الها من التاهة كالتاوه ثم
وصلوا على تلك الحال قاله صاحب اللوامح وقال ابن خالويه يا حسرة على العباد بغير
تنوين ابن عباس انتهى ووجهه انه اجتزا بالفتحة عن الالف التي هي بدل
من يا المتكلم في الندا كما اجتزا بالكسرة عن اليا فيه وقد قرئ يا حسرتا بالالف
اي يا حسرتي ويكون من الله على سبيل الاستعارة في تعظيم ما جنوه على
انفسهم وفرط انكاره وتعجيبه منه والظاهر ان العباد هم مكذبوا الرسل تحسرت
عليهم الملائكة قاله الضحاك وقال الضحاك ايضا المعنى يا حسرة الملائكة
على عباد الله الرسل حين لم ينفعهم الايمان بهم وقال ابو العالية المراد بالعباد
الرسل الثلاثة وكان هذا التحسر هو من الكفار حين راوا عذاب الله تلهفوا
على ما فاتهم قال ابن عطية وقوله ما ياتيهم الاية يدفع هذا التاويل انتهى قال
الزجاج الحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى حسيرا
وقيل المنادى محذوف وقوا استحسروا على العذر اي يا هولا تحسروا حسرة وقيل
يا حسرة على العباد من قول الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى لما وثب القوم
لقتله وقيل هو من قول الرسل الثلاثة قالوا ذلك حين قتلوا ذلك الرجل
وحل بهم العذاب قالوا يا حسرة على هولا كانهم تمنوا ان يكونوا امنوا انتهى والالف
واللام للعهد اذا قلنا ان العباد المراد بهم الرسل الثلاثة او من ارسلوا اليه
وهم الهالكون بسبب كفرهم وتكذيبهم اياهم والظاهر انها للتعريف للجنس جنس
الكفار المكذبين ويحتملون المتحسر الملائكة او الله تعالى او المومنين او الرسل
الثلاثة اي ذلك الرجل احوال ما ياتيهم الى اخر الاية تمثيل للتعيين ودفعهم
الذين عاد عليهم الضمير في قوله الم يروا كم اهلكنا قال ابن عطية وكم هنا خبرية

وانهم

وانهم بدل منها والرؤية رؤية البصر انتهى وهذا لا يصح لانها اذا كانت خبرية فهي في موضع
نصب باهلكنا ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كان كذلك امتنع ان يكون انهم بدل
منها لان البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت اهلكنا على انهم لم يصح الا ترى
انك لو قلت اهلكنا انتفا رجوعهم او اهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما
لكن ابن عطية توهم ان يروا مفعوله فتوهم ان قوله انهم لا يرجعون بدل لانه
يسوغ ان يتسلط عليه فتقول الم يروا انهم لا يرجعون وهذا وامثاله دليل
على ضعفه في علم العربية وقال الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى الم يروا ان
القرون التي اهلكناها انهم لا يرجعون لان عدم الرجوع والهلاك بمعنى انتهى
وهذا الذي قال الزجاج ليس بشي لانه ليس بدلا صناعيا وانما فسر المعنى ولم يلحظ
صنعة النحو وقال ابو البقا انهم اليهم لا يرجعون بدل من موضع كم اهلكنا
والتقدير الم يروا انهم اليهم انتهى وليس بشي لان كم ليس معمولا ليروا ونقل الفرا
ان يعمل يروا في الجملتين من غير ابدال وقولهم في الجملتين يجوز لان انهم وما
بعده ليس بجملة ولم يبين كيفية هذا العمل وقال الزمخشري الم يروا الم يعلموا
وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر
لان اصلها الاستفهام الا ان معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان
زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من اهلكنا على
المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين
اليهم انتهى فجعل يروا بمعنى يعلموا وعلقها عن العمل في كم وقوله لان كم لا يعمل
فيها ما قبلها كانت للاستفهام او للخبر وهذا ليس على اطلاقه لان العامل اذا
كان حرف جر او اسما مضافا جاز ان يعمل فيها نحو على كم جذع بيتك وابن كم رجل
صحبت وعلى كم فقير تصدقت ارجو الثواب وابن كم شهيد في سبيل الله احسنت
اليه وقوله او للخبر الخبرية فيها لغتان الفصحى كما ذكر لا يتقدمها عامل
الا ما ذكرنا من الجار واللغة الاخرى حكاها الاخفش يقولون فيها ملكت كم
غلام اي ملكت كثيرا من الغلمان فكما يجوز ان يتقدم العامل على كثير كذلك
يجوز ان يتقدم على كم لانها بمعناها وقوله لان اصلها الاستفهام ليس اصلها
الاستفهام بل كل واحدة اصل في بابها لكنهما لفظ مشترك بين الاستفهام والخبر
وقوله الا ان معناها في الجملة يعني معنى يروا نافذ في الجملة لانه جعلها
معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق فان
زيدا لمنطلق معمول من حيث المعنى ليروا ولو كان عاملا من حيث اللفظ لم يدخل
اللام وكانت ان مفتوحة وان ولي خبرها اللام من الادوات التي تعلق افعال
القلوب وقوله لا يرجعون الى اخر كلامه لا يصح ان يكون بدلا لا على اللفظ
ولا على المعنى اما على اللفظ فانه زعم ان يروا معلقة فيكون كم استفهاما وهو
معمول لاهلكنا واهلكنا لا يتسلط على انهم اليهم لا يرجعون وتقدم لنا ذلك
واما على المعنى فلا يصح ايضا لانه قال تقديره اي على المعنى الم يروا كثرة اهلاكنا
القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم فكونهم غير كذا ليس كثرة الاهلاك
فلا يكون بدل كل من كل ولا بعضا من الاهلاك ولا يكون بدل بعض من كل ولا
يكون بدل اشتمال لان بدل الاشتمال يصح ان يضاف الى المبدل منه وكذلك
بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول الم يروا انتفا رجوع كثرة

اهلاكنا القرون اليهم وفي بدل الاشتمال عوامل عجبتني الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه بعجبتني ملاحة
الجارية وسرق ثوب زيد وتقدم لنا الكلام على اعراب مثل هذه الجملة في قوله الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من القرون في سورة الانعام والذي تقتضيه صناعة العربية
انه معمول لمحذوف ودل عليه المعنى وتقديره فقضينا او حكمنا انهم اليهم لا يرجعون
وقرا ابن عباس والحسن انهم بكسر الهمزة على الاستئناف وقطع الجملة عما قبلها من جهة
الاعراب ودل ذلك على ان قراءة الفتح مقطوعة على ما قبلها من جهة الاعراب لتتفق القراءتان
ولا تختلفا والضمير في انهم عائد على معنى كم وهي القرون والضمير في اليهم عائد على من اسند اليه
يروا وهم قريش فالمعنى انهم لا يرجعون الى من في الدنيا وقيل الضمير في انهم عائد على
من اسند اليه يروا وفي اليهم عائد على المهلكين والمعنى ان الباقين لا يرجعون الى المهلكين
بنسب ولا ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم والاهلاك مع قطع النسل اتم واعم
وقرا عبد الله الم يروا من اهلكنا وانهم على هذا بدل اشتمال وفي قوله انهم لا يرجعون
رد على القائلين بالرجعة وقيل لابن عباس ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث
قبل يوم القيامة فقال بيس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وقرا عاصم
وحمزة وابن عامر بتشديد لما وباقي السبعة بتخفيفها فمن ثقلها كانت عنده بمعنى الا وان
نافية اي ما كل اي كلهم الا جميع لدينا محضرون اي محشورون قاله قتادة وقال
ابن سلام معذبون وقيل التقدير لمن ما وليس بشيء ومن خفف لما جعل ان المخففة
من الثقيلة وما زائدة اي ان كل لجميع وهذا مذهب البصريين واما الكوفيون فان
عندهم نافية واللام بمعنى الا وما زائدة ولما المشددة بمعنى الا ثابت في لسان العرب
بنقل الثقات فلا يلتفت الى زعم الكسائي انه لا يعرف ذلك وقال ابو عبد الله الرازي
في كون لما بمعنى الا معنى مناسب وهو ان لما كانها حرفا نفي جمعا وهما لم وما فتاكد
النفي والا كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل احدهما مكان الآخر انتهى وهذا اخذه من
قول الفراء ان المخففة من الثقيلة حرف نفي ودعواه تركيب لما عند النحاة
ركيك وما تركب منه وزادخ بيانا ادلته وكل بمعنى الاحاطة وجميع فعيل بمعنى مفعول
ويدل على الاجتماع وجمع محضرون هنا على المعنى كما افرد منتصر على اللفظ وكلاهما
بعد جميع مراعى فيه المعنى وجاءت هذه الجملة بعد ذكر الاهلاك تبيينا انه تعالى
ليس من اهلكه يترك بل بعد اهلاكهم جمع وحساب وثواب وعقاب ولذلك اعقب هذه
بما يدل على الحشر من قوله واية لهم الارض الميتة احييناها وما بعده من الايات
وبدا بالارض لانها مستقرهم حركة وسكونا حياة وموتا وموت الارض جدبها واحياؤها
بالغيث والضمير في لهم عائد على كفار قريش ومن جرى مجراهم في انكار الحشر واحييناها
استئناف بيان لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ وقيل احييناها في موضع الحال
والعامل فيها اية بما فيها من معنى الاعلام ويكون اية خبرا مقدما والارض الميتة
مبتدا والنية باية التاخير والتقدير والارض الميتة اية لهم محياة كما تقول قائما
زيد مسرعا اي زيد قائم مسرعا ولهم متعلق باية لا صفة وقال الزمخشري
ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين
لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه
ولقد امر على اللئيم يسبني انتهى وهذا هدم لما استقر عند ائمة النحو من
ان النكرة لا تنعت الا بالنكرة والمعرفة لا تنعت الا بالمعرفة ولا دليل لمن ذهب
الى ذلك واما يسبني فحال اي سابا لي وقد تبع الزمخشري ابن مالك على ذلك في

التسهيل

التسهيل من تاليفه وفي هذه الجمل تعداد نعم احياها بحيث تصير مخضرة تبهج النفس والعين واخراج
الحب منها حيث صار ما يقتاتون به في المكان الذي هم فيه ساكنون لا في السماء ولا في الهواء وجعل
الجنات لانه اذا اكلوا من الحب ربما تاقت النفس الى الفاكهة فالارض يوجد منها الحب والنخل
يوجد منه التمر وتفجير العيون يحصل به الاعتماد على تحصيل الزرع والثمر ولو كان من السماء
لم يدر اين يرس ولا اين يقع القطر وقرا جناح بن حبيش وفجرنا بالتخفيف والجمهور
بالتشديد ومن ثمره بفتحتين وطلحة وابن وثاب وحمزة والكسائي بضمتين والاعمش
بضم الثاء وسكون الميم والضمير في ثمره عائد على الماء قيل لدلالة العيون عليه ولكونه
على حذف مضاف اي من ثمر العيون وقيل على النخيل واكتفى به للعلم في اشتراك
الاعيان فيما علق به النخيل من الاكل او يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال
الشاعر فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
فقيل له كيف قلت كانه والذي تقدم خطوط فقال اردت كان ذلك وقيل
عائد على التفجير الدال عليه وفجرنا لانه مرتب مذكور وهي بثمرة فوائده كما تقول ثمرة التجارة
الربح وقال الزمخشري واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى
الغيبة على طريق الالتفات والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من
الغرس والسقي والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني
ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بني ادم ويجوز ان تكون ما نافية
على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون على خلقه وقرا الجمهور
وما عملته بالضمير فان كانت ما موصولة فالضمير عائد عليها وان كانت نافية
فالضمير عائد على الثمر وقرا طلحة وعيسى وحمزة والكسائي وابو بكر بغير ضمير مفعول
عملت على التقدير محذوف وجوز في هذه القراءة ان تكون مصدرية اي
وعمل ايديهم وهو مصدر اريد به المعمول فيعود على معنى الموصول ولما عدد
تعالى هذه النعم حض على الشكر فقال افلا يشكرون ثم نزه تعالى نفسه عن كل ما يلحد
به متخذا ويشرك به مشرك فذكر انشاء الازواج وهي الانواع من جميع الاشياء
مما تنبت الارض من النخل والشجر والزرع والثمر وغير ذلك وكل صنف زوج
مختلف لونا وطعما وشكلا وصغرا وكبرا ومن انفسهم ذكورا واناثا ومما لا يعلمون
ومما لا يعلمون اي وانواعا مما لا يعلمون اطلعوا على وجوده ولم يعلموا ما هو اذ لا
يتعلق بعلمهم ماهيته امر يحتاج اليه في دين ولا دنيا وفي اعلامهم بكثرة مخلوقاته
دليل على اتساع ملكه وعظيم قدرته ولما ذكر تعالى الاستدلال باحوال الارض وهي
المكان الكلي ذكر الاستدلال بالليل والنهار وهو الزمان الكلي وبينهما مناسبة لان
المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في
زمان ومثله مذكور في قوله ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال
بعده ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الاية وبدا هناك بالزمان لان
المقصود اثبات الوحدانية بدليل قوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر الاية ثم الحشر بقوله
ان الذي احياها لمحيي الموتى وهنا المقصود الحشر اولا لان ذكر فيها الحشر وذكر
التوحيد في فصلت اكثر بدليل قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض انتهى وهو
من كلام ابي عبد الله الرازي وفيه بعض تلخيص ونسلخ معناه نكشط ونقشر وهو
استعارة لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل ومظلمون داخلون في الظلام

كانتو لا عتمنا واسرنا دخلنا في العتمة وفي البحر اشتد الحوم سبحانه ان الليل اصل والنهار فرع طارئ
عليه ومستقر الشمس بين يدي العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها كما جاء في حديث ابي ذر
ويقال لها اطلعي من حيث طلعت فاذا كان طلوعها من مغربها يقال لها اطلعي من حيث غربت
فذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وقال ابن قتيبة اذا
غربت وانتهت الى الموضع الذي لا تتجاوزه استوت تحت العرش الى ان تطلع وقال
الحسن للشمس في السنة ثلثمائة وستون مطلعا ثم لا تنزل الى الحول وهي تجري في تلك
المنازل او يوم القيامة او فيه لانها تجري كل وقت الى حد محدود ثم تقع معه
او اجرها للعالمين لانها نهاية مطالعها فاذا استقرت صورها كرت راجعة
والا فلا استقرار على حركتها طرفة عين ونحا الى هذا ابن قتيبة او موضعها عند الزوال كل
يوم ودليل استقرارها وقوف ظلال الاشياء حينئذ وقال الزمخشري لمستقر لها لحد لها
موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره او لمنتهى
لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها
ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها في سيرها كل يوم في مرأى عيوننا
وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها فالمجرى لها استقرت عليه وهو
اخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقال ابو عبد
الله الرازي مخصصة في المستوية [illegible] في الزمان وفي المكان ففي الزمان كالليل والسنة
او يوم القيامة وفي المكان غاية ارتفاعها في الصيف وانخفاضها في الشتاء وفي
ذلك الموضع ترجع او غاية مشارقها فانها في كل يوم تشرق الى الشتاء ثم تعود الى تلك
المنظرات وهذا هو ما نقول من الارتفاع فان اختلاف المشارق سبب اختلاف الارتفاع
وتقوم فصولها الاربعة في الابتدا والدايرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج
على مرور الشمس ويحتمل ان يقال تجري مستقرها فان اصحاب الهيئة قالوا الشمس في
فلك والفلك يدير فيدير الشمس فالشمس تجري في مستقرها انتهى وقرئ الى مستقر لها
وقرا عبد الله وابن عباس وعكرمة وعطاء بن ابي رباح وزين العابدين والباقر وابنه
الصادق ابنه وابن ابي عبلة لا مستقر لها نفيا مبنيا على الفتح فيقتضي انتفا كل مستقر
وذلك في الدنيا اي هي تجري دائما فيها لا تستقر الا ابن ابي عبلة فانه قرا برفع مستقر
وتنوينه على اعمالها اعمال ليس نحو قول الشاعر

تعز فلا شيء على الارض باقيا ... ولا وزر مما قضى الله واقيا

الا انه ذلك الجري الشمس اي ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق تقدير
العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور والمحيط علما بكل معلوم وقرا الحرميان
وابو عمرو وابو جعفر وابن محيصن والحسن بخلاف عنه والقمر بالرفع على الابتدا
والباقون بالنصب على الاشتغال وقدرناه على حذف مضاف اي قدرنا سيره
ومنازل ظرف اي منازل وقيل قدرنا نوره في منازل فيزيد مقدار النور كل يوم في
المنازل الاجتماعية وتنقص في المنازل فيزيد مقدار النور كل يوم في المنازل الاجتماعية
وتنقص في المنازل الاستقبالية وقيل قدرناه جعلنا اقدار اجرامه منازل العكس
انوار الشمس ولا يحتاج الى حذف حرف الصفة فان جرم القمر مظلم يقبل النور ويقبوله
عكوسا الشمس مثل المرآة المجلوة اذا قوبل بها الشعاع وهذه المنازل يعرفها
العرب وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر
عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلتين اذا نقص وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب

الانوا

الانوا المستطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة
الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر
الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر
بطن الحوت ويقال له الرشا فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس واصفر فشبه
بالعرجون القديم من ثلاثة اوجه وقرا سليمان التيمي كالعرجون بكسر العين
وفتح الجيم والجمهور بضمهما وهي لغتان كالبزيون والبزيون والقديم ما مر عليه زمان
طويل وقيل اقل عدة الموصوف بالقدم حول فلو قال رجل كل مملوك لي قديم فهو حر او
كتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول واكثر انتهى والقدم امر نسبي فقد
يطلق على ما دونه سنة وقد يطلق على ما مضى له سنة ولا يسأل فلا تقول للمدينة
بنيت منذ سنة او سنتين حديثة وقد لا يطلق على ما مرت له دهور فلا يقال للعالم
قديم واو بالتغير العادة في ذلك لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ينبغي لها مستعمل فيما
خلافه اي لم يجعل لها قدرة على ذلك وهذا الادراك ينبغي فيه وقال الزمخشري ان الله
تعالى جعل لكل واحد من الليل والنهار ولايتهما قسما من الزمان وضرب له حدا
معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس ان لا يتسهل لها ولا يصح ولا
يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان
على حياله ان يدرك فتجتمعه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس
نوره ولا يسبق الليل النهار يعني اية الليل اية النهار وهما النيران
ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع
بين الشمس والقمر فتطلع الشمس من مغربها انتهى وقال ابن عباس والضحاك اذا طلعت لم
يكن للقمر ضوء واذا طلع لم يكن للشمس ضوء وقال مجاهد لا يشبه ضوء احدهما ضوء
الاخر وقال قتادة لكل حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا
وقال ابن عباس ايضا اذا اجتمعا في السماء كان احدهما بين يدي الاخر في منازل لا يشتركان
فيها وقال الحسن لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة اي لا تسبق الشمس حتى يطلع
الفجر ولكن اذا غربت طلع وقال يحيى بن سلام لا تدركه ليلة البدر خاصة لانه
يبادر بالمغيب قبل طلوعها وقيل لا يمكنها ان تدركه في سرعة لان دائرة فلك
القمر داخلة في فلك عطارد وفلك عطارد داخل في فلك الزهرة وفلك الزهرة داخل
في فلك الشمس فاذا كانت دائرة الشمس ابعد قطع القمر جميع اجزا فلكه اعني البروج
الاثني عشر في زمان تقطع الشمس فيه برجا واحدا من فلكها وقال النحاس ما قيل
فيه واجنبه ان سير القمر سريع والشمس لا تدركه في السير انتهى وهو مخلص ايضا
الذي قبله ولا الليل سابق النهار لا يقال لعل قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
لان ظاهر قوله يطلبه حثيثا ان النهار سابق فالليل يطلبه وظاهر قوله ولا الليل
سابق النهار ان النهار سابق ايضا فتوافق الظاهران وقد اجاب ابو عبد الله الرازي
من قوله يطلبه حثيثا ان النهار يطلب الليل فالليل سابقه وفهم من قوله ولا
الليل سابق النهار ان الليل مسبوق لا سابق فورده سؤال الاختلاف كيف يكون
الليل سابقا مسبوقا واجاب بان المراد من الليل هنا سلطان الليل وهو القمر
وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل
وكل واحد لما كان في عقب الاخر كان طالبا انتهى وعرض له هذا السؤال لكونه جعل الضمير

اما من يطلبه عايدا على النهار وضمير المفعول عايدا على الليل والظاهر ان ضمير الفاعل عايد على ما هو الفاعل
في المعنى وهو الليل لانه كان قبل دخول همزة النقل يغشى الليل النهار وضمير المفعول عايد على
النهار لانه المفعول قبل النقل وبعده و قرا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي
سابق بغير تنوين النهار بالنصب قال المبرد سمعته يقرا فقلت ما هذا قال اردت
سابق النهار فحذفته لانه اخف استوحذف التنوين تخفيفا لالتقاء الساكنين وتقدم
الكلام في ذلك يسبحون في سورة الانبيا والظاهر من الذرية انه يراد به الابنا ومن نشا
منهم وقيل يطلق على الابا وعلى الابنا قاله ابو عثمان وقال ابن عطية هذا تخليط
ولا يعرف هذا في اللغة انتهى وتقدم الكلام في الذرية في القران والظاهر ان الضمير
في لهم وفي ذرياتهم عايد على شي واحد فالمعنى انه يغرق في حمل ذرياتهم هولا وهم
ابا وهم الاقدمون في سفينة نوح عليه السلام قاله ابن عباس وجماعة ومن مثله السفن
الموجودة في جنس بني ادم الى يوم القيامة اذا اريد بقوله ذرياتهم حذف مضاف
اي ذريات جنسهم او اريد بالذرية من لا يطيقها النسا والركوب من الذرية والضعفا
فالفلك اسم جنس لمن عليهم بذلك وتكون الفلك يراد به الجنس قاله ابن عباس ايضا
ومجاهد والسدي ومن مثله الابل وساير ما يركب وقال المهدوي [illegible] اي ذرية
القرون الماضية قال سليمان وكان اية انه لولا [illegible] تلك الذرية وقيل
الذرية النطف والفلك المشحون بطون النسا ذكره الماوردي ونسب الى علي بن ابي
طالب وهذا القول لا يصح لانه من نوع تفسير الباطنية وغلاة المتصوفة الذين يفسرون كتاب
الله على شي لا يدل عليه اللفظ بجهة من جهات الدلالة يحرفون الكلم عن مواضعه ويدل
على انه اريد ظاهر الفلك قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعني الابل والخيل
والبغال والحمير والمماثلة في انه مركوب مبلغ للاوطان فقط هذا اذا كان الفلك جنسا
واما ان اريد به سفينة نوح فالمماثلة تكون في كونها سفنا مثلها وهي الموجودة في
بني ادم ومعنيه ورد من قال الذرية في الفلك قوم نوح في سفينته والمثل الابل وسا
مركوب [illegible] قوله وان نشا نغرقهم وقرا نافع وابن عامر والاعمش وزيد بن علي
وابان بن عثمان ذرياتهم بالجمع وكسر زيد وابان الذال وباقي السبعة وطلحة
وعيسى بالافراد وقال الزمخشري ذرياتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم
الذرية يقع على النسا لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري
يعني النسا من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفاين البر وقيل
الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباهم الاقدمين
وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم
وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله
من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن انتهى وقال ابو عبد الله الرازي انما
خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم اي لم
يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المومنين وقال ايضا الضمير في
واية لهم عايد على العباد في قوله يا حسرة على العباد ثم قال بعد واية لهم الارض
الميتة لحصلها واية لهم الليل واية لهم انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم
ان يكون المراد في الموضعين لعينين [illegible] كقوله لا تقتلوا انفسكم انما يريد
لا يقتل بعضكم بعضا فكذلك هنا واية لهم اي اية كل بعض منهم انا حملنا ذرية
كل بعض منهم او ذرية بعض منهم انتهى والظاهر في قوله وخلقنا انه اريد الانشا
والاختراع فالمراد الابل وساير ما يركب وتكون من للبيان وان كان ما يصنعه الانسان

تذهب الى انه خلقها لكن الاكثر ما ذكرناه واذا اريد به السفينة تكون من للتبعيض ولهم الظاهر
عوده على ما عاد عليه واية لهم لانه المحدث عنهم وجوزوا ان يعود على الذرية والظاهر ان
الضمير في مثله عايد على الفلك وقيل يعود على معلوم غير مذكور وتقديره من مثل
ما ذكرنا من المخلوقات لقوله سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض كما
قالوا في قوله ليأكلوا من ثمره اي من ثمر ما ذكرنا و قرا الحسن نغرقهم مشددا والجمهور
مخففا والصريخ فعيل بمعنى صارخ اي مستغيث وبمعنى مصرخ اي مغيث وهذا
معناه هنا اي فلا مغيث لهم ولا معين وقال الزمخشري او فلا اغاثة كانه
صيغة مصدر من افعل ويحتاج الى نقل ان فعيلا يكون مصدرا بمعنى اصراخ
والظاهر ان قوله فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا الذين شا الله اغراقهم ولا
هم ينقذون اي ينجون من الموت بالغرق نفى اولا الصريخ وهو خاص ثم نفى
ثانيا انقاذهم بصريخ او بغيره وقال ابن عطية وقوله فلا صريخ لهم استيناف
اخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا او مغرقين فهم في هذه الحال لا نجاة
لهم الا برحمة من الله وليس قوله فلا صريخ لهم مربوطا بالمغرقين وقد يصح ربطه
به والاول احسن فتامله انتهى وليس يحسن ولا احسن والفا في فلا صريخ لهم
يعلق الجملة بما قبلها تعليقا واضحا وترتبط به ربطا لايحا والحالة هذه من العذاب
بما يرتفع من اصله تنفي بقوله فلا صريخ لهم وما يدفعه بعد وقوعه فتنفي بقوله
ولا هم ينقذون وانتصب رحمة على الاستثنا المفرغ للمفعول من اجله اي لرحمة
منا قاله الكسائي والزجاج او على المصدر اي الى حين الموت قاله قتادة وقال
الزمخشري الا لرحمة منا وليتمتع بالحياة الى اجل يموتون فيه لابد لهم منه بعد
النجاة من موت الغرق انتهى وانما قال لابد لهم من موت الغرق لانه تعالى
قال وان نشا اي اغراقهم نغرقهم فمن شا اغراقه لابد ان يموت بالغرق
والظاهر ان رحمة ومتاعا الى حين يكون للذين يستنقذون فلا ينعدم الدوام
بل ينقذه الله رحمة لهم ويمتعه الى حين ثم يميته وقيل فيه تقسيم الرحمة
لمن علم الله انه يومن فينقذه الله رحمة ومن علم انه لا يومن يمتعه زمانا
ويزداد اثما واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشا الله
اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم
من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على
الارايك متكيون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون الظاهر ان الضمير لقريش
وما بين ايديهم قال قتادة ومقاتل عذاب الامم قبلكم وما خلفكم عذاب
الاخرة وقال مجاهد عكسه وقال الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وما ياتي

منها وقال مجاهد ايضا كقول الحسن ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر لعلكم ترحمون وجواب اذ محذوف
يدل عليه ما بعده اي اعرضوا وما تأتيهم من اية اي دابهم الاعراض عن كل اية تأتيهم واذا قيل
لهم انفقوا لما اسلم حواشي الكفار من اقربائهم ومن اليهم من المستضعفين قطعوا عنهم ما كانوا
يواسونهم به وكان ذلك بمكة اولا قبل نزول ايات القتال فندبهم المؤمنون الى صلة
قراباتهم فقالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقيل نحو من هذا بسبب ازمة على
المساكين ممن هو مؤمن وغير مؤمن فندبهم النبي صلى الله عليه وسلم الى النفقة عليهم فقالوا هذا
القول وقيل قال فقراء المؤمنين اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله فحرموهم وقالوا
ذلك على سبيل الاستهزاء وقال ابن عباس كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة قالوا
لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون المؤمنين يعلقون الافعال
بمشيئة الله لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعز ولو شاء لكان كذا فاخرجوا
هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولون وقال القشيري نزلت
في قوم من الزنادقة لا يؤمنون بالصانع استهزاء بالمسلمين بهذا القول
وقال الحسن واذا قيل لهم يعني اليهود امروا باطعام الفقراء وجواب لو شاء قوله اطعمه
وورود الموجب بغير لام فصيح ومنه ان لو نشاء اصبناهم لو نشاء جعلناه اجاجا والاكثر
مجيئه باللام والتصريح بالموصوفين بالكفر والايمان يدل على ان المقول لهم هم
الكافرون والقائل لهم هم المؤمنون وان كل وصف حامل صاحبه على
ما صدر منه اذ كل اناء بالذي فيه يرشح وامروا بالانفاق مما رزقكم الله
وهو عام في الاطعام وغيره فاجابوا بغاية المخالفة لان نفي اطعامهم يقتضي نفي
الانفاق العام فكانهم قالوا لا ننفق ولا اقل الاشياء التي كانوا يسمحون بها
ويؤثرون بها على انفسهم وهو الاطعام الذي به يفتخرون وهذا على سبيل المبالغة كمن
يقول لشخص اعط لزيد دينارا فيقول لا اعطيه درهما فهذا ابلغ من لا اعطيه دينارا
والظاهر ان قوله ان انتم الا في ضلال مبين من تمام كلام الكفار يخاطبون المؤمنين
اي من حيث طلبتم ان نطعم من لا يريد الله اطعامه اذ لو اراد الله اطعامه لاطعمه هو
ويجوز ان يكون من قول الله لهم استانف زجرهم به او من قول المؤمنين
لهم ثم حكى تعالى عنهم ما يقولون على سبيل الاستهزاء والتعجيل لما توعدون به
اي متى يوم القيامة الذي انتم توعدون باتيانه او متى هذا العذاب الذي
تهددوننا به وهو سؤال على سبيل الاستهزاء منهم لما امروا بالتقوى ولا يتقى
الا ما يخاف وهم غير مؤمنين فسألوا متى يقع هذا الذي تخوفوننا به استهزاء
فحقرته ما ينظرون اي ما ينتظرون ولما كانت هذه الصيحة لا بد من وقوعها
جعلوا كانهم منتظروها وهذه هي النفخة الاولى تاخذهم فهم يختصمون بتكاسرهم
اي يفاجئهم واسواقهم في اماكنهم من غير امهال للتوصية ولا رجوع الى الاهل وفي
الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما بينهما فلا يطويانه حتى تقوم
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل يرفع اكلته الى فيه فما تصل الى فيه
حتى تقوم وقيل لا يرجعون الى اهلهم قولا وقيل ولا الى اهلهم يرجعون ابدا
وقرأ ابي يختصمون على الاصل والحرميان وابو عمرو والاعرج وشبل
وابن قسطنطين بادغام التاء في الصاد ونقل حركتها الى الخاء وابو عمرو ايضا
وقالون يختلف بالاختلاس وتشديد الصاد وعنهما اسكان الخاء وتخفيف
الصاد يعني حمزة وباقي السبعة بكسر الخاء وشد الصاد ومرة بكسر الياء اتباعا
لكسرة الخاء وشد الصاد وقرأ ابن محيصن يرجعون بضم الياء وفتح الجيم
وقرأ الاعرج في الصور بفتح الواو والجمهور باسكانها وقرئ من

الاجداف

الاجداف بالفاء بدل الثاء وقرأ الجمهور بالثاء وينسلون بكسر السين وابن ابي اسحاق وابو عمرو
بخلاف عنه بضمها وهذه النفخة هي الثانية التي يقوم الناس احياء عنها ولا تنافر بين
ينسلون وبين فاذا هم قيام ينظرون لانه لا ينسل الا قائما ولان تقاربهما
يجعله كانه زمان واحد وقرأ ابن ابي ليلى يا ويلتا بالتاء من ويلة وعنه ايضا
يا ويلتي بالتاء بعدها الياء بدل من الالف بدل من ياء الاضافة ومعنى هذه القراءة ان كل واحد
منهم يقول يا ويلتي والجمهور من بعثنا من استفهاما وبعث فعلا ماضيا وعلي
وابن عباس والضحاك وابو نهيك كذلك من حرف جر بعثنا مجرور به والمرقد استعارة
عن مضجع الميت ويحتمل ان يكون مصدرا اي من رقادنا وهو اجود او يكون مكانا
فيكون المفرد فيه يراد به الجمع اي من مراقدنا وما روي عن ابي بن كعب ومجاهد
وقتادة من ان جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر فقالوا هو غير صحيح الاسناد
وقيل قالوا من مرقدنا لان عذاب القبر كان كالرقاد في جنب ما صاروا اليه من عذاب
جهنم والظاهر ان هذا ابتداء كلام فقيل من الله على سبيل التوبيخ والتوقيف
على انكارهم وقال الفراء من قول الملائكة وقال قتادة ومجاهد من قول
المؤمنين للكفار على سبيل التقريع وقال ابن زيد من قول الكفرة لما راوا البعث
الذين كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا ذلك واستفهام عن قول الذي
بعثهم وتضمن قوله هذا ما وعد الرحمن ذكر الباعث اي الرحمن الذي وعدكموه وما
يجوز ان تكون مصدرية على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق
وبمعنى الذي اي هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون اي صدقوا فيه
من قولهم صدقت زيدا الحديث اي صدقته فيه ومنه قولهم صدقني سن بكره
وقال الزجاج ويجوز ان يكون هذا اشارة الى المرقد ثم استانف ما وعد الرحمن والمصدر
فيه وصدق المرسلون ونحوه وتبعه الزمخشري فقال ان يجوز ان يكون هذا صفة
للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدا محذوف الخبر
اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم انتهى وتتغير من قراءة الاعمش
بالرفع وتوجيهها فاليوم هو يوم القيامة وانتصب على الظرف والعامل فيه لا تظلم والظاهر
ان الخطاب بجميع العالم ويندرج فيه من تقدم وكم قيل والصيحة قول اسرافيل
عليه السلام ايتها العظام النخرة والاوصال المتقطعة والعروق الممزقة ان الله
يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وهذا معنى قوله تعالى يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم
في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا
من رب رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون الم اعهد اليكم يا بني ادم
ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط
مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم
التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على
افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه في
الخلق افلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر
وقران مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين

لما ذكر تعالى اهوال يوم القيامة اعقب ذلك بما للسعداء والاشقياء والظاهر انه اخبار لنا بما
يكونون فيه اذا صاروا اليه مما اعد لهم من الثواب والعقاب وقيل هو حكاية ما يقال
في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس
وترغيب في الحرص عليه وفيما يثمره والظاهر ان الشغل هو النعيم الذي قد شغلهم
عن كل ما يخطر بالبال وقال قريبا منه مجاهد وبعضهم نص هذا الشغل بافتضاض
الابكار قاله ابن عباس وعنه ايضا ضرب الاوتار وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار
وعن الكلبي عن اهاليهم من اهل النار لا يذكرونهم لئلا يتنغصوا وعن ابن كيسان
الشغل التزاور وقيل ضيافة الله وافرد الشغل لملحوظها في النعيم وهو واحد
من حيث هو نعيم وقرا الكوفيان وابو عمرو بضم الشين وسكون الغين
وباقي السبعة بضمها ومجاهد وابو السمال وابن هبيرة فيما نقل ابن خالويه عنه
بفتحتين ويزيد النحوي وابن هبيرة فيما نقل ابو الفضل الرازي بفتح الشين
واسكان الغين وقرا الجمهور فاكهون بالالف والحسن وابو جعفر وقتادة
وابو حيوة ومجاهد وشيبة وابو رجاء ويحيى بن صبيح ونافع في رواية بغير
الف وطلحة والاعمش فاكهين بالالف وبالياء نصبا على الحال وفي شغل هو
الخبر بالالف اصحاب فاكهة كما يقال لابن وتامر وشاحم ولاحم وبغير الف معناه
فرحون طربون ماخوذ من الفكاهة قيل والفاكهة والفكه المتنعم المتلذذ
ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاح وقرى
فكهين بغير الف وبالياء وقرى فكهون بضم الكاف يقال رجل فكه
وفكه كحذر وحذر ونطس ونطس ويجوز في هم ان يكون مبتدا وخبره في ظلال ومتكئون
خبر ثان او ضمير مستكن في ظلال متعلق به او يكون تاكيدا للضمير المستكن
في فاكهون وفي ظلال حال ومتكئون خبر ثان لان او يكون تاكيد الضمير المستكن
في ظلال المنتقل اليه العامل فيه على هذا الوجه والذي قبله تكون الازواج
قد شاركوهم في التفكه والشغل والاتكاء على الارائك وذلك من جهة المنطوق
وعلى الاول شاركوهم في الظلال والاتكاء على الارائك من حيث المنطوق ومن
قد شاركنهم في التفكه والشغل من حيث المعنى وقرا الجمهور في ظلال قال
ابن عطية وهو جمع ظل اذ الجنة لا شمس فيها وانما هواها سجسج كوقت
الاسفار قبل طلوع الشمس انتهى وجمع فعل على فعال في الكثرة نحو ذئب وذئاب
واما ان وقت الجنة كوقت الاسفار قبل طلوع الشمس فيحتاج هذا الى نقل
صحيح وكيف يكون ذلك وفي الحديث ما يدل على ان حورا من حور الجنة
لو ظهرت لاضاء منها الدنيا او نحو هذا ويحتمل ان يكون جمع ظلة قال
ابو علي كبرمة وبرام وقال منذر بن سعيد جمع ظلة بكسر الظا قال ابن عطيه
هي لغة في ظلة فيكون مثل لقحة ولقاح وفعال لا ينقاس في فعلة بل
يحفظ وقرا عبد الله والسلمي وطلحة وحمزة والكسائي في ظلل جمع ظلة
وجمع فعلة على فعل منقاس وهو ما تستر على اللابس والمرائي من الحر والشمس
ونحوها متكئون الاشياء التي تظل وقرا عبد الله متكئين نصبا على الحال ويدعون
مضارع ادعى وهو افتعل من دعا ومعناه ولهم ما يتمنون قال ابو عبيدة
العرب تقول ادع علي ما شئت بمعنى تمن علي وتقول فلان في خير ما تمنى قال
الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وقيل يدعون به
لانفسهم وقيل يتداعونه لقوله ارتموه وتراموه وقرا الجمهور سلام بالرفع وهو

وهو

وهو صفة لما اي مسلم لهم وخالص لا شي ولا يصح ان كان ما بمعنى الذي لانها تكون اذ ذاك
معرفة وسلام نكرة ولا تنعت المعرفة بالنكرة فان كانت ما نكرة موصوفة جاز
الا انه لا يكون فيه عموم كحالها بمعنى الذي وقيل سلام مبتدا ويكون خبره ذلك الفعل
الناصب لقوله قولا اي سلام يقال قولا من رب رحيم او يكون عليكم محذوفا اي سلام
عليكم قولا من رب رحيم وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو سلام وقال الزمخشري سلام
بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله
يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم
ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين
انتهى واذا كان سلام بدلا مما يدعون كان ما يدعون خصوصا والظاهر انه
عموم في كل ما يدعون واذا كان عموما لم يكن سلام بدلا منه وقيل سلام خبر لما يدعون
وما يدعون مبتدا اي ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر
موكد كقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم قال الزمخشري والاوجه ان ينتصب
على الاختصاص وهو من مجازه انتهى ويكون لهم متعلقا بمحذوف على الاعراب بسلام وقرا
محمد بن كعب القرظي سلم بكسر السين وسكون اللام ومعناه سلام وقال ابو الفضل
الرازي مسالم لهم اي ذلك مسالم وقرا ابي وعبد الله وعيسى والقنوي سلاما
بالنصب على المصدر وقال الزمخشري نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا
مرادهم وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي انفردوا عن المومنين لان المحشر جمع البر والفاجر فامر
المجرمون بان يكونوا على حدة من المومنين والظاهر انه يقول لهم ذلك ولما ذكر
تعالى ما يقال للمومنين في قوله سلام قولا من رب رحيم قيل ويقال للمجرمين
امتازوا ولما امتثلوا ما امروا به قال لهم على جهة التوبيخ والتقريع الم اعهد اليكم
ووقفهم على عهده اليهم ومخالفتهم اياه وعن الضحاك لكل كافر بيت من
النار لا يكون فيه لا يرى ولا يرى فعلى هذا معناه ان بعضهم يمتاز من بعض
وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير والعهد الوصية عهد اليه اذا وصاه وعهد
الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وما انزل اليهم من ادلة السمع وعبادة
الشيطان طاعته فيما يغويه ويزينه وقرا الجمهور اعهد بفتح الهمزة
والهاء وقرا طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي بكسر الهمزة قاله صاحب
اللوامح وقال لغة تميم وهذا الكسر في النون والتاء في حروف
المضارعة يعني في عهد يعهد وقال ابن خالويه الم اعهد يحيى بن وثاب
الم اخذ لغة تميم وقال ابن عطية وقرا الهذيل بن وثاب الم اعهد بكسر
الهاء يقال عهد وعهد انتهى وقوله والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة
من كسر اول المضارع سوى الياء وروي عن ابن وثاب الم اعهد بكسرهما
يقال عهد وعهد انتهى وقوله بكسر الميم والهمزة يعني ان الميم مكسورة
بدليل كسر الهمزة لان الحركة التي في الميم هي حركة نقل الهمزة المكسورة
وحذفت الهمزة حين نقلت حركتها الى الساكن قبلها وهو الميم
اعهد بالهمزة المقطوعة المكسورة لفظا لان هذا لا يجوز قال الزمخشري
وقري احهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته
الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب

نعم ينعم وضرب يضرب واحد بالجار واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا انتهى
وقوله الاخ اليا لغة بعض كلب انهم يكسرون ايضا في اليا يقولون هو يعلم وقوله
دحا محا يريدون دعها معها ادغموا العين في الحا والاشارة بهذا الى ما عهد اليهم
من معصية الشيطان وطاعة الرحمن وقرا نافع وعاصم بكسر الجيم والبا وتشديد
اللام وهي قراة ابي حيوة وسهل وابي جعفر وشيبة وابي رجا والحسن بخلاف
عنه وقرا العربيان والهذيل بن شرحبيل بضم الجيم واسكان البا وباقي
السبعة بضمها وتخفيف اللام والحسن وابن ابي اسحق والزهري وابن هرمز
وعبد الله بن عبيد بن عمير وحفص بن حميد بضمتين وتشديد اللام والاشهب
العقيلي واليماني وحماد بن سلمة عن عاصم بكسر الجيم وسكون البا والاعمش
جبلا بكسرتين وتخفيف اللام وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح البا وتخفيف اللام
جمع جبلة كفطرة وفطر فهذه سبع لغات قرئ بها وقرا علي بن ابي طالب وبعض
الخراسانيين جيلا بكسر الجيم بعدها يا اخر الحروف واحد الاجيال والجبل بالبا بواحدة
من اسفل الامة العظيمة وقال الضحاك اقله عشرة الاف خاطبهم تعالى اذا الكفار
بما فعل معهم الشيطان تقريعا لهم وقرا الجمهور افلم تكونوا بتا الخطاب
وطلحة وعيسى بيا الغيبة عائدا على جبلا ويروى انهم يجحدون ويخاصمون
فيشهد عليهم جيرانهم وعشائرهم واهاليهم فيحلفون ما كانوا مشركين
فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد
يوم القيامة يا رب لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم مبنيا للمفعول
وتكلم ايديهم مبنيا وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر
والجزم على ان الله يامر الاعضا بالكلام والشهادة وروى عبد الرحمن بن
طلحة عن ابيه عن جده طلحة انه قرا ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي
النصب على المعنى وكذلك نختم على افواههم والظاهر ان الاعين الاعين
المبصرة والمعنى لاعميناهم فلا يرون كيف يمشون قاله الحسن وقتادة
ويؤيده مناسبة المسخ فهم في قبضة القدرة وبمدرج العذاب ان شاء
الله بهم وقال ابن عباس اراد عين البصائر والمعنى ولو نشا لختمت عليهم
بالكفر فلا يهتدي منهم احد ابدا والطمس اذهاب الشي واثره جملة حتى
كانه لم يوجد فان اريد بالاعين الحقيقة فالظاهر انه طمس بمعنى
مسح صفيقة ويجوز ان يكون الطمس يراد به العمى من غير اذهاب العضو
واثره وقرا الجمهور فاستبقوا فعلا ماضيا معطوفا على لطمسنا وهو
على الفرض والتقدير والصراط منصوب على تقدير الى حذفت ووصل
الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او مفعولا به على تضمين استبقوا معنى
تبادروا وجعله مسبوقا لا مسبوقا اليه قال الزمخشري او ينتصب على
الظرف انتهى وهذا لا يجوز لان الصراط هو الطريق وهو ظرف مكان
مختص لا يصل اليه الفعل الا بوساطة الا في شذوذ كما انشد سيبويه
لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

ومذهب

ومذهب ابن الطراوة ان الصراط والطريق والمخرم وما اشبهها من الظروف المكانية ليست مختصة
فعلى مذهبه يسوغ ما قاله الزمخشري وقرا عيسى فاستبقوا على الامر وهو على اضمار القول اي
فيقال لهم استبقوا الصراط وهذا على سبيل التعجيز اذ لا يمكنهم الاستباق مع طمس الاعين
فانى يبصرون اي كيف يبصر من طمس على عينيه والظاهر ان المسخ حقيقة وهو تبديل
صورهم بصور شنيعة قال ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير كما تقدم في بني اسرائيل
وقيل حجارة وقال الحسن وقتادة وجماعة لاقعدناهم وازمناهم فلا يستطيعون
تصرفا والظاهر ان هذا لو كان كان يكون في الدنيا وقال ابن سلام هذا التوعد كله يوم القيامة
وقرا الحسن على مكانتهم بالافراد وهي المكان كالمقامة والمقام وقرا الجمهور
وابو بكر بالجمع والجمهور مضيا بضم الميم وابو حيوة واحمد بن جبير عن الكسائي بكسرها اتباعا
لحركة الضاد كالعتي والعتي ووزنه فعول التقت واو ساكنة ويا فابدلت الواو يا
وادغمت في اليا وكسر ما قبلها لتصح اليا وقرئ مضيا بفتح الميم فيكون من
المصادر التي جاءت على فعيل كالرسيم والوجيف ولما ذكر تعالى الطمس والمسخ على تقدير
المشية ذكر تعالى دليلا باهر قدرته في تنكيس المعمرين وان ذلك لا يفعله الا هو تعالى
وتنكيسه قلبه وجعله على عكس ما خلقه اولا وهو انه خلقه على ضعف في جسد وخلو من
عقل وعلم ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم
ما له وما عليه فاذا انتهى نكسه في الخلق فيتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف
جسده وقلة عقله وخلوه من الفهم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله وفي هذا كله دليل على
ان من فعل هذه الافاعيل قادر على ان يطمس وان يمسخ وان يفعل بهم ما اراد وقرا
الجمهور ننكسه مشددا وعاصم وحمزة مخففا وقرا نافع وابن ذكوان وابو عمرو في رواية
ابن عباس تعقلون بتا الخطاب وباقي السبعة بيا الغيبة وما علمناه الشعر الضمير في علمناه
للرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون فيه شاعر وروي ان القايل عقبة بن ابي معيط فنفى
الله ذلك عنه وقولهم فيه شاعر اما من كان في طبعه الشعر فقوله مكابرة وايهام للجاهل
بالشعر واما من يتبين في طبعه فقوله جهل محض واين هو من الشعر والشعر انما هو كلام
موزون مقفى يدل على معنى تنتجه الفكر من كثرة التخييل وتزويق الكلام وغير ذلك مما
يتورع المتدين عن انشاده فضلا عن انشائه وكان عليه السلام لا يقول الشعر واذا انشد
بيتا احرز المعنى دون وزنه كما انشد ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالاخبار وقيل له من اشعر الناس فقال الذي يقول
الم ترياني كلما جئت طارقا وجدت بها وان لم تطيب طيبا وانشد يوما
اتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة وانشد يوما كفى بالاسلام والشيب ناهيا
فقال ابو بكر وعمر نشهد انك لرسول الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام وربما انشد
البيت متزنا في النادر روي انه انشد بيت ابن رواحة
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
ولا يدل اجرا البيت على لسانه متزنا انه يعلم الشعر وقد وقع في كلامه عليه السلام ما يدخل
الوزن كقوله يوم حنين انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وكذلك قوله
هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وهو كلام من جنس كلامه الذي كان يتكلم به على طبيعته من غير صنعة فيه ولا قصد لوزن
ولا تكلف كما يوجد في القران شي موزون ولا يعد شعرا كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا

مما يحبون وقوله ممن شا ان يحيى ومن شا فليكفر وفي كثير من النثر الذي ينشيه الفصحا
ولا يسمي ذلك شعرا ولا يخطر ببال المنشي ولا السامع انه شعر وما ينبغي له اي ولا يمكن له ولا
يصح ولا يناسب لانه عليه السلام في طريق جد محض والشعر اكثره في طرق هزل وتحسين
لمن ليس حسنا وتقبيح لما ليس قبيحا ومغالاة مفرطة جعله تعالى لا يقرض الشعر كما جعله
اميا لا يخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وقيل في هذه الاية دلالة على غضاضة
الشعر وقد قال عليه السلام ما انا بشاعر ولا ينبغي لي وذهب قوم الى انه لا غضاضة
فيه وانما منعه الله نبيه عليه السلام وان كان حلية جليلة ليجي القران من قبله اغرب
فانه لو كان له ادراك الشعر لقيل في القران هذا من تلك القوة قال ابن عطية وليس
الامر عندي كذلك وقد كان عليه السلام من الفصاحة والبيان في النثر في الرتبة
العليا ولكن كلام الله يبين باعجازه ويندر برصفه ويخرجه احاطة علم الله عن كل كلام
وانما منع الله نبيه من الشعر ترفيعا له عن ما في قول الشعر من التخييل والتزويق للقول
واما القران فهو ذكر حقايق وبراهين فما هو بقول شاعر وهكذا كان اسلوب كلامه
عليه السلام فقولا واحدا انتهى والضمير في له للرسول اي وما ينبغي الشعر لرسول الله
وابعد من ذهب الى انه عايد على القران اي وما ينبغي الشعر للقران ولم يجر له ذكر
لكن لذا ان يقول يدل الكلام عليه ويبينه عود الضمير عليه في قوله ان هو الا ذكر وقران
مبين اي كتاب سماوي يقرا في المحاريب وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين
فكم بينه وبين الشعر الذي اكثره من هزات الشياطين وقرا نافع وابن عامر لتنذر
بتا الخطاب للرسول وبا في السبعة باليا الغيبة فاحتمل ان يعود على الرسول واحتمل
ان يعود على القران وقرا اليماني ليُنذَر باليا مبنيا للمفعول ونقلها ابن خالويه عن
الجحدري وقال عن ابي السمال واليماني انهما قرا لينذَر بفتح اليا والذال مضارع نذر
بكسر الذال اذا علم بالشي فاستعد له من كان حيا اي عاقلا قاله الضحاك لان الغافل
كالميت وبريد به من حتم عليه بالايمان ولذلك قابله بقوله ويحق القول اي
كلمة العذاب على الكافرين المحتوم لهم بالموافاة على الكفر اولم يروا انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم
ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون واتخذوا من دون
الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة
وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه
توقدون اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون الاخبار وتنبيه الاشقيا
لقريش واعراضهم عن عبادة الله وعكوفهم على عبادة الاصنام ولما كانت الاشيا المصنوعة
لا يباشرها البشر الا بالبد عبر لهم بما يقرب من افهامهم بقوله مما عملت ايدينا اي مما
تولينا عمله ولا يمكن لغيرنا ان يعمله فبقدرتنا وارادتنا برزت هذه الاشيا لم
يشركنا فيها احد والباري تعالى منزه عن اليد التي هي الجارحة وعن كل ما اقتضى
التشبيه بالمحدثات وذكر الانعام لها لانها كانت جل اموالهم ونبه على ما يجعل لهم
من منافعها فهم لها مالكون اي ملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف

الملاك

الملاك يختصون بالانتفاع بها او مالكون مضابطون لها قاهرون لها من قوله اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة فلولا تذليله تعالى
اياها وتسخيره لم يقدر عليها الا ترى الى ما نذ منها كيف لا يقدر على رده ولذلك امر بتسبيح
الله راكبها وشكره على هذه النعمة بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وقرا الجمهور ركوبهم وهو فعول بمعنى مفعول كالحصور والحلوب والقذوع وهو مما
لا ينقاس وقرا ابو عايشة ركوبتهم بالتا وهي فعولة بمعنى مفعولة وقال الزمخشري
وقيل الركوبة جمع انتهى ويعني اسم جمع لان فعولة بفتح الفا ليس بجمع تكسير وقد عد
بعض اصحابنا ابنية اسما الجموع فلم يذكر فيها فعولة فينبغي ان يعتقد فيها انها اسم مفرد
لا جمع تكسير ولا اسم جمع اي مركوبتهم كالحلوبة بمعنى المحلوبة وقرا الحسن وابو
البرهسم والاعمش ركوبهم بضم الرا بغير تا وهو مصدر حذف اي ذو ركوبهم او ومن
منافعها ركوبهم فيحذف ذوا ويحذف منا فعها قال ابن خالويه العرب تقول ناقة
ركوب طلوب وركوبة طلوبة وركباة حلباة وركبوت حلبوت وركبى حلبى
وركبوتا حلبوتا تكلم ذلك يحكى وانشد ركبانة حلبانة زفوف
تخلط بين وبر وصوف واجمل المنافع هنا وفصلها في قوله وجعل لكم من جلود
الانعام الاية والمشارب جمع مشرب وهو اما مصدر اي شرب او موضع الشرب ثم
عنفهم واستجهلهم في اتخاذهم الهة لطلب الاستنصار لا يستطيعون اي الالهة
نصر متخذيهم وهذا هو الظاهر لما اتخذوهم الهة للاستنصار بهم رد تعالى عليهم
بانهم ليست لهم قدرة على نصرهم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الضمير في يستطيعون
للكفار وفي نصرهم للاصنام انتهى والظاهر ان الضمير في وهم عايد على ما هو الظاهر
في لا يستطيعون اي والالهة للكفار جند محضرون في الاخرة عند الحساب على
جهة التوبيخ والنقمة وسماهم جندا اذ هم معدون للنقمة من عابديهم وللتوبيخ
او محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار وقيل ويجوز ان يكون الضمير في وهم
عايد على الكفار وفي لهم عايد على الاصنام اي وهم للاصنام جند محضرون متعصبون
لهم متحيرون يذبون عنهم يعني في الدنيا ومع ذلك لا يستطيعون اي الكفار التناصر
وهذا القول مركب على الضمير في لا يستطيعون للكفار ثم انس تعالى نبيه بقوله فلا
يحزنك قولهم اي لا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاوهم وتوعد الكفار بقوله
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم على ذلك اولم ير الانسان قبح
تعالى انكار الكفرة البعث حيث قرر ان عنصره الذي خلقه منه هو نطفة
ما مهين خارج من مخرج النجاسة افضى به على مهانة اصله الى ان يخاصم
الباري تعالى ويقول من يحيي الميت بعدما رم مع علمه انه منشا من موات
وقايل ذلك العاصي بن وايل واسية بن خلف او ابي بن خلف اقوال اصحها انه
ابي بن خلف رواه ابن وهب عن مالك وقاله ابن اسحاق وغيره والقول انه امية
قاله مجاهد وقتادة ويحتمل ان كلاهم وقع ذلك منه وقد كان لابي مع الرسول
مراجعات ومقامات جا بالعظم الرميم بمكة ففتته في وجهه الكريم وقال ابن
يحيي هذا يا محمد فقال الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم ثم
نزلت الاية وابي هذا قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد بالحربة
بخرج من عنقه ووهم من نسب الى ابن عباس ان الجائي بالعظم هو عبد
الله بن ابي بن سلول لان السورة والاية مكية باجماع ولان عبد الله بن ابي
لم يجاهر قط هذه المجاهرة وبين قوله فاذا هو خصيم مبين وبين خلقناه
من نطفة جمل محذوفة تبين اكثرها في قوله في سورة المومنين ثم جعلناه

نطفة في تواريكين وانما استعقب قوله فاذا هو خصيم مبين الوصف الذي آل اليه من التمييز
والادراك الذي يتأتى معه الخصام اي فاذا هو بعدما كان نطفة رجل مميز منطيق
قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اي نشأته
من النطفة ذهل عنها او ترك ذكرها على طريق اللدد والمكابرة والاستبعاد
لما يستبعد وقرا زيد بن علي ونسي خالقه اسم فاعل والجمهور خلقه اي نشأته
وسمى قوله من يحيي العظام وهي رميم لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل
وهي انكار قدرة الله على احيا الموتى او لما فيه من التشبيه بخلقه في نفي قدرته
تعالى عن احيا الموتى كما هم عاجزون عن ذلك وقال الزمخشري والرميم اسم
لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع
خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول انتهى واستدل بقوله
قل يحييها على ان الحياة تحلها وهو استدلال ظاهر ومن قال ان الحياة لا تحلها
قال المراد باحيا العظام ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو
بكل خلق عليم يعلم كيفيات ما يخلق لا يتعاظمه شي من المنشآت والمعادات جنسا ونوعا
دقة وجلالة الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ذكر ما هو اغرب من خلق الانسان
من النطفة وهو ابراز الشي من ضده وذلك ابدع شي وهو اقتداح النار من
الشجر الاخضر الا ترى ان الما يطفي النار ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الما
والاعراب توري النار من الشجر الاخضر واكثرها من المرخ والعفار وفي
امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل
السواكين وهما اخضران يقطر منهما الما فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهي انثى فتنقدح النار باذن الله عز وجل وعن ابن عباس ليس شجر الا وفيه
نار الا العناب وقرا الجمهور الاخضر وقرئ الخضرا واهل الحجاز يؤنثون الجنس
المميز واحده بالتاء واهل نجد يذكرونه الا الفاظا استثنيت في كتب النحو ثم ذكر
ما هو ابدع واغرب من خلق الانسان من نطفة ومن اعادة الموتى وهو انشا
هذه المخلوقات العظيمة الغريبة من صرف العدم الى الوجود فقال اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقرا الجمهور بقادر بالجر داخلة
على اسم الفاعل وقرا الجحدري وابن ابي اسحاق والاعرج وسلام ويعقوب
يقدر فعلا مضارعا اي من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما
كان على خلق الاناسي قادرا والضمير في مثلهم عائد على الناس قاله الرماني
وقال جماعة من المفسرين عائد على السموات والارض وعاد الضمير عليهما كضمير
من يعقل من حيث كانت متضمنة من يعقل من الملائكة والثقلين وقال
الزمخشري مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى
السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به انتهى
ويعني انه المعاد هو عين المبتدا ولو كان مثله لم يسم ذلك اعادة بل يكون
انشا مستانفا وقرا الجمهور الخلاق صيغة المبالغة لكثرة مخلوقاته
وقرا الحسن والجحدري ومالك بن دينار وزيد بن علي الخالق اسم فاعل
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون تقدم شرح مثل هذه الجملة
والخلاف في فيكون من حيث القراة نصبا ورفعا فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شي تنزيه عام له تعالى من جميع النقائص وقرا الجمهور ملكوت
وطلحة والاعمش ملكة على وزن شجرة ومعناه ضبط كل شي والقدرة عليه

وقرئ

المفردات

وقرئ مملكة على وزن مفعلة وقرئ ملك والمعنى انه متصرف فيه على ما اراد
وقضى والجمهور ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل الزجر الدفع
عن الشي بتسليط وصياح والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل والغنم اذا
صاح عليها فرجعت لصوته قال الشاعر زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان تختلطن بالغنم
يريد تصويته بها الثاقب الشديد النفاذ اللازب اللازم ما جاوره واللاصق
اللذيذ المستطاب يقال لذ الشي يلذ فهو لذيذ ولذ على وزن فعل كطب قال الشاعر
يريد النوم • تلذ لطعمه وتخال فيه • اذا نبهتها بعد المنام •
وقال • بحديثك اللذ الذي لو كلمت • اسد الفلاة به اتين سراعا •
وقال • ولذ كطعم الصرخدي تركته • بارض العدا من خشية الحدثان •
الغول اسم عام في الاذى يقال غاله كذا وكذا اضره في خفاء ومنه الغيلة في القتل
والغيلة في الرضاع دعا الله الشي هلكه وافسده ومنه الغول التي في اكاذيب العرب
وفي امثالهم الغضب غول الحلم وقال الشاعر مضى اولونا ناعمين بعيشهم
جميعا وغالتني بمكة غول • اي عاقتني عوائق وقال وما زالت الخمر تغتالنا
وتذهب بالاول فالاول انزفت الشارب الخمر وانزف هو ذهب عقله من السكر فهو
نزيف ومنزوف الثلاثي متعد والرباعي لازم نحو كببت الرجل واكب هو وقشعت
الريح السحاب واقشع هو اي ذهب والقشع قال الشاعر وهو الاسود
لعمري لئن انزفتم او صحوتم • لبئس الندامى كنتم آل ابجر • ونزف الشارب بضم
الزاي ونزف اذا نزف المطعون ذهب دمه كله مبنيا للمفعول ونزحت الركية
حتى نزفتها لم يبق فيها ما ويقال انزف الرجل نفد شرابه وانزف سكر
ونفد البيض معروف وهو اسم جنس الواحد بيضة وسمي بذلك لبياضه ويجمع على
بيوض قال الشاعر • بتيها قفر والمطي كانها • قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها •
الزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم انسان تورم ومات منه في اغلب الامر
تنبت في البلاد المجدبة المجاورة للصحراء والتزقم البلع بشدة وجهد شاب
الشي بالشي يشوبه شوبا خلطه ومزجه راغ يروغ روغا مال في خفية ومنه روغة الثعلب
زف اسرع وازف دخل في الزفيف فهمزته ليست للتعدية وازفه حمله على الزفيف
قال الاصمعي فالهمزة فيه للتعدية وقال الشاعر وهو الفرزدق
وجا قريع الشول قبل افالها • يزف وجاءت خلفه وهي زفف •

سورة الصافات بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب
السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السما الدنيا بزينة
الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون
من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه
شهاب ثاقب هذه السورة مكية ومناسبة اولها لاخر يس انه تعالى لما ذكر
المعاد وقدرته على احيا الموتى وانه هو منشيهم واذا تعلقت ارادته بشي كان
ذكر تعالى هنا وحدانيته اذ لا يتم ما تعلقت به الارادة وجودا وعدما الا بكون
المريد واحدا وتقدم الكلام على ذلك في قوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا واقسم تعالى باشيا من مخلوقاته والصافات قال ابن مسعود
وقتادة ومسروق هم الملائكة تصطف في السما في العبادة والذكر صفوفا وقيل

تصف اجنحتها في الهوا واقفة منتظرة لامر الله وقيل من يصف من بني ادم في قتال في
سبيل الله او في صلاة وطاعة وقيل الطير من قوله والطير صافات والزاجرات قال
مجاهد والسدي الملايكة تزجر السحاب وغيرها من مخلوقات الله تعالى وقال
قتادة ايات القران لتضمنه النواهي الشرعية وقيل كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات
التاليات قال مجاهد الملايكة تتلو ذكره وقال قتادة بنو ادم يتلون كلمه
المنزل وتسبيحه وتكبيره قال الزمخشري ويجوز ان يقسم بنفوس العلما العمال الصافات
اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ
والنصايح فالتاليات ايات الله والدارسات شرايعه او بنفوس قواد
الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع
ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل انتهى وقال ما معناه ان الفا العاطفة
في الصافات اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة
للحارث الصابح فالغانم فالايب اي الذي صبح فغنم فاب واما على ترتبها
في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالافضل واعمل الاحسن
فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين
فالمقصرين فاما هنا فان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب
الصافات في التفاضل فاذا كان الموحد الملايكة فيكون الفضل للصف
ثم الزجر ثم التلاوة واما على العكس وان ثلثت الموصوف فترتب في الفضل
فيكون الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا
او على العكس انتهى ومعنى العكس في المكانين انك ترتقي من افضل الى
فاضل الى مفضول او تبدا بالادنى ثم بالفاضل ثم بالافضل وادغم ابن مسعود
ومسروق والاعمش وابو عمرو وحمزة التاات الثلاث والجملة المقسم عليها
تضمنت وحدانيته تعالى اي هو واحد من جميع الجهات التي ينظر فيها المتفكر
ورب خبر بعد خبر على مذهب من يجيز تعداد الاخبار او خبر مبتدا محذوف
وهو امدح اي هو رب وذكر المشارق لانها مطالع الانوار والابصار بها اكلف
وذكرها يغني عن ذكر المغارب اذ ذلك مفهوم من المشارق والمشارق ثلثماية
وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم من مشرق منها وتغرب
في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين واما رب المشرقين ورب
المغربين فباعتبار مشرقي الصيف والشتا ومغربيهما وقال ابن عطية اراد تعالى
مشارق الشمس ومغاربها وهي مائة وثمانون في السنة فيما يزعمون من اطول
ايام السنة الى اقصرها ثم اخبر تعالى عن قدرته بتزيين السما بالكواكب وانتظم
التزيين ان جعلها حفظا وحذرا من الشيطان انتهى والزينة مصدر كالنسبة
واسم لما يزان به الشي كالليقة اسم لما تلاق به الدواة وقرا الجمهور بزينة
الكواكب بالاضافة فاحتمل المصدر مضافا للفاعل اي بان زانت السما بالكواكب
ومضافا للمفعول اي بان زين الله الكواكب واحتمل ان تكون ما يزان به فالكواكب
بيان للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به او يكون
زينت الكواكب من اضواتها واشكالها وقرا ابن مسعود ومسروق بخلاف عنه
وابو زرعة وابن وثاب وطلحة بزينة منونا الكواكب بالخفض بدلا من
زينة وقرا ابن وثاب ومسروق بخلاف عنهما والاعمش وطلحة وابو بكر
بزينة منونا الكواكب نصبا فاحتمل ان يكون بزينة مصدرا والكواكب

مفعولا

مفعولا به كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما واحتمل ان يكون بزينة مصدرا والكواكب
بدلا من السما اي زينا كواكب السما وقرا زيد بن علي بتنوين زينة ورفع الكواكب على
اضمار مبتدا اي هو الكواكب او على الفاعلية بالمصدر اي بان زينت الكواكب ورفع الفاعل
بالمصدر المنون زعم الفرا انه ليس بمسموع واجاز البصريون ذلك على قلة وقال ابن عباس
بزينة الكواكب بضوء الكواكب قيل ويجوز ان يراد اشكالها كشكل الثريا وبنات
نعش والجوزا وغير ذلك ومطالعها ومساريها وخص السما الدنيا بالذكر لانها التي
تشاهد بالابصار والحفظ من الشياطين انما هو فيها وحدها وانتصب وحفظا
على المصدر اي وحفظناها او على المفعول من اجله على زيادة الواو او على تاخير
العامل اي ولحفظها زيناها بالكواكب او على الحمل على معنى ما تقدم لان المعنى انا
خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا وكل هذه الاقوال منقولة والمارد تقدم
شرحه في قوله شيطانا مريدا في النسا وهناك جاء مريدا وهنا مارد مراعاة
للفواصل لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام منقطع مبتدا اقتصاص لما عليه
المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب
مبعدون عن ذلك الا من امهل حتى خطف الخطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله
الملايكة باتباع الشهاب الثاقب ولا يجوز ان يكون لا يسمعون صفة ولا استينافا جوابا
لسايل سال لم تحفظ من الشياطين لان الوصف بكونهم لا يسمعون والجواب لا معنى للحفظ
من الشياطين على تقديرهما اذ يصير المعنى مع الوصف وحفظا من كل شيطان مارد غير
سامع او مستمع وذلك لا يستقيم مع كونه جوابا او قول من قال ان الاصل لان لا يسمعون
فحذفت اللام وان فارتفع الفعل فقول متعسف يصان كلام الله عنه وقرا الجمهور
لا يسمعون بنفي سماعهم وان كانوا يسمعون لقوله انهم عن السمع لمعزولون وعداه بالى
لتضمنه معنى الاصغا وقرا ابن عباس بخلاف عنه وابن وثاب وعبد الله بن مسلم
وطلحة والاعمش وحمزة والكساي وحفص بشد السين والميم بمعنى لا يتسمعون ادغمت
التا في السين وتقتضي نفي السمع وظاهر الاحاديث انهم يتسمعون حتى الان لكنهم
لا يسمعون وان سمع احدهم شيا لم يفلت ذلك الشهاب قبل ان يلقي ذلك السمع الى الذي
تحته لان السما حرست حرسا شديدا منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان الرجم في الجاهلية اخف فلما كانت ثمرة التسمع هو السمع وقد انتفى السمع نفي التسمع
في هذه القراة لانتفا ثمرته وهو السمع والملا الاعلى هم الملايكة والانس والجن هم
هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض وقال ابن عباس هم اشراف الملايكة وعنه
كتابهم ويقذفون يرمون ويرجمون من كل جانب اي من كل جهة يصعدون الى السما
منها والمرجوم بها هي التي يراها الناس تنقض وليست بالكواكب الجارية في السما
لان تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا قاله مكي والنقاش
وقرا محبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للفاعل ودحورا مصدر في موضع الحال
قال مجاهد مطرودين او مفعول من اجله اي ويقذفون للطرد او مصدر ليقذفون لانه متضمن
معنى الطرد اي ويدحرون من كل جانب دحورا او يدحرون من كل جانب قذفا فاما ان
يكون التجوز في ويقذفون واما في دحورا وقرا علي والسلمي وابن ابي عبلة والطبراني
عن رجاله عن ابي جعفر دحورا بنصب الدال اي قذفا دحورا ويجوز ان يكون مصدرا كالقبول
والولوع الا ان هذه الالفاظ ذكر انها محصورة والواصب الدايم قاله السدي وابو صالح وقتادة

في سورة الحجر وقيل الوصب النعب وصوبا دائما وفي التفاسير الموجع ومنه الوصب ذلك المعنى انهم في الدنيا مرجومون وفي الاخرة معذبون ويجوز ان يكون هذا العذاب الدائم لهم في الدنيا وهو رجمهم دائما وعدم بلوغهم ما يقصدونه من استراق السمع الا من خطف الخطفة من بدل من الضمير في لا يسمعون ويجوز ان يكون منصوبا على الاستثناء اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف وقرا الجمهور خطف ثلاثيا بكسر الطاء وقرا الحسن وقتادة بكسر الخاء والطاء مشددة قال ابو حاتم ويقال انها لغة بكر بن وائل وتميم بن مرة وقرئ خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة ونسبها ابن خالويه الى الحسن وقتادة والحسن وعيسى وعن الحسن ايضا التخفيف في حالتي الفتح والكسر واصله في القراءتين اختطف فقرا الاولى لما سكنت التاء للادغام والخاء ساكنة كسرت الالتقاء الساكنين فذهبت الف الوصل وكسرت الطاء اتباعا لحركة الخاء وعن ابن عباس خطف بكسر الخاء والطاء مخففة اتبع حركة الخاء لحركة الطاء كما قالوا نعم وقرئ فاتبعه مخففا ومشددا والثاقب قال السدي وقتادة هو النار قد يضوه وشعاعه النيره فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اانا لمبعوثون او اباونا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون الاستفتاء نوع من السوال والهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي في الاصل لمعنى الاستفهام اي فاسالهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاسد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته وعادل في هذا الاستفهام التقريري في الاشدية بينهم وبين من خلق من غيرهم من الامم من الجن والملائكة والافلاك والارضين وفي مصحف عبد الله ام من عددنا وهو تفسير لمن خلقنا اي ام عددناه من الصافات وما بعدها من المخلوقات وغلب العاقل على غيره في قوله من خلقنا من غرايب في خلقنا ولم يذكر متعلق الخلق اكتفاء ببيان ما تقدمه وكانه قال ام من خلقنا من غرايب المصنوعات وعجايبها وقرا الاعمش امن بتخفيف الميم دون ام جعله استفهاما ثانيا تقريرا ايضا فهما جملتان مستقلتان في التقرير ومن مبتداة والخبر محذوف تقديره اشد فعلى ام من تقديره واحد ونظيره أانتم اشد خلقا ام السماء وقال الزمخشري واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على يحتمل اقوى معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى ان هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا اءذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث انتهى والذي يظهر الاحتمال الاول وقيل ام من خلقنا من الامم الماضية كقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا وقولهم من اشد منا قوة واضاف الخلق من الطين اليهم والمخلوق منه هو ابوهم ادم اذ كانوا نسله وقال الطبري خلق ابن ادم من تراب وماء ونار وهواء وهذا كله اذا خلط صار طينا لازبا يلزم ما جاوره وعن ابن عباس عن اللازب بالجاري الكريم وقرئ الجمهور بل عجبت بتاء الخطاب اي من قدرة

وكانوا لهم

الله على هذه الخلايق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من اثار قدرة الله او عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث او عجبت من اعراضهم عن الحق وعماهم عن الهدى وان يكونوا كافرين مع ما جئتهم به من عند الله وقرا حمزة والكسائي وابن سعدان وابن مقسم بتاء المتكلم ورويت عن علي وعبد الله وابن عباس والنخعي وابن وثاب وطلحة وشقيق والاعمش وانكر شريح القاضي هذه القراءة وقال ان الله لا يعجب فقال ابراهيم كان شريح معجبا بعلمه وعبد الله اعلم منه يعني عبد الله بن مسعود والظاهر ان ضمير المتكلم هو الله تعالى والعجب لا يجوز على الله تعالى لانه روعة تعتري المتعجب من الشيء وقد جاء في الحديث اسناد العجب الى الله تعالى وتؤول على انه صفة فعل يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه من تعظيم او تحقير حتى يصير الناس متعجبين منه فالمعنى بل عجبت من ضلالتهم وسوء نحلتهم وجعلتها للناظرين فيها وفيما اقترنوا فيها من شرعي وهداي متعجبا وقال الزمخشري اي بلغ من عظيم اياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهولاء لجهلهم وعنادهم يسخرون من اياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه قال ويجرد العجب لمعنى الاستفهام او تجريد التعجب لمعنى الاستعظام وقيل هو ضمير الرسول اي قل بل عجبت قاله مكي وعلي بن سليمان وهم يسخرون من نبوتك والحق الذي عندك واذا ذكروا وعظوا لا يذكرون اي لا يتعظون وذكر جناح بن حبيش ذكروا بتخفيف الكاف وروي انه ركانة رجلا من المشركين من اهل مكة لقيه الرسول في جبل خال يرعى غنما له وكان من اقوى الناس فقال له يا ركانة ارايت ان صرعتك اتومن بي قال نعم فصرعه ثلاثا ثم عرض عليه ايات من دعا شجرة واقبالها فلم يومن وجا الى مكة فقال هاشم ساحروا بصاحبكم اهل الارض فنزلت فيه وفي نظرايه واذا راوا اية يستسخرون بالخاء المهملة قال مجاهد وقتادة يستسخرون يكون استفعل بمعنى المجرد وقد فيه معنى الطلب اي يطلبون ان يكونوا ممن يسخروا وقال الزمخشري يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض اي يسخروا بها وقرئ يستسخرون بالحاء المهملة وهي عبارة عن ما قالوا ان كانه لا يسخر الرسول والاشارة بهذا الى ما ظهر على يديه عليه السلام من الخارق المعجز وتقدم الخلاف في كسر ميم متنا وضمها ومن قرا اذا بالاستفهام فجواب اذا محذوف اي نبعث ويدل عليه انا لمبعوثون او يعدي عن الشرط ويكون ظرفا محضا ويقدر العامل نبعث اذا متنا وقرا الجمهور او اباونا بفتح الواو في او وقرا ابو جعفر وشيبة وابن عامر ونافع في رواية قالون بالسكون فهو حرف عطف ومن فتح قال الواو حرف عطف دخلت عليه همزة الاستفهام قال الزمخشري او اباونا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباونا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل انتهى اما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب سيبويه خلافه لان قولك ان زيدا قائم وعمرو فيه مرفوع على الابتداء وخبره محذوف واما قوله او على الضمير في مبعوثون الى اخره

فلا يجوز عطفه على الضمير لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل لا على المفرد لانه اذا عطف على المفرد
كان الفعل عاملا في المعطوف بوساطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما بعدها
ما قبلها فقوله اواباؤنا مبتدا خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله
فاذا قلت اقام زيد او عمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر لما ذكرنا والاستفهام يتضمن انكارا
واستبعادا امر الله نبيه ان يجيبهم بنعم وانتم داخرون اي صاغرون وهي جملة
حالية العامل فيها محذوف تقديره نعم تبعثون وانتم داخرون في حال انه تعمهم
وهم ملتبسون بالصغار والذل وقرا ابن وثاب نعم بكسر العين وتقدم الخلاف
فيها في سورة الاعراف وهي كناية عن البعثة اي فانما بعثتهم زجرة اي صيحة وهي
النفخة الثانية لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت اياها مجازا وقال
الزمخشري هي مبهمة يوضحها خبرها انتهى وكثيرا ما يقول هو وابن مالك ان الضمير
يفسره الخبر وجعل من ذلك ان هي الا حياتنا الدنيا وتكلمنا معه في
ذلك في شرح التسهيل وقال الزمخشري فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان
ذلك فما هي الا زجرة واحدة انتهى وكثيرا ما يضمن جملة الشرط قبل فا اذا ساغ
تقديرها ولا ضرورة تدعو الى ذلك ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم
الفعل في الذي يطلق عليه انه جواب الامر والنهي وما ذكر معهما على قول بعضهم
اما ان تك فلا يجوز حذفه وينظرون من النظر اي فاذا هم بصراء ينظرون
او من الانتظار اي فاذا هم ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به والظاهر
ان قوله يا ويلنا من كلام بعض الكفار لبعض الى اخر الجملتين اقروا بانه يوم الجزاء
وانه يوم الفصل وخاطب بعضهم بعضا ووقف ابو حاتم على قوله يا ويلنا
وجعل هذا يوم الدين الى اخره من قول الله لهم او الملايكة وقيل هذا يوم
الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل ليس من كلامهم وانما المعنى يقال لهم
هذا يوم الفصل ويوم الدين يوم الجزاء والمعاوضة ويوم الفصل يوم الفرق
بين فرق الهدى وفرق الضلال وفي الذي كنتم به تكذبون توبيخ لهم
وتقريع احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون
بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم
تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون
فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك
نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين
انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون امر واحشروا
من الله للملايكة او خطاب الملايكة بعضهم لبعض اي اجمعوا الظالمين ونساءهم
الكافرات قاله ابن عباس ورجحه الرماني وقال النعمان وقرناءهم قاله عمر وابن
عباس ايضا وقتادة واشباههم من العصاة واهل الزنا مع اهل الزنا واهل
السرقة مع اهل السرقة او وقرناءهم الشياطين وقرا عيسى بن سليمان الحجازي
وازواجهم مرفوعا عطفا على ضمير ظلموا اي وظلم ازواجهم فاهدوهم اي عرفوهم

وتودهم

وتودهم الطريق الى النار حتى يسلكوها والجحيم طبقة من طبقات جهنم وقفوهم كما قال ولو
ترى اذ وقفوا على النار وقفوهم توبيخ لهم انهم مسئولون وقرا عيسى انهم بفتح الهمزة
قال عبد الله يسالون عن شرب الماء البارد على طريق الهزء بهم وعنه ايضا يسالون
عن لا اله الا الله وقال الجمهور عن اعمالهم ويوقفون على قبحها وفي الحديث
لا تزول قدما عبد حتى يسال عن خمس شبابه فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن
ماله كيف كسبه وفيما انفقه وعن ما عمل فيما علم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون
المعنى على نحو ما فسر بقوله ما لكم لا تناصرون اي انهم يسالون عن امتناعهم عن
التناصر وهذا على سبيل التوبيخ في الامتناع وقال الزمخشري هذا تهكم بهم وتوبيخ
لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
وقال الثعلبي ما لكم لا تناصرون جواب ابي جهل حين قال في بدر نحن جميع منتصر
وقرى لا تتناصرون بتاءين وبتاء واحدة وبتاء مدغمة احداهما في الاخرى بل هم
اليوم مستسلمون اي قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكل واحد منهم مستسلم
غير منتصر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قتادة هم جن وانس وتساؤلهم على
معنى التقريع والندم والسخط قالوا اي قالت الانس للجن قاله مجاهد وابن زيد
او ضعفة الانس للكفرة كبرايهم وقادتهم واليمين الجارحة وليست مرادة هنا فقيل
استعيرت لجهة الخير او للقوة والشدة او لجهة الشهوات ولجهة التمويه والاغواء واظهار
ما اسررتموه او الحلف ولكل من هذه الاستعارات وجه فاما استعارتها لجهة الخير
فلان الجارحة اشرف العضوين وايمنها وكانوا يتيمنون بها حتى في السانح ويصافحون
ويماسحون ويناولون ويتناولون بها اكثر الامور ويباشرون بها افاضل الاشيا
وجعلت لكاتب الحسنات ولاخذ المومن كتابه بها والشمال بخلاف ذلك واما استعارتها
للقوة والشدة فانها يقع بها البطش فالمعنى انكم تغروننا بقوتكم وتحملوننا على
طريق الضلال واما استعارتها لجهة الشهوات فلان جهة اليمين هي الجهة الثقيلة
من الانسان وفيها كبده وجهة شماله فيها قلبه ومكره وهي اخف والمنهزم يرجع على
شقه الايسر اذ هو اخف شقيه واما استعارتها لجهة التمويه والاغواء فكانهم شبهوا
اقوال المغوين بالسوانح التي هي عندهم محمودة كان التمويه في اغوائهم اظهر ما يحمدونه
واما الحلف فانهم يحلفون لهم ويأتونهم ايمان المقسمين على صحة ما يتبعونهم
فيه قالوا اي المخاطبون انما الحق واما قادة الكفر بل لم تكونوا مومنين اي لم تكونوا
على الكفر بل انتم من ذواتكم ابيتم الايمان وقال الزمخشري واعرضتم مع تمكنكم
واختياركم بل كنتم قوما طاغين غير ملجئين وما كان لنا عليكم من تسلط
نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان انتهى ولفظة
التمكن والاختيار الفاظ المعتزلة جريا على مذهبهم فحق علينا قول ربنا اي
لزمنا قول ربنا اي وعيده لنا بالعذاب والظاهر ان قوله انا لذائقون
اخبار منهم انهم ذائقون العذاب جميعهم الروسا والاتباع وقال الزمخشري
فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله باننا ذائقون لعذابه لا محالة
لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم
لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم
ونحوه قول القايل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك
ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال

المحلف على المحلف له اي فاغويناكم دعوناكم الى الغي فاجبتم لنا باختياركم فانكم كنتم غاوين فاردنا
ان تشاركونا في الغي فانهم يومئذ في العذاب مشتركون اي يوم اذ تساءلوا وتراجعوا في القول انهم
اجا رسه تعالى كما اشتركوا في الغي اشتركوا فيما ترتب عليه من العذاب انا كذلك اي مثل هذا الفعل
نفعل بالمجرمين نفعل بكل مجرم لترتيب على اجرامه عذابه ثم ابرز عنهم ما كان اجرامهم وهو الشرك بالله واستكبارهم
عن توحيده وافراده بالالهية ثم ذكر عنهم ما ابدوا به في الرسول وهو نسبته الى الشعر والجنون
وانهم لم يتركوا الهتهم له وكان به محجوا بين انكار الوحدانية وانكار الرسول ولو
لم يكن مجنون تخلط في كلامهم وارتباك في غيهم فان الشاعر عنده من الفهم والحذق وجودة
الادراك ما يتطرق به للمعاني الغريبة ويصوغها في قالب الالفاظ البديعة ومن كان مجنونا لا يصل
الى شيء من ذلك ثم اضرب تعالى عن كلامهم واخبر بانه جا بالحق وهو الثابت الذي لا يلحقه اضمحلال
فليس ما جا به شعرا بل هو الحق الذي لا شك فيه ثم اخبر انه صدق من تقدمه من المرسلين اذ هو وهم على طريقة واحدة
في دعوى الامم الى التوحيد وترك عبادة غيره وقرا عبد الله وصدق بتخفيف الدال المرسلون بالواو رفعا اي وصدق المرسلون في
التبشير به وفي انه ياتي اخرهم وقرا الجمهور لذائقوا العذاب بحذف النون للاضافة وابو السمال وابان
عن ثعلب عن عاصم بحذفها للالتقاء التنوين ونصب العذاب كما حذف بعضهم التنوين كذا
في نزلة من قرا احد الله ونقل ابن عطية عن ابي السمال انه قرا لذائقونا العذاب بالنصب وتخرج
على ان النون لم يحذف الا انه الحق والالف تطابق المرد وضمير الجمع في انكم وقود الشاعر
في العين غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون بالنون العذاب بالنصب
وما دون الا جزاء مثل عملكم اذ هو عمل غير عملكم الا عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق
معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم
بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون
وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول اانك لمن المصدقين
ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع
فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من
المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين
ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون الا عباد الله استثنا
منقطع لما ذكر من احوال الكفار وعذابهم ذكر شيئا من احوال المؤمنين والمخلصين صفة
مدح لان كونهم عباد الله يلزم منه ان يكونوا مخلصين ووصف رزق بمعلوم اي
عندهم فقد قرت عينهم بما يستدر عليهم من الرزق وبان شهواتهم لا تاتيهم بحسبها
وقال الزمخشري معلوم بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة لذة وحسن منظر
وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم
الجنة وقوله في جنات يابا اباه انتهى فواكه بدل من رزق وهي ما يتلذذ به ولا يتقوت
لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالاقوات لانهم
اجسام محكمة مخلوقة للابد فكلما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ وقرا ابن مقسم
مكرمون بفتح الكاف مشدد الراء ذكر اولا الرزق وهو ما يتلذذ به الاجسام وثانيا
الاكرام وهو ما يتلذذ به النفوس ورزق باهانة تنكيد ثم ذكر المحل الذي هم
فيه وهو جنات النعيم ثم اشرف المحل وهو السرر ثم لذة التانس بان بعضهم يقابل
بعضا وهو اتم السرور وانسه ثم المشروب وانهم لا يتناولون ذلك لانفسهم بل يطاف
عليهم

عليهم بالكؤوس ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء الفاسد ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية
وختم بها كما بدا باللذة الجسمانية من الرزق وهي ابلغ الملاذ وهي التانس بالنسا وقرا
الجمهور على سرر بضم الراء وابو السمال بفتحها وهي لغة بعض تميم وكلب يفتحون ما كان جمعا
على فعل من المضعف اذا كان اسما واختلف النحويون في الصفة فمنهم من فتحها
على الاسم فيقول ذلل بفتح اللام على تلك اللغة الثانية في الاسم ومنهم
من خص ذلك بالاسم وهو مورد والسماع في تلك اللغة وقيل التقابل لا ينظر
بعضهم الى قفا بعض وفي الحديث انه في احيان ترفع عنهم ستور فينظر بعضهم
الى بعض ولا محالة ان احوالهم هم فيها من قصورهم ويطاف مبني للمفعول
وحذف الفاعل وهو المثبت في اية اخرى في قوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون
ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم ولعلهم ماتوا صغارا واولاد المشركين قبل
التكليف ففي صحيح البخاري انهم خدم اهل الجنة والكاس ما كان من الزجاجة
فيه خمر ونحوه من الانبذة ولا يسمى كاسا الا وفيه ذلك وقد يسمى الخمر نفسها
كاسا تسمية الشيء باسم محله قال وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها
وقال ابن عباس والضحاك والاخفش كل كاس في القرآن فهو خمر وقيل الكاس هي
بحيث في الاواني وهو كل ما تسع فيه ولم يكن له مقبض ولا يراد به كونه
خمرا ولا من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه
الارض كما يجري الما وبيضاء صفة للكاس او للخمر وقال الحسن خمر الجنة
اشد بياضا من اللبن وفي قراءة عبد الله صفرا كما قال بعض المولدين
صفرا لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سرا
ولذة صفة بالمصدر على سبيل المبالغة او على حذف اي ذات لذة او على تانيث
لذ بمعنى لذيذ لا فيها غول قال ابن عباس وقتادة هو صداع في الراس وقال
ابن عباس ايضا ومجاهد وابن زيد وجع في البطن انتهى والاسم يشمل انواع
الفساد الناشئة عن شرب الخمر ينتفي بعضها من مغص وصداع وخمار وعربدة
ولغو وتاثيم ونحو ذلك ولما كان السكر اعظم مفاسدها افرده بالذكر فقال
ولا هم عنها ينزفون وقرى الحرميان والعربيان بضم اليا وفتح الزاي
هنا وفي الواقعة من ذهاب العقل قرأه ابن عباس ومجاهد وقتادة وحمزة
والكسائي بكسرها فيهما وعاصم بفتحها هنا وكسرها في الواقعة وابن ابي اسحاق
بفتح اليا وكسر الزاي وطلحة بفتح اليا وضم الزاي قال ابن عباس ومجاهد
وابن زيد قاصرات الطرف قصرن الطرف على ازواجهن لا يمتد طرفهن
الى اجنبي كقوله تعالى عربا وقال الشاعر
من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا
والعين جمع عينا وهي الواسعة العين في جمال كانهن بيض مكنون شبههن
قال الجمهور ببيض النعام المكنون في عشه وهو الادحية ولونها بياض فيه
صفرة حسنة وبها تشبه النسا فقال بيضات الخدور ومنه قول امرئ القيس
وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
كبكر مقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل
وقال السدي وابن جبير شبه الوان بلون قشر البيضة الداخل وهو غرقي البيضة

وهو المكنون في كنه بجلد الطير وقال الجاحظ قشر البيضة فليس يكون من بين معاني البيض
المكنون للجوهر المصون واللفظ سوا عن هذا القول وقالت فرقة هو تشبيه عام بجملة
المراة بجملة البيضة اراد بذلك تناسب اجزا المراة وان كان كل جزء منها نسبته في الجودة
الي نوعه نسبة الاخر من اجزائها الي نوعه فنسبة شعرها الي عينها مستوية اذ هو غاية
في نوعه والبيضة اشد الاشيا تناسب اجزا لانك من حيث جيتها فالنظر واحد كما
قال بعض الادبا تشبيهها تناسب الاعضا فيه فلا ترى بهن اختلافا بل اتين على قدر
دنسالهم في الجنة قال اخذ بعضهم يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا والايمان وثمرته
وبا قبل معطوف على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحدثون على الشراب كعادة
الشراب في الدنيا **قال الشاعر** وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
وجي به ماضيا لصدق الاخبار به فكانه قد وقع ثم حكي تعالى عن بعضهم ما حكي وتذكر
بذلك نعم الله تعالى عليه حيث هداه الى الايمان واعتقاد وقوع البعث والثواب والعقاب
وهو مثال للتحفظ من قرنا السو والبعد منهم قال ابن عباس وغيره كان هذا القايل وقرينه
من البشر وقالت فرقة هما اللذان في قوله يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقال مجاهد
كان انسا وجنيا من الشياطين الكفرة **وقرا** الجمهور من المصدقين بتخفيف الصاد
من التصديق وفرقة بشدها من التصدق قال فرات بن ثعلبة البهراني كان له شريك
بثمانية الاف درهم يعبد الله احدهما ويقتصد من التجارة والنظر والاخر كافر مقبل على ماله
فانفصل من شريكه ليقتصر فلما اشترى دارا وجارية وبستانا ونحو ذلك عرضه على المؤمن
وفخر عليه فيتصدق المومن بنحو من ذلك ليشتري به في الجنة فكان من امرهما في الاخرة
ما قصه الله وقال الزمخشري نزلت في رجلين تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض
اخوانه فقال واين مالك فقال تصدقت به ليعوضني الله في الاخرة خيرا منه فقال انك لمن
المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيا انا لمدينون
قال ابن عباس وقتادة والسدي مجازون محاسبون وقيل لمسوسون مربوبون يقال
دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه والظاهر ان الضمير في قال هل انتم
عائد على قايل في قوله قال قايل منهم وفي الكلام حذف تقديره فقال لهذا القايل حاضروه
من الملايكة ان قرينك هذا في جهنم يعذب فقال عند ذلك هل انتم مطلعون والخطاب
في هل انتم يجوز ان يكون للملايكة وان يكون لرفقايه في الجنة الذين كان يحدثهم ابا هم
يسالون او لخدمته وهذا هو الظاهر لما كان قرينه ينكر البعث علم انه في النار فقال
هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين وعلى هذا القول لا يحتاج الكلام الى
حذف ولا القول للملايكة ان قرينك في جهنم يعذب وقيل انه في الجنة كوى ينظر
اهلها منها الى اهل النار وقيل القايل هل انتم مطلعون الله تعالى وقيل بعض الملايكة
يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار
وقرا الجمهور مطلعون بتشديد الطا المفتوحة وفتح النون فاطلع بشد الطا
فعلا ماضيا **وقرا** ابو عمرو في رواية حسين الجعفي مطلعون باسكان الطا وفتح
النون فاطلع بضم الهمزة وسكون الطا وكسر اللام فعلا ماضيا مبنيا للمفعول
وهي قراة ابن عباس وابن محيصن وعمار بن ابي عمار وابي سراج **وقرئ**
مطلعون بشد الطا فاطلع مشددا مضارعا منصوبا على جواب الاستفهام **وقرئ**
مطلعون بالتخفيف فاطلع مخففا فعلا ماضيا وفاطلع مخففا مضارعا منصوبا
وقرا

وقرا ابو البرهسم وعمار بن ابي عمار فيما ذكره خلف عن عمار مطلعون بتخفيف الطا وكسر النون
فاطلع ماضيا مبنيا للمفعول ورد هذه القراة ابو حاتم وغيره لجمعها بين نون الجمع ويا
المتكلم والوجه مطلعي كما قال او مخرجي هم ووجهها ابو الفتح على تنزيل اسم الفاعل
منزلة المضارع وانشد الطبري على هذا **قول الشاعر**
وما ادري وظني كل ظن ۞ اسلمني الى قومي شراح ۞
قال الفرا يريد شراحيل وقال الزمخشري اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع
المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه ۞ او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع
لتاخي بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر انتهى فالتخريج
الثاني تخريج ابي الفتح وتخريجه الاول لا يجوز لانه ليس من مواضع الضمير المنفصل
فيكون المتصل وضع موضعه لا يجوز هند زيد ضارب اياها ولا زيد ضارب
اياي وكلام الزمخشري يدل على جوازه فالاولى تخريج ابي الفتح وقد جاء منه
اسلمني الى قومي شراح **وقول الاخر** فهل فتى من سراة القوم يحملني
وليس حاملني الا ابن حمال **وقول الاخر** وليس بمعييني وفي هذه ابيات
يثبت التنوين فيها مع يا المتكلم فكذلك تثبت نون الجمع معها اجرا للنون مجرى
التنوين لاجتماعهما للسقوط في الاضافة ويقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى واحد
ومن قرا فاطلع مبنيا للمفعول فضمير القايل الرائي وهو المفعول الذي لم
يسم فاعله وهو متعد بالهمزة اذ يقول طلع زيد واطلعه غيره وقال صاحب
اللوامح واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا اقبل وجا ومعنى ذلك هل انتم مطلعون
فاقبل وان اضمر المصدر فيه مقام الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع او حرف الجر المحذوف
اي فاطلع به لان اطلع لازم كما ان اقبل كذلك انتهى وقد ذكرنا ان اطلع يعدى
بالهمزة من طلع اللازم واما قوله او حرف الجر المحذوف اي فاطلع به فهذا
لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لانه نايب عن الفاعل فكما
ان الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله فكذلك هذا لو قلت زيد ممرور او مغضوب
تريد به او عليه لم يجز وسط الجحيم وسطها تقول تعبت حتى انقطع سوائي وقال
عيسى بن عمر لابي عبيدة كنت اكتب حتى انقطع سوائي وقال عيسى بن عمر لابي عبيدة
كنت اكتب حتى ينقطع سوائي قال ابن عباس سمي سواء لاستوا المسافة منه الى الجوانب بعني
سوا الجحيم وقال خليد العصري راه قد تبدلت حاله فلولا ما عرفه الله به لم يعرفه
قال له عند ذلك تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني باغوايك وان مخففة من
الثقيلة يلتقي بها القسم وتالله قسم فيه التعجب من سلامته منه اذ كان قرينه
قارب ان يرديه ولولا نعمة ربي وهي توفيقه للايمان والبعد من قرين السو
لكنت من المحضرين للعذاب كما احضرته انت وامثالك **وقرا** زيد بن علي
بما ميتين والظاهر انه من كلام القايل يسمع قرينه على جهة التوبيخ له اي لسنا اهل
الجنة بميتين الا موتتنا الاولى كانت لنا في الدنيا بخلاف اهل النار فانهم في
كل ساعة يتمنون فيها الموت وما نحن بمعذبين بخلاف اهل النار بل نحن منعمون
دايما ويكون في خطابه ذلك متكلما به تقريعا لقرينه بما انعم الله به عليه من
دخوله الجنة مغطا له ببيان حاله في الاخرة كما كانت بينهما في الدنيا دار
ما كان يقوله فيها في الدنيا من انه ليس بعد الموت شي اظهر له فلانه يعذب

يكفر بالله وانكار البعث ويجوز ان يكون خطابا من القايل لرفقايه لا يرى ما نزل بقرينه وقد تم
على نعمة الله تعالى عليهم في ديمومة خلودهم في الجنة ونعيمهم فيها ويتصل قوله ان هذا الى
قوله العاملون بهذا التاويل ايضا لا وامتحاطا بالرفقايه ويجوز ان يكون تم
كلامه عند قوله لتردين ويكون افما نحن الى بمعذبين من كلامه وكلام رفقايه
وكذلك ان هذا الى العاملون اي ان هذا الامر الذي نحن فيه من النعيم والنجاة
من النار وقيل هو من قول الله تعالى تقرير لقولهم وتصديقا له وخطابا لرسول
الله وامته ويقوي هذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون والاخرة ليست بدار عمل
ولا يناسب ذلك قول المومن في الاخرة الا على تجوز كانه يقول لمثل هذا ينبغي ان يعمل العاملون
وقال الزمخشري الذي عطف عليه الفا محذوف معناه انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين ولا معذبين انتهى وقد تقدم من مذهبه انه اذا تقدمت همزة الاستفهام
وجا بعدها حرف العطف يضمر ما يصح به اقرار الهمزة والحرف في محلهما اللذين وقعا
فيهما ومذهب الجماعة ان حرف العطف هو المتقدم في التقدير والهمزة بعده ولكنه
لما كانت الهمزة لها صدر الكلام قدمت فالتقدير عند الجماعة فما ما وقد رجع الزمخشري
الى مذهب الجماعة وتقدم الكلام معه في ذلك اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رووس
الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا
من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباهم ضالين فهم على اثارهم
يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح
فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم
الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين لما انقضت قصة
المومن وقرينه وكان ذلك على سبيل الاستطراد من شي الى شي عاد الى ذكر الجنة
والرزق الذي اعد الله فيها لاهلها فقال اذلك الرزق خير نزلا والنزل ما يعد
للاضياف وعادل بين ذلك الرزق وبين شجرة الزقوم فالرزق المعلوم يحصل
به اللذة والسرور وشجرة الزقوم يحصل بها الالم والغم فلا اشتراك بينهما في الخيرية
والمراد تقرير قريش والكفار وتوقيفهم على شيين احدهما فاسد ولو كان الكلام
استفهاما حقيقة لم يجز اذ لا مومن يعتقد ان في شجرة الزقوم خيرا حتى يعادل بينها
وبين رزق الجنة ولكن المومن لما اختار ما ادى الى رزق الجنة والكافر اختار
ما ادى الى شجرة الزقوم قيل ذلك توبيخا للكافرين وتوقيفا على سو اختيارهم
انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ومجاهد والسدي ابو جهل ونظراوه لما
نزلت قال للكفار يخبر محمد عن النار انها تنبت الاشجار وهي تاكلها وتذهبها ففتنوا
بذلك انفسهم وجهلة اتباعهم وقال ابو جهل انما الزقوم التمر بالزبد ونحن نتزقمه
وقيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها واستعير الطلع وهو للنخلة
لما تحمل هذه الشجرة وشبه طلعها بثمر شجرة معروفة يقال لثمرها رووس الشياطين
وهي بناحية اليمن يقال لها الاستن وذكرها النابغة في قوله

تحيد عن استن سود اسافله • مشي الاما الغوادي تحمل الحزما

وهو

وهو شجر خشن منكر الصورة سميت ثمرته العرب بذلك تشبيها برووس الشياطين ثم صار امثالا
يشبه به وقيل هو شجر يقال له الصوم ذكرها ساعدة بن جوية الهذلي في قوله
من كل … الصوم يرقبها من المعارب مخطوف الحشا زرم • وقيل الشياطين
صنف من الحيات ذوات اعراف ومنه • عجيز تحلف حين احلف • كمثل شيطان الحماط اعرف •
وقيل شبه بما استقر في النفوس من كراهة رووس الشياطين وقبحها وان كانت غير
مرئية ولذلك يصورون الشيطان في اقبح الصور واذا راوا اشعث منتفش الشعر
قالوا كانه وجه شيطان وكان راسه راس شيطان وهذا بخلاف الملك يشبهون
به الصورة الحسنة وكما شبه امرو القيس المسنونة الزرق بانياب الغول في قوله
ومسنونة زرق كانياب اغوال • وان كان لم يشاهد تلك الانياب وهذا كله
تشبيه تخييلي والضمير في منها يعود على الشجرة اي من طلعها وقرا الجمهور لشوبا
بفتح الشين وشيبان النحوي بضمها قال الزجاج الفتح للمصدر والضم للاسم يعني
انه فعل بمعنى مفعول اي مشوب كالنقض بمعنى المنقوض وفسر بالخلط والحميم
الما السخن جدا وقيل يراد به هنا شرابهم الذي هو طينة الخبال صديدهم وما
ينماع منهم ولما ذكر انهم مليون بطونهم من شجرة الزقوم بالجوع الذي يلحقهم او لا
كراههم على الاكل وملي البطون زيادة في عذابهم ذكر ما يسقون لغلبة العطش
وهو ما يمزج لهم من الحميم ولما كان الاكل يعقبه ملي البطن كان العطف بالفا في
قوله فمالئون ولما كان الشرب يكثر تراخيه عن الاكل اتى بلفظ ثم المقتضية
للمهلة او لما امتلات بطونهم من ثمر الشجر وهو حار احرق بطونهم وعطشهم فاخر
سقيهم زمانا ليزدادوا بالعطش عذابا الى عذابهم ثم سقوا ما هو احر والم واكره
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم لما ذهب بهم من منازلهم التي اسكنوها في النار الى شجرة
الزقوم للاكل والتملو منها والسقي من الحميم وتراخي رجوعهم الى منازلهم
دخلت ثم للدلالة على ذلك والرجوع دليل على الانتقال في وقت الاكل والشرب
الى مكان غير مكانهم ثم ذكر تعالى حالهم في تقليد ابايهم والضمير لقريش وان ذلك
التقليد كان سببا لاستحقاقهم تلك الشدايد اي وجدوا اباهم ضالين فاتبعوهم
على ضلالتهم مسرعين في ذلك لا يثبطهم شي ثم اخبر بضلال اكثر من تقدم من
الامم وهذا لما خلت ازمانهم من ارسال الرسل وانذارهم غولبت التكذيب وفي
قوله فانظر ما يقتضي اهلاكهم وسو عاقبتهم واستثنى المخلصين من عباده وهم
الاقل المقابل لقوله اكثر الاولين والمعنى الا عباد الله فانهم نجوا ولما ذكر ضلال
الاولين ذكر اولهم شهرة وهم قوم نوح عليه السلام متضمنا انتباهه الدعا
على قومه وسواله النجاة وطلب النصرة واجابه تعالى في كل ذلك لاجابة بلغ بها
مراده واللام في فلنعم جواب قسم كقوله • يمينا لنعم السيدان وجدتما •
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فلنعم المجيبون نحن وجا بصيغة الجمع
للعظمة والكبريا لقوله فقدرنا فنعم القادرون والكرب العظيم قال السدي
الغرق وقيل تكذيب الكفرة وركوب الما وهوله وهم فصل يقتضي الخصوصية
لا يحتمل غير قال ابن عباس وقتادة اهل الارض كلهم من ذرية نوح وفي
الحديث انه عليه السلام قرا وجعلنا ذريته هم الباقين فقال سام وحام ويافث
وقال الطبري العرب من اولاد سام والسودان من اولاد حام والترك والصقلب

ومنهم من اولاد يافث وقالت فرقة ابقى الله ذرية نوح ومد في نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل في الامم من لا يرجع اليه وتركنا عليه في الآخرين اي في الباقين غابر الدهر ومفعول تركنا محذوف تقديره ثناء حسنا جميلا الى آخر الدهر قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وسلام رفع بالابتداء مستانف سلم الله عليه ليقتدي بذلك البشر فلا يذكره احد من العالمين بسوء سلم تعالى عليه جزاء على ما صبر طويلا من اقوال الكفرة واذايتهم له وقال الزمخشري وتركنا عليه في الآخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها انتهى وهذا قول الفراء وغيره من الكوفيين جعلوا سلام على نوح في العالمين جملة في موضع نصب بتركنا وهذا هو المنزول عليه وكانه قال وتركنا على نوح تسليما يسلم به عليه الى يوم القيامة انتهى وفي قراءة عبد الله سلاما بالنصب ومعنى في العالمين ثبوت هذه التحية ثبوتة فيهم جميعا ودامة عليه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم ثم علل هذه التحية عليه في العالمين بانه كان محسنا ثم علل احسانه بكونه مؤمنا فدل على جلالة الايمان وعظمه عند الله ثم اغرقنا الآخرين ان كان مكذبا له من قومه لما ذكر نجاته ونجاة اهله اذ كانوا مؤمنين ذكر هلاك غيرهم بالغرق وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين

والظاهر عود الضمير في من شيعته على نوح قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي اي ممن شايعه في اصول الدين والتوحيد وان اختلفت شرائعهما او اتفق اكثرهما وممن شايعه في التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما من الانبياء هود وصالح عليهما السلام وقال الفراء الضمير في من شيعته يعود على محمد صلى الله عليه وسلم والاعرف ان المتاخر في الزمان هو شيعة للمتقدم وجاء عكس ذلك في قول الكميت

وما لي الا آل احمد شيعة ° وما لي الا مشعب الحق مشعب

جعلهم شيعة لنفسه وقال الزمخشري فان قلت بم يتعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر انتهى اما التخريج الاول فلا يجوز لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو قوله لابراهيم لانه اجنبي من شيعته ومن اذ وزاد المنع ان قدره ممن شايعه حين جاء لابراهيم لانه قدر ممن شايعه فجعل العامل صلة لموصول وفصل بينه وبين اذ باجنبي وهو قوله لابراهيم لانه اجنبي منهما فلام التوكيد يمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا وتقديره ان ضاربا زيدا لقادم علينا لم يجز واما تقديره اذكر فهو المعهود عند المعربين ومجيئه ربه بقلب سليم اخلاصه الدين لله وسلامة قلبه براءته من الشرك والشك والنقائص التي تعتري القلوب من

الغل

الغل والحسد والخبث والمكر والكبر ونحوه قال عروة بن الزبير لم يلعن شيئا قط وقيل سليم من الشرك ولا معنى للتخصيص واجازوا في نصب ائفكا وجوها احدها ان يكون مفعولا بتريدون وآلهة بدل منه وهو استفهام تقرير ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه وذكر الزمخشري قال فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في انفسها والثاني ان يكون مفعولا من اجله اي اتريدون آلهة من دون الله افكا وآلهة مفعول به وقدمه عناية به وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم وبدا بهذا الوجه الزمخشري والثالث ان يكون حالا اي اتريدون آلهة من دون الله آفكين قاله الزمخشري وجعل المصدر حالا لا يطرد الا مع اما في نحو اما علما فعالم فما ظنكم برب العالمين استفهام توبيخ وتحذير وتوعد اي اي شيء ظنكم بمن هو يستحق لان تعبدوه اذ هو رب العالمين حتى تركتم عبادته وعدلتم به الاصنام او اي شيء ظنكم بفعله معكم من عقابكم او قد غبيتموه بمنزله كما تقول اسات الى فلان فما ظنك به ان يوقع بك جزاء ما اسات اليه ولما وبخهم على عبادة غير الله اراد ان يريهم ان اصنامهم لا تنفع ولا تضر وعدا الى ما يجعله منزلا بها متى يكرهها وبين انهم حالها وعجزها فنظر نظرة في النجوم والظاهر انه اراد علم الكواكب وما يعزى اليها من التاثيرات التي جعلها الله لها والظاهر ان نظره كان فيها اي في علمها او في كتابها الذي اشتمل على احوالها واحكامها قيل وكانوا يعانون ذلك فاتاهم من الجهة التي يعانونها واوهمهم بانه استدل بامارة في علم النجوم انه سقيم اي مشارف السقم قيل وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم اذ ذاك وخافوا العدوى وهو مرادهم الى عيدهم ولذلك قال فتولوا عنه مدبرين قال معناه ابن عباس ويتركوه في بيت الاصنام ففعل ما فعل وقيل كانوا اهل علم وفلاحة فكانوا يحتاجون الى علم النجوم وقيل ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاحضر معنا فنظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمي وقيل معنى فنظر نظرة في النجوم اي فيما نجم اليه من امور قومه وحاله معهم ومعنى فتولوا عنه مدبرين اي لكفرهم به واحتقارهم له وقوله اني سقيم من المعاريض عرض انه سقيم في الحال وفهموا عنه انه ملتبس بالسقم وابن آدم لابد ان يسقم والمثل كفى بالسلامة داء قال الشاعر

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ° ليصحني فاذا السلامة داء

ومات رجل فجاة فالتف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه فراغ الى آلهتهم اي اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي وعرض الاكل عليها واستفهامه عن النطق هو على سبيل الهزء بكونها منحطة عن رتبة عابديها اذ هم ياكلون وينطقون وروي انهم كانوا يضعون عندها طعاما ويعتقدون انها تصيب منه شيئا وهو ياكله خدمتها فراغ عليهم ضربا باليمين اي اقبل عليهم مستخفيا ضاربا فهو مصدر في موضع الحال او ينصبه باضرب مضمرا او مصدر لفعل محذوف او ضمن فراغ عليهم معنى ضربهم وباليمين اي بيمين يديه قاله ابن عباس لانها اقوى يديه او بقوته لانه قيل كان يجمع يديه في الآلة التي يضرب بها

وهي الفاس وقيل بسبب الحلف الذي هو وتالله لاكيدن اصنامكم وقرا الجمهور
يزفون بفتح الياء من زف اسرع او من زفاف العروس وهو التمهل في المشية اذ كانوا
في طمانينة ان ينال اصنامهم شي لعزتهم وقرا حمزة ومجاهد وابن وثاب والاعمش بضم الياء
من ازف دخل في الزفيف فالهمزة ليست للتعدي او حمل غيره على الزفيف فهي للتعدي
قاله الاصمعي وقرا مجاهد ايضا وعبد الله بن يزيد والضحاك ويحيى بن عبد الرحمن
المقري وابن ابي عبلة يزفون مضارع وزف بمعنى اسرع وقال الكسائي والفراء لا نعرفها
بمعنى زف وقال مجاهد الوزيف النسلان وقري يزفون مبنيا للمفعول وقري
يزفون بكون الزاي من زفاه اذا حداه وكان بعضهم يزف بعضا لتسارعهم اليه
وبين قوله فراغ عليهم ضربا باليمين وبين قوله فاقبلوا اليه يزفون جمل محذوفة
هي مذكورة في سورة اقترب ولا تعارض بين قوله واقبلوا اليه يزفون وبين
سؤالهم من فعل هذا بالهتنا واخبار من عرف بان ابراهيم كان يذكر اصنامهم وتاتيه
على ذلك ولعل هذا الاقبال من عندهم بعد بحثهم من نميمهم حتى تلك المفاوضات
المذكورة في سورة اقترب واستشكل الزمخشري في كلامه اشياء تضمنتها الايات
صارت الايات عنده بها كالتناقض قال حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدو
فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه مبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن
الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يعيبهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه
يكسرها وفي الاخرى انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر انتهى ما بدا من التناقض قال
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذي ابصره وزفوا اليه نفر منهم دون جمهورهم
وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عندهم الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه
عندها لتبرك عليه وراوها مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا من فعل هذا لم ينم عليه
اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقوله سمعنا فتى يذكرهم لبعض
الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم عليه يزفون
بعيد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فاتوا به على اعين الناس
انتهى وهذا الوجه الثاني الذي ذكره هو الصحيح قال اتعبدون ما تنحتون استفهام
توبيخ وانكار عليهم كيف هم يعبدون صورا صوروها بايديهم وشكلوها على ما يريدون
من الاشكال والله خلقكم وما تعملون الظاهر ان ما موصولة بمعنى الذي معطوفة
على الضمير في خلقكم اي انشا ذواتكم وذوات ما تعملون من الاصنام والعمل هنا هو
التصوير والتشكيل كما يقول عمل الصائغ الخلخال وعمل الحداد القفل والنجار الخزانة
وعمل ذلك شيا ان ما بمعنى الذي يتم الاحتجاج عليهم بان كلا من الصنم وعابده هو
مخلوق لله تعالى والعابد هو المصور ذلك المعبود فكيف يعبد مخلوق او كلاهما
خلق الله وهو المنفرد بانشا ذواتهما والعابد مصور الصنم معبوده وما في وما
تنحتون بمعنى الذي فكذلك في وما تعملون لان نحتهم هو عملهم وقيل ما مصدرية
اي خلقكم وعملكم وجعلوا ذلك قاعدة على خلق الله افعال العباد وقد رد الزمخشري
بما في هذه المقالة ما يوقف عليه في كتابه وقيل ما استفهام انكار اي واي
شي تعملون في عبادتكم اصناما تنحتونها اي لا عمل لكم يعتبر وقيل ما نافية اي
وما انتم تعملون شيا في وقت خلقكم ولا تقدرون على شي وكون ما مصدرية
واستفهامية ونافية اقوال متكلفة خارجة عن طريق البلاغة ولما غلبهم ابراهيم

عليه

عليه السلام بالحجة مالوا الى الغلبة بقوة الشوكة والجمع فقالوا ابنوا له بنيانا اي في موضع ايقاد النار وقيل
هو المنجنيق الذي رمي عنه وارادوا به كيدا فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وكذا
عادة من غلب بالحجة رجع الى الكيد تل الرجل الرجل صرعه على شقه وقيل وضعه بقوة وقال
المفردات
ساعدة بن جوية وظل تليلا للجبين وللفم والجبينان ما اكتنف من ههنا ومن ههنا وشذ
جمع الجبين على اجبن وقياسه في القلة اجبنة ككثيب واكثبة وفي الكثرة جبنان وجبن
ككثبان وكثب الزلخ اسم ما يدحض كالرمي اسم ما يرمى ابق هرب ساهم قارع المدحض المغلوب
الحوت معروف الام اتى بما يلام عليه قال الشاعر
وكم من مليم لم يصب بملامة ومتبع بالذنب ليس له ذنب
العرا الارض الفيحاء لا شجر فيها ولا يعلم قال الشاعر
رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالمتن العراء ثيابي
اليقطين يفعيل كالتقصيد من قطن اقام بالمكان وهو ما كان من النجم لا يقوم
على ساق من عود كالبطيخ والقرع والحنظل والقثا الساحة الفنا وجمعها سوح
قال الشاعر فكان سيان ان لا يسرحوا نعما او يسرحوه بها واغبرت السوح
وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما
بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال
يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا
لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا
من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه
مبين لما سلمه الله منهم ومن النار التي القوه فيها عزم على مفارقتهم وعبر بالذهاب
الى ربه من هجرته الى ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي ليتمكن من عبادة ربه
وتفرغ له من غير ان يلقى من يشوش عليه فهاجر من ارض بابل من مملكة نمرود
من الشام وقيل الى ارض مصر ويبعد قول من قال ليس المراد بذهابه الهجرة وانما
مراده لقاء الله بعد الاحراق ظنا منه انه يموت في النار فقالها قبل ان يطرح في
النار وسيهدين اي الى الجنة نحا الى هذا قتادة لان قوله رب هب لي من الصالحين
يدفع بهذا القول والمعتقد انه يموت في النار لا يدعو بان يهب الله له ولدا صالحا
سيهدين يرتقي الى ما فيه صلاحي من الصالحين اي ولدا يكون في عداد الصالحين ولفظ
الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ لقوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون
نبيا واشتملت البشارة على ذكورية المولود وبلوغه سن الحلم ووصفه بالحلم واي حلم
اعظم من قوله وقد عرض عليه ابوه الذبح ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما
بلغ معه السعي ثم هذه الجملة والتي قبلها محذوف تقديره فولد له وشب فلما بلغ
اي بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد
والسعي هنا العمل والعبادة والعونة وقال قتادة السعي على القدم يريد سعيا
متمكنا وفيه قال الزمخشري لا يصح تعلقه ببلغ لانه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي
لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد
الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق

الناس به واعطفهم عليهم وهو ربما عنف عليه في الاستدعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب
عوده وكان له اذ ذاك من ثلاث عشرة سنة انتهى وقال يا بني بدا شفقة وترحما اني ارى في المنام
اني اذبحك اي بامر الله ويدل عليه افعل ما تؤمر ورؤيا الانبياء وحي كاليقظة وذكر له الرؤيا
ليصبر على امتثال تلك البلية العظيمة وشاوره بقوله فانظر ماذا ترى وان كان حتما من الله
ليعلم ما عنده من تلقي هذا الامتحان العظيم ويصبره ان جزع ويوطن نفسه
على ملاقاة هذا البلاء وتسكن نفسه لما لا بد منه اذ مفاجاة البلاء قبل الشعور
به اصعب على النفوس وكان ما راه في المنام ولم يكن في اليقظة كرؤيا يوسف عليه السلام
ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام ليدل على ان حالتي الانبياء يقظة
ومناما سواء في الصدق متظافرات عليه قيل ان حين بشرته الملائكة بغلام حليم قال
هو اذن ذبيح الله فلما بلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك وقيل اي ليلة التروية
قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى
الرواح امن الله هذا الحلم فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف
انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
فسمي يوم النحر وقرا الجمهور ترى بفتح التاء والراء وعبد الله والاسود بن يزيد
وابن وثاب وطلحة والاعمش ومجاهد وحمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء والضحاك
والاعمش ايضا بضم التاء وفتح الراء فالاول من الراي والثاني ماذا تريه وما
تبديه انظر فيه والثالث ما الذي يخيل اليك ويوقع في قلبك وانظر معلقة وما
ذا استفهام فان كانت ذا موصولة بمعنى الذي فما مبتدا والفعل بعد ذا صلة
وان كانت ماذا مركبة ففي موضع نصب بالفعل بعدها والجملة واسم الاستفهام
الذي هو معمول للفعل بعده في موضع نصب لانظر ولما كان خطاب الاب يا بني
على سبيل الترحم قال هو يا ابت على سبيل التعظيم والتوقير افعل ما تؤمر اي ما تؤمر
حذفه وهو منصوب واصله ما تؤمر به فحذف الحرف واتصل الضمير منصوبا
فجاز حذفه لوجود شرائط الحذف فيه وقال الزمخشري او امرك على اضافة
المصدر الى المفعول الذي لم يسم فاعله وفي ذلك خلاف هل يعتقد في المصدر
العامل انه يجوز ان يبنى للمفعول فيكون ما بعده مفعولا لم يسم فاعله ام لا يكون
ذلك ستجدني ان شاء الله من الصابرين كلام من اوتي الحلم والصبر والامتثال
لامر الله والرضا بامره فلما اسلما اي لامر الله وقيل الاستسلام واسلم بمعناها وقرا
الجمهور اسلما وقرا عبد الله وعلي وابن عباس ومجاهد والضحاك وجعفر بن محمد
والاعمش والثوري سلما اي فوضا اليه في قضائه وقدره وقرئ استسلما ثلاث
قراءات وقال قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه واسلم هذا نفسه فيحتمل اسلما متعديا
وغير متعد لازما بمعنى انقاد لامر الله وخضع له وتله للجبين اي اوقعه على احد
جنبيه في الارض مباشرا للامر بصبر وجلد وذلك عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن
في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وجواب
لما محذوف يقدر بعد وتله للجبين اي اجزلنا اجرهما قاله بعض البصريين
او بعد الرؤيا اي كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
وحمدهما الله على ما انعم به الى الفاظ كثيرة ذكرها الزمخشري على عادته في خطابته
او قبل وتله تقديره فلما اسلما وتله قاله ابن عطية وهو قول الخليل وسيبويه وهو عندهم

كقول

كقول امرئ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي اجزنا وانتحى وقال الكوفيون الجواب مثبت وهو ناديناه
على زيادة الواو وقالت فرقة هو وتله على زيادة الواو وذكر الزمخشري في قصة ابراهيم وابنه
وما جرى بينهم من الاقوال والافعال مما الله اعلم بصحته يوقف عليها في كتابه وان
مفسرة اي قد صدقت وقرا زيد بن علي وناديناه يا ابراهيم قد صدقت بحذف ان وقرئ
صدقت بالتخفيف وقرا فياض الرؤيا بكسر الراء والادغام وتصديق الرؤيا قال الزمخشري
بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن
الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمى
عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت الشفرة وفرت الاوداج وانهرت
الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء
كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه وقال ابن عطية قد صدقت يحتمل
ان يريد بقلبك على معنى كانت عندك رؤيا صادقة حقا من الله فعملت بحسبها
حين امنت بها واعتقدت صدقها ويحتمل ان يريد صدقت بعملك ما حصل عن الرؤيا
في نفسك كانه قال قد وفيتها حقها من العمل انتهى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لتخويل ما خولهما الله من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا
اي ما امر به ابراهيم من ذبح ابنه لهو البلاء المبين اي الاختبار البين الذي
يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها
وفديناه بذبح قال ابن عباس هو الكبش الذي قرب به هابيل فتقبل منه وكان يرعى
في الجنة حتى فدي به اسماعيل وقال ايضا هو والحسن فدي بوعل اهبط عليه
من ثبير وقال الجمهور كبش ابيض اقرن اعين ووصف بالعظم قال مجاهد
لانه متقبل يقينا وقال عمرو بن عبيد لانه جرت السنة به وصار دينا باقيا
اخر الدهر وقال الحسين بن الفضل وابن جبير عظمه كونه من كباش الجنة رعى
فيها اربعين خريفا وفي قوله وفديناه بذبح عظيم دليل على ان ابراهيم لم يذبح ابنه
وقد فدي وقالت فرقة وقع الذبح والتام بعد ذلك قال ابن عطية وهذا
كذب صراح وقالت فرقة لم ير ابراهيم في منامه الا امرار الشفرة فقط فظن انه
ذبح يجهز فبعد لذلك فلما وقع الذي راه وقع النسخ وقال ولا اختلاف ان
ابراهيم عليه السلام امر الشفرة على حلق ابنه ثم تقطع انتهى والذي دل عليه القران
ان تله للجبين فقط ولم يات في حديث صحيح انه امر الشفرة على حلق ابنه وتركنا
عليه الى المومنين تقدم تفسير نظيره في اخر قصة نوح وفي قصة ابراهيم هنا وقال
هنا كذلك دون انا اكتفاء بذكره قبل وتغير وبشرناه باسحاق نبيا من
الصالحين الظاهر ان هذه بشارة غير تلك البشارة وان الغلام الحليم المبشر به ابراهيم
هو اسماعيل وانه هو الذبيح لا اسحاق وهو قول ابن عباس وابن عمر ومعاوية
ابن سفيان ومحمد بن كعب القرظي والشعبي والحسن ومجاهد وجماعة من التابعين
واستدلوا بظاهر هذه الايات وبقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين وقول الاعرابي
له يا ابن الذبيحين فتبسم عليه السلام يعني اسماعيل واباه عبد الله وكان عبد المطلب
نذر ذبح احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ولدك
بمائة من الابل ففداه بها والقصة في حديث طويل واما اسماعيل
فانه جاء بذبح نفسه وسال عمر بن عبد العزيز يهوديا اسلم عن ذلك فقال ان يهود

بهم ولكنهم يحسدونكم يعني العرب وكان قرنا الكبش معلقين في الكعبة وسال الاصمعي ابا
عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما
كان اسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة انتهى ووصفه تعالى
بالصبر في قوله واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
وبصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر
على الذبح فوفى به وذكر الطبري ان ابن عباس قال الذبيح اسماعيل وتزعم اليهود انه
اسحاق وكذبت اليهود ومن اقوى ما استدل به ان الله تعالى بشر ابراهيم باسحاق وولد
اسحاق يعقوب فلو كان الذبيح اسحاق لكان ذلك الاخبار غير مطابق للواقع وهو محال في
اخبار الله تعالى وذهب جماعة الى ان الذبيح هو اسحاق منهم العباس بن عبد المطلب وابن
مسعود وعلي وعطاء وعكرمة وكعب وعبيد بن عمير وابن عباس في رواية وكان امر ذبحه
بالشام وقال عطاء ومقاتل ببيت المقدس وقيل بالحجاز جاء مع ابيه على البراق وقال عبيد
ابن عمير كان بالمقام وقال ابن عباس والبشارة في قوله وبشرناه باسحاق هي بشارة بنبوته
وقالوا ان الله تعالى بشر خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع
تلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويؤيده كتاب
يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله ومن جعل الذبيح اسحاق جعل هذه البشارة بشارة بنبوته كما ذكرنا عن ابن
عباس وقالوا لا يجوز ان يبشره الله بولادته ونبوته معا لان الامتحان بذبحه
لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا ومن جعله اسماعيل جعلها بشارة بولادة اسحاق
وانتصب نبيا على الحال وهي حال مقدرة فان كان اسحاق هو الذبيح وكانت هذه
البشارة بولادة اسحاق فقد جعل الزمخشري ذلك محل سؤال قال فان قلت
فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع
وجود الدخول والخلود غير موجود معها فقدرت مقدرين الخلود
فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر
به اوجب عدم حاله لان الحال حلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحاق
حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف يجعل
نبيا حالا مقدرة والحال صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود
وان لم يكن صفتهم عند وجود الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود
وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود
البشارة باسحاق لعدم اسحاق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي
يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود
اسحاق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل
البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال
ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين
انتهى وباركنا عليه وعلى اسحاق افضنا عليهما بركات الدين والدنيا بان اخرجنا
انبياء بني اسرائيل من صلبه ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه وعيد لليهود ومن كان
من ذريتهما لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان البر قد يلد الفاجر
ولا يلحقه من ذلك عيب ولا منقصة ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما
وقومهما

وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب
المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى
وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس
لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن
الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد
الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ
نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون الكرب العظيم تعبد القبط
ايهم ثم خوفهم من جيش فرعون ثم الغرق بعد ذلك والضمير في ونصرناهم عائد
على موسى وهارون وقومهما وقيل يعود على موسى وهارون فقط تعظيما لهما
بكناية الجماعة وهم يجوز ان يكون فصلا او توكيدا او بدلا والكتاب المستبين
التوراة كما قال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور والصراط المستقيم هو
الاسلام وشرع الله والياس قال ابن مسعود هو ادريس عليه السلام وقرا هو وابن
مسعود وابن وثاب والاعمش والمنهال بن عمرو وابن عتيبة الكوفي انهم قرؤوا
وان ادريس لمن المرسلين وهو مخطوط بمعنى على تفسيره لان المستفيض عن ابن
مسعود انه قرا وان الياس وانما فسر الياس بانه ادريس لقوله لا يصح
عنه لان ادريس في التاريخ المنقول كان قبل نوح وفي سورة الانعام ذكر
الياس وانه من ذرية ابراهيم او من ذرية نوح على ما يحتمله قوله تعالى ووهبنا
له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ومن ذريته داود وذكر في جملة هذه الذرية
الياس وقيل الياس بن ... هرون وقال الطبري هو الياس بن ياسين بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون وقرا عكرمة والحسن بخلاف عنهما والاعرج وابو رجاء
وابن عامر وابن محيصن بوصل الالف فاحتمل ان يكون وصل همزة القطع واحتمل
ان يكون اسمه ياسا ودخلت عليه ال كما دخلت على اليسع وفي حرف ابي ومصحفه
وان ابليس بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة بعدها لام مكسورة بعدها ياء ساكنة
وسين مفتوحة وقرئ وان ادراس وادراس لغة في ادريس كابراهام في
ابراهيم اتدعون بعلا اي تعبدون بعلا وهو علم لصنم لهم قاله الضحاك والحسن وابن
زيد قيل وكان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه
حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف بعل
ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك من
بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقال عكرمة وقتادة البعل الرب بلغة اليمن
وسمع ابن عباس رجلا ينشد ضالة فقال له رجل انا بعلها فقال ابن عباس الله اكبر اتدعون
بعلا ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى على هذا اتعبدون بعض البعول
وتتركون عبادة الله وقالت فرقة ان بعلا اسم امراة اتتهم بضلالة فاتبعوها
وقرئ اتدعون بعلاء بالمد على وزن حمراء وتوسع هذه القراءة قول من قال انه اسم
امراة وقرا الكوفيون وزيد بن علي الله ربكم ورب آبائكم بالنصب في الثلاثة
بدلا من احسن او عطف بيان ان قلنا ان افعل فيه التفضيل محضة وباقي السبعة

بالرفع اي هو الله او يكون استينافا مبتدا وربكم خبره وروي عن حمزة انه اذا وصل نصب
واذا وقف رفع فكذبوه اي كذبه قومه اما في قوله الله ربكم هذه النسبة او يكذبوه فيما
جاءهم به من عند الله من الامر بالتوحيد وترك الصنم على ان من قومه مخلصين
لم يكذبوه فهولا استثنا متصل من ضمير فكذبوه ولا يجوز ان يكون استثنا من فانهم
لمحضرون لانهم كانوا يكونون حينئذ مندرجين فيمن كذب ويكونون من عباد الله المخلصين
وذلك لا يمكن ولا يناسب ان يكون استثنا منقطعا اذ يصير المعنى لكن عباد الله
المخلصين من غير قومه لا يحضرون للعذاب وليس لهولا التسكين بالاية التي
نهاحصة الياس هذه وقرا زيد بن علي ونافع وابن عامر على آل ياسين
وزعموا ان آل مفصولة في المصحف وياسين اسم لابي الياس وقيل اسم لابي الياس
لانه الياس بن ياسين قال ياسين هو ابنه الياس وقيل ياسين هو اسم محمد
صلى الله عليه وسلم وقرا باقي السبعة على الياسين بهمزة مكسورة اي الياسين
جمع المنسوبين الى الياس معه فسلم عليهم وهذا يدل على ان من قومه من كان
اتبعه على الدين وكلوا احد ممن نسب اليه كانه الياسي فلما جمعت خففت يا
النسب بحذف احداهما لثقل التضعيف فالتقى ساكنان الثانية وحرف العلة
الذي للجمع فحذفت لالتقايهما كما قالوا الاشعرون والالف واللام دخلت على الجمع
واسمه على هذا ياس وقرا ابو رجا والحسن على الياسين بوصل الالف على انه
جمع يراد به الياس وقومه المؤمنون وحذفت يا النسب كما قالوا الاشعرون
والالف واللام دخلت على الجمع واسمه على هذا ياس وقرا ابن مسعود ومن ذكر
معه انه قرا ادريس سلام على ادراسين وعن قتادة وان ادريس وقرا على
ادريسين كما قرئ اما مستقر بكرها وانما معلقة وكانت نكاح الوشيات عندهم
جائز امصبحين حالا اي داخلين في الصباح والخطاب في وانكم لقريش وكانت متاجرهم
الى الشام على مداين قوم لوط افلا تعقلون فيعتبرون بما جرى على من كذب
الرسل وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان
من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه
شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فامنوا فمتعناهم
الى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا
وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون
اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان
مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين يونس بن متى من بني اسرائيل وروي
انه نبي وهو ابن ثمان وعشرين سنة بعثه الله الى قومه فدعاهم من نحا القوم
توعدهم بالعذاب فاعلمهم انه ياتيهم فخرج يونس لم ثم ان قومه لما راوا مخايل
العذاب قبل اتيانه بهم تابوا وامنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم
ونتيم شرح قصته واعدنا طرفا منها بعدما بين الذكر قيل ولحقت يونس
غضبة فابق الى ركوب السفينة فرارا من قومه وعبر عن الهروب بالاباق اذ
هو عبد الله خرج فارا من غير اذن من الله وروي عن ابن مسعود انه لما
ابعدت السفينة في البحر ويونس فيها ركدت فقال اهلها ان فيها لمن يحبس الله

السفينة

السفينة بسببه فلنقترع فاقترعوا فكل سهما على ان من خرج سهمه فهو من غرق فسهمه فطرحوا
سهم يونس فقالوا ذلك ثلاث تقع القرعة عليه فالزموا البحر فجوده نحا الى ركن ليقع منه
لاذا بدابة من دواب البحر ترقبه وترصده فانتقل الى الركن الاخر فوجدها حتى استدار
بالمركب وهي لا تفارقه فعلم ان ذلك من عند الله فترامى اليها فالتقمته ففي قصة يونس
عليه السلام هنا جمل محذوفة متقدمة قبل ذكر فراره الى الفلك كما في قصته في سورة الانبيا
في قوله اذ ذهب مغاضبا وهو ما بعد هذا وقوله فنادى في الظلمات جمل محذوفة
ايضا ومجموع القصص يبين ما حذف في كل قصة منها فساهم فكان من المدحضين
من المغلوبين وحقيقته من الزلقين عن مقام الظفر في الاستهام وقرئ
وهو مليم بفتح الميم وقياسه ملوم لانه من لمته الوم لوما فهو من ذوات
الواو ولكنه جيء به على ليم كما قالوا مشيب ومدعي في مشوب ومدعو بناء على
شيب ودعي من المسبحين من الذاكرين الله تعالى بالتسبيح والتقديس والظاهر
انه يريد ما ذكر في قوله في سورة الانبيا فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقال ابن جبير هو قوله سبحان الله وقال الحسن تسبيحه صلوة
التطوع فقال ابن عباس وقتادة ودعوا بعالية صلاته توددت الرخا تنفعه في وقت الشدة
وقال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله في الرخا يذكركم في وقت الشدة ان يونس
كان عبدا ذاكرا فلما اصابته الشدة نفعه ذلك قال الله عز وجل فلولا انه كان من
المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقال الحسن تسبيحه صلاته في بطن الحوت
وروي انه كان يرفع لحم الحوت بيديه يقول [illegible] لاحد قبلي وروي
ان الحوت مشى به الى ان ركبها حتى قذفه في نصيبين من ناحية الموصل وروي ان
الحوت سافر مع السفينة رافعا راسه يتنفس ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا
الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شي فاسلموا والظاهر ان قوله للبث في بطنه الى يوم البعث
وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وذكر في مدة لبثه في بطن
الحوت اقوال متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحا وهو سقيم روي انه كان بمنزلة
كبد الصبي حين يولد قاله ابن عباس والسدي وقال ابن عباس وابو هريرة وعمرو
ابن ميمون اليقطين القرع خاصة قيل وهي التي انبتها الله عليه وتجمع خصالا برد الظل
والملمس وعظم الورق وان الذباب لا يقربها تبلدوا ما ورقه اذا رش به مكان لم
يقربه ذباب وقال امية بن الصلت فانبت يقطينا عليه برحمة
من الله لولا الله الفي ضاحيا وفيما روي انك لتحب القرع وقال ابن هي شجرة التين
يونس وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها
ومعنى انبتنا عليه شجرة اي انبتناها مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وقوله
شجرة والشجرة في كلام العرب ما كان على ساق من عود فيحتمل ان يكون الله انبتها
ذات ساق يستظل بورقها فالعادة مبنية ومحو مس وجه لان ورق القرع
انفع شي لمن ينسلخ جلده وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور رسالته
هذه هي الاولى التي تقدم ذكرها اخر القصص تنبيها على رسالته ويدل عليه
فامنوا فمتعناهم ومتع تلك الامة هو الذي اغضب يونس عليه السلام حين
ابق وقال ابن عباس وقتادة هي رسالة اخرى بعد ان نبذه بالعراء وهي الى اهل
نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى اليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلما

سألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النبي إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيما فيهم وقال لهم
الله باعث إليكم نبيا وقرأ الجمهور أو وقال ابن عباس بمعنى بل وقيل بمعنى الواو وبالواو
قرأ جعفر بن محمد وقيل للإبهام على المخاطب وقيل المبرد وكثير من البصريين المعنى على نظر البشر
وحزرهم أي من رآهم قال هم مائة ألف أو يزيدون ونحو هذا القول لم يذكر الزمخشري
غيره قال أو يزيدون في مرأى الناظر إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض
الوصف بالكثرة والزيادة ثلاثون ألفا قاله ابن عباس أو سبعون ألفا قاله ابن جبير
أو بضعة عشر ألفا رواه أبي عن النبي عليه السلام وإذا صح بطل ما سواه فآمنوا روي
أنهم خرجوا بالأطفال والأولاد والبهائم وفرقوا بينها وبين الأمهات وناحوا
وضجوا وأخلصوا فرفع الله عنهم والتمتيع هنا هو بالحياة والحين آجالهم السابقة
في الأزل قاله قتادة والسدي والضمير في فاستفتهم وقال الزمخشري فاستفتهم
معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء
قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم
أمر باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى انتهى ويبعد ما قاله من العطف وإذا
كانوا قد عدوا الفصل بجملة مثل قولك كل لحما واضرب زيدا وخبزا من أقبح التركيب
فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة فالقول بالعطف لا يجوز والاستفتاء هنا
سؤال على جهة التوبيخ والتقريع على قولهم البهتان على الله حيث جعلوا لله
الإناث في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم لهن ووأدهم إياهن واستنكافهم
عن ذكرهن وارتكبوا ثلاثة أنواع من الكفر الجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام
وتفضيل أنفسهم حيث أرفع الجنسين لهم وغيره لله تعالى واستهانتهم بمن هو مكرم
عند الله حيث أنثوهم وهم الملائكة بدأ أولا بتوبيخهم على تفضيل أنفسهم
بقوله ألربك البنات وعدل عن قوله ألربكم لما في ترك الإضافة إليهم من تخسيسهم
وشرف نبيه بالإضافة إليه وثنى بأن نسبة الأنوثة إلى الملائكة تقتضي المشاهدة
فأنكر عليهم بقوله أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون أي خلقناهم وهم لا يشهدون
شيئا من حالهم كما قال في الأخرى أشهدوا خلقهم وكما قال ما أشهدتهم خلق السموات
والأرض ولا خلق أنفسهم ثم أضرب عن هذا بأعظم الكفر وهو ادعاؤهم أنه تعالى
قد ولد فجمع أنكم إلى نسبة الولد وكان هذا الخسيس قال وإنهم لكاذبون
واحتمل أن يختص هذه الجملة بقولهم ولد الله ويكون تأكيدا لقوله من إفكهم
واحتمل أن يعم هذا القول ونسبة الأنوثة للملائكة وكونهم بنات الله أي
وإنهم لكاذبون وقال الزمخشري **فإن قلت** لم قال وهم
شاهدون فخص علم المشاهدة **قلت** ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل كقوله
أشهدوا خلقهم وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق
الله علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن
يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس
لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده والولد
فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي
وهؤلاء ولدي انتهى وقرأ الجمهور أصطفى بهمزة الاستفهام على طريق الإنكار
والاستبعاد وقرأ نافع في رواية إسماعيل وابن جماز وجماعة وإسماعيل عن أبي جعفر
وشيبة

وشيبة بوصل الألف وهو من كلام الكفار حكى تعالى شنيع قولهم وهو أنهم ما كفاهم أن
قالوا ولد الله حتى جعلوا ذلك الولد بنات وأنه تعالى اختارهم على البنين وقال
الزمخشري بدلا من قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والأعمش وهذه القراءة وإن
كان هذا محلها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة
من جانبيها وذلك قوله وإنهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للإثبات فقد
أوقعها دخيلة بين نسيبين انتهى وليست دخيلة بين نسيبين بل لها مناسبة ظاهرة
مع قولهم ولد الله وأما قوله وإنهم لكاذبون فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت
للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم ما لكم كيف تحكمون تقريع
وتوبيخ واستفهام عن البرهان والحجة وقرأ طلحة بن مصرف تذكرون بسكون الذال
وضم الكاف أم لكم سلطان أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله
فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم بذلك كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا
به يشركون وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان
الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه
بفاتنين إلا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون
وإنا لنحن المسبحون وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين
لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول
عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل
بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين الظاهر أن الجنة هم الشياطين وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة
منها أنه تعالى صاهر سروات الجن فولد منهم الملائكة وهم فرقة من بني مدلج
وشافه بذلك بعض الكفار أبا بكر الصديق ولقد علمت الجنة أي الشياطين أنها
تحضر أمر الله من ثواب وعقاب قاله ابن عطية وقال الزمخشري إذا فسرت
الجنة بالشياطين فيجوز أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين
عالمون أن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب
الطاعة لما عذبهم وقيل الضمير في وجعلوا لفرقة من كفار قريش والعرب والجنة
الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم وخفائهم وقال الزمخشري وإنما ذكرهم بهذا الاسم
وضعا منهم وتقصيرا بهم وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة
التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو
من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك انتهى ولقد علمت الجنة
أي الملائكة إنهم أي الكفرة المدعين نسبة بين الملائكة وبين الله تعالى
محضرون النار معذبون بما يقولون وأضيف تلك العلم إلى من نسبوا لذلك مبالغة
في تكذيب الناسبين ثم نزه تعالى نفسه عن الوصف الذي لا يليق به إلا عباد
الله فإنهم يصفونه بصفاته وإما من المحضرين أي إلا عباد الله فإنهم ناجون من
العذاب وتكون جملة التنزيه اعتراضا وعلى كلا التوجيهين فالاستثناء متصل
والظاهر أن الواو في وما تعبدون للعطف عطفت ما تعبدون على الضمير في إنكم

وان الضمير في عليه عائد على ما والمعنى قل لهم يا محمد وما تعبدون من الاصنام ما انتم وهم
وعلى الخطاب بكما تقول انت وزيد تخرجان عليه اي على عبادة معبودكم بفاتنين اي
بحاملين بالفتنة على عبادته الا من قدر الله في سابق علمه انه من اهل النار والضمير
في عليه عائد على ما على حذف مضاف كما قلت اي على عبادته وضمن فاتنين معنى
حاملين بالفتنة ومن مفعول بفاتنين فرغ له العامل اذ لم يتم لفاتنين مفعول وقيل
عليه بمعنى به اي ما انتم بالذي تعبدون بفاتنين وبه متعلق بفاتنين والمعنى
ما انتم فاتنين بذلك الذي عبدتموه الا من سبق عليه القدر انه يصلى النار وجوز الزمخشري
الضمير في عليه عائدا على الله قال **فان قلت** كيف يفتنونهم على الله **قلت**
يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول
افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم
كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم
وما تعبدون لان قوله وما تعبدون سادّ مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون
والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها
ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة
والاضلال الا من هو ضال مثلكم انتهى وكون الواو في وما تعبدون واو مع غير متبادر
الى الذهن وقطع ما انتم عليه بفاتنين عن انكم وما تعبدون ليس بجيد لان اتصافه
به هو السابق الى الفهم مع صحة المعنى فلا ينبغي العدول عنه **وقرا** الحسن وابن ابي
عبلة صالو الجحيم بالواو وهكذا في كتاب الكامل للهذلي وفي كتاب ابن خالويه
عنهما صال مكتوب بغير واو وفي كتاب ابن عطية **وقرا** الحسن صال مكتوبا بواو وفي
كتاب اللوامح وكتاب الزمخشري عن الحسن صال مكتوبا بغير واو فمن اثبت الواو
فهو جمع سلامة سقطت النون للاضافة فمن ولا يجيء لفظ من فافرد هو اولا
على لفظها وجمع كقوله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم
بمومنين حمل في يقول على اللفظ وفي وما هم على المعنى واتمع الحمل على اللفظ
والمعنى في جملة واحدة وهي صلة للموصول كقوله الا من كان هودا او نصارى
وقول الشاعر ۞ وايقظ من كان منكم نياما ۞ ومن لم يثبت الواو فاحتمل
ان يكون جمعا وحذفت الواو خطا كما حذفت في حالة الوصل لفظا لالتقاء
الساكنين واحتمل ان يكون صالا مفردا حذفت لامه تخفيفا واجري الاعراب في عينه
كما حذف من قوله وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت برفع النون والجوار فقالوا
بالتشبيه بالبنية كعافية من عافى في حذف لامه بالبنية وبالوا بالة وبال بحذف اللام فيهما
وقال الزمخشري وقد وجه نحو من الوجهين انا ثبتين وجعلها اولا وثالثا
فقال والثالث ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك
في شائك انتهى وما منا اي احد الا له مقام معلوم اي معلوم في العبادة والانتهاء
الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم ظهره وراكع لا يرفع
راسه وهذا قول الملائكة وهو يقوي قول من جعل الجنة هم الملائكة
تبروا عن ما نسب اليهم الكفرة من كونهم بنات الله وامروا بما حال عبوديتهم اي
اي حالة هم فيها وفي الحديث ان السماء ما فيها موضع الا وفيه ملك ساجد او واقف
يصلي وعن ابن مسعود موضع شبر الا وعليه جبهة ملك او قدماه وحذف المبتدا

مع من

مع من جيد ضيق كما ترى في قولهم ان من اهل الكتاب الا ليومنن به وان من اهل الكتاب احد
وقالت العرب ما لعن ومنا اقام يريد منا من ظعن ومنا من اقام وقال الزمخشري
وما منا احد الا له مقام معلوم حذف الموصوف واقام الصفة مقامه كقوله ۞
انا ابن جلا وطلاع الثنايا ۞ يمكني كانه من ارجي الشر ۞ انتهى وليس هذا من حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه لان احدا المحذوف مبتدا والا له مقام معلوم وهو خبر
المبتدا وان تخيل ان الا له مقام معلوم في موضع الصفة فقد نصوا على ان
الا لا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها فارقت غيرا اذا كانت صفة في
ذلك لتمكن غير في الوصف وقلة تمكن الا فيه وجعل ذلك كقوله انا ابن جلا
اي ابن رجل جلا وبمكني كانه من رجل كان وهذا عند النحويين من اقبح
الضرائر حيث حذف الموصوف واقام الجملة مقامه ولم تتقدمه من وانا لنحن
الصافون اي اقدامنا في الصلاة او اجنحتنا في الهوا وقوفا للامر عن ابن يونس
وقال ابو نضرة وكان ابن عمر اذا اقيمت الصلاة قال استووا ان الله يريد بكم هدي الملائكة وقال
ابو مالك كان المسلمون لا يصطفون في الصلاة حتى نزلت هذه
الاية ولا يصطفون من الملائكة المسبحين وانا لنحن المسبحون اي المنزهون
الله عن ما نسب اليه الكفرة او المنزهون بلفظ التسبيح او المصلون وسبحان
محتمل قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة فيتطرد الكلام ونسقا في تناول
واحد مكانه قيل ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا ذلك لمحضرون للعذاب وقالوا
سبحان الله تنزيها له عن ذلك واستثنوا من ذلك عباد الله وقالوا للكفرة
فانكم والمعنى الى اخره وكيف يكون مناسبة ونحن عبيد بين يديه لكل منا
مقام من الطاعة الى ما وصفوا به انفسهم من رتبة العبودية وقيل وما منا
من المرسلين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم المصطفون في الصلاة
المنزهون الله عن ما يقول اهل الضلال والغيّ ان كانوا ليقولون كفار قريش
لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل
لاخلصنا العبادة لله ولم نكذب كما كذبوا فكفروا به اي فجاءهم الذكر الذي
كانوا يتمنونه وهو اشرف الاذكار لاعجازه من بين الكتب فسوف يعلمون
عاقبة كفرهم وما يحل بهم من الانتقام واكد والى قولهم بان المخففة باللام
لكونهم كانوا جادين في ذلك ثم ظهر منهم التكذيب والفتور البليغ كقوله
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولقد سبقت كلمتنا **وقرا** الجمهور بالافراد
لا انتظمت في معنى واحد عبر عنها بالافراد **وقرا** الضحاك بالجمع والمراد الوعد
بعلوهم على عدوهم في مقامات الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم
في الاخرة وقال الحسن ما غلب نبي في الحرب ولا قتل فيها فتولى عنهم اي
اعرض عنهم حتى حين اي الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن
السدي الى يوم بدر ورجحه الطبري وقال قتادة الى موتهم وقال ابن زيد
الى يوم القيامة وابصرهم اي انظر الى عاقبة امرهم فسوف يبصرون
ما يحل بهم من العذاب والاسر والقتل او فسوف يبصرونك وما يتم لك
من الظفر بهم والنصر عليهم وامره بابصارهم اشارة الى الحالة المنتظرة
الكائنة لا محالة وانها قريبة كانها بين ناظريه بحيث هو يبصرها وفي ذلك

تسلية وتعيين عنه عليه السلام افبعذابنا يستعجلون استفهام توبيخ فاذا نزل اي العذاب مثل العذاب
النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انزل بالجيوش مستوصة وتعجز فضحاهم فلم يلتفتوا الي
انذاره ولا اخذوا اهبته ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتي اناخ بفنائهم فشن عليهم الغارة
وقطع دابرهم وكانت عادة مغازيهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان
وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي يحسن بها ويرد كد
مورد بها علي نفسك وطبعك الا لمجيئها علي طريقة التمثيل قاله الزمخشري وقرا الجمهور
مبنيا للفاعل وابن مسعود مبنيا للمفعول وساحتهم هو القايم مقام الفاعل ونزل ساحة
فلان يستعمل فيما ورد علي الانسان من خير او شر وسوء الصباح يستعمل في حلول الغارات
والرزايا ومنه قول الصارخ يا صباحاه وحكم ساء هنا حكم بئس وقرا عبد الله فبئس
والمخصوص بالذم محذوف تقديره فساء صباح المنذرين صباحهم وتول عنهم حتي حين
كرر الامر بالتولي تانيسا له عليه السلام وتسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد ولم يقيد امره
بالابصار كما قيده في الاول اما لاكتفائه به في الاول فحذفه اختصارا واما لما في ترك
التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الابصار من صنوف المسرات والابصار
منهم من صنوف المساءات وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة
وختم تعالي هذه السورة بتنزيهه عما يصفه به المشركون واضاف الرب الي نبيه تشريفا
له بالمخافة وخطابه ثم الي العزة وهي العزة المخلوقة الكائنة للانبيا والمومنين
وكذلك قال الفقهاء من جهة انها مربوبة وقال محمد بن سحنون وغيره من حلف
بعزة الله تعالي يريد عزته التي خلق بين عباده وهي التي في قوله رب العزة فليست
بيمين وقال الزمخشري اضيف الرب الي العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة
كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق انتهى فعلي هذا تنعقد اليمين بها
لانها صفة من صفاته قال ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم
الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشا وعن علي كرم الله وجهه من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفي من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك
رب العزة الي اخر السورة لات هي لا الحقت التا كما الحقت في ثم ورب فقالوا ثمت المفردات
وربت وهي تعمل عمل ليس في مذهب س وعمل ان في مذهب الاخفش قال
ان ينقع ما بعدها فعلي الابتدا عنده ولها احكام ذكرت في علم النحو ياتي منها
هنا عند ذكر القرات التي فيها والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه
اذا فاته وقال الفرا النوص التاخر يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا
اي فر وزاغ واشد لامري القيس
امن ذكر سلمي ان نأتك تنوص ٭ واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر
غمر الجراد اذا قصرت عنانه ٭ بيدي استناص ورام جري المسحل ٭
وقال الجوهري استناص تاخر وقال النحاس ناص ينوص تقدم الوتد معروف وكسر
التا اشهر من فتحها ويقال وتد واتد كما قالوا شغل شاغل قاله الاصمعي وانشد
لاقت علي الما جذيلا واتدا ٭ ولم يكن يخلفها المواعدا ٭ وقالوا ودنا فادغموا
قال الشاعر تخرج الود اذا ما انحدرت ٭ وتواريه اذا ما تشتكره ٭
وقالوا فيه دت فادغموا بابدال الدال تا وفيه قلب الثاني للاول وهو قليل
سورة ص بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر بل
الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين
مناص

مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشي عجاب وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا علي الهتكم
ان هذا لشي يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق ءانزل
عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم
خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط
واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
هذه السورة مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها انه لما ذكر عن الكفار انهم كانوا يقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لاخلصوا العبادة لله واخبر انهم اتاهم الذكر فكفروا
به بدا في هذه السورة بالقسم بالقران ذي الذكر الذي جاءهم واخبر عنهم انه كاذ
بجوابهم في تعزز ومشاقة للرسول الذي جاء به ثم ذكر من اهلك من القرون التي شاقت
الرسل ليتعظوا وروي انه لما مرض ابو طالب جاءت قريش رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعند راس ابي طالب مجلس رجل فقام ابو جهل يمنعه وشكوه
الي ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم انما اريد منهم كلمة
تذل لهم بها العرب وتودي اليهم الجزية بها العجم قال وما الكلمة قال كلمة واحدة
قال وما هي قال لا اله الا الله قال فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا
قال فنزل فيهم القران ص والقران ذي الذكر حتي بلغ ان هذا الا اختلاق وقرا
الجمهور صاد بسكون الدال وقرا ابي والحسن وابن ابي اسحاق وابو السمال وابن
ابي عبلة ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال والظاهر انه كسر لالتقاء الساكنين
وهو حرف من حروف المعجم نحو قاف ونون وقال الحسن هو امر من صادي اي عارض
ومنه الصدي وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الصلبة الخالية من الاجسام
اي عارض بعملك القران وعنه ايضا صاديت حادثت اي حادثه وهو قريب من
القول الاول وقرا عيسي ومحبوب عن ابي عمرو وفرقة صاد بفتح الدال وكذا
قرا قاف ونون بفتح الفاء والنون فقيل الفتح لالتقاء الساكنين طلبا
للتخفيف وقيل انتصب علي انه مقسم به حذف منه حرف القسم نحو قوله
الله لافعلن وهو اسم للسورة وامتنع من الصرف للعلمية والتانيث وقد صرفها
من قرا صاد بالجر والتنوين علي تاويل الكتاب والتنزيل وهو ابن ابي اسحاق
في رواية وقرا الحسن ايضا صاد بضم الدال فان كان اسما للسورة فخبر
مبتدا محذوف اي هذه صاد وهي قراءة ابن السميفع وهرون الاعور وقرا
قاف ونون بضم الفا والنون وقيل هو حرف دال علي معني من نحو او من
اسم فقال الضحاك معناه صدق الله وقال محمد بن كعب مفتاح اسما الله صمد
صادق الوعد صانع المصنوعات وقيل معناه صدق محمد ابن عباس وابن جبير
والسدي ذي الشرف الباقي المخلد وقال قتادة والضحاك ذي التذكرة للناس
والهداية لهم وقيل ذي الذكر للامم والقصص والغيوب والشرايع وجواب
القسم قيل مذكور فقال الكوفيون والزجاج هو قوله ان ذلك لحق تخاصم
اهل النار وقال الفرا لا نجده مستقيما في العربية لتاخره جدا عن قوله

والقرآن وقال الاخفش جوابه ان كل الا كذب الرسل وقال العوفي كم اهلكنا وحذفت اللام اي
لكم لما طال الكلام كما حذفت في والشمس ثم قال قد افلح حكاه الفراء وثعلب وهذه الاقوال
يجب اطراحها قيل هو صاد اذ معناه صدق محمد وصدق الله ذكره الفراء وكون صاد جواب
القسم قاله الفراء وثعلب وهذا مبني على تقدم جواب القسم واعتقاد انه الصاد
يدل على ما ذكروه وقيل الجواب محذوف فقدره الحوفي لقد جاءكم الحق ونحوه الزمخشري
انه لمعجز وابن عطية ما الامر كما تزعمون ونحو هذا من التقدير ونقل ان قتادة
والطبري قالا هو محذوف قبل بل قال وهو الصحيح وقدره ما ذكرناه عنه وينبغي
ان يقدر هنا ما اثبت جوابا للقرآن حين اقسم به وذلك في قوله تعالى يس
والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فيكون التقدير هنا ص والقرآن ذي الذكر
انك لمن المرسلين ويقوي هذا التقدير ذكر النذارة هنا في قوله وعجبوا
ان جاءهم منذر منهم وقال هناك لتنذر قوما فالرسالة تتضمن النذارة
والبشارة وبل للانتقال من هذا القسم والمقسم عليه الى حال تعزز الكفار
ومشاقتهم في قبول رسالتك وامتثال ما جئت به والاعتراف بالحق وقرا
حماد بن الزبرقان وسورة عن الكسائي وميمونة عن ابي جعفر الجحدري في غرة
العقيلي في غرة بالغين المعجمة والراء اي في غفلة ومشاقة قبلهم اي كثيرا هو لا
ذوي المنعة الشديدة والشقاق وهذا وعيد لهم فنادوا اي استغاثوا
ونادوا بالتوبة قاله الحسن او رفعوا اصواتهم يقال فلان اندى صوتا اي
ارفع وذلك بعد معاينة العذاب فلم يك وقت نفع وقرا الجمهور ولات
حين بفتح التاء ونصب النون فعلى قول س عملت عمل ليس واسمها محذوف
تقديره ولات الحين حين فوت ولا فرار وعلى قول الاخفش يكون حين
اسم لات عملت عمل ان نصبت الاسم ورفعت الخبر والخبر محذوف تقديره ولات
اري حين مناص وقرا ابو السمال ولات حين بضم التاء ورفع النون فعلى قول
س فحين مناص اسم لات والخبر محذوف وعلى قول الاخفش مبتدا والخبر محذوف
وقرا عيسى بن عمر ولات حين بكسر التاء وجر النون جر بعد لات وتخريجه مشكل
وقد تمحل الزمخشري في تخريج الجر في قوله *

طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حين بقاء •

قيل شبه اوان باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه
وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف
اليه قايم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة
قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من
الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن انتهى هذا التمحل والذي
ظهر لي في تخريج هذه القراءة الشاذة والبيت النادر في جر ما بعد لات ان
الجر على اضمار من كانه قال لات من حين مناص ولات من اوان صلح كما
جروا بها في قولهم على كم جذع بيتك اي من جذع في اصح القولين وكما قالوا
لا رجل جزاه الله خيرا يريدون لا من رجل ويكون موضع من حين مناص
رفعا على انه اسم لات بمعنى ليس كما تقول ليس من رجل قايما والخبر محذوف
وهذا على قول س او على انه مبتدا والخبر محذوف على قول الاخفش وقال

بعضهم

بعضهم ومن العرب من يخفض بلات وانشد الفراء ولتندمن ولات ساعة مندم • وخرج
الاخفش ولات اوان على اضمار حين اي ولات حين اوان حذف حين وابقى اوان على جره
وقال ابو اسحاق ولات اوان انما نخفض المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسره لالتقا
الساكنين وهذا هو الوجه الذي قرره الزمخشري اخذه من ابي اسحاق الزجاج
وانشده المبرد ولات اوان بالرفع وروي عن عيسى ولات حين بالرفع مناص
بالفتح قال صاحب اللوامح فان صح ذلك فلعله بنى حين على الضم فيكون في الكلام
تقديم وتاخير واجراه مجرى قبل وبعد في الغاية وبنى مناص على الفتح مع لات
على تقدير لات مناص حين لكن انما يعمل في النكرات في اتصالها بهن دون ان
يفصل بينها ظرف او غيره وقد يجوز ان يكون بذلك معنى لا اعرفها وقرا
عيسى ايضا ولات مكررات وحاء منصب النون وتقدم تخريج نصب حين ولات
روي فيها فتح التاء وضمها وكسرها والوقف عليها بالتاء قول س والفراء وابن
كيسان والزجاج ووقف الكسائي والمبرد بالها وقوم على لا وزعموا ان التا
زيدت في حين وان رسمها ابو عبيد وذكر انه راه في الامام مخلوطة تاوه
بحين وكيف يصنع بقوله ولات ساعة مندم ولات اوان وقال الكلبي
كانوا اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار فلما اتاهم
العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال القشيري فعلى هذا يكون
التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه اي ليس الوقت وقت ندائكم
به وفيه نوع تحكم اذ كل من هلك من القرون يقول مناص عند الاضطرار انتهى
وقال الجرجاني اي فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم
لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما تقتضي الحال اذا جعل ابتداء خبرا مثل جاء زيد
راكبا ثم تقول جاء زيد وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا انتهى ويكون
اصل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وان الحين ظرف لقوله فنادوا دعوى
اعجمية مخالفة لنظم القران والمعنى على نظمه في غاية الوضوح والجملة في
موضع الحال اي فنادوا وهم لات حين مناص اي لهم ولا امر يفادي حين
الكفار انهم في عزة وشقاق اردف بما صدر عنهم من كلماتهم الفاسدة من
نسبتهم اليه السحر والكذب ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله قال الكافرون
اي وقالوا تنبيها على الصفة التي اوجبت لهم العجب حتى نسبوا من جاءهم بالهدى
والتوحيد الى السحر والكذب اجعل الالهة الها واحدا قالوا كيف يكون اله
واحد يرزق الجميع وينظر في كل امورهم وجعل بمعنى صير في القول والدعوى
والزعم وذكر تعجبهم مما لا يتعجب منه والضمير في وعجبوا لهم اي استغربوا
مجي رسول من انفسهم وقرا الجمهور عجاب وهو بناء مبالغة كرجل طوال
وسراع في طويل وسريع وقرا علي والسلمي وعيسى وابن مقسم بشد الجيم
وقال الراجز كرام وطعام طياب وهو ابلغ من فعال المخفف وقال مقاتل
عجاب لغة ازد شنوءة والذين قالوا اجعل الالهة الها واحدا قال ابن عباس
صناديد قريش وهم ستة وعشرون وانطلق الملا منهم الظاهر انطلاقهم
من مجلس ابي طالب حين اجتمعوا هم والرسول عنده وشكوه على ما تقدم في
سبب النزول ويكون ثم محذوف تقديره يتحاورون ان امشوا او تكون ان

نفسه لذلك الخلاف وامشوا امر بالمشي وهو نقل الاقدام عن ذلك المجلس قال الزمخشري
وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما
جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول والامر بالمشي اي بعضهم امر بعضا وقيل
ليس الاشراف اتباعهم وعوامهم ويجوز ان تكون ان مصدرية اي وانطلقوا بقولهم ان
امشوا وقيل الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام وان مفسرة على هذا
والامر بالمشي لا يراد به نقل الخطا انما معناه سيروا على طريقتكم ودوموا على سيركم
وقيل امشوا دعا بكثرة الماشية قيل وهو ضعيف لانه كان يلزم ان يكون الالف
مقطوعة لانه انما يقال امشى الرجل اذا صار صاحب ماشية وايضا فهذا المعنى
غير متمكن في الاية وقال الزمخشري ويجوز انهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا
من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنها الماشية للتفاؤل انتهى واصبروا اي اثبتوا
على الالهة اي على عبادتها والتمسك بها والاشارة بقوله ان هذا الى ظهور محمد
صلى الله عليه وسلم وعلوه بالنبوة لشيء يراد اي يراد منا الانقياد اليه او يريده
الله ويحكم بامضائه فليس فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب
الدهر يراد منا فلا انفكاك لنا عنه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا
عليه قاله ابن عرفة وقال القفال هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف والمعنى
انه ليس غرضه من هذا القول تقرير الدين وانما غرضه ان يستولي علينا فيحكم
في اموالنا واولادنا بما يريد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة قال ابن عباس ومجاهد
ومحمد بن كعب ومقاتل ملة النصارى لان فيها التثليث ولا توحيد وقال
مجاهد وقتادة ملة قومنا قريش ودينها وقال الفراء والزجاج ملة اليهود
والنصرانية اشركت اليهود بعزير وثلثت النصارى وقيل في الملة الاخرة التي
كنا نسمع انها تكون في اخر الزمان وذلك انه قبل المبعث كان الناس يستشعرون
خروج نبي وحدوث ملة ودين ويدل على صحة هذا ما روي من اقوال
الاحبار اولي الصوامع وما روي عن الكهان شق وسطيح وغيرهما وما كانت
بنو اسرائيل تعتقده من انه يكون منهم وقيل في الملة في موضع الحال من هذا
اي ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الاخرة اي لم نسمع من اهل الكتاب ولا
الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد الله ان هذا الا اختلاق اي افتعال
وكذب اانزل عليه الذكر من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل
عليه الكتاب من بينهم وهذا الانكار هو الناشئ عن حسد عظيم انطوت عليه صدورهم
فنطقت به السنتهم بل هم في شك من ذكري اي من القران الذي انزلته على
رسولي يرتابون فيه والاخبار بانهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب اي بعد فاذا ذاقوه عرفوا ان ما جاء به حق وزال عنهم
الشك ام عندهم خزائن رحمة ربك اي ليسوا متصرفين في خزائن الرحمة
فيعطون ما شاؤوا لمن شاؤوا ويخصون بالرسالة من ارادوا وانما يملكها ويتصرف
فيها العزيز الذي لا يغالب الوهاب ما شاء لمن شاء والاستفهام استفهام انكار وفي قوله
ام عندهم خزائن رحمة ربك وكان ذلك دليلا على انتفاء تصرفهم في خزائن رحمة
الله الى الانكار والتوبيخ بانتفاء ما هو اعم فقال ام لهم ملك السموات والارض اي
ليس لهم شيء من ذلك فليرتقوا اي ان كان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في الاسباب الموصلة

الى السما

الى السما والمعارج التي يتوصل بها الى تدبير العالم فيجعلون الرسالة فيمن اختاروا ثم صغرهم
وحقرهم فاخبر بما يؤول اليه امرهم من الهزيمة والخيبة قيل وما زائدة ويجوز ان
تكون صفة اريد به التعظيم على سبيل الهزء بهم او التحقير لان ما الصفة تستعمل على
هذين المعنيين وهنالك ظرف مكان يشار به للبعيد والظاهر انه يشار به للمكان
الذي تفاوضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة وهو
مكة فيكون ذلك اخبارا بالغيب عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح فالمعنى انهم يصيرون
مهزومين بمكة يوم الفتح وقيل هنالك اشارة الى الارتقاء في الاسباب اي
هؤلاء القوم ان راموا ذلك جند مهزوم وقيل الاشارة بهنالك الى حملة الاصنام
وعضدها اي هم جند مهزوم في هذه السبيل وقال مجاهد وقتادة الاشارة الى
يوم بدر وكان غيبا اعلم الله به على لسان رسوله وقيل الاشارة الى حصر عام
الخندق بالمدينة وقال الزمخشري وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه
انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من
اهله لست هنالك انتهى وهنالك يحتمل ان يكون في موضع الصفة لجند اي
كائن هنالك ويحتمل ان يكون متعلقا بمهزوم وجند خبر مبتدا اي هم جند
ومهزوم خبر ثان وقال ابو البقاء جند مبتدا وما زائدة وهنالك نعت ومهزوم
الخبر انتهى وفيه بعد لتفلته عن الكلام الذي قبله ومعنى من الاحزاب من جملة
الاحزاب الذين تعصبوا في الباطل وكذبوا الرسل ولما ذكر تعالى انهم جند ما هنالك
من قريش عزة وتكبرا للمكذبين رسلهم ذكر هنا من لم تغن قوته وذو الاوتاد
اي صاحب الاوتاد واصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال الافوه
الاودي والبيت لا يبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاده فاستعير
لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد
قال الزمخشري واخذه من كلام غيره وقال ابن عباس وقتادة وعطا كانت له اوتاد
وخشب يلعب بها وعليها وقال السدي كان يقتل الناس بالاوتاد ويسمرهم في
الارض بها وقال الضحاك اراد المباني العظيمة الثابتة وقيل عبارة عن كثرة اجنته
وعظم عساكره وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه
الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وروي معناه عن الحسن
ومجاهد وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات
وقيل يشدهم باربعة اوتاد ثم يرفع صخرة فتلقى عليه فتشدخه وقال ابن مسعود
وابن عباس في رواية عطية الاوتاد الجنود يشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وقيل
بنى منارا يذبح عليها الناس قاله ابن جبير اولئك الاحزاب اي الذين تحزبوا على
انبيائهم كما تحزب قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الاشارة باولئك
الى اقرب مذكور وهم قوم نوح ومن عطف عليهم وفيه تفخيم لشانهم واعلام بان
على تحزب على رسول الله اي هؤلاء العظماء لما كذبوا عوقبوا فكيف انتم ان
كل الا كذب الرسل فحق عقاب فوجب عقابهم كذبت قبلهم قوم نوح فاهلكوا بالغرق وقوم
هود فاهلكوا بالريح وفرعون فاغرق وثمود بالصيحة وقوم لوط بالخسف
والايكة بعذاب الظلة ومعنى ان كل ما كل من قوم نوح فمن بعده فحق عقاب
اي وجب عقابهم فكذلك يحق عليكم ايها المكذبون بالرسول وقال الزمخشري

المفردات

أولئك الأحزاب قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب الرسل لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعاً وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً وبما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه ثم قال فحق عقاب أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم انتهى

(الفواق) بضم الفاء وفتحها الزمان الذي ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع وفي الحديث العيادة قدر فواق الناقة وأفاقت الناقة إفاقة اجتمعت الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة عن أبي عمرو والفيقة اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ويجمع على أفواق وأفاويق جمع الجمع وقال أبو عبيدة والفراء من قرأ الفواق بالفتح الإفاقة والاستراحة (القط) وقال الفراء الحظ والنصيب ومنه قيل للصك القط وقال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز (قال الأعشى)

ولا الملك النعمان يوم لقيته * بغبطته يعطي القطوط ويأفق *

ويروى بأمته أي بنعمته يأفق يصلح وهو في الكتاب أكثر استعمالاً (قال أمية ابن أبي الصلت) قوم لهم ساحة أرض العراق * وما يجبي إليهم بها والقط والقلم * ويجمع أيضاً على قططة وفي القليل أقط وأقطاط (تسور الحائط) والتسور والتسنم هو التعلي على الإعلاء والسور حائط المدينة وهو غير مهموز (الشطط) مجاوزة الحد وتخطي الحق وقال أبو عبيدة شططت على فلان وأشططت جرت في الحكم (التسع) رتبة من العدد معروفة وكسرها أشهر من الفتح (النعجة) الأنثى من بقر الوحش ومن الضأن ويكنى بها عن المرأة (قال الشاعر)

هما نعجتان من نعاج تبالة * لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر *

(وقال ابن عون) أنا أبوهن ثلاث هنه * وأربع في البيت صغراهنه *

ونعجتي خمساً توفيهنه * ألا فتى سمح يغذيهنه *

(عزه) غلبه يعزه عزاً وفي المثل من عز بز أي من غلب سلب (وقال الشاعر)

قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح *

(الصافن) من الخيل الذي يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله وهي علامة الفراهة (وأنشد الزجاج) ألف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا * وقال أبو عبيدة الصافن الواقف في الخيل وغيرها وفي الحديث من سره أن يقوم الناس له صفوناً فليتبوأ مقعده من النار أي يديمون له القيام حكاه قطرب (وأنشد النابغة) لنا قبة مضروبة بفنائها * عتاق المهاري والجياد الصوافن * وقال الفراء على هذا رأيت العرب وأشعارهم يدل على أنه القيام خاصة (جاد الفرس) صار رائعاً يجود جودة بالضم فهو جواد للذكر والأنثى من خيل جياد وأجواد وأجاويد وقيل الطول الأعناق من الجيد وهو العنق إذ هي من صفات فراهتها وقيل الجياد جمع جود كثوب وثياب (الرخاء) اللينة مشتقة من الرخاوة (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه

يسبحن

يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) وما ينظر هؤلاء إشارة إلى كفار قريش والإشارة بهؤلاء مقوية أن الإشارة بأولئك هي للأحزاب الذين بلوناهم من قوم نوح وما عطف عليه وقال الزمخشري ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لأنهم كالحضور عند الله انتهى وفيه بعد وهو إخبار منه تعالى بالحصر الموجود والصيحة ما نالهم من قتل وأسر وغلبة كما تقول صاح فيهم الدهر وقال قتادة توعدهم بصيحة القيامة والنفخ في الصور وقيل بصيحة يهلكون بها في الدنيا فالقول الأول فيه الانتظار من الرسول كي يحيق فيهم وعلى هذين القولين هم مدرج عقوبة وتحت أمر خطر ما ينتظرون فيه إلا الهلكة وقرأ الجمهور من فواق بفتح الفاء والسلمي وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وطلحة بضمها فقيل هما بمعنى كقصاص الشعر وقصاصه وقال ابن زيد والسدي بالفتح إفاقة من أفاق واستراح كجواب من أجاب قال ابن عباس من فواق من ترداد وقال مجاهد من رجوع عجل لنا قطنا نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا قاله الحسن وقتادة وابن جبير وقال قتادة أيضاً ومجاهد نصيبنا من العذاب وقال أبو العالية والكلبي صحيفتنا بأيماننا وقال السدي المعنى أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك وعلى كل قول فإنما قالوا ذلك على سبيل الاستخفاف والاستهزاء ومعنى قبل يوم الحساب أي الذي يزعمون أنه واقع في العالم إذ هم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفاف أمر تعالى نبيه بالصبر على أذاهم وذكر قصصاً للأنبياء داود وسليمان وأيوب وغيرهم وما عرض لهم فصبروا حتى فرج الله عنهم وصارت عاقبتهم أحسن عاقبة فكذلك أنت تصبر ويؤول أمرك إلى أحسن مآل وتبلغ ما تريد من إقامة دينك وإماتة الضلال وقيل اصبر على ما يقولون وعظم أمر مخالفة الله في أعينهم وذكرهم بقصة داود وما عرض له وهو قد أوتي النبوة والملك ثم القلى بكرمع كونه وعصيا تكرر انتهى وهو ملتقط من كلام الزمخشري مع تغيير بعض ألفاظه لا تناسب منصب النبوة وقيل أمره بالصبر وذكر قصص الأنبياء ليكون برهاناً على صحة نبوته وقيل اصبر على ما يقولون وحافظ على ما كلفت به من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر داود وكرامته على الله وما عرض له وما لقي من عتب الله ذا الأيد أي ذا القوة في الدين والشرع والصدع بأمر الله والطاعة لله وكان مع ذلك قوياً في بدنه والأواب الرجاع إلى طاعة الله قاله مجاهد وابن زيد وقال السدي المسبح ووصفه بأنه أواب يدل على أن ذا الأيد معناه القوة في الدين ويقال رجل أيد وأيد وذو أيد وأياد كل شيء ما يتقوى به والإشراق وقت الإشراق قال ثعلب شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت وصفت وفي الحديث أنه عليه السلام صلى صلاة الصبح وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وفي هذين الوقتين كانت صلاة

بين ايديه وتقدم الكلام في تسبيح الجبال في قصة داود في سورة الانبيا واتي بالمضارع بدل الاسم الفاعل دلالة
على حدوث التسبيح شيا بعد شي وحالا بعد حال فكان السامع محاضر تلك الجبال يسمعها تسبح ومثله
قول الاعشي: لعمري لقد لاحت عيون كثيرة • الي ضو نار في يفاع تحرق •
اي تحرق شيا فشيا ولو قال محرقة لم يدل علي هذا المعني وقرا الجمهور والطير محشورة بنصبهما
عطفا علي الجبال نحو عطف مفعول علي مفعول وحال علي حال كقولك ضربت هندا مجردة
ودعدا لابسة وقرا ابن ابي عبلة والجحدري والطير محشورة برفعهما مبتدا وخبرا وجا
محشورة باسم المفعول لانه لم يرد انها تحشر شيا فشيا اذ حاشرها هو الله تعالي فهو الله تعالي
فحشرها جملة واحدة ادل علي القدرة والظاهر عود الضمير في له علي داود اي كل واحد من
الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت ترجع تسبيحه ووضع الاواب
موضع المسبح وقيل الضمير عائد علي الله اي كل من داود والجبال والطير اواب اي مسبح يرجع
التسبيح وقرا الجمهور وشددنا مخففا وقرئ مشددا كقوله مشدد ... باجمعك
وابن ابي عبلة بشد الدال وهو عبارة شاملة لما وهب الله تعالي له من قوة وجند ونعمة
ولم يخص ببعض الاشيا لا يظهر وقال السدي بالجنود وقيل كان يحرسه كل ليلة اربعون الف
يحرسونه وهذا بعيد في العادة وقيل بهيبة قذفها الله له في قلوب قومه
والحكمة هنا النبوة والزبور او العلم في الدين او كل كلام وافق الحق اقوال وفصل الخطاب
قال علي والشعبي ايجاب اليمين علي المدعي عليه والبينة علي المدعي وقال ابن عباس ومجاهد
والسدي القضا بين الناس بالحق واصابته وفهمه وقال الشعبي كلمة اما بعد لانه
اول من تكلم بها وفصل بين كلامين قال الزمخشري لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له
شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الي الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله
بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع
ممل ومنه ما جا في صفة كلام رسول الله صلي الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر انتهي
ولما كان تعالي قد كمل نفس نبيه داود بالحكمة ايده ببيان كما افلقه في النطق والعبادة
فقال وفصل الخطاب وهل اتاك نبا الخصم لما اثني تعالي علي داود عليه السلام ذكر قصته
هذه ليعلم ان مثل قصته لا يقدح في الثنا عليه والتعظيم لقدره وان تضمنت استغفاره
ربه وليس في الاستغفار ما يشعر بارتكاب امر يستغفر منه وما زال الاستغفار شعار
الانبيا المشهود لهم بالعصمة ويجي مثل هذا الاستفهام انما يكون لغرابة ما يجي معه
من القصص كقوله وهل اتاك حديث موسي فيتهيا المخاطب بهذا الاستفهام لما
يلقي بعده ويصغي كذلك وذكر المفسرون في هذه القصة اشيا لا تناسب مناصب الانبيا
ضربنا عن ذكرها صفحا وتكلمنا علي الفاظ الاية والنبا الخبر والخصم اصله مصدر فكذلك
يصلح للمفرد والمذكر وفروعهما وهو هنا للجمع ولذلك قال اذ تسوروا اذ دخلوا كما •
قال الشاعر وخصم يعدون الدخول كانهم • قروم غيارى كل ازهر مصعب •
والظاهر انهم كانوا جماعة فلذلك اتي بضمير الجمع فان كان المتحاكمان اثنين فيكون
قد جا معهم غيرهم علي جهة المعاضدة او المؤانسة ولا خلاف انهم كانوا
ملائكة كذا قال بعضهم وقيل كانا اخوين من بني اسرائيل لاب وام والاول اشهر
وقيل الخصم هنا اثنان وتجوز في العبادة فاخبر عنهما اخبار ما زاد علي اثنين
لان معني الجمع في التثنية وقيل يعني خصمان فريقان فيكون تسوروا ودخلوا
عائدا علي الخصم الذي هو جمع الفريقين ويدل عليه خصمان بعني فريقان وقرا

ومن قرا

من قرا بغي بعضهم علي بعض وقال تعالي هذان خصمان اختصموا في ربهم اي فريقان فاما ان هذا
اخي وما روي انه بعث اليه ملكان فالمعني ان المتحاكمين اثنين ولا يمتنع ان يصحبهما
غيرهما واطلق علي الجميع خصم وعلي الفريقين خصمان لان من جا مع متخاصم لمعاضدة فهو في صورة
خصم ولا يبعد ان يطلق علي اثنين والعامل في اذ قيل هو اذ اتاك قاله الحوفي ورد بان
اتيان النبا رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود وقال ابن عطية
وابو البقا العامل فيه نبا ورد بما رد به ما قبله اذ النبا الواقع في عهد داود عليه السلام
لا يصح اتيانه رسول الله صلي الله عليه وسلم وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن
ناصبا وقيل العامل فيه محذوف تقديره وهل اتاك تحاكم الخصم قاله الزمخشري ويجوز
ان ينتصب بالخصم لما فيه من معني الفعل واذ دخلوا بدل من اذ الاولي وقيل منتصب
بتسوروا وروي ان الله تعالي بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه
جالسان قال ابن عباس جزا زمانه اربعة اجزا يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما
للاشتغال بخواص اموره ويوما لجميع بني اسرائيل يعظهم ويبكيهم فجاوه في غير القضا
ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من
يدخل عليه فخاف ان يوذوه وقيل كان ذلك ليلا ويحتمل ان يكون فزعه من اجل ان اهل
مملكته قد استهانوا حتي ترك بعضهم الاستيذان فيكون فزعه علي فساد السيرة لا من
الداخلين وقال ابو الاحوص فزع منهم لانهما دخلا عليه وكل منهما آخذ برأس صاحبه
وقيل فزع منهم لما راي من تسورهم علي موضع مرتفع لا يمكن ان يرتقي اليه بعد
اشهر مع هوان وكثرة عدد وقيل انهما قالا لم نتوصل اليك الا بالتسور لمنع الحجاب
وخفنا تفاقم الامر بيننا فقبل داود عذرهم ولما ادركوا منه الفزع قالوا لا تخف اي
لسنا ممن جا لاضرارك خصمان يحتمل ان يكون هذا موصولا بقولهم لا تخف بادرا
باخبار ما جا اليه ويحتمل ان يكون شانهم ما امركم فقالوا خصمان اي نحن خصمان بغي اي
جار بعضنا علي بعض قال الشاعر • ولكن الفتي حمل بن بدر • بغي والبغي مرتعه وخيم •
وقرا ابو يزيد الجراد عن الكسائي خصمان بكسر الخا وفي بعضهم له ونهيهم بعض فاحكم
بين الحكام صدع علي ذلك ما هم فيه من التخاصم والتخاسر فاستدعوا عدله من غير ارتياب
بانه يحكم بالحق وقرا الجمهور ولا تشطط مفكوكا من اشطط رباعيا وابو رجا وابن
ابي عبلة وقتادة والحسن وابو حيوة تشطط من شطط ثلاثيا وقرا قتادة ايضا
تشط مدغما من اشط وقرا زر تشاطط بضم التا وبالف علي وزن تفاعل مفككا
وعن قتادة ايضا تشطط من شطط وسوا الصراط وسط طريق الحق الاصيل فيه من
هنا ولا هنا الاخ هنا اي هو وقول المدعي منهما واخي عطف بيان عند ابن عطية وبدل
او خبر لان عند الزمخشري والاخوة هنا مستعارة اذ هما ملكان لكنهما لما ظهرا في
صورة انسانين تكلما بالاخوة ومجازها انها اخوة في الدين والايمان او علي معني
الصحبة والمرافقة او علي معني الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطا
وكل واحدة من هذه الاخوات تقتضي منع الاعتدا ويندب الي العدل وقرا
الجمهور تسع وتسعون بكسر التا فيهما وقرا الحسن وزيد بن علي بفتحها وقرا
الجمهور نعجة بفتح النون والحسن وابن هرمز بكسر النون وهي لغة لبعض بني
تميم قيل وكني بالنعجة عن الزوجة فقال اكفلنيها اي ردها في كفالتي وقال

ابن كيسان اجعلها كفلي حتى تضمني وقال ابن عباس اعطنيها وعنه وعن ابن مسعود تحول
لي عنها وعن ابي العالية ضمها الي حتى اكفلها وعزني في الخطاب قال الضحاك ان تكلم كان
افصح مني وان حارب كان ابطش مني قال ابن عطية لانه اوجد مني واقوى فاذا خاطبته كان
كلامه اقوى من كلامي وقوته اعظم من قوتي وقال الزمخشري جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه
ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني
خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقيل غلبني بسلطانه لانه لما سال
لم يستطع خلافه قال الحافظ ابو بكر بن العربي كان ببلادنا امير يقال له سيري بن ابي بكر فكلمته
في ان يسال لي رجلا حاجة فقال لي اما علمت ان طلب السلطان للحاجة غصب لها فقلت
اما اذا كان عدلا فلا وقرا ابو حيوة وطلحة وعزني بتخفيف الزاي قال ابو الفتح حذف
الزاي الواحد تخفيفا كما قال ابو زبيد احسن به فهن اليه شوس وروي كذلك عن عاصم
وقرا عبد الله وابو وائل ومسروق والضحاك والحسن وعبيد بن عمير وعازني بالف
وتشديد الزاي اي وغالبني والظاهر ابقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها
انثى الضان ولا يكنى بها عن المراة ولا ضرورة تدعو الى ذلك لان ذلك الاخبار كان صادرا من
الملائكة على سبيل التصوير للمسالة والفرض لها من غير تلبس بشي منها فمثلوا
بقصة رجل له نعجة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع
في نعجة خليطه واراد انتزاعها منه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده ويدل على ذلك
قوله وان كثيرا من الخلطاء وهذا التصوير والتمثيل ابلغ في المقصود وادل على المراد قال لقد
ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه لم يكن هذا ابتداء من داود عليه السلام اثر فراغ لفظ المدعي ولا
فتيا بظاهر كلامه قبل ظهور ما يجب فقيل ذلك على تقدير لئن كان ما تقول لقد
ظلمك فقيد ثم محذوف اي فاقر المدعى عليه فقال لقد ظلمك ولكنه لم يحك في القران
اعتراف المدعى عليه لانه معلوم من الشرايع كلها انه لا يحكم الحاكم الا بعد اجابة المدعى عليه فاما
ما قاله الحليمي من انه راى في المدعي مخايل الضعف والهضيمة فحمل امره على انه مظلوم
كما تقول فدعاه ذلك الى ان لا يسال المدعى عليه فاستعجل بقوله لقد ظلمك فقول ضعيف
لا يعول عليه وروي ان داود عليه السلام لما سمع كلام الشاكي قال للاخر ما تقول فاقر فقال له
لئن لم ترجع الى الحق لاكسرن الذي فيه عيناك فقال للثاني لقد ظلمك فتبسما عند ذلك وذهبا
ولم يرهما لحينه وروي انهما ذهبا نحو السماء بمراي منه واضاف المصدر الى المفعول
وضمن السؤال معنى الاضافة اي باضافة نعجتك على سبيل السؤال والطلب وكذلك عداه
بالى وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض هذا من كلام داود وقيل على ان زمانه
كان فيه الظلم والاعتداء كثيرا والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط فقصد
داود بهذا الكلام الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم
لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم وان يسلي المظلوم عن ما جرى عليه من خليطه وان له
في اكثر الخلطاء اسوة وقرى ليبغي بفتح الياء على تقدير حذف النون الخفيفة واصله
ليبغين كما قال اضرب عنك الهموم طارقها ... ويكون على تقدير قسم محذوف
وذلك القسم وجوابه خبر لان وعلى قراءة الجمهور يكون ليبغي خبر لان وقرى ليبغ بحذف الياء
لقوله يوم تاتي كل نفس اي تقدير على احد القولين وقليل خبر مقدم وما زائدة
تفيد معنى التعظيم والتعجيب وهم مبتدا وظن داود انما فتناه الظن الغالب يقارب
العلم استعير له معناه وعلم داود وايقن انا ابتليناه بمحاكمة الخصمين وانكر ابن عطية

مجي

مجي الظن بمعنى اليقين وقال لسنا نجده في كلام العرب وانما هو توقيف بين معتقدين غلب
احدهما على الاخر وتوقعه العرب على العلم الذي ليس على الحواس ولا له اليقين التام ولكن
خلط الناس في هذا ويقولون ظن بمعنى ايقن وقول ابن عطية في ذكرهما يوقف عليه
في كتابه وقرا الجمهور فتناه وعمر بن الخطاب وابو رجا والحسن بخلاف عنه بتشديد التاء والنون
كقوله لئن فتنتني لهي بالامس افتتنت وقتادة وابو عمرو
سالفة والضحاك افتناه
في رواية بخفة التاء والنون والالف ضمير الخصمين فاستغفر ربه وخر راكعا حال والخرور
الهوي الى الارض فاما انه عبر بالركوع عن السجود واما انه ذكر اول احوال الخرور اي راكعا
للسجود وقال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع وقال الحسين بن الفضل اخر من ركوعه
اي سجد بعد ان كان راكعا وقال قوم يقال خر لمن ركع وان لم ينته الى الارض والذي
تذهب اليه ما دل عليه ظاهر الاية من ان المتسورين المحراب كانوا من الانس دخلوا عليه
من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم وانه فزع منهم ظانا انهم يغتالونه اذ
كان منفردا في محرابه لعبادة ربه فلما اتضح له انهم جاؤوا في حكومة وبرز منهم
اثنان للتحاكم كما قص الله تعالى وان داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك
الوقت ومن تلك الجهة ابتلاء من الله ان يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر
من ذلك الظن حيث اخلف ولم يكن يقع مظنونه وخر ساجدا ورجع الى الله وانه تعالى
غفر له ذلك الظن حيث اخلف ولم يكن ليقع وكذلك اشار بقوله فغفرنا له ذلك
ولم يتقدم سوى قوله وظن داود انما فتناه ونعلم قطعا ان الانبياء عليهم السلام
معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شي منها ضرورة انا لو جوزنا عليهم شيا
من ذلك بطلت الشرايع ولم نثق بشي مما يذكرون انه اوحى الله به اليهم
فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما اراده تعالى وما حكى القصاص مما
فيه غض عن منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر ونؤثر حكم العقل
في كل شبهة اذا اثر الاخبار جلاس قصاص ه يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين
كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر
اولو الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب
ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان والقينا
على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
جعله تعالى داود خليفة في الارض يدل على مكانته عليه السلام عنده واصطفائه
ويدفع في صدر من نسب اليه شيئا مما لا يليق بمنصب النبوة واحتمل لفظ
خليفة ان معناه تخلف من تقدمك من الانبياء ان يعلي قدرك بجعلك ملكا نافذ
الحكم ومنه قيل خليفة الله في ارضه واستدل بهذه الاية على احتياج الارض
الى خليفة من الله بل لا يلزم ذلك من الاية بل لزومه من جهة الشرع والاجماع قال ابن عطية

ولا يقال خليفة الله ولا يلزم ذلك من الآية بل لزومه من جهة الشرع والاجماع الا الرسول واما
الخلفا فكل واحد منهم خليفة الذي قبله وما يجي في الشعر من تسمية احدهم خليفة الله فذلك
تجوز كما قال قيس الرقيات خليفة الله في بريته جفت بذاك الاقلام والكتب
وقالت الصحابة لابي بكر خليفة رسول الله وبذلك كان يدعى مدة فلما ولي
عمر قالوا خليفة خليفة رسول الله وطال الامر ورأوا انه في المستقبل سيطول فدعوه امير المؤمنين
وقصر هذا الاسم على الخلفا فاحكم بين الناس بالحق امر بالديمومة وتنبيه
لغيره ممن ولي امور الناس وان لا يمتن حيث هو معصوم لا يحكم الا بالحق امرا
ولا بالحكم ولما كان الهوى قد يعرض لغير المعصوم امر باجتنابه وذكر نتيجة اتباعه
وهو اضلال عن سبيل الله فيضلك جواب للنهي والفاعل في فيضلك جواب النهي
والفاعل في فيضلك ضمير الهوى او ضمير المصدر المفهوم من ولا تتبع اي فيضلك
اتباع الهوى ولما ذكر ما ترتب على اتباع الهوى وهو الاضلال عن سبيل الله ذكر
عقاب الضال وقرا الجمهور يضلون بفتح اليا لانهم لما ضلوا باتباع الهوى صاروا
ضالين وقرا ابن عباس والحسن بخلاف عنهما وابو حيوة بضم اليا وهذه القراءة
اعم لانه لا يضل الا ضال في نفسه وقراءة الجمهور اوضح وبما نسوا متعلق بما تعلق
لهم ونسوا تركوا ويوم يجوز ان يكون معمولا لنسوا او بما تعلق به لهم ويكون النسيان
عبارة عن ضلالهم عن سبيل الله وانتصب باطلا على انه نعت لمصدر محذوف اي خلقا
باطلا او على الحال اي مبطلين اي ذوي باطل او على انه مفعول من اجله ويعني بالباطل العبث
ذلك اي كون خلقها باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم وهؤلاء وان كانوا مقرين
بان خالق السموات والارض هو الله تعالى فهم من حيث انكروا المعاد والثواب والعقاب
ظانون ان خلق ذلك ليس لحكمة وان خلق ذلك انما هو عبث ولذلك قال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتنبه على المعاد والرجوع الى الجزاء به
ثم ذكر ما بين المؤمن عامل الصالحات والمفسد من التباين وانهما لا يستويان
وقابل الصلاح بالفساد والتقوى بالفجور وقال ابن عباس هي عامة في جميع المسلمين
والكافرين وقيل في قوم من مشركي قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى في الآخرة اعظم مما لنا في الدنيا
فانزل الله هذه الآية وقيل في جماعة من المؤمنين والكافرين معينين بارزوا يوم
بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة
ووصف كل بما ناسبه والاستفهام بام في الموضعين استفهام انكار والمعنى انه لا يستوي
عند الله من اصلح ومن افسد ولا من اتقى ومن فجر وكيف تكون التسوية بين
من اطاع ومن عصى اذ كان يبطل الجزا والجزا لا محالة واقع بالتسوية منتفية
ولما انتفت التسوية بين ما يتضح به لمتبعه السعادة الابدية وهو كتاب الله فقال
كتاب انزلناه وارتفاعه على اضمار مبتدا اي هذا كتاب وقرا الجمهور مبارك ليدبروا
بيا الغيبة وشد الدال واصله ليتدبروا وقرا علي بهذا الاصل وقرا ابو جعفر
بتا الخطاب وتخفيف الدال وجا كذلك عن عاصم والكسائي بخلاف عنهما والاصل
لتتدبروا بتاين فحذفت احداهما على الخلاف الذي فيها اهي تا المضارعة ام التانية
تخفيفا واللام في ليدبروا لام كي واسند التدبر الى الجميع وهو التفكر في الآيات
والتامل الذي يفضي لصاحبه الى النظر في عواقب الاشيا واسند التذكر الى
اولي العقول لان ذا العقل فيه ما يهديه الى الحق وهو عقله فلا يحتاج الا الى
ما يذكره فيتذكر والمخصوص بالمدح محذوف التقدير نعم العبد هو اي سليمان

وقري

وقرئ بهم على الاصل كما قال لهم السامعون في القوم الشرط انه تعالى علية الكثرة
رجوعه اليه او الكثير نسبح اذ عرض الناصب لاذ قيل او اب وقيل اذ ذكر على الاختلاف
في تاويل هذه الآية قال الجمهور عرض عليه الالف من الخيل تركها ابوه له وقيل الف واحد
فاجريت بين يديه عشا فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له وقتال حتى رددوها
فطفق يضرب اعناقها وعراقيبها بالسيف لما كانت سبب الذهول عن ذكر الذكر
فابدله الله اسرع الريح وقال قوم منهم الثعلبي كانت بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم
حلال فعقرها لتوكل على سبيل القربة ونحو الهدى عندنا انتهى وفي هذا القصد
الفاظ فيها غض من منصب النبوة لنسبتها عنه والخير في قوله حب الخير في
هذا القول يراد به الخير والعرب تسمي الخيل الخير قاله قتادة والسدي وقال الضحاك
وابن جبير الخير هنا المال وانتصب حب الخير قيل على المفعول به لتضمن احببت
معنى اثرت قاله الفراء وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي احببت الخير حب
الخير اي حبا مثل حب الخير وقيل عدي بعن لتضمنه معنى فعل يتعدى بها اي انبت
حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني
في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وقالت
فرقة احببت سقطت الى الارض ماخوذ مما احب البعير اذا اعيي وسقط قال بعضهم
احب البعير برك وفلان طامار اسه وقال ابو زيد بعير محب وقد احب احبابا اذا
اصابه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرا او يموت قال ثعلب يقال للبعير
الحسير محب فالمعنى قعدت عن ذكر ربي وحب الخير على هذا مفعول من اجله والظا
ان الضمير في توارت عائد على الصافنات اي دخلت اصطبلاتها فهي في الحجاب وقيل
حتى توارت الشابقة بما يحجبها عن النظر وقيل الضمير للشمس وان لم يجر لها ذكر
لدلالة العشي عليها وقالت طائفة عرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة فاشار اليهم اني في
صلاة فازالوها عنه حتى دخلت في الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته اني احببت حب
الخير اي الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي كانه يقول فشغلني ذلك عن رؤية
الخيل حتى دخلت اصطبلاتها ردوها علي فطفق يمسح اعرافها وسوقها محبة لها وقال
ابن عباس والزهري مسحه بالسوق والاعناق لم يكن بالسيف بل بيديه تكريما لها
ومحبة ورجحه الطبري وقيل بل غسلا بالماء وقال الثعلبي ان هذا المسح كان وسما
في السوق والاعناق بوسم حبس في سبيل الله انتهى وهذا القول الذي
يناسب مناصب الانبيا لا القول المنسوب للجمهور فان في قصته ما لا يليق
ذكره بالنسبة للانبيا وحتى توارت غاية فالفعل يكون قبلها متطاولا حتى تصح
الغاية فاحببت معناه داومت المحبة وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله ردوها
علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قايلا قال فماذا قال
سليمان لانه موضع مقتض للسوال اقتضا ظاهرا انتهى وذكر الزمخشري لفظا فيه غض من النبوة
فتركته وما ذهب اليه من هذا الاضمار لا يحتاج اليه اذ الجملة مندرجة تحت حكاية
القول وهو قال اني احببت فهذه الجملة وجملة ردوها على محكيتان بقال وطفق من
افعال المقاربة للشروع في الفعل وحذف خبرها لدلالة المصدر عليه اي فطفق يمسح مسحا
وقرا الجمهور بمحاذير بدير بن علي مساحا على وزن قتال والبا في بالسوق زايدة كهي في
قوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم وحكى س مسحت براسه وبراسه بمعنى واحد وتقدم

الكلام على ذلك في المايدة وقرا الجمهور بالسوق بغير همز على وزن فعل وهو جمع ساق على وزن
فَعل بفتح العين كاسد واسد وابن كثير بالهمز قال ابو علي وهي ضعيفة لكن وجهها في
القياس ان الضمة لما كانت تلي الواو وقدر انها عليها فهمزت كما يفعلون بالواو المضمومة
ووجه همز السوق من السماع ان ابا حية النميري كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة
وكان ينشد حب المؤقدين الى موسى انتهى وليست ضعيفة لان الساق فيه
الهمز وورث فعل بسكون العين فجات هذه القراه على هذه اللغة وقرا
ابن كثير في رواية بهمزة بعدها الواو ورواها بكار عن قنبل وقرا زيد بن علي
بالساق مفردا اكتفى به عن الجمع لامن اللبس ومن غريب القول ان الضمير
في ردوها عايد على الشمس وقد اختلفوا في عدد هذه الخيل على اقوال متكاذبة
سود الورق بذكرها ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا نقل المفسرون
في هذه الفتنة والقا الجسد اقوالا يجب براة الانبيا منها يوقف عليها في كتبهم
وهي مما لا يحل نقلها واما هي من اوضاع اليهود والزنادقة ولم يبين الله الفتنة
ما هي ولا الجسد الذي القاه على كرسي سليمان واقرب ما قيل فيه ان المراد بالفتنة
كونه لم يستثن في الحديث الذي قال فيه لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
واحدة جات بشق رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فالمراد بقوله ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسدا هو هذا والجسد الملقى هو المولود شق رجل وقال قوم
مرض سليمان مرضا كالاغما حتى صار على كرسيه جسدا كانه بلا روح ولما امر الله
تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم امره بان يذكر
من ابتلي فصبر فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة ايوب ليتاسى بهم وذكر
ما لهم عنده من الزلفى والمكانة فلم يكن ليذكر من يتاسى به ممن نسب المفسرون
اليه ما يعظم ان يتفوه به ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه كتمثل الشيطان
بصورة نبي حتى يلتبس امره عند الناس ويعتقدون ان ذلك المتصور هو النبي
ولو امكن وجود هذا لم يوثق بارسال نبي وانما هذه مقالة مسترقة من زنادقة
السوفسطايية نسال الله سلامة اذهاننا وعقولنا ثم اناب اي بعد امتحاننا اياه
دوام الانابة والرجوع قال رب اغفر لي هذا ادب الانبيا والصالحين من طلب
المغفرة من الله هضما للنفس واظهارا للذلة والخشوع وطلبا للترقي في المقامات
وفي الحديث اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة والاستغفار مقدمة بين
يدي ما يطلب المستغفر يطلب الاهم في دينه فيترتب عليه امر دنياه كقول نوح فيما حكى
الله عنه فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الاية والظاهر
ان طلب الملك كان بعد هذه المحنة وذكر المفسرون انه اقام في ملكه عشرين سنة
قبل هذا الابتلا واقام بعدها عشرين سنة فيمكن انه كان في ملك قبل المحنة ثم سال
بعدها ملكا مقيدا بالوصف الذي بعده وهو كونه لا ينبغي لاحد من بعدي واختلفوا
في هذا القول فقال عطا بن ابي رباح وقتادة في مدة حياتي لا اسلبه ويصير الى
غيري وقال ابن عطية انما قصد بذلك قصدا جايزا لان للانسان ان يرغب من فضل
الله فيما لا يناله احد لا سيما بحسب المكانة والنبوة وانظر الى قوله لا ينبغي انما هي لفظة
محتملة

محتملة ليست تقطع في انه لا يعطي الله نحو ذلك الملك لاحد انتهى وقال الزمخشري كان سليمان عليه السلام
ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب
الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا
على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن تكون معجزة حتى تخرق العادات فذلك معنى
قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ
على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح
بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم فيه غيري مقامي ويجوز ان يقال علم الله فيما
اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبايه غيره
واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة
التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا
عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان
ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده
انتهى ولما بالغ في صفة هذا الملك الذي طلبه اتى في صفته تعالى باللفظ الدال على المبالغة
فقال انك انت الوهاب اي الكثير الهبات لا ينقص ما عنده هبة ولما طلب الهبة اتى اعني
بطلبها وهبه واعطاه ما ذكر تعالى من قوله فسخرنا له الريح وقرا الجمهور بالافراد
والحسن وابو رجا وقتادة وابو جعفر الرياح بالجمع وهو اعم لعظم ملك سليمان وان كان
المفرد يفيد الجمع لكونه اسم جنس تجري يحتمل ان تكون جملة حالية اي جارية وان تكون
تفسيرية لقوله فسخرنا الريح تجري بامره اي لا تمتنع عليه اذا اراد جريها رخا قال ابن عباس
والحسن والضحاك مطيعة وقال مجاهد طيبة حيث اصاب اي حيث قصد واراد وحكى
الزجاج عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب اي قصد وعن روبة ان رجلين
من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا
هذه طلبتنا ورجعا فقال اصاب الله بكما خيرا وانشد الثعلبي

اصاب الكلام فلم يستطع ° فاخطا الجواب لدى المفصل

وقال وهب حيث اصاب اي اراد وقيل يجوز ان يكون اصاب دخلت عليه همزة التعدية
من صاب يصوب اي حيث وجه جنوده وجعلهم يصوبون صوب السحاب والمطر وقيل
اصاب اراد بلغة حمير وقال قتادة بلغة هجر والشياطين معطوف على الريح وكل بنا وغواص
بدل واتى ببنية المبالغة كما قال يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية وقال
النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له ° قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم ° يبنون تدمر بالصفاح والعمد

والمعطوف عليه العام عام فالتقدير وكل غواص اي في البحر يستخرجون له الحلية وهو
اول من استخرج الدر وآخرين عطف على كل وهو داخل في البدل اذ هو بدل كل من كل
بدل التفصيل اي من الجن وهم المردة سخرهم له حتى قرنهم في الاصفاد لكفرهم
وقال النابغة في ذلك

فمن اطاعك فانفعه بطاعته ° كما اطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ° تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وتقدم تفسير مقرنين في الاصفاد في اواخر سورة ابراهيم عليه السلام واوصاف من
ملك سليمان في سورة النمل هذا عطاونا اشارة لما اعطاه الله تعالى من الملك
الضخم وتسخير الريح والانس والجن والطير وامره بان يمن على من يشا ويمسك عن من

بشا وقعه على قدر النعمة ثم اباح له التصرف فيها بما يشاء وهو تعالى يعلم انه لا يتصرف الا بطاعة الله
قال الحسن وغيره وقال قتادة اشارة الى ما فعله الجن او فامنن على من شئت منهم والملئكة من ذلك فيه
واحبس من شئت منهم او اسكنهم كما تريد وقال ابن عطية اشارة الى ما وهبه من النساء والترف
عليه من جاريتين ولعله لا يصح عن ابن عباس لانه لم يجر هنا ذكر النساء والاما او وكين من القبر
على ذلك بغير حساب في موضع الحال من عطاؤنا جملة الا انها تتعدى على حصر ويجوز
ان يكون بغير حساب من تمام فامنن او امسك اي لا حساب عليك في اعطا من شئت او حرمانه
وفي اطلاق من شئت من الشياطين او ابقائه وختم الله تعالى قصته بما ذكر في قصة
والده وهو قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وقرأ الجمهور وحسن ماب
بالنصب عطفا على الزلفى وقرأ الحسن وابن ابي عبلة بالنصب ويقفان على الزلفى
ويبتديان وحسن ماب وهو مبتداء خبره محذوف تقديره وحسن ماب له الضغث
حزمة صغيرة من حشيش او ريحان او قضبان وقيل القبضة الكبيرة من القضبان
ومنه قولهم ضغث على ابالة والابالة الحزمة من الحطب والضغث القبضة
عليها من الحطب ايضا ومنه قول الشاعر

المفردات

واسفل مني نهدة قد ربطتها ، والقيت ضغثا من خلى متطيب

الحنث فعل ما حلف على تركه وترك ما حلف على فعله الغساق ما سال يقال غسقت العين
والجرح وعن ابي عبيدة انه البارد المنتن بلغة الترك وقال الازهري الغاسق
البارد ولهذا قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار الاقتحام ركوب الشدة والدخول
فيها والقحمة الشدة واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم
رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا
وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من
الاخيار لما امر نبيه بالصبر وذكر ابتلاء داود وسليمان واثنى عليهما ذكر من كان اشد
ابتلاء منهما وانه كان في غاية الصبر بحيث اثنى الله عليه بذلك وايوب عطف بيان
او بدل قال الزمخشري واذ بدل اشتمال منه وقرأ الجمهور اني بفتح الهمزة وعيسى بكسرها
على اضمار القول حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال انه مسه لانه
غائب واسند المس الى الشيطان قال الزمخشري لما كانت وسوسته اليه وطاعته
له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد
راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو
وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلا والالتجا
الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلا او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل
وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه
في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله انتهى ولا يناسب
مناصب الانبيا ما ذكر الزمخشري من ان ايوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس
به وان ذلك كان سببا لما مسه الله به من النصب والعذاب ولا ان رجلا استغاث
على ظالم فلم يغثه ولا انه داهن كافرا ولا انه اعجب بكثرة ماله وكذلك ما رووا ان

الشيطان

الشيطان سلطه الله عليه حتى اذهب اهله وماله ولا يمكن ان يصح ولا قدرة له على البشر الا بالقا الوسواس
الفاسدة لغير المعصوم والذي نقول انه تعالى ابتلى ايوب عليه السلام في جسده واهله وماله
على ما روي في الاخبار وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب بقي في محنته ثماني عشرة سنة
يتساقط لحمه حتى مله العالم ولم يصبر عليه الا امراته ولم يبين لنا تعالى السبب المقتضي لعلته
واما اسناده المس الى الشيطان فسبب ذلك انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد
احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبيا والصالحين فحينئذ قال
مسني الشيطان نزل استغفاره على المؤمنين مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد فانما نسبه
لان الحزن تالم برجوع الخير المؤمن الى الكفر ولذلك جاء بعده اركض برجلك حتى يغتسل ويذهب
عنه البلا فلا يرتد احد من المؤمنين بسبب طول بلائه وتسويل الشيطان انه تعالى
لا يبتلي الانبيا وقيل اشار بقوله مسني الشيطان الى تعرضه لامراته وطلبه ان تشرك بالله
وكانه تشكى هذا الامر كان عليه اشد من مرضه وقرأ الجمهور بنصب بضم النون وسكون
الصاد وقيل جمع نصب كوثن ووثن وابو جعفر وشيبة وابو عمارة عن حفص والجعفي
عن ابي بكر وابو معاذ عن نافع بضمتين وزيد بن علي والحسن والجحدري وابن ابي عبلة
ويعقوب والجحدري بفتحتين وابو حيوة ويعقوب في رواية وهبيرة عن حفص بفتح
النون وسكون الصاد وقال الزمخشري النصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على
اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب
الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب انتهى وقال ابن عطية وقد ذكر هذه
القراآت وذلك كله بمعنى واحد معناه المشقة وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الاعيا وفرق
بعض الناس بين هذه الالفاظ والصواب انها لغات بمعنى من قولهم انصبني الامر اذا شق علي
انتهى وقال السدي بنصب في الجسد وعذاب في المال وفي الكلام حذف تقديره فاستجبنا له
وقلنا اركض برجلك فركض فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك
فاغتسل فبرأ ووهبنا له ويدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه وتقدم الكلام
في الركض في سورة الانبيا وعن قتادة والحسن ومقاتل كان ذلك بارض الجابية من
الشام ومعنى هذا مغتسل اي ما يغتسل به وشراب اي ما تشرب به فيبرأ باطنك وظاهرك
ويبرئك بدلا باطنك والظاهر ان المشار اليه كان واحدا والعين التي نبعت بضربه
اغتسل منها وشرب وقيل نبعت له عينان شرب من احداهما واغتسل في الاخرى وقيل
ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل وباليسرى فنبعت باردة فشرب منها وهذا
يخالف لظاهر قوله مغتسل بارد فانه يدل على انه ماء واحد وقيل امر بالركض بالرجل ليتناثر
عنه كل داء بجسده وقال القتبي المغتسل الماء الذي يغتسل به وقال مقاتل هو الموضع
الذي يغتسل فيه وقال الحسن ركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها ثم مشى
نحو من اربعين ذراعا ثم ركض برجله فنبعت عين فشرب منها وقيل والجمهور على
انه ركض ركضتين فنبعت له عينان اغتسل من واحدة وشرب من اخرى والجمهور
على انه تعالى احيى له من مات من اهله وعافى المرضى وجمع عليه من شتت منهم وقيل رزقه
اولادا وذرية قدر ذريته الذين هلكوا ولم يرد اهله الذين هلكوا باعيانهم وظاهر
هذه الهبة انها في الدنيا وقيل ذلك وعد ويكون تمكن الهبة في الاخرة وقيل وهبه
من كان حيا منهم وعافاه من الاسقام وارغد لهم العيش فتناسلوا حتى تضاعف
عددهم وصار مثلهم ورحمة وذكرى مفعول لاجله اي الهبة كانت لرحمتنا اياه

ولم تذكر ارباب الفصول ما يحصل للصابرين من الجزاء وما يؤول اليه من الاجر وفي الكلام حذف تقديره
وكان حلف ليضربن امراته مائة ضربة بسبب جرى منها وكانت محسنة له فحلله الله فلا انه من يمينه
بقولنا وخذ بيدك ضغثا قال ابن عباس الضغث عثكال النخل وقال مجاهد الاثل وهو نبت له
شوك وقال الضحاك حزمة من الحشيش مختلفة وقال الاخفش الشجر الرطب واختلفوا
في السبب الذي اوجب حلفه وكلموا فقال الله هو تمثل الشيطان لها في صورة ناصح او
مداو وعرض لها شفاء ايوب على يديه على شرط لا يمكن وقوعه من مؤمن فذكرت ذلك
له فعلم ان الذي عرض لها هو الشيطان وغضب لعرضها ذلك عليه فحلف وقيل غير
ذلك من الاسباب وهي معارضة فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها
اياه ورضاه عنها وقد وقع مثل هذه الرخصة في الاسلام اتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة
وقال بذلك بعض اهل العلم في الايمان قال ويجب ان يصيب المضروب بكل واحد من
المائة اما اطرافها قايمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب والجمهور
على ترك القول في الحدود وان البر في الايمان لا يقع الا بتمام عدد الضربات ووصف الله
تعالى نبيه بالصبر وقد قال الشيخ المرقد نقل على ان الشكوى الى الله تعالى لا تنافي
الوصف بالصبر وقد قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله على ان ايوب عليه
السلام طلب الشفا خيفة على قومه ان يوسوس اليهم الشيطان انه لو كان نبيا لما ابتلي
وتالفا لقومه على الطاعة وبلغ امره في البلا الى انه لم يبق منه الا القلب واللسان
ويروى انه قال في مناجاته الاهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع
قلبي بصري ولم يثنيني ما ملكت يميني ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا
ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه وقرا ابن عباس وابن كثير واهل مكة عبدنا
على الافراد وابراهيم بدل منه او عطف بيان والجمهور على الجمع وما بعده من
الثلاثة بدل او عطف بيان وقرا الجمهور اولي الايدي والابصار بالياء قال ابن
عباس ومجاهد القوة في طاعة الله وقيل احسانهم في الدين وتقدمهم عند الله
على عمل صدق فهي كالايدي وهو قريب مما قبله وقيل النعم التي اسداها
الله اليهم من النبوة والمكانة وقيل الايدي الجوارح المتصرفة في الخير والابصار
الثاقبة فيه وقال الزمخشري لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلب فقيل
في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي
او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي الايدي
والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الاخرة ولا
يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم
الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار
بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله
وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منهما انتهى وهو تكثير
وقال ابو عبد الله الرازي اليد الة لاكثر الاعمال والبصر الة لاقوى الادراكات
فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر والنفس الناطقة لها
قوتان عاملة وعالمة فاولي الايدي والابصار اشارة الى هاتين الحالتين
وقرا عبد الله والحسن وعيسى والاعمش الايد بغير يا فقيل يراد الايدي وحذف
اليا

اليا واجتزا بالكسرة عنها ولما كانت ال تعاقب التنوين حذفت اليا معها كما حذفت مع التنوين وهذا
تخريج لا يسوغ لان حذف هذه اليا مع وجود ال ذكره سيبويه في الضرائر وقيل الايدي القوة في
طاعة الله والابصار جمع بصر بمعنى البصائر التي يبصرون بها الحقائق وينظرون بنور الله
وقال الزمخشري وتفسيره بالايد من التاييد قلق غير متمكن انتهى وانما كان قلقا عنده لعطف الابصار
عليه ولا ينبغي ان يقلق لان المعنى اولي القوة والابصار تقول اولي الاعمال والفكر وقرا
الابادي جمع الجمع كاوطف واواطف وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج ونافع وهشام بخالصة
بغير تنوين اضيفت الى ذكرى وقرا باقي السبعة بالتنوين وذكرى بدل من خالصة وقرا
الاعمش وطلحة بخالصتهم واخلصناهم جعلناهم لنا خالصين وخالصة يحتمل وهو الاظهر
ان يكون اسم فاعل عبر به عن مزية او رتبة او خصلة خالصة لا شوب فيها ويحتمل
ان يكون مصدرا كالعاقبة فيكون قد حذف منه الفاعل اي اخلصناهم بان اخلصوا ذكرى
الدار فيكون ذكرى مفعولا او بان اخلصنا لهم ذكرى الدار او يكون الفاعل ذكرى اي بان
خلصت لهم ذكرى الدار والدار في كلا وجهي الاضافة في موضع نصب بذكرى وذكرى مصدر والدار
دار الاخرة قال قتادة المعنى بان خلص لهم التذكير بالدار الاخرة ودعاء الناس اليها وحضهم عليها
وقال مجاهد خلصناهم بذكرهم الدار الاخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك وقال ابن زيد
وهبنا لهم افضل ما في الدار الاخرة واخلصناهم به واعطيناهم اياه وقال ابن عطية ويحتمل
ان يريد بالدار دار الدنيا على معنى ذكرى الثناء والتعظيم من الناس والحمد الباقي الذي
هو الخلد المجازي فتجيء الاية في معنى قوله لسان صدق وقوله وتركنا عليه في الاخرين
انتهى وحكى الزمخشري هذا الاحتمال قولا لا احتمالا وقال وذكر الدار الثناء الجميل في الدنيا
ولسان الصدق انتهى والبا في بخالصة باء السبب اي بسبب هذه الخصلة وبانهم من
اهلها ويعضده قراءة بخالصتهم وانهم عندنا لمن المصطفين اي المختارين من بين
ابنا جنسهم الاخيار جمع خير او خير كميت وميت واموات وتقدم الكلام في اليسع في سورة
الانعام وذا الكفل في سورة الانبيا وعندنا ظرف معمول لمحذوف دل عليه المصطفين
اي وانهم مصطفون عندنا او معمول للمصطفين وان كان بال لانهم يتسمحون في
الظرف والمجرور ما لا يتسمحون في غيرهما او على التبيين اي اعني عندنا ولا يجوز ان
يكون عندنا في موضع الخبر ويعني بالعندية المكانة ولمن المصطفين في موضع خبر ثان
لوجود اللام لانه لا يجوز ان زيدا قايم لمنطلق وكل اي وكلهم من الاخيار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن ماب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون
ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر ماب
جهنم يصلونها فبيس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق واخر من شكله
ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم
لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبيس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق
تخاصم اهل النار قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار
رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار لما امر تعالى بالصبر على
سفاهة قومه وذكر جملة من الانبيا واحوالهم ذكر ما يؤول اليه حال المؤمنين

والكافرين من الجزاء مقر كل واحد من الفريقين ولما كان لم يذكرهم نوعًا من أنواع التنزيل قال
هذا ذكر كأنه فصل بين ما قبله وما بعده ألا ترى أنه لما ذكر أهل الجنة وأعقبه بذكر أهل
النار قال هذا وإن للطاغين وقال ابن عباس هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقيل هذا ذكر أي
شرف يذكرونه به أبدا وقرأ الجمهور جنات بالنصب وهو بدل فإن كان عدن
علما فبدل معرفة من نكرة وإن كان نكرة فبدل نكرة من نكرة وقال الزمخشري وجنات عدن
معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب
ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات
والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل
وهو من بدل الاشتمال انتهى ولا يتعين أن تكون جنات عدن معرفة بالدليل الذي
استدل به وهو قوله جنات عدن التي لأنه اعتقد أن التي صفة لجنات عدن ولا
يتعين ما ذكر إذ يجوز أن تكون التي بدلا من جنات عدن ألا ترى أن الذي والتي
وجموعهما استعمل استعمال الأسماء فتلي العوامل فلا يلزم أن تكون صفة وأما انتصابها
على أنها عطف بيان فلا يجوز لأن النحويين في ذلك على مذهبين أحدهما أن ذلك
لا يكون إلا في المعارف فلا يكون عطف البيان إلا تابعا لمعرفة وهو مذهب البصريين
والثاني أنه يجوز أن يكون في النكرات فيكون عطف البيان تابعا لنكرة كما تكون
المعرفة فيه تابعة لمعرفة وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسي وأما تخالفهما في
التنكير والتعريف فلم يذهب إليه أحد سوى هذا المصنف وقد أجاز ذلك في قوله مقام
إبراهيم فأعربه عطف بيان تابعا لنكرة وهو آيات بينات ومقام إبراهيم معرفة وقد
رددنا عليه ذلك في موضعه في آل عمران وأما قوله وفي مفتحة ضمير الجنات فجمهور
النحويين أعربوا الأبواب مفعولا لم يسم فاعله وحكى أبو علي عن الأخفش إذا كان كذلك
لم يكن في ذلك ضمير يعود على جنات عدن من الحال إذا أعرب مفتحة حالا أو من
النعت إذا أعرب نعتا لجنات عدن نعتا لها التي مفتحة ضمير يعود على الجنات حتى يرتبط
الحال بصاحبها والنعت بمنعوته والأبواب بدل وقال من أعرب الأبواب مفعولا
لم يسم فاعله العائد على الجنات محذوف تقديره الأبواب منها وألزمه أبو علي أن الحال
في مثل هذا لا بد فيه من الضمير إما ملفوظا به أو مقدرا وإذا كان الكلام محتاجا إلى تقدير
واحد كان أولى مما يحتاج إلى تقديرين وأما الكوفيون فالرابط عندهم هو أل لقيامه
مقام الضمير فكأنه قال مفتحة لهم أبوابها وأما قوله وهو من بدل الاشتمال فإنه يعني
بقوله وهو قوله اليد والرجل فهو وهم وإنما هو بدل بعض من كل وإن يعني
الأبواب فقد يصح لأن أبواب الجنات ليست بعضا من الجنات وأما تشبيهه
ما قدره من قوله مفتحة هي الأبواب بقولهم ضرب زيد اليد والرجل فوجهه
أن الأبواب بدل من ذلك الضمير المستكن كما أن اليد والرجل بدل من الظاهر
الذي هو زيد وقال أبو إسحاق وتبعه ابن عطية مفتحة نعت لجنات عدن
وقال الحوفي مفتحة حال والعامل فيها محذوف يدل عليه المعنى تقديره يدخلونها
وقرأ زيد بن علي وعبد الله بن رفيع وأبو حيوة جنات عدن مفتحة برفع
التاءين مبتدأ وخبر أو كل منهما خبر مبتدأ محذوف أي هي جنات عدن هي مفتحة
والاتكاء من هيئات أهل السعادة يدعون فيها بفاكهة أي عندهم من يتخدمونه
فيما يدعون به كقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون ولما كانت الفاكهة تتنوع وصفها

بالكثرة

بالكثرة وكثرتها باختلاف أنواعها وكثرة كل نوع منها ولما كان الشراب نوعا واحدا وهو الخمر
أفرد وعندهم قاصرات الطرف قال قتادة معناه على أزواجهن أتراب أي أمثال على سن
واحدة وأصله في بني آدم لكونهم مسوا معا التراب في وقت واحد والأقرب أن اشتقاقه
في التحاب والظاهر أن هذا الوصف هو بينهن وقيل بين أزواجهن أسنانهن كأسنانهم
وقال ابن عباس يريد الآدميات وقال صاحب الغنيان حور وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو هذا ما يوعدون بياء الغيبة إذ قبله وعندهم وباقي السبعة بالتاء بالخطاب
على الالتفات والمعنى هذا ما وقع به الوعد ليوم الجزاء هذا أي ما ذكر للمتقين
مما تقدم لرزقنا إنما لا نفاد له هذا وإن للطاغين لشر مآب قال الزجاج
أي الأمر هذا وقال أبو علي هذا للمؤمنين وقال أبو البقاء مبتدأ محذوف الخبر أو خبر
محذوف المبتدأ والطاغون هنا الكفار وقال الجبائي أصحاب الكبائر كفارا كانوا
أو لم يكونوا وقال ابن عباس المعنى الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مآب
أي مرجع ومصير فبئس المهاد أي هي هذا في موضع رفع مبتدأ خبره حميم وغساق
أو مبتدأ أي العذاب هذا وحميم خبر مبتدأ وفي موضع نصب على الاشتغال
أي ليذوقوا هذا فليذوقوه وحميم خبر مبتدأ أي هو حميم أو مبتدأ محذوف
الخبر أي منه حميم ومنه غساق كما قال الشاعر

حتى إذا ما أضاء الصبح في غلس ... وغودر البقل ملوي ومحصود

أي منه ملوي ومنه محصود وهذه الأعاريب منقولة وقيل هذا مبتدأ و
الخبر وهذا على مذهب الأخفش في إجازته زيد فاضربه مستدلا بقول الشاعر

وقائلة خولان فانكح فتاتهم

والغساق عن ابن عباس الزمهرير ومنه
أيضا وعن عطاء وقتادة وابن زيد ما يجري من صديد أهل النار وعن كعب عين في
جهنم يسيل إليها حمة كل ذي حمة من حية أو عقرب أو غيرها يغمس فيها فيتساقط
الجلد واللحم عن العظم وعن السدي ما يسيل من دموعهم وعن ابن عمر هو القيح يغلظ
فيسقونه وقرأ ابن أبي إسحاق وقتادة وابن وثاب وطلحة وحمزة والكسائي
وحفص والفضل وابن سعدان وهارون عن أبي عمرو بتشديد السين فإن كان
صفة فيكون مما حذف موصوفها وإن كان اسما ففعال قليل في الأسماء جاء
منه الكلام والجبان والفياد ذكر البوم والعقار والخطار وقرأ باقي السبعة بتخفيف
السين وقرأ الجمهور وآخر على الإفراد فقيل مبتدأ خبره محذوف تقديره
ولهم عذاب آخر وقيل خبره في الجملة لأن قوله أزواج مبتدأ ومن شكله
خبر أزواج ومن شكله في موضع الصفة وجاز أن يخبر بالجمع عن الواحد
من حيث هو درجات ورتب من العذاب أو سمي كل جزء من ذلك الآخر
باسم الكل وقال الزمخشري وآخر أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج
صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم
وغساق وآخر من شكله انتهى وهو إعراب أخذه من الفراء وقرأ
الحسن ومجاهد والجحدري وابن جبير وعيسى وأبو عمرو وأخر على الجمع
وهو مبتدأ ومن شكله في موضع الصفة وأزواج خبر أي ومذوقات
أخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة أزواج أجناس
وقرأ مجاهد من شكله بكسر الشين والجمهور بفتحها وهما لغتان بمعنى

الدلو والضرب واما اذا كان بمعنى الفتح فبكسر الثاء لا غير ومن بن مسعود واخر من شكله
هو الزمهرير والظاهر ان قوله هذا فوج مقتحم معكم من قول رؤسايهم بعضهم لبعض
والفوج الجمع الكثير مقتحم معكم اي النار وهم الاتباع ثم دعوا عليهم بقولهم لا مرحبا
بهم لان الرئيس اذا راى الخسيس قد قرن معه في العذاب ساه ذلك حيث وقع
التساوي في العذاب ولم يتميز هو سالم من العذاب واتباعه في العذاب ومرحبا
معناه اتيت رحبا وسعة لا ضيقا وهو منصوب بفعل يجب اضماره ولا دعا وبهم بيان
للمدعو عليهم وقيل هذا فوج من كلام الملايكة خزنة النار وان الدعا على الفوج
والتعليل بقوله انهم صالوا النار من كلامهم وقيل هذا فوج مقتحم معكم من
كلام الملايكة والدعا على الفوج والاخبار بانهم صالوا النار من كلام الرؤسا المتبوعين
قالوا اي الفوج لا مرحبا بكم رد على الرؤسا وما دعوا به عليهم ثم ذكروا ان
ما وقعوا فيه من العذاب وصلى النار انما هو بما القيتم الينا وزينتموه من الكفر
فكانكم قدمتم لنا العذاب او الصلي واذا كان لا مرحبا بهم من كلام الخزنة
فلم يجي التركيب قالوا بل هولا لا مرحبا بهم بل جا خطاب الاتباع للرؤسا ليكون
المواجهة لمن كانوا لا يقدرون على مواجهتهم في الدنيا بقبيح اشفى لصدورهم حيث تسببوا
في كفرهم واملي للرؤسا فبيس القرار اي النار وهذه المادة والمدعا مولة كما دخلت امة
لعنت اختها ولما تكلمت الاتباع برد الدعا على رؤسايهم ولا مواجهتهم بقوله انتم قدمتموه
لنا دعوا الله ان يزيد رؤسايهم ضعفا من النار والمعنى من حملنا على عمل
السوء حتى صار جزانا النار فزده عذابا ضعفا كما جا في قول الاتباع ربنا اتهم
ساداتهم ضعفين من العذاب ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار ولما كان
الرؤسا ضلالا في انفسهم واضلوا اتباعهم ناسب ان يدعو عليهم بان يزيدهم ضعفا كما
جا فعليه وزره ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وعلى هذا الضمير في قالوا للاتباع ومن
قدم هم الرؤسا وقال بن السايب قالوا ربنا الى اخره هو جميع اهل النار وقال الضحاك
من قدم هو ابليس وقابيل وقال بن مسعود الضعف حيات وعقارب وقالوا اي الطاغون
الكفار ما لنا لا نرى رجالا وهم فقرا المومنين الذين لا يوبه بهم كنا نعدهم
من الاشرار اي الاراذل الذين لا خير فيهم وليسوا على ديننا كما قال وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا وروي ان القايلين من كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم
هم ابو جهل وامية بن خلف واصحاب القليب والذين لم يروهم عمار وصهيب وسلمان
ومن جرى مجراهم قال مجاهد وغيره قيل يسالون اين عمار اين صهيب اين فلان
يعدون ضعفا المسلمين فيقال لهم اوليك في الفردوس وقرا النحويان وحمزة اتخذناهم
وصلا فقال ابو حاتم والزمخشري وابن عطية صفة لرجالا قال الزمخشري مثل قوله كنا نعدهم
من الاشرار وقال بن الانباري حال اي وقد اتخذناهم وقرا ابو جعفر والاعرج
والحسن وقتاده وباقي السبعة بهمزة الاستفهام لتقرير انفسهم على هذا على جهة
التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك وقرا عبد الله واصحابه
ومجاهد والضحاك وابو جعفر وشيبة والاعرج ونافع وحمزة والكسائي سخريا بضم
السين ومعناها من السخرة والاستخدام وقرا الحسن وابو رجا وعيسى وابن
محيصن وباقي السبعة بكسر السين ومعناها المشهور من السخر وهو الهزو وقال
الشاعر

اني اتاني لسان لا اسر بها من علو لا كذب فيها ولا سخر

وقيل

وقيل بكسر السين من التسخير وام ان كان اتخذناهم استفهاما اما مصرحا بهمزته كقراة من قرا
كذلك او مقولا بالاستفهام وحذفت الهمزة للدلالة فالظاهر انها متصلة لتقدم الهمزة والمعنى
اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدرايهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت
تعلو عنهم وتقتحمهم ويكون استفهاما على معنى الانكار على انفسهم للاستسخار والزيغ
جميعا وقال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم
محقرة لهم وان اتخذناهم ليس استفهاما فام منقطعة ويجوز ان تكون منقطعة
ايضا مع تقدم الاستفهام فمع عدم الاستفهام يكون كقولك انها لابل ام شا اي بل اهي
شا وعلى الاستفهام يكون كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو استفهمت عن زيد ثم
اضربت عن ذلك واستفهمت عن عمرو فالتقدير بل ازاغت عنهم الابصار ويجوز ان يكون
قولهم ام زاغت عنهم الابصار له تعلق بقولهم ما لنا لا نرى رجالا لان الاستفهام ولا
دل على انتفا رويتهم اياهم وذلك دليل على انهم ليسوا معهم ثم جوزوا ان يكونوا معهم ولكن
ابصارهم لم ترهم ان ذلك اي التقاول الذي حكيناه عنهم لحق اي ثابت واقع لا بد ان يجري
منهم وقرا الجمهور تخاصم بالرفع مضافا الى اهل فقال ابن عطية بدل من الحق وقال الزمخشري
بين ما هو فقال تخاصم منونا اهل رفعا بالمصدر المنون ولا يجيز ذلك الفرا ويجيزه من
والبصريون وقرا ابن ابي عبلة تخاصم اهل بالنصب بنصبهما وجر اهل قال الزمخشري
على انه صفة لذلك لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس وفي كتاب اللوامح ولو
نصب تخاصم فعلا ماضيا اهل فاعلا وسمى تعالى تلك المقاولة التي جرت بين رؤسا الكفار
واتباعهم تخاصما لان قولهم لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم هو من باب
الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله عليه قل يا محمد انما انا منذر اي منذر لكم
عذاب وانه لا اله الا الله لا ند له ولا شريك وهو الواحد القهار لكل شي وانه مالك العالم
علوه وسفله العزيز الذي لا يغالب الغفار لذنوب من امن به واتبع نبيه قل هو
نبا عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي
الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس
استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من
المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين الضمير في قوله قل هو
نبا يعود الى ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من كونه رسولا منذرا داعيا الى الله وانه تعالى
هو المنفرد بالالوهية المتصف بتلك الاوصاف من الوحدانية والقهر وملك العالم
وعزته وغفرانه وهو نبا عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة وقال ابن
عباس النبا العظيم القران وقال الحسن يوم القيامة وقيل قصص ادم والانبا به من
غير سماع من احد وقال صاحب التحرير سياق الاية وظاهرها انه يريد بقوله
قل هو نبا عظيم ما قصه الله تعالى من مناظرة اهل النار ومقاولة الاتباع مع السادات

لانه من احوال البعث وقريش كانت تنكر البعث والحساب والعقاب وهم عن ذلك معرضون
وقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون احتجاج على قريش بان ما جاء به من
عند الله لانه من قبل نفسه فان من في الارض ما له علم بمن في السما الا باعلام الله تعالى
وعلم المغيبات لا يوصل اليه الا باعلام الله تعالى وعلمه باحوال اهل النار وما ابتدا خلق
ادم لم يكن عنده علم بذلك كما مر بل ذلك هو اعلام الله والاخبار لان قصة ادم لانه
اول البشر خلقا وبينه وبين الرسول عليه السلام ازمان متقادمة وقرون سالفة
انتهى وفي اخره بعض اختصار ثم امر نبيه بان يحتج لنبوته بان ما ينبي به من الملا الاعلى
واختصامهم امر لم يكن له به من علم وقط لم يعلمه من غير الطريق الذي سلكه المتعلمون
بل ذلك مستفاد من الوحي وبالملا متعلق بعلم واذ منصوب به وقال الزمخشري
محذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم واذ قال
بدل من اذ يختصمون انتهى والظاهر عود الضمير في يختصمون على الملا الاعلى وهم
الملايكة وابعد من قال انهم قريش واختصام الملايكة في امر ادم وذريته في جعلهم
في الارض وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قاله ابن عباس وقال الحسن ان الله
خلق خلقا لنا اكرم منه واعلم وقيل في الكفارات وغفر الذنوب فان العبد اذا
عمل حسنة اختلفت الملايكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله بها شيا وفي الحديث
قال له ربه في نومه عليه السلام فيم يختصمون فقلت لا ادري فقال في الكفارات
وهي اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الخطا الى الجماعات وقال الزمخشري كانت
مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط
فصح ان التقاول بين الملايكة وادم وابليس وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام
التقاول وقيل الملا الاعلى الملايكة وان يختصمون الضمير فيه للعرب الكافرين
فبعضهم يقول هي بنات الله وبعضهم الهة تعبد وغير ذلك من اقوالهم ان يوحى
الي اي ما يوحى الي الا الانذار وقرا ابو جعفر الا انما بكسر همزة انما على الحكاية اي ما يوحى
الي الا هذه الجملة كانه قيل له انت نذير مبين فحكي هو المعنى وهذا كما يقول
الانسان انا عالم فيقال له قلت انك عالم فيحكى المعنى وقال الزمخشري وقري
انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين
فلا ادعي شيا اخر انتهى وفي تخريجه نظر لانه قال الا هذا القول فظاهر الجملة
التي هي انما انا نذير مبين ثم قال وهو ان اقول لكم اني نذير فالمقام مقام
الفاعل وهو ان اقول لكم واني وما بعده في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول
يكون في موضع رفع فتعارضا وتقدم ان اذ قال بدل من اذ يختصمون هذا اذا
كانت الخصومة في شان من يستخلف في الارض وعلى غيره من الاقوال يكون
منصوبا باذكر ولما كانت قريش خالفوا الرسول عليه السلام بسبب الحسد والكبر
ذكر حال ابليس حيث خالف امر الله بسبب الحسد والكبر وما ال اليه من اللعنة
والطرد من رحمة الله ليزدجروا عن ذلك من حيث شي منهما وقال الزمخشري فان
قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به
قبل قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت
وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى والبشر هو ادم عليه السلام وذكر
هنا انه خلقه من طين وفي ال عمران خلقه من تراب وفي الحجر من صلصال

من حما

من حما مسنون وفي الانبيا من عجل ولا منافاة ذلك المادة البعيدة وهو التراب ثم ما يليه وهو
الطين ثم ما يليه وهو الحما المسنون ثم المادة القريبة وهي الصلصال واما من عجل
فهو من تجوز فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون
الا ابليس تقدم الكلام على هذا في البقرة وهنا استكبر وكان من الكافرين وفي البقرة ابى واستكبر
وكان من الكافرين وفي الاعراف لم يكن من الساجدين وفي الحجر ابى ان يكون مع الساجدين
وفي الاسرى قال ااسجد لمن خلقت طينا وفي الكهف كان من الجن ففسق عن امر ربه والاستثنا
في جميع هذه الايات يدل على انه لم يسجد فتارة اكد بالنفي المحض وتارة ذكر اباءته عن السجود
وهو الانفة من ذلك وتارة نص على ان ذلك الامتناع بان سببه الاستكبار والكفر
ان قوله وكان من الكافرين اريد به كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا وعطف
على استكبر يقوي ذلك لان الاستكبار عن السجود انما حصل له وقت الامر ويحتمل ان يكون
اخبارا عنه بسبق كونه في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد
وفي الاعراف ما منعك الا تسجد فدل على ان لا في ان لا تسجد زايدة
والمعنى ايضا يدل على ذلك لانه لم يستفهم الا عن المانع من السجود وهو استفهام
تقرير وتوبيخ وما في خلقت استدل به من يجيز اطلاق ما على احاد من يعقل واول بان
ما مصدرية والمصدر يراد به المخلوق لا حقيقة المصدر وقرا الجحدري لما بفتح
اللام وتشديد الميم خلقت بيدي على الافراد والجمهور على التثنية وقري بيدي بكسر
البا كقراءة بمصرخي وقال تعالى مما عملت ايدينا بالجمع وكلها عبارة عن القدرة والقوة
وعبر بتاكيد الكلام بعد ان بالبطش والقوة باليد وذهب القاضي ابو بكر
ابن الطيب الى ان اليد صفة ذات قال ابن عطية وهو قول مرغوب عنه وقرا الجمهور
استكبرت بهمزة الاستفهام فام متصلة عادلت الهمزة قال ابن عطية وذهب كثير من النحويين
الى ان ام لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا دخلتا
على فعل واحد كقولك ازيد قام ام عمرو وقولك اقام زيد ام عمرو فاذا اختلف الفعلان
كهذه الاية فليست معادلة ومعنى الاية احدث لك الاستكبار الان ام كنت قديما
ممن لا يليق ان تكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ انتهى وهذا
الذي ذكره عن كثير من النحويين مذهب غير صحيح قال س وتقول اضربت زيدا
ام قتلته فالبدء هنا بالفعل احسن لانك انما تسال عن احدهما لا تدري ايهما كان
ولا تسال عن موضع احدهما لانك قلت اي ذلك كان انتهى فعادل بام الالف
مع اختلاف الفعلين وقال الزمخشري من العالين ممن علوت وفقت فاجاب
بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت
من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير انتهى وقرات فرقة منهم ابن كثير
وغيره استكبرت بصلة الالف وهي قراءة اهل مكة وليست في مشهور ابن كثير
فاحتمل ان تكون همزة الاستفهام حذفت لدلالة ام عليها كقوله بسبع رمين
ام بثمان واحتمل ان يكون اخبارا خاطبه بذلك على سبيل التقريع وام تكون
منقطعة والمعنى ام انت من العالين عند نفسك استخفافا به قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين تقدم الكلام على ذلك في الاعراف قال فاخرج
منها الى قوله الى يوم الوقت المعلوم تقدم الكلام على مثل ذلك في الحجر الا ان
هنا لعنتي وهناك اللعنة اعم الا ترى الى قوله اولئك يلعنهم الله ويلعنهم

اللاعنون واما بالاضافة فالعموم في المضافات اما الكل من جهة ان من عليه لعنة الله كانت
عليه لعنة كل من لاعن هذا من جهة المعنى واما اللفظ فيقتضي التخصيص قال فبعزتك لاغوينهم
اقسم ابليس هنا بعزة الله وقال في الاعراف فبما اغويتني لاقعدن وفي الحجر رب بما اغويتني
لازينن وتقدم الكلام عليهما في موضعهما وان من المعربين من قال ان الباء في بما اغويتني
وفي فبما اغويتني ليست باء القسم وان كانت باء القسم فيكون ذلك في موضعين
حلف هنا لاغوينهم وفي الاعراف لاقعدن وفي الحجر لازينن وقرا الجمهور فالحق والحق
بنصبهما اما الاول فمقسم به حذف منه الحرف كقوله امانة الله لاقومن والقسم
عليه لاملأن والحق اقول اعتراض بين القسم وجوابه قال الزمخشري ومعناه ولا
اقول الا الحق انتهى لان عنده تقدم المفعول يفيد الحصر والحق المقسم به اما
اسمه تعالى الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الذي هو نقيض الباطل
وقيل فالحق منصوب على الاغراء اي فالزموا الحق ولاملأن جواب قسم محذوف
وقال الفرا هو على معنى قولك حقا لا شك ووجود الالف واللام وطرحهما سوا
اي لاملأن جهنم حقا انتهى وهذا المصدر الجائي توكيدا لمضمون الجملة
لا يجوز تقديمه عند جمهور النحاة وذلك مخصوص بالجملة التي جزآها
معرفتان جامدان جمودا محضا وقال صاحب البسيط وقد يجوز ان يكون الخبر
نكرة قال والمبتدا يكون ضميرا نحو هو زيد معروفا وهو الحق بينا وانا الامير
مفتخرا ويكون ظاهرا كقولك زيد ابوك عطوفا واخوك زيد معروفا انتهى وقالت
العرب زيد قائم غير ذي شك فجاءت الحال بعد جملة والخبر نكرة وهي حال مؤكدة
لمضمون الجملة وكان الفرا يشترط هذا الذي ذكره اصحابنا من كون المبتدا
والخبر معرفتين جامدين لانه لا فرق بين تاكيد مضمون الجملة الابتدائية وبين
تاكيد الجملة الفعلية وقيل التقدير فالحق الحق اي افعله وقرا ابن عباس ومجاهد
والاعمش بالرفع فيهما فالاول مبتدا خبره محذوف قيل تقديره فالحق انا وقيل
فالحق مني وقيل تقديره فالحق قسمي وحذف كما حذف في لعمرك لاقومن وفي
يمين الله ابرح قاعدا اي لعمرك قسمي ويمين الله قسمي وهذه الجملة هي جملة القسم
وجوابه لاملأن واما والحق اقول فمبتدا ايضا خبره الجملة وحذف العائد كقراءة
ابن عامر وكل وعد الله الحسنى وقال ابن عطية اما الاول فرفع على الابتداء وخبره
في قوله لاملأن لان المعنى ان املأ انتهى وهذا ليس بشيء لان لاملأن جواب
قسم ويجب ان يكون جملة فلا يتقدر بمفرد وايضا ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدري
والفعل حتى ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ما قدر الى المبتدا حكم انه خبر عنه وقرا
الحسن وعيسى وعبد الرحمن بن ابي حماد عن ابي بكر بجرهما وتخريجه على ان الاول مجرور
بواو القسم محذوفة تقديره فوالحق والحق معطوف عليه كما تقول والله
والله لاقومن واقول اعتراض بين القسم وجوابه وقال الزمخشري والحق اقول
اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد
وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع وهو وجه دقيق حسن انتهى وتخريجه
ان اعمال القول في لفظ المقسم به على سبيل الحكاية اذ نصبا او رفعا او جرا وقرا
مجاهد والاعمش بخلاف عنهما وابان بن تغلب وطلحة في رواية وحمزة
وعاصم من المفضل وخلف والعبسي برفع فالحق ونصب والحق وتقدم اعرابهما

والقاهر

والقاهر ان قوله اجمعين تاكيد للمحكي عنه وللمعطوف عليه وهو ضمير ابليس ومن عطف عليه اي
منك وممن تابعك اجمعين واجاز الزمخشري ان يكون اجمعين تاكيدا للضمير الذي في منهم
تقديره لاملأن جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين
ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبيا وغيرهم انتهى والضمير في عليه عائد
على القران قاله ابن عباس وقيل على الوحي وقيل على الدعا الى الله وما
انا من المتكلفين اي المتصنعين المتحلين بما ليسوا من اهله فانتحل النبوة والتقول على
الله ان هو اي القران الا ذكر اي من الله للعالمين الثقلين الانس والجن ولتعلمن نباه
اي عاقبة خبره وما ترتب عليه لمن امن به ومن اعرض عنه بعد حين قال ابن عباس وعكرمة
وابن زيد يعني يوم القيامة وقال قتادة والفرا والزجاج بعد الموت وكان الحسن يقول
يا ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وقيل المعنى ليظهر لكم حقيقة ما اقول
بعد حين اي في المستانف اذا اخذتكم سيوف المسلمين وذلك يوم بدر واشار الى
ذلك السدي التكوير اللف والتي يقال كار العمامة على راسه وكورها خوله (المفردات)
النعمة اعطاه ابتدا من غير مجازاة ولا يقال في الجزا خول قال زهير
هنالك ان يستخولوا المال يخولوا * ويروى يستخبلوا المال يخبلوا
وقال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول هاج الزرع ثار من
ناشئة وقيل يبس الحطام الفتات بعد يبسه اقشعرت تنقبض الجلد يقال
اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف الشاكس
الخلق وعره

سورة تنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله
لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق
ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور
الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا
من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا
هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده
الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور هذه السورة
مكية وعن ابن عباس الا الله نزل احسن الحديث وقل يا عبادي الذين اسرفوا
وعن مقاتل الا يا عبادي الذين اسرفوا وقوله يا عبادي الذين امنوا اتقوا
ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وعن بعض السلف الا يا عبادي
الذين اسرفوا الى قوله تشعرون ثلاث ايات وعن بعضهم الا سبع ايات
من قوله يا عبادي الذين اسرفوا الى اخر السبع نزلت في وحشي واصحابه
ومناسبتها لاخر السورة قبلها واضحة وهو ان هو الا ذكر للعالمين وبدا
هنا تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقال الفرا والزجاج تنزيل

مبتدا ومن الله الخبر او خبر مبتدا اخر وفاي هذا تنزيل ومن الله متعلق بتنزيل واقوال النصب والحيد
هو لميو على قوله ان هو الا ذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب وقال
الزمخشري او غير صلة يعني من الله كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد
خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عاملا فيها
معنى الاشارة انتهى لا يجوز ان يكون حالا عاملا فيها معنى الاشارة لان معاني الافعال لا تعمل
اذا كان ما هي فيه محذوفا ولذلك ردوا على ابي العباس قوله في بيت الفرزدق واذ ما مثلهم
منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر وان ما في الوجود في حال مماثلتهم بشر والكتاب هنا
يظهر انه القران وكرر في قوله انا انزلنا اليك الكتاب على جهة التفخيم والتعظيم وكونه في
جملة مبرزة تابعة للحوظ فيه اسناده الى ضمير العظمة وتشريف من انزل اليه بالخطاب وتخصيصه
بالحق **وقرا** ابن ابي عبلة وزيد بن علي وعيسى تنزيل بالنصب اي اقرا والزم وقال ابن عطية قال
المفسرون في تنزيل الكتاب هو القران ويظهر لي انه اسم عام لجميع ما تنزل من عند الله من
الكتب وكانه اخبر اخبارا مجردا ان الكتب الهادية الشارعة انما تنزيلها من الله وجعل هذا
الاخبار مقدمة وتوطية لقوله انا انزلنا اليك الكتاب العزيز في حديثه الحكيم في ابتدائه
والكتاب الثاني هو القران لا يحتمل غير ذلك وقال الزمخشري **فان قلت** ما المراد بالكتاب
قلت الظاهر على الوجه الاول انه القران وعلى الثاني انه السورة انتهى وبالحق في موضع
الحال اي ملتبسا بالحق وهو الصدق الثابت فيما او دعناه من اثبات التوحيد والنبوة
والمعاد والتكاليف فهذا كله حق وصدق يجب اعتقاده والعمل به او يكون بالحق
بالدليل على انه من عند الله وهو عجز الفصحاء عن معارضته وقال ابن عطية اي متضمنا
الحق فيه وفي احكامه وفي اخباره او بمعنى الاستحقاق وشمول المنفعة للعالم في هدايتهم
ودعوتهم الى الله انتهى ملخصا ولما امتن تعالى على رسوله بانزال الكتاب عليه بالحق
وكان الحق اعلام العبادة لله امره تعالى بعبادته فقال فاعبد الله وكان هذا الامر ناشيا
عن انزال الكتاب فالفاء فيه للربط كما تقول احسن اليك زيد فاشكره مخلصا اي ممحضا
له الدين من الشرك والريا وسائر ما يفسده **وقرا** الجمهور الدين بالنصب **وقرا**
ابن ابي عبلة بالرفع فاعلا بمخلصا والراجع لذي الحال محذوف على راي البصريين اي الدين
منك او يكون ال عوضا من الضمير اي دينك وقال الزمخشري وحق من رفعه ان يقرا
مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين
الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد
المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدا
وخبر فقد جا باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص
انتهى وقد قدمنا تخريجه على انه فاعل بمخلصا وقدرنا ما يربط الحال بصاحبها ومن
ذهب الى انه له الدين مستانف مبتدا وخبر الفرا الا لله الدين الخالص اي من كل
شائبة وكدر فهو الذي يجب ان يخلص له الطاعة لاطلاعه على الغيوب والاسرار
ولخلوص نعمته على عباده من غير استجرار منفعة منهم قال الحسن الدين الخالص
الاسلام وقال قتادة شهادة ان لا اله الا الله والذين اتخذوا واستدوا الظاهر
انه المرفوع واحتمل ان يكون الخبر قالوا المحذوف المحكي به قوله ما نعبدهم
اي والمرفوع المحذوف من دون الله اوليا قالوا ما نعبد تلك الاوليا
الا ليقربونا الى الله زلفى واحتمل ان يكون الخبر ان الله يحكم بينهم وذلك القول
المحذوف

المحذوف في موضع الحال اي اتخذوهم قائلين ما نعبدهم واجاز الزمخشري ان يكون الخبر ان
الله يحكم وقالوا المحذوف بدلا من اتخذوا واهله الذين اتخذوا فلا يكون له موضع من الاعراب وكانه من
بدل الاشتمال وفي مصحف عبد الله قالوا ما نعبدهم وبه قرا هو وابن عباس ومجاهد وابن جبير واجاز
الزمخشري ان يكون والذين اتخذوا واعني المتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى
وعودهم والضمير في اتخذوا عايد على المشركين وان لم يتقدم لهم ذكر لدلالة سياق الكلام عليهم والقول
على الوجهين مضمر تقديره المشركون اولياء واوليا مفعول ثان وهذا الذي اجازه خلاف
الظاهر وهذه المقالة شائعة في العرب فقال ذلك ناس منهم في الملائكة وناس في الاصنام
والاوثان قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود في عزير وقوم من النصارى في
المسيح **وقرى** ما نعبدهم بضم النون اتباعا لحركة الباء ان الله يحكم بينهم اقتصر في
الرد على مجرد التهديد والظاهر ان الضمير في بينهم عايد على المتخذين والمتخذين والحكم بينهم
هو بادخال الملائكة وعيسى عليه السلام الجنة وبادخالهم النار مع الحجارة والخشب التي
نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم
ان من عبدوه كالملائكة وعيسى كانوا مقرين لله لاعنين لهم وهو مدين لله وقيل الضمير في
بينهم عايد على المشركين والمؤمنين اذ كانوا يدعونهم على عبادة الاصنام فيقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى والحكم اذ ذاك هو في يوم القيامة بين الفريقين ان الله لا يهدي من هو
كاذب في دعواه ان لله شريكا كفار لانعم الله حيث جعل مكان الشكر الكفر والمعنى لا يهدي
من ختم عليه بالموافاة على الكفر وهو عام والمعنى على الخصوص فكم قد هدي ممن سبق منه الكذب
والكفر قال ابن عطية اي لا يهدي الكاذب الكفار في حال كذبه وكفره وقال الزمخشري المانع
الهداية منع اللطف جعلها عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين انتهى وهو
على طريقة الاعتزال **وقرا** انس بن مالك والجحدري والحسن والاعرج وابن يعمر كذاب كفار
وقرا زيد بن علي كذوب كفور ولما كان من كذبهم دعوى بعضهم ان الملائكة بنات الله
وعيسى وعاتبه بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا تركنا له وتبيينا لاستحالة ان يكون
ذلك في حقه تعالى بالتوالد المعروف لاصطفى اي لاختار من مخلوقاته ما شاء ولكن
على سبيل التبني ولكنه تعالى لم يشا ذلك لقوله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وهو عام
في اتخاذ النسل واتخاذ الاصطفا ويدل على ان الاتخاذ هو التبني والاصطفا قوله مما
يخلق اي من التي انشاها واخترعها ثم نزه تعالى نفسه تنزيها مطلقا فقال سبحانه
ثم وصف نفسه بالوحدانية وبالقهر وهما الصفتان الدالتان على انفراده بالالوهية
والقهر لجميع العالم وقال الزمخشري يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم
يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه
وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم
به وبحقيقة المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل
من اصطفا ما يشا من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاهم اتخاذهم
اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين مبالغين
في الافترا على الله وملائكته انتهى والذي يدل عليه تركيب لو وجوابها انه كان
يترتب اصطفا الولد مما يخلق على تقدير اتخاذه لكنه لم يتخذه فلا يصطفيه واما ما ذكره
الزمخشري من قوله يعني لو اراد الى اخره وقوله بعد كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد
على ما فعل من اصطفا ما يشا من خلقه وهم الملائكة فليس مفهوما من قوله لو اراد الله

ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ولما نزه تعالى نفسه ووصف ذاته بالوحدة والقهر ذكر
ما دل على ذلك من اختراع العالم العلوي والسفلي بالحق وتكوير الليل والنهار وتسخير النيرين
وجريهما على نظام واحد واتساق امرهما على ما اراد الى اجل مسمى وهو يوم القيامة حيث
تخرب بنية هذا العالم وقيل لجريهما او الى وقت مغيبهما كل يوم وليلة او وقت
طلوعهما كل شهر والتكوير قيل طي كل منهما على الآخر فكان الآخر قد صار عليه جزء منه قال
ابن عباس يحمل الليل على النهار وقال الضحاك يدخل الزيادة في احدهما بالنقصان من الآخر
وقال ابو عبيدة يدخل هذا على هذا وقال الزمخشري وفيه اوجه منها ان الليل
والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف
عليه كما يلف على اللابس اللباس ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرا عليه
فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على
هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض انتهى الا هو
العزيز الذي لا يغالب الغفار لمن تاب او الحليم الذي لا يعجل سمى الحلم غفرانا مجازا
ولما ذكر ما دل على وحدانيته وقدرته ذكر الانسان وهو الذي كلف باعباء التكليف
ذكر انه اوجدنا من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام وذلك انطوى على ما روي
خلقتم من آدم وقد صار خلقنا من نفس واحدة لولا ما خلقت حواء وقيل اخرج ذرية
آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء فعلى هذا كان خلقنا من آدم بغير واسطة
وبات على هذا القول وضعها من المهلة في الزمان وعلى القول الاول يظهر ان حوا
كان بعد خلقنا وليس كذلك فثم لترتيب الاخبار كانه قيل ثم كان من امره قبل ذلك
انه جعل منها زوجها فليس الترتيب في زمان الجعل وقيل ثم معطوف على الصفة
التي هي واحدة اي من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل قال الزمخشري فان قلت
ما وجه قوله تعالى ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما آيتان
من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت
للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احداهما جعلها الله عادة مستمرة
والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل
في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها
فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في
الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود انتهى وانما ثم فجعل منها زوجها فقد تقدم
الكلام على هذا مختصرا في اول سورة النساء ووصف الانعام بالانزال مجازا لان
قضاياه تتصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل ما يكون وانما
لعيشها بالنبات والنبات ناشئ عن المطر والمطر نازل من السماء فكانه تعالى انزلها
فيكون مثل قول الشاعر اسنمة الآبال في ربابه * اي في سحابه وقال الآخر
صار الثريد في رؤوس العيدان * وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها فعلى هذا
يكون انزل امرا حقيقة والانعام الابل والبقر والضان والمعز ثمانية ازواج
كان كل منها ذكرا وانثى والزوج ما كان معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد وتر
وقال تعالى فخلق منه الزوجين الذكر والانثى قال ابن زيد خلقا من بعد خلق
اي من ظهر آدم وظهور الآباء وقال عكرمة ومجاهد والسدي رتبنا خلقا من بعد
خلق على المضغة والعلقة وغير ذلك واخذه الزمخشري فقال حيوانا سويا
من

من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف
وقرا عيسى وطلحة يخلقكم بادغام القاف في الكاف والظلمات الثلاث البطن والرحم
والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم اشارة الى المتصف بتلك الاوصاف
السابقة من خلق السموات وما بعد ذلك من الافعال فانى تصرفون اي كيف تعدلون عن
عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا قال ابن عباس خطاب للكفار الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم وعباده الذين هم المؤمنون ويؤيده قوله قبله فانى تصرفون وهذا للكفار
اي ان تكفروا اخطا بالهم فان الله غني عنكم وعن عبادتكم اذ لا يرجع اليه تعالى منفعة
بشكركم ولا بعبادتكم اذ هو الغني المطلق قال ابن عطية ويحتمل ان يكون مخاطبة لجميع
الناس لانه تعالى غني عن جميعهم وهم فقراء اليه انتهى ولفظ عباده عام فيقبل المراد
الخصوص وهم الملائكة ومؤمنو الانس والجن والرضى تغاير الارادة عبر به عن
الشكر والاثابة اي لا يشكره لهم دينا ولا يثيبهم به خيرا فالرضى على هذا صفة فعل
بمعنى القبول والاثابة قال ابن عطية وتامل الارادة فان حقيقتها انما هي فيما لم يقع بعد
والرضى حقيقته انما هو فيما قد وقع واعتبر هذا في آيات القرآن تجده وان كانت العرب
قد تستعمل في اشعارها على جهة التجوز هذا بدل هذا وقال الزمخشري ولقد تمحل
بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي
اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون ان نبغي
ونعى عبد الله بن عباس ترجمان القرآن واعلام اهل السنة بعض الغواة واطلق
عليهم اسم الظالمين وذلك من سفههم وجراتهم كما قلت في قصيدتي التي ذكرت
فيها ما يعتقد عليه وسبتم اعلام لا اعتدلهم صحة * ولا ايمان او لجوا المصاب بنا * وان
تشكروا يرضه لكم قال ابن عباس يرضاه لكم لكنه يريد ثواب الشكر وقبل
تقبيله منكم قال صاحب التحرير فحوى الكلام يدل على ان معنى ان تشكروا ان تؤمنوا فمنه
تصيروا الى الكفر والله تعالى قد يسمي الاعمال الصالحة والطاعات شكرا كقوله
اعملوا آل داود شكرا انتهى وتقدم الكلام على نظير الآية في سبا وقرا الحلوانيان وابن
كثير يرضه بوصل ضمة الهاء بواو وابن عامر وحفص بضمة فقط وابو بكر بسكون
الهاء قال ابو حاتم وهو غلط لا يجوز انتهى وليس بغلط بل ذلك لغة لبني كلاب
وبني عقيل ولا تزر وازرة الى بذات الصدور تقدم الكلام عليه واذا مس الانسان ضر
دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله
اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني
فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم
القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون الظاهر ان الانسان هنا جنس الكافر

وقيل يعني عتبة بن ربيعة ويدخل في الضر جميع المكاره في جسم او اهل او مال دعا ربه
وناداه ولم يؤمل في كشف الضر سواه منيبا اليه اي راجعا اليه وحده في ازالة ذلك
ثم اذا خوله اي ملكه واعطاه بعد كشف ذلك الضر وحقيقة خول ان يكون من قولهم
هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه او من خال يخول اذا اختال
وافتخر وتقول العرب ان الغني طويل الذيل مياس نسي ما كان يدعو اي ترك
والظاهر ان ما بمعنى الذي اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل
ما بمعنى من اي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل في كشف ضره وقيل ما
مصدرية اي نسي كونه يدعو وقيل تم الكلام عند قوله نسي ما كان فيه من الضر
وما نافية نفي ان يكون دعا هذا الكافر الى الله مقصودا من قبل اي من قبل
الضر وعلى انها نافية تنفي الاقوال السابقة من قبل اي من قبل تخويل النعمة وهو زمان
الضر وجعل لله اندادا اي امثالا يضاهي بعضها بعضا ويعارض قال قتادة اي
من الرجال يطيعونهم في المعصية وقال غيره اوثانا وهذا من تحقيق عتوهم
حين مس الضر دعوا الله ولم يلجؤوا في كشفه الا اليه وعند كشف ذلك
وحصول النعمة اشركوا به فاللام لام العلة وقيل لام العاقبة وقرا الجمهور
ليضل بضم الياء اي ما اكتفى بضلال نفسه حتى جعل غيره يضل وقرا ابن كثير وابو
عمرو وعيسى بفتحها ثم اتى بصيغة الامر فقال تمتع بكفرك اي تلذذ واصنع
ما شئت قليلا اي عمرا قليلا والخطاب للكافر جاعل الانداد انك من اصحاب
النار اي من سكانها المخلدين فيها وقال الزمخشري وقوله تمتع بكفرك من باب
الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان
والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه
وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به
ونظيره في المعنى متاع قليل ثم ماواهم جهنم انتهى ولما شرح تعالى احوال
ثانيا من احوال الضال اردفه بشرح احوال المهتدين الموحد فقال
امن هو قانت وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والاعمش وعيسى وشيبة والحسن
في رواية امن بتخفيف الميم والظاهر ان الهمزة لاستفهام التقرير ومقابله
محذوف لفهم المعنى والتقدير اهذا القانت خير ام الكافر المخاطب بقوله قل
تمتع بكفرك ويدل عليه قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
ومن حذف المعادل قول الشاعر دعاني اليها القلب اني لامرها
سميع فما ادري ارشد طلابها تقديره ام غي وقال الفرا الهمزة للنداء كانه
قيل يا من هو قانت ويكون قوله قل خطابا له وهذا القول اجنبي مما قبله
ومما بعده وضعف هذا القول ابو علي الفارسي ولا التفات لتضعيف الاخفش
وابي حاتم هذه القراءة وقرا باقي السبعة والحسن وقتادة والاعرج وابو
جعفر امن بتشديد الميم وهي ام ادغمت ميمها في ميم من فام قلت ام ان تكون
متصلة ومعادلها محذوف قبلها تقديره اهذا الكافر خير ام من هو قانت قال
معناه الاخفش ويحتاج مثل هذا التقدير الى سماع من العرب وهو ان يحذف
المعادل الاول ولذا قلت ام ان تكون منقطعة تتقدر ببل والهمزة والتقدير
بل امن هو قانت صفته كذا كمن ليس كذلك وقال النحاس ام بمعنى بل ومن
بمعنى

بمعنى الذي والتقدير بل الذي هو قانت افضل ممن ذكر قبله انتهى ولا افضل الا بتكلف حتى
تحمل هنا افضل بمعنى ذي الخير من اصحاب الجنة يدل عليه مقابله انك من اصحاب النار والقانت
المطيع قاله ابن عباس وتقدم الكلام في القنوت في البقرة وقرا الجمهور ساجدا وقائما بالنصب
على الحال والضحاك برفعهما على انه خبر ثان واما على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين
الصفتين يحذر الاخرة اي عذاب الاخرة ويرجو رحمة ربه اي جنته وقيل فيهم الجنة وهذا
المتصف بالقنوت الى تلك الاوصاف قال مقاتل عمار وصهيب وابن مسعود وابو ذر
وقال ابن عمر عثمان وقال ابن عباس في رواية الضحاك ابو بكر وعمر وقال يحيى بن سلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انه من اتصف بهذه الاوصاف من غير تعيين وفي الاية
دليل على فضل قيام الليل وانه ارجح من قيام النهار ولما ذكر العمل ذكر العلم فقال قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل ان كما ان الاتنان يحصل من هذين
المقصودين فكما لا يستوي هذان كذلك لا يستوي المطيع والعاصي والمراد بالعلم
هنا ما ادى الى معرفة الله ونجاة العبد من سخطه وقرئ تذكر بادغام التاء في
الذال قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم روي انها نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه
حين عزموا على الهجرة الى ارض الحبشة ووعدهم تعالى فقال للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة والظاهر تعلق في هذه باحسنوا وان المحسنين في الدنيا لهم في الاخرة حسنة
اي حسنة عظيمة وهي الجنة قاله مقاتل والحسنة محذوفة بدل تعليمها المعنى الذين
احسنوا في الدنيا لا يوعد ان يكون له في الاخرة مطلق حسنة وقال السدي في هذه
من تمام حسنة اي ولو تاخر كان صفة اي الذين يحسنون لهم حسنة كائنة في الدنيا
ولما تقدم ذا نص على الحال والحسنة التي لهم في الدنيا هي العافية والظهور والولاية
الله تعالى ثم حض على الهجرة فقال وارض الله واسعة كقوله الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها اي لا عذر للمفرطين البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم واهلهم
لا يتمكنون فيها من اعمال الطاعات قيل لهم ان بلاد الله كثيرة واسعة فتحولوا الى
الاماكن التي تمكنهم فيها الطاعات وقال عطاء ارض الله المدينة للهجرة فعلى
هذا يكون احسنوا هاجروا ومستقرا لهم الا الاعتداد وقال قوم ارض الله هي الجنة قال
ابن عطية وهذا القول تحكم لا دليل عليه انتهى وقال ابو مسلم لا يمتنع ذلك لانه تعالى
امر المؤمنين بالتقوى ثم بين انه من اتقى له في الاخرة الحسنة وهي الخلود في
الجنة ثم بين ان ارض الله واسعة لقوله واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث
نشاء وقوله وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ولما كان منزلة الاحسان
منتهى الرتب كما جاء الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه وكان الصبر في ذلك
من اشق الاشياء وصعوبتها من فارق وطنه وعشيرته وصبر على بلاء الغربة ذكر
ان الصابرين يوفون اجورهم بغير حساب اي لا يحاسبون في الاخرة كما يحاسب
غيرهم او يوفون ما لا يحصر بحساب من الكثرة قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين امر
تعالى ان يصدع الكفار بما امر به من عبادة الله مخلصا من الشوائب وامرت اي
امرت لان اكون اول من اسلم اي انقاد الله تعالى ويعني من اهل عصره او من قومه لانه
اول من خالف عبادة الاصنام او اول من دعا نفسه الى الاسلام اسلاما او اول من دعا
نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي قولا وفعلا لا كالملوك الذين يامرون
بما لا يفعلون او ان افوز بما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب

بالمسبب وقال الزمخشري فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد قلت ليسا
بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز به قصب السبق
في الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام
مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك
الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الأصل الذي
هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من
المؤمنين أمرت أن أكون أول من أسلم انتهى ويحتمل أن تكون في تلك
المواضع أصله لأن أكون فيكون قد حذفت اللام والمأمور به محذوف وهو
المصرح به هنا قل إني أمرت أن أعبد الله قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم تقدم الكلام على هذه الجملة معمول القول في سورة يونس ولما أمر
أولا التخبر بأنه أمر بعبادة الله أمر ثانيا أن يخبر بأنه يعبد الله وحده وتقديم
الجلالة ما على الاهتمام بمن يعبد وعن الزمخشري يدل على الاختصاص قال
ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا
واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير
المبالغة في الخذلان والتخلية انتهى وقال غيره فاعبدوا ما شئتم صيغة أمر على
جهة التهديد لقوله قل تمتع بكفرك قل إن الخاسرين أي حقيقة الخسران الذين
خسروا أي هم الذين خسروا أنفسهم حيث صاروا من أهل النار وأهليهم الذين
كانوا معهم في الدنيا حيث كانوا معهم في الدنيا حيث كانوا معهم في النار
فلم ينتفعوا بهم شيئا وإن كان أهلوهم قد استووا الخسران إياهم كونهم لا يجتمعون
بهم ولا يرجعون إليهم أبدا وقال قتادة كان الله قد أعد لهم أهلا في الجنة فخسروهم
وقال بمعناه ميمون بن مهران وقال الحسن هن الحور العين ثم ذكر ذلك الخسران وبالغ
فيه حتى التنبيه عليه أولا والإشارة إليه وتأكيده بالفصل وتوصيفه بالوصف
بأنه المبين أي الواضح لمن تأمله أدنى تأمل ولما ذكر خسرانهم أنفسهم وأهليهم ذكر
حالهم في جهنم وأنهم من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل يتطاير إليهم النار فتغشاهم
من فوقهم ومن تحتهم وسمي ما تحتهم ظللا للمقابلة بما فوقهم كما قال يوم
يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال لهم من جهنم مهاد ومن
فوقهم غواش وقيل هي ظلل للذين هم تحتهم إذ النار طباق وقيل إن
ما تحتهم يلتهب ويتصاعد منه شيء حتى يكون ظلة فسمي ظلة باعتبار ما آل إليه
أمر ذلك أي ذلك العذاب يخوف الله به عباده ليعلموا ما يخلصهم منه ثم ناداهم
وأمرهم فقال يا عباد فاتقون أي اتقوا عذابي والذين اجتنبوا الطاغوت
أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب
أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم
لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف
الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم
يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن
في

في ذلك لذكرى لأولي الألباب أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين قال ابن زيد نزلت والذين
اجتنبوا الطاغوت في زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وأبي ذر وقال ابن إسحاق الإشارة بها
إلى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد والزبير وذلك أنه
لما أسلم أبو بكر سمعوا ذلك فجاؤوه وقالوا أسلمت قال نعم وذكرهم الله فآمنوا
بأجمعهم فنزلت فيهم وهي محكمة في الناس إلى يوم القيامة والطاغوت تقدم
الكلام عليها في البقرة وقرأ الحسن الطواغيت جمعا أن يعبدوها أي عبادتها وهو
بدل اشتمال لهم البشرى أي من الله تعالى بالثواب فبشر عبادي هم المجتنبون
الطاغوت المنيبون إلى الله وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على أنهم هم وليترتب على
الظاهر الوصف وهو الذين يستمعون القول وهو عام في جميع الأقوال
فيتبعون أحسنه أثنى عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم الأحسن فإذا سمعوا
قولا تبصروه قيل وأحسن القول القرآن ولا يرجع إليه وقيل القول القرآن وأحسنه
ما فيه من عفو وصفح واحتمال ونحو ذلك وقال قتادة أحسن القول طاعة الله
وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم يسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث
بأحسن ما سمع ويكف عن ما سواه والذين وصف عبادي وقيل الوقف على عباده
والذين مبتدأ خبره أولئك وما بعده أفمن حق عليه كلمة العذاب قيل نزلت
في أبي جهل أي وجب عليه الوعيد بالعذاب والظاهر أنها جملة مستقلة ومن
موصولة مبتدأ والخبر محذوف فقيل تقديره تتأسف عليه وقيل تتخلص منه
وقدره الزمخشري فأنت تخلصه وحذف لدلالة أفأنت تنقذ عليه تتأسف عليه
وقدر الزمخشري بين الهمزة والفاء جملة حتى تقر الهمزة في مكانها والفاء في مكانها
فقيل التقدير أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب وهو قول انفرد به
فيما علمناه والذي تقوله النحاة أن الفاء للعطف وموضعها التقديم على الهمزة
لكن الهمزة لما كان لها صدر الكلام تقدمت فالأصل عندهم فأمن حق عليه
وعلى القول أنها جملة مستقلة يكون قوله أفأنت تنقذ من في النار استفهام توقيف
وقدم فيه الضمير إشعارا بأنك لست تقدر أن تنقذه من النار بل لا يقدر على ذلك
أحد إلا الله وذهبت فرقة منهم الحوفي والزمخشري إلى أن من شرطية وجواب
الشرط أفأنت فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة توكيد
معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار وهو ظاهر موضع المضمر إذ كان
الأصل تنقذه وإنما أظهر تشهيرا لحالهم وإظهار الخسة منازلهم قال الحوفي وجيء
بألف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا ولولا طوله لم يجز الإتيان بها لأنه لا يصلح
في العربية أن يأتي بألف الاستفهام في الاسم وألف أخرى في الجزاء ومعنى
الكلام أفأنت تنقذه انتهى وعلى هذا القول يكون قد اجتمع استفهام وشرط على
قول الجماعة أن الهمزة قدمت من تأخير فيجيء الخلاف بين س ويونس
هل الجملة الأخيرة هي المستفهم عنها أو هي جواب الشرط وعلى تقدير الزمخشري
لم تدخل الهمزة على اسم الشرط فلم يجتمع استفهام وشرط لأن الاستفهام عنده دخل
على الجملة المحذوفة عنده وهو أأنت مالك أمرهم ومن معطوف على تلك
الجملة المعطوفة عطفت جملة الشرط على جملة الاستفهام وترك اختصارا لفهم

العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار وترك اعتبار الرسول عليه السلام قدرة ايمانهم الي
الايمان منزلة انقاذهم من النار ولما ذكر حال الكفار في النار وان الخاسرين لهم ظلل ذكر حال
المومنين وناسب الاستدراك هنا اذ هو واقع بين الكافرين والمومنين فقال
لكن الذين اتقوا ففي ذلك حض على التقوى لهم علالي مرتفعة فوقها علالي
مبنية اي بنيا المنازل التي بنيت على الارض والمنبر في تجري من تحتها عائد على الجميعين
اي من تحت الغرف السفالي والفوقاني العليا لا تفاوت بين اعلاها واسفلها واسم
وعد الله على المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله اذ تضمنت معنى الوعد الم تر خطاب
وتوقيف للسامع على ما يعتبر به من افعال الله الدالة على فنا الدنيا واضمحلالها
فسلكه ينابيع اي ادخله مسالك ومجاري والظاهر ان ما العيون هو من ما المطر
الارض ثم يخرج به زرعا ذكر منه تعالى غايته بقوله بهيجا
مختلفا الوانه من احمر وابيض واصفر ويشمل لفظ الزرع جميع ما يزرع من مقتات وغيره
او مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يقارب التمام فتراه
مصفرا اي المتغير بعد نضارته وقرا ابو بشر ثم يجعله بالنصب في اللام قال
صاحب الكامل وهو ضعيف انتهى ان في ذلك اي فيما ذكر من انزال المطر واخراج
الزرع به وتنقلاته الى حالة الحطامية لذكرى اي تذكيرا وتنبيها على حكمة فاعل
ذلك وقدرته افمن شرح الله صدره للاسلام نزلت في حمزة وعلي ومن مبتدا وخبره
محذوف يدل عليه فويل للقاسية قلوبهم تقديره كالقاسي المعرض عن الاسلام وابو
لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم وشرح الصدر استعارة عن قبوله للايمان
والخير والنور والهداية وفي الحديث كيف انشراح الصدور قال اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح قلنا وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتاهب للموت قبل الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره
اي ذكر الله عندهم قست قلوبهم وقال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم
من قسوة قلبه اولئك اي القاسية قلوبهم في ضلال مبين اي في حيرة واضحة لا تخفى
على من تاملها الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب
الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي
في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس
في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج
لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم
ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون عن ابن عباس ان قوما
من الصحابة قالوا يا رسول الله حدثنا باحاديث حسان وباخبار الدهر فنزل الله
احسن الحديث وعن ابن مسعود ان الصحابة ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت
والابتداء باسم الله واسناد نزل الى الضمير مبنيا عليه فيه تفخيم للمنزل ورفع منه كما
تقول الملك اكرم فلانا هو افخم من اكرم الملك فلانا وحكمة ذلك البداءة بالاسم
من

من تذكر ما اسند اليه وهو كثير في القران كقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا وكتابا بدل
من احسن الحديث وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون حالا انتهى فكانه بناه على ان احسن الحديث
معرفة لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافة
محضة وقيل غير محضة ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فمعانيه
متشابهة لا تناقض فيها ولا تعارض والفاظه في غاية الفصاحة والبلاغة
والتناسب بحيث اعجزت الفصحاء والبلغاء وقرا الجمهور مثاني بفتح اليا
وهشام ابن عامر وابو بشر بسكون اليا فاحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف
واحتمل ان يكون منصوبا وسكن اليا على قول من يسكن اليا في كل الاحوال
لانكسار ما قبلها استثقالا للحركة عليها ومثاني يظهر انه جمع مثنى ومعناه
موضع تثنية القصص والاحكام والعقايد والوعد والوعيد وقيل يثنى في
الصلاة بمعنى التكرير والاعادة انتهى ووصف المفرد بالجمع لان فيه تفاصيل
وتفاصيل الشي جملته الا ترى انك تقول القران سور وايات فكذلك تقول اقاصيص واحكام
ومواعظ مكررات واصله كتابا متشابها فصولا مثاني حذف الموصوف واقيمت
صفته مقامه واجاز الزمخشري ان يكون من باب برمة اعشار وثوب اخلاق وان
يكون تمييزا عن متشابها فيكون منقولا من الفاعل اي متشابها مثانيه كما تقول
رايت رجلا حسنا شمايل وفايدة تثنيته وتكريره رسوخه في النفوس اذ هي تنزجر
من سماع الوعظ والنصيحة والظاهر حمل اقشعرار على الحقيقة اذ هي موجودة عند
الخشية محسوس يدركه الانسان من جسده وهو حاصل من التاثر القلبي وقيل
هو تمثيل تصويرا لافراط خشيتهم والمعنى انهم حال سماعهم ما يتلى فيه من ايات
الوعيد عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته لانت
جلودهم اي زال عنها ذلك التقبض الناشي عن خشوع القلوب بزوال الخشية
عنها ومعنى يلين يعني تصير جلودهم لينة غير منقبضة وقلوبهم راجية
غير خاشية وتذكيرها اباه الى وكان في ذكر القلوب من هذه الجملة دليل على
تاثرها عند السماع واكتفي بقشعريرة الجلود عند ذكر خشية القلوب لقيام المسبب
مقام السبب فلما ذكر اللين ذكرهما وفي ذكر اللين دليل على المحذوف الذي هو
رحمة الله كما كان في قوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم دليل بقوله وجلت عن ذكر
المحذوف اي اذا ذكر وعيد الله وبطشه وقال العباس بن عبد المطلب قال النبي
عليه السلام اذا اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن
اليابسة ورقها قال ابن عمر وقد راى ساقطا من سماع القران فقال انا لنخشى الله
وما نسقط هولاء يدخل الشيطان في جوف احدهم وقالت اسماء بنت ابي بكر كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع
القران قيل لها ان قوما اليوم اذا سمعوا القران خر احدهم مغشيا عليه فقالت
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال ابن سيرين بيننا وبين هولاء الذين
يصرعون عند قراءة القران ان يجعل احدهم على حائط باسطا رجليه ثم يقرا
عليه القران كله فان رمى بنفسه فهو صادق والاشارة بذلك الى الكتاب
او الى ذلك الوصفين من الاقشعرار واللين اي اثر هدى الله افمن يتقي
اي يستقبل كما قال الشاعر سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

اي استقبلتا بيدها اتقي بيدها وجهها ان يري والظاهر حمل يوجه على حقيقته قال مجاهد
يجره على وجهه في النار ويجوز التعبير بالوجه من الجملة وقيل المعنى ومغلولة يداه لما
من العذاب يتقيه اولا بجوارحه فيتريد متقيه بوجهه الذي هو اشرف جوارحه
وفيه حواسه فهو غاية العذاب قال ابن عطية وهذا المعنى عندي ابين بلاغة
في هذا المضمار يجري قول الشاعر يلقي السيوف بوجهه وبنحره ه
ويقيم هامته مقام المغفر لانه انما اراد عظم جرأته فهو يلقاها بكل مجن
ويكل شي عنه حتي بوجهه ونحره انتهي وسوء العذاب اشده وخبر من محذوف
قدره الزمخشري كمن امن العذاب وابن عطية كالمنعمين في الجنة وقيل للظالمين
اي قال ذلك خزنة النار ذوقوا ما كنتم اي وبال ما كنتم تكسبون من الاعمال
السيئة كذب الذين من قبلهم تمثيل لقريش بالامم الماضية وما ال اليه امرهم
من الهلاك فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يشعرون
ان العذاب ياتيهم من قبلها ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها كانوا في امن وغبطة
وسرور فاذا هم يعذبون مخزيون ذليلون في الدنيا من ممسوخ ومقتول
ومأسور ومنفي ثم اخبر ان ما اعد لهم في الاخرة اعظم وانتصب قرانا عربيا على الحال
وهي حال مؤكدة والحال في الحقيقة هو عربيا وقرانا توطئة له وقيل انتصب
على المدح ونفى عنه العوج لانه مستقيم بري من الاختلاف والتناقض وقال
عثمان بن عفان غير مضطرب وقال ابن عباس غير مختلف وقال مجاهد غير
ذي لبس وقال السدي غير مخلوق وقيل غير ذي لحن قال الزمخشري فان
قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احدهما
نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج
مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد
وقد اتاك يقينا غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب ه
انتهى ولما ذكر تعالى انه ضرب في القران من كل مثل اي يحتاج اليه ضرب هنا مثلا
لعابد الالهة كثيرة ومن يعبد الله وحده ومثل برجل مملوك اشترك فيه
ملاك سيئوا الاخلاق فهو لا يقدر ان يوفي كل واحد منهم مقصوده اذ
لا يتفق بعضهم لبعض لتشاكسهم وطلب كل منهم ان يقضي حاجته على التمام
فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم ورجل اخر مملوك جميعه لرجل واحد
فهو معني بشغله لا يشغله عنه شي ومالكه راض عنه اذ قد خلص لخدمته
وبذل جهده في قضاء حوائجه فلا يلقى من سيده الا احسانا وتقدم الكلام
في نصب المثل وما بعده وقال الكسائي انتصب رجلا على اسقاط الخافض
اي مثلا لرجل او في رجل فيه اي في رقه شركاء وفيه صلة لشركاء وقرا
عبد الله وابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والزهري والحسن بخلاف
عنه وباقي السبعة سلما بفتح السين واللام وقرا الاعرج وابو جعفر
ابن جبير سلما بكسر السين وسكون اللام وهما مصدران وصف بهما مبالغة في
الخلوص من الشركة وقرئ ورجل سالم برفعهما وقال الزمخشري اي
وهناك رجل سالم لرجل انتهى فجعل الخبر هناك ويجوز ان يكون ورجل
مبتدا لانه موضع تفصيل اذ قد تقدم ما يدل عليه فيكون كقوله

امري

امرئ القيس اذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول
وقال الزمخشري وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المراة والصبي
قد يغفلان عن ذلك وانتصب مثلا على التمييز المنقول من الفاعل اذ التقدير
هل يستوي مثلهما واقتصر في التمييز المنقول من الفاعل اذ التقدير هل يستوي
مثلهما واقتصر في التمييز على الواحد لان المقتصر عليه اولا في قوله ضرب الله مثلا
ولبيان الجنس وقرئ مثلين فطابق حال الرجلين وقال الزمخشري ويجوز
فيمن قرا مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل
ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما يقول كفى بهما
رجلين انتهى والظاهر انه يعود الضمير في يستويان الى الرجلين واما اذا
جعلته عائدا الى المثلين اللذين ذكرا التقدير مثل رجل ورجل فان التمييز
اذ ذاك يكون قد فهم من المميز الذي هو المثلان اذ يصير التقدير هل يستوي
المثلان مثلين قل الحمد لله اي الثناء والمدح لله لا لغيره وهو الذي
ثبتت وحدانيته فهو الذي يجب ان يحمد بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره ولفظة الحمد لله تشعر بوقوع الهلاك بهم لقوله فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ولما لم يلتفتوا الى هذه الدلائل
الباهرة اخبر الجميع بانهم ميتون وصائرون اليه وان اختصامهم يكون بين
يديه يوم القيامة وهو الحكم العدل فيتميز الحق من المبطل وهو عليه السلام
واتباعه المحقون الفائزون بالظفر والغلبة والكافرون هم المبطلون والظاهر
في وانك خطاب للرسول وتدخل معه امته في ذلك والظاهر عود الضمير في
وانهم على الكفار وغلب ضمير الخطاب في انك على ضمير الغيبة في انهم ولذلك جاء في
تختصمون بالخطاب فتحتج انت عليهم بانك قد بلغت وكذبوا واجتهدت
في الدعوة ولجوا في العناد وقال ابو العالية هم اهل القبلة يختصمون بينهم يوم
القيامة في مظالمهم وابعد من ذهب الى ان الاختصام سببه ما كان في قتل عثمان
وما جرى بين علي ومعاوية بسبب ذلك رضي الله عنهم وقيل تختصم الجميع
فالكفار تخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون يخصمون
الكافرين بالحجة واهل القبلة يكون بينهم الخصام وقرا ابن الزبير وابن ابي
اسحاق وابن محيصن وعيسى واليماني وابن ابي غوث وابن ابي عبلة
انك مائت وانهم مائتون وهي تشعر بحدوث الصفة والجمهور ميت
وميتون وهي تشعر بالثبوت واللزوم كالحي اشمازت قال ابو زيد ذعرت وقال
غيره تقبضت كراهة ونفورا قال الشاعر اذا عض الثقاف بها اشمازت ه
وولته عشوزنة زبونا ه المقاليد المفاتيح قيل لا واحد لها من لفظها
قاله التبريزي وقيل واحدها مقليد وقيل مقلاد ويقال اقليد واقاليد
والكلمة اصلها فارسية الزمر جمع زمرة قال ابو عبيدة والاخفش جماعات
متفرقة بعضها اثر بعض قال حتى احزالت زمر بعد زمر وقيل تزمروا
الحفوف الاحداق بالشيء قال الشاعر تحفه جانبا نيق ويتبعه ه
مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد ه وهذه اللفظة ماخوذة من الحفاف

المفردات

واهوا الجانب ومنه قول الشاعر له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل

فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فمن اظلم ممن كذب على الله هذا تفسير وبيان للذين يكون بينهم الخصومة وهذا يدل على ان الاختصام السابق يكون بين المؤمنين والكافرين اي لا احد في الكذب اظلم ممن افترى على الله فنسب اليه الولد والصاحبة والشريك وحرم وحلل من غير امر الله وكذب بالصدق وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اي وقت مجيئه فاجاه بالتكذيب من غير فكر ولا ارتياب ولا نظر بل وقت مجيئه كذب به ثم توعدهم توعدا فيه احتقارهم على جهة التوقيف والتقرير مما قاله غيره اليس في جهنم مثوى لهم وفيه تنبيه على علة كذبهم وتكذيبهم وهو الكفر والذي جاء بالصدق معادل لقوله فمن اظلم وصدق به مقابل لقوله وكذب بالصدق والذي جنس كانه قال والفريق الذي جاء بالصدق ويدل عليه اولئك هم المتقون فجمع كما ان المراد بقوله فمن اظلم يراد به جمع ولذلك قال مثوى للكافرين وفي قراءة عبد الله والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل اراد والذين فحذفت النون وهذا ليس بصحيح اذ لو اريد الذين بلفظ الذي لحذفت منه النون فكان الضمير مجموعا لقوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم وهم هم (?) الا ترى انه اذا حذفت النون في المثنى كان الضمير مثنى كقوله ابني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا وقيل الذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي وابو العالية والكلبي وجماعة الذي جاء بالصدق هو رسول الله والذي صدق به هو ابو بكر وقال ابو الاسود ومجاهد وجماعة الذي صدق به هو علي بن ابي طالب وقال الزمخشري والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ولذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذلك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهو الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به انتهى وقوله واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه اشعل (?) الضمير المنفصل في غير موضعه وانما هو متصل فاصلاحه واراده به ومن تبعه كما اراده بموسى

وقومه

وقومه قوله لعلهم يهتدون الضمير في لعلهم لقوم موسى لا لموسى وقومه اي لعل قومه يهتدون لان موسى عليه السلام مهتد فالمترجى هداية قومه لا هدايته اذ لا يترجى الا ما كان مفقودا لا موجودا وقوله ويجوز الى آخره فيه توزيع الصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذي شرف وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقرأ الجمهور وصدق مشددا وابو صالح وعكرمة بن سليمان ومحمد بن جحادة مخففا قال ابو صالح وعمل به وقيل استحق به اسم الصدق وقال ابن عطية وعلى هذا اسند الافعال كلها الى محمد صلى الله عليه وسلم وكانت امته في ضمن القول وهو الذي يحسن اولئك هم المتقون انتهى وقال الزمخشري اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل معناه وصار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به انتهى يعني مبنيا للمفعول مشددا وقال صاحب اللوامح جاء بالصدق من عند الله وصدق بقوله اي في قوله او في مجيئه فاجتمع له الصفتان من الصدق من لدن صدقه من عند الله وصدق بنفسه وذلك مبالغة في المدح انتهى لهم ما يشاؤن عام في كل ما تشتهيه انفسهم وتتعلق به ارادتهم ليكفر متعلق بالمحسنين اي احسنوا ليكفر او بمحذوف اي يسر ذلك لهم ليكفر لان التكفير لا يكون الا بعد التيسير للخير واسوأ الذي عملوا هو كفرهم الى اهليتهم (?) ومعاصي اهل الاسلام والتكفير يدل على سقوط العقاب عنهم على اكمل الوجوه والجزاء بالاحسن يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه وقيل ذلك يكون اذا صدقوا الانبياء فيما اتوا به وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من اعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي وهذا قول المرجئة يقولون لا يضر شيء من المعاصي مع الايمان واحتج بهذه الآية وقام الظاهر مقام الضمير في المحسنين اي ذلك جزاؤهم فنبه بالظاهر على العلة المقتضية لحصول الثواب والظاهر ان اسوأ افعل التفضيل وبه قراءة الجمهور واذا كفر اسوأ اعمالهم فتكفير ما هو دونه احرى وقيل افعل ليس للتفضيل وهو كقولك الاشج اعدل بني مروان اي عادل فكأنه قيل سيء الذي عملوا ويدل على هذا التأويل قراءة ابن مقسم وحامد بن يحيى عن ابن كثير ورواية عن البزي عن ابن كثير اسواء هنا وفي حم السجدة بالف بين الواو والهمزة جمع سوء ولا تفضيل فيه الظاهر ان باحسن افعل تفضيل فقيل ينظر الى احسن طاعاته فيجزي الباقي في الجزاء على قياسه وان تخلف عنه بالتقصير وقيل باحسن ثواب اعمالهم وقيل باحسن من عملهم وهو الجنة وهذا ينبو عنه باحسن الذي وقال الزمخشري اما التفضيل فيؤذن بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرات هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم بالاحسن انتهى وهو على رأي المعتزلة ويكون قد استعمل اسوأ في التفضيل وهو خلاف الظاهر في التفضيل على ما هو عند الله وذكره توزيع في افعل التفضيل وهو خلاف الظاهر قالت قريش لئن لم ينته محمد عن تعييب آلهتنا وتعييبنا لنسلطها عليه فتصيبه بخبل وتعتريه بسوء فانزل الله اليس الله بكاف عبده اي بشر من يريده بشر والهمزة الداخلة على النفي للتقرير اي هو كاف عبده وفي اما فتح اليه تخويف عظيم لنبيه وقرأ الجمهور عبده

وبهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابو جعفر ومجاهد وابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة
والكسائي عباده بالجمع اي الانبيا المطيعين من المومنين ويخوفونك من دونه وهي الاصنام
ولما بعث خالد الى كسر العزى قال له سادنها اني اخاف عليك منها فلها قوة لا يقوم لها
شي فاخذ خالد الفاس فهشم بها وجهها ثم انصرف وفي قوله ويخوفونك تهكم بهم لانهم
خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر ونظير هذا التخويف قول قوم هود له ان نقول الا
اعتراك بعض الهتنا بسوء وقرى بكافي عباده بالاضافة ويكافي عباده مضارع
كافي ونصب عباده فاحتمل ان يكون مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي
وهو ابلغ من كفي لبنائه على لفظ المبالغة وهو الظاهر لكثرة تردد هذا المعنى
في القران كقوله فسيكفيكهم الله ويحتمل ان يكون مهموزا من المكافاة
وهي المجازاة اي يجزيهم اجرهم ولما كان تعالى كافي عبده كان التخويف بغيره
عبثا باطلا ولما اشتملت الاية على مهتدين وضالين اخبر ان ذلك كله هو فاعله ثم
قال اليس الله بعزيز اي غالب منيع ذي انتقام وفيه وعيد لقريش ووعد للمومنين
ولما اعتزوا بالصانع وهو الله اخبرهم انه تعالى هو المتصرف في نبيه بما اراد فان
تلك الاصنام التي يدعونها الهة من دونه لا تكشف ضرا ولا تمسك رحمة اي صحة وسعة
في الرزق ونحو ذلك وارايتم هنا جارية على وضعها تتعدى الى مفعولها الاول
وهو ما يدعون وجا المفعول الثاني جملة استفهامية وفيها العايد على ما وهو
لفظ هن وانث تحقيرا لها وتعجيزا وتضعيفا وكان فيها من سمي بتسمية الاناث
كالعزى ومناة واللات واضاف ارادة الله الضر الي نفسه والرحمة اليه الا انهم
خوفوه معرتها فاستنطق منهم الاقرار بان الله خالق العالم هو الله ثم استخبرهم
عن اصنامهم هل تدفع شرا او تجلب خيرا وقرا الجمهور كاشفات وممسكات
على الاضافة وشيبة والاعرج وعمرو بن عبيد وعيسى بخلاف عنه وابو عمرو وابو بكر
بتنوينهما ونصب ما بعدهما ولما تقرر انه تعالى كافيه وان اصنامهم لا تضر ولا
تنفع امره تعالى بان يعلم انه تعالى هو حسبه اي كافيه والجواب في هذا الاستخبار
محذوف والتقدير فانهم سيقولون لا تقدر على شي من ذلك وقال مقاتل استخبرهم
فسكتوا قل يا قوم اعملوا الاية تقدم الكلام في نظيرها انا انزلنا عليك الكتاب
للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت
عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعا قل اولو كانوا لا يملكون
شيا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون
واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم
القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيات ما كسبوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزون لما كان عليه السلام يعظم عليه عدم ايمانهم
ورجوعهم الى ما انزل الله تعالى عليه سلاه تعالى عن ذلك واخبره انه انزل عليه الكتاب

وهو

وهو القران مصحوبا بالحق وهو دين الاسلام للناس اي لاجلهم اذ فيه تكاليفهم فمن اهتدى
فثواب هدايته انما هو له ومن ضل فعقاب ضلاله انما هو عليه وما انت عليهم بوكيل
اي فتجبرهم على الايمان قال قتادة بوكيل بحفيظ وقال الزمخشري للناس لاجل
حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية
ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن
اختار الضلالة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى
فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى فان التجبر مبني على الاختيار دون الاجبار انتهى وهو مذهب
المعتزلة ولما ذكر تعالى انه انزل الكتاب على رسوله بالحق للناس نبه على ان من
اياته الكبرى يدل على الوحدانية لا يشركه في ذلك صنم ولا غيره فقال الله يتوفى
الانفس حين موتها والانفس هي الارواح وقيل النفس غير الروح قاله ابن عباس
فالروح لها تدبير عالم الحياة والنفس لها تدبير عالم الاحساس وفرقت فرقة
بين نفس التمييز ونفس التخييل والذي يدل عليه الحديث واللغة ان النفس
والروح مترادفان وان فراق ذلك من الجسد هو الموت ومعنى يتوفى
الانفس يميتها والتي اي والانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين
تنام تشبيها للنوام بالاموات ومنه وهو الذي يتوفاكم بالليل فبين الميت
والنايم قدر مشترك وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان فيمسك التي قضى عليها
الموت الحقيقي ولا يردها في وقتها حية ويرسل النايمة بجسدها الى اجل
ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي يكون معها
الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا
فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت
زال معها النفس والنايم يتنفس وكون النفس تقبض والروح في الجسد حالة
النوم بدليل انه يتقلب ويتنفس هو قول الاكثرين ودل على التفريق بينهما
شيا واحدا هو قول ابن جبير واحد قولي ابن عباس والخوض في هذا وطلب ادراك ذلك
على جليته عنا لا يوصل الى ذلك ان في ذلك اي في توفي الانفس مايتة ونايمة
وامساكها وارسالها الى اجل لايات لعلامات دالة على قدرة الله وعلمه لقوم
يتفكرون فيه انكارهم ويعتبرون وقرا الجمهور قضى مبنيا للفاعل الموت نصبا
وابن وثاب والاعمش وطلحة وعيسى وحمزة والكسائي مبنيا للمفعول الموت رفعا
ام منقطعة تقدر ببل والهمزة وهو تقرير وتوبيخ وكانوا يقولون هولا شفعاونا
عند الله والشفاعة انما هي لمن ارتضاه الله وباذنه تعالى وهذا مفقود في الهتهم
او لو كانوا اي ايتخذونهم شفعا وهم بهذه الحالة من كونهم لا يعقلون ولا
يملكون شيا وذلك عام النقص فكيف يشفع هولا وتقدم لنا الكلام في اولو في
سورة البقرة وقال ابن عطية ثم دخلت الف الاستفهام على واو العطف [illegible]
ابرزت ومعنى التقدير انتهى واذا كانوا لا يملكون الشفاعة وقال الزمخشري
اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيا قط حتى يملكون الشفاعة ولا عقل
لهم انتهى فاتى بقوله قط بعد قوله لا يملكون وليس بفعل ماض وقط ظرف
يستعمل مع الماضي لا مع غيره وقد تكرر للزمخشري هذا الاستعمال وليس باستعمال

عزي قل لله الشفاعة جميعا هو مالكها يأذن فيها لمن يشاء ثم اتى بعام وهو له ملك السموات
والارض فاندرج فيه ملك الشفاعة كلها له ولما اخبر انه له ملك السموات والارض هددهم
بقوله ثم اليه ترجعون فيعلمون انهم لا يشفعون ويخيب سعيهم في عبادتهم وقال
الزمخشري معناه له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك
في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة واذا ذكر الله وحده اي مفردا بالذكر ولم يذكر
معه آلهتهم وقيل اذا قيل لا اله الا الله واذا ذكر الذين من دونه هي الاصنام والاشمئزاز
والاستبشار متقابلان غاية لان الاشمئزاز امتلاء القلب غما وغيظا فيظهر اثره وهو الانقباض
في الوجه والاستبشار امتلاؤه سرورا فيظهر اثره وهو الانبساط والتهلل في الوجه وقال
الزمخشري فان قلت ما العامل في واذا ذكر قلت العامل في اذا الفجائية تقديره وقت
ذكر الذين من دونه فاجؤوا الاستبشار وقال الحوفي اذا هم يستبشرون اذا مضافة الى الابتدا
والخبر واذا مكررة للتوكيد وحذف ما تضاف اليه والتقدير اذا كان ذلك هم يستبشرون فيكون
هم يستبشرون العامل في اذا المعنى اذا كان ذلك استبشروا انتهى اما قول الزمخشري فلا
اعلمه من قول من ينتمي للنحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجؤوا ثم اذا الاولى ينتصب على
الظرف والثانية تنتصب على المفعول به واما قول الحوفي فبعيد جدا عن الصواب اذ جعل اذا مضافة
الى الابتدا والخبر ثم قال واذا مكررة للتوكيد وحذف ما تضاف اليه الجملة كلامه واذا كانت
اذا حذف ما تضاف اليه فكيف تكون مضافة الى الابتدا والخبر الذي هو هم يستبشرون
وهذا كله يوجبه عدم الاتقان لعلم النحو والتحدث فيه وقد تقدم لنا في مواضع ان اذا التي
للمفاجاة حرف لا ظرف وقد قررنا في علم النحو الذي كتبناه ان اذا الشرطية ليست
مضافة الى الجملة التي تليها وان كان مذهب الاكثرين وانها ليست بمعمولة للجواب
واقمنا الدليل على ذلك بل هي معمولة للفعل الذي يليها كسائر اسما الشرط الظرفية
واذا الفجائية رابطة لجملة الجزا بجملة الشرط كالفا وهي معمولة لما بعدها ان قلنا
انها ظرف سوا كان زمانا او مكانا ومن قال انها حرف فلا يحتاج فيها الى عامل فاذا الاولى معمولة
لذكر والثانية معمولة ليستبشرون ولما اخبر عن سخافة عقولهم باشمئزازهم من ذكر
الله واستبشارهم بذكر الاصنام امره ان يدعو باسما الله العظمى من القدرة والعلم
ونسبة الحكم اليه اذ غيره لا قدرة له ولا علم تام ولا حكم وفي ذلك وصف حالهم
السي ووعيد لهم وتسلية للرسول عليه السلام وتقدم الكلام في اللهم في سورة آل
عمران ولو ان للذين ظلموا تقدم الكلام على شبهه في العقود وبدا لهم من الله اي
كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة حسب ضلالاتهم وتخيلاتهم فيما يعتقدونه فاذا
عاينوا العذاب يوم القيامة ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون وما كان في حسابهم وقال
سفيان الثوري ويل لاهل الريا من هذه الآية وحاق بهم ما كانوا اي جزا ما كانوا
وما في ما كسبوا يحتمل ان تكون بمعنى الذي اي سيئات اعمالهم وان تكون مصدرية
اي سيئات كسبهم والسيئات انواع العقاب سميت سيئات كما قال وجزا سيئة سيئة مثلها
واذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل
هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلا
سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قل

يا عبادي

يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون تقدم في نظير آية كون الانسان اذا مسه الضر التجا الى الله
مع اعتقادهم الاوثان وعبادتهم لها فاذا اصابتهم شدة نبذوها ودعوا رب السموات
والارض وهذا يدل على تناقض آرائهم وشدة اضطرابها والانسان جنس فهو مطلق
والنعمة عامة في جميع ما يسر ومن ذلك ازالة الضر وقيل الانسان معين وهو
حذيفة بن المغيرة والظاهر ان ما في انما كافة مهيئة لدخول ان على الجملة الفعلية
وذكر الضمير في اوتيته وان كان عائدا على النعمة لان معناها مذكر وهو الانعام
او الانعام على قول من شرح النعمة بالمال او العيش شيا من النعمة او لانها تشتمل على
مذكر ومونث فغلب المذكر وقيل ما موصولة والضمير عائد على ما اي قال ان الذي
اوتيته على علم مني اي بوجوه المكاسب والمتاجر قاله قتادة وفيه اعجاب بالنفس
وتعاط مفرط او على علم من الله في واستحقاق جزيته عند الله وفي هذا اغترار بالله
وعجز وتبن على الله او على علم مني باني ساعطاه لما في من فضل واستحقاق بل
بل هي فتنة وابتلاء ذكر اولا في اوتيته على المعنى اذا كانت ما مهيئة ثم عاد الى اللفظ
فانث في قوله بل هي او تكون هي عائدة على الاتيانة اي بل ايتيانه النعمة فتنة
وكان العطف هنا بالفا في فاذا وبالواو في اول السورة لانها وقعت مسببة عن
قوله واذا ذكر الله اي يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر آلهتهم فاذا مس احدهم
ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره ومناسبة السببية انك تقول
زيد مومن فاذا مسه الضر التجا الى الله فالسببية هنا ظاهرة وزيد كافر فاذا
مسه الضر التجا اليه يقيم كونه مقام الايمان في جعله سببا للالتجا يحكي عكس ما فيه الكافر
يقصد بذلك الانكار والتعجب من فعله اذ كان في قضية كفره بالله ثم التجا اليه
في الشدايد واما الآية الاولى فلم تقع مسببة بل ناسبت ما قبلها فعطفت عليه
بالواو واذا كانت فاذا متصلة بقوله واذا ذكر الله وحده كما قلنا فما بينهما من الآي
اعتراض يؤكديه ما بين المتصلين فدعا الرسول ربه بامر منه وقوله انت تحكم و
الوعيد تاكيد لاشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدايد دون
آلهتهم وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او
اياهم خاصة ان جعلوا به انتهى وهو ملتقط اكثره من كلام الزمخشري وهو
متكلف من ربط هذه الآية بقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت مع بعد ما بينهما
من الفواصل واذا كان ابو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين فكيف
يجيزه بهذه الجمل الكثيرة والذي يظهر في الربط انه لما قال ولو ان للذين ظلموا
الآية كان ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم
القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم اتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه
اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه لم ينسب ذلك اليه ثم انه يبدو له
من تلك النعمة انها ابتلاء وفتنة كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان
يظنه صالحا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان ذلك استدراج وامتحان قد
قالها الذين من قبلهم اي تلك المقالة لهم انما اوتيته على علم والظاهر ان قايلي

ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية كقارون في قوله قال إنما أوتيته على علم عندي وقيل
الذين من قبلهم هم قارون وقومه إذ رضوا بمقالته فنسب القول إليهم جميعا وقرئ
قد قاله أي قال القول والكلام فما أغنى عنهم يجوز أن تكون ما نافية وهو الظاهر
وأن تكون استفهامية فيها معنى النفي ما كانوا يكسبون أي من الأموال والذين ظلموا
من هؤلاء إشارة إلى مشركي قريش سيصيبهم سيئات ما كسبوا أخبر بالسين التي هي
أقل تنفيسا في الزمان من سوف وهو من غيب أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره قتل
رؤساؤهم وحبس عنهم الرزق فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين
فقيل لهم أولم يعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا
نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله عطاء وفي قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن
الوليد ونفر معهما ففتنتهم قريش فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم وكتب عمر لهم بهذه
الآية قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق وقيل في قوم كفار من أهل الجاهلية
قالوا وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النفس وأتينا كل كبيرة ومناسبتها
لما قبلها أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب وأنهم لو كان لهم ما
في الأرض ومثله معه لافتدوا به من عذاب الله ذكر ما في إحسانه من غفران
الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله وكثيرا ما تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو
العبد ويخاف وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب تمحو الذنب
توبته وقال عبد الله وعلي وابن عمر هذه أرجى آية في كتاب الله وتقدم الخلاف في قراءة
لا تقنطوا في الحجرات إن الله يغفر الذنوب جميعا عام يراد به ما سوى الشرك وهو
مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة وفي قوله يا عبادي بإضافتهم إليه
وندائهم لخطابه تشريف وإقبال عليهم وإيناس لهم بالمعاصي والمعنى الحسن بتلك الذنوب
إنما هو عائد عليهم والنهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء وإضافة الرحمة إلى الله التفات
من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب لأن في إضافتها إليه سعة للرحمة إذا أضيفت إلى الله
الذي هو أعظم الأسماء لأنه العلم المحتوي على معاني جميع الأسماء ثم أعاد الاسم الأعظم
وأكد الجملة بإن مبالغة في الوعد بالغفران ثم وصف نفسه بما سبق في الجملتين من
الرحمة والغفران بصفتي المبالغة وأكد بلفظ هو المقتضي عند بعضهم الحصر وقال
الزمخشري إن الله يغفر الذنوب جميعا بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن
فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز
فيه التناقض انتهى وهو على طريقة المعتزلة في أن المؤمن العاصي لا يغفر له إلا بشرط
التوبة ولما كانت هذه الآية فيها فسحة عظيمة للمسرف أتبعها بأن الإنابة وهي الرجوع
مطلوبة مأمور بها ثم توعد من لم يتب بالعذاب حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة
والمتكل على الغفران دون إنابة وقال الزمخشري وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة
لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه
انتهى وهو على طريقة الاعتزال واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم مثل قوله
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وهو القرآن وليس المعنى أن بعضه
أحسن من بعض بل كله حسن من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة أي فجأة وأنتم
لا تشعرون أي وأنتم غافلون عنه حلوله بكم فيكون ذلك أشد في تعذيبكم
أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين

او

أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي
كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من
الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم
مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم
يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض
والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون / روي أنه كان في بني إسرائيل عالم
ترك علمه وفسق أتاه إبليس فقال له تمتع في الدنيا ثم تب فأطاعه وأنفق ماله
في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله تعالى
ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لا ينفعه الندم فأنزل الله
خبره أن تقول مفعول من أجله فقدره ابن عطية أي أنيبوا من أجل أن تقول وقال
الزمخشري كراهة أن تقول والحوفي أنذرناكم مخافة أن تقول ونكر نفس لأنه أريد بها
بعض الأنفس وهي نفس الكافر وأريد به التكثير كما قال الأعشى
ورب بقيع لو هتفت بجوه ... أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا ... يريد أفواجا
من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا أو أريد نفس متميزة من الأنفس باللجاج الشديد
في الكفر أو بعذاب عظيم قال هذه المحتملات الزمخشري والظاهر الأول وقرأ
الجمهور يا حسرتى بإبدال ياء المتكلم ألفا وأبو جعفر يا حسرتي بياء الإضافة وعنه يا حسرتاي
بالألف والياء جمعا بين العوض والمعوض والياء مفتوحة أو ساكنة وقال أبو الفضل
الرازي في تصنيفه كتاب اللوامح ولو ذهب ذاهب إلى أنه أراد تثنية الحسرة مثل
لبيك وسعديك لأن معناهما لب بعد لب وسعد بعد سعد فكذلك هذه الحسرة بعد
حسرة لكثرة حسراتهم يومئذ أو أراد حسرتين فقط من فوت الجنة ودخول النار لكان مذهبا
ولكان ألف التثنية في تقدير الياء على لغة بالحارث بن كعب انتهى وقرأ ابن كثير في الوقف
يا حسرتاه بهاء السكت قال سيبويه ومعنى نداء الحسرة والويل هذا وقتك فاحضري
والجنب الجانب ويستحيل على الله الجارحة فإضافة الجنب إليه مجاز قال مجاهد والسدي
في أمر الله وقال الضحاك في ذكر الله يعني القرآن والعمل به وقيل في جهة طاعته والجنب
والجانب الجهة وقال الشاعر أفي جنب بكر قطعتني ملامة ... سليمى لقد كانت ملامتها ثنا
وقال الراجز الناس جنب والأمير جنبة ... ويقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته
وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه يريد في حقه قال سابق
البربري أما تتقين الله في جنب عاشق ... له كبد حرى عليك تقطع
وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه
ألا ترى إلى قوله إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج
ويقول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفي جنبك فعلت هذا من
جهتك وما في ما فرطت مصدرية أي على تفريطي في طاعة الله وإن كنت لمن
الساخرين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها وقال
الزمخشري ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت
في حال سخريتي انتهى ويظهر أنه استئناف إخبار عن نفسه بما كان عليه في الدنيا لا حال
أن تقول لو أن الله هداني أي خلق في الهداية بالإلجاء وهو خارج عن الحكمة
أو بالألطاف ولم يكن من أهلها فيلطف به أو بالوحي فقد كان ولكنه أعرض

وهم متبعه حتى يتردى انما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل
باغواء الرؤساء ونحو لو هدانا الله لهديناكم انتهى وهو على طريقة الاعتزال وانتصب فأكون
على جواب التمني الدال عليه لو او على كرة اذ هو مصدر فيكون مثل قوله
فما لك منها غير ذكرى وحسرة * وتسأل عن ركبانها اين يمموا وقول الآخر
للبس عباءة وتقر عيني * احب الي من لبس الشفوف والفرق بينهما ان الفاء اذا
كانت في جواب التمني كانت ان واجبة الاضمار وكان الكون مترتبا على حصول
المتمنى لا متمنى واذا كانت للعطف على كرة جاز اظهار ان واضمارها وكان الكون متمنى
بلى هو حرف جواب لنفي ولذا دخل عليه همزة التقرير ولما كان قوله لو ان الله هداني
وجوابه متضمنا نفي الهداية كأنه قال ما هداني الله فقيل له بلى قد جاءتك آياتي مرشدة
لك فكذبت وقال الزمخشري رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي انتهى
جريا على قواعد المعتزلة وقال ابن عطية وحق بلى ان تجيء بعد نفي عليه تقرير وقوله بلى جواب
لنفي مقدر كأن النفس قالت فعمري في الدنيا لم يتسع للنظر او قالت فاني لم يبين لي
الامر في الدنيا بل لم يتسع للنظر او قالت فاني لم يتبين لي الامر في الدنيا ونحو هذا انتهى وليس
حق بلى ما ذكر بل حقها ان تكون جواب نفي ثم حمل التقرير على النفي ولذلك لم يحمله عليه
بعض العرب واجابه بنعم ووقع ذلك ايضا في كلام سيبويه نفسه اذ اجاب التقرير بنعم
اتباعا لبعض العرب وقال الزمخشري فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو
قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما ان تقدم على احدى القرائن
الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم
بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة
ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة وكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على
ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب انتهى وهو كلام حسن وقرأ الجمهور
جاءتك بفتح الكاف وفتح تاء ما بعدها خطابا للكافر دون النفس وقرأ ابن يعمر والجحدري وابو
حيوة والزعفراني وابن مقسم ومسعود بن صالح والشافعي عن ابن كثير ومحمد بن عيسى في
اختياره وعن نصير والعبسي بكسر الكاف والتاء خطابا للنفس وهي قراءة ابي بكر الصديق
وابنته عائشة رضي الله عنهما وروتها ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الحسن
والاعرج والاعمش جأتك بالهمز من غير مد بوزن فعتك وهو مقلوب من جاءتك قدمت
لام الكلمة واخرت العين فسقطت الالف كما سقطت في رمت وعدت ولما ذكر مقالة النفس
ذكر ما يعرض لها يوم القيامة من الانذار بسوء منقلبه وفي ضمنه وعيد لمعاصريه عليه السلام
والرؤية هنا من رؤية البصر وكذبهم نسبتهم اليه تعالى البنات والصاحبة والولد وزعمهم
ما لم يأذن به الله وقال الطاهر انه عام في الكذابين على الله فخصه بعضهم بمشركي العرب
وبعضهم باهل الكتابين وقال الحسن هم القدرية يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا
لم نفعل وقال القاضي يجب حمل الآية على الكل من المجبرة والمشبهة وكل من وصف الله
بما لا يليق به نفيا واثباتا فاضاف اليه ما يجب ان لا يضاف اليه فالكل كذبوا على
الله فتخصيص الآية بالمجبرة والمشبهة او اليهود والنصارى لا يجوز وقال الزمخشري
كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها
ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون ان يخلق خلقا لا لغرض وقوله

لا لغرض

لا لغرض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا مدركا بالحاسة ويثبتون
له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء انتهى
وكلامه وكلام من قبله على طريقة المعتزلة والظاهر ان الرؤية من رؤية البصر وان
وجوههم مسودة جملة في موضع الحال وفيها رد على الزمخشري اذ زعم ان حذف
الواو من الجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذي الحال شاذ وتبع في ذلك الفراء وقد
اعرب هو هذه الجملة حالا الا انه رجع عن مذهبه ذلك وجاز ايضا ان يكون
من رؤية القلب ووجوههم مسودة في موضع المفعول الثاني وهو بعيد
لان تعلق البصر برؤية الاجسام والوانها اظهر من تعلق القلب وقرئ
وجوههم مسودة بنصبهما فوجوههم بدل بعض من كل وقرأ ابي اجوههم بابدال
الواو همزة والظاهر ان الاسوداد حقيقة كما مر في قوله فاما الذين اسودت
وجوههم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون في العبارة تجوز وعبر بالسواد عن ارتداد
وجوههم وغالب همهم وظاهر كآبتهم ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله ذكر حال
المتقين اي الكذب على الله وينجي مما يؤول بصاحبه الى اسوداد وجهه وفي
ذكر الترغيب في هذا الوصف الجميل الذي هو التقوى قال السدي بمفازتهم بفلاحهم
تعالى فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم
يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم قيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن
عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة
منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسرها ابن عباس
رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب
الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح بنفسه مفازة لانه سببها
فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت اما على التفسير
الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف واما على الثاني فمحله النصب على الحال
انتهى وقرأ الجمهور بمفازتهم على الافراد والسلمي والحسن والاعرج والاعمش وحمزة
والكسائي وابو بكر على الجمع من حيث النجاة انواع والاسباب مختلفة قال ابو علي
المصادر تجمع اذا اختلفت اجناسها لقوله وتظنون بالله الظنونا وقال الفراء كلا
الرأيين صواب تقول قد تبين امر الناس وامور الناس ولما ذكر تعالى الوعد
والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد فذكر انه خالق كل شيء فدل على ان اعمال العباد
لا تدرجها في عموم كل شيء وانه على كل الاشياء قائم بحفظها وتدبيرها له مقاليد
السموات والارض قال ابن عباس مفاتيح وهذه استعارة كما تقول بيد فلان مفتاح
هذا الامر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقاليد لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر
والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويل هذا
ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من
تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده
اولئك هم الخاسرون قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله والذين
كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون
واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها لا يخفى عليه شيء من
اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وان له مقاليد السموات

والأرض قال أبو عبد الله الرازي وهذا عندي ضعيف من وجهين الأول أن وقوع
الفاصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد والثاني أن قوله تعالى وينجي الله
الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية
على الجملة الفعلية لا يجوز والأقرب عندي أن يقال إنه لما وصف بصفات
الإلهية والجلالة وهو كونه خالق الأشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات
والأرض قال والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة هم الخاسرون انتهى
وليس بفاصل كثير وقوله وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية
لا يجوز كلام من لم يتأمل لسان العرب ولا نظر في أبواب الاشتغال وأما
قوله والأقرب عندي فهو مأخوذ من قول الزمخشري وقد جعل متصلا
بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه والذين
كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون **قل أفغير الله
تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن
أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من
الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه
أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل
نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون** روي أنه قال للرسول عليه السلام المشركون
استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك وغير منصوب بأعبد قال الأخفش تأمروني
ملغاة وقيل أيضا أفغير نصب بتأمروني لا بأعبد لأن الصلة لا تعمل فيما قبلها
إذ الموصول لما حذف رفع كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى والصلة
مع الموصول في موضع النصب بدل اشتمال أي أفغير الله تأمروني عبادته والمعنى
أتأمروني بعبادة غير الله وقال الزمخشري أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله
تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبده والمعنى أفغير الله تقولون
تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب
يعني بنصب الدال بإضمار أن **وقرأ** الجمهور تأمروني بإدغام نون الرفع
في نون الوقاية وسكون الياء وفتحها ابن كثير **وقرأ** ابن عامر تأمرونني بنونين
على الأصل ونافع تأمروني بنون واحدة مكسورة وفتح الياء قال ابن عطية وهذا
على حذف النون الواحدة وهي الموطئة لياء المتكلم ولا يجوز حذف النون الأولى
وهو لحن لأنها علامة رفع الفعل انتهى وفي المسألة خلاف منهم من يقول المحذوفة
نون الرفع ومنهم من يقول نون الوقاية وليس بلحن لأن التركيب متفق عليه
والخلاف جرى في أيهما حذف والمختار أنها نون الرفع ولما كان الأمر بعبادة
غير الله لا يصدر إلا من غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال
أيها الجاهلون ولما كان الإشراك مستحيلا على من عصمه الله وجيء وقيل
قوله لئن أشركت على جهة على فرض السامع دون الموحى إليه أي أوحي
إلى الرسول لئن أشركت أيها السامع ومعنى الخطاب في هذا أتنا وبل
ويدل على هذا التأويل وأنه ليس بخطاب الرسول إفراد الخطاب في
لئن

١٢٣

لئن أشركت إذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب لئن أشركتم فيشمل ضميره وضمير الذين
من قبله ويغلب الخطاب وقال الزمخشري **فإن قلت** الموحى إليهم جماعة فكيف قال
لئن أشركت على التوحيد **قلت** معناه لئن أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن
عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت
كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا **فإن قلت** كيف صح هذا الكلام مع
علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم **قلت** هو على سبيل
الفرض والمحالات يصح فرضها ثم ذكر كلاما يتوافق عليه في كتابه وسنذكر هذه
الآية على حبوط عمل المرتد من صلاة وغيرها أو هي مسبوقة للمقول ويظهر أن الوحي
هو هذه الجملة من قوله لئن أشركت إلى من الخاسرين وهذا لا يجوز على مذهب
البصريين لأن الجمل لا تكون فاعلة فلا تكون مقام الفاعل وقال مقاتل أوحي
إليك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن أشركت ليحبطن عملك والخطاب
للنبي عليه السلام خاصة انتهى فيكون الذي أقيم مقام الفاعل هو الجار والمجرور
وهو إليك ويعود بالتوحيد فضلة يجوز حذفها لدلالة ما قبلها عليها **وقرأ**
الجمهور ليحبطن مبنيا للفاعل عملك رفع به **وقرئ** ليحبطن بالياء من أحبط
عمله بالنصب والجلالة منصوبة بقوله فاعبد وعلى هذا قولهم زيدا فاضرب
وله تقرير في النحو كيف دخلت هذه الفاء وقال الكسائي والفراء هو منصوب بفعل مضمر
قبله كأنه تقدير اعبد الله فاعبده وقال الزمخشري بل الله فاعبد رد لما أمروه
به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا
فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه انتهى ولا يكون تقديم
المفعول عوضا من الشرط لجواز أن تجيء زيدا فاضرب فلو كان عوضا لم يجز
الجمع بينهما وكن من الشاكرين لنعمه الذي أعطاها الهداية لدين الله **وقرأ**
عيسى بل الله بالرفع والجمهور بالنصب وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه
حق معرفته وما قدروه في أنفسهم حق تقديره إذ أشركوا معه غيره وساووا
بينه وبين الحجر والخشب في العبادة **وقرأ** الأعمش حق قدره بفتح الدال
وقرأ الحسن وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة وما قدروا بتشديد الدال حق قدره
بفتح الدال أي ما عظموه حقيقة تعظيمه والضمير في قدروا قال ابن عباس
في كفار قريش كانت هذه الآية كلها محاورة لهم وردا عليهم وقيل نزلت في
قوم من اليهود تكلموا في صفات الله وجلاله فألحدوا وجسموا وأتوا بكل
تخليط وهذه الجملة مذكورة في الأنعام وفي الحج وهنا ولما أخبر أنهم ما عرفوه
حق معرفته نبههم على عظمته وجلال شأنه على طريق التصوير والتخييل
فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
وقال الزمخشري والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه
تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة
ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز انتهى ولو ذهب أو جهة مجاز
معين والاكتفاء بالتصوير والتخييل هو من المجاز وقال بعض الأصوليين
الكلام حمله على حقيقته فإن قام دليل منفصل على تعذر حمله عليها
تعين صرفه إلى المجاز فلفظ القبضة واليمين حقيقة في الجارحة

والدليل العقلي قائم على استحالة ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى فوجب الحمل على المجاز، وذلك أن يقال
فلان في قبضة فلان إذا كان تحت تدبيره وتسخيره ومنه أو ما ملكت أيمانهم فالمراد كونه
مملوكا لهم وهذه الدار في يد فلان وقبض فلان كان أو ما في قبضته يريدون
خلوص ملكه وهذا كله مجاز مستفيض مستعمل وقال ابن عطية اليمين هنا والقبضة
عبارة عن القدرة وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل وما ذهب إليه القاضي
يعني ابن الطيب من أنها صفات زائدة على صفات الذات قول ضعيف وبحسب
ما يختلج في النفوس التي لم يحصها العلم قال عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون أي هو منزه عن
جميع الشبه التي لا يليق به انتهى وقال انتقالا هذا الكلام إذا أخذته كما هو وما قدروا
حق قدره عنوا وأنا الذي فعلت كذا وكذا إلى أن عرفت إذ حالي وصفتي هذا الذي
ذكرت وهي كظاهر من قدره وعز كبريائه ونظيره كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
فأحياكم أي كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم أي كيف تكفرون ولكم
هذه صفته وحال مثله كذا هنا وما قدروا الله حق تقديره إذا زعموا أن له شريكا
وأنه لا يقدر على إحياء الموتى مع أن الأرض والسموات في قبضته وقدرته انتهى
الأرض أي والأرضون السبع ولذلك أكد بقوله جميعا وهو عطف على والسموات
وهو جمع والموضع موضع تفخيم فهو مقتضي المبالغة والقبضة المرة الواحدة
من القبض وبالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أعطني قبضة من كذا قبضة بالفتح
تسمية له بالمصدر واحترز هذا المعنى واحتمل أن يراد المصدر على حذف
مضاف أي ذوات قبضته أي يقبضهن قبضة واحدة فالأرضون
مع سعتها وبسطتها لا يبلغن إلا قبضة كف وانتصب جميعا على الحال قال
الحوفي والعامل في الحال ما دل عليه قبضته انتهى ولا يجوز أن يعمل فيه قبضته
سواء كان مصدرا أم أريد به المقدار وقال الزمخشري ومع القصد إلى الجمع
يعني في الأرض وأنه أريد به الجمع قال وتأكيد بالجميع أتبع الجميع مؤكده
قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة
ولكن عن الأراضي كلهن انتهى ولم يذكر العامل في الحال ويوم القيامة
معمول لقبضته **وقرأ** الحسن قبضته بالنصب قال ابن خالويه بتقدير في
قبضته هذا قول الكوفيين وأما أهل البصرة فلا يجيزون ذلك كما لا يقال
زيد دارا انتهى وقال الزمخشري جعلها ظرفا مشبها للوقت بالمبهم **وقرأ**
عيسى والجحدري مطويات بالنصب على الحال وعطف والسموات على الأرض
فهي داخلة في خبر والأرض فالجميع قبضته وقد استدل بهذه القراءة الأخفش
على جواز زيد قائما في الدار فأعرب والسموات مبتدأ وبيمينه الخبر وتقدم
الحال المجرور ولا حجة فيها إذ يكون والسموات معطوف على والأرض كما قلنا
وبيمينه متعلق بمطويات ومطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال
تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه
وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقال الزمخشري
وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ثم
زنديق محتج من تأول بهذا أنها وربما يوقف عليه في كتابه وما قدر
كما عظمته بما سبق إرادة الجبار علينا سبحانه عن ذلك إذ كان فيما تقدم
ذكر حال الأرض والسموات يوم القيامة فقال ونفخ في الصور وتقدم

الكلام

الكلام في النفخ في الصور وهذا النفخ في الصور ثلاث مرات أو نفختان قول الجمهور نفخة
الفزع هي نفخة الصعق والصعق هنا الموت أي فمات من في السموات ومن في الأرض
قال ابن عطية الصور هنا القرن ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول جمع صورة فإنما يتوجه
قوله في نفخة البعث وذكر بين النفختين بأربعين سنة ولم تعين وقرأ قتادة وزيد بن علي
هنا في الصور بفتح الواو جمع صورة يقلد على قول ابن عطية لأنه لا يتصور هنا إلا أنه يكون
القرن بل يكون هذا النفخ في الصور بما زعم مشارفة الموت وخروج الروح **وقرأ**
فصعق بضم الصاد والظاهر أن الاستثناء معناه إلا من شاء الله فلم يصعق
ثم يموت والمستثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت أو رضوان الجنة والحور ومالك
والزبانية والمستثنى الله أقوال آخرها للحسن وما قبله للضحاك وقيل الاستثناء يرجع
إلى من مات قبل الصعقة الأولى أي يموت من في السموات والأرض إلا من سبق موته
لأنهم قد ماتوا وهذا نظير لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ثم نفخ فيه
أخرى واحتمل أخرى أن تكون في موضع نصب والمقام مقام الفاعل الجار والمجرور وربما
أقيم في الأول وأن تكون في موضع رفع مقاما مقام الفاعل كما صرح به في قوله فإذا
نفخ في الصور نفخة واحدة فإذا هم قيام ينظرون أي أحياء قد أعيدت لهم الأبدان لهم
والأرواح ينظرون أن ينظرون ما يؤمرون أو ينتظرون ماذا يفعل بهم أو يقلبون
أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب عظيم والظاهر فيما هم الذي
هو ضد القعود لا حال استيلاء الرهبة عليهم **وقرأ** زيد بن علي قياما بالنصب
على الحال وخبر المبتدأ الظرف الذي هو إذا الفجائية وهي حال لا بد منها إذ هي محط الفائدة دون
الأعلى الظرف فإن كان إذا ظرف أن يقدر الخبر محذوفا أي فإذا هم مبعوثون أي موجودون
قياما وإذا انتصب قياما على الحال فالعامل فيها إذا كذا الخبر المحذوف إن قلنا الخبر المحذوف
وإن لا فالعامل هو العامل في الظرف فإنكار أن ظرف مكان على ما يقتضيه ظاهر كلام
سيبويه فتقديره فبالحضرة هم قياما وإن كان ظرف زمان كما ذهب إليه الرياشي فتقديره
ففي ذلك الزمان الذي ينفخ فيه هم أي وجودهم واحتيج إلى تقدير هذا المضاف
لأن ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة وإن كانت إذ حرفا كما زعم الكوفيون فلا بد
من تقدير الخبر إلا أن اعتقد أن ينظرون هو الخبر ويكون ينظرون عاملا في الحال
وقرأ الجمهور وأشرقت مبنيا للفاعل أي أضاءت وابن عباس وعبيد بن عمير
وأبو الجوزاء مبنيا للمفعول من شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت
وأشرقها الله كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها عدلا قاله الزمخشري وقال
ابن عطية وهذا إنما يترتب من فعل يتعدى فهذا على أن يقال أشرق البيت وأشرقه
السراج فيكون الفعل مجاوزا وغير مجاوز كرجع ورجعته ووقف ووقفته
والأرض هنا الأرض المبدلة من الأرض المعروفة ومعنى أشرقت أضاءت وعظم
نورها انتهى وقال صاحب اللوامح وجاز أن يكون الإشراق على هذه القراءة منقولا
من شرقت الشمس إذا طلعت فيصير متعديا بالفعل يعني إذ ذهبت ظلمة الأرض
ولا يجوز أن يكون من أشرقت إذا أضاءت فإن ذلك لازم وهذا قد تعدى إلى الأرض
لما لم يذكر الفاعل وأقيمت الأرض مقامه وهذا على معنى ما ذهب إليه بعض المتأولين
من غير أن يفترق ذلك لأن من الأفعال ما يكون متعديا ولازما على مثال واحد انتهى
وفي الحديث الصحيح يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم

بيره

لا حد بنور ربها قيل ان يخلق الله نورا يوم القيامة فيلبسه وجه الارض فتشرق الارض به
وقال ابن عباس النور هنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه فيضيء الارض
وروي ان الارض يومئذ من فضة والمعنى اشرقت بنور خلقه الله تعالى اضافه
اليه اضافة الملك الى المالك وقال الزمخشري استعار الله النور للحق والقرآن
والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى واشرقت الارض بما
يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسط من القسط في الحسنات ووزن الحسنات
والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة
اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه
ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه ويقولون
للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت
البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة
وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم ووضع الكتاب اي صحائف
الاعمال ووحد لانه اسم جنس وكل احد له كتاب على حدة وابعد من قال الكتاب
هنا اللوح وروي ذلك عن ابن عباس ولعله لا يصح وقد ضعف بان الآية سيقت
مقام التهديد وفي سياق الخروج بالنبيين ليشهدوا على اممهم والشهداء قيل
جمع شاهد وهم الذين يشهدون على الناس باعمالهم وقيل هم الرسل من الانبياء
وقيل محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون للرسل وقال عطاء ومقاتل وابن زيد
الحفظة وقال ابن زيد ايضا النبيون والملائكة وامة محمد عليه السلام والجوارح
وقال قتادة الشهداء جمع شهيد وليس فيه توعد وهو مقصود الآية وقضي بينهم
اي بين العالم ولذلك قسموا بعد الى قسمين اهل النار واهل الجنة بالحق اي
بالعدل ووفيت كل نفس اي جوزيت مكملا وهو اعلم بما يفعلون فلا يحتاج
الى كاتب ولا شاهد وفي ذلك وعيد وزيادة تهديد وسيق الذين كفروا
الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم
رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ
من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من
حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
ولما ذكر ما من احوال يوم القيامة على سبيل الاجمال بين بعد كيفية احوال
الفريقين وما افضى اليه كل واحد منهما ونقل وسيق والسوق يقتضي الحث على
السير بعنف وهو الغالب فيه وجواب اذا فتحت ابوابها ودل ذلك على انه
لا يفتح الا اذا جاءت كسائر ابواب السجون فانها لا تزال مغلقة حتى يأتي
اصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فتفتح ثم تغلق عليهم وتقدم ذكر قراءة
التخفيف والتشديد في فتحت وابوابها سبعة كما ذكر في سورة الحجر وقال
لهم خزنتها على سبيل التقريع والتوبيخ الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم تفهمون

ما ينبؤكم

ما ينبؤكم به ويسهل عليكم مراجعتهم وقرا ابن هرمز تأتكم بتاء التأنيث والجمهور بالياء
يتلون عليكم آيات ربكم اي الكتب المنزلة للتبشير والنذارة وينذرونكم لقاء
يومكم هذا وهو يوم القيامة وما يلقون فيه من العذاب قالوا بلى قد جاءتنا
وتلوا وانذروا وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب
اي قوله تعالى لاملأن جهنم على الكافرين ووضع الظاهر موضع المضمر اي
علينا صرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب ولما فرغت محاورتهم مع الملائكة
امروا بدخول النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا عبر عن الاسراع بهم
الى الجنة متكرمين بالسوق والمسوق ذواتهم لانهم لا بد يعصون اليها الا
راكبين ولمقابلة قسيمهم ساغ لفظ السوق اذ لو لم يتقدم لفظ وسيق
لعبر بما اشعر عليه وجواب اذا قال الكوفيون وفتحت والواو زائدة وقال
غيرهم محذوف قال الزمخشري وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة
فدل حذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين انتهى وقدره
المبرد سعدوا الذين سعدوا وقيل الجواب وقال لهم خزنتها على زيادة الواو
وقيل حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها ومن جعل الجواب محذوفا او جعله وقال
لهم بزيادة الواو جعل قوله وفتحت جملة حالية اي جاءوها وقد فتحت ابوابها
لقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وناسب كونها حالا لان ابواب الافراح
تكون مفتحة لانتظار من يجيء اليها بخلاف ابواب السجون وقال لهم خزنتها سلام عليكم
يحتمل ان تكون تحية منهم عند ملاقاتهم وان يكون خبرا بمعنى السلامة والامن
طبتم اي اعمالا ومعتقدا ومستقرا وجزاء فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود
وقالوا اي الداخلون الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض اي
ملكناها نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وقيل ورثوها
من اهل النار وهي ارض الجنة وبعيد قول من قال هي ارض الدنيا قاله قتادة وابن
زيد والسدي نتبوأ منها حيث نشاء اي نتخذ امكنته ومساكن والظاهر ان قوله فنعم
اجر العاملين اي بطاعة الله من كلام الداخلين وقال مقاتل هو من كلام الله تعالى
وترى الملائكة الخطاب للرسول حافين قال الاخفش واحدهم حاف وقال الفراء لا يفرد
قيل لان الواحد لا يكون حافا اذ الحفوف الاحداق بالشيء من حول العرش قال الاخفش
من زائدة اي حافين حول العرش وقيل هي لابتداء الغاية والظاهر عود الضمير من
بينهم على الملائكة اذ ثوابهم وان كانوا معصومين يكون على حسب تفاضل
اعمالهم فيختلف تفاضل مراتبهم فذلك هو القضاء بينهم بالحق وقيل
الضمير يعود على العباد كلهم وان مصير كل ما قدر له هو قضاء بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين الظاهر ان قائله ذكرهم دارت بينهم المخاطبة من
الداخلين الجنة ومن من بينهم من الملائكة الذين في حول العرش اذ هم في نعيم
سرمد منجاة من عذاب الله وقال الزمخشري المقضي بينهم اما جميع العباد
واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا
بالحق ونزول كل منا منزلته التي هي حقه وقال ابن عطية وقيل الحمد لله رب
العالمين ختم للامر وقول جزم عند فصل القضاء اي ان هذا الحاكم ينبغي ان
يحمد عند نفوذ حكمه والكمال فقضايه ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين

المفردات

خاتمة المجالس المجتهدات في العلم ارف التي تجرب قال الشاعر ازف الترحل غير ان ركابنا
لما تزل برحالنا وكان قد الثياب الخزان السلسلة معرونه التحب الجرجرت
الستور ملات منارا

سورة غافر

بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا
الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة
ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار هذه السبع الحواميم مكيات باجماع وقيل
في بعض آيات هذه السورة مدني قال ابن عطية وهو ضعيف وفي الحديث
ان الحواميم ديباج القرآن وفيه من اراد ان يرتع في رياض مونقة من الجنة
فليقرأ الحواميم وفيه مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات في الثياب وهذه
الحواميم مقصورة على المواعظ والزجر وطرق الآخرة وهي قصار لا يلحق
فيها سآمة ومناسبة اول هذه السورة لآخر الزمر انه تعالى لما ذكر ما يؤول
اليه حال الكافر وحال المؤمن ذكر هنا انه تعالى غافر الذنب وقابل
التوب ليكون ذلك استدعاء للكافر الى الايمان والى الاقلاع عما هو فيه
وان رجوعه الى ربه فيجازيه بما يعمل من خير او شر وقرئ بفتح الحا
دون امالة بخلفه وبين اللفظين والجمهور باسكان الميم والزهري برفعها
وهو اختيار ابي القسم بن جبارة الهذلي صاحب كتاب الكامل في القراآت
وابو السمال بكسرها على اصل التقاء الساكنين كانت فتحة طلبا للخفة او
حركة اعراب على انها مفعول بفعل مقدر تقديره اقرأ حاميم وفي الحديث ان اعرابيا
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو حم فقال اسما وفواتح سور وقال شريح
ابن ابي اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم
وقال الكميت وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب
اعرب حاميم ومنعت الصرف للعلمية والتانيث او للعلمية وشبه العجمة لان
فاعيل ليس من اوزان ابنية العرب وانما وجد ذلك في العجم نحو قابيل
وهابيل وتقدم فيما روي في الحديث جمع حاميم على الحواميم كما جمع طس على
الطواسين وحكى صاحب زاد المسير عن شيخه ابي منصور اللغوي انه قال
من الخطأ ان تقول قرات الحواميم وليس من كلام العرب والصواب ان
تقول قرات آل حاميم وفي حديث ابن مسعود اذا وقعت في آل حاميم
وقعت في روضات دمثات انتهى فان صح من لفظ الرسول انه قال
الحواميم كان حجة على من منع ذلك وان كان نقل بالمعنى امكن ان يكون
من تحريف الاعاجم الذي لفظ ابن مسعود اذا وقعت في آل حاميم وقول
الكميت وجدنا لكم في آل حاميم وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة
في اول البقرة وتقدم ذوات حاميم امنوا الا هنا وهي مروية عن السلف
عيينا عن ذكرها لاضطرابها وعدم الدليل على صحة شيء منها فان كانت
حم اسما للسورة كانت في موضع رفع على الابتداء والا تنزيل والعزيز

العليم

العليم صفتان دالتان على المبالغة في القدرة والغلبة والعلم وهما من صفات الذات
وقال الزجاج غافر وقابل صفتان وشديد بدل لانه انما جعل غافر وقابل صفتين
وان كان اسمي فاعل لانه فهم من ذلك انه لا يراد بهما التجدد ولا التقييد بزمان بل
اريد بهما الاستمرار والثبوت فاضافتهما محضة فتعرفا وصح ان يوصف بهما المعرفة
وانما اعرب شديد العقاب بدلا لانه من باب الصفة المشبهة ولا يتعرف بالاضافة
الى المعرفة وقد نص سيبويه على ان كل ما اضافته غير محضة اذا اضيف الى
المعرفة جاز ان ينوي باضافته التمحض فيتعرف وينعت به المعرفة
الا ما كان من باب الصفة المشبهة فانه لا يتعرف ابدا وقد [illegible] النصوص
على ان اضافة الصفة المشبهة لا يتعرف وحكى صاحب المقنع عن الكوفيين
انهم اجازوا في حسن الوجه وما اشبهه ان يكون صفة للمعرفة قال وذلك خطأ عند
البصريين لان حسن الوجه نكرة واذا اردت تعريفه ادخلت فيه ال وقال ابو الحجاج
الاعلم لا يبعد ان يقصد بحسن الوجه التعريف لان الاضافة لا تمنع منه
انتهى وهذا منوع الى مذهب الكوفيين وقد جعل بعضهم غافر الذنب وما
بعده ابدالا اعتبارا بانها لا تتعرف بالاضافة كانها لا حظ في غافر وقابل زمان
الاستقبال وقيل غافر وقابل يراد بهما المضي فهما يتعرفان بالاضافة ويكونان
صفتين الا ان حصول الغفران وقبول التوب هو في الدنيا وقال الزمخشري
جعل الزجاج شديد العقاب وحده بدلا بين الصفات فيه نبو ظاهر
والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد
آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها
على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها جزء واحد على
متفاعلن كانت من الكامل ولا استوى في ذلك لان الحري على القواعد التي
قد استقرت وصححت هو الاصل وقوله فقد آذنت بان كلها ابدال تركيب غير عربي
لانه جعل فقد آذنت جوابا لما وليس من كلامهم لما قام زيد فقد قام عمرو
وقوله بان كلها ابدال فيه تكرار الابدال اما بدل البدل عند من اثبته فقد
تكررت فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل اشتمال فلا نص
عن احد من النحويين اعرفه في جواز التكرار فيها او منعه الا ان في كلام بعض
اصحابنا ما يدل على ان البدل لا يكرر وذلك في قول الشاعر

فالي ابن ام رحلنا ناقتي عمرو ... فيسلفني حاجتي وتزحف
ملكه اذا نزل الوفود ببابه ... عرفوا موارد مزبد لا ينزف

قال فملكه بدل من عمرو ولا يجوز انه بدل منه مرة اخرى لانه قد
طرح انتهى فدل على هذا على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان البدل
من البدل جائز وقوله جاءت تفاعيلها هو جمع تفعال او تفعول او تفعيل
او تفعيل وليس شيء من هذه الاوزان نحو ابه ان تقول جاءت اجزاؤها كلها
على مستفعلن وقال ايضا وليتنا بل ان يقول هي صفات وانما حذفت
الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد
غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه
من عناديله فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم

ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك فرقا يحسن بالرجل خير منك ان يفعل الله علي ما فيه الالف
واللام كما كان الجما الغفير في مطرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس في حالة
الموصوف انتهي ولا ضرورة الي اعتقاد حذف الالف واللام من شديد العقاب وترك
ما هو اصل في النحو وتشبيه بنادر مغير من القوانين من نشيئنا الوتر للنفخ
ونزه كتاب الله عن ذلك كله وقال الزمخشري ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره
وابهامه للدلالة علي فرط الشدة وعلي ما لا شي ادهي منه وامر لزيادة الانذار
ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الي اختيار البدل علي الوصف اذا سلكت
طريقة الابدال انتهي وقد اجاز مكي في غافر وقابل البدل حملا علي انهما نكرتان
لاستقبالهما والوصف حملا علي انهما معرفتان لمضيهما وقال ابو عبد الله الرازي
لا نزاع في جعل غافر وقابل صفة وانما كانا كذلك لانهما يفيدان معنى الدوام
والاستمرار فكذلك شديد العقاب يفيد ذلك لان صفاته منزهة عن
الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث شديد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا
لا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن انتهي وهذا كلام من لم يقف علي علم النحو
ولا نظر فيه ويلزمه ان يكون حكيم عليم من قوله من لدن حكيم عليم ومليك
مقتدر من قوله عند مليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث
والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون تعريف صفاته بال
وتنكيرها سوا وهذا لا يذهب اليه مبتدي في علم النحو بل من صنف فيه
واقدم علي تفسير كتاب الله وتلخص من هذا الكلام المطول ان غافر الذنب
وما عطف عليه وشديد العقاب اوصاف لان المعطوف علي الوصف وصف
والجميع معارف علي ما تقرر او ابدال لان المعطوف علي البدل بدل لتنكير الجميع
او غافر وقابل وصفان وشديد بدل لمعرفة ذينك وتنكير شديد وقال
الزمخشري فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة
جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته
فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة للذنوب كان لم يذنب كانه
قال جامع المغفرة والقبول انتهي وما اكثر تلجج هذا الرجل وتشقيقه والذي
افاده ان الواو للجمع وهذا معروف من ظاهر علم النحو وقال صاحب الغنيان
وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر وقطع شديد
العقاب عنهما فلم يعطف لانفراده انتهي وهي نزعة اعتزالية ومذهب اهل
السنة جواز غفران الله للعاصي وان لم يتب الا الشرك والتوب يحتمل ان
يكون كالذنب اسم جنس واحتمل ان يكون جمع توبة كتمر وتمرة وساع
وساعة والظاهر من قوله وقابل التوب ان توبة العاصي بغير الكفر
كتوبة العاصي بالكفر مقطوع بقبولها وذكروا في القطع بقبول توبة
العاصي قولين لاهل السنة ولما ذكر تعالي شدة عقابه اردفه بما يطمع
في رحمته وهو قوله ذي الطول فجاء ذلك وعيدا اكتنفه وعدان قال
ابن عباس الطول السعة والغنا وقال قتادة النعم وقال ابن زيد القدرة
وقيل طوله تضعيف حسنات اوليائه وعفوه عن سيئاتهم ولما ذكر جملة
من صفاته العلى الذاتية والفعلية ذكر انه المنفرد بالالوهية المرجوع اليه

في الخبر

في الخبر ثم ذكر حال من جادل في الكتاب واتبع ذلك بذكر الطائعين من ملائكته وصالحي عباده
فقال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وجدالهم فيها قولهم مرة سحر ومرة شعر ومرة كهانة ومرة
اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر فهو جدال بالباطل وقد دل علي ذلك بقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق وقال السدي ما يجادل اي ما يماري وقال ابن سلام ما يجحد
وقال ابو العالية نزلت في الحارث بن قيس احد المستهزئين واما ما يقع بين اهل العلم
من النظر فيها واستيضاح معانيها واستنباط الاحكام والعقائد منها ومقارعة
اهل البدع بها فذلك فيه الثواب الجزيل ثم نهى السامع ان يغتر بتقلب هؤلاء الكفار
في البلاد وتصرفاتهم فيها بما ابيح لهم من المساكن والمزارع وانما ذكر التجارات
والمكاسب وكانت قريش تتجر في الشام واليمن فان ذلك وبال عليهم وسبب
في اهلاكهم كما هلك من كان قبلهم من مكذبي الرسل وقرا الجمهور فلا يغررك
بالفك وهي لغة الحجاز وقرا زيد بن علي وعبيد بن عمير فلا يغرك بالادغام
مفتوح الرا وهي لغة تميم ولما كان جدال الكفار ناشيا عن تكذيب ما جا به
الرسول عليه السلام من آيات الله ذكر من كذب قبلهم من الامم السالفة وما
صار اليه حالهم من حلول كلمات الله بهم ليرتدع بهم كفار من بعث الرسول عليه
السلام اليهم فبدا بقوم نوح اذ كان عليه السلام اول رسول في الارض وعطف علي
قومه الاحزاب وهم الذين تحزبوا علي الرسل ولم يقبلوا ما جاوا به من عند الله
ومنهم عاد وثمود وفرعون واشياعه وقدم الهم ما لاجله اخذهم الجدال بالباطل
لان الرسل لما عصمهم الله منهم ان يقتلوهم رجعوا الي الجدال بالباطل وقرا
الجمهور برسولهم وقرا عبد الله برسولها عاد الضمير الي لفظ امة ليأخذوه
ليتمكنوا منه بحبس او تعذيب او قتل وقال ابن عباس ليأخذوه ليملكوه
وانشد قطرب فاما تاخذوني تقتلوني فكم من آخذ يهوى خلودي
ويقال للقتيل والاسير اخيذ وقال قتادة ليأخذوه ليقتلوه عبر عن المسبب بالسبب
وجادلوا بالباطل اي بما هو مضمحل ذاهب لا ثبات له وقيل الباطل الكفر وقيل
الشيطان وقيل بقولهم ما انتم الا بشر مثلنا ليدحضوا ليزلقوا به الحق اي الثابت
الصدق فاخذتهم فاهلكتهم فكيف كان عقاب اياهم استفهام تعجيب من
استيصالهم واستعظام لما حل بهم وليس استفهاما عن كيفية عقابهم وكانوا يمرون
علي مساكنهم ويرون آثار نقمات الله فيهم واجتزي بالكسرة عن يا الاضافة لانها
فاصلة والاصل عقابي وكذلك حقت اي مثل ذلك الوجوب وجب عقابهم وجب علي
الكفرة كونهم من اصحاب النار من تقدم منهم ومن تاخر وانهم بدل من كلمة
ربك فهي في موضع رفع ويجوز ان يكون التقدير لانهم وحذف لام العلة والمعنى
كما وجب اهلاك اولئك الامم وجب اهلاك هؤلاء لان الوصف الذي هلكوا به وصف
جامع لهم وهو كونهم من اصحاب النار وفي مصحف عبد الله وكذلك سبقت
وهو تفسير معنى لا قراة وقرا ابن هرمز وشيبة وابن القعقاع ونافع
وابن عامر كلمات علي الجمع وابو رجا وقتادة وباقي السبعة علي الافراد الذين
يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن
صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم

السيات ومن تق السيات يوميذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا فالحكم لله العلي الكبير هو
الذي يريكم اياته وينزل لكم من السما رزقا وما يتذكر الا من ينيب لما ذكر جدال
الكفار في ايات الله وعصيانهم ذكر طاعة هولا المصطفين من خلقه وهم حملة
العرش ومن حوله وكفى المخلوقون به من الملايكة وذكروا من وصف تلك الجملة
وعظم خلقهم ووصف العرش ومن اي شي خلق والحجب السبعينات التي اختلفت
اجناسها قالوا احتجب الله عن العرش وبين حاملته ما الله اعلم به على ان قدرته
تعالى تحتمله لكل ما ذكروه مما لا يقتضي تجسيما لكنه يحتاج الى نقل صحيح وقرا
الجمهور العرش بفتح العين وابن عباس وفرقة بضمها كانه جمع عرش كسقف وسقف
او يكون لغة في العرش يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عن جميع النقايص بحمدهم
بالثنا عليه بما هو اهله على الاطلاق والتسبيح اشارة الى الاجلال والتحميد اشارة
الى الاكرام ونظيره وترى الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقولهم
ونحن نسبح بحمدك ويومنون به اي ويصدقون بوجوده تعالى وبما وصف به
نفسه من صفاته العلى وتسبيحهم اياه تعالى يتضمن الايمان قال الزمخشري فان قلت
ما فايدة قوله ويومنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملايكة
الذين يسبحون بحمده يومنون قلت فايدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه
كما وصف الانبيا في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم
كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان وفايدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان
كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان
لانه انما يوصف بالايمان الغيب فلما وصفوا به على سبيل الثنا عليهم علم ان ايمانهم
وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سوا في ان ايمان الجميع بطريق النظر
والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد
روعي التناسب في قوله ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويومنون
ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب
ان يكون ادعى شي الى النصيحة والعثه امحاض الشفقة وان تفاونت الاجناس وتباعدت عدت
الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جا جامع
الايمان جا معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش
لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض انتهى وهو كلام حسن الا ان قوله
ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير فيه نظر وقوله ويستغفرون للذين امنوا
تخصيص لعموم قوله ويستغفرون لمن في الارض وقال مطرف بن الشخير وجدنا انصح
العباد للعباد الملايكة واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الاية انتهى
وينبغي ان يقال انصح العباد للعباد الانبيا والملايكة ربنا وسعت كل
شي رحمة وعلما اي يقولون ربنا واضمار هذا المحذوف مبالغة يستغفرون
فيكون في محل الحال وان يكون خبرا لانهم كانوا في موضع نصب وليس ما جا البدا
بلفظ ربنا ب وفيه استعطاف العبد مولاه الذي رباه وقام بمصالحه

من لدن نشاته الى وقت ندايه فهو جدير بان لا ينادي الا بلفظ الرب وانتصب رحمة وعلما على
التمييز والاصل وسعت رحمتك وعلمك كل شي واسند الوسع الى صاحبهما مبالغة كان ذاته
هي الرحمة والعلم وقد وسع كل شي وقدم الرحمة لانهم بها يستمطرون احسانه ويتوسلون
بها الى حصول مطلوبهم من سوال المغفرة ولما حكى تعالى عنهم كيفية ثنايهم عليه واخبر
باستغفارهم للمومنين حكى كيفية استغفارهم وهو قولهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك فطلب المغفرة نتيجة الرحمة وللذين تابوا يعني انك علمت توبتهم فبما
راجعان الى قوله رحمة وعلما واتبعوا سبيلك وهي سبيل الحق التي نهجتها لعبادك
انك انت العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي يضع الاشيا مواضعها التي تليق بها
ولما كان طلب الغفران يتضمن اسقاط العذاب اردفوه بالتصريح بوقايتهم العذاب
على سبيل المبالغة والتاكيد فقالوا وقهم عذاب الجحيم ولطلب المغفرة ووقاية
العذاب للتايب الصالح وقد وعد بذلك الوعد الصادق بمنزلة الشفاعة في زيادة
الثواب والكرامة ولما سالوا ازالة العقاب سالوا ايصال الثواب وكرروا الندا
بربنا فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن وقرا الجمهور جنات جمعا وزيد بن
علي والاعمش جنة عدن بالافراد وكذا في مصحف عبد الله وتقدم الكلام في اعراب
التي في قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب في سورة مريم وقرا ابن ابي
عبلة صلح بضم اللام يقال صلح فهو صليح وصلح فهو صالح وقرا عيسى وذريتهم
بالافراد والجمهور بالجمع وعن ابن جبير في تفسير ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل
قرابته فيقول اين ابي اين امي اين ابني اين زوجتي فيلحقون به لصلاحهم ولتنبيهه
عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملايكة انتهى واذا كان الانسان في جنة ومعه
عشيرته واهله كان ابهج عنده واسر لقلبه والظاهر عطف ومن على الضمير في
وادخلهم اذ هو المحدث عنهم والموعود لهم وقال الفرا والزجاج نصب من مكانين
ان شئت على الضمير في وادخلهم وان شئت على الضمير في وعدتهم وقهم السيات
اي امنعهم من الوقوع فيها حتى لا يترتب عليه جزاوها او وقهم جزا السيات الى
ان حوها بحذف المضاف ولا تكرار في هذا وفي قولهم وقهم عذاب الجحيم لعدم توافق
المدعو لهم اذ الدعا الاول للذين تابوا والثاني ظاهره انه لهم ولمن صلح من المذكورين
او لاختلاف الدعاين اذا اريد بالسيات انفسها لا ذلك وقاية عذاب الجحيم وهذا
وقاية الوقوع في السيات والتنوين في يوميذ تنوين العوض والمحذوف
جملة عوض منها التنوين ولم يتقدم جملة يكون التنوين عوضا منها كقوله فلولا
اذا بلغت الحلقوم وانتم حينيذ المعنى اذا بلغت الحلقوم فلابد من تقدير جملة
يدل عليها معنى الكلام وهو ومن تق السيات او جزاها يوم اذ يواخذ بها فقد
رحمته ولم يتعرض احد من المعربين الذين وقفنا على كلامهم في الاية للجملة التي
عوض منها التنوين في يوميذ وذلك اشارة الى الغفران ودخول الجنة ووقاية
العذاب فهو الفوز العظيم الذي عظم خطره وطاب صنعه ولما ذكر شيا من احوال
المومنين ذكر شيا من احوال الكافرين وما يجري لهم في الاخرة من اعترافهم بذنوبهم
واستحقاقهم العذاب وسوالهم الرجوع الى الدنيا ونداوهم قال السدي في النار
وقال قتادة يوم القيامة والمنادون لهم الزبانية على جهة التوبيخ والتقريع
واللام في لمقت لام الابتدا ولام القسم ومقت مصدر مضاف الى الفاعل
التقدير لمقت الله اياكم او لمقت الله انفسكم وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه

في قوله اكبر من مقتكم انفسكم والظاهر انه مقتا اسابا لهم في الدنيا ويضعف ان يكون في الاخرة كما
قال بعضهم لبقاء ان تدعون تعلق من الكلام لكونه لسيء مما تقدم ولا نفسر بعامل فاذا كان
المقت السابق في الدنيا امكن ان يضمر له عامل تقديره مقتكم اذ تدعون وقال الزمخشري
واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة ان الله مقت
انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله
وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا اوقعتم فيها باتباعكم
هواهن انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وامعنا في قوله واذ تدعون منصوب بالمقت
الاول لان المقت مصدر ومعموله من صلته ولا يجوز الاخبار عنه الا بعد استيفائه صلته
وقد اخبر عنه بقوله اكبر من مقتكم انفسكم وهذا من ظواهر علم النحو التي لا تكاد تخفى على
المبتدي فضلا عمن يدعي العجم انه في العربية شيخ العرب والعجم ولما كان
الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر لا يجوز قدرنا العامل فيه مضمرا اي مقتكم اذ
تدعون ويشبهه قوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر قدروا العامل في
يوم تبلى السرائر للفصل بالقادر بين المصدر وتوهم الاختلاف في زماني المقتين
الاول في الدنيا والاخر في الاخرة هو قول مجاهد وقتادة وابن زيد والاكثرين
وتقدم لنا ان منهم من قال هو في الاخرة وهو قول الحسن قال الزمخشري وعن الحسن
لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت
بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تقليل انتهى وكان
قوله واذ تقليل من كلام الزمخشري وقال قوم اذ تدعون معمول لاذكروا محذوفة
ويتجه ذلك على ان يكون مقت الله اياهم في الاخرة على قول الحسن قيل لهم ذلك
توبيخا وتقريعا وتنبيها على ما فاتهم من الايمان وثوابه ويحتمل ان يكون قوله
من مقتكم انفسكم ان كل واحد يمقت نفسه او ان بعضكم يمقت بعضا كما قيل ان
الاتباع يمقتون انفسهم حين قال لهم الشيطان فلا تلوموني ولوموا انفسكم والمقت
اشد البغض وهو مستحيل الوقوع على الله تعالى فمعناه الانكار والزجر قالوا ربنا
امتنا اثنتين وجه اتصاله بما قبله انهم كانوا ينكرون البعث وعظم مقتهم
انفسهم هذا الانكار فلما مقتوا انفسهم ورأوا امرا طويلا رجعوا الى الاقرار
والبعث فاقروا انه تعالى اماتهم اثنتين واحياهم اثنتين تعظيما لقدرته ثم توسلا
الى رضاه ثم اطمعوا انفسهم بالاعتراف بالذنوب ان يردوا الى الدنيا اي ان رجعنا
الى الدنيا ودعينا الى الايمان بادرنا اليه وقال ابن عباس وقتادة والضحاك وابو
مالك موتتهم كونهم نطفا في الاصلاب ثم احياهم وهم في الدنيا ثم موتتهم فيها ثم احياهم
يوم القيامة وقال السدي احيوا وهم في الدنيا ثم اماتتهم فيها ثم احيوا وهم في
القبر لسؤال الملكين ثم اماتتهم فيه ثم احيوا وهم في الحشر وقال ابن زيد احياهم
نسما عند اخذ العهد عليهم من صلب ادم ثم اماتهم بعد ثم احياهم وهم في الدنيا
ثم اماتهم ثم احياهم وهم ... فعلى هذا والذي قبله تكون ثلاث احياءات وهو خلاف
القران وقال محمد بن كعب الاماتة في الدنيا حي الجسد ميت القلب فلم يعتبر
الحالتين ثم اماتهم حقيقة ثم احياهم وهم في البعث وتقدم الكلام في اول البقرة
على الاماتتين والاحياءين في قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية
وكررنا ذكره هنا لبعد ما بين الموضعين قال الزمخشري فان قلت كيف صح ان

يسمى

يسمى خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك
للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق
الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته
ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق
والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع
عن الجائز الاخر فجعل صرفه عنه كنقله منه انتهى يعني ان خلقهم امواتا كان نقلا من
الحياة وهو الجائز الاخر وظاهر فاعترفنا بذنوبنا انه مسبب عن قولهم ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وثم محذوف اي فعرفنا قدرتك على الاماتة
والاحياء وقد انكارنا للبعث فاعترفنا بذنوبنا السابقة من انكار البعث
وغيره فهل الى خروج اي سريع او بطيء من النار من سبيل وهذا سؤال من
يئس من الخروج ولكنه تعلل وتحير ذلكم الظاهر ان الخطاب للكفار في الاخرة
والاشارة الى العذاب الذي هم فيه او الى مقتهم انفسهم او المنع من الخروج
والزجر والاهانة اما الاول فقوله وقيل الخطاب لمعاصري رسول الله صلى
الله عليه وسلم والضمير في فانه ضمير الشأن اذا دعي الله وحده اي اذا افرد
بالالهية ونفيت عن سواه كفرتم وان يشرك به اي ذكرت اللات والعزى
وامثالهما من الاصنام التي اشركتموها مع الله العلي عن الشرك الكبير العظيم
الكبرياء وقال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يكلمهم الله في الاربعة
فاذا كانت الخامسة سكتوا قالوا ربنا امتنا اثنتين هذه الاية وفي ابراهيم
ربنا اخرنا الاية وفي السجدة ربنا ابصرنا الاية وفي فاطر ربنا اخرجنا الاية
وفي المؤمنين ربنا غلبت علينا شقوتنا الاية فيرد عليهم اخسئوا فيها ولا
تكلمون فكان اخر كلامهم ذلك ولما ذكر تعالى ما يوجب التهديد الشديد
في حق المشركين اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته ليصير ذلك دليلا
على انه لا يجوز جعل الاحجار المنحوتة والخشب المعبودة شركاء لله فقال هو
الذي يريكم اياته ايها الناس ويشمل ايات قدرته من الريح والسحاب
والرعد والبرق والصواعق ونحوها من الاثار العلوية وايات كتابه المشتمل
على جميع الاوامر والاحكام وايات الاعجاز على ايدي رسله وتعدد الايات
راجعة الى نور العقل الداعي الى توحيد الله ثم قال وينزل لكم من السماء رزقا
وهو المطر الذي هو سبب قوام بنية البدن فتلك الايات للارواح كهذا الرزق
للابدان وما يتذكر اي يتعظ ويعتبر وجعله تذكرا لانه مركوز في العقول دلائل التوحيد
ثم قد يعرض من الاشتغال بعبادة غير الله فيمنع من تجلي نور العقل فاذا تاب الى
الله تعالى تذكر فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات
ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق
يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو

السميع البصير اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من
قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب الامر بقوله فادعوا الله
للمنيبين المومنين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اعبدوه مخلصين له
الدين من الشرك على كل حال حتى في حال غيظ اعدايكم المتالبين عليكم وعلى
استيصالكم ورفيع مبتدا محذوف وقال الزمخشري ثلاثة اخبار مترتبة على
قوله الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا انتهى
اما ترتبها على قوله هو الذي يريكم فبعيد لطول الفصل واما كونها اخبار المبتدا
محذوف فمبني على جواز تعدد الاخبار اذا لم تكن في معنى خبر واحد والمنع اختيار
اصحابنا وقرئ رفيع بالنصب على المدح واحتمل ان يكون رفيع للمبالغة
على فعيل من رافع فيكون الدرجات مفعوله اي رافع درجات المومنين
ومنازلهم في الجنة وبه فسر ابن سلام او عبر بالدرجات عن السموات اي رفعها
سما فوق سما والعرش فوقهن وبه فسر ابن جبير واحتمل ان يكون رفيع فعيلا
من رفع الشي علا فهو رفيع فيكون من باب الصفة المشبهة والدرجات المصاعد
للملايكة الى ان يبلغ العرش اضيفت اليه دلالة على عزه وسلطانه اي درجات
ملايكته كما وصفه بقوله ذي المعارج او يكون ذلك عبارة عن رفعة شانه وعلو
سلطانه كما ان قوله ذو العرش عبارة عن ملكه وبنحو هذا فسر ابن زيد قال
عظيم الصفات والروح النبوة قاله قتادة والسدي كما قال روحا من امرنا
وعن قتادة ايضا الوحي وقال ابن عباس القران وقال الضحاك جبريل يرسله
لمن يشا وقيل الرحمة وقيل ارواح العباد وهذا القولان ضعيفان والاولى
الوحي استعار له الروح لحياة الاديان المرضية به كما قال او من كان ميتا
فاحييناه وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الروح عاما لكل ما ينعم الله به
على عباده المهتدين في تفهيم الايمان والمعقولات الشريفة انتهى وقال
الزجاج الروح كل ما به حياة الناس وكل مهتد حي وكل ضال ميت انتهى
وقال ابن عباس من امره من قضايه وقال مقاتل بامره وحكى الثعلبي
من قوله ونظيره ان من لابتدا الغاية وقرا الجمهور لينذر مبنيا للفاعل
يوم بالنصب والظاهر ان الفاعل هو عايد على الله لانه هو المحدث عنه واحتمل
يوم ان يكون مفعولا على السعة وان يكون ظرفا والمنذر به محذوف
وقرا ابي وجماعة كذلك الا انهم رفعوا يوم على الفاعلية مجازا وقيل الفاعل
في القراة الاولى ضمير الروح وقيل ضمير من وقرا اليماني فيما ذكر صاحب
اللوامح لينذر مبنيا للمفعول يوم التلاق برفع اليوم وقرا الحسن واليماني
فيما ذكر ابن خالويه لتنذر بالتا فقالوا الفاعل ضمير الروح لانها تونث او فيه
ضمير الخطاب للرسول وقرئ التلاق والتناد بيا وبغير يا وسمي يوم
التلاق لالتقا الخلايق فيه قاله ابن عباس وقال قتادة ومقاتل يلتقي فيه
الخالق والمخلوق وقال ميمون بن مهران يلتقي فيه الظالم والمظلوم وحكى
الثعلبي يلتقي المرء بعمله وقال السدي يلتقي اهل السما واهل الارض وقيل يلتقي

العابدون

العابدون ومعبودهم يوم هم بارزون اي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شي من جبل او اكمة
او بنا لان الارض اذ ذاك قاع صفصف ولا من ثياب لانهم يحشرون عراة حفاة غرلا ويوما
بدل من يوم التلاق وكلاهما ظرف مستقبل والظرف المستقبل عند س لا يجوز اضافته
الى الجملة الاسمية فلا يجوز جيتك يوم زيد ذاهب اجراه مجرى اذا فكما لا يجوز ان تقول اجيك اذا
زيد ذاهب فكذلك لا يجوز هذا وذهب ابو الحسن الى جواز ذلك فيتخرج قوله يوم هم
بارزون على هذا المذهب وقد اجاز ذلك بعض اصحابنا على قلة والدلايل مذكورة في علم
العربية قال ابن عطية ويحتمل ان يكون انتصابه على الظرف والعامل فيه قوله لا يخفى وهي
حركة اعراب لا حركة بنا لان الظرف لا يبنى الا اذا اضيف الى غير متمكن كيومئذ وقال
الشاعر على حين عاتبت المشيب على الصبا وقوله تعالى هذا يوم ينفع واما في هذه
الاية فالجملة اسم متمكن كما تقول جيت يوم زيد امير فلا يجوز البنا انتهى يعني انه ينتصب
على الظرف قوله يوم هم بارزون واما قوله لا يبنى الا اذا اضيف الى غير متمكن فانما
ليس محتملا بل يجوز فيه البنا والاعراب واما تمثيله بيوم ينفع فمذهب البصريين
انه لا يجوز فيه الا الاعراب ومذهب الكوفيين جواز البنا والاعراب فيه واما
اذا اضيف الى جملة اسمية كما مثل من قوله جيت يوم زيد امير فالنقل على البصريين
تحتم الاعراب كما ذكروا النقل عن الكوفيين جواز الاعراب والبنا وذهب اليه
بعض اصحابنا وهو الصحيح لكثرة شواهد البنا على ذلك ووقع في بعض تصانيف
اصحابنا انه يتحتم فيه البنا وهذا قول لم يذهب اليه احد فهو وهم لا يخفى على الله
منهم شي اي من سرايرهم وبواطنهم قال ابن عباس اذا هلك من في السموات ومن
في الارض فلم يبق الا الله قال لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيرد على نفسه لله الواحد
القهار وقال ابن مسعود يجمع الله الخلايق يوم القيامة في صعيد بارض بيضا كانها
سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبوا
كلهم لله الواحد القهار وروي انه تعالى يقرر هذا التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا
فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار وينجيك الناس وانما حسن التقرير بالملك يومئذ
وان كان الملك لله تعالى في ذلك اليوم وفي غيره لظهور ذلك للكفرة والجهلة في
يوم القيامة واذا تامل من له مسكة عقل تحير اهل السموات والارض ونفوذ
القضا فيهم تيقن ان لا ملك الا الله ومن نتايج ملكه في ذلك اليوم جزا كل نفس بما
كسبت وانتفا الظلم وسرعة الحساب اذ حسابهم في وقت واحد لا يشغله حساب عن
حساب قال ابن عطية وهذه الاية نص في ان الثواب والعقاب معلق باكتساب
العبد انتهى وهو على طريقة الاشعرية وروي ان يوم القيامة لا ينتصف حتى
يقيل المومنون في الجنة والكافرون في النار ويوم الازفة هو يوم القيامة
امر الله تعالى نبيه ان ينذر العالم ويحذرهم منه ومن اهواله قاله مجاهد
وابن زيد والازفة صفة لمحذوف تقديره يوم الساعة الازفة او الطامة
الازفة ونحو هذا ولما اعقب كل انذار نوعا من الشدة والخوف وغيرهما حسن
التكرار والازفة القريبة كما تقدم وهي مشارفتهم دخول النار فانها اذ ذاك
ترتفع القلوب عن مقارها من شدة الخوف وقال ابو مسلم يوم الازفة يوم
المنية وحضور الاجل يدل عليه انه يعدم وصف يوم القيامة بانه يوم التلاق
ويوم بروزهم فوجب ان يكون هذا اليوم غيره وهذه الصفة مخصوصة

في سائر الآيات ويوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيامة بالقرب وايضا فالصفات
المذكورة بعد قوله يوم الآزفة لائقة بيوم حضور المنية لان الرجل عند معاينة ملائكة العذاب
لعظم خوفه يكاد قلبه يبلغ حنجرته من شدة الخوف ولا يكون له حميم ولا شفيع يدفع عنه
ما به من انواع الخوف اذ القلوب لدى الحناجر وقيل يجوز ان يكون ذلك يوم القيامة حقيقة
ويكون اجتماع ذلك بخلاف حالة الدنيا فان من انتقل قلبه الى حنجرته مات ويجوز
ان يكون ذلك كناية عما يبلغون اليه من شدة الجزع كما تقول كادت نفسي تخرج
وانتصب كاظمين على الحال قال الزمخشري هو حال من اصحاب القلوب على المعنى
اذ المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب
وان القلوب كاظمة من غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع
السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين
وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرا كاظمون ويجوز ان
يكون حالا من قوله اي وانذرهم مقدرين وقال ابن عطية كاظمين حال مما
ابدل منه قوله اذ القلوب او مما تضاف اليه القلوب اذ المراد اذ قلوب
الناس لدى حناجرهم وهذا كقوله تعالى تشخص فيه الابصار مهطعين اراد تشخص فيه
ابصارهم وقال الحوفي القلوب رفع بالابتداء ولدى الحناجر الخبر متعلق بمعنى الاستقرار وقال
ابو البقاء كاظمين حال من القلوب لان المراد اصحابها انتهى ما للظالمين من حميم اي
محب مشفق ولا شفيع يطاع في موضع الصفة لشفيع فيحتمل ان يكون في موضع
خفض على اللفظ وفي موضع رفع على الموضع ويحتمل ان ينسحب النفي على الوصف فقط
فيكون ثم شفيع ولكنه لا يطاع اي لا يقبل شفاعته ويحتمل ان ينسحب النفي على الموصوف
وصفته اي لا شفيع فيطاع وهذا هو المقصود في الاية لان الشفيع عند الله انما
يكون من اوليائه تعالى ولا تكون الشفاعة الا لمن ارتضاه الله وايضا فهو لمن في
زيادة التفضل والثواب ولا يكون شيء من هذا في حق الكافر ومن الحسن والله
لا يكون لهم شفيع البتة يعلم خائنة الاعين كقوله وان سقيت كرام الناس فاسقينا
اي الناس الكرام ويجوز ان تكون خائنة مصدرا كالعافية والعاقبة اي
يعلم خيانة الاعين ولما كانت الافعال التي يقصد بها التكتم بدنية فاخفاها
خائنة الاعين من كسر جفن وغمز ونظر يفهم معنى او يريد صاحبه معنى اخر
وقلبية وهو ما يحتوي عليه الضمائر قسم ما يكتم به الى هذين القسمين وذكر
ان علمه متعلق بها التعلق التام وقال الزمخشري ولا يحسن ان يراد الخائنة
من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه انتهى يعني انه لا يناسب ان
يكون مقابل المعنى الا المعنى وتقدم ان الظاهر ان يكون التقدير الاعين
الخائنة والظاهر ان قوله يعلم خائنة الاعين الاية متصل بما قبله لما امر بانذار
يوم الازفة وما يعرض فيه من شدة الكرب والغم وان الظالم لا يجد من يحميه
من ذلك ولا من يشفع له ذكر اطلاعه تعالى على جميع ما يصدر من العبد وانه
مجازيه بما عمل ليكون على حذر من ذلك اليوم اذا علم ان الله مطلع على اعماله وقال
ابن عطية يعلم خائنة الاعين متصل بقوله سريع الحساب لان سرعة حسابه
للخلق انما هي بعلمه الذي لا يحتاج معه الى روية وفكر ولا لشيء مما يحتاجه
المحاسبون وقالت فرقة يعلم متصل بقوله لا يخفى على الله منهم شيء وهذا قول

حسن

حسن يقويه تناسب المعنيين ويضعفه بعد الاية من الاية وكثرة الحائل انتهى وقال
الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار
هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله
لينذر يوم التلاق ثم استطرد لذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع
يطاع فبعد لذلك عن اخواته انتهى وفي بعض الكتب المنزلة انا مرصاد الهمم
انا العالم بجال الفكر وكسر العيون وقال مجاهد خائنة الاعين مسارقة النظر
الى ما لا يجوز ومثل المفسرون خائنة الاعين بالنظر الثاني الى حرمة غير
الناظر وما تخفي الصدور بالنظر الاول الذي لا يمكن دفعه والله يقضي
بالحق هذا يوجب عظيم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال ولا
يقضي الا بالحق فيما دق وجل خافه الخلق والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء هذا قدح في اصنامهم وتهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي
ولا يقضي وقرا الجمهور يدعون بياء الغيبة لتناسب الضمائر الغائبة قبل
وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنه وهشام تدعون بتاء الخطاب اي
قل لهم يا محمد ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وتعريض باصنامهم انها لا تسمع
ولا تبصر اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم حال
قريش في الاعتبار بالسير وجاز ان يكون فينظروا مجزوما عطفا على يسيروا
وان يكون منصوبا على جواب النفي كما قال الم تسال فتخبرك الرسوم وتقدم
الكلام على مثل هذه الجملة وفصل الزمخشري هم على ان يكون فصلا ولا يتعين اذ
يجوز ان يكون هم توكيدا للضمير كانوا وقرا الجمهور منهم بضمير الغيبة وابن
عامر منكم بضمير الخطاب على سبيل الالتفات واثارا في الارض معطوف على
قوة اي مبانيهم وحصونهم وعددهم كانت في غاية الشدة وتنحتون من الجبال
بيوتا وقال الزمخشري او اراد واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا انتهى
اي ومعتقلا رمحا ولا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة المعنى بدونه فما واق
اي وما كان لهم من عذاب الله من ساتر يقيهم منه ذلك الاخذ وتقدم
تفسير نظير ذلك الاية ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى
فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من
عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد
الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه
اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل
مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من
باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا
سبيل الرشاد ابتدا تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون تسلية للرسول

ودعيل لترتيب أن يحل بهم ما حل بفرعون وقومه من نقمات الله ووعد المؤمنين بالظهور والنصر
وحسن العاقبة. بآياتنا موسى عليه السلام والذي يتحدى من المعجز العصي واليد وغيرها
وسلطان مبين بضم اللام والسلطان المبين الحجة والبرهان الواضح والظاهر. وقارون
هو الذي ذكره تعالى في قوله إن قارون كان من قوم موسى وهو من بني إسرائيل
وقيل هو غيره ونص على هامان وقارون لمكانتهما في الكفر ولأنهما أشهر أتباع
فرعون فقالوا ساحر كذاب أي هذا ساحر فيما أظهر على يديه من قلب العصا حية
وظهور النور الساطع على يده كذاب لكونه ادعى أنه رسول من رب العالمين فلما جاءهم
بالحق من عندنا أي بالمعجزات والنبوة والدعاء إلى الإيمان بالله قالوا أي أولئك
الثلاثة اقتلوا قال ابن عباس أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً يعني يريد
أن هذا أمر بالقتل الأول وإنما أمروا بقتل أبناء المؤمنين لئلا ينشؤوا مع موسى
عليه السلام وباستحياء النساء للاستخدام والاسترقاق ولم يقع ما أمروا به ولم يتم
لهم ولا أعانهم الله عليه وما كيد الكافرين إلا في ضلال أي في حيرة وتخبط
لم يقع منه شيء ولا أنجح سعيهم وكانوا باشروا القتل أولاً فقد قضى الله بإظهار
من خافوه هلاكهم على يديه وقيل كان فرعون قد كف عن قتل الأبناء فلما
بعث موسى وأحس أنه قد وقع ما كان يحذره أعاد القتل عليهم غيظاً وحنقاً
وظناً منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيده ضائع في الكرتين
معاً. وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه قال الزمخشري وبعضه من
كلام الحسن كان إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك
وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحر مثله ويقولون
إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن مظاهرته بالحجة والظاهر
أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر
ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالاً سفاكاً للدماء في أهون شيء فكيف
لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه يخاف
إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط
خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويهاً على قومه
وإيهاماً أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع
وقال ابن عطية الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرت آيات موسى هد ركنه
واضطربت معتقدات أصحابه ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره وذلك
بين من غير ما موضع في قصتهما وفي هذه على ذلك دليلان أحدهما قوله ذروني
فليست هذه من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من إنفاذ آرائهم والدليل الثاني
مقالة المؤمن وما صدع به وأن مكاشفته لفرعون أكثر من مسايرته وحكمه بنبوة موسى أظهر
من توريته في أمره وأما فرعون فإنه نحا إلى المخرقة والاضطراب والتعاطي ومن
ذلك قوله ذروني أقتل موسى وليدع ربه أي إني لا أبالي برب موسى ثم رجع
إلى قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال إني أخاف أن يبدل دينكم والدين
السلطان ومنه قول زهير لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك
انتهى وتبديل دينهم هو تغييره وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام كما قال ويذرك
وآلهتك وأن يظهر في الأرض الفساد وذلك بالتنازع الذي يذهب معه الأمن

ويتعطل

ويتعطل المزارع والمكاسب ويهلك الناس قتلاً وضياعاً فأخاف فساد دينكم ودنياكم معاً وبدأ
فرعون بخوفه تغيير دينهم على تغيير دنياهم لأن حبهم لأديانهم فوق حبهم لأموالهم وقيل
ذروني يدل على أنهم كانوا يمنعونه من قتله إما لكون بعضهم كان مصدقاً له فيتحيل في
منع قتله وإما لما روي عن الحسن مما ذكر الزمخشري وإما لشغل قلب أو لكون بعضهم كان
مصدقاً له فيتحيل في منع قتله وإما لما روي عن الحسن مما ذكر الزمخشري وإما ليشغل
قلب فرعون بموسى حتى لا يتفرغ لهم ويأمنوا من شره كما يفعلون مع الملك إذا هرج
عليه خارجي يشغلونه به حتى يأمنوا من شره وقرأ الكوفيون أو أن بأو بتردد الخوف
بين تبديل الدين أو ظهور الفساد وقرأ باقي السبعة وأن بواو النسق الخوف عليهما
معاً وقرأ أنس بن مالك وابن المسيب ومجاهد وقتادة وأبو رجاء والحسن
والجحدري ونافع وأبو عمرو وحفص يظهر من أظهر مبنياً للفاعل الفساد نصباً وقرأ
باقي السبعة والأعرج والأعمش وابن وثاب وعيسى يظهر من ظهر مبنياً للفاعل الفساد
رفعاً وقرأ مجاهد يظهر بشد الظاء والهاء الفساد رفعاً وقرأ زيد بن علي يظهر بضم الياء وفتح
الهاء مبنياً للمفعول الفساد رفعاً ولما سمع موسى ما قاله فرعون استعاذ بالله من شر كل متكبر
منكر للمعاد وقال وربكم بعثاً على الاقتداء به فيعوذوا بالله ويعتصموا به ومن كل متكبر
يشمل فرعون وغيره من الجبابرة وكان ذلك على سبيل التعريض فكان أعظم والتكبر تعاظم
الإنسان في نفسه مع حقارته لأنه يفعل ولا يؤمن بيوم الحساب أي بالجزاء فكان ذلك
أكد في جراءته أي حصل له التعاظم في نفسه وعدم المبالاة بما ارتكب وقرأ أبو عمرو وحمزة
والكسائي عذت بالإدغام وباقي السبعة بالإظهار. وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم
إيمانه قيل كان قبطياً ابن عم فرعون وكان يجري مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة
وقيل كان قبطياً ليس من قرابته وقيل قيل فيه من آل فرعون لأنه كان في الظاهر على
دينه ودين أتباعه وقيل كان إسرائيلياً وليس من آل فرعون وجعل آل فرعون متعلقاً
بقوله يكتم إيمانه لا في موضع الصفة لرجل كما يدل عليه الظاهر وهذا فيه بعد إذ لم يكن
لأحد من بني إسرائيل أن يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلم به هذا الرجل وقد يرد قول من
علق من آل فرعون بيكتم فإنه لا يقال كتمت من فلان كذا إنما يقال كتمت فلاناً كذا
قال تعالى ولا يكتمون الله حديثاً وقال الشاعر

كتمتك ليلاً بالجمومين ساهراً ... وهمين هماً مستكناً وظاهراً
أحاديث نفس تشتكي ما يريبها ... وورد هموم لن يجدن مصادرا

أي كتمتك أحاديث نفسي وهمين قيل واسمه سمعان وقيل حبيب وقيل حزبيل وقرأ
الجمهور رجل بضم الجيم وقرأ عيسى وعبد الوارث وعبيد بن عقيل وحمزة بن القاسم
عن أبي عمرو بسكونها وهي لغة تميم ونجد أتقتلون رجلاً أن يقول أي لأن يقول ربي
الله وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت لهم كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي
قتل نفس محرمة وما لكم عليه في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي
الله مع أنه قد جاءكم بالبينات من ربكم أي من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم
لا ربه وحده وهذا استدراج إلى الاعتراف وقال الزمخشري ولك أن تقدر مضافاً
محذوفاً أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير
روية ولا فكر في أمره انتهى وهذا الذي أجازه من تقدير المضاف المحذوف الذي
هو وقت لا يجوز تقول جئت صياح الديك أي وقت صياح الديك ولا يجوز جئت

ان صاح الديك ولا احي ان يصيح بعض على ذلك الغاة فشرط ذلك ان يكون المصدر مصرحا به لا مقدرا
وان يقول ليس بمصدر مصرحا به بالبينات بالدلايل على التوحيد وهي التي ذكرها في طه والشعراء
حاله محاورته له في سواله عن ربه تعالى ولما صرح بالانكار عليهم غالطهم بعد في ان اقسم امره
الى كذب وصدق وابدى ذلك في صورة احتمال ونصيحه وبدا في التقسيم بقوله وان يك
كاذبا فعليه كذبه مداراة منه وسالكا طريق الانصاف في القول وخوفا اذا انكر عليهم
قتله انه ممن يبا حنده وبناصره فاوهمهم بهذا التقسيم والبدا بالحالة الكاذب
حين يبسم من شره ويكون ذلك ادنى تسليمهم ومعنى فعليه كذبه اي لا يتخطاه ضرره
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهذا ابتنقد انه نبي صادق قطعا
لكنه اتى بلفظ بعض لالزام الحجة بايسرها في الامر وليس فيه نفي ان يصيبهم كل ما يعدهم
وقالت فرقة يصبكم بعض العذاب الذي يذكر وذلك كاف في هلاككم او يكون
المعنى يصبكم القسم الواجد مما يعد به وذلك هو بعض مما يعد لانه عليه السلام
وعدهم ان امنوا بالنعمة وان كفروا بالنقمة وقال فرقة بعض الذي يعدكم
عذاب الدنيا لانه بعض عذاب الاخرة ويصيرون بعد ذلك الى النار وقال ابو عبيدة
وغيره بعض بمعنى كل وانشدوا قول عمرو بن شييم القطامي قد يدرك المتاني
بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل وقال الزمخشري وذلك انه حين فرض
صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي
يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه
حقه وافيا فضلا ان يتعصب له فان قلت وعن ابي عبيدة انه فسر
البعض بالكل وانشد بيت لبيد ولهو براك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض
النفوس حمامها قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في
مسالة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له انتهى يعني ان ابا عبيدة خطاه
الناس في اعتقاده ان بعضا يكون بمعنى كل وانشدوا ايضا في بعض كون
بمعنى كل قول الشاعر ان الامور اذا الاحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها
خللا اي اذا راى الاحداث ولذلك قال دبرها ولم يقل دبروها راعى المضاف
المحذوف ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فيه اشارة الى علو موسى عليه
السلام وان من اصطفاه الله للنبوة لا يمكن ان يقع منه اسراف ولا كذب
وفيه تعريض بفرعون اذ هو في غاية الاسراف على نفسه بقتل ابناء المومنين
وفي غاية الكذب اذ ادعى الالهية والربوبية ومن هذا شانه لا يهديه الله وفي
الحديث الصديقون ثلاثة حبيب النجار مومن ال يس ومومن ال فرعون وعلي
بن ابي طالب انه عليه السلام طاف بالبيت فحين فرغ اخذ بمجامع ردايه فقالوا
له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباونا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضي الله
عنه فالتزمه من ورايه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات
من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق
ان مومن ال فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا وقال السدي مسرف بالقتل
وقال قتادة مسرف بالكفر وقال صاحب التحرير والتحبير هذا النوع من انواع
علم البينات تسميه علماونا استدراج المخاطب وذلك انه لما راى فرعون قد
عزم على قتل موسى والقوم على تكذيبه اراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم

اي

اي متعصب له وانه من اتباعه فجاهم من طريق النصح والملاطفة فقال اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله ولم يذكر اسمه بل قال رجلا يوهم انه لا يعرفه ولا يتعصب له ان يقول ربي الله ولم
يقل رجلا مومنا بالله او هو نبي الله اذ لو قال شيا من ذلك لعلموا انه متعصب ولم يقبلوا
قوله ثم اتبعه بما بعد ذلك فقدم قوله وان يك كاذبا موافقة لرايهم فيه ثم تلاه
بقوله وان يك صادقا ولم يقل هو صادق وقال يصبكم بعض الذي يعدكم ولم يقل
كل ما يعدكم اذ لو قال انه صادق وكل ما يعدكم علموا انه متعصب وانه يزعم انه
نبي وانه يصدقه فان الانبيا لا تخل بشي مما يقولونه ثم اتبعه كلاما يفهم منه
انه ليس بمصدق له وهو قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انتهى ثم قال
يا قوم يا قوم بدا استلطف في موعظتهم لكم الملك اليوم ظاهرين اي عالين غالبين
في الارض في ارض مصر قد غلبتم بني اسرايل فيها وقهرتموهم واستعبدتموهم
وناداهم بالملك الذي هو اعظم مراتب الدنيا واجلها وهو من جهة شهواتهم
وانبساطهم تنبيها الى الحال والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور وذو الحال
هو ضمير لكم ثم حذرهم الى نفسه واهلي انفسهم بانه ان جاهم بامر الله لم
يجدوا ناصرا لهم ولا دافعا وادرج نفسه في قوله ينصرنا وجانا لانه منهم في
القرابة وليعلمهم ان الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه واقوال هذا
المومن هذه تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه ولذلك استكان فرعون
وقال ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم الا بقتله ولا استصوب الا ذلك وهذا
قول من لا يملك لدوا ثبا والا للحصر والتاكيد وما اهديكم الا سبيل الصواب
لانهم يقولون من ترك قتله وقد كذب بل كان خايفا وجلا وقد علم
ان ما جاء به موسى عليه السلام حق ولكنه كان يتجلد ويري ظاهره خلاف
ما بطن واورد الزمخشري وابن عطية وابو القاسم الهذلي عن معاذ
بن جبل قرا الرشاد بشد الشين قال ابو الفتح وهو اسم فاعل في بنية
مبالغة من الفعل الثلاثي رشد فهو كعباد من عبد وقال الزمخشري
او من رشد كعلام من علم وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الفعل الرباعي ورد
عليه بانه لا يتعين ان يكون من الرباعي بل هو من الثلاثي على ما تقدم وقد جاء
الجبار من الرباعي فبني فعال من افعل كدراك من ادرك وسار من اسار وجبار من
اجبر وقصار من اقصر ولكنه ليس بقياس فلا يحمل عليه ما وجد عنه مندوحة
وفعال من الثلاثي مقيس فحمل عليه وقال ابو حاتم كان معاذ بن جبل يفسرها سبيل الله
قال ابن عطية ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه وهل كان فرعون الا يدعي انه
اله ويتعلق بناء اللفظ على هذا التاويل انتهى والمراد الخلاف في هذا الحرف الذي هو
قول فرعون خطا وتركيب قول معاذ عليه خطا والصواب ان الخلاف فيه هو في قول
المومن اتبعون اهدكم سبيل الرشاد قال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له
في شواذ القرات ما نصه معاذ بن جبل سبيل الرشاد الحرف الثاني بالتشديد وكذلك
الحسن وهو سبيل الله تعالى الذي اوضح الشرايع لذلك فسره معاذ بن جبل وهو
منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من مجبر وقصار من مقصر عن الامر
ولها نظاير معدودة فاما قصار الثوب فهو من قصر الثوب قصارة وقال ابن
خالويه بعد ان ذكر الخلاف في الشاد وقصد عن السبيل ما نصه سبيل الرشاد

بن شيبان التيمي معاذ بن جبل قال ابن خالويه يعني بالرشاد الله تعالى انتهى فهذا انما يكون
الخلاف الا في قول المومن اهدكم سبيل الرشاد فذكر الخلاف فيه في قول فرعون خطا
ولم يقرا معاذ بن جبل الرشاد الا لانه تعالى الا في قول المومن لا في قول فرعون قال
ابن عطية ذلك التاويل يقلق في قول فرعون وقال الذي امن يا قوم اني اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون
مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب
الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند
الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى
واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما
كيد فرعون الا في تباب وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل
الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار من
عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب الجمهور على ان هذا
المومن هو الرجل القايل اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اتاه وليه اخذ الا باشتداد راي
ما خوفهم فرعون من الجور والخوف اي بنوع اخر من التهديد وخوفهم ان يصيبهم
ما اصاب الامم الخالية من استيصال الهلاك حين كذبوا رسلهم وفوت بغيته شرد
عليهم ما سرد ولم يهب فرعون وقالت فرقة بل كلام ذلك المومن قد تم وانما اراد
تعالى بالذي امن موسى عليه السلام واحتجوا بقوة كلامه وانه جلح معهم بالايمان وذكر
عذاب الاخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الاول الا ملاينة لهم وافرد اليوم اما لان
لان المعنى مثل يوم من ايام الاحزاب او اراد به الجمع اي مثل ايام الاحزاب لانه
معلوم ان لكل حزب كان له يوم والاحزاب الذين تحزبوا على انبياء الله ومثل
داب قال ابن عطية بدل وقال الزمخشري عطف بيان وقال الزجاج مثل يوم
حزب حزب وداب عادتهم ودينهم في الكفر والمعاصي وما الله يريد ظلما
للعباد اي ان اهلاكه اياهم كان عدلا منه وفيه مبالغة في نفي الظلم حيث
علقه بالارادة فاذا انتفاه عن الارادة كان نفيه عن الوقوع اولى واحرى
ولما خوفهم ان يحل بهم في الدنيا ما حل بالاحزاب خوفهم امر الاخرة فقال
مستعطفا لهم بندايهم يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد وهو يوم
الحشر والتنادي مصدر تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا قال التنادي
تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلت اعبد الله ذلكم الردي
وسمي يوم التنادي بالندا بعضهم لبعض بالويل والثبور واما التنادي اهل
الجنة واهل النار على ما ذكر في سورة الاعراف واما لان الخلق ينادون الى
المحشر واما النداء المومن هاوم اقرءوا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه
وقرات فرقة التناد بسكون الدال في الوصل اجراه مجرى الوقف وقرا ابن

عباس

١٣٤

عباس والضحاك وغيره ابو صالح والكلبي والزعفراني وابن مقسم التناد بتشديد الدال من
ند البعير اذا هرب كما قال يوم يفر المرء من اخيه الاية وقال ابن عباس وغيره في التناد حقيقة الدال
هو التنادي ان يكون بين الناس عند النفخ في الصور ونفخة الفزع في الدنيا وانهم يفرون
على وجوههم للفزع الذي نالهم وينادي بعضهم بعضا وروي هذا التنادي عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون التذكير بكل ندا
في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة انتهى قال امية بن ابي الصلت
وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم سكانها حتى التنادي وفي الحديث ان الناس
حوله يوم القيامة ينذرون يظنون انهم يجدون مهربا ثم تلا يوم تولون مدبرين
قال مجاهد معناه فارين وقال السدي ما لكم من الله من عاصم اي مانع يمنعكم منه
او ناصر وما يسر المومن من تبول قال ومن يضلل الله فما له من هاد ثم اخذ يوبخهم
على تكذيب الرسل بالتخويف فقد جاءهم بالبينات والظاهر انه يوسف بن يعقوب
وفرعون هو فرعون موسى وروي اشهب عن مالك انه بلغه ان فرعون عمر اربعماية
سنة واربعين سنة وقيل ان الذي جاءهم هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب
وان فرعونه هو فرعون غير فرعون موسى والبينات بالمعجزات فلم تزالوا شاكين في رسالته
كافرين حتى اذا توفي قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا وليس هذا تصديقا لرسالته وكيف
وما زالوا في شك منه وانما المعنى لا رسول من عند الله يبعثه الى الخلق ففيه نفي الرسول ونفي
بعثته وقري الن يبعث بادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا
على نفي البعثة كذلك اي مثل اضلال الله اياكم حين لم تقبلوا من يوسف يضل الله من هو
مسرف مرتاب يعني انهم المرتابون الذين في رسالات الانبيا وجوزوا في الذين
يجادلون ان يكون صفة لمن ... منه ان يعماه جمع و مبتدا على حذف مضاف اي
جدال الذين يجادلون حتى يكون الضمير في كبر عايدا على ذلك والخبر على حذف مضاف والفاعل
بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من قوله يجادلون او ضمير يعود على من على لفظه
على ان يكون الذين صفة او بدلا اعاد اولا على اللفظ من في قوله من هو مسرف ثم
ثم جمع الذين على المعنى ثم افرد في قوله كبر على اللفظ وقال الزمخشري ويحتمل
ان يكون الذين يجادلون مبتدا وبغير سلطان اتاهم خبر وفاعل كبر قوله كذلك
اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله
جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه انتهى وهذا الذي اجازه لا يجوز ان
يكون مثله في كلام فصيح فكيف في كلام الله لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض وارتكاب
مذهب الصحيح خلافه اما تفكيك الكلام فالظاهر ان بغير سلطان متعلق بيجادلون ولا
يتعقل جعله خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون في ايات الله
كاينون او مستقرون بغير سلطان اي في غير سلطان لان البا اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث
وكذلك في قوله يطبع انه مستانف وفيه تفكيك الكلام لان ما جا في القران من كذلك يطبع او
نطبع انما جا مربوطا بعضه ببعض فكذلك هنا واما ارتكاب مذهب غير الصحيح فلانه
جعل الكاف اسما فاعلا بكبر وذلك لا يجوز على مذهب البصريين الا الاخفش ولم يثبت
في كلام العرب فيها في نحو يزيد كزيد مثل زيد فلم يثبت اسميتها فيكون فاعلا واما
قوله ومن قال الخ فان قايل ذلك وهو الحوفي والفاعل به اضمر للمفعول لا يريد
الاعراب وانما تفسير الاعراب ان الفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من يجادلون

كما قالوا من كذب كاذب أي الذي هو الكذب المفهوم من كذب والأولى في إعراب هذا الكلام أن يكون
الذين مبتدأ وخبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون وهذه الصفة موجودة في فرعون
وقومه ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم
وإبراز ذلك في صورة تذكرهم ولا يفجؤهم بالخطاب وفي قوله كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام
لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر كذلك أي مثل ذلك الطبع على
قلوب المجادلين يطبع الله أي يختم بالضلال ويحجب عن الهدى وقرأ أبو عمرو وابن
ذكوان والأعرج بخلاف عنه قلب بالتنوين وصف القلب بالتكبر والجبروت لكونه
مركزهما ومنبعهما كما يقولون رأت العين وكما قال فإنه آثم قلبه والإثم للجملة
وأجاز الزمخشري أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة
لصاحب القلب انتهى ولا ضرورة تدعو إلى اعتقاد الحذف وقرأ أبي السميع قلب
بالإضافة والمضاف منه إلهام عام يلزم عن متكبر جبار وقال مقاتل المتكبر
المعاند في تعظيم أمر الله والجبار المسلط على خلق الله وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا وأقوال فرعون ذروني أقتل موسى ما أريكم إلا ما أرى يا هامان ابن لي صرحا
حيدة عن محاجة موسى ورجوع إلى أشياء لا تصح وذلك كله لما خامره من الجزع والخوف
وعدم المقاومة والتوقع للهلاك وهذا كله من موسى وإن لم يصرح بذلك عن
التأثير في موسى لهذا على كثرة سخطه الرما وتقدم الكلام في الصرح في سورة القصص
فأغنى عن إعادته قال السدي الأسباب الطرق وقال قتادة الأبواب وقيل
عني لعله يجد مع قربه من السماء سببا متعلق به وما أدراك الأسباب أي
خصوصيته وأبهم أولا الأسباب ثم أبدل منها ما أوضحها والإيضاح بعد
الإبهام يفيد تفخيم الشيء إذ في الإبهام تشوف لمراد وتعجب من المقصود
به ثم بالتوضيح يحصل المقصود وتعيينه وقرأ الجمهور فأطلع رفعا عطفا على أبلغ
فكلاهما مترجى وقرأ الأعرج وأبو حيوة وزيد بن علي والزعفراني وابن مقسم
وحفص فأطلع نصبا على جواب الترجي قال أبو القاسم بن جبارة وابن عطية على جواب التمني
وقال الزمخشري على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني انتهى وقد فرق النحاة بين
التمني والترجي فذكروا أن التمني يكون في الممكن والممتنع والترجي يكون في الممكن
وبلوغ أسباب السماوات غير ممكن لكن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن
تمويها على سامعيه وأما النصب بعد الفاء في جواب الترجي فشيء أجازه الكوفيون
ومنعه البصريون واحتج الكوفيون بهذه القراءة وبقراءة عاصم فتنفعه الذكرى
نصبا على أنه جواب الترجي في قوله لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى
وقد تأولنا ذلك على أن يكون عطفا على التوهم لأن خبر لعل كثيرا جاء مقرونا بأن
في النظم كثيرا وفي النثر قليلا فمن نصب توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبرا كان
منصوبا بأن والعطف على التوهم كثير وإن كان لا ينقاس لكن إن وقع شيء
وأمكن تخريجه عليه خرج وأما هنا فأطلع فقد جعله بعضهم جوابا للأمر وهو قوله
ابن لي صرحا كما قال الشاعر يا ناق سيري عنقا فسيحا ... إلى سليمان فنستريحا
وليست فأطلع إلى إله موسى كأن ذلك إقرارا بإله موسى فاستدرك هذا الإقرار
بقوله وإني لأظنه كاذبا في ادعاء الإلهية كما قال في القصص لعلي أطلع إلى إله
موسى وإني لأظنه من الكاذبين وكذلك أي مثل ذلك التزيين في إبهام وتمويه

الله

أن يطلع إلى إله موسى كذلك زين لفرعون سوء عمله وقرأ الجمهور زين لفرعون مبنيا للمفعول وقرئ
زين مبنيا للفاعل وقرأ الجمهور وصد مبنيا للفاعل أي وصد فرعون والكوفيون بضم الصاد
مبنيا للمفعول وابن وثاب بكسر الصاد أصله صدد نقلت الحركة إلى الصاد
بعد توهم حذفها وابن أبي إسحق وعبد الرحمن بن أبي بكرة بفتح الصاد وضم
الدال منونا عطفا على سوء عمله منونا عطفا على سوء عمله والتباب الخسران
ضرب مثله في الدنيا فيهما بالغرق وفي الآخرة بخلود النار وتكرر ونداء المؤمن
إثر كلام فرعون تنبيه لقومه مرتين مرتين يتبع كل نداء بما هو حري لما ظ
لو وجد من يغيظ وأمرهم هنا باتباعه لأنه يهديهم سبيل الرشاد وقرأ معاذ بن
جبل الرشاد بشد الشين وتقدم الكلام في ذلك والرد على من جعل هذه القراءة في كلام فرعون
وأجمل أولا في قوله سبيل الرشاد وهو سبيل الإيمان بالله واتباع شرعه
ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها وأنها متاع زائل هو من تمتع بها
وأن الآخرة هي دار الاستقرار التي لا انفكاك منها المآل إلى جنة وإما إلى نار وكذلك
قال من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعمش والأخوان
والصاحبان وحفص يدخلون مبنيا للفاعل وباقي السبعة والأعرج والحسن
وأبو جعفر وعيسى مبنيا للمفعول ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني
إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز
الغفار لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن
مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم
وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وإذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون
عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد
وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا
أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا
في ضلال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم
الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار
بدأ المؤمن بذكر المشبه عن دعوتهم وأبدى التفاضل بينهما ولما ذكر السياق
ذكر بينهما وهو دعاؤهم إلى الكفر والشرك ودعاؤه إياهم إلى الإيمان والتوحيد وأتى
بصفة العزيز وهو الذي لا نظير له أو الغالب الذي العالم كلهم في قبضته يتصرف فيهم
كما شاء الغفار لذنوب من رجع إليه وآمن به وأومى بسبب دعائهم بسببه وهو
الكفر والنار وأخر سبب سببه ليكون افتتاح كلامه واختتامه بما يدعو إلى الخير وبدأ
أولا بجملة اسمية وهو الاستفهام المتضمن التعجب من حالتهم وضم أيضا بجملة اسمية
ليكون أبلغ في توكيد الإخبار وجاء في حقهم وتدعونني بالجملة الفعلية التي لا تقتضي
توكيدا إذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها فتوكيد ما ليس لي به علم نفي لإلهيته أي
لا يتعلق به علمي إذ ليس لها مدخل في الإلوهية ولا لفرعون قال الزمخشري
فإن قلت لم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت لأن الثاني

داخل في كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل
على كلام ليس بتلك المثابة انتهى وتقدم الكلام على لا جرم وقال الزمخشري هنا وروي عن العرب
لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم
انتهى اي ان الذي تدعونني اليه اي الى عبادته ليس له دعوة اي قدر وحق يجب ان
يدعى اليه او ليس له دعوة الى نفسه لان الجماد لا يدعو والمعبود بالحق يدعو العباد الى طاعته
ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وقال الزجاج ليس له استجابة دعوة
توجب الالوهية في الدنيا ولا في الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي
لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل
المجازى عليه باسم الجزاء في قوله كما تدين تدان وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا
ولا في الاخرة وكان فرعون اولا يدعو الناس الى عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة
البقر فكانت تعبد ما دامت شابة فاذا هرمت امر بذبحها ودعا باخرى لتعبد فلما
طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلى ولما ذكر انتفاء دعوة ما عبد من دون الله ذكر ان
مرد الجميع الى الله اي الى جزائه وان المسرفين وهم المشركون في قول قتادة والسافكون
للدماء بغير حلها في قول ابن مسعود ومجاهد وقيل من غلب شره خيره وهو المسرف وقال
عكرمة هم الجبارون المتكبرون وختم المؤمن كلامه بخاتمة لطيفة توجب التخويف
والتهديد وهي قوله فستذكرون ما اقول لكم اي اذا حل بكم عقاب الله وافوض امري
الى الله دفعه لا اليكم لا الى اصنامكم وكانوا قد توعدوه ثم ذكر ما يوجب
التفويض وهو كونه تعالى بصيرا باحوال العباد ومقادير حاجاتهم قال مقاتل قال
هذه الكلمات فقصدوا قتله فهرب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه وقيل
لما اظهر ايمانه بعث فرعون في طلبه الف رجل فمنهم من ادركه تذب السباع عنه
واكلتهم ومنهم من مات في الجبال عطشا ومنهم من رجع الى فرعون خائبا فاتهمه
وقتله وصلبه وقيل نجا مع موسى في البحر فوقاه الله
سيئات ما مكروا اي شدائد مكرهم التي بيتوها وما هموا به من انواع العذاب لمن
خالفهم وحاق بآل فرعون سوء العذاب قال ابن عباس هو ما حاق بالالف الذي بعثهم
فرعون في طلب المؤمن من اكل السباع والموت بالعطش والقتل والصلب
كما تقدم وقيل سوء العذاب هو الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة النار بدل من سوء
العذاب او خبر مبتدا محذوف لانه قيل ما سوء العذاب فقيل النار او مبتدا خبره
يعرضون ويقوي هذا الوجه قراءة من نصب اي يدخلون النار يعرضون عليها
وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب على الاختصاص والظاهر ان عرضهم على النار
مخصوص بهذين الوقتين ويجوز ان يراد بذكر الطرفين الدوام في الدنيا والظاهر
ان العرض خلاف الاحراق وقال الزمخشري وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام
الاسارى على السيف اذا قتلهم به انتهى والظاهر ان العرض هو في الدنيا وروي ذلك
عن الهذيل بن شرحبيل وعن ابن مسعود والسدي ان ارواحهم في اجواف طير سود تروح
بهم وتغدو الى النار وقال رجل للاوزاعي رايت طيورا بيضا تغدو من البحر ثم ترجع
بالعشي سودا مثلها فقال الاوزاعي تلك التي في حواصلها ارواح آل فرعون يحرق رياشها
وتسود بالعرض على النار وقال محمد بن كعب وغيره اراد انهم يعرضون في الاخرة على
تقدير ما بين الغدو والعشي اذ لا غدو ولا عشي في الاخرة وانما ذلك على التقدير بايام

الدنيا

الدنيا وعن ابن مسعود يعرض الله ارواح الفرعونيين ومن كان مثلهم من الكفار على النار بالغداة والعشي فيقال
هذه داركم وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم
اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل
النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة واستدل مجاهد ومحمد
ابن كعب وعكرمة ومقاتل بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا بعد موتهم على عذاب
القبر في الدنيا والظاهر تمام الجملة عند قوله وعشيا وان يوم القيامة معمول لمحذوف على اضمار
القول اي ويوم تقوم الساعة يقال لهم ادخلوا وقيل ويوم معطوف على وعشيا فالعامل فيه
يعرضون وادخلوا على اضمار القول وقيل العامل في يوم ادخلوا وقرا الاعرج وابو جعفر
وشيبة والاعمش وابن وثاب وطلحة ونافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا امر للخزنة
من ادخل وعلي والحسن وقتادة وابن كثير والعربيان وابو بكر ادخلوا آل فرعون من دخل
اشد العذاب قيل وهو الهاوية قال الاوزاعي بلغنا انهم الفا الف وستمائة الف واذ
يتحاجون في النار الظاهر ان الضمير عائد على قوم فرعون وقال ابن عطية والضمير في قوله
يتحاجون لجميع كفار الامم واذ ابتداء قصص لا تختص بآل فرعون والعامل في اذ
فعل مضمر تقديره واذكر وقال الطبري واذ هذه عطف على قوله اذ القلوب لدى الحناجر
وهذا بعيد انتهى والمحاجة التحاور بالحجة والخصومة والضعفا الدني القدر والمنزلة
في الدنيا والذين استكبروا اي عن الايمان واتباع الرسل انا كنا لكم تبعا اي ذوي تبع
فتبع مصدر او اسم جمع لتابع كاديم وادم وخادم وخدم وغايب وغيب فهل انتم
مغنون عنا انحا مكون عنا فتجابوهم انا كلا فيها وان الله قد حكم قد تقدم تفسيره ومنا دونكم
انا سنتهي ولننجي النار وقرا ابن السميفع وعيسى بن عمر انا كلا بالنصب قال الزمخشري
وابن عطية على التوكيد قال الزمخشري لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من
المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى وهو ضعيف انه هو فيها وبين رفع كلا فعلى الابتدا
وخبره فيها والجملة خبر ان وقال ابن مالك في تصنيفه تسهيل الفوائد وقد تكلم فيها
كل ولا يستغنى بنية اضافته خلافا للفرا والزمخشري انتهى وهذا المذهب
منقول عن الكوفيين وقد رد ابن مالك على هذا المذهب بما قرر في شرح التسهيل
وقال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت
لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك
ثوب ولا يقول قايما في الدار زيد وهذا الذي منعه اجازه الاخفش اذا توسطت
الحال نحو زيد قايما في الدار وزيد قايما عندك والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقا
في الاية لان الاية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا
انه حال وتاخر العامل فيها واما تمثيله فتولد ولا تقول قايما في الدار زيد فتاخر
المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم ان المنع في ذلك اجماع من النحاة وقال
ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراءة المذكورة منصوب على الحال من الضمير
المرفوع المنوي في فيها وفيها هو العامل وقد تقدمت الحال عليه مع عدم تصرفه
كما قدمت في قراءة من قرا والسموات مطويات بيمينه وفي قول النابغة
الذبياني رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة بن حذار وقال
بعض الطائيين دعا فاجبنا وهو بادي ذلة لديكم فكان النصر غير قريب
انتهى وهذا التخريج هو على مذهب الاخفش كما ذكرناه والذي اختاره في تخريج

هذه القراءة ان كلا بدل من اسم ان لان كلا يتصرف فيها بالابتدا ونواسخه وغير ذلك فكانه قال ان كلا
فيها واذ كانوا قد تاولوا حولا اكتعا ويوما اجمعا على البدل مع انهما لا يليان العوامل فان
يدعى في كل البدل اولى وايضا فتنكير كل ونصبه حالا في غاية الشذوذ والمشهور ان كلا
معرفة اذا قطعت عن الاضافة حكى مررت بكل قايما وببعض جالسا في الفصيح الكثير
في كلامهم وقد شذ نصب كل على الحال في قولهم مررت بهم كلا اي جميعا فان
قلت كيف تجعله بدلا وهو بدل كل من كل من ضمير المتكلم وهو لا يجوز على مذهب
جمهور البصريين قلت مذهب الاخفش والكوفيين جوازه وهو الصحيح على ان
هذا ليس مما وقع فيه الخلاف بل اذا كان البدل يفيد الاحاطة جاز ان يبدل من
ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا نعلم خلافا في ذلك كقوله تعالى تكون لنا عيدا لاولنا
واخرنا وكقولك مررت بكم صغيركم وكبيركم معناه مررت بكم كلكم وتكون لنا عيدا
كلنا فاذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الاحاطة فجوازه فيما دل على الاحاطة وهو كل اولى ولا
التفات لمنع المبرد البدل فيه لانه بدل من ضمير المتكلم لانه لم يحقق مناط الخلاف ولما
اجاب الضعفا المستكبرين قالوا جميعا لخزنة جهنم وابرزها مضافا اليه في لخزنة ولم
يات ضميرا فكان يكون التركيب لخزنتها لما في ذكر جهنم من التهويل وفيها اطغى
الكفار واعتاهم ولعل الكفار توهموا ان ملايكة جهنم الموكلين بعذاب تلك الطغاة
هم اقرب منزلة عند الله من غيرهم من الملايكة الموكلين ببقية دركات النار فرجوا
ان يجيبوهم ويدعوا لهم بالتخفيف فراجعتهم الخزنة على سبيل التوبيخ لهم والتقرير
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات فاجابوا بانهم اتتهم قالوا اي الخزنة فادعوا انتم على
معنى الهزء بهم او فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك والظاهر ان قوله وما دعا الكفرين
الا في ضلال من كلام الخزنة اي دعاؤكم لا ينفعكم ولا يجدي وقيل هو من كلام الله تعالى
اخبارا منه لمحمد صلى الله عليه وسلم وجاءت هذه الاخبار معبرا عنها بلفظ الماضي الواقع لتيقن
وقوعها ثم ذكر تعالى انه ينصر رسله وظفرهم باعدايهم كما فعل بموسى عليه السلام حين اهلك
عدوه فرعون وقومه تبشيرا للرسول عليه السلام بنصره على قومه في الحياة الدنيا
العاقبة الحسنة لهم ويوم يقوم الاشهاد هو يوم القيمة قال ابن عباس نصرهم
بالغلبة وفي الاخرة بالعذاب وقال السدي بالانتقام من اعدايهم وقال ابو
العالية بافلاج حجتهم وقال السدي ايضا ما قتل قوم قط نبيا او قوما من دعاة الحق
الا بعث الله من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وان قتلوا انتهى الا ترى الى
قتلة الحسين رضي الله عنه كيف سلط الله عليهم المختار بن ابي عبيد
حتى قتلهم وبخت نصر تتبع اليهود حين قتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام واحدا واحدا
والنصر خاص بمن اظهره الله تعالى على امته كنوح وموسى ومحمد عليهم السلام وقيل
من الانبياء من قتله قومه كيحيى ومن لم ينصر عليهم لانا نجد وقال السدي الخبر عام
وذلك ان نصرة الرسل والانبياء واقعة ولا بد اما في حياة الرسول المنصور
كنوح وموسى عليهما السلام واما بعد موته الا ترى الى صنع الله تعالى ببني اسرايل
بعد قتلهم يحيى عليه السلام من تسليط بخت نصر عليهم حتى انتصر ليحيى عليه السلام
وقرا الجمهور يقوم بالياء وابن هرمز واسمعيل والمنقري عن ابي عمرو بالتاء لتانيث
الجماعة والاشهاد جمع شهيد كشريف واشراف او جمع شاهد كصاحب واصحاب
كما

كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقال لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا والظاهر انه من الشهادة وقيل من المشاهدة بمعنى الحضور يوم لا ينفع بدل من يوم
يقوم وقرى تنفع بالياء وبالتاء وتقدم ذكر الخلاف في ذلك في اخر الروم ويحتمل انهم
يعتذرون ولا تقبل معذرتهم وانهم لا معذرة لهم فتنفع ولهم اللعنة الابعاد من
الله ولهم سوء الدار عاقبة الدار ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرايل
الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في ايات الله
بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه
هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر
الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصلحات
ولا المسي قليلا ما تتذكرون ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس
لا يومنون وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم اليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله
ربكم خالق كل شي لا اله الا هو فانى توفكون كذلك يوفك الذين كانوا بايات
الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بنا وصوركم فاحسن
صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو
الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين
ولما ذكر ما حل بال فرعون واستطرد من ذلك الى ذكر شي من احوال الكفار في الاخرة عاد
الى ذكر ما منح رسوله موسى عليه السلام فقال ولقد اتينا موسى الهدى تانيسا لمحمد
صلى الله عليه وسلم وتذكيرا لما كانت العرب تعرفه من قصة موسى عليه السلام والهدى
يجوز ان يكون الدلايل التي اوردها على فرعون وقومه وان يكون النبوة وان يكون
التوراة واورثنا بني اسرايل الكتاب الظاهر انه التوراة توارثوها خلفا عن سلف
ويجوز ان يكون الكتاب اريد به ما نزل على بني اسرايل من كتب انبيايهم كالتوراة
والزبور والانجيل هدى دلالة على الشي المطلوب وذكرى لما كان منسيا فتذكره تعالى
في كتبه وانتصب هدى وذكرى على انهما مفعول له او على انهما مصدران في موضع
الحال ثم امر تعالى نبيه بالصبر فقال فاصبر ان وعد الله حق من قوله انا لننصر رسلنا
فلا بد من نصرك على اعدايك وقال الكلبي نسخ هذا باية السيف واستغفر لذنبك قال
ابن عطية يحتمل ان يكون قبل اعلام الله تعالى اياه انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر لان اية هذه السورة مكية واية سورة الفتح مدنية متاخرة ويحتمل ان
يكون الخطاب في هذه الاية له والمراد امته اذا امر هو بهذا فغيره احرى بامتثاله
وقال ابو عبد الله الرازي محمول على التوبة من ترك الافضل والاولى وقيل
المقصود منه محض تعبد كما في قوله تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك فان
ايتاء ذلك واجب ثم امرنا بطلبه وقيل لذنب امتك في حقك قيل
فاضاف المصدر للمفعول ثم امره بتنزيهه تعالى في هذين الوقتين اللذين
الناس مشتغلون فيهما بمصالحهم المهمة ويجوز ان يكون المراد سائر الاوقات وعبر
بالطرفين عن ذلك وقال ابن عباس اراد بذلك الصلوات الخمس وقال قتادة صلاة

الغداة وصلاة العصر وقال الحسن ركعتان ركعتان قبل ان تفرض الصلوة وعن ابن عباس الصلوات العصر وصلاة الصبح
والظاهر ان المجادلين في ايات الله وهي الادلة التي نصبها على توحيده وكتبه المنزلة وما اظهر على يد
انبيائه من الخوارق هم كفار قريش والعرب بغير سلطان اي حجة وبرهان ان في صدورهم الا كبر
اي تكبر وتعاظم وهو ارادة التقدم والرياسة وذلك هو الحامل على جدالهم بالباطل ودفعهم
ما يجب لك من تقدمك عليهم لمكان النبوة وكلفك على اعباء الرسالة ما هم ببالغيه
اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه من رياستهم وتقدمهم وفي ذلك اشارة الى انهم لا يرأسون
ولا يحصل لهم ما يؤملون وقال الزجاج المعنى على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر
عليك وما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله اذلهم وقال ابن عطية تقديره ببالغي
ارادتهم فيه وقال مقاتل نزلت في اليهود قال مقاتل عظمت اليهود الدجال وقالوا ان
صاحبنا يبعث في اخر الزمان وله سلطان فقال تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله
لان الدجال من اياته بغير سلطان اي حجة فاستعذ بالله من فتنة الدجال والمراد الخلق
الناس الدجال والى هذا ذهب ابو العالية وهذا قول ضعيف وقال الزمخشري وقيل المجادلون
هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ
سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وانه اية من ايات الله فيرجع الينا الملك
فسمى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم انتهى وكان رئيس اليهود في
زمانه في مصر موسى بن ميمون الاندلسي القرطبي قد كتب رسالة الى يهود اليمن ان
صاحبهم يظهر في سنة كذا وحسابه وكذب عدو الله جاءت تلك السنة وسنون بعدها
لم يظهر شيء مما قال لعنه الله وكان هذا اليهودي قد اظهر الاسلام حتى استسلم
اليهود بعض ملوك المغرب ورحل من الاندلس فذكر انه صلى بالناس التراويح وهم
على ظهر السفينة في رمضان اذ كان يحفظ القرآن فلما قدم مصر وكان ذلك في
دولة العبيديين وهم لا يتقيدون بشريعة رجع الى اليهودية واخبر انه كان مكرها
على الاسلام فقبل منه ذلك وصنف لهم تصانيف ومنها كتاب دلالة الحائرين وانما
استفاد ما استفاد من مخالطة علماء الاندلس وتلمذه لهم والرياسة الى الان بمصر لليهود
في كل من كان من ذريته فاستعذ بالله اي التجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه
هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من
شرهم ثم نبه تعالى على انه لا ينبغي ان يجادل في ايات الله ولا يتكبر الانسان بقوله
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس اي ان مخلوقاته اكبر واجل من خلق البشر
فما لاحدهم يجادل ويتكبر على خالقه وقال الزمخشري مجادلتهم في ايات الله كانت
مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض
لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها وبانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس
بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان
مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى وقال ابن عطية
ويحتمل ان يكون الكلام في معنى البعث والاعادة فاعلم تعالى ان الذي خلق
السموات والارض هو قادر على خلق الناس تارة اخرى والخلق مصدر مضاف
الى المفعول وقال النقاش المعنى مما يخلق الناس اذ هم في الحقيقة لا يخلقون
شيئا فالخلق مضاف للفاعل ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يتاملون لغلبة
الغفلة عليهم ونفي العلم عن الاكثر وتخصيصه به يدل على ان القليل يعلم
ولذلك ضرب مثلا للجاهل بالاعمى وللعالم بالبصير وانتفاء الاستواء بينهما هو
من

من الحجة الدالة على العمى وعلى البصر والاذنا سويان في غير ما شيء ولما بعد قسيم الذين امنوا
بطول صلة الموصول كرر لا توكيدا وقدم والذين امنوا لمجاورة قوله والبصير وهما
طريقان احدهما ان يجاور المناسب هكذا والاخر ان يتقدم ما يقابل الاول ويؤخر ما يقابل
الاخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وقد يتاخر المتماثلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
وكل ذلك تفنن في البلاغة واساليب الكلام ولما كان قد تقدم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وكان ذلك صفة ذم ناسب ان يبتدا في ذكر التساوي بصفة الذم
فبدا بالاعمى وقرا قتادة وطلحة وابو عبد الرحمن وعيسى والكوفيون يتذكرون
بتاء الخطاب والجمهور والاعرج والحسن وابو جعفر وشيبة بالياء على الغيبة
ثم اخبر بما يدل على البعث من اتيان الساعة وانه لا ريب في وقوعها وهو يوم
القيامة حيث الحساب وافتراق الجمع الى الجنة مطيعهم والى النار كافرهم ومن
اراد الله تعذيبه من العصاة بغير الكفر والظاهر حمل الدعاء والاستجابة على
ظاهرهما الا ان الاستجابة مقيدة بمشيئة الله قال السدي سالوني اعطكم
وقال الضحاك اطيعوني اثبكم وقالت فرقة منهم مجاهد ادعوني اعبدوني
واستجب لكم اثبكم على العبادة وكثيرا جاء الدعاء في القرآن بمعنى العبادة ويقوي
هذا التاويل قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي وما روى النعمان بن بشير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرا هذه الاية وقال ابن
عباس وحدوني اغفر لكم وقيل للثوري ادع الله تعالى فقال ان ترك الذنوب هو
الدعاء وقال الحسن وقد سئل عن هذه الاية اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان
يستجيب للذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقال انس قال
النبي صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله ان الذين
يستكبرون عن عبادتي اي عن دعائي وقرا جمهور السبعة والحسن وشيبة
سيدخلون مبنيا للفاعل وزيد بن علي وابن كثير وابو جعفر مبنيا للمفعول واختلف
عن عاصم وابي عمرو وداخرين ذليلين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في سورة يونس ولذو فضل ابلغ من لمفضل
او لمتفضل كما قال الزوعم لما علمناه لتيقن ذو سعة من سعته واشترط الفضل
العظيم لما يودي اليه من كونه صاحبه ومتمكنا منه بخلاف الاتيان بالصفة فانه
قد يدل على عروه بالاتصاف به في وقت ما ولما ذكر عموم فضله وسبوغه
على الناس ثم قال ولكن اكثر الناس فاتى به ظاهرا ولم يات التركيب ولكن
اكثرهم قال الزمخشري وفي هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم
الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان
لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار انتهى ذلكم اي المخصوص بتلك الصفات التي
هي من افعاله المختصة به من جعل الليل والنهار كما ذكر من تفضله عليكم الله ربكم
الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وانشاء الاشياء والوحدانية
فكيف تصرفون عن عبادة من هذه اوصافه الى عبادة الاوثان وقرا
زيد بن علي خالق بنصب القاف وطلحة في رواية يؤفكون بياء الغيبة والجمهور
بضم القاف وتاء الخطاب قال الزمخشري خالق نصبا على الاختصاص كذلك اي مثل

ذلك العرض صرف الله قلوب الجاحدين بايات الله من الاحمر على ارتياب المهتدي عطا ذكر تعالى
ما امتن به من الليل والنهار ذكر ايضا ما امتن به من جعل الارض مستقرا والسما بناء اي
قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السما في منظر العين كقبة مضروبة على وجه
الارض وقرا الجمهور صوركم بضم الصاد والاعمش وابو رزين بكسرها فرارا
من الضمة قبل الواو واستثقالا وجمع فعلة بضم الفا على فعل بكسرها شاذ
وقالوا قوة وقرئ بكسر القاف في الشذوذ ايضا قيل لم يخلق حيوانا احسن
صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهايم كقوله في احسن تقويم
وقرات فرقة صوركم بضم الصاد واسكان الواو وعلى نحو بسرة وبسر ورزقكم
من الطيبات امتن عليهم بما يقوم باود صورهم والطيبات المستلذات طعما ولباسا
ومكاسب وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين
وقال نحوه سعيد بن جبير ثم قرا الاية قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من
دون الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى
الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما
ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون
في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله
قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم
بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين امر الله تعالى نبيه عليه
السلام ان يخبرهم بانه نهي ان تعبد اصنامهم لما جاته البينات من ربه فهذا نهي
بالسمع وان كان منهيا بدلايل العقل فتظافرت ادلة السمع وادلة العقل على
النهي عن عبادة الاوثان ممن ادلة السمع قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون الى غير ذلك وذكر انه نهي بالسمع لا بدليل العقل انه كان منهيا بادلة
العقل ولما نهي عن عبادة الاوثان اخبر انه امر بالاستسلام لله تعالى ثم بين امر الوحدانية
والالوهية التي لمنا سمعها دالة تعقب تحصيلها بالاعتبار في تدريج بني ادم بان ذكر مبدا
الاول وهو من تراب ثم انتقاله الى التناسل بخلقه من نطفة والطفل اسم جنس
او يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا وتقدم الكلام على بلوغ الاشد ومن
قبل قال مجاهد من قبل ان يكون شيخا قيل ويجوز ان يكون من قبل هذه الاحوال اذا
خرج سقطا وقيل عبارة تردد في التدريج المذكور ولا تختص بما قبل الشيخ بل منهم
من يموت قبل ان يخرج طفلا واخر قبل الاشد واخر قبل الشيخ ولتبلغوا
اي ويفعل ذلك لتبلغوا اي ليبلغ كل واحد اجلا مسمى لا يتعداه قال مجاهد يعني
موت الجميع وقيل هو يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج
اذا نظرتم في ذلك وتدبرتم ولما ذكر رتب الايجاد ذكر انه المتصف بالاحيا
والاماتة وانه متى تعلقت ارادته بايجاد شي اوجده من غير تاخر وتقدم الكلام
في مثل هذه الجملة ثم قال بعد ظهور هذه الايات الا تتعجب الى المجادلين في ايات الله

كيف

كيف يصرفون عن الجدال فيها وعن الايمان بها والظاهر انها في الكفار المجادلين في رسالة
الرسول عليه السلام والكتاب الذي جا به بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا
به رسلنا ثم هددهم بقوله فسوف يعلمون وهذا قول الجمهور وقال محمد بن سيرين وغيره
هي اشارة الى اهل الاهوا من الامة ورووا عن نحو هذا حديثا وقالوا هي في اهل القدر
ومن جرى مجراهم ويلزم قايل هذه المقالة ان يجعل قوله الذين كذبوا كلاما
مستانفا في الكفار ويكون الذين كذبوا مبتدا وخبره فسوف يعلمون واما على
الظاهر فالذين بدل من الذين او خبر مبتدا محذوف او منصوب على الذم واذ
ظرف لما مضى فلا يعمل فيه المستقبل لكنه لما قام اسم مستقبل اذ يقع موقع
اذ وموقعها على سبيل المجاز فيكون اذ هنا بمعنى اذا ومعنى ذلك تيقن وقوع الامر
فاخرج في صيغة الماضي وان كان المعنى على الاستقبال قال التيمي لو ان غلالا
من اغلال جهنم وضع على جبل لارضه حتى يبلغ الى الما الاسود وقرا
عطفا على الاغلال يسحبون مبنيا للمفعول وقرا ابن مسعود وابن عباس وزيد
ابن علي وابن وثاب والمسيبي في اختياره والسلاسل بالنصب على المفعول
يسحبون مبنيا للفاعل وهو عطف جملة فعلية على جملة اسمية وقرات فرقة
منهم ابن عباس والسلاسل بالجر قال ابن عطية على تقدير اذ اعناقهم في الاغلال
والسلاسل فعطف على المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ اذ ترتيبه فيه
قلب وهو على حد قول العرب ادخلت القلنسوة في راسي وفي مصحف ابي وفي
السلاسل يسحبون وقال الزمخشري ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال
مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين
معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره قول الشاعر

مشايم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب الا ببين غرابها

كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل انتهى وهذا يسمى العطف على التوهم الا ان
توهم ادخال حرف الجر على مصلحين اقرب من تغيير تركيب الجملة باسرها والقراة
من تغيير تركيب الجملة السابقة باسرها ونظير ذلك قول الشاعر

اجدك لن ترى بثعيلبات ... ولا بيدا ناجية ذمولا

ولا متدارك والليل طفل ... ببعض نواشغ الوادي حمولا

التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذي قاله ابن عطية والزمخشري سبقهما اليه
الفرا قال من جر السلاسل حمله على المعنى لان المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل
وقال الزجاج ومن قرا بالخفض والسلاسل فالمعنى عنده وفي السلاسل يسحبون
وقال ابن الانباري والخفض على هذا المعنى غير جايز لو قلت زيد في الدار لم
يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ثم ذكر تاويل الفرا وخرج القراة عليه
ثم قال كما تقول خاصم عبد الله زيد العاقلين بنصب العاقلين ورفعه لان
احدهما اذا خاصمه صاحبه فقد خاصمه الاخر انتهى وهذه المسالة لا تجوز عند
البصريين وهي منقول جوازها عند محمد بن سعدان الكوفي قال لان كل
واحد منهما فاعل ومفعول وقرئ وبالسلاسل يسحبون ولعل هذه
القراة حملت الزجاج على ان تاول الخفض على اضمار حرف الجر وهو تاويل شذوذ
وقرا ابن عباس في قراته من نصب والسلاسل وفتح يا يسحبون اذا كانوا

يجرون نهاهم بخواتمه عليهم ثم يلقون ذلك وهم لا يطيقون وقال مجاهد يسجرون يطرحون فيها فيكونون
وقود النار وقال السدي يسجرون يحرقون ثم قيل لهم تعالى ايهم في تعنيف يوم القيامة من
جهة التوبيخ والتقريع ثم قيل لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا فيقولون
ضلوا عنا اي تلفوا منا وغابوا واضمحلوا ثم تضطرب اقوالهم ويفزعون الى الكذب
فيقولون بل لم نكن ندعو من قبل شيئا وهذا من اشد الاختلال في الذهن والنظر ولما
تبين لهم انهم لم يكونوا شيئا وما كانوا يعبدون بعبادتهم شيئا كما تقول حسبتك
لا شي فاذا هو ليس بشي اذا اختبرته فلم تر عنده خيرا وقولهم ضلوا عنا مع قوله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يحتمل ان يكون ذلك عند تقريعهم فلم
يكونوا معهم اذ ذاك الكلام فتبعوهم قالوا ضلوا عنا وان كانوا معهم لكنهم
اي مثل هذه الصفة بهذا الترتيب يضل الله الكافرين وقال الزمخشري اي
مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم
الهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق
وهو الشرك وعبادة الاوثان وقال ابن عطية ذلكم العذاب الذي انتم فيه بما كنتم
تفرحون في الدنيا بالمعاصي والكفر اشبه بمرحون قال ابن فساد العجب والخيلا
وقال مجاهد الاشر والبطر انتهى فقال لهم ذلك توبيخا اي انما نالكم هذا بما كنتم
تظهرون في الدنيا من السرور بالمعاصي وكثرة المال والاتباع والصحة وقال
الضحاك الفرح والسرور والمرح العدوان وفي الحديث ان الله يبغض البذخين
الفرحين ويحب كل قلب حزين وتفرحون وتمرحون من باب تجنيس التحريف
المذكور في علم البديع وهو ان يكون الحرف فرقا بين الكلمتين ادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها الظاهر انه قيل لهم ادخلوا بعد المحاورة السابقة وهم
قد كانوا في النار لكن هذا امر تقييد بالخلود وهو الثوا الذي لا ينقطع فليس
امرا بمطلق الدخول او بعد الدخول فيها امروا ان يدخلوا سبعة الابواب التي
لكل باب منها جزء مقسوم من الكفار فكان ذلك امرا بالدخول بقيد التجزية
لكل باب وقال ابن عطية وقوله تعالى ادخلوا معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة
في اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما هي بعد دخولهم وفي الوقت الذي
فيه الاغلال في اعناقهم وابواب جهنم هي السبعة المودية الى طبقاتها وادراكها
السبعة انتهى وخالدين حال مقدرة ودلت على الثوا الدايم فجا التركيب فبئس
مثوى المتكبرين فبئس مدخل المتكبرين لان تقيد الدخول لا بدوام فلم يبالغ في ذمه
بخلاف الثوا الدايم الذي لا ينقطع فانه بولغ في ذمه فاصبر ان وعد الله حق
فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما
كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جا امر الله قضي بالحق
وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها
وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا

يكسبون

يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون امر تعالى
نبيه بالصبر تانيسا له والاحتجاج عليه الكلام في غاية القهر واخبر بان ما وعده من
النصر والظفر واعلاء كلمته واظهار دينه حق ثم قال فاما جواب فاما نرينك محذوف
لدلالة المعنى عليه اي فتقر عينك ولا يصح ان يكون فالينا يرجعون جوابا
للمعطوف عليه والمعطوف لان تركيب فاما نرينك بعض الموعود في حياتك
فالينا يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم ما اتبعوك ونظير هذه الاية
قوله واما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم
فانا عليهم مقتدرون الا انه هنا صرح بجواب الشرطين وقال الزمخشري
فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجزا نرينك محذوف تقديره
فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك
او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم
اشد الانتقام وقد تقدم للزمخشري نحو هذا البحث في سورة يونس في
قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم
ورددنا عليه فيطالع هناك وقال الزمخشري ايضا فاما نرينك اصله
فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل
الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك انتهى وما ذهب
اليه من تلازم الزايدة ونون التوكيد بعد ان الشرطية هو مذهب المبرد
والزجاج وذهب س الى انك ان شئت اتيت بما دون النون وان
شئت اتيت بالنون دون ما قال س في هذه المسالة وان شئت لم تقحم
النون كما انك اذا جئت بما يعني انه لم تقحم النون مع مجيئك بما وتجي
بما مع مجيئك بالنون وقرأ الجمهور يرجعون بالياء مبنيا للمفعول
وابو عبد الرحمن ويعقوب بفتح الياء وطلحة بن مصرف ويعقوب في رواية
الوليد بن حسان بفتح التاء الخطاب ثم رد تعالى على العرب في انكارهم
بعثة الرسل وفي عدد الرسل اختلاف روي ثمانية الاف من بني اسرايل
واربعة الاف من غيرهم وروي بعث الله اربعة الاف نبي منهم من
قصصنا عليك اي منهم من اخبرناك به اما في القران فثمانية عشر ومنهم من
لم نقصص عليك وعن علي وابن عباس ان الله بعث نبيا اسود في الحبش
فهو ممن لم نقصص عليه وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
اي ليس ذلك راجعا اليهم كما اقترحوا على الرسل قال ليس ذلك الي الا تاتي
اية الا ان شا الله فاذا جا امر الله رد ووعيد باثر اقتراحهم الايات
وامر الله القيامة والمبطلون المعاندون مقترحوا الايات وقد
اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا او فاذا جا امر الله اي اراد ارسال
رسول وبعثة نبي قضي ذلك وانفذه بالحق وخسر كل مبطل وحصل
على فساد اخرته او فاذا جا امر الله وهو القتل ببدر ثم ذكر تعالى
ايات اعتبار وتعداد نعم فقال الله عز وجل الذي جعل لكم الانعام ونعي ثمانية

الذي جعل

ازواج وضعف قول من ادرج فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهايم وقول
من خصها بالابل وهو الزجاج لتركبوا منها وهي الابل اذ لم يعهد ركوب غيرها ومنها
تاكلون عام في ثمانية الازواج ومن الاولى للتبعيض وقال ابن عطية ومن الثانية
لبيان الجنس لان الجمل منها يوكل انتهى ولا يظهر كونها لبيان الجنس ويجوز ان يكون
للتبعيض ولابتدا الغاية ولما كان الركوب منها هو اعظم منفعة اذ فيه منفعة
الاكل والركوب وذكر ايضا ان في الجميع منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير
ذلك اكد منفعة الركوب بقوله ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم من بلوغ الاسفار
الطويلة وحمل الاثقال الى البلاد الشاسعة وقضا فريضة الحج والغزو وما
اشبه ذلك من المنافع الدينية والدنياوية ولما كان الركوب وبلوغ الحاجة
المترتب عليه قد يتوصل به الى الانتقال لامر واجب او مندوب كالحج وطلب العلم
دخل حرف التعليل على الركوب وعلى المترتب عليه من بلوغ الحاجات فجعل ذلك
علة في الجعل ولما ذكر ان منها ناكل ولنا فيها منافع من شرب لبن واتخاذ دثار
وغير ذلك كما ادخل لام التعليل في لتركبوها ولم يدخلها على الزينة في قوله
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ولما ذكر ما امتن به من منة الركوب
للابل في البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب في البحر فقال وعليها وعلى الفلك
تحملون ولما كان الفلك يصح ان يقال فيه حمل في الفلك كقوله فاحمل فيها ويصح
ان يقال فيه حمل على الفلك اختير لفظ على لمناسبة قوله وعليها وان كان معنى
في صحيحا ويريكم اياته اي حججه وادلته على وحدانيته فاي ايات الله
تنكرون اي انها كثيرة فايها ينكر اي لا يمكن انكار شي منها في العقول واي ايات
الله منصوب بتنكرون قال الزمخشري فاي ايات جات على اللغة المستفيضة
وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسما
غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه انتهى ومن
قلة تانيث اي قوله * باي كتاب ام باية سنة * ترى حبهم عارا علي وتحسب
وقوله وهي في اي اغرب ان عنى اي على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض
في النداء ان يونث في المونث لقوله تعالى يا ايتها النفس المطمينة ولا نعلم احدا ذكر
تذكيرها فيه فيقول يا ايها المراة الا صاحب كتاب البديع في النحو وان عنى غير
المناداة فكلامه صحيح فقل تانيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية وما
في قوله فما اغنى نافية او استفهامية في معنى النفي والاخرى ما كانوا مصدرية او بمعنى
الذي وهي في موضع رفع والضمير في جاتهم عايد على الذين من قبلهم وفرحوا
قيل من العلم على جهة التهكم بهم اي في الحقيقة لا علم لهم وانما لهم ضلالات
واستبعادات لما جات به الرسل وكانوا يدفعون ما جات به الرسل بنحو قولهم
ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا واعتقدوا ان عندهم علما
يستغنون به عن علم الانبيا كما تزعم الفلاسفة والدهريون كانوا اذا سمعوا
بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبيا الى علمهم ولما سمع سقراط لعنه الله بموسى
صلوات الله على نبينا وعليه قيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهديون
فلا حاجة بنا الى من يهدينا وعلى هذين التوجيهين تكون الضماير متناسقة
عايدة على مدلول واحد وقيل الضمير في فرحوا وفي بما عندهم عايد على الرسل

اي فرحت

اي فرحت الرسل بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه لما راوا جهل من ارسلوا اليهم واستهزاهم
بالحق وعلموا سو عاقبتهم وقيل الضمير في فرحوا عايد على الامم وفي بما عندهم عايد على
الرسل اي فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزا وقال الزمخشري
ومنها اي من الوجوه التي في الاية في قوله فرحوا بما عندهم من العلم ان يوضع
قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى
الفرح والمسرة في تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم انتهى ولا يعبر بالجملة الظاهر
كونها مثبتة عن الجملة المنفية الا في قليل من الكلام نحو قولهم شر اهر ذا ناب
على خلاف فيه ولما آل امره الى الاثبات المحصور جاز واما في الاية فينبغي ان لا يحمل
على القليل لان في ذلك تخبيطا لمعاني الجمل الثابتة فلا يوثق بشي منها وقال
الزمخشري ويجوز ان يريد فرحوا بما عندهم من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم
بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
ذلك مبلغهم من العلم فلما جاتهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شي من علمهم
لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها
واستهزوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به
انتهى وهو توجيه حسن لكن فيه اكثار وسقطت باسنا اي عذابنا الشديد
حكى حال من امن بعد تلبس العذاب به وان ذلك لم يك نافعا وفي ذلك
حض على المبادرة الى الايمان وتخويف من التاني فاما قوم يونس فانهم لما راوا
العذاب لم يلتبس بهم وتقدمت قصتهم وايمانهم مرفوع بيك اسما لها او
فاعل بينفعهم وفي يك ضمير الشان على الخلاف الذي في كان يقوم زيد
ودخل حرف النفي على الكون لا على النفع لانه يودي الى نفي الصحة اي لم يصح
ولم يستقم لقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد وترادف هذه الفاات اما
في فما اغنى فلانه كان نتيجة قوله كانوا اكثر منهم ولما جاتهم رسلهم جار
مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما
جاتهم كانه قال فكفروا به فلما راوا باسنا امنوا فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع
لايمانهم لما راوا باس الله وانتصب سنة على انه مصدر موكد لمضمون الجملة
السابقة اي ان ما فعل بهم هي سنة الله التي قد مضت وسبقت في عباده
من ارسال الرسل والاعذار بهم وتعذيب من كذبهم واستيصالهم بالهلاك
وعدم الانتفاع بالايمان حالة تلبس العذاب بهم وهنالك ظرف مكان
استعير للزمان اي وخسر في ذلك الوقت الكافرون وقيل سنة منصوب
على التحذير اي احذروا سنة الله يا اهل مكة في اعدا الرسل الصرصر المفردات
الريح الباردة المحرقة كما تحرق النار وقاله الفرا والزجاج وتاتي اقوال المفسرين
فيه النحس الشوم نقيض السعد قال الشاعر * سوا عليه اي حين اتيته
اساعة نحس تتقي ام باسعد * وانشد الفرا * ابلغ جذاما ولخما ان اخوانهم
طيا وبهرا وقوم نصرهم نحس * التقييض التهيية للشي وتيسره وهذان ثوبان
قيضان اذا كانا متكافيين في الثمن وقايضني بهذا الثوب اي صيره
واعطني بدله والمقايضة المعارضة الاكمام واحدها كم قاله الزمخشري بكسر الكاف
وقال المبرد هو ما يغطي الثمرة كجف الطلعة ومن قال في الجمع اكمة فالواحد كمام

الآفاق الذي هو احد هذه الأفق قال الشاعر لو نال حي من الدنيا بمنزلة افق السماء لنالت كفه الأفقا

سورة فصلت بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته
قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا
في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا
عاملون قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق
الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم
استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا
أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم هذه
السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه قال في اخر ما قبلها افلم يسيروا في
الارض الى اخرها فتضمن وعيدا وتهديدا وتقريعا لقريش فاتبع ذلك التقريع
والتوبيخ والتهديد بتوبيخ اخر فذكر انه نزل كتابا مفصلا اياته بشيرا لمن
اتبعه ونذيرا لمن اعرض عنه وان اكثر قريش اعرضوا عنه ثم ذكر قدرة الاله
على ايجاد العالم العلوي والسفلي ثم قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة فكان
هذا كله مناسبا لاخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس
بهم العذاب وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والاسر والنهب والسبي
واستيلاء اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل بعاد وثمود من استيصالهم وروي
ان عتبة بن ربيعة ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم عليه امر مخالفته
وليقبح عليه دينا بينه وبينه وليبعد ما جاء به فلما تكلم عتبة قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حم ومر في صدرها حتى انتهى الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فارعد الشيخ ووقف شعره وامسك على فم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وناشده بالرحم ان يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيئا ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ولقد ظننت الصاعقة العذاب على راسي تنزيل على انه
خبر مبتدأ محذوف اي هذا تنزيل عند الفراء ومبتدأ خبره كتاب فصلت عند الزجاج
والحوفي وحم اذا كانت اسما للسورة وكتاب على قول الزجاج بدل من تنزيل او
خبر بعد خبر فصلت اياته قال السدي بينت اياته اي فسرت معانيه ففصل
بين حرامه وحلاله وزجره وامره ووعده ووعيده وقيل فصلت في التنزيل
اي لم تنزل جملة واحدة وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب
والعقاب وقال ابن زيد بين محمد صلى الله عليه وسلم ومن خالفه وقيل فصلت
بالمواقف وانواع اواخر الاي ولم يكن يرجع الى قافية ولا نحوها كالشعر والسجع
وقال ابو عبد الله الرازي ميزت اياته وجعلت تفاصيل معان مختلفة فبعضها
في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه
وقدرته ورحمته وحكمته وعجائب احوال خلقه السموات والكواكب وتعاقب
الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في احوال

التكاليف

التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات
اهل الجنة ودركات اهل النار وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة
النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس
في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة مثل ما في القران انتهى
وقرئ فصلت بفتح الفاء والصاد مخففة اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها
من بعض باختلاف معانيها من قولك فصلت العير اي انفصلت وفصل من البلد
اي انفصل وانتصب قرانا على انه حال بنفسه وهي مؤكدة لانها لا تنتقل او توطئة للحال
بعده وهي عربيا او على المصدر اي يقروه قرانا او على الاختصاص والمدح ومن جعله حالا
فعامل ذو الحال اياته وقيل كتاب لانه وصف بقوله فصلت اياته او على اضمار فعل تقديره
فصلناه قرانا او مفعول ثان لفصلت اقوال ستة احدها للاخفش ولقوم متعلق بفصلت
اي يعلمون الاشياء ويعقلون الدلائل فكانه فصل لهؤلاء اذ هم ينتفعون فخصوا بالذكر
تشريفا ومن لم ينتفع بالتفصيل فكانه لم يفصل له ويبعد ان يتعلق بتنزيل لكونه وصف
قبل اخذ متعلقه ان كان من الرحمن في موضع الصفة او ابدل منه كتاب او كان خبر التنزيل
فيكون في ذلك البدل من الموصول او الاخبار عنه قبل اخذه متعلقه وهو لا يجوز وقيل
لقوم في موضع الصفة لقوله عربيا اي كائنا لقوم يعلمون الفاظه ويتحققون انه لم
يخرج عن نمط كلامهم وكانه رد على من زعم ان في القران ما ليس في كلام العرب وانتصب
بشيرا ونذيرا على النعت لقرانا عربيا وقيل حال من اياته وقرا زيد بن علي
بشير ونذير برفعهما على الصفة لكتاب او على خبر مبتدأ محذوف وبشارته بالجنة لمن
امن ونذارته بالنار لمن كفر فاعرض اكثرهم اي اكثر اولئك القوم اي كانوا من اهل
العلم ولكن لم ينظروا النظر التام بل اعرضوا فهم لا يسمعون لاعراضهم عن ما احتوى عليه
من الحجج والبراهين او لما لم ينتفع به ولم يقبله جعل كانه لم يسمعه ثم اخبر تعالى عنهم
بالمقالة الدالة على امتناع قبولهم والياس من رجوعهم اليه ومن سماعهم لما يتلو وهو
قوله تعالى حكاية عنهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وتقدم
الكلام على شبه ذلك في الانعام وقرا طلحة وقر بكسر الواو وهذه تمثيلات لامتناع
قبول الحق كان قلوبهم في غلف كما قالوا وقالوا قلوبنا غلف وكان بمجاسماعهم كلام الله
بها صمما والحجاب الستر المانع من الاجابة وهو خلاف في الدين لانه يعبد الله وهم
يعبدون الاصنام قال معناه الفراء وغيره ويروى ان ابا جهل استغشى على راسه ثوبا
وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه وقيل تمثيل بعدم الاجابة وقيل عبارة عن
العداوة ومن في مما تدعونا اليه لابتداء الغاية وكذا في ومن بيننا فالمعنى ان
الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ
فيها ولو لم يات بمن لكان المعنى ان حاجزا وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط
فلذلك جيء بمن وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا
وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين
قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل
انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق
والملاحظة الا في المعاني انتهى ونقول ان في ابلغ في هذا الموضع من على لانهم
قصدوا افراط عدم القبول لحصول قلوبهم في اكنة احتوت عليها احتواء الظرف على

المظروف فلا يمكن ان يجعل الهاء لشي كما يقول المال في الكيس بخلاف قولك على المال كيس فانه لا يدل
على الحصر وعدم الحصول دلالة الوعاء واما في انا جعلنا فهو من اخبار الله تعالى لا يحتاج الى مبالغة
بخلاف قولهم وقال الزمخشري وترى المطابيع منهم يعني من العرب وشعرائهم ولذلك تكلم الدعس
في شعر حبيب ولم يستحسن بعضهم كثرة صنيعة البديع فيه قالوا والصنعة ما جاء من غير تكلف
فاعمل اننا عاملون قال الكلبي في هلاكنا انا عاملون في هلاكك وقال مقاتل اعمل انت لالهك الذي
ارسلك فانا عاملون لالهتنا التي نعبدها وقال الفراء اعمل على مقتضى دينك ونحن
نعمل على مقتضى ديننا وذكر الماوردي اعمل لاخرتك فانا نعمل لدنيانا ولما كان القلب
محل المعرفة والسمع والبصر معينان على تحصيل المعارف ذكروا ان هذه الثلاثة محجوبة
عن ان يصل اليها شيئا مما يلقيه الرسول شي واحتمل قولهم فاعمل اننا عاملون اي تكون متاركة
محضة وان تكون استخفافا انما انا يوحى الي وقرا الجمهور قل يحيى الامر وابن
وثاب والاعمش قال فعلا ماضيا وهذا اصدع بالتوحيد والرسالة وقرا النخعي
والاعمش يوحي بكسر الحاء والجمهور بفتحها واخبر انه بشر مثلهم لا ملك لكنه اوحي
اليه دونهم وقال الحسن علمه تعالى التواضع وان ما اوحي اليه توحيد الله ورفض
الالهة كلها فاستقيموا اليه له بالتوحيد الذي هو راس الدين والعمل واستغفروه واسا
المغفرة اذ هي راس العمل الذي بحصوله تنزل التبيعات اليه ولما كان العقل ناطقا بان
السعادة مربوطة بامرين التعظيم لله والشفقة على خلقه ذكر ان الويل والثبور والحزن
للمشركين الذين لم يعظموا الله بتوحيده ونفي عنه ولم يشفقوا على خلقه بايصال الخير
اليهم واضافوا الى ذلك انكار البعث والظاهر ان الزكاة على ظاهرها من زكاة الاموال
قال ابن السايب قال كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون وقال الحسن وقتادة
وقيل كانت قريش تطعم الحاج وتحرم من امن منهم وقال الحسن وقتادة ايضا المعنى لا يؤمنون
بالزكاة ولا يقرون بها وقال مجاهد والربيع لا يزكون اعمالهم وقال ابن عباس والجمهور
الزكاة هنا لا اله الا الله التوحيد كما قال موسى عليه السلام لفرعون هل لك الى ان
تزكى ويرجح هذا التاويل ان الاية من اول المكي وزكاة المال انما نزلت بالمدينة قاله ابن عطية
قال واعاهن زكاة القلب والبدن اي تطهيره من الشرك والمعاصي وقاله مجاهد والربيع
وقال الضحاك ومقاتل الزكاة هنا النفقة في الطاعة انتهى واذا كانت الزكاة المراد
بها اخراج المال فانما قرن بالكفر لكونها شاقة باخراج المال الذي هو محبوب الطباع
وشقيق الارواح حث عليها قال بعض الادبا وقالوا شقيق الروح مالك فاحتفظ
به فاصبت المال خيرا من الروح أري حفظه يفضي بتحسين حالتي وتضييعه يفضي
لتنال مفتوحا اذ الذين امنوا قال السدي نزلت في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن
اكمال الطاعات كتب لهم من الاجر اصح ما كانوا يعملون والممنون المنقوص قاله
ابن عباس رضي الله عنه قال ذو الاصبع العدواني
اني لعمرك ما بابي بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنون
وقال مجاهد غير محسوب وقيل غير مقطوع قال الشاعر فضل الجواد على الخيل البطاء
فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا وقيل لا يمن به لان عطيات الله تشريف والمن
انما يدخل عطيات البشر وقيل لا يمن به لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق
اداؤه نقله الزمخشري وفيه دسيسة الاعتزال قل ائنكم لتكفرون استفهام توبيخ
وتشنيع عليهم بكفر من اوجد العالم سفليه وعلويه ووصف قدرته خلق ذلك

ومونة

ومدة سوا والحكمة في مدة مع قدرته على ان يوجد ذلك دفعة واحدة وقد ذكر تعالى ايجاد ذلك مرتبا
وتقديم الكلام في اولها انه شرع بعينيه الخلق وما خلق مرتبا ونسقي في يومين في مقدار
يومين وتجعلون له اندادا اي اشباها وامثالا من الملايكة والجن والاصنام تعبدونها
دونه وقال السدي اكفاء من الرجال تطيعونهم وتجعلون معطوف على تكفرون
فهو داخل في حيز الاستفهام المقتضي الانكار والتوبيخ ذلك اي موجد الارض ومخترعها رب العالمين
من الانداد التي جعلتم له وعبدتموه وجعل فيها رواسي اخبار مستانف وليس من الصلة في شي بل
هو معطوف على قوله لتكفرون وبارك فيها اكثر خيرها وقدر فيها اقواتها اي ارزاق
ساكنيها ومعايشهم واضافها الى الارض من حيث هي فيها ومنها برزت قال السدي وقال
قتادة اقواتها من الجبال والانهار والاشجار والصخور والمعادن والاشيا التي بها قوام
الارض ومصالحها وقال مجاهد اقواتها من المطر والمياه وقال عكرمة والضحاك
ومجاهد ايضا خصايصها التي قسمها في البلاد مما خص به كل اقليم فيحتاج بعضها الى
بعض في القوت من الملابس والمطاعم والنبات في اربعة ايام اي في تتمة اربعة
ايام باليومين المتقدمين قال الزمخشري في اربعة ايام فذلكة لمدة خلق الله وما
فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان وقال الزجاج
في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين انتهى وهذا كما تقول بنيت جدار بيتي في
يوم واكملت جميعه في يومين اي بالاول وقال ابو عبد الله الرازي ويستبعد في كلام
الزمخشري في اربعة ايام فايدة زايدة على تحصل قوله في يومين لان في قوله في يومين
لا يقتضي الاستغراق لذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشيا ثم قال
في اربعة ايام سوا دل على ان هذه الايام مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة
ونقصان انتهى ولا فرق بين يومين واربعة ايام بالنسبة الى الاستغراق
فان كانت اربعة تقتضي الاستغراق وكذلك اليومان يقتضيانه ومتى كان
الظرف معدودا كان العمل في جميعه اما على سبيل التعميم نحو سرت يومين او
التقسيط نحو اذنت يومين وقد يكون في بعض كل يوم منهما نحو تحدثت ليلتين
فاصل الاستغراق واحتمل ايقاعه في بعض كل واحد من الليلتين واذا كان كذلك
احتمل انه يكون وقع الخلق للارض في بعض كل واحد من اليومين واحتمل ان يكون
اليومين مستغرقين بخلقها وكذلك في اربعة ايام يحتمل الاستغراق وان يكون
خلق الارض والجبال والبركة وتقدير الاقوات وقع في بعض كل يوم من الاربعة
فما قاله ابو عبد الله الرازي لم تظهر به فايدة زايدة وقرا الجمهور سوا بالنصب
على الحال وابو جعفر بالرفع اي هي سوا وزيد بن علي والحسن وابن ابي اسحاق
وعمرو بن عبيد وعيسى ويعقوب بالخفض نعتا لاربعة ايام قال قتادة
والسدي معناه سوا لمن سال عن الامر واستفهم عن حقيقته ووقوعه واراد
العبرة منه فانه يجده كما قال تعالى وقال ابن زيد وجماعة معناه مستويا
امر هذه المخلوقات ونفعها المحتاجين اليها من البشر فعبر بالسايلين عن
الطالبين لانهم من شانهم ولا بد من طلب ما ينتفعون به اذ هم بحال حاجة
اليها وقال الزمخشري فان قلت بم تعلق قوله للسايلين قلت بمحذوف
كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر
فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين انتهى وهو راجع لقولي

السر في المتقدم بين وللمتقدم تخليق الارض وما فيها اتبعه بتخليق السما فقال ثم استوى الى السما
اي قصد اليها وتوجه دون ارادة تاثير في غيرها والمعنى في خلق السما والظاهر ان المادة التي
خلقت منها السما كانت دخانا وفي اول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة ان عرشه
تعالى كان على الما قبل خلق السموات والارض فاحدث الله في ذلك سخونة فارتفع
زبد ودخان اما الزبد فبقي على وجه الما فخلق الله منه اليبوسة واحدث منه
الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وفيه ايضا ان الله خلق
السما من اجزا مظلمة انتهى وروي انها كانت جسما رخوا كالدخان او البخار وقال ابن عطية
هنا لفظ متروك يدل عليه الظاهر وتقديره فاوجدها واتقنها واكمل امورها
وحينئذ قال لها وللارض ائتيا انتهى فجعل ابن عطية هذه المحاورة بين البارئ تعالى
والارض والسما بعد خلق الارض والسما وهو قول من ذهب الى انها نطقتا نطقا
حقيقيا وجعل الله لهما حياة وادراكا يقتضي نطقهما بعد ان ذكرت المفسرين من ذهب
الى ان ذلك مجاز وانه ظهر منهما من اختيار الطاعة والتذلل والخضوع ما هو
بمنزلة القول قال والقول الاول احسن لانه لا شي يدفعه وان العبرة فيه اتم والقدرة
فيه اظهر انتهى قال الزمخشري ومعنى امر السما والارض بالاتيان وامتثالهما انه
اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع
اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى تمثيلا ويجوز ان يكون
تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السما والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك
او ابيتما فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات
لا غير من غير ان يحقق شي من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل
قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني ورا الحجر الذي ورايي
فان قلت لم ذكر السما مع الارض وانتظمها في الامر بالاتيان والارض
مخلوقة قبل السما بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها
بعد خلق السما كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا
عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سما
مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما يقول اتى عمله مرضيا
مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي
اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسما وكون السما
سقفا للارض وينصره قراءة من قرا آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة
اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل
وافقا امري ومشيئتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها
قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير
قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه
طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فان قلت
هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون
قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين
في موضع طائعات نحو قوله ساجدين انتهى وقرا الجمهور ائتيا واتينا من
الاتيان اي ائتيا امري وارادتي وقرا ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا على وزن
افعلا

افعلا قالتا آتينا على وزن افعلنا اي يوتي كذا قال ابن عطية قال وذلك بمعنى اعطيا من
انفسكما من الطاعة ما اردته منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرها وما قدره الله من
اعمالها انتهى وتقدم في كلام الزمخشري انه جعل في هذه القراءة من المواتاة وهي الموافقة
فيكون وزن آتيا فاعلا وآتينا فاعلنا وتقدمه الى ذلك ابو الفضل الرازي قال آتيا
بالمد على فاعلا من المواتاة ومعناه سارعنا على حذف المفعول منه ولا يجوز ان يكون
من الايتا الذي هو الاعطا لبعد حذف مفعوليه انتهى وقرا الاعمش او كرها بضم
الكاف والاصح انه لغة في الاكراه على المعنى لوقوع التخيير بينه وبين الطوع
والاصح كون الكره بالضم معناه المشقة قال ابن عطية وقوله قالتا اراد الفرقتين
المذكورتين جعل السموات سما والارضين ارضا ونحو هذا قال الشاعر
الم يحزنك ان حبال قومي وقومك قد تباينتا انقطاعا
وعبر عنهما بتباينتا انتهى هذا وليس كما ذكر لانه انما تقدم ذكر الارض مفردة
والسما مفردة فحسن التعبير عنهما بالتثنية والبيت هو من وضع الجمع موضع
التثنية كانه قال الم يحزنك ان حبلي قومي وقومك ولذلك ثنى في قوله تباينتا وانث
على معنى الحبل لانه لا يريد بالحبل حقيقته انما يعني به الرحمة والمودة التي كانت بين
قوميهما والظاهر من هذه الاية انه خلق الارض وجعل فيها رواسي وبارك فيها
ثم استوى الى السما بالدخان فسواها سبع سموات فيكون خلق الارض متقدما على خلق السما
ودحو الارض غير خلقها وتاخر عن خلق السما فقد اورد على هذا ان جعل الرواسي فيها
والبركة وتقدير الاقوات لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض مدحوة
وقوله وبارك فيها وقدر فيها اقواتها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها
ولا يمكن ذلك الا بعد صيرورتها منبسطة ثم قال بعد ثم استوى الى السما فاقتضى
خلق السما بعد خلق الارض ودحوها واورد ايضا قوله لهما للسما والارض
ائتيا طوعا او كرها كناية عن ايجادهما فلو سبق ايجاد الارض على ايجاد السما لاقتضى
ايجاد الموجود بامره للارض بالايجاد وهو محال وكذا انتهى هذا الايراد
ونقل الواحدي في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السما قبل الارض وتاول
قوله ثم استوى الى السما وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان كما
قال تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن سرق انتهى وقال
ابو عبد الله الرازي فقيد ثم كان قد استوى جمع بين ضدين لان ثم تقتضي
التاخر وكان تقتضي التقدم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره ضربت زيدا
اليوم ثم ضربته امس فكما ان هذا باطل فكذلك ما ذكره يعني مقاتلا قيل
ثم كان قد استوى قال والمختار عندي ان يقال خلق السما مقدم على خلق
الارض وتاويل الاية ان الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد بدليل
قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فهذا
محال لايجاد الشي الذي وجد بل الخلق عبارة عن التقدير وهو في حقه تعالى حكمه
ان سيوجد وقضاوه بذلك فمعنى خلق الارض في يومين قضاوه
بانه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوثه في الحال فلا يلزم تقدم
احداث الارض على احداث السما انتهى والذي نقوله ان الكفار لما تعجبوا وكفرهم بمن صدر
عنه هذه الاشيا جميعها من غير ترتيب زماني وان ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الزمان والمهلة كانه قال فالذي كفرتم

انه خلق الارض وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها اقواتها ثم اخبركم انه استوى الى السما
فلا تعرض في الاية لترتيب اي ذكر وقع الترتيب الزماني له ولما كان خلق السما ابدع في القدرة
من خلق الارض الف الاخبار فيه بثم فصار كقوله ثم كان من الذين امنوا بعد قوله
فلا اقتحم العقبة ومن ترتيب الاخبار ثم اتينا موسى الكتاب بعد قوله قل تعالوا اتل
ويكون قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا اخبارا بما اخبرته بقصود من خلقهما
على وفق ارادته تعالى لقولك اربك الذي اثنيت عليه فقلت له انك عالم صالح
فهو المقصود بما اثنيت به وتفسير له فكذلك اخبر بانه خلق كيت وكيت فاصور ذلك
ايجاد لم يتخلف عن ارادته ويدل على ان المقصود الاخبار بوقوع هذه الاشيا
من غير ترتيب زماني قوله في الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
الاية ثم قال بعد وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا الاية
فظاهر هذا رفع السموات ثم مد الارض وجعل الرواسي وظاهر الاية التي نحن فيها
جعل الرواسي وتقدير الاقوات قبل الاستواء الى السماء وخلقها ولكن
المقصود في الايتين الاخبار بصدور ذلك منه تعالى من غير تعرض لترتيب زماني
ولما امن ذلك مقصورا على يومين او اربعة او ستة انما المعنى في مقدار ذلك عندكم
لا انه كان وقتا لها لانه لا زمان ثم فقضاهن سبع سموات اي صنعهن واوجدهن
كقول ابي ذويب : وعليهما مسرودتان قضاهما • داود او صنع السوابغ تبع
وعلى هذا انتصب سبع على الحال وقال الحوفي مفعول ثان كانه ضمن قضاهن معنى
صيرهن فعداه الى مفعولين وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرهن مبهما مفسرا
بسبع سموات على التمييز يعني بقوله مبهما ليس عائدا على السماء على المعنى
لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بخلاف الحال والمفعول الثاني فانه عائد
على السما على المعنى واوحى في كل سماء امرها قال مجاهد وقتادة اوحى الى
سكانها وعمرتها من الملائكة واليها هي في نفسها ما شاء تعالى من الامور
التي بها قوامها وصلاحها وقال السدي وقتاده ومن الامور التي هي لغيرها
مثل ما فيها من جبال البرد ونحوها واضاف الامر اليها من حيث هو فيها
وقال الزمخشري امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات
وغير ذلك وحفظا اي وحفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب ويجوز ان
يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا انتهى
ولا حاجة الى هذا التقدير الثاني وتكلفه مع ظهور الاول وسهولته ذلك
اشارة الى جميع ما ذكر اي اوجده بقدرته وعزه وعلمه فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما
ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من
اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة
وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات
لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى
وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون فان اعرضوا التفات

خرج

خرج من ضمير الخطاب في قوله قل ائنكم لتكفرون الى ضمير الغيبة اعراضا عن
خطابهم اذ كانوا قد ذكروا ما يقتضي اقبالهم وايمانهم من الحجج الدالة على الوحدانية
والقدرة الباهرة فقل انذرتكم اي اعلمتكم صاعقة اي حلول صاعقة قال انثية
قتادة عذابا مثل عذاب عاد وثمود وقال الزمخشري عذابا شديد الوقع كانه
صاعقة وقرا الجمهور صاعقة مثل صاعقة وابن الزبير والسلمي والنخعي
وابن محيصن بغير الف فيهما وسكون العين وتقدم تفسيرها في اوائل البقرة
والصعقة المرة يقال صعقته الصاعقة فصعق وهو من باب فعلته
بفتح العين فعل بكسرها نحو خدعته فخدع والمعمولة لصاعقة لان
معناها العذاب من بين ايديهم ومن خلفهم قال ابن عباس اي قبلهم وبعدهم
اي قبل هود وصالح وبعدهما وقيل من ارسل الى ابائهم ومن ارسل اليهم فيكون
من بين ايديهم معناه من قبلهم ومن خلفهم معناه الرسل الذين بحضرتهم
فالضمير في من خلفهم عائد على الرسل قاله الضحاك وتبعه الفراء وحكى عن الطبري
كو من هذا القول وقال ابن عطية من بين ايديهم اي تقدموا في الزمن واتصلت
نذارتهم الى العرب عاد وثمود وبهذا الاتصال قامت الحجة ومن خلفهم اي جاءهم
رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن وجا من مجموع العبارة اقامة الحجة
عليهم في ان الرسالة والنذارة عمتهم خبرا ومباشرة انتهى وهو شرح كلام ابن عباس
وقال الزمخشري من بين ايديهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا
فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي لاتينهم من كل جهة
ولاعملن فيهم كل حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم
من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من
جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري
عليهم انتهى وقال الطبري الضمير في قوله وما خلفهم عائد على الرسل وفي من بين
ايديهم عائد على الامم وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضماير وتعمية
المعنى اذ يصير التقدير جاءتهم الرسل من بين ايديهم وجاءتهم من خلف الرسل
اي من خلف انفسهم وهذا معنى لا يتعقل الا ان كان الضمير يعود في خلفهم
على الرسل لفظا وهو يعود على رسل اخرين معنى فكانه قال جاءتهم الرسل من
بين ايديهم ومن خلف رسل اخرين فيكون كقولهم عندي درهم ونصفه
اي ونصف درهم اخر وهذا فيه بعد وخص بالذكر من الامم الهالكة
عادا وثمود لعلم قريش بحالهما ولوقوفهم على بلادهم في اليمن وفي الحجر
وقال الافوه الاودي • اضحوا كقيل بن عنز في عشيرته • اذ اهلكت بالذي سدى لها عاد •
او بعده كقدار حين تابعه • على الغواية اقوام فقد بادوا •
ان لا تعبدوا يجوز ان تكون ان تفسيرية لان مجي الرسل اليهم يتضمن معنى
القول اي جاءتهم مخاطبة وان تكون مخففة من الثقيلة اي بانه لا تعبدوا
او الناصبة للمضارع ووصلت بالنهي كما توصل بالامر في نحو قوله ان طهرا
وكتبت اليه بان قم ولا في هذه الاوجه للنهي ويجوز على بعد ان تكون
لا نافية وان ناصبة للفعل وقاله الحوفي ولم يذكر غيره وتقول شا عزوف

وتقدير الزمخشري لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل الملائكة انتهى وتتبعت ما جا في القران وكلام العرب
من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفا الا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ولو شا
الله لجمعهم على الهدى اي لو شا جمعهم على الهدى لجمعهم عليه وكذلك لو نشا لجعلناه حطاما
لو نشا جعلناه اجاجا ولو شا ربك لامن ولو شا ربك ما فعلوه ولو شا الله ما عبدنا
من دونه من شي قال الشاعر ° فلو شا ربي كنت قيس بن خالد °
ولو شا ربي كنت عمرو بن مرثد ° وقال الراجز ° واللذ لو شا لكنت صخرا او جبلا
اشم مشمخرا ° فعلى هذا الذي تقرر لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري
وانما التقدير لو شا ربنا انزال ملائكة بالرسالة منه الى الانس لانزلهم بها اليهم وهذا
ابلغ في الامتناع من ارسال البشر اذ علقوا ذلك بانزال الملائكة وهو لم يشا ذلك
فكيف يشا ذلك في البشر فانا بما ارسلتم به كافرون خطاب لهود وصالح ومن دعا من
الانبيا الى الايمان وغلب الخطاب على الغيبة نحو قولك انت وزيد تقومان
وما مصدرية اي بارسالكم وبه توكيد كانه كرر المصدر ويجوز ان تكون ما بمعنى
الذي والضمير في به عايد عليه واذا كفروا بما تضمنه الارسال لان كفروا بالارسال
وليس قولهم بما ارسلتم اقرارا بالارسال بل هو على سبيل التهكم اي بما ارسلتم على
زعمكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ولما بين تعالى كفر
عاد وثمود على الاجمال فصل بعد ذلك فذكر خاصية كل واحدة من الطايفتين
فقال فاما عاد فاستكبروا اي تعاظموا عن امتثال امر الله وعما جاتهم به الرسل
بغير الحق اي بغير ما يستحقون ولما ذكر لهم هذا الذنب العظيم وهو الاستكبار
وكان فعلا قلبيا ذكر ما ظهر عليهم من الفعل اللساني المعرب عما في القلب فقالوا
من اشد منا قوة اي لا احد اشد منا وذلك لما اعطاهم الله من عظم الخلق وشدة
البطش فرد الله تعالى عليهم بان الذي اعطاهم ذلك هو اشد منهم قوة عليهم
بايات الله كانوا يجحدون وهذا لا يعترفون بها كما يجحد المودع الوديعة من طالبها
مع معرفته بها ولفظة كان في كثير من الافعال تشعر بالمداومة وعبر بالقوة
عن القدرة فكما يقال الله اقدر منهم يقال الله اقوى منهم فالقدرة والقوة بينهما
قدر مشترك وان تباينت الحقيقتان بما لكل منهما من الخاصية كما يوصف الله تعالى
بالعلم ويوصف الانسان بالعلم ثم ذكر تعالى ما اصاب به عادا فقال فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في الحديث ان الله تعالى امر خزنة الريح ففتحوا عليهم قدر حلقة الخاتم
ولو فتحوا قدر منخر الثور لهلكت الدنيا وروي انها كانت تحمل العير باوقارها
فترميهم في البحر والصرصر قال مجاهد شديدة السموم وقال ابن عباس والضحاك
وقتادة والسدي من الصر اي باردة وقال السدي ايضا وابو عبيدة وابن
قتيبة والطبري وجماعة مصوتة من صرصر وقال ابن السكيت صرصر يجوز
ان يكون من الصر وهي الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة وصرصر نهر بالعراق
وقرا الحرميان وابو عمرو والنخعي وعيسى والاعرج نحسات بسكون الحا فاحتمل ان
يكون مصدرا وصف به وتارة يضاف اليه واحتمل ان يكون مخففا من فعل وقال
الطبري نحس ونحس نعت وقال الزمخشري مخفف نحس او صفة على فعل او وصف
بمصدر انتهى وتتبعت ما ذكره التصريفيون مما جا صفة من فعل اللازم فلم
يذكروا فيه فعلا بسكون العين انما ذكروا انه ياتي على فعل نحو فرح وهو فرح وعلى افعل
نحو حوي فهو احوى وعمي فهو اعمى وعلى فعلان نحو شبع فهو شبعان وقد يجي على فاعل نحو سلم فهو
سالم

سالم وبلي فهو بال ° وقرا قتادة وابو رجا والجحدري وشيبة وابو جعفر والاعمش
ويأتي في السبعة بكسر الحا وهو القياس وفعله نحس على فعل بكسر العين ونحسات صفة للايام
جمع بالالف والتا لانه جمع صفة لما لا يعقل قال مجاهد وقتادة والسدي مشايم من
النحس المعروف وقال الضحاك شديدة البرد حتى كان البرد عذابا لهم وانشد الاصمعي
في النحس المعروف وقال الضحاك شديدة البرد حتى كان البرد عذابا لهم وانشد الاصمعي
في النحس بمعنى البرد ° كان سلافة عرضت بنحس ° يحيل شفيفها الما الزلالا °
وقيل سميت بذلك لانها ذات غبار ومنه قول الراجز ° قد اغتدي قبل طلوع الشمس
للصيد في يوم قليل النحس ° يريد قليل الغبار وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة متتابعات
كانت اخر شوال من اربعا الى اربعا وقال السدي اولها غداة يوم الاحد وقال الربيع
ابن انس يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام يوم الاربعا لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا وهو الهلاك ° وقرى لتذيقهم بالتا وقال الزمخشري على ان الاذاقة
للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي اضافة الموصوف الى صفته لايات
بلفظة اخرى التي تقتضي المشاركة والتفضيل في قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو اسناد
مجازي او وصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى تفاوت ما بين قولك
هو شاعر وقولك له شعر شاعر وقابل استكبارهم بعذاب الخزي وهو الذل والهوان
وبدا بقصة عاد لانها اقدم زمانا ثم ذكر ثمود فقال واما ثمود وقرا الجمهور بالرفع
ممنوع الصرف وابن وثاب والاعمش في ثمود بالتنوين في جميع القران الا قوله
واتينا ثمود الناقة في جميع القران الا قوله واتينا ثمود الناقة لانه في المصحف
بغير الف وقرا ثمود بالنصب ممنوع الصرف الحسن وابن ابي اسحاق وابن هرمز
بخلاف عنه والمفضل قال ابن عطية والاعمش وعاصم قال وروي عن ابن عباس وابن
ابي اسحاق والاعمش ثمودا منونة منصوبة وروى المفضل عن عاصم الوجهين انتهى
فهديناهم قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد بينا لهم قال ابن عطية
وليس الهدى هنا بمعنى الارشاد وقال الزمخشري فهديناهم فدللناهم
على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى
فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى هديته
حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية
وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت
للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا علة فكان حصل البغية
فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال سفيان
دعوناهم وقال ابن زيد اعلمناهم الهدى من الضلال وقال ابن عطية فاستحبوا
عبارة عن تكسبهم في العمى والا فهو بالاختراع بالله وبذلك على انها اشارة الى
تكسبهم قوله بما كانوا يكسبون انتهى والهون الهوان وصف العذاب بالمصدر
او ابدل منه وقرا ابن مقسم عذاب الهوان بفتح الها والف بعد الواو وقال
الزمخشري ولو لم يكن في القران حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة
بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة انتهى على عادته
في سب اهل السنة ثم ذكر قريبا نجا من امن واتقى قيل وكان من نجا من
المومنين ممن استجاب هود وصالح ماية وعشرة انفس
ويوم نحشر اعدا الله

الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا
فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرنا
فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت
من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار
لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا
ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من
الاسفلين لما بين تعالى كيفية عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه بكيفية
عقوبة الكفار اولئك وغيرهم وانتصب يوم باذكر وقرا الجمهور مبنيا للمفعول
واعدا رفعا وزيد بن علي ونافع والاعرج واهل المدينة بالنون اعدا الله
الكفار نصبا وكسر العين الاعرج وتقدم معنى يوزعون في النمل وحتى غاية ليحشر واعدا
الله هم الكفار من الاولين والاخرين وما بعد اذا زايدة للتاكيد وقال الزمخشري
ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان تكون وقت الشهادة
عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت
وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به انتهى ولا ادري معنى زيادة ما بعد
اذا التوكيد ما ذكر ولا النحو ما ذكر وهذا الذي ذكره من معنى التوكيد فيها لو كان
التركيب بغير ما كان بلا شك حصول الجواب عند حصول الشرط من غير تاخر لان
اداة الشرط ظرف فالشهادة واقعة فيه لا محالة وفي الكلام حذف التقدير حتى اذا
ما جاوها اي النار وسيلوا عما اجرموا فانكروا شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما اكتسبوا من الجرايم وكانوا حسبوا ان لا شاهد عليهم وفي الحديث
ان اول ما ينطق من الانسان فخذه اليسرى ثم تنطق الجوارح فتقول تبا لك
وعنك كنت اناضل ولما كانت الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق
واللمس وكان الذوق مندرجا في اللمس اذ بمماسة جلدة اللسان والحنك
للمذوق يحصل ادراك المذوق وكان حس الشم ليس فيه تكليف ولا امر ولا
نهي وهو ضعيف اقتصر من الحواس على السمع والبصر واللمس اذ هذه هي التي
جا فيها التكليف ولم يذكر حاسة الشم لانه لا تكليف فيها فهذه والله اعلم
حكمة الاقتصار على هذه الثلاثة والظاهر ان الجلود هي المعروفة وقيل
هي الجوارح كنى بها عنها وقيل كنى بها عن الفروج قيل وعليه اكثر المفسرين
منهم ابن عباس كما كنى عن النكاح بالسر بما كانوا يعملون من الجرايم ثم سالوا
جلودهم عن سبب شهادتها عليهم فلم تذكر سببا غير ان الله تعالى انطقها ولما صدر
منها ما صدر من العقلا وهي الشهادة خاطبوها بقولهم لم شهدتم مخاطبة
العقلا وقرا زيد بن علي لم شهدتن بضمير المونثات وكل شي لا يراد به
العموم بل المعنى كل ناطق مما ذلك له عادة او كان ذلك فيه خرق عادة

وقال

وقال الزمخشري اراد بكل شي كل شي من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شي قدير من المقدورات
والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم
وانشايكم وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزايه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من
شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وقال الزمخشري ايضا فان
قلت كيف تشهد عليهم اعضاوهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها
كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما انتهى وهذا الرجل مولع بمذهبه الاعتزالي
يدخله في كل ما يقدر انه يدخل وانما اشار بقوله كما انطق الشجرة بان يخلق فيها
كلاما الى ان الله لم يكلم موسى حقيقة وانما الشجرة هي التي سمع منها الكلام بان
يخلق الله فيها كلاما خاطبته به عن الله تعالى والظاهر ان قوله وما كنتم
تستترون من كلام الجوارح قيل ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى توبيخا لهم او
من كلام ملك بامره تعالى وان يشهد يحتمل ان يكون معناه خيفة ان يشهد اي لاجل
ان يشهد اذ كنتم غير عالمين بانها تشهد ولكن ظننتم ان الله لا يعلم فانهمكتم وجاهرتم
والى هذا نحا مجاهد والستر ياتي في هذا المعنى كما قال الشاعر

والستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

ويحتمل ان يكون معناه عن ان يشهد اي وما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاختفا عن
اعضايكم والاستتار منها بكفركم ومعاصيكم ولا تظنون انها تصل بكم الى هذا
الحد من الشهادة عليكم والى هذا نحا السدي او وما كنتم تتوقعون بالاختفا
والستر ان تشهد عليكم لان الجوارح لزيمة لكم وعبر قتادة عن تستترون بتظنون
اي وما كنتم تظنون ان تشهد وهذا تفسير من حيث المعنى لا من حيث مرادفة
اللفظ للفظ ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا وهو الخفيات من اعمالكم وهذا
الظن كفر وجهل بالله وسو معتقد يودي الى تكذيب الرسل والشك في علم الله
وذلكم اشارة الى ظنهم ان الله لا يعلم كثيرا من اعمالهم وهو مبتدا خبره ارداكم
وظنكم بدل من ذلكم اي وظنكم بربكم ذلكم اهلككم وقال الزمخشري وظنكم
وارداكم خبران وقال ابن عطية ارداكم يصلح ان يكون خبرا بعد خبر انتهى ولا يصح
ان يكون ظنكم بربكم خبرا لان قوله وذلكم اشارة الى ظنهم السابق فيصير
التقدير وظنكم بان ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدا
وهو لا يجوز وصار نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها وقال
ابن عطية وجوز الكوفيون ان يكون معنى ارداكم في موضع الحال والبصريون
لا يجيزون وقوع الماضي حالا الا اذا اقترن بقد وقد يجوز تقديرها عندهم
ان لم يظهر انتهى وقد اجاز الاخفش من البصريين وقوع الماضي حالا بغير
تقدير قد وهو الصحيح اذ كثر ذلك في لسان العرب كثرة توجب القياس
ويبعد فيها التاويل وقد ذكرنا كثرة الشواهد على ذلك في كتابنا
المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل فان يصبروا خطاب للنبي عليه
السلام قيل وفي الكلام حذف تقديره او لا تصبروا كقوله اصبروا او لا تصبروا
عليكم وذلك في يوم القيامة وقيل التقدير فان يصبروا على ترك دينك
واتباع اهوايهم فالنار مثوى لهم اي مكان اقامة وقرا الجمهور وان

يستمعوا مبنيا للفاعل فاهم من المعتبين اسم مفعول وقال الضحاك ان يعتذروا فما هم من المعذورين
وقيل وان طلبوا العتبى وهي الرضى فما هم ممن يعطاها ولا يوجبها **وقرا الحسن**
وعمرو بن عبيد وموسى الاسواري وان يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين
اسم فاعل اي طلب منهم ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون ولا يكون ذلك لانهم قد فارقوا
الدنيا دار الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم ليس بعد الموت مستعتب **وقال ابو ذويب**

امن المنون وريبه تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

ويحتمل ان تكون هذه القراة معناها ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما ذكر تعالى الوعيد
الشديد في الدنيا والاخرة على كفر اولئك الكفرة اردف بذكر السبب الذي اوقعهم
في الكفر فقال وقيضنا لهم قرنا اي سببنا لهم من حيث لم يحتسبوا وقيل سلطنا
ووكلنا عليهم وقيل قدرنا لهم وقرنا جمع قرين اي قرنا سوء من غواة الجن والانس
فزينوا لهم اي حسنوا وقرروا في انفسهم ما بين ايديهم قال ابن عباس من امر الاخرة
انه لا جنة ولا نار ولا بعث وما خلفهم قال من امر الدنيا من الضلالة والكفر ولذات
الدنيا وقال الكلبي ما بين ايديهم اعمالهم التي يشاهدونها وما خلفهم ما هم
عاملوه في المستقبل وقال ابن عطية ما بين ايديهم من معتقدات السوء في الرسل
والنبوات ومدح عبادة الاصنام واتباع فعل الابا وما خلفهم ما ياتي بعدهم من امر القيامة
والمعاد انتهى ملخصا وهو شرح قول الحسن قال ما بين ايديهم من امر الدنيا وما خلفهم
من امر الاخرة وقال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرنا من
الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق
لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرنا سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض انتهى وهو على طريقة الاعتزال وحق عليهم القول اي كلمة العذاب
وهو القضا الحتم انهم معذبون في امم اي في جملة امم وهذا كقول الشاعر

ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا

اي فانت في جملة اخرين وانت في عداد اخرين لست في ذلك باوحد وقيل
في بمعنى مع ولا حاجة للتضمين مع صحة معنى في وفي امم في موضع نصب على الحال
اي كاينين في جملة امم والحال الضمير في عليهم انهم كانوا خاسرين الضمير لهم وللامم
وهذا تعليل لاستحقاقهم العذاب وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه اذا تلاه محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو العالية قعوا فيه
وعيبوه وقال غيره كان الرسول عليه السلام اذا قرا في المسجد اصغى اليه الناس
من مومن وكافر فخشي الكفار استمالة القلوب بذلك فقال متى قرا محمد صلى
الله عليه وسلم فلنتعاط نحن باللغط والصفير والصياح وانشاد الشعر والارجاز حتى
يخفى صوته وهذا الفعل هو اللغو وقرا الجمهور والغوا بفتح الغين مضارع لغي
بكسرها وبكر بن حبيب السهمي كذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب اللوامح واما في كتاب ابن خالويه
فعبد الله بن بكر السهمي وقتادة وابو حيوة والزعفراني وابن ابي اسحاق وعيسى
بخلاف عنهما بضم الغين مضارع لغا بفتحها وهما لغتان اي ادخلوا
فيه اللغو وهو اختلاف القول بما لا فائدة فيه وقال الاخفش يقال لغي يلغى
والثانية من يلغو وقال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون الفتح من لغي بالشي
يلغى به اذا رمى به فيكون فيه بمعنى به اي ارموا به وانبذوه لعلكم تغلبون

لويه

اي يطمسون امره ويميتون ذكره فلنذيقن الذين كفروا وعيد شديد لقريش والعذاب
الشديد في الدنيا كوقعة بدر وغيرها ولنجزينهم اسوا يوم القيامة اقسم تعالى على الجملتين
وشمل الذين كفروا القايلين والمخاطبين في قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا ذلك
اي جزاوهم في الاخرة والنار بدل او خبر مبتدا محذوف وجوزوا ان يكون ذلك
مبتدا محذوف اي الامر ذلك وجزا مبتدا والنار خبر لهم فيها دار الخلد اي في النار قيل
فيها والمعنى انها دار الخلد كما قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والرسول
نفسه هو الاسوة **وقال الشاعر** وفي الله ان لم ينصفوا حكم عدل والمعنى
ان الله هو الحكم العدل ومجاز ذلك انه قد يجعل الشي ظرفا لنفسه باعتبار متعلقه على سبيل
المبالغة فكان ذلك المتعلق صار الشي مستقرا له وهو ابلغ من نسبة ذلك المتعلق اليه على سبيل
الاخبار به عنه جزا بما كانوا باياتنا يجحدون قال الزمخشري ان جزا بما كانوا يلغون فيها
فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو ولما راى الكفار عظم ما حل بهم من عذاب النار سالوا
من الله تعالى ان يريهم من كان سبب اغوايهم واضلالهم والظاهر ان الذين يراد بهما الجنس
اي كل مغو من هذين النوعين وعن علي وقتادة انهما ابليس وقابيل ابليس سن الكفر
وقابيل سن القتل بغير حق ولا يصح هذا القول عن علي وقابيل مومن عاص
وانما طلبوا المضلين بالكفر المودي الى الخلود وقد اصلح هذا القول بان قال طلب قابيل كل عاص
من اهل الكباير وطلب ابليس كل كافر ولفظ الاية ينبو عن هذا القول وعن اصلاحه وتقدم
الخلاف في قراة ارنا في قوله وارنا مناسكنا وقال الزمخشري حكوا عن الخليل انك اذا قلت
ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطا معناه اعطني ثوبك
ونظيره اشتهار الايتا في معنى الاعطا واصله الاحضار انتهى نجعلهما تحت اقدامنا يريدون
في اسفل طبقة من النار وهي اشد عذابا وهو الدرك الاسفل وشدد النون في اللذين واللتين
وهذين وهاتين حالة كونهما بالياء الاخوة النحويون والقراة بذلك في السبعة حجة عليهم

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياوكم في الحياة
الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا
من غفور رحيم ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من
المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيية ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن
اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله
الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسامون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا
عليها الما اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير قال ابن
عباس نزلت في الصديق قال المشركون ربنا الله والملايكة بناته وهولا شفعاونا عنده واليهود
ربنا الله والعزير ابنه ومحمد ليس بنبي فلم يستقيما والصديق قال ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد
عبده ورسوله فاستقام ولما ذكر تعالى وعيد الكفار اردفه بوعد المومنين وليس
المراد التلفظ بالقول فقط بل لا بد من الاعتقاد المطابق للقول اللساني دينا وهو الذي
هو الممكن في الاسلام وهو العلم بربوبية الله ثم اتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة وقد سيل

بن عبد الله الثقفي قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت
ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا وعن الصديق ثم
استقاموا على التوحيد لم يضطرب ايمانهم وعن عمر استقاموا لله بطاعته لم يروغوا روغان
الثعالب وعن عثمان اخلصوا العمل وعن علي ادوا الفرايض وقال ابو العالية والسدي استقاموا
على الاخلاص والعمل الى الموت وقال الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الفضيل زهدوا
في الفانية ورغبوا في الباقية وقال الربيع اعرضوا عما سوى الله تعالى وقيل استقاموا
فعلا كما استقاموا قولا وعن الحسن وقتادة وجماعة استقاموا بالطاعات واجتنا ب
المعاصي قال الزمخشري وثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان
الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق
رضي الله عنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشد
قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان انتهى تتنزل عليهم الملائكة
قال مجاهد والسدي عند الموت وقال مقاتل عند البعث وقيل عند الموت
وفي القبر وعند البعث وان ناصبة للمضارع اي بانتفاء خوفكم وحزنكم
قال معناه الحوفي وابو البقاء وقال الزمخشري بمعنى اي او المخففة من الثقيلة
واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان انتهى وعلى هذين التقديرين يكون
الفعل مجزوما بلا الناهية وهذه امدادات عامة في كل هم مستانف وتسلية
تامة عن كل فايت ماض وكذلك قال مجاهد لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم من دنياكم وقال عطا بن ابي رباح لا تخافوا رد ثوابكم فانه مقبول ولا
تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وفي قراءة عبد الله لا تخافوا باسقاط ان اي
تتنزل عليهم الملائكة قايلين لا تخافوا ولا تحزنوا ولما كان الخوف مما يتوقع
من المكروه اعظم من الحزن على الفايت تقدمه ثم لما وقع الامن لهم بشروا
بما يؤولون اليه من دخول الجنة فحصل لهم الامن التام والسرور العظيم بما
يستقبلونه من الخير نحن اولياؤكم الظاهر انه من كلام الملائكة اي يقولون
له وفي قراءة عبد الله يكون من جملة المقول قيل اي نحن كنا اولياءكم في
الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة لما كان اولياء الكفار قرناءهم وهم من الشياطين
كان اولياء المومنين الملائكة وقال السدي نحن حفظتكم في الدنيا واولياؤكم
في الاخرة وقيل نحن اولياؤكم من كلام الله تعالى اي وليكم بالكفاية والهداية
ولكم فيها الضمير عايد على الاخرة قاله ابن عطية وقال الحوفي على الجنة ما
تشتهي انفسكم من الملاذ ولكم فيها ما تدعون قال مقاتل ما تتمنون
وقيل ما تريدون وقال ابن عيسى ما تدعي انه لك فهو لك بحكم ربك قال ابن عطية
ما تطلبون نزلا من غفور رحيم النزل الرزق المعد للنزيل وهو الضيف قال معناه
ابن عطا فيكون نزلا حالا اي تنزلا تعطون ذلك في حال كونه نزلا من الله وقال
ابن عطية نزلا نصب على المصدر والمفعول ان مصدر نزل انزل ولا انزل لا وجعله
بعضهم مصدر الانزال وقيل نزل جمع نازل كشارف وشرف فينتصب على الحال
اي نازلين وذا الحال الضمير المرفوع في يدعون وقال الحسن معنى نزلا منا وقيل
ثوابا وقرا ابو حيوة نزلا باسكان الزاي ولما تقدم الكلام في قوله تعالى

ان الذين

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ذكر من دعا الى ذلك فقال ومن احسن قولا اي لا احد احسن
قولا ممن يدعو الى توحيد الله ويعمل العمل الصالح ويصرح انه من المسلمين لامر الله
المنقادين له والظاهر العموم في كل داع الى الله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل
وجماعة وقيل بالخصوص وقال ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة وعنه ايضا هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت عايشة وقيس بن ابي حازم وعكرمة ومجاهد نزلت في
المؤذنين وينبغي ان يتاول قولهم على انهم داخلون في الاية والا فالسورة بكمالها مكية
بلا خلاف ولم يكن الاذان بمكة انما شرع بالمدينة والدعا الى الله يكون بالدعا الى الاسلام
وبجهاد الكفرة وكف الظلمة وقال زيد بن علي دعا الى الله بالسيف وهذا والله
اعلم هو الذي حمله على الخروج بالسيف على بعض الظلمة من ملوك بني امية وكان زيد
هذا عالما بكتاب الله وقد وقفت على جملة من تفسيره لكتاب الله والقايه اياه
على بعض النقلة عنه وهو في حبس هشام بن عبد الملك فيه من العلم والاستشهاد
بكلام العرب حظ وافر وقد قيل انه كان اذا تناظر هو واخوه محمد الباقر اجتمع
الناس بالمحابر يكتبون ما يصدر عنهما من العلم رحمهما الله ورضي عنهما وقال ابو
امامة وعمل صالحا صلى بين الاذان والاقامة وقال عكرمة صلى وصام وقال الكلبي
ادى الفرايض قال مجاهد هي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاثة ان يكون
موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين
العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله انتهى ويعني بذلك
المعتزلة يسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد وفي اشعارهم كما قال ابن
ابي الحديد المعتزلي صاحب كتاب الفلك الداير في الرد على كتاب المثل السائر
قال من كلمة انشدناها عنه الامام الحافظ شرف الدين عبد المومن بن خلف
الدمياطي رحمه الله لولا ثلاث لم اخف صرعتي ليست كما قال فتى العبد

ان انصر التوحيد والعدل في كل مقام باذلا جهدي
وان اناجي الله مستمتعا بخلوة احلى من الشهد
وان اتيه الدهر كبرا على كل لئيم اصعر الخد
لذاك اهوى لا فتاة ولا خمر ولا ذي سبية نهد

وقال [illegible] يتكلم بهذا الاجعل الاسلام يعتقده كما تقول هذا
قول انا فهي اي مذهبه وقرا ابن ابي عبلة وابراهيم بن نوح عن قتيبة الميال وقال
انني بنون مشددة واحدة والجمهور انني بها وبنون الوقاية وقال ابو بكر بن العربي
لم يشترط الا ان شاء الله ففيه رد على من يقول انا مسلم ان شاء الله ولما ذكر تعالى
انه لا احد احسن ممن دعا الى الله ذكر ما يترتب على ذلك من حسن الاخلاق وان
الداعي الى الله قد يجافيه المدعو فينبغي ان يرفق به ويتلطف في ايصال الخير اليه
قيل ونزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا للرسول صلى الله عليه وسلم فصار
وليا مصافيا وقال ابن عباس الحسنة لا اله الا الله والسيئة الشرك وقال
الكلبي الدعوتان اليهما وقال الضحاك الحلم والفحش وعن علي حب الرسول واله
وبغضهم وقيل الصبر والنفور وقيل المداراة والغلظة وقيل العفو والانتقام
وهذه امثلة للحسنة والسيئة لا على طريق الحصر ولما تفاوتت الحسنة والسيئة

امرك بدفع السيئة بالاحسن وذلك مبالغة ولم يقل ادفع بالحسنة السيئة لانه من هان عليه الدفع بالاحسن هان عليه الدفع بالحسن اي واذا فعلت ذلك اذ الذي بينك وبينه عداوة صار لك كانه ولي حميم تقارب الى الصداقة ولا في قوله ولا السيئة زايدة للتوكيد كهي في قوله ولا الظل ولا الحرور ولان استوى لا يكتفي بمفرد فانه اصدق الحسنة والسيئة جنسا ولم يكن مرادا بهما كونها في الوجه مثل كهذا او يصير العبد ولا تستوي الحسنات اي هي متفاوتات في انفسها ولا السيئات لتفاوتها ايضا قال بن عطية دخلت كان للتشبيه لان الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما وانما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم وعن بن عباس بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وقال مجاهد وعطا السلام عند اللقا انتهى اي هو مبدا الدفع بالاحسن لانه محصور فيه وعن مجاهد ايضا اعرض عن اذاهم وقال ابو فراس الحمداني

يجني علي واحنو صافحا ابدا لا شي احسن من حان على جان

وما يلقاها الضمير عائد على الفعلة والخصلة التي هي الدفع بالاحسن وقرا طلحة بن مصرف وابن كثير في رواية وما يلاقاها من الملاقاة وقرا الجمهور من التلقي وكان هذه الخصلة الزكية غالية فما يصادفها ويلقيها الا من كان صابرا على الطاعات عازفا عن الشهوات ذا حظ عظيم من خصال الخير قاله بن عباس فيكون مدحا او ذو حظ عظيم من ثواب الاخرة قاله قتادة فيكون وعدا وقيل الاول وعقل وقيل ذو حظ وطوعى ذكر وما يلقاها تاكيدا لهذه الفعلة الجميلة الجليلة وقيل الضمير في يلقاها عائد على الجنة وحكى مكي وما يلقاها اي شهادة ان لا اله الا الله وفيه بعد ولما امر تعالى بدفع السيئة بالاحسن كان قد يعرض للعاقل في بعض الاوقات مقابلة من اساء بالسيئة فامره ان عرض له ذلك ان يستعيذ بالله فان ذلك من نزغ الشيطان وتقدم تفسير نظير هذه الاية في اواخر الاعراف ولما بين تعالى احسن الاعمال والاقوال وهو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلائل العلوية والسفلية وعلى قدرته الباهرة وحكمته البالغة ووحدته الناطقة فبدا بذكر الفلكيات بالليل والنهار وقدم ذكر الليل قبل تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود وناسب ذكر الشمس بعد النهار لانها سبب تنويره وظهور للعالم فيه لانها ابلغ في التنوير من القمر ولان القمر انما يقولون مستفاد نوره من نور الشمس ثم نهى تعالى عن السجود لهما وامر بالسجود للخالق تعالى وكان ناس يعبدون الشمس كما جا في قصة بلقيس وتوهموا القمر في خلقهن عائد على الليل والنهار والشمس والقمر قال الزمخشري لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن انتهى يريد ما لا يعقل من الذكور كما ينبغي ان تفرق بين جمع القلة من ذلك فان الافصح ان يكون كضمير الواحدة تقول الاجذاع انكسرت على الافصح والجذوع انكسرن على الافصح والذي تقدم في الاية ليس بجمع قلة اعني بلفظ واحد ولكنه ذكر اربعة متعاطفة تنزلت منزلة الجمع المعبر به عنها بلفظ واحد وقال الزمخشري او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل خلقهن انتهى يعني ان الليل والنهار والشمس والقمر ايات من اياته فعاد الضمير على ايات الجمع القلة في المجرور وقيل يعود على الايات المتقدم ذكرها وقيل على الشمس والقمر والاثنان جمع

ما لا

ما لا يعقل يونث ومن حيث يقال شموس واقمار لاختلافهما بالايام والليالي ساغ ان يعود الضمير مجموعا ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم موحدين غير مشركين والسجدة عند الشافعي عند قوله تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة عند قوله لا يسامون لانها تمام المعنى وفي التحرير كان علي وابن مسعود يسجدان عند تعبدون وقال ابن وهب والشافعي عند يسامون وبه قال ابو حنيفة وسجد عندها ابن عباس وابن عمر وابو وايل وبكر بن عبد الله وكذلك روي عن مسروق والسلمي والنخعي وابي صالح وابن وثاب والحسن وابن سيرين انتهى ملخصا فان استكبروا اي تعاظموا عن اجتناب ما نهيت عنه من السجود لهذين المخلوقين المربوبين وامتثال ما امرت به من السجود للخالق لهن فان الملايكة الذين هم عند ربك بالمكانة والمرتبة الزلفية ينزهونه عما لا يليق بكبريائه وهم لا يسامون اي لا يملون ذلك والله غني عنكم مع انه تعالى غني عن عبادتكم وعبادتهم ولما ذكر شيا من الدلايل العلوية ذكر شيا من الدلايل السفلية فقال ومن اياته انك ترى الارض خاشعة اي غبراء دارسة كما قال ونؤي كجذم الحوض اثلم خاشع استعير الخشوع لها وهو التذلل لما ظهر بها من القحط وعدم النبات وسقوط الورق عنها بخلاف ان تكون معشبة واشجارها مورقة ومثمرة فذلك هو حياتها وقال السدي خاشعة ميتة يابسة وتقدم الكلام على قوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تفسيرا وقراءة في اوائل سورة الحج ان الذي احياها بالنبات لمحيي الموتى برد الارواح الى الاجساد انه على كل شي قدير لا يعجزه شي تعلقت به ارادته ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد لما بين تعالى ان الدعا الى دين الله اعظم القربات وانه يحصل ذلك بذكر دلائل التوحيد والعدل والبعث عاد الى تهديد من ينازع في تلك الايات ويجادل فقال ان الذين يلحدون في اياتنا وتقدم الكلام في الالحاد في قوله وذروا الذين يلحدون في اسمائه وذكر تعالى انهم لا يخفون عليه وفي ذلك تهديد لهم وقال قتادة هنا الالحاد التكذيب ومجاهد المكاء والصفير واللغو وقال ابن عباس وضع الكلام غير موضعه وقال ابو مالك يميلون عن اياتنا وقال السدي يعاندون رسلنا فيما جاءوا به من الايات والبينات ثم استفهم تقريرا افمن يلقى في النار بالحارة في اياتنا خير امن ياتي امنا ولا اشتراك

بعد الالقا في النار والاتيان آمنا لكنه كما قلنا استفهام تقرير كما ينور المنازل حصة على وجهين
احدهما فاسد بر صوان يقع في الفاسد فيتضح جهله وينبه بقوله يلقى في النار على
سوء الاخر وهو الجنة وبقوله امنا على خوف الكافر وطول وجله وهذه الاية قال
ابن بحر عامة في كل كافر ومومن وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وعثمان بن عفان
وقيل فيه وفي عمار بن ياسر وقيل فيه وفي عمر وقيل ابو جهل وحمزة بن عبد المطلب
وقال الكلبي ابو جهل والرسول صلى الله عليه وسلم ولما تقدم ذكر الالحاد ناسب
ان يتصل به من التهديد من اتصف به ولم يبين التركيب افمن يأتي امنا يوم
القيامة كمن يلقى في النار كما قدم ما يشبهه في قولنا امن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى وكما جا في سورة القتال افمن كان على بينة من ربه
كمن زين له سوء عمله اعملوا ما شيتم وعيد وتهديد بصيغة الامر ولذا جا انه
بما تعملون بصير فيجازيكم بما تعملون ان الذين كفروا بالذكر لما جاهم هم قريش
ومن تابعهم من الكفار غيرهم والذكر القران هو باجماع وخبر ان اختلفوا انه
امذكور هو او محذوف فقيل مذكور وهو قوله اوليك ينادون من مكان
بعيد وهو قول ابي عمرو بن العلا في حكاية جرت بينه وبين بلال بن ابي
بردة سيل بلال في مجلسه عن هذا فقال لم اجد لها نفاذا فقال له ابو عمرو انه
منك لقريب اوليك ينادون وقاله الحوفي ويرد على هذا القول كثرة الفصل
وانه ذكر هناك من تكون الاشارة اليهم وهو قوله والذين في قلوبهم عمى
اوليك ينادون وقيل محذوف وخبر ان محذوف لفهم المعنى وسال عيسى بن
عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو معناه في التفسير ان الذين كفروا بالذكر
لما جاهم كفروا به وانه لكتاب فقال عيسى اجدت يا ابا عثمان وقدر قوم تقديره
معاندون او هالكون وقال الكسائي قد سد مسده ما تقدم من الكلام قبل
ان وهو قوله افمن يلقى في النار انتهى كانه يريد دل عليه ما قبله فيمكن
ان يقدر يخلدون في النار وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله
ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون
في اياتنا انتهى ولم يتعرض لخبر ان ابمذكور هو او محذوف لكن
يترشح من كلامه هذا انه عنده محذوف بطريق الاشارة اليه لانه ادعى ان
قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاهم لا يخفون علينا وقال ابن عطية
والذي يحسن في هذا هو اضمار الخبر بعد حكيم حميد وهو اشد اظهارا لمذمة
الكفار به لان قوله وانه لكتاب عزيز داخل في صفة الذكر المكذب به فلم يتم
ذكر الخبر عنه الا بعد استيفا وصفه انتهى وهو كلام حسن والذي اذهب
اليه ان الخبر مذكور لكنه حذف منه عايد يعود على اسم ان وذلك في قوله
لا ياتيه الباطل اي الباطل منهم اي الكافرون به وقاله هذه لا ياتيه
باطلهم اي متى راموا فيه ان يكون ليس حقا ثابتا من عند الله وابطالا
له لم يصلوا اليه او يكون ال عوضا من الضمير على قول الكوفيين اي لا ياتيه
باطلهم او يكون الخبر قوله ما يقال لك اي في شانهم او في شانهم الا ما قد قيل
للرسل من قبلك اي اوحي اليك في شان هولا الملحدين لك وما جنيت
مثل ما اوحي الى من قبلك من الرسل وهو انهم عاقبتهم سيئة في الدنيا

بالهلاك

بالهلاك وفي الاخرة بالعذاب الدائم وغاية ما في هذين التوجيهين حذف الضمير العايد
على اسم ان وهو موجود نحو قوله السمن منوان بدرهم اي منوان منه والبر الكر بدرهم
اي كر منه وعن بعض نحاة الكوفة الخبر في قوله وانه لكتاب عزيز وهذا لا يتعقل
وانه لكتاب عزيز جملة حالية كما تقول جا زيد وان يده على راسه اي كفروا به
وهذه حاله وعزته كونه عديم النظير لما احتوى عليه من الاعجاز الذي لا يوجد
في غيره من الكتب او غالب ناسخ لسائر الكتب والشرايع وقال ابن عباس عزيز
كريم على الله تعالى وقال مقاتل ممتنع من الشيطان وقال السدي غير مخلوق
وقيل وصف بالعزة لانه لصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والازرا عليه وهو محفوظ
من الله لا ياتيه الباطل من جعل خبر ان محذوفا او قوله اوليك ينادون كانت
هذه الجملة في موضع الصفة وعلى ما اخترناه من احد الوجهين يكون الجملة في
موضع خبر ان والمعنى ان الباطل لا يتطرق اليه من بين يديه ولا من خلفه تمثيل
اي لا يجد الطعن سبيلا اليه من جهة من الجهات فيتعلق به واما ما ظهر
من بعض الحمقى من الطعن فيه على زعمهم ومن ثم وقيل بعضهم للحالتين
فقد رد عليهم ذلك علما الاسلام واظهروا افكهم وقال قتادة الباطل الشيطان
واللفظ اعم من الشيطان وقال ابن جبير والضحاك من بين يديه اي كتاب من
قبله فيبطله ولا من بعده فيكون على هذا الباطل بمعنى المبطل كخوارق من
اثبات فهو وارث بمعنى مورث ويكون الباطل بمعنى البطلان مصدرا فيكون
كالعافية وقيل من بين يديه اي قبل ان يتم نزوله ولا من خلفه من بعد
نزوله وقيل عكس هذا وقيل من بين يديه قبل ان ينزل لان الانبيا بشرت به
فلم يقدر الشيطان ان يدحض ذلك ولا من خلفه بعد ان انزل وقال الطبري
من بين يديه لا يتسلط باطل ان يكيده بتغيير ولا تبديل ولا من خلفه
لا يستطيع ذو باطل ان يلحق فيه تنزيل اي هو تنزيل من حكيم اي حاكم او محكم لكتابه
حميد محمود على ما اسدى لعباده من تنزيل هذا الكتاب وغيره من النعم
ما يقال لك ينبغي ان يعمل الفاعل ان يكون القايل الله تعالى كما تقدم
تاويلها فيه اي ما اوحى اليك الله الا مثل ما اوحى الى الرسل اي في شان الكفار
كما تاولناه على احد الوجهين وفي التوابع وجوز ما على ان القايل هو الله
ان تكون ان ربك تفسيرا لقوله ما قد قيل فالمقول ان ربك لذو مغفرة
للطايعين وذو عقاب اليم للعاصين وهذا الثاني فيه بعد لانه
حصر ما اوحى الله اليه والى الرسل في قوله ان ربك لذو مغفرة وذو
عقاب اليم وهو تعالى قد اوحى اليهم اشيا كثيرة فاذا اجريناه على الرابع
او على ما قبله لكن يكون الحصر صحيحا وكان قوله تعالى ان ربك استيناف
اخبار عنه تعالى لا تفسير لما قد قيل واحتمل ان يكون القايل الكفار اي
ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قال كفار الرسل لهم من الكلام المودي
والطعن فيما انزل الله عليهم من الكتب ثم اخبر تعالى انه ذو مغفرة وذو
عقاب اليم وفيه الترجية بالغفران والزجر بالعقاب وهو وعظ
وتهديد وقال قتادة عزى الله نبيه وسلاه بقوله ما يقال لك الاية
ومثله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون

ولما ذكر تعالى الملحدين في آياته وأنهم لا يخفون عليه والكافرين بالقرآن بادر إلى تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم وقولهم هلا نزل بلغة العجم فقال ولو جعلناه قرآنا أعجميا أي لا يفصح ولا يبين بمعانيه لهم لكونه بلغة العجم وبلغة غير العرب لم يتركوا الاعتراض ولقالوا لولا فصلت آياته أي بينت لنا وأوضحت بلغتنا وقرأ الجمهور أأعجمي بهمزة الاستفهام بعدها مدة هي همزة أعجمي وقياسها في التخفيف التسهيل بين بين وقرأ الأخوان والأعمش وحفص بهمزتين محققتين أي وقالوا منكرين أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي وقال ابن جبير أن نحكي قولهم أعجمي ونحن عرب ما لنا وللعجمة وقال ابن عطية لأنهم ينكرون ذلك فيقولون لولا بين أعجمي وعربي مختلط هذا لا يحسن انتهى ولا يصح هذا التقسيم لأنه بالنسبة للقرآن وهم إنما قالوا ما دل عليه قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا من اقتراحهم أن يكون أعجميا ولم يقترحوا أن يكون القرآن أعجميا وعربيا وقرأ الحسن وأبو الأسود والجحدري وسلام والضحاك وابن عباس وابن عامر بخلاف عنهما أعجمي وعربي دون استفهام وبسكون العين فقيل معناه أنهم قالوا العجمة والإعراب أن هذا لشاذ قال ابن جبير معناه لولا فصل فصلين فكان بعضه أعجميا يفهمه العجم وبعضه عربيا يفهمه العرب وقال صاحب اللوامح كأنهم لما قالوا لولا فصلت آياته أي لولا جعلت بيانا فقالوا أعجمي وأضمر المبتدأ أي هو أعجمي والقرآن أو الكلام أو نحوهما والذي أتى به أو الرسول عربي كأنهم كانوا ينكرون ذلك وقرأ عمرو بن ميمون أعجمي بهمزة استفهام وفتح العين والمعنى أن القرآن أو جاء على طريقة كانت ما كانت تفتحوا لأنهم لا يطلبون الحق وقال صاحب اللوامح والعجمي المنسوب إلى العجم والياء للنسب على الحقيقة وأما إذا سكنت العين فهو الذي لا يفصح والياء فيه بلفظ النسب دون معناه فهو بمنزلة ياء كرسي وبختي والله أعلم ولست كما ذكر بل بنيت الكلمة عليها وبالعجمي لم تبن الكلمة عليها تقول العرب رجل أعجم ورجل أعجمي فالياء للنسب الدالة على المبالغة في الصفة نحو أحمري ودواري أي مبالغة في أحمر ودوار وقال الزمخشري فإن قلت كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب قلت هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا أعجميا مكتوبا إلى قوم من العرب يقول أكتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما انتهى وهو حسن إلا أن فيه تكثيرا على عادته في حب الشقشقة والتفيهق قل هو أي القرآن للذين آمنوا هدى أي إرشاد إلى الحق وشفاء أي لما في الصدور من الظن والشك والطغيان والذين لا يؤمنون مبتدأ في آذانهم وقر هو موضع الخبر وقال الزمخشري هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو الخبر أنه هدى وشفاء للمؤمنين خبر أنه وقر وعمى في آذان الكافرين ولا يضطر إلى الإضمار وهو فالكلام تام دونه انتهى أي في آذانهم صمما عن سماعهم ثم أخبر أنه عليهم عمى يمنعهم من إبصار حكمته والنظر إلى معانيه والتدبر لآياته وأتى بلفظ عليهم الدالة على استيلاء العمى عليهم وجاء في حق المؤمنين باللام الدالة على الاختصاص وكون والذين في موضع جر عطفا على قوله للذين آمنوا

والتقدير

والتقدير وللذين لا يؤمنون وقر في آذانهم إعراب متكلف وهو من العطف على عاملين وفيه مذاهب كثيرة في النحو والمشهور منع ذلك وقرأ الجمهور عمى بفتح الميم منونا مصدر عمي وقرأ ابن عمر وابن عباس وابن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وابن هرمز عم بكسر الميم وتنوينه وقال يعقوب القارئ وأبو حاتم لا ندري نونوا أم فتحوا الياء على أنه فعل ماض وبغير تنوين رواها عمرو بن دينار وسليمان بن قتة عن ابن عباس والظاهر أن الضمير في وهو عليهم عائد على القرآن وقيل يعود على الوقر أولئك إشارة إلى الذين لا يؤمنون ومن جعله خبرا لأن الذين كفروا كانت الإشارة إليهم ينادون من مكان بعيد قيل هو حقيقة قال الضحاك ينادون بكفرهم وقبح أعمالهم بأقبح أسمائهم من بعد حتى يسمع ذلك أهل الموقف فتعظم السمعة عليهم ويحل المصاب وقال علي ومجاهد استعارة لقلة فهمهم شبههم بالرجل ينادى من بعد يسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه وحكى أهل اللغة أنه يقال للذي لا يفهم أنت تنادى من بعيد أي كأنه ينادى من موضع بعيد فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وحكى النقاش كأنما ينادون من السماء ولقد آتينا موسى الكتاب تسلية للرسول على كون قومه اضطربوا فيما جاء به من الذكر فذكر أن موسى عليه السلام أوتي الكتاب وهو التوراة فاختلف فيه وتقدم شرح هذه الآية في أواخر سورة هود عليه السلام والكلام على نظيره وما ربك بظلام للعبيد في قوله في سورة الحج وأن الله ليس بظلام للعبيد إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط لما ذكر تعالى من عمل صالحا الآية كان في ذلك دلالة على الجزاء يوم القيامة وكأن سائلا قال ومتى ذلك فقيل لا يعلمها إلا الله ومن سئل عنها فليس عنده علم بتعيين وقتها وإنما يرد ذلك إلى الله ثم ذكر سعة علمه وتعلقه بما لا يعلمه إلا هو تعالى وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وقتادة والحسن بخلاف عنه ونافع وابن عامر في غير رواية أبي خالد والمفضل وحفص وابن مقسم من ثمرات بالجمع وقرأ باقي السبعة والحسن في رواية طلحة والأعمش بالإفراد ولما كان ما يخرج من أكمام الشجر وما تحمل الإناث وتضعه هو إيجاد أشياء بعد العدم ناسب ذلك ذكره مع علم الساعة إذ في ذلك دليل على البعث إذ هو إعادة بعد إعدام وناسب ذكر أحوال المشركين في ذلك اليوم وسؤالهم سؤال التوبيخ فقال ويوم يناديهم أين شركائي أي الذين نسبتموهم إلي وزعمتم أنهم شركائي وفي ذلك

تهكما بهم وتقريعا والضمير في يناديهم عام في كل من عبد غير الله فيندرج فيه عباد الاوثان
قالوا اذناك اي اعلمناك قال الشاعر آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء
وقال ابن عباس اسمعناك كانهم استشهدوا الاعلام هنا لان اهل القيامة يعلمون ان الله يعلم
الاشيا علما واجبا فالاعلام في حقه محال والظاهر ان الضمير في قالوا عايد على الكافرين
لانهم المحدث معهم ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد ان لك شريكا بل
موحدين لك وما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم
لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل الضمير في قالوا عائد على الشركا اي قال
الشركا ما منا من شهيد بما اضافوا الينا من الشرك واذناك معلق لانه بمعنى
الاعلام والجملة في قوله ما منا من شهيد في موضع المفعول وفي تعليق باب
اعلم ورايت خلاف والصحيح انه مسموع من كلام العرب والظاهر ان قولهم
اذناك انشا لقولك اقسمت لاضربن زيدا وان كان اخبارا سابقا فيكون
اعادة السؤال توبيخا لهم وضل عنهم اي تلفت اصنامهم وتلاشت فلم
يجدوا منها نصرا ولا شفاعة وظنوا اي ايقنوا قاله السدي ما لهم من محيص
اي من حيلة ومراغ عن العذاب والظاهر ان ظنوا معلقة والجملة المنفية
في موضع مفعول لظنوا وقيل تم الكلام عند قوله وظنوا اي ترجح عندهم
ان قولهم ما منا من شهيد منجاة لهم او امر يموهون به والجملة بعد ذلك
مستانفة اي يكون لهم مهرب او موضع روغان اي لا يسام الانسان من دعا
الخير هذه الايات نزلت في كفار قيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عتبة
ابن ربيعة وكثير من المسلمين يتصفون بوصف او لا يسام من دعا الخير اي من
طلب السعة والنعمة ودعا مصدر مضاف للمفعول وقرا عبد الله من دعا
بالخير بيا داخلة على الخير وفاعل المصدر محذوف تقديره من دعائه الخير وان
مسه الشر الفقر والضيقة فيؤوس اي فهو يؤوس قنوط وابدى بهما صفتي مبالغة
والياس من صفة القلب وهو ان يقطع رجاه من الخير والقنوط ان يظهر
عليه اثار الياس فيتضال وينكسر وبدا بصفة القلب لانها هي المؤثرة فيما
يظهر على الصورة من الانكسار ولين اذقناه رحمة منا سمى النعمة رحمة
اذ هو من اثار رحمة الله من بعد ضرا مسته اي من بعد ضيقه ليقولن هذا لي
اي بسعيي واجتهادي ولا اراه انها من الله او هذا لي لا يزول عني وما اظن
الساعة قايمة اي ظننا اننا لا نبعث وان ما جات به الرسل من ذلك ليس بواقع
كما قال تعالى حكاية عنهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ولين رددت
الى ربي ولين كان ذلك كما اخبرت الرسل ان لي عنده اي عند الله للحسنى اي
الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة كما انعم علي في الدنيا واكد ذلك باليمين
وبتقديم في وعنده على اسم ان وبدخول لام التاكيد عليه ايضا وبصيغة الحسنى
مونث الاحسن الذي هو افعل التفضيل ولم يقولوا الحسنة اي الحالة
الحسنة وقال الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم للكافر امنيتان
اما في الدنيا فهذه ان لي عنده للحسنى واما في الاخرة فيا ليتني كنت ترابا
فلننبين الذين كفروا بما عملوا من الاعمال السية وذلك كناية عن جزايهم
باعمالهم السية ولنذيقنهم من عذاب غليظ في مقابلة ان لي عنده للحسنى
وكني

وكني نغلظ العذاب بشدته واذا انعمنا تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في اواخر سبحان
كان يوسا واخر هذه بذو دعا عريض اي فهو ذو دعا بازالة الرغبة وكشف ضره واكثر
تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعا اذا اكثر
وتضرع واستغاثة وذكر تعالى في هذه الاية نوعا من طغيان الانسان اذا
اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة واذا مسه الشر استهل الى الله وتضرع قل ارايتم
ان كان اي القران من عند الله ابرزه في صورة الاحتمال وهو من عند الله لا شك
ولكنه تنزل معهم في الخطاب والضمير في ارايتم لكفار قريش وتقدم الكلام في ارايتم
اخبروني عن حالكم ان كان هذا القران من عند الله وكفرتم به وشاققتم في اتباعه
من اضل منكم اذ انتم المشاقون فيه والموصوفون عنه والمتهزون بايات الله
وتقدم ان ارايتم هذه تتعدى الى مفعول مذكورا ومحذوف والى ثان الغالب
فيه ان تكون جملة استفهامية فالمفعول الاول محذوف تقديره ارايتم انفسكم
والثاني هو جملة الاستفهام اي بعناه من اضل منكم ايها الكفار اذ مالكم الى
الهلاك في الدنيا والاخرة ثم توعدهم بما هو كاين لا محالة فقال سنريهم اياتنا
في الافاق قال ابو المنهال والسدي وجماعة هو وعيد للكفار بما يفتحه الله
على رسوله من الاقطار حول مكة وفي غير ذلك من الارض كخيبر وفي انفسهم اراد به
فتح مكة وتضمن ذلك الاخبار بالغيب ووقع كما اخبر وقال الضحاك وقتادة
في الافاق ما اصاب الامم المكذبة في اقطار الارض قديما وفي انفسهم يوم بدر
وقال عطا وابن زيد في افاق السما واراد الايات في الشمس والقمر والرياح
وغير ذلك وفي انفسهم عبرة الانسان بجسمه وحواسه وغريب خلقته وتدرجه
في البطن ونحو ذلك ونبهوا هذان القولان بمن لفظ سنريهم لان اهلاك الامم المكذبة
قديما وايات الشمس والقمر وغير ذلك قد كان ذلك كله مريا لهم فالقول الاول اولى
واختار هذا القول وزيله فقال معنى ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وللخلفا من بعده وانصار دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب
عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من
خلفا الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتقليب قلبهم على كثيرهم
وتسليط ضعافهم على اقويايهم واجرايه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة
للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها
والاستقرا يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على
عجايب لا ترى وقعة من وقايعهم الا علما من اعلام الله واية من اياته يقوى
معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين انه دين الاسلام هو دين الحق
الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه انتهى ما كتباه مقتصرا عليه
حتى يتبين لهم انه اي القران وما تضمنه من الشرع هو الحق اذ وقع
وفق ما اخبر به من الغيب وبربك الباء زايدة التقدير اولم يكفك ربك
بربك وانه على كل شي شهيد بدل من ربك اما حالة كونه مجرورا بالبا فيكون
بدلا على اللفظ واما حالة مراعاة الموضع فيكون بدلا على الموضع وقيل انه
على اضمار الحرف اي اولم يكف بربك بانه وتم بحذف الحرف وموضع ان
على الخلاف اهو في موضع نصب او في موضع جر وبعيد قول من جعل بربك

في موضع نصب وفاعل كفى أن وما بعدها والتقدير عنده أولم يكف ربك شهادته وقرئ
ان بكسر الهمزة على إضمار القول والاستفتاح وتنبيه السامع على ما يقال وقرأ السلمي
والحسن في مرية بضم الميم وإحاطته تعالى بالأشياء علمه بها جملة وتفصيلا وفيه مجازاتهم
على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم ركد الشي ثبت مكانه وثبت قال الشاعر
وقد ركدت وسط السماء نجومها ركودا بوادي الربرب المتفرق

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز
الحكيم له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من
فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله
هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما
أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن
حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو
شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو
يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله
ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم
من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر إنه بكل شيء عليم هذه السورة مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر
وقال ابن عباس مكية إلا أربع آيات من قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة
في القربى إلى آخر الأربع آيات فإنها نزلت بالمدينة وقال مقاتل فيها مدني
قوله ذلك الذي يبشر الله عباده إلى الصدور ومناسبة أول السورة لآخر
ما قبلها أنه قال قل أرأيتم إن كان من عند الله الآية وكان في ذلك الحكم
عليهم بالضلال لما كفروا به قال هنا كذلك أي مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي
كفروا به هو يوحي إليك أي إن وحيه تعالى إليك متصل غير منقطع يتعهدك به
وقتا بعد وقت وذكر المفسرون في حم عسق أقوالا مضطربة لا يصح منها شيء
كعادتهم في هذه الفواتح ضربنا عن ذكرها صفحا وقرأ الجمهور يوحي مبنيا
للفاعل وأبو حيوة والأعشى عن أبي بكر وأبان نوحي بنون العظمة ومجاهد
وابن كثير وعباس ومحبوب كلاهما عن أبي عمرو يوحى مبنيا للمفعول
والله مرفوع بمضمر تقديره أوحى أو بالابتداء التقدير الله العزيز الحكيم
الموحي وعلى قراءة نوحي بالنون يكون الله العزيز الحكيم مبتدأ وخبرا ويوحي
إما في معنى أوحى حتى ينتظم قوله وإلى الذين من قبلك أو يقر على موضوعه
ويضمر عامل يتعلق به إلى الذين تقديره وأوحى إلى الذين من قبلك
وتقدم الكلام على تكاد السموات يتفطرن في سورة مريم قراءة وتفسيرا
وقال الزمخشري وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن
بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الأعرابي
الإبل تتشممن انتهى والظاهر أن هذا وهم من الزمخشري في النقل لأن
ابن خالويه ذكر في شواذ القراءات له ما نصه تنفطرن بالتاء والنون
يونس عن أبي عمرو وقال ابن خالويه هذا حرف نادر لأن العرب لا تجمع

بين

بين علامتي التأنيث لا يقال النساء تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن وقد كان أبو
عمر الزاهد روى في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن فأنكرناه فقد قواه الآن هذا انتهى
كلام ابن خالويه فإن كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم
وإن كان في بعضها بتاء مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا
من الناسخ وكذلك كتبهم تتفطرن وتتشممن بتاءين والظاهر عود الضمير في فوقهن
على السموات قال ابن عطية من أعلاهن وقال الزمخشري يتفطرن من علو شأن
الله تعالى وعظمته ويدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا
كقوله تكاد السموات يتفطرن منه فإن قلت لم قال من فوقهن قلت
لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش
والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا
يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن
أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وقال جماعة منهم الحوفي قال من فوقهن
والهاء والنون كناية عن الأرضين انتهى ومن فوقهن متعلق بيتفطرن ويدل
على هذا القول ذكر الأرض قبل وقال علي بن سليمان الأخفش الضمير للكفار
والمعنى من فوق الفرق والجماعات الملحدة أي من أجل أقوالها انتهى فهذه
الآية كالتي في سورة مريم واستبعد مكي هذا القول قال لا يجوز في الذكور
من بني آدم يعني ضمير المؤنثات ولا استبعاد فيما ذكره مكي قال علي بن سليمان
من فوق الفرق والجماعات وظاهر الملائكة العموم وقال مقاتل حملة
العرش والتسبيح قيل قولهم سبحان الله وقيل يصلون والظاهر في يستغفرون
طلب الغفران ولأهل الأرض عام مخصوص بقوله ويستغفرون للذين آمنوا
قاله السدي وقيل عام ومعنى الاستغفار طلب الهداية المؤدية إلى المغفرة كأنهم
يقولون اللهم اهد أهل الأرض واغفر لهم ويدل عليه وصفه بالغفران
والرحمة والاستفتاح وقال الزمخشري ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار لهم
طلب الحلم والغفران في قوله إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا
إلى أن قال إنه كان حليما غفورا وقوله وإن ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالاستئصال فيكون عاما انتهى وتكلم أبو عبد
الله الرازي في قوله تكاد السموات كلاما خارجا عن مناهج مفهومات العرب
منتزعا من كلام الفلاسفة ومن جرى مجراهم يوقف عليه في كتابه
والذين اتخذوا من دونه أولياء أي أصناما وأوثانا الله حفيظ عليهم
أعمالهم ومجازيهم عليها وما أنت عليهم بوكيل أي بمفوض إليك أمرهم ولا قائم
وما في هذا من الموادعة منسوخ بآية السيف وكذلك أي ومثل هذا الإيحاء والقضاء
أنك لست بوكيل عليهم أوحينا إليك قرآنا عربيا والظاهر أن قرآنا مفعول
أوحينا وقال الزمخشري الكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول
به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي لا لبس فيه عليك إذ نزل بلسانك انتهى
فاستعمل الكاف اسما في الكلام وهو مذهب الأخفش لتنذر أم القرى
أي شتيته إيحائنا إليك هو الإنذار ولا تتكلف غيره وأم القرى مكة أي
أهل أم القرى وكذلك حذف ومن حولها والمفعول الثاني محذوف ومن قدمن

حولها من العرب وتنذر يوم الجمع والمفعول الاول محذوف والثاني هو يوم الجمع اي اجتماع
الخلائق والمنذر به هو ما يقع في يوم الجمع من الجزاء وانقسام الجمع الى الفريقين او
اجتماع الارواح بالاجساد او اهل السما باهل الارض او الناس باعمالهم اقوال اربعة
وقرئ لينذر بياء الغيبة اي لينذر القرآن لا ريب فيه اي لا شك في وقوعه
وقال الزمخشري لا ريب فيه اعتراض لا محل له انتهى ولا يظهر انه اعتراض اعني صناعيا لانه
لم يقع بين طالب ومطلوب وقرا الجمهور فريق بالرفع فيهما اي هم فريق او منهم
فريق وقرا زيد بن علي بنصبهما اي افترقوا فريقا في كذا وفريقا في كذا ويدل عليه
الافتراق الاجتماع المفهوم من يوم الجمع ولو شا الله لجعلهم امة واحدة يعني من ايمان
او كفر قال معناه الضحاك وهو قول اهل السنة وذلك تسلية للرسول عما كان يناله
من كفر قومه وتوقيف على ان ذلك راجع الى مشيئته ولكن من سبقت له السعادة
ادخله في رحمته قال الزمخشري لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه
كقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقوله ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا
والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين وذكر ما قاله اسند الى غير ذلك وهو على طريق الاعتزال وقال انس بن
مالك في رحمته في دين الاسلام ام اتخذوا من دونه اولياء ام بمعنى بل للانتقال
من كلام الى كلام والهمزة للانكار عليهم اتخاذ اولياء من دون الله وقيل ام بمعنى
الهمزة عليهم فقط وتقدم الكلام في مثل هذا حيث جاءت ام المنقطعة
والمعنى اتخذوا اولياء دون الله وليسوا باولياء حقيقة فالله هو الولي والذي
يجب ان يتولى وحده لا ما لا يضر ولا ينفع من اوليائهم ولما اخبر انه هو
الولي عظمته عليه كهذا الفعل الغريب الذي لا يقدر عليه غيره وهو احياء
الموتى ولما ذكر هذا الوصف ذكر قدرته على كل شي تتعلق ارادته به وقال
الزمخشري في قوله فالله هو الولي والفا في قوله فالله هو الولي جواب
شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو
الولي بالحق لا ولي سواه انتهى ولا حاجة الى اعتقاد شرط محذوف والكلام
يتم بدونه وما اختلفتم فيه من شي هذا حكاية لقول الرسول اي ما اختلفتم
فيه ايها الناس من تكذيب او تصديق وايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه
المجازاة عليه ليس ذلك الا الى الله لا اليّ ونكرة من شي تدل على العموم
وقيل من شي من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول وقيل من
شي من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله
والظاهر من سنة رسول الله وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا
تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح وقال
الزمخشري اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم
انتم وهم فيه من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو
اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي
عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم انتهى وقرا
الجمهور فاطر بالرفع اي هو فاطر او خبر بعد خبر لقوله ذلكم وقرا زيد بن علي

فاطر

فاطر بالجر صفة لقوله الى الله والجملة بعدها اعتراض بين الصفة والموصوف
خلق لكم من انفسكم اي من جنس انفسكم اي ادميات ازواجا اناثا اي انواعا كثيرة
او جعل الخلق لابينا ادم من ضلعه حوا زوجا له خلقنا الناس ومن الانعام ازواجا
اي انواعا كثيرة ذكورا واناثا او ازواجا اناثا يذرؤكم فيه قال ابن عباس
اي يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها وقال ابن زيد يرزقكم فيه وهو قريب
من القول قبله وقال مجاهد يخلقكم في بطون الاناث وقال ابن زيد ايضا
يذرؤكم فيما خلق من السموات والارض وقال الزجاج يكثركم به اي فيه
اي يكثركم في خلقكم ازواجا وقال يحيى بن سليمان ينقلكم من حال الى حال
وقال ابن عطية الضمير في فيه للجعل اي يخلقكم ويكثركم في الجعل كما تقول
كلمت زيدا كلاما اكرمته فيه قال ولفظة ذرا تزيد على لفظة خلق معنى
اخر ليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان وقال الزمخشري
يذرؤكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء
اخوات في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى
كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع
الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل
وهي من الاحكام ذات العلتين انتهى وقوله وهي من الاحكام ذات العلتين
اصطلاح غريب ويعني ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا فتقول انت
وزيد تقومان والعاقل يغلب على غير العاقل اذا اجتمعا فتقول الناس
والحيوان غيرهم يسبحون خالقهم فان قلت ما معنى يذرؤكم
في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع
والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير
كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة انتهى ليس كمثله شي تقول العرب مثلك
ما يفعل كذا يريدون به المخاطب كانهم اذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان
نفيا عن الشخص وهو من باب المبالغة ومثل الاية قول اوس بن حجر

ليس كمثل الفتى زهير … خلق يوازيه في الفضايل

وقال الاخر

وقتلى كمثل جذوع النخيل … تغشاهم مسبل منهمر

وقال الاخر

سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم … ما ان كمثلهم في الناس من احد

فجرت الاية في ذلك على نهج كلام العرب من اطلاق المثل على نفس الشي وما ذهب اليه
الطبري وغيره من ان مثلا زايدة للتوكيد كالكاف في قوله فصيروا مثل كعصف ماكول
وقوله وصاليات ككما يؤثفين ليس بجيد لان مثلا اسم والاسما لا تزاد بخلاف الكاف
فانها حرف تصلح للزيادة ونظير مثل الاية من لا مثل له قولك فلان يده
مبسوطة تريد انه جواد ولا نظر له في الحقيقة الى اليد حتى تقول ذلك لمن لا
يد له كقوله بل يداه مبسوطتان فكما جعلت ذلك كناية عن الجود فيمن لا يد
له فكذلك جعلت المثل كناية عن الذات فيمن لا مثل له ويحتمل ايضا ان يراد
بالمثل الصفة وذلك سايغ يطلق المثل بمعنى المثل وهو الصفة فيكون المعنى ليس مثل
صفته تعالى شي من الصفات التي لغيره وهذا محمل سهل والوجه الاول اغوص قال
ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فيقول مثلي لا يقال له هذا اي انا لا يقال

لهذا انتهى فقد صار ذلك كما يتعين الذات فلا فرق بين قولك ليس كالله شيء وليس كمثله شيء
وقد اجمع المفسرون على ان الكاف والمثل يراد بهما موضوعهما الحقيقي من ان كلا منهما يراد
به التشبيه وذلك حال الادلة اثبات مثل لله تعالى وهو محال وهو السميع لاقوال
الخلق البصير لاعمالهم وتقدم تفسير له مقاليد السموات والارض في سورة الزمر
ويقدر اي ويضيق انه بكل شيء عليم لمن يشا ويضيق على من يشا وقال
الزمخشري فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما
وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من
ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم
وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه
المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة
عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب
بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين
يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشا
وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب لما عدد تعالى نعمه
عليهم الخاصة اتبعه بذكر نعمه العامة وهو ما شرع لهم من العقايد المتفق عليها
من توحيد الله وطاعته والايمان برسله وبكتبه وباليوم الاخر والجزاء ولما
كان اول الرسل نوح عليه السلام واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم قال ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك ثم اتبع ذلك ما وصى به ابراهيم اذ كان ابا العرب ففي
ذكره لهم وبعث على اتباع طريقته موسى وعيسى صلوات الله عليهم لانهما هما
اللذان كانا اتباعهما موجودين زمان بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والشرايع متفقة فيما ذكرنا من العقايد وفي كثير من الاحكام كتحريم الزنا والقتل
بغير حق والشرايع مشتملة على عقايد واحكام ويقال ان نوحا اول من اتى بتحريم
البنات والامهات وذوات المحارم وقال بن عطية من المختار ويحتمل ان تكون
مفسرة لان قبلها ما هو بمعنى القول فلا موضع لها من الاعراب وان تكون
ان المصدرية فيكون في موضع نصب على البدل من ما وما عطف عليها او في موضع
رفع اي ذلك وهو اقامة الدين وهو توحيد الله وما يتبعه مما لابد من اعتقاده
ثم نهى عن التفرقة فيه لان التفرق سبب للهلاك والاجتماع والالفة سبب للنجاة
كبر على المشركين اي عظم وشق ما تدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة
الاصنام واقامة الدين الله يجتبي اي يجتلب ويجمع اليه من يشا هدايته وهذا
تسلية للرسول وقيل يجتبي فيجعله رسولا الى عباده ويهدي اليه من ينيب

يرجع

يرجع الى طاعته عن كفره وقال الزمخشري من يشا من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه
انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقال الحافظ ابو بكر بن العربي يحكى من ادم عليه السلام
الا نبوة ولم يفرض له الفرايض ولا شرعت له المحارم وانما كان تنبيها على بعض الامور
مقتصرا على ضرورات المعاش واستمر الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات
والبنات ووظف عليه الواجبات واوضح له الادب في الديانات ولم يزل ذلك يتأكد
بالرسل ويتناصر بالانبيا واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمه الله بخير
الملل على لسان اكرم الرسل فكان المعنى ووصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا في
الاصول التي لا تختلف فيها الشرايع وهي التوحيد والصلاة والزكاة والحج والتقرب
بصالح الاعمال للخلق كيفما تصرفت والامتناع على الحيوان واقتحام الدنايات
وما يعود بخرم المروات فهذا كله شرعا دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف
على السنة الانبيا وان اختلفت اعدادهم وذلك قوله ان اقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه اي اجعلوه قايما يريد دائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه
ولا اضطراب انتهى وقال مجاهد لم يبعث نبي الا امر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة
والاقرار بالله وطاعته فهو اقامة الدين وقال ابو العالية اقامة الدين الاخلاص
لله وعبادته ولا تتفرقوا فيه قال ابو العالية لا تتعادوا فيه وقال مقاتل معناه لا تحاسدوا
لا تختلفوا فان كل نبي مصدق وقيل لا تتفرقوا فيه فتؤمنوا ببعض الرسل
وتكفروا ببعض وما تفرقوا قال ابن عباس يعني قريشا والعلم محمد عليه السلام
وكانوا يتمنون ان يبعث اليهم نبي كما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لين
جاءهم نذير يريدون نبيا وقيل الضمير يعود على امم الانبيا جاءهم العلم
فطال عليهم الامد فامن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس ايضا يعني
على اهل الكتاب والمشركين لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة قال المشركون لم خص بالنبوة واليهود والنصارى حسدوه ولولا
كلمة اي عدة التاخير الى يوم القيامة محتومة لوقع الجزاء المقضي بينهم لجوزوا باعمالهم
في الدنيا لكنه قضى ان ذلك لا يكون الا في الاخرة وقال الزجاج الكلمة في قوله
بل الساعة موعدهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم بقية
اهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعدهم
اي من بعد اسلافهم وهم المشركون اورثوا الكتاب من بعد ما اورث
اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرا زيد بن علي ورثوا مبنيا للمفعول
مشدد الواو لفي شك منه اي من كتابهم ومن القران او ممن جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم او من الذي وصى به نوحا والمعنى تقدم بيان الامر باقامة
الدين وتفرق الذين جاءهم العلم واختلافهم وقولهم في شك احتمل قوله فلذلك
ان تكون اشارة الى اقامة الدين اي فادع لدين الله واللام هنا للاختصاص على
تقرير اللام بمعنى الى اي ادعي معتدي باللام قال الشاعر
دعوت لما نابني مسورا ❊ فلبى فلبي يدي مسور
واحتمل ان تكون اللام للعلة اي فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب
الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية واستقم اي دم
على الاستقامة وتقدم الكلام على فاستقم كما امرت وكيفية هذا التشبيه في

اوا خرهو دولا تتبع اهواهم المختلفة الباطلة وامره بان يصرح انه امن بكل كتاب
انزله الله لان الذين تفرقوا امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قيل
ان المعنى وامرت ان اعدل بينكم وقيل المعنى وامرت بما امرت به لاعدل بينكم
في ايصال ما امرت به اليكم لا افضل شخصا على شخص ولن تخصوا الشريعة واحدة والاحكام
مشتركة فيها وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم
اي قد وضحت الحجج وقامت البراهين وانتم محجوجون فلا حاجة الى اظهار حجة
بعد ذلك الله يجمع بيننا وبينكم اي يوم القيامة فيفصل بيننا وما يظهر في
هذه الاية من الموادعة منسوخ باية السيف والذين يحاجون في الله اي
يخاصمون في دينه قال ابن عباس ومجاهد نزلت في طائفة من بني اسرائيل
همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم ومحاجتهم بان قالوا كتابنا قبل كتابكم
ونبينا قبل نبيكم فديننا افضل فنزلت الاية في ذلك وقيل نزلت في قريش
كانوا يجادلون في هذا المعنى ويطمعون في رد المومنين الى الجاهلية
واستجيب مبني للمفعول فقيل المعنى من بعد ما استجاب الناس لله اي لدينه
ودخلوا فيه وقيل من بعد ما استجاب الله له اي لرسوله ودينه بان نصره يوم
بدر واظهر دينه حجتهم داحضة اي باطلة لا ثبوت لها ولما ذكر من يحاج في
دين الاسلام صرح بانه تعالى هو الذي انزل الكتاب والكتاب جنس يراد به
الكتب الالهية والميزان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وبعضهم هو العدل
وعن ابن مجاهد انه هنا الميزان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومنهم هو
العدل الميزان الذي بايدي الناس وهو مندرج في العدل وما يدريك ايها
المخاطب لعل الساعة قريب ذكر على معنى البعث او على حذف مضاف اي
لعل مجي الساعة وهل الساعة في موضع مفعول وما يدريك وتقدم الكلام
على مثل هذا في قوله في الانبيا وان ادري لعله فتنة لكم وتوافق هذه
الجملة مع قوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ان الساعة يوم
الحساب ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية
قبل ان يفاجيكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم يستعجل بها الذين لا يومنون
بها يطلب وقوعها عاجلة لانهم ليسوا موقنين بوقوعها لتبيين عجز من يومن
بها عندهم اي هي مما لا يقع عندهم الا ان الذين يمارون ويلحون في امر
الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق لان البعث غير مستبعد من قدرة وقد دل
عليه الكتاب المعجز فوجب الايمان به الله لطيف بعباده اي بر بعباده
المومنين ومن سبق له الخلود في الدنيا وما يرى من النعم على الكافر
ليس بلطف انما هو املاء والطف الى مآل الرحمة والوفاة على الاسلام
وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا وقال الزمخشري
يوصل بره الى جميعهم يرزق من يشا اي من يشا ان يرزقه شيا فاوتيه
ويحرم من يشا من ذلك الشيء الخاص وكل منهم مرزوق وان اختلف الرزق
وهو القوي اي البالغ القوة وهي القدرة العزيز الغالب الذي لا يغلب
ولما ذكر تعالى الرزق ذكر حرث الكسب ولما كان الحرث في الارض اصلا
من اصول المكاسب استعير لكل مكسب اريد به النما والفايدة اي من
كان

كان يريد عمل الاخرة ويسعى لها سعيها نزد له في حرثه اي في ثوابه من تضعيف الحسنات
ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها اي العمل لها لا للاخرة نوته منها اي
نعطه شيا منها وما له في الاخرة من نصيب لانه لم يعمل لها الاخرة الجملة الاولى وعد
منجز والثانية مقيدة بمشيته تعالى فلا يناله الا رزقه الذي فرغ منه
كل ما يريده هو واقتصر في عامل الاخرة على ما ذكر حظه فيها مع انه في الدنيا
لابد له من رزقه الذي قدر له لان ما ناله في الدنيا بالنسبة الى حظه في الاخرة
لا يعتد معتبر فلا يتسو ذكره مع ما اعد الله له في الاخرة [illegible]
وجا فعل الشرط ماضيا والجواب مجزوما لقوله تعالى من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ولا نعلم خلافا في جواز الجزم وانه
فصيح مختار الا ما ذكره صاحب كتاب الاعراب وهو ابو الحكم بن عذرة عن
بعض النحويين انه لا يجي في الكلام الفصيح وانما يجي مع كان لانها اصل
الافعال ولا يجي مع غيرها من الافعال ونص كلام والجماعة انه
لا يختص ذلك بكان بل سائر الافعال في ذلك مثلها وانشد سيبويه
للفرزدق • دست رسولا بان القوم ان قدروا • عليك يشفوا صدورا ذات توغير
وقال اخر • تعال فان عاهدتني لا تخونني • نكن مثل من يا ذيب يصطحبان •
وقرا الجمهور نزد ونوته بالنون فيهما وابن مقسم والزعفراني ومحبوب
والمنقري كلاهما عن ابي عمرو بالياء فيهما وقرا سلام منهما برفع الها
وهي لغة الحجاز ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله
ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى
الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم ما يشاون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسالكم عليه اجرا الا
المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور
شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيات ويعلم ما تفعلون
ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشا انه بعباده خبير بصير وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن
اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم
اذا يشا قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا
عن كثير وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير ام لهم شركا استفهام تقرير وتوبيخ لما ذكر تعالى انه شرع للناس
ما وصى به نوحا الاية اخذ ينكر ما شرع غيره تعالى والشركا هنا يحتمل ان
يراد به شركاوهم في الكفر كالشياطين والغويين من الناس والضمير في
شرعوا عايد على الشركا والضمير في لهم عايد على الكفار المعاصرين للرسول

ويحتمل ان يراد بهم الاصنام والاوثان وكل من جعلوه شركا لله واضيف الشركا اليهم لانهم متخذوها
شركا لله فتارة تضاف اليهم بهذه الملابسة وتارة الى الله والضمير في شرعوا يحتمل ان يعود
على الشركا ولهم عائد على الكفار ولما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة لاهل
الكفر كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس واحتمل ان يعود على
الكفار ولهم عائد على الشركا اي شرع الكفار لاصنامهم معبوداتهم اي سنوا
لهم بحوايه واحكاما في المعتقدات كقولهم انهم الهة وانه يعاد لهم لتقربهم الى
الله ومن الاحكام البحيرة والوصيلة والحامي وغير ذلك ولولا كلمة الفصل
اي العدة بان الفصل يكون في الاخرة او لولا القضاء بذلك لقضي بين المؤمن
والكافر او بين المشركين وشركائهم وقرا الجمهور وان الظالمين بكسر الهمزة
على الاستيناف والاخبار بما ينالهم في الدنيا من القتل والاسر والنهب وفي الاخرة
النار وقرا الاعرج ومسلم بن جندب وان بفتح الهمزة عطفا على كلمة الفصل
فهو في موضع رفع اي ولولا كلمة الفصل وكون الظالمين لهم عذاب في
الدنيا لقضي بينهم في الدنيا وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا كما فصل في
قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ترى الظالمين اي
تبصر الكافرين لمقابلته بالمؤمنين مشفقين خايفين الخوف الشديد
مما كسبوا من السيات وهو اي العذاب او يعود على ما كسبوا على حذف اي ووبال
ما كسبوا او جزاوه واقع بهم وهو واقع بهم اشفقوا ام لم فهم في هذه الحال فليسوا
كالمومنين الذين هم في الدنيا مشفقين من الساعة ولما كانت الروضات
احسن ما في الجنات وانزهها وفي علاها ذكر ان المومنين فيها واللغة
الكثيرة تسكين الواو في روضات ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو اجرا
للمعتل مجرى الصحيح نحو جفنات ولم يقرا احد فيما علمناه بلغتهم وعند
ظرف قال الحوفي معمول ليشاون انتهى وهو الصواب ويعني بالظرف الجار
والمجرور وهو لهم وفي الحقيقة غير معمول للعامل في لهم والمعنى ما يشاون
من النعيم والثواب مستقرا لهم عند ربهم والعندية عندية المكانة والتشريف
لا عندية المكان وقرا الجمهور يبشر بتشديد الشين من بشر وعبد الله بن
يعمر وابن ابي اسحاق والجحدري والاعمش وطلحة في رواية والكسائي وحمزة
يبشر ثلاثيا ومجاهد وحميد بن قيس بضم اليا وتخفيف الشين من ابشر وهو
معدي بالهمزة من بشر اللازم المكسور الشين واما بشر بفتحها فمتعد وبشر هو
بالتشديد للتكثير لا للتعدية ذلك اشارة الى ما اعد لهم من الكرامة وهو مبتدا
خبره الموصول والعائد عليه محذوف اي يبشر الله به عباده انتهى ولا يظهر هذا
الوجه اذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ الذي ولا ما يدل عليها من شرط ونحوه
ومن النحويين من جعل الذي مصدرية حكاه ابن مالك عن يونس وتاول
عليه هذه الاية اي ذلك تبشير الله عباده وليس بشي لانه اثبات للاشتراك
بين مختلفي الحد بغير دليل وقد ثبتت اسمية الذي فلا يعدل عن ذلك بشي
لا يقوم به دليل ولا شبهة قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى روي
ان اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسال اجرا
على ما يتعاطاه فنزلت وروي ان الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمال

بمال يجمعونه وقالوا يا رسول الله هذا اموالنا لك وانت بين اظهرنا فلو قد عروك حقوق وما لك
سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت الاية فرده وقيل الخطاب لقوم من
قريش حين جمعوا له مالا وارادوا ان يرشوه على ان يمسك عن سب الهتهم
فلم يفعل ونزلت والمعنى لا اسالكم مالا ولا رياسة ولكن اسالكم ان ترعوا
حق قرابتي وتصدقوني فيما جيتكم به وتمسكوا عن اذيتي واذية من تبعني
قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي
اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نسالة عنها فكتب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اوسط الناس في قريش ليس
بطن من بطونهم الا قد ولده فقال الله تعالى له قل لا اسالكم عليه اجرا
الا ان تودوني في قرابتي منكم فارعوا ما بيني وبينكم فصدقوني وقال
عكرمة وكانت قريش تصل ارحامها وقال الحسن المعنى الا ان تتوددوا
الى الله بالتقرب اليه وقال عبد الله بن القسم الا ان يتودد بعضكم الى
بعض وتوصلوا قراباتكم روي ان شبابا من الانصار فاخروا المهاجرين
وصالوا بالقول فنزلت على معنى ان لا تؤذوني في قرابتي وتحفظوني في
فيهم وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب واستشهد بالاية
حين سيق الى الشام اسيرا وهو قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب وعلى
هذا التاويل قال ابن عباس قيل يا رسول الله من قرابتك الذين امرنا بمودتهم
فقال علي وفاطمة وابناهما وقيل هم ولد عبد المطلب والظاهر ان قوله
الا المودة استثنا منقطع لان المودة ليست اجرا وقال الزمخشري يجوز ان
يكون استثنا متصلا اي لا اسالكم عليه اجرا الا هذا ان تودوا اهل قرابتي
ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم
في المودة وقال فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى
قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في ال فلان مودة ولي فيهم
هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة
للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف
به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة
فيها انتهى وهو حسن وفيه تكثير وقرا زيد بن علي الا مودة والجمهور
الا المودة ومن يقترف حسنة اي يكتسب والظاهر عموم الحسنة عموم البدل
فيندرج فيها المودة في القربى وغيرها وعن ابن عباس والسدي انها المودة
في ال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا الجمهور نزد بالنون وزيد بن
علي وعبد الوارث عن ابي عمرو واحمد بن جبير عن الكسائي يزد بالياء اي
يزد الله والجمهور حسنا بالتنوين وعبد الوارث عن ابي عمرو حسنى بغير
تنوين على وزن رجعى وزيادة حسنها مضاعفة اجرها ان الله غفور
ساتر عيوب عباده شكور مجاز على الدقيقة لا يضيع عنده عمل العامل وقال
السدي غفور لذنوب ال محمد عليه السلام شكور لحسناتهم ام يقولون
افترى على الله كذبا ام منقطعة اضراب عن الكلام المتقدم من غير ابطال والاستفهام
استفهام انكار وتوبيخ على هذه المقالة اي مثله لا ينسب اليه الكذب على

اسمع امتن لقلتم اي قتل بالصدق والامانة فان يشا الله يختم على قلبك قال مجاهد يربط على
قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم انك مفتر وقال قتادة وجماعة يختم
على قلبك ينسيك القرآن والمراد الرد على مقالة الكفار وبيان ابطالها وذلك كانه
يقول وكيف يصح ان يكون مفتريا وانت من الله بمرأى ومسمع وهو قادر
لو شا ان يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراوك فمقصد اللفظ
هذا المعنى وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصارا واقتصارا انتهى هكذا ورد هذا
التاويل عن قتادة ابن عطية وفي الفاظه غضاضة لا يليق القول بها بالانبيا وقال
الزمخشري عن قتادة ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على
الله الكذب لفعل به ذلك انتهى وقال الزمخشري ايضا فان يشا الله يجعلك
من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افترا
الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب موداه استبعاد
الافترا من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم
على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامنا فيقول لعل الله خذلني لعل الله
اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان
يكون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوين مثله امر عظيم ثم قال ومن عادة الله
ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما يزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه
وقذف بالحق على الباطل فدمغه انتهى وقيل المعنى لو افتريت على الله لطبع
على قلبك حتى لا تقدر على حفظ القرآن وقيل يختم على قلبك بالصبر فهو التعيين
وقد فعل ذلك وذكر القشيري ان المعنى يختم على قلوب الكفار وعلى السنتهم
وعاجلهم بالعذاب انتهى فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ومن
الجمع الى الافراد اي يختم على قلبك ايها القائل انه افترى على الله كذبا ويمح
الله الباطل استئناف اخبار اي يمحوه اما في الدنيا واما في الآخرة بحسابه له
وكتب ويمح بغير واو ولما كتبوا ويدع بغير واو اعتبارا بعدم ظهورها لانه
لا يوقف عليها وقف اختبار فلما سقطت من اللفظ سقطت من الخط قال
الزمخشري ويجوز ان تكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمحو الباطل
الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن
وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم
فيجري الامر على حسب ذلك انتهى وقيل ويحق الاسلام بكلماته اي بما انزل من
القرآن وتقدم الكلام في شرائط التوبة ويقال قبلت منه الشي يعني اخذته
منه لقوله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم اي يوقفا اي جعلته مبدا
قبوله ومنشاه وقبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه يعني تجاوز اي
يزيل الرجوع عن المعاصي ويعفو عن السيئات قال الزمخشري عن السيئات
ان تاب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر انتهى وهو على طريقة
الاعتزال ان الكبائر لا يعفى عنها الا بالتوبة ويعلم ما يفعلون فيثيب
ويعاقب وقرا الجمهور ما يفعلون بالغيبة وعبد الله وعلقمة
والاخوان وحفص بالخطاب والظاهر ان الذين فاعل ويستجيب اي

ويجيب

ويجيب الذين آمنوا الى ربهم كما قال يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم فيكون يستجيب بمعنى يجيب او يبقى على بابه من الطلب اي يستدعي
الذين آمنوا الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحة وقال سعيد بن جبير هذا من فعلهم
اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه
دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا
قال الزجاج الذين مفعول واجاب واستجاب بمعنى واحد فالمعنى ويجيب الله
الذين آمنوا اي للذين كما قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه وروي
هذا المعنى عن معاذ بن جبل وابن عباس ويزيدهم من فضله اي على الثواب
تفضلا وفي الحديث قبول الشفاعات في المومنين والرضوان وقال خباب بن
الارت نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال عمرو بن حريث طلب قوم من
اهل الصفة من الرسول عليه السلام ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال
والارزاق فنزلت اعلم ان الرزق لو جا على اقتراح البشر لكان سبب بغيهم
وافسادهم ولكنه تعالى اعلم بالمصلحة فرب انسان لا يصلحه ولا يكفي شره
الا بالفقر واخر بالغنى وفي هذا المعنى والتقسيم حديث رواه انس وقال اللهم
اني من عبادك الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني ولبغوا اما من البذخ
والكبر اي لتكبروا في الارض ففعلوا ما يتبع الكبر من العلو والفساد واما
من الظلم اي لظلم هذا ذاك وذا هذا لان الاشر والبطر مع الغنى الى ترى
الى حال قارون وفي الحديث اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا
وقال الشاعر وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشو حطا
يعني انهم احيوا فحربوا انفسهم بالنبع والشوحط ولكن ينزل بقدر ما يشا يقال
قدر بالسكون وبالفتح اي يقدر لهم ما هو اصلح لهم وقرا الجمهور قنطوا
بفتح النون والاعمش وابن وثاب بكسرها وينشر رحمته ما يظهر من آثار الغيث
من المنافع والخصب والظاهر ان رحمته تشريها اعم مما في الغيث وقال السدي
رحمته الغيث وعدد النعمة بعينها بلفظين وقيل الرحمة هنا ظهور الشمس
لانه اذا دام المطر سيم ونفى التفسير بعظمة الموقع ذكره المهدوي وهو
الولي الذي يتولى عباده الحميد المحمود على ما اسدى من نعمائه وما بث
الظاهر انه مجرور عطفا على السموات والارض ويجوز ان يكون مرفوعا
عطفا على خلق على حذف مضاف اي وخلق ما بث وفيهما يجوز
ان يكون مما نسب فيه الى المجموع المذكور وان كان متلبسا ببعضه
كما يقال بنو فلان صنعوا كذا وانما صنعه واحد منهم ومنه يخرج منهما
وانما يخرج من الملح او يكون من الملائكة بعضهم يمشي مع الطيران فيوصف
بالدبيب كما يوصف الاناسي او يكون قد خلق في السموات حيوانا يمشي
مشي الاناسي على الارض او يريد الحيوان الذي يكون في السحاب وقد
يقع احيانا كالضفادع والسحاب داخل في اسم السما وقال مجاهد وما بث فيهما
من دابة هم الناس والملائكة وقال ابو علي هو على حذف مضاف اي وما بث
في احدهما وقرا الجمهور فبما بالفاء وكذا هي في معظم المصاحف وافقد

ما ان تكون شرطية وهو الاظهر وان تكون موصولة والفا تدخل في خبر الموصول
اذا اجري مجرى الشرط بشرايط ذكرت في موضعها وهي ههنا موجودة وقرا نافع وابن عامر
وابو جعفر في رواية وشيبة بما بغير فاء فما موصولة ولا يجوز ان تكون شرطية
وحذفت الفاء لان ذلك مما يخص بالشعر واجاز ذلك الاخفش وبعض
نحاة بغداد وقد لمح بعض الادلة الفا وترتيب ما اصاب من المصايب على كسب
الايدي موجود مع الفا ودونها ههنا والمصيبة الرزايا والمصايب في
الدنيا وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه وانه تعالى يعفو
عن كثير فلا يجازي عليه بعقوبة وفي الحديث لا يصيب ابن ادم خدش
عود او عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه اكثر وسيل
عمران بن حصين عن مرضه فقال ان احبه الي احبه الى الله وهذا مما كسبت يداي
وربي يعفو عن كثير ورأى على كف شريح قرحة فقيل بما هذا فقال بما كسبت يدي وقال الزمخشري الاية
مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما
من لا جرم له كالانبيا والاطفال والمجانين فهولا اذا اصابهم شي من الم او غيره
فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي هذه ارجى اية للمومنين وقال الحسن
مصيبة او مرض او حد من حدود الله وتلك مصايب تنزل تخص الانسان ونفسه فانما
هي بكسب ايديكم ويعفو الله عن كثير فيستر على العباد حتى لا يجري عليهم وما انتم
بمعجزين اي فايتين اي انتم في قبضة القدرة وقيل ليست المصايب من الاسقام
والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت ولاشتراك الصالح والطالح فيها بل اكثر ما يبتلى به الصالحون المتقون وفي
الحديث خص بالبلا الانبيا ثم الامثل فالامثل ولان الدنيا دار التكليف فلو حصل الجزا
فيها لكانت دار الجزا وليس الامر كذلك وهذا القول يدفعه نصوص القران كقوله
تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية ومن اياته الجوار
في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في
اياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم من شي فمتاع الحياة
الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين
يجتنبون كباير الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيية سيية مثلها فمن
عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاوليك
ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض
بغير الحق اوليك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب
يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل
ينظرون من طرف خفي لما ذكر تعالى من دلايل وحدانيته انواعا ذكر بعدها
العالم الاكبر وهو السموات والارض ثم العالم الاصغر وهو الحيوان ثم اتبعه
بذكر المعاد اتبعه بذكر السفن الجارية في البحر لما فيها من عظيم دلايل القدرة

من

من جهتها ان الماء جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل والسفن تجري بالاجرام الكثيفة
الثقيلة ومع ذلك جعل تعالى للماء قوة تحملها بها وتمنع من الغوص ثم جعل الرياح سببا
لسيرها فاذا اراد ان ترسوا اسكن الريح فلا تبرح عن مكانها والجواري جمع جارية
واصله السفن الجواري حذف الموصوف واقامت صفته مقامه وحسن ذلك
قوله في البحر فدل ذلك على انها صفة للسفن والا فهي صفة غير مختصة فكان
ان لا يحذف الموصوف ويقوم مقامه ويمكن ان يقال انها صفة غالبة كالابطح
فجاز ان تلي العوامل بغير ذكر الموصوف وقرى الجوار بالياء دونها
وسمع من العرب الاعراب في الرا وفي البحر متعلق بالجواري وكالاعلام في
موضع الحال والاعلام الجبال ومنه قول الخنسا اخت صخر ومعاوية

وان صخرا لتاتم الهداة به * كانه علم في راسه نار

ومنه اذا قطعن علما بدا علم وقرا الجمهور السبعة الريح افرادا ونافع جمعا وقرا
الجمهور فيظللن بفتح اللام وقرا قتادة بكسرها والقياس الفتح لان الماضي
بكسر العين فالفتح في المضارع قياس وقال الزمخشري من ظل يظل ويظل نحو ضل
يضل ويضل انتهى وليس كما ذكر لان يضل بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي
ويضل بكسرها من ضللت بفتحها في الماضي وكلاهما مقيس لكل صبار على بلايه
شكور لنعمايه او يوبقهن يهلكهن اي الجواري وهو عطف على يسكن والضمير
في كسبوا عايد على ركاب السفن اي بذنوبهم وقرا الاعمش ويعفو
بالواو وعن اهل المدينة بنصب الواو والجمهور ويعف بجزم الفا عطفا
على يوبقهن فاما قراة الاعمش فانه اخبر تعالى انه يعفو عن كثير اذ لا يواخذ
بجميع ما اكتسب الانسان واما النصب فباضمار ان بعد الواو كالنصب
بعد الفا في قراة من قرا يحاسبكم به الله فيغفر وبعد الواو في قول النابغة

فان يهلك ابو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام
ونامسك بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام

روي بنصب ونامسك ورفعه وجزمه وفي هذه القراة يكون العطف على مصدر
متوهم اي يقع ايباق وعفو عن كثير واما الجزم فانه داخل في حكم جواب الشرط
اذ هو معطوف عليه وهو راجع في المعنى الى قراة النصب لكن هذا عطف فعل
على فعل وفي النصب عطف مصدر مقدر على مصدر متوهم وقال القشيري
وقرى ويعف بالجزم وفيها اشكال لان المعنى ان يشا يسكن الريح فتبقى
تلك السفن رواكد او يهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا
لان المعنى يصير ان يشا يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو
من غير شرط المشية فهو اذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث
المعنى وقد قرا قوم ويعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى انتهى وما
قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى انه تعالى ان يشا اهلك
ناسا وانجى ناسا على طريق العفو عنهم وقال الزمخشري فان قلت
علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن
او يعصفها فيغرقن بعصفها انتهى ولا يتعين ان يكون التقدير او يعصفها
فيغرقن لان اهلاك السفن لا يتعين ان يكون بعصف الريح بل قد يهلكها

فتلجئ بسبب الريح كثرة لسطحها بكثرة الثقل او انكسار اللوح يكون سببا لاهلاكها او يوبقهن عطف
يهلكها اهله وقرا الاعمش وابو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وزيد بن علي ويعلم
بالرفع على القطع وقرا الجمهور ويعلم بالنصب قال ابو علي حسن النصب اذا كان
قبله شرط او جزا وكل واحد منهما غير واجب وقال الزجاج على اضمار ان لان قبلها جزا تقول
ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما
قال الزمخشري فيه نظر لما اورده س في كتابه قال واعلم ان النصب بالفا والواو في
قوله ان تاتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا
فهذا لا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزا صار اقوى قليلا لانه ليس
بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام
ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه قال الزمخشري ولا يجوز ان تحمل القراة المستفيضة
على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلا
س منها كتابه وقد ذكر نظايرها من الايات المشكلة انتهى وخرج الزمخشري
النصب على انه معطوف على تعليل محذوف قال تقديره لينتقم منهم ويعلم
الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القران
ومنه قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله خلق الله السموات والارض
بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت انتهى ويبعد تقديره لينتقم منهم
لانه ترتب على الشرط اهلاك قوم فلا يحسن ذكر لينتقم منهم واما الايتان
فيمكن ان تكون اللام متعلقة بفعل محذوف اي ولنجعله اية للناس ولتجزى كل نفس
بما كسبت فعلنا ذلك وهو كثير يقدر هذا الفعل محذوفا اذا لم يكن فعل
ظاهر يتعلق به وذكر الزمخشري ان قوله تعالى ويعلم يقرى بالجزم قال فان قلت فكيف
يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشا يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم
ونجاة قوم وتحذير اخرين انتهى لان قوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من
محيص يتضمن تحذيرهم من عقاب الله وما لهم من محيص في موضع نصب لان ويعلم
معلقة كقولك علمت ما زيد قايم وقال ابن عطية في قراة النصب وهذه الواو ونحوها
التي تسميها الكوفيون واو الصرف لان حقيقة واو الصرف يريدون بها عطف فعل على
اسم مقدر فيقدر ان ليكون مع الفعل بتاويل المصدر فيحسن عطفه على الاسم
انتهى وليس قوله تعليلا لقولهم واو الصرف انما هو تقرير لمذهب البصريين واما
الكوفيون فان واو الصرف ناصبة بنفسها لا باضمار ان بعدها قال ابو عبيد على الصرف
كالذي في ال عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومعنى
الصرف انه كان على جهة فصرفنا الى غيرها فتغير الاعراب لاجل الصرف والعطف
لا يعين الاقتران في الوجود كالعطف في الاسم نحو جا زيد وعمرو ولو نصب
وعمرا اقتضى الاقتران وكذلك واو الصرف يفيد معنى الاقتران ويعين معنى
الاجماع ولذلك اجمع على النصب في قوله ويعلم الصابرين اي ويعلم المجاهدين
والصابرين معا عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به
كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت فما اوتيتم
من شي والظاهر انه خطاب للناس وقيل للمشركين وما شرطية مفعول ثاني
لاوتيتم ومن شي تبيين لما والمعنى من شي من رياش الدنيا وما لها والسعة فيها

والفا

والفا جواب الشرط اي فهو متاع اي يتمتع في الحياة وما عند الله اي من ثوابه وما
اعد لاوليايه خير وابقى منها وتيشم لانه لا انقطاع له وتقدم الكلام في الكباير
في قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه في النسا وقرا الجمهور كباير جمعا هنا
وفي النجم وحمزة والكساي بالافراد والذين يجتنبون عطف على للذين امنوا
وكذلك ما بعده ووقع لابي البقا وهم في التلاوة اعتقد انها الذين يجتنبون
بغير واو فبني عليه الاعراب فقال الذين يجتنبون في موضع جر بدلا من للذين
امنوا ويجوز ان تكون في موضع نصب باضمار يعني وفي موضع رفع على
تقديرهم انتهى والعامل في اذا يغفرون وهي جملة من مبتدا وخبر معطوفة
على يجتنبون ويجوز ان تكون هم توكيدا للفاعل في غضبوا وقال ابو البقا هم
مبتدا ويغفرون الخبر والجملة جواب اذا انتهى وهذا لا يجوز لان الجملة لو
كانت جواب اذا لكانت بالفا تقول اذا جا زيد فعمرو منطلق ولا يجوز حذف
الفا الا ان ورد في شعر وقيل هم مرفوع بفعل محذوف يفسره يغفرون
ولما حذف انفصل الضمير وهذا القول فيه نظر وهو انه جواب اذ يفسر كما
يفسر فعل الشرط بعدها نحو اذا السما انشقت ولا يبعد جواز ذلك على
مذهب س اذا اجاز ذلك في اداة الشرط الجازمة نحو ان ينطلق زيد ينطلق
عنده فانه بفعل محذوف يفسره الجواب اي ينطلق زيد ومنع ذلك الكساي
والفرا وقال الزمخشري هم يغفرون اي هم الاخصا بالغفران في حال الغضب
لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجي بهم وايقاعه مبتدا
واسناد يغفرون اليه لهذه الفايدة انتهى ومنه حض على كسر الغضب وفي
الحديث اوصني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب قال زدني قال
لا تغضب والذين استجابوا لربهم قيل نزلت في الانصار دعاهم الله
للايمان به وطاعته فاستجابوا له وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة اذا نابهم امر تشاوروا فاثنى الله عليهم لا ينفردون
براي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم
انتهى وفي الشورى اجتماع الكلمة والتحاب والتعاضد على الخير وقد شاور
الرسول عليه السلام فيما يتعلق بمصالح الحروب والصحابة بعده في ذلك وشاور
عمر الهرمزان وفي الاحكام كقتال اهل الردة وميراث الجد وعدد حد الخمر وغير
ذلك والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور على حذف مضاف اي وامرهم
ذو شورى بينهم وهم الذين ينتصرون صفة بالاداة والجملة الشرطية وجوابها
صلة لما ذكرناه من لزوم الفا ويجوز هنا ان يكون هم فاعلا بفعل محذوف
على ذلك القول الذي قيل في هم يغفرون وقال الحوفي وان شئت جعلت
هم توكيدا للها والميم يعني في اصابهم في موضع رفع وفيه نظر اذ فيه الفصل
بين المؤكد والتوكيد بالفاعل وهو فصل الظاهر انه لا يمتنع والانتصار
يتصرف على ما حده الله ولا يعتدي وقال النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا
انفسهم فتجترى عليهم الفساق ومن انتصر غير متعد فهو مطيع محمود وقال
مقاتل وهشام بن عروة الاية في المجروح ينتصف من الجارح بالقصاص وقال
ابن عباس بغى المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واخرجوهم

من مكة فاذن الله لهم بالخروج لهم في الارض ونصرهم على من بغى عليهم وقال الكيا الطبري ظاهره ان
الانتصار في هذا الموضع احسن الا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله ورسوله واقام الصلاة
فهو محمول على ما ذكره النخعي وهذا فيمن تعدى واصر واما من رغبه بالعفو اذا كان الجاني نادما
مقلعا وقد قال عقيب هذه الاية ولمن انتصر بعد ظلمه الاية فيقتضي اباحة الانتصار
وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر وهذا محمول على الغفران من غير المصر فاما المصر
على البغي فالافضل الانتصار منه بدليل الاية قبلها وقال ابن بحر المعنى تناصروا عليه
فازالوه عنهم وقال ابو بكر بن العربي نحوا من قول الكيا وقال الجمهور اذا بغي
مؤمن على مؤمن فلا يجوز له ان ينتصر منه بنفسه بل يرفع ذلك الى الامام او
نائبه وقالت فرقة له ذلك وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا بيان للانتصار اي
لا يتعدى فيما يجازي به من بغى عليه قال ابن ابي نجيح والسدي اذا شتم فله ان يرد
مثل ما شتم به دون ان يتعدى وسمى القصاص سيئة على سبيل المقابلة او لانها
تسوء من اقتص منه كما عادت المقتص وظاهر قوله مثلها المماثلة مطلقا في كل
الاحوال الا فيما خصه الدليل والفقهاء ادخلوا التخصيص في صور كثيرة بناء على
القياس قال مجاهد والسدي اذا قال له اخزاك الله فليقل له اخزاك الله واذا قذفه
قذفا يوجب الحد فله الحد الذي امره الله فمن عفى واصلح اي بينه وبين خصمه بالعفو
فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس عظمها اذ هي على الله انه لا يحب الظالمين اي
الجانين واذا كان لا يحبه وقد ندب الى العفو عنه فالعفو الذي يحبه الله اولى
الذي يعفو عنه او لا يحب الظالمين من تجاوز واعتدى في الجاني عليهم
اذا انتقموا وضعوا في حالة الجود وانتهاب الحمية فربما يظلم وهو لا يشعر وفي الحديث
اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له اجر على الله فليقم قال فيقوم خلق
فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم
ادخلوا الجنة باذن الله واللام في ولمن انتصر لام توكيد قال الحوفي وفيها
معنى القسم وقال ابن عطية لام التقاء القسم ويعني انها اللام التي تتلقى
القسم فالقسم فيها محذوف ومن شرطية وصل انتصر بعد ظلمه على تقدير من
وفاولئك على معنى من والفا جواب الشرط وظلمه مصدر مضاف الى المفعول
قال الزمخشري ويعضده قراءة من قرا بعدما ظلم فاولئك ما عليهم من سبيل اي من
طريق الى الحرج وقيل من سبيل للعاقب ولا للعاتب والعائب وهذه مبالغة
في اباحة الانتصار انما السبيل اي سبيل الاثم والحرج على الذين يظلمون اي
يبتدئون بالظلم ويبغون في الارض اي يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون وقيل
ويظلمون الناس اي يضعون الاشياء مواضعها من القتل واخذ المال والاذى
باليد واللسان والبغي بغير الحق هو نوع من انواع الظلم خصه بالذكر تنبيها على
شدته وسوء حال صاحبه انتهى ولمن صبر اي على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر والكلام
في ولمن يجوز ان تكون اللام الموطئة للقسم المحذوف ومن شرطية وجواب القسم
قوله ان ذلك وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ويجوز ان تكون
اللام لام الابتدا ومن موصولة مبتدا والجملة المؤكدة بان في موضع الخبر وقال
الحوفي لمن رفع بالابتدا وضمن الخبر وجواب الشرط ان وما تعلقت به على حذف
الفا كما قال الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها اي فالله يشكرها انتهى

وهذا

وهذا اليوم يجيء لانه حذف الفا المخصوص بالشرط عند من والاشارة بذلك الى ما تقدم من صبر
وغفر والعائد على الموصول المبتدا من الخبر محذوف اي ان ذلك منه لدلالة المعنى عليه لمن عزم
الامور ان كان ذلك اشارة الى المصدر المفهوم من قوله ولمن صبر وغفر لم يكن من عزم
الامور حذف وان كان ذلك اشارة الى المبتدا كان هو الرابط ولا يحتاج الى تقدير منه
وكان في عزم الامور حذف اي انه لمن ذوي عزم الامور وسب رجل آخر في مجلس الحسن
فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا الاية فقال الحسن عقلها
والله وفهمها لما ضيعها الجاهلون والجملة من قوله انما السبيل اعتراض
بين قوله ولمن انتصر وقوله ولمن صبر ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
اي من ناصر يتولاه من بعده اي من بعد اضلال الله وهذا تحقير لامر الكفرة وترى
الظالمين الخطاب للرسول والمعنى وترى حالهم وما هم فيه من الحيرة لما راوا
العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل الى الرد الى الدنيا وذلك من فظيع ما حلوا
عليه وسوء ما يحل بهم وتراهم يعرضون عليها اي على النار ودل عليها ذكر العذاب
خاشعين متضائلين صاغرين مما يلحقهم من الذل وقرا طلحة من الذل
والجمهور بالضم والخشوع الاستكانة وهو محمود وانما اخرجه الى الذم اقترانه بالذل وقيل
من الذل متعلق ينظرون من طرف خفي قال ابن عباس ذليل انتهى قيل ووصف بالخفاء
نظرهم ضعيف ولحظهم بمهابة قال الشاعر فغض الطرف انك من نمير وقيل
يحشرون عميا ولما كان نظرهم وقيل يحشرون بعيون قلوبهم جعله طرفا خفيا اي لا يبدو
نظرهم وهذا التاويل فيه تكلف وقال السدي وقتادة المعنى يسارقون النظر
لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال لا يستطيعون النظر بجميع العين وانما ينظرون من بعضها فيجوز
على هذا التاويل ان يكون الطرف مصدرا اي من نظر خفي وقال الزمخشري من طرف خفي
اي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى
السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره ولا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملا عينه منها كما
يفعل في نظره الى المحاب وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا
فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان
منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور
لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا
الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشا عقيما انه عليم قدير وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشا انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي الى
صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله
تصير الامور الظاهر ان وقال ماض لفظا ومعنى اي وقال الذين امنوا في الحياة الدنيا
ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا ويحتمل ان يكون بمعنى ويقول ويوم القيامة معمول
لقول اي ويقول في ذلك اليوم لما عاينوا ما حل بالكفار واهليهم الظلمة ان الذين كانوا

اهليهم في الدنيا فانهم كانوا معهم في النار فقد خسروهم اذ لا ينتفعون بهم وان كانوا في الجنة فلكونهم
كانوا مومنين كانت امواتهم من يعون ثم لا ينتفعون بهم ايضا وقيل اهلوهم ما كان اعد
لهم من الحور لو كانوا امنوا والظاهر ان قوله الا ان الظالمين في عذاب مقيم من كلام
المومنين وقيل استيناف اخبار من الله تعالى من قبل ان ياتي يوم قيل هو يوم
ورود الموت والظاهر انه يوم القيامة ومن الله متعلق بمحذوف يدل عليه
مامرد اي لا يرد ذلك اليوم من ما حكم الله به وقال الزمخشري من الله من صلة
لا مرد انتهى وليس بجيد اذ لو كان من صلته لكان معمولا له فكان يكون
اسم لا من قبيل المطول فكان يكون معربا منونا وقيل من الله يتعلق بقوله
ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجا
يلجون اليه فيتخلصون من العذاب وما لكم من انكار شي من اعمالكم التي
توردكم النار والنكير مصدر وانكر على غير قياس قيل ويحتمل ان يكون اسم فاعل
للمبالغة وفيه بعد لان نكر معناه لم يمض فان اعرضوا الاية تسلية للرسول وتانيس
له وازالة لهمه بهم والانسان يراد به الجنس ولذلك جا وان تصبهم سيئة
وجا جواب الشرط فان الانسان ولم يات فانه ولانه تسجيل عليه ان هذا
الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان
لربه لكنود ولما ذكر انه يكفر المنعم اتبع ذكر بانه له ملك العالم العلوي
والسفلي وانه يفعل ما يريد ونبه على عظيم قدرته وان الكل هبات
ناشية عن ارادته فذكر انه يهب لبعض اناثا ولبعض ذكورا ولبعض الصنفين ويعقم
بعضا فلا يولد له وقال اسحاق بن بشر نزلت هذه الاية في الانبيا ثم عمت فلوط
ابو بنات لم يولد له ذكور وابراهيم ضده ومحمد صلى الله عليه وسلم ولد له الصنفان
ويحيى عقيم انتهى وذكر ابن ضايع لوط وشعيب ومع يحيى عيسى وقدم تعالى هبة البنات
تانيسا بهن وتشريفا لهن ليتهمم بصونهن والاحسان اليهن وفي الحديث من ابتلي
بشي من هذه البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار وقال واثلة بن
الاسقع من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدا بالاناث وقال
الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم
ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلا في اخر الاية الاولى وكفران
الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيته
وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشا لا ما يشاه
الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاه الانسان اهم والاهم
واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلا ذكر البلا واخر
الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقا بالتقديم بتعريفهم لان
التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشا الفرسان الاعلام المذكورين
الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتاخير
وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال ذكرانا واناثا
كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى انتهى وقيل
بدا بالانثى ثم ثنى بالذكر لتنقله من الغم الى الفرح وقيل ليعلم انه لا اعتراض
على الله فيرضى فاذا وهب له الذكر علم انه زيادة فضل من الله واحسان اليه

وقيل

وقيل قدمهن تنبيها على انه اذا كان العجز والحاجة لهم كانت عناية الله اكثر وقال مجاهد
والضحاك والحسن وابو مالك وابو عبيدة اناثا لا ذكور معهن ويهب لمن يشا الذكور لا اناث
معهم وقال الثعلبي التزويج الجمع بين البنين والبنات وقال مجاهد هو ان
تلد المراة غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية ان تلد توما غلاما
وجارية وقال ابو بكر بن العربي او يزوجهم ذكرانا واناثا قال علماونا يعني
ادم كانت حوا تلد له في كل بطن توامين ذكرا وانثى ويزوج ذكر هذا البطن
انثى البطن الاخر انتهى ولما ذكر الهبة في الاناث والهبة في الذكور اكتفى
عن ذكرها في قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ولما كان العقم ليس بمحمود
قال ويجعل من يشا عقيما وهو قسيم لمن يولد له ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده
لم يذكره تعالى قالوا وكانت الخلقة مستمرة ذكرا وانثى الى ان وقع في الجاهلية الاولى
الخنثى فسئل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه فلم يدر ما يقول
وارجاهم فلما جن عليه الليل جعل يتقلب ويذهب به الافكار وانكرت خادمه
حاله فسالته فقال سهرت لامر لا ادري ما اقول فيه فقالت له ما هو فقال شخص
له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت له الامة ورثه من حيث يبول فعقلها
واصبح فعرضها عليهم فرضوا بها وجا الاسلام على ذلك وقضى بذلك علي كرم الله وجهه
انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يشا كان من الكفار خوض في معنى
تكليم الله موسى فذهبت قريش واليهود في ذلك الى التجسيم فنزلت وقيل
قالت قريش الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا صادقا كما كلمه موسى
ونظر اليه فقال لهم الرسول عليه السلام لم ينظر موسى الى الله فنزلت وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية بالصورة تكليم الله عباده اي ما ينبغي ولا
يمكن الا يوحي اليه احد وجوه الوحي من الالهام قال مجاهد او النفث في
القلب قاله النقاش او وحي في المنام وقال النخعي كان من الانبيا من يخط
له في الارض او بان يسمعه كلامه دون ان يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا
كموسى عليه السلام وهذا معنى من وراء حجاب اي من خفا عن المتكلم لا يحده
ولا يتصور بذهنه عليه وليس كالحجاب في الشاهد او بان يرسل اليه ملكا يشافهه
بوحي الله تعالى قاله ابن عطية وقال الزمخشري وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله
الا على ثلاثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام
كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله
الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص
ح واوحى الي الله ان قد تامروا • بابل ابي اوفى فقمت على رجل ح
اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام
من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب
مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته
ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا
من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبيا غير موسى انتهى وهو على طريقة المعتزلة
في استحالة رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقي عن الله وكل هذه الاقسام الثلاثة
يصدق عليها انها وحي وخص الاول باسم الوحي هنا لان ما يقع في القلب على سبيل

الالهام يقع دفعة واحدة فكان تخصيص لفظ الوحي به اولى وقيل وحيا الهاما وهي الرؤيا
بواسطة الملايكة او يرسل رسولا يعني نبيا كما كلم الانبيا على السنتهم حكاه الزمخشري
وترك تفسيرا او من ورا حجاب ومعناه في هذا القول كما كلم محمدا وموسى صلى الله عليهما
وسلم وقرا الجمهور حجاب مفردا وابن ابي عبلة حجب جمعا والجمهور او يرسل
رسولا فيوحي بنصب الفعلين عطفا او يرسل على المضمر الذي يتعلق به
من ورا حجاب تقديره او يكلمه من ورا حجاب وهذا المضمر معطوف على
وحيا والمعنى الا ايحا او سماعا من ورا حجاب او ارسال رسول فيوحي ذلك
الرسول الى النبي الذي ارسل عنه باذن الله ما يشا ولا يجوز ان يعطف او يرسل
على ان يكلمه لفساد المعنى وقال الزمخشري ووحيا وان يرسل مصدران
واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن ورا حجاب ظرف
واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا
الا موحيا او مسمعا من ورا حجاب او مرسلا انتهى واما وقوع المصدر موقع
الحال فلا ينقاس وانما قالته العرب وكذلك لا يجوز جا زيد بكا يريد
باكيا وقاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل نحو جا زيد مشيا او سرعة ومنع
سي ان يقع ان والفعل المقدر بالمصدر موقع الحال فلا يجوز نحو جا زيد ان
يضحك في معنى ضحكا الواقع موقع ضاحكا فجعله وحيا مصدرا في موضع
الحال مما لا ينقاس وان يرسل في معنى رسولا ارسالا الواقع موقع مرسلا
ممنوع بنص سي وقرا نافع واهل المدينة او يرسل رسولا فيوحي بالرفع
فيهما فخرج على اضمار هو يرسل او على ما يتعلق به من ورا اذ تقديره او يسمع
من ورا حجاب ووحيا مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف
عليه او يرسل والتقدير الا موحيا او مسمعا من ورا حجاب او مرسلا واسناد
التكلم الى الله بكونه ارسل رسولا مجاز كما تقول نادى الملك في الناس بكذا
وانما نادى الركض الداير في الاسواق نزل ما كان بواسطة منزلة ما كان
بغير واسطة قال ابن عطية وفي هذه الاية دليل على ان الرسالة من انواع
التكليم وان الحالف المرسل حانث اذا حلف ان لا يكلم انسانا فارسل اليه
وهو لم ينو المشافهة وقت يمينه انتهى اي علي عن صفات المخلوقين
حكيم يجري افعاله على ما تقتضيه الحكمة يكلم بواسطة وبغير واسطة وكذلك
اوحينا اي مثل ذلك الايحا الفصل اوحينا اليك اذ كان عليه السلام اجتمعت
له الطرق الثلاث النفث في الروع والمنام وتكليم الله له حقيقة ليلة
الاسرا وارسال رسول اليه وهو جبريل وقيل كما اوحينا الى الانبيا من
قبلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس النبوة وقال السدي الوحي
وقال قتادة رحمة الله وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقيل القران
وهو الظاهر وسمي روحا لانه تحيا به النفوس من الجهل وقال مالك بن دينار يا اهل
القران ماذا زرع القران في قلوبكم فان القران ربيع القلوب كما ان الغيث
ربيع الارض ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان توقيف على عظم المنة
وهو صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بها وعطف ولا الايمان على ما الكتاب والمعنى
معناه الايمان الذي مدركه السمع لان له اشيا من الايمان لا يعلم الا بالوحي

اما توحيد

اما توحيد الله وبراته من النقايص ومعرفة صفاته العلى فجميع الانبيا عليهم السلام عالمون
بذلك معصومون ان يقع منهم زلل في شي من ذلك سابق ام لا ذكر قبل ان يوحى اليهم وقد
اطلق الايمان على الصلاة في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اذ هي بعض ما يتناوله
الايمان ومن طالع سير الانبيا من نشاتهم الى مبعثهم تحقق عنده انهم معصومون
من كل نقيصة موحدون لله منذ نشوا قال الله تعالى في حق يحيى عليه السلام واتيناه
الحكم صبيا قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث وعن ابي العالية ما كنت تدري قبل
الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال القاضي ولا الايمان
الفرايض والاحكام قال وكان قبل مومنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرايض التي لم
يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وقال القشيري يجوز اطلاق الايمان
على تفاصيل الشرع وقال الحسين بن الفضل هو على حذف مضاف اي ولا اهل
الايمان من الذي يومن ابو طالب والعباس او غيرهما وقال علي بن عيسى
اذ كنت في المهد وقيل ما الكتاب لولا انعامنا عليك ولا الايمان لولا هدايتنا
لك وقيل اي كنت من قوم اميين لا يعرفون الكتاب ولا الايمان لولا هدايتنا
لك وقيل فتكون لا ظرف ما جيتهم به نور من كان يعلم ذلك منهم ما الكتاب
جملة استفهامية مبتدا وخبر وهي في موضع نصب بتدري وهي معلقة ولكن
جعلناه نورا احتمل ان يعود الى قوله روحا والى الكتاب والى الايمان وهو اقرب
مذكور وقال ابن عطية عايد على الكتاب انتهى وقيل يعود الى الكتاب
والايمان معا لان مقصدهما واحد فهو نحو والله ورسوله احق ان يرضوه
وقرا الجمهور لتهدي مضارع هدى مبنيا للفاعل وهو سبب مبنيا للسايل فهو
اجابة لسوال النبي عليه السلام اهدنا الصراط المستقيم وقرا ابن السميفع لتهدي بضم
التا وكسر الدال وعن الجحدري مثلها ومبنيا للمفعول وفي قراءة حوشب لتدعو قال
علي هو القران وقيل الاسلام الا الى الله تصير الامور اخبار بالمضارع والمراد به
الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع اي من شانه ذلك ولا يراد به حقيقة
المستقبل اذ صيغ الامور صاير في الدوام اليه وقيل المراد المستقبل اي ترجع
الامور الخلق اليه تعالى يوم القيامة فيقضي بينهم بالعدل ووصف ذلك بعد
القيامة لانه لا يمكن لاحد ان يدعي فيه لنفسه شيا قال الزمخشري يعشو يعرض ويعمى
يعمى وقال ابن قتيبة اي يظلم اعشى عن الشي اعرض عنه وانما يقول
تعاشيت عن كذا اي تعاميت اذا نظرت عنه وتقول عشوت الى النار اذا
استدللت عليها ببصر ضعيف وقيل عشي يعشى اذا حصلت الافة في بصره
وعشا يعشو نظر نظر العمي ولا افة به كما قالوا عرج لمن به الافة وعرج لمن
مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تاته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد اي تنظر اليها نظر العمي لما يضعف بصرك
من عظم الوقود به وقول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت
المفردات — حتى يواري جارتي الخدر الصحفة قال الجوهري هي القصعة وقال
الجوهري اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع
الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة والصحيفة الكتاب والجمع
صحايف الكوب قال قطرب الابريق لا عروة له وقال الاخفش الابريق

لا مر طوع له وقيل كالابريق الا انه لا اذن له ولا مستبغ قال ابو منصور الجواليقي انه كان
بغير عروة ليشرب الشارب من اين شا لان العروة ترد الشارب من بعض الجهات انتهى
وقال عدي • متكيا تصفق ابوابه • يسعى عليه العبد بالكوب • ابرم
قال القرا ابرم الامر بالغ في احكامه وابرم القاتل اذا احكم وهو الفتل
الثاني والاول يقال له سحيل كما قال زهير • من سحيل ومبرم •
انتهى الابرام ان يجمع خيطين ثم تفتلهما فتلا متقنا والبريم خيط فيه لونان
سورة الزخرف بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه
قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم
الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما
ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى
مثل الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
والذي نزل من السما ما بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي
خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا
على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من
عباده جزا ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم
اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين هذه السورة مكية
وقال مقاتل الا قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا وقال ابن عطية
مكية باجماع اهل العلم انا جعلناه اي صيرناه او سميناه وهو جواب القسم
وهو من الاقسام الحسنة لتناسب المقسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد
ونظيره قول ابي تمام • وثناياك انها اغريض • وقيل والكتاب اريد به
الكتب المنزلة والضمير في جعلناه يعود على القرآن وان لم يتقدم له ذكر
لدلالة المعنى عليه وقال الزمخشري جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين
او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور ولعل مستعار لمعنى
الارادة لكي تفطنوها ومعنى الترجي اي جعلناه عربيا غير عجمي ارادة ان
تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته انتهى وهو على طريقة الاعتزال
في كون القرآن مخلوقا وام الكتاب اللوح المحفوظ لانه الاصل الذي اثبتت
فيه الكتب وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع بكونه لديه عليا على جميع
الكتب وعاليا عن وجوه الفساد حكيما اي حاكما على سائر الكتب او محكما
بكونه في غاية البلاغة والفصاحة وصحة المعاني قال قتادة وعكرمة
والسدي اللوح المحفوظ القرآن فيه باجمعه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل
وقيل ام الكتاب الآيات المحكمات لقوله هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن ام الكتاب ومعناه ان سورة حم واقعة
في الآيات المحكمات التي هي الام وقرا الجمهور في ام بضم الهمزة والاخوان
بكسرها وعزاها ابن عطية ليوسف بن عمر والى العراق ولم ينسبها للاخوان علي

منه

منه قيل اضربت عن كذا واضربت عنه اذا اعرضت عنه والذكر قال الضحاك وابو صالح
القرآن اي افنترك عنكم القرآن وقولهم ضرب الغرائب عن الحوض اذا ذادها
وقال الشاعر • اضرب عنك الهموم طارقها • وقيل الذكر
الدعا الى الله والتخويف من عقابه قال الزمخشري والفا للعطف على محذوف
تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكار الان يكون الامر على خلاف ما قدم
من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بموجبه انتهى وتقدم
الكلام معه في تقديره فعلا بين الهمزة والفا في نحو افلم يسيروا وانه لا تقدير
بينهما وبين الواو ومنوي بهما التقديم لعطف ما بعدهما على ما قبلهما وقول
النحويين ان الفاء والواو منوي بهما التقديم لعطف ما بعدهما على ما قبلهما
وان الهمزة تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام ولا خلاف بين الهمزة والحرف
وقد رددنا عليه قوله وقال ابن عباس ومجاهد المعنى افنترك تذكيركم وتخويفكم
عفوا عنكم وصفحا عن اجرامكم ان كنتم او من اجل ان كنتم قوما مسرفين
اي بهذا لا يصلح وقال قتادة والسدي المعنى صفحا اي معفوا عنه اي نتركه
ثم لا تؤاخذون بقبوله ولا بتدبره ولا تنبهون عليه وهذا المعنى نظير قول الشاعر
• تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا • ويصدع قلبي ان يهب هبوبها •
وقول كثير • صفوحا فما تلقاك الا بخيلة • فمن مل منها ذلك الوصل ملت •
وقال ابن عباس المعنى افتحسبون ان نصفح عنكم ولم تفعلوا ما امرتم به وقال الكلبي
اي نترككم هملا بلا امر ولا نهي وقال مجاهد ايضا ان لا نعاقبكم بالتكذيب وقيل
ان نترك الانزال للقرآن من اجل تكذيبكم وقرا حسان بن عبد الرحمن الضبعي
والسميط بن عمير وشبيل بن عزرة بضم الصاد والجمهور بفتحها وهما
لغتان كالسد والسد وانتصاب صفحا على انه مصدر من معنى افنضرب
لان معناه افنصفح او مصدر في موضع الحال اي صافحين قاله الحوفي
وتبعه ابو البقاء وقال الزمخشري وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح
عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن
والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح
وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف
كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرا صفحا بالضم وفي هذه
القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال
اي صافحين معرضين وقال ابن عطية صفحا انتصابه كانتصاب صنع
الله انتهى يعني انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة فيكون العامل
فيه محذوفا ولا يظهر هذا الذي قاله فليس انتصابه انتصاب صنع الله
وقرا نافع والاخوان بكسر الهمزة واسرافهم كان متحققا فكيف دخلت
عليه ان الشرطية التي لا تدخل الا على غير المتحقق او على المتحقق الذي
انبهم زمانه قال الزمخشري هو من الشرط الذي يصدر عن المدل بصحة
الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي
وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل
من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وقرا الجمهور ان بفتح

المرة أي من أجل أن كنتم، قال الشاعر: أتجزع أن بان الخليط المودع. وقرأ زيد بن علي إذ كنتم بذال مكان النون. ولما ذكر خطابا لقريش أفنضرب عنكم الذكر، وكان هذا الإنكار دليلا على تكذيبهم للرسول وإنكار ما جاء به، آنسه تعالى بأن عادتهم عادة الأمم السابقة من استهزائهم بالرسل، وأنه تعالى أهلك من كان أشد بطشا من قريش، أن يحل بهم مثل ما حل بالأولين مكذبي الرسل من العقوبة. قال معناه قتادة، وهي العقوبة التي سارت سير المثل. وقيل: مثل الأولين في الكفر والتكذيب، وقريش سلكت مسلكها. وكان مقبلا عليهم بالخطاب في قوله أفنضرب عنكم، فأعرض عنهم إلى إخبار الغائب في قوله فأهلكنا أشد منهم بطشا. ولئن سألتهم احتجاج على قريش بما يوجب التناقض، وهو إقرارهم بأن موجد العالم العلوي والسفلي هو الله، ثم هم يتخذون أصناما آلهة من دون الله يعبدونهم ويعظمونهم. قال ابن عطية: ومقتضى الجواب أن يقولوا خلقهن الله، فلما ذكر تعالى المعنى جاءت العبارة عن الله تعالى بالعزيز العليم، ليكون ذلك توطئة لما عدد بعد من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش انتهى. وقال الزمخشري: لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه انتهى. الظاهر أن خلقهن العزيز العليم نفس المحكي من كلامهم، ولا ينافي كونهم ذكروا في مكان خلقهن الله أن لا يقولوا في مكان آخر خلقهن العزيز العليم، والذي جعل لكم من كلام الله خطابا لهم تذكير بنعمه السابغة. وكرر الفعل في الجواب في قولهم خلقهن العزيز العليم مبالغة في التوكيد، وفي [illegible] ذكر اسم الله إذ هو العلم الجامع للصفات العلى، وجاء الجواب مطابقا للسؤال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، لأن من مبتدأ، فلو طابق في اللفظ كان بالاسم مبتدأ ولم يكن بالفعل. لعلكم تهتدون أي إلى مقاصدكم في السفر، أو تهتدون بالنظر والاعتبار. بقدر أي بقضاء وحتم في الأزل، أو بكفاية لا كثيرا فيفسد ولا قليلا فلا يجزي. فأنشرنا أحيينا به بلدة ميتا، ذكر على معنى القطر، وبلدة اسم جنس. وقرأ أبو جعفر وعيسى ميتا بالتشديد، وقرأ الجمهور ميتا مخففا. تخرجون مبنيا للمفعول، وابن وثاب وعبد الله بن جبير المصبح مبنيا للفاعل. والأزواج الأنواع من كل شيء، قيل: وكل ما سوى الله فهو زوج، كفوق وتحت، ويمين وشمال، وقدام وخلف، وماض ومستقبل، وذوات وصفات، وصيف وشتاء، وربيع وخريف، وكونها أزواجا تدل على أنها ممكنة الوجود، ويدل على أن محدثها فرد، وهو الله المنزه عن الضد والمقابل والمعارض انتهى. والأنعام المعهود أنه لا يركب من الأنعام إلا الإبل. ما موصولة والعائد محذوف، أي ما تركبونه. وركب بالنسبة للعقلاء يتعدى بفي كقوله فإذا ركبوا في الفلك، ويتعدى للإبل بنفسه، فغلب المتعدي بنفسه على المتعدي بواسطة في، إذ التقدير ما تركبونه. واللام في لتستووا الظاهر أنها لام كي. وقال الحوفي: ومن أثبت لام الصيرورة جاز له أن يقول به هنا. وقال ابن عطية: لام الأمر، وفيه بعد من حيث استعمال أمر المخاطب بتاء الخطاب، وهو من القلة بحيث ينبغي أن لا يقاس عليه، فالفصيح المستعمل اضرب، وقال: لتضرب، بل نص النحويون على أنها لغة رديئة قليلة، إذ لا تكاد تحفظ إلا قراءة شاذة فبذلك فلتفرحوا بالتاء للخطاب، وما أثر المحدثون من قوله عليه السلام: لتأخذوا مصافكم، مع احتمال أن الراوي روى بالمعنى. وقال الشاعر: لتقم أنت يا ابن خير قريش * فتقضي حوائج المسلمينا

وزعم

وزعم الزجاج أنها لغة جيدة، وذلك خلاف ما زعم النحويون. والضمير في ظهوره عائد على ما، كما قال على ظهور ما تركبون، قاله أبو عبيدة. وقال الحسن: للجمع، لأن ما لفظه مفرد ومعناه جمع، فجمع باعتبار المعنى، ومن أفرد فباعتبار اللفظ. وقيل: يعود على الفلك والأنعام. وقال الفراء: [illegible] قال: أضاف الظهور إلى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش، فلذلك جمع الظهور. ثم تذكروا أي في قلوبكم نعمة ربكم معترفين بها مستعظمين لها، لا أنه يريد الذكر باللسان بل بالقلب، ولذلك قال وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا، أي تنزهوا الله بصريح القول. وجاء في الحديث أنه عليه السلام كان إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال، سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون، وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا. وقالوا: إذا ركب في السفينة قال: بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم، ويقول عند النزول: اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين. والمقرن الغالب الضابط المطيق للشيء، يقال: أقرن الشيء إذا أطاقه. قال ابن هرمة: وأقرنت ما حملتني ولقلما * يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر. وقال الشاعر: وابن اللبون إذا ما لز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس. والقرن الحبل الذي يقرن به. وقال أبو عبيدة: فلان مقرن لفلان أي ضابط له. والمعنى أنه ليس لنا من القوة ما يضبط به الدابة والفلك، وإنما الله هو الذي سخرها. وأنشد قطرب لعمرو بن معدي كرب: لقد علم القبائل ما عقيل * لنا في النائبات بمقرنينا. وقرئ مقرنين اسم فاعل من أقرن. وإنا إلى ربنا لمنقلبون أي راجعون، وهو إقرار بالرجوع إلى الله وبالبعث، لأن الراكب في مظنة الهلاك بالغرق إذا ركب الفلك، وبعثور الدابة إذا ركبها، إذ ركوبها أمر فيه خطر ولا يؤمن السلامة فيه، فقوله هذا تذكير بأنه مستشعر الصيرورة إلى الله ومستعد للقائه، فهو لا يترك ذلك من قلبه ولا لسانه. وجعل كفار قريش والعرب له أي لله من عباده، أي ممن هم عباد الله، جزءا أي نصيبا وحظا، وهو قولهم الملائكة بنات الله. وقال قتادة: جزءا أي ندا، وذلك الأصنام وفرعون ومن عبد من دون الله. وقيل: الجزء الإناث، قاله بعض اللغويين، يقال: أجزأت المرأة إذا ولدت أنثى. قال الشاعر:

إن أجزأت حرة يوما فلا عجب * قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

وكما تقدم أنهم يقولون [illegible]. قيل: هذا البيت مصنوع، وكذا قوله: زوجتها من بنات الأوس مجزئة. إن الإنسان لكفور نعمة خالقه بأنه تعالى هو خالق العالم، فكيف وصفه بصفة المخلوق. قال ابن عطية: ومبين يبين مظهر لجحوده. والمراد بالإنسان من جعل لله جزءا من الكفرة. قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون معناه ظاهر القرآن في هذا الموضع [illegible]، وليس يتعين ما ذكر، بل يجوز أن يكون [illegible]. أم اتخذ مما يخلق بنات استفهام إنكار وتوبيخ لقائلي ذلك، ومظهر جحوده كما قلنا. كيف زعموا أنه تعالى اتخذ لنفسه ما أنتم تكرهونه، حتى إنكم تسودون وجوهكم عند التبشير بهن وتئدونهن، وأصفاكم جعل لكم صفوة ما هو محبوب، وذلك البنون. وقوله مما يخلق تنبيه على استحالة الولد ذكرا كان أو أنثى، وعلى أن يفرض اتخاذ الولد، فكيف يختار له الأدنى ويخصكم بالأعلى. وقدم البنات لأنه المنكر عليهم نسبتهن إلى الله، وعرف البنين دون البنات تشريفا لهم على البنات. وإذا بشر أحدهم تقدم تفسير نظيرها في سورة النحل. أومن ينشأ في الحلية أي يتربى في نعمة، وهو الحلي الذي لا يليق إلا بالإناث دون الفحول، لتزينهن بذلك لأزواجهن، وهو في الخصام غير مبين، [illegible] عليهن، وكان أبي ذلك [illegible] والتحلي [illegible] إشارة إلى أن الرجل لا يناسبه التزين كالمرأة، وأن يكون متخشنا [illegible]

ان يكون مستفعلا بمعنى النسا والظاهر انه اراد بمن ينشوا في الحلية النسا وقال ابن عباس ومجاهد
وقتادة والسدي ويدل عليه قوله وهو في الخصام غير مبين اي لا يظهر حجة ولا يقيم دليلا ولا
يكشف عما في نفسه كشفا واضحا ويقال قلما تكلمت امراة الا افسدت الكلام وتخلط المعاني حتى
وذكر عن بعض الناس انه قال لا اراد ملك على ثلاثة لا تحوج حتى تعلم انه عبثا عقل امراة وقال ابن
زيد المراد من ينشوا في الحلية الاصنام وكانوا يتخذون كثيرا منها من الذهب والفضة
ويجعلون الحلي على كثير منها ويبعد هذا القول قوله وهو في الخصام غير مبين الا ان
اريد بنفي الابانة نفي الخصام اي لا يكون منها خصام فابانة كقوله على لاحب لا يهتدي
بمناره اي لا منار له فيهتدي به ومن في موضع نصب اي او جعلوا من ينشا ويجوز ان
يكون في موضع رفع على الابتدا اي او من ينشا جعلوه لله وقرا الجمهور ينشوا مبنيا
للفاعل والجحدري في قول مبنيا للمفعول مخففا وابن عباس وزيد بن علي والحسن ومجاهد
والجحدري في رواية والاخوان وحفص والمفضل وابان وابن مقسم وهرون عن ابي
عمرو مبنيا للمفعول مشددا والحسن في رواية ينشو على وزن يفاعل مبنيا للمفعول
مشددا والحسن في رواية يناشوا على وزن يفاعل مبنيا للمفعول والمناشاة
بمعنى الانشا كالمعالاة بمعنى الاعلا وفي الخصام متعلق بمحذوف تقديره غير مبين
اي وهو لا يبين في الخصام ومن اجاز ان زيدا طعامك ضارب باعمال المضاف اليه فيما قبله اجاز ان
يتعلق بمبين او بغير بحري الا وتقديره ما بعد لا يختلف فيه وقد ذكرته في النحو

وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم
ويسالون وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على
امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير
الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هولا واباءهم حتى جاءهم
الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون
وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة
ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون

لم يكفهم ان جعلوا لله ولدا وجعلوه اناثا وجعلوهم من الملائكة وهذا من جهلهم بالله
وصفاته واستخفافهم بالملائكة حيث نسبوا اليهم الانوثة وقرا عمر بن الخطاب
والحسن وابو رجا وقتادة وابو جعفر وشيبة والاعرج والابنان ونافع عند الرحمن
ظرفا وهو ادل على رفع المنزلة وقرب المكانة لقوله ان الذين عند ربك وقرا
عبد الله وابن عباس وابن جبير وعلقمة وباقي السبعة عباد الرحمن جمع عبد
لقوله بل عباد مكرمون وقرا الاعمش عباد الرحمن جمعا وبالنصب حكاها ابن
خالويه قال وهي في مصحف ابن مسعود كذلك والنصب على اضمار فعل اي
الذين هم خلقوا عباد الرحمن او انشوا عباد الرحمن وقال ابن عطية وفي مصحف

ابن

ابن مسعود وجعلوا الملائكة عباد الرحمن اناثا وقرا ابي عبد الرحمن مفردا ومعناه
الجمع لانه اسم جنس وقرا الجمهور اشهدوا بهمزة الاستفهام داخلة على شهدوا
ماضيا مبنيا للفاعل اي احضروا خلقهم وليس ذلك من الشهادة بمعنى المعاني التي
تطلب ان توجب وقيل سالهم الرسول عليه السلام ما يدريكم انهم اناث فقالوا
سمعنا ذلك من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب
شهادتهم ويسالون عنها اي في الاخرة وقرا نافع بهمزة داخلة على اشهدوا
رباعيا مبنيا للمفعول بلا مد بين الهمزتين والمسيبي عنه عن نافع
بينهما وعلي بن ابي طالب وابن عباس ومجاهد وفي رواية ابو عمرو ونافع تسهيل
الثانية بلا مد وجماعة كذلك الا انهم يمدون بينهما وعن علي والمفضل عن عاصم تحقيقهما بلا مد والزهري
وناس اشهدوا بغير استفهام مبنيا للمفعول رباعيا فقيل المعنى على الاستفهام حذفت
الهمزة لدلالة المعنى عليها وقيل الجملة صفة للاناث اي اناثا مشهدا منهم خلقهم
وهم لم يشهدوا انهم شهدوا خلقهم لكنهم ادعوا لجراتهم انهم اناث صاروا كانهم
ادعوا ذلك وانهم شهدوا خلقهم وقرا الجمهور اناثا وزيد بن علي انثا جمع
جمع الجمع قيل ومعنى جعلوا سموا وقالوا والاحسن ان يكون المعنى صيروا في
اعتقادهم الملائكة اناثا وهذا الاستفهام فيه تهكم بهم والمعنى اظهار فساد
عقولهم وان دعاويهم مجردة من الحجة وهذا نظير الاية الطاعنة على اهل
التنجيم والطبايع ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقرا
الجمهور اناثا وزيد بن علي انثا جمع جمع الجمع قيل ومعنى جعلوا سموا او قالوا
والاحسن ان يكون المعنى صيروا في اعتقادهم الملائكة اناثا وهذا الاستفهام
وقرا الجمهور ستكتب بالتا من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم بالرفع موحدا والزهري
كذلك الا انه بالياء والحسن كذلك الا انه بالتا وجمع شهاداتهم وابن عباس وزيد
ابن علي وابو جعفر وابو حيوة وابن ابي عبلة والجحدري والاعرج بالنون
مبنيا للفاعل شهادتهم على الافراد وقرات فرقة سيكتب بالياء مبنيا للفاعل
اي الله شهادتهم بفتح التا والمعنى انه سيكتب شهادتهم على الملائكة
بانوثتهم ويسالون وهذا وعيد وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم الضمير
للملائكة قاله قتادة ومقاتل في اخرين وقال مجاهد الاوثان علقوا انتفا العبادة
على انتفا المشية لكن العبادة وجدت لما انتفت المشية فالمعنى انه شا العبادة
ووقع ما شا وقد جعلوا امهال الله لهم واحسانه اليهم وهم يعبدون غيره
دليلا على انه يرضى ذلك دينا وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في اواخر الانعام
وفي الكلام حذف اي فنحن لا نواخذ بذلك اذ هو وفق مشية الله ولهذا
قال ما لهم بذلك من علم اي بما ترتب على عبادتهم من العقاب ان هم الا
يخرصون اي يكذبون وقيل الاشارة بذلك الى ادعايهم ان الملائكة اناث
وقال الزمخشري هما كفرتان مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما
عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشية كما يقول
اخوانهم المجبرة استحمل اهل السنة اقوال الكفرة عيا والملائكة ثم
اوردنوا الا ذهوا بابا جاريا على ما اختاره من مذهبه الاعتزالي وقد نوعا على ذلك
في كتابه ولما نفى عنهم علم نزل عقابهم على عبادة غير الله اي ليس يدل على ذلك

عقل يعني أيضا أن يدل على ذلك سمع فقال أم آتيناهم كتابا من قبل نزول القرآن أو من قبل
إنذار الرسول يدل على ما هم عليه بأنهم عبدوا غير الله وأنه لا يترتب على ذلك عقاب إذ هو في
المشيئة فهم به أي بذلك الكتاب مستمسكون في عبادة غير الله وانتفى الأمران
على ذلك ثم أخبر تعالى أنهم في ذلك مقلدون لآبائهم ولا دليل لهم من عقل ولا نقل ومعنى
على أمة أي على طريقة ودين وعادة فقد سلكنا مسلكهم ونحن مهتدون في اتباع آثارهم
ومنه قول قيس بن الخطيم كنا على أمة آبائنا ويقتدي بالأول الآخر
وقرأ الجمهور أمة بضم الهمزة وقال مجاهد وقطرب على ملة وقال الجوهري
والأمة الطريقة والدين يقال فلان لا أمة له أي لا دين ولا نحلة قال الشاعر
وهل يستوي ذو أمة وكفور ويتقدم الكلام في أمة في قوله وادكر بعد أمة وقرأ
عمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والجحدري بكسر الهمزة وهي الطريقة الحسنة
لغة في الأمة بالضم قاله الجوهري وقرأ ابن عباس أمة بفتح الهمزة أي على قصد
وحال والخلاف في الحرف الثاني كهو في الأول ذكر مقاتل أن الآية نزلت في
الوليد بن المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة من
قريش أي كما قال هؤلاء قال من تقدمهم أيضا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك والمترف المنعم أبطرتهم النعمة فآثروا الشهوات وكرهوا مشاق التكاليف
وقرأ الجمهور قل على الأمر وابن عامر وحفص قال على الخبر وقرأ الجمهور جئتكم
بتاء المتكلم وأبي وأبو جعفر وشيبة وابن مقسم والزعفراني وأبو شيخ الهنائي
وخالد جئناكم بنون المتكلمين والظاهر أن الضمير في قال أو في قل للرسول أي
قل يا محمد لقومك أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي
وجدتم عليه آباءكم وهذا تجهيل لهم حيث يقلدون ولا ينظرون في الدلائل
قالوا إنا بما أرسلتم أي أنت والرسل قبلك غلب الخطاب على الغيبة فانتقمنا
منهم بالقحط والقتل والسبي والجلاء فانظر كيف كان عاقبة من كذبك وقال
ابن عطية قل قال ضمير يعود على النذير وباقي الآية يدل على أن قل في قراءة
من قرأها ليست بأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما هي حكاية لما أمر به النذير ولو
في هذا الموضع كأنها ترجمة بمعنى كان معنى الآية أو إن جئتكم بأبين وأوضح
مما كان عليه آباؤكم يصح لكم حكم وتقليدكم فأجاب الكفار حسبما من الأمم
المكذبة بأنبيائها كما كذبت بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو لا يتبعين ما قاله بل الظاهر
هو ما قدمناه وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ذكر الوجب بحال جدهم الأعلى
ونهيه عن عبادة غير الله وإفراده بالتوحيد والعبادة هذا لهم ليكون لهم
رجوع إلى دين جدهم إذ كان أشرف آبائهم والمجمع على محبته وأنه صلى الله
وسلم لم يقلد أباه في عبادة الأصنام فينبغي أن يقتدوا به في ترك تقليد
آبائهم الأقربين ويرجعوا إلى النظر واتباع الحق وقرأ الجمهور براء
وهو مصدر يستوي فيه المفرد والمذكر ومقابلهما يقال نحن البراء منك وهي لغة
العالية وقرأ الزعفراني والقورسي عن أبي جعفر وابن المنادي عن نافع
بضم الباء والأعمش بريء وهي لغة نجد ويثنى ويجمع ويؤنث وهذا نحو طويل وطوال
وطوال وكريم وكرام وقرأ الأعمش إني بنون مشددة دون نون الوقاية
والجمهور إنني بنونين الأولى مشددة والظاهر أن قوله إلا الذي فطرني

استثنا

استثنا منقطع إذ كانوا لا يعبدون الله مع أصنامهم وقيل كانوا يشركون أصنامهم معه تعالى
في العبادة فيكون استثناء متصلا وعلى الوجهين فالذي في موضع نصب وإذا
كان استثناء متصلا كانت ما شاملة من يعلم ومن لا يعلم وأجاز الزمخشري أن
تكون الذي مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إني براء مما تعبدون
إلا من الذي وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما في مما تعبدون
نكرة موصوفة تقديره إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني
فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا انتهى ووجه البدل
لا يجوز لأنه إنما يكون في غير الموجب من النفي والنهي والاستفهام ألا ترى
أنه يصلح ما بعد إلا لتفريغ العامل له وإنني برئ جملة موجبة فلا يصلح
أن يفرغ العامل فيها للذي هو بريء لما بعد إلا وإنما الزمخشري يكون بريء
فيه معنى الانتفاء ومع ذلك فهو موجب لا يجوز أن يفرغ لما بعد إلا وأما
تقديره ما نكرة موصوفة فلا يتعين موصولة لاعتقاده أن إلا لا تكون صفة
إلا لنكرة وهذه المسألة فيها خلاف من النحويين من قال يوصف بها النكرة
والمعرفة فعلى هذا تبقى ما موصولة وتكون إلا في موضع الصفة للمعرفة
وجعله فطرني في صلة الذي تنبيه على أنه لا يعبد ولا يستحق العبادة
إلا الخالق للعابد فإنه سيهدين أي يديم هدايتي وفي مكان آخر الذي
خلقني فهو يهدين فهي في المستقبل والحال والضمير في وجعلها المرفوع عائد على
إبراهيم وقيل على الله والضمير المنصوب عائد على كلمة التوحيد التي تكلم بها
وهي قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وقال قتادة ومجاهد
والسدي هي لا إله إلا الله وإن لم يجر لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها وقال ابن
زيد كلمة الإسلام لقوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك إذ قال له ربه
أسلم قال أسلمت وهو يشمل الملة وقرأ حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف
وسكون اللام وقرئ في عقبه بسكون القاف أي في ذريته وقرئ
في عاقبه أي من عقبه أي خلفه فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا إلى توحيده
لعلهم أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقرأ الجمهور بل متعت
بتاء المتكلم والإشارة بهؤلاء لقريش ومن كان من عقب إبراهيم عليه السلام
من العرب بما قال في عقبه قال تعالى لكن متعت هؤلاء وأنعمت عليهم في
كفرهم فلبثوا من بعث كلمة التوحيد فيهم وقرأ قتادة والأعمش
بل متعت بتاء الخطاب ورواها يعقوب عن نافع قال صاحب اللوامح وهي من
مناجاة إبراهيم عليه السلام ربه تعالى والظاهر أنه من مناجاة محمد صلى
الله عليه وسلم أي قل يا رب بل متعت وقرأ الأعمش متعنا بنون العظمة
وهي تعضد قراءة الجمهور حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين
هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري فإن قلت ما وجه من قرأ
بل متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به
من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد
بذلك الإطناب في تعييرهم لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن

وجعل ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان اشركوا به وجعلوا
له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول
انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء
لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم
اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه
قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد
ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول
مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم
التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول
ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة
والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد صلى الله عليه وسلم من اهل زمانه بقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة
امرهم انتهى وهو حسن لكن فيه اسهاب الصنعة وقالوا لولا نزل كانوا
قد استبعدوا ان يرسل الله من البشر رسولا فلما تقرر عندهم ابراهيم
وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل صلى الله عليهم فلم يكن لهم في ذلك مدفع
نقضوا فيما يخص محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا لم كان محمدا ولم يكن القرآن نزل
على رجل من القريتين عظيم اشاروا الى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه
وكثرة المال وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين اي من احدى القريتين
وقيل من رجلي القريتين وهما مكة والطائف قال ابن عباس والذي من مكة
الوليد بن المغيرة المخزومي ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي
وقال مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وقال قتادة الوليد
ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي قال قتادة بلغنا انه لم يبق
فخذ من قريش الا ادعاه وكان الوليد بن المغيرة يسمى ريحانة قريش وكان
يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي او على ابي مسعود يعني عروة بن مسعود
وكان يكنى ابا مسعود اهم يقسمون رحمة ربك فيه توبيخ وتعجيب من جهلهم
كانه قيل على اختيارهم وارادتهم يقسم الفضائل من النبوة وغيرها
في امامته وفي قوله رحمة ربك تشريف له صلى الله عليه وسلم وان هذه الرحمة
التي حصلت لك ليست الا من ربك المصلح لحالك والمربيك ثم اخبر تعالى انه
هو الذي قسم المعيشة بينهم فلم يحصل لاحد الا ما قسمه تعالى واذا كان
تعالى هو الذي تولى ذلك وفاوت بينهم وذلك في الامر الفاني فكيف
لا يتولى ذلك الامر الخطير وهو ارسال من يشاء لنبيهم ان يتخيروا من
يصلح لذلك بل انتهاجا وتعين تدبير امورهم وقرأ الجمهور معيشتهم
على الافراد وعبد الله والاعمش وابن عباس وسفيان معايشهم على الجمع
والجمهور سخريا بضم السين وعمرو بن ميمون وابن محيصن وابن ابي
ليلى وابو رجاء والوليد بن مسلم وابن عامر بكسرها وهو من التسخير بمعنى
الاستعباد والاستخدام ليرتفق بعضهم ببعض ويصلوا الى منافعهم ولو تولى كل

واحد

واحد جميع اشغاله بنفسه ما اطاق ذلك وضاع وهلك ويبعد ان يكون سخريا هنا من
الهزء وقد قاله بعضهم اي يهزأ الغني بالفقير وفي قوله نحن قسمنا تزهيد في الاكباب
عن طلب الدنيا وعون على التوكل على الله قال مقاتل فاضلنا بينهم فمن رئيس
ومرؤوس قال قتادة تلقى ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط
له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه وقال الشافعي رحمه الله
ومن الدليل على القضاء وكونه ° بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق °
ورحمة ربك قيل النبوة وقيل الهداية والايمان وقال قتادة والسدي الجنة خير
مما يجمعون من حطام الدنيا وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وما جمع فيها من متاعها
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن
السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم
في العذاب مشتركون افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن
كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي اوحي
اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون لما بين تعالى ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند
الله اي ولولا ان يرغب الناس في الكفر اذا رأوا الكافر في سعة ويصيروا
امة واحدة في الكفر قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدي لاعطيناهم
من زينة الدنيا كذا وكذا ولكنه تعالى اقتضت حكمته ان يغني الكافر
والمؤمن قال ابن عطية واللام في لمن لام الملك وفي لبيوتهم لام تخصيص
كما تقول هذا الكساء لزيد لدابته اي هو لدابته حلس ولزيد ملك انتهى
ولا يصح ما قاله لان لبيوتهم بدل اشتمال اعيد معه العامل فلا يمكن من حيث
هو بدل ان تكون اللام الثانية الا بمعنى اللام الاولى اما ان يختلف المدلول
فلا واللام في كليهما للتخصيص وقال الزمخشري لبيوتهم بدل اشتمال من قوله
لمن يكفر ويجوز ان يكون بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه
انتهى ولا ادري ما اراد بقوله ويجوز الى آخره وقرأ الجمهور سقفا بضمتين
وابو رجاء بضم وسكون لغة تميم وهما جمع سقف كرهن ورهن وابن كثير
وابو عمرو بفتح السين والسكون على الافراد وقال الفراء جمع سقيفة وقرئ
بفتحتين كانه لغة في سقف وقرئ وسقوفا جمعا على فعول نحو كعب
وكعوب وقرأ الجمهور ومعارج جمع معرج وطلحة ومعاريج جمع معراج
وهي المصاعد الى العلالي عليها اي على المعارج يعلون السطوح كما قال فما اسطاعوا
ان يظهروه وقرأ الجمهور وسررا بضم الراء وقرئ بفتحها
وهي لغة لبعض تميم ولبعض كلب وذلك في جمع فعيل المضعف اذا كان

اسما بانفاق وصفة نحو ثوب جديد وثياب جدد باختلاف بين النحاة وبعده الاسما
معاطيف جمع قوله سقفا من فضة فلا ينبغي ان يوصف المعاطيف بكونها من فضة
وقال الزمخشري سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة انتهى كانه
يرى اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه وزخرفا قال الزمخشري وجعلنا
لهم زخرفا ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة
وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة انتهى والزخرف الذهب هنا
قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وفي الحديث اياكم والحمرة فانها من احب الزينة
الى الشيطان قال ابن عطية الحسن احمر والشهوات تتبعه انتهى قال بعض شعرائنا

وصيغت ذرعكم من دمائكم ... لما رايت الحسن يلبس احمرا

وقال ابن زيد الزخرف اثاث البيت وما يتخذ له من السرر والنمارق وقال الحسن النقوش
وقيل التزاويق والنقش وقرا الجمهور لما بفتح اللام وتخفيف الميم فهي مخففة
من الثقيلة واللام الفارقة بين الايجاب والنفي وما زائدة ومتاع خبر كل وقرا
الحسن وطلحة والاعمش وعيسى وعاصم وحمزة بتشديد الميم فان نافية ولما بمعنى الا
وقرا ابو رجاء وفي التحرير ابو حيوة لما بكسر اللام وخرجوه على ان ما موصولة
والعائد محذوف تقديره للذي هو متاع كقوله تماما على الذي احسن في قراءة من رفع
النون اي على الذي هو احسن وان في هذا التخريج هي المخففة من الثقيلة وكل مبتدا
وخبره في المجرور وهو ان كل ذلك لكاين او لمستقر الذي هو متاع ومن حيث هي المخففة
من الثقيلة كان الاتيان باللام هو الوجه فكان يكون التركيب لكلما متاع لكنه يحذف
هذه اللام اذا دل المعنى على ان هي المخففة من الثقيلة فلا يضطر الى ذكر اللام
الفارقة ومن ذكره قول الشاعر

ونحن اباة الضيم من ال مالك ... وان مالك كانت كرام المعادن

يريد لكانت ولكنه حذف لانه لا يتوهم في ان تكون نافية لان صدر البيت يدل على
المدح وتعين ان تكون المخففة من الثقيلة والاخرة عند ربك للمتقين اي ونعيم الاخرة
وفيه تحريض على التقوى وقرا ومن يعش بضم الشين اي يتعام ويتجاهل
عن ذكره وهو يعرف الحق وقيل يقل نظره في شرع الله ويغمض جفونه عن النظر
في ذكر الرحمن والذكر هنا يجوز ان يراد به القران ويحتمل ان يكون مصدرا اضيف
الى المفعول اي يعشو عن ان يذكر الرحمن وقال ابن عطية اي فيما ذكر عباده فالمصدر
مضاف الى الفاعل انتهى كانه يريد بالذكر التذكير وقرا يحيى بن سلام البصري
ومن يعش بفتح الشين اي يعم عن ذكر الرحمن وهو القران كقوله صم بكم عمي وقرا
زيد بن علي يعشو بالواو وقال الزمخشري على ان من موصولة غير مضمنة معنى
الشرط وحق هذا القاري ان يرفع نقيض انتهى ولا يتعين ما قاله اذ تتخرج هذه
القراءة على وجهين احدهما ان تكون من شرطية ويعشو مجزوم بحذف
الحركة تقديرا وقد ذكر الاخفش ان ذلك لغة لبعض العرب لا يحذفون حرف
العلة للجازم والمشهور عند النحاة ان ذلك يكون في الشعر لا في الكلام والوجه
الثاني ان تكون من موصولة والجزم بسببها لموصول باسم الشرط واذا كان
ذلك مسموعا في الذي وهو لم يكن اسم شرط قط فالاولى ان يكون فيما استعمل
موصولا وشرطا قال الشاعر

ولا تحفرن بيرا تريد اخا بها ... فانك فيها انت من دونه تقع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما ... تصبه على رغم عواقب ما صنع

الاعرابي

الاعرابي وهو مذهب الكوفيين وله وجه من القياس وهو انه كما شبه الموصول باسم الشرط
فدخلت الفاء في خبره فكذلك يشبه به فينجزم الخبر الا ان دخول الفاء منقاس اذا كان الخبر مسببا
من الصلة بشروطه المذكورة في علم النحو وهذا لا يقيسه البصريون وقرا الجمهور
نقيض بالنون وعلي والسلمي والاعمش ويعقوب وابو عمرو بخلاف عنه وحماد عن عاصم
وعصمة عن الاعمش وعن عاصم والعليمي عن ابي بكر بالياء اي يقيض الرحمن وابن عباس
يقيض مبنيا للمفعول له شيطان بالرفع اي ييسر ويعد له وهذا عقاب على الكفر بالختم
وعدم الفلاح كما يقال ان الله يعاقب على المعصية بالتزيد من السيات وقال
الزمخشري نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا
ارسلنا الشياطين انتهى وهو على طريقة الاعتزال والظاهر ان ضمير النصب في وانهم
ليصدونهم عائد على من على المعنى اعاد اولا على اللفظ في افراد الضمير ثم اعاد
على المعنى والضمير في يصدونهم عائد على شيطان وان كان مفردا لانه مبهم في
جنسه ولكل عاش شيطان قرين فجاز ان يعود الضمير مجموعا وقال ابن عطية والضمير
في قوله وانهم عائد على الشيطان وفي ليصدونهم عائد على الكفار انتهى والاولى
ما ذكرناه لتناسق الضمائر في وانهم وفي ليصدونهم وفي ويحسبون انهم مهتدون وان
كان الكلام وان العتاة ليصدونهم اي الشياطين عن السبيل اي سبيل الهدى
والفوز ويحسبون اي الكفار وقرا ابو جعفر وشيبة وقتادة والزهري والجحدري
وابو بكر والحرميان حتى اذا جاءانا على التثنية اي العاشي والقرين اعاد
على لفظ من ولفظ الشيطان القرين وان كان من حيث المعنى صالحا للجمع
وقرا الاعمش والاعرج وعيسى وابن محيصن والاخوان وحفص جاءنا على
الافراد والضمير عائد على لفظ من اعاد اولا على اللفظ ثم جمع على المعنى ثم افرد
على اللفظ ونظيره ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا افرد اولا ثم جمع
في قوله خالدين ثم افرد في قوله له رزقا وروي انهما يجعلان يوم البعث
في سلسلة فلا يفترقان حتى يصيرهما الله الى النار قال اي الكافر للشيطان
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين تمنى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصده عن
سبيل الله او تمنى ذلك في الاخرة وهو الظاهر لانه جواب اذا التي للاستقبال
اي مشرق الشمس مشرقها في اقصر يوم من السنة ومشرقها في اطول
يوم قاله ابن السايب او بعد المشرق والمغرب غلب المشرق فثناهما كما
قالوا العمران في ابي بكر وعمر والقمران في الشمس والقمر ومثل ذلك في الجزيرة
والموصل والزهدمان في زهدم وكردم والعجاجان في روبة والعجاج والا[بوان]
في الاب والام وهذا اختيار الفراء والزجاج ولم يذكر الزمخشري غيره قال فان
قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق من
المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف
البعد اليهما انتهى وقيل بعد المشرقين من المغربين فاكتفى بذكر المشرقين وكانه
في هذا القول يريد مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما فبيس القرين مبالغة
منه في ذم قرينه اذ كان سبب ايراده النار والمخصوص بالذم محذوف
اي فبيس القرين انت ولن ينفعكم اليوم حكاية حال يقال لهم يوم القيامة وهي

حالة موحشة حرمتهم روح التاسي لانه وقعهم بها على الهم لا ينفعهم التاسي لعظم المصيبة وطول العذاب واستمرار مدته اذ التاسي راحة كل مصاب في الابنا في الاغلب الا ترى الى قول الخنسا

ولولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي •
وما يبكون مثل اخي ولكن • اعزي النفس عنه بالتاسي •

فهذا التاسي قد كفاها موونة قتل النفس فنفى الله عنهم الانتفاع بالتاسي وفي ذلك تعذيب لهم وياس من كل خير وهذا لا يكون الا على تقدير ان يكون الفاعل بينفعكم انكم ومعمولاها اي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب ان لن يخفف عنكم اشتراككم في العذاب واذا كان الفاعل غير ان وهو ضمير يعود على ما يفهم من الكلام قبله اي تمني مباعدة القرين والتبري منه ويكون انكم تعليل اي لاشتراككم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وقال مقاتل المعنى ولن ينفعكم اليوم الاعتذار والندم لانكم وقرناكم مشتركون في العذاب كما اشتركتم في الكفران في الدنيا وعلى كون الفاعل غير ان وهو قراءة الجمهور لا يتضمن الكلام نفي التاسي وقرى انكم بالكسر فدل على اضمار الفاعل ويقويه حمل انكم بالفتح على التعليل واليوم واذ ظرفان فاليوم ظرف حال واذ ظرف ماض اما ظرف الحال فقد يعمل فيه المستقبل لقربه منه او لتجوزه في المستقبل كقوله فمن يستمع الان وقول الشاعر سأسعى الان اذ بلغت اناها واما اذ فماض لا يعمل فيه المستقبل فقال الزمخشري واذ بدل من اليوم انتهى وصل اذ ظلمتم على العقل اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة انتهى ولا يجوز فيه البدل على بقاء اذ على موضوعها من كونها ظرفا لما مضى من الزمان فان جعلت لمطلق الوقت جاز وتخريجها على البدل اخذه الزمخشري من ابن جني قال في مسالة ابا علي راجعته فيها مرارا واخر ما حصل منه ان الدنيا والاخرة متصلتان وهما سوا في حكم الله وعلمه فتكون اذ بدلا من اليوم حتى كانها مستقبلة او كان اليوم ماض وقيل التقدير بعد اذ ظلمتم فحذف المضاف للعلم به وقيل اذ للتعليل حرفا بمعنى ان وقال الحوفي اليوم ظرف متعلق بينفعكم ولا يجوز تعلق اذ به لانهما ظرفا زمان يعني متغايران في المعنى متغايرا لا يمكن ان يجتمعا قال فلا يصح ان يكون بدلا من الاخر يعني لذلك التغاير بين كون هذا ظرف حال وهذا ظرف معنى قال ولكن تكون اذ متعلقة بما دل عليه المعنى كانه قال ولن ينفعكم اجتماعكم ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك وقيل الفاعل محذوف تقديره ظلمكم او جحدكم وهو العامل في اذ لا ضمير الفاعل لما ذكر تعالى حال الكفار وما يقال لهم وكانت قريش تسمع ذلك فلا تزداد الا عتوا واعراضا وكان هو صلى الله عليه وسلم يجتهد في تحصيل الايمان لهم خاطبه تعالى تسلية له باستفهام تعجب اي انهم صم فلا يمكنك اسماعهم عمي حياري فلا يمكنك ان تهديهم وانما ذلك راجع اليه تعالى ولما كانت حواسهم لم ينتفعوا بها الانتفاع الذي يجدي خلاصهم من عذاب الله جعلوا صما عميا حياري ويريد بهم قريشا فهم جامعوا الاوصاف الثلاثة ولذلك عاد الضمير عليهم في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ولم يجر لهم ذكر الا في قوله افانت تسمع الصم الاية والمعنى ان قبضناك قبل نصرك

عليهم

عليهم فانا منهم منتقمون في الاخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون او نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم بدر فانا عليهم مقتدرون وراى هم في قبضتنا لا يفوتوننا وهذا قول الجمهور وقال الحسن وقتادة ان الذي اكرم هذه الامة اكرم الله تعالى خير من ان ينتقم منهم في حياته كما انتقم من امم الانبيا في حياتهم فوقعت النقمة منهم بعد موته عليه السلام في الفتن الحادثة في صدر الاسلام مع الخوارج وغيرهم وقرى نرينك بالنون الخفيفة ولما ردد تعالى بين حياته وموته صلى الله عليه وسلم امره بان يستمسك بما اوحاه اليه وقرا الجمهور اوحي مبنيا للمفعول وبعض قرا الشام باسكان اليا والضحاك مبنيا للفاعل وانه اي وان ما اوحينا اليك لذكر لك ولقومك اي شرف حيث نزل عليهم وبلسانهم وجعل تبعا لهم والقوم على هذا قريش ثم العرب قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد كان عليه السلام يعرض نفسه على القبايل فاذا قالوا لمن يكون الامر بعدك سكت حتى نزلت هذه الاية فكان اذا سيل عن ذلك قال لقريش فكانت العرب لا تقبل حتى قبلته الانصار وقال الحسن القوم هنا امته والمعنى وانه لتذكرة وموعظة قيل وهذه الاية تدل على ان الانسان يرغب في الثنا الحسن والذكر الجميل ولو لم يكن ذلك مرغوبا فيه ما امتن به تعالى على رسوله فقال وانه لذكر لك ولقومك وقال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين والذكر الجميل قايم مقام الحياة بل هو افضل من الحياة لان اثر الحياة لا يحصل الا في الحي واثر الذكر الجميل يحصل في كل مكان وفي كل زمان انتهى وقال ابن دريد

وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعى •

وقال اخر

انما الدنيا محاسنها • طيب ما يبقى من الخبر

وذكر ان هلاكون ملك التتر سال اصحابه من الملك فقالوا له انت الذي دوخت البلاد وملكت الارض وطاعت لك الملوك فقال لا الملك هذا ولا الموذن اذ ذاك يوذن هذا الذي له ازيد من ستماية الف سنة قد مات وهو يذكر على المادن في كل يوم خمس مرات يريد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف تسالون قال الحسن عن شكر هذه النعمة وقال الزجاج المراد من كذب به يسال سوال توبيخ واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا قيل هو على ظاهره وان جبريل عليه السلام قال له ليلة الاسرا حين ام بالانبيا واسال من ارسلنا فلم يسالهم اذ كان اثبت يقينا ولم يكن في شك وروي ذلك عن ابن عباس وابن جبير والزهري وابن زيد وفي الاثر انه سال قال لجبريل هذا سال محمد عن ذلك فقال هو اعظم يقينا واوثق ايمانا من ان يسال ذلك وقال ابن عباس ايضا والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وعطا اراد واسال اتباع من ارسلنا وحملة شرايعهم اذ يستحيل سوال الرسل انفسهم وليسوا مجتمعين في الدنيا قال الفرا هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سال الرسل والسوال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح لحقيقته كثير منه مسايلة الشعرا الديار والاطلال ومنه سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا فالسوال

هنا مجاز عن النظر في اديانهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبيا والذي
يظهر انه خطاب للسامع الذي يريد ان يفحص عن الديانات فقيل له اسال ايها الناظر
اتباع الرسل اجاءت رسلهم بعبادة غير الله فانهم يخبرونك ان ذلك لم يقع ولا يمكن
ان ياتوا به وابعد من ذهب الى ان المعنى واسالني واسال النبي من ارسلنا
وعلق واسال فارتفع من وهو اسم استفهام على الابتدا وارسلنا خبره في موضع
نصب باسال بعد اسقاط الخافض كان سؤاله من ارسلت يا رب قبلي من رسلك
اجعلت في رسالته الهة تعبد ثم ساق السؤال فحكى المعنى فرد الخطاب الى محمد
في قوله من قبلك ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه فقال
اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما
نريهم من اية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون
وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس
لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من
هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب
او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما
فاسقين فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا
ومثلا للاخرين مناسبة هذه الايات لما قبلها من وجهين احدهما انه لما تقدم
طعن قريش على الرسول واختيارهم انه نزل القران على رجل من القريتين عظيم اي
في الجاه والمال ذكر ان مثل ذلك سبقهم اليه فرعون في قوله اليس لي ملك مصر الى اخر
الاية استبعد بالملك والمال فرعون قدوتهم في ذلك ومع ذلك فصار فرعون مقهورا
مع موسى منتقما منه فكذلك قريش والوجه الثاني انه لما قال واسال من ارسلنا
الاية ذكر قصة موسى وعيسى وهما اكبر اتباعا ممن سبقهم من الانبيا وكل جا
بالدعا الى الله وافراده بالعبادة فلم يكن فيما جاء به اباحة اتخاذ الهة من دون
الله كما اتخذت قريش فناسب ذكر قصتهما الاية التي قبلها وايات موسى هي الحجج
التي اتى بها وخص الملا بالذكر وهم الاشراف لان غيرهم من الناس تبع لهم
فلما جاءهم باياتنا قبله كلام محذوف تقديره فطالبوه بما يدل على صحة دعواه الرسالة
من الله فلما جاءهم باياتنا وهي انقلاب العصا ثعبانا وعودها عصا واخراج
اليد بيضاء نيرة وعودها الى لونها الاول اذا هم منها يضحكون اي فاجاهم
الضحك بحيث لم يتفكروا ولم يتاملوا بل بنفس ما راوا ذلك ضحكوا سخرية واستهزاء
كما كانت قريش تضحك قال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا
المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل
فلما جاءهم باياتنا فاجؤا وقت ضحكهم انتهى ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه
هذا الرجل من ان اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجا بل المذاهب
فيه ثلاثة مذهب انها حرف فلا تحتاج الى عامل ومذهب انها ظرف مكان فان
صرح بعد الاسم بعدها بخبر له كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فاذا زيد قايم
وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم منصوب على الحال كانت اذا خبرا للمبتدا وان
كان المبتدا جثة وقلنا اذا ظرف مكان كان الامر واضحا وان قلنا ظرف زمان كان

الكلام على حذف اي في الزمان حضور زيد وما ادعاه الزمخشري من اضمار فعل المفاجاة لم
ينطق به ولا في موضع واحد ثم المفاجاة التي ادعاها لا يدل المعنى على انها تكون من
الكلام السابق بل المعنى يدل على ان المفاجاة تكون من الكلام الذي فيه اذا تقول خرجت
فاذا الاسد والمعنى ففاجاني الاسد وليس المعنى ففاجات الاسد وما نريهم
من اية الا هي اكبر من اختها قال الزمخشري فان قلت اذا جاءتهم اية واحدة
من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الايات قلت
اختها التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر
من بقية الايات على سبيل التفضيل والاستقرا واحدة بعد واحدة كما تقول
هو افضل رجل رايته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رايتهم اذا قرتهم
رجلا رجلا فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع
الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في
حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن
يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشيا التي تتلاقى في الفضل وتتقارب
منازلها فيه التقارب اليسير تختلف ارا الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم
هذا وبعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل
من بعض وربما اختلفت ارا الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة
يفضل ذلك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري وقد فاضلت الانمارية بين الكملة
من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان
كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها انتهى وهو
كلام طويل ملخصه ان الوصف بالاكبرية مجاز وان ذلك بالنسبة الى الناظر
فيها وقال ابن عطية عبارة عن شدة موقعها في نفوسهم بحدة امرها وحدوثه وذلك
ان اية عرضها موسى هي العصا واليد وكانت اكبر اياته ثم كل اية بعد ذلك كانت
تقع فيعظم عندهم مجيها ويكبر لانهم كانوا نسوا التي قبلها فهذا كما قال الشاعر
على انها تعفو الكلام وانما يوكل بالادنى وان جل ما يمضي
وذهب الطبري الى ان الايات هنا هي الحجج والبينات انتهى وقيل كانت
من كبار الايات وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها فعلى هذا يكون ثم
صفة محذوفة اي من اختها السابقة عليها ولا يبقى في الكلام تعارض ولا
يكون ذلك الحكم في الاية الاولى لانه لم يسبقها شي فتكون اكبر منه وقيل
الاولى تقتضي علما والثانية تقتضي علما منضما الى علم الاولى فيزداد الوضوح
ومعنى اختها مناسبتها تقول هذه الذرة اخت هذه اي مناسبتها واخذناهم
بالعذاب بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم وذكر عقابا لهم وايات لموسى لعلهم يرجعون عن كفرهم قال الزمخشري
لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت
لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب
منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد
وان لا يوجد على اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا

ولم يختاروه انتهى وهو على طريق الاعتزال وقال ابن عطية لعلهم ترجّ بحسب معتقد البشر وظنهم
وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك اي في كشف العذاب قال الجمهور هو خطاب تعظيم
لان السحر كان علم زمانهم اولانهم استصغروا ما كانوا يدعونه به اولا ويكون
قولهم بما عهد عندك انا لمهتدون اخبارا مطابقا بمقصود وقيل هو خطاب
استهزا وانتقاص ويكون قولهم بما عهد عندك اي على زعمك وقولهم وانا
لمهتدون اخبارا مطابقا معلقا على شرط دعائه وكشف العذاب وعهم
معزوم على نكثه لا ترى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون جاريا
على اكثر عادة الناس اذا مسه الضر تضرع ودعا واذا كشف عنه رجع
الى عادته الاولى كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ثم اذا كشفنا
عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وقوله بما عهد عندك يحتمل انه يكون
من ان دعوتك مستجابة وفي الكلام حذف اي فدعا موسى فكشف فلما
كشفنا وقرا ابو حيوة ينكثون بكسر الكاف ونادى فرعون في قومه
جعل القوم محلا للندا والظاهر انه نادى عظما القبط في محله الذي هو وهم
يجتمعون فيه فرفع صوته فيما بينهم لتنتشر مقالته في جميع القبط ويجوز ان
يكون امر بالندا فاسند اليه وسبب ندايه ذلك انه لما راى اجابة الله
دعوة موسى ورفع العذاب خاف ميل القوم اليه فنادى قال يا قوم
اليس لي ملك مصر اراد ان يبين فضله على موسى بملك مصر وهي من اسكندرية
الى اسوان وهذه الانهار اي الخلجان التي تجري من النيل واعظمها نهر
الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس والواو في وهذه الانهار
واو الحال وتجري خبر وهذه والانهار صفة او عطف بيان ويجوز ان
تكون الواو عاطفة على ملك مصر وتجري حال من تحتي اي من تحت قصري
وملكي وقال قتادة كانت جنانا وانهارا تجري من تحت قصره وقيل كان
له سرير عظيم وقطع من نيل مصر قطعة قسمها انهارا تجري من تحت ذلك
السرير وابعد الضحاك في تفسير الانهار بالقواد والرؤسا الجبابرة يسيرون
تحت لوايه ومن فسرها بالاموال يعرفها من تحت يده ومن فسرها
بالخيل وقال كما سمي الفرس بحرا وهذه الاقوال الثلاثة تقرب
من تفاسير الباطنية افلا تبصرون عظمتي وقدرتي وعجز موسى وقرا
نهر بن الصقر تبصرون بيا الغيبة ذكره في الكامل للهذلي والناصحي
يعقوب ذكره بن خالويه قال الزمخشري وليت شعري كيف ارتقت
الى دعوى الربوبية همة من تعاظم بملك مصر وعجب الناس من مدى
عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا يخفى تلك الابهة والجلالة
على صغير ولا كبير حتى يتربع في صدور الدهما مقدار عزته وملكوته وعن موسى
يتحدث عنه وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي
فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها
فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها
فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها
فثنى عنانه ام انا خير من هذا الذي هو مهين الظاهر انها ام المنقطعة

المقدرة ببل والهمزة اي بل انا خير وهو اذا استفهم اهو خير ممن هو ضعيف لا يكاد
يفصح عن مقصوده اذا تكلم وهو الملك المتحكم فيهم قالوا الله بل انت خير
وقال السدي وابو عبيدة ام بمعنى بل فيكون انتقل من ذلك الكلام الى اخباره
بانه خير ممن ذكر كقول الشاعر: بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى
وصورتها ام انت في العين املح. وقال سيبويه ام هذه المعادلة اي ام
تبصرون الامر الذي هو حقيقي ان يبصر عنده وهو انه خير من موسى
وهذا القول بدا به الزمخشري فقال ام هذه متصلة لان المعنى افلا
تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا
قالوا انت خير فهو عنده بصرا وهذا من انزال السبب منزلة المسبب انتهى وهذا
القول متكلف جدا اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق فان كان السابق
جملة فعلية كان المعادل جملة فعلية او جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله
ادعوتموهم ام انتم صامتون لان معناه ام صمتم وهنا لا يتقدر منها
جملة فعلية لان قوله ام انا خير ليس مقابلا لقوله افلا تبصرون وان
كان السابق كان الذي هو المعادل اسما او جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله
اتخرج اليزيدي ام اتمت فانت معادل للاسم فالتقدير ام متما وقيل
حذف المعادل بعد ام لدلالة المعنى عليه اذ التقدير ام تبصرون فحذف
تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كان بعد ام لا نحو ايقوم زيد ام لا تقديره
ام لا يقوم وازيد عندك ام لا اي ام لا هو عندك فاما حذفه دون لا فليس
من كلامهم وقد جاء حذف ام والمعادل وهو قليل قال الشاعر:
دعاني اليها القلب اني لامرها ... سميع فما ادري ارشد طلابها
يريد ام غي وحكى الفرا ان بعض القرا قرا اما انا خير دخلت الهمزة على ما النافية
فافادت التقرير ولا يكاد يبين الجمهور انه كان بلسانه بعض شي
من اثر الجمرة ومن ذهب الى ان الله كان اجابه في سواله واحلل عقدة
من لساني فلم يبق لها اثر جعل انتفا الابانة بانه لا يبين حجته الدالة
على صدقه فيما يدعي لانه لا قدرة له على ايضاح المعنى لاجل كلامه وقيل
عابه بما كان عليه موسى من الحبسة ايام كان عند فرعون فنسب اليه
ما عهده مبالغة في التعيير وقول فرعون ولا يكاد يبين كذب بحت
الا ترى الى مناظرته له ورده عليه والمخاصمة بالحجة والانبيا عليهم السلام
كلهم بلغا وقرا الباقر يبين بفتح اليا من بان اذا ظهر فلولا القي
عليه اساورة من ذهب قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين
وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسودده فقال فرعون هلا القي
رب موسى عليه اساورة من ذهب ان كان صادقا فكان ذلك دليلا على
الفناية التي اليه لما وصف نفسه بالعزة والملك ووازنه بما بينه
وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة الاعتضاد فاعترض
فقال ان كان صادقا فهلا ملكه ربه وسوره وجعل الملايكة انصاره
وقرا الضحاك فلولا القى بنيا للفاعل اي الله اساورة نصبا والجمهور
اساورة وابي وعبد الله اساور والمرد اسورة جمع سوار والها عوض

من الباكي في زيادة تعجب من بازيادة المقابلة ببار بديع وهذه
وهذه مقابلة لا تعلموا. وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والأعرج ومجاهد
وأبو حيوة وحفص أسورة جمع سوار نحو خمار وأخمرة. وقرأ الأعمش أساور وزيد
عن أبي ومن أبي عمرو أو جاء معه الملائكة مقترنين أي يحمونه ويقيمون حجته
قال ابن عباس يعينونه على من خالفه. وقال الكلبي يتتابع بعضهم بعضا
وقال مجاهد يمشون معه. وقال قتادة متتابعين فاستخف قومه
أي استخفهم لخفة أحلامهم قاله ابن الأعرابي. وقال غيره حملهم على أن يخفوا
لما يريد منهم فأجابوه لفسقهم فلما آسفونا بالهمزة من أسف
إذا غضب والمعنى فلما عملوا الأعمال الخبيثة الموجبة لئلا يحلم عنهم
وعن ابن عباس أحزنوا أولياءنا المؤمنين نحو السحرة وبني إسرائيل وأغضبونا
أغضبونا وعن علي أسخطونا وقيل خالفونا. وقال القشيري ومعنى الغضب
من الله إما إرادة العقوبة فهو من صفات الذات أو العقوبة فتكون
من صفات الفعل. وقرأ الجمهور سلفا قال ابن عباس وزيد بن أسلم
وقتادة أي متقدمين إلى النار وهو مصدر سلف يسلف سلفا وسلف
الرجل آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف وقيل هو جمع سالف كحارس
وحرس فحقيقته أنه اسم جمع لأن فعلا ليس من أبنية الجموع المكسرة
وقال طفيل يرثي: مضوا سلفا قصد السبيل عليهم صروف المنايا بالرجال
تقلب. وقال الفراء والزجاج سلفا ليتعظ بهم الكفار المتأخرون للرشد. وقرأ أبو
عبد الله وأصحابه وسعيد بن عياض والأعمش وطلحة والأعرج وحمزة والكسائي
وسلفا بضم السين واللام جمع سليف وهو الفريق سمع القاسم بن معن
العرب تقول مضى سليف من الناس. وقرأ علي ومجاهد والأعرج أيضا
وسلفا بضم السين وفتح اللام جمع سلفة وهي الأمة والقطعة والسلف في
غير هذا ولد القبج والجمع سلفان ومثلا للآخرين أي حديثا عجيب الشأن
سائرا مسير المثل يحدث به الآخرون من الكفار يقال لهم مثلكم مثل
قوم فرعون. ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون
وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو
إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة
في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون
هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ولما جاء
عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي
تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين
ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة
وهم لا يشعرون الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف
من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم
فيها

فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون
لما ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام ذكر طرفا من قصة عيسى عليه السلام. وعن ابن
عباس وغيره لما نزل إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ونزل كيف خلقه من غير فحل
قالت قريش ما أراد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده كما عبدت النصارى
عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا. وقيل ضرب المثل بعيسى
هو ما جرى بين ابن الزبعرى وبين الرسول عليه السلام في القصة المحكية في قوله
إنكم وما تعبدون. وقد ذكرت في سورة الأنبياء في آخرها أن ابن الزبعرى
قال فإذا كان هؤلاء يعني عيسى وعزير في النار فقد رضينا أن نكون
نحن وآلهتنا معهم. وقيل المثل هو أن الكفار لما سمعوا أن النصارى
تعبد عيسى قالوا آلهتنا خير من عيسى قال ذلك منهم من كان يعبد الملائكة. وضرب
مبني للمفعول فاحتمل أن يكون الفاعل ابن الزبعرى لصحة قصته وأن يكون
الكفار. وقرأ أبو جعفر والأعرج والنخعي وأبو رجاء وابن وثاب وابن عامر ونافع
والكسائي يصدون بضم الصاد أي يعرضون عن الحق من أجل ضرب المثل. وقرأ
ابن عباس وابن جبير والحسن وعكرمة وباقي السبعة بكسرها أي يضجون ويرتفع
لهم جلبة فرحا بضرب المثل. وروي ضم الصاد عن علي وأنكرها ابن عباس
ولا يكون إنكاره إلا قبل بلوغه تواترها. وقال الكسائي والفراء هما لغتان
بمعنى واحد مثل يعرشون ويعرشون. وقالوا أآلهتنا خير أم هو فخفف
الكوفيون الهمزتين وسهل باقي السبعة الثانية بين بين. وقرأ ورش
في رواية أبي الأزهر بهمزة واحدة على مثال الخبر فاحتمل أن تكون همزة الاستفهام
محذوفة لدلالة أم عليها واحتمل أن يكون خبرا محضا حكوا أن آلهتهم خير ثم
عن لهم أن يستفهموا على سبيل التنزل من الخبر إلى الاستفهام المقصود به الإفحام
وهذا الاستفهام يتضمن أن آلهتهم خير من عيسى. ما ضربوه لك إلا جدلا أي
ما مثلوا هذا التمثيل إلا لأجل الجدل والغلبة والمغالطة لا لتمييز الحق واتباعه
وانتصب جدلا على أنه مفعول من أجله وقيل مصدر في موضع الحال. وقرأ
ابن مقسم إلا جدالا على أنه مفعول من أجله بل هم قوم خصمون شديدو الخصومة
واللجاج وفعل من أبنية المبالغة نحو هذر ولقن. والظاهر أن الضمير في إن هو
لعيسى لتناسق الضمائر في قوله أآلهتنا خير أم هو. وقال قتادة يعود على
النبي صلى الله عليه وسلم. أنعمنا عليه بالنبوة وشرفناه بالرسالة وجعلناه
مثلا أي عبرة عجيبة كالمثل لبني إسرائيل إذ خلق من غير أب وجعل له من إحياء
الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه. وقيل
المنعم عليه هو محمد صلى الله عليه وسلم. ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض
قال بعض النحويين من تكون للبدل أي لجعلنا بدلكم ملائكة وجعل من ذلك
قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة. وقول الشاعر:
أخذوا المخاض من الفصيل غلبة * ظلما ويكتب للأمير أفيلا
أي بدل الفصيل وأصحابنا لا يثبتون لمن معنى البدل ويتأولون ما ورد مما يوهم
ذلك. قال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم. وقال الزمخشري ولو نشاء لقدرتنا على عجائب

ويدا بع الفطن يجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملايكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم
اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة
ولتعلموا ان الملايكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية
عن ذلك انتهى وهو تخريج حسن ونحو من هذا التخريج قوله من قال لجعلنا من
الانس ملايكة وان لم تجر العادة بذلك والجواهر جنس واحد والاختلاف
بالاوصاف يخلفون قال السدي يكونون خلفاءكم وقال قتادة يخلف بعضهم
بعضا وقال مجاهد في عمارة الارض وقيل في الرسالة بدلا من رسلكم
والظاهر ان الضمير في وانه لعلم للساعة يعود على عيسى اذ الظاهر في الضماير
السابقة انها عايدة عليه وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي
والضحاك وابن زيد اي وان خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها
اذ خروجه شرط من اشراطها وهو نزوله من السماء في اخر الزمان وقال الحسن
وقتادة ايضا وابن جبير يعود على القران على معنى انه يدل بانزاله على قرب
الساعة وانه به تعلم الساعة واهوالها وقالت فرقة يعود على النبي صلى
الله عليه وسلم اذ هو اخر الانبيا تميزت الساعة به نوعا وقدرا من التمييز ونفي
التحديد التام الذي انفرد الله تعالى بعلمه وقرا الجمهور لعلم مصدر
علم قال الزمخشري اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي العلم شرطا لحصول
العلم به وقرا ابن عباس وابو هريرة وابو مالك الغفاري وزيد بن علي وقتادة
ومجاهد والضحاك ومالك بن دينار والاعمش والكلبي قال ابن عطية وابو نضرة
لعلم بفتح العين واللام اي لعلامة وقرا عكرمة قال ابن خالويه وابو نضرة
للعلم معرفا بفتحتين فلا تمترن بها اي لا تشكون فيها واتبعون اي هداي او شرعي
وقيل اي قل لهم يا محمد واتبعوني هذا اي الذي ادعوكم له او هذا القران ان كان
الضمير في وانه للقران ثم حذرهم من اغواء الشيطان ونبه على عداوته ولما جا عيسى بالبينات
اي المعجزات او بايات الانجيل الواضحات بالحكمة اي بما تقتضيه الحكمة الالهية
من الشرايع قال السدي بالحكمة النبوة وقال الضحاك الموعظة ولابين لكم بعض الذي
[illegible] والماوردي الانجيل وقال [illegible] فهم يكونون فيها وفي غيرها من الامور
تختلفون فيه وهو امر الديانات لان اختلافهم [illegible] بعض ما تختلفون فيه وقيل لابين لكم
التي لا تتعلق بالديانات فامور الديانات [illegible] في غيرها ما احتاجوا اليه وقيل بعض
الانجيل بعض الذي تختلفون فيه وبين لهم [illegible] وقال ابو عبيدة بعض بمعنى كل ورد
ما تختلفون فيه من احكام التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي الى
الناس عليه وقال مقاتل هو كقوله وصيد السمك يوم السبت وقال
الانجيل لحم الابل والشحم من كل حيوان
بعض الذي تختلفون فيه من تبديل التوراة وقيل مما سالتم من احكام التوراة وقال
قتادة ولابين لكم اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى والضمير في من بينهم عايد
على من خاطبهم عيسى في قوله قد جيتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم اي من تلقا
ومن انفسهم بان شرهم ولم يدخل عليهم الاختلاف من غيرهم وتقدم الخلاف في
اختلافهم في سورة مريم في قوله فاختلف الاحزاب من بينهم هل ينظرون
الضمير لقريش وان تاتيهم بدل من الساعة اي اتيانها اياهم الاخلا يومئذ قيل

نزلت

نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط والتنوين في يومئذ عوض من الجملة المحذوفة
اي يوم اذ تاتيهم الساعة ويومئذ منصوب بعدو والمعنى انه تنقطع كل خلة وتنقلب الخلة
المتقين فانها لا تزداد الا قوة وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلا السوء وذلك ان
اخلا السوء كل منهم يرى ان الضرر دخل عليه من خليله كما ان المتقين يرى كل منهم النفع
دخل عليه من خليله وقري يا عبادي بالياء وهو الاصل ويا عباد بحذفها وهو الاكثر وكلاهما
في السبعة وعن المعتمر بن سليمن سمع ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا يفزع
فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم الاية فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا الاية
فيياس منها الكفار وقرا الجمهور لا خوف مرفوع منون وابن محيصن بالرفع
من غير تنوين والحسن والزهري وابن ابي اسحاق وعيسى وابن يعمر ويعقوب
بفتحها من غير تنوين والذين امنوا صفة لياعبادي تحبرون تسرون سرورا يظهر
حباره اي اثره على وجوههم كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج
تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل وامال ابو الحرث
عن الكسائي بصحاف ذكره ابن خالويه والضمير في فيها عايد على الجنة ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين هذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في
العيون وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه بالضمير
العايد على ما والجمهور وباقي السبعة بحذفها وفي مصحف عبد الله ما تشتهيه
الانفس وتلذه الاعين بالها فيهما وتلك الجنة مبتدا وخبر وما قبله صفة وان
فاذا كان التي الخبر تعلق بمحذوف وعلى القولين الاولين يتعلق باورثتموها
وشبهت في بقايها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة ولما ذكر ما يتضمن الاكل
والشرب ذكر الفاكهة منها تاكلون من للتبعيض لا يا كلون الا بعضها وما
يخلف الماكول باق في الشجر كما جا في الحديث ان المجرمين في عذاب جهنم
خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم
الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جيناكم
بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض رب
العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة
واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من
شهد بالحق وهم يعلمون ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى
يوفكون وقيله يا رب ان هولا قوم لا يومنون فاصفح عنهم وقل سلام
فسوف يعلمون لما ذكر تعالى حال اهل الجنة وما يقال لهم من لذايذ الاخرة
اعقب ذلك بذكر حال الكفرة وما يجاوبون عند سوالهم وقرا عبد الله وهم
فيها اي في جهنم والجمهور وهم فيه اي في العذاب وعن الضحاك يجعل المجرم
في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى لا يفتر عنهم
اي لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا ونقص

وهو المبلس الساكت اليائس من الخير وما ظلمناهم اي وضعنا العذاب فيمن لا يستحقه ولكن كانوا هم الظالمين اي الواضعين الكفر مكان الايمان فظلموا بذلك انفسهم وقرا الجمهور الظالمين على انهم فصل وقرا عبد الله وابو زيد النحوي الظالمون بالرفع على انهم خبرهم وهو مبتدا وذكر ابو عمرو الجرمي ان لغة تميم جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدا ويرفعون ما بعده على الخبر وقال ابو زيد سمعتهم يقرؤون تجدوه عند الله هو خير واعظم اجرا يعني برفع خير واعظم وقال قيس بن ذريح

• نحن الى ليلى وانت تركتها • وكنت عليها بالملا انت اقدر •

قال ان رؤبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك يعني بالرفع ونادوا يا مالك تقدم انهم مبلسون اي ساكتون وهذه احوال لهم في ازمان متطاولة فلا تعارض بين سكوتهم وندائهم وقرا الجمهور يا مالك وقرا عبد الله وعلي وابن وثاب والاعمش يا مال بالترخيم على لغة من ينتظر الحرف وقرا ابو السرار الغنوي يا مال بالبناء على الضم جعله اسما على حياله واللام في ليقض لام الطلب والرغبة والمعنى ليمتنا مرة حتى لا يتكرر عذابنا كقوله فوكزه موسى فقضى عليه اي اماته قال اي مالك انكم ماكثون اي مقيمون في النار لا تبرحون وقال ابن عباس يجيبهم بعد الف سنة وقال نوف بعد مائة وقيل ثمانين وقال عبد الله بن عمرو اربعين لقد جئناكم بالحق الظاهر انه من كلام الله تعالى وقيل من كلام بعض الملائكة كما يقول احد خدم الرئيس اعلمناكم وفعلنا بكم كذا ويحتمل ان يكون لقد جئناكم من قول الله لقريش بعقب حكاية امر الكفار مع مالك وفي هذا توعد وتخويف اي انظروا كيف يكون حالكم ام ابرموا والضمير لقريش اي بل احكموا امرا من كيدهم للرسول ومكرهم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون ويتشاورون في امر الرسول فقال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما يحدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال ونجواهم وهو ما تكلموا به فيما بينهم بلى اي نسمعها ورسلنا وهم الحفظة قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين قال قتادة والسدي والطبري المعنى قل لهم ان كان للرحمن ولد كما تقولون فانا اول من يعبده على ذلك ولكن ليس له شيء من ذلك واخذ الزمخشري هذا القول وحسنه بفصاحته فقال ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيها على ابلغ الوجوه واقواها ثم قال الزمخشري ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ثم ذكر كلاما يستحق عليه التاديب بل السيف نزهت كتابي عن ذكره

ثم قال

ثم قال وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرا بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن عبد الدار ابن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له انتهى اما القول ان كان لله ولد في زعمكم فهو قول مجاهد واما القول فانا اول الآنفين فهو قول جماعة حكاه عنهم ابو حاتم ولم يسم احدا منهم ويدل عليه قراءة السلمي واليماني العبدين وقراءة ذكرها الخليل بن احمد في كتاب العين العبدين بسكون الباء تخفيف العبدين بكسرها وذكر صاحب اللوامح انه جاء عن ابن عباس في معنى العابدين الآنفين اشتقاقا وقال ابن عرفة يقال عبد يعبد فهو عبد وقلما يقال عابد والقرآن لا ياتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ ثم ذكر كقول مجاهد وقال الفرزدق

• اولئك اباي فجئني بمثلهم • واعبد ان اهجو كليبا بدارم •

اي انف واستنكف وقال اخر

• متى ما يشا ذو الود يصرم خليله • ويعبد عليه لا محالة ظالما •

واما القول بان ان نافية فمروي عن ابن عباس والحسن والسدي وقتادة وابن زيد وزهير بن محمد وقال مكي لا يجوز ان تكون ان بمعنى ما النافية لانه يوهم انك انما نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ما هو آت وهذا محال انتهى ولا يلزم منه محال لان كان قد تستعمل فيما يدوم ولا يزول كقوله وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل فالمعنى ما كان وما يكون وقال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وقال ابو عبيدة معناه اول الجاحدين والعرب تقول عبدني حقي اي جحدني وقرا ولد بفتحتين وعبد الله وابن وثاب وطلحة والاعمش بضم الواو وسكون اللام ثم قال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي من نسبة الولد اليه والمعنى ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود وما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزي والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشيء جزء من اجزائه فيتولد منه شخص مثله ولا يكون الا فيما هو قابل ذاته للتجزي وهذا محال في حقه تعالى فامتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم وظاهر هذين الامرين مهادنة وترك وذلك مما نسخ باية السيف وقرا الجمهور حتى يلاقوا وابو جعفر وابن محيصن وعبيد بن عقيل عن ابي عمرو يلقوا مضارع لقي يومهم الذي يوعدون يوم القيامة وقال عكرمة وغيره يوم بدر واضاف اليوم اليهم لانه الذي فيه هلاكهم وعذابهم وقرا الجمهور اله فيهما وقرا عمر وعبد الله وابي وعلي والحكم بن ابي العاص وبلال بن ابي بردة وابن يعمر وجابر وابن زيد وعمر بن عبد العزيز وابو الشيخ الهنائي وحميد وابن

تسمع وابن السميفع الله فيهما ومعنى اله معبود به يتعلق الجار والمجرور والمعنى انه هو
معبود في السما ومعبود في الارض والعايد على الموصول محذوف تقديره هو اله
كما حذف في قولهم ما انا بالذي قايل لك شيا وحسنه طوله بالعطف عليه كما حسن
في قايل لك شيا طوله بالمعمول ومن قرا الله ضمنه ايضا معنى المعبود كما ضمن
العلم في نحو قولهم هو حاتم في طي اي جواد في طي ويجوز ان تكون الصلة الجار
والمجرور والمعنى انه فيهما بالالاهية والربوبية اذ يستحيل حمله
على الاستقرار وفي قوله وفي الارض نفي لالهتهم التي كانت تعبد في الارض
وعنده علم الساعة اي علم تعيين وقت قيامها وهو الذي استاثر به
تعالى وقرا الجمهور ترجعون بتا الخطاب ونافع وعاصم والعدنيان
بتا الخطاب وهو في كلتا القرايتين مبني للمفعول وقري بفتح تا الخطاب
مبنيا للفاعل وقرا الجمهور يدعون بيا الغيبة والسلمي وابن وثاب
بتا الخطاب والاسود بن يزيد بيا الغيبة وشد الدال وعنه بتا الخطاب
وشد الدال والمعنى ولا يملك الالهة التي يدعون الشفاعة عند الله قال قتادة
استثنى ممن عبد من دون الله عيسى وعزيرا والملايكة فانهم يملكون الشفاعة
بان يملكها الله اياهم اذ هم ممن شهد بالحق وهم يعلمونه في كل احوالهم
فالاستثنا على هذا متصل وقال مجاهد وغيره من المشفوع فيهم كانه قال
لا يشفع هولا الملايكة وعزير وعيسى الا فيمن شهد بالحق وهو يعلمه اي بالتوحيد
قالوا فالاستثنا منفصل كانه قال لكن من شهد بالحق يشفع فيهم هولا
وهذا التقرير الذي قرروه يجوز ان يكون فيه الاستثنا متصلا لانه يكون
المستثنى منه محذوفا كانه قال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
في احد الا فيمن شهد بالحق فهو استثنا من المفعول المحذوف كما قال
الشاعر نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج الا جفن سيفه ومئزرا
اي ولم ينج شي الا جفن سيفه فهو استثنا من المشفوع فيهم الجايز فيه
الحذف وهو متصل فان جعلته مستثنى من الذين يدعون فيكون منفصلا
والمعنى ولا يملك الهتهم ويعني بهم الاصنام والاوثان الشفاعة كما زعموا
انهم شفعاوهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو
يعلم ما شهد به هو الذي يملك الشفاعة وان ادرجت الملايكة في الذين
يدعون لان استثنا متصلا وقرا الجمهور فانى يوفكون بيا الغيبة
مناسبا لقوله ولين سالتهم اي كيف يصرفون عن عبادة من اقروا انه
موجد العالم وعبد الوارث عن ابي عمرو بتا الخطاب وقرا الجمهور
وقيله بالنصب فعن الاخفش انه معطوف على سرهم ونجواهم وعنه
ايضا على وقيل قيله وعن الزجاج على محل الساعة في قوله وعنده علم
الساعة وقيل معطوف على مفعول يعلمون اي يعلمون الحق وقيله
يا رب وهو قول لا يكاد يعقل وقيل منصوب على اضمار فعل اي ويعلم
قيله وقرا السلمي وابن وثاب وعاصم والاعمش وحمزة وقيله
بالخفض وخرج على انه عطف على الساعة او على ان الواو للقسم والجواب
محذوف اي لينصرن او لافعلن بهم ما اشا وقرا الاعرج وابو

قلابة ومجاهد والحسن وقتادة ومسلم بن جندب وقيله بالرفع وخرج على انه معطوف
على علم الساعة على حذف مضاف اي وعلم قيله حذف واقيم المضاف اليه مقامه
روي هذا عن الكسائي وعلى الابتدا وخبره يا رب الى ما يومنون او على ان الخبر
محذوف تقديره مسموع او متقبل فجملة الندا وما بعده في موضع نصب
بوقيله وقرا ابو قلابة يا رب بفتح البا اراد يا ربا كما تقول يا غلاما
ويتخرج على جواز الاخفش يا قوم بالفتحة وحذف الالف والاجتزا بالفتحة
عنها وقال الزمخشري والذي قالوه يعني من العطف ليس بقوي في المعنى مع وقوع
الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم
واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه
والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله
ان هولا قوم لا يومنون جواب القسم كانه قال واقسم بقيله او وقيله
يا رب قسمي ان هولا قوم لا يومنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم
لدعايه والتجايه اليه انتهى وهذا مخالف لظاهر الكلام اذ يظهر ان قوله
يا رب الى لا يومنون متعلق بقيله ومن كلامه عليه السلام واذا كان
ان هولا جواب القسم كان من اخبار الله عنهم وكلامه والضمير في وقيله
للرسول وهو المخاطب بقوله فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وتاركهم وقل سلام
اي الامر سلام فسوف يعلمون وعيد لهم وتهديد وموادعة وهي
منسوخة باية السيف وقرا الجمهور يعلمون بيا الغيبة كالتي قبلها في قوله
عنهم وقرا ابو جعفر والحسن والاعرج ونافع وهشام بتا الخطاب
وقال السدي وقل سلاما اي خيرا بدلا من شرهم وقال مقاتل اردد عليهم
معروفا وحكى الماوردي قل بما تسلم به من شرهم الدخان معروف
وقال ابو عبيدة والدخان الجدب قال القتبي سمي دخانا ليبس الارض منه
حتى يرتفع منها كالدخان وقياس جمعه في القلة ادخنة وفي الكثرة
دخنان نحو غراب واغربة وغربان وشذوا في جمعه على فواعل فقالوا دواخن
كانه جمع داخنة تقديرا كما شذوا في عثان فقالوا عواثن رهوا البحر رهو
رهوا ساكن يقال رهات رهوا اي سكن قال الشاعر والخيل تمزع رهوا
في اعنتها كالطير ينجو من الشوبوب ذي البرد
ويقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هينتك وقال ابن الاعرابي
رها في السير قال القطامي في نعت الركاب
يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل
وقال الليث عيش راه وادع خافض وقال غيره الرهو والرهوة المكان
المرتفع والمنخفض يجتمع فيه الما وهو من الاضداد والجمع رهاء والرهو
المراة الواسعة الهن حكاه النضر بن شميل والرهو ضرب من الطير يقال
هو الكركي وقال ابو عبيدة رها الرجل يرهو رهوا فتح بين رجليه المهل
دردي الزيت وعكره عتله ساقه بعنف ودفع واهانة واللفظ الجافي الغليظ
سورة الدخان بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا
انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من

من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم
ورب اباكم الاولين بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تاتي السما
بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون انى لهم الذكرى وقد جاهم رسول مبين ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون يوم
نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين وان لا
تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون
وان لم تومنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هولاء قوم مجرمون فاسر
بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا
منظرين هذه السورة مكية قيل الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا
انكم عايدون ومناسبتها لما قبلها انه ذكر في اواخر ما قبلها فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فذكر يوما غير معين ولا موصوف
فبين في اوايل هذه السورة ذلك اليوم بوصف وصف فقال فارتقب يوم تاتي
السما بدخان مبين وان العذاب ياتيهم من قبلك ويحل بهم من الجدب والقحط
ويكون العذاب في الدنيا وان كان العذاب في الاخرة فيكون يومهم الذي يوعدون
يوم القيامة والظاهر ان الكتاب المبين هو القران اقسم به تعالى ويكون
الضمير في انزلناه عايدا عليه وقيل ويجوز ان يراد به الكتب الالهية المنزلة
وان يراد به اللوح المحفوظ وجواب القسم قال الزمخشري وغيره في قوله
انا انزلناه يجان الكتاب هو القران ويكون قد عظمه تعالى بالاقسام به وقال
ابن عطية لا يحسن وقوع القسم عليه اي على انا انزلناه وهو اعتراض يتضمن تفخيم
الكتاب ويكون الذي وقع عليه القسم انا كنا منذرين انتهى قال قتادة وابن
زيد والحسن الليلة المباركة ليلة القدر وقالوا كتب الله كلها انما انزلت في
رمضان التوراة في اوله والانجيل في وسطه والزبور في نحو ذلك والقران
في اخر ليلة القدر ويعني ابتدا نزوله كان في ليلة القدر وقيل انزل جملة
ليلة القدر الى البيت المعمور ومن هناك كان جبريل يتلقاه وقال عكرمة
وغيره هي ليلة النصف من شعبان وقد اوردوا فيها احاديث وقال
الحافظ ابو بكر بن العربي لا يصح فيها شي ولا في نسخ الاجال فيها انا كنا
منذرين اي مخوفين قال الزمخشري فان قلت انا كنا منذرين
فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان
مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا
انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار
والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا
لان انزال القران من الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق كل امر حكيم

والمباركة

والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي تتعلق منافع العباد في
دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القران وحده لكفى به بركة انتهى
وقرا الحسن والاعرج والاعمش يفرق بفتح اليا وضم الرا كل بالنصب اي يفرق
الله وقرا زيد بن علي فيما ذكر الزمخشري عنه نفرق بالنون كل بالنصب
وفيما ذكر ابو علي الاهوازي عنه بفتح اليا وكسر الرا ونصب كل ورفع حكيم
على انه الفاعل بيفرق وقرا الحسن وزايدة عن الاعمش بالتشديد
مبنيا للمفعول او معنى يفرق يفصل من غيره ويلخص ووصف امر بحكيم
اي امر ذي حكمة ويريد امره تعالى هذا الامر وقال ابن عباس والحسن وقتادة
ومجاهد في ليلة القدر يفصل كل ما في العام المقبل من الاقدار والارزاق
والاجال وغير ذلك ويكتب ذلك الى مثلها من العام المقبل وقال هلال
ابن يساف كان يقال انتظروا القضا في رمضان وقال عكرمة يفصل
الاشيا في ليلة النصف من شعبان [illegible]
بمنذرين لقوله لينذر باسا شديدا وعلى الاختصاص جعل كل امر حكيم
لانها مأمور وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال اعني
بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كاينا من لدنا وكما اقتضاه علمنا
وتدبيرنا كذا قال الزمخشري وقال وفي قراة زيد بن علي امر من عندنا
على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص ومفعولا له والعامل
انزلنا او منذرين او يفرق ومصدرا من معنى يفرق اي فرقا من
عندنا او من امرنا محذوفا وحالا من كل والذي تلقفناه من معاصرينا
انه حال من امر لانه وصف بحكيم فحسنت الحال منه الا ان فيه الحال من
المضاف اليه وهو ليس في موضع رفع ولا نصب فلا يجوز وقيل من ضمير
الفاعل في انزلناه اي امرين وقيل من ضمير المفعول في انزلناه اي في
حال كونه امرا من عندنا بما يجب فعله والظاهر ان من عندنا صفة لامر
او قيل تتعلق بيفرق انا كنا مرسلين لما ذكر انزال القران ذكر المرسل اي
مرسلين الانبيا بالكتب للعباد فالجملة المؤكدة مستانفة وقيل يجوز
ان يكون بدلا من انا كنا منذرين وجوزوا في رحمة ان يكون مصدرا
اي رحمنا رحمة وان يكون مفعولا له لانزلناه او ليفرق او لامرا من
عندنا وان يكون مفعولا لمرسلين والرحمة توصف بالارسال كما وصفت
به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والمعنى على هذا انا نفصل
في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل
رحمتنا وقرا زيد بن علي والحسن رحمة بالرفع اي تلك رحمة من ربك
التفاتا من مضمر الى ظاهر اذ لو جرى على ما قبله لكان رحمة منا لكنه وضع
الظاهر موضع المضمر ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين
وقرا ابن محيصن والاعمش وابو حيوة والكوفيون رب السموات
بالخفض بدلا من ربك وباقي السبعة والاعرج وابن ابي اسحاق وابو جعفر
وشيبة بالرفع على القطع اي هو رب وقرا الجمهور ربكم ورب
برفعهما وابن ابي اسحاق وابن محيصن وابو حيوة والزعفراني وابن مقسم

والحسن وابو موسى عيسى بن سليمان وصالح الحافظ كلاهما عن الكسائي بالجر واحمد بن جبير
الانطاكي رب بالنصب على المدح وهم يخالفون بين الاعراب الرفع والنصب اذا
طالت النعوت وقوله ان كنتم موقنين تحريك لهم بانكم تقرون بانه تعالى خالق
العالم وانه انزل الكتب وارسل الرسل رحمة منه وان ذلك منكم عن غير علم
وايقان ولذلك جا بل هم في شك يلعبون اي في شك لا يزالون فيه
يلعبون فاقرارهم ليس على حد ولا تيقن فارتقب يوم تاتي السما بدخان
مبين قال علي بن ابي طالب وابن عمر وابن عباس وابو سعيد الخدري وزيد
ابن علي والحسن هو دخان يجي يوم القيامة يصيب المومن منه مثل الزكام
وينفخ رووس الكافرين والمنافقين حتى يكون كانها مصلية حنيذ وقال ابن
مسعود وابو العالية والنخعي هو الدخان الذي راته قريش قيل لعبد الله ان
قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان ياتي يوم القيامة فياخذ انفاس
الناس فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم الا وساحدثكم ان
قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم
اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد
حتى اكلوا الجيف والعلهز والعلهز الصوف يقع فيه القراد فيشوى الصوف
بدم القراد ويوكل وفيه ايضا حتى اكلوا العظام وكان الرجل يرى بين
السما والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع الكلام ولا يرى المحدث
من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه
ان دعا لهم وكشف عنهم ان يومنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم وفيه
فرحمهم النبي صلى الله عليه وسلم وبعث اليهم بصدقة ومال وفيه فلما
اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة
الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر وقال عبد الله خمس قد مضين الدخان
واللزام والبطشة والقمر والروم وقال عبد الرحمن الاعرج يوم تاتي السما
هو يوم فتح مكة لما حجبت السما الغبرة وفي حديث حذيفة اول الايات
خروج الدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين
قلت يا نبي الله وما الدخان على هذه الاية فارتقب يوم تاتي السما بدخان
مبين وذكر بقية الحديث واختصرناه بدخان مبين اي ظاهر لا شك انه
دخان يغشى الناس يشمل الناس كان هو الذي راته قريش او الذي ياتي
بالكفار من اهل مكة وقد مضى كما قال ابن مسعود وان كان من اشراط الساعة
او يوم القيامة فالناس عام فيمن ادركه وقت الاشراط وعام بالناس يوم
القيامة هذا عذاب اليم موسوف في موضع نصب بفعل القول محذوفا
وهو في موضع الحال اي يقولون ويجوز ان يكون اخبارا من الله كانه
تعجب منه كما قال في قصة الذبيح ان هذا لهو البلا المبين انا مومنون
وعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب والايمان واجب كشف العذاب
او لم يكشف انى لهم الذكرى اي كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما
وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاهم ما هو اعظم وادخل في
باب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الايات

من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه بهتوه
بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون
صبي يعلمه بكر اللام انا كاشفوا العذاب قليلا اخبار عن اقامة الحجة عليهم ومبالغة في الاملا وقرا زر بن حبيش
لهم ثم اخبر انهم عايدون الى الكفر وقال قتادة هو توعد بمعاد الاخرة وان كان
الخطاب لقريش يعني حل بهم الجدب كان ظاهرا وان كان الدخان قبل يوم القيامة
فاذا اتت السما بالعذاب تضرعوا منافقوهم وكافروهم وقالوا ربنا اكشف عنا
العذاب انا مومنون فيكشفه عنهم قبل يوم القيامة بعد ايام يسيرة ثم يرجعون
مرتدون ويوم البطشة الكبرى على هذا هو يوم القيامة كقوله فاذا جات
الطامة الكبرى وكونه يوم القيامة هو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة
وكونه يوم بدر هو قول عبد الله وابي وابن عباس ومجاهد وانتصب يوم نبطش
قيل باذكر وقيل بما دل عليه منتقمون وضعف بانه لا ينتصب الا بانعل
وقيل بمنتقمون ورد بان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وقرا الجمهور نبطش
بفتح النون وكسر الطا ... نسلط عليهم من يبطش بهم والبطشة على هذه القراة
ليس منصوبا بنبطش بل بمقدر اي نبطش ذلك المسلط البطشة او يكون البطشة
في معنى الانبطاشة فينتصب بنبطش ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون هذا كالمثال
لقريش ذكرت قصة من ارسل اليهم موسى عليه السلام فكذبوه فاهلكهم الله
وقرا فتنا بتشديد التا للمبالغة في الفعل او لتكثير متعلقه وجاهم رسول
كريم عند الله وعند المومنين قاله الفرا او كريم في نفسه لان الانبيا انما
يبعثون من سروات الناس قاله ابو سليمان او كريم حسن الخلق قاله مقاتل
ان ادوا الي عباد الله يحتمل ان تكون ان تفسيرية لانه تقدم ما يدل على معنى القول
وهو رسول كريم وان تكون ان مخففة من الثقيلة او الناصبة للمضارع فانها
توصل بالامر قال ابن عباس ان ادوا الي الطاعة يا عباد الله اي اتبعوني على ما ادعوكم
اليه من الايمان وقال مجاهد وقتادة وابن زيد طلب منهم ان يودوا اليه
بني اسرايل كما قال فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم فعلى قول ابن عباس عباد الله
منادى ومفعول ادوا محذوف وعلى قول مجاهد ومن ذكر معه عباد الله مفعول
ادوا اني لكم رسول امين اي غير متهم قد ايتمني الله على وحيه ورسالته وان لا
تعلوا على الله اي لا تتكبروا على عبادة الله قاله يحيى بن سلام وقال ابن جريج
لا تعظموا على الله قيل والفرق بينهما ان التعظيم تطاول المقتدر والاستكبار
ترفع المحتقر ذكره الماوردي وان هنا كان السابقة في اوجهها الثلاثة اني
اتيكم بسلطان مبين اي بحجة واضحة في نفسها او موضحة صدق دعواي وقرا
الجمهور اني بكسر الهمزة على سبيل الاخبار وقرات فرقة بفتح الهمزة
والمعنى لا تعلوا على الله من اجل اني اتيكم فهذا توبيخ لهم كما تقول اتغضب
ان قال لك الحق واني عذت اي استجرت بربي وربكم ان ترجمون كانوا قد
توعدوه بالقتل فاستعاذ من ذلك وقرى عذت بالادغام قال قتادة
وغيره الرجم هنا بالحجارة وقال ابن عباس وابو صالح بالشتم وقول قتادة
اظهر لانه قد وقع منهم في حقه الفاظ لا تناسب وهذه المعاذة كانت قبل
ان يخبره تعالى بقوله فلا يصلون اليكما وان لم تومنوا لي اي تصدقوا فاعتزلون
اي كونوا بمعزل وهذه متاركة حسنة فدعا ربه اي فلما كفروا وعلم الكفر وراى
انهم لا يرعوون فالتجا الى الله بالدعا وهي طريقة الانبيا فقال فدعا ربه اني

مغلوب فانتصر ان هؤلاء بلفظ تحقير لهم وقرأ الجمهور ان هؤلاء بفتح الهمزة
اي بان هؤلاء وقرأ ابن ابي اسحاق وعيسى والحسن في رواية وزيد بن علي
بكسرها فاسر بعبادي في الكلام حذف اي فانتقم فقال له الله اسر بعبادي
وهم بنو اسرائيل ومن آمن به من القبط وقال الزمخشري فيه وجهان اضمار القول
بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان
الامر كما تقول فاسر بعبادي انتهى وكثيرا ما يجيز هذا الرجل حذف الشرط وابقا
جوابه وهو لا يجوز الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر وما اشبهه مما ذكر في النحو
على خلاف في ذلك انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده فينجون ويغرق
المتبعون واترك البحر رهوا قال ابن عباس ساكنا كما جزته وقال مجاهد وعكرمة
يبسا من قوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقال الضحاك دمثا لينا
وقال عكرمة جددا وقال ابن زيد سهلا وقال مجاهد ايضا منفرجا وقال قتادة
اراد موسى ان يضرب البحر بعصاه لما قطعه حتى يلتئم وخاف ان يتبعه
فرعون فقيل له هذا انهم جند مغرقون اي فيه لانهم اذا رأوه ساكنا على
حالته حين دخل فيه موسى وبنو اسرائيل او مفتوحا طريقا يبسا دخلوا فيه فيطبقه
الله عليهم كم تركوا اي كثيرا تركوا من جنات وعيون تقدم تفسير نظيرهما
في الشعراء وقرأ الجمهور ومقام بفتح الميم قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير
اراد المنابر وقرأ ابن هرمز وقتادة وابن السميفع ونافع في رواية خارجة بضمها وابن
قال قتادة الاماكن المواضع الحسان من المجالس والمساكن وغيرها ونعمة بفتح النون
نضارة العيش ولذاذة الحياة وقرأ ابو رجاء ونعمة بالنصب عطفا على كم
كانوا فيها فاكهين وقرأ الجمهور بالف اي طيبي الانفس واصحاب فاكهة كلابن
وتامر وابو رجاء والحسن بغير الف والفكه يستعمل كثيرا في المستخف المستهزئ
فكانهم كانوا مستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها وقال الجوهري فكه
الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر وقال
القشيري فاكهين لاهين كذلك قال الزجاج المعنى الامر كذلك فيوقف على كذلك
فالكاف في موضع رفع خبر مبتدا محذوف وقيل الكاف في موضع نصب
اي يفعل فعلا كذلك لمن يريد اهلاكه وقال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني
وقال الحوفي اهلكنا اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك وقال الزمخشري
الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها
قوما آخرين ليسوا منهم وهم بنو اسرائيل كانوا متعبدين في يد
القبط فاهلك الله تعالى القبط على ايديهم واورثهم ملكهم وقال
قتادة والحسن ان بني اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وضعف قول قتادة بانه لم يرو في مشهور التواريخ ان بني اسرائيل رجعوا
الى مصر في شيء من ذلك الزمان ولا ملكوها قط الا ان يريد قتادة انهم
ورثوا نوعها في بلاد الشام انتهى ولا اعتبار بالتواريخ فالكذب فيها كثير
وكلام الله صدق قال تعالى في سورة الشعراء كذلك واورثناها بني اسرائيل
وقيل قوما آخرين ممن ملك مصر بعد القبط من غير بني اسرائيل فما بكت
عليهم السما والارض استعارة لتحقير امرهم وانه لم يتغير عن هلاكهم شيء

ويقال

ويقال في التعظيم بكت عليه السما والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وقال يزيد بن مفرغ

الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في غمامه

وقال الفرزدق

فالشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال النابغة

بكى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منه خاشع متضائل

وقال جرير

لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

ويقولون في التحقير مات فلان فما خشعت الجبال ونسبة هذه الاشيا لما لا يعقل ولا يبصر
ذكر منه حقيقة عبارة عن تأثر الناس له او عن عدمه وقيل هو حذف مضاف اي فما بكى
عليهم اهل السماء وهم الملائكة واهل الارض وهم المؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين
روي ذلك عن الحسن وما روي عن علي وابن عباس ومجاهد وابن جبير ان المؤمن
اذا مات بكى عليه من الارض موضع عبادته اربعين صباحا وبكى عليه من السماء موضع
صعود عمله قالوا فلم يكن في قوم فرعون من هذه حاله تمثيل وما كانوا منظرين
اي مؤخرين عن العذاب لما حان وقت هلاكهم بل عجل الله لهم ذلك في الدنيا
ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين
ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين أهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم
كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا
بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني
مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه
فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق
انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام
امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك
وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو
الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم
مرتقبون لما ذكر تعالى اهلاك فرعون وقومه ذكر احسانه لبني اسرائيل
فبدا بدفع الضر عنهم وهو نجاتهم مما كانوا فيه من العذاب ثم ذكر اتصال النفع لهم
واستخدامهم الاعمال الشاقة وقرأ عبد الله من عذاب المهين وهو من اضافة الموصوف
الى صفته كبقلة الحمقاء ومن فرعون بدل من العذاب على حذف مضاف اي من عذاب
فرعون او لا حذف جعل فرعون نفسه هو العذاب مبالغة وقيل يتعلق بمحذوف
اي كائنا وصادرا من فرعون وقرأ ابن عباس من فرعون من استفهام مبتدا
وفرعون خبره لما وصف فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل
تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا

من المرقيين اي مرتفعا عن العالم او متكبرا مسرفا من المرقين ولقد اخترناهم اي اصطفيناهم
وشرفناهم على علم منه مصدر لم يذكر فاعله فقيل على علمنا بهم وبفضلهم فاخترناهم
للنبوات والرسالات وقيل على علم منا اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم
احقاء بان يختاروا وقيل على علم منا بما يصدر من العدل والاحسان والعلم
والايمان وقيل على علم منا بانهم يزيغون ويفرطون ويعبدون العجل في بعض
الاحوال وقيل اخترناهم بهذا الانجاء وهذه النعم على سابق علم لنا فيهم
وخصصناهم بذلك دون العالم على العالمين اي عالمي زمانهم لان امة محمد
صلى الله عليه وسلم مفضلة عليهم وقيل على العالمين عام لكثرة الانبيا فيهم
وهم خاص بهم ليس لغيرهم وكان الاختيار من هذه الجهة مع ان امة محمد
افضل وعلى في قوله على علم ليس معناها معنى على في قوله على العالمين وكذلك
تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول **كقوله**

ويوما على ظهر الكثيب تعذرت * علي والت حلفة لم تحلل

فعلى علم حال اما من الفاعل او من المفعول وعلى ظهر حال من الفاعل تعذرت
والعامل في ذي الحال وآتيناهم من الآيات اي المعجزات الظاهرة في قوم فرعون
وما ابتلوا به وفي بني اسرائيل مما انعم به عليهم من تظليل الغمام والمن والسلوى
وغير ذلك مما لم تظهرها لغيرهم ما فيه بلاء اي اختبار لنعلم ظاهرا والابتلاء
بالنعم والابتلاء بالنقم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ان هؤلاء يعني قريشا
وفي اسم الاشارة تحقير لهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة
الا المحصولة في موتتنا الاولى وكانه قال تعالى وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فذكر موتتين اولى وثانية فانكروا هم ان يكون لهم
موتة ثانية والمعنى ما اخر امرنا ومنتهى وجودنا الا عند موتتنا فتضمن
قولهم هذا انكار البعث ثم صرحوا بما تضمنه قولهم فقالوا وما نحن
بمنشرين اي بمبعوثين بحياة ثانية يقع فيها حساب وثواب وعقاب
وكان قولهم ذلك في معنى قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
فاتوا بآبائنا خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين الذين
كانوا يعدونهم بالبعث اي ان صدقتم فيما تقولون فاحيوا لنا من
مات من آبائنا بسوالكم ربكم حتى يكون ذلك دليلا على البعث في الاخرة
قيل طلبوا من الرسول ان يدعو الله ان يحيي لهم قصي بن كلاب
ليشاوروه في صحة النبوة والبعث اذ كان كبيرهم ومشاورهم
في النوازل اهم اي اقريش خير ام قوم تبع الظاهر ان تبعا هو شخص
معروف وقع التفاضل بين قومه وقوم الرسول عليه السلام وان كان
لفظ تبع يطلق على كل ملك من ملوك العرب كما يطلق كسرى لمن ملك
الفرس وقيصر لمن ملك الروم قيل واسمه اسعد الحميري وكني
ابا كرب وذكر ابو حاتم الرياشي انه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث بسبعمائة سنة **وروي** انه لما آمن بالمدينة كتب كتابا
ونظم شعرا اما الشعر فهو شهدت على احمد انه * رسول من الله
باري النسم * فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم *

واما

واما الكتاب فروى ابن اسحاق وغيره انه كان فيه اما بعد فاني امنت بك وبكتابك
الذي انزل عليك وانا على دينك وسنتك وامنت بربك ورب كل شيء وامنت بكل
ما جاء من ربك من شرائع الاسلام فان ادركتك فيها ونعمت وان لم ادركك فاشفع
لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من امتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك
وانا على ملتك وملة ابيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش
عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي
الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع
الاول ويقال كان الكتاب والشعر عند ابي ايوب خالد بن زيد فلم
يزل عنده حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يتوارثونه كابرا
عن كابر حتى اداه للنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كان تبع
نبيا وعنه لما اقبل تبع من الشرق بعد ان حير الحيرة وبنى سمرقند
قصد المدينة وكان قد خلف بها حين سار ابنا فقتل غيلة فاجمع
على خرابها واستيصال اهلها فجمع له الانصار وخرجوا لقتاله وكانوا
يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام
اذ جاءه كعب واسد ابنا عم من قريظة حبران واخبراه انه يحال بينك
وبين ما تريد فانها مهاجر نبي من قريش اسمه محمد ومولده بمكة
فثناه قولهما عما كان يريد ثم دعواه الى دينهما فاتبعهما واكرمهما فانصرفوا
عن المدينة ومعهم نفر من اليهود فقال له في الطريق نفر من هذيل ندلك
على بيت فيه كنز من لولو وزبرجد وفضة بمكة وارادت هذيل هلاكه
لانهم عرفوا انه ما اراده احد بسوء الا هلك فذكر ذلك للحبرين فقالوا ما نعلم لله
بيتا في الارض غير هذا فاتخذه مسجدا وانسك عنده واحلق راسك وما
اراد القوم الا هلاكك فاكرمه وكساه وهو اول من كسا البيت وقطع ايدي
او ايدي النفر من هذيل وارجلهم وسمل اعينهم وصلبهم وقال قوم ليس المراد
بتبع رجلا واحدا انما المراد ملوك اليمن وكانوا يسمون التبابعة والذي
يظهر انه اراد واحدا من هولا تعرفه العرب بهذا الاسم اكثر من معرفة غيره
به وفي الحديث لا تسبوا تبعا فانه كان مومنا فهذا يدل على انه واحد بعينه
قال الجوهري التبابعة ملوك اليمن والتبع الظل والتبع ضرب من الطير وقال ابو
القاسم السهيلي تبع اسم لكل ملك ملك اليمن والشحر وحضرموت وملك اليمن
وحده لا يسمى تبعا قاله المسعودي والخيرية الواقعة فيها التفاضل وكلا الصنفين
لا خير فيهم هي بالنسبة للقوة والمنعة كما قال اكفاركم خير من اولائكم بعد ذكر
آل فرعون وفي تفسير ابن عطية اهم اشد ام قوم تبع واضافة قوم الى تبع دليل
على انه لم يكن على مذهبهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين اخبار عن فعل بالمجرمين
وتنبيه على ان علة الاهلاك هي الاجرام وفي ذلك وعيد لقريش وتهديد
ان يفعل بهم ما فعل بقوم تبع ومن قبلهم من مكذبي الرسل لاجرامهم ثم
ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث وهو خلق العالم بالحق فقال

الجمهور وما بينهما اي بين الجنسين وعبيد بن عمير وما بينهن لاعبين قال مقاتل عابثين ما خلقناهما الا
بالحق اي بالعدل نجازي المحسن والمسيء بما اراد تعالى من ثواب وعقاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله
تعالى خلق ذلك لهم لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا و قرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم
ان والخبر يوم الفصل اي ان يوم الفصل ميعادهم وجزاؤهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا
يعم جميع الموالي من القرابة والعتاقة والصداقة شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون
جمع لان عن مولى في سياق النفي فعاد على المعنى لا على اللفظ الا من رحم الله قال
الكسائي من رحم منصوب على الاستثناء المنقطع اي لكن من رحمه الله لا ينالهم ما يحتاجون
فيه الى من ينفعهم من المخلوقين وقيل ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا اي لا يغني قريب
الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض وقال الحوفي ويجوز ان يكون بدلا
من مولى المرفوع ويكون يغني بمعنى ينفع وقال الزمخشري من رحم الله في محل الرفع على
البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله وقال الحوفي في قوله انه
هو العزيز الرحيم لمن اطاعه ومن عفا عنه ان شجرة الزقوم قرئ بكسر الشين وتقدم
الكلام فيها في سورة الصافات طعام الاثيم الاثيم صفة مبالغة وفسروا الكثير الاثام ويقال
اثوم صفة مبالغة ايضا وفسر بالمشرك وقال يحيى بن سلام المكتسب للاثم وعن ابن زيد
ان الاثيم هنا هو ابو جهل وقيل الوليد كالمهل هو دردي الزيت او مذاب الفضة او
مذاب النحاس او عكر القطران او الصديد اقوال الاولان لابن عمر وابن عباس وامرها لابن
عباس و قرأ الحسن كالمهل بفتح الميم لغة فيه وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا
المهل ما اذيب من ذهب او فضة او حديد او رصاص و قرأ مجاهد وقتادة والحسن
والابنان وحفص يغلي بالياء اي الطعام وعمرو بن ميمون وابو رزين والاعرج وابو
جعفر وشيبة وابن محيصن وطلحة والحسن في رواية وباقي السبعة تغلي بالتاء اي
الشجرة كغلي الحميم وهو الماء الحار الذي يتطاير من غليانه خذوه فاعتلوه يقال للزبانية
خذوه فاعتلوه اي سوقوه بعنف وجذب وقال الاعمش معنى اعتلوه اقصفوه كما يقصف
الحطب الى سواء الجحيم قال ابن عباس وسطها وقال الحسن معظمها و قرأ الجمهور فاعتلوه
بكسر التاء وزيد بن علي والابنان ونافع بضمها والخلاف عن الحسن وقتادة والاعرج
وابي عمرو ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم وفي الحج يصب من فوق رؤوسهم الحميم
والمصبوب في الحقيقة هو الحميم فتارة اعتبرت الحقيقة وتارة اعتبرت الاستعارة لانه
اذا صب الحميم فقد صب ما تولد عنه من الالام والعذاب فعبر بالمسبب عن السبب لان العذاب
هو المسبب عن الحميم ولفظ العذاب اهول واهيب ذق اي العذاب انك انت العزيز
الكريم وهذا على سبيل التهكم والهزء بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وعن قتادة
انه لما نزلت ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال ابو جهل اتهددني محمد وانا ما بين لابتيها
اعز مني ولا اكرم فنزلت هذه الاية وفي اخرها ذق انك انت العزيز الكريم اي على
قولك وهذا كما قال جرير الم يكن في وسوم قد وسمت بها من كان موعظة يا زهرة اليمن
يخاطب جريرا على جهة الهزء و قرأ انك بكسر الهمزة و قرأ الحسن بن علي بن ابي طالب على
المنبر والكسائي بفتحها ان هذا اي الامر او العذاب ما كنتم به تمترون اي تشكون ولما ذكر
حال الكفار اعقب بحال المؤمنين فقال ان المتقين في مقام امين و قرأ عبد الله بن عمر

وزيد

وزيد بن علي وابو جعفر وشيبة والاعرج والحسن وقتادة ونافع وابن عامر في مقام بضم الميم
والباقون وعيسى ويحيى والاعمش وباقي السبعة بفتحها ووصف المقام بالامين اي يؤمن فيه
من الغير فكأنه فعيل بمعنى مفعول اي مأمون فيه قاله ابن عطية وقال الزمخشري الامين من
قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف
كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى وتقدم شرح السندس والاستبرق و قرأ
ابن محيصن واستبرق جعله فعلا ماضيا متقابلين وصف لمجالس اهل الجنة لا يستدبر بعضهم
بعضا في المجالس كذلك اي الامر كذلك و قرأ الجمهور بحور منونا وعكرمة بغير تنوين لان
العين ينقسم الى حور وغير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا يدعون فيها
اي الخدم والمتصرفين عليهم بكل فاكهة ارادوا احضارها لديهم امنين من الامراض
والتغير لا يذوقون فيها الموت و قرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت و قرأ
الجمهور بحور منونا وعكرمة بغير تنوين لان العين ينقسم الى الحور وغير حور فهؤلاء من حور
العين لا من شهلهن مثلا يدعون فيها اي الخدم والمتصرفين عليهم بكل فاكهة ارادوا احضارها
لديهم امنين من الامراض والتغير لا يذوقون فيها الموت و قرأ عبيد بن عمير لا يذاقون
مبنيا للمفعول الا الموتة الاولى هذا استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى ذاقوها في
الدنيا وفي ذلك تنبيه على ما انعم به عليهم من الخلود السرمدي وتذكير لهم بمفارقة الدنيا الفانية
الى هذه الدار الباقية وقال الزمخشري فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول
الجنة من الموت المنفي قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة
فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل
فانهم يذوقونها وقال ابن عطية قدر قوم الا بسوى وضعف ذلك الطبري وقدرها ببعد
وليس تضعيفه بصحيح بل يصح المعنى بسوى ويتسق واما معنى الاية فيبين انه نفى عنهم
ذوق الموت وانه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا و قرأ ابو حيوة ووقاهم
مشددا القاف والضمير في يسرناه عائد على القران وبلسانك بلغتك وهي لغة
العرب فارتقب النصر الذي وعدتك انهم مرتقبون فيما يظنون الدوائر عليك
وفيها وعد له عليه السلام ووعيد لهم ومشاركة منسوخة باية السيف سورة
الجاثية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث
من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من
السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم
يعقلون تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله
واياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا
كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا
اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا
ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا
بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن

اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات من الامر
فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون هذه السورة مكية قال ابن عطية بلا خلاف
وذكر الماوردي الا قل للذين امنوا يغفروا الاية فمدنية نزلت في عمر بن الخطاب
قاله ابن عباس وقتادة وقال النحاس والمهدوي عن ابن عباس نزلت في عمر
شتمه مشرك بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فنزلت ومناسبة اولها
لآخر ما قبلها في غاية الوضوح قال فانما يسرناه بلسانك وقال حم
تنزيل الكتاب وتقدم الكلام على تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اول
الزمر وقال ابو عبد الله الرازي وقوله العزيز الحكيم يجوز جعله صفة
الله فيكون ذلك حقيقة وان جعلناه صفة للكتاب كان ذلك مجازا والحقيقة
اولى من المجاز مع ان زيادة القرب توجب الرجحان انتهى وهذا الذي
ردد في قوله وان جعلناه صفة للكتاب لا يجوز لو كان صفة للكتاب
لوليه وكان يكون التركيب تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله لان من
الله اما ان يكون متعلقها بتنزيل وتنزيل خبر لحم او لمبتدا او محذوف
فلا يجوز الفصل به بين الصفة والموصوف لا يجوز اعجبني ضرب زيد سوط
الفاضل او في موضع الخبر وتنزيل مبتدا فلا يجوز الفصل بين الصفة
والموصوف ايضا لا يجوز ضرب زيد شديد الفاضل والتركيب الصحيح
في نحو هذا ان يلي الصفة موصوفها ان في السموات والارض احتمل ان
يريد في خلق السموات كقوله وفي خلقكم والظاهر انه لا يراد التخصيص
بالخلق بل في السموات والارض على الاطلاق والعموم اي في اي شيء نظرت
منهما من فلك وغيره من نجم وتنوير وغيره ففيها الايات ثم يات بالايات
مفصلة بل اتى بها مجملة احاله على غوامض يثيرها الفكر ويخبر بكثير
منها الشرع وجعلها للمؤمنين اذ في ضمن الايمان العقل والتصديق
وما يبث من دابة اي في غير جنسكم وهو معطوف على وفي خلقكم ومن
اجاز العطف على الضمير المخفوض من غير اعادة الخافض فمن اجاز
في وما يبث ان يكون معطوفا على الضمير في خلقكم وهو مذهب الكوفيين
ويونس والاخفش وهو الصحيح واختاره الاستاذ ابو علي الشلوبين
وقال الزمخشري يقبح العطف عليه وهذا تفريع على مذهب س وجمهور
البصريين قال وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد
انتهى وهذا يجيزه الجرمي والزيادي في الكلام وقال لقوم يوقنون
وهم الذين لهم نظر يؤديهم الى اليقين واختلاف الليل والنهار تقدم
الكلام على نظيره في سورة البقرة وقرا الجمهور ايات جمعا بالرفع
فيهما والاعمش والجحدري وحمزة والكسائي ويعقوب بالنصب فيهما
وزيد بن علي برفعهما على التوحيد وقرا ابي وعبد الله لايات فيهما
كالاولى فاما ايات لقوم يعقلون رفعا ونصبا فاستدل به وشبهه

مما

مما جاء في كلام العرب الاخفش ومن اخذ بمذهبه على عطف معمولين على معمولين
عاملين بالواو وهي مسالة فيها اربعة مذاهب ذكرناها في كتاب التذييل والتكميل
لشرح التسهيل فاما ما يخص هذه الاية فمن نصب ايات بالواو عطفت واختلاف
على المجرور بفي قبله وهو وفي خلقكم وما يبث وعطفت ايات على ايات ومن رفع
فكذلك والعاملان اولاهما ان وفي وثانيهما الابتداء وفي وقال الزمخشري اقيمت
الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت
فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في ايات والجر في واختلاف انتهى ونسبة
عمل الجر والنصب والجر والرفع للواو ليس بصحيح لان الصحيح من
المذاهب ان حرف العطف لا يعمل ومن منع العطف على مذهب الاخفش اضمر
حرف الجر فقدر وفي اختلاف فالعمل للحرف مضمرا ونابت الواو مناب عامل
واحد ويدل على ذلك انه في مصحف عبد الله وفي اختلاف مصرحا بفي وحسن
حذفه تقدمها في قوله وفي خلقكم وخرج ايضا النصب في ايات على التوكيد
لايات المتقدمة ولاضمار حرف في واختلاف والرفع على اضمار مبتدا محذوف
اي هي ايات ولا اضمار حرف ايضا وقرئ واختلاف الليل والنهار اية
بالرفع في اختلاف وفي اية موحدة وكذلك وما يبث من دابة اية وقرا
زيد بن علي وطلحة وعيسى وتصريف الريح وقال الزمخشري والمعنى
ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا
انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في
خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر
الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا
نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار
ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا
وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وقال ابو عبد
الله الرازي ذكر في البقرة ثمانية دلائل وذكر هنا ستة ولم يذكر الفلك والسحاب
والسبب في ذلك ان مدار الحركة للفلك والسحاب على الرياح المختلفة فذكر
الرياح وهناك جعل مقطع الثمانية واحدا وهنا رتبها على مقاطع ثلاثة
يؤمنون يوقنون يعقلون قال والظن سبب هذا الترتيب ان كنتم
مؤمنين وانتم من ذلك الخمر واليقين فافهموا هذه الدلائل وان لم
تكونوا مؤمنين ولا موقنين فلا اقل ان تكونوا من العاقلين فاجتهدوا
وقال هناك ان في خلق السموات وهنا في السموات فدل على ان الخلق غير
المخلوق وهو الصحيح عند اصحابنا ولا فارق بين ان يقال في السموات
وفي خلق السموات انتهى وفيه تلخيص وتقديم وتاخير تلك ايات الله اي
تلك الايات وهي الدلائل المذكورة نتلوها اي نسردها عليك ملتبسة بالحق
ونتلوها في موضع الحال اي متلوة قال الزمخشري والعامل ما دل عليه تلك
من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا انتهى وليس نحوه لان في وهذا
حرف تنبيه فقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه اي تنبه واما تلك
فليس فيها حرف تنبيه وقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه اي تنبه

واما تلك فليس فيها حرف تنبيه فاذا كان حرف التنبيه عاملا بما فيه من معنى
التنبيه عاملا بما فيه من معنى التنبيه لان الحرف قد يعمل في الحال ما المعنى
تنبه لزيد في حال شيخه او في حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب
فعل محذوف يدل عليه المعنى اي انظر اليه في حال شيخه فلا يكون اسم
الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه ان كان هناك وقال ابن عطية نتلوها
فيه حذف مضاف انما نتلو شانها وشرح العبرة بها ويحتمل ان يريد بايات
الله القران المنزل في هذه المعاني فلا يكون في نتلوها حذف مضاف انتهى
ونتلوها معناه يامر الملك ان نتلوها و **قرى** يتلوها بيا الغيبة
عايدا على الله وبالحق بالصدق اذ صحتها معلومة بالدلايل العقلية فباي
حديث الاية فيه تقريع وتوبيخ وتهديد بعد الله اي بعد حديث
الله وهو كتابه وكلامه كقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
وقال فباي حديث بعده يومنون اي بعد حديث الله وكلامه وقال
الضحاك بعد توحيد الله وقال الزمخشري بعد الله واياته اي بعد
ايات الله كقولك اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد
انتهى وهذا ليس بشي لان فيه من حيث المعنى اقحام الاسماء من غير ضرورة
والعطف والمراد غير العطف من اخراجه الى باب البدل لان تقدير
كرم زيد انما يكون في اعجبني زيد كرمه بغير واو على البدل وهذا قلب
لحقايق النحو وانما المعنى في اعجبني زيد وكرمه ان ذات زيد اعجبته
واعجبه كرمه فهما اعجابان لا اعجاب واحد وقد رددنا عليه مثل قوله هذا
فيما تقدم **وقرا** ابو جعفر والاعرج وشيبة وقتادة والحرميان وابو
عمرو وعاصم في رواية يومنون بالياء من تحت والاعمش وباقي
السبعة بتا الخطاب وطلحة توقنون بالتا من فوق والقاف من الايقان
ويل لكل افاك اثيم قيل نزلت في ابي جهل وقيل في النضر بن الحرث
وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران
والاية عامة فيمن كان مضارا لدين الله وافاك اثيم صفتا مبالغة
والفاظ هذه الاية تقدم الكلام عليها **وقرا** الجمهور علم وقتادة ومطر
الوراق بضم العين وشد اللام مبنيا للمفعول اي عرف وقال الزمخشري
فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول
القايل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت
حقيقة بان ينجو رايها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها
والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم
عليها بعد ما راها وعاينها شي يستبعد في العادات والطباع وكذلك
ايات الله الواضحة القاطعة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا
في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها اتخذها هزوا ولم يقل
اتخذه اشعارا بانه اذا احس بشي من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها الله
خاض في الاستهزا بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزا بما بلغه وقال الزمخشري
ويحتمل واذا علم من اياتنا شيا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجعله محملا
يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا وذلك نحو افتراض
ابن الزبعري قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

ومغالطته

ومغالطته وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شي لانه في معنى الاية كقول ابي العتاهية

نفسي بشي من الدنيا معلقة ❊ الله والقايم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة انتهى وعتبة جارية كان ابو العتاهية يهواها ويشبب بها والاشارة
باولئك الى كل افاك لشموله الافاكين حمل اولا على لفظ كل فافرد ثم على المعنى فجمع كقوله
كل حزب بما لديهم فرحون من ورايهم جهنم اي من قدامهم والورا ما توارى من
خلف وامام ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال في متاجرهم ولا ما اتخذوا من
دون الله من الاوثان هذا اي القران هدى اي بالغ في الهداية كقوله هذا
رجل اي كامل في الرجولية **وقرا** طلحة وابن محيصن واهل مكة وابن كثير وحفص
اليم بالرفع نعتا للعذاب والحسن وابو جعفر وشيبة وعيسى والاعمش وباقي السبعة
بالجر نعتا لرجز الله الذي سخر الاية اية اعتبار في تسخير هذا المخلوق العظيم
والسفن الجارية فيه لهذا المخلوق الحقير وهو الانسان بامره اي بقدرته
اناب الامر مناب القدرة كانه يامر السفن ان تجري من فضله بالتجارة وبالغوص
على اللولو والمرجان واستخراج اللحم الطري ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم
والسحاب والرياح والهوا والاملاك الموكلة بهذا كله وما في الارض من البهايم
والمياه والجبال والنبات **وقرا** الجمهور منه وابن عباس منة بكسر الميم وشد النون
ونصب التا على المصدر قال ابو حاتم سند هذه القراة الى ابن عباس مظلم وحكاها
ابو الفتح عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وحكاها
ايضا عن هولا الاربعة صاحب اللوامح وحكاها ابن خالويه عن ابن عباس وعبيد
ابن عمير **وقرا** سلمة بن محارب كذلك الا انه ضم التا اي هو منة وعنه ايضا
فتح الميم وشد النون وها الكناية عايد على الله وهو فاعل بسخر على الاسناد المجازي
او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك او هو منه والمعنى على قراة الجمهور انه سخر
هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة من عنده اذ هو موجدها بقدرته وحكمته ثم
سخرها لخلقه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون يعني منه خبر مبتدا محذوف تقديره
هي جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره انتهى ولا يجوز
هذان الوجهان الا على قول الاخفش لان جميعا اذ ذاك حال والعامل فيها
معنوي وهو الجار والمجرور فهو نظير زيد قايما في الدار ولا يجوز على مذهب
الجمهور قل للذين امنوا يغفروا نزلت في صدر الاسلام امر المومنين ان يتجاوزوا
عن الكفار وان لا يعاقبوهم بذنب بل يصبرون لهم قاله السدي ومحمد بن كعب
وقيل وهي محكمة والاكثر على انها منسوخة باية السيف يغفروا في جزمه اوجه
للنحاة تقدمت في قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة في سورة ابراهيم
لا يرجون ايام الله اي وقايعه باعدايه ونقمته منهم قاله مجاهد وقيل
ايام انعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك وقيل لا يامنون الاوقات
التي وقتها الله لثواب المومنين ووعدهم الفوز قيل نزلت قبل اية القتال
ثم نسخ حكمها وتقدم قول ابن عباس انها نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل
من غفار فهم ان يبطش به **وقرا** الجمهور ليجزي مبنيا للفاعل اي ليجزي
الله وزيد بن علي وابو عبد الرحمن والاعمش وابو خليد وابن عامر وحمزة والكسائي
بالنون وشيبة وابو جعفر بخلاف عنه بالياء مبنيا للمفعول وقد روي ذلك

عن علم وهي حجة لمن أجاز بناء الفعل للمفعول على أن يقام المجرور وهو به وينصب المفعول
به الصريح وهو قوما ونظيره ضرب بسوط زيدا ولا يجيز ذلك الجمهور وخرجت هذه القراءة
على أن يكون بني الفعل للمصدر أي وليجزي الجزاء قوما وهذا أيضا لا يجوز عند الجمهور
لكن يتأول على أن ينصب قوما بفعل محذوف تقديره يجزي قوما فيكون جملتان
إحداهما ليجزي الجزاء والأخرى يجزيه قوما وقوما هنا يعني به الغافرون
ونكره على معنى التعظيم لشأنهم كأنه قيل قوما أي قوم من شأنهم التجاوز
عن السيئات والصفح عن المؤذيات وتحمل الوحشة وقيل هم الذين لا يرجون
أيام الله أي بما كانوا يكسبون من الإثم كأنه قيل لم تكافئوهم أنتم
حتى نكافئهم نحن من عمل صالحا كهؤلاء الغافرين ومن أساء كهؤلاء الكفار
وأتى باللام في فلنفسه لأن المحاب والحظوظ تستعمل فيها اللام التي تستعمل
للملك وبعلى في فعليها لأن الأمور الشاقة تستعمل فيها اللام التي تستعمل
فيها على الدالة على العلو والقهر كما تقول الأمور لزيد متأتية وعلى عمرو مستصعبة
والكتاب التوراة والحكم القضاء وفصل الأمور لأن الملك كان فيهم وقيل
والحكم الفقه ويقال لم يتسع فقه الأحكام على نبي ما اتسع على لسان
موسى من الطيبات المستلذات الحلال وبذلك تتم النعمة وذلك المن
والسلوى وطيبات الشام إذ هي الأرض المباركة بينات أي دلائل واضحة
من الأمر أي من الوحي الذي فصلت به الأمور وعن ابن عباس من الأمر
أي من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب وقيل
معجزات موسى فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم تقدم
تفسير في الشورى **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع
أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين
بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى
ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون
وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم
لا يظلمون أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا
تذكرون وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا
الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه
ولكن أكثر الناس لا يعلمون** لما ذكر تعالى إنعامه على بني إسرائيل واختلافهم
بعد ذلك ذكر حال نبيه عليه السلام وما من به عليه من اصطفائه فقال
ثم جعلناك على شريعة من الأمر قال قتادة الشريعة الأمر والنهي والحدود
والفرائض وقال مقاتل البينة لأنها طريق إلى الحق وقال الكلبي السنة
لأنه كان يستن بطريقة من قبله من الأنبياء وقال ابن زيد الدين لأنه

طريق إلى النجاة والشريعة في كلام العرب الموضع الذي يرد منه الناس في الأنهار والمياه ومنه
قول الشاعر وفي الشرائع من جيلان مقتنص ... رث الثياب خفي الشخص منسرب
فشريعة الدين من ذلك من حيث يرد الناس أمر الله ورحمته والقرب منه من الأمر
أي من الأمور التي من دين الله الذي شرعه لعباده في الزمان السالف أو يكون
مصدر أمر أي من الأمر والنهي وسمي النهي أمرا أهواء الذين لا يعلمون قيل جهال
قريش والنضير وقيل رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك هذا بصائر
أي هذا القرآن جعل ما فيه من معالم الدين بصائر للقلوب كما جعل روحا وحياة
وقرئ هذه أي هذه الآيات أم حسب أم منقطعة تتقدر ببل والهمزة
وهو استفهام إنكار قال الكلبي نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وفي عتبة وشيبة
والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما أنتم على شيء ولئن كان ما تقولون
حقا لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا واجترحوا اكتسبوا والسيئات
هنا سيئات الكفر ونجعلهم نصيرهم والمفعول الثاني هو كالذين وبه تمام المعنى
وقرأ الجمهور سواء بالرفع ومماتهم بالرفع أيضا وأعربوا سواء مبتدأ وما بعده
ولا مسوغ لجواز الابتداء به بل هو خبر مقدم وما بعده المبتدأ والجملة خبرية
والضمير في محياهم ومماتهم أن يعود على الذين اجترحوا أخبر أن حالهم
في الزمانين سواء أو أن يعود على المجترحين والصالحين بمعنى أن محيا المؤمنين
ومماتهم سواء في الكرامة عند الله ومحيا المجترحين ومماتهم سواء في إهانتهم
عند الله وعدم كرامتهم عليه ويكون اللفظ قد لف هذا المعنى وذهن السامع
يفرقه إذ قد تقدم إبعاد الله أن يجعل هؤلاء كهؤلاء قال أبو الدرداء يبعث
الناس على ما ماتوا عليه وقال مجاهد المؤمن يموت مؤمنا ويبعث مؤمنا
والكافر يموت كافرا وقال ابن عطية مقتضى هذا الكلام أن لفظ الآية خبر
ويظهر لي أن قوله سواء محياهم ومماتهم داخل في المحسبة المنكرة السيئة
وهذا احتمال حسن والأول جيد انتهى ولم يبين كيفية تسلط الحسبة على الجملة
ما بعدها حتى يدخل في المحسبة وقال الزمخشري والجملة التي هي سواء محياهم
ومماتهم بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد
ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت
زيدا أبوه منطلق انتهى وهذا الذي ذهب إليه الزمخشري من إبدال الجملة
من المفرد قد أجازه أبو الفتح واختاره ابن مالك وأورد على ذلك شواهد في
زعمه ولا يتعين فيها البدل وقال بعض أصحابنا وهو الإمام العلامة ضياء الدين
أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإشبيلي ويعرف بابن العلج وكان ممن أقام
باليمن وصنف بها قال في كتابه البسيط في النحو لا يصح أن تكون جملة معمولة
للأول في موضع البدل كما كان في النعت لأنها تقدر تقدير المشتق تقدير الجامد
فيكون بدلا فلا يجتمع فيه تجوزان ولأن البدل يحل فيه العامل الأول ولا يصح أن
يكون فاعلا والجملة لا تكون في موضع الفاعل بغير سابك لأنها لا تقتضي فإن كانت
غير معمولة فهل تكون جملة لا يبعد عندي جوازها كما يتبع في العطف
الجملة للجملة وكتأكيد الجملة التأكيد اللفظي انتهى وتبين من كلام هذا
الإمام أنه لا يجوز أن تكون الجملة بدلا وأما تجويز الزمخشري أن نجعلهم

سوا محياهم ومماتهم فيظهر لي انه لا يجوز لانها بمعنى التصيير لا يجوز صيرت زيدا ابوه قايم ولا صيرت زيدا غلامه منطلق لان التصيير انتقال من ذات الى ذات او من وصف في الذات الى وصف فيها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول صيرت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا يجوز والذي يظهر لي انه اذا قلنا تنتصب الجملة [illegible] ان تكون الجملة في موضع الحال والتقدير ام حسب الكفار ان نصيرهم مثل المومنين في حال استوا محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم مفترقون اي افتراق في الحالتين ويكون هذه الحال مبينة ما ابهم في المثلية الدال عليها الكاف التي هي في موضع المفعول الثاني وقرا زيد بن علي وحمزة والكسائي وحفص سوا بالنصب وما بعده مرفوع على الفاعلية اجري سوا مجرى مستويا كما قالوا مررت برجل سوا هو والعدم وجوزوا في انتصاب سوا وجهين احدهما ان يكون منصوبا على الحال وكالذين المفعول الثاني والعكس وقرا الاعمش سوا بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب فقال ابن جني على ان يكون محياهم ومماتهم ظرفي زمان والعامل اما ان نجعلهم واما سوا وانتصبا على البدل من مفعول نجعلهم والمفعول الثاني سوا اي نجعل محياهم ومماتهم سوا وقال الزمخشري ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سوا في محياهم وفي مماتهم انكر ان يستوي المسيون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء انتهى وتمثيله بقوله وخفوق النجم ليس بجيد لان خفوق مصدر ليس على مفعل فهو في الحقيقة على حذف مضاف اي وقت خفوق النجم بخلاف محيا وممات ومقدم فانها تستعمل بالوضع مصدرا واسم زمان واسم مكان فاذا استعملت اسم مكان واسم زمان لم يكن ذلك على حذف مضاف قامت هذه مقامه لانها موضوعة للزمان والمكان كما وضعت للمصدر فهي مشتركة بين هذه المدلولات الثلثة بخلاف خفوق النجم فانه موضع للمصدر فقط وقد خلط ابن عطية في نقل القراات وله بعض عذر اذ لم يكن معربا فقال وقرا طلحة بن مصرف وعيسى بخلاف عنه بالنصب محياهم ومماتهم بالرفع وقرا حمزة والكسائي وحفص والاعمش سوا بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب ووجه كلا من القراتين على ما تقتضيه صنعة الاعراب وتبعه على هذا الوهم صاحب التحرير وهو معذور لانه ناقل من كتاب ابن عطية والصواب هو ما نقلناه من القراات لمن ذكرنا ويستنبط من هذه الاية تباين حال المومن العاصي من حال الطايع وان كانت في الكفار وتسمى مبكاة العابدين وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويرددها الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الربيع بن خثيم انه كان يرددها ليلة اجمع وكذلك الفضيل بن عياض كان يقول لنفسه ليت شعري من اي الفريقين انت وقال ابن عطية واما لفظها فيعطي انه اجترح الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل ان تكون المعادلة هي بالاجتراح وعمل الصالحات ويكون الايمان في الفريقين ولهذا بكى الخايفون انتهى ما يحكمون هو كقوله بيسما اشتروا وتقدم اعرابه في البقرة وقال ابن عطية هنا ما مصدرية والتقدير سا الحكم حكمهم بالحق بان خلقها حق واجب لما فيه من فيض الخيرات وليدل عليه دلالة الصنعة

على

على الصانع ولتجزى هي لام كي معطوفة على بالحق لان كلا من البا واللام يكونان للتعليل فكان الخلق معللا بالجزا وقال الزمخشري اي على معلل محذوف تقديره ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس وقال ابن عطية ويحتمل ان تكون لام الصيرورة اي فصار الامر منها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها اخرون لان يجازى كل واحد بعمله وبما اكتسب من خير او شر افرايت الاية قال مقاتل نزلت في الحرث بن قيس السهمي وافرايت هي بمعنى اخبرني والمفعول الاول هو من اتخذ والثاني محذوف تقديره بعد الصلات اتهتدي لمن اهتدي يدل عليه قوله فمن يهديه من بعد الله اي لا احد يهديه من بعد اضلال الله اياه من اتخذ الهه هواه اي هو مطواع الهوى نفسه يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه قال ابن جبير اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهوون من الحجارة وقال قتادة لا يهوى شيا الا ركبه لانه لا يخاف الله فلهذا يقال الهوى اله معبود وقرا الاعرج وابو جعفر الاهة بتا التانيث بدل ها الضمير وعن الاعرج انه قرا الهه على الجمع قال ابن خالويه ومعناه ان احدهم كان يهوى الحجر فيعبده ثم يرى غيره فيهواه فيدع الاول وكذلك قوله الهه هواه صفة الاية وان نزلت في هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس الامارة قال ابن عباس ما ذكر الله هوى الا ذمه وقال وهب اذا شككت في خير امرين فانظر ابعدهما من هواك فاته وقال سهل التستري هواك داوك فان خالفته فدواوك وفي الحديث والعاجز من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله ومن حكمة الشعر

قول عنترة وهو جاهلي

اني امرو سمح الخليقة ماجد ∴ لا اتبع النفس اللجوج هواها

وقال ابو عمران موسى بن عمران الاشبيلي الزاهد رحمة الله عليه

فخالف هواها واعصها ان من ∴ يطع هوى نفسه تنزع به شر منزع

ومن يطع النفس اللجوج ترده ∴ وترم به في مصرع اي مصرع

واضله الله على علم اي من الله تعالى سابق على علم من هذا الضال بان الحق هو الدين ويعرض عنه عنادا فيكون كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقال الزمخشري وتركه عن الهداية واللطف وخذله عن علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمزينة انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرا الجمهور غشاوة بكسر الغين وعبد الله والاعمش وطلحة وابو حنيفة ومسعود بن صالح وحمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين وابن مصرف والاعمش ايضا كذلك الا انهما كسرا الغين وتقدم تفسير الجملتين في اول البقرة وقرا الجمهور تذكرون بشد الذال والجحدري بتخفيفها والاعمش تتذكرون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا هي مقالة بعض قريش انكار للبعث والظاهر انه لم يموت ونحيى حكم على النوع بجملته من غير اعتبار تقديم وتاخير اي يموت بعض ويحيى طايفة وان المراد بالموت مفارقة الروح للجسد وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي نحيى ونموت وقيل نموت عبارة عن كونهم نطفا ثم سحيقه الارواح وقيل نحيى عبارة عن كونهم ابو جدوا وعلى هذا وقت وجودنا وهذا قريب من الاول

قبله ولا ذكر للموت الذي هو مفارقة الروح في هذين القولين وقيل نموت الاباء
ونحيى الابناء وقرا زيد بن علي ونحيى بضم النون وما يهلكنا الا الدهر اي مرور
الزمان لان الافات تستوي فيه كالامهات هذا ان كان قايلوا هذا معترفين
بالله فينسبوا الافات الى الدهر بجهلهم لانها مقدرة من عند الله وان كانوا
لا يعرفون الله ولا يقرون به وهم الدهرية فنسبوا ذلك الى الدهر
وقرا عبد الله الا دهر يمر وتاويله الا دهر يمر كانوا يضيفون كل حادثة الى
الدهر واشعارهم ناطقة بشكوى الدهر حتى يوجد ذلك في اشعار المسلمين
وقال ابن دريد يا دهر ان لم تك عتبى فاتئد فان ارواءك والعتبى سوا
وما كان حجتهم ليست بحجة حقيقة اي حجتهم عندهم اذ لانهم ادلوا بها كما يدلي
المحتج بحجته وساقوها مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في نحو
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع اي ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد
نفي ان يكون لهم حجة البتة وقرا الجمهور حجتهم بالنصب والحسن وعمرو
ابن عبيد وزيد بن علي وعبيد بن عمير وابن عامر فيما روي عنه عبد
الحميد وعاصم فيما روى هرون وحسين عن ابي بكر عنه حجتهم بالرفع وجواب
اذا ما كان حجتهم اي ما يكون حجتهم لان اذا للاستقبال وخالفت اذا ادوات
الشرط بان جوابها اذا كان منفيا بما لم يدخل الفا بخلاف ادوات الشرط فلا
بد من الفا تقول ان تزرنا فما جفوتنا اي فما تجفونا وفي كون الجواب
منفيا بما دليل على ما اخترناه من ان جواب اذا لا يعمل فيها لان ما بعد
ما النافية لا يعمل فيما قبلها ايتوا بابائنا الظاهر انه خطاب للرسول والمومنين اذ هم
قايلون بما تضمنه او هو خطاب له ولمن جا بالبعث وهم الانبيا وغلب
الخطاب على الغيبة وقال ابن عطية ايتوا من حيث المخاطبة له والمراد
هو والالهة والملك الوسيط الذي ذكره هو لهم محاجين وذلك جملة قبل لا
ايتوا ان كنتم انتهى ولما اعترفوا بانهم ما يهلكهم الا الدهر وانهم استدلوا
على انكار البعث بالا دليل لهم بينه من سوال الاحيا اباءهم رد الله تعالى عليهم
بانه تعالى هو المحيي وهو المميت لا الدهر وضم الى ذلك انه جامعهم للحساب
يوم البعث وهذا واجب الاعتراف به ان انصفوا ومن قدر على هذا
قدر على الاتيان باباءهم ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها
اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن
اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد
الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم
النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم
الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب

السموات

السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم العامل في ويوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم قاله الزمخشري
وحكاه ابن عطية عن فرقة والتنوين في يومئذ تنوين العوض من جملة ولم
تتقدم جملة الا قوله ويوم تقوم الساعة فيصير التقدير ويوم تقوم الساعة يوم اذ
تقوم الساعة يخسر ولا مزيد فايدة في قوله يوم اذ تقوم الساعة لان ذلك
مستفاد من ويوم تقوم الساعة فان كان بدلا توكيديا وهو قليل جاز ذلك
والا فلا يجوز ان يكون بدلا وقالت فرقة العامل في ويوم تقوم ما يدل عليه
الملك قالوا وذلك ان يوم القيامة حالة ثالثة ليست بالسما ولا بالارض
لان ذلك يتبدل فكانه قال ولله ملك السموات والارض يوم القيامة وحذفه
لدلالة ما قبله عليه ويومئذ منصوب بيخسر وهي جملة فيها استيناف وان
كان لها تعلق بما قبلها من جهة تنوين العوض والمبطلون الداخلون في الباطل
جاثية باركة على الركب مستوفزة وهي هيئة المذنب الخايف وقرى
جاذية بالذال والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي
يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات
من الجثوة وهي الجماعة تجمع على جثى قال الشاعر
ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفايح صم من صفيح منضد
وعن مورج السدوسي جاثية خاضعة بلغة قريش وعن عكرمة جاثية متميزة
وقرا يعقوب كل امة تدعى بنصب كل على البدل بدل النكرة الموصوفة من
النكرة والظاهر عموم كل امة من مومن وكافر وقال الضحاك وذلك عند
الحساب وقال يحيى بن سلام ذلك خاص بالكفار تدعى الى كتابها المنزل عليها
فتحاكم اليه هل وافقته او خالفته او الذي كتبته الحفظة وهو صحايف
اعمالها او اللوح المحفوظ والنقل الى ما سبق لها فيه او الى حسابها اقوال
وافرد كتابها اكتفا باسم الجنس لقوله ووضع الكتاب اليوم تجزون اي
يقال لهم اليوم تجزون هذا كتابنا هو الذي دعيت اليه كل امة وصحت
اضافته الى الله تعالى لانه مالكه والامر بكتبه واليهم لان اعمالهم مثبتة
فيه والاضافة تكون بادنى ملابسة فلذلك صحت اضافته اليهم والى الله تعالى
ينطق عليكم يشهد بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ اي
الملايكة اي نجعلها تنسخ اي تكتب وحقيقة النسخ نقل من اصل ينظر فيه
فاعمال العباد كانها الاصل وقال الحسن هو كتب الحفظة على بني ادم وعن
ابن عباس يجعل الله الحفظة تنسخ من اللوح المحفوظ كل ما يفعل العباد ثم
يمسكونه عندهم فياتي افعال العباد على نحو ذلك فيعيد ايضا فذلك هو
الاستنساخ وكان يقول ابن عباس الستم عربا وهل يكون الاستنساخ
الا من اصل ثم بين حال المومن بانه يدخله في رحمته وهو الثواب
الذي اعده وان ذلك هو الظفر بالبغية وبين الكافر بانه يوبخ ويقال
له الم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن اتباعها والايمان بها وكنتم
اصحاب جرايم والفا في افلم ينوى بها التقديم وانما قدمت الهمزة لان
الاستفهام له صدر الكلام والتقدير فيقال لهم الم وقال الزمخشري والمعنى الم

يأتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم بحذف المعطوف عليها انتهى وقد تقدم الكلام
معه في زعمه ان بين الفا والواو واذا تقدمتها همزة الاستفهام معطوف عليه
محذوف ورددنا عليه ذلك وقرا الاعرج وعمرو بن فايد واذا قيل
ان وعد الله بفتح الهمزة وذلك على لغة سليم والجمهور بكسرها وقرا الجمهور
والساعة بالرفع على الابتدا ومن زعم ان لان اسم ان موضعا يجوز العطف
عليه هنا او زعم ان لان واسمها موضعا يجوز العطف عليه وبالعطف
على الموضع لان واسمها هنا قال ابو علي ذكره في الحجة وتبعه الزمخشري
فقال وبالرفع عطفا على محل ان واسمها والصحيح المنع وحمزة بالنصب
عطفا على وعد الله وهي مروية عن الاعمش وابي عمرو وعيسى وابي حيوة والعبسي
والمفضل ان نظن الا ظنا تقول ضربت ضربا فان نفيت لم تدخل الا اذ لا يفرغ
العامل للمصدر المؤكد فلا تقول ما ضربت الا ضربا ولا ما قمت الا قياما
فاما الاية فتاويلها على حذف وصف المصدر حتى يصير مختصا لا مؤكدا
وتقديره الا ظنا مفعولا به وقد تاول ذلك بعضهم على وضعه فقال
التقدير ان نحن الا نظن ظنا وحكي هذا عن المبرد ونظيره ما حكاه ابو
عمرو بن العلاء وسيبويه من قول العرب ليس الطيب الا المسك قال
المبرد ونظيره ما حكاه ابو عمرو بن العلاء وسيبويه تقديره ليس الا الطيب
المسك انتهى واحتاج الى هذا التقدير لكون المسك مرفوعا بعد الا وانت
اذا قلت ما كان زيد الا فاضلا نصبت فلما وقع بعد الا ما يظهر انه خبر
ليس احتاج ان يزحزح الا عن موضعها ويجعل في ليس ضمير الشان ويرفع
الا الطيب المسك على الابتدا والخبر فيصير كالملفوظ به في نحو ما كان الا
زيد قائم ولم يعرف المبرد ان ليس في مثل هذا التركيب تهملها بنو تميم
معاملة ما فلم يعملوها الا باقية مكانها وليس بحثنا عاملة وليس في
الارض حجازي الا وهو ينصب في نحو ليس الطيب الا المسك ولا تميمي الا وهو
يرفع وفي ذلك حكاية جرت بين عيسى بن عمر وابي عمرو بن العلا
ذكرناها فيما كتبناه في علم النحو ونظير ان نظن الا ظنا قول الاعشي

وحل به الشيب اثقاله … وما اغتره الشيب الا اغترارا

اي اغترارا بينا وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت
اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثنا
ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا
بقوله وما نحن بمستيقنين انتهى وهذا الكلام ممن لا شعور له بالقاعدة
النحوية من ان التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول
وغيره الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه وقدره بعضهم ان نظن الا
انكم تظنون ظنا قال وانما احتيج الى هذا التقدير لانه لا يجوز في الكلام
ما ضربت الا ضربا فاهتدى الى هذه القاعدة النحوية واخطا في
التخريج لانه حذف ان واسمها وخبرها وابقى المصدر وذلك لا يجوز
وهذا التخريج يحكى عن المبرد ولعله لا يصح وقولهم ان نظن دليل
على ان الكفار قد ادبروا واباهم قلوا البعث واقفا ودل قولهم قبل

اذ هي

ان هي الا حياتنا الدنيا على انهم منكرون البعث جزما والله اعلم وفرقتان ذو ادوام نوافتاره
انكروا وتارة ظنوا او قالوا ان نظن الا ظنا على سبيل الهزو وبدا لهم سيئات ما عملوا
اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات واطلق على العقوبة سيئة كما قال
وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي احاط ولا يستعمل حاق الا في المكروه ننساكم
نترككم في العذاب او نجعلكم كالشي المنسي المتعهد الباقي به كما نسيتم لقاء
يومكم اي لقاء الله على اعمالكم ولم تخطروه على بال بعدما ذكرتم به
وتقدم التكرير به وتوعده واضاف اللقاء ليوم توسعا كقوله بل مكر الليل
والنهار وقرا الجمهور رب بالجر في الثلاثة على الصفة وابن محيصن بالرفع
فيها على اضمار هو الحقف رمل مستطيل مرتفع فيه اعوجاج

المفردات

وانحنا ومنه احقوقف الشي اعوج قال امرؤ القيس

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى … بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل

عمي بالامر اذا لم يعرف جهته ويجوز فيه الادغام فيقول عي كما قالت في
حيي حي قال الشاعر عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة

سورة الاحقاف بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون
الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني
بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ومن اضل
ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم
القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم
اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه
كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا
من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي
وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين هذه السورة مكية وعن ابن عباس وقتادة
ان قل ارايتم ان كان من عند الله وفاصبر كما صبر الايتين مدنيتان
ومناسبة اولها لما قبلها ان في اخر ما قبلها ذكر بانكم اتخذتم ايات الله هزوا
وقلتم انه عليه السلام اختلقها فقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم وهاتان الصفتان هما اخر تلك وهما اول هذه واجل مسمى
اي موعد لفساد هذه البنية قال ابن عباس هو القيامة وقال غيره
اي اجل كل مخلوق عما انذروا يحتمل ان تكون ما مصدرية وان
تكون بمعنى الذي قل ارايتم ما تدعون معناه اخبروني عن الذين
تدعون من دون الله وهي الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض

استفهام توبيخ ومفعول ارايتم الاول هو ما تدعون وماذا خلقوا جملة استفهامية يطلبها ارايتم لان مفعولها الثاني يكون استفهاما ويطلبها أروني على سبيل التعليق فهما من باب الاعمال اعمل الثاني وحذف مفعول ارايتم الثاني ويمكن ان يكون اروني توكيدا لارايتم بمعنى اخبروني واروني اخبروني كانهما بمعنى واحد وقال ابن عطية يحتمل ارايتم وجهين احدهما ان يكون متعدية وما مفعولة بها ويحتمل ان تكون ارايتم منبهة لا تتعدى وتكون ما استفهامية على معنى التوبيخ وتدعون معناه تعبدون انتهى وكون ارايتم لا تتعدى وانها منبهة شي قاله الاخفش في قوله قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة والذي يظهر ان ما تدعون مفعول ارايتم كما هو في قوله ارايتم شركاءكم الذين تدعون في سورة فاطر وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة فيها وقد امعنا الكلام في ارايتم في سورة الانعام فيطالع هناك ومن الارض تفسير للمبهم في ماذا خلقوا والظاهر انه يريد من اجزاء الارض اي خلق ذلك انما هو لله او يكون على حذف مضاف اي من العالم الذي في الارض اي على وجهها من حيوان او غيره مشرو وقفهم على ... فقال ام لهم اي بل الهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا القرآن ناطق بالتوحيد وبابطال الشرك وكل كتب الله المنزلة ناطقة بذلك فطلب منهم ان يأتوا بكتاب واحد يشهد بصحة ما هم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم اي بقية شيء كانت بها من شيء اي بقية من علم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والاثارة تستعمل في بقية الشرف يقال للبني فلان اثارة من شرف اذا كانت عندهم شواهد قديمة وفي غير ذلك قال الراعي

وذات اثارة اكلت عليها ... نباتا في اكمته فتارا

اي بقية من شحم وقرا الجمهور واثارة وهو مصدر كالشجاعة والسماحة وهي البقية من الشيء كانها اثره وقال الحسن المعنى من علم استخرجتموه فتثيرونه وقال مجاهد المعنى هل من احد يأثر علما في ذلك قال القرطبي هو الاسناد ومنه قول الاعشى

ان الذي فيه تماريتما ... بين للسامع والاثر

اي وللمسند عن غيره ومنه قول عمر رضي الله عنه فما حلفت به ذاكرا ولا اثرا وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة المعنى او خاصة من علم فاشتقاقها من الاثر فكأنها قد اثر الله بها من هي عنده وقال ابن عباس المراد بالاثارة الخط في التراب وشيء كانت العرب تفعله وتتكهن به وتزجر من تفسير الاثارة من الخط يقتضي تقوية امر الخط في التراب وان ذلك من باب التكهن ان صح تفسير ابن عباس الاثارة بالخط في التراب بهم وبانوا لهم ود لا يلحم وقرا علي وابن عباس بخلاف عنهما وزيد بن علي وعكرمة وقتادة والحسن والسلمي والاعمش وعمرو بن ميمون او اثرة بغير الف وهي واحدة جمعها اثر كقترة وقتر وعلي والسلمي وقتادة ايضا باسكان

التاء وهي الفعلة الواحدة مما يوثر اي قد قنعت لكم بخبر واحد او اثر واحد يشهد بصحة قولكم وعن الكسائي ضم الهمزة واسكان الثاء وقال ابن خالويه وقال الكسائي لغة اخرى اثره واثرة يعني بكسر الهمزة وضمها ومن اضل ممن يعبد الاصنام وهي جماد لا قدرة لها على استجابة دعائهم ما دامت الدنيا اي لا يستجيبون لهم ابدا او لذلك غيا انتفاء استجابتهم بقوله الى يوم القيامة ومع ذلك لا تشعر لهم بعبادتهم اياهم وهم في الآخرة اعداء لهم فليس لهم في الدنيا بهم نفع ولهم عليهم في الآخرة ضرر كما قال سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وما من لا يستجيب لانهم يسندون اليهم ما يسند لاولي العلم من الاستجابة والغفلة او كانهم من لا يستجيب يراد به من عبد من دون الله من انس وجن وغيرهما وغلب من يعقل وجمعا ولا على لفظ من لا يستجيب شرع المعنى في وهم من ما يريد هو والظاهر عود الضمير في وهم على معنى من في لا يستجيب كما فسرناه وقيل يعود على معنى من في ومن اضل اي والكفار عن ضلالهم بانهم يدعون من لا يستجيب غافلون لا يتأملون ما عليهم في دعائهم من هذه صفته واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة الواضحة واللام في للحق لام العلة اي لاجل الحق واتى بالظاهر بدل المضمر في قال الذين كفروا للحق ولم يأت التركيب قالوا لها تنبيها على الوصفين وصف المتلو عليهم بالكفر ووصف المتلو عليهم بالحق ولو جاء بهما مضمرين لم يكن في ذلك دليل على الوصفين من حيث اللفظ وان كان من حيث الايات سحر لا هو كافر والايات في نفيها فوق نفي ذكرهما لما هو بين يستند به في الكلام بالكفر وعلى المتلو بالحق وفي قوله لما جاءهم تنبيه على انهم لم يتأملوا ما يتلى عليهم بل بادروا اول سماعه الى نسبته الى السحر عنادا وظلما ووصفوه بمبين اي ظاهر انه سحر لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون افتراه اختلقه استقلوا من قولهم هذا سحر الى هذه المقالة الاخرى والضمير في افتراه عائد الى الحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض فالله حسبي في ذلك وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه ولا يمهلني فلا تملكون لي من رد عقوبة الله شيئا فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم استسلم الى الله واستنصر به فقال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من الباطل ومراده الحق وتسميته تارة سحرا وتارة فرية والضمير في فيه يحتمل ان يعود على ما وعلى القرآن وبه في موضع الفاعل بكفى على اصح الاقوال شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالتبليغ والدعاء اليه ويشهد عليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم عدة لهم بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر واشعار بحلمه تعالى عنهم اذ لم يعاجلهم بالعقاب اذا كان ما تقدم تهديدا لهم في ان يعاجلهم على كفرهم قل ما كنت بدعا من الرسل اي طا ... عذري قاله ابن عباس والحسن وقتادة والبدع والبديع من الاشياء ما لم

يوشك ومنه قول عدي بن زيد انشده قطرب
فلا انا بدع من حوادث تعتري • رجالا عرت من بعد بوسي باسعد
والبدع والبديع كالخف والخفيف والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا وابدع
الشاعر جا بالبديع وشي بدع بالكسر اي مبتدع وفلان بدع في هذا الامر اي بديع
وقوم ابداع قاله الاخفش وقرا عكرمة وابو حيوة وابن ابي عبلة بفتح الدال
جمع بدعة وهو على حذف مضاف اي ذا بدع وقال الزمخشري ويجوز ان
يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم انتهى وهذا الذي اجاز
ان لم يثبت استعماله عن العرب لم يجز لان فعلا في الصفات لم يحفظ منه س
الا عدى قال س ولا نعلمه جا صفة الا في حرف معتل يوصف به الجمع وهو
قوم عدى وقد استدرك على س قديم بمعنى متفرق وهو استدراك صحيح
واما قيم فاصله قيام وقيم مقصور منه ولذلك اعتلت الواو فيه اذ لو لم
يكن مقصورا لصحت كما صحت في حول وعوض واما قول العرب مكان سوى
وما زوى ورجل رضى وماء مرى وسبي طيبة فمتاول عند التصريفيين
لا يثبتون بها فعلا في الصفات وعن مجاهد وابي حيوة بدعا بفتح البا وكسر
الدال كحذر وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي فيما يستقبل من الزمان اي
لا اعلم الغيب فافعاله تعالى وما يقدر لي ولكم من قضاياه لا اعلمها
وعن الحسن وجماعة وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن
الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى
المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ااترك بمكة
ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخل
وشجر وقال ابن عباس وانس بن مالك وقتادة والحسن وعكرمة معناه في
الاخرة وكان هذا في صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله تعالى انه قد
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وان المومنين لهم من الله فضل كبير
وهو الجنة وبان الكافرين في نار جهنم وهذا القول ليس بظاهر بل قد
اعلم سبحانه من اول الرسالة حال الكافر وحال المومن وقيل ما يفعل بي
ولا بكم من الاوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة وقيل نزلت في امر كان النبي
صلى الله عليه وسلم ينتظره من الله في غير الثواب والعقاب انتهى والاولى
انه استسلام وتبرؤ من علم المغيبات ووقوف مع النذارة من عذاب الله
وقرا الجمهور ما يفعل بضم الياء مبنيا للمفعول وزيد بن علي وابن ابي عبلة بفتحها
والظاهر ان ما استفهامية وادري معلقة وجملة الاستفهام في موضع المفعول
وما مبتداه ويفعل الخبر وقال الزمخشري يجوز ان تكون موصولة منصوبة
انتهى والفصيح المشهور ان ادري يتعدى بالبا ولذلك حين عدي بهمزة النقل
تعدى بالبا نحو قوله ولا ادراكم به فجعل ما استفهامية هو الاولى والاجود
وكثيرا ما علقت في القران نحو وان ادري اقريب ويفعل مثبت غير منفي لكنه
قد انسحب عليه النفي لاشتماله على ما ويفعل فلذلك قال ولا بكم ولولا اعتبار
النفي لكان التركيب ما يفعل بي ولا بكم الا ترى زيادة من في قوله ان ينزل
عليكم من خير لانسحاب وقوله ما يود الذين كفروا على يود وعلى متعلق يود وهو ان

ينزل

ينزل فاذا التفت ودارة التنزيل انتفى التنزيل وقرا ابن عمير ما يوحى بكسر الحاء اي الله
عز وجل قل ارايتم مفعولا ارايتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما والتقدير ارايتم حالكم
ان كان كذا الستم ظالمين فالاول حالكم والثاني الستم ظالمين وجواب الشرط
محذوف اي فقد ظلمتم ولذلك جا فعل الشرط ماضيا وقال الزمخشري جواب
الشرط محذوف تقديره ان كان هذا القران من عند الله وكفرتم به الستم
ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
انتهى وجملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط الا بالفا فان كانت الاداة
الهمزة تقدمت الفا نحو ان تزرنا افما تحسن اليك وغيرها تقدمت الفا
نحو ان تزرنا فهل ترى الا خيرا فقول الزمخشري الستم ظالمين بغير فا
لا يجوز ان يكون جواب الشرط وقال ابن عطية وارايتم يحتمل ان تكون منبهة
فهي لفظ موضوع للسوال لا يقتضي مفعولا ويحتمل ان تكون الجملة كان وما
عملت فيه تسد مسد مفعوليها انتهى وهذا خلاف ما قرره محققو النحاة
في ارايتم وقيل جواب الشرط فامن واستكبرتم اي فقد امن محمد به او الشاهد
واستكبرتم انتم عن الايمان وقال الحسن تقديره فمن اضل منكم وقيل
فمن المحق منا ومنكم ومن المبطل وقيل اتهلكون والضمير في به عايد على
ما عاد عليه اسم كان وهو القران وقال الشعبي يعود على الرسول والشاهد
عبد الله بن سلام قاله الجمهور ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد
والاية مدنية وعن عبد الله بن سلام نزلت في ايات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم وقال مسروق الشاهد موسى عليه
السلام لا ابن سلام لانه اسلم بالمدينة والسورة مكية والخطاب في وكفرتم به لقريش
وقال الشعبي الشاهد من امن من بني اسرائيل بموسى والتوراة لان ابن سلام اسلم
قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين والسورة مكية وقال سعد بن ابي وقاص
ومجاهد وفرقة الاية مكية والشاهد عبد الله بن سلام وهي من الايات التي
تضمنت غيبا ابرزه الوجود واسلام عبد الله بن سلام مذكور في الصحيح وفيه انه
قال اليهود له قبحهم الله ومن كذب اليهود وجهلهم بالتاريخ ما يعتقدونه
في عبد الله بن سلام انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى الشام في تجارة لخديجة
رضي الله عنها اجتمع باحبار اليهود وقص عليهم احلامه فعلموا انه صاحب دولة
زعموا فاصحبوه عبد الله بن سلام فقرا عليه علوم التوراة وفقهها مدة
زعموا وافرطوا في كذبهم الى ان نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القران الى تاليف
عبد الله بن سلام وعبد الله هذا لم يعلم له اقامة بمكة ولا تردد اليها فما
اكذب اليهود وابهتهم لعنهم الله وناهيك من طايفة جا ذم في القران طايفة
مثلها وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم
يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما
ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى
للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم
يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزا بما كانوا يعملون ووصينا
الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله

ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين
سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين
نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد
الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني
ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك
آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين
حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون

قال قتادة هي مقالة كفار قريش للذين آمنوا اي لاجل الذين آمنوا واللام للتبليغ
ثم انتقلوا الى الغيبة لقولهم ما سبقونا ولو لم ينتقلوا لكان الكلام ما سبقتمونا اليه
او لما سمعوا ان جماعة آمنوا خاطبوا جماعة من المومنين اي قالوا للذين آمنوا
لو كان خيرا ما سبقنا اليه اولئك الذين بلغنا ايمانهم يريدون عمارا وصهيبا
وبلالا ونحوهم ممن اسلم وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي والزجاج
هي مقالة كنانة وعامر وسائر قبائل العرب المجاورة قالت ذلك حين اسلمت
غفار ومزينة وجهينة اي لو كان هذا الذي خيرا ما سبقنا اليه الرعاء وقال
الثعلبي هي مقالة اليهود حين اسلم ابن سلام وغيره منهم وقال ابو المتوكل اسلم ابو
ذر ثم اسلمت غفار فقالت قريش ذلك وقيل اسلمت امة لعمر فكان يضربها حتى
يفتر ويقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فقال كفار قريش لو كان ما يدعو اليه
محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة والظاهر ان اسم كان هو القرآن وعليه يعود به
ويرده ومن قبله كتاب موسى وقيل به عايد على الرسول والعامل في اذ محذوف
اي واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب عن ذلك الجواب
المحذوف لان هذا القول هو ناشئ عن العناد ويمتنع ان يعمل في اذ فسيقولون لظهور
التنافي وتباعد زمان اذ وزمان سيقولون افك قديم كما قالوا اساطير الاولين
وقدمه بمرور الاعصار عليه ولما طعنوا في صحة القرآن قيل لهم انه انزل الله من قبله
التوراة على موسى وانتم لا تنازعون في ذلك ولا تنازع في انزال القرآن اماما اي
يهتدى به اذ فيه البشارة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وارساله فيلزم
اتباعه والايمان به وانتصب اماما على الحال والعامل فيه العامل في ومن قبله
اي وكتاب موسى كاين من قبل القرآن في حال كونه اماما وقرا الكلبي
كتاب موسى بنصب كتاب ونحو ميم من على انها موصولة فقدرين واتينا الذي
قبله كتاب موسى وقيل انتصب اماما بمحذوف اي انزلناه اماما اي قدوة
يوتم به ورحمة لمن عمل به وهذا اشارة الى القرآن كتاب مصدق له اي
لكتاب موسى وهي التوراة التي تضمنت خبره وخبر من جاء به وهو الرسول فجا
هو مصدقا لتلك الاخبار او مصدق للكتب الالهية ولسانا حال من الضمير
في مصدق والعامل فيه مصدق او من كتاب اذ قد وصف والعامل فيه
اسم الاشارة او لسانا توطية والحال في الحقيقة هو عربيا او على حذف
اي ذا لسان عربي فيكون مفعولا لمصدقا اي هذا القرآن مصدق من جاء به

وهو

وهو الرسول لو ذلك بالمجازه واموال البارعة وقيل انتصب على اسقاط الخافض اي بلسان
عربي وقرا ابو رجا وشيبة والاعرج وابو جعفر وابن عامر ونافع وابن كثير في رواية
لتنذر بتا الخطاب للرسول والاعمش وابن كثير ايضا وباقي السبعة بيا الغيبة
اي لينذر القرآن والذين ظلموا الكفار عبدة الاصنام حيث وضعوا العبادة في غير
من يستحقه وبشرى قيل معطوف على مصدق فهو في موضع رفع او على اماما فهو
وقيل منصوب بفعل محذوف معطوف على لينذر اي ويبشر بشرى وقيل منصوب
على اسقاط الخافض اي ولبشرى وقال الزمخشري وتبعه ابو البقا وبشرى في
محل النصب على اسقاط الخافض اي ولبشرى وقال الزمخشري وتبعه ابو البقا
وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له انتهى وهذا لا يجوز
على الصحيح من مذهب النحويين لانهم يشترطون في الحمل على المحل ان يكون
المحل بحق الاصالة وان يكون الموضع محرزا والمحل هنا ليس بحق الاصالة لان الاصل
هو الجر في المفعول له وانما النصب ناشئ عن اسقاط الخافض لكنه لما كثر بالشروط
المذكورة في النحو وصل اليه الفعل فنصبه ولما عبر عن الكفار بالذين ظلموا عبر
عن المومنين بالمحسنين ليقابل بلفظ الاحسان لفظ الظلم ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تقدم الكلام على نظير هذه الاية في سورة فصلت ولما ذكر
جزاء بما كانوا يعملون قال ووصينا اذ كان بر الوالدين ثاني افضل الاعمال اذ
في الصحيح اي الاعمال افضل فقال الصلاة على ميقاتها قال ثم اي قال ثم بر
الوالدين واذ كان عقوقهما ثاني اكبر الكباير اذ قال عليه السلام الا انبئكم باكبر
الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين والآيات واردة في برهما كثيرا وقرا
الجمهور حسنا بضم الحا واسكان السين وعلي والسلمي وعيسى بفتحهما وعن عيسى
بضمهما والكوفيون احسانا فقيل ضمن ووصينا معنى الزمنا فيتعدى لاثنين
فانتصب حسنا واحسانا على المفعول الثاني لوصينا وقيل التقدير ايصاء ذا حسن
او ذا احسان ويجوز ان يكون حسنا بمعنى احسانا فيكون مفعولا له اي ووصيناه
بهما لاحساننا اليهما فيكون الاحسان من الله تعالى وقيل النصب على المصدر
على تضمين وصينا معنى احسنا بالوصية للانسان بوالديه احسانا وقال ابن
عطية ونصب هذا يعني احسانا على المصدر الصريح والمفعول الثاني في المجرور
والبا متعلقة بوصينا او بقوله احسانا انتهى ولا يصح ان يتعلق باحسانا لانه
مصدر مقدر بحرف مصدري والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولان احسن لا يتعدى
بالبا انما يتعدى باللام تقول احسنت لزيد ولا تقول احسنت بزيد على معنى
ان الاحسان يصل اليه وتقدم الكلام على ووصينا الانسان بوالديه حسنا في
سورة العنكبوت وانجر هنا بالكلام على ذلك مزيد فايدة حملته امه كرها
ليس لكم فيها ولا علوقها بل في ثاني استمرار الحمل حتى يتوقع حوادثه قال ابن
عطية ويحتمل ان يريد وقت الحمل اذ لا تدبير لها في حمله ولا تركه انتهى ولا
يلحقها كره اذ ذاك فهذا احتمال بعيد وقال مجاهد والحسن وقتادة المعنى
حملته مشقة ووضعته مشقة وقرا الجمهور بضم الكاف وشيبة
وابو جعفر والاعرج والحرميان وابو عمرو بالفتح وبهما معا ابو رجا ومجاهد
وعيسى والضم والفتح لغتان بمعنى واحد كالفقر والفقر وقالت فرقة

بالضم المشقة وبالفتح الغلبة والقهر وضعفوا قراءة الفتح وقال بعضهم لو كان بالفتح لرمت
به من نفسها اذ معناه القهر والغلبة انتهى وهذا ليس بشي اذ قراءة الفتح في السبعة المتواترة
وقال ابو حاتم القراءة بفتح الكاف لا تحسن لان الكره بالفتح الغضب والغلبة انتهى وكان
ابو حاتم يطعن في بعض القراءات بما لا علم له به جسارة منه عفا الله عنه وانتصابهما على الحال
من ضمير الفاعل اي حملته ذات كره او على انه نعت لمصدر محذوف اي حملا ذا كره
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اي ومدة حمله وفصاله وهذا لا يكون الا بان يكون احد
الطرفين ناقصا اما بان تلد المراة لستة اشهر وترضع عامين واما ان تلد لتسعة
اشهر على العرف وترضع عامين غير ربع عام فان زادت مدة الحمل نقصت مدة
الرضاع وبالعكس فيترتب من هذا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر واقل مدة الرضاع
عام وتسعة اشهر واكمال العامين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقد كشفت التجربة
ان اقل مدة الحمل ستة اشهر كنص القران وقال جالينوس كنت شديد الفحص
عن مقادير زمن الحمل فرايت امراة ولدت لمائة واربع وثمانين ليلة وزعم ابن
سينا انه شاهد ذلك واما اكثر الحمل فليس في القران ما يدل عليه قال ابن سينا
في الشفا بلغني من جهة من اثق به كل الثقة ان امراة وضعت بعد الرابع
من سني الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وحكي عن ارسطاطاليس انه قال ازمنة الحمل
لكل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت لسبعة اشهر ولثمانية وقلما
يعيش الولد في الثامن الا في بلاد معينة مثل مصر انتهى وعبر عن مدة الرضاع
بالفصال لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي به وقرا
الجمهور وفصاله وهو مصدر فاصل كانه من اثنين فاصل امه وفاصلته
وقرا ابو رجا والحسن وقتادة والجحدري وفصله قيل والفصل والفصال مصدر
كالعظم والعظام وهنا لطيفة ذكر تعالى الام في اربعة مراتب في قوله بوالديه
وحمله ووضعه وارضاعه المعبر عنه بالفصال وذكر الوالد في واحدة في قوله
بوالديه فناسب ما قال الرسول من جعل ثلاثة ارباع البر للام والربع للاب
في قول الرجل يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم
من قال اباك حتى اذا بلغ اشده في الكلام حذف تكون حتى غاية له تقديره فعاش
بعد ذلك او استمرت حياته وتقدم الكلام في بلغ اشده في سورة يوسف والظاهر
ضعف قول من قال بلوغ الاشد اربعون لعطف وبلغ اربعين سنة والعطف
يقتضي التغاير الا ان ادعي ان ذلك توكيد لبلوغ الاشد فيمكن والتاسيس
اولى من التوكيد وبلوغ الاربعين اكمال العقل وظهور الفلاح قيل ولم
يبعث نبي الا بعد الاربعين وفي الحديث ان الشيطان يجر يده على وجه من
زاد على الاربعين ولم يتب ويقول بابي وجه لا يفلح قال رب اوزعني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وتقدم الكلام
على هذا في سورة النمل واصلح لي في ذريتي سال ان يجعل ذريته موقعا
للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي فاوقعه فيهم او ضمن
واصلح لي معنى والطف بي في ذريتي لان اصلح يتعدى بنفسه لقوله
واصلحنا له زوجه فلذلك احتيج قوله في ذريتي الى التاويل قيل نزلت في
ابي بكر رضي الله عنه ويتناول من بعده وهو مشكل لانها نزلت بمكة وابوه

اسلم

اسلم عام الفتح لقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا فلم يقصد بذلك ابو بكر ولا غيره
والمراد بالانسان الجنس ولذلك اشار بقوله اولئك جمعا وقرا الجمهور يتقبل مبنيا
للمفعول احسن رفعا وكذا ويتجاوز وقرا زيد بن علي وابن وثاب وطلحة وابو
جعفر والاعمش بخلاف عنه وحمزة والكسائي وحفص نتقبل احسن نصبا ونتجاوز
بالنون فيهما والحسن والاعمش وعيسى بالياء فيهما مفتوحة ونصب احسن
في اصحاب الجنة قيل في بمعنى مع وقيل هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس
من اصحابه يريد في جملة من اكرم منهم ومحله النصب على الحال اي معي
كائنين في اصحاب الجنة وانتصب وعد الصدق على انه مصدر مؤكد
لمضمون الجملة السابقة لان قوله اولئك الذين يتقبل وعد منه تعالى
بالتقبل والتجاوز ولما ذكر الانسان البار بوالديه وما آل اليه من الخير ذكر
العاق لوالديه وما آل اليه من الشر والمراد بالذي الجنس ولذلك جاء الخبر
مجموعا في قوله اولئك الذين حق عليهم القول وقال الحسن هو الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وقول مروان بن الحكم واتبعه قتادة انها
نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق يقول خطابا شي من حوره حين
دعا مروان وهو امير المدينة الى بيعة يزيد فقال عبد الرحمن جعلتموها
هرقلية كلما مات هرقل ولي ابنه وكلما مات قيصر ولي ابنه فقال مروان
خذوه فدخل بيت اخته عائشة رضي الله عنها وقد انكرت ذلك عائشة
فقالت وهي الصدوقة لم ينزل في آل ابي بكر من القران شي الا براءتي وقالت
والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته وسبت مروان وقالت
ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله ويرد
على من ذهب الى انه قال تعالى اولئك الذين حق عليهم القول وهذه
صفات الكفار اهل النار وكان عبد الرحمن من افاضل الصحابة وسراتهم
وابطالهم وممن له في الاسلام غنا يوم اليمامة وغيره اف كلمة تقدم الكلام
على اف مدلولا ولغات وقراءة في سورة الاسرا واللام في لكما للبيان اي
لكما اعني التافيف وقرا الجمهور اتعدانني بنونين الاولى مكسورة والحسن
وعاصم وابو عمرو في رواية وهشام بادغام نون الرفع في نون الوقاية
وقرا نافع في رواية وجماعة بنون واحدة وقرا الحسن وشيبة وابو
جعفر بخلاف عنه وعبد الوارث عن ابي عمرو وهرون بن موسى عن الجحدري
وسام عن هشام بفتح النون الاولى كانهم فروا من الكسرتين والياء الى الفتح
طلبا للتخفيف ففتحوا كما فر من ادغم ومن حذف وقال ابو حاتم فتح
النون باطل غلط ان اخرج اي اخرج من قبري للبعث والحساب وقرا
الجمهور ان اخرج مبنيا للمفعول والحسن وابن يعمر والاعمش وابن مصرف
والضحاك مبنيا للفاعل وقد خلت القرون من قبلي اي مضت ولم يخرج منهم
احد ولا بعث وقال ابو سليمان الدمشقي وقد خلت القرون من قبلي مكذبة
بالبعث وهما يستغيثان الله يقال استغثت الله واستغثت بالله والاستعمال
في لسان العرب وقد رد ذلك علي بن مالك انكاره تعديته بالباء وذكر شواهد
على ذلك في الالفاظ التي تلوا ان الغياث بالله منك ومن قولك وهو

استعظام لقوله وذلك دعا عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة
الهلاك وقيل ويلك دعا لمن يتحير ويتحرك لامر يستعجل اليه وقرا الاعمش وعمرو
ابن فائد ان وعد الله بفتح الهمزة اي امن بان وعد الله حق والجمهور بكسرها
فيقول ما هذا اي ما هذا الذي يقولان من الوعد بالبعث من القبور
الا اساطير الاولين في كتبهم ولا حقيقة له قال ابن عطية وظاهر الفاظ
هذه الاية انها نزلت في مشار اليه قال وقيل له فيتوله الله احواله تحذيرا
من الوقوع في مثلها وقوله اولئك ظاهره انها اشارة الى الجنس يتضمنه قوله
والذي قال ويحتمل ان تكون الاية في مشار اليه ويكون قوله اولئك
يعني صنف هذا المذكور وجنسه هم الذين حق عليهم القول اي قول الله
انه يعذبهم في امم اي جملة امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس تقتضي ان
الجن يموتون قرنا بعد قرن كالانس وقال الحسن في بعض مجالسه الجن
لا يموتون فاعترضه قتادة بهذه الاية فسكت وقرا العباس عن ابي
عمرو انهم كانوا بفتح الهمزة والجمهور بكسرها ولكل اي من المحسن والمسي
درجات تقسيم درجات اذ الجنة درجات والنار دركات والمعنى منازل ومراتب من
جزا ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منها قال ابن زيد درجات المحسنين تذهب
علوا ودرجات المسيئين تذهب سفلا انتهى والكل كالدرك تندرج وليوفيهم
اعمالهم تدرجا هم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات وقرا الاعمش
والجمهور وليوفيهم بالياء اي والله تعالى والاعمش والاعرج وشيبة وابو جعفر والاخوان
وابن ذكوان ونافع بخلاف عنه بالنون والسلمي بالتاء من فوق اي ولتوفيهم
الدرجات اسند التوفية اليها مجازا ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما
كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر اخا عاد
اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتافكنا
عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله
وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا
مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها
عذاب اليم تدمر كل شي بامر ربها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك
نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون ويوم يعرض اي يعذب بالنار كما يقال عرض على السيف اذا قتل به
والعرض المباشرة كما تقول عرضت العود على النار اي باشرت به النار وقال
الزمخشري ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض
يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها
فيكشف لهم عنها انتهى ولا ينبغي حمل القران على القلب اذ الصحيح في القلب
انه مما يضطر اليه في الشعر واذا كان المعنى صحيحا واضحا مع عدم القلب فاي

ضرورة

ضرورة تدعو اليه وليس في قولهم عرضت الناقة على الحوض ولا في تفسير ابن عباس
ما يدل على القلب لان عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة
كل منهما صحيح اذ العرض نسبة يصح اسناده لكل واحد من الناقة
والحوض وقرا الجمهور اذهبتم على الخبر اي فيقال لهم اذهبتم ولذلك حسنت
الفاء في قوله فاليوم تجزون وقرا قتادة وقتاده ومجاهد وابن عامر
وابن كثير في رواية بهمزتين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية هشام وابن كثير في رواية
وعن هشام الفصل بين المحققة والملينة بالف وهذا الاستفهام على معنى التوبيخ
والتقرير فهو خبر في المعنى فلذلك حسنت الفاء ولو كان استفهاما محضا
لم تدخل الفا والطيبات هنا المستلذات من الماكل والمشارب والملابس والمفارش
والمراكب والمواطي وغير ذلك مما يتنعم اهل الرفاهية وهذه الاية محرضة
على التقلل من الدنيا وترك التنعم فيها والاخذ بالتقشف وما يجتزي به رمق
الحيوة وعن رسول الله في ذلك ما يقتضي التاسي به وعن عمر في ذلك اخبار
تدل على معرفته بانواع الملاذ وعزوف نفسه الفاضلة عنها منها انه قال لو
انا لا نعرف خفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاء وصنابا وصلائق
ولكني استبقي حسناتي فان الله عز وجل وصف اقواما فقال اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الصلاء الشواء والصناب المتخذ
من الخردل والزبيب والصلائق الخبز الرقاق العريض قال ابن عباس وهذا
من باب الزهد والا فالاية نزلت في كفار قريش والمعنى انه كانت تكون
لكم طيبات الاخرة لو امنتم لكنكم لم تؤمنوا فاستعجلتم طيباتكم في الحياة
الدنيا فهذه كناية عن عدم الايمان ولذلك ترتب عليه فاليوم تجزون عذاب
الهون ولو اريد الظاهر ولم يكن كناية عما ذكرنا لم يترتب عليه
الجزا بالعذاب وقرئ الهوان وهو والهون بمعنى وقد قرئ بذلك
بقوله بما كنتم تستكبرون اي ترتفعون عن الايمان وبما كنتم تفسقون
اي بمعاصي الجوارح وقدم ذنب القلب وهو الاستكبار على ذنب الجوارح
اذ اعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب ولما كان اهل مكة مستغرقين في
لذات الدنيا معرضين عن الايمان وما جاء به الرسول ذكرهم بما جرى للعرب
الاولى وهم قوم عاد وكانوا اكثر اموالا واشد قوة واعظم جاها منهم
فسلط عليهم العذاب بسبب كفرهم وضرب الامثال وقصص من تقدم
تعرف بقبح الشي وتحسينه فقال لرسوله واذكر لقومك اهل مكة هودا عليه
السلام اذ انذر قومه عادا عذاب الله بالاحقاف قال ابن عباس واد بين عمان
ومهرة وقال ابن اسحاق من عمان الى حضرموت وقال ابن زيد رمال مشرفة
بالبحر من اليمن وقيل بين مهرة وعدن وقال قتادة هي بلاد الشحر
المواصلة للبحر اليماني وقال ابن عباس هي جبل بالشام وقال ابن عطية
والصحيح ان بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات العماد وفي
ذكر هذه القصة اعتبار لقريش وتسلية للرسول اذ كذبه قومه كما كذبت
عاد هودا عليه السلام والجملة من قوله وقد خلت النذر وهو جمع نذير
من بين يديه ومن خلفه يحتمل ان يكون حالا من الفاعل في انذر ومن بين يديه

وهم الرسل الذين تقدموا زمانه ومن خلفه الرسل الذين كانوا في زمانه ويكون على هذا معنى
ومن خلفه أي من بعد إنذاره ويحتمل أن يكون اعتراضا بين إنذار قومه وأن لا تعبدوا والمعنى
وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا أجئتنا استفهام
تقرير وتوبيخ وتعجيز له فيما أنذرهم إياه من العذاب العظيم على ترك إفراد الله بالعبادة
لتأفكنا لتصرفنا قاله الضحاك أو لتزيلنا عن آلهتنا بالإفك وهو الكذب أي عن عبادة
آلهتنا فأتنا بما تعدنا استعجال منهم بحلول ما وعدهم به من العذاب ألا ترى إلى قوله بل
هو ما استعجلتم به قال إنما العلم عند الله أي علم وقت حلوله وليس تعيين وقته
وإنما أنا مبلغ ما أرسلني به الله إليكم ولم يتحقق عنده وعد الله وأنه حال بهم وهم
في مهلة من ذلك وتكذيب قال ولكني أراكم قوما تجهلون أي عاقبة أمركم لا تشعرون
لكنه واقع بكم واقع لا محالة وكان استعجالهم قد صرف الله عنهم المطر إياما فساق الله
إليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فاستبشروا والضمير في رأوه
الظاهر أنه عائد على ما في قوله بما تعدنا وهو العذاب وانتصب عارضا على الحال من
المفعول وقال ابن عطية ويحتمل أن يعود على الشيء المرئي الطالع عليهم الذي فسره قوله
عارضا وقال الزمخشري فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون
مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح انتهى
وهذا الذي ذكر أنه أعرب وأفصح ليس جاريا على ما ذكره النحاة لأن المبهم الذي
يفسره ويوضحه التمييز لا يكون إلا في باب رب نحو ربه رجلا لقيته وفي باب
نعم وبئس على مذهب البصريين نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو وأما
أن الحال يوضح المبهم ويفسره فلا نعلم أحدا ذهب إليه وقد حصر النحاة المضمر الذي
يفسر ما بعده فلم يذكروا فيه مفعول رأى إذا كان ضميرا ولا أن الحال يفسر الضمير ويوضحه
والعارض المعترض في الجو من السحاب ومنه قول الشاعر
يا من رأى عارضا أرقت له ∗ بين ذراعي وجبهة الأسد
وقال الأعشى يا من رأى عارضا قد بت أرمقه ∗ كأنما البرق في حافاته الشعل
مستقبل أوديتهم هو جمع واد وأفعلة في جمع فاعل الاسم شاذ نحو ناد وأندية
وجائز وأجوزة والجائز الخشبة الممتدة في أعلا السقف وإضافة مستقبل وممطر
إضافة لا تعرف فلذلك نعت بهما النكرة بل هو ما استعجلتم به أي قيل لهم
بل هو العذاب الذي استعجلتم به أضرب عن قولهم عارض ممطرنا وأخبر بأن
العذاب فاجأهم ثم قال ريح أي هي ريح وقيل ريح بدل من هي وقرأ ما استعجلتم بضم
التاء وكسر الجيم وتقدمت قصص في الريح فأغنى عن ذكرها هنا تدمر أي تهلك
والدمار الهلاك وتقدم ذكره وقرأ زيد بن علي تدمر بفتح التاء وسكون الدال
وضم الميم وكل بالرفع أي يهلك كل شيء وكل شيء عام مخصوص
أي من نفوسهم وأموالهم أو مما أمرت بتدميره وإضافة الرب إلى الريح
دلالة على أنها وتصريفها مما يشهد بباهر قدرته تعالى لأنها من أعاجيب
خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته تعالى وقرأ
الجمهور لا ترى بتاء الخطاب إلا مساكنهم بالنصب وعبد الله ومجاهد وزيد بن علي

وقتادة

وقتادة وأبو رجاء وطلحة وعيسى والحسن وعمرو بن ميمون بخلاف عنهما وعاصم وحمزة لا يرى
بالياء من تحت مضمومة إلا مساكنهم بالرفع وأبو رجاء ومالك بن دينار بخلاف عنهما والجحدري
والأعمش وابن أبي إسحاق والسلمي بالتاء من فوق مضمومة مساكنهم بالرفع وهذا لا يجيزه
أصحابنا إلا في الشعر وبعضهم يجيزه في الكلام وقال ذو الرمة
كأنه جملهم وما بقيت إلا ∗ النحيزة والألواح والعصب
وقال آخر فما بقيت إلا الضلوع الجراشع وقرأ عيسى الهمداني لا يرى بضم الياء
إلا مسكنهم بالتوحيد وروي هذا عن الأعمش ونصر بن عاصم وقرئ
لا ترى بتاء مفتوحة بالخطاب إلا مسكنهم موحدا اسم جنس وقرئ بالجمع تفخيم
لشأنهم وإنهم لما هلكوا في وقت واحد فكأنهم كانوا في مسكن واحد ولما أخبر بهلاك
قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أي
في الذي مكناهم فيه من القوة والغنى والبسط في الأجسام والأموال ولم
يكن النفي بلفظ ما كراهة التكرير للفظ وإن اختلف المعنى وقيل إن شرطية محذوفة
الجواب والتقدير إن مكناكم فيه طغيتم وقيل إن زائدة نحو ما الموصولة
تشبيها بما النافية وأما التوقيتية فهو في الآية يحكى في قوله ∗ يرجي المرء ما إن لا يراه
وتعرض دون أدناه الخطوب ∗ إن مكنا فيما مثل الذي مكناكم فيه وكونها
نافية هو الوجه لأن القرآن يدل عليه في مواضع كقوله كانوا أكثر منهم وأشد
قوة وآثارا وقوله هم أحسن أثاثا ورئيا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل
في الحث على الاعتبار ثم عدد نعمه عليهم وأنها لم تغن عنهم شيئا حيث
لم يستعملوا السمع والأبصار والأفئدة فيما يجب أن يستعمل
وما في فما أغنى استفهام بمعنى التقدير وهو بعيد لقوله من شيء إذ يصير التقدير
أي شيء مما ذكر أغنى عنهم من شيء فيكون من زيدت في الواجب وهو لا يجوز
على الصحيح والعامل في إذ أغنى ويظهر فيها معنى التعليل لو قلت
أكرمت زيدا إذ أحسن إليّ وإذا أحسن إليّ استويا في الوقت
وفهم من إذ ما يفهم من لام التعليل وأن إكرامك إياه في وقت إحسانه
إنما كان لوجود إحسانه لك فيه ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى
وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون
الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا
أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا
أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم
يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء
أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض
ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ويوم
يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة

من نار يلاحظهم فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم والذي حولهم من القرى مأرب وحجر ثمود وسدوم ويريد من أهل القرى وصرفنا الآيات أي الحجج والدلائل والعظات لأهل تلك القرى لعلهم يرجعون عما هم فيه من الكفر إلى الإيمان فلم يرجعوا فلولا نصرهم أي فهلا نصرهم حين جاءهم الهلاك الذين اتخذوا أي اتخذوهم من دون الله قربانا أي في حال التقرب وجعلهم شفعاء آلهة وهو المفعول الثاني لاتخذوا والأول الضمير المحذوف العائد على الموصول وأجاز الحوفي وابن عطية وأبو البقاء أن يكون قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا وآلهة بدل منه لفساد المعنى انتهى ولم يبين الزمخشري كيف يفسد المعنى ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الإعراب وأجاز الحوفي أيضا أن يكون قربانا مفعولا من أجله بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وقرأ الجمهور إفكهم بكسر الهمزة وإسكان الفاء وضم الكاف وابن عباس في رواية بفتح الهمزة والإفك والأفك مصدران وقرأ ابن عباس أيضا وابن الزبير والصباح ابن العلاء الأنصاري وأبو عياض وعكرمة وحنظلة بن النعمان بن مرة ومجاهد أفكهم بثلاث فتحات أي صرفهم وأبو عياض وعكرمة أيضا كذلك إلا أنهما شددا الفاء للتكثير وابن الزبير أيضا وابن عباس فيما ذكر ابن خالويه آفكهم بالمد فاحتمل أن يكون فاعل فالهمزة أصلية وأن يكون أفعل والهمزة للتعدية أي جعلهم يأفكون ويكون أفعل بمعنى المجرد وعن الفراء أنه قرئ أفكهم بفتح الهمزة والفاء وضم الكاف وهي لغة في الإفك وابن عباس فيما روى قطرب وأبو الفضل الرازي آفكهم اسم فاعل من أفك أي صارفهم والإشارة بذلك إلى من قرأ إفكهم مصدرا أي اتخاذ الأصنام آلهة أي ذلك كذبهم وافتراؤهم وقال الزمخشري وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء انتهى وعلى قراءة من جعله فعلا معناه وذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق وكذلك قراءة اسم الفاعل أي صارفهم عن الحق ويحتمل أن تكون ما مصدرية أي وافتراؤهم وأن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي يفترونه وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما بين أن الإنس مؤمن وكافر ذكر أن الجن فيهم مؤمن وكافر وكان ذلك إثر قصة هود وقومه لما كان عليه قومه من الشدة والقوة والجن توصف أيضا بذلك كما قال تعالى قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين وأن ما أهلك به قوم هود هو الريح وهو من العالم الذي لا يشاهد وإنما يحس بهبوبه والجن أيضا من العالم الذي لا يشاهد وهود عليه السلام كان من العرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب فعنده يجوز أن يكون مناسبة لهذه الآية بما قبلها وفيها أيضا توبيخ لقريش وكفار العرب حيث أنزل عليهم هذا الكتاب المعجز فكفروا به وهم من أهل اللسان الذي نزل به القرآن ومن جنس الرسول الذي أرسل إليهم وهؤلاء جن فليسوا من جنسه وقد أثر فيهم سماع القرآن وآمنوا به وبمن أنزل عليه وعلموا أنه من عند الله بخلاف قريش وأمثالها فإنهم

مصرون

مصرون على الكفر به وإذ صرفنا وجهنا إليك وقرئ صرفنا بتشديد الراء لأنهم كانوا جماعة فالتكثير بحسب الحال النفر من الجن والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا قال ابن عباس كانوا سبعة من أهل نصيبين وقال زر كانوا تسعة منهم زوبعة والذي يجمع اختلاف الروايات أن قصة الجن كانت مرتين إحداهما حين انصرف من الطائف وكان خرج إليهم يستنصرهم في قصة ذكرها أصحاب السير فروي أن الجن كانت تسترق السمع فلما بعث الرسول حرست السماء ورمي الجن بالشهب قالوا ما هذا إلا أمر حدث وطافوا الأرض فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة وهو قائم يصلي فاستمعوا لقراءته وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم والمرة الأخرى أن الله أمره أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره أحد ليلة الجن غيري فانطلقنا حتى إذا كنا في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن فسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا انقطاع السحاب فقال لي هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك وفي آخر هذا الحديث قلت يا رسول الله سمعت لهم لغطا فقال إنهم تدارءوا في قتيل لهم فحكمت بالحق وقد روي عن ابن مسعود أنه لم يحضر أحد ليلة الجن والله أعلم بصحة ذلك فلما حضروه أي القرآن أي كانوا بمسمع منه وقيل حضروا الرسول وهو التفات من إليك إلى ضمير الغائب قالوا أنصتوا أي اسكتوا للاستماع وفيه تأدب مع العلم وكيف يتعلم وقرأ الجمهور فلما قضي مبنيا للمفعول وأبو مجلز وحبيب بن عبد الله بن الزبير قضى مبنيا للفاعل أي قضى محمد ما قرأ أي أتمه وفرغ منه وقال ابن عمر وجابر بن عبد الله قرأ عليهم سورة الرحمن فكان إذا قال فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من آياتك ربنا نكذب ربنا لك الحمد ولوا إلى قومهم منذرين تفرقوا على البلاد ينذرون الجن قال قتادة ما أسرع ما عقل القوم انتهى وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب وخنافر وأمثالهما حين جاءهما رئياهما من الجن وكان سبب إسلامهما من بعد موسى أي من بعد كتاب موسى قال عطاء كانوا على ملة اليهود وعن ابن عباس لم تسمع الجن بأمر عيسى وهذا لا يصح عن ابن عباس كيف لا تسمع بأمر عيسى وله أمة عظيمة لا تنحصر على ملته فيبعد عن الجن كونهم لم يسمعوا به ويجوز أن يكونوا قالوا من بعد موسى تنبيها لقومهم على اتباع الرسول إذ كان عليه السلام قد بشر به موسى فقالوا ذلك من حيث أن هذا الأمر مذكور في التوراة مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل والكتب الإلهية إذ كانت كلها مشتملة على التوحيد والنبوة والمعاد والأمر بتطهير الأخلاق يهدي إلى الحق أي إلى ما هو حق في نفسه صدق يعلم ذلك بصريح العقل وإلى طريق مستقيم غاير بين اللفظين والمعنى متقارب وربما استعمل أحدهما في موضع لا يستعمل الآخر فيه فجمع هنا بينهما وحسن التكرار أجيبوا داعي الله هو الرسول أو الواسطة المبلغة عنه وآمنوا به يغفر لكم من

ذنوبكم من للتبعيض لانه لا يغفر بالايمان ذنوب المظالم قال معناه الزمخشري وقيل
من زائدة لان الاسلام يجب ما قبله فلا يبقى معه تبعة ويجركم من عذاب اليم وهذا
كله وظواهر القران يدل على ان الجن مكلفون ودل بنصوصها على ثوابهم اذا اطاعوا وعن
القران تدل على الثواب وكذا قال ابن عباس لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون
في الجنة ويزدحمون على ابوابها وقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار واليه
كان يذهب ابو حنيفة فليس بمعجز في الارض اي بفائت عن عقابه اذ لا
منجي منه ولا مهرب كقوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه
هربا وروي عن ابن عباس وليس لهم بزيادة ميم وقرا الجمهور ولم يعي
مضارع عيي فتح عين الكلمة كما قالوا في بقي يبقى وهي لغة الحجاز ولما بني الماضي
على فعل بفتح العين بني مضارعه على يفعل بكسر العين فسكنت اليا وبقي يعي
وقرا الجحدري بقادر اسم فاعل والبا زائدة في خبر ان وحسن زيادتها كون ما قبلها
في حيز النفي وقد اجاز الزجاج ما ظننت ان احدا بقائم قياسا على هذا والصحيح قصر
ذلك على السماع فكانه في الاية اليس الله بقادر الا ترى كيف جا ببلى مقررا لاحيا
الموتى لا لرؤيتهم وقرا الجحدري وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وعيسى والاعرج
بخلاف عنه ويعقوب يقدر مضارعا اليس هذا بالحق اي يقال لهم والاشارة
بهذا الى العذاب اي كنتم تكذبون بانكم تعذبون والمعنى توبيخهم على
استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا
تصديق حيث لا ينفع وقال الحسن انهم ليعذبون في النار وهم راضون بذلك
لانفسهم يعترفون انه العدل فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الفا
عاطفة هذه الجملة على الجملة من اخبار الكفار في الاخرة والمعنى بينهما مرتبط اي هذه
حالهم مع الله فلا تستعجل انت واصبر ولا تخف الا الله واولوا العزم اي اولو الجد
من الرسل وهم من حفظ له شدة مع قومه ومجاهدة فتكون من للتبعيض وقيل
ويجوز ان تكون للبيان اي الذين هم الرسل وتكون الرسل كلهم اولي
العزم واولوا العزم على التبعيض يقتضي انهم رسل وغير رسل
وعلى البيان يقتضي انهم الرسل وكونها للتبعيض قول عطاء
الخراساني والكلبي والبيان قول ابن زيد وقال الحسين بن الفضل
هم الثمانية عشر المذكورة في سورة الانعام لانه قال بعقب ذكرهم
فبهداهم اقتده وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه طويلا
وابراهيم صبر على النار واسحاق صبر نفسه على الذبح ويعقوب صبر على
الفقد لولده وعمي بصره وقال فصبر جميل ويوسف صبر في الحسن
السجن والبير وايوب على البلا وزاد غيره وموسى قال له قومه انا لمدركون
قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى
لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها ولا تستعجل فاعبروها
لهم اي للكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم
لا محالة وان تاخروا انهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا كانه
لم يلبثوا الا ساعة وقرا ابي من النهار والجمهور من نهار وقرا

الجمهور

الجمهور بلاغ بالرفع والظاهر رجوعه الى المدة التي لبثوا فيها كانه قيل تلك الساعة بلاغهم
كما قال متاع قليل فبلاغ مبتدا خبره محذوف قيل ويحتمل ان يكون بلاغ يعني به القران
والشرع اي هذا بلاغ اي تبليغ وانذار وقال ابو مجلز بلاغ مبتدا خبره لهم ويعقف
على فلا تستعجل وهذا ليس بجيد لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض وظاهر
قوله لهم انه متعلق بقوله فلا تستعجل لهم وتحول له الجملة التشبيهية بين
الخبر والمبتدا وقرا الحسن وزيد بن علي وعيسى بلاغا بالنصب فاحتمل
ان يراد بلاغا في القران اي بلغوا بلاغا او بلغت بلاغا وقرا الحسن ايضا
بلاغ بالجر نعتا لنهار وقرا ابو مجلز وابو سراج الهذلي بلغ على الامر للنبي صلى
الله عليه وسلم وهذا يؤيد حمل بلاغ رفعا ونصبا على انه يعني به تبليغ القران
والشرع وعن ابي مجلز ايضا بلغ فعلا ماضيا وقرا الجمهور يهلك بضم اليا
وفتح اللام وابن محيصن فيما حكى عنه ابن خالويه بفتح اليا وكسر اللام وعنه ايضا
بفتح اليا واللام وماضيه هلك بكسر اللام وهي لغة وقال ابو الفتح هي مرغوب
عنها وقرا زيد بن ثابت نهلك بضم النون وكسر اللام الا القوم الفاسقين
المفردات بالنصب وفي هذه الاية وعيد وانذار اللغات الكبر تقول حظي بالي كذا لا
تثنى ولا يجمع وقد قالوا بالات في جمعه تعس الرجل بفتح العين تعسا ضد انتعش
وانتعشه الله قال مجمع بن هلال تقول وقد اودتها من حليلها
تعست كما اتعستني يا مجمع وقال قوم منهم شمر وابن شميل وابو الهيثم
تعس بكسر العين وعن ابي عبيدة تعسه الله واتعسه في باب فعلت
وافعلت وقال ابن السكيت التعس ان يخر على الوجه والنكس ان يخر على
الراس وقال هو ايضا والتعس الهلاك وقال الاعشى
بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس اولى لها من ان اقول لعا
اسن الماء تغير ريحه ياسن ويا سن ذكره ثعلب في الفصيح والمصدر اسون
واسن بكسر السين ياسن بفتحها لغة اسنا قاله اليزيدي واسن الرجل
بكسر السين اذا دخل البير فاصابته ريح منتنة من ريح البير فغشي عليه
الاسن او دار راسه قال الشاعر قد اترك القرن مصفرا انامله يميد في الرمح ميد المائح
الاسن الاشراط العلامات واحدها شرط بسكون الرا وفتحها قال ابو الاسود
فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط اوله تبدو
واشرط الرجل نفسه الزمها امورا قال اوس بن حجر
فاشرط فيها نفسه وهو معصم فالقى باسباب له وتوكلا
المعي معروف وهشام بن ذكوان رجل كوفي تقديم المعي مقصور والفه منقلبة
عن يا بدليل قولهم في تثنيته معيان ويقلب الالف يا والعوها في البطن من الحوايا القفل
معروف واصله اليبس والصلابة والقفل والقفيل ما يبس من الشجر والقفيل
ايضا نبت والقفيل السوط واقفله الصوم ايبسه قال الجوهري انف وانف
هما لغتان فعل لم يستعمل فعلهما والذي استعمل استانف وهما بمعنى مبتدا وتفسيرهما
بالساعة تفسير معنى وقال الزجاج هو من استانفت الشي اذا ابتداته اولى لهم
قال صاحب الصحاح قول العرب اولى لك تهديد وتوعيد ومنه قول الشاعر
فاولى ثم اولى ثم اولى وهل للدار يحلب من مرد

انتهى واختلفوا في اولى اسم او فعل فذهب الاصمعي الى انه بمعنى قاربه ما يهلكه اي نزل به وانشد:
فعادى بين هاديتين منها ... واولى ان يزيد على الثلاث
اي قارب ان يزيد قال ثعلب لم يقل احد في اولى احسن مما قال الاصمعي وقال المبرد يقال لمن هم بالعطب كما روي ان اعرابيا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه ثم افلت منه وقال:
فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم ... ولكن اولى يترك القوم جوعا
والاكثرون على انه اسم تفضيل وهو مشتق من الولي وهو القرب كما قال الشاعر:
تكلفني ليلى وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب
وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل فهو افعل منه لكن فيه قلب
الضغن والضغينة الحقد قال عمرو بن كلثوم:
فان الضغن بعد الضغن يفشو ... عليك ويخرج الداء الدفينا
وقد ضغن بالكسر وتضاغن القوم واضطغنوا ابطنوا الاحقاد وقد ضغن عليه واضطغنت الصبي اخذته تحت حضنك وانشد الاحمر كأنه مضطغن صبيا
وقال ابن مقبل:
وما اضطغنت سلاحي عند معركها
وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري الا بالضرب واصل الكلمة من الضغن وهو الالتواء والاعوجاج في قوائم الدابة والقنا وكل شيء
وقال بشر:
كذات الضغن تمشي في الرفاق
وانشد الليث:
ان قناتي من صليبات القنا ... ما زادها التثقيف الا ضغنا
والحقد في القلب يشبه به وقال قطرب والليث الضغن العداوة قال الشاعر:
قل لابن هند ما اردت بمنطق ... ساء الصديق وشيد الاضغانا
لحنت له بفتح الحاء الحن لحنا قلت له قولا يفهمه عنك ويخفى عن غيره ولحنه بالكسر فهمه والحنته انا اياه ولاحنت الناس فاطنتهم
وقال الشاعر:
منطق صائب وتلحن احيانا ... وخير الحديث ما كان لحنا
وقال القتال الكلابي:
ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ... ولحنت لحنا ليس بالمرتاب
وقيل اللحن القول الذهاب عن الصواب ماخوذ من اللحن في الاعراب
وتره نقصهم ماخوذ من الدخل و [illegible] من الوتر وهو الفرد

سورة القتال بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم

ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم

هذه السورة مدنية عند الاكثرين وقال الضحاك وابن جبير والسدي مكية وقال ابن عطية مدنية باجماع وليس كما قال وعن ابن عباس وقتادة انها مدنية الا اية منها نزلت بعد حجه حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي وكاين من قرية الاية ومناسبة اولها لاخر ما قبلها واضحة جدا الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الدخول في الاسلام وصدوا غيرهم عنه وهم اهل مكة الذين اخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر وقال مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب صدوا من اراد منهم او من غيرهم ان يدخل في الاسلام وقال الضحاك عن سبيل الله عن بيت الله يمنع قاصديه وهو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي اتلفها حيث لم ينتفعوا بها ضرا ولا نفعا بل اضرتهم وقيل نزلت هذه الاية ببدر وان الاشارة اضل اعمالهم الى الانفاق الذي انفقوه في سفرهم الى بدر وقيل المراد بالاعمال اعمالهم البرة في الجاهلية من صلة رحم وفك عان ونحو ذلك واللفظ يعم جميع ذلك والذين امنوا وعملوا الصالحات هم الانصار وقال مقاتل ناس من قريش وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وعلى تقدير خصوص السبب في الفريقين فاللفظ عام يتناول كل كافر وكل مؤمن وامنوا بما نزل على محمد تخصيص من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشان الرسول واعلام انه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي وهو الحق من ربهم وقيل وهو الحق اي هو ناسخ لغيره ولا يرد عليه النسخ وقرا الجمهور نزل مبنيا للمفعول وزيد بن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل والاعمش انزل معدى بالهمزة مبنيا للمفعول وقرئ نزل ثلاثيا كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم اي حالهم قاله قتادة وشانهم قاله مجاهد وامرهم قاله ابن عباس وحقيقة لفظ البال انها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الانسان وهو القلب فاذا صلح ذلك فقد صلحت حاله فكان اللفظ مشيرا الى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع فذلك اشارة الى ما فعل بالكفار من اضلال اعمالهم وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم واصلاح حالهم وذلك مبتدا وما بعده الخبر اي كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ذلك اي كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا انتهى ولا حاجة الى الاضمار مع صحة الوجه الاول وعدم الاضمار والباطل ما لا ينتفع به وقال مجاهد الشيطان وكل ما يامر به والحق هو الرسول والشرع وهذا الكلام تسميه علماء البيان التفسير كذلك يضرب قال ابن عطية الاشارة الى اتباع المذكورين من الفريقين اي كما اتبعوا هذين السبيلين كذلك يبين امر كل فرقة ويجعل لها ضربها من القول وصفتها وضرب المثل من الضرب الذي هو بمعنى النوع وقال الزمخشري كذلك اي مثل

ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم قال قلت اين ضرب
الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا
لاتباع المومنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيات مثلا لفوز
المومنين فاذا لقيتم الذين كفروا اي في اي زمان لقيتموهم فاقتلوهم وفي قوله فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم اي في اي مكان فعم في الزمان وفي المكان وقال
الزمخشري لقيتم من اللقا وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب
النايب مناب فعل الامر وهو مطرد فيه وهو منصوب بفعل محذوف فيه
واختلف فيه اذا انتصب ما بعده فقيل هو منصوب بالفعل الناصب للمصدر وقيل
هو منصوب بنفس المصدر لنيابته عن العامل فيه ومثاله ضربا زيدا كما قال
الشاعر على حين الهى الناس جل امورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب
وهذا هو الصحيح وبدل على ذلك قوله فضرب الرقاب فهو اضافة المصدر للمفعول
ولو لم يكن معمولا له لما جازت اضافته اليه وضرب الرقاب عبارة عن القتل ولما
كان القتل للانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته عبر بذلك عن القتل ولا يراد خصوص
الرقاب فانه لا يكاد يتاتى في حالة الحرب ان تضرب الرقاب وانما ينبغي القتل في
اي موضع كان من الاعضا ويقال ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته
وما فيه عيناه اذا قتله كما عبر بقوله بما كسبت ايديكم عن سائر الافعال لما كان اكثر
الكسب منسوبا الى الايدي قال الزمخشري وفي هذه العبارة من الغلظة والشدة
ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق
واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضايه وقد زاد في هذه
في قوله فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان انتهى ولما في ذلك من تشجيع المومنين
وانهم من الكفار بحيث هم متمكنون منهم اذا امروا بضرب رقابهم حتى اذا اثخنتموهم
اي اكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب فاذا وقع الاثخان وتمكنوا من اخذ
من لم يقتل شدوا وثاق الاسرى فاما منا بالاطلاق واما فدا حتى تضع الحرب
اوزارها اي اثقالها والاتها ومنه قول عمرو ابن معدي كرب.
واعددت للحرب اوزارها. رماحا طوالا وخيلا ذكورا.
اسنده بفعلية لهم وهذا اسنده الزمخشري للاعشى وقيل الاوزار هنا الاثام
لان الحرب لا بد ان يكون فيها اثام في احد الجانبين وهذه الغاية قال مجاهد
حتى ينزل عيسى بن مريم وقال قتادة حتى يسلم الجميع وقيل حتى تقتلوهم
وتغلبوهم وقال ابن عطية وظاهر اللفظ انها استعارة يراد بها التزام الامر
ابدا وذلك ان الحرب بين المومنين والكافرين لا تضع اوزارها فجا هذه
كما تقول انا افعل كذا وكذا الى يوم القيامة فانما تريد انك تفعله دايما
وقال الزمخشري وسميت يعني الات الحرب من السلاح والكراع اوزارها
لانه لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها
وضعتها وقيل اوزارها واثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون
شركهم ومعاصيهم بان يسلموا والظاهر ان ضرب الرقاب وهو القتل مغيا
بشد الوثاق وقت حصول الاثخان وان قوله فاما منا بعد اي بعد الشد
واما فدا حالتان للماسورين اما ان يمن عليه بالاطلاق كما من رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم بالاطلاق على ثمامة بن اثال الحنفي واما ان يفدى كما روي عنه عليه السلام انه فدى
رجلين من المسلمين برجل من الكفار من بني عقيل وهذه الاية معارضة في ظاهرها لقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فذهب ابن عباس وقتادة وابن جريج والسدي والضحاك ومجاهد
الى انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين الاية وان الاسر والمن والفدا لا ينفع وان
وقع اسير قتل لا بد الا ان يسلم وروي نحوه عن ابي بكر الصديق وذهب ابن عمر وعمر
ابن عبد العزيز وعطا والحسن الى ان هذه مخصصة لعموم تلك والمن والفدا
ثابت وقال الحسن لا يقتل الاسير الا في الحرب يرهب بذلك العدو وذهب
اكثر العلما الى ان اهل الكتاب فيهم المن والفدا وعباد الاوثان ليس فيهم الا
القتل فخصصوا من المشركين اهل الكتاب وخصصوا من الكفار عبدة الاوثان
واما مذاهب الايمة اليوم فمذهب ابي حنيفة ان الامام مخير في القتل
والاسترقاق ومذهب الشافعي انه مخير في القتل والاسترقاق والفدا والمن
ومذهب مالك انه مخير في واحد من هذه الاربعة وفي ضرب الجزية والظاهر ان
قوله واما فدا جواز فدايه بالمال وبمن اسر من المسلمين وقال الحسن لا يفدى بالمال
وقرا السلمي فشدوا بكسر الشين والجمهور بالضم والوثاق بفتح الواو وفيه
لغة الوثاق وهو اسم لما يوثق به وانتصب منا وفدا باضمار فعل يقدر
من لفظهما اي فاما تمنون منا واما تفدون فدا وهو فعل يجب اضماره
لان المصدر جا تفصيل عاقبة فعامله مما يجب اضماره ونحوه قول الشاعر
لاجهدن فاما درء واقعة. تخشى واما بلوغ السول والامل.
اي فاما ادرا درء واقعة واما ابلغ بلوغ السول وقال ابو البقا ويجوز ان
يكونا مفعولين اي اولوهم منا واقبلوا فدا وليس اعراب نحوي وقرا
ابن كثير في رواية شبل واما فدى بالقصر قال ابو حاتم لا يجوز قصره لانه
مصدر فاديته وهذا الشيوخ خفق حكى الفرا فيه اربع لغات فداك بالمد
والاعراب وفداك بالكسر مبنيا والتنوين وفدى لك بالقصر وفدى لك
والظاهر من قوله فاما منا المن بالاطلاق كما من الرسول عليه السلام
على ثمامة وعلى ابن عزة الجمحي وفي كتاب الزمخشري حكاية من على ابي عزة
الجمحي واثال الحنفي فغير الكنية والاسم ولعل ذلك من الناسخ لا في اصل
التصنيف وقيل يجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا
او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة والظاهر ان قوله
حتى تضع الحرب اوزارها غاية لقوله فشدوا الوثاق لانه قد غيا ضرب
بشد الوثاق وقت الاثخان ولا يمكن ان يغيا بغاية اخرى تترادف الغايتين
الا ان كانت الثانية مبينة للاولى ومؤكدة فيجوز لان شد الوثاق للاسرى
لا يكون الا حتى تضع الحرب اوزارها وان فهم ذلك بانتفا شوكة الكفار الملقين
اذ ذاك ويكون الحرب المراد بها التي تكون وقت لقا المومنين للكفار ويجوز
ان يكون المغيا محذوفا يدل عليه المعنى التقدير الحكم ذلك حتى تضع الحرب اوزارها
اي لا يبقى شوكة لهم او كما قال ابن عطية انه استعارة معنى الى يوم القيامة
اي استمروا ذلك دايما وقال الزمخشري فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو
من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفدا فالمعنى على كلا المتعلقين عند

الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم
شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد
فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى
شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى
يضع حرب بدر اوزارها الا ان يتناول المن والفداء بمعنى ان يتركوا
من القتل ويسترقوا او بالتخلية بضرب الجزية لكونهم من اهل الذمة وبالفدا
ان يفادى باساري المشركين اساري المسلمين وقد رواه الطحاوي مذهبا
لابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم بمال ولا غيره خيفة ان يعودوا حربا
للمسلمين ذلك اي الامر ذلك اذا فعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم اي لانتقم
منهم ببعض اسباب الهلاك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت
جارف ولكن ليبلوا اي ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم وهم المؤمنون اي يختبرهم
ببعض وهم الكافرون بان يجاهدوا ويصبروا والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم
على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرا الجمهور قاتلوا والجحدري بخلاف
عنه قتلوا بفتح القاف والتاء بغير الف وقتادة والاعرج والاعمش وابو عمرو وحفص
قتلوا مبنيا للمفعول والتاء خفيفة وزيد بن ثابت والحسن وابو رجاء وعيسى والجحدري
ايضا كذلك وشددوا التاء وقرا علي [illegible] يضل مبنيا للمفعول اعمالهم رفع وقرئ
يضل بفتح الياء من ضل اعمالهم رفع سيهديهم اي الى طريق الجنة وقال مجاهد يهتدي
اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها
وروى عياض عن ابي عمرو [illegible] ويوم جمعكم ليوم الجمع وانما تطعمهم يكون
لام الكلمة عرفها لهم عن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي
بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله وقال ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة
معناه بينها لهم اي جعلهم يعرفون منازلهم منها وفي الحديث لاحدكم بمنزله في الجنة
اعرف منه بمنزله في الدنيا وقيل بينها لهم ورسمها على منازل صاحبه وهذا نحو
من التوقيف يقال عرف الدار واريها اي حددها فالجنة لكل احد محدودة من
غيرها والعرف والارف الحدود وقيل شرفها لهم ورفعها وعلاها وهذا من
الاعراف التي هي الجبال وما اشبهها [illegible] وقيل طيبها ماخوذ من العرف
ومنه طعام معرف اي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل ان تنصروا
الله اي دينه ينصركم اي على اعدائكم بخلق القوة فيكم والجراة وغير ذلك
من المعارف ويثبت اقدامكم اي في مواطن الحرب او على محجة الاسلام وقرا
الجمهور ويثبت مشددا والمفضل عن عاصم مخففا فتعسا لهم قال ابن عباس
بعدا لهم وابن جريج والسدي حزنا لهم والحسن شتما وابن زيد شقا والضحاك
رغما وحكى النقاش قبحا والذين كفروا مبتدا والفا داخلة في خبر المبتدا وتقديره
فتعسهم الله تعسا منصوب بفعل مضمر لذلك عطف عليه الفعل في قوله
واضل اعمالهم ويجوز ان يكون الذين منصوبا على اضمار فعل يفسره قوله فتعسا
لهم كما تقول زيدا جدعا له وقال الزمخشري فان قلت علام عطف قوله
واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا
لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له انتهى واضمار ما هو من لفظ

المصدر

المصدر اولى لان فيه دلالة على ما حذف وقال ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الاخرة
التردي في النار انتهى وفي قوله تعسا لهم اي هلاكا زيادة تقوية لقلوب
المؤمنين اذ جعل لهم التثبيت وللكفار الهلاك والعثرة ذلك بانهم كرهوا
ما انزل الله يشمل ما انزل من القرآن في بيان التوحيد وذكر البعث او الفرائض
والحدود وغير ذلك مما تضمنه القرآن فاحبط اعمالهم اي جعلها من الاعمال
التي لا تزكو ولا يعتد بها دمر الله عليهم اي افسد عليهم ما اختص بهم من انفسهم
واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها اي امثال تلك
العاقبة او التدميرة التي يدل عليها دمر او الهلكة لان التدمير يدل عليها
او السنة لقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا والوجه الاول وهو الراجح
لكون العاقبة منطوقا بها فعاد الضمير على الملفوظ به وما بعده منقول ذلك
بان الله [illegible] والاشارة بذلك الى النصر في اختيار جماعة والى الهلاك في
قال وللكافرين امثالها قال ذلك الهلاك الذي حصل للكفار بايدي المؤمنين
بسبب ان الله مولاهم اي ناصرهم ومؤيدهم وان الكافرين لا ناصر لهم
اذ اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضر وتركوا عبادة من ينفع ويضر وهو الله
تعالى قال قتادة نزلت هذه الآية يوم احد ومنها انتزع رسول الله صلى
الله عليه وسلم رده على ابي سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى
لكم حين قال المشركون ان لنا العزى ولا عزى لكم ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون
ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكاين من قرية هي اشد
قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم
يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في
النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم
هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة
فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم
يتمتعون اي ينتفعون بمتاع الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين
غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة
عما هي بصدده من النحر والذبح والكاف في موضع نصب اما على الحال من
ضمير المصدر كما يقول سيبويه اي يأكلونه اي الاكل مشبها اكل الانعام واما
على انه نعت لمصدر محذوف كما يقول اكثر المعربين اي اكلا مثل اكل
الانعام والمعنى ان اكلهم مجرد من الفكر والنظر كما تقول للجاهل تعيش
كما تعيش البهيمة ولكن في لازمه والنار مثوى لهم اي موضع اقامة

ثم ضرب تعالى مثلا لمكة بالقرى التي أهلكت على عظمها لكونهم بعادون غيرهم والمراد أهلها ولذلك عاد الضمير على ذلك المراد في قوله أهلكناهم ومعنى أخرجتك أي أهلها وأسند الإخراج إليها كما زاد المعنى لما تواسبوا ومكروا وذكروا في خروجه عليه السلام إلى المدينة وكما جاء في حديث ورقة بن نوفل يا ليتني فيها جذعا إذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم وقال ابن عطية ونسب الإخراج إلى القرية حملا على اللفظ وقال أهلكناهم حملا على المعنى انتهى وظاهر هذا الكلام لا يصح لأن الضمير في أهلكناهم ليس عائدا على المضاف إلى القرية التي أسند إليها الإخراج بل على أهل القرية في قوله وكأين من قرية وهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى أن يكون في مدلول واحد وكان شيء كأين يتعلقنا به حذف منه شيء إلا أن يعلل أنه خبر عن كأين والظاهر أنه في موضع الصفة فلا ناصر لهم يعني في وقت إهلاكهم كأنه قال فهم لا ينصرون إذ ذاك وقال ابن عباس لما خرج من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله إلى الله وأنت أحب بلاد الله إلي فلولا أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فأعدى الأعداء من عدا على الله في حرمه أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تعالى فكأين من قرية الآية وقد تقدم أول السورة عن ابن عباس خلاف هذا القول أفمن كان على بينة من ربه استفهام توقيف وتقرير على كل شيء متفق عليه وهي معادلة بين هذين الفريقين قال قتادة والإشارة إلى الرسول وإلى الكفار قريش انتهى واللفظ عام لأهل الصفتين ومعنى على بينة على حجة واضحة وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات كمن زين له سوء عمله وهو الشرك والكفر بالله وعبارة غيره واتبعوا أهواءهم أي شهوات أنفسهم ممن لا تكون له بينة تعبد وأمعن خالقهم والضمير في واتبعوا عائد على معنى من وقرئ أمن كان بغير فاء مثل الجنة أي صفة الجنة وهو مرفوع بالابتداء قال النضر بن شميل كأنه قال صفة الجنة وهو ما تسمعون انتهى فما تسمعون الخبر وفيها أنهار تفسير لذلك الصفة وقيل استئناف إخبار عن تلك الصفة وقال س فيما يتلى عليكم مثل الجنة فقدر الخبر المحذوف متقدما ثم فسر ذلك الذي يتلى وقال ابن عطية وفي الكلام حذف يقتضيه الظاهر كأنه قال مثل الجنة ظاهر في نفس من وعى هذه الأوصاف وكان ابن عطية قد قال قبل هذا ولو نظر أن القصد بالتمثيل هو الحالي الذي يتخيله المرء عند سماعه فيها كذا فإنه يتصور عند ذلك بقاعا على هذه الصورة وذلك هو مثل الجنة قال وفي هذه التأويلات يعني قول النضر وقول سيبويه وما قاله هو يكون قوله كمن هو خالد في النار صرف تقديره أساكن أو أهادلا الإشارة إلى المتقين قيل ويحتمل عندي أن يكون الحذف في صدر هذه الآية كأنه قال أمثل أهل الجنة وهي بهذه الأوصاف كمن هو خالد ويكون مثل مستفهما عنه بغير ألف الاستفهام فالمعنى أمثل أهل الجنة وهي بهذه الأوصاف كمن هو خالد في النار ويجيء قوله فيها أنهار في موضع الحال على هذا التأويل ولم يذكر الزمخشري غير هذا الوجه قال ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد في النار وقوله فيها أنهار في حكم الصلة كالتكرير

لما

لما ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار كأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وقال الزمخشري أيضا فإن قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار وقال كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه تحت كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار فإن قلت لم عري من حرف الإنكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار انتهى وتلخص من هذا الاتفاق على إعراب مثل الجنة مبتدأ واختلفوا في الخبر فقيل هو مذكور وهو كمن هو خالد في النار وقيل محذوف فقيل مقدر قبله وهو قول س وقيل بعده وهو قول النضر وابن عطية على اختلاف التقدير ولما بين الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما فيما يؤولان إليه وكما قدم من هو على بينة على من اتبع هواه قدم حاله على حاله وقرأ ابن كثير وأهل مكة أسن على وزن فعل اسم فاعل من أسن بفتح السين وقرئ غير يسن بالياء قال أبو علي وذلك على تخفيف الهمزة لم يتغير طعمه ولذة تأنيث لذ وهو اللذيذ أو مصدر نعت به فالجمهور بالجر على أنه صفة لخمر وقرئ بالرفع صفة لأنهار وبالنصب أي لأجل لذة فهو مفعول له من عسل مصفى قال ابن عباس لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ذو منه مصفى لأن الغالب على العسل التذكير وهو مما يذكر ويؤنث وعن كعب أن النيل ودجلة والفرات وسيحان يكون هذه الأنهار في الجنة واختلف في تعيين كل نهر منها ماذا يكون ينزل ويجري من هذه الأنهار بالماء وهو الذي لا يستغنى عنه في المشروبات ثم باللبن إذا كان يجري مجرى المطعوم في كثير من أوقات العرب وغيرهم ثم بالخمر لأنه إذا حصل الري والمطعوم تشوقت النفس إلى ما تلتذ به ثم بالعسل لأن فيه الشفا في الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم فهو متأخر في الرتبة ولهم فيها من كل الثمرات قيل المبتدأ محذوف أي أنواع من كل الثمرات وقدره بعضهم فيتوكئون وصلات ومغفرة من ربهم لأن المغفرة قبل دخول الجنة أو على حذف أي ونعيم مغفرة إذ المغفرة سبب التنعيم وساقوا عائد على معنى من

وهو كالذي في اللفظ وكذا خرجوا عائد على معنى من يستمع كان المنافقون يحضرون
عند الرسول ويسمعون كلامه ولا يعونه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم
وهم السامعون كلام الرسول حقيقة الواعون له ماذا قال آنفا اي الساعة
وذلك على سبيل الهزء والاستخفاف اي لم نفهم ما يقول ولم ندر نفع
ذلك وممن سألوه ابن مسعود وآنفا قال اي مبتدأ اي ما القول الذي
ائتنفه قبل انفصاله عنه وقرأ الجمهور آنفا على وزن فاعل وابن كثير
في رواية على وزن فعل وقال الزمخشري نصب على الظرف انتهى وقال ذلك لانه
فسره بالساعة وقال ابن عطية والمفسرون يقولون آنفا معناه الساعة
الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى انتهى والصحيح انه ليس
بظرف ولا نعلم احدا من النحاة عده في الظروف والضمير في زادهم عائد
على الله كما ظهر في قوله طبع الله اذ هو مقابل له وكما هو في وآتاهم
والزيادة في هذا المعنى تكون بزيادة التفهيم والادلة او بورود الشرائع
الشرع بالامر والنهي والاخبار فيزيد المهتدي لزيادة علم ذلك كله
والايمان به فتزداد ويحتمل ان يكون يعود في فزادهم على قول المنافقين
واستهزائهم لان ذلك مما يعجب به المؤمن ويحمد الله على ايمانه ويزيد
بصيرة في دينه وقيل يعود على قول الرسول وآتاهم تقواهم اي اعطاهم
اي جعلهم متقين له فتقواهم مصدر مضاف للمفعول ان تأتيهم بدل
اشتمال من الساعة والضمير للمنافقين اي الامر الواقع بغتة انتظار الساعة
واذا كانوا هم في انفسهم منتظرون غير ذلك لما في انفسهم بمنزلة لانه
باطل وقرأ ابو جعفر الرواسي عن اهل مكة ان تأتهم على الشرط وجوابه
وقد جاء اشراطها وهذا غير مشكوك فيه بانها لا محالة لكن خوطبوا بما كانوا
عليه من الشك ومعناه ان شككتم في اتيانها فقد جاء اعلامها والشك
راجع الى المخاطبين الشاكين وقال الزمخشري فان قلت فما جزاء الشرط
قلت قوله فانى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم
اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ
لقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله
وقد جاء اشراطها على القراءتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول
كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام وقرأ الجعفي وهارون عن
ابي عمرو بغتة بفتح الغين وشد التاء قال صاحب اللوامح وهي صفة وانتصابها
على الحال لا نظير لها في المصادر ولا في الصفات بل في الاسماء نحو الجربة وهو
اسم جماعة والشربة مكان انتهى وكذا قال ابو العباس بن الحاج من اصحاب
الاستاذ ابي علي الشلوبين في كتاب المصادر على ابي عمرو ان يكون الصواب
بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم انتهى وهذا على
عادته في تغليط الرواية فقد جاء اشراطها اي علاماتها وانه قد استعد
لها ومن اشراط الساعة مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو خاتم
الانبياء وروي عنه انه قال انا من اشراط الساعة وقال بعثت انا والساعة
كهاتين ونحو هذا وقيل منها الدخان وانشقاق القمر وعن الكلبي

كثرة

201
كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام فانى
لهم اذا جاءتهم ذكراهم الظاهر ان المعنى فكيف لهم الذكرى والعمل بها اذا جاءتهم
الساعة قد فاتتهم ذلك قيل ويحتمل ان يكون المبتدأ محذوفا اي فانى لهم الخلاص
اذا جاءتهم الذكرى بما كانوا يخبرون به فيكذبون به مواصلة بالعذاب ثم اعرض
عن ذلك المنافقين وقال فاعلم انه لا اله الا الله والمعنى دم على علمك
بالتوحيد واحتج بهذا على قول من قال اول الواجبات العلم والنظر قبل القول
والاقرار وفي الآية ما يدل على التواضع وهضم النفس اذ امر بالاستغفار
ومع غيره الاستغفار لهم متقلبكم متصرفكم في حياتكم الدنيا ومثواكم اقامتكم
في قبوركم وفي آخرتكم وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الآباء الى ارحام الامهات
ومثواكم اقامتكم في الارض وقال الطبري وغيره متقلبكم تصرفكم في يقظتكم
ومثواكم منامكم وقيل متقلبكم في معايشكم ومتاجركم ومثواكم حيث
تستقرون من منازلكم وقيل متقلبكم بالنهار وابن عباس بالنهار
ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر
المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم
الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان
سول لهم واملى لهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله سنطيعكم في بعض الامر قالوا
والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم
وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم
كان المؤمنون حريصين على ظهور الاسلام وعلو كلمته وتمني قتل العدو وكانوا
يستأنسون بالوحي ويستوحشون اذا ابطأ والله تعالى قد جعل ذلك بآماد مضروبة
لا يتعدى فمدح تعالى المؤمنين بطلبهم انزال سورة والمعنى تتضمن امرنا بمجاهدة
العدو وفضح امر المنافقين والظاهر ان طالب ذلك هم المخلصون في ايمانهم ولذلك
قال بعد رأيت الذين في قلوبهم مرض وقال الزمخشري كانوا يدعون الحرص
على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة في معنى الجهاد فاذا
انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في ايديهم
كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون انتهى وفيه تخويف لما يدل
عليه لفظ القرآن ولولا بمعنى هلا ومن ابى مالك لا انها زائدة والتقدير لولا
نزلت وهذا ليس بشيء وقرئ فاذا انزلت وقرأ زيد بن علي سورة محكمة
بنصبهما ومرفوع نزلت ضمير سورة ونصب على الحال وقرأ هو وابن
عمير وذكر مبنيا للفاعل اي الله فيها القتال ونصب الجمهور برفع سورة
محكمة على انه مفعول لم يسم فاعله وبناء ذكر للمفعول والقتال رفع به واحكامها كونها

لا نسخ قال قتادة كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة من القرآن لا لخصوصية هذه الآية
وذلك لأن القتال نسخ ما كان من الموادعة والصلح وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة
وقيل المحكمة بالحلال والحرام وقيل المحكمة أريد بها مدلولات ألفاظها على الحقيقة دون
المتشابه الذي أريد به المجاز نحو قوله على العرش استوى في جنب الله فضرب الرقاب
رأيت الذين في قلوبهم مرض هو استعارة لفساد المعتقد من مرض الأجسام ينظرون
إليك أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا نظر المغشي عليه من الموت أي نظرا كما ينظر
من أصابته الغشية من أجل حلول الموت وقيل يفعلون ذلك وهو شخوص البصر إلى
الرسول من شدة العداوة وقيل من خشية الفضيحة فإنهم إن تخالفوا عن القتال
فتضحوا بان نفاقهم وأولى لهم تقدم شرحه في المفردات وقال قتادة كأنه قال
العقاب أولى لهم وقيل وليهم المكروه وأولى وزنه أفعل أو فعلى على الاختلاف في الاشتقاق
الذي ذكرناه في المفردات فعلى قول الجمهور أنه اسم يكون مبتدأ والخبر لهم وقيل
أولى مبتدأ ولهم من صلته وطاعة خبر وكأن اللام بمعنى الباء كأنه قيل فأولى
لهم طاعة ولم يتعرض الزمخشري لإعرابه وإنما قال ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم
المكروه وعلى قول الأصمعي أنه فعل يكون فاعله مضمرا يدل عليه المعنى وأضمر لكثرة
الاستعمال كأنه قال قارب لهم هو أي الهلاك قال ابن عطية والمشهور من استعمال
العرب أنك تقول هذا أولى بك من هذا أي أحق وقد تستعمل العرب أولى لك
فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول فيقول على جهة الزجر
والتوعد أولى لك يا فلان وهذه الآية من هذا الباب ومنه قوله
أولى لك فأولى وقول الصديق للحسن رضي الله عنهما أولى لك انتهى والأكثرون على
أن طاعة وقول معروف كلام مستقل محذوف منه أحد الجزأين إما الخبر وتقديره أمثل وهو
قول مجاهد ومذهب س والخليل فأما المبتدأ وتقديره الأمر أو أمرنا طاعة أي الأمر المرضي
لله طاعة وقيل هو حكاية قولهم أي قالوا طاعة ويشهد له قراءة أبي يقولون طاعة وقول
معروف وقولهم هذا على سبيل الهزء والخديعة وقال قتادة الوقف على فأولى ولهم
طاعة ابتداء وخبر والمعنى أن ذلك منهم على جهة الخديعة وقيل طاعة صفة لسورة أي فإذا
أنزلت سورة ذات طاعة أو مطاعة وهذا القول ليس بشيء لحيلولة الفصل الكثير بين الصفة والموصوف فإذا
عزم الأمر أي جد والعزم الجد وهو لأصحاب الأمر واستعير للأمر كما قال تعالى من عزم الأمور
وقال الشاعر قد جدت بهم الحرب فجدوا والظاهر أن جواب إذا قوله فلو صدقوا
الله كما تقول إذا جاء الشتاء فلو جئتني لكسوتك وقيل الجواب محذوف تقديره
فإذا عزم الأمر هووا ونحوه قاله قتادة وقيل يصح طاعة وقول معروف على أنهم يقولون
ذلك خديعة فقدرناه عزم الأمر نافقوا وتقاعدوا وقدره أبو البقاء فاصدق فلو صدقوا
الله فيما زعموا من حرصهم على الجهاد أو في إيمانهم وواطأت قلوبهم ألسنتهم أو في
قولهم طاعة وقول معروف فهل عسيتم التفات للذين في قلوبهم مرض أقبل
بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ وتوقيفهم على سوء مرتكبهم وعسى تقدم ذكر الخلاف
في لغتيها وفي القراءة فيها إذا اتصل بها ضمير الخطاب في سورة البقرة ولو اتصال
الضمير بها لغة الحجاز وبنو تميم لا يلحقون بها الضمير وقال أبو عبد الله الرازي

وقد

وقد ذكروا أن عسى يتصل بها ضمير الرفع وضمير النصب وأنها لا يتصل بها ضمير ثم قال وإنما
قول من قال عسى أنت تقوم وعسى أنا أقوم فدون ما ذكرنا لك قطعوا بأن الذي فيه انتهى
ولا أعلم أحدا من نقلة العربية ذكر انفصال الضمير بعد عسى وفصل بين عسى
وخبرها بالشرط وهو إن توليتم وقرأ الجمهور إن توليتم ومعناه إن
أعرضتم عن القتال فستعودون إلى جاهليتكم أو أعرضتم عن الإسلام وقال قتادة
كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام
وعصوا الرحمن يشير إلى ما جرى من الفتنة بعد زمان الرسول وقال كعب ومحمد
ابن كعب وأبو العالية والكلبي إن توليتم أي أمور الناس من الولاية ويشهد
لها قراءة وليتم مبنيا للمفعول وعلى هذا قيل نزلت في بني هاشم وبني أمية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام وبها
قرأ علي ورويس أي إن وليتكم ولاة جور خرجتم إلى دنياهم دون إمام العدل
وعلى معنى إن دنستم بالتعذيب والتنكيل وأفعال العرب في جاهليتها وسيرها
من الغارات والسبات فإن كانت ثمرتها الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم
وقيل معناه إن تولاكم الناس ووكلكم الله إليهم والأظهر أن ذلك خطاب للمنافقين
في أمر القتال وهو الذي سيقت الآيات فيه أي إن أعرضتم عن امتثال أمر
الله في القتال أن تفسدوا في الأرض بعدم معونة أهل الإسلام فإذا لم
تعينوهم قطعتم ما بينكم وبينهم من صلة الرحم ويدل على ذلك أولئك
الذين لعنهم الله فالآيات كلها في المنافقين وهذا التوقع الذي في عسى
ليس منسوبا إلى الله تعالى لأنه عالم بما كان وما يكون وإنما هو بالنسبة لمن
عرف المنافقين كأنه يقول لهم لمن يعلم من حيث صنيعهم هل يتوقع منكم
إذا أعرضتم عن القتال أن يكون كذا وكذا وقرأ الجمهور وتقطعوا أرحامكم
بالتشديد على التكثير وأبو عمرو في رواية وسلام ويعقوب وأبان وعصمة
بالتخفيف مضارع قطع والحسن وتقطعوا بفتح التاء والقاف على إسقاط حرف
الجر أي في أرحامكم لأن تقطع لازم أولئك إشارة إلى المرضى القلوب فأصمهم عن
استماع الموعظة وأعمى أبصارهم عن طريق الهدى وقال الزمخشري لعنهم الله
لإفسادهم وتقطيعهم الأرحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا انتهى وهو
على طريق الاعتزال وجاء التركيب فأصمهم ولم يأت فأصم آذانهم وجاء وأعمى
أبصارهم ولم يأت وأعماهم قيل لأن الأذن لو أصيبت بقطع أو قلع تسمع
الكلام فلم يحتج إلى ذكر الأذن والبصر وهو العين لو أصيبت لا تسمع الإبصار
فالعين لها مدخل في الرؤية والأذن لا مدخل لها في السمع انتهى ولهذا جاء
وعلى سمعهم وعلى لكثرة السمع ولم يأت وعلى آذانهم ولا آيات وجعل تكرر الأذان
وبين ذكر الأذن تنسب إليه الوقر وهو دون الصمم كما قال وفي آذاننا
وقر أفلا يتدبرون القرآن فيتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد
العصاة وهو استفهام توبيخي على مجاريهم أم على قلوب أقفالها استعارة للذين
فيهم الإيمان وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة للتقرير ولا يتخيل فليهم بأن قلوبهم
مقفلة لا يصل إليها ذكر ولم يحتج إلى توصيف القلوب لأنه معلوم أنها قلوب
من ذكر ولا حاجة إلى تقدير صفة محذوفة أي أم على قلوب أقفالها قاسية

وأضاف الأفعال إليها إذ الأفعال مختصة وهي أفعال الكفر التي استحلت فلا تنفع وقرئ
اتقا لما يكرم الهمزة وهو مصدر وأفعالا بالجمع على أفعال الذين ارتدوا على أدبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى قال قتادة نزلت في قوم من اليهود كانوا عرفوا
أمر الرسول من التوراة وتبين لهم بهذا الوجه فلما باشروا أمره جحدوه
فارتدوا عن ذلك القدر من الهدى وقال ابن عباس وغيره نزلت في منافقين
كانوا أسلموا ثم نافقت قلوبهم والآية تتناول كل من دخل في ضمن لفظها
وتقدم الكلام على سوّل في سورة يوسف وقال الزمخشري هنا سوّل
لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول
من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا انتهى قال أبو علي الفارسي
يعني ولاهم من السول وهو الاسترخاء التدلي وقال غيره رجاهم سولهم
وقال ابن بحر أعطاهم سولهم وقال الزمخشري وقد اشتقه الجاهل وليس
بجيد لأنه توهم أن السول الأصل الهمزة وأصلت المادة تان أو عين
سول وواو وعين السول همزة والسول له مادتان أحدهما الهمز
من سأل يسأل والثانية الواو من سال يسال والثانية الواو من سال
يسيل فإذا كان هكذا فسول يجوز أن يكون من ذوات الواو والياء وذوات
الهمز وقال صاحب اللوامح والتسويل أصله من الإرخاء ومنه فدلاهما بغرور
والسول استرخاء البطن وقرأ زيد بن علي سولهم أي كيده مع تقدير حذف
مضاف وقرأ الجمهور وأملى لهم مبنيا للفاعل والظاهر أنه يعود فيه الشيطان
وقال الحسن وجعل وعده الكاذب بالبقاء كالإبقاء والإبقاء هو البقاء ملاوة من
الدهر يعني هم في الإمهال والأماني فتيل ويحتمل أن يكون فاعل أملى ضميرا يعود
على الله تعالى في من وهو الأرجح لأن حقيقة الإملاء إنما هو من الله
تعالى وقرأ ابن سيرين والجحدري وشيبة وأبو عمرو وعيسى وأملي
مبنيا للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم وقرأ مجاهد وابن هرمز
والأعمش وسلام ويعقوب وأملي بهمزة المتكلم مضارع أملي أي وأنا أملي لهم
كقوله إنما نملي لهم ويحتمل أن يكون ماضيا سكنت منه الياء كما تقول في بقي
سكون الياء ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وروي أن قوما من
قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين في أمر الرسول والخلاف عليه بنصره ومؤازرة
وذلك قوله سنطيعكم في بعض الأمر وقيل المعنى قال المنافقون للذين كرهوا ما نزل الله
هم قريظة والنضير في بعض الأمر قول المنافقين لهم لئن أخرجتم لنخرجن معكم قاله ابن عباس
وقيل بعض الأمر التكذيب بالرسول أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول
الفريقين اليهود والمنافقين للمشركين سنطيعكم في التكاثر عليه عداوة الرسول
والقعود عن الجهاد معه ونعني في بعض الأمر في بعض ما يأمرون به أو في بعض
الأمر الذي يهمكم وقرأ الجمهور أسرارهم بفتح الهمزة وكانت أسرارهم كثيرة وابن
وثاب وطلحة والأعمش وعيسى وحمزة والكسائي وحفص بكسرها وهو مصدر
قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم وقال أبو عبد الله الرازي الأظهر
أن يقال والله يعلم أسرارهم ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فإنهم
كانوا معاندين مكابرين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون

أبناءهم

أبناءهم انتهى فكيف إذا توفتهم الملائكة تقدم فرع الذين في قلوبهم مرض وسلمهم
وسليقهم لأجل القتال وتقدم قول المرتدين وما يلحقهم في ذلك من جزائهم على طواعية
الكارهين ما أنزل الله وتقدم والله يعلم أسرارهم فيها هذا الاستفهام الذي معناه التوقيف
عقيب هذه الأشياء قال الطبري فكيف علمه بها أي بالملائكة وقرأ الأعمش توفاهم
بألف بدل التاء فاحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا حذفت منه التاء والظاهر أن
التوفي هو عند الموت وقال ابن عباس لا يتوفى أحد على المعصية إلا بضرب الملائكة
في وجهه وفي دبره والملائكة ملك الموت والمصرفون معه وقيل هو وقت القتال هو
نصرة للرسول بضرب وجوههم أن يثبتوا وأدبارهم أن هزموا والملائكة ملائكة
النصر والظاهر أن يضربون حال من الملائكة وقيل حال من الضمير في توفاهم وهو
ضعيف ذلك أي ذلك الضرب للوجوه والأدبار بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وهو الكفر
وكتمان نعت الرسول أو تسويل الشيطان أقوال وللتتبع الذي هو مقبل بوجهه عليه
فناسب ضرب الملائكة وجهه وكرهوا رضوانه وهو الإيمان بالله واتباع
دينه والكافر المعرض متول عنه فناسب ضرب الملائكة دبره ففي ذلك مقابلة أمرين بأمرين
أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم
فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم إن الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا
الله شيئا وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول ولا تبطلوا أعمالكم إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم
وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم إنما الحياة الدنيا لعب
ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن
يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون
لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه
والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا
أمثالكم إخراج أضغانهم وهو حقودها إبرازها للرسول والمؤمنين والظاهر
أنها من رؤية البصر لعطف العرفان عليه وهو معرفة القلب واتصل الضمير
في أريناكهم وهو الأفصح وإن كان يجوز الانفصال فيه انها بأن الحكمين بتعريب
لنعرفنهم لكنه لم يعينهم بأسمائهم إبقاء عليهم وعلى قراباتهم ويكتفى بمنهم
بما يظاهرون به من اتباع الشرع وإن أبطنوا خلافه ولتعرفنهم في لحن
القول كانوا يصطلحون فيما بينهم من ألفاظ يخاطبون بها الرسول مما ظاهره
حسن ويعنون به القبيح وكانوا أيضا يصدر منهم الكلام يشعر بالاتباع
وهم بخلاف ذلك كقولهم عند المنصرف كنا معكم وغير ذلك كقولهم لئن
رجعنا إلى المدينة وقولهم إن بيوتنا عورة والظاهر الإرادة والمعرفة
بالسيما ويؤذن المعرفة في المستقبل بلحن القول واللام في فلعرفتهم هي الداخلة
على جواب لو واللام المعطوف على الجواب جواب ولو ولتعرفنهم لام جواب
القسم المحذوف والله يعلم أعمالكم خطاب عام يشمل المؤمن والكافر وقيل

خطاب للمؤمنين فقط وقرا الجمهور ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونبلو بالنون وبالتا
وابو بكر بالياء فيهن وابو رويس ونبلو باسكان الواو والاعمش باسكانها وبالياء
وقد يجي القطع اعلاما بان ابتلاءه دائم ومعنى حتى نعلم المجاهدين اي نعلمهم
مجاهدين قد خرج جهادهم الى الوجود وبان سكمهم الذي يتعلق به ثوابهم
ان الذين كفروا اناس من بني اسرائيل وتبين هداهم معرفتهم بالرسول من
التوراة او منافقون كان الايمان قد داخل قلوبهم ثم نافقوا والمطعمون
سفرة بدر وتبين الهدى وجوده عند الداعي اليه او ساعة في كل كافر وتبين الهدى
من حيث كان في نفسه اقوال وسيحبط اعمالهم اي التي كانوا يرجون بها انتفاعا
واعمالهم التي كانوا يكيدون الرسول ودين الاسلام يا ايها الذين امنوا وقيل نزلت
في بني اسد اسلموا وقالوا يا رسول الله قد اثرناك وجيناك بنفوسنا واهلنا
كانهم منوا بذلك فنزلت فيهم هذه وقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا فعلى
هذا يكون ولا تبطلوا اعمالكم بالمن وبالاسلام وعن ابن عباس بالرياء والسمعة
وعنه بالشرك والنفاق وعن ابن طريقة بالكبائر وقيل بالعجب فانه ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب وعن مقاتل بعصيانكم للرسول وقيل اعمالكم صدقاتكم بالمن
والاذى وماتوا وهم كفار عام في الموت لا نفيا الغفران وفاتهم على الكفر وقيل
هم اهل القليب وقيل نزلت بسبب عدي بن حاتم رضي الله عنه سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ابيه قال كانت له افعال بر فما حاله فقال في النار فبكى عدي
وولى فدعاه فقال له ابي وابوك وابو ابراهيم خليل الرحمن في النار ونزلت ولا
تهنوا وتدعوا الى السلم وهو الصلح وقرا الجمهور وتدعو مضارع دعا والسلمي
بتشديد الدال اي تفتروا والجمهور الى السلم بفتح السين والحسن وابو رجا
والاعمش وعيسى وطلحة وحمزة وابو بكر بكسرها وتقدم الكلام على السلم في البقرة
في قوله ادخلوا في السلم كافة وقال الزمخشري وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم وتداعوا اذا ادعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموا
انتهى والتلاوة بغير لا وكان سبحانك يا تي بلفظ التلاوة فيقول وقرئ
ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا وتدعوا معطوف على
تهنوا فهو مجزوم ويجوز ان يكون مجزوما باضمار ان وانتم الاعلون اي
الاغلبون وهذه الجملة حالية وكذا والله معكم ويجوز ان يكون اجملتين
استينا فا خبرا وانتم الاعلون فهو اخبار بمغيب ابرزه الوجود ثم ارتقى الى
رتبة اعلى من التي قبلها وهي كون الله تعالى معهم ولن يتركم وكذب
بما ليس ولن يظلمكم وقيل لن يفردكم من ثواب اعمالكم وقيل ولن ينقصكم
وقال الزمخشري وقاله قبله ابو عبيد والمبرد ولن يتركم من وترت الرجل
اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او قريبة او ذهبت بماله قال
وهو من حقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه
اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله
اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وهو تحقير لامر الدنيا
اي فلا تهنوا في الجهاد واعرضوا عنها بذلك باعتبار ما يختص بها من ذلك وانما

ما بعدها

ما فيها من الطاعة وامر الاخرة فليس بذلك يوتكم اجوركم اي ثواب اعمالكم من الايمان
والتقوى ولا يسالكم اموالكم قال سفيان بن عيينة اي كثيرا من اموالكم انما يسالكم
ربع العشر فطيبوا انفسكم وقيل الحاجة اليها بل يرجع ثواب انفاقكم اليكم وقيل انما
ما لكم اموال الله لانه هو المالك الحقيقة وهو المنعم باعطائها وقيل الضمير في يسالكم
للرسول اي لا يسالكم اجرا على تبليغ الرسالة كما قال قل ما اسالكم عليه من اجر وما
انا من المتكلفين ان يسالكموها اي جميعها فيحفكم اي يبالغ في الالحاح وتبخلوا
ويخرج اضغانكم اي تطعنون على الرسول وتضيق صدوركم كذلك ويخفون
دينا يذهب باموالكم وقرا الجمهور ويخرج اضغانكم جزما على جواب الشرط والفاعل
مسند الى الله او الى الرسول او الى البخل وقرا عبد الوارث عن ابي عمرو ويخرج
بالرفع على الاستئناف بمعنى وهو يخرج وحكاها ابو حاتم عن عيسى وفي
اللوامح عن عبد الوارث عن ابي عمرو وتخرج بالتاء مفتوحة وضم الراء والجيم
اضغانكم بالرفع بمعنى وهو يخرج او تخرج اضغانكم رفع بفعله وقرا
ابن عباس ومجاهد وابن سيرين وابن محيصن وايوب بن المتوكل واليماني
وتخرج بتاء التانيث مفتوحة اضغانكم رفع به ويعقوب ونخرج بالنون
اضغانكم رفعا وهي مروية عن عيسى الا انه فتح الجيم باضمار ان قالوا
وعاطفة على مصدر متوهم اي يكن بخلكم واخراج اضغانكم وهذا
الذي خيف ان يعتري المومنين هو الذي ترتب به محمد بن مسلمة
الى كعب بن الاشرف وتوصل به الى قتله حين قال له ان هذا الرجل قد اكثر
علينا وطلب منا الاموال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه توكيدا وتقدم
الكلام على هذا التركيب في سورة ال عمران وقال الزمخشري هؤلاء موصول بمعنى
الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء
الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا
في سبيل الله انتهى وكون هؤلاء موصولا لا اذا تقدمها ما الاستفهامية باتفاق او من
الاستفهامية باختلاف في سبيل الله قيل الغزو وقيل الزكاة واللفظ اعم فمنكم من يبخل اي
بالصدقة وما اوجب الله عليه فانما يبخل عن نفسه اي لا يتعدى ضرر بخله الى غيره ويخل يتعدى
بعلى وبعن يقال بخلت عليه وعنه وضننت عليه وعنه وكانهما اذا عديا بعن ضمنا معنى
الامساك كانه قيل امسكت عنه بالبخل والله الغني وانتم الفقراء وقري اي الغني مطلقا
ان يتحمل عليه الحاجات وانتم الفقراء مطلقا لافتقاركم الى ما تحتاجون اليه في الدنيا
والى الثواب في الاخرة وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا وتتقوا اي فان تتولوا اي عن
الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم اي يخلق قوما غيركم راغبين في الايمان والتقوى
غير متولين عنهما كما قال ويات بخلق جديد وتعيين اولئك القوم وانهم الانصار
او التابعون او اهل اليمن او كندة والنخع او العجم او فارس والروم او الملائكة اقوال
لقريش او لاهل المدينة قولان وروى ابو هريرة انه عليه السلام سئل عن هذا وكان
سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قوم هذا والذي نفسي بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لناله رجال من فارس وان صح هذا الحديث وجب المصير اليه ويحتمل انهم
من تولى قوم ليسوا كم في تقييد الرسول ثم لا يكونوا امثالكم اي في الخلاف والتولي والبخل
بسم الله الرحمن الرحيم سورة الفتح ظفر بالشيء غلب عليه المعرة المكروه والمشقة اللاحقة

المفردات

ماخوذ من الموالاة وهو الجرب الصعب اللاذع الشطء الفراخ اشطا الزرع افرخ
والشجرة اخرجت غصونها آزر ساوى طولا قال الشاعر
بمحنية قد آزر الضال نبتها * بجر جيوش غانمين وخيب
اي ساوى نبتها الضال طولا وهو شجر ووزنه افعل لقولهم في المضارع يوزر
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في
قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان
الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن
اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما هذه السورة مدنية وعن ابن عباس انها
نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزلت والصحيح انها نزلت بالطريق منصرفه صلى الله عليه
وسلم من الحديبية سنة ست من الهجرة فهي تعد في المدني ومناسبتها لما قبلها انه
تقدم وان تتولوا الاية وهو خطاب لكفار قريش اخبر رسوله بالفتح العظيم
وانه بهذا الفتح حصل الاستبدال لهم من كل من كان بها وصارت مكة دار ايمان ولما
قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية تكلم المنافقون وقالوا لو كان
محمد نبيا ودينه حقا ما صد عن البيت ولكان فتح مكة فاكذبهم الله تعالى
واضاف عز وجل الفتح الى نفسه اشعارا بانه من عند الله لا بكثرة عدد ولا عدد واكده بالمصدر
ووصفه بانه مبين مظهر لما تضمنه من النصر والتاييد والظاهر ان هذا الفتح هو فتح مكة
وقال الكلبي وجماعة وهو المناسب لاخر السورة التي قبل هذه لما قال ها انتم هؤلاء
تدعون الاية بين انه فتح لهم مكة وغنموا وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو
بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم وايضا لما قال وانتم
الاعلون والله معكم بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلين ولما قال
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم كان فتح مكة حيث لم يلحقهم وهن ولا دعوا الى
صلح بل اتى صناديد قريش مستامنين مستسلمين مسلمين وكانت هذه البشرى
بلفظ الماضي وان كان لم يقع لان اخباره تعالى بذلك لا بد من وقوعه وكون
هذا الفتح هو فتح مكة بدا به الزمخشري وقال الجمهور هو فتح الحديبية
وقاله والشعبي والزهري قال ابن عطية وهو الصحيح انتهى
ولم يكن فيه قتال شديد بل تراموا بين القوم بحجارة وسهام وعن ابن عباس
رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سالوا الصلح قال الشعبي
بلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمون بظهور اهل الكتاب
على المجوس واطعموا نخل خيبر وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من فتح الحديبية اختلط
المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام من قلوبهم واسلم في
ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قال القرطبي فما مضت تلك السنون

الا والمسلمون

الا والمسلمون قد جاؤوا الى مكة في عشرة الاف وقال موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم من الحديبية
ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتوح لقد
رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالونكم القضية ويرغبون اليكم في الامان وقد راوا منكم ما
كرهوا وكان في فتحها انه عظيم وذلك انه نزع ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى
امتلات ولم ينفد ماؤها بعد وقال الزمخشري فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا
وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا انتهى وفي هذا
الوقت اتفقت بيعة الرضوان وهو الفتح الاعظم قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب
وبها استقبل فتح خيبر وامتلات ايدي المؤمنين خيرا ولم يفتحها الا اهل الحديبية ولم يشركهم
احد من المتخلفين عن الحديبية وقال مجاهد هو فتح خيبر وفي حديث مجمع بن جارية شهدنا
الحديبية فلما انصرفنا اذا الناس يهزون الاباعر فقيل ما بال الناس قالوا اوحي الى النبي
صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما
اجتمع الناس قرا النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه افتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل
الحديبية ولم يدخل فيها احد الا من شهد الحديبية وقال الضحاك الفتح حصول الفتح بغير
قتال وكان الصلح من الفتح وفتح مكة بغير قتال فتحنا وقال الفتح بين الحديبية ومكة وقيل
فتح الله تعالى له بالاسلام والنبوة والحجة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح احسن منه واعظم
وهو راس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل قضينا لك
قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي
الحكومة وكذا عن قتادة قال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت
لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية
الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك
بين عز الدارين واغراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا
للغفران والثواب والفتح والظفر بالبلد عنوة او صلحا بغير حرب او بحرب لانه منغلق ما لم يظفر
فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح انتهى وقال ابن عطية المراد هنا ان الله فتح لك
لكي يجعل ذلك علامة لغفرانه لك فكانها لام صيرورة قال عليه السلام لقد انزل علي سورة
هي احب الي من الدنيا انتهى وقال صاحب الغنيان هي لام القسم وكسرت وحذف النون من
الفعل تشبيها بلام كي انتهى ورد بان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم
زيد في معنى ليقومن زيد انتهى اما الكسر فقد علل بانه شبهت تشبيها بلام كي واما
النصب فله ان يقول ليس هذا نصبا لكنه الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت
بعد حذفها دالة على الحذف وبعد هذا فهذا القول ليس بشيء اذ لا يحفظ من لسانهم والله
ليقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحا ويتم نعمته عليك
باظهارك على عدوك ورضاه عنك وبفتح مكة والطائف وخيبر ونصرا عزيزا اي بالظفر والتمكن
من الاعداء بالغنيمة والاسر والقتل نصرا فيه عز ومنعة واسند العز اليه مجازا والعزيز
حقيقة هو المنصور صلى الله عليه وسلم واعيد لفظ الله في ينصرك الله لما بعد عن ما عطف

عليه أي في الجملتين عنده ضمير يعود على الله ولا يكون المبتدأ مسندا إلى الاسم الظاهر والمنتهى كذلك ولما كان الغفران وإتمام النعمة والهداية والنصر يشترك في إطلاقها الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره بقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وقوله يهدي من يشاء وقوله وإنهم لهم المنصورون وكان الفتح لم يق لأحد إلا للرسول صلى الله عليه وسلم أسنده تعالى إليه بنون العظمة تفخيما لشأنه وأسند إليه الأشياء الأربعة إلى الاسم الظاهر واشتركت الخمسة في الخطاب له عليه الصلاة والسلام تأنيسا له وتعظيما لشأنه ولم يأت بالاسم الظاهر لأن في الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر هو الذي أنزل السكينة وهي الطمأنينة والسكون قيل بسبب الصلح والأمن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقينا إلى يقينهم وقيل السكينة إشارة إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا إيمانا إلى إيمانهم وهو التوحيد روي معناه عن ابن عباس وقيل الوقار والعظمة لله ولرسوله وقيل الرحمة ليتراحموا وقاله ابن عباس ولله جنود السماوات والأرض إشارة إلى تسليم الأشياء إليه تعالى ينصر من يشاء وعلى أي وجه شاء من جنده السكينة تثبيت قلوب المؤمنين ليدخل المؤمنين هذه اللام تتعلق بإنا فتحنا لك وقيل بقوله ليزدادوا وإن قيل بلغ
ويعذب عطف عليه والازدياد لا يكون سببا لتعذيب الكفار أجيب عن هذا بأنه ذكر لكونه مقصودا للمؤمن كأنه قيل بسبب ازديادكم في الإيمان يدخلكم الجنة ويعذب الكفار بأيديكم في الدنيا وقيل بقوله وينصرك الله نصرا أي بالمؤمنين وهذه الأقوال فيها بعد وقال الزمخشري ولله جنود السماوات والأرض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن حكمته أن صلح قلوب المؤمنين بصلح الحديبية وأن وعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه انتهى ولا يظهر من كلامه هذا ما تتعلق به اللام والذي يظهر أنها تتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام وذلك أنه قال ولله جنود السماوات والأرض كان في ذلك دليل على أنه تعالى يبتلي بتلك الجنود من يشاء فيقبل الخير من قضى له بالخير والشر من قضى له بالشر ليدخل المؤمنين جنات ويعذب الكفار فاللام تتعلق بيبتلي هذه وما تعلق بالابتلاء من قبول الإيمان والكفر ويكفر معطوف على يدخل وهو ترتيب في الذكر لا ترتيب في الوقوع وكان التبشير بدخول الجنة أهم فبدئ به ولما كان المنافقون أكثر ضررا على المسلمين من المشركين بدئ بذكرهم في التعذيب الظانين بالله ظن السوء الظاهر أنه مصدر أضيف إلى ما يسوء المؤمنين وهو أن المشركين يستأصلونهم ولا ينصرون ويدل عليه عليهم دائرة السوء وبل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وقيل ظن السوء ما يسوء المشركين من إبطال الهوم إليهم بسبب علو كلمة الله وتسليط رسوله والأسر والقتل وقهرا لهم أخبر أنه يتعلى عليهم السوء ويحيط بهم فاحتمل أن يكون خبرا حقيقة واحتمل أن يكون لفظه وما بعده دعاء عليهم وتقدم الكلام على هذه الجملة في سورة براءة وقيل ظن السوء يشمل ظنونهم الفاسدة من الشرك كما قال إن يتبعون إلا الظن ومن انتفاء رؤية الله تعالى الأشياء وعلمه بها كما قال ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا ومن بطلان خلق العالم كما قال ذلك ظن الذين كفروا وقيل السوء هنا كناية عن الفساد كما قال ذلك ظن الذين كفروا وقيل السوء هنا كما تقول هذا فعل

سو

سوء وقرأ الحسن السوء بضم السين وكان الله عزيزا حكيما لما تقدم تعذيب الكفار والانتقام منهم ناسب ذكر العزة ولما وعد تعالى بمغيبات ناسب ذكر العلم وقرن بالمتقين ذكر جنود السماوات والأرض في السكينة التي للمؤمنين والنقمة هنا للمنافقين والمشركين ومن جنوده تعالى الملائكة في السماء والغزاة في سبيل الله في الأرض وقرأ الجمهور لتؤمنوا وما عطف عليه بتاء الخطاب وأبو جعفر وأبو حيوة وابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة والجحدري بفتح التاء وضم الزاي خفيفة وهو أيضا وجعفر بن محمد كذلك إلا أنهم كسروا الزاي وابن عباس واليماني بزايين من العزة وتقدم الكلام في وعزروه في الأعراف والظاهر أن الضمائر عائدة على الله تعالى وتفريق الضمائر بجعل بعضها للرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها لله تعالى حينئذ يليق قول الضحاك بكرة وأصيلا قال ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر إن الذين يبايعونك هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الأهبة لقتال قريش حين أرجف بقتل عثمان بن عفان حين بعثه إلى قريش يعلمهم أنه جاء معتمرا لا محاربا وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية بايعهم على الصبر المتناهي في قتال العدو وإلى أقصى الجهد ولذلك قال سلمة بن الأكوع وغيره بايعنا على الموت وقال ابن عمر وجابر على أن لا نفر والمبايعة مفاعلة من البيع لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وبقي اسم البيعة بعد على معاهدة الخلفاء والملوك إنما يبايعون الله أي صفقتهم إنما يمضيها ويمنح الثمن الله عز وجل وقرأ تمام بن العباس بن عبد المطلب إنما يبايعون لله أي لأجل الله ولوجهه والمفعول محذوف أي إنما يبايعونك لله يد الله فوق أيديهم قال الجمهور اليد هنا النعمة أي نعمة الله في هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها فوق أيديهم التي مدوها لبيعتك وقيل قوة الله فوق قواهم في نصرك ونصرهم وقال الزمخشري لما قال إنما يبايعون الله أكده على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله فإنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه إلا على نفسه انتهى وقرأ زيد بن علي ينكث بكسر الكاف وقال جابر بن عبد الله ما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم فحرم وقرأ الجمهور عليه الله بكسر الهاء ... عاهد ثلاثيا وقرأ الجحدري ... فسيؤتيه بالياء والحرميان وابن عامر وزيد بن علي بالنون أجرا عظيما هو الجنة وفي لغة تهامة

قوله عز وجل سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم

او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما قال مجاهد وغيره ودخل كلام
بعضهم في بعض المخلفون من الاعراب هم جهينة ومزينة وغفار واشجع والديل واسلم
استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى
الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا ورأى اولئك الاعراب انه يستقبل
عدوا عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل والمجاورين بمكة وهم الاحابيش ولم
يتمكن الايمان من قلوبهم فقعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا وقالوا لن يرجع
محمد ولا اصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله عز وجل في هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم باعتذارهم قبل ان يصل اليهم وكان كذلك شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر
لنا وهذا اعتذار منهم عن تخلفهم اي لم يكن لهم من يقوم بحفظ اموالهم واهليهم غيرهم وبدأ بذكر
الاموال لان بها قوام العيش وعطفوا الاهل لانهم كانوا يحافظون على حفظ الاهل اكثر من حفظ المال
وقرئ شغّلتنا بتشديد الغين حكاه الكسائي وهي قراءة ابراهيم بن نوح بن باذان عن قتيبة ولما
علموا ان ذلك التخلف عن الرسول كان معصية سألوا ان يستغفر لهم يقولون بالسنتهم ما
ليس في قلوبهم الظاهر انه راجع الى الجملتين المقولتين من الشغل وطلب الاستغفار
لان قولهم شغلتنا كذب وطلب الاستغفار خبث منهم واظهار انهم يعتقدون انهم عاصون وقال
الطبري هو راجع الى قولهم فاستغفر لنا يريد انهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولا ندم
قل فمن يملك اي يمنعكم من قضاء الله ان اراد بكم ضرا من قتل وهزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر
وغنيمة اي هو تعالى المتصرف فيكم وليس حفظكم اموالكم واهليكم بمانع من ضياعها اذا اراد
الله تعالى وقرأ الجمهور ضرا بفتح الضاد والاخوان بضمها وهما لغتان ثم بين تعالى لهم العلة
في تخلفهم وهي ظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه لا يرجعون الى اهليهم وتقدم الكلام
على اهل وكيف جمع بالواو والنون في قوله ما تطعمون اهليكم وقرأ عبد الله الى اهلهم بغير ياء وزين
قراءة الجمهور مبنيا للمفعول والفاعل هو الله تعالى وقيل غيره ممن تنسب اليه التزيين
مجازا وقرئ مبنيا وزين مبنيا للفاعل وظننتم ظن السوء احتمل ان يكون الظن السابق
وهو ظنهم ان لا ينقلبوا ويكون قد ساءهم ذلك الظن واخبر لهم حيث احقق ظنهم ويحتمل ان
يكون غيره لاجل العطف اي ظننتم انه تعالى يخلف وعده في نصر دينه واعزاز رسوله صلى
الله عليه وسلم بورا هلكى والظاهر انه مصدر كالهلك ولذلك وصف به المفرد والمذكر كقوله
ابن الزبعرى ۞ يا رسول المليك ان لساني ۞ راتق ما فتقت اذ انا بور ۞ والمؤنث
حكى ابو عبيدة امرأة بور والمثنى والمجموع وقيل يجوز ان يكون جمع بائر كحائل وحول
هذا في المعتل وبازل وبزل في الصحيح وفسر بور بفاسدين هلكى وقال ابن بحر اشرار
واحتمل ان يكون المعنى وصرتم بذلك الظن وان يكون وكنتم على بابها اي وكنتم في الاصل قوما
فاسدين اي الهلاك سابق لكم على ذلك ولما اخبر تعالى انهم قوم بور ذكر ما يدل على انهم ليسوا
بمؤمنين فقال ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو كافر جزاؤه السعير ولكنه لم يقل فانا اعتدنا للمجاهدين
بالكفر فلذلك اعتذروا وطلبوا الاستغفار منه ووعدهم وتوبيخهم ببعض الامهال والتوبيخ

وقال

وقال ابن بحر اشرار واحتمل وكنتم ان يكون المعنى وصرتم بذلك الظن وان يكون وكنتم
على بابها اي وكنتم في الاصل قوما فاسدين اي الهلاك سابق لكم على ذلك الظن ولما اخبر
تعالى انهم قوم بور ذكر ما يدل على انهم ليسوا بمؤمنين فقال ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فهو كافر جزاؤه السعير ولكنه لم يقل فانا اعتدنا للمجاهدين بالكفر ولذلك اعتذروا وطلبوا الاستغفار
منه ووعدهم وتوبيخهم ببعض الامهال والتوجيه وقال الزمخشري ولله ملك السموات
والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة
للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لرحمته حيث يكفر السيئات
باجتناب الكبائر بالتوبة انتهى وهو على مذهب الاعتزال سيقول المخلفون روي ان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يغزو خيبر ووعده بفتحها واعلمه ان المخلفين اذا رأوا مسيره الى خيبر
وهم عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة في عرض الدنيا من الغنيمة وكان كذلك يريدون
ان يبدلوا كلام الله معناه ان يغيروا وعده لاهل الحديبية بغنيمة خيبر وذلك انه وعد اهل
الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منها شيئا قاله
مجاهد وقتادة وعليه عامة اهل التأويل وقال ابن زيد كلام الله قوله قل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا ورد بان هذا لا يصح وهذه الآية نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك نزلت ح
في آخر عمره وهذه السورة نزلت عام الحديبية وايضا فقد غزت مزينة وجهينة بعد هذه
المدة معه عليه الصلاة والسلام وفضلهم بعد على تميم وغطفان وغيرهم من العرب وقرأ الجمهور
كلام الله بالالف والاخوان كلم الله جمع كلمة وامره تعالى ان يقول لهم قل لن تتبعونا واتى بصيغة
لن وهي للمبالغة في النفي اي لا يتم لكم ذلك الا دخر وعد تعالى ان ذلك لا يحضرها الا اهل الحديبية فقط
كذلكم قال الله من قبل هو وعده قبل اختصاصهم بها بل تحسدوننا اي يعز عليكم ان نصيب
مغنما معكم وذلك على سبيل الحسد ان يصيبكم فيما تغنمون وقرأ ابو حيوة بكسر السين
ثم رد عليهم تعالى كلامهم هذا فقال بل كانوا لا يفقهون الا قليلا من امور الدنيا وظاهرها
ليس لهم فكر الا فيها لقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا والاضراب الاول رد ان يكون حكم
الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين
الى ما هو الطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب امر تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يقول لهم ذلك ودل على انهم كانوا يظهرون الاسلام ولو لم يكن الامر كذلك لم يكونوا
اهلا لذلك الامر وابهم تعالى في قوله الى قوم اولي بأس شديد فقال عكرمة وابن جبير
وقتادة هم هوازن ومن حارب الرسول صلى الله عليه وسلم في حنين وقال كعب الذين
خرج اليهم عام تبوك والذي بعث اليهم في غزوة مؤتة وقال الزهري والكلبي اهل الردة وبنو
حنيفة باليمامة وعن رافع بن خديج انا كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم منهم حتى دعا
ابو بكر رضي الله عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم اريدوا بها وقال ابن عباس وعطاء بن ابي
رباح ومجاهد وعطاء الخراساني وابن ابي ليلى هم الفرس يرد هذا القول والذي اقول ان هذه
الاقوال تمثيلات من قائليها لا ان المعني بذلك هم ما ذكروا بل اخبر والله اعلم بهم ما دلالة
على قوة الاسلام وانتشار دعوته وكذا وقع حسن اسلام تلك الطوائف وقاتلوا اهل الردة
زمان ابي بكر وكانوا في جنود البلاد ايام عمر وايام غيره من الخلفاء والظاهر ان هؤلاء المقاتلين
ليسوا تؤخذ منهم الجزية اذ لم يذكر هنا الا القتال والاسلام ومذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى

وقال الحسن هم فارس والروم وقال [illegible] هم قوم لم يأتوا بعد [illegible] الآية ح

ورضي عنه ان الجزية لا تقبل من مشركي العرب ولا من المرتدين ولا يقبل الا الاسلام او القتل وتقبل عن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى انه لا تقبل الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وقال الزمخشري وهذا دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته انتهى وهذا ليس بصحيح فقد حضر كثير منهم مع جعفر بغزوة مؤتة وحضروا حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضروا معه في سفرة تبوك وانتم قول الزمخشري الا على قول من عين انهم اهل الردة و
وقرا الجمهور ويسلمون مرفوعا وابي وزيد بن علي بحذف النون منصوبا باضمار ان في قول الجمهور من البصريين غير الجرمي وبها في قول الجرمي والكسائي وبالطائفة في قول الفرا وبعض الكوفيين وقال على قول النصب باضمار ان هو عطف مصدر متوهم على مصدر متوهم اي يكون قتال او اسلام اي احد هذين ومثله في النصب قول امرئ القيس

فقلت له لا تبك عينك انما ۔ نحاول ملكا او نموت فنعذرا ۔

والرفع على العطف على تقاتلونهم او على القطع اي او هم يسلمون دون قتال ۔ فان تطيعوا اي فيما تدعون اليه كما توليتم من قبل اي في زمان الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في زمان الحديبية يعذبكم يحتمل ان يكون في الدنيا وان يكون في الآخرة ۔ ليس على الاعمى حرج نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ومع ارتفاع الحرج يجاز لهم الغزو واجرهم فيه مضاعف والاعرج احرى بالصبر وان لا يفر وقد غزا ابن ام مكتوم وكان اعمى في بعض حروب القادسية وكان رضي الله تعالى عنه يمسك الراية ولو حضر المسلمون فالغرض متوجه بحسب الوسع في الغزو وقرا الجمهور يدخله ويعذبه بالياء والحسن وقتادة وابو جعفر والاعرج وشيبة وابن عامر ونافع بالنون **قوله تعالى** لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ۔ ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ۔ وعدكم الله مغانم كثيرة فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ۔ واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ۔ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ۔ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ۔ وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ۔ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ۔ اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما ۔ لما ذكر تعالى حال من تخلف عن السفر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر حال المؤمنين الخلص الذين سافروا معه والآية دالة على رضي الله تعالى عنهم ولذا سميت بيعة الرضوان وكانوا فيما روي الفا وخمسماية وعشرين وقال ابن ابي اوفى وثلاث مائة واصل هذه البيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب يعلمهم انه جاء معتمرا لا يريد قتالا فلما اتاهم وكلمهم عقروا جمله وارادوا قتله فمنعته الاحابيش وبلغ ذلك رسول الله

صلى

٢٠٨

صلى الله عليه وسلم فاراد بعث عمر فقال قد علمت فظاظتي وهم يبغضوني وليس هناك من بني عدي من يحميني ولكن ادلك على رجل هو اعز مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكان ابان بن سعيد بن العاصي حين لقيه نزل عن دابته وحمله عليها واجاره فقالت له قريش ان شئت فطف بالبيت واما دخولكم علينا فلا سبيل اليه فقال ما كنت لاطوف به حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على عشرة اميال فصرخ صارخ من العسكر قتل عثمان فحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وقالوا لن نبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة البيعة فنزل روح القدس فبايعوا كلهم الا الجد بن قيس المنافق وقال الشعبي اول من بايع ابو سنان بن وهب الاسدي والعامل في اذ رضي والرضى على هذا بمعنى اظهار النعم عليهم فهو صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان ويحتمل ان يكون معمولا ليبايعونك او لا من المفعول لانه صلى الله عليه وسلم كان تحت اجالسا في اصلها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره بايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم انتم اليوم خير اهل الارض وكانت الشجرة فقطموه قال ابو بكر الاشجعي يوم فتح مكة قال نافع كان الناس ياتون تلك الشجرة يصلون عندها فبلغ عمر فامر بقطعها وكانت هذه البيعة سنة ست من الهجرة وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من شهد بيعة الرضوان ۔ فعلم ما في قلوبهم قال قتادة وابن جريج من الرضا بالبيعة ان لا يفروا وقال الفرا من الصدق والوفا وقال الطبري ومنذر بن سعيد من الايمان وصحته والحب في الدين والحرص عليه وقيل من الهم والانصراف عن المشركين والانفة من ذلك على نحو ما خاطب به عمر وغيره وهذا قول حسن يترتب معه نزول السكينة والفتح يعني بالفتح القريب والسكينة تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول امر الله تعالى وعلى الاقوال السابقة فيه هذا القول لا يظهر احتياج الى انزال السكينة الا ان يجاز بالسكينة السابقة والفتح القريب والمغانم قال مقاتل فعلها في قلوبهم من كراهة البيعة على ان يقاتلوا معهم على الموت فانزل السكينة عليهم حين بايعوا قاله ابن عطية وهذا فيه مذمة للصحابة رضي الله تعالى عنهم انتهى ۔ واثابهم فتحا قريبا قال قتادة وابن ابي ليلى فتح خيبر وكان عقب انصرافهم من مكة وقال الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بتمرها زمانا طويلا وقيل فتح مكة والقرب امر نسبي لكن فتح خيبر كان اقرب وقرا الحسن ونوح القاري واتاهم اي اعطاهم والجمهور واثابهم من الثواب ومغانم كثيرة اي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وقيل مغانم هجر وقيل مغانم فارس والروم وقرا الجمهور ياخذونها بالياء على الغيبة وفي واثابهم وما قبله من ضمير الغيبة وقرا الاعمش وطلحة ورويس عن يعقوب ودلبة عن ورش عن ورش وابو حيوة وسعد بن عن نافع والانطاكي عن ابي جعفر بالتاء على الخطاب كما جاء بعد وعدكم الله مغانم كثيرة بالخطاب وهذه المغانم الموعود بها هي المغانم التي كانت بعد هذه وتكون الى يوم القيامة قاله ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين ولقد اتسع نطاق الاسلام وفتح المسلمون فتوحا لا تحصى وغنموا مغانم لا تعد وذلك في شرق البلاد وغربها حتى في بلاد الهند وبلاد السودان في عصرنا هذا وقدم علينا حاجا احد ملوك غانة من بلاد التكرور وذكر عنه انه استفتح اربعة

من جهينة وعشرين مملكة من بلاد السودان واسلموا وقدم علينا ببعض ملوكهم ويحتج معه
وقيل الخطاب لاهل البيعة وانهم سيغنمون مغانم كثيرة وقال زيد بن اسلم وابنه المغانم الكثيرة مغانم
خيبر فعجل لكم هذه الاشارة بهذه الى البيعة والتخلص من امر قريش بالصلح قاله ابن عباس وزيد بن
اسلم وابنه وقال مجاهد مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي اهل مكة بالصلح وقال ابن عباس
وعيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النصري ومن كان معهم اذ جاوا لينصروا اهل خيبر والرسول
عليه الصلاة والسلام محاصر لهم فجعل الله في قلوبهم الرعب وكفهم عن المسلمين وقال ابن عباس ايضا اسد
وغطفان حلفا خيبر وقال الطبري كف اليهود عن المدينة بعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم
الى الحديبية والى خيبر ولتكون اي هذه الكفة اية للمومنين وعلامة يعرفون بها انهم من الله تعالى
بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة
في منامه ونصرهم والفتح عليهم ورويا الانبيا حق فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة
وعنوانا لفتح مكة فيكون الضمير في ولتكون عايدا على هذه وهي مغانم كثيرة والواو في ولتكون
زايدة عند الكوفيين وعاطفة على محذوف عند غيرهم اي ليشكروا ولتكونا او وعد فعجل لكم
لينفعكم بها ولتكون او ونبا خرا وتقدير ما تعلق به متاخرا اي فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
اي طريق التوكل وتفويض الامور اليه وقيل بصيرة وايقانا واخرى لم تقدروا عليها قال
ابن عباس والحسن ومقاتل بلاد فارس والروم ومما فتحه المومنون المسلمون قال الضحاك
وابن زيد وابن اسحاق خيبر وقال قتادة والحسن مكة وهذا القول يتسق معه المعنى ويتقابل
وفي قوله لم تقدروا عليها دلالة على تقدم محاولة لها وفوات تدرك المطلوب في الحال كما كان في مكة
وقال الزمخشري هي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة وجوز
الزمخشري في واخرى ان تكون مجرورة باضمار رب وهذا فيه غرابة لان رب لم تات في القران
جارة مع كثرة وروده ذلك في كلام العرب فكيف يوتى بها مضمرة وانما الظاهر ان واخرى مرفوع
بالابتدا فقد وصفت بالجملة بعدها وقد احاط هو الخبر ويجوز ان تكون في موضع نصب بمضمر
يفسره معنى قد احاط بها اي وقضى الله اخرى وقد ذكر الزمخشري هذين الوجهين ومعنى قد احاط
الله بها بالقدرة والقهر لاهلها اي قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها انهم لم يقدروا عليها ولو قاتلكم
الذين كفروا قال قتادة اهل خيبر واليهود لولوا الادبار لغلبوا وانهزموا سنة في موضع المصدر
الموكد لمضمون الجملة فقيل اي سن الله عليهم انبياءه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي
وهو الذي كف ايديهم اي قضى بينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وروي
في سببها ان قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن ابي جهل وخرجوا يطلبون
غرة في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما احس بهم المسلمون بعث عليه الصلاة والسلام
خالد بن الوليد وسماه حينئذ سيف الله من جملة التنعيم مسلحين يريدون غرته فاخذناهم
فاسرناهم وفي حديث عبد الله بن مغفل ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فاخذ الله
ابصارهم فقال لهم هل جيتم في عهد وقد جعل لكم احدا امانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم وقال
الزمخشري كان يعني هذا الكف يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا
وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين
عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت انتهى وقرا الجمهور بما تعملون على الخطاب وابو عمرو بالياء

وهو

وهو تهديد للكفار هم الذين كفروا يعني اهل مكة قال ابن خالويه يقال الهدي والهدي والهدا
ثلاث لغات وقرا الجمهور الهدي بسكون الدال وهي لغة قريش وابن هرمز والحسن وعصمة
عن عاصم واللولوي وخارجة عن ابي عمرو الهدي بكسر الدال وتشديد اليا وهما لغتان وهو معطوف
على الضمير في صدوكم ومعكوفا حال محبوسا يقال عكفت الرجل عن حاجته حبسته عنها وهذا الحبس
يجوز ان يكون من المشركين بصدهم او من جهة المسلمين لترددهم ونظرهم في امرهم وقرا الجعفي
عن ابي عمرو والهدي بالجر معطوفا على المسجد الحرام اي وعن نحر الهدي وقرا بالرفع على اضمار
صد وصد الهدي وكان نحو حلقه ومعه مائة بدنة قاله مقاتل وقيل سبعين وكان
الناس سبعمائة رجل فكانت البدنة عن عشرة قاله المسور بن مخرمة وابو الحكم ان يبلغ
محله قال الشافعي الحرم وبه استدل ابو حنيفة ان محل هدي المحصر الحرم حيث احصر
وقال الفرا حيث يحل نحره وان يبلغ يحتمل ان يتعلق بالصد اي وصدوا الهدي وذلك على ان يكون
بدل اشتمال اي وصدوا بلوغ الهدي محله او على انه مفعول من اجله اي كراهة ان يبلغ محله ويحتمل
ان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا لاجل ان يبلغ محله فيكون مفعولا من اجله ويكون الحبس من
المسلمين او محبوسا عن ان يبلغ محله فيكون الحبس من المشركين وكان بمكة قوم من المسلمين
مختلطين بالمشركين غير متميزين عنهم ولا معروفي الاماكن فقال تعالى ولولا كراهة ان يهلكوا ناسا
مومنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما
كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه قال الزمخشري ويجوز ان يكون لو تزيلوا
كالتكرير لولا رجال مومنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب انتهى وقوله لمرجعهما
الى معنى واحد ليس بصحيح لان ما تعلق به لولا الاولى غير ما تعلق به الثانية فالمعنى في الاولى
ولولا وطء قوم مومنين والمعنى في الثانية لو تميزوا من الكفار وهذا معنى مغاير للاول مغايرة
ظاهرة وان تطوهم بدل اشتمال من رجال وما بعده وقيل بدل من الضمير في تعلموهم اي لم تعلموا
وطأهم اي انه وطء مومنين وهذا اجنبه بعد والوطء الدوس وعبر به عن الاهلاك بالسيف
وغيره قال الشاعر ووطينا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم
وفي الحديث اللهم اشدد وطاتك على مضر ولم تعلموهم صفة لرجال ونسا غلب فيه المذكر
والمعنى لم تعرفوا اعيانهم انهم مومنون وقال ابن زيد المعرة الماثم وقال ابن اسحاق الدية وقال
ابن عطية وهذا ضعيف لانه لا اثم ولا دية في قتل مومن مستور الايمان بين اهل الحرب
وقال الطبري هي الكفارة وقال القاضي منذر بن سعيد المعرة ان يعنفهم الكفار ويقولون قتلوا
اهل دينهم وقيل الملامة وتالم النفس منه في باقي الزمن منه ولفق الزمخشري من هذه الاقوال
سوالا وجوابا على عادته في تلفيق كلامه من اقواله وايهامه انها سوالات واجوبة له فقال
فان قلت فاي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم انهم فعلوا باهل دينهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب
الدية والكفارة وسوء قالة المشركين التعيير انتهى بغير علم اخبار عن الصحابة انهم فعلوا باهل
دينهم ما فعلوا بنا من غير تمييز والماثم اذا جرى منهم بعض التقصير انتهى بغير علم اخبار
عن الصحابة وعن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والامتناع من التعدي حتى انهم
لو اصابوا من ذلك احدا لكان من غير قصد كقول النملة عن جند سليمان وهم لا يشعرون وبغير
علم متعلق بان تطوهم وقيل متعلق بقوله فتصيبكم منهم معرة من الذين بعدكم ممن يعيبكم عليهم
وقرا الجمهور لو تزيلوا وابن ابي عبلة وابن مقسم وابو حيوة وابن عون لو تزايلوا وابن ابي عبلة وابن مقسم

وابو حيوة وابن عون لو تزيلوا على اهل مكة وانتفاء العذاب على وزن تفاعلوا وليدخل متعلق بمحذوف
دل عليه المعنى اي كان انتفاء التسليط على اهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله في رحمته من يشاء وهذا
المحذوف هو مفهوم من جواب لو ومعنى تزيلوا لو ذهبوا عن مكة لو تزيل المؤمنون من الكفار وتفرقوا
منهم ويجوز ان يكون الضمير للمؤمنين والكفار اي لو افترق بعضهم من بعض • اذ جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية حمية الجاهلية اذ معمول لعذبنا او لو صدوكم ذكره او لصدوكم والحمية الانفة يقال
حميت عن كذا حمية اذا انفت منه وداخلك عار وانفة ان تفعله • قال المتلمس •
• الا انني منهم وعرضي عرضهم • كذا الراس يحمي انفه ان يهشما • وقال الزهري حميتهم
انفتهم في الاقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم
والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لالهتهم والانفة ان يعبدوا غيرها
وقيل قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا واللات والعزى لا يدخلها ابدا وكانت حمية
جاهلية لانها بغير حجة وفي غير موضعها وانما ذلك محض تعصب لانه صلى الله عليه وسلم انما جاء معظما
للبيت لا يريد حربا لهم في ذلك كما قال الشاعر في حمية الجاهلية •
• وهل انا الا من غزية ان غوت • غويت وان ترشد غزية ارشد •
وحميته بدلا من الحمية والسكينة الوقار والاطمئنان فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى لا اله الا الله
روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ميمون وقتادة
ومجاهد وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والربيع والسدي
وابن زيد وقال عطاء بن ابي رباح ومجاهد ايضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله عنهما لا اله الا الله
والله اكبر وقال ابو هريرة وعطاء الخراساني لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واضيفت الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها وقيل هو على حذف مضاف اي كلمة اهل
التقوى وقال المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم كلمة التقوى هنا هي بسم الله الرحمن الرحيم وهي
التي اباها كفار قريش فالزمها الله المؤمنين وجعلهم احق بها وقيل قولهم سمعا وطاعة والظاهر
ان الضمير في وكانوا عائد على المؤمنين والمفضل عليهم محذوف اي احق بها من كفار مكة لان الله
تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل من اليهود والنصارى وهذه الاحقية
هي في الدنيا وقيل احق بها في علم الله تعالى وقيل واهلها في الاخرة بالثواب وقيل الضمير في وكانوا
عائد على كفار مكة لانهم اهل حرم الله ومنهم رسوله لولا ما سلبوا من التوفيق وكان الله بكل شيء عليما
اشارة الى علمه تعالى بالمؤمنين ودفع الكفار عنهم والى علمه بصلح الكفار في الحديبية اذ كان سببا
لامتزاج العرب واسلام كثير منهم وعلو كلمة الاسلام وكانوا عام الحديبية الفا واربعمائة وبعد
ساروا الى مكة بعشرة الاف وقال ابو عبد الله الرازي في هذه الاية لطائف معنوية وهو انه تعالى ابان
غاية البون بين الكافر والمؤمن باين بين الفاعلين اذ فاعل جعل هو الكفار وفاعل انزل هو الله تعالى
وبين المفعولين اذ تلك حمية وهذه سكينة وبين الاضافتين اضاف الحمية الى الجاهلية واضاف
السكينة الى الله تعالى وبين الفعل جعل وانزل فالحمية مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى والسكينة
كالمحفوظة في خزانة الرحمة فانزلها والحمية قبيحة مذمومة في نفسها وازدادت قبحا بالاضافة الى الجاهلية
والسكينة حسنة في نفسها وازدادت حسنا باضافتها الى الله تعالى والعطف في فانزل بالفاء
لا بالواو ويدل على المقابلة تقول اكرمني زيد فاكرمته فدلت على المجازاة للمقابلة ولذلك جعل فانزل

ولما

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي اجاب اولا الى الصلح وكان المؤمنون عازمين على
القتال وان لا يرجعوا الى اهلهم الا بعد فتح مكة او النحر في المنحر وابوا الا ان يكتبوا محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وباسم الله قال تعالى على رسوله ولما سكن هو صلى الله عليه وسلم للصلح سكن المؤمنون
فقال وعلى المؤمنين ولما كان المؤمنون عند الله تعالى الزموا تلك الكلمة قال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وفيه تلخيص وهو كلام حسن **قوله عز وجل** لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين • محلقين رؤسكم ومقصرين • لا تخافون • فعلم ما لم تعلموا
فجعل من دون ذلك فتحا قريبا • هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق • ليظهره على
الدين كله وكفى بالله شهيدا • محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم
ركعا سجدا • يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود • ذلك مثلهم
في التوراة ومثلهم في الانجيل • كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا منهم مغفرة واجرا عظيما • راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية وقال مجاهد كانت الرؤيا بالحديبية انه
واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا او قصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا
وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك
قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا
المسجد الحرام فنزلت وروي ان رؤياه كانت ان ملكا جاءه فقال له لتدخلن الاية ومعنى صدق
الله لم يكذبه والله تعالى منزه عن الكذب وعن كل قبيح وصدق يتعدى الى اثنين الثاني بنفسه
وبحرف الجر تقول صدقتك زيدا الحديث وصدقتك في الحديث وقد عدها بعضهم في اخوات
استغفر وامر وقال الزمخشري بحذف الجار وايصال الفعل لقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله
عليه انتهى فدل كلامه على ان اصله حرف الجر وبالحق متعلق بمحذوف اي صدقا ملتبسا بالحق لتدخلن
اللام جواب قسم محذوف ويبعد قول من جعله جواب بالحق وبالحق قسم لا تعلق له بصدق
وتعليقه على المشيئة قيل لانه حكاية قول الملك للرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن كيسان
وقيل هذا التعليق تادب باداب الله تعالى وان كان الموعود به متحقق الوقوع لقوله
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقال ثعلب استثنى فيما يعلم ليستثني
الخلق فيما لا يعلمون وقال الحسين بن الفضل كان الله علم ان الذين كانوا بالحديبية يموت بعضهم
موضع الاستثناء لهذا المعنى وقال ابو عبيدة وقوم ان بمعنى اذ كما قيل في قوله وانا ان شاء
الله بكم لاحقون وقيل هو تعليق في قوله امنين لا لاجل اعلامه بالدخول فالتعليق مقدم على
موضعه وهذا القول لا يخرج التعليق عن كونه معلقا على واجب لان الدخول والامن اخبر بهما
ووقعت الثقة بالامرين وهما الدخول والامن الذي هو قيد في الدخول وامنين حال مقارنة
للدخول ومحلقين ومقصرين حال مقدرة لا تخافون بيان لكمال الامن بعد تمام الحج ولما
نزلت هذه الاية علم المسلمون انهم يدخلونها فيما يستانف واطمانت قلوبهم ودخلوا معه عليه
الصلاة والسلام في ذي القعدة سنة سبع واقاموا ثلاثة ايام هو واصحابه وصدقت رؤياه صلى الله
عليه وسلم فعلم ما لم تعلموا اي ما قدره من ظهور الاسلام في تلك المدة ودخول الناس فيه وما كان
ايضا بمكة من المؤمنين الذين دفع الله بهم قاله ابن عطية وقال الزمخشري من الحكمة والصواب في
تاخير فتح مكة الى العام القابل انتهى ولم يكن فتح مكة من العام القابل لانه كان بعد ذلك باكثر من عام لان

من الفتح انما كان سنة ثمان من الهجرة فجعل من دون ذلك اي من قبل ذلك اي من زمان دون
ذلك الزمان الذي وعدوا فيه بالدخول فتحا قريبا قال كثير من الصحابة هذا الفتح القريب هو
بيعة الرضوان وقال مجاهد وابن اسحاق هو فتح الحديبية وقال ابن زيد خيبر وضعف قول
من قال انه فتح مكة بان فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة
بل كان بعد ذلك ﴿هو الذي ارسل رسوله﴾ فيه تاكيد لصدق رؤياه صلى الله عليه وسلم وتبشير
بفتح مكة لقوله تعالى ليظهره على الدين كله وتقدم الكلام على معظم هذه الاية ﴿وكفى بالله شهيدا﴾
على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينك والظاهر ان قوله محمد
رسول الله مبتدأ وخبر وقيل رسول الله صفة وقال الزمخشري عطف بيان والذين معطوف
والخبر عنه وعنهم اشداء واجاز الزمخشري ان يكون محمد خبر مبتدا محذوف اي هو محمد لتقدم
قوله هو الذي ارسل رسوله وقرا ابن عامر في رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصب على المدح
والذين معه هم من شهد الحديبية قاله ابن عباس وقال الجمهور جميع اصحابه اشداء جمع شديد كقوله
اعزة على الكافرين رحماء بينهم كقوله اذلة على المومنين وكقوله واغلظ عليهم وقوله بالمومنين
رؤوف رحيم وقرا الحسن اشداء رحماء بنصبهما فقيل على المدح وقيل على الحال والعامل فيهما العامل
في معه ويكون الخبر عن المبتدا المتقدم تراهم وقرا يحيى بن يعمر اشدا بالقصر وهي شاذة لان قصر
الممدود انما يكون في الشعر نحو قوله ﴿لا بد من صنعا وان طال السفر﴾ وفي قوله تراهم ركعا
سجدا دليل على كثرة ذلك منهم وقرا عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الراء وقري سيمياهم بزيادة يا
والمد وهي لغة فصيحة كثيرة في الشعر قال الشاعر

﴿غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر﴾

وهو السيما قال مالك بن انس كانت جباههم متربة من كثرة السجود في التراب وقال ابن عباس
وخالد الحنفي وعطية وعدهم بان يجعل لهم نورا يوم القيامة من اثر السجود وقال ابن عباس ايضا
السمت الحسن وخشوع يبدو على الوجه وقال الحسن وسمر بن عطية بياض وصفرة وتهيج
يعتري الوجه من السهر وقال عطا والربيع بن انس حسن يعتري وجوه المصلين وقال منصور
سالت مجاهدا هو السيما الاثر يكون بين عيني الرجل قال لا وقد يكون مثل ركبة البعير
وهو اقسى قلبا من الحجارة وقال ابن جبير ذلك ما يتعلق بجباههم من الارض لكثرة السجود وقوله
من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي يوثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين
زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس ابي الملوك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما
احدث في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرا ابن هرمز من اثر بكسر الهمزة
وسكون الثاء والجمهور بفتحهما وقرا قتادة من اثار السجود بالجمع ذلك اي
ذلك الوصف من كونهم اشداء رحماء مبتغين سيماهم في وجوههم صفتهم في التورية قال مجاهد
والفراء هو مثل واحد اي ذلك صفتهم في التورية والانجيل فيوقف على الانجيل وقال ابن عباس
هما مثلان فيوقف على ذلك في التوراة والانجيل فيوقف على الانجيل اي مثلهم كزرع وقال
الضحاك المعنى ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة وتم الكلام ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع فعلى هذا
كزرع خبر ومثلهم وقال قتادة مثل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب
انه سيخرج من قوم محمد صلى الله عليه وسلم قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة وقال ابن عطية وقوله كزرع هو على كل الاقوال

وفي اي كتاب انزل فرض مثل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في ان النبي عليه السلام بعث
وحده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة
التي تنبت حول الاصل انتهى وقال ابن زيد شطاه فراخه واولاده وقال الزجاج نباته
وقال قطرب شوك السنبل يخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان قاله الفراء وقال
الكسائي والاخفش طرفه قال الشاعر اخرج الشطء على وجه الثرى ومن الاشجار افنان الثمر
وقرا الجمهور شطاه باسكان الطاء والهمزة وابن كثير وابن ذكوان بفتحهما وكذلك وبالمد
ابو حيوة وابن ابي عبلة وعيسى الكوفي وبالف بدل الهمزة زيد بن علي فاحتمل ان يكون
مقصورا وان تكون اصله الهمزة فنقل الحركة وابدل الهمزة الفا كما قالوا في المراة والكماة المراة
والكماة وهو تخفيف مقيس عند الكوفيين وهو عند البصريين شاذ لا يقاس عليه
وقرا ابو جعفر شطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الطاء وروي عن شيبة ونافع والجحدري
وعن الجحدري ايضا شطوه باسكان الطاء وواو بعدها وقال ابو الفتح هي لغة او بدل من الهمزة
ولا يكون الشطء الا في البر والشعير وهذه كلها لغات وقال صاحب اللوامح شطا الزرع واشطا اذا
اخرج فراخه وهو في الحنطة والشعير وغيرهما وقرا ابن ذكوان فازره ثلاثيا وباقي السبعة
فآزره على وزن افعله وقري فازره بشد الزاي وقول مجاهد وغيره آزره فاعله خطا لانه
لم يسمع في مضارعه الا يوزر على وزن يكرم والضمير المنصوب في ازره عائد على الزرع لان
الزرع اول ما يطلع رقيق الاصل فاذا خرجت فراخه غلظ اصله وتقوى وكذلك اصحاب
رسول كانوا اقلة ضعفا فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين وقال الحسن آزره قواه
وشد ازره وقال السدي صار مثل الاصل في الطول فاستغلظ من الرقة الى الغلظ فاستوى
اي تم نباته على سوقه جمع ساق كناية عن اصوله وقرا ابن كثير على سؤقه بالهمز قيل وهي
لغة ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة ومنه قول الشاعر احب الموقدين الي موسى
يعجب الزراع جملة في موضع الحال واذا اعجب الزراع فهو احرى ان يعجب غيرهم لانه
لا عيب فيه اذ قد اعجب العارفين بعيوب الزرع ولو كان معيبا لم يعجبهم وهنا
تم المثل وليغيظ متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام قبله تقديره جعلهم الله بهذه
الصفة ليغيظ بهم الكفار وقال الزمخشري فان قلت ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا
قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان
يعلل به وعد الله الذين امنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم
به في الدنيا غاظهم ذلك ومنهم للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وقال ابن عطية وقوله تعالى منهم لبيان الجنس وليست للتبعيض لانه وعد مرح الجميع وقال
ابن جرير منهم يعني من الشطء الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع
الى يوم القيامة واعاد الضمير على معنى الشطء لا على لفظه والاجر العظيم الجنة وذكر عند مالك
ابن انس رجل ينتقص الصحابة فقرا مالك هذه الاية فقال من اصبح من الناس
في قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية

المفردات

التنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنابزون ويقال النبز
والنزب لقب السوء اللقب هو ما يدعى به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته وهو
قسمان قبيح وهو ما يكره الشخص لكونه تقصيرا به وذما وحسن وهو بخلاف ذلك كالصديق
لابي بكر والفاروق لعمر واسد الله لحمزة تجسس الامر تطلبه وبحث عن خفيه تفعل من الجس
ومنه الجاسوس وهو الباحث عن العورات ليعلم بها ويقال للشاعر الانسان الحواس بالجيم والحا

الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن
والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع
الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس
فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وروي عن ابن عباس الشعوب البطون وهذا
غير ما تقدم عليه اهل اللغة ويأتي خلاف في ذلك عند قوله وجعلناكم شعوبا القبيلة دون
الشعب شبهت بقبائل الراس لانها قطع تقابلت ألت بالتي بمعنى اللام وكرها الناس لات
يلت والات يليت رباعيا تلك التي حكاها ابو عبيدة والعوفي نقص وقال رؤبه
وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت اي لم تمنعني ولم تحبسني وقال الحطيئة
ابلغ سراة بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان
الله سميع عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان
خيرا لهم والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في
كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم
حكيم

هذه السورة مدنية ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة لانه ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه ثم قال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات فربما صدر من المؤمن عامل
الصالحات بعض شيء مما ينبغي ان ينهى عنه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله وكانت عادة العرب وهي الى الان الاشتراك في الاراء وانه
يتكلم كل بما شاء ويفعل ما احب فجرى من بعض من لم يتمرن على اداب الشريعة
بعض ذلك قال قتادة ربما قال قوم ينبغي ان يكون كذا لو انزل في كذا وقال
الحسن ذبح قوم ضحايا قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل قوم في بعض
غزواته شيئا باراءيهم فنزلت هذه الاية ناهية عن جميع ذلك
وقال ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وتقول العرب
تقدمت في كذا وكذا وقدمت فيه اذا قلت فيه وقرا
الجمهور لا تقدموا فاحتمل ان يكون متعديا وحذف مفعوله ليتناول
كل ما يقع في النفس مما تقدم فلم يقصد شيء معين بل النهي متعلق
بنفس الفعل دون تعرض لمفعول معين كقولهم فلان يعطي ويمنع
واحتمل ان يكون لازما بمعنى تقدم كما تقول وجه بمعنى توجه ويكون
المحذوف مما يوصل اليه بحرف الجر اي لا تتقدموا في شيء ما من الاشياء
اي مما يحبون ويعضد هذا الوجه قراءة ابن عباس وابي حيوة والضحاك
ويعقوب وابن مقسم لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال على
اللزوم وحذفت التاء تخفيفا اذ اصله لا تتقدموا وقرئ بعض
المكيين تقدموا بشد التاء ادغم تاء المضارعة في التاء بعدها

كقراءة

كقراءة البزي وقرئ لا تقدموا مضارع قدم بكسر الدال من القدوم اي
لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما والمكان
المسامت وجه الرجل قريبا منه قيل فيه بين يدي المجلوس اليه
توسعا لما جاور الجهتين من اليمين واليسار وهي في قوله بين
يدي الله مجاز من مجاز التمثيل وفائدة تصوير الهجنة
والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر دون الاحتذاء على امثلة
الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان
فيه فتكونوا عاملين بالوحي المنزل ومقتدين برسول الله وعلى
هذا مدار تفسير ابن عباس وقال مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى
يقصه على لسان رسوله وفي هذا النهي توطئة لما يأتي بعد من
نهيهم عن رفع اصواتهم والامر لهم بالتقوى لان من اتقى اجتناب
المنهي عنه ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وافعالكم ثم ناداهم
ثانيا تحريكا لما يلقيه اليهم واستبعادا لما يجدد من الاحكام وتطرية
للانصات وتولت بسبب عادة الاعراب من الجفاء وعلو الصوت لا ترفعوا
اصواتكم اي اذا نطق ونطقتم ولا تجهروا له بالقول اي اذا كلمتموه لان
رتبة النبوة والرسالة يجب ان توقر وتجل ولا يكون الكلام مع
الرسول كالكلام مع غيره ولما نزلت قال ابو بكر لا اكلمك يا رسول
الله الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر انه كان يخفض صوته
اذا كلم الرسول لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن الرفع والجهر الا ما كان في طباعهم
لانه مقصود بذلك الاستخفاف والاستعلاء لانه كان يكون فعلهم
ذلك كفرا والمخاطبون مؤمنون كجهر بعضكم لبعض اي في عدم المبالاة
وقلة الاحترام فلم ينهوا عن الاعم جهر مخصوص وكره العلماء رفع
الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفي المساجد
وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه
وقر وكان جهير الصوت وحديثه في انقطاعه في بيته اياما
بسبب ذلك مشهور وانه قال يا رسول الله لما نزلت خفت ان يحبط
عملي فقال له رسول الله انك من اهل الجنة وقال له مرة اما
ترضى ان تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل باليمامة
يوم مسيلمة ان تحبط اعمالكم ان كانت الاية معترضة بمن يجهر استخفافا
فذلك كفر يحبط معه العمل حقيقة وان كانت للمؤمن الذي يفعل
ذلك غفلة وجريا على عادته فانما يحبط عمله البر في توقير النبي صلى الله عليه وسلم وغض
الصوت عنده اذ لو فعل ذلك كان له قال ابن عطية ان تحبط الاعمال التي هي معدة
ان تعملوها فتوجروا عليها وان تحبط مفعول له والعامل فيه ولا تجهروا على
مذهب البصريين في الاختيار ولا ترفعوا على مذهب الكوفيين في الاختيار
ومن ذلك من حيث المعنى حبوط العمل علة في كل من الرفع والجهر وقرا
عبد الله وزيد بن علي فتحبط بالفاء وهو مسبب عما قبله ان الذين

يغضون اصواتهم قيل نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت
والبلوغ به اخا السرار امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربت ودربت للتقوى
فهي مضطلعة بها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقيق الشيء باختباره
اي عرف قلوبهم كائنة للتقوى فاللتقوى في موضع الحال او ضرب الله
قلوبهم بانواع المحن لاجل التقوى اي لتثبت فيظهر تقواها وقيل اخلصها
للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه
ودلت في هذه الاية ان موكدة لمضمون الجملة وجعل خبرها جملة من اسم الاشارة
الدال على التفخيم والمعرفة بعده فاثبتا بعدها ذكر جزائهم على عمل غضوا اصواتهم وكل
هذا دليل على ان الارتضا بما فعلوا من توقير رسول الله بغض اصواتهم وفيها
تعريض بعظيم ما ارتكب رافعوا اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هولا
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات نزلت في وفد بني تميم الاقرع بن حابس
والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وغيرهم وفدوا ودخلوا المسجد وقت
الظهيرة والرسول راقد فجعلوا ينادونه بجملتهم يا محمد اخرج الينا فاستيقظ
فخرج فقال له الاقرع بن حابس يا محمد ان مدحي زين وذمي شين فقال ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويلك ذلك الله تعالى فاجتمع الناس في المسجد فقالوا نحن بنو
تميم جئنا بخطيبنا وشاعرنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر
بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقال الزبرقان لشاب منهم قم واذكر
فضلك وفضل قومك فقال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه واتانا اموالا نفعل فيها
ما نشاء فنحن من خير اهل الارض من اكثرهم عددا ومالا وسلاحا فمن انكر علينا
قولنا فليات بقول هو احسن من قولنا وفعل هو احسن من فعلنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيبه قم فاجبه فقام فقال الحمد لله
احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظمهم احلاما
فاجابوه والحمد لله الذي جعلنا انصار دينه ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع نفسه وماله ومن اباها قتلناه وكان رغمه علينا
هينا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات فقال الزبرقان لشاب منهم قم فقل
ابياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام وقال نحن الكرام فلا حي يعادلنا * منا الرؤوس وفينا تقسم الربع
ونطعم الناس عند القحط كلهم * من السديف اذا لم يونس القزع * اذا ابينا فلا يابى لنا احد
انا كذلك عند الفخر نرتفع * فامر النبي صلى الله عليه وسلم فدعا حسان فقال اعد علي
قولك فاسمعه فاجابه فقال ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع *
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل الخير يصطنع * ثم قال حسان نصرنا رسول الله
على رغم عات من معد وحاضر * بضرب كابراع المخاض مشاشه * وطعن كافواه اللقاح الصوادر *
وسل احدا يوم استقلت جموعهم * بضرب لنا مثل الليوث الخوادر * السنا نخوض الموت في حومة
اذا طاب ورد الموت بين العساكر * فقال اتيناك كي ما يعرف الناس فضلنا *
اذا خالفونا عند ذكر المكارم * وانا رووس الناس من كل معشر * وان ليس في ارض الحجاز كدارم *
وان لنا المرباع في كل غارة * تكون بنجد او بارض التهايم *
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان قم فاجبه فقال

بني دارم

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم *
هبلتم علينا تفخرون وانتم * لنا خول من بين ظئر وخادم *
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد كنت يا اخا دارم ان يذكر منك ما ظننت ان الناس قد
نسوه فكان قوله عليه الصلاة والسلام اشد عليهم من جميع ما قاله حسان الى ان
قال: فان كنتم جئتم لحقن دمائكم * واموالكم ان تقسموا في المقاسم *
فلا تجعلوا لله ندا واسلموا * ولا تفخروا عند النبي بدارم *
والا ورب البيت قد مالت القنا * على هامكم بالمرهفات الصوارم *
فقال الاقرع بن حابس والله ما ادري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن
قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم احسن قولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما
كان قبل هذا ثم اعطاهم وكساهم ومناسبة هذه الاية لما قبلها ظاهر وذلك ان المناداة
من وراء الحجرات فيها رفع الصوت واساءة الادب والله قدام بتوقير رسوله وتعظيمه
والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة
نشات من ذلك المكان وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين الكلامين بين ما ثبتت
فيه وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في الاول يجوز ان يجمعهما
الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من لابتداء الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة
ان تكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه
الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها كان مطلقا بغير تعيين ولا اختصاص انتهى وقد
اثبت اصحابنا في معاني من انها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعل واحد وان الشيء الواحد
يكون محلا لهما وتاولوا ذلك على سيبويه وقالوا من ذلك قولهم اخذت الدرهم من زيد فزيد محل
لابتداء الاخذ منه وانتهائه معا قالوا فمن تكون لابتداء الغاية وانتهائها معا وهذه
المناداة التي انكرت ليس انكارها لكونها وقعت في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر
ذلك لانهم نادوه من خارج مناداة الاجلاف التي ليس فيها توقير كما ينادي بعضهم بعضا
والحجرات منازل الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت تسعة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة
بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى حجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وقرا
الجمهور الحجرات بضم الجيم اتباعا للضمة قبلها وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة باسكانها
وهي لغات ثلاث في كل فعلة بشرطها المذكور في علم النحو والظاهر ان من صدر منه النداء كانوا
جماعة وذكر الاصم ان من ناداه كان الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن فان صح ذلك كان
الاسناد الى الجماعة لانهم راضون بذلك واذا كانوا جماعة يحتمل ان يكونوا تفرقوا فنادى
بعض من وراء هذه الحجرة وبعض من وراء هذه او نادوه مجتمعين من وراء حجرة حجرة او كانت
الحجرة واحدة وهي التي كان فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وجمعت اجلالا له وانتفاء العقل عن اكثرهم
دليل على ان فيهم عقلا وقال الزمخشري ويحتمل ان يكون التنكير بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي
ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم انتهى وليس في الاية الحكم بقلة العقلاء
منطوقا به فيحمل النفي وانما هو مفهوم من قوله اكثرهم لا يعقلون والنفي المحض المستفاد انما
هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم فلا يحمل قوله ولكن اكثر الناس لا يشكرون النفي المحض

للتشكي وان النهي لم يستفد من صريح التعليل وهذه الاية سجلت على الذين نادوه بالسفه والجهل
وانبذكر اول السورة بتقديم الامور التي تنتمي الى الله تعالى ورسوله على الامور كلها ثم عقب ما نهى عنه
من التقديم بالنهي عن رفع الصوت والجهر فكان الاول بساطا للثاني ثم ثنى بما هو ثناء على الذين
امتنعوا عن ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظم موقعه عند الله تعالى ثم جيء على عقب ذلك
بما هو افظع وهو الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرمه من وراء
الجدار كما يصاح باهون الناس ليبينه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان
يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر المتفاحش ومن هذا وامثاله تقتبس محاسن
الاداب كما يحكى عن ابي عبيد ومحله من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت
بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه • ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم قال الزمخشري انهم
صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم انتهى وهذا ليس مذهب سيبويه
بل مذهب سيبويه ان ان وما بعدها بعد لو في موضع مبتدأ لا في موضع فاعل ومذهب
المبرد انها في موضع فاعل بفعل محذوف كما زعم الزمخشري واسم كان ضمير يعود على المصدر
المفهوم من صبروا اي لكان هو اي صبرهم خيرا لهم وقال الزمخشري في كان اما ضمير
فاعل الفعل المضمر بعد لو وانهم اي قدر الدمام بعدها فاعل بفعل مضمر تقديره فاعاد الضمير على
ذلك الفاعل وهو الصبر المنسبك من ان ومعمولها خيرا لهم في الثواب عند الله وفي انبساط نفس
الرسول صلى الله عليه وسلم وقضا بحوائجهم وقد قيل انهم جاءوا في سارى فاعتق رسول الله
صلى الله عليه وسلم النصف وفادى على النصف ولو صبروا لاعتق الجميع بغير فدا وقيل لكان
صبرهم احسن لادبهم والله غفور رحيم لن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الاية حدث
الحارث ابن ضرار قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني الى الاسلام
واداء الزكاة ثم قال حتى جمعت زكاته فترسل من ياتيك بما جمعت فلما جمع ممن استجاب له
وبلغ الوقت الذي اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه واحتبس عليه رسول رسول الله
قال لسروات قومه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لي وقتا الي من يقبض الزكاة
وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف وما ارى حبس الرسول الا من سخطه فانطلقوا
بنا اليه وكان عليه السلام بعث الوليد بن الحارث ففرق فرجع فقال منعني الحارث الزكوة
واراد قتلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث الى الحارث ثم استقبل الحارث البعث
وقد فصل من المدينة فقالوا هذا الحارث فقال الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان بعث
اليك الوليد فرجع وزعم انك منعته الزكاة واردت قتله قال والذي بعث محمدا بالحق ما رايته
رسولكم ولا اتاني وما اقبلت الا حين احتبس علي رسولك خشيته ان يكون سخطة من الله
ورسوله قال فنزلت هذه الاية وفاسق ونبا مطلقان فتبينا والتلفظ واحد على جهة
البدل وتقدم قراءة فتثبتوا وفتبينوا في سورة النساء وهو امر بالتفحص ان لا يعتمد على
كلام الفاسق ولا يبنى عليه حكم وجاء الشرط بحرف ان المقتضي للتعليق في الممكن لا بالحرف المقتضي
للتحقيق وهو اذا لان مجيء الرجل الفاسق للرسول واصحابه بالكذب انما كان على سبيل الندرة
وامروا بالتثبت عند مجيئه لئلا يطمع في قبول ما يلقيه اليهم وبنا ما يترتب على كلامه فاذا
كانوا بمثابة التبيين والتثبت كف عن مجيئهم بما يريد ان تصيبوا مفعول له اي كراهة

ان

ان تصيبوا بجهالة حال اي جاهلين كيفية الامر معتمدين على خبر الفاسق فتصبحوا فتصيروا
على ما فعلتم من اصابة القوم بعقوبة بناء على خبر الفاسق • نادمين مغتمين على ما فرط منكم
متمنين انه لم يقع ومفهوم ان جاءكم فاسق قبول كلام غير الفاسق وانه لا يتثبت عنده وقد
يستدل به على قبول خبر الواحد العدل وقال قتادة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم التثبت من الله والعجلة من الشيطان وقال مقاتل بن سعيد هذه الاية ترد
على من قال ان المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لان الله تعالى امر بالتبيين قبل القبول
انتهى وليس كما ذكر لانه انما امر بالتبيين الا عند مجيء الفاسق لا مجيء المسلم بل بشرط الفسق والمجهول
الحال يحتمل ان يكون فاسقا فالاحتياط لازم • واعلموا ان فيكم رسول الله هذا توبيخ لمن يكذب
للرسول عليه الصلاة والسلام ووعيد بالفضيحة ولا يصدر ذلك الا ممن هو شاك في الرسالة
لان الله تعالى لا يتركه لبيينه صلى الله عليه وسلم ولا على خبر الفاسق بل يبين له ذلك والظاهر
ان قوله واعلموا ان فيكم رسول الله كلام تام امرهم بان يعلموا ان الذي هو بين ظهرانيكم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخبروه الا بما يصح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلعه
على ذلك ثم اخبر تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اطاعهم في كثير من الامر الذي يؤدي
اليه اجتهادكم وتقدمكم بين يديه لعنتم اي لشق عليكم وقال مقاتل لاثمتم وقال الزمخشري
الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد
الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهو انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث
على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل المطواع لغيره والتابع له فيما يرتئيه المحتذي
على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين
زينوا الرسول صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك
من الهنات كانت تفرط وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة
على ذلك وهم الذين ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته
اللطيفة التي لا يفطن اليها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
انتهى وفيه تكثير ولا يبعد ان تكون الجملة المصدرة بلو مستانفة لا حالا فلا تعلق لها بما قبلها
من جهة الاعراب وتقديم خبر ان على اسمها قصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن من استتباعهم
راي رسول الله صلى الله عليه وسلم لارائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه وقيل يطيعكم
دون اطاعكم للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن
لهم راي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر وشريطة لكن مقصوده من مخالفة
ما بعدها لما قبلها من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد
غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك انتهى وهو ملتقط من
كلام الزمخشري وقال الزمخشري ايضا ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق
وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح
بفعل غيره وحذر الله تعالى عن الذين نزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا انتهى وهو على
طريق الاعتزال وعن الحسن حبب الايمان دون وصف من الثناء عليه وذكر اللام انه بما وصف
من العقاب انتهى • اولئك هم الراشدون التفات من الخطاب الى الغيبة فضلا من الله ونعمة

قال ابن عطية مصدر مؤكد وقال الحوفي لنفسه لان ما قبله هو معناه اذ التحبيب والتزيين هو نفس
الفضل وقال الحوفي وفضلا نصب على الحال انتهى ولا يظهر هذا الذي قاله وقال ابو البقا مفعول له
او مصدر في معنى ما تقدم وقال الزمخشري فضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان
قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد
الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه
صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند
الى اسم الله تعالى والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او من فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك
او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل
من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المومنين
وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم انتهى اما توجيهه
كونه فضلا مفعولا من اجله فهو على طريق الاعتزال واما تقديره او كان ذلك فضلا فليس من مواضع
اضمار كان ولذلك شرط مذكور في النحو قوله تعالى وان طايفتان من المومنين من المومنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى امر الله فان فاءت
فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المومنون اخوة فاصلحوا بين
اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا ايها الذين لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا
نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق
بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله
ان الله تواب رحيم سبب نزولها ما جرى بين الاوس والخزرج حين اسا الادب عبد الله
ابن ابي سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه الى زيارة سعد بن عبادة
في مرضه وتعصب بعضهم لعبد الله ورد عبد الله بن رواحة على ابن ابي فتجالد الحيان
قيل بالحديد وقيل بالجريد والنعال والايدي فنزلت فقرا عليهم فاصطلحوا وقال السدي
كانت بالمدينة امراة من الانصار يقال لها ام بدر وكان لها زوج من غيرهم فوقع بينهم شي
اوجب ان يانف لها قومها وله قومه فوقع قتال فنزلت الاية بسببه وقرا الجمهور اقتتلوا
جمعا حملا على المعنى لان الطايفتين في معنى القوم والناس وقرا ابن ابي عبلة اقتتلتا على لفظ
التثنية وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلتا على التثنية مراعى بالطايفتين الفريقان
اقتتلوا وكل واحد من الطايفتين باغ فالواجب السعي بينهما بالصلح فان لم تصطلحا واقامتا
على البغي قوتلتا او لشبهة دخلت عليهما وكل منهما يعتقد انه الحق فالواجب ازالة الشبهة عل ٩
بالحجج النيرة والبراهين القاطعة فان لجا فكالباغيتين فان بغت احداهما فالواجب ان
تقاتل حتى تكف عن البغي ولم تتعرض الاية من احكام التي تبغي لشي الا لقتالها والى الاصلاح فان فاءت
والبغي هنا طلب العلو بغير الحق والامر في فاصلحوا وقاتلوا هو لمن له الامر من الملوك وولاتهم وقرا
الجمهور حتى تفي مضارع فا بهمزة والزهري حتى تفي بغير همز وفتح اليا وهذا شاذ كما قالوا في
مضارع جا يجي بغير همز فاذا دخل الناصب فتحوا اليا اجروه مجرى يفي مضارع وفى شذوذا انما
المسلمون اخوة فاصلحوا بين اخويكم اي اخوة في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله

وقرا

وقرا الجمهور بين اخويكم مثنى لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزم الاصلاح بين
اثنين فهو الزم بين اكثر من اثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرا زيد بن ثابت
وابن مسعود والحسن بخلاف عنه والجحدري وثابت البناني وحماد بن سلمة وابن سيرين اخوانكم
جمعا بالالف والنون والحسن ايضا وابن عامر في رواية وزيد بن علي ويعقوب بين اخوتكم جمعا
على وزن غلمة وروى عبد الوهاب عن ابي عمرو القراات الثلاث ويغلب الاخوان في الصداقة
والاخوة في النسب وقد يستعمل كل منهما مكان الاخر ومنه انما المومنون اخوة وقوله او بيوت اخوانكم
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم هذه الاية والتي بعدها تاديب للامة لما كان عليه اهل الجاهلية
من هذه الاوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها وقيل نزلت بسبب عكرمة بن ابي جهل كان يمشي
بالمدينة وقد اسلم فقال له قوم هذا ابن فرعون هذه الامة فعز ذلك عليه وشكاهم فنزلت والقوم
مرادف رجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النسا ولذلك قابله هنا بقوله ولا نسا من نسا وفي قول
زهير وما ادري وسوف اخال ادري اقوم ال حصن ام نسا
وقال الزمخشري وهو في الاصل جمع قايم كصوم وزور في جمع صايم وزاير انتهى وليس فعل من
ابنية الجموع الا على مذهب ابي الحسن في قوله ان ركبا جمع راكب وقال ايضا الزمخشري واما قولهم
في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد
ذكر الذكور وترك الاناث لانهن توابع لرجالهن انتهى وغيره يجعله من باب التغليب والنهي ليس مختصا
بانتصاب بعض على قوم ونسا بقيد الجمعية من حيث المعنى وان كان ظاهر اللفظ ذلك بل المعنى
لا يسخر احد من احد وانما ذكر الجمع والمراد به كل فرد فرد مما يتناوله عموم البدل فكانه اذا سخر
الواحد كان بمجلسه ناس يضحكون على قوله او يبلغ سخريته ناسا فيضحكوا فينتقل الحال الى
جماعة عسى ان يكونوا اي المسخور منهم خيرا منهم اي من الساخرين بهم وهذه الجملة مستانفة
وردت مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جا النهي عنه اي ربما يكون المسخور منه عند الله خيرا من
الساخر اذ العلم بخفيات الامور انما هو لله تعالى وعن ابن مسعود لو سخرت من كلب خشيت ان احول
كلبا ولا نسا من نسا روي ان عايشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما رايتا ام سلمة ربطت حقويها
بثوب ابيض وسدلت طرفه خلفها فقالت عايشة لحفصة انظري الى ما تجر خلفها كانه لسان
كلب وعن عايشة انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن انس كانت
نسا النبي صلى الله عليه وسلم يعيرن ام سلمة بالقصر وقالت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هارون وان عمي موسى وان
زوجي محمد وقرا عبد الله وابي عسى ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى ناقصة والجمهور عسى فيهما
تامة وهي لغتان الاضمار لغة تميم وتركه لغة الحجاز ولا تلمزوا انفسكم ضم الميم في تلمزوا الحسن
والاعرج وعبيد بن عمرو وقال ابو عمرو هي عربية والجمهور بالكسر واللمز بالقول والاشارة ونحوه
مما يفهمه اخر والهمز لا يكون الا باللسان والمعنى لا يعب بعضكم بعضا كما قال فاقتلوا انفسكم كان
المومنين نفس واحدة اذ هم اخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى
سايره بالسهر والحمى ومعنى انفسكم ان لمن يعيب غيره حملا يزين بدينه وفي الحديث اذكروا الفاجر
بما فيه كي يحذره الناس وقيل المعنى لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق اللمز فقد لمز نفسه
ولا تنابزوا بالالقاب اللقب ان دل على ما يكرهه المدعو به كان منهيا واما اذا كان حسنا فلا ينهى عنه وما زالت
الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وروي ان بني سلمة

سالوا فقد كثرت منهم الالقاب فنزلت الاية بسبب ذلك وفي الحديث كنوا اولادكم قال عطا مخافة الالقاب
وعن عمر اشيعوا الكنى فانها سنة انتهى ولا سيما اذا كانت الكنية غريبة لا يكاد يشترك فيها احد مع من
يكنى بها في عصره فانه يطير بها ذكره في الافاق وتتهادى اخباره الرفاق كما جرى في لقبي ابي حيان
واسمي محمد فلو كانت كنيتي ابا عبد الله او ابا بكر مما يقع فيه الاشتراك لم اشتهر تلك الشهرة واهل بلادنا
جزيرة الاندلس كثيرا ما يلقبون الالقاب بحيث قال فيهم ابو مروان الطبني

يا اهل الاندلس ما عندكم ادب ٭ بالمشرق الادب النفاخ بالطيب
يدعى الشباب شيوخا في مجالسهم ٭ والشيخ عندكم يدعى بتلقيب

نحن على بلادنا صالحهم بالوزغي وبالكلب وبوجه ناقة وكل هذا يحرم تعاطيه وليس من هذا قول
المحدثين سليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعو الضرورة اليه وليس فيه قصد استخفاف
ولا اذى قالوا وقد قال ابن مسعود لعلقمة وتقول انت ذلك يا اعور وقال ابن زيد اي لا يقول احد لاحد
يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق بعد توبته ونحو ذلك وتلاحى ابن ابي حدرد وكعب بن مالك فقال
له مالك يا اعرابي يريد ان يبعده من الهجرة فقال له الاخر يا يهودي يريد المخاطبة لليهود في يثرب بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس تلقبون بعضكم بعضا بعد ايمانكم بالالقاب فتكونون فساقا بالمعصية
بعد ايمانكم او بئس ما يقوله الرجل لاخيه يا فاسق بعد ايمانه وقال الرماني هذه الاية تدل على انه لا يجتمع
الفسوق والايمان انتهى وقال الزمخشري هو قول الرماني في الاستقباح الجمع بين الايمان
والفسق الذي ياباه الايمان وهذه نزغة اعتزالية وقال الزمخشري الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم
طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقول طار صيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين
الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان تذكروا بالفسق ومن
لم يتب اي عن هذه الاشياء فاولئك هم الظالمون تشديد وحكم بظلم من لم يتب عن هذه الاشياء
اجتنبوا كثيرا من الظن اي لا تعملوا على حسبه وامر تعالى باجتنابه دليلا يجترئ احد على ظن الا بعد
نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله والمامور باجتنابه هو بعض الظن المحكوم عليه بانه اثم
وتمييز المجتنب من غيره انه لا يعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كمن يتعاطى الريب والمجاهرة
بالخبائث كالدخول والخروج الى حانات الخمر وصحبة نساء المغاني وادمان النظر الى المرد فمثل هذا
يقوى الظن فيه انه ليس من اهل الصلاح ولا اثم فيه وان كنا لا نراه يشرب الخمر ولا يزني ولا يعبث
بالشباب بخلاف من ظاهره الصلاح فلا يظن به السوء فهذا هو المنهي عنه ويجب ان يزيله
وكلمه ويتناول الخير هو الذي يستحق صاحبه العقاب وقال الزمخشري والهمزة فيه بدل
عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه وهذا ليس بشي لان تصريف هذه الكلمة مستعمل
فيها الهمزة تقول اثم ياثم فهو اثم والاثم والاثام فالهمزة اصل وليست بدلا عن واو واما يتم فاصله
يوتم وهو من مادة اخرى وقيل الاثم متعلق بتكلم الظان اما اذا لم يتكلم فهو في فسحة لانه لا يقدر
على رفع الخواطر التي يبيحها قول النبي صلى الله عليه وسلم الحزم سوء الظن وقرا الجمهور ولا تجسسوا
بالجيم وقرا الحسن وابو رجا وابن سيرين بالحاء وهما متقاربان نهي عن تتبع عورات المسلمين
ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وقيل لابن مسعود هل لك في فلان تقطر لحيته
خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شي اخذنا به وفي الحديث ان الامير اذا ابتغى
الريبة في الناس افسدهم وقد وقع عمر رضي الله تعالى عنه في حراسته على من كان في ظاهره ريبة وكان ذلك
عليه هجما فلما ذكره بان الله تعالى نهى عن التجسس انصرف عمر وهو يقول ولا يغتب بعضكم بعضا يقال

غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر الرجل بما يكره مما
يكره مما هو فيه وفي الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الغيبة فقال ان تذكر من المرء ما يكره
ان يسمع فقال يا رسول الله وان كان حقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قلت باطلا فذلك البهتان
وفي الصحيحين فقد بهته وقال ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس وقالت عائشة عن امراة ما رايت
اجمل منها الا انها قصيرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها نظرت الى اسوء ما فيها فذكرتيه وحكى
الزهراوي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة اشد من الزنا لان الزاني يتوب الله عليه والذي
يغتاب فلا يتاب عليه حتى يستحل وعرض المسلم مثل دمه في التحريم وفي الحديث المستفيض ان الله
حرم عليكم دماءكم واموالكم واعراضكم ولا يباح من هذا المعنى الا ما تدعو الضرورة اليه من تجريح الشهود والرواة
والخطاب اذا استنصح من يخطب اليه من يعرفهم والعرب تشبه الغيبة باكل اللحم ومنه وان اكلوا
لحمي وفرت لحومهم أيحب احدكم قال الزمخشري تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه — تمثيلا و
وافحشه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من
الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها
ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى
جعل ميتا انتهى وقال الرماني كراهية هذا اللحم يدعو اليها الطبع وكراهية الغيبة يدعو اليها العقل
وهو احق ان يجاب لانه بصير عالم والطبع اعمى جاهل انتهى وقال ابو زيد السهيلي ضرب المثل لاخذ — على
العرض باكل اللحم لان اللحم ستر العظم والشاتم لاخيه كانه يقشر ويكشف ما عليه من ستر وقال
تعالى ميتا لان الميت لا يحس وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ثم هو في التحريم كاكل
لحم الميت انتهى وروي في الحديث ما صام من اكل لحوم الناس وقال ابو قلابة الرقاشي سمعت
ابا عاصم يقول ما اغتبت احدا منذ عرفت ما في الغيبة وقيل لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك
فلان حتى رحمناك قال اياه فارحموا وقال رجل للحسن بلغني انك تغتابني قال لم يبلغ قدرك
عندي ان احكمك في حسناتي وانتصب ميتا على الحال واجاز الزمخشري ان ينتصب عن الاخ وهو ضعيف
لان المجرور بالاضافة لا يجي الحال منه الا اذا كان له موضع من الاعراب نحو اعجبني ركوب الفرس مسرجا
وقيام زيد مسرعا فالفرس في موضع نصب وزيد في رفع وقد اجاز بعض اصحابنا انه اذا كان الاول
جزءا او كالجزء جاز انتصاب الحال من الثاني وقد رددنا عليه ذلك فيما كتبناه في علم النحو فكرهتموه
قال الفراء وقد كرهتموه فلا تفعلوه وقيل لما وقفهم على التوبيخ بقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا واجاب عن هذا انهم في حكم من يقولها خوطبوا على انهم قالوا لا فقيل لهم فكرهتموه وبعد هذا يقدر
فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي نظير ذلك وعلى هذا المقدر يعطف قوله واتقوا الله قاله ابو علي الفارسي
وفيه عجرفة العجم وقال الزمخشري ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة
اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم بانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره
لاباء البشرية عليكم ان تجحدوا كراهتكم له وتقززكم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من — انتهى وفيه؟
الغيبة والطعن في اعراض المسلمين ايضا عجرفة العجم والذي قدره الفراء اسهل واقل تكلفا واجرى على
قواعد العربية وقيل لفظه خبر ومعناه الامر تقديره فاكرهوه ولذلك عطف عليه فاتقوا الله
ووضع الماضي موضع الامر في لسان العرب كثير ومنه اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه اي ليتق الله
ولذلك انجزم يثب على جواب الامر وما احسن ما جاء الترتيب في هذه الاية جاء الامر اولا باجتناب
الطريق التي لا تؤدي الى العلم وهو الظن ثم نهى ثانيا عن طلب تحقق ذلك الظن فيصير علما بقوله ولا تجسسوا

ثم بين تعالى عن ذكر ذلك اذا علم وهذا امر لانه مفترنيه ظن فعلم بالتجسس فاغتياب وضمير النصب
في فكرهتموه الظاهر انه عائد على الاكل وقيل على الميت وقيل على اللحم وقرا ابو سعيد الخدري وابو حيوة
فكرهتموه بضم الكاف وتشديد الرا ورواها الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم والجمهور بفتح الكاف وخفة الرا
وكره يتعدى الى واحد وفيها سرا اذا ضعف ان يتعدى الى اثنين كقراة الخدري ومن حمد اي جعلتم
تكرهتموه فاما قوله وكره اليكم الكفر فعلى التضمين لمعنى بغض وهو يتعدى لواحد وبالى
الى الاخر وبغض يتعدى بالتضعيف من بغض الشي الى زيد والظاهر عطف واتقوا الله على ما قبله من الامر
والنهي قوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا
ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ٥ قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ٥ ولما
يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا ان الله غفور رحيم ٥ انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اوليك هم الصادقون ٥ قل
اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم ٥ يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ٥ ان الله يعلم غيب السموات
والارض والله بصير بما تعملون ٥ قيل غضب الحارث بن هشام وعتاب بن اسيد حين اذن بلال
يوم فتح مكة على الكعبة فنزلت وعن ابن عباس سببها قول ثابت بن قيس لرجل لم يفسح له عند النبي
صلى الله عليه وسلم يا ابن فلانة فوبخه النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك لا تفضل احدا الا في الدين والتقوى
ونزل الامر بالتفسح ايضا في ذلك من ذكر وانثى اي من ادم وحوا او كل واحد منكم من اب وام فكل
واحد منكم مساو للاخر في ذلك الوجه فلا وجه للتفاخر ٥ وجعلناكم شعوبا وقبايل وتقدم الكلام على
شي من ذلك في المعرجات وقيل الشعوب في العجم والقبايل في العرب والاسباط في بني اسرايل وقيل
الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبايل ربيعة ومضر وساير عدنان وقال قتادة ومجاهد
والضحاك الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب ٥ قال الشاعر

٥ قبايل من شعوب ليس فيهم ٥ كريم قد يعد ولا نجيب ٥

وقيل الشعوب الموالي
والقبايل العرب وقال ابو روق الشعوب الذين ينتسبون الى المداين والقرى والقبايل العرب
الذين ينتسبون الى ابايهم انتهى وواحد الشعوب شعب بفتح الشين وشعب بطن من همدان ينسب
اليه عامر الشعبي من سادات التابعين والنسب الى الشعوب شعوبية بفتح الشين وهم الامم التي
تبغض العرب وقيل هم الذين يفضلون العجم على العرب وكان ابو عبيدة يقال رحبا شعوبيا
له كتاب في فضايل العرب ولابن غرسية رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه ذلك
علما الاندلس برسايل عديدة وقرا الجمهور لتعارفوا مضارع تعارف محذوف التا والاعمش بتا بين
ومجاهد وابن كثير في رواية وابن محيصن بادغام التا في التا وابن عباس وابان عن عاصم لتعرفوا
مضارع عرف والمعنى انكم جعلكم الله تعالى ما ذكر كي يعرف بعضكم بعضا في النسب فلا ينتمي الى غير ابايه
لا التفاخر بالابا والاجداد ودعوى التفاضل وهو التقوى وفي خطبته عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة
انما الناس رجلان مومن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الاية وعنه صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وما زال التفاخر بالانساب في الجاهلية والاسلام وبالبلاد
وبالمذاهب وبالعلوم وبالصنايع واكثرها بالانساب ٥ واعجب شي الى عاقل

٥ فروع عن المجد مستاخرة ٥ اذا سيلوا ما لهم من علا اشاروا الى اعظم ناخرة ٥

ومن ذلك افتخار مشايخ الزوايا الصوفية بابايهم واحترام الناس لهم بذلك وتعظيمهم لهم وان كان الاولاد خلاف اولاد و

الابا

الابا في الدين والصلاح وقرا الجمهور ان اكرمكم بكسر الهمزة وابن عباس بفتحها وكان قرا لتعرفوا مضارع عرف
فاحتمل ان يكون ان معمولة لتعرفوا وتكون اللام في لتعرفوا لام الامر وهو اجود من حيث المعنى واما
ان كانت لام كي فلا يظهر المعنى ان جعلهم شعوبا وقبايل لان تعرفوا ان الاكرم هو الاتقى فان جعلت
مفعول لتعرفوا محذوفا اي لتعرفوا الحق لان اكرمكم عند الله اتقاكم ساغ في لام لتعارفوا ان تكون
لام كي قالت الاعراب امنا قال مجاهد نزلت في بني اسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة اظهروا
الاسلام وقلوبهم دخلة انما يحبون المغانم وعرض الدنيا وقيل مزينة وجهينة واسلم واشجع
وغفار قالوا امنا فاستحققنا الكرامة فرد الله تعالى عليهم بقوله قل لم تومنوا اكذبهم الله في دعوى
الاسلام ايمان ولم يصرح باكذابهم بلفظه بل بما دل عليه من انتفاء ايمانهم وهذا في اعراب
مخصوصين فقد قال الله تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر الاية ولكن قولوا اسلمنا
فهو اللفظ الصادق من اقوالكم وهو الاستسلام والانقياد ظاهرا ولم يواطي اقوالكم ما في قلوبكم
فلذلك قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم وجا النفي بلما الدالة على انتفاء الشي الى زمان الاخبار
وتبين ان قوله لم تومنوا لا يراد به انتفاء الايمان في الزمن الماضي بل متصلا بزمان الاخبار ايضا النفي و
لانك اذا نفيت بلم جاز ان يكون قد انقطع ولذلك يجوز ان تقول لم يقم زيد وقد قام وجاز ان يكون النفي
متصلا بزمن الاخبار فاذا كان متصلا بزمن الاخبار لم يجز ان تقول وقد قام للتكاذب الخبرين
واما لما فانها تدل على نفي الشي متصلا بزمان الاخبار ولذلك امتنع لما يقم زيد وقد قام للتكاذب
والظاهر ان قوله لما يدخل الايمان في قلوبكم ليس له تعلق بما قبله من جهة الاعراب وقال
الزمخشري فان قلت هو بعد قوله قل لم تومنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفايدة متجددة
قلت ليس كذلك فان فايدة قوله لم تومنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان
في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة
قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قوله قولوا انتهى والذي يظهر انهم امروا
ان يقولوا قولوا اسلمنا غير مقيد بحال وان ولما يدخل الايمان اخبار غير مقيد في قولهم وقال
الزمخشري وما في لما من معنى التوقع دال على ان هولاء قد امنوا فيما بعد انتهى وما ادري من اي وجه
يكون ما نفي بلما يقع بعد ولما انما تنفي ما كان متصلا بزمان الاخبار وانما تدل على ما ذكرت وفي
جواب لقد فعل وهب ان قد تدل على توقع الفعل فاذا نفي ما دل على التوقع فكيف لي يتوهم انه
يقع بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالايمان والاعمال وهذا فتح لباب التوبة وقرا الجمهور لا
يلتكم من لات يليت وهي لغة الحجاز والحسن والاعرج وابو عمرو لا يالتكم من الت وهي
لغة غطفان واسد ثم لم يرتابوا ثم يقتضي التراخي وانتفاء الريبة يجب ان يقارن الايمان له
فقيل من ترتيب الكلام لا من ترتيب الزمان اي ثم اقول لم يرتابوا وقيل قد يخلص الايمان
ثم يعترضه ما يثلم اخلاصه فنفى ذلك فحصل التراخي واريد انتفاء الريبة في الازمان المتراخية
المتطاولة فحاله في ذلك كحاله في الزمان الاول الذي امن فيه اوليك هم الصادقون اي في قولهم
امنا حيث طابقت السنتهم عقايدهم وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال وفي سبيل
الله يشمل جميع الطاعات البدنية والمالية وليسوا كاعراب بني اسد في قولهم امنا في ذلك وهم
كاذبون في ذلك قل اتعلمون الله بدينكم هي منقولة من علمت به اي شعرت به ولذلك تعدت الى واحد
بنفسها والى الاخر بحرف الجر لما نقلت بالتضعيف وفي ذلك تجهيل لهم حيث ظنوا ان ذلك
يخفى على الله تعالى ثم ذكر احاطة علمه بما في السموات والارض ويقال من يمن عليهم عليه صنيعا اذا اعتده

عليه منه والمعنى انهم يعتدون عليك ان اسلموا اي ان اسلموا في موضع المفعول ولذلك تعدى عليه
في قوله قل لا تمنوا علي اسلامكم ويجوز ان يكون اسلموا مفعولا له من اجله اي يتفضلون عليك
باسلامهم ان هداكم للايمان بزعمكم وتعليق المن بهدايتهم لشرط الصدق يدل على انهم ليسوا مومنين
اذ قد بين تعالى كذبهم في قولهم امنا بقوله قل لم تومنوا وقرا عبد الله وزيد بن علي اذ هداكم جعله
اذ مكان ان وكلاهما تعليل وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فهو المان عليكم
وقرا ابن كثير وابان عن عاصم يعلمون بياء الغيبة والجمهور بتاء الخطاب

المفردات

بسقت النخلة بسوقا طالت
قال الشاعر ، لنا خمر وليست خمر كرم ، ولكن من نتاج الباسقات ،
وبسق فلان على اصحابه اي علاهم ومنه قول نوفل في ابن هبيرة ، يا ابن الذين بمجدهم بسقت
على قيس فزاره ، ويقال بسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل
النتاج فهي مبسق ونوق مباسيق ، حاد عن الشي مال عنه حيودا وحيدة وحيدودة الوريد
عرق كبير في العنق يقال انهما وريدان عن يمين وشمال وقال الفرا هو ما بين الحلقوم
والعلباوين وقال الاثرم هو نهر الجسد هو في القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع
والفخذ الاكحل والنسا وفي الخنصر الاسلم وقال الزمخشري والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وسمي وريدا لان الروح
ترده ، قال كان وريديه رشا صلب والله تعالى اعلم بالصواب

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ق والقران
المجيد ، بل عجبوا ان جاهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شي عجيب ، ايذا متنا وكنا
ترابا ذلك رجع بعيد ، قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ ، بل
كذبوا بالحق لما جاهم فهم في امر مريج ، اولم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما
لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ،
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السما ما مباركا فانبتنا به جنات وحب
الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك
الخروج ، كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب
الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ، هذه السورة مكية قال ابن عطية باجماع
من المتاولين وقال صاحب التحرير قال ابن عباس وقتادة مكية الا اية وهي قوله تعالى ولقد
خلقنا السموات والارض الاية ومناسبتها لاخر ما قبلها انه تعالى اخبر ان الذين قالوا
امنا لم يتوا بانهم محيا حقا وانتفا ايمانهم دليل على انكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال بل عجبوا ان جاهم منذر وعدم الايمان ايضا يدل على انكار البعث فلذلك اعقبه به وق
حرف هجا وقد اختلف المفسرون في مدلوله على احد عشر قولا متعارضة لا دليل على صحة
شي منها فاطرحت نقلها في كتابي هذا والقران مقسم به والمجيد صفة وهو الشريف على غيره
من الكتب والجواب محذوف يدل عليه ما بعده وتقديره انك جيتهم منذرا بالبعث فلم يقبلوا
بل عجبوا وقيل ما ردوا امرك بحجة وقال الاخفش والمبرد والزجاج تقديره لتبعثن وقيل
الجواب مذكور فعن الاخفش ، قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعن ابن كيسان والاخفش

مايلفظ

من قول ومن نحاة الكوفة بل عجبوا والمعنى لقد عجبوا وقيل ان في ذلك لذكرى وهو اختيار محمد بن علي
الترمذي ، وقيل ما يبدل القول لدي وهذه كلها اقوال ضعيفة وقرا الجمهور قاف بسكون
الفا وبفتحها عيسى وبكسرها الحسن وابن ابي اسحاق وابو السمال وبالضم هارون وابن السميفع
وبالضم الحسن ايضا فيما نقل ابن خالويه والاصل في حروف المعجم اذا لم تركب مع عامل ان تكون موقوفة
فمن فتح قاف عدل الى اخف الحركات ومن كسر فعلى اصل التقا الساكنين ومن ضم فكما ضم قط
ومنذ وحيث بل عجبوا ان جاهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف
رجل منهم قد عرفوا صدقه وامانته ونصحه فكان المناسب ان لا يعجبوا وهذا مع اعترافهم
بقدرة الله تعالى فاي بعد في ان يبعث من يخوف وينذر ما يكون في المال من البعث والجزا
والضمير في بل عجبوا وهو انهم قد جبلوا على الكفر فلذلك عجبوا وقيل الضمير عايد على الناس قيل
لان كل مفطور يعجب من بعثة بشر رسولا من الله لكن من وفق نظر فاهتدى وامن ومن
خذل ضل وكفر وحاج بذلك العجب والاشارة بقولهم هذا شي عجيب الظاهر انها الى مجي منذر
من البشر وقيل الى ما تضمنه الانذار وهو الاخبار بالبعث وقال الزمخشري وهذا اشارة الى
المرجع انتهى وفيه بعد وقرا الجمهور ايذا بالاستفهام وهم على اصولهم في تحقيق الثانية وتسهيلها
والفصل بينهما وقرا الاعرج وشيبة وابو جعفر وابن وثاب والاعمش وابن عتبة عن ابن
عامر اذا بهمزة واحدة على صورة الخبر فجاز ان يكون استفهاما حذفت منه الهمزة وجاز ان
يكونوا عدلوا الى الخبر واضمر جواب اذا اي اذا متنا وكنا ترابا رجعنا واجاز صاحب اللوامح ان
يكون الجواب رجع بعيد على تقدير حذف الفا وقد اجاز بعضهم في جواب الشرط ذلك اذا كان
جملة اسمية وقصره اصحابنا على الشعر في الضرورة واما في قراءة الاستفهام فالظرف
منصوب بمضمر اي انبعث اذا متنا والى الاشارة بقوله ذلك اي البعث رجع بعيد اي مستبعد
في الاوهام والفكر وقال الزمخشري واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع
انتهى واخذه من قول ابن جني قال ابن جني ويحتمل ان يكون المعنى ايذا متنا بعد رجعنا فدل
رجع بعيد على هذا الفعل ويحل محل الجواب لقولهم ايذا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون الرجع
بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث
والوقف قبله على هذا التفسير حسن فان قلت فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى
المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث انتهى وكون ذلك رجع بعيد بمعنى
مرجوع وانه من كلام الله تعالى لا من كلامهم على ما شرحه مفهوم عجيب ينبو عن ادراكه فهم
العرب ، قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي من لحومهم وعظامهم وابشارهم قاله ابن عباس
ومجاهد والجمهور وهذا فيه رد لاستبعادهم الرجع لان من كان عالما بذلك كان قادرا على الوعيد
وعندنا كتاب حفيظ ، اي حافظ لما فيه جامع لا يفوت منه شي او محفوظ من البلى والتغير وقيل
هو عبارة عن العلم والاحصا وفي الخبر الثابت ان الارض تاكل ابن ادم الا عجب الذنب وهو عظم
كالخردلة منه يركب ابن ادم ، بل كذبوا بالحق لما جاهم وقدروا قبل هذا الاضراب جملة يكون
مضروبا عنها اي ما اجادوا النظر بل كذبوا وقيل لم يكذب المنذر بل كذبوا والغالب ان الاضراب
يكون بعد جملة منفية وقال الزمخشري بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة
على انهم جاوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات
انتهى وكان الاضراب الثاني بدل بدا من الاول وكلاهما بعد ذلك الجواب الذي قدرناه جوابا للقسم

فلا يكون قبل الثابتة ما قدروه من قولهم ما اجاد والنظر بل كذبوا بالحق والحق القران او البعث
او الرسول صلى الله عليه وسلم او الاسلام اقوال وقرا الجمهور لما جاءهم اي لم يفكروا فيه بل باول
ما جاءهم كذبوا والجحدري لما جاءهم بكسر اللام وتخفيف الميم وما مصدرية واللام لام الجر كهي في قولهم
كتبته لخمس خلون اي عند مجيئهم اياه فهم في امر مريج قال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس
وقال ابو هريرة فاسد ومرجت امانات الناس فسدت ومرج الدين اختلط قال ابو واقد
ومرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد وقال ابن عباس المريج الامر المنكر وعنه
ايضا مختلط ، وقال الشاعر

فجالت والتمست لها حشاها ، فخر كانه خوط مريج ، والاصل فيه

الاضطراب والقلق مرج الخاتم في اصبعي فجاءوا المنذر رضا بعدم حفظهم اول انذاره اياهم
ثم التعجب منهم ثم استبعاد البعث الذي انذر به ثم التكذيب لما جاء به ، افلم ينظروا وبخهم وقرعهم
بالبعث وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم الى اثار قدرة الله تعالى في العالم العلوي والسفلي
كيف بنيناها مرتفعة من غير عمد وزيناها بالنيرين وبالنجوم وما لها من فروج اي
من فتوق وشقوق بل هي سليمة من كل خلل ، والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي اي جبالا
ثوابت تمنعها من التكفؤ من كل زوج اي نوع بهيج اي حسن المنظر بهيج اي يسر من نظر
اليه وقرا الجمهور تبصرة وذكرى بالنصب وهما منصوبان بفعل مضمر من لفظهما اي بصر
وذكر وقيل مفعول من اجله وقرا زيد بن علي تبصرة بالرفع وذكر معطوف عليه اي ذلك الخلق
على ذلك الوصف تبصرة والمعنى يتبصر بذلك ويتذكر عبد كل منيب اي راجع الى ربه مفكر
في بدائع صنعه ، ماء مباركا اي كثير المنفعة ، وحب الحصيد اي الحب الحصيد فهو
من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كما يقوله البصريون والحصيد كل ما يحصد
مما له حب كالبر والشعير ، باسقات اي طوالا في العلو وهو منصوب على الحال وهي
حال مقدرة لانها حالة الانبات لم تكن طوالا وباسقات جمع والنخل اسم جنس فيجوز ان يذكر
نحو قوله نخل منقعر وان يؤنث نحو قوله تعالى نخل خاوية وان يجمع باعتبار افراده ومنه
باسقات وهي قوله وينشئ السحاب الثقال والجمهور باسقات بالسين وروى قطبة
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا باصقات بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون
من السين صادا اذا وليها او فصل بحرف او حرفين خاء او غين او قاف او طاء ، لها
طلع تقدم شرحه عند ومن طلعها قنوان دانية نضيد اي منضود بعضه فوق بعض
يريد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر واول ظهور الثمر في الكفرى هو الابيض
ينضد كحب الرمان فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فاذا خرج من الكفرى
تفرق فليس بنضيد ، ورزقا انتصب على المصدر لانه معنى وانبتنا رزقا او على انه مفعول
له وقرا الجمهور ميتا بالتخفيف وابو جعفر وخالد بالتثقيل والاشارة بذلك الى
الاحياء اي الخروج من الارض احياء بعد موتكم مثل ذلك الحياة للبلدة الميت وهذه كلها
امثلة وادلة على البعث وذكر تعالى في السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفي الفروج وفي
الارض ثلاثة المد والقاء الرواسي والانبات قابل المد بالبناء لان المد وضع والبناء
رفع والقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب لارتكاز كل واحد منهما والانبات المترتب
على الشق بانتفاء الفروج فلا شق فيها ونبه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف

كل سنة

كل سنة ويبقى اصله وما يزرع كل سنة او سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين
فبعض الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت ولما ذكر تعالى بل كذبوا بالحق
لما جاءهم ذكر من كذب الانبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم
الكلام على مفردات هذه الاية وقصص من ذكر فيها وقرا ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة
بلام التعريف والجمهور ليكة كل كذب الرسل اي كلهم اي جميعهم كذب وحمل على لفظ كل فافرد
الضمير في كذب وقال الزمخشري يجوز ان يراد به كل واحد منهم انتهى والتنوين في كل تنوين
عوض من المضاف اليه المحذوف واجاز محمد بن الوليد وهو وهم ما حكاه مصران يحذف
التنوين من كل جعله غاية ويبني على الضم كما يبنى قبل وبعد فاجاز كل منطلق بضم اللام دون
تنوين ورد ذلك عليه الاخفش الصغير وهو علي بن سليمان فحق وعيد اي وجب
تعذيب الامم المكذبة واهلاكهم وفي ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقريش
ومن كذب الرسول قوله عز وجل افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق
جديد ، ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ،
اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ،
وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ، ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد ، افعيينا بالخلق الاول وهو انشاء الانسان من نطفة على
التدريج وتقدم تفسير عيي في قوله تعالى ولم يعي بخلقهن وقرا الجمهور افعيينا بياء مكسورة
بعدها ياء ساكنة ماضي عيي كرضي وقرا ابن ابي عبلة والوليد بن مسلم والقورصي عن ابي جعفر
والسمسار عن شيبة وابو بحر عن نافع بتشديد الياء من غير اشباع في الثانية هكذا قال
ابو القاسم الهذلي في كتاب الكامل وقال ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات له افعيينا
بتشديد الياء ابن ابي عبلة وتكلفت في توجيه هذه القراءة اذ لم يذكروا احد توجيهها فخرجتها
على لغة من ادغم الياء في الياء في الماضي فقال عي في عيي وحي في حيي فلما ادغم الحقه ضمير المتكلم
المعظم نفسه ولم يفك الادغام فقال عينا وهي لغة لبعض بكر بن وائل يقولون في رددت
ورددنا ردت وردنا فلا يفكون وعلى هذه اللغة تكون الياء المشددة مفتوحة فلو كان
نا ضمير نصب لاجتمعت العرب على الادغام نحو ردنا زيد وقال الحسن الخلق الاول آدم
والمعنى اعجزنا عن الخلق الاول فنعجز عن الخلق الثاني وهذا توقيف للكفار وتوبيخ واقامة
الحجة الواضحة عليهم ، بل هم في لبس اي خلط وشبهة وحيرة ومنه قول علي يا حارث انه لملبوس
عليك اعرف الحق تعرف اهله من خلق جديد اي من البعث من القبور ، ولقد خلقنا الانسان
هذه ايات فيها حجج على الكفار فيما انكروه من البعث والانسان اسم جنس وقيل آدم ونحن اقرب
اليه علم به وباحواله لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل
مكان اي بعلمه وهو منزه عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقول العرب هو
مني مقعد القابلة ومعقد الازار ، قال ذو الرمة ، والموت ادنى لي من الوريد ،
والحبل العرق شبه بواحد الحبال واضافه الى الوريد للبيان كقولهم بعير سانية او يراد حبل
العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد والعامل في اذ اقرب
وقيل اذكر وقيل يحسن تقديره اذكر لانه اخبر خبرا مجردا بالخلق والعلم بخطرات الانفس والقرب
بالقدرة والملك فلما تم الاخبار اخبر بذكر الاحوال الذي فيقصد به الخبر وتغييبه وروده عند السامع

قوله: إذ يتلقى المتلقيان ومنه: وجاءت سكرة الموت ومنها: ونفخ في الصور ومنه: وجاءت كل نفس
معها سائق وشهيد. والمتلقيان الملكان الموكلان بكل إنسان ملك اليمين يكتب الحسنات وملك
الشمال يكتب السيئات. وقال الحسن: الحفظة أربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل. وقعيد
مفرد فاحتمل أن يكون معناه مقاعد كما تقول جليس وخليط أي مجالس ومخالط، وأن يكون
عدل من فاعل إلى فعيل للمبالغة كعليم. قال الكوفيون: مفرد أقيم مقام اثنين، والأجود أن يكون
حذف من الأول لدلالة الثاني عليه أي عن اليمين قعيد كما قال الشاعر:
رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريا ومن أجل الطوي رماني — هي أحسن الوجهين
فيه أي كنت منه بريا ووالدي بريا. ومذهب المبرد أن التقدير عن اليمين قعيد وعن
الشمال فأخر قعيد عن موضعه. ومذهب الفراء أن لفظ قعيد يدل على الاثنين والجمع فلا
يحتاج إلى تقدير. وقرأ الجمهور ما يلفظ من قول العموم. قال مجاهد وأبو الجوزاء: يكتب عليه كل شيء
حتى أنينه في مرضه. وقال الحسن وقتادة: يكتبان جميع الكلام فيثبت الله تعالى من ذلك الحسنات
والسيئات ويمحو غير ذلك. وقيل: هو مخصوص أي من قول خير أو شر. وقال معناه عكرمة، وما خرج عن
هذا لا يكتب. واختلفوا في تعيين قعود الملكين ولا يصح فيه شيء. رقيب ملك يرقبه، عتيد حاضر.
وإذا كان على اللفظ رقيب عتيد فأحرى على العمل. وقال الحسن: فإذا مات طويت الصحيفة، وقيل له
يوم القيامة: اقرأ كتابك. وجاءت سكرة الموت هو معطوف على إذ يتلقى. وسكرة الموت ما يعتري
الإنسان عند نزاعه. والباء في بالحق للتعدية أي جاءت سكرة الموت الحق وهو الأمر الذي أنطق الله
به كتبه وبعث به رسله من سعادة الميت أو شقاوته، أو للحال أي ملتبسة بالحق. وقرأ ابن مسعود
سكرات جمعا. ذلك ما كنت منه تحيد أي تميل، تقول: أعيش كذا وأعيش كذا فمتى فكر في قرب الموت
حاد بذهنه عنه وأمل إلى مسافة بعيدة من الزمن، ومن الحيد الحذر من الموت، وظاهره تحيد
أنه خطاب للإنسان الذي جاءته سكرة الموت. وقال الزمخشري: الخطاب للفاجر تحيد تنفر
وتهرب. ذلك يوم الوعيد هو على حذف أي وقت ذلك يوم الوعيد، والإشارة إلى مصدر نفخ،
وأضاف اليوم إلى الوعيد وإن كان يوم الوعد والوعيد معا على سبيل التخويف. وقرأ الجمهور وطلحة
بالحاء مثقلة أدغم العين في الحاء فانقلبتا حاء كما قالوا ذهب محم يريد ذهب معهم. سائق وشهيد
على السير وشهيد يشهد عليه. قال عثمان بن عفان وغيره ومجاهد: ملكان موكلان بكل إنسان
أحدهما يسوقه والآخر من حفظة يشهد عليه. وقال أبو هريرة: السائق ملك والشهيد النبي صلى الله عليه وسلم.
وقيل: الشهيد الكتاب الذي يلقاه منشورا. والظاهر أن قوله سائق وشهيد اسما جنس فالسائق
ملائكة موكلون بذلك والشهيد الحفظة وكل من يشهد. وقال ابن عباس والضحاك: السائق ملك
والشهيد جوارح الإنسان. قال ابن عطية: وهذا يبعد عن ابن عباس لأن الجوارح إنما تشهد
بالمعاصي، وقوله كل نفس يعم الصالحين فإنما معناه والشهيد بخير وشر، ويقوى في شهيد
اسم الجنس تشهد بالخير الملائكة والبقاع، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: لا يسمع صوت المؤذن
إنس ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة. وقال أبو هريرة: السائق ملك والشهيد العمل. وقال
أبو مسلم: السائق شيطان، وهو قول ضعيف. وقال الزمخشري: ملكان أحدهما يسوقه إلى
المحشر والآخر يشهد عليه بعمله، أو ملك واحد جامع بين الأمرين كأنه قيل ملك يسوقه ويشهد
عليه. ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة، وكلام
ساقط لا يصدر عن مبتدئ في النحو لأنه لو نعت كل نفس لما نعت إلا بالنكرة فهو نكرة على كل حال فلا يمكن

أن

أن يتعرف كل وهو مضاف إلى نكرة. قوله عز وجل: لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد. وقال قرينه هذا ما لدي عتيد. ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. مناع للخير
معتد مريب. الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد. قال قرينه ربنا ما أطغيته
ولكن كان في ضلال بعيد. قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد. ما يبدل القول لدي وما
أنا بظلام للعبيد. يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد. وأزلفت الجنة للمتقين غير
بعيد. هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ. من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب. ادخلوها
بسلام ذلك يوم الخلود. لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد. قرأ الجمهور لقد كنت في غفلة بفتح التاء والكاف
في كنت وغطاءك وبصرك، والجحدري بكسرها على مخاطبة النفس. وقرأ الجمهور غطاءك فبصرك
بفتح التاء والكاف حملا على لفظ كل من التذكير، والجحدري وطلحة بن مصرف عنك غطاءك فبصرك
بالكسر مراعاة للنفس أيضا، ولم ينقل الكسر في الكاف صاحب اللوامح إلا عن طلحة وحده. قال صاحب
اللوامح: ولم أجد عن طلحة في لقد كنت الكسر فإن كسر فإن الجميع شرع واحد، وإن فتح لقد كنت يحمل على أنه
مذكور يكون تأنيث كل في هذا الباب لإضافته إلى نفس وهو مؤنث، وإن كان كذلك فإنه حمل بعضه
على اللفظ وبعضه على المعنى مثل قوله فله أجره ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. انتهى. قال ابن عباس
وصالح بن كيسان والضحاك: يقال للكافر الغافل من ذوي النفس التي معها السائق والشهيد
إذا حصل بين يدي الرحمن وعاين الحقائق التي لا يصدق بها في الدنيا ويتغافل عن النظر فيها: لقد
كنت في غفلة من هذا أي من عاقبة الكفر فلما كشف الغطاء عنك احتد بصرك أي بصيرتك، وهذا كما
تقول فلان حديد الذهن. وقال مجاهد: هو بصر العين أي احتد التفاته إلى ميزانه وغير ذلك من
أهوال القيامة. وعن زيد بن أسلم قول في هذه الآية يحل نقله وهو في كتاب ابن عطية. وكني بالغطاء
عن الغفلة كأنها غطت جميعه أو عينيه فإذا كان في القيامة زالت عنه الغفلة فأبصر ما كان
لم يبصره من الحق. وقال قرينه أي من زبانية جهنم هذا العذاب الذي لدي لهذا الإنسان
الكافر عتيد حاضر. ويحسن هذا القول إطلاق ما على ما لا يعقل. وقال قتادة: قرينه الملك
الموكل بسوقه أي هذا الكافر الذي أسوقه لدي حاضر. وقال الزهراوي: وقيل قرينه شيطانه
وهذا ضعيف، وإنما وقع فيه أن القرين في قوله ربنا ما أطغيته قرينه هو شيطانه في الدنيا ومغويه
بلا خلاف. ولفظ القرين اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه من الزبانية قرين ومماشي الإنسان
في طريقه قرين. وقيل: قرينه هنا عمله قلبا وجوارحا. وقال الزمخشري: وقال قرينه هو الشيطان الذي
قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين، يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته. هذا
ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم، والمعنى أن ملكا يسوقه والآخر يشهد عليه
وشيطانا مقرونا به يقول: قد أعتدته لجهنم وهيأته لها بإغوائي وإضلالي. انتهى. وهذا
قول مجاهد. وقال الحسن وقتادة أيضا: الملك الشهيد عليه. وقال الحسن أيضا: هو كاتب
سيئاته. وما نكرة موصوفة بالظرف وبعتيد، وموصولة والظرف صلتها، وعتيد. قال الزمخشري:
بدلا أو خبرا بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف. انتهى. وقرأ الجمهور عتيد بالرفع، وعبد الله بالنصب على الحال،
والأولى إذ ذاك أن تكون ما موصولة. ألقيا في جهنم الخطاب من الله للملكين السائق والشهيد، وقيل
للملكين من ملائكة العذاب. فعلى هذا الألف ضمير الاثنين. وقال مجاهد وجماعة: هو قول إما للسائق
وإما للذي هو من الزبانية، وعلى أنه خطاب للواحد. وقال المبرد: معناه ألق ألق، النون الخفيفة أجرى
الوصل مجرى الوقف. وهذه أقوال مرغوب عنها، ولا ضرورة تدعو إلى الخروج عن ظاهر التثنية.

لقول مجاهد وقرا الحسن بنون التوكيد الخفيفة وهي شاذة فنقل التواتر بالالف كفار اي بالكفر
النعمة والمنع عنيد قال قتادة منحرفا عن الطاعة وقال الحسن جاحد متمرد وقال السدي المشاق
من العند وهو عظم يعرض في الحلق وقال ابن بحر المعجب بما فيه مناع من الايمان كالوليد بن
المغيرة كان يقول لهم من دخل منكم فيه لم انفعه بشي ما عشت والاحسن عموم الخير في المال
وغيره مريب قال الحسن شاك في الله او في البعث وقيل المتهم الذي يجوز فيه ان يكون منصوبا
بدلا من كل كفار وان يكون مجرورا بدلا من كفار وان يكون مرفوعا بالابتدا متضمنا معنى الشرط
ولذلك دخلت الفا في خبره وهو فالقياه والظاهر تعلقه بما قبله على جهة البدل ويكون فالقياه توكيدا
وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون صفة تختص كفار بالاوصاف المذكورة وجاز وصفه بهذه المعرفة انتهى
وهذا ليس بشي لان صفة النكرة باوصاف كثيرة لم يجز ان توصف بالمعرفة قال قرينه لم تات هذه
الجملة بالواو بخلاف وقال قرينه قبلها لانها استونفت كما تستانف الجملة في حكاية التقاول
كما في مقاولة موسى وفرعون فانه جرت مقاولة بين الكافر وقرينه فكانه الطغيته واما وقال قرينه فعطف
للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجي كل نفس مع الملكين وقول قرينه
ما قال له ومعنى ما اطغيته تنزيه نفسه من انه اثر فيه ولكن كان في ضلال بعيد اي من نفسه
اي من نفسه لا مني وهو الذي استحب العمى على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي وكذب القرين قد اطغاه بوسوسته وتزيينه قال لا تختصموا لدي اي في دار الجزا
وموقف الحساب وقد قدمت اليكم بالوعيد لمن عصاني فلم اترك لكم حجة ما يبدل القول لدي اي عندي
فما امضيته لا يمكن تبديله وقال الفرا ما يكذب لدي لعلمي بجميع الامور وقدمت يجوز ان يكون بمعنى
تقدمت اي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد او يكون قدم المتعدية وبالوعيد هو المفعول
والباء زائدة والتقديم كان في الدنيا والنهي عن الاختصام في الاخرة فاختلف الزمانان فلا تكون الجملة
حالا وقد قدمت حالا الا على تاويل اي وقد صح عندكم اني قدمت وصحة ذلك في الاخرة فاتفق زمان
النهي عن الاختصام وصحة التقديم بالحال على هذا التاويل مقارنة وما انا بظلام للعبيد تقدم شرح
مثله في اواخر ال عمران والمعنى لا اعذب من لا يستحق العذاب وقرا يوم نقول بالنون الاعرج وشيبة
ونافع وابو بكر والحسن ايضا يقال مبنيا للمفعول وانتصاب يوم بظلام او باذكر او بانذر لذلك قال
الزمخشري وكذلك ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول وعلى هذا يشار
بذلك الى يوم نقول انتهى وهذا بعيد جدا قد فصل على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة فلا
يناسب هذا القول فصاحة القران وبلاغته وهل امتلات تقرير وتوقيف لا سوال استفهام حقيقة
لانه تعالى عالم باحوال جهنم قيل وهذا السوال والجواب منها حقيقة وقيل هو على حذف مضاف
اي نقول لخزنة جهنم قاله الرماني وقيل السوال والجواب من باب التصوير الذي يثبت المعنى في
حالها حال من لو نطق بالجواب لسائله لقال كذا وهذا القول يظهر انها اذ ذاك لم تكن ملاى فقولها
من مزيد سوال ورغبة في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها وقال الحسن وعمرو وواصل كانت
ملاى وقت السوال فلا تزاد على امتلائها كما جا في الحديث وهل ترك لنا عقيل من دار اي ما ترك
ومزيد يحتمل ان يكون مصدرا واسم مفعول غير بعيد مكانا غير بعيد وهو تاكيد لازلفت ورفع
مجاز القرب بالوعد والاخبار فانتصابه على الظرف صفة قام مقام مكان فاعرب باعرابه
واجاز الزمخشري ان ينتصب غير بعيد حالا من الجنة قال وتذكيره لانه على زنة علي ح
المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث انتهى وكونه على

وزن

وزن المصدر لا يسوغ ان يكون المذكر صفة للمونث وقال الزمخشري ايضا او على حذف الموصوف
اي شيا غير بعيد انتهى وكانه يعني ان ازلافا غير بعيد هذا اشارة للثواب وقرا الجمهور ما توعدون
خطابا للمومنين وابن كثير وابو عمرو بالياء الغيبة اي هذا القول هو الذي وقع الوعد به وهي
جملة اعتراضية بين المبدل منه والبدل ولكل اواب هو البدل من للمتقين من خشي بدل
بعد بدل تابع لكل قاله الزمخشري وانما جعله تابعا لكل لا بدلا من للمتقين لانه لا يتكرر الابدال
من مبدل منه واحد قال ويجوز ان يكون بدلا من موصوف اواب حفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف
من بين سائر الموصولات الا بالذي انتهى يعني بقوله في حكم اواب ان يجعل من صفته وهذا حكم صحيح
واما قوله ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي فالحصر ليس بصحيح قد وصفت العرب
بما فيه ال وهو موصول نحو القايم والمضروب ووصفت بذو الطائية وذات في المونث ومن كلامهم
بالفضل ذو افضلكم الله به والكرامة ذات اكرمكم الله به يريد بالفضل الذي فضلكم والكرامة التي
اكرمكم واما الزمخشري خصوصية الذي بل فرعه من المونث والمثنى والمجموع على اختلاف
لغاته كذلك وجوز ان يكون من موصولا مبتدا خبره القول المحذوف تقديره ويقال لهم ادخلوها
لان معناه الجمع وان يكون شرطية والجواب الفعل المحذوف اي فيقال وان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا
احسن الي وحذف حرف الندا وقال ابن عطية يحتمل ان يكون من نعتا انتهى وهذا لا يجوز لان من
لا ينعت بها وبالغيب حال من المفعول اي وهو غائب عنه وانما ادركه بالعلم الضروري اذ كل مصنوع
لا بد له من صانع واجيز ان تكون صفة لمصدر خشي اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو
غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد فيكون
حالا من الفاعل وقرن بالخشية الرحمن بناء على الخاشي حيث علم انه واسع الرحمة وهو مع ذلك يخشاه
ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود كقوله
فادخلوها خالدين اي مقدر بالخلود وهو مصار الفوز في الكفار ذلك يوم الوعيد لهم ما يشاءون فيها
اي ما تعلقت به مشيئاتهم من انواع الملاذ والكرامات كقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
ولدينا مزيد زيادة ارزاق مزيد على ما يشاءون وكقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وكما
جا في الحديث اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ما اطلعتهم اطلعتهم
عليه ومزيد مبهم فقيل مضاعفة الحسنة بعشر امثالها وقيل ازواج من حور الجنة وقيل
تجلي الله تعالى لهم حين يرونه قوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا
في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود واستمع
يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن
نحي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما
يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد اي كثيرا اهلكنا اي قبل قريش
هم اشد منهم بطشا لكثرة قوتهم واموالهم وقرا الجمهور فنقبوا بفتح القاف مشددة والظاهر
ان الضمير في فنقبوا عائد على كم اي دخلوا البلاد من انقابها والمعنى طوفوا بالبلاد وقيل نقروا وبحثوا
والتنقيب التنقير والبحث قال امرؤ القيس في معنى التطواف
وقد نقبت في الافاق حتى ۞ رضيت من الغنيمة بالاياب ۞ وروي وقد طوفت

وردي وقد طوفت وقال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال
ونقبوا عن شدة بطشهم فهل لهم قدرتم على التنقيب وفوتهم عليه ويجوز ان يعود الضمير في فنقبوا
على قريش اي فنقبوا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا محيصا حتى يوسوا انفسهم ويدل على عود
الضمير على اهل مكة قراة ابن عباس ويحيى بن يعمر وابي العالية ونصر بن سيار والاصمعي عن ابي عمرو
بكسر القاف مشددة على الامر لاهل مكة اي فسيحوا في البلاد وابحثوا وقري بكسر القاف خفيفة
اي نقبت اقدامهم واخفاف ابلهم او حفيت لكثرة تطوافهم في البلاد من نقب خف البعير اذا انتقب
ودمي وتحتمل ان يكون هل من محيص على اضمار القول اي يقولون هل من محيص من الهلاك واحتمل
ان لا يكون ثم قول اي لا محيص من الموت فيكون توقيفا وتقريرا ان في ذلك اي في اهلاك تلك القرون
لذكرى لتذكرة واتعاظ لمن كان له قلب اي واع الفهم لمن له عقل وعبر عنه بمحله ومن لا قلب
له يعي كمن لا قلب له وقرا الجمهور او القى السمع مبنيا للفاعل والسمع مفعول به اي او اصغى سمعه
مفكرا فيه ومستشهدا من المشاهدة وهو الحضور وقال قتادة لمن كان له قلب من اهل الكتاب فيعتبر
ويشهد بصحتها لعلمه بذلك من التوراة فشهيد من الشهادة وقرا السلمي وطلحة والسدي وابو البرهسم
او القي مبنيا للمفعول السمع رفع به اي السمع منه اي من الذي له قلب وقيل المعنى او لمن القي غيره السمع
وفتح له اذنه ولم يحضر ذهنه اي الملقي والفاتح والملقى له والمفتوح اذنه حاضر الذهن متفطن وذكر
لعاصم انها قراة السدي فمقته وقال اليس يقول يلقون السمع ولقد خلقنا السموات والارض نزلت
في اليهود تكذيبا لهم في قولهم ان الله تعالى استراح من خلق السموات والارض في ستة ايام يوم السبت
واستوى على العرش وقيل التشبيه الذي وقع في هذه الامة انما اخذ من اليهود وما مسنا من لغوب
احتمل ان تكون جملة حالية واحتمل ان تكون استئنافا واللغوب الاعياء وقرا الجمهور بضم اللام وعلي
والسلمي وطلحة ويعقوب بفتحها وهما مصدران الاول مقيس وهو الضم واما الفتح فغير مقيس كالقبول
والولوع وينبغي ان يضاف الى تلك الخمسة التي ذكرها سيبويه وزاد الكسائي الوزوع فتصير سبعة
فاصبر قيل منسوخ باية السيف على ما يقولون اي اليهود وغيرهم من الكفار قريش وغيرهم وسبح بحمد
ربك اي فصل قبل طلوع الشمس هي صلاة الصبح وقبل الغروب هي صلاة العصر قاله قتادة وابن
زيد والجمهور وقال ابن عباس قبل الغروب العصر والظهر ومن الليل صلاة العشاءين وقيل
الغروب ركعتان قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس ما معناه ان الصحابة كانوا يصلونهما قبل المغرب
وقال ما ادركنا احدا يصليهما الا انس وابا برزة الاسلمي وقال بعض التابعين كان الصحابة يهبون اليهما كما
يهبون الى المكتوبة وقال ابن زيد هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلاة الليل وادبار السجود قال ابو الاحوص
هو التسبيح في ادبار الصلوات وقال عمر وعلي وابو هريرة والحسن والشعبي وابراهيم ومجاهد والاوزاعي
هما ركعتان بعد المغرب وقال ابن عباس هو الوتر بعد العشاء وقال ابن عباس ومجاهد ايضا وابن زيد
النوافل بعد الفرايض وقال مقاتل ركعتان بعد العشاء يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو
الله احد وقرا ابن عباس وابو جعفر وشيبة وعيسى والاعمش وطلحة وشبل وحمزة والحرميان هم
وادبار بكسر الهمزة وهو مصدر تقول ادبرت الصلاة انقضت وتمت وقال الزمخشري وغيره معناه
ووقت انقضاء السجود كقولهم اتيتك خفوق النجم وقرا الحسن والاعرج وباقي السبعة بفتحها جمع دبر كطنب
واطناب اي وفي ادبار السجود اي اعقابه قال اوس بن حجر
على دبر الشهر الحرام فارضنا ... وما حولها جدب سنون تلمع
واستمع امر بالاستماع والظاهر
انه اريد به حقيقة الاستماع والمستمع له محذوف تقديره واستمع لما اخبر به من حال يوم القيامة

وفي ذلك

وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ اسمع ما اقول
لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب يوم بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من
القبور وقيل مفعول استمع محذوف تقديره نداء المنادي وقيل تقديره نداء الكافر بالويل والثبور وقيل
لا يحتاج الى مفعول اذ حذف اقتصارا والمعنى كن مستمعا ولا تكن غافلا معرضا وقيل معنى واستمع وانتظر
والخطاب لكل سامع وقيل للرسول اي ارتقبه فان فيه تتبين صحة ما قلته كما تقول لمن تعده بورود
فتح استمع كذا وكذا اي كن منتظرا له مستمعا فيوم منتصب على انه مفعول به وقرا ابن كثير
المنادي بالياء وصلا ووقفا ونافع وابو عمرو بحذفها وقفا واثباتها وصلا وعيسى وطلحة والاعمش وباقي
السبعة بحذفها وصلا ووقفا اتباعا لخط المصحف ومن اثبتها فعلى الاصل ومن حذفها وقفا
فلان الوقف تغيير يبدل فيه التنوين الفا نصبا والتاء هاء ويشدد المخفف ويحذف في القوافي
والمنادي في الحديث ان ملكا ينادي من السماء ايتها الاجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة
هلموا الى الحشر والوقوف بين يدي الله تعالى من مكان قريب وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلايق
وقيل المنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي وقيل المنادي جبريل وقال كعب وقتادة وغيرهما
المكان صخرة بيت المقدس قال كعب قربها من السماء بثمانية عشر ميلا كذا في كتاب ابن عطية
وفي كتاب الزمخشري باثني عشر ميلا وهي وسط الارض انتهى ولا يصح ذلك الا بوحي يوم يسمعون
بدل من يوم ينادي والصيحة صيحة المنادي قيل يسمعون اقدامهم وقيل من تحت شعورهم وهي النفخة
الثانية وبالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر ذلك اي يوم النداء والسماع يوم الخروج
من القبور وقيل الاشارة بذلك الى النداء واتسع في الظرف فجعل خبرا عن المصدر او يكون على حذف
اي ذلك النداء نداء يوم الخروج او وقت النداء يوم الخروج وقرا نافع وابن عامر تشقق بشد الشين
وباقي السبعة بتخفيفها وقرئ تشقق بضم التاء مضارع شققت على البناء للمفعول وتنشق مضارع
انشقت وقرا زيد بن علي تتشقق بفك الادغام ذكره ابو علي الاهوازي في قراة زيد بن علي من اليقين
ويوم بدل من يوم الثاني وقيل المصير وانتصب سراعا على الحال من الضمير في عنهم والعامل تشقق
وقيل محذوف تقديره يخرجون فهو حال من الواو في يخرجون قاله الحوفي ويجوز ان يكون هذا المقدر
عاملا في يوم تشقق ذلك حشر علينا يسير فصل بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة وهو
علينا اي يسير علينا وحسن ذلك لاجل كون الصفة فاصلة وقال الزمخشري علينا يسير
تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك اليوم العظيم الا على القادر بالذات
الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
انتهى وهو على طريقته في ان تقديم المفعول وما اشبهه من دلالة ذلك على الاختصاص وقد
بحثنا معه في ذلك في سورة الفاتحة في اياك نعبد نحن اعلم بما يقولون هذا وعيد محض للكفار
وتهديد لهم وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار بمتسلط حتى تجبرهم على
الايمان قاله الطبري وقيل التحكم عليهم وترك الغلظة عليهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي من
لا يخاف الوعيد لكونه غير مصدق بوقوعه لا يذكر اذ لا تنفع فيه الذكرى كما قال وذكر فان الذكرى تنفع
المومنين وختمت بقوله فذكر بالقران كما افتتحت بقاف والقران المجيد
الحبك الطرايق مثل حبك الرمل والماء القايم اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر اثار تكسره وتثنيه
قال الشاعر مكلل باصول النجم ينسجه ... ريح خريق لضاحي مايه حبك ... والدرع محبوكة
لان حلقها مطرق طرايق وواحدها حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل قال الراجز

كأنما حالها الحوائك ٭ طنبعنسنه في وشيها حباك ٭ ويقال حباك للطرق التي تشد بها حظار القصب للظيرة تكون وهي مستطيلة تصنع في ترجيب العراسات المصطفة وقال ابن الاعرابي حبكت الشي احكمته واحسنت عمله قال الفرا الحبك تكسر كل شي وقال غيره المحبوك الشديد الخلق من فرس وغيره قال امرؤ القيس

٭ قد غدا يحملني في انفه ٭ لاحق الاطلين محبوك ممر ٭ المجهود النوم السمن سوف

وهو امتلا الجسد بالشحم واللحم يقال سمن سمنا فهو سمين سدو ذا في المصدر واسم الفاعل ويقال سمن وسمين وقالوا سالمن اذا حدث له السمن الذنوب الدلو العظيمة ٭ قال الراجز

٭ انا اذا نازلنا غريب ٭ له ذنوب ولنا ذنوب ٭ وان ابيتم فلنا القليب ٭ وانشد الزمخشري ٭ لنا ذنوب ولكم ذنوب ٭ ويطلق ويراد به الحظ والنصيب قال علقمة بن عبدة

٭ وفي كل قد خبطت بنعمة ٭ فحق لشاس من نداك ذنوب ٭ ونسبه الزمخشري لعمرو بن شاس وهو وهم وهو في ديوان علقمة وكان الحارث ابن ابي شمر الغساني اسر شاسا اخا علقمة فمدحه بالقصيدة التي فيها الغضبية هذا البيت فلما وصل الى هذا البيت في الانشاد قال الحارث نعم واذنبه وقال حسان ٭ لا يبعدن ربيعة بن مكرم ٭ وسقى الغوادي قبره بذنوب ٭ وقال اخر

٭ لعمرك والمنايا طارقات ٭ لكل بني اب منها ذنوب ٭

سورة والذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا ٭ فالحاملات وقرا ٭ فالجاريات يسرا ٭ فالمقسمات امرا ٭ انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ٭ والسما ذات الحبك ٭ انكم لفي قول مختلف ٭ يوفك عنه من افك ٭ قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون ٭ يسالون ايان يوم الدين ٭ يوم هم على النار يفتنون ٭ ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ٭ ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ٭ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون ٭ وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ٭ وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون ٭ وفي السما رزقكم وما توعدون فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ٭ هذه السورة مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها انه قال فذكر بالقران من يخاف وعيد وقال اول هذه بعد القسم انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ٭ والذاريات الرياح ٭ فالحاملات السحاب ٭ فالجاريات الفلك ٭ فالمقسمات الملايكة هذا التفسير على كرم الله وجهه على المنبر وقد ساله ابن الكوا وقاله ابن عباس وقال ابن عباس ايضا فالحاملات هي السفن الموقرة بالناس وامتعتهم وقيل الحوامل من جميع الحيوان وقيل الجاريات السحاب بالرياح وقيل بالجواري من الكواكب وادغم ابو عمرو وحمزة والذاريات في ذال ذروا وذروها تفريقها المطر والتراب وقرى بفتح الواو وتسمية المحمول بالمصدر ومعنى يسرا جوابا ذا يسر اي سهولة فيسرا مصدر وصف به على تقدير محذوف فهو على راي سيبويه في موضع الحال امرا تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها فامرا مفعول به وقيل مصدر منصوب على الحال اي مامورة ومفعول المقسمات محذوف وقال مجاهد يتولى امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وجا في الملايكة فالمقسمات على معنى الجماعات وقال الزمخشري ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشي السحاب وتقله وتصرفه ٭ وتجري في الجو باسهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب انتهى فاذا كان المدلول متغايرا فتكون اقساما متعاقبة واذا كان غير

متغاير

متغايرا في قسم واحد وهو من عطف الصفات اي ذرت اول هبوبها التراب والحصبا فاقلت السحاب فجرت في الجو باسطة للسحاب فقسمت المطر فهذا كقوله

٭ يا لهف زيابة للحارث ٭ الصابح فالغانم فالايب ٭ اي الذي صبح العدو فغنم منهم فاب الي قومه سالما غانما والجملة المقسم عليها وهي جواب القسم هي ٭ انما توعدون وما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف اي توعدونه ويحتمل ان تكون مصدرية اي ان وعدكم او وعيدكم اذ يحتمل توعدون الامرين ان تكون مضارع وعد ومضارع اوعد ويناسب ان يكون مضارع اوعد لقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد ولان المقصود التخويف والتهويل ومعنى صدقه تحقق وقوعه والمتصف بالصدق حقيقة هو المخبر وقال تعالى ذلك وعد غير مكذوب اي مصدوق فيه وقيل لصادق وضع اسم الفاعل موضع المصدر ولا حاجة الى هذا التقدير وقال مجاهد الاظهر ان الاية في الكفار وانه وعيد محض وان الدين اي الجزاء الواقع اي صادر حقيقة على المكلفين من الانس والجن والظاهر ان السما انه جنس اريد به جميع السموات وقال عبد الله بن عمرو بن العاص هي السما السابعة وقيل السحاب الذي يظل الارض ذات الحبك اي ذات الخلق المستوي الجيد قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والربيع وقال الحسن وسعيد بن جبير ذات الحبك اي الزينة بالنجوم وقال الضحاك ذات الطرائق يعني المجرة التي في السما وقال ابن زيد ذات الشدة لقوله سبعا شدادا وقيل ذات الصفاقة وقرا الجمهور الحبك بضمتين وابن عباس والحسن بخلاف عنه وابو مالك الغفاري وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو السمال ونعيم عن ابي عمرو باسكان البا وعكرمة بفتحها جمع حبكة مثل طرفة وطرف وابو مالك الغفاري والحسن بخلاف عنه بكسر الحا والبا وابو مالك الغفاري والحسن ايضا وابو حيوة بكسر الحا واسكان البا وهو تخفيف فعل المكسور هما وهو اسم مفرد لا جمع لان فعلا ليس من ابنية الجموع فينبغي ان يعد مع ابل فيما جا من الاسما على فعل بكسر الفا والعين وابن عباس ايضا وابو مالك بفتحهما قال ابو الفضل الرازي فهو جمع حبكة مثل عقبة وعقب انتهى والحسن ايضا الحبك بكسر الحا وفتح البا وقرا ايضا كالجمهور فصارت قراءته خمسا الحبك الحبك بكسر الحا وفتح البا وقرا ايضا كالجمهور الحبك بكسر الحا وضم البا وذكرها ابن عطية عن الحسن فتصير له ست قراءات وقال صاحب اللوامح وهو عديم النظير في العربية في ابنيتها واوزانها ولا ادري ما رواه انتهى وقال ابن عطية هي قراءة شاذة غير متوجهة وانها اراد كسرها ثم توهم الحبك قراءة الضم بعدان كسر الحا وضم البا وهذا على تداخل اللغات وليس في كلام العرب هذا البنا انتهى وهذا على توارد التخاة هو من الغوات والاحسن عندي ان تكون مما اتبع فيه حركة الحا لحركة ذات في الكسرة ولم يعتد باللام الساكنة لان الساكن حاجز غير حصين وجواب القسم انكم لفي قول مختلف والظاهر انه خطاب عام للمسلم والكافر كان جواب القسم السابق يشملهما واختلافهم كونهم مرضا بالرسول صلى الله عليه وسلم وكتابه وكافرا وقال ابن زيد يختص بالكفرة فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون وقال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما يكون متناقضا فتناقض اقوالهم مختلفا وقيل اختلافهم في الحشر منهم من ينفيه ومنهم من يشك فيه وقيل اختلافهم اقرارهم بان الله تعالى اوجدهم وعبادتهم غيره والاقوال التي يقولونها في الهتهم يوفك اي يصرف عنه اي عن القران والرسول قاله الحسن وقتادة من افك اي من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم لقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل من صرف في سابق علم الله تعالى

الله ما يؤفك عن الحق لا من غوى وقال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالسما
انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو
المافوك عنه محذوف وعن هنا للسبب والضمير عايد على قول مختلف اي يصرف بسببه من اراد
الاسلام بان يقول هو سحر كهانة حكاه الزهراوي والزمخشري واورده على عادته في ابدا ما هو محكي
عن غيره اي مخترعه وقال ابن عطية ويحتمل ان يعود على قول مختلف والمعنى يصرف عنه بتوفيق الله
الى الاسلام من غلبت سعادته وهذا على ان يكون في قول مختلف للكفار الا ان عرف الاستعمال
في افك الصرف من خير الى شر فلذلك لا تجده الا في المذمومين انتهى وفيه بعض تلخيص وقرا ابن جبير
وقتادة من افك مبنيا للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وقرا زيد بن علي يافك عنه من افك
اي يصرف الناس عنه من هو مافوك في نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك اي يصرف عنه
من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن بالنون فيهما اي يحرمه من افن الضرع اذا نهكه
حلبا ❊ قتل الخراصون اي قتل الله الخراصين وهم المقدرون ما لا يصح في غمرة في جهل يغمرهم
ساهون غافلون عن ما امروا به ايان يوم الدين اي متى وقت الجزا سوال تكذيب واستهزا وتقدمت
قراءة من كسر الهمزة في قوله ايان مرساها وايان يوم الدين فيكون الظرف محلا للمصدر وانتصب
يوم هم بمضمر تقديره هو كاين اي الجزا قاله الزجاج وجوزوا ان يكون خبر مبتدا محذوف اي
هو يوم هم والفتحة فتحة بنا لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة الاسمية ويؤيده قراءة ابن ابي عبلة
والزعفراني يوم هم بالرفع واذا كان ظرفا جاز ان تكون الحركة فيه حركة اعراب وحركة بنا وتقدم
الكلام على اضافة الظرف المستقبل الى الجملة الاسمية في نحو قوله تعالى يوم هم بارزون
وقال بعض النحاة يوم هم بدل من يوم الدين فيكون هذا حكاية من كلامهم على المعنى ويقولون ذلك
على سبيل الاستهزا ولو حكي اللفظ في قولهم لكان التركيب يوم نحن على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم اي
يقال لهم ذوقوا هذا الذي مبتدا وخبره قال الزمخشري ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا
هذا العذاب انتهى وفيه بعد والاستعجال هنا استعجال سخرية ومعنى يفتنون يعذبون في النار ولما
ذكر حال الكفار ذكر حال المومنين وانتصب اخذين على الحال اي قابلين لما اعطاهم راضين به وذلك في الجنة
وقال ابن عباس اخذين اي في دنياهم ما اتاهم ربهم من اوامره ونواهيه وشرعه فالحال محكية لتقدمها
في الزمان على كونهم في الجنة والظاهر ان قليلا ظرف وهو في الاصل صفة اي كانوا في قليل من الليل
ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا وما زايدة في كلا الاعرابين وفسر
انس بن مالك فقال كانوا يتنفلون بين المغرب والعشا ولا يدل لفظ الاية على الاقتصار على هذا التفسير
وقال الربيع بن خثيم كانوا يصيبون من الليل حظا وقال مطرف ومجاهد وابن ابي نجيح قل ليلة
اتت عليهم هجوعا كلها وقال الحسن كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا وقال الضحاك
كانوا قليلا اي في عددهم ثم ابتدا من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا وقف حسن وهذا
القول فيه تفكيك للكلام وتقديم معمول العامل المنفي بما على عامله وذلك لا يجوز عند البصريين ولو كان
ظرفا او مجرورا وقد اجاز ذلك بعضهم وجا في الشعر في قوله
❊ اذا هي قامت حاسرا مشمعلة ❊ يخيب الفواد راسها ما تقنع ❊ فقدم راسها على ما
تقنع وهو منفي بما وجوزوا ان تكون ما مصدرية في موضع رفع بقليلا اي كانوا قليلا هجوعهم وهو
اعراب سهل حسن وان تكون ما موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف تقديره كانوا قليلا من

من الليل من الوقت الذي يهجعون فيه وفيه تكلف ومن الليل يدل على انهم مشغولون بالعبادة في اوقات
الراحات وسكون الانفس من مشاق النهار وبالاسحار هم يستغفرون فيه ظهور على تهجدهم يتصل
بالاسحار فياخذون في الاستغفار مما يمكن ان يقع فيه تقصير وكانهم اجرموا في تلك الليالي والاسحار
مظنة الاستغفار وقال ابن عمر والضحاك يستغفرون يصلون وقال الحسن يدعون في طلب
المغفرة والظاهر قيام الليل وهذا الحق في المال هو من المندوبات واكثر ما تقع زيادة الثواب
بفعل المندوب وقال القاضي منذر بن سعيد هذا الحق هو الزكاة المفروضة وضعف بان
السورة مكية وفرض الزكاة بالمدينة وقيل كان فرضا ثم نسخ وضعف بانه تعالى لم يشرع شيئا بمكة
قبل الهجرة من اخذ الاموال والسايل الذي يستعطي والمحروم لغة الممنوع من الشي قال علقمة
❊ ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه ❊ اني توجه والمحروم محروم ❊ واما في الاية فالذي يحسب
غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وقيل الذي تبعد منه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله الحرمان
وقال ابن عباس المحارف الذي لا يتيسر له في الاسلام سهم قال وقال زيد بن اسلم هو الذي اجيحت
ثمرته وقيل الذي ماتت ماشيته وقال عمر بن عبد العزيز هو الكلب وقيل الذي لا ينمي له مال
وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وقيل غير ذلك وكل هذه الاقوال على سبيل التمثيل لا التعيين وتجمعها
الذي لا يكاد يكسب وكل هذه الاقوال على سبيل التمثيل لا التعيين ويجمعها انه الذي امال الحرمان به اصابه
وفي الارض ايات تدل على الصانع وقدرته وتدبيره من حيث هي كالبساط لما فوقها وفيها الفجاج
للسلاك وهي متجزية من سهل ووعر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة ومنبتة
وسبخة وتلقح بانواع النبات وفيها العيون والمعادن والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الاشكال
وقرا قتادة اية على الافراد ❊ للموقنين وهم الذين نظروا النظر الصحيح وادام ذلك الى ايقان ما جات
به الرسل فازدادوا يقينا لم يدخلهم ريب ❊ وفي انفسكم حال ابتدايها وانتقالها من حال الى حال وما اودع
في شكل الانسان من لطايف الحواس وما ترتب على العقل الذي اوتيه من بدايع العلوم وغرايب
الصنايع وغير ذلك مما لا يحصره ❊ وفي السماء رزقكم قال الضحاك ومجاهد وابن جبير المطر والثلج لانه
سبب الاقوات وكل عين دايمة من الثلج وقال مجاهد ايضا وواصل الاحدب اراد القضا والقدر اي
الرزق عند الله ياتي به كيف شا وما توعدون الجنة او هي النار او امر الساعة او من خير وشر او من
ثواب وعقاب اقوال المراد بها التمثيل لا التعيين وقرا ابن محيصن ارزاقكم على الجمع والضمير
في انه عايد على القران او الى الدين الذي في قوله وان الدين لواقع او الى اليوم المذكور في قوله ايان يوم الدين
او الى الرزق او الى الله او الى النبي صلى الله عليه وسلم اقوال منقولة والذي يظهر انه عايد على الاخبار
السابق من الله تعالى فيما تقدم في هذه السورة من صدق الموعود ووقوع الجزا وكونهم في قول
مختلف وقتل الخراصون وكينونة المتقين في الجنة على ما وصف وذكر اوصافهم وما ذكر بعد ذلك والا لكم
يشبه في الحقيقة بالصور من نطق الانسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر والحسين وابن ابي اسحاق والاعمش بخلاف عن ثلاثتهم مثل بالرفع صفة لقوله لحق وباقي
السبعة والجمهور بالنصب وقيل هي فتحة بنا وهو نعت كحاله في قراءة من رفع ولما اضيف الى غير
متمكن بني وما على هذا الاعراب زايدة للتوكيد والاضافة هي الى انكم تنطقون وقال المازني بني مثل
لانه ركب مع ما فصارا شيا واحدا ومثله ويحما وهيما وايما قال حميد بن ثور
❊ الا هيما مما لقيت وهيما ❊ وويحا لمن لم يدر ما هن ويحما ❊ قال فلولا البنا لكان منونا
وقال الشاعر فاكرم بنا اما ❊ واكرم بنا ابنما ❊ انتهى هذا التخريج وابنما البس ابنا بني مع ما

بل هذا من باب ر باذه الميم فيه واتباع ما في الاجزاء جعل في الميم الاعراب تقول هذا ابنم ورايت
ابنما ومررت بابنم وليست كما في الثلاثة في انها مركبة معرب ما قال ابن الفتحة في انها حركة اعراب وهو
منصوب على التبيين وانشد النحويون في بناء الاسم مع الحرف قول الراجز
اثورا ما اصيدكم او ثورين ام هذه الجماوات القرنين
وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره انه لحق حقا مثل ما انكم تنطقون محركته حركة اعراب
وقيل انتصب على انه حال من الضمير المستكن في لحق وقيل حال من الحق وان كان نكرة فقد اجاز ذلك
الجرمي وسيبويه في مواضع من كتابه والنطق هنا عبارة عن الكلام بالحروف والاصوات ترتيب
المعاني ويقول الناس هذا حق كما انك هاهنا وهذا حق كما انك هنا تري وتسمع وهذا كما في الاية وما ابره
بنص الخليل ولا يحفظ حذفها فتقول هذا حق كانك هاهنا والكوفيون يجعلون مثلا فينصبونه
على الظرف ويجيزون زيد مثلك بالنصب فعلى مذهبهم يجوز ان تكون مثل فيها منصوبا على
الظرف واستدلالهم والرد عليهم مذكور في كتب النحو ومن كلام بعض الاعراب
من ذا الذي الجا الخليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجوه الى اليمين
قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون
فراغ الى اهله فجا بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا
كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها
من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب
الاليم وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر
او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فاخذتهم
الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل
انهم كانوا قوما فاسقين هل اتاك تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدا المراة اذا اردت ان
تحدثه بعجيب فتقرره هل سمع ذلك ام لا فكانك تقتضي ان يقول لا ويستطعم الحديث وفيه
وفيه تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي
وضيف للواحد والجماعة فيه سوا وبدا بقصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كانت
متاخرة عن قصة عاد هزا للعرب اذ كان اباهم الاعلى ولكون الرسل الذين وفدوا عليه جاوا باهلاك
قوم لوط اذ كذبوه ففيه وعيد للعرب وتهديد واتعاظ وتسلية للرسول صلى الله عليه
وسلم على ما يجري عليه من قومه ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند الله تعالى كقوله تعالى في
في الملائكة بل عباد مكرمون قال الحسن وهي صفة سابقة فيهم او لاكرام ابراهيم اياهم اذ خدمهم
بنفسه وزوجته سارة وعجل لهم القرى وقيل لكونه رفع مجالسهم في صفة حادثة وقرا عكرمة
المكرمين بالتشديد واطلق عليهم ضيف لكونهم في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لحسبانه
لذلك وتقدم ذكر عددهم في سورة هود واذ معمولة للمكرمين اذا كانت صفة حادثة
بفعل ابراهيم والا فباضيف عن معنى الفعل او باضمار اذكر وهو اقوال منقولة وقرا الجمهور قالوا
سلاما بالنصب على المصدر الساد مسد فعله المستغنى به قال سلام بالرفع وهو مبتدا محذوف

الخبر تقديره عليكم سلام قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه اخذا بادب الله تعالى اذ سلاما
دعا وجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي امري سلام وسلام جملة خبرية قد تحصل
مضمونها ووقع وقال ابن عطية ويتجه ان يعمل في سلاما قالوا على ان تجعل سلاما في معنى قولا
ويكون المعنى حينئذ انهم قالوا تحية وقولا معناه وسلاما وهذا قول مجاهد وقرا ابن
وثاب والنخعي وابن جبير وطلحة قال سلم بكسر السين واسكان اللام والمعنى نحن سلم او انتم
سلم وقريا مرفوعين وقري سلاما قالوا سلما بنصبهما وكسر سين الثاني وسكون لامه
قوم منكرون قال ابو العالية انكر سلامهم في تلك الارض وذلك الزمان وقيل لانه لم يعرفهم ولا عهد لنا
بهم وقيل كان هذا سوالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم وقوم خبر مبتدا محذوف
قدره انتم والذي يناسب حال ابراهيم عليه السلام انه لا يخاطبهم بذلك اذ فيه من عدم الانس
ما لا يخفى بل يظهر انه يكون التقدير هولاء قوم منكرون وقال ذلك مع نفسه او لمن كان معه
من اتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الاضياف فراغ الى اهله اي مضى اثنا حديثه مختفيا
مضيه مستعجلا فجا بعجل سمين ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادر بالقرى من غير
ان يشعر به الضيف حذرا من ان يمنعه الضيف ان يجي بالضيافة وكونه عطف فجا على فراغ يدل على سرعة
مجيئه بالقرى وانه كان معدا عنده لمن يرد عليه وقال في سورة هود فما لبث ان جا بعجل حنيذ العجل
وهذا يدل اي صلب على انه كان سابقا سنية قيل مجيئهم وقال قتادة كان غالب مال ابراهيم البقر وفيه
دليل على انه يحضر للضيف اكثر مما ياكل وكان عليه الصلاة والسلام مضيافا وحسبك وقف للضيافة
اوقافا تمضيها الامم على اختلاف اديانها واجناسها فقربه اليهم فيه ادب المضيف من تقريب القرى
لمن ياكل وفيه العرض على الاكل فان في ذلك تانيسا للاكل بخلاف من قدم طعاما ولم يحث على اكله
قال الخاص فقد يتوهم انه قدمه على سبيل التجمل عسى ان يمتنع الحاضر من الاكل وهذا موجود في
طباع بعض الناس حتى ان بعضهم اذا الح الحاضر وتمادى في الاكل اخذ من احسن ما احضره واجزله
فيعطيه لغلامه برسم رفعه لوقت اخر يختص هو باكله وقيل الهمزة في الا للانكار وكانه ثم
محذوف تقديره فامتنعوا من الاكل فانكر عليهم ترك الاكل فقال الا تاكلون وفي الحديث انهم قالوا انا
لا ناكل الا ما ادينا ثمنه فقال لهم واني ما ابيحه لكم الا بثمن قالوا وما هو قال ان تسموا الله عز وجل
عند الابتدا وتحمدوه عند الفراغ من الاكل فقال بعضهم لبعض بحقا اتخذه الله خليلا فاوجس
منهم خيفة اي فلما استمروا على الامتناع من الاكل اوجس منهم خيفة وذلك ان اكل الضيف امنة
ودليل انبساط لنفسه وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة فخشي ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ان امتناعهم من اكل طعامه انما هو لشر يريدونه فقالوا لا تخف وعرفوه
انهم ملائكة وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعلمهم بما اضمروا في نفسه
من الخوف الا يكون باطلاع ملائكة الله عليه ما في نفسه او بظهور اماراته في الوجه فاستدلوا بذلك
على الباطن وعن يحيى بن شداد مسح جبريل بجناحه العجل فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم
اي يكون عليما وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلما وعن الحسن عليم نبي والجمهور على ان الغلام
المبشر به هو اسحاق ابن سارة وقال مجاهد هو اسماعيل وقيل علم انهم ملائكة من حيث
بشروه بغيب ووقعت البشارة بعد التانيس والجلوس وكانت البشارة بذكر لانه اسر للنفس
وابهج ووصفه بعليم لانها الصفة التي يختص بها الانسان الكامل الا بالصورة الجميلة والقوة
فاقبلت امراته في صرة اي الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم وتسمع كلامهم وقيل فاقبلت اي

اي شرعت في الصياح وقيل وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحيا والصرة قال ابن عباس
ومجاهد والضحاك وسفيان الصيحة قال الشاعر •
فالحقنا بالهاديات ودونه • جواحرها في صرة لم تزيل • وقال قتادة وعكرمة
الرنة قالت آوّه بصياح وتعجب وقال ابن بحر الجماعة اي من نسوة تبادروا نظروا الى الملائكة وقال
الجوهري الصرة الصيحة والجماعة والشدة فصكت وجهها اي لطمته قاله ابن عباس وكذلك كان يفعل
من يرد عليه امر يستهوله ويتعجب منه وهو فعل النسا اذا تعجبن من شي وقال السدي والسفيان
ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الان وقالت عجوز عقيم اي انا قد اجتمع فيها
انها عجوز وذلك مما يمنع الولادة وانها عقيم وهي التي لم تلد قط فكيف الد تعجبت من ذلك
قالوا كذلك اي مثل القول الذي اخبرناك به • قال ربك وهو القادر على ايجاد ما يستبعد وروي
ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة
مثمرة انه هو الحكيم اي ذو الحكمة العليم بالمصالح ولما علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام انهم ملائكة
وانهم لا ينزلون الا باذن الله تعالى رسلا قال • فما خطبكم المرسلون قوم مجرمين اي ذوي جرائم وهي كبار
المعاصي من كفر وغيره • لنرسل عليهم اي لنهلكهم بها حجارة من طين وهو السجيل طين يطبخ
كما يطبخ الاجر حتى يصير في صلابة الحجارة مسومة معلمة على كل واحد منها اسم صاحبه وقيل
معلمة انها من حجارة العذاب وقيل معلمة انها ليست من حجارة الدنيا • للمسرفين وهم المجاوزون
الحد في الكفر • فاخرجنا من كان فيها في القرية التي حل العذاب باهلها غير بيت هو بيت لوط
عليه السلام وهو لوط وابنتاه فقط وقيل ثلاثة عشر نفسا وقال الرماني الاية تدل
على ان الايمان هو الاسلام وكذا قال الزمخشري وهما معتزليان • وتركنا فيها اي في القرية اية علامة
قال ابن جريج حجرا كبيرا جدا منضودا وقيل ما اسود منتن ويجوز ان يكون فيها عائد على الاهلكة
التي اهلكوا بها فانها من اعاجيب الاهلاك بجعل اعالي القرية اسافل وامطارها الحجارة والظاهر ان
قوله وفي موسى معطوف على وتركنا فيها اي في قصة موسى وقال الزمخشري وابن عطية
يكون عطفا على وفي الارض ايات للموقنين وفي موسى وهذا بعيد جدا ينزه القران عن مثله
وقال الزمخشري ايضا او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله
علفتها تبنا وماء باردا انتهى ولا حاجة الى اضمار وتركنا لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور وتركنا
فتولى بركنه اي ازور واعرض كما قال ونأى بجانبه وقيل بقوته وسلطانه وقال ابن زيد
بركنه بجموعه وقال قتادة بقومه وقال ساحر او مجنون ظن احدهما وتعمد الكذب وقد علم انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو ويدل على ذلك انه قد قالهما
قال ان هذا لساحر عليم وقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون واستشهد ابو عبيدة
بقول جرير • اثعلبة الفوارس او رياحا • عدلت بهم طهية والخشابا •
ولا ضرورة تدعوا الى جعل او بمعنى الواو ويكون قالهما وابهم على السامع فاو للابهام • وهو مليم اي
اتى من المعاصي ما يلام عليه العقيم التي لا خير فيها من انشا مطر او لقاح شجر وفي الصحيح نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقول مكي ذهبت الى انها الصبا والجنوب والنكبا وهي ريح بين ريحين
نكبت عن سمت القبلة فسميت نكبا ليس بصحيح لمعارضته للنص الثابت عن الرسول صلى الله
عليه وسلم انها الدبور ما تذر من شي اتت عليه وهو عام مخصوص كقوله تدمر كل شي اي مما اراد
الله تدميره من ناس او ديار او شجر او نبات لانه لم يرد الله بها اهلاك الجبال والاكام والصخور والعالم

الذي

الذي لم يكن من قوم عاد الا جعلته كالرميم جملة حالية • والرميم تقدم تفسيره في يس وهنا
قال السدي التراب وقتادة الهشيم ومجاهد البالي وقطرب الرماد وابن عيسى المنسحق
الذي لا يرم جعل الهمزة تجارم للسبب • روي ان الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من قوم
عاد فتنتزعه من بينهم وتهلكه • تمتعوا حتى حين • قال الحسن هذا كان حين بعث اليهم
صالح امروا بالايمان بما جا به والتمتع الى ان تاتي اجالهم ثم انهم عتوا بعد ذلك ولذلك جا العطف
بالفا المقتضية تاخر العتو عما امروا به فهو مطابق لفظا ووجودا وقال الفرا هذا الامر بالتمتع
كان بعد عقر الناقة والحين ثلاثة ايام التي اوعدوا فيها بالعذاب فالعتو كان قد تقدم فقيل
ان يقال لهم تمتعوا واضمرت ان تدعوا القول الفرا اذ هو غير مرتب في الموجود وقرا الجمهور الصاعقة
وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما والكسائي الصعقة وهي الصيحة هنا وقرا الحسن الصاعقة وزيد
بن علي كقراءة الكسائي • وهم ينظرون اي فجاة وهم ينظرون بعيونهم قاله الطبري وكانت نهارا
وقال مجاهد وهم ينظرون ينتظرون ذلك في تلك الايام الثلاثة التي اعلموه فيها ورا وعلاماته في
تلونهم وانتظار العذاب • فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين ونفي الاستطاعة
ابلغ من نفي القدرة • وما كانوا منتصرين ابلغ من نفي الانتصار اي ما قدروا على الهرب ولا كانوا ممن
ينتصر لنفسه فيدفع ما حل به من قيام هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه فليس المعنى
انتصاب القامة قاله قتادة وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وقوم بالجر عطفا على ما تقدم
اي وفي قوم نوح وهي قراءة عبد الله وقراها في الصعقة وابو عمرو في رواية بالنصب فقيل
عطفا على الضمير في فاخذتهم وقيل عطفا على فنبذناهم لان معنى كل منهما فاهلكناهم وقيل
منصوب باضمار فعل تقديره واهلكنا قوم نوح لدلالة معنى الكلام عليه وقيل باذكر مضمرة
وروى عبد الوارث ومحبوب والاصمعي عن ابي عمرو وابو السمال وابن مقسم وقوم نوح بالرفع على
الابتدا والخبر محذوف اي اهلكناهم قوله تعالى والسما بنيناها بايد وانا لموسعون
والارض فرشناها فنعم الماهدون • ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون • ففروا الى
الله اني لكم منه نذير مبين • ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين • كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون • اتواصوا به بل هم قوم طاغون • فتول
عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المومنين • وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين • فان للذين
ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون • فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون
اي وبنينا السما فهو من باب الاشتغال وكذا والارض فرشناها وقرا ابو السمال ومجاهد
وابن مقسم برفع السما ورفع الارض على الابتدا بايد اي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو
كقوله داود ذا الايد • وانا لموسعون اي بنيناها فالجملة حالية اي بنيناها موسعوها كقوله
جا زيد وانه لمسرع اي مسرعا في بجنبات الارض وما يحيط بها من الما والهوى كالنقطة
وبسط الدايرة وقال ابن زيد فرشناها من هذا وهو ان الموسع راجع الى السما وقيل لموسعون
قوة وقدرة اي لقادرون وعن الحسن وهو الطاقة وقال الحسن وسعوا الرزق بالمطر والماء فنعم
الماهدون اي نحن خلقنا زوجين قال مجاهد اشارة الى المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار
والشقوة والسعادة والهدى والضلال والسما والارض والسواد والبياض والصحة والمرض
والكفر والايمان ونحو ذلك ورجح الطبري بانه اشارة الى الذكر والانثى لتوجد الضدين بخلاف ما يفعل

بطبعه كالتسخير والتبريد ومثل الحسن بابا بينيا مما تقدم وقال كلا اثنين منها زوج والله
تعالى فرد لا مثل له وقال ابن زيد وغيره من كل شي اي من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وقيل
المراد بالشي الجنس وما يكون تحت الجنس نوعان فمن كل جنس خلق نوعين من الجواهر مثل النامي
والجامد ومن النامي المدرك والنبات ومن المدرك الناطق والصامت وكل ذلك يدل على انه فرد
لا كثرة فيه لعلكم تذكرون اي بانى بانى السما وفارش الارض وخالق الزوجين تعالى ان يكون
له زوج اذ تذكرون انه لا يعجز عن حشر الاجساد وجمع الارواح وقيل اي تتذكرون بنا بين وتخفيف
الذال وقيل ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ٥ ففروا الى الله امر بالدخول في الايمان
وطاعة الله وجعل الامر بذلك بلفظ الفرار لينبه على ان وراء الناس عقاب وعذاب وامرا حقه
ان يفر منه فجمعت لفظة ففروا بين التحذير والاستدعاء وينظر الى هذا المعنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا ملجا ولا منجا منك الا اليك قاله ابن عطية وهو تفسير حسن وقال
الزمخشري الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيئا
وكرر اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل
كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله انتهى
وهو على طريق الاعتزال وقد رددنا عليه في قوله في تفسير قوله لا ينفع نفسا ايمانها في موضع هذه
الاية كذلك اي الامر الامم السابقة عند مجي الرسل اليهم مثل الامر من الكفار الذين بعثت
اليهم وهو التكذيب ساحر او مجنون او للتفصيل اي قال بعض ساحر وقال البعض مجنون
وقال بعض كلاهما الا ترى الى قوم نوح عليه الصلاة والسلام لم يقولوا عنه انه ساحر بل
قالوا به جنة بجمعوا في الضمير ودلت او على التفصيل ٥ اتواصوا به اي بذلك القول وهو توقيف
وتعجيب من توارد نفوس الكفرة على تكذيب الانبيا مع افتراق ازمانهم ٥ بل هم قوم طاغون
لم يتواصوا به لانهم لم يكونوا في زمان واحد بل جمعتهم علة واحدة وهي كونهم طغاة فهم مستعلون
في الارض يفسدون فيها عاتون ٥ فتول عنهم اي اعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم
يجيبوا فما انت بملوم اذ قد بلغت ونصحت وذكر فقط تنفع المومنين تؤثر فيهم وفيمن
قدر الله ان يومن وما دل عليه الظاهر من الموادعة منسوخ باية السيف وعن علي
كرم الله وجهه لما نزل فتول عنهم حزن المسلمون وظنوا انه امر بالتولي عن الجميع وان الوحي
قد انقطع نزلت وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فسروا بذلك ٥ الا ليعبدون اي وما
خلقت الجن والانس الطايعين قاله زيد بن اسلم وسفين ويويده رواية ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الا امرهم ان يعبدوا ديني   وقال علي وابن
وليقروا الى بالعبادة فعبر بقوله ليعبدون اذ العبادة هي مضمن الامر فعلى هذا الجن والانس
عام وقيل يحتمل ان يكون المعنى الا معدين ليعبدون وكان الاية تعديد نعمة اي خلقت لهم حواس
وعقولا واجساما منقادة نحو العبادة كما تقول هذا مخلوق لكذا وان لم يصدر منه
الذي خلق له كما تقول القلم بري لان يكتب به وهو قد يكتب به وقد لا يكتب به وقال
الزمخشري الا لاجل العبادة ولما اراد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم
لكانوا كلهم عبادا قلت انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم
ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجا انتهى لوجدت

من جيبهم

جيبهم انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال مجاهد الا ليعبدون ليعرفون وقال ابن زيد لاحملهم
في العبادة على الشقاوة والسعادة وقال الربيع ابن انس الا للعبادة قال وهو ظاهر اللفظ
وقيل الا ليذلوا على نفضاي وقال الكلبي الا ليوحدون فالمومن يوحده في الشدة والرخا والكافر
في الشدة وقال عكرمة ليطيعون فاثيب العابد واعاقب الجاحد وقال مجاهد ايضا الا للامر
والنهي ٥ ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم ٥ وما اريد ان يطعمون اي ان
يطعموا خلقي فهو على حذف مضاف فالاضافة الى الضمير تجوز قاله ابن عباس وقيل ان يطعمون
ينفعون فذكر جزءا من المنافع وجعله دالا على الجميع ٥ وقال الزمخشري يريد ان شاني مع عبادي
ليس كشان السادة مع عبيدهم لان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم
وارزاقهم فاما مجهز لتجارة ليفي ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع
باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن
التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا
بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم
ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي انتهى وهي تنسكه
وخطابه وقرا ابن محيصن الرازق كما قرا وفي السما رازقكم اسم فاعل وهي قراءة حميد وقرا
الاعمش وابن وثاب المتين بالجر صفة للقوة على معنى الاقتدار قاله الزمخشري او كانه قال
ذو الايد واجاز ابو الفتح ان تكون صفة لذو وخفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب
فان للذين ظلموا اهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ذنوبا
اي حظا ونصيبا مثل ذنوب اصحابهم من الامم السابقة التي كذبت الرسل في الاهلاك
والعذاب وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم وقال الجوهري الذنوب الدلو
الملاى ماء ولا يقال لها ذنوب وهي فارغة وجمعها في العدد وفي الكثير ذنايب والذنوب الفرس
الطويل الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم اسفل المتن وقال ابن الاعرابي يقال يوم
ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي ٥ فويل للذين كفروا من يومهم قيل يوم بدر وقيل يوم القيمة
الذي يوعدون اي بدا او يوعدونه المعربات الرق بالفتح والكسر جلد رقيق يكتب
فيه وجمعه رقوق والرق بالكسر المملوك ٥ مار الشي ذهب وجا ٥ وقال الاخفش وابو عبيدة
تكفا ٥ وانشد للاعشى ٥ كان مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريب ولا عجل ٥
ويروى مور السحابة الدع الدفع في العنق بشدة واهانة ٥ السموم الريح الحارة التي تدخل
المسام ويقال سم يومنا فهو مسموم والجمع سموم ٥ وقال ثعلب شدة الحر وشدة البرد
في النهار وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار
وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس اكثر المنون الدهر وريبه حوادثه
وقيل اسم للموت ٥ المسيطر المتسلط وحكى ابو عبيدة سيطرت علي اذا اتخذتني خولا ولم يات
في كلام العرب اسم على مفيعل الا خمسة مهيمن ومجيمر ومبيطر ومسيطر ومبيقر
فالمجيمر اسم جبل والبواقي اسما فاعلين والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة والطور

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والطور وكتاب
مسطور في رق منشور ٥ والبيت المعمور ٥ والسقف المرفوع ٥ والبحر المسجور ٥ ان

ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السما مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ
للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون
افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم انما تجزون ما كنتم
تعملون ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا
واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين امنوا
واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شي كل امري بما كسب رهين
وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم
غلمان لهم كانهم لولو مكنون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم هذه السورة
مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة اذ في اخر تلك فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم وقال
قتادة ان عذاب ربك لواقع الطور الجبل والظاهر انه اسم جنس لا جبل معين وفي الشام
جبل يسمى الطور وهو طور سينا فقال نوف البكالي انه الذي اقسم الله به لفضله على الجبال قيل
وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وكتاب مسطور القران او المنتسخ من
اللوح المحفوظ او التوراة او هي والانجيل والزبور او الكتاب الذي فيه اعمال الخلق او الصحف التي تعطى
يوم القيامة والتنكير اقوال اخرها للفرا وينبغي ان يحمل شي منها على التعيين انما تورد على الاحتمال
وقرا ابو السمال في رق بكسر الرا منشور اي مبسوط وقيل مفتوح لا ختم عليه وقيل منشور
لايح وعن ابن عباس منشور ما بين المشرق والمغرب والبيت المعمور قال علي وابن عباس وعكرمة
هو بيت في السما مسامت الكعبة يقال له الضراح والضريح ايضا وهو الذي ذكر في حديث الاسرا
قال جبريل هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون غلظه البالغ
ما عليهم وقال مجاهد وقتادة وابن زيد في كل سما بيت معمور وفي كل ارض كذلك وسال
ابن الكوا عليا رضي الله تعالى عنه فقال بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح
وقال الحسن البيت المعمور الكعبة يعمره الله كل سنة بستمائة الف فان عجز من الناس
اتمه الله بالملايكة والسقف المرفوع السما وقال ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة
والبحر المسجور قال مجاهد وشمر ابن عطية والضحاك ومحمد بن كعب والاخفش هو البحر الموقد
نارا وروي ان البحر هو جهنم وقال قتادة البحر المسجور المملو وهذا معروف من اللغة ورجحه
الطبري بوجود ما البحر كذلك وهو ايضا في ما قاله مجاهد لان سجرت التنور معناه ملاته بما يحترق
وقال ابن عباس المسجور الذي ذهب ماوه وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال
خرجت امة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ وليس لذي الرمة حديث الا هذا
فيكون من الاضداد وروي ان البحار يذهب ماوها يوم القيامة وقال ابن عباس ايضا
المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهي القلادة من عود او حديد تمسكه ولولا ان البحر
يمسك لفاض على الارض وقال الربيع المسجور المختلط العذب بالمالح وقيل المفجور ويدل
عليه واذا البحار فجرت والجمهور على ان البحر المقسم به هو بحر الدنيا ويؤيده واذا البحار سجرت وعن
علي وابن عمر انه في السما تحت العرش فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة
الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وقال قتيبة بن سعيد هو جهنم وسماها بحرا لسعتها
وتموجها كما في الفرس وان وجدناه لبحرا وقيل ويحتمل ان تكون الجملة في القسم بالمسطور والبيت

والبحر

والبحر لكونها اماكن خلوة مع الله تعالى خاطب بها ربهم رسله فالطور قاله فيه موسى ارني انظر اليك
والبيت المعمور لمحمد صلى الله عليه وسلم والبحر المسجور ليونس قال لا اله الا انت سبحانك فشرفت
هذه الاماكن بهذه الاسباب والقسم بكتاب مسطور لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام كان لهم
مع الله في هذه الاماكن كلام واقترانه بالطور دل على ذلك والقسم بالسقف المرفوع لبيان رفعة
البيت المعمور انتهى ونكر وكتاب لانه شامل لكل كتاب انزله الله لشمول البدل ويحتمل شمول
العموم كقوله علمت نفس ما احضرت وكونه في رق يدل على ثبوته وانه لا يتخطى الدروس ووصف
بمنشور يدل على وضوحه فليس كالكتاب المطوي الذي لا يعلم ما انطوى عليه والمنشور يعلم ما فيه
ويتبين من مطالعة ما تضمنه والواو الاولى واو القسم وما بعدها للعطف والجملة المقسم عليها هي
قوله ان عذاب ربك لواقع وفي اضافة العذاب لقوله ربك لطيفة اذ هو المالك والناظر في مصلحة
العبد فبالاضافة الى الرب واضافته لكاف الخطاب امان له صلى الله عليه وسلم وان العذاب
الواقع هو بمن كذبه ولواقع على الشدة وهو ادل عليها من لكاين الا ترى الى قوله اذا وقعت الواقعة
وقوله وهو واقع بهم كانه مهيا في مكان مرتفع فيقع على من حل به وعن جبير بن مطعم قدمت
المدينة لاسال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فوافيته يقرا في صلاة
المغرب والطور الى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت خوفا من نزول
العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب وقرا زيد بن علي واقع بغير لام
قال قتادة يريد عذاب الاخرة اي للكفار اي لواقع للكفار ومن غريب ما يحكى ان شخصا
راى في النوم مكتوبا في كفه خمس واوات فعبر له بخير فسال ابن سيرين فقال
تهيا لما لا يسر فقال له من اين اخذت هذا فقال من قوله تعالى والطور الى ان عذاب
ربك لواقع فما مضى يومان او ثلاثة حتى احيط بذلك الشخص وانتصب يوم بدافع قاله
الحوفي وقال مكي لا يعمل فيه واقع ولم يذكر دليل المنع وقيل هو منصوب بقوله وينبغي ان
يكون ما له من دافع على هذا جملة اعتراض بين العامل والمعمول قال ابن عباس تضطرب تمور
وقال ايضا تشقق وقال الضحاك يموج بعضها في بعض وقال مجاهد تدور وتسير الجبال سيرا هذا
في اول الامر ثم تنسف حتى تصير اخرا كالعهن المنفوش فويل عطف على جملة تتضمن ربط
المعنى وتاكيده والخوض التخبط في الباطل وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل يوم يدعون
وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم
الى النار دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم وقرا علي والسلمي وابو رجا وزيد بن علي يدعون بسكون
الدال وفتح العين من الدعا اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوها دعا مدعوعين فقال لهم هذه النار
لما قيل لهم ذلك وقفوا بعد ذلك على الجهتين اللتين يمكن دخول الشك في انها النار وهي اما ان يكون
سحر يلبس ذات المرئي واما ان يكون في نظر الناظر بنظر اختلال فامرهم بصليها على جهة
التقريع ثم قيل لهم على قطع رجائهم فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم عذابكم حتم فسوا صبركم
وجزعكم لا بد من جزا اعمالكم قاله ابن عطية وقال الزمخشري افسحر هذا كنتم تقولون للوحي
هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون
كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم
فان قلت لم علل استوا الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت
لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة وان يجازي عليه الصابر جزا فاما الصبر

فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزا ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع انتهى وسوا
خبر مقدم ونصرا مبتدا والخبر محذوف اي الصبر والجزع وقال ابو البقا خبر مبتدا محذوف
اي صبركم وتركه سوا ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المومنين ليتبع الترغيب والترهيب وهو اخبار
عن مايوول اليه حال المومنين اخبر والملك ويجوز ان يكون من جملة القول للكفار اذ ذاك
زيادة في غمهم وتنكيدا لهم والاول اظهر وقرا الجمهور فكهين نصبا على الحال والخبر في جنات
ونعيم وقرا خالد بالرفع على انه خبران وفي جنات متعلق به ومن اجاز تعدد الخبر اجاز ان يكونا
ظرفين ووقاهم معطوف على في جنات اذ المعنى استقروا في جنات او على اتاهم وما مصدرية
اي فكهين باتيانهم ربهم النعيم ووقايتهم عذاب الجحيم وجوزوا ان تكون الواو في ووقاهم واو
الحال ومن شرط قد في الماضي فال هنا هي مضمرة اي وقد وقاهم وقرا الواحبون ووقاهم
بالتشديد الكاف كلوا واشربوا على اضمار القول اي يقال لهم هنيا قال الزمخشري اكلا وشربا
هنيا او طعاما وشرابا هنيا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله

هنيا مريا غير داء مخامر . لعزة من اعراضنا ما استحلت .

اي صفة استعملت استعمال المصدر القايم مقام الفاعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل
كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا ولذلك معنى هنيا ههنا هناكم الاكل والشرب او هناكم
بما كنتم تعملون اي جزا ما كنتم والباء مزيدة كما في كفى بالله والبا متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل
الاكل والشرب انتهى وتقدم لنا الكلام مشبعا على هنيا في سورة النسا واما تجويزه زيادة البا فليست
هنا السوغ واما قوله ان البا تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا على الاعمال فهي تتعلق باحدهما
وانتصب متكين على الحال قال ابو البقا من الضمير في كلوا ومن الضمير في الظرف ووقاهم او من
الضمير في واتاهم او من الضمير في فاكهين او من الضمير في الظرف انتهى والظاهر انه حال من الظرف
وهو قوله في جنات وقرا ابو السمال على سرر بفتح الرا وهي لغة لكلب في المضعف فرارا من
توالي ضمتين مع التضعيف وقرا عكرمة بحور عين على الاضافة والظاهر ان قوله والذين
امنوا مبتدا وخبره الحقنا واجاز ابو البقا ان يكون والذين في موضع نصب على تقدير واكرمنا
الذين امنوا ومعنى الاية قال الجمهور ابن عباس وابن جبير وغيرهما ان المومنين الذين
تتبعهم ذريتهم في الايمان يكونون في مراتب ابايهم وان لم يكونوا في التقوى والاعمال مثلهم كرامة
لابايهم فبايمان متعلق بقوله واتبعناهم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع ذرية المومن معه في درجته وان كانوا لم يبلغوها لعمله لتقر
بها عينه ثم قرا الاية وقال ابن عباس والضحاك ان الله تعالى يلحق الابنا الصغار وان
لم يبلغوا الايمان باحكام الابا المومنين انتهى فيكون بايمان متعلقا بالحقنا اي الحقنا بسبب
الايمان الابا بهم ذرياتهم وهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع ابايهم واذا كان
ابنا الكفار الذين لم يبلغوا حد التكليف في الجنة كما ثبت في صحيح البخاري فاحرى اولاد المومنين
وقال الحسن الاية في الكبار من الذرية وقال منذر بن سعيد هي في الصغار لا في الكبار وعن
ابن عباس ايضا الذين امنوا المهاجرون والانصار والذرية التابعون وعنه ايضا ان كان
الابا ارفع درجة رفع الله الابنا اليهم فالابا داخلون في اسم الذرية وقال النخعي اعطيناهم اجورهم
من غير نقص وجعلنا ذرياتهم كذلك وقال الزمخشري والذين امنوا معطوف على حور عين
اي قرناهم بالحور العين وبالذين امنوا اي بالرفقا والجلسا منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون

تارة

تارة بملاعبة الحور العين وتارة بموانسة الاخوان المومنين واتبعناهم ذرياتهم ثم قال بسبب
ابن عباس ثم قال ابهج الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة
الاخوان المومنين وباجتماع اولادهم بهم ونسلهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان
عظيم رفيع المحل وهو ايمان الابا الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم
وعلى ابايهم لنتم سرورهم ويكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه
ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشي من الايمان لا يوهلهم لدرجة
الابا الحقنا بهم انتهى وما يتخيل احد ان والذين امنوا معطوف على حور عين غير هذا الرجل وهو
تخيل اعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره والاحسن من هذه الاقوال قول ابن عباس
ويعضده الحديث الذي رواه لان الايات كلها في صفة احسان الله تعالى الى اهل الجنة وذكر من جملة
احسانه انه يرعى المحسن في المسي ولفظة الحقنا تقتضي ان للملحق بعض التقصير في الاعمال
وقرا ابو عمرو واتبعناهم وباقي السبعة واتبعتهم وابو عمرو ذرياتهم جمعا نصبا وابن عامر
جمعا رفعا وباقي السبعة مفردا وابن جبير واتبعتهم ذريتهم بالمد والهمز وقرا الجمهور التناهم
بفتح اللام من الات والحسن وابن كثير بكسرها وابن هرمز التناهم بالمد من التي على وزن
افعل وابن مسعود وابي لتناهم من لات وهي قراة طلحة والاعمش وروي عن شبل
وابن كثير وعن طلحة والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز فتح اللام من غير
الف بحال وانكر ايضا التناهم بالمد وقال لا يروى عن احد ولا يدل عليها تفسير ولا عربية وليس
كما ذكر بل قد نقل اهل اللغة التي بالمد وقد قرا بها ابن هرمز وقرى وما ولتناهم ذكره ابن
هارون قال ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت يليت والت يالت
والات يليت ولات وكلها بمعنى نقص ويقال الت بمعنى غلظ وقام رجل الى عمر رضي الله
تعالى عنه يعظه فقال رجل لا تالت امير المومنين اي لا تغلظ عليه والظاهر ان الضمير
في التناهم عايد على المومنين والمعنى انه تعالى يلحق المقصر بالمحسن ولا ينقص المحسن من
اجره شيا وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير والجمهور وقال ابن زيد الضمير عايد على الابنا
من عملهم من الحسن والقبيح ويحسن هذا الاحتمال قوله كل امري بما كسب رهين اي مرتهن
وفيه وامددناهم اي يسرنا لهم شيا فشيا حتى يكثر ولا ينقطع . يتنازعون فيها اي يتعاطون

قال الاخطل . نازعته طيب الراح الشمول . وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

او يتنازعون يتجاذبون تجاذب ملاعبة اذ اهل الدنيا لهم في ذلك لذة وكذلك في الجنة وقرا
الجمهور لا لغو فيها ولا تاثيم برفعهما وابن كثير وابو عمرو بفتحهما واللغو السقط من الكلام
كما يجري بين شراب الخمر في الدنيا والتاثيم الاثم الذي يلحق شارب الخمر في الدنيا غلمان لهم
اي مماليك . مكنون اي في الصدف لم تنله الايدي قاله ابن جبير وهو اذ ذاك رطب فهو احسن
واصفى ويجوز ان يراد بمكنون مخزون لانه لا يخزن الا الغالي الثمن . والظاهر ان التساول
هو في الجنة اذ هي كلها معاطيف بعضها على بعض اي يتساءلون عن احوالهم وما نال كل واحد
منهم ويدل عليه فمن الله علينا اي بهذا النعيم الذي نحن فيه وقال ابن عباس يتساءلون اذا بعثوا
في النفخة الثانية حكاه الطبري عنه . مشفقين رقيقي القلوب خاشعين لله وقرا ابو
حيوة ووقانا بتشديد القاف . والسموم هنا النار وقال الحسن اسم من اسما جهنم . من قبل
اي من قبل لقا الله والمصير اليه . ندعوه نعبده ونسله الوقاية من عذابه انه هو البر المحسن

الرحيم الكبير الرحمة اذا عبد اثاب واذا سيل اجاب او ندعوه من الدعا وقرا الحسن وابو
جعفر ونافع والكسائي انه بفتح الهمزة اي لانه وباقي السبعة انه بكسر الهمزة وهي قراءة الاعرج
وجماعة وفيها معنى التعليل **قوله تعالى** فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ۝ قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ۝ ام تامرهم
احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ۝ ام يقولون تقوله بل لا يومنون ۝ فلياتوا بحديث مثله ان كانوا
صادقين ۝ ام خلقوا من غير شي ام هم الخالقون ۝ ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ۝
ام عندهم خزاين ربك ام هم المسيطرون ۝ ام لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان
مبين ۝ ام له البنات ولكم البنون ۝ ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ۝ ام عندهم الغيب
فهم يكتبون ۝ ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ۝ ام لهم اله غير الله سبحان الله عما
يشركون ۝ وان يروا كسفا من السما يقولوا سحاب مركوم ۝ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون ۝ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيا ولا هم ينصرون ۝ وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك   سا قطا و
ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ۝ وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن
الليل فسبحه وادبار النجوم ۝ لما تقدم اقسام الله تعالى على وقوع العذاب وذكر اشيا
من احوال المعذبين والناجين امره بالتذكير انذارا للكافر وتبشيرا للمومن ودعا الى الله
تعالى بنشر رسالته ثم نفى عنه ما كان الكفار ينسبونه اليه من الكهانة والجنون اذ كان الكاهن ينتمي
الى الاخبار ببعض المغيبات وكان لبعض الجن لهما ملابسة للانس وممن كان ينسبه الى الكهانة
شيبة بن ربيعة وممن كان ينسبه الى الجنون عقبة ابن ابي معيط وقال الزمخشري فذكر
فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن ومجنون ولا تبال به فانه قول
باطل متناقض فان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله
وما انت بحمد الله تعالى وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين انتهى
وقال الحوفي بنعمة ربك متعلق بما دل عليه الكلام وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير
وما انت في حال اذكارك بنعمة ربك بكاهن قال ابو البقا الباء في موضع الحال والعامل فيه
بكاهن او مجنون والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك انتهى وتكون حالا
لازمة لا منتقلة لانه عليه الصلاة والسلام ما زال ملتبسا بنعمة ربه وقيل بنعمة ربك
مقسم بها كانه قيل ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون فتوسط المقسم به بين الاسم والخبر
كما تقول ما زيد والله بقايم ولما نفى عنه الكهانة والجنون اللذين كان بعض الكفار ينسبونهما اليه   ما زيد و
ذكر نوعا اخر مما كانوا يقولونه روي ان قريشا اجتمعت في دار الندوة وكثرت اراوهم فيه
صلى الله عليه وسلم حتى قال قايل منهم وهم بنو عبد الدار قاله الضحاك تربصوا به ريب
المنون فانه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والاعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت
الاية في ذلك وقول من قال ذلك هو من نقص الفطرة بحيث لا يدرك الشعر وهو الكلام الموزون
على طريقة معروفة من النثر الذي ليس هو على ذلك المضمار واستكان بعضهم كان يدرك
ذلك اذ كانوا راجزين شعرا ولكنهم قالوا مع ذلك الفاظا على قولهم هو شاعر عن جحد الايات
الله بعد استيقانها وقرا زيد بن علي يتربص بالياء مبنيا للمفعول به ريب مرفوع وريب
المنون حوادث الدهر فانه لا يدوم على حال قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها ۝ تطلق يوما او يموت حليلها ۝

وقال

وقال الهذلي ۝ امن المنون وريبها تتوجع ۝ والدهر ليس بمعتب من يجزع ۝
قل تربصوا هو امر تهديد من المتربصين هلاككم كما تتربصون هلاكي ۝ ام تامرهم احلامهم
عقولهم بهذا ۝ اي بقولهم كاهن وشاعر ومجنون وهو قول متناقض وكانت قريش
تدعى اهل الاحلام والنهى ۝ وقيل لعمرو بن العاص ما بال قومك لم يومنوا وقد وصفهم الله تعالى
بالعقل فقال تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها التوفيق ۝ ام تامرهم قيل ام بمعنى الهمزة اي
اتامرهم وقدرها مجاهد ببل والصحيح انها تتقدر ببل والهمزة ام هم قوم طاغون اي مجاوزون
الحد في العناد مع ظهور الحق وقرا مجاهد بل هم مكان ام هم وكون الاحلام امرة مجاز لما ادت
الى ذلك جعلت امرة كقوله اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا وحكى الثعلبي عن الخليل
انه قال كل ما في سورة والطور من ام فاستفهام وليس بعطف ۝ تقوله اختلقه من قبل نفسه
كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقال ابن عطية تقوله معناه قال عن الغير انه قاله فهو
عبارة عن كذب مخصوص انتهى ۝ بل لا يومنون اي لكفرهم وعنادهم ثم عجزهم بقوله تعالى
فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين اي فلياتوا بكلام مثل القران في نظمه ووصفه من البلاغة
وصحة المعاني والاخبار بقصص الامم السالفة والمغيبات والحكم ان كانوا صادقين في انه تقوله
فليقولوا هم مثله اذ هو واحد منهم فان كانوا صادقين فليكونوا مثله في التقول وقرا الجحدري
وابو السمال بحديث مثله على الاضافة اي بحديث رجل مثل الرسول في كونه اميا
لم يصحب اهل العلم ولا رحل من بلده او مثله في كونه واحدا منهم فلا يجوز ان يكون مثله
في العرب فصاحة فليات بمثل ما اتى به ولن يقدر على ذلك ابدا ۝ ام خلقوا من غير
شي اي من غير شي حي كالجماد فهم لا يومرون ولا ينهون كما هي الجمادات عليه قاله الطبري
وقيل من غير شي اي من غير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم كذلك لا يسمعون ولا يتشرعون
وهذا كما تقول فعلت كذا وكذا من غير علة اي لغير علة فمن للسبب وفي القول الاول
لابتداء الغاية وقال الزمخشري ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه
فطرتهم من غير شي من غير مقدر ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل
لا يوقنون اي اذا سيلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون
فيما يقولون لا يوقنون اي ام خلقوا من غير رب ولا خالق اي ام احدثوا وبرزوا للوجود
من غير اله يبرزهم وينشيهم ام هم الخالقون لانفسهم فلا يعبدون الله ولا ياتمروا باوامر
الله ولا ينتهون عن نواهيه والقسمان باطلان وهم يعترفون بذلك فدل على بطلانهم
وقال ابن عطية ثم وقفهم على جهة التوبيخ عن انفسهم ام هم الذين خلقوا الاشيا فهم لذلك
لا يتكبرون ثم خصص من تلك الاشيا السموات والارض لعظمها وشرفها في المخلوقات
ثم حكم عليهم بانهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرا يوديهم الى اليقين ام عندهم خزاين ربك
قال الزمخشري خزاين الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاوا او عندهم خزاين علمه حتى
يختاروا لها من اختيار حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى
يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم وقال ابن عطية ام عندهم الاستغنا
عن الله تعالى في جميع الامور لان المال والصحة والقوة وغير ذلك من الاشيا كلها من خزاين
الله تعالى وقال الزهراوي وقيل يريد بالخزاين العلم وهذا قول حسن اذا تومل وبسط
وقال الرماني خزاينه تعالى مقدوراته والمسيطر قال ابن عباس المسلط القاهر

وقرا الجمهور المصيطرون بالصاد وهشام وقنبل وحفص بخلاف عنه بالسين وهو الاصل
ومن ابدلها صادا فلاجل حرف الاستعلا وهو الطا واشم خلف عن حمزة وخلاد عنه بخلاف عنه
الزاي ۝ ام لهم سلم منصوب الى السما يستمعون فيه اي عليه او منه ذكروا حرف لتبيد
بعضها مسد بعض وقدره الزمخشري صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف تقديره
الخبر بصحة ما يدعونه وقدره الزمخشري ما يوحي الى الملايكة من علم الغيب حتى يعلموا ما هو
كاين من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمونه ۝ لبسلطان مبين اي
بحجة واضحة بصدق استماعهم مستمعهم ۝ ام تسالهم اجرا على الايمان بالله وتوحيده واتباع شرعه
فهم من ذلك المغرم ۝ التثقيل اللازم مثقلون فاقتضى زهدهم في اتباعك ۝ ام عندهم الغيب
اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون اي يثبتون ذلك للناس شرعا وذلك عبادة الاوثان ونسبة
السوايب وغيره ذلك من شرعهم وقيل الغيب فهم يعلمون متى يموت محمد صلى الله عليه وسلم الذي
يتربصون ۝ ويكتبون بمعنى يحكمون وقال ابن عباس يعني ام عندهم اللوح المحفوظ فهم
يكتبون ما فيه ويخبرون ۝ ام يريدون كيدا اي بك وبالشرع وهو كيدهم به في دار الندوة
فالذين كفروا اي فهم وابرز الظاهر تنبيها على العلة او والذين كفروا عام فيندرجون فيه هم
المكيدون اي الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر وسمي غلبتهم
كيدا اذ كانت عقوبة الكيد ۝ ام لهم اله غير الله يعصمهم ويدفع عنهم في صعود واهلاكهم ثم نزه تعالى
نفسه عما يشركون به من الاصنام والاوثان ۝ وان يروا كسفا كانت قريش قد اقترحت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اقترحت قولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا
فاخبر تعالى انهم لو راوا ذلك عيانا لحسب اقتراحهم لبلغ بهم عتوهم وجهلهم ان يغالطوا انفسهم
فيما عاينوه ۝ وقالوا هو سحاب مركوم تراكم بعضه على بعض ممطرنا وليس بكسف ساقط
للعذاب فذرهم امر موادعة منسوخ باية السيف وقرا الجمهور حتى يلاقوا وابو حيوة حتى
يلقوا مصارعهم الذي يوم يهم اي يوم موتهم واحدا واحدا والصعق العذاب او يوم بدر لانهم عذبوا
فيه او يوم القيمة اقوال ثالثها قول الجمهور لان صعقته تعم جميع الخلايق وقرا الجمهور يصعقون
بفتح اليا وقرا عاصم وابن عامر وزيد بن علي واهل مكة في قول شبل ابن عباد وفتحها اهل مكة
كالجمهور في قول اسماعيل وقرا السلمي بضم اليا وكسر العين من اصعق رباعيا ۝ وان للذين ظلموا
اي لهولاء الظلمة عذابا دون ذلك اي دون يوم القيمة وقتله وهو يوم بدر والفتح قاله ابن
عباس وغيره وقال البرا بن عازب وابن عباس ايضا هو عذاب القبر وقال الحسن وابن
زيد مصايبهم في الدنيا وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين ۝ فانك باعيننا عبارة
عن الحفظ والكلا وجمع لانه اضيف الى ضمير الجماعة وحين كان الضمير مفردا افرد العين قال
تعالى ولتصنع على عيني وقرا ابو السمال باعينا بنون واحدة مشددة ۝ وسبح بحمد ربك
قال ابو الاحوص عوف بن مالك هو التسبيح المعروف وهو قول سبحان الله عند كل قيام وقال
عطا حين تقوم من كل مجلس وهو قول ابن جبير ومجاهد وقال ابن عباس حين تقوم من
منامك وقيل هو صلاة التطوع وقيل الفريضة وقال الضحاك حين تقوم الى الصلاة تقول
سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ۝ وقال زيد بن اسلم حين تقوم من
القايلة والتسبيح اذ ذاك هو صلاة الظهر وقال ابن السايب اذكر الله بلسانك حين
تقوم من فراشك الى ان تدخل في الصلاة ۝ ومن الليل فسبح قيل صلاة المغرب والعشا ۝ وادبار

الدم

النجوم

النجوم صلاة الصبح وعن عمر وعلي وابي هريرة والحسن انها النوافل وادبار النجوم ركعتا
الفجر وقرا سالم ابن ابي الجعد والمنهال بن عمرو ويعقوب وادبار بفتح الهمزة بمعنى واعقاب
النجوم المفردات المرة القوة من امررت الحبل اذا احكمت فتله وقال قطرب تقول
العرب لكل جزل الراي حصيف العقل انه لذو مرة ۝ قال ۝
واني لذو مرة مرة ۝ اذا ركبت حالة حالها ۝ تدلي العرق تدليا امتد
من علو الى جهة السفل فيستعمل في القرب من العلو قاله الفرا وابن الاعرابي قال اسامة
الهذلي ۝ تدلى علينا وهو زرق حمامة ۝ اذا طحلب في منتهى القيظ هامد ۝
القاب والقيب والقاد والقيد المقدار والقوس معروف وهو آلة الرمي للسهام وتختلف
اشكاله ۝ السدرة شجرة النبق ۝ الضيزى الجاير من ضازه يضيزه اذا ضمه قال
الشاعر ۝ ضازت بنو اسد بحكمهم ۝ اذ يجعلون الراس كالذنب ۝
واصلها ضوزى على وزن فعلى نحو حبلى وانثى وذكرى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم
اليا اذ لا يوجد فعلى بكسر الفا في الصفات كذا قال سيبويه وحكى ثعلب مشية حيكى
ورجل كيصى وحكى غيره امراة عزهى وامراة سعلى والمعروف عزهاة وسعلاة وقال
الكسايي ضاز يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزى وضاز يضاز ضازا ۝ اللمم ما قل
وصغر ومنه اللمم المس من الجنون والم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام قل اكله منه وقال
المبرد اصل اللمم ان يلم بالشي من غير ان يركبه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه وقال الازهري
العرب تستعمل الالمام في المقاربة والدنو يقال الم يفعل كذا بمعنى كاد يفعل ۝ قال جرير
بنفسي من تجنبه عزيز ۝ علي ومن زيارته لمام ۝ وقال آخر
لقا اخلا الصفا لمام ۝ الاجنة جمع جنين وهو الولد في البطن سمي بذلك لاستتاره
والاجتنان الاستتار ۝ اكدى اصله من الكدية يقال لمن حفر بيرا ثم وصل الى حجر لا يتهيا
له فيها حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولم يتمم ولمن طلب شيا فلم يبلغ اخره
قال الحطيه ۝ فاعطى قليلا ثم اكدى عطاوه ۝ ومن يبذل المعروف في الناس يحمد
وقال الكسايي وغيره اكدى الحافر اذا بلغ كدية او جبلا ولا يمكنه ان يحفر وحفر فاكدى اذا وصل
الى الصلب ويقال كديت اصابعه اذا كلت من الحفر وكديت النبتة قل ريعه وقال
ابو زيد اكدى الرجل قل خيره ۝ اقنى قال الجوهري قني يقنى قنى كغني يغنى غنى ويتعدى
بتضعيف الحركة فتقول قنيت المال اي كسبته نحو شترت عين الرجل وشترها الله ثم تعدى
بعد ذلك بالهمزة او التضعيف فتقول اقناه الله مالا وقناه الله مالا ۝ وقال الشاعر
كم من غني اصاب الدهر ثروته ۝ ومن فقير تغنى بعد اقلال ۝ اي تقنى المال ويقال
اقناه الله مالا وارضاه من القنية قال ابو زيد تقول العرب لمن اعطي مايه من المعز
اعطي الغنا ومن اعطي مايه من الضان اعطي الغنا ومن اعطي مايه من الابل اعطي المنى
الشعرى هو الكوكب المضي الذي يطلع بعد الجوزا وطلوعه في شدة الحر ويقال له مرزم الجوزا
وهما الشعريان العبور التي في الجوزا والشعرى الغميصا التي في الذراع وتزعم العرب انهما اختا
سهيل قال الزمخشري وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصا والعبور ومن كذب العرب
ان سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل وصار يمانيا فاتبعته الشعرى العبور
فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا تبكي حتى غمصت ۝ ازف قرب قال

اذا و

قال كعب بن زهير . بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا . ولا ارى لشباب بائن خلفا .
وقال النابغة الذبياني . ازف الترحل غير ان ركابنا . لما تزل برحالنا وكأن قد .
ويروى ازف الترحل منه لهو ونصب . قال الشاعر .
الا ايها الانسان انك سامد . كانك لا تفنى ولا انت هالك . وقال اخر .
قيل قم فانظر اليهم . ثم دع عنك السمودا . وقال ابو عبيدة السمود الغنا
بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني لنا . ه ه ه ه ه ه

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنجم اذا
هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد
القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الاعلى . ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
فاوحى الى عبده ما اوحى . ما كذب الفواد ما راى . افتمارونه على ما يرى . ولقد راه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما
طغى . لقد راى من ايات ربه الكبرى . افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . الكم
الذكر وله الانثى . تلك اذا قسمة ضيزى . ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله
بها من سلطان . ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاهم من ربهم الهدى . ام
للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى . هذه السورة مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها
ظاهرة لانه قال ام يقولون تقوله اي اختلق القران وينسبونه الى الشعر وقالوا هو كاهن ومجنون
فاقسم تعالى انه صلى الله عليه وسلم ما ضل وان ما ياتي به هو وحي من الله تعالى وهو
اول سورة اعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في الحرم والمشركون يستمعون وفيها
سجد وسجد معه المومنون والمشركون والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب
الى جبهته وقال يكفي هذا وسبب نزولها قول المشركين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يختلق
القران واقسم تعالى بالنجم فقال ابن عباس ومجاهد والفرا والقاضي منذر بن سعيد هو
الجملة من القران اذا نزلت وقد نزل منجما في عشرين سنة وقال الحسن ومعمر بن المثنى هو هنا
اسم جنس والمراد النجوم اذا غربت اي غربت . وقال الشاعر .
فباتت تعد النجم في مستحيره . سريع بايدي الاكلين جمودها . اي تعد النجوم بر
وقال الحسن وابو حمزة الثمالي النجوم اذا انتثرت في القيامة وقال ابن عباس ايضا هو كوكب
انقض في اثر الشياطين وهذا تساعده اللغة وقال الاخفش والنجم اذا طلع وهويه سقوطه
على الارض وقال ابن جبير الصادق هو النبي صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج
وقيل النجم معين فقال مجاهد وسفين هو الثريا وهويها سقوطها مع الفجر وهو علم عليها
بالغلبة ولا تقول العرب النجم مطلقا الا للثريا . ومنه قول العرب طلع النجم عشا فابتغى الراعي
كسا طلع النجم غدية فابتغى الراعي كسيه . وقيل الشعرى واليها الاشارة بقوله وهو رب
الشعرى والكهان والمنجمون يتكلمون على المغيبات عند طلوعها وقيل الزهرة وكانت تعبد
وقيل والنجم هم الصحابة وقيل العلما مفرد اريد به الجمع وهو في اللغة حرف الهوى ومقصد
السفلى اذ مصيره اليه وان لم يقصد اليه وقال الشاعر .
هوى الدلو اسلمها الرشا . وهذا هوى العقاب . صاحبكم هو محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم والخطاب لقريش اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى
الضلال والغي وما ينطق اي الرسول عليه الصلاة والسلام عن الهوى اي عن هوى
نفسه ورايه ان هو الا وحي من عند الله يوحى اليه وقيل وما ينطق عن الهوى اي القران
عن هوى وشهوة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ان هو اي الذي ينطق به او انه هو
اي القران علمه الضمير عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم فالمفعول الثاني محذوف اي علمه
الوحي او على القران فالمفعول الاول محذوف اي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم شديد القوى
هو جبريل وهو مناسب للاوصاف التي بعده وقاله ابن عباس وقتادة والربيع وقال
الحسن شديد القوى هو الله تعالى وهو بعيد ذو مرة ذو قوة ومنه لا تحل الصدقة لا كل و
لغني ولا لذي مرة سوي وقيل ذو هيئة حسنة وقيل هو جسم طويل حسن ولا يناسب
هذا ان القوى الا اذا كان شديد القوى هو جبريل فاستوى الضمير لله في قول الحسن
وكذا وهو بالافق الاعلى لله تعالى على معنى العظمة والقدرة والسلطان وعلى قول الجمهور فاستوى
اي جبريل في الجو وهو بالافق الاعلى اذ راه الرسول عليه الصلاة والسلام بحرا فقد سد الافق .
له ست ماية جناح وحينئذ دنا من محمد حتى كان قاب قوسين وكذلك هو المرئي في النزلة
الاخرى بست ماية جناح عند سدرة المنتهى قاله الزجاج والربيع وقال الطبري والفرا المعنى
فاستوى جبريل وقوله وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفي هذا التاويل العطف على
الضمير المرفوع من غير فصل وهو مذهب الكوفيين وقد يقال الضمير في فاستوى للرسول
وهو لجبريل والاعلى لقة الراس وما جرى معه وقال الحسن وقتادة هو افق مشرق الشمس
وقال الزمخشري فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان
يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية الكلبي وذلك ان رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له بالافق الاعلى وهو
افق الشمس فملا الافق وقيل ما راه احد من الانبيا في صورته الحقيقية غير محمد صلى
الله عليه وسلم مرة في الارض ومرة في السما ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى
فتعلق عليه في الهوى وكان مقدار مسافة قربه منه مثل قاب قوسين فحذفت
هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا . اي ذا مسافة
مقدار اصبع او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون . الى عبده اي الى عبد الله وان لم يجر
لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله ما ترك على ظهرها . ما اوحى تفخيم للوحي الذي انزل
اليه قيل اوحى وقال ابن عطية ثم دنا قال الجمهور اي جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام
عند حرا وقال ابن عباس وانس في حديث الاسرا ما يقتضي ان الدنو يستند الى الله تعالى
وقيل كان الدنو الى جبريل وقيل الى الرسول صلى الله عليه وسلم اي دنا وحيه وسلطانه وقدرته
والصحيح ان جميع ما في هذه الايات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد راه نزلة اخرى فانه يقتضي
انه نزلة متقدمة وما روي ان الرسول صلى الله عليه وسلم راى ربه قبل ليلة الاسرا
ودنا اعم من تدلى فبين هيئة الدنو كيف كانت قاب قدر قال قتادة وغيره معناه من
طرف العود الى طرفه الاخر وقال الحسن ومجاهد من الوتر الى العود في وسط القوس عند المقبض
وقال ابو رزين ليست بهذه القوس ولكن قدر الذراعين وعن ابن عباس ان القوس هنا ذراع
تقاس به الاطوال وذكر الثعلبي انه من لغة الحجاز فاوحى اي الله تعالى الى عبده اي الرسول صلى الله

عليه وسلم قاله ابن عباس وقيل الى عبده جبريل ما اوحى ابهام على جهة التعظيم والتفخيم والذي
عرف من ذلك فرض الصلوات وقال الحسن فاوحى جبريل الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم
ما اوحى كالاول في الابهام وقال ابن زيد فاوحى جبريل الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما
اوحاه الله تعالى الى جبريل عليه السلام وقال الزمخشري ما اوحى اوحى اليه ان الجنة
محرمة على الانبيا حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب فواد محمد صلى الله عليه
وسلم ما راى ببصره من صورة جبريل اي ما قال فواده لما راه لم اعرفك يعني انه راه بعينه
وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه حق وقرا الجمهور ما كذب مخففا معنى لم يكذب قلب
محمد صلى الله عليه وسلم الذي راه بل صدقه ومخففه نظرا وكذبه يتعدى وقال
ابن عباس وابو صالح راى محمد صلى الله عليه وسلم الله تعالى بفواده وقيل ما راى بعينه لم يكذب
ذلك قلبه بل صدقه ومخففه ويحتمل ان يكون التقدير فيما راى وعن ابن عباس وعكرمة وكعب
الاحبار ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه وابت ذلك عايشة رضي الله عنها وقالت
انا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الايات فقال لي هو جبريل فيها كلها وقال
الحسن المعنى ما راى من مقدورات الله تعالى وملكوته وسال ابو ذر رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رايت ربك فقال نور انى اراه وحديث عايشة قاطع لكل تاويل في اللفظ لان قول
غيرها انما هو منتزع من الفاظ القران وليست نصا في الرؤية بالبصر بل ولا بغيره وقرا ابو رجا
وابو جعفر وقتادة والجحدري وخالد بن الياس وهشام عن ابن عامر ما كذب مشددا وقال
كعب الاحبار ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية بين محمد وموسى عليهما السلام فكلم موسى مرتين
وراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها لقد وقف شعري
من سماع هذا وقرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وذهبت هي وابن مسعود وقتادة
والجمهور الى ان المرئي هو جبريل مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى وقرا الجمهور افتمارونه مرتين و
اي اتجادلونه على شي راه ببصره وابصره وعدي بعلى لما في الجدال من المغالبة وجا تمرونه بصيغة
المبالغة المضارع وان كانت الرؤية قد مضت اشارة الى ما يمكن من صورته حروبه بعد وقرا علي
وعبد الله وابن عباس والجحدري ويعقوب وابن سعدان والكسائي بفتح التا وسكون الميم مضارع
مريته اي جحدت يقال مريته حقه اذا جحدته قال الشاعر

لئن سخرت اخا صدق ومكرمة ◦ لقد مريت اخا ما كان يمريكا

وعدي بعلى على
معنى التضمين وكانت قريش حين اخبرهم صلى الله عليه وسلم بامره في الاسرا كذبوا واستخفوا حتى وصف
لهم بيت المقدس واثر عيرهم وغير ذلك مما هو مستقصى في حديث الاسرا وقرا عبد الله فيما
حكى ابن خالويه والشعبي فيما ذكر شقيقه بضم التا وسكون الميم مضارع امريت قال ابو حاتم وهو
غلط ولقد راه الضمير المنصوب عايد على جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن مسعود وعايشة
ومجاهد والربيع نزلة اخرى اي مرة اخرى اي نزل عليه جبريل مرة اخرى في صورة نفسه فراه عليها
وذلك ليلة المعراج واخرى تقتضي نزلة سابقة والنزلة مرة من قولكم دنا جبريل فتدلى
وهو الهبوط والنزول من علو وقال ابن عباس وكعب الاحبار الضمير عايد على الله على ما سبق في
من قولهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين وانتصب نزلة قال الزمخشري
نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل وقال الحوفي وابن عطية مصدر في موضع
الحال وقال ابو البقا مصدر اي مرة اخرى او رؤية اخرى عند سدرة المنتهى قيل هي شجرة نبق في السما

السابعة

السابعة وقيل في السما السادسة ثمرها كقلال هجر وروى كاذان الفيلة ينبع من اصلها
الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى
موضع الانتها لانه ينتهي اليها علم كل عالم ولا يعلم ما وراها صعدا الا الله عز وجل او ينتهي اليها كل
من مات على الايمان من كل جيل او ينتهي اليها ما نزل من امر الله تعالى ولا يتجاوزها ملايكة العلو
وما صعد من الارض ولا يتجاوزها ملايكة السفل او ينتهي اليها ارواح الشهدا او كانها في منتهى
الجنة واخرها او تنتهي اليها الملايكة والانبيا ويقفون عندها او ينتهي اليها علم الانبيا ويعزب
علمهم عما وراها او ينتهي اليها الاعمال او لانتها من رفع اليها في الكرامة اقوال تسعة عندها
جنة الماوى اي عند السدرة قيل ويحتمل عند النزلة قال الحسن هي الجنة التي وعدها الله للمومنين
وقال ابن عباس بخلاف عنه وقتادة هي جنة تاوي اليها ارواح الشهدا وليست بالتي وعد المتقون
جنة النعيم وقيل جنة ماوى الملايكة وقرا علي وابو الدردا وابو هريرة وابن الزبير وانس وزر
ومحمد بن كعب وقتادة جنه بهاء الضمير وجن فعل ماض والها ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
اي عندها ستره ايوا الله تعالى وجميل صنعه وقيل المعنى ضمه المبيت والليل وقيل جنه بظلاله
ودخل فيه وحكى وردت عايشة وصحابة معها هذه القراءة وقالوا اجن الله من قراها واذا
كانت قراءة قراها اكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لاحد ردها وقيل
ان عايشة اجازتها وقراءة الجمهور جنة الماوى كقوله في اية اخرى فلهم جنات الماوى نزلا اذ
يغشى السدرة ما يغشى فيه ابهام الموصول وصلته تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاها
اذ ذاك اشيا لا يعلم وصفها الا الله تعالى وقيل يغشاها الجم الغفير من الملايكة يعبدون الله
عندها وقيل ما يغشى من قدرة الله تعالى وانواع الصفات التي يخترعها لها وقال
ابن مسعود وانس ومسروق ومجاهد وابراهيم ذلك جراد من ذهب كان يغشاها وقال
مجاهد ذلك تبدل اغصانها درا وياقوتا وروى في الحديث رايت على كل ورقة من ورقها ملكا
قايما يسبح الله تعالى وايضا يغشاها رفرف اخضر وايضا تغشاها الوان لا ادري ما هي
وعن ابي هريرة يغشاها نور الخلاق وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت وعن ابن عباس
غشيها رب العزة اي امره كما جا في صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشي وتجيء
هذه الابهام للتعظيم فاوحى الى عبده ما اوحى والموتفكة اهوى فغشاها ما غشى ما زاغ البصر
قال ابن عباس ما مال هكذا ولا هكذا وقال الزمخشري اي اثبته ما راه اثباتا مستيقنا صحيحا
من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه اذ ما عدل عن رؤية العجايب التي امر برؤيتها ومكن منها
وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته انتهى وقال غيره ولا تجاوز المرئي الى غيره بل وقع عليه وقوعا
صحيحا وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه لقد راى من ايات ربه الكبرى قيل الكبرى مفعول
من راى اي راى الايات الكبرى والعظمى التي هي بعض ايات ربه اي حين رقي الى السما راى عجايب الملكوت
وتلك بعض ايات الله وقيل من ايات هو في موضع المفعول والكبرى صفة لايات ربه ومثل
هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة وحسن ذلك هنا كونها فاصلة كما في قوله لنريك من اياتنا
الكبرى على من جعلها صفة لاياتنا وقال ابن عباس وابن مسعود راى رفرفا اخضر قد سد
الافق وقال ابن زيد راى جبريل في الصورة التي هو بها في السما افرايتم خطاب لقريش ولما
قرر الرسالة اولا واتبعه من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته الباهرة بدا بذكر التوحيد والمنع عن الاشراك
بالله تعالى فوقفهم على حقارة معبوداتهم وهي الاوثان وانها ليست لها قدرة واللات صنم كانت

العرب تعظمه قريش قال قتادة كان بالطائف وقال ابو عبيدة وغيره كان في الكعبة وقال ابن زيد
كان بنخلة عند سوق عكاظ قال ابن عطية وقول قتادة ارجح ويؤيده قول الشاعر
وفرت ثقيف الى لاتها ** بمنقلب الخائب الخاسر ** انتهى ويمكن الجمع بان تكون
اصناما سميت باسم اللات فاخبر كل عن صنم بمكانه والتاء في اللات قيل اصلية لام الكلمة
كالباء من باب والالف منقلبة فيما يظهر من ياء لان مادة ليت موجودة فان وجدت مادة
من ل و ت جاز ان تكون منقلبة من واو وقيل التاء للتانيث ووزنها فعلة من لوى قيل
لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون حذفت لامها وقرا
الجمهور اللات خفيفة التاء وابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وابو صالح وطلحة
وابو الجوزاء ويعقوب وابن كثير في رواية بشدها قال ابن عباس كان هذا رجلا بسوق
عكاظ يلت السمن والسويق عند صخرة وقيل كان ذلك الرجل من بهز يلت السويق للحاج
على حجر فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده اجلالا لذلك الرجل وسموه باسمه وقيل سمي رجلا
كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف
وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا وفي التحرير انه كان صنما تعظمه العرب وقيل حجر ذلك
اللات وسموه باسمه وعن ابن جبير صخرة بيضا كانت العرب تعبدها وتعظمها وعن
مجاهد شجيرات تعبد بلادها انتقل امرها الى الصخرة انتهى ملخصا وتلخص في اللات
انه صنم او حجر يلت عليه او صخرة يلت عندها او قبر اللات او شجيرات ثم صخرة او اللات
نفسه اقوال والعزى صنم وقيل سمرة لغطفان واصلها تانيث الاعز بعث اليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول
يا عز كفرانك لا سبحانك ** اني رايت الله قد اهانك ** ورجع فاخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال ابو عبيدة
كانت العزى ومناة بالكعبة انتهى ويدل على هذا قول ابي سفيان في بعض الحروب للمسلمين
لنا عزى ولا عزى لكم وقال ابن زيد كانت العزى بالطائف وقال قتادة بنخلة ويمكن
الجمع فانه كان في كل مكان منها صنم يسمى بالعزى كما قلنا في اللات فاخبر كل واحد عن ذلك الصنم
المسمى ومكانه ومناة قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقيل
بالمشلل من قديد بين مكة والمدينة وكانت اعظم هذه الاصنام قدرا واكثرها عبدا
وكانت الاوس والخزرج تهل لها هذا اضطراب كثير في هذه الاوثان ومواضعها والذي يظهر
انها كانت ثلاثتها في الكعبة لان المخاطب بذلك في قوله افرايتم هم قريش وقرا الجمهور ومنا
مقصورا فقيل وزنها فعلة سميت مناة لان دما النسائك كانت تمنى عندها اي تراق
وقرا ابن كثير ومناءة بالمد والهمز فقيل ووزنها مفعلة فالالف منقلبة عن واو نحو مقالة
والهمز اصله مشتق من النوء كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والقصر اشهر قال
جرير ** ازيد مناة توعد يا ابن تيم ** تامل اين تاه بك الوعيد ** وقال اخر في المد
والهمز ** الا هل اتى تيم بن عبد مناءة ** على الشنء فيما بيننا ابن تميم ** واللات
والعزى ومناة منصوبة بقوله افرايتم وهي بمعنى اخبروني والمفعول الثاني الذي لها
هو قوله الكم الذكر وله الانثى على حذف ما تقرر في متعلق ارايت اذا كانت بمعنى اخبرني ولم يعد

ضمير

ضمير من جهة الاستفهام على اللات والعزى ومناة لان قوله وله الانثى هو في معنى قوله وله
هذه الاناث فاغنى عن الضمير وكانوا يقولون هذه الاصنام هي بنات الله فالمعنى الكم النوع المحبوب
المستحسن الموجود فيكم وله النوع المذموم بزعمكم وهو المستثقل وحسن ابراز الانثى كونه نصا
في اعتقادهم انهن اناث وانهن بنات الله تعالى وان كان في لحاق تا التانيث في اللات وفي مناة والف
التانيث في العزى ما يشعر بالتانيث لكنه قد يسمى المذكر بالمؤنث فكان في قوله الانثى نص على
اعتقاده التانيث فيهن وحسن ذلك ايضا كونه جاء فاصلة اذ لو اتى ضميرا لكان التركيب الكم
الذكر وله هن لم تقع فاصلة وقال الزجاج وجه تلفيق هذه الاية مع ما قبلها فيقول اخبروني
عن الهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الاي السالفة انتهى فجعل
المفعول الثاني لارايتم جملة الاستفهام التي قدرها وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها وعلى تقديره
يبقى قوله الكم الذكر وله الانثى متعلقا بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الاعراب كما قلناه نحن
ولا يحسن قول الزجاج وجه تلفيق هذه الاية مع ما قبلها ولو قال وجه اتصال هذه او وجه انتظام
هذه مع ما قبلها لكان الجيد في الادب وان كان يعني هذا المعنى وقال ابن عطية افرايتم خطاب
لقريش وهي من رؤية العين لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت ارايت التي هي استفتاء لم تتعد
انتهى ويعني بالاجرام اللات والعزى ومناة وارايت التي هي استفتاء تقع على الاجرام نحو ارايت
زيدا ما صنع وقوله ولو كانت ارايت التي هي استفتاء يعني الذي تقول النحاة فيها انها بمعنى اخبرني
لم تتعد والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدى الى اثنين احدهما منصوب والاخر في الغالب جملة استفهامية
وقد تكرر لنا الكلام في ذلك اوله في سورة الانعام ودل كلام ابن عطية على انه لم يطالع ما قاله
الناس في ارايت اذا كانت استفتاء على اصطلاحه وهي التي بمعنى اخبرني والظاهر ان الثالثة
الاخرى صفتان لمناة وهما يفيدان التوكيد وقيل ولما كانت مناة هي اعظم هذه الاوثان اكدت
بهذين الوصفين كما تقول رايت فلانا وفلانا ثم تذكر ثالثا اجل منهما فتقول وفلانا الاخر الذي
من شانه ولفظة اخر واخرى يوصف به الثالث من المعدودات وذلك نص في الاية ومنه قول
ربيعة بن مكدم ** ولقد شفعتهما باخر ثالث ** انتهى وقول ربيعة يخالف الاية لان
ثالثا جا بعد اخر وعلى قول هذا القائل ان مناة هي اعظم هذه الاوثان يكون التاكيد لاجل عظمها
الاخرى الى قوله ثم تذكر ثالثا اجل منهما وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة
المقدار لقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤساهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية
والتقدم عندهم للات والعزى انتهى ولفظ اخر ومؤنثه اخرى لم يوضع للذم ولا للمدح انما يدل
على معنى غير الا ان من شرطها ان يكون من جنس ما قبله لو قلت مررت برجل و[illegible] الا على معنى
غير انثى لم يجز ذم ولا على مدح وقال ابو البقاء والاخرى توكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى انتهى وقيل
الاخرى صفة للعزى لان الثانية اللات والثانية يقال لها الاخرى واخرت لموافقة رؤوس الاي
وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير تقديره والعزى الاخرى ومناة الثالثة الذليلة
وذلك لان الاولى كان وثنا على صورة ادمي والعزى صورة نبات ومناة صورة صخرة فالادمي
اشرف من النبات والنبات اشرف من الجماد فالجماد متاخر ومناة جماد فهي في اخريات
المراتب والاشارة بتلك الى قسمتهم وتقديرهم ان لهم الذكران ولله تعالى البنات وكانوا يقولون
ان هذه الاصنام والملائكة بنات الله تعالى قال ابن عباس وقتادة ضيزى جائرة وسفيان منقوصة
وابن زيد مخالفة ومجاهد وقتادة عوجا والحسن غير معتدلة وابن سيرين غير مستوية وكلها

متقاربة في المعنى وقرأ الجمهور ضيزى من غير همز والظاهر انه صفة على وزن فُعلى بضم الفا كسرت لتصح اليا ويجوز ان تكون مصدرا على وزن فعلى بضم الفا ويجوز ان تكون مصدرا على وزن فعلى كذكرى ووصف به وقرا ابن كثير ضئزى بالهمز موجها على انه مصدر كذكرى وقرا زيد ابن علي ضيزى بفتح الضاد وسكون اليا ووجه على انه مصدر كدعوى وصف به او وصف كسكرى وناقة حرمي ويقال ضوزى بالواو وبالهمز وتقدم في المفردات حكاية لغة الهمز عن الكسائي ٥ وانشد الاخفش ٥ فان تنأ عنا ننتقصك ٥ وان تغب فسهمك مضئوز وانفك راغم ٥ ان هي الا اسما سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان تقدم تفسير نظيرها في سورة هود وفي سورة الاعراف وقرا الجمهور ان يتبعون بيا الغيبة وعبد الله وابن عباس وابن وثاب وطلحة والاعمش وعيسى بن عمر بتا الخطاب الا الظن وهو ميل النفس الى احد معتقدين من غير حجة وما تهوى اي تميل اليه للذة وانما تهوى ابدا ما هو غير الافضل لانها مجبولة على حب الملاذ وانما يسوقها الى حسن العاقبة العقل ٥ ولقد جاهم من ربهم الهدى توبيخ لهم والذي هم عليه باطل واعتراض بين الجملتين اي يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاهم فكانوا في من يقبله ويترك عبادة من لا تجدي عبادته ام للانسان ما تمنى هو منفصل بقوله وما تهوى الانفس بل للانسان والمراد به الجنس ما تمنى اي ما تعلقت به امانيه اي ليس له الاسما والتشهي ان تحصل بالاماني بل لله الامر وقولهم ان الهتكم تشفع وتقرب زلفى ليس لكم ذلك وقيل امنيتهم قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل تمنى بعضهم ان يكون النبي ٥ فلله الاخرة والاولى اي هو مالكهما فيعطي منهما ما يشا ويمنع من يشا وليس لاحد ان يتبع منهما الا ما شا الله وقدم الاخرة على الاولى لتاخرها في ذلك ولكونها فاصلة فلم يراع الترتيب الوجودي كقوله وان لنا للاخرة والاولى قوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى ٥ ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى ٥ وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ٥ فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ٥ ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ٥ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ٥ وكم خبرية ومعناها هنا التكثير وهي في موضع رفع بالابتدا والخبر لا تغني والغنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذي يكون فيه الغنا ولفظها مفرد ومعناها جمع وقرا الجمهور شفاعتهم بافراد الشفاعة وجمع الضمير وزيد بن علي شفاعته بافراد الشفاعة والضمير وابن مقسم شفاعاتهم بجمعهما وهو اختيار صاحب الكامل ابي القسم الهذلي وافردت الشفاعة في قراة الجمهور لانها مصدر ولانهم لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا فاذا كانت الملائكة المقربون لا تغني شفاعتهم الا بعد اذن الله ورضاه ان يرضاه اهلا للشفاعة فكيف تشفع الاصنام لمن يعبدها ومعنى لتسمية الانثى كونهم يقولون انهم بنات الله والذين لا يومنون بالاخرة هم العرب منكرو البعث ٥ وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي ما يدرك العلم لا ينفع فيه الظن وانما يدرك بالعلم واليقين قيل ويحتمل

ان يكون

ان يكون المراد بالحق هنا هو الله تعالى اي الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون ويدل عليه ذكر بان الله هو الحق فاعرض عن من تولى عن ذكرنا موادعة منسوخة باية السيف ٥ ولم يرد الا الحياة الدنيا اي لم تتعلق ارادته بغيرها فلم يبق له فكر في سواها كالنضر بن الحارث والوليد بن المغيرة والذكر هنا القران او الايمان او الرسول صلى الله عليه وسلم اقوال عمن تولى عن ذكرنا هو سبب الاعراض لان من لا يصغي الى قول كيف يفهم معناه فامره صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن من هذه حالة ثم ذكر سبب التولي عن الذكر وهو حصر ارادتهم في الحياة الدنيا فالتولي عن الذكر سبب الاعراض عنهم وايثار الدنيا سبب التولي عن الذكر وذلك اشارة الى تعلقهم بالدنيا وتحصيلها مبلغهم غايتهم ومنتهاهم من العلم وهو ما تعلقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنايع لقوله تعالى بانه عالم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما وقال الزمخشري وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض انتهى وكانه يقوله من الاعتراض بين فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض وقيل ذلك اشارة الى جعلهم الملائكة بنات الله وقال الفرا صغروا بهم وسفه احلامهم اي غاية عقولهم لانه علومهم ان اثروا الدنيا عن الاخرة وقيل ذلك اشارة الظن اي غاية ما يفعلون ان ياخذوا بالظن وقوله ان ربك هو اعلم في معرض التسلية اذ كان من خلقه عليه الصلاة والسلام الحرص على ايمانهم وفي ذلك وعيد للكفار ووعد للمومنين ولله ما في السموات اخبار بانه من في العالم العلوي والعالم السفلي ملكه تعالى يتصرف فيهما بما يشا واللام في ليجزي متعلقة بما دل عليه معنى الملك اي يضل ويهدي ليجزي وقيل بقوله بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة والمعنى ان عاقبة امرهم جميعا للجزا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا والحسنى الجنة وقيل التقدير بالاعمال الحسنى وحين ذكر جزا المسي قال بما عملوا وحين ذكر جزا المحسن اتى بالصفة التي تقتضي التفضيل وتدل على الكرم والزيادة للمحسن كقوله تعالى وليجزيهم احسن الذي كانوا يعملون والاحسن تانيث الحسنى وقرا زيد ابن علي لنجزي ونجزي بالنون فيهما وتقدم الكلام في الكباير في قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه في سورة النسا والذنوب تنقسم الى كباير وصغاير والفواحش معطوف على كباير وهي ما فحش من الكباير فافردها بالذكر لتدل على عظم مرتكبها وقال الزمخشري والكباير الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة انتهى وهو على طريقة الاعتزال ٥ الا اللمم استثنا منقطع لانه لم يدخل تحت ما قبله وهو صغار الذنوب او صفة اي كباير الاثم غير اللمم كقوله لو كان فيهما الهة الا الله اي غير الله لفسدتا وقيل يصح ان يكون استثنا متصلا وهذا يظهر عند تفسير اللمم ما هو وقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا فقال الخدري هو النظرة والغمزة والقبلة وقال السدي الخطرة من الذنب وقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي والكلبي كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا ولا عذابا وقال ابن عباس ايضا وابن زيد الماثم من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الاسلام وعن ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن اسلم وابنه ان سبب الاية قول الكفار للمسلمين قد كنتم بالامس تعملون اعمالنا فنزلت وهي مثل قوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقيل نزلت في نبهان التمار وحديثه مشهور وقال ابن عباس وغيره العلقة والسقطة دون دوام ثم يتوب منه وقال الحسن الزنا والسرقة والخمر ثم لا يعود وقال ابن المسيب ما خطر على القلب وقال نفطويه ما ليس بمعتاد وقال الرماني الهم بالذنب وحديث النفس دون ان يواقع وقيل

تطهرة النجاة ان ربك لواسع المغفرة حيث يكفر الصغاير باجتناب الكباير وقال
الزمخشري والكباير بالتوبة انتهى وفيه نزعة الاعتزال وهو اعلم بكم قيل نزلت في قوم من
اليهود عظموا انفسهم واذا مات طفل لهم قالوا هذا صديق عند الله وقيل في قوم من المومنين
فخروا باعمالهم والظاهر انه خطاب عام واعلم على بابها من التفضيل وقال مكي يعني عالم بكم
ولا ضرورة الى اخراجها عن اصل موضوعها وكان مكيا ادعى ان اعلم في الطرفين الذي هو اذ انشاكم
من الارض والظاهر ان المراد بانشاكم انشا اصلكم وهو ادم ويجوز ان يراد من نطفة الاغذية
التي منشوها من الارض ۝ فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكي الاعمال والطهارة عن
المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله منكم الزكي والتقي قبل اخراجكم من صلب
ادم وقيل اخراجكم من بطون امهاتكم وكتبوا ما تركي من المتصلحين اذا حدثوا كانوا
كان وردنا البارحة كذا وفاتنا مورد نا البارحة اوفاتنا ورد نا يوهمون الناس انهم
يقومون بالليل ونرى لبعضهم في جبينه سوادا يوهم انه من كثرة السجود ولبعضهم
اصفرار اللحية حالة الاحرام فيحرك يده مرارا ويصفق حتى ينزع من نباته وكان
يخطف شيئا بيديه وقت التحريكة الاخيرة يوهم ان يحافظ على تحقيق النية ولبعضهم يقول
في حلفه وحق البيت الذي زرت ليعلم انه حاج واذا لاح له فلس يثب عليه وثوب الاسد
على الفريسة ولا يخفى شي من الوسواس ولا من احضار النية في اخذه ونزل تزكية الثنا
عليه بالاوصاف الجميلة التي هو عار عنها وقيل المعنى لا يزكي بعضكم بعضا تزكية السمعة
او للمدح للدنيا او تزكيته بالقطع واما التزكية لاثبات الحقوق فجايزة للضرورة والجنين
ما كان في البطن فاذا خرج سمي ولدا او سقطا وقوله في بطون امهاتكم تنبيه على كمال
العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة ومن علم حاله وهو مجتن لا يخفى عليه حاله
وهو ظاهر بمن اتقى قيل الشرك وقال علي عمل حسنة وارعوى عن معصية قوله تعالى
افرايت الذي تولى ۝ واعطى قليلا واكدى ۝ اعنده علم الغيب فهو يرى ۝ ام لم ينبا بما في
صحف موسى ۝ وابراهيم الذي وفى ۝ الا تزر وازرة وزر اخرى ۝ وان ليس للانسان الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى ۝ ثم يجزاه الجزاء الاوفى ۝ وان الى ربك المنتهى ۝ وانه هو اضحك وابكى ۝
وانه هو امات واحيى ۝ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى ۝ وان عليه
النشاة الاخرى ۝ وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى ۝ وانه اهلك عادا الاولى وثمودا
فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى ۝ والموتفكة اهوى فغشاها ما غشى
فباي الاء ربك تتمارى ۝ هذا نذير من النذر الاولى ۝ ازفت الازفة ليس لها من دون الله
كاشفة ۝ افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله
واعبدوا ۝ افرايت الاية قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد الوليد بن مغ
سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس اليه ووعظه فقرب من الاسلام وطمع فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه عاتبه رجل من المشركين فقال له اتترك ملة اباءك ارجع الى
دينك واثبت عليه وانا اتحمل لك بكل شي تخافه في الاخرة لكن على ان تعطيني كذا وكذا من المال
فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الاسلام وضل ضلالا بعيدا واعطى بعض ذلك المال
لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح وقال الضحاك هو النضر بن الحارث اعطى خمس قلايص لفقير
من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن له ان يحمل عنه مأثم رجوعه وقال السدي نزلت

في

في العاص بن وائل السهمي كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب
في ابي جهل ابن هشام قال والله ما يامر محمد الا بمكارم الاخلاق وروي عن ابن عباس انها نزلت
في عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه كان يتصدق فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح نحوا من كلام القايل للوليد بن المغيرة الذي بدانا به وذكر القصة بتمامها الزمخشري
ولم يذكر في سبب النزول غيرها قال ابن عطية وذلك كله عندي باطل وعثمان رضي الله عنه
منزه عن مثله انتهى وافرايت هنا بمعنى اخبرني ومفعولها الاول الموصول والثاني الجملة
الاستفهامية وهي اعنده علم الغيب ۝ وتولى اي اعرض عن الاسلام وقال الزمخشري تولى ترك
امر كذا يوم احد انتهى لما جعل الاية نزلت في عثمان فسر التولي بهذا واذا ذكر التولي غير
مقيد في القران فاكثر استعماله انه استعارة عن عدم الدخول في الايمان واعطى قليلا
واكدى قال ابن عباس اطاع قليلا ثم عصى وقال مجاهد اعطى قليلا من نفسه بالاستماع
ثم اكدى بالانقطاع وقال الضحاك اعطى قليلا من ماله ثم منع وقال مقاتل اعطى قليلا من
الخير بلسانه ثم قطع ۝ اعنده علم الغيب اي اعلم من الغيب ان من تحمل ذنوب اخر فان
المتحمل عنه ينتفع بذلك فهو لهذا الذي علمه يرى الحق وله فيه بصيرة ام هو جاهل وقال
الزمخشري فهو يرى فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق وقيل يعلم حاله في الاخرة
وقال الزجاج يرى رفع ما يمنه في الاخرة وقيل فهو يرى ان ما سمعه من القران باطل
وقال الكلبي نزل عليه قران فرأى ما صنعه حقا وقيل فهو يرى ان الاجزا والمحتمل
يرى ان تكون بصرية اي فهو يبصر ما خفي عن غيره فما هو غيب واحتمل ان تكون بمعنى يعلم
اي فهو يعلم الغيب مثل الشهادة ۝ ام لم ينبا اي بل الم يخبر بما في صحف موسى وهي التوراة
وابراهيم اي وفي صحف ابراهيم التي نزلت عليه وخص هذين النبيين عليهما افضل الصلاة
والسلام قيل لانه ما بين نوح وابراهيم كانوا ياخذون الرجل بابيه وابنه وعمه وخاله
والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم ومن شريعة ابراهيم الى شريعة
موسى صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياخذون الرجل بجريرة غيره ۝ الذي وفى في قراءة الجمهور وفى
بالتشديد وقرا ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير وابو مالك الغفاري وابن السميفع وزيد
ابن علي بتخفيفها ولم يذكر متعلقا له كتبليغ الرسالة والاستقلال باعباء الرسالة والصبر على
ذبح ولده وعلى فراق اسماعيل وامه وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم وكان
يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والانوي الصوم وعن الحسن ما امره الله
بشي الا وفى به وعن عطاء بن السايب عهد ان لا يسال مخلوقا وقال ابن عباس والربيع وفى
طاعة الله في امر ذبح ابنه وقال الحسن وقتادة وفى تبليغ الرسالة والمجاهدة في ذات الله تعالى
فاز عزمه وفي هذه العشر الايات الا تزر فما بعدها وقال ابن عباس ايضا وقتادة وفى ما افترض
عليه من الطاعة على وجهها وكملت له شعب الايمان والاسلام فاعطاه الله براءته من
النار وقال ابن عباس ايضا وفى شرايع الاسلام ثلثين سهما يعني عشرة في براءة التائبون الخ
وعشرة في قد افلح وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وقال ابو امامة ورفعه الى النبي صلى الله عليه
وسلم وفى اربع صلوات في كل يوم وقال ابو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال
له اسلم قال اسلمت لرب العالمين فطالبه بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيا
انتهى وللمفسرين اقوال غير هذه وينبغي ان تكون هذه الاقوال امثلة لما وفى لا على سبيل التعيين

وان هي المخففة من الثقيلة وهي بدل من ما في قوله بما في صحف او في موضع رفع كانه قال ما في صحفهما فقيل الا تزر وازرة اي فرأى الا تزر وتقدم شرح لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى الظاهر ان الانسان يشمل المؤمن والكافر وان الحصر في السعي فليس له سعي غيره وقال عكرمة كان هذا الحكم في قوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلها سعي غيرها يدل عليه حديث سعد بن عبادة هل لامي ان تطوعت عنها قال نعم وقال الربيع الانسان هنا الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره وسال والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الاية مع قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال ليس له بالعدل الا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله فقبل عبد الله راس الحسين وروي عن ابن عباس انها منسوخة بما لا يصح لانه خبر لم يتضمن تكليفا وعند الجمهور انها محكمة قال ابن عطية والتحرير عندي في هذه الاية ان ملاك المعنى هو اللام من قوله للانسان فاذا حققت الذي حق الانسان ان يقول فيه لي كذا لم تجده الا سعيه وما تم بعد من رحمة بشفاعة او رعاية اب صالح وابن صالح او تضعيف حسنات او تغمد بفضل ورحمة دون هذا كله فليس هو للانسان ولا يسعه ان يقول لي كذا وكذا الا على تجوز والحاق بما هو حقيقة واحتج بهذه الاية من يرى انه لا يعمل احد عن احد بعد موته ببدن او مال وفرق بعض العلماء بين البدن والمال انتهى والسعي التكسب ويرى مبني للمفعول اي سوف يراه حاضرا يوم القيامة وفي عرض الاعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسيء والضمير المرفوع في يجزاه عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعي والجزاء مصدر قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى واذا كان تفسيرا للمصدر المنصوب في يجزاه فعلى ما ذا انتصابه واما اذا كان بدلا فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذي يفسره الظاهر وهي مسئلة خلاف والصحيح المنع وقرأ الجمهور وان الى ربك وما بعدها من وانه وان بفتح الهمزة عطفا على ما قبلها وقرأ ابو السمال بالكسر فيهن وفي قوله الاوفى وعيد للكافر ووعد للمؤمن ومنتهى اي غايته وما يصل اليه اي الى حساب ربك والحشر لاجله كما قال تعالى الى الله المصير اي الى جزائه وحسابه او الى ثوابه من الجنة وعقابه من النار وهذا التفسير المناسب لما قبله في الاية وعن ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وان الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الرب فانتهوا وانه هو اضحك وابكى الظاهر حقيقة الضحك والبكاء قال مجاهد اضحك اهل الجنة وابكى اهل النار وقيل كنى بالضحك عن السرور وبالبكاء عن الحزن وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل احيى بالايمان وابكى بالكفر وقال الزمخشري اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء انتهى وفيه دسيسة الاعتزال اذ افعال العباد من الضحك والبكاء وغيرهما مخلوقة للعبد عندهم لا لله تعالى فلذلك قال خلق قوتي الضحك والبكاء وانه خلق الزوجين المصطحبين من رجل وامرأة وغيرهما من الحيوان من نطفة اذا تمنى اي اذا تدفق وهو المني يقال امنى الرجل ومنى وقال الاخفش اذا تمنى اي تخلق وتقدر من منى الماني اي قدر المقدر وان عليه النشأة الاخرى اي اعادة الاجسام اي الحشر بعد البلى وجاء بلفظ عليه المشعر بوجود الشيء لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ بقوله عليه بوجودها لا محالة وكانه تعالى اوجب ذلك على نفسه وتقدم الخلاف في قراءة النشاة في سورة العنكبوت وقال الزمخشري وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على

الاحسان

الاحسان والاساءة انتهى وهو على طريق الاعتزال وانه هو اغنى واقنى اي اكسب القنية يقال قنيت المال اي كسبته واقنيته اياه اي اكسبته اياه ولم يذكر متعلق اغنى واقنى لان المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى وقد تكلم المفسرون على ذلك فقالوا اثنا عشر قولا كقولهم اغنى نفسه وافقر خلقه اليه وكل قول منها لا دليل على تعيينه فينبغي ان يحمل ما تقدم والشعرى التي عبدت على العبور وقال السدي كانت تعبدها حمير وخزاعة وقال غيره اول من عبدها ابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته وكان اسمه عبد الشعرى ولذلك كان مشركو قريش يسمونه عليه السلام ابن ابي كبشة ومن ذلك كلام ابي سفيان لقد امر امر ابن ابي كبشة ومن العرب من كان يعظمها ولا يعبدها ويعتقد تأثيرها في العالم وانها من الكواكب الناطقة يزعم ذلك المنجمون ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها وهي تقطع السماء طولا والنجوم كلها تقطعها عرضا وقال مجاهد وابن زيد هو مرزم الجوزاء وانه اهلك عادا الاولى جاء بين ان وخبرها لفظ هو وذلك في قوله وانه هو اضحك وانه هو امات وانه هو اغنى وانه هو رب الشعرى في الثلاثة الاول لما كان قد يدعي ذلك بعض الناس كقول نمرود انا احيي واميت احتيج الى تأكيد في ان ذلك انما هو الله تعالى لا غيره فهو الذي يضحك ويبكي وهو المميت المحيي والمغني والمقني حقيقة وان ادعى ذلك احد فلا حقيقة له واما وانه هو رب الشعرى فانها لما عبدت من دون الله تعالى نص على انه تعالى هو ربها وموجدها ولما كان خلق الزوجين والانشاء الاخر واهلاك عاد ومن ذكر لا يمكن ان يدعي ذلك احد لم يحتج الى تأكيد ولا تنصيص انه تعالى هو فاعل ذلك وعادا الاولى هم قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح عليه الصلاة والسلام وقيل الاولى المتقدمون في الدنيا الاشراف قاله الزمخشري وقال ابن زيد والجمهور لانها في وجه الدهر وقديمه فهي اولى بالاضافة الى الامم المتأخرة وقال الطبري وصفت بالاولى لان عادا الاخرة قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن هزال وقال المبرد عاد الاخرة هي ثمود والدليل عليه قول زهير كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم ذكره الزهراوي وقيل عاد الاخرة الجبارون وقال قيل الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود وقيل ثمود من قبل عاد وقيل عاد الاولى هو عاد بن ارم ابن عوص بن سام بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الاولى وقرأ الجمهور عادا الاولى بالتنوين عاد وكسره لالتقائه ساكنا مع سكون لام الاولى وتحقيق الهمزة بعد اللام وقرأ قوم كذلك غير انهم نقلوا حركة الهمزة الى اللام وحذفوا الهمزة وقرأ نافع وابو عمرو بادغام التنوين في اللام المنقول اليها حركة الهمزة المحذوفة وعاب هذه القراءة المازني والمبرد وقالت العرب في الابتداء بعد النقل الحمر والحمر فهذه القراءة جاءت على لحمر فلا عيب فيها وهمز قالون عين الاولى بدل الواو الساكنة ولما لم يكن بين الضمة والواو حائل تخيل ان الضمة على الواو فهمزها كما قال احب المؤقدين الي مؤسى وكما قرأ بعضهم على سؤقه وهو توجيه شذوذ وفي حرف ابي عاد غير مصروف جعله اسم قبيلة فمنعه الصرف للتانيث والعلمية والدليل على التانيث وصفه بالاولى وقرأ الجمهور وثمود مصروفا وقرأه غير مصروف الحسن وعاصم وعصمة فما ابقى الظاهر ان متعلق ابقى يرجع الى عاد وثمود معا اي فما ابقى عليهم اي اخذهم بذنوبهم وقيل فما ابقى يرجع الى عاد وثمود معا اي فما ابقى منهم عينا تطرف وقال ذلك الحجاج ابن يوسف حين قيل له ان ثقيفا من نسل ثمود فقيل قال الله تعالى وثمود فما ابقى وهؤلاء يقولون

يبق منهم بقية والظاهر القول الاول لان ثمود كان قد آمن منهم جماعة لصالح عليه السلام فما اهلكهم الله مع الذين كفروا به وقوم نوح من قبل عاد وثمود وكانوا اول امة كذبت من اهل الارض ونوح عليه السلام اول الرسل والظاهران الضمير في انهم عايد على قوم نوح وجعلهم اظلم واطغى لانهم كانوا في غاية العتو والايذا لنوح عليه السلام يضربونه حتى لا يكاد يتحرك ولا يتاثرون بشي مما يدعوهم اليه وقال قتادة دعاهم الف سنة الا خمسين عاما كلما هلك قرن نشا قرن حتى كان الرجل ياخذ بيد ابنه يمشي به اليه يحذره منه ويقول يا بني ان ابي مشى بي الى هذا وانا مثلك يوميذ فاياك ان تصدقه فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه وقيل الضمير في انهم عايد على من تقدم عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكفر من قريش واطغى ففي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يجوزان يكون تاكيدا للضمير المنصوب ويجوزان يكون فصلا لانه واقع بين معرفة وافعل التفضيل وحذف المفعول بعد افعل فخبر الكان لانه جار مجرى خبر المبتدا وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان ۝ والموتفكة هي مداين قوم لوط باجماع من المفسرين وسميت بذلك لانها انقلبت ومنه الافك لانه قلب الحق كذبا افكت فانتفكت وقيل ويحتملان يراد بالموتفكة كلما انقلبت مساكنه ودثرت اماكنه ۝ اهوى اي خسف بهم بعد رفعهم الى السما رفعها جبريل عليه السلام ثم اهوى بها الى الارض وقال المبرد جعلها هوى وقرا الحسن والموتفكات جمعا والظاهر ان اهوى ناصب الموتفكة واخر العامل لكونه فاصلة ويجوزان يكون والموتفكة معطوفا على ما قبله واهوى جملة في موضع الحال يوضح كيفية اهلاكهم اي واهلك الموتفكة مهويا لها فغشاها ما غشى فيه تهويل للعذاب الذي حل بهم لما قلبها جبريل اتبعت حجارة غشيتهم ۝ واحتمل ان يكون فعل المشدد بمعنى المجرد فيتعدى الى واحد فيكون الفاعل ما كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم ۝ فباي الا ربك تتمارى الباطر فيه والخطاب للسامع وتتمارى تتشكك وهو استفهام في معنى الانكار اي الا ولا وهي النعم لا يتشكك فيها سامع وقد سبق ذكر نعم ونقم والملق عليها كلها الا لما في النقم من الزجر والوعظ لمن اعتبر وقرا يعقوب وابن محيصن ربك تمارى بتا واحدة مشددة وقال ابو مالك الغفاري ان قوله ان لا تزر الى قوله تتمارى هو في صحف ابرهيم وموسى هذا نذير قال قتادة ومحمد بن كعب وابو جعفر الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح اول السورة به واختتمها به واختتم اخرها به وقيل الاشارة الى القران وقال ابو مالك الى ما سلف من الاخبار من الامم اي هذا انذار من الانذارات السابقة والنذير يكون مصدرا واسم فاعل وكلاهما من انذر والقياس بل القياس في المصدر انذار وفي اسم الفاعل منذر والنذر اما جمع للمصدر او جمع لاسم الفاعل فان كان اسم فاعل فوصف النذر بالاولى على معنى الجماعة ولما ذكر اهلاك من تقدم ذكره وذكر قوله هذا نذير ذكرانا الذي ينذر به قريب الوقوع فقال ازفت الازفة اي قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة وهي القيمة ۝ ليس لها من دون الله كاشفة اي نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه قاله الطبري والزجاج وقال القاضي منذر بن سعيد هو من كشف الضر ودفعه اي ليس لها من يكشف خطبها وهولها الا هي ويجوزان يكون الها في كاشفة للمبالغة وقال الرماني وجماعة ويحتمل ان يكون مصدرا كالعافية وخاينة الاعين اي ليس لها كشف من دون الله وقيل يحتمل ان يكون التقدير حال كاشفة ۝ افمن هذا الحديث وهو القران ۝ تعجبون فتنكرون وتضحكون مستهزيين ولا تبكون جزعا من وعيده ۝ وانتم سامدون قال مجاهد معرضون وقال عكرمة لاهون وقال قتادة غافلون وقال

السدي

السدي مستكبرون وقال ابن عباس ساهون وقال المبرد جامدون وكانوا اذا سمعوا القران غنوا تشاغلا عنه وروي انه عليه السلام لم ير ضاحكا بعد نزولها ۝ فاسجدوا لله واعبدوا اي ذوو بالعبادة دا انقيد ون اللات والعزى ومناة والشعرى وغيرها من الاصنام وخرج البخوي باسناد متصل الى عبد الله قال اول سورة نزل فيها السجدة النجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا لا انه اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد ذلك قتل كافرا والرجل امية بن خلف وروي ان المشركين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابي وعبد الله تضحكون بغير واو وقرا الحسن تعجبون تضحكون بغير واو وبضم التاني وكسر الجيم والكافي قوله ولا تبكون حض على البكا عند سماع القران والسجود هنا عند كثير من اهل العلم منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وورد به احاديث صحاح ولسن يراها مالك هنا وعن زيد بن ثابت انه قرا بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم المفردات الحدرث القبر ويبدل ثا ونها فاويقال جدف كما ابدلوا في اثم فقالوا فم انهمر المانزل بقوة غزيرا قال الشاعر ۝

راح تمريه الصبا ثم انتحى ۝ فيه شؤبوب جنوب منهمر ۝

الدسر المسامير التي تشد بها الواح السفينة واحدها دسار ككتاب وكتب ويقال دسرت السفينة اذا شددتها بالمسامير وقال الليث وصاحب الصحاح الدسر خيوط تشد بها الواح السفينة ۝ الصرصر الشديد او البرد او ما من صرير الباب وهو تصويته او من الصر الذي هو البرد وهو هنا منفعل على وزن فعلل عند الجمهور عند العجز مؤخر الشي المنقعر المنقلع من اصله قعرت الشجرة قعرا قلعتها من اصلها فانقعرت والبير نزلت حتى انتهت الى قعرها ولانا شربت ما فيه حتى انتهيت الى قعره واقعرت البير جعلت لها قعرا ۝ الاشر البطر وقرا اشر بالكسر يا شرا شرا فهو اشر واشر وقوم اشارى مثل سكران وسكارى ۝ سقر علم لجهنم مشتق من سقرته النار بالسين وصقرته بالصاد اذا لوحته ۝ قال ذو الرمة ۝

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ۝ بافنان مربوع الصريمة معبل ۝

وامتنعت سقر من الصرف للعلمية والتانيث وتنزلت حركة وسطه منزلة الحرف الرابع في زينب

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ۝ وكذبوا واتبعوا اهواهم وكل امر مستقر ۝ ولقد جاهم من الانبا ما فيه مزدجر ۝ حكمة بالغة فما تغني النذر ۝ فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شي نكر خاشعا ابصارهم ۝ يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر ۝ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعى ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السما بما منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزا لمن كان كفر ۝ ولقد تركناها اية فهل من مدكر ۝ هذه السورة مكية في قول الجمهور وقيل هي مما نزل يوم بدر وقال مقاتل مكية الا ثلاث ايات اولها ام يقولون نحن واخرها ادهى وامر وسبب نزولها ان قريشا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل وكانت ليلة بدر فسال ربه فانشق القمر نصفا على الصفا ونصفه على قعيقعان فقال اهل مكة اية سما وية لا يهل فيها السحر فقال ابو جهل اصبروا حتى

مستركي و

بانها اهل البوادي فان اخبروا بانشقاقه فهو صحيح والا فقد سحر محمد اعيننا فجاوا واخبروا بانشقاق
القمر فاعرض ابو جهل وقال سحر مستمر وعن ابن عباس انشق القمر باثنين شطر على السويدا
وشطر على الخندمة وعنه انشق القمر بمكة مرتين وعنه انفلق فلقتين فلقة ذهبت
وفلقة بقيت ومناسبة اول السورة لاخر ما قبلها ظاهر قال ازفت الازفة وقال اقتربت الساعة
وعن عائشة انشقاق القمر ابن مسعود وجبير ابن مطعم واخبر به ابن عمر وانس وحذيفة
وابن عباس وحين راى الله الناس انشقاق القمر قال الرسول صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وقال المشركون اذ ذاك سحرنا محمد معناه انه ينشق يوم القيامة ويرده من الاية قوله
وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فلا يناسب هذا الكلام ان ياتي الا بعد ظهور ما سالوه
معينا من انشقاق القمر وقيل سالوا اية في الجملة فاراهم هذه الاية السموية وهي من اعظم الايات
وذلك انه تاثير في العالم العلوي وقرا حذيفة وقد انشق القمر اي اقتربت وتقدم من اياتها اقترابها
انشقاق القمر كما تقول اقبل الامير وقد جا المبشر بقدومه وخطب حذيفة بالمداين ثم قال الا ان
الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم ولا التفات الى قول الحسن ان المعنى اذا
جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية والى قول من قال ان انشقاقه عبارة عن
انشقاق الظلمة عند طلوعه في اثنائها فالمعنى ظهر الامر فان العرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح
كما يسمى الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق قال النابغة
فلما ادبروا ولهم دوي * دعانا عند شق الصبح داعي * وهذه اقوال فاسدة ولولا
ان المفسرين ذكروها لاضربت عن ذكرها صفحا * وان يروا اية يعرضوا وقرئ وان يروا مبنيا
للمفعول اي من شانهم وحالتهم اي متى راوا ما يدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم من
الايات الباهرة اعرضوا عن الايمان به وبتلك الاية وجات الجملة شرطية لتدل على انهم في الاستقبال
على مثل حالهم في الماضي ويقولوا سحر مستمر اي دايم ومنه قول الشاعر
الا انما الدنيا ليال واعصر * وليس على شي قويم بمستمر * اي بدايم لما راوا الايات
متوالية لا تنقطع قالوا ذلك وقال ابو العالية والضحاك والاخفش مستمر مستحكم وهو من مرير
الحبل اي سحر قد احكم ومنه قول الشاعر
حتى استمرت على شزر مريرته * صدق العزيمة لا رثا ولا ضرعا * وقال انس
ويمان ومجاهد والكسائي والفرا واختاره النحاس مستمر مار ذاهب زايل عن قريب عللوا
بذلك انفسهم وقيل مستمر شديد المرارة اي مستبشع عندنا مر يقال مر الشي وامر اذا صار
مرا وامر غيره وامر يكون لازما ومتعديا وقيل مستمر يشبه بعضه بعضا اي استمرت افعاله
على هذا الوجه من التخييلات وقيل مستمر مار من الارض الى السما اي بلغ من سحره انه سحر القمر
وكذبوا اي بالايات او بمن جاء بها اي قالوا هذا سحر مستمر سحرنا محمد واتبعوا اهواهم اي شهوات
انفسهم وما يهوون وكل امر مستقر بكسر القاف وضم الرا مبتدا وخبر قال مقاتل اي لكل حديث منتهى
اليها وقال الكلبي مستقر له حقيقة فما كان في الدنيا فسيظهر وما كان في الاخرة فسيعرف وقال
قتادة معناه ان الخير يستقر باهل الخير والشر باهل الشر وقيل يستقر الحق ظاهرا ثابتا والباطل
زاهقا ذاهبا وقيل وكل امر من امرهم وامرك يستقر على خذلان او نصر في الدنيا وسعادة
او شقاوة في الاخرة وقرا شيبة مستقر بفتح القاف ورويت عن نافع وقال ابو حاتم لا وجه
لفتح القاف انتهى وخرجت على حذف مضاف اي ذو استقرار وزمان استقرار وقرا ابو جعفر

وزيد بن علي

مستقر

وزيد بن علي مستقر بكسر القاف والرا * صفة لامر ورفعه الزمخشري على ان يكون وكل عطفا
على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر يستقر ويتبين حاله وهذا بعيد لطول الفصل
بجمل ثلاث وبعيد ان يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو اكلت خبزا وضربت خالدا وان يجي
زيد اكرمه ورحل الى بني فلان ولحما يعني ولحما اكلت فيكون ولحما عطفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب
وخرجه صاحب اللوامح على انه خبر لكل فهو مرفوع في الاصل لكنه جر للمجاورة وهذا ليس بجيد
لان الخفض على الجوار في غاية الشذوذ ولانه لم يعهد في خبر المبتدا انما عهد في الصفة على اختلاف
النحاة في وجوده والاسهل ان يكون الخبر مضمرا لدلالة المعنى عليه والتقدير وكل امر مستقر لهم
ان فعله وكذبوا واتبعوا اهواهم اي وكل امر مستقر لهم في القدر من خير او شر بالغوه وقيل الخبر حكمة
بالغة اي وكل امر مستقر حكمة بالغة ويكون ولقد جاهم من الانبا ما فيه مزدجر اعتراضا بين
المبتدا وخبره ولقد جاهم من الانباء اي من الاخبار الواردة في القران في اهلاك من كذب الانبيا وما
يؤولون اليه في الاخرة ما فيه مزدجر اي ازدجار رادع لهم عما هم فيه او موضع ازدجار وارتداع
اي ذلك موضع ازدجار ومظنة له وقرئ مزجر بابدال تا الافتعال زايا وادغام الزاي فيها
وقرا زيد بن علي مزجر اسم فاعل من ازجر اي صار ذا زجر كاعشب اي صار ذا عشب وقرا الجمهور
حكمة بالغة برفعهما وجوزوا ان تكون جملة بدلا من مزدجر ومن ما او خبر مبتدا محذوف
وتقدم قول من جعله خبرا عن كل في قراءة من قرا مستقر بالجر وقرا اليماني حكمة بالغة بالنصب
فيهما حالا من ما سوا كانت موصولة ام موصوفة تخصصت بالصفة ووصف الحكمة ببالغة
لانها تبلغ غرضها * فما تغني النذر ما نافية او استفهامية ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
فتول عنهم اي اعرض عنهم فان الانذار لا يجدي فيهم ثم ذكر شيئا من احوال الاخرة وما يؤولون اليه
اذ ذاك متعلق باقتراب الساعة فقال يوم يدع الداعي والناصب ليوم اذكر مضمرة او يخرجون
قاله الرماني او يخرجون وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وهذا ضعيف من جهة اللفظ
ومن جهة المعنى اما من جهة اللفظ فحذف الى واما من جهة المعنى فان توليه عنهم ليس
مغيا بيوم يدع الداع وجوزوا ان يكون منصوبا بقوله فما تغني النذر ويكون فتول عنهم
اعتراضا وان يكون منصوبا بقوله يقول الكافرون ومنصوبا على اضمار انتظر ومنصوبا
بقوله فتول وهذا ضعيف جدا ومنصوبا بمستقر وهو بعيد ايضا وحذفت الواو من يدع في
الرسم اتباعا للنطق والبا من الداع تخفيفا اجريت ال مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما تحذف
معه حذفت معها والداع هو اسرافيل وجبرايل او ملك غيرهما موكل بذلك اقوال وقرا الجمهور
نكر بضم الكاف وهو صفة على فعل وهو قليل في الصفات ومنه رجل شلل اي خفيف في الحاجة
وناقة اجد ومشية سجح وروضة انف وقرا الحسن وابن كثير وشبل باسكان الكاف كما قالوا
شغل وشغل وعسر وعسر وقرا مجاهد وابو قلابة والجحدري وزيد بن علي نكر فعلا ماضيا
مبنيا للمفعول اي جهل فنكر وقال الخليل النكر نعت للامر الشديد والرجل الداهية اي تنكره
النفوس لانها لم تعهد مثله وهو يوم القيامة قال مالك بن عوف النصري
اقدم محاج انه يوم نكر * مثلي على مثلك يحمي ويكر * وقرا قتادة وابو جعفر وشيبة
والاعرج والجمهور خشعا جمع تكسير وابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدري وابو عمرو وحمزة
والكسائي خاشعا بالافراد وقرا ابي وابن مسعود خاشعة وجمع التكسير في كلام العرب
وقال الفرا وابو عبيدة كله جايز انتهى ومثال جمع التكسير قول الشاعر

۝ بمطرد لدن صحاح كعوبه ۝ وذي رونق عضب يقد القوانسا ۝ ومثال الافراد
۝ ورجال حسن وجوههم ۝ من اياد بن نزار بن معد ۝ وقال آخر ۝
۝ ترمي الفجاج به الركبان معترضا ۝ اعناق بزلها مرخى لها الجدل ۝ وانتصب خشعا
وخاشعا وخاشعة على الحال من ضمير يخرجون والعامل فيه يخرجون لانه فعل منصرف وفي هذا
دليل على بطلان مذهب الجرمي انه لا يجوز تقدم الحال على الفعل وان كان منصرفا وقد قالت العرب
۝ شتى تؤوب الحلبة ۝ فشتى حال وقد تقدمت على عاملها وهو تؤوب لانه فعل منصرف وقال
الشاعر ۝ سريعا يهون الصعب عند اولي النهى ۝ اذا برجا صادق خالوا الباسا ۝
فسريعا حال وقد تقدمت على عاملها وهو يهون وقيل هو حال من الضمير المجرور في عنهم من قوله
فتول عنهم وقيل هو مفعول بيدع اي قوما خشعا او فريقا خشعا وفيه بعد ومن قرأ خاشعا
وذكر فعلى تقدير يخشع ابصارهم ومن قرأ خاشعة ابصارهم وانث فعلى تقدير تخشع ومن
قرأ خشعا جمع تكسير فلان الجمع موافق لما بعده وهو ابصارهم وموافق للضمير الذي هو صاحب
الحال في يخرجون وهو نظير قولهم مررت برجال كرام آباؤهم وقال الزمخشري وخشعا على
يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي انتهى ولا يجري جمع التكسير مجرى جمع
السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة وقد نص سيبويه على ان جمع التكسير اكثر في كلام
العرب فكيف يكون اكثر ويكون على تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء حين ذكر الافراد مذكرا
ومؤنثا وجمع التكسير قال لان الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق
للفظها فكان اشبه انتهى وانما يخرج على تلك اللغة اذا كان الجمع مجموعا بالواو والنون نحو مررت
بقوم كريمين آباؤهم والزمخشري قاس جمع التكسير على هذا الجمع المسلم وهو قياس فاسد ويرده
النقل عن العرب ان جمع التكسير اجود من الافراد كما ذكرناه عن سيبويه وكما دل عليه كلام الفراء
ويجوز ان يكون في خشعا ضمير وابصارهم بدل منه وقرئ خشع ابصارهم وهي جملة في موضع
الحال وخشع خبر مقدم وخشوع الابصار كناية عن الذلة وهي في العيون اظهر منها في سائر
الجوارح وكذلك افعال النفس من ذلة وعزة وحياء وصلف وخوف وغير ذلك كأنهم جراد منتشر
جملة حالية ايضا شبههم بالجراد في الكثرة والتموج ويقال جاؤوا كالجراد في الجيش الكثير المتموج
ويقال كالدبا وجاء تشبيههم ايضا بالفراش المبثوث وكل من الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر
شبه منهما وقيل يكونون اولا كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون
لان الفراش لا جهة له يقصدها ثم كالجراد المنتشر اذا توجهوا الى المحشر والداعي فهما تشبيهان
باعتبار وقتين قال معناه مكي ابن ابي طالب ۝ مهطعين قال ابو عبيدة مسرعين ومنه
قوله ۝ بدجلة دارهم ولقد اراهم ۝ بدجلة مهطعين الى السماع ۝ زاد غيره مادي
اعناقهم وزاد غيره مع هز ورهق ومديم بصر نحو المقصد اما لخوف او طمع ونحوه وقال قتادة عامدين
وقال الضحاك مقبلين وقال عكرمة فاتحين اذانهم الى الصوت وقال ابن عباس ناظرين ومنه
قول الشاعر ۝ تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ۝ ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع ۝
وقيل خافضين ما بين اعينهم وقال سفيان خاشعة ابصارهم الى السماء يوم عسر لما يشاهدون
من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه كذبت قبلهم اي قبل قريش قوم نوح وفيه
وعيد لقريش وضرب مثل لهم ومفعول كذبت محذوف اي كذبت الرسل فكذبوا نوحا عليه السلام
لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا عليه السلام لما كانوا مكذبين بالرسل

ويجوز

٢٤٠

ويجوز ان يكون المحذوف نوحا اول مجيئه اليهم فكذبوه تكذيبا يعقبه تكذيب كلما مضى منهم
قرن مكذب تبعه قرن مكذب وفي لفظة عبدنا تشريف وخصوصية بالعبودية كقوله
تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان سبحان الذي اسرى بعبده وقالوا مجنون لما راوا الآيات
الدالة على صدقه قالوا هو مصاب الجن ثم لم يقتنعوا بتكذيبه حتى نسبوه الى الجنون اي يقول
ما لا يقبله عاقل وازدجر اي انتهر وزجر بالسب والضرب والتخويف قاله
ابن زيد وقرأ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قيل والمعنى انهم فعلوا به ما
يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم الى الايمان وعدل الى الدعاء عليهم وقال
مجاهد وازدجر من تمام قولهم اي قالوا وازدجر اي استطير جنونا اي ازدجرته الجن
وذهبت بلبه وتخبطته وقرأ ابن ابي اسحاق وعيسى والاعمش وزيد بن علي ورويت
عن عاصم اني بكسر الهمزة على اضمار القول على مذهب البصريين او على اجراء الدعاء مجرى
القول على مذهب الكوفيين وقرأ الجمهور بفتحها اي باني مغلوب اي غلبني قومي فلم يسمعوا
مني ويئست من اجابتهم لي فانتصر اي فانتقم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا عليهم بعد
ما يئس منهم وتفاقم امرهم وكان الواحد من قومه يخنقه الى ان يخر مغشيا عليه وقد كان
يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومتعلق فانتصر محذوف وقيل التقدير فانتصر
لي منهم بان تهلكهم وقيل فانتصر لنفسك اذ كذبوا رسلك فوقعت الاجابة وللمتصوفة
قول في مغلوب فانتصر حكاه ابن عطية يوقف عليه في كتابه ففتحنا بيان ان الله تعالى
انتصر منهم وانتقم قيل ومن العجب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله بمطلوبهم
ابواب السماء بماء جعل الماء كانه آلة يفتح بها كما يقول فتحت الباب بالمفتاح وكأن الماء
جاء ففتح الباب فجعل المقصود وهو الماء مقدما في الوجود على فتح الباب المغلق ويجوز ان
تكون الباء للحال اي ملتبسة بماء منهمر وقرأ ابن عامر وابو جعفر والاعرج ويعقوب
ففتحنا مشددا والجمهور مخففا ابواب السماء هذا عند الجمهور مجاز وتشبيه لان
المطر كأنه نازل من ابواب كما تقول فتحت ابواب القرب وجرت مزاريب السماء وقال
علي وتبعه النقاش يعني بالابواب المجرة وهي شرج السماء كشرج العيبة وذهب قوم الى انها
حقيقة فتحت في السماء ابواب جرى منها الماء ومثله مروي عن ابن عباس قال ابواب
السماء فتحت من غير سحاب لم تغلق اربعين يوما قال السدي منهمر اي كثير قال
الشاعر ۝ اعيني جودا بالدموع الهوامر ۝ على خير باد من معد وحاضر ۝
وقرأ الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم وعبد الله واصحابه وابو حيوة والمفضل عن عاصم
بالتخفيف والمشهور ان العين لفظ مشترك قيل والظاهر انها حقيقة في العين الباصرة
مجاز في غيرها وهو في عين الماء مجاز مشهور غالب وانتصب عيونا على التمييز جعلت
الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من وفجرنا عيون الارض ومن منع مجيء التمييز
من المفعول اعربه حالا ويكون حالا مقدرة واعربه بعضهم مفعولا ثانيا كأنه ضمن وفجرنا صيرنا
بالتفجير الارض عيونا وقيل وفجرت اربعين يوما وقرأ الجمهور فالتقى الماء وهو اسم جنس
والمعنى ماء السماء وماء الارض وقرأ علي والحسن ومحمد بن كعب والجحدري الماءان وقرأ الحسن
ايضا الماوان وقال الزمخشري وقرأ الحسن ماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان
انتهى تشبيها للهمزة التي هي بدل من هاء في الماء بهمزة الالحاق في علباء وعن الحسن ايضا الماءاب

بقلب الهمزة ياء وفي كلتا القراءتين شذوذ ❁ على أمر قد قدر ❁ أي على حالة قدرت وقد فصلت في الأزل وقيل هي على مقادير قد رتبت وقت التقائه فروي أن ماء الأرض كانت على سبعة عشر ذراعا ونزل ماء السماء على تكملة أربعين ذراعا وقيل كان ماء الأرض أكثر وقيل كانا معتدلين وقيل نزل من السماء قدر ما خرج من الأرض وقيل على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح عليه السلام بالطوفان وهذا هو الراجح لأن كل قصة ذكرت بعد هذه القصة ذكر الله هلاك مكذبي الرسل فيها فيكون هذه كناية عن هلاك قوم نوح ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله وحملناه على ذات ألواح ودسر وقرأ أبو حيوة قدر بتشديد الدال والجمهور بتخفيفها وذات الألواح والدسر هي السفينة التي أنشأها نوح عليه السلام ويفهم من هذين الوصفين أنها السفينة فهي صفة تقوم مقام الموصوف وتنوب عنه ونحوه قميص مسرودة من حديد أي درع وهذا من فصيح الكلام وبديعه ولو جمعت بين الصفة والموصوف فقيل لم يكن بالفصيح والدسر المسامير قاله الجمهور وقال الحسن وابن عباس مقاديم السفينة لأنها تدسر الماء أي تدفعه والدسر الدفع وقال مجاهد وعنه بطن السفينة وعنه أيضا هو أرض السفينة وعنه أيضا أضلاع السفينة تجري في ذلك الماء الملتقي بحفظ منا وكلاءة بحيث نحامي من كان فيها وفي غيرهم وقال مقاتل بن سليمان بأعيننا بوحينا وقيل بأمرنا وقيل بأوليائنا يقال فلان عين من عيون الله تعالى أي ولي من أوليائه وقيل بأعين الماء التي انبعث منها وقيل من حفظها من الملائكة سماهم أعينا وقرأ زيد بن علي وأبو السمال بأعينا بالإدغام والجمهور بالفك جزاء أي مجازاة لمن كان كفر أي لنوح عليه السلام إذ كان نعمة أهداها الله إلى قومه لأن يؤمنوا فكفروها المعنى أن حمله في السفينة ومن آمن معه كان جزاء على صبره على قومه المتين من السنين ومن كناية عن نوح وقيل يعني بمن كفر لمن جحدت نبوته وقال ابن عباس ومجاهد من يراد به الله تعالى كأنه قال غضبا وانتصارا لله تعالى أي انتصر لنفسه فأغرق الكافرين وأنجى المؤمنين وهذان التأويلان في من على قراءة الجمهور كفر مبنيا للمفعول وقرأ مسلمة بن محارب بإسكان الفاء خفف فعل كما قال الشاعر ❁ لو عصر منه البان والمسك انعصر ❁ يريد لو عصر وقرأ زيد بن رومان وعيسى كفر مبنيا للفاعل فمن يراد به قوم نوح عليه السلام كان جزاء لهم على كفرهم وكفر خبر لكان وفي ذلك دليل على وقوع الماضي بغير قد خبرا لكان وهو مذهب البصريين وغيرهم يقول لا بد من قد ظاهرة أو مقدرة على أنه يجوز أن كان هنا زائدة أي لمن كفر والضمير في تركناها عائد على الفعلة والقصة قال قتادة والنقاش وغيرهما عائد على السفينة وأنه تعالى أبقى خشبها حتى رآه بعض أوائل هذه الأمة قال قتادة وكم من سفينة بعدها صارت رمادا وقرأ الجمهور مذكر بإدغام الدال في الدال المبدلة من تاء الافتعال وقتادة فيما نقل عن ابن عطية بالذال أدغم بعد قلب الثاني إلى الأول وقال صاحب كتاب اللوامح قتادة فهل من مذكر فاعل من التذكير أي من يذكر نفسه أو غيره بما مضى من القصص انتهى وقرئ مذتكر على الأصل ❁ فكيف كان عذابي ونذر ❁ تهويل لما حل بقوم نوح من العذاب وإعظام له إذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم فلم يتنسل منهم أحد أي كيف كان عاقبة إنذاري والنذر جمع نذير وهو الإنذار وفيه توقيف لقريش على ما حل بالمكذبين أمثالهم وكان إن كانت ناقصة كانت كيف في موضع خبر كان وإن كانت تامة كانت

في موضع نصب على الحال والاستفهام هنا لا يراد به حقيقته بل المعنى على التذكير بما حل بهم ولقد يسرنا أي سهلنا ❁ القرآن للذكر أي للادكار والاتعاظ لما تضمنه من المواعظ والوعد والوعيد فهل من مذكر قال ابن زيد من متعظ وقال قتادة هل من طالب خير وقال محمد ابن كعب فهل من منزجر عن المعاصي وقيل المدكر للحفظ أي سهلناه للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم وسلاسة اللفظ وعروه عن الوحشي وشرف المعاني وصحتها فله تعلق بالقلوب فهل من مذكر أي من طالب لحفظه ليعان عليه ويكون زواجره وعلومه حاضرة في النفس وقال ابن جبير يستظهر شيء من الكتب إلا هذه غير القرآن وقيل يسرنا هيأنا القرآن للذكر كقولهم يسر ناقته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه قال الشاعر
❁ وقمت إليه باللجام ميسرا ❁ هنالك يجزيني الذي كنت أصنع ❁

قوله ❁ كذبت عاد بالنذر ❁ فكيف كان عذابي ونذر ❁ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا ❁ في يوم نحس مستمر ❁ كأنهم أعجاز نخل منقعر ❁ فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ❁ كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر ❁ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ❁ تقدمت قصة عاد مطولة ومتوسطة وهنا ذكرها تعالى موجزة ولما لم يكن لقوم نوح ❁ علم ذكر قومه ولما كانت عاد علما لقوم هود ذكر العلم لأنه أبلغ في الذكر من التعريف بالإضافة وكرر التهويل بالاستفهام فقيل ذكر ما حل بهم وبعده لغرابة ما عذبوا به من الريح وانفرادهم بهذا النوع من العذاب ولأن الاختصار داعية الاعتبار والتدبر والصرصر الباردة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وقيل المصوتة والجمهور على إضافة يوم إلى نحس وسكون الحاء وقرأ الحسن بتنوين يوم وكسر الحاء جعله صفة لليوم كقوله تعالى في أيام نحسات مستمر قال قتادة استمر بهم حتى بلغهم جهنم وعن الحسن والضحاك كان مرا عليهم وروي أنه كان يوم الأربعاء والذي يظهر أنه ليس يوما معينا بل أريد به الزمان والوقت كأنه قيل في وقت نحس ويدل على ذلك أنه قال في سورة فصلت فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات وقال في الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما إلا أن يكون ابتدأ الريح في يوم الأربعاء فعبر بوقت الابتداء وهو يوم الأربعاء فيمكن ❁ تنزع الناس يجوز أن يكون صفة للريح وأن يكون حالا منها لأنها وصفت فقربت من المعرفة ويحتمل أن تكون تنزع مستأنفا وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل ذكورهم وإناثهم إذ لو عاد بضمير المذكرين لتوهم أنه خاص بهم أي تقلعهم من أماكنهم قال مجاهد يلقي الرجل على رأسه فتفتت رأسه وعنقه وما يلي ذلك من بدنه وقيل كانوا يصطفون آخذي بعضهم بأيدي بعض ويدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتدق رقابهم والجملة التشبيهية حال من الناس وهي حال مقدرة وقال الطبري في الكلام حذف تقديره فتتركهم كأنهم أعجاز فالكاف في موضع نصب بالمحذوف شبههم بأعجاز النخل المنقعر إذ تساقطوا على الأرض أمواتا وهم جثث عظام طوال والأعجاز الأصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها وقيل كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا

بلا رؤوس فاشبهت اعجاز النخل التي انقلعت من مغارسها وقرا ابو نهيك اعجز على وزن افعل نحو ضبع واضبع والنخل اسم جنس يذكر ويونث وانما ذكر هنا لمناسبة الفواصل وانث في قوله اعجاز نخل خاوية في الحاقة لمناسبة الفواصل ايضا وقرا ابو السمال فيما ذكر الهذلي في كتابه الكامل وابو عمرو الداني برفعهما فابشر رفع البشر ونصب واحدا عن ابي السمال قال صاحب اللوامح فاما رفع البشر فباضمار الخبر بتقدير ابشر منا يبعث الينا او يرسل واما انتصاب واحدا فعلى الحال اما مما قبله بتقدير ابشر كاين منا في الحال توحده واما مما يعود بمعنى نتبعه في توحده او في حال انفراده وقال ابن عطية ورفعه اما على اضمار فعل مبني للمفعول التقدير اينبا بشر واما على الابتدا والخبر في قوله نتبعه وواحدا على هذه القراة حالا اما من الضمير في نتبعه واما من المقدر مع منا كانه يقول ابشر كاين منا واحدا وفي هذا نظر وقولهم ذلك حسد منهم واستبعاد ان يكون نوع البشر يفضل بعضه بعضا هذا الفضل فقالوا انكون جمعا ونتبع واحدا ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا ويفيض نور الهدى على من رضيه انتهى وقال الزمخشري فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لانه يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكونوا من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملايكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنايهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قوله االقي عليه الذكر من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة انتهى وهو حسن على ان فيه تحميل اللفظ ما لا يحتمله انا اذا اي ان اتبعناه فنحن في ضلال اي بعد عن الصواب وحيرة وقال الضحاك في تيه وقال وهب بعد عن الحق وسعر اي عذاب قاله ابن عباس وعنه وجنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت تفرط في سيرها كانها مجنونة وقال الشاعر

كأن بها سعرا اذا العيس هزها ... ذميل وارخا من السير متعب

قال قتادة وسعر عنا وقال ابن بحر وسعر جمع سعير وهو وقود النار اي في خطر كمن هو في النار انتهى وروي انه كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر نيران فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول ثم زادوا في الانكار والاستبعاد فقالوا االقي اي انزل قيل وكانه يتضمن العجلة في الفعل والعرب تستعمل هذا الفعل ومنه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا والذكر هنا الوحي والرسالة وما جاهم من الحكمة والموعظة ثم قالوا بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كما تزعم بل هو كذاب اشر اي بطر يريد العلو علينا وان يقتادنا ويتملكنا وقرا قتادة وابو قلابة بل هو الكذاب الاشر بلام التعريف فيهما وبفتح الشين وشد الرا وكذا الاشر الحرف الثاني وقرا الحرف الثاني مجاهد فيما ذكر صاحب اللوامح وابو قيس الاودي الاشر بثلاث ضمات وتخفيف الرا ويقال اشر واشر كحذر وحذر وفتحة الشين لغة وضم الهمزة تبع لضمة الشين وحكى الكسايي عن مجاهد ضم الشين وقرا ابو حيوة هذا الحرف الاخر الاشر افعل تفضيل واتمام خير وشر في افعل التفضيل قليل وحكى ابن الانباري ان العرب تقول هو اخير وهو اشر قال الراجز

بلال خير الناس وابن الاخير

وقال ابو حاتم لا تكاد العرب تتكلم بالاخير والاشر الا في ضرورة الشعر وانشد قول روبة

بلال البيت

وقرا علي والجمهور سيعلمون بيا

الغيبة

الغيبة وهو من اعلام الله تعالى لصالح عليه السلام وابن عامر وحمزة وطلحة وابن وثاب والاعمش بتا الخطاب اي قل لهم يا صالح وغدا يراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي يلي يوم خطابهم فاحتمل ان يكون يوم العذاب الحال بهم في الدنيا وان يكون يوم القيمة وقال الطرماح

الا عللاني قبل نوح النوايح ... وقبل اضطراب النفس بين الجوانح

وقبل غد يا لهف نفسي على غد ... اذا راح اصحابي ولست برايح

اراد وقت الموت ولم يرد تعيين غد بعينه وفي قوله سيعلمون غدا تهديد ووعيد ببيان انهم الكذابون الاشرون واورد ذلك مورد الابهام والاحتمال وان كانوا هم المعنيين كقوله تعالى حكاية عن قول نوح عليه السلام فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وكذا قول شعيب عليه السلام سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وقول الشاعر

فلئن لقيتك خاليين لتعلمن ... ايي وايك فارس الاحزاب

وانما عنى بفارس الاحزاب الذي خاطبه انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي مخرجوها من الهضبة ابتلا واختبارا واسند ذلك صالحا لما هددهم بقوله سيعلمون غدا وكانوا قد ادعوا انه كاذب قالوا ما الدليل على صدقك قال الله تعالى انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي سالوها فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى ياتي امر الله ونبيهم ان الما اي ما البير الذي لهم قسمة بينهم اي بين ثمود وبين الناقة على ثمود فالضمير في بينهم لهم وللناقة اي لهم شرب يوم وللناقة شرب يوم وقرا الجمهور قسمة بكسر القاف ومعاذ عن ابي عمرو بفتحها كل شرب محتضر اي يحضره لهم وللناقة وتقدم من قصة الناقة مستوفاة فاغنى عن اعادتها وهنا محذوف اي فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الما فملوا ذلك وعزموا على عقر الناقة فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف فتعاطى هو مطاوع عاطى وكأن هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضا فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده ولما كانوا راضين نسب ذلك اليهم في قوله فعقروا الناقة وفي قوله فكذبوه فعقروها والصيحة التي ارسلت عليهم يروى ان جبريل عليه السلام صاح في طرف منازلهم فتفتتوا وهمدوا وصاروا كهشيم المحتظر وهو ما تفتت من الشجر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة فانه يتفتت منه حالة العمل ويتساقط اجزا مما يعمل به او يكون الهشيم مما يبس من الحظيرة بطول الزمان تطوه البهايم فيتهشم وقرا الجمهور بكسر الظا وابو حيوة وابو السمال وابو رجا وابو عمرو بن عبيد بفتحها وهو موضع الاحتظار والحظيرة تصنعها العرب واهل البوادي للمواشي والسكنى من الاغصان والشجر المورق والقصب والحظر المنع وعن ابن عباس وقتادة ان المحتظر هو المحترق قال قتادة كهشيم محترق وعن ابن جبير هو التراب الذي يسقط من الحايط البالي وقيل المحتظر بفتح الظا هو الهشيم نفسه فيكون من اضافة الموصوف الى صفته كمسجد الجامع على من تاوله كذلك وكان هنا قيل بمعنى صار

قوله تعالى كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ولقد جا ال فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من اوليكم ام لكم براة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر

وسعر • يوم يسحبون على وجوههم • ذوقوا مس سقر • انا كل شي خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر • ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر • وكل شي فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر • تقدمت قصة لوط عليه السلام
وقومه والحاصب من الحصبا وهو المعنى بقوله تعالى وارسلنا عليهم حجارة من سجيل الا ال لوط قيل الا ابنتاه
والسحر هو بكرة فلذلك صرف وانتصب نعمة على انه مفعول من اجله اي نجيناهم انعاما عليهم او على
المصدر لان المعنى انعمنا بالتنجية انعاما كذلك نجزي اي مثل ذلك الانعام والتنجية • نجزي من شكر
انعامنا واطاع وآمن • ولقد انذرهم بطشتنا اي اخذتنا لهم بالعذاب فتماروا اي تشككوا وتعاطوا
ذلك بالنذر اي بالانذار ويكون جمع نذير • فطمسنا اعينهم قال قتادة الطمس حقيقة جر جبريل عليه
السلام على اعينهم جناحه فاستوت مع وجوههم وقال ابو عبيدة مطموسة بجلد كالوجه قيل
لما صفقهم جبريل بجناحه تركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه الصلاة والسلام
وقال ابن عباس والضحاك هذا استعارة وانما حجب ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيا فجعل
ذلك كالطمس وقرا الجمهور فطمسنا بتخفيف الميم وابن مقسم بتشديدها • فذوقوا اي فقلت
لهم على السنة الملائكة ذوقوا • ولقد صبحهم بكرة اي اول النهار وباكرة لقوله مشرقين ومصبحين
وقرا الجمهور بكرة بالتنوين اراد بكرة من البكر فصرف وقرا زيد بن علي بغير تنوين • عذاب
مستقر اي لم يكشف عنهم كاشف بل اتصل بموتهم ثم بما بعد ذلك من عذاب القبر ثم عذاب جهنم
فذوقوا عذابي ونذر تاكيد وتوبيخ ذلك عند الطمس وهذا عند تصبيح العذاب قيل وفايدة تكرار
هذا التكرار • ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ان يجدد عند استماع كل نبا من انبا الاولين للاتعاظ واستينافا للتيقظ
اذا سمعوا الحث على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله فباي الا ربكما تكذبان عند
كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين من كل اية اوردها في سورة والمرسلات
وكذلك تكرير القصص في انفسها لتكون تلك العبر وغيرها من الانبيا مذكورة في كل اوان • ولقد
جا ال فرعون النذر هم موسى وهارون وغيرهما من الانبيا لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون
او يكون جمع نذير المصدر والظاهر ان الضمير في كذبوا باياتنا التسع والتوكيد هنا كالتوكيد في قوله
ولقد اريناه اياتنا كلها والظاهر ان الضمير في كذبوا وفي فاخذناهم عايد على ال فرعون وقيل هو عايد
على جميع من تقدم ذكره من الامم وتم الكلام عند قوله النذر فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر •
لا يعجزه شي • اكفاركم خطاب لاهل مكة • خير من اوليكم الاشارة الى قوم نوح وهود وصالح ولوط
والى فرعون والمعنى انهم اشد في القوة والات الحروب والمكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا فلاجل كونهم
خيرا لا يعاقبون على الكفر بالله وقفهم على توبيخهم اي ليس كفاركم خيرا من اوليك بل هم مثلهم او شر
منهم وقد علمتم ما لحق اوليك من الهلاك المستاصل لما كذبوا الرسل • ام لكم براءة في الزبر اي
الكم في الكتب الالهية براءة من عذاب الله تعالى قاله الضحاك وعكرمة وابن زيد • ام يقولون نحن جميع
اي واثقون بجماعتنا منتصرون بقوتنا نقول ذلك على سبيل الاعجاب بانفسكم وقرا الجمهور ام
يقولون بياء الغيبة التفاتا وكذا ما بعده للغايب وقرا ابو حيوة وموسى الاسواري وابو البرهسم
بتاء الخطاب للكفار اتباعا لما تقدم من خطابهم وقرئ سيهزم الجمع بفتح التاء وكسر الزاي وفتح العين
خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وابو حيوة ايضا ويعقوب بالنون مفتوحة وكسر الزاي وفتح العين
والجمهور بالياء مبنيا للمفعول وضم العين وعن ابي حيوة وابن ابي عبلة ايضا بفتح الياء مبنيا للفاعل ونصب
العين اي سيهزم الله الجمع والجمهور ويولون بياء الغيبة وابو حيوة وداود بن ابي سالم عن ابي عمرو بتاء

الخطاب والدبر هنا اسم جنس وجا في موضع اخر ليولن الادبار وهو الاصل وحسن اسم الجنس هنا
كونه فاصلة وقال الزمخشري اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ الادبار انتهى
وليس مثل بطنكم لان مجي الدبر مفردا ليس بحسن ولا يحسن لافراد بطنكم وفي قوله تعالى سيهزم
الجمع عدة من الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهزيمة جمع قريش والجمهور على انها مكية ولذلك
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بها وقيل نزلت يوم بدر • بل الساعة موعدهم انتقل
من تلك الاقوال الى امر الساعة التي عذابها اشد عليهم من كل هزيمة وقتال والساعة ادهى
اي افظع واشد والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدفعه وهي الرزية العظمى تحل بالشخص وامر
من المرارة استعارة لصعوبة الشي على النفس • ان المجرمين في ضلال اي حيرة وتخبط في الدنيا
وسعر اي احتراق في الاخرة جعلوا فيه من حيث مصيرهم اليه وقال ابن عباس في خسران وفي رواية عبد الله الي النار
وجنون والسعر الجنون وتقدم مثله في قصة صالح عليه السلام • يوم يسحبون يجرون
في النار على وجوههم ذوقوا اي مقولا لهم ذوقوا مس سقر وقرا ابو عمرو مس سقر بادغام السين في السين قال مجاهد ادغامه خطا لانه مشدد انتهى والظن بابي عمرو انه لم
يدغم حتى حذف احدى السينين لاجتماع الادغام مثال ثم ادغم • انا كل شي خلقناه بقدر قرا
الجمهور كل شي بالنصب وقرا ابو السمال قال ابن عطية وقوم من اهل السنة بالرفع قال
ابو الفتح هو الوجه في العربية وقرانا بالنصب مع الجماعة وقال قوم اذا كان الفعل يتوهم
فيه الوصف وان بعده ما يصلح للخبر وكان المعنى على ان يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم
الاول حتى يتضح ان الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لان في قراءة الرفع يتخيل ان الفعل وصف
وان الخبر بقدر فقد تنازع اهل السنة والقدرية الاستدلال بهذه الاية فاهل السنة يقولون
كل شي فهو مخلوق لله تعالى بقدر دليله قراءة النصب لانه لا يفسر في مثل هذا التركيب الا ما
يصح ان يكون خبرا لو وقع الاول على الابتدا وقالت القدرية برفع كل وخلقناه في موضع الصفة
لكل اي ان امرنا وشاننا كل شي خلقناه فهو بقدر اي مقدار على حد ما في هيئته وزمنه وغير
ذلك قال الزمخشري كل شي منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شي بالرفع والقدر
والقدر هو التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته
الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه انتهى قيل والقدر
فيه وجوه احدها ان يكون بمعنى المقدار في ذاته وصفاته والثاني في التقدير قال
تعالى فقدرنا فنعم القادرون • وقال الشاعر •
وما قدر الرحمن ما هو قادر • اي ما هو مقدور والثالث القدر الذي يقال
مع القضا يقال كان ذلك بقضا الله وقدره والمعنى ان القضا ما في العلم والقدر ما في الارادة فالمعنى
في الاية خلقناه بقدر اي بقدرة مع ارادة انتهى • وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة وهي
كن كلمح بالبصر تشبيه باعجل ما يحس وفي اشيا امر الله تعالى اوحى من ذلك والمعنى انه اذا
اراد تكوين شي لم يتاخر عن ارادته • ولقد اهلكنا اشياعكم اي الفرق المتشابهة في مذهب
ودين • وكل شي فعلوه اي فعلته الامم المكذبة محفوظ عليهم الى يوم القيامة قال ابن عباس والضحاك
وقتادة وابن زيد ومعنى في الزبر في دواوين الحفظة • وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل
ما هو كاين مستطر اي مسطور في اللوح يقال سطرت واستطرت بمعنى وقرا الاعمش وعمران
ابن حدير وعصمة عن ابي بكر عن عاصم بتشديد الراء مستطر قال صاحب اللوامح يجوز ان يكون

من طر النبات والسارب اذا ظهر ونبت يعني كل شي ظاهر في اللوح مثبت ونفعل بالتشديد
وفتحا البني ووزنه على التوجيه الاول استفعل وعلى الثاني افتعل وقرا الجمهور ونهر على الافراد
والها مفتوحة والاعرج ومجاهد وحميد وابو السمال والفياض ابن غزوان بسكونها والمراد به
الجنس ان اريد به الانهار او يكون معنى ونهر وسعة في الارزاق والمنازل ومنه قول قيس
ابن الحطيم ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قايما من دونها ما ورآها اي اوسعت
فتقها وقرا زهير الفرقبي والاعمش وابو نهيك وابو مجلز واليماني بضم النون والها جمع نهر
كرهن ورهن او نهر كاسد واسد وهو مناسب لجمع جنات وقيل نهر جمع نهار ولا ليل في الجنة
وهو بعيد. في مقعد صدق يجوز ان يكون ضدا الكذب اي في المقعد الذي صدقوا في الخبر به وان
يكون من قولك رجل صدق اي خير وجود وصلاح وقرا الجمهور في مقعد على الافراد يراد به اسم
الجنس وعثمان البني في مقاعد على الجمع وعند تدل على قرب المكانة من الله تعالى والله اعلم

الغريب

النجم النبات الذي لا ساق له من نجم اي ظهر وطلع. الانام الحيوان.
العصف ورق الزرع. الريحان كل مشموم طيب الريح من النبات. المرجان الخرز الاحمر
وقيل صغار الدر والدر واللولو كباره واللولو بنا غريب قيل لا يحفظ منه في كلام العرب اكثر من
خمسة اللولو والجوجو والدود والبوبو طاير واليويو النعوذ الخروج من البنى ليس عسية
الشواظ اللهب الخالص بغير دخان. وقال حسان
هجوتك فاختضعت لها بذل. بقافية تاجج كالشواظ
وقال روبة
ونار حرب تسعر الشواظا. ونضم شينه وتكسر. النحاس قال الخليل والنحاس
هو الدخان الذي لا لهب له وهو معروف في كلام العرب. قال نابغة بني جعدة
تضي كضو سراج السليط. لم يجعل الله فيه نحاسا. وقال الكسائي النحاس هو النار التي
لها ريح شديد وقيل الصفر المذاب ونضم نونه وتكسر. الوردة الشديدة الحمرة يقال
فرس ورد وحجر وردة. الدهان الجلد الاحمر انشد القاضي منذر بن سعيد
تبعن الدهان الحمر كل عشية. بموسم بدر او بسوق عكاظ. الناصية مقدم الراس
اي نهاية في الحر. الافنان جمع فن وهو الغصن او جمع فن وهو النوع. قال الشاعر
ومن كل افنان اللذاذة والصبي. لهوت به والعيش اخضر ناضر. وقال نابغة بني ذبيان
بكا حمامة تدعوا هديلا. مفجعة على فنن تغني. الجني ما يقطف من الثمرة وهو فعل
بمعنى مفعول كالقبض بمعنى مقبوض. قاصرات الطرف قصرن الحاظهن على ازواجهن
قال الشاعر. من القاصرات الطرف لو دب محول. من الذر فوق الاتب منها لا ثرا
الطمث دم الحيض ودم الافتضاض. الياقوت جوهر معروف قيل لا توثر فيه النار
قال الشاعر وطال لما اصلي الياقوت جمر الغضي. ثم انطفي الجمر والياقوت ياقوت
الادهيمام السواد. النضح فوران الما. المقصورة المحبوسة ويقال قصيرة وقصورة اي
محذرة وقال كثير. وانت التي حببت كل قصيرة. الي ولم تشعر بذاك القصاير
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد. قصار الخطا شر النسا البحاتر
الخيمة معروفة وهي بيت المرتحل من خشب وثمام وساير الحشيش واذا كان من شعر فهو بيت
ولا يقال له خيمة وتجمع على خيام وخيم. قال جرير
متى كان الخيام بذي طلوح. سقيت الغيث ايتها الخيام. الرفرف ما يدلي من الاسرة

من عالي

من عالي الدنيا. وقال الجوهري ثياب خضر تتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه
من رف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطاير لتحريكه جناحيه وارتفاعه في الهوي وسمي الطاير رفرافا
ورفرف جناحيه حولها ليقع علي الشي ورفرف السحاب هدبه. العبقري منسوب الي عبقر
تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شي عجيب. قال زهير
بخيل عليها جنة عبقرية. جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا. وقال امرؤ القيس
كان صليل المرو حين تشذه. صليل زيوف ينتقدن بعبقرا. وقال ذو الرمة
حتي كان رياض القف البسها. من وشي عبقر تجليل وتنجيد. وقال الخليل كل العبقري
نفيس جليل من الرجال والنسا وغيرهم. الجلال العظمة قال الشاعر
جبرنا فدجانا مستهل. جلجلت دق هيبة الاجل. والله تعالي اعلم بالصواب

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الرحمن علم القران
خلق الانسان علمه البيان. الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسجدان
والسما رفعها ووضع الميزان. ان لا تطغوا في الميزان. واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان. والارض وضعها للانام. فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام. والحب ذو العصف
والريحان. فباي الا ربكما تكذبان. خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج
من نار. فباي الا ربكما تكذبان. رب المشرقين ورب المغربين فباي الا ربكما تكذبان. مرج
البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان. فباي الا ربكما تكذبان. يخرج منهما اللولو والمرجان
فباي الا ربكما تكذبان. وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام. فباي الا ربكما تكذبان. كل من
عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام. فباي الا ربكما تكذبان. يسيله من في
السموات ومن في الارض كل يوم هو في شان فباي الا ربكما تكذبان. هذه السورة مكية في قول
الجمهور مدنية في قول ابن مسعود وعن ابن عباس القولان وعنه سوي اية هي مدنية
وهي يسيله من في السموات والارض الاية وسبب نزولها فيما قال مقاتل انه لما نزل
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية قالوا ما نعرف الرحمن فنزلت الرحمن علم القران وقيل
لما قالوا انما يعلمه بشر اكذبهم الله تعالي وقال الرحمن علم القران وقيل مدنية نزلت اذ ابي
سهيل بن عمرو وعيره ان يكتب في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومناسبة هذه السورة
لما قبلها انه لما ذكر مقر المتقين في جنات ونهر عند مليك مقتدر ذكر شيا من ايات الملك
واثار القدرة ثم ذكر مقر الفريقين علي جهة الاسهاب اذا كان في اخر السورة ذكره علي
جهة الاختصار والايجاز ولما ذكر قوله عند مليك مقتدر فما برزها بين الصفتين
بصورة التنكير فكانه قيل من المتصف بذلك فقال الرحمن علم القران فذكر ما نشا
عن صفة الرحمة وهو تعليم القران الذي هو شفا للقلوب والظاهر ان الرحمن مرفوع
على الابتدا وعلم القران خبره وقيل الرحمن اية بمضمر اي الله الرحمن او الرحمن ربنا وذلك
اية وعلم القران استيناف اخبار ولما عدد نعمه تعالي بدا من نعمه بما هو اعلا رتبها
وهو تعليم القران اذ هو عماد الدين ونجاة من استمسك به ولما ذكر تعليم القران
ولم يذكر المعلم ذكره بعد في قوله خلق الانسان ليعلم انه من المقصود بالتعليم ولما كان
خلقه من اجل الدين وتعليمه القران كان كالسبب في خلقه تقدم علي خلقه ثم ذكر تعالى الوصف

الذي يتميز به الانسان من المنطق الفصيح عن الضمير والذي به يمكن قبول التعليم وهو
البيان الا ترى ان الاخرس لا يمكن ان يتعلم شيئا مما يدرك بالنطق وعلم متعد به الى اثنين حذف
اولهما لدلالة المعنى عليه وهو جبريل او محمد عليهما الصلاة والسلام او الانسان اقوال
وتوهم ابو عبد الله الرازي ان المحذوف هو المفعول الثاني قال فان قيل لم ترك المفعول
الثاني واجاب بان النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص كما يقال فلان يطعم الطعام
اشارة الى كرمه ولا يبين من يطعمه انتهى والمفعول الاول هو الذي كان فاعلا قبل النقل
بالتضعيف او الهمزة في علم والمعنى وابعد من ذهب الى ان معنى علم القران جعله علامة واية
يعتبر بها وهذه جمل مترادفة اخبار كلها عن الرحمن جعلت مستقلة لم تعطف اذ
هي تعداد لنعمه تعالى كما تقول زيد احسن اليك خولك اشار بذكرك والانسان اسم الجنس
وقال قتادة الانسان ادم عليه السلام وقال ابن كيسان محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابن زيد والجمهور البيان المنطق والفهم والابانة وهو الذي فضل به الانسان
على سائر الحيوان وقال قتادة هو بيان الحلال والشرائع وهذا جزء من البيان العام
وقال محمد بن كعب ما يقول وما يقال له وقال الضحاك الخير والشر وقال ابن جريج الهدى
وقال يمان الكتابة ومن قال الانسان ادم فالبيان اسماء كل شي او التكلم باللغات
كلها وافضلها العربية او الكلام بعد ان خلقه او علم الدنيا والاخرة او الاسم الاعظم
الذي علم به كل شي اقوال اخرها منسوب لجعفر الصادق ولما ذكر تعالى ما انعم به على
الانسان من تعليمه البيان ذكر ما امتن به من وجود الشمس والقمر وما فيهما من
المنافع العظيمة للانسان اذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير سوي في
بروجهما ومنازلهما والحسبان مصدر كالغفران وهو بمعنى الحساب قاله قتادة
وقال الضحاك وابو عبيدة جمع حساب كشهاب وشهبان وقال ابن عباس وابو مالك
وقتادة لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسبان شتى
وقال ابن زيد لولا الليل والنهار لم يدر احد كيف يحسب شيئا يريد من مقادير الزمان احدو
وقال مجاهد الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحى وهو العود المستدير
الذي باستدارته تستدير المطحنة وارتفع الشمس على الابتدا وخبره بحسبان فاما
على حذف اي يجري الشمس والقمر كان بحسبان وقيل الخبر محذوف اي يجريان بحسبان
وبحسبان متعلق بيجريان وعلى قول مجاهد تكون الباء في بحسبان ظرفية لان
الحسبان عنده الفلك ولما ذكر تعالى ما انعم به من منفعة الشمس والقمر وكان ذلك
من الايات العلوية ذكر في مقابلتهما من الاثار السفلية النجم والشجر اذ كان رزقا
للانسان واخبر انهما جاريان على ما اراد الله بهما من تسخيرهما وكينونتهما على
ما اقتضته حكمته تعالى ولما ذكر ما به حياة الارواح من تعليم القران ذكر ما به
حياة الاشباح من النبات الذي له ساق وكان تقديم النجم وهو ما لا ساق له لانه
اصل القوت الذي له ساق ثمر يتفكه به غالبا والظاهر ان النجم هو الذي ليس له ساق
ويدل عليه اقترانه بالشجر وقال مجاهد وقتادة والحسن النجم اسم الجنس من نجوم السماء ٥
وسجودهما قال مجاهد والحسن ذلك في النجم بالغروب ونحوه وفي الشجر بالظل واستدارته
وقال مجاهد ايضا والسجود تجوز وهو عبارة عن الخضوع والتذلل والنجم الاول فيها مبني

بربطها بالمبتدا واما في هاتين الجملتين فاكتفى بالوصل المعنوي عن الوصل اللفظي اذ معلوم
ان الحسبان هو حسبانه وان السجود له لا لغيره فكانه قيل بحسبانه ويسجدان له ولما
اوردت هذه الجمل مورد تعديد النعم رد الكلام الى العطف في وصل ما يناسب وصله والتناسب
الذي بين هاتين الجملتين ظاهر لان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ٥
والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة حيث جعلها محل عظم شانه وملكه وقرا الجمهور والسماء
بالنصب على الاشتغال روعي مشاكلة الجملة الابتدائية وقرا الجمهور ووضع الميزان فعلا
ماضيا ناصبا الميزان اي اقره واثبته وقرا ابراهيم ووضع الميزان بالخفض واسكان
الضاد والظاهر انه كل ما يوزن به الاشيا وتعرف مقاديرها وان اختلفت الالات
قال معناه ابن عباس والحسن وقتادة جعله تعالى حاكما بالتسوية في الاخذ والاعطا وقال
مجاهد والطبري والاكثرون الميزان العدل وتكون الالة من بعض ما يندرج في العدل
بدا اولا بالعلم فذكر ما فيه اشرف انواع العلوم وهو القران ثم ذكر ما به التعديل في الامور
وهو الميزان كقوله وانزل معهم الكتاب والميزان ليعلموا الكتاب ويفعلوا ما يامرهم به
الكتاب ٥ ان لا تطغوا في الميزان اي لان لا تطغوا فتطغوا منصوب بان وقال الزمخشري
او هي ان المفسرة وقال ابن عطية ويحتمل ان تكون ان مفسرة فيكون تطغوا جزما
لنهي انتهى ولا يجوز ما قالاه من ان مفسرة لانه فاته احد شرطيها وهي ان يكون ما قبلها
جملة فيها معنى القول ووضع الميزان جملة ليس فيها معنى القول والطغيان في الميزان
هو ان يكون بالتعمد واما ما لا يقدر عليه من التحرير بالميزان فمعفو عنه ولما كانت
التسوية مطلوبة جدا امر تعالى فقال واقيموا الوزن وقرا الجمهور ولا تخسروا
من اخسر اي افسد ونقص كقوله واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي ينقصون وبلال
ابن ابي بردة وزيد بن علي تخسروا بفتح التاء يقال خسر يخسر وخسر يخسر بمعنى
واحد كجبر واجبر وحكى ابن جني وصاحب اللوامح عن بلال فتح التاء والسين مضارع
خسر بكسر السين وخرجها الزمخشري على ان يكون التقدير في الميزان فحذف
الجار ونصب ولا يحتاج الى هذا التخريج الا ترى ان خسر جا متعديا كقوله تعالى خسروا
انفسهم وخسر الدنيا والاخرة وقرى ايضا تخسروا بفتح التاء وضم السين لما منع
من الزيادة وهي الطغيان نهى عن الخسران الذي هو نقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ولما ذكر السماء ذكر مقابلها
فقال والارض وضعها للانام اي خفضها مدحوة على الما لينتفع بها وقرا الجمهور ٥
والارض بالنصب وابو السمال بالرفع والانام قال ابن عباس بنو ادم فقط وقال
ايضا هو وقتادة وابن زيد والشعبي الحيوان كله وقال الحسن الثقلان الجن والانس
فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به وبدا بقوله فاكهة اذ هو من باب الابتدا بالادنى
والترقي الى الاعلى ونكر لفظها لان الانتفاع بها دون هو من باب الابتداع بما يذكر بعدها
ثم ثنى بالنخل فذكر الاصل ولم يذكر ثمرتها وهو الثمر لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف
وجريد وجذوع وجمار وثمر ثم اتى ثالثا بالحب الذي هو قوام عيش الانسان في اكثر الاقاليم
وهو البر والشعير وكل ما له سنبل واوراق متشعبة على ساقه ووصفه بقوله ذو العصف
تنبيها على انعامه عليهم بما يقوتهم من الحب ويقوت بهائمهم من ورقه الذي هو التبن وبدا بالفاكهة

وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب ليحصل ما به يتفكه وما به يتقوت وما به تقع اللذاذة
من الرائحة الطيبة وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات
متعددة وشجرة الفاكهة بالنسبة الى ثمرتها حقيرة فنص على ما يعظم به الانتفاع من شجرة
النخل ومن الفاكهة دون شجرتها وقرا الجمهور والحب ذو العصف والريحان برفع الثلاثة
عطفًا على المرفوع قبله وابن عامر وابو حيوة وابن ابي عبلة بنصب الثلاثة اي وخلق الحب
وجوزوا ان يكون والريحان حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف اي وذو الريحان
حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحمزة والكسائي والاصمعي عن ابي عمرو والريحان
بالجر والمعنى والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم والريحان الذي هو مطعم الناس
ويبعد دخول المشموم في قراءة الجر وريحان من ذوات الواو واجاز ابو علي ان يكون
اسمًا ووضع المصدر وان يكون مصدرًا على وزن فعلان كاللبان وابدلت الواو ياء كما ابدلوا موضع ؟
الياء واوًا في اشاوي او مصدرًا شاذًا في المعتل كما شذ كينونة وبينونة فاصله ريوحان
قلبت الواو ياء وادغمت في الياء فصار ريحان ثم حذفت عين الكلمة كما قالوا ميت وهين
ولما عدد نعمه خاطب الثقلين بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان اي ان نعمه كثيرة لا تحصى
فبأيها تكذبان اي من هذه نعمه لا يمكن ان يكذب بشيء منها وكان هذا الخطاب للثقلين لانهما
داخلان في الانام على اصح الاقوال ولقوله خلق الانسان وخلق الجان ولقوله سنفرغ
لكم ايها الثقلان وخرج ابو من جعله خطابًا للذكر والانثى من بني آدم وابعد من هذا
قول من قال انه خطاب على حد القيا في جهنم ويا حرسي اضربا عنقه يعني انه خطاب للواحد
بصورة الاثنين فبأي منونا في جميع السورة كانه حذف منه المضاف اليه وابدل منه
الا ربكما بدل معرفة من نكرة والآلاء تقدم في الاعراف انها النعم واحدها الى والا والى والى
خلق الانسان لما ذكر العالم الاكبر من السماء والارض وما اودع فيهما من النعم ذكر مبدا
من خلقت له هذه النعم والانسان هو آدم وهو قول الجمهور وقيل للجنس وساغ
ذلك لان اباهم مخلوق من الصلصال واذا اريد بالانسان آدم فقد جاءت غايات
له مختلفة وذلك متنقل اصله فكان اولا ترابًا ثم طينًا ثم حماً مسنونًا ثم صلصالا
فناسب ان ينسب خلقه لكل واحد منها والجان هو ابو الجن وهو ابليس قاله الحسن
وقال مجاهد هو ابو الجن وليس بابليس وقيل الجان اسم جنس والمارج ما
اختلط من اصفر واخضر واحمر واللهب او الخالص او الحمرة في طرف النار او المختلط
بسواد او المضطرب بلا دخان اقوال ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية من نار
للتبعيض وقيل للبيان والتكرار في هذه الفواصل للتاكيد والتنبيه والتحريك وهي
موجودة في مواضع من القران وذهب قوم منهم ابن قتيبة الى ان هذا التكرار انما
هو لاختلاف النعم فكرر التوقيف في كل واحد منها وقرا الجمهور رب وزيد بالرفع اي هو
رب وابو حيوة وابن ابي عبلة بالخفض بدلا من ربكما وثنى المضاف اليه لانهما
مشرق الصيف والشتاء ومغرباهما قاله مجاهد وقيل مشرق الشمس والقمر ومغرباهما
وعن ابن عباس للشمس مشرق في الصيف مصعد ومشرق في الشتاء منحدر تنتقل
فيهما مصعدة ومنحدرة انتهى فالمشرقان والمغربان للشمس وقيل المشرقان مطلع
الفجر ومطلع الشمس والمغربان مغرب الشفق ومغرب الشمس ولسهل التستري

كلام

كلام في المشرقين والمغربين شبيه بكلام ابن قتيبة الباطنية المحرفين مدلول كلام الله
عز وجل عن ذكره صفحًا وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين ينسبون للصوفية لا ينبغي
ان يستحل نقل شيء منه وقد اولع صاحب كتاب التحرير والتحبير بحشده قال له هذا كلام
العلماء بكلام ابن عربي والتيمي وكذا الحقائق وارباب القلوب وما ادعوا فهمه في القران مما عقلوا
فيه لم يعرفهم عربي قط ولا اراده الله تعالى بتلك الالفاظ نعوذ بالله من ذلك ٭ مرج البحرين
تقدم الكلام على ذلك في الفرقان قال ابن عطية وذكر الثعلبي في مرج البحرين الفاظًا اقوالًا لا
باطلة لا يلتفت الى شيء منها انتهى والظاهر التقاؤهما اي يتجاوران فلا فصل بين الماءين
في رؤية العين وقيل يلتقيان في كل سنة مرة وقيل معدان للالتقاء فحقهما ان يلتقيا
لولا البرزخ بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله تعالى ٭ لا يبغيان لا يتجاوزان حدهما
ولا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة وقيل البرزخ اجرام الارض قاله قتادة وقيل لا يبغيان
اي على الناس والعمران وعلى هذا والذي قبله يكون من البغي وقيل هو من بغى بمعنى طلب
فالمعنى لا يبغيان حالا غير الحال التي خلقا عليها وسخرا لها وقيل ماء الانهار لا يختلط بالماء
الملح بل هو بذاته باق فيه وقال ابن عطية والعيان لا يقتضيه انتهى يعني انه لم يشاهد هذا
الماء العذب يختلط بالملح فيبقى كله ملحًا وقد يقال انه بالاختلاط يبقى من اجرام العذب
حتى لا تظهر فاذا ذاق الانسان من الملح المستبت فيه تلك الاجزاء الدقيقة لم يحس الا الملوحة
والمعقول يستشهد بذلك لان تداخل الاجسام غير ممكن لكن التفرق والالتقاء ممكن وانشد
القاضي منذر بن سعيد البلوطي
٭ وممزوجة الامواه لا العذب غالب ٭ على الملح طيبًا لا ولا الملح يعذب ٭
وقرا الجمهور يخرج مبنيًا للفاعل وابو عمرو واهل المدينة مبنيًا للمفعول والجعفي عن ابي عمرو
وعن ابي مقسم بالنون واللؤلؤ والمرجان نصبه في هاتين القراءتين والظاهر في منهما ان ذلك
يخرج من العذب والملح وقال الذي لا يقوم حكاه الاخفش ورد الناس هذا القول قالوا ولا
والحس يخالفه اذ لا يخرج الا من الملح وعابوا قول الشاعر ٭
٭ فجاء بها ما شئت من لطمية ٭ على وجهها ماء الفرات يموج ٭ وقال الجمهور انما يخرج
من الاجاج في المواضع التي يقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما
وهذا مشهور عند الغواصين وقال ابن عباس وعكرمة تكون هذه الاشياء في البحر بنزول
المطر لان الصدف وغيرها تفتح افواهها للمطر فلذلك قال منهما وقال ابو عبيدة
انما يخرج من الملح لكنه قال منهما تجوزًا وقال الرماني العذب فيها كاللقاح للملح فهو
كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى وقال ابن عطية وتبع الزجاج من حيث هما نوع واحد
فخروج هذه الاشياء انما هي منهما وان كانت تختص عند التفصيل المبالغ باحدهما كما
قال سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورًا وانما هو في احداهن وهي الدنيا
الى الارض وقال الزمخشري نحوًا من قول ابن عطية قال فان قلت لم قال منهما وانما يخرجا
وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما
كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت
من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان
الا من ملتقى الملح والعذب انتهى وقال ابو علي الفارسي هذا من باب حذف المضاف والتقدير

يخرج من احدهما على كقوله تعالى على رجل من القريتين عظيم اي من احدى القريتين وقيل
هما بحران يخرج من احدهما اللولو ومن الاخر المرجان وقال ابو عبد الله الرازي كلام الله تعالى
اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس ومن علم ان اللولو لا يخرج من الما العذب وهب
ان الغواصين ما اخرجوه الا من المالح ولكن لم قلتم ان الصدف لا يخرج بامر الله من الما العذب
الى الما الملح وكيف يمكن الجزم به والامور الارضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا
المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى امر ما في قعر البحر عليهم واللولو قال ابن عباس والضحاك
وقتادة كبار الجوهر والمرجان صغاره وعن ابن عباس ايضا وعلي ومرة الهمداني عكس هذا
وقال عبد الله وابو مالك المرجان الحجر الاحمر وقال الزجاج حجر شديد البياض وحكى القاضي
ابو يعلى انه ضرب من اللولو كالقضبان والمرجان اسم اعجمي معرب قال ابن دريد لم اسمع فيه
بفعل متصرف • وقال الاعشى •

• من كل مرجانة في البحر احرزها • تيارها ووقاها طينها الصدف • قيل
اراد اللولوة الكبيرة وقرا طلحة اللولو بكسر اللام الثالثة وهي لغة وعبد اللولي بقلب الهمزة
المتطرفة ياء ساكنة بعد كسرة ما قبلها وهي لغة قاله ابو الفضل الرازي • وله الجواري
المنشآت خص تعالى الجواري بانها له وهو تعالى له ملك السموات والارض وما بينهما لانهم لما
كانوا هم منشيها اسندها تعالى اليه اذ كان تمام منفعتها انما هو منه تعالى فهو في الحقيقة
مالكها والجواري السفن وقرا عبد الله والحسن وعبد الوارث عن ابي عمرو بضم الرا كما قالوا
في شاك شاك وقرا الجمهور المنشآت بفتح الشين اسم مفعول اي انشاها الله او الناس
او المرفوعات الشرع وقال مجاهد ما له شراع من المنشاة وما لم يرفع له شراع فليس
من المنشاة والشراع القلع والاعمش وحمزة وزيد بن علي وطلحة وابو بكر بخلف عنه بكسر
الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشين الامواج بجريهن او التي ينشين السفر اقبالا
وادبارا وشدد الشين ابن ابي عبلة والحسن المنشاة وقد الصمد ودل على الجمع الموصوف
كقوله ازواج مطهرة وقلب الهمزة الفا على حد قوله • ان السباع لتهدى في مرابضها •
يريد لتهدا ومن فتح التا بينه الصفة كنيته تا على لفظها في الوصل كالاعلام اي كالجبال
والاكام وهذا يدل على كبر السفن حيث شبهها بالجبال وان كانت المنشاة تنطلق على
السفينة الصغيرة والكبيرة وعبر بمن في قوله كل من عليها تغليبا لمن يعقل والضمير عليها
قيل عايد على الارض في قوله والارض وضعها للانام فعاد الضمير عليها وان كان بعيد
لفظها والفنا عبارة عن اعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره والوجه يعبر به
عن حقيقة الشي والجارحة منتفية عن الله تعالى وكقوله كل شي هالك الا وجهه وتقول
صعاليك مكة ابن وجه عزيز لقيم بجود علينا وقرا الجمهور ذو بالواو صفة للوجه
وابي وعبد الله ذي صفة للرب والظاهر ان الخطاب في قوله وجه ربك للرسول وفيه
تشريف عظيم له صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لكل سامع ومعنى ذو الجلال الذي يجله
الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك او الذي عنده الجلال
والاكرام للمخلصين من عباده • يساله من في السموات والارض اي حوايجهم وهو ما يتعلق
بمن في السموات من امر الدين وما استعبدوا به ومن في الارض من امر دينهم ودنياهم وقال
ابو صالح من في السموات الرحمة ومن في الارض المغفرة والرزق وقال ابن جريج الملايكة

الرزق

الرزق لاهل الارض والمغفرة واهل الارض يسالونهما جميعا والظاهر ان قوله يساله استيناف
اخبار وقيل حال من الوجه والعامل فيه يبقى اي هو دايم في هذه الحال انتهى وفيه بعد
ومن يساله لا يحاله فتقتضي السوال الى الجميع باعتبار المشترك وهو الافتقار اليه
تعالى كل يوم اي كل ساعة ولحظة وذكر اليوم لان الساعات واللحظات في ضمنه هو في شان
قال ابن عباس في شان يمضيه من الخلق والرزق والاحيا والاماتة وقال عبيد بن عمير
يجيب داعيا ويفك عانيا ويتوب على قوم ويغفر لقوم وقال سويد بن غفلة يعتق رقابا
ويعطي رغابا ويقحم عقابا وقال ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو
مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحيا والثاني الذي هو يوم القيمة فشانه
فيه الجزا والحساب وعن مقاتل نزلت في اليهود قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيا وقال
الحسين بن الفضل وقد ساله عبد الله بن طاهر عن قوله كل يوم هو في شان وقد صح ان
القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة فقال شيون يبديها لا شيون يبتديها وقال
ابن بحر هو في يوم الدنيا في الابتلا وفي يوم القيمة في الجزا وانتصب كل يوم على الظرف والعامل
فيه العامل في قوله في شان وهو مستقر المحذوف [illegible] قوله تعالى
سنفرغ لكم ايه الثقلان • فباي الا ربكما تكذبان • يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان • فباي الا ربكما
تكذبان • يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران • فباي الا ربكما تكذبان • فاذا
انشقت السما فكانت وردة كالدهان فباي الا ربكما تكذبان • فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان فباي الا ربكما تكذبان • يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام
فباي الا ربكما تكذبان • هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان فباي
الا ربكما تكذبان • ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الا ربكما تكذبان • ذواتا افنان فباي
الا ربكما تكذبان • فيهما عينان تجريان فباي الا ربكما تكذبان • فيهما من كل فاكهة زوجان
فباي الا ربكما تكذبان • لما ذكر تعالى ما انعم به من تعليم العلم وخلق الانسان والسما والارض
وما اودع فيهما وفنا ما على الارض ذكر ما يتعلق باحوال الاخرة والجزا وقال سنفرغ
لكم اي ننظر في اموركم يوم القيمة لا انه تعالى كان له شغل فيفرغ منه وجرى هذا على كلام العرب
في ان المعنى سيقصد لحسابكم فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك اي
سانتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر
على الانتقام منه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون التوعد بعذاب في الدنيا والاول ابين انتهى
يعني ان يكون ذلك يوم القيمة وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى ستنتهي الدنيا ويبلغ اخرها
وتنتهي عند ذلك شيون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو
جزاوكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريقة المثل انتهى والذي عليه ايمة اللغة ان فرغ تستعمل
عند انقضاء الشغل الذي كان الانسان مشتغلا به فلذلك احتاج قوله الى التاويل وقيل ان
الله قد قيل ان فرغ يكون بمعنى قصد واهتم واستدل على ذلك بما انشده ابن الانباري لجرير
• الان وقد فرغت الى نمير • فهذا حين كنت له عذابا • اي قصدت • وانشد النحاس
• فرغت الى العبد المقيد في الحجل • وفي الحديث فرغ ربك من اربع • وفيه لافرغن لك
يا خبيث يخاطب به صلى الله عليه وسلم • ازب العقبة يوم بيعتها • اي لاقصدن ابطال امرك

نقل هذا عن الخليل والكسائي والفرا وقرا الجمهور سنفرغ بنون العظمة وضم الرا من فرغ بفتح الرا
وهي لغة الحجاز وحمزة والكسائي وابو حيوة وزيد بن علي بيا الغيبة وقتادة والاعرج بالنون
وفتح الرا مضارع فرغ بكسرها وهي لغة تميم وابو السمال وعيسى بكسر النون وفتح الرا قال
ابو حاتم هي لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة بخلاف عنهما وابن ابي عبلة والزعفراني
بضم اليا وفتح الرا مبنيا للمفعول وعيسى ايضا بفتح النون وكسر الرا والاعرج ايضا بفتح
اليا والرا وهي رواية يونس والجعفي وعبد الوارث عن ابي عمرو والثقلان الجن والانس سميا
بذلك لكونهما ثقيلين على وجه الارض والثقل الامر العظيم وفي الحديث اني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي سميا بذلك لعظمهما وشرفهما والظاهر ان قوله يا معشر الجن من
خطاب الله اياهم يوم القيمة يوم التناد وقيل يقال لهم ذلك قال الضحاك يفرون في اقطار
الارض لما يرون من الهول فيجدون الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث جاؤوا
فحينئذ يقال لهم ذلك وقيل هو خطاب في الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت وقال
ابن عباس بان استطعتم في ادراك ما ورايكم ان تنفذوا (فانفذوا) علم اقطار اي جهات السموات
والارض قال الزمخشري يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم
ان تهربوا من قضايي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمايي وارضي فافعلوا ثم قال لا تنفذون
على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض
ولا في السما انتهى وفانفذوا امر تعجيز وقال قتادة السلطان هنا الملك وليس لهم ملك وقال
الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انفتحت السما ونزلت الملائكة فتهرب الجن والانس
فتحدق بهم الملائكة وقرا زيد بن علي ان استطعتما على خطاب تثنية الثقلين ومراعاة الجن
والانس والجمهور على خطاب ان استطعتم لان كلا منهما تحته افراد كثيرة كقوله وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا يرسل عليكما شواظ قال ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ
الى المحشر والشواظ لهب النار وقال مجاهد اللهب الاحمر المنقطع وقال الضحاك الدخان الذي
يخرج من اللهب وقرا الجمهور شواظ بضم الشين وعيسى وابن كثير وشبل بكسرها والجمهور
ونحاس بالرفع وابن ابي اسحاق والنخعي وابن كثير وابو عمرو بالجر والكلبي وطلحة ومجاهد
بكسر نون نحاس والسين وقرا ابن جبير ونحس كما تقول يوم نحس وقرا عبد الرحمن ابن ابي
بكرة وابن ابي اسحاق ايضا ونحس مضارع وما ضيه حسه اي قتله اي ونحسن بالعذاب
وعن ابن ابي اسحاق ايضا ونحس بالحركات الثلاث في الحا على التخيير وحنظلة ابن مرة ونحس
بفتح النون وكسر السين والحسن واسماعيل ونحس بضمتين والكسر وقرا زيد بن علي
نرسل بالنون عليكما شواظا بالنصب من نار ونحاسا بالنصب عطفا على شواظا قال
ابن عباس وابن جبير والنحاس الدخان وعن ابن عباس ايضا ومجاهد هو الصفر المعروف
والمعنى يعجز الجن والانس اي انتما بحال من يرسل عليه هذا فلا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه
فاذا انشقت السما جواب اذا محذوف اي فما اعظم الهول وانشقاقها انفطارها يوم القيمة
فكانت وردة اي محمرة كالوردة قال ابن عباس وابو صالح هي من لون الفرس الورد فاتت لكون
السما مونثة وقال قتادة هي اليوم زرقا ويومئذ تغلب عليها الحمرة كلون الورد وهي
النور المعروف قاله الزجاج ويريد كلون الورد وقال الشاعر
فلو كنت وردا لونه لعشقتني ولكن ربي شانني بسواديا

وقال

اي يكونهما متثقلين بالذنوب او لثقل الانس وسمي الجن ثقلا لمجاورة الانس مر اصل

لونه

ونال ابو الجوزا وردة صفرا وقال اما سمعت العرب تسمي الخيل الورد قال الفرا اراد لون الفرس
الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد الى الغبرة فشبه تلون
السما بتلون الوردة من الخيل وهذا قول الكلبي كالدهان قال ابن عباس الاديم الاحمر ومنه
قول الاعشى وا جرد من كرام الخيل طرف كان على شواكله دهانا وقال الشاعر
كالدهان المختلفة لانها تتلون الوانا وقال الضحاك كالدهان المختلفة لانها تتلون الوانا وقال
الضحاك كالدهان خالص جمع دهن كقرط وقراط وقيل تصير حمرا من حرارة جهنم ومثل الدهن
لذوبها ودورانها وقيل شبهت بالدهان في لمعانها وقال الزمخشري كالدهان كدهن الزيت كما قال
المهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال الشاعر
كانهما مزادتا متعجل فريان لما سلقا بدهان وقرا عبيد بن عمير وردة
بالرفع بمعنى فحصلت سما وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله
فلين بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنايم او يموت كريم انتهى فيومئذ التنوين فيه للعوض
من الجملة المحذوفة والتقدير فيوم اذ انشقت السما والناصب فيومئذ لا يسال ولا
هذا على انتفاء السوال وقوله انهم مسؤولون وغيره من الايات يدل على وقوع السوال فقال
عكرمة وقتادة هي مواطن يسال في بعضها وقال ابن عباس حيث ذكر السوال فهو سوال
توبيخ وتقرير وحيث نفي فهو استخبار ومحض عن الذنب والله تعالى عليم بكل شي وقال
قتادة ايضا كانت مسالة ثم ختم على الافواه وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يعملون وقال
ابو العالية وقتادة لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد ولا جان
بالهمز فرارا من التقا الساكنين وان كان التقاوهما على حده وقراحما دابن ابي سليمان بسيماهم
والجمهور بسيماهم وسيما المجرمين سواد الوجوه وزرقة العيون قاله الحسن ويجوز ان يكون
غير هذا من التشويهات كالعمى والبكم والصمم فيوخذ بالنواصي والاقدام قال ابن عباس يوخذ
بناصيته وقدميه فيوطى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك في النار وقال الضحاك يجمع بينهما في سلسلة
من وراظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تاخذ النواصي وتارة بالاقدام وقيل بعضهم سحبا
بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم ويوخذ متعد الى مفعول بنفسه وحذف هذا الفاعل
والمفعول واقيم الجار والمجرور مقام الفاعل مضمنا معنى ما يعدى بالبا اي فيسحبهم
بالنواصي والاقدام وال فيهما على مذهب الكوفيين عوض من الضمير في بنواصيهم واقدامهم
وعلى مذهب البصريين الضمير محذوف اي بالنواصي والاقدام منهم هذه جهنم اي
يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع يطوفون بينها اي يترددون بين نارها
وبين ما غلا فيها من ما يعذبها وقال قتادة الحميم يغلي منذ خلق الله جهنم وان
اي منتهي الحر والنضج فيعاقب بينه وبين تصلية النار وبين شرب الحميم وقيل
اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل يغمسون في واد في جهنم يجتمع فيه
صديد اهل النار فتنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا
وقرا علي والسلمي يطافون والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوفون بضم اليا وفتح الطا
وكسر الواو مشددة وقري يطوفون اي يتطوفون والجمهور يطوفون مضارع طاف
قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال ابن الزبير نزلت في ابي بكر مقام ربه
مقام مصدر فاحتمل ان يكون مضافا الى الفاعل اي قيام ربه عليه وهو مروي عن مجاهد

من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي حافظ مهيمن فالعبد يراقب ذلك فلا يجسر على المعصية وقيل الإضافة قد تكون بأدنى ملابسة فالمعنى أنه يخاف مقامه الذي يقف فيه
العباد للحساب من قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وفي هذه الإضافة تنبيه على صعوبة
الموقف وقيل مقام مقحم والمعنى ولمن خاف ربه كما تقول أخاف جانب فلان يعني فلانا نفسه
والظاهر أن لكل فرد فرد من الخائفين جنتان فقيل إحداهما منزله والأخرى لأزواجه وخدمه
وقال مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقيل منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتتوفر دواعي
لذته وتظهر ثمار كرامته وقيل إن الخائفين والخطاب للثقلين فجنة للخائف وجنة للخائفة
الإنسي وقال أبو موسى الأشعري جنة من ذهب للسابقين وجنة من فضة للتابعين وقال
الزمخشري ويجوز أن يقول جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لأن التكليف دائر عليهما
وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل لقوله وزيادة وخص الأفنان
بالذكر جمع فنن وهي الغصون التي تتشعب من فروع الشجر لأنها هي التي تورق وتثمر ومنها
تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الأفنان جمع فن وهي ألوان النعم وأنواعها وهو قول ابن
عباس والأول قال قريبا منه مجاهد وعكرمة وهو أولى لأن أفعالا في فعل أكثر منه في فعل
بسكون العين وفن يجمع على فنون • فيهما عينان تجريان قال ابن عباس هما عينان مثل
الدنيا أضعافا مضاعفة وقال تجريان بالزيادة والكرامة على أهل الجنة وقال
الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقال ابن عطية إحداهما من
ماء والأخرى من خمر وقيل تجريان في الأعالي والأسافل من جبل من مسك زوجان
قال ابن عباس ما في الدنيا من شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى شجر الحنظل إلا أنه حلو
انتهى ومعنى زوجان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذاك في الطيب واللذة وقيل صنفان
صنف معروف وصنف غريب وجاء الفصل بين قوله ذواتا أفنان وبين قوله فيهما من
كل فاكهة بقوله فيهما عينان تجريان والأفنان عليها الفواكه لأن الداخل إلى البستان لا يقدم
التفرج بلذة ما فيه بالنظر إلى خضرة الشجر وجري الأنهار ثم بعد يأخذ في اجتناء الثمار
للأكل وانتصب • متكئين على الحال من قوله ولمن خاف وحمل جمعا على معنى من وقيل
العامل محذوف أي يتنعمون متكئين وقال الزمخشري أي نصب على المدح والاتكاء من صفات
المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب والمعنى متكئين في منازلهم • على فرش وقرأ
الجمهور فرش بضمتين وأبو حيوة بسكون الراء وفي الحديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
البطائن من إستبرق فكيف الظهائر قال هي من نور يتلألأ ولو صح هذا لم يجز أن يفسر
بغيره وقيل من سندس وقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لأن كلا منهما يكون
وجها والعرب تقول هذا وجه السماء وهذا بطن السماء **قوله تعالى** وجنى الجنتين دان
فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان
كأنهن الياقوت والمرجان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فبأي
آلاء ربكما تكذبان • ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان • مدهامتان فبأي
آلاء ربكما تكذبان • فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهما فاكهة ونخل ورمان
فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان • حور مقصورات في الخيام فبأي
آلاء ربكما تكذبان • حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان • لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان

فبأي آلاء ربكما تكذبان • متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان
تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام • قال ابن عباس يجتنيه قاعدا وقائما ومضطجعا لا يرد
يده بعد ولا شوك وقرأ عيسى بفتح الجيم وكسر النون كأنه أمال وإن كانت الألف قد حذفت
في اللفظ كما أمال أبو عمرو حتى نرى الله وقرئ وجنى بكسر الجيم والضمير في فيهن عائد
على الجنان الدال عليهن جنتان إذ كل فرد فرد له جنتان فصح أنها جنان كثيرة وإن كان الجنتان
أريد بهما حقيقة التثنية وأن لكل من الجن والإنس جنة واحدة فالضمير يعود على ما
اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل وقيل يعود على الفرش أي فيهن معدات
للاستمتاع وهو قول حسن قريب المأخذ وقال الزمخشري فيهن في هذه الآلاء المعدودة من
الجنتين والعينين والفاكهتين والجنى انتهى وفيه بعد وقال الفراء كل موضع من الجنة جنة
فلذلك قال فيهن والطرف أصله مصدر فلذلك وحد والظاهر أنهن اللاتي يقصرن أعينهن
على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن
منك وقيل الطرف طرف غيرهن أي قصرن عين من ينظر إليهن عن النظر إلى غيرهن
لم يطمثهن قال ابن عباس لم يفتضهن قبل أزواجهن وقيل لم يطأهن على أي وجه كان
الوطء من افتضاض أو غيره وهو قول عكرمة والضمير في قبلهم عائد على من عاد عليه الضمير
في متكئين وقرأ الجمهور بكسر ميم يطمثهن في الموضعين وطلحة وعيسى وأصحاب عبد الله
وقيل بالضم وقرأ أناس بضم الأول وكسر الثاني وأناس بالعكس وأناس بالتخيير والجحدري
بفتح الميم فيهما ونفي وطئهن عن الإنس ظاهر وأما عن الجن فقال مجاهد والحسن قد تجامع
مع نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج الله تعالى فنفى هنا جميع المجامعين وقال
ضمرة بن حبيب الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم فنفى الافتضاض عن البشريات
والجنيات قال قتادة كأنهن على صفاء الياقوت وحمرة المرجان لو أدخلت في الياقوت سلكا
ثم نظرت إليه لرأيته من ورائه انتهى وفي الترمذي أن المرأة من نساء الجنة ليرى بياض
ساقها من وراء سبعين حلة مخها وقال ابن عطية الياقوت والمرجان من الأشياء التي
برع حسنها فيشبه بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت في ملاسته وشفوفه والمرجان
في أملاسه وجمال منظره وبهذا النحو من النظر سمت العرب النساء بذلك كدرة بنت
أبي لهب ومرجانة أم سعيد انتهى • هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب
وقيل هل جزاء التوحيد إلا الجنة وقرأ ابن أبي إسحاق إلا الحسان يعني الحسان الحور العين
ومن دونهما أي من دون تلك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان لأصحاب اليمين والأوليان
هما للسابقين قاله ابن زيد والأكثرون وقال الحسن الأوليان للسابقين والأخريان للتابعين
وقال ابن عباس ومن دونهما في القرب للمنعمين والمؤخرتان الذكر أفضل من الأوليين يدل على
ذلك أنه وصف عيني هاتين بالنضخ وتينك بالجري فقط وهاتين بالدهمة من شدة
النعمة وتينك بالأفنان وكل جنة ذات أفنان ورجح الزمخشري هذا القول فقال للمقربين
جنتان من دونهم من أصحاب اليمين أدهامتا من شدة الخضرة ورجح غيره القول الأول بذكر
جري العينين والنضخ دون الجري وبقوله فيهما من كل فاكهة وفي المتأخرتين فيهما فاكهة
والاتكاء على ما بطائنه من ديباج وهو الفرش وفي المتأخرتين الاتكاء على الرفرف وهو كسر
الخباء والفرش المعد للاتكاء أفضل والعبقري الوشي والديباج أعلى منه والمشبه بالياقوت والمرجان أفضل

في الوصف من خيرات حسان والظاهر النضح بالما وقال ابن جبير بالمسك والعنبر والكافور
تدور على اهل الجنة كما ينضح رش المطر وعنه ايضا بانواع الفواكه والما ونخل ورمان عطف
نخل فاكهة فاقتضى العطف ان لا يندرجا في الفاكهة قاله بعضهم وقال يونس بن حبيب كررهما وعزه
وهما من افضل الفاكهة تشريفا لهما وابتنانا بهما كما قال تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال
وقيل لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه ٥ فيهن خيرات
جمع خيرة وصف بني على فعلة من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شرة وقيل مخفف من خيرة وبه
قرا ابن حبيب وابو عثمان النهدي وابن مقسم اي لتشديد اليا وروي عن ابي عمرو بفتح اليا
كانه جمع خاير جمع على فعلة ومفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة ذلك فقال
خيرات حسان خيرات الاخلاق حسان الوجوه حور مقصورات اي قصرن في اماكنهن والنسا
تمدح بذلك اذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن كما قال قيس بن الاسلت ٥ وتكسل
عن جاراتها فيزرنها ٥ وتغفل عن ابياتهن فتعذر ٥ قال الحسن لسن بطوافات في الطرق
وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ وقال عمر بن الخطاب هي در مجوف ورواه عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي قبل اصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين متكئين
قال الزمخشري نصب على الاختصاص على رفرف قال ابن عباس وغيره فضول المجلس والبسط
وقال ابن جبير رياض الجنة من رف البيت تنعم وحسن وقال ابن حبيب الزرابي وقال
الحسن وابن كيسان المرافق وقال الفرا وابن قتيبة المجالس وعبقري قال الحسن بسط
حسان فيها صور وغيره لكل جيد يعبقر وقال ابن عباس الزرابي وقال مجاهد الديباج
الغليظ وقال ابن زيد الطنافس قال الفرا الثخان منها وقال الجمهور على رفرف ووصف
بالجمع لانه اسم جنس الواحد منها رفرفة واسم الجنس يجوز فيه ان يفرد نعته وان يجمع لقوله والنخل
باسقات وحسن جمعه هنا مقابلته لحسان الذي هو فاصلة وقال صاحب اللوامح وقرا
عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدري ومالك ابن دينار وابن محيصن وزهير الفرقبي
وغيرهم رفارف جمعا لا ينصرف خضر بسكون الضاد وعباقري بكسر القاف وفتح لعله العبقري
اليا مشددة وعنهم ايضا ضم الضاد وعنهم ايضا فتح القاف قال فاما منع الصرف من
عباقري وهي النسب المنسوبة الى عبقر وهو موضع تجلب منه الثياب على قديم الزمان
فان لم يكن لمجاورتها والا فلا يكون بمنع الصرف من باب النسب وجه الا في ضرورة الشعر
انتهى وقال ابن خالويه على رفارف خضر وعباقري النبي صلى الله عليه وسلم والجحدري
وابن محيصن وقد روي عمن ذكرنا على رفارف خضر وعباقري بالصرف وكذلك روي
عن مالك ابن دينار وقرا ابو محمد المروزي وكان نحويا على رفارف خضار بعني على وزن
فعال وقال صاحب الكامل رفارف عن ابن مصرف وابن مقسم وابن محيصن واختيار شبل جمع 3
وابو حيوة والجحدري والزعفراني وهو الاختيار لقوله خضر وعباقري بالجمع وبكسر
القاف من عبقري ابن مقسم وابن محيصن وروي عنهما التنوين وقال ابن عطية وقرا
زهير القرقبي رفارف بالجمع والصرف وعنه وعباقري بفتح القاف على ان الياء عن اسم الموضع
عباقري بفتح القاف والصحيح في اسم الموضع عبقر انتهى وقال الزمخشري روى ابو حاتم عباقري
بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الاوجه لصحته انتهى وقد يقال لما منع صرف رفارف شاكله
في عباقري كما قد ينون ما لا ينصرف للمشاكلة يمنع الصرف للمشاكلة وقرا ابن هرمز خضر
بضم

بضم الضاد قال صاحب اللوامح وهي لغة قليلة انتهى ومنه قول طرفة ٥
ايها الفتيان في مجلسنا ٥ جردوا منها ورادا وشقر ٥ وقال اخر ٥
وما انتميت الى خور ولا كشف ٥ ولا لئام غداة الروع اوزاع ٥ فتشقر جمع اشقر
وكشف جمع اكشف وقرا الجمهور ذي الجلال صفة لربك وابن عامر واهل الشام
ذو صفة للاسم وفي مصاحفهم ابي عبد الله وابي ذي الجلال تعرات هما في الموضع الاول والمراد هنا
الاسم المسمى وقيل اسم مقحم كما لوجد في ويبقى وجه ربك ويدل عليه اسناد تبارك لغير الاسم
في مواضع كقوله فتبارك الله احسن الخالقين تبارك الذي ان شا تبارك الذي بيده الملك
وقد صح الاسناد الى الاسم لانه بمعنى العلو فاذا علا الاسم فما ظنك بالمسمى ولما ختم تعالى
نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ختم نعم الاخرة بقوله تبارك اسم ربك
ذي الجلال والاكرام وناسب هنا لما ذكر الجنا والديمومة له تعالى اذ ذكر في فنا العالم وناسب
هنا ذكر ما اشتق من البركة وهي النمو والزيادة اذ جا ذلك عقب ما امتن به على
المومنين وما اتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته ويا ذا الجلال والاكرام
من الصفات التي جا في الحديث ان يدعى الله بها قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال
والاكرام المفردات رجت الارض زلزلت وحركت تحريكا شديدا بحيث تنهدم الابنية
وتخر الجبال ٥ لبست الجبال فتتت وقيل سيرت من قولهم بس الغنم ساقها وتقال رجت
الارض وبستها الجبال لازمين المشامة من الشوم ومن اليد الشومى وهي الشمال الثلة
الجماعة كثرت او قلت وقال الزمخشري الامة من الناس الكثيرة وقال الشاعر
وجاءت اليهم حملته خندفية ٥ بجيش كتيار من السيل مزبد ٥ الموضونة
المنسوجة بتركيب بعض اجزايها على بعض كحلق الدرع ٥ قال الاعشى ٥
ومن نسج داود موضونة ٥ تسير مع الحي عيرا فعيرا ٥ ومنه وضين الناقة
وهو حزامها لانه موضون اي مفتول ٥ وقال الراجز ٥
اليك تعدو قلقا وضينها ٥ معترضا في بطنها جنينها ٥ مخالفا دين النصارى دينها
الابريق افعيل من البريق وهو انا للشرب له خرطوم قيل واذن وهو من اواني الخمر
عند العرب ٥ قال الشاعر ٥ كان ابريقهم ظبي على شرف ٥ مفدم بسبا الكتان ملثوم
وقال عدي بن زيد ٥ وتدعوا الى الصباح فجاءت ٥ قينة في يمينها ابريق ٥
صدع القوم بالخمر لحقهم الصداع في روسهم منها وقيل صدعوا فرقوا ٥ السدر تقدم
الكلام عليه في سورة سبا ٥ المخضود المقطوع شوكه قال امية ابن ابي الصلت
٥ ان الحدايق في الجنان ظليلة ٥ فيها الكواعب سدرها مخضود ٥ الطلح شجر
الموز ٥ وقيل شجر من العضاة كثير الشوك ٥ المسكوب المصبوب العروب المتحببة الى
زوجها ٥ الترب اللدة وهو من يولد هو واخر في بطن واحد سميا بذلك لمسهما التراب في وقت
واحد والله تعالى اعلم

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا وقعت
الواقعة ٥ ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة ٥ اذا رجت الارض رجا ٥ وبست الجبال
بسا ٥ فكانت هبا منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة ٥ فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة
واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة ٥ والسابقون السابقون اوليك المقربون ٥

في جنات النعيم ۝ ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ۝ على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين
يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ۝ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ۝
وفاكهة مما يتخيرون ۝ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ۝ لا يسمعون فيها
لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما ۝ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود ۝ وطلح
منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ۝ وفرش مرفوعة
إنا أنشأناهن إنشاء ۝ فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من
الآخرين ۝ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أن فيما قبلها تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين
وما فضل بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض بقوله ومن دونهما جنتان فانقسم الحال العالم
لذلك إلى مؤمن مفضول ومؤمن فاضل وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة
وأصحاب مشأمة وسابقون وهم المقربون وأصحاب اليمين والمكذبون المختتم بهم آخر هذه السورة كالمزوم
وقال ابن عباس الواقعة من أسماء القيامة كالصاخة والطامة والآزفة وهذه الأسماء تقتضي
عظم شأنها ومعنى وقعت الواقعة أي وقعت التي لا بد من وقوعها كما تقول حدثت الحادثة وكانت
الكائنة ووقوع الأمر نزوله وقال الضحاك يقال وقع ما كنت أتوقعه أي ما كنت أترقب نزوله
وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة
والعامل في إذا الفعل بعدها على ما قررناه في كتب النحو فهو في موضع خفض بإضافتها إليها
احتاج إلى تقدم عامل إذ الظاهر أنه ليس ثم جواب ملفوظ به يعمل فيها فقال الزمخشري
فإن قلت بم انتصب إذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل أو بمحذوف يعني إذا
وقعت كان كيت وكيت أو بإضمار اذكر انتهى أما نصبها بليس فلا يذهب نحوي أو من شدا
شيئا من صناعة الإعراب إلى مثل هذا لأن ليس في النفي كما وما لا يعمل فكذلك ليس وذلك
أن ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزمان والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز لأن حد الفعل
لا ينطبق عليها والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث فإذا قلت يوم الجمعة أقوم فالقيام
واقع في يوم الجمعة وليس لا حدث لها فكيف يكون لها عمل في الظرف والمثال الذي شبه به
وهو يوم الجمعة ليس لي شغل لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس بل هو منصوب بالعامل
في خبر ليس وهو الجار والمجرور فهو من تقديم معمول الخبر على ليس وتقديم ذلك مبني على جواز
تقديم الخبر الذي لليس عليها وهو مختلف فيه ولم يسمع من كلام العرب قائما ليس زيد
وليس إنما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط فهي كما ولكنه لما اتصلت بها ضمائر الرفع
جعلها ناس فعلا وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية ويظهر من تمثيل الزمخشري إذا بقوله
يوم الجمعة أنه سلبها الدلالة على الشرط الذي هو غالب فيها ولو كانت شرطا وكان الجواب الجملة
المصدرة بليس لزمت الفاء إلا إن حذفت في شعر إذ ورد ذلك فتقول إذا أحسن إليك زيد
فلست تترك مكافأته ولا يجوز لست بغير فاء إلا إن اضطر إلى ذلك وأما تقديره إذا وقعت
كان كيت وكيت فيدل على أن إذا عنده شرطية ولذلك قدر لها جوابا عاملا فيها وأما قوله أو بإضمار
اذكر فإنه سلبها الظرفية وجعلها مفعولا بها منصوبة باذكر وكاذبة ظاهره أنه اسم فاعل من كذب
وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشري نفس كاذبة أي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله في تكذيب
الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله تعالى
فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم ولا يزال الذين كفروا في مرية

منه

منه حتى تأتيهم الساعة واللام مثلها في قوله يا ليتني قدمت لحياتي أي ليس لها نفس تكذبها
وتقول لها لم تكذبي كما لها اليوم نفوس كثيرة يقلن لها لم تكذبي أو هي من قولهم كذبت فلانا نفسه
في الخطب العظيم إذا شجعته على مباشرته وقالت له إنك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال
على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاظة وأن لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند
عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها لأنهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى
إلى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف انتهى وهو تكثير وإسهاب وقدر ابن
عطية حال كاذبة فقال ويحتمل الكلام على هذا معنيين أحدهما كاذبة أي مكذوب فيما أخبر عنه
فسماها كاذبة لهذا كما تقول هذه قصة كاذبة أي مكذوب فيها والثاني حال كاذبة أي لا يمضي
وقوعها كما تقول فلان إذا حمل لم يكذب وقال قتادة والحسن المعنى ليس لها تكذيب ولا رد ولا
مثنوية وكاذبة على هذا مصدر كالعاقبة والعافية وخائنة الأعين والجملة من قوله ليس
لوقعتها كاذبة على ما قدره الزمخشري من أن إذا معمولة لليس يكون ابتداء السورة إلا أن
اعتقد أنها جواب لإذا أو منصوبة باذكر فلا يكون ابتداء الكلام وقال ابن عطية في موضع الحال
والذي يظهر لي أنها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وقرأ الجمهور خافضة رافعة برفعهما
على تقدير هي وزيد بن علي والحسن وعيسى وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن مقسم والزعفراني واليزيدي
في اختياره بنصبهما قال ابن خالويه قال الكسائي لولا أن اليزيدي سبقني إليه لقرأت به ونصبهما
على الحال قال ابن عطية بعد الحال التي هي ليس لوقعتها كاذبة ولك أن تتابع الأحوال كما لك أن تتابع
أخبار المبتدأ والقراءة الأولى أشهر وأبدع معنى وذلك أن موقع الحال من الكلام موقع ما لو لم يذكر لاستغني
عنه وموقع الجمل التي يجزم الخبر بها موقع ما يتهمم به انتهى وهذا الذي قاله سبقه إليه أبو الفضل
الرازي قال في كتاب اللوامح وذو الحال الواقعة والعامل وقعت ويجوز أن تكون ليس لوقعتها
كاذبة حالا أخرى من الواقعة بتقدير إذا وقعت صادقة الواقعة فهذه ثلاثة أحوال من ذي حال
وجازت أحوال مختلفة من واحدة كما جازت عنه نعوت متضادة وأخبار كثيرة عن مبتدأ واحد
وإذا جعلت هذه كلها واحدة أحوالا لأن العامل في إذا وقعت يحسن وما يدل عليه النحوي ينتصب بـ
يحاسبون ونحوه انتهى وتعدد الأحوال والأخبار فيه خلاف وتفصيل ذكر في النحو فليس ذلك
مما اجتمع عليه النحاة قال الجمهور القيامة تفطر السماء والأرض والجبال وانهدام هذه البنية
يرفع طائفة من الأجرام ويخفض أخرى فكأنها عبارة عن شدة الهول والاضطراب وقال
ابن عباس وعكرمة والضحاك الصيحة تخفض قوتها ليسمع الأدنى وترفعها لتسمع الأقصى
وقال قتادة وعثمان بن عبد الله بن سراقة القيامة تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما
إلى الجنة وأخذ الزمخشري هذه الأقوال على عادته وكساها بديع ألفاظه فقال ترفع أقواما
وتضع آخرين إما وصفا لها بالشدة لأن الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب
ويتضع ناس وإما أن الأشقياء يحطون إلى الدركات والسعداء يحطون إلى الدرجات وإما أنها
تزلزل الأشياء عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر
الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب انتهى إذا رجت قال ابن عباس زلزلت
وحركت بجذب وقال أيضا هو وعكرمة ومجاهد بست فتتت وقيل سيرت وقرأ زيد بن علي
رجت وبست مبنيا للفاعل وإذا رجت بدل من إذا وقعت وجواب الشرط عندي ملفوظ به
وهو قوله فأصحاب الميمنة والمعنى إذا كان كذا وكذا فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم

ما يجازون به أي إن سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب
على العالم وقال الزمخشري وكونها خافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض
وبس الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى ولا يجوز أن ينتصب
بهما معا بل بأحدهما لأنه لا يجتمع مؤثران على أثر واحد وقال ابن جني وأبو الفضل الرازي إذا
رجت في موضع رفع على أنه خبر المبتدأ الذي هو إذا وقعت وإذا ليست واحدة منهما شرطية
بل جعلت بمعنى وقت وما بعد إذا أحوال ثلاثة والمعنى وقت وقوع الواقعة صادقة الوقوع خافضة
قوم رافعة آخرين وقت رج الأرض وهكذا ادعى ابن مالك أن إذا تكون مبتدأ واستدل
بهذا وقد ذكرنا في شرح التسهيل ما تبقى به دعواه بما ذا على بدلوها من الشرط وتقدم شرح
الهباء في سورة الفرقان منبثا منتشرا منبتا بنقطتين بدل الثاء المثلثة قراءة الجمهور أي
منقطعا وكنتم خطاب للعالم أزواجا ثلاثة أصنافا ثلاثة وهذه رتب للناس يوم القيامة
فأصحاب الميمنة قال الحسن والربيع هم الميامين على أنفسهم وقيل الذين يؤتون صحائفهم
بأيمانهم وقيل أصحاب المنزلة السنية كما تقول هو مني باليمين وقيل المأخوذ بهم ذات اليمين أو ميمنة
آدم المذكور في حديث الإسراء في الأسودة وأصحاب المشأمة هم من قابل أصحاب الميمنة
خبر عن ما وما بعدها خبر عن أصحاب وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه وأكثر
ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم وما تعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة
والمعنى أي شيء هم والسابقون جوز أن يكون مبتدأ وخبرا نحو قولهم أنت أنت وقوله
أنا أبو النجم وشعري شعري أي الذين انتهوا في السبق أي الطاعات وبرعوا فيها وعرفت
حالهم وأن يكون السابقون تأكيدا لفظيا والخبر فيما بعد ذلك وأن يكون السابقون مبتدأ
والخبر فيما بعده وتقف على قوله والسابقون وأن يكون متعلق السبق الأول مخالفا للسبق
الثاني والسابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة فعلى هذا جوزوا أن يكون السابقون خبرا
لقوله والسابقون وأن يكون صفة والخبر فيما بعده والوجه الأول قال ابن عطية ومذهب
سيبويه أنه يعني السابقون خبر الابتداء يعني خبر والسابقون وهذا كما تقول الناس الناس وأنت
أنت وهذا على تفخيم الأمر وتعظيمه انتهى ويرجح هذا القول أنه ذكر أصحاب الميمنة متعجبا منهم
في سعادتهم وأصحاب المشأمة متعجبا منهم في شقاوتهم فناسب أن يذكر السابقون مثبتا حالها
لهم معظما وذلك بالإخبار أنهم نهاية في العظمة والسعادة والسابقون عموم في السبق إلى أعمال
الطاعات وإلى ترك المعاصي وقال عثمان بن أبي سودة السابقون إلى المساجد وقال ابن سيرين
السابقون الذين صلوا القبلتين وقال كعب هم أهل القرآن وفي الحديث سئل عن السابقين فقال
هم الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لأنفسهم أولئك
إشارة إلى السابقين المقربون الذين علت منازلهم وقربت درجاتهم في الجنة من العرش وقرأ
الجمهور في جنات جمعا وطلحة في جنة مفردا وقسم السابقين المقربين إلى ثلة من الأولين
وقليل من الآخرين وقال الحسن السابقون من الأمم والسابقون من هذه الأمة وقالت عائشة
رضي الله عنها الفرقتان في كل أمة نبي في صدرها ثلة وفي آخرها قليل وقيل هما الأنبياء
عليهم السلام كانوا في صدر الدنيا أكثر وفي آخرها أقل وفي الحديث الفرقتان في أمتي فسابق في
أول الأمة ثلة وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل وارتفع ثلة على إضمار هم وقرأ الجمهور على
سرر بضم الراء وزيد بن علي وأبو السمال بفتحها وهي لغة لبعض تميم وكلب يفتحون عين فعل جمع فعيل

المصنف كوضين وتقدم ذلك في والصافات موضونة قال ابن عباس مرمولة بالذهب وقال
عكرمة مشبكة بالدر والياقوت متكئين عليها أي على السرر ومتكئين حال من الضمير المستكن
في على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء بواطنهم
من غل إخوانا يطوف عليهم ولدان صغار الخدم مخلدون وصفوا بالخلد وإن كان من في الجنة
مخلدا ليدل على أنهم يبقون دائما في سن الولدان لا يكبرون ولا يتحولون عن شكل الوصافة وقال
مجاهد لا يموتون وقال الفراء مقرطون بالجلدات وهي ضرب من الأقراط وكأس من معين قال
ابن عباس من خمر سائلة جارية معينة لا يصدعون عنها قال الأكثرون لا يلحق رؤوسهم الصداع
الذي يلحق من خمر الدنيا وقرأت على أستاذنا العلامة أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى قول
علقمة في صفة الخمر
تشفي الصداع ولا يؤذيك طالبها ‖ ولا يخالطها في الرأس تدويم
فقال هذه صفة أهل الجنة وقيل لا ينزفون عنها بمعنى لا يتقطع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب
كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق كما جاء فتصدع السحاب عن المدينة أي فتفرق وقرأ
مجاهد لا يصدعون بفتح الياء وشد الصاد أصله يتصدعون أدغم التاء في الصاد أي لا يتفرقون
كقوله يومئذ يصدعون والجمهور بضم الياء وخفة الصاد والجمهور بجر وفاكهة ولحم وزيد بن علي
برفعهما أي ولهم والجمهور ولا ينزفون مبنيا للمفعول قال مجاهد وقتادة وجبير والضحاك
لا تذهب عقولهم سكرا وابن أبي إسحاق بفتح الياء وكسر الزاي نزف البئر استفرغ ما فيها فالمعنى لا تفرغ
خمرهم وابن أبي إسحاق أيضا وعبد الله والسلمي والجحدري والأعمش وطلحة وعيسى بضم الياء
وكسر الزاي أي لا يفنى لهم شراب مما يتخيرون يأخذون خيره وأفضله مما يشتهون أي يتمنون
وقرأ الجمهور وحور عين برفعهما وخرج على أن يكون معطوفا على ولدان أو على الضمير المستكن
في متكئين أو على مبتدأ محذوف هو وخبره تقديره لهم هذا كله وحور عين أو على حذف
خبر فقط أي ولهم حور أو فيها حور وقرأ الحسن والسلمي وعمرو بن عبيد وأبو جعفر وشيبة
والأعمش وطلحة والمفضل وأبان وعصمة والكسائي بجرهما والنخعي وحير عين بقلب الواو ياء
وجرهما والجر عطف على المجرور أي يطوف عليهم ولدان بكذا وكذا وحور عين وقيل هو على معنى
وينعمون بهذا كله وبحور عين وقال الزمخشري عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات
وفاكهة ولحم وحور انتهى وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم أعجمي
وقرأ أبي وعبد الله وحورا عينا بنصبهما قالوا على معنى ويعطون هذا كله وحورا عينا وقرأ
قتادة وحور عين بالرفع مضافا إلى عين وابن مقسم بالنصب مضافا إلى عين وعكرمة
وحوراء عيناء على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما فاحتمل أن يكون مجرورا عطفا على المجرور
السابق واحتمل أن يكون منصوبا كقراءة أبي وعبد الله وحورا عينا ووصف اللؤلؤ بالمكنون
لأنه أصفى وأبعد من التغير وفي الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذي لا تمسه الأيدي وقال
تعالى كأنهن بيض مكنون وقال الشاعر يصف امرأة بالصون وعدم الابتذال
فشبهها بالدرة المكنونة في صدفها فقال

قامت تراءى بين سجفي كلة ‖ كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
أو درة صدفية غواصها ‖ بهج متى يرها يهل ويسجد

جزاء بما كانوا يعملون روي أن المنازل والقسم في الجنة على قدر الأعمال ونفس دخول الجنة هو برحمة
الله تعالى وفضله لا بعمل عامل وفيه النص الصحيح الصريح لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت

يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني بفضله ورحمته • لغوا اسقط القول وفحشه • ولا تاثيما
ما يؤثم احدا والظاهران • الا قيلا سلاما سلاما استثنا منقطع لانه لم يندرج في اللغو ولا التاثيم
ويبعد قول من قال استثنا متصل وسلاما قال الزجاج هو مصدر نصبه قيلا اي يقول بعضهم
لبعض سلاما سلاما وقيل نصب بفعل محذوف وهو معمول قيلا اي قيلا اسلموا سلاما وقيل
سلاما بدل من قيلا وقيل نعت لقيلا بالمصدر كانه قيل الا قيلا سالما من هذه العيوب • في سدر في الجنة
شجر على خلقة له ثمر كقلال هجر طيب الطعم والريح مخضود عار من الشوك وقال مجاهد المخضود الموقر
الذي تثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه • وقرا الجمهور وطلح بالحا وعلي وجعفر
ابن محمد وعبد الله بالعين قراها على المنبر وقال علي وابن عباس وعطا ومجاهد الطلح الموز وقال
الحسن ليس بالموز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وقال
السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل والمنضود الذي نضد من اعلاه الى اسفله
فليست له ساق تظهر وظل ممدود لا يتقلص بل منبسط لا ينسخه شي قال مجاهد هذا الظل من
سدرها وطلحها • وما مسكوب قال سفين وغيره جار في غير اخدود وقيل منساب لا ينقطع
وفيه بستانية ولا ريثا • لا مقطوعة اي هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة
اي لا يمنع من تناولها بوجه ولا يحظر عليها كالتي في الدنيا وفرش • وفاكهة كثيرة برفعها اي وهناك
فاكهة وفرش جمع فراش وقرا الجمهور بضم الرا وابو حيوة بسكونها مرفوعة قصد نضدت حتى ارتفعت
او رفعت على الاسرة والظاهران الفراش هو ما يفترش للجلوس عليه والنوم وقال ابو عبيدة وغيره
المراد بالفرش النسا لان المراة يكنى عنها بالفراش ورفعهن في الاقدار والمنازل والضمير في انشاناهن
عايد على الفرش في قول ابي عبيدة اذ هن النسا عنده وعلى ما دل عليه الفرش اذ كان المراد بالفرش ما يدل
عليه ظاهرا من الملابس التي تفترش ويضطجع عليها اي ابتدانا خلقهن ابتدا جديدا من غير ولادة والظاهر
ان الانشا هو الاختراع الذي لم يسبق بخلق ويكون ذلك مخصوصا بالحور اللاتي لسن من نسل ادم ويحتمل
ان يريد انشا الاعادة فيكون ذلك لبنات ادم فجعلناهن ابكارا عربا قال ابن عباس العروب المتحببة
الى زوجها وقال الحسن وعبر ابن عباس ايضا عنهن بالعواشق ومنه قول لبيد •

وفي الخدور عروب غير فاحشة • ريا الروادف يعشي دونها البصر •

وقال ابن زيد العروب المحسنة للكلام وقرا حمزة وناس منهم شجاع وعباس والاصمعي عن ابي
عمرو وناس منهم خارجة وكردم وابو خليد عن نافع وناس منهم ابو بكر وحماد وابان عن عاصم
بسكون الرا وهي لغة تميم وباقي السبعة بضمها اترابا في الشكل والقد وابعد من ذهب الى ان الضمير
في انشاناهن عايد على الحور العين المذكورة قبل لان تلك قصة قد انقضت وهي قصة السابقين
وهذه قصة اصحاب اليمين واللام في لاصحاب اليمين متعلقة بانشاناهن ثلة من الاولين
اي من الامم الماضية وثلة من الاخرين اي من امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنافي بين قوله
وثلة من الاخرين وقوله قبل وقليل من الاخرين لان قوله من الاخرين هو في السابقين وقوله
وثلة من الاخرين هو في اصحاب اليمين المفردات اليحموم الاسود البهيم الحنث
قال الخطابي هو في كلام العرب العدل الثقيل شبه الاثم به • الهيم جمع اهيم وهيما والهيام داء
معطش يصيب الابل فتشرب حتى تموت او تسقم سقما والهيم جمع هيام وهو الرمل بفتح الها
وهو المشهور وقال ثعلب بضمها قال هو الرمل الذي لا يتماسك فبالفتح كسحاب وسحب
ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع اهيم من قلب ضمته كسرة لتصح اليا او بالضم يكون قد جمع على فعل

كغراد

كغراد وقرد ثم سكنت ضمة الرا فصار فعلا ثم فعل به ما فعل ببيض • امنى الرجل النطفة وما
قذفها من احليله • المزن السحاب قال الشاعر •

فلا مزنة ودقت ودقها • ولا ارض ابقل ابقالها •

اوريت النار من الزناد قدحتها
ووري الزند بنفسه والزناد حجرين او من حجر وحديد ومن شجر لا سيما في الشجر الرخو كالمرخ
والعفار والكلخ والعرب تقدح بعودين تحك احدهما بالاخر ويسمون الاعلى بالزند والاسفل الزندة
شبهوهما بالفحل والطروقة اقوى الرجل دخل في الارض القوا وهي القفر كاصحر دخل في الصحرا واقوى
من اقام اياما لم ياكل شيا واقفرت الدار صارت قفرا قال الشاعر •

يا دار ميه بالعليا فالسند • اقوت وطال عليها سالف الابد •

ادهن لاين وهاود فيما
لا يحمل عند المدهن • وقال الشاعر • الحزم والقوة خير من الادهان والعهد والهاع •

قوله تعالى الحلقوم مجرى الطعام • الروح الاستراحة • الريحان تقدم في سورة الرحمن
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا
قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم • وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ءانا لمبعوثون اواباؤنا الاولون • قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم
ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم • فمالئون منها البطون • فشاربون
عليه من الحميم • فشاربون شرب الهيم • هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون
افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون • نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين
على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون • ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون • افرايتم
ما تحرثون • ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون • لو نشا لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون •
انا لمغرمون بل نحن محرومون • افرايتم الما الذي تشربون • ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن
المنزلون • لو نشا جعلناه اجاجا فلولا تشكرون • افرايتم النار التي تورون • ءانتم انشاتم
شجرتها ام نحن المنشئون • نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم •
لما ذكر حال السابقين واتبعهم باصحاب الميمنة ذكر حال اصحاب المشئمة فقال واصحاب
الشمال وتقدم اعراب نظير هذه الجملة وفي هذا الاستفهام تعظيم مصابهم في سموم في
اشد حر وحميم ما شديد السخونة • وظل من يحموم قال ابن عباس ومجاهد وابو مالك
وابن زيد والجمهور دخان وقال ابن عباس ايضا هو سرادق النار المحيط باهلها يرتفع
من كل ناحية حتى يظلهم وقال ابن كيسان اليحموم من اسما جهنم وقال ابن زيد ايضا وابن
بريدة هو جبل في النار اسود يفزع اهل النار الى ذراه فيجدونه اشد شي وامر لا بارد ولا كريم
صفتان للظل نفيتا سمي ظلا وان كان ليس كالظلال ونفي عنه برد الظل ونفعه لمن
ياوي اليه ولا كريم تتميم لنفي صفة المدح فيه وتمحيق لما يتوهم في الظل من الاستراح اليه
عند شدة الحر ونفي لكرامة من يستروح اليه ونسبت اليه مجازا والمراد هم اي يستظلون
اليه وهم مهانون وقد يحتمل المجلس الردي لنيل الكرامة وبدي اولا بالوصف الاصلي الذي
هو الظل وهو كونه من يحموم وهو بعض اليحموم ثم نفي عنه الوصف الذي يبغي له الظل وهو كونه
لا باردا ولا كريما وقد يكون لا بارد ولا كريم صفة ليحموم ويلزم منه ان يكون الظل موصوفا
بذلك وقرا الجمهور لا بارد ولا كريم بجرهما وابن ابي عبلة برفعهما اي لا هو بارد ولا كريم على حد
قوله فابيت لا حرج ولا محروم اي لا انا حرج • انهم كانوا قبل ذلك اي في الدنيا • مترفين

وبه تم الترف والتنعم في الدنيا والترف طريق الى البطالة وترك التفكر في العاقبة. وكانوا يصرون اي يداومون ويواظبون. على الحنث العظيم. قال قتادة والضحاك وابن زيد الشرك وهو الظاهر وقيل ما تضمنه قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية من التكذيب بالبعث ويبعده وكانوا يقولون فانه معطوف على ما قبله ويقتضي التغاير فالحنث العظيم الشرك فقولهم ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون تقدم الكلام عليه في والصافات وكرر الزمخشري هنا وهمه فقال فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي انتهى ورددنا عليه هناك الى مذهب الجماعة في انهم لا يقدرون بين همزة الاستفهام وحرف العطف فعلا في نحو اولم يسيروا في الارض ولا اسما في نحو ابا وانما الواو والفا للعطف ما بعدهما على ما قبلهما والهمزة في التقدير متاخرة من حرف العطف لكنه لما كان للاستفهام له صدر الكلام قدمت. ولما ذكر تعالى استفهامهم عن البعث على طريق الاستبعاد والانكار امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم ببعث العالم اولهم واخرهم للحساب وبما يصل اليه المكذبون للبعث من العذاب والميقات ما وقت به الشي اي حد اي الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم حديد ثم انكم خطاب لكفار قريش. ايها الضالون عن الهدى المكذبون للبعث وخطابا ايضا لمن جرى مجراهم في ذلك. لاكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتدا الغاية وللتبعيض والثانية ان كان من زقوم بدلا فمن تحتمل الوجهين وان لم تكن بدلا فهي لبيان الجنس اي من شجر الذي هو زقوم وقرا الجمهور من شجر وعبد الله من شجرة. فمالئون منها البطون. والضمير في منها عايد على شجر اذ هو اسم جنس يونث ويذكر وعلى قراة عبد الله فهو واضح. فشاربون عليه قال الزمخشري ذكر على لفظ الشجر كما انث على المعنى في منها قال ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضمير للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه يفسرها وهي في معناه قال ابن عطية والضمير في عليه عايد على الماكول او على الاكل انتهى فلم يجعله عايدا على شجر. وقرا نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين وهو مصدر وقيل اسم لما يشرب ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها وهو بمعنى المشروب اسم لا مصدر كالطحن والرعي والاعرج وابن المسيب وشعيب بن الحبحاب ومالك بن دينار وابن جريج وباقي السبعة بفتحها وهو مصدر. والهيم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك جمع اهيم وهو الجمل الذي اصابه الهيام وقد فسرناه في المفردات وقيل جمع هيما وقيل جمع هايم وهايمة وجمع فاعل على فعل شاذ كبازل وبزل وعايذ وعوذ والهايم ايضا من الهيام الا ترى ان الجمل اذا اصابه ذلك هام على وجهه وذهب وقال ابن عباس وسفيان الهيم الرمال التي لا تروى من الما وتقدم الخلاف في مفرده اذ هو الهيام بفتح الهاء ام بالضم والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي كالمهل فاذا ملاوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاهم فيشربون شرب الهيم الذي يقطع له امعاهم فيشربون شرب الهيم قاله الزمخشري وقال ايضا فان قلت كيف صح عطف الشاربين وهما لذات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشي على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعا امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الما امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى والفا تقتضي التعقيب في الشربين وانهم اولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا انه يسكن عطشهم فازداد

العطش

العطش لحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا يقع بعده ري ابدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه فعطف والمقصود الصفة والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه شرب الهيم وقرا الجمهور نزلهم بضم الزاي وقرا ابن محيصن وخارجة عن نافع ونعيم ومحبوب وابو زيد وهارون وعصمة وعباس كلهم عن ابي عمرو بالسكون وهو اول ما ياكله الضيف وفيه تهكم بالكفار وقال الشاعر

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا . جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

يوم الدين اي يوم الجزا. نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما اقررتم بالنشاة الاولى وهي خلقهم ثم قال فلولا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما اقررتم فهو حض على التصديق بقولهم ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله او فلولا تصدقون به ثم حض على التصديق على وجه تقريعهم بسياق الحجج الموجبة للتصديق وكان كما قال ولم اصدق فقيل له ارايت لذا انما الانسان مفطور على الاقرار به فقال افرايتم ما تمنون وهو المني الذي يخرج من الانسان اذ ليس له في خلقه عمل ولا ارادة ولا قدرة وقال الزمخشري تخلقونه تقدرونه وتصورونه انتهى يحمل الخلق على التقدير والتصوير لا على الانشا ويجوز في انتم ان يكون مبتدا وجملة تخلقونه والاولى ان يكون فاعلا بفعل محذوف فكانه قال اتخلقونه فلما حذف الفعل انفصل الضمير وجا افرايتم هنا مصرحا بمفعولها الاول وجملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرر فيها اذا كانت بمعنى اخبرني وجا بعدها جملة فقيل ام منقطعة وليست المعادلة للهمزة وذلك في اربعة المواضع هنا ليكون ذلك على استفهامين فجواب الاول لا وجواب الثاني نعم فتقدر ام على هذا بل انحن الخالقون فجوابه نعم وقال قوم من النحاة ام هنا معادلة للهمزة وكان ما جا من الخبر بعد نحن جي به على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لوقع الاكتفا به دون ذكر الخبر ونظير ذلك جواب من قال من في الدار زيد في الدار او زيد فيها ولو اقتصر في الجواب على زيد لاكتفى به وقرا الجمهور ما تمنون بضم التا وابن عباس وابو السمال بفتحها والجمهور قدرنا بشد الدال وابن كثير بخفها اي قضينا واثبتنا او رتبنا في التقدم والتاخر فليس موت العالم دفعة واحدة بل بترتيب لا يتعدى ويقال سبقته على الشي اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه والمعنى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي نحن قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه ان اردنا ذلك وقال الطبري المعنى نحن قادرون قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم اي يموت طايفة ونبدلها بطايفة هكذا قرنا بعد قرن انتهى فعلى ان نبدل متعلق بقوله نحن قدرنا وعلى القول الاول متعلق بمسبوقين اي لا تسبقونا على ان نبدل امثالكم وامثالكم جمع مثل. وننشيكم فيما لا تعلمون من الصفات اي نحن قادرون على ان نعذبكم ونبدل امثالكم وعلى ان نغير اوصافكم مما لا يحيط به فكركم وقال الحسن من كونكم قردة وخنازير فان ذلك لان الاية تنحو الى الوعيد ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل بمعنى الصفة اي نحن قادرون على ان نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا وننشيكم في صفات لا تعلمونها. ولقد علمتم النشاة الاولى اي علمتم انه هو الذي انشاكم اولا انشا انسانا وقيل نشاة ادم وانه خلق من طين ولا ينكرها احد من ولده. فلولا تذكرون حض على التذكير المودي الى الايمان والاقرار بالنشاة الاخرة وقرا الجمهور تذكرون بشد الذال وطلحة بخفها وضم الكاف قالوا وهذه الاية دالة على استعمال القياس والحض عليه انتهى ولا تدل الا على قياس الاولى لا على جميع انواع القياس. افرايتم ما تحرثون ما تبذرونه في الارض وتبذرونه انتم تزرعونه

أي زرعاتهم وبقيت حتى ينتفع به والحطام اليابس المتفتت الذي لم يبق له حب ينتفع به • فظلتم تفكهون
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تعجبون وقال عكرمة تلاومون وقال الحسن تندمون
وقال ابن زيد تفجعون وهذا كله تفسير باللازم ومعنى تفكهون تطرحون الفكاهة عن أنفسكم
وهي المسرة ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث بشيء ومتفكه من أخوات تحرج وتحوب وقرأ
الجمهور بفتح الظاء وأبو حيوة وأبو بكر في رواية العتكي عنه بكسرها كما قالوا مسست بفتح الميم وكسرها
وحكاها الثوري عن ابن مسعود وجاء عن الأعمش وقرأ عبد الله والجحدري فظللتم على الأصل بكسر
اللام وقرأ الجحدري أيضا بفتحها والمشهور ظللت بالكسر وقرأ الجمهور تفكهون وأبو حزام بالنون بدل
الهاء قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم • إنا لمغرمون قبله محذوف أي يقولون وقرأ الجمهور إنا
والأعمش والجحدري وأبو بكر أإنا بهمزتين لمغرمون أي معذبون من الغرام وهو أشد العذاب • قال
• إن يعذب يكن غراما • وإنه يعط جزيلا فإنه لا يبالي • أو لمحملون الغرم في النفقة إذ ذهب
عنا غرم الرجل ولغرم منه • بل نحن محرومون محدودون لا حظ لنا في الخير الماء الذي تشربون
هذا الوصف يغني عن وصفه بالعذب الأنزل مقابله وهو الأجاج • ودخلت اللام في لجعلناه حطاما
وسقطت في قوله جعلناه أجاجا وكلاهما فصيح وطول الزمخشري في مسوغ ذلك وملخصه أن الحرف
إذا كان في مكان وعرف واشتهر في ذلك المكان جاز حذفه لشهرته فإن اللام علم لارتباط الجملة
الثانية بالأولى فجاز حذفه استغناء بمعرفة السامع وذكر في كلامه أن الثاني امتنع لامتناع الأول
وليس كما ذكر إنما هذا قول ضعفاء المعربين والذي ذكره سيبويه أنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره
ويفسد قولنا ولهذا الضعفاء قولهم لو كان إنسانا لكان حيوانا فالحيوانية لا تمتنع لامتناع الإنسانية
ثم قال ويجوز أن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة وأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب
للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان ح
أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب • والظاهر أن
شجرتها المراد منه الشجر الذي يقدح منه النار وقيل المراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها
أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا قول متكلف • نحن جعلناها تذكرة أي لنار جهنم • ومتاعا
للمقوين أي النازلين الأرض القواء وهي القفر وقيل للمسافرين وهو قريب مما قبله • وقال ابن زيد
الجائعين ضعيف جدا وقدم من فوائد النار ما هو أهم وآكد من تذكيرها بنار جهنم ثم أتبعه بفائدة
في الدنيا وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقفهم عليها من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم
والمشروب والنار من أعظم الدلائل على البعث وفيها انتقال من شيء إلى شيء وإحداث شيء من شيء ولذلك
أمر في آخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون ووصف تعالى نفسه بالعظيم إذ من هذه
أفعاله تدل على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم • إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون • لا يمسه إلا المطهرون • تنزيل
من رب العالمين • أفبهذا الحديث أنتم مدهنون • وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون • فلولا إذا بلغت
الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون • ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون • فلولا إن كنتم غير
مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين • فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين • وأما إن كان من المكذبين الضالين
فنزل من حميم وتصلية جحيم • إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم • قرأ الجمهور فلا
أقسم فقيل لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فأقسم وقيل المنفي محذوف

أي

أي فلا صحة لقول الكفار ثم ابتدأ أقسم قاله سعيد بن جبير وبعض النحاة ولا يجوز أن يكون في ذلك حذف اسم
لا وخبرها وليس جوابا لسائل سأل فيحتمل ذلك نحو قوله لا لمن قال هل من رجل في الدار وقيل توكيد
مبالغة ما وهي كاستفتاح كلام يشبهه في القسم إلا في شائع الكلام القسم وغيره ومنه فلا وأبي
أعدائها لا أخونها والأولى عندي أنها لام أشبعت فتحتها فتولدت منها الألف كقوله •
• أعوذ بالله من العقراب • وهذا وإن كان قليلا فقد جاء نظيره في قوله فاجعل أفئدة من
الناس تهوي بياء بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام والمعنى فلأقسم كقراءة الحسن وعيسى وخرج قراءة
الحسن أبو الفتح على تقدير مبتدأ محذوف أي فلأنا أقسم وتبعه على ذلك الزمخشري وإنما
ذهبا إلى ذلك لأنه فعل حال وفي القسم عليه خلاف فالذي اختاره ابن عصفور وغيره أن فعل
الحال لا يجوز أن يقسم عليه فاحتاجا إلى أن يصوروا المضارع خبر المبتدأ محذوف فتصير الجملة اسمية
فيقسم عليها وذهب بعض النحويين إلى جواز القسم على فعل الحال وهذا الذي اختاره فتقول
والله ليخرج زيد وعليه قول الشاعر •
• ليعلم ربي أن بيتي واسع • وقال الزمخشري في قراءة الحسن ولا يصح أن تكون اللام
لام قسم لأمرين أحدهما أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح والثاني
أن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال انتهى أما الأول
ففيه خلاف فالذي قاله قول البصريين وأما الكوفيون فيختارون ذلك ولكن يجيزون تعاقبهما
فيجيزون لأضربن زيدا واضرب عمرا وأما الثاني فصحيح لكنه هو الذي رجح عندنا أن تكون
اللام في لأقسم لام القسم وأقسم فعل حال والقسم قد يكون جوابا للقسم كما قال تعالى وليحلفن إن
أردنا إلا الحسنى فاللام في ليحلفن جواب قسم وهو قسم لكنه لما لم يكن حلفهم حالا بل مستقبلا لزمت النون
هي مخلصة المضارع للاستقبال • وقرأ الجمهور بمواقع جمعا وعمر وعبد الله وابن عباس وأهل
المدينة وحمزة والكسائي بموقع مفردا مرادا به الجمع قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم هي نجوم
القرآن التي أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا القول قوله إنه لقرآن فعاد الضمير
على ما يفهم من قوله بمواقع النجوم أي نجوم القرآن وقيل النجوم الكواكب ومواقعها قال مجاهد وأبو عبيدة
عند طلوعها وغروبها وقال قتادة مواقعها مواضعها من السماء وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم
القيامة وقيل عند الانقضاض من آثار العفاريت ومن تأول النجوم على أنها الكواكب جعل الضمير في إنه يعود
سياق الكلام كقوله توارت بالحجاب وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سر في تعظيم ذلك الفعل لكن حتى ح
وقد عظم ذلك تعالى فقال وإنه لقسم لو تعلمون عظيم والجملة المقسم عليها قوله إنه لقرآن كريم وفصل
بين القسم وجوابه فالظاهر أنه اعتراض بينهما وفيه اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله لو تعلمون
وقال ابن عطية وإنه لقسم تأكيد للأمر وتنبيه من المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين
بل هذا معنى قصد التهمم به وإنما الاعتراض قوله لو تعلمون انتهى وكريم وصف مدح ينفي عنه ما لا يليق به
وقال الزمخشري كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله تعالى • في كتاب
مكنون أي مصون • قال ابن عباس ومجاهد الكتاب الذي في السماء وقال عكرمة التوراة
والإنجيل كأنه قال ذكر في كتاب مكنون كرمه وشرفه فالمعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة وقيل
في كتاب مكنون أي في مصاحف المسلمين مصونة من التبديل والتغيير ولم تكن إذ ذاك مصاحف
فهو إخبار بغيب والظاهر أن قوله لا يمسه إلا المطهرون وصف لقرآن كريم والمطهرون هم الملائكة
وقيل لا يمسه صفة للكتاب المكنون فإن كان الكتاب هو الذي في السماء فالمطهرون هم الملائكة أيضا

وقيل لا يمسه صفة لكتاب مكنون فإذا كان الكتاب هو الذي في السماء فالمطهرون هم الملائكة
أيضا أي لا يطلع عليه من سواهم وكذا على قول عكرمة هم الملائكة وإن أريد بكتاب مكنون الصحف
فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على طهارة من الناس وإذا كان المطهرون هم الملائكة فلا يمسه
نفي وتؤيد النفي ما يمسه على قراءة عبد الله وإذا عني بهم المطهرون من الكفر والجنابة فاحتمل
أن يكون نفيا محضا ويكون حكمه أنه لا يمسه إلا المطهرون وإذا كان يمسه غير المطهر كما جاء لا يقصد تحريمها
أي الحكم هذا وإن كان قد يقع القصد ويحتمل أن يكون نفيا أريد به النهي فالضمة في السين إعراب
واحتمل أن يكون نهيا فلو فك ظهر الجزم ولكنه لما أدغم كان مجزوما في التقدير والضمة فيه لأجل ضمة الهاء
كما جاء في الحديث إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم وهو مجزوم ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا من المجزوم المدغم
المتصل بالهاء ضمير المذكر إلا الضم قال ابن عطية والقول بأن لا يمسه نهي قول فيه ضعف وذلك أنه إذا
كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فإذا جعلناه نهيا جاء معناه أجنبيا معترضا
بين الصفات وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبره وفي حرف ابن مسعود ما يمسه وهذا يقوي
ما رجحته من الخبر الذي معناه حقه وقدره أن لا يمسه إلا طاهر انتهى ولا يتعين أن يكون تنزيل صفة
بل يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف فيحسن إذ ذاك أن لا يكون لا يمسه نهيا وذكروا هنا حكم مس المصحف
وذلك مذكور في الفقه وليس في الآية دليل على منع ذلك وقرأ الجمهور المطهرون اسم مفعول من طهر مشددا
وعيسى كذلك مخففا من أطهر ورويت عن نافع وأبي عمرو وقرأ سلمان الفارسي المطهرون بخف الطا
وشد الها وكسرها اسم فاعل من طهر أي المطهرين أنفسهم وعنه أيضا المطهرون بشد الطا والها أصله
المتطهرون فأدغم التا في الطا ورويت عن الحسن وعبد الله بن عوف وقرئ المتطهرون وقرئ تنزيلا
بالنصب أي نزل تنزيلا والإشارة في أفبهذا الحديث للقرآن وأنتم خطاب للكفار مدهنون قال
ابن عباس مهاودون فيما لا يحل وقال أيضا مكذبون ۞ وتجعلون رزقكم أي شكر ما رزقكم الله
من إنزال القرآن عليكم تكذيبكم به أي تضعون مكان الشكر التكذيب ومن هذا المعنى قول الراجز
مكان شكر القوم عند المنن ۞ كي الصحيحات وفقء الأعين ۞ وقرأ علي وابن عباس وتجعلون
شكركم وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد وحكى الهيثم بن عدي أن من لغة أزد
شنوءة ما رزق فلان فلانا بمعنى ما شكره وقيل نزلت في الأنواء ونسبة السقيا إليها والرزق
المطر فالمعنى ما يرزقكم الله من الغيث وقال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين
في المطر هذا بنوء كذا وكذا وهذا بنوء الأسد وهذا بنوء الجوزاء وغير ذلك وقرأ الجمهور تكذبون ٢
من التكذيب وعلي والمفضل عن عاصم من الكذب فالمعنى من التكذيب أنه ليس من عند الله
أي القرآن أو المطر حيث ينسبونه إلى النجوم ومن الكذب قولهم في القرآن سحر وافترى وفي
المطر من الأنواء ۞ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون قال الزمخشري ترتيب الآية
فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير
في ترجعونها للنفس وقال ابن عطية توقيف على موضع عجز يقتضي النظر فيه أن الله مالك
كل شيء ۞ وأنتم الإشارة إلى جميع البشر حينئذ إذا بلغت الحلقوم تنظرون أي إلى أن النازع حينئذ
في الموت وقرأ عيسى حينئذ بكسر النون إتباعا لحركة الهمزة في إذ ونحن أقرب إليه علما
بالعلم والقدرة ۞ ولكن لا تبصرون من البصيرة بالقلب أو أقرب أي ملائكتنا ورسلنا ولكن لا تبصرون
من البصر بالعين ثم عاد التوقيف والتقرير ثانية بلفظ التحضيض والمدينين المملوكين ۞ قال
الأخطل ۞ ربت وربا في حجرها ابن مدينة ۞ قيل ابن مملوكة يصف عبدا ابن أمة وآخر البيت

تراه

تراه على مسحاته يتركل ۞ والمعنى فلولا ترجعون النفس البالغة إلى الحلقوم إن كنتم غير مملوكين
وغير مقهورين ۞ إن كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد إذ كانوا فيما
ذهبوا إليه من أن القرآن سحر وافترى وأن ما نزل من المطر هو بنوء كذا تعطيل للصانع وتعجيز
له وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد جوابها والبيانات التي تقتضيها التحضيضات
وإذا من قوله فلولا إذا وإن المتكررة وحمل بعض القول بعضا إيجازا واقتصارا وتقول إذا البست
شرطية فتنسد ترجعونها مسد جوابها بل هي ظرف غير شرط معمول لترجعونها المحذوف بعد
فلولا الدالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه فجاء التحضيض الأول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم
وجاء التحضيض الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجعها إذ مربوبيتهم
موجودة فهم مقهورون لا قدرة لهم ۞ فأما إن كان أي المتوفى من المقربين وهم السابقون وقرأ
الجمهور فروح بفتح الراء وعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وابن عباس والحسن وقتادة ونوح
القارئ والضحاك والأشهب وشعيب بن الحبحاب وسليمان التيمي والربيع بن خثيم ومحمد بن علي
وأبو عمران الجوني والكلبي وفياض وعبيد وعبد الوارث عن أبي عمرو ويعقوب بن حسان وزيد
ورويس عنه بضمها قال الحسن الروح الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم وقال أيضا روحه تخرج في
ريحان وقيل الروح البقاء أي فهذان له معنى وهو الخلود مع الرزق وقال مجاهد الريحان الرزق
وقال الضحاك الاستراحة وقال أبو العالية وقتادة والحسن أيضا الريحان هذا الشجر المعروف
في الدنيا يلقى المقرب ريحانا من الجنة وقال الخليل هو طرف بقلة طيبة فيها أوائل النور وقال
صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما هما ريحانتي من الدنيا وقال
ابن عطية الريحان كل ما تنبسط به النفوس ۞ فروح فسلام فتقول الفاء جواب أما وتقدم ما هي
في تقدير الشرط وإن كان من المقربين وإن كان من أصحاب اليمين وإن كان من المكذبين الضالين
شرط وإذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق منهما وجواب الثاني محذوف ولذلك كان فعل الشرط
ماضي اللفظ أو مصحوبا بلم وأغنى عنه جواب أما هذا مذهب سيبويه وذهب أبو علي الفارسي
إلى أن الفاء جواب إن وجواب أما محذوف وله قول موافق لمذهب سيبويه وذهب الأخفش
إلى أن الفاء جواب لهما والشرط معا وقد أبطلنا هذين المذهبين في كتابنا المسمى بالتذييل
والتكميل في شرح التسهيل والخطاب في لك للرسول صلى الله عليه وسلم أي لا ترى فيهم يا محمد إلا
السلامة من العذاب ثم لكل معتبر من أمته صلى الله عليه وسلم وقيل المخاطب من أصحاب اليمين
فقال الطبري في المعنى فسلام لك أنت من أصحاب اليمين وقيل فسلام لك يا صاحب اليمين
من إخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك لقوله إلا قيلا سلاما سلاما ۞ والمكذبون الضالون
هم أصحاب المشأمة أصحاب الشمال ۞ وقرأ الجمهور وتصلية رفعا عطفا على فنزل وأحمد بن
موسى والمنقري واللؤلؤي عن أبي عمرو وتصلية بالجر عطفا على من حميم ولما انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم
وما آل إليه كل قسم منهم أكد ذلك بقوله إن هذا أي إن هذا الخبر المذكور في هذه السورة لهو حق
اليقين فقيل هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول هذا يقين اليقين وصواب
الصواب بمعنى أنه نهاية في ذلك فهما بمعنى واحد أضيف على سبيل المبالغة وقيل هو من إضافة
الموصوف إلى صفته جعل الحق مباينا لليقين فكأنه قال لهو حق اليقين أي الثابت المتيقن ولما
تقدم ذكر الأقسام الثلاثة مسهبا الكلام فيهم أمر تعالى بتنزيهه عن ما لا يليق به من الصفات
ولما أعاد التقسيم موجز الكلام فيه أمر أيضا بتنزيهه وتسبيحه والإقبال على عبادة ربه والإعراض

عن اقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزا وبطهران سبح يتعدى تارة بنفسه كقوله
سبح اسم ربك الاعلى وسبحوه وتارة بحرف الجر كقوله فسبح باسم ربك العظيم ويجوز ان يكون
صفة لاسم ويجوز ان يكون صفة لربك

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝ له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شي قدير
هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم ۝ هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها
وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير ۝ له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور ۝ يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ۝ قال النقاش وغيره هذه السورة مدنية
باجماع من المفسرين وقال غيره كالزمخشري مكية وقال ابن عطية لا خلاف ان فيها قرانا مدنيا
لكن صدرها يكون مكيا ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها واضحة لانه تعالى امر بالتسبيح
ثم اخبر ان التسبيح المامور به قد فعله والتزمه كل من في السموات والارض واتى سبح بلفظ
الماضي ويسبح بلفظ المضارع وكله يدل على الديمومة والاستمرار وذلك دين من في السموات
والارض والتسبيح هنا عند الاكثرين بمعنى التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله فقيل هو حقيقة
في الجميع وقيل يمكن التسبيح مثلا وقيل مجاز بمعنى ان اثر الصنعة فيها ينبه الرائي على التسبيح
وقيل التسبيح هنا الصلاة فمن الحيوان بعيد وفي الكافر سجود ظله صلاته وفي المومن ذلك سائغ واللام
في لله اما ان تكون بمنزلة اللام في نصحت لزيد يقال سبح لله كما يقال نصحت زيدا فجي باللام لتقوية
وصول الفعل الى المفعول واما ان تكون لام التعليل اي احدث التسبيح لاجل الله اي لوجهه خالصا
يحيي ويميت جملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب لقوله له ملك السموات والارض لما اخبر بانه
له الملك اخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين اللذين بهما تمام التصرف في الملك وهو ايجاد
ما شا واعدام ما شا ولذلك عقب بالقدرة التي بها الاحيا والاماتة وجوز ان يكون خبر مبتدا
اي فهو يحيي ويميت وان يكون حالا من الضمير في له والعامل فيها العامل في الجار والمجرور
هو الاول الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة والاخر اي الدايم الذي ليس له نهاية منقضية
وقيل الاول الذي كان قبل كل شي والاخر الذي يبقى بعد هلاك كل شي والظاهر بالادلة ونظر العقول
في صنعته والباطن لكونه غير مدرك بالحواس وقال ابو بكر الوراق الاول بالازلية والاخر بالابدية
وقيل الظاهر العالي على كل شي الغالب عليه من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شي
اي علم باطنه وقال الزمخشري فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على
انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخروية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفا واما الوسطى
فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع
الاوقات الماضية والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالادلة والخفا فلا يدرك بالحواس
وفي هذا حجة على من جوز ادراكه بالحاسة انتهى وفيه دسيسة الاعتزال يعلم ما يلج في الارض من المطر في الاخرة
والاموات وغير ذلك وما يخرج منها من النبات والمعادن وغيرها وما ينزل من السما من الملايكة
والرحمة والعذاب وغيره وما يعرج فيها من الملايكة وصالح الاعمال وسيئها ۝ وهو معكم
اينما كنتم اي بالعلم والقدرة قال الثوري المعنى علمه معكم وهذه اية اجمعت الامة على هذا التاويل
فيها وانها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات وهي حجة على منع التاويل في غيرها مما

يجري مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها وقال بعض العلما فيمن يمتنع من تاويل ما لا يمكن حمله
على ظاهره وقد تاول هذه الاية وتاول الحجر الاسود يمين الله في الارض لو اتسع عقله لتاول
غير هذه مما هو في معناه وقرا الجمهور ترجع مبنيا للمفعول والحسن وابن ابي اسحاق والاعرج
مبنيا للفاعل ۝ والامور عام في جميع الموجودات اعراضها وجواهرها وتقدم شرح ما قبل هذا وما
بعده فاغنى عن اعادته قوله تعالى امنوا بالله ورسوله ۝ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ۝ وما لكم لا تومنون بالله والرسول يدعوكم لتومنوا بربكم
وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مومنين ۝ هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى
النور وان الله بكم لروف رحيم ۝ وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اوليك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد
الله الحسنى والله بما تعملون خبير ۝ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم
لما ذكر تعالى تنبيه العالم له وما احتوى عليه من الملك والتصرف وما وصف به نفسه من الصفات
العلا وختمها بالعلم بخفيات الصدور امر تعالى عباده المومنين بالثبات على الايمان وادامته
والنفقة في سبيل الله قال الضحاك نزلت في غزوة تبوك مستخلفين فيه اي ليست لكم بالحقيقة
وانما انتقلت اليكم من غيركم وكما وصلت اليكم تتركونها لغيركم وفيه تزهيد فيما بيد الناس اذ مصيره
الى غيره وليس له منه الا ما جا في الحديث يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت
او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقيل لاعرابي لمن هذه الابل فقال هي لله تعالى عندي
او يكون المعنى انه تعالى انشا هذه الاموال فمتعكم بها وجعلكم خلفا في التصرف فيها فانتم فيها بمنزلة
الوكلا فانفقوا منها في حقوق الله تعالى ثم ذكر تعالى ما للمومن المنفق من الاجر ووصفه بالكرم
ليصير جزا في انواع الثواب قيل وفيه اشارة الى عثمان بن عفان حيث بذل تلك النفقة العظيمة
في جيش العسرة ۝ ثم قال وما لكم لا تومنون بالله وهو استفهام على سبيل التعجب والانكار اي
كيف لا تومنون وآلة الايمان ودواعي الاعتبار موجودة ولم ذلك لكن فيكم من دلايل العقل وموجب ذلك
من السمع في قوله والرسول يدعوكم بهذا الوصف الجليل وقد تقدم اخذ الميثاق عليكم بالايمان فدواعي
الايمان موجودة واسبابه حاصلة فلا مانع منه ولا عذر في تركه ولا تومنون حال كما تقول
ما لك لا تقوم تنكر عليه انتفا قيامه والرسول الواو للحال فالجملة بعد حال فقد اخذ حال
ثالثة وهذا الميثاق قيل هو الذي اخذ عليهم حين الاخراج من ظهر ادم عليه السلام وقيل ما نصب
من الادلة وركز في العقول من النظر فيها ان كنتم مومنين شرط وجوابه محذوف اي ان كنتم
مومنين لموجب ما فهذا هو الموجب لا ما تلم او ان كنتم ممن يومن فما لكم لا تومنون والحالة هذه
وهي دعا الرسول واخذ الميثاق وقال الطبري اي ان كنتم مومنين في حال من الاحوال فالان
وقرا الجمهور وقد اخذ مبنيا للفاعل ميثاقكم نصبا وابو عمرو مبنيا للمفعول ميثاقكم
رفعا وقال ابن عطية في قوله ان كنتم مومنين وانما المعنى ان قوله والرسول يدعوكم لتومنوا
بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم موقنين يقتضي ان يقدر بان ثم فانتم في رتبة شريفة واقدار
رفيعة ان كنتم مومنين اي ان دمتم على ما بداتم به ولما كان ذكر توطية ما يحيا الايمان دعا الرسول
اتبعه بالايمان هو المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ما دعا به الى الايمان وذلك الايات البينات
المعجزات ۝ ليخرجكم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اي الله تعالى اذ هو المخبر عنه او الرسول
صلى الله عليه وسلم لانه الداعي وقرى في السبعة ينزل مضارعا فبعض ثقل وبعض خفف وقرا الحسن

وخلقه بالرأفة والرحمة كما يتصف الله سبحانه ولما كانت تداعيهم بالايمان والانفاق تم ذكر وقراءة الحسن ١
بالوجهين وزيد بن علي والاعمش انزل ماضيا ووصف نفسه تعالى بالرافة والرحمة تانيسا لهم
ولما كان قد امرهم بالايمان والانفاق ثم ذكرنا ينبههم على ترك الايمان مع حصول موجبه اخذ يبين على
ترك الانفاق في سبيل الله مع قيام الداعي لذلك وهو انهم يموتون فيخلفونه وفيه على هذا الوجه
بقوله ولله ميراث السموات والارض وهذا من ابلغ الحث على الانفاق وان لا تنفقوا تقدير
في ان لا تنفقوا او موضعه جر ونصب على الخلاف وان ليست زايدة بل مصدرية وقال الاخفش في قوله
وما لنا الا نقاتل انها زايدة عاملة تقديره وما لنا لا نقاتل فلذلك على مذهبه في تلك هنا
تكون ان زايدة وتقديره وما لكم لا تنفقون وقد رد مذهبه في كتب النحو لا يستوي منكم من انفق من قبل
الفتح وقاتل قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه اذ كان اول من اسلم وهاجر وانفق رضي الله تعالى
عنه وكذا من تابعه في السبق في ذلك ولذلك قالوا اولئك اعظم درجة وقيل نزلت بسبب ان ناسا
من الصحابة انفقوا نفقات جليلة حتى قيل ان هؤلاء اعظم اجرا من كل انفق وهذه الجملة
تضمنت تباين ما بين المنفقين وقرا الجمهور من قبل الفتح وزيد بن علي قبل بغير من والفتح
فتح مكة وهو المشهور وقول قتادة وزيد بن اسلم ومجاهد وقال ابو سعيد الخدري والشعبي
هو فتح الحديبية وقد تقدم في ولسورة الفتح كونه فتحا ورفعه ابو سعيد الى النبي صلى الله عليه
وسلم ان افضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية والظاهر ان فاعل لا يستوي من وحذف
مقابله وهو ومن انفق من بعد الفتح وقاتل لوضوح المعنى اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وقبل
انتشار الاسلام وفشوه واستيلاء المسلمين على ام القرى وهم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الذين جا في حقهم قوله صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وابعد من ذهب الى ان الفاعل بلا يستوي ضمير يعود على الانفاق اي لا يستوي
هو الانفاق اي جنسه اذ منه ما هو قبل الفتح وبعده ومن انفق مبتدا واولئك مبتدا خبره
ما بعده والجملة موضع خبر من وهذا فيه تفكيك الكلام وخروج عن الظاهر لغير موجب وحذف
المعطوف لدلالة المقابل لتقدير فا نقول اسما المعطوف الذي يقتضيه وضع الفعل وهو لا يستوي
وقرا الجمهور وكلا بالنصب وهو المفعول الاول بوعد وقرا ابن عامر وعبد الوارث من طريق
المادرايي وكل بالرفع والظاهر انه مبتدا والجملة بعده في موضع الخبر وقد اجاز ذلك الفرا وهشام
وورد في السبعة فوجب قبوله وان كان غيرهما من النحاة قد خص حذف الضمير الذي حذف من مثل
وعد بالضرورة وقال الشاعر

وخالد يحمد ساداتنا وقد • لا يحمد بالباطل • يريد يحمده ساداتنا وقد

بعضهم من جعل وعد خبرا انما لكل خبر مبتدا تقديره واوليك كل وو غز صفة وحذف الضمير
المنصوب من الجملة الواقعة صفة اكثر من حذفه منها اذا كانت خبرا نحو قوله

وما ادري اغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا • يريد اصابوه فاصابوه

صفة لمال وقد حذف الضمير العايد على الموصوف والحسنى تانيث الاحسن وفسر مجاهد
وقتادة بالجنة والوعد يتضمن ذلك في الاخرة والنصر والغنيمة في الدنيا والله بما تعملون خبير
فيه وعد ووعيد وتقدم الكلام على مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اعرابا وقراءة وتفسيرا في سورة البقرة وقال ابن عطية هنا الرفع يعني في فيضاعفه على العطف
او على القطع والاستيناف وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب بالفا على جواب الاستفهام وفي ذلك

فلق

فلق قال ابو علي يعني الفارسي لان السوال لم يقع على القرض وانما وقع السوال على فاعل القرض وانما
انتصب الفا فعلا مردودا على فهم مستفهم عنه لكن هذه القرة يحمى من الفرا حملت ذلك على المعنى
كان قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة ان لو قال ايقرض الله احدا فيضاعفه انتهى وهذا الذي ذهب
اليه ابو علي من انه انما انتصب الفا فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه ليس بصحيح بل يجوز اذا كانت
الاستفهام باداته اسمية نحو من يدعوني فاستجيب له واين بيتك فازورك ومتى تسير فارافقك
وكيف تكون فاصحبك فالاستفهام هنا وانما عن ذات الداعي وعن ظرف المكان وظرف الزمان
والحال لا عن الفعل وحكى ابن كيسان عن العرب اين ذهب زيد فنتبعه وكذلك كم مالك فنعرفه
ومن ابوك فنكرمه بالنصب بعد الفا وقراة فيضاعفه بالنصب قراة متواترة والفعل وقع صلة
للذي والذي صفة لذا او خبر لمن واذا جاز النصب في نحو هذا فجوازه في المثل السابقة احرى مع
انه سماع ابن كيسان ذلك محكيا عن العرب يويد ذلك والظاهر ان قوله وله اجر كريم هو زيادة
في التضعيف المترتب على القرض اي وله مع التضعيف المترتب على القرض اجر كريم قوله تعالى يوم ترى
المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم
الاماني حتى جا امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار
هي مولاكم وبيس المصير العامل في يوم ما عمل في له التقدير ومستقر له اجر كريم يوم ترى او اذكر
يوم ترى اعظامًا لذلك اليوم والروية هنا روية عين والنور حقيقة وهو قول الجمهور وروي في
ذلك عن ابن عباس وغيره اثار وان كل مظهر من الايمان له نور فيطفا نور المنافق ويبقى نور المومن
وهم متفاوتون في النور منهم من يضي كما بين مكة وصنعا ومن نوره كالنخلة السحوق ومن يضي له
ما قرب من قدميه ومنهم من يطفا مرة ويتقد مرة وذلك على قدر الاعمال وقال الضحاك النور استعارة
عن الهدى والرضوان الذي هم فيه والظاهر ان النور يتقدم لهم بين ايديهم ويكون ايضا بايمانهم فيظهر
انهما نوران نور ساع بين ايديهم ونور بايمانهم فذلك يضي الجهة التي يوم بها والذي بين ايديهم هو الضو
المنبسط من ذلك النور وقيل الباء بمعنى عن اي عن ايمانهم والمعنى في جميع جهاتهم وعبر عن ذلك
بالايمان تشريفا لها وقال الزمخشري وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعدا يوتون صحايف اعمالهم
من هاتين الجهتين كما ان الاشقيا يوتون بها من شمايلهم ومن ورا ظهورهم وقرا الجمهور وبايمانهم جمع
يمين وسهل بن شعيب السهمي وابو حيوة بكسر الهمزة وعطف هذا المصدر على الظرف لان الظرف
متعلق بمحذوف واي كاينا بين ايديهم وكاينا بسبب ايمانهم بشراكم اليوم جنات جملة معمولة
لقول محذوف اي تقول لهم الملايكة الذين يتلقونهم جنات اي دخول جنات قال ابن عطية خالدين
فيها الى الاية مخاطبة لهم صلى الله عليه وسلم انتهى ولا مخاطبة هنا بل هذا من باب الالتفات من
ضمير الخطاب في بشراكم الى ضمير الغيبة في خالدين ولو جرى على الخطاب لكان التركيب خالدين
انتم فيها والالتفات من فنون البيان يوم يقول بدل من يوم ترى ويبعد معمولا لاذكر قال
ابن عطية ويظهر لي ان العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم ويجي معنى الفوز افخم كانه يقول ان المومنين
يفوزون يوم يعتري المنافقين كذا وكذا لان ظهور المرا يوم خمول عدوه ومضاده ابدع وافخم انتهى
فظاهر كلامه وتقديره ان يوم منصوب بالفوز وهو لا يجوز لانه مصدر قد وصف قبل اخذ متعلقاته

فلا يجوز اعماله لانه قد عمل وصف وهو العظيم لجاز اي الفوز الذي عظم اي قدره يوم يقول انظرونا
اي انتظرونا لانهم لما يسبقونهم الى المرور على الصراط وقد طفئ نورهم قالوا ذلك . وقال
الزمخشري انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء
مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون
به انتهى فجعل معنى انظرونا بمعنى انظروا الينا وعدي النظر بحرف الى في لسان العرب الا بالى لا بنفسه
وانما وجد متعديا بنفسه في الشعر وقرأ زيد بن علي وابن وثاب والاعمش وطلحة انظرونا من انظر
رباعيا اي اخرونا اي اجعلونا في اخراكم ولا تسبقونا بحيث تفوتونا ولا نلحق بكم . نقتبس من نوركم
اي نصب منه حتى نستضيء به نقول اقتبس الرجل واستقبس اخذ من نار غيره قبسا . قيل
ارجعوا وراءكم القائل المؤمنون او الملائكة والظاهر ان وراءكم معمول لارجعوا وقيل لا محل له من الاعراب
لانه بمعنى ارجعوا كقوله وراءك اوسع لك اي ارجع تجد مكانا اوسع لك وارجعوا امر توبيخ وطرد اي
ارجعوا الى الموقف حيث اعطينا النور فالتمسوه هناك او ارجعوا الى الدنيا . والتمسوا نورا اي
بتحصيل سببه وهو الايمان او تنحوا عنا فالتمسوا نورا غير هذا فلا سبيل لكم الى الاقتباس منه
وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو اقناط لهم فضرب بينهم اي بين المؤمنين والمنافقين . بسور
حاجز قال ابن زيد هو الاعراف وقال حاجز غيره وقرأ الجمهور فضرب مبنيا للمفعول وزيد
ابن علي وعبيد بن عمير مبنيا للفاعل اي الله تعالى وبعد قول من قال ان هذا السور هو الجدار
الشرقي من مسجد بيت المقدس وهو مروي عن عبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمرو
وكعب الاحبار ولعله لا يصح عنهم والسور هو الحاجز على المدينة المحفظ من عدو والظاهر في باطنه انه يعود
الضمير منه على الباب لقربه وقيل على السور وباطنه الشق الذي لاهل الجنة وظاهره ما يبدو من قبله
من جهته العذاب ينادونهم اي ينادي المنافقون المؤمنين . الم نكن معكم اي في الظاهر
قالوا بلى اي كنتم معنا في الظاهر . ولكنكم فتنتم انفسكم اي عرضتموها للفتنة بنفاقكم . وتربصتم
اي بايمانكم حتى وافيتم على الكفر او تربصتم بالمؤمنين الدوائر قاله قتادة . وارتبتم اي شككتم في امر
الدين . وغرتكم الاماني وهي الاطماع مثل قولهم سيهلك محمد هذا العام تهزمه قبيلة قريش مستأصلة
الاحزاب الى غير ذلك او طول الآمال في امتداد الاعمار . حتى جاء امر الله وهو الموت على النفاق . والغرور
الشيطان باجماع وقرأ سماك بن حرب الغرور بضم الغين وتقدم ذلك . فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ايها
المنافقون والناصب لليوم الفعل المنفي بلا وفيه حجة على من منع ذلك . ولا من الذين كفروا في الحديث
ان الله تعالى يقرر الكافر فيقول له ارايتك لو كان لك اضعاف الدنيا اكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب
النار فيقول نعم يا رب فيقول الله تبارك وتعالى قد سالتك ما هو ايسر من ذلك وانت في ظهر ابيك آدم
ان لا تشرك بي فابيت الا الشرك وقرأ الجمهور لا يؤخذ وابو جعفر والحسن وابن ابي اسحاق والاعرج
وابن عامر وهارون عن ابي عمرو بالتاء لتأنيث الفدية . هي مولاكم قيل اولى بكم وهذا تفسير معنى
وكانت مولاهم حيث انها تضمهم وتباشرهم وهي تكون لكم مكان المولى ونحوه قوله تحية بينهم ضرب
وجيع وقال الزمخشري ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على
البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع . ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل
تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار . قوله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما
نزل من الحق . ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد . فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون . اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون . ان المصدقين والمصدقات

واقرضوا الله

واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم . والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم . والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم . اعلموا انما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب
الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد . ومغفرة من الله
ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . عن عبد الله ملت الصحابة ملة فنزلت الم يان
وعن ابن عباس عوتبوا بعد ثلاث عشرة سنة وقيل كثر المزاح في بعض شباب الصحابة فنزلت
وقرأ الجمهور الم والحسن وابو السمال الما والجمهور يان مضارع اني حان والحسن يئن مضارع
ان حان ايضا والمعنى قرب وقت الشيء ان تخشع تطمئن وتخبت وهو من عمل القلب ويظهر في
الجوارح وفي الحديث اول ما يرفع من الناس الخشوع لذكر الله اي لاجل ذكر الله كقوله اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم قيل او لتذكيرهم الايات وقرأ الجمهور وما نزل مشددا ونافع وحفص مخففا والجحدري
وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في رواية يونس وعباس عنه مبنيا للمفعول مشددا وعبد الله
انزل بهمزة النقل مبنيا للفاعل والجمهور ولا يكونوا بالغيبة عطفا على ان تخشع وابو حيوة
وابن ابي عبلة واسماعيل عن ابي جعفر وعن شيبة ويعقوب وحمزة في رواية عن سليم عنه ولا تكونوا
على سبيل الالتفات اما نهيا واما عطفا على ان تخشع . كالذين اوتوا الكتاب من قبل وهم معاصرو
موسى عليه السلام من بني اسرائيل حذر المؤمنون ان يكونوا مثلهم في قساوة القلوب اذ كانوا
اذا سمعوا التوراة رقوا وخشعوا . فطال عليهم الامد اي انتظار الفتح او انتظار القيامة وقيل
امد الحياة وقرأ الجمهور الامد مخفف الدال وهي الغاية من الزمان وابن كثير بشدها وهو الزمان
بعينه الاطول فقست قلوبهم صلبت بحيث لا تنفعل للخير والطاعة . يحيي الارض بعد موتها
يظهر انه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها ولتأثير ذكر الله فيها كما يؤثر الغيث في الارض فتعود
بعد اجدابها مخصبة كذلك تعود القلوب النافرة متعظة يظهر فيها اثر الطاعات والخشوع وقرأ
الجمهور المصدقين والمصدقات بشد صاديهما وابن كثير وابو بكر والمفضل وابان وابو عمرو
في رواية هارون بخفهما وابي بتاء قبل الصاد فيهما وقراءة الجمهور من الصدقة والخفيف
التصديق صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن الله تعالى . قال الزمخشري فان
قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى الفعل من المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل
بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا انتهى واتبع في ذلك ابا علي الفارسي ولا يصح
ان يكون معطوفا على المصدقين لان المعطوف على الصلة صلة وقد فصل بينهما بمعطوف
وهو قوله والمصدقات ولا يصح ايضا ان يكون معطوفا على صلة ال في المصدقات لاختلاف الضمائر
اذ ضمير المصدقات مؤنث وضمير واقرضوا مذكر فيتخرج هذا على حذف الموصول لدلالة
ما قبله عليه كانه قيل والذين اقرضوا فيكون مثل قوله فمن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم
منكم ويمدحه وينصره سواء يريد ومن يمدحه وصديق من ابنية المبالغة قال الزجاج
ولا يكون فيما احفظ الا من ثلاثي وقيل يجيء من غير الثلاثي كمسيك وليس بشيء لانه يقال
مسك وامسك فمسيك من مسك والشهداء الظاهر انه مبتدأ خبره ما بعده فيقف على
الصديقون وانه مستأنف وهو من عطف الجمل وهذا قول ابن عباس ومسروق والضحاك ان الكلام تام
في قوله الصديقون واختلفوا فيه فقال بعض الشهداء هم الانبياء يشهدون للمؤمنين بالصديقية
لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وبعض قال هم الشهداء في سبيل الله تعالى

الخبر عنهم فكأنه جعلهم صنفاً مذكوراً وحسن لعظم رتبهم وقال ابن مسعود ومجاهد وجماعة والشهداء
معطوف على الصديقون والكلام متصل يعني وهذا عظيم المعجزات منهم قال جعل الله كل مؤمن
صديقاً وشهيداً قاله مجاهد وفي الحديث من رواية البراء مؤمنو أمتي شهداء وإنما ذكر الشهداء
السبعة لتشريفهم لأنهم أعلا رتب الشهادة كما خص المقتول في سبيل الله من السبعة بتشريف تفرد به
وبعض قال وصفهم بالصديقية والشهادة من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس لهم أجرهم عن
الشهداء فقط أو عمن جمع بين الوصفين على اختلاف القولين والظاهر في نورهم أنه حقيقة
وقال مجاهد وغيره عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لهو﴾ الآية جعل تعالى
تغالب أمرها من اشتمالها على أشياء لا تدوم ولا تجدي وأما ما كان من الطاعات وضروري ما
يقوم به الأود فليس مندرجاً في هذه الآية لعب ولهو كحالة المترفين من المأكول وزينة تحسين لما هو
خارج عن ذات الشيء وتفاخر بينكم قراءة الجمهور بالتنوين ونصب بينكم والسلمي بالإضافة وتكاثر
في العدد والعُدد على عادة الجاهلية وهذه كلها محقرات بخلاف أمر الآخرة فإنها مشتملة على أمور
حقيقية عظام قال الزمخشري وشبه تعالى حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات
أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم فبعث عليه العاهة
فهاج واصفر وصار حطاماً عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين
انتهى وقال ابن عطية كمثل في موضع رفع صفة لما تقدم وصورة هذا المثال أن الإنسان ينشأ
في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم يأخذ بعد
ذلك في انحطاط فيتنشف ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله ودينه ويموت ويضمحل
أمره وتصير أمواله لغيره وتغير رسومه فأمره مثل مطر أصاب أرضاً فنبت من ذلك الغيث
نبات معجب أنيق ثم هاج أي يبس واصفر ثم تحطم واصفر ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل
انتهى وقيل الكفار الزراع من كفر الحب أي ستره في الأرض وخصوا بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات
والفلاحة فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة وقيل من الكفر بالله لأنهم أشد تعظيماً للدنيا وإعجاباً
بمحاسنها وحطاماً بناء مبالغة كعجاب وقرئ مصفاراً ولما ذكر ما يؤول إليه أمر الدنيا من
الفناء ذكر ما هو ثابت من أمر الآخرة من العذاب الشديد ومن رضاه الذي هو سبب النعيم قوله دايم ورنو
تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله
ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ ﴿ما أصاب من مصيبة
في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ ﴿لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم
الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ ولما ذكر تعالى ما في الآخرة من المغفرة
أمر بالمسابقة إليها والمعنى سابقوا إلى سبب مغفرة وهو الإيمان وعمل الطاعات وقد مثل بعضهم
المسابقة بأنواع فقال عبد الله كونوا في أول صف في القتال وقال أنس اشهدوا تكبيرة الإحرام مع
الإمام وقال علي كن أول داخل في المسجد وآخر خارج واستدل بهذا السبق على أن أول أوقات
الصلوات أفضل وجاء لفظ سابقوا كأنهم في مضمار يجرون إلى غاية مسابقين إليها عرضها أي
مساحتها في السعة كما قال فذو دعاء عريض والعرض خلاف الطول فإذا وصف العرض بالبسطة

عرف

عرف أن الطول أبسط أو ما عدت بدل على أنها مخلوقة وتكرر ذكر ذلك في القرآن يقوي ذلك والسنة
ناصة على ذلك وذلك يرد على المعتزلة في قولهم إنها إلى الآن غير مخلوقة وستخلق ذلك أي الموعود
من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون ﴿ما أصاب من
مصيبة﴾ أي مصيبة وذكر فعلها وهو جائز التذكير والتأنيث ومن التأنيث ما تسبق من
أمة أجلها ولفظ مصيبة يدل على الشر إن عرفها ذلك قال ابن عباس ما معناه أنه أراد
عرف المصيبة وهو استعمالها في الشر وخصصها بالذكر لأنها أهم على البشر والمصيبة في الأرض مثل
القحط والزلزلة وعاهة الزرع وفي الأنفس الأسقام والموت وقيل المراد بالمصيبة الحوادث كلها
من خير وشر ﴿إلا في كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ أي مكتوبة فيه ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي نخلقها
سواء الخلق والضمير في نبرأها الظاهر أنه يعود على المصيبة لأنها هي المحدث عنها وذكر
الأرض والأنفس هو على سبيل محل المصيبة وقيل يعود على الأرض وقيل على الأنفس
قاله ابن عباس وقتادة وجماعة ونقل المهدوي وذكر جواز عود الضمير على جميع ما ذكر قال
ابن عطية وهي كلها معان صحاح لأن الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلها انتهى إن ذلك أي تحصيل
كلما ذكر في كتاب وتقديره على الله يسير أي سهل وإن كان عسيراً على العباد ثم بين تعالى الحكمة
في إعلامنا بذلك الذي فعله من تقدير ذلك وسبق قضائه به ﴿لكيلا تأسوا﴾ أي تحزنوا
على ما فاتكم لأن العبد إن علم ذلك سلم وعلم أن ما فاته لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه
فلذلك لا يحزن على فائته لأنه ليس بصدد أن يناله ولا يفرح بآت لأنه ليس بصدد أن يفوته
فتهون عليه أمور حوادث الدنيا بذلك إذ قد وطن نفسه على هذه العقيدة ويظهر أن المراد بقوله
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أن يلحق الحزن الشديد على ما فات من الخير فيحدث عنه التسخط وعدم
الرضا بالمقدور ولا تفرحوا بما آتاكم أن يفرح الفرح المؤدي إلى البطر المنهي عنه في قوله تعالى لا تفرح إن
الله لا يحب الفرحين فإن الحزن قد ينشأ عنه البطر ولذلك ختم بقوله إن الله لا يحب كل مختال فخور
فالفرح بما ناله من حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس فمثل
هذا هو المنهي عنه وأما الحزن على ما فات من الطاعات والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع
فهو مندوب إليه وقال ابن عباس ليس أحد إلا يحزن ويفرح ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبراً ومن
أصابه خير فجعله شكراً انتهى يعني هو المحمود وقال الزمخشري فإن قلت فلا أحد يملك نفسه
عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل
صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر
فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها
مع الشكر فلا بأس انتهى وقرأ الجمهور بما آتاكم أي أعطاكم وعبد الله أوتيتم مبنياً للمفعول أي أعطيتموه
وأبو عمرو أتاكم أي جاءكم الذين يبخلون أي هم الذين يبخلون أو يكون الذين مبتدأ محذوف الخبر
على جهة الإبهام تقديره هم مذمومون أو موعودون بالعذاب أو مستغنى عنهم أو على إضمار
أعني فهو في موضع نصب أو في موضع نصب صفة لكل مختال فخور وإن كان نكرة فهو مخصص
نوعاً فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة قال ابن عطية هذا مذهب الأخفش انتهى عظمت الدنيا
في أعينهم فبخلوا أن يردوا منها حقوق الله تعالى وما كفاهم ذلك حتى أمروا الناس بالبخل ورغبوهم
في الإمساك والظاهر أنهم أمروا الناس حقيقة وقيل كانوا قدوة فيه فكأنهم يأمرون به ومن
يتول عن ما أمر الله به وقرأ الجمهور فإن الله هو وقرأ نافع وابن عامر بإسقاط ما هو وكذا في مصاحف

المدينة والشام وكلتا القراءتين متواترة فمن اثبت هو فقال ابو علي الفارسي يحسن ان يكون فصلا
قال ولا يحسن ان يكون ابتدا لان حذف الابتدا غير سائغ يعني انه في القراءة الاخرى حذف ولو كان
مبتدأ لم يجز حذفه لانك اذا قلت ان زيدا هو الفاضل فاعربت هو مبتدأ لم يجز حذفه لان ما بعده
من قولك الفاضل صالح ان يكون خبرا لان فلا يبقى دليل على حذف هو الرابط ونظير الذين هم يراوون
لا يجوز حذف هم لان ما بعده يصلح ان يكون صلة فلا يبقى دليل على المحذوف وما ذهب اليه ابو علي
ليس بشي لانه بنا ذلك على توافق القراءتين وتركيب احدهما على الاخرى وليس كذلك الا ترى انه
يكون قراءتان في لفظ واحد ولكل منهما توجيه يخالف الامر الاخر ومن قرا والله اعلم بما وضعت
والقراءة الاخرى بما وضعت بتا التانيث فضم التا يقتضي ان الجملة من كلام ام مريم وتا التانيث
تقتضي انها من كلام الله وهذا كثير في القراءات المتواترة فكذلك هذا يجوز ان يكون هو مبتدأ في
قراءة من اثبته وان كان لم يرد في القراءة الاخرى ولكل من التركيبين في الاعراب حكم يخصه ٥ لقد
ارسلنا رسلنا بالبينات الظاهر ان الرسل هنا هم من بني ادم والبينات الحجج والمعجزات ٥ وانزلنا
معهم الكتاب الكتاب اسم جنس ومعهم حال مقدرة اي وانزلنا الكتاب صائرا معهم اي مقدرا
صحبته لهم لان الرسل هم والكتاب ولما اشكل لفظ معهم على الزمخشري فسر الرسل يعني ما
فسرناه فقال لقد ارسلنا يعني الملايكة الى الانبيا بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي
والميزان روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به ٥
وانزلنا الحديد فنزل من الجنة ومعه خمسة اشيا من حديد السندان ٥ والكلبتان ٥ والميقعة
والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل اربع بركات
من السما الى الارض انزل الحديد والنار ٥ والما والملح انتهى واكثر المتاولين على ان الميزان العدل المراد
فقال ابن زيد وغيره اراد الموازين المصرفة بين الناس وهذا جزء من العدل ليقوم الناس
بالقسط الظاهر انه علة لانزال الميزان فقط ويجوز ان يكون علة لانزال الكتاب والميزان معا
لان القسط هو العدل في جميع الاشيا من سائر التكاليف فانه لا جور في شي منها ولذلك جا شهد الله
انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط ٥ وانزلنا الحديد عبر عن ايجاده بالانزال
كما قال وانزل لكم من الانعام وايضا فان الامر يكون الاشيا انما تلقي من السما جعل الكل نزولا منها
قاله ابن عطية وقال الجمهور اراد بالحديد جنسه من المعادن وقال ابن عباس نزل ادم من الجنة
ومعه السندان والكلبتان والميقعة فيه باس شديد اي السلاح الذي يباشر به القتال
ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صناعة الا والحديد الة فيها ٥ وليعلم الله
علة لانزال الكتاب والميزان والحديد ٥ من ينصره ورسله بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتاب
المنزل وباقامة العدل وبما يعمل من الة الحرب للجهاد في سبيل الله قال ابن عطية اي ليعلمه
موجودا فالتغير ليس في علم الله بل في هذا الحدث الذي خرج من العدم الى الوجود وقوله بالغيب
معناه بما سمع من الاوصاف الغايبة عنه فامن بها لقيام الادلة عليها ولما قال تعالى من
ينصره ورسله ذكر تعالى انه غني عن نصرته بقدرته وعزته وانه انما كلفهم الجهاد لمنفعة
انفسهم وتحصيل ما يترتب لهم من الثواب وقال ابن عطية ويترتب معنى الاية بان الله تعالى اخبر
بانه ارسل رسله وانزل كتبا وعدة مشروعا وسلاحا يحارب به من عانده ولم يهتد بهدي
الله فلم يبق عذر وفي الاية على هذا التاويل حض على القتال قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا
وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ٥ ثم قفينا على اثارهم

برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم
وكثير منهم فاسقون ٥ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم
نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ٥ لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شي من فضل
الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ٥ لما ذكر تعالى ارسال
الرسل جملة افرد منهم في هذه الاية نوحا وابراهيم عليهما السلام تشريفا لهما بالذكر اما نوح فلانه
اول الرسل الى من في الارض واما ابراهيم فلانه انتسب اليه اكثر الانبيا عليهم السلام وهو معظم في
كل الشرايع ثم ذكر اشرف ما حصل لذريتهما وذلك النبوة وهي التي بها هدي الناس من الضلال
والكتاب وهي الكتب الاربعة ٥ التورية والزبور والانجيل ٥ والفرقان ٥ وهي جميعها
في ذرية ابراهيم عليه السلام وابراهيم من ذرية نوح فصدق انها في ذريتهما في مصحف عبد الله
والنبيه مكتوبة باليا عوض الواو وقال ابن عباس والكتاب الخط بالقلم والظاهر ان الضمير في
فمنهم عايد على الذرية وقيل يعود على المرسل اليهم لدلالة ذكر الارسال والمرسلين عليهم ومع ارسال
الرسل وانزال الكتب واراحة العلل بذلك انقسموا الى مهتد وفاسق واخبر بالفسق عن الكثير
منهم ٥ ثم قفينا اي اتبعناهم وجعلناهم يقفون من تقدم على اثارهم اي اثار الذرية برسلنا
وهم الرسل الذين جاوا بعد الذرية وقفينا بعيسى ذكره تشريفا له ولانتشار امته ولنسبة الامة
على العادة في الاخبار عنه وتقدم قراءة الحسن الانجيل بفتح الهمزة في اول سورة ال عمران قال
ابو الفتح وهو مثال لا نظير له انتهى وهي لفظة اعجمية فلا يلزم فيها ان تكون على ابنية كلام العرب
وقال الزمخشري امره اهون من امر البرطيل يعني انه بفتح البا وكانه عربي واما الانجيل فاعجمي
وقري رافة على وزن فعالة وجعلنا يحتمل ان يكون المعنى وخلقنا كقوله وجعل الظلمات والنور
ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيكون في قلوب في موضع المفعول الثاني لجعلنا ورهبانية معطوف
على ما قبله فهي داخلة في الجعل ابتدعوها جملة في موضع الصفة لرهبانية وخصت الرهبانية
بالابتداع لان الرافة والرحمة في القلب لا تكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها افعال
بدن مع شي في القلب ففيها موضع للتكسب قال قتادة الرافة والرحمة من الله والرهبانية
هم ابتدعوها والرهبانية رفض الدنيا وشهواتها من النسا وغيرهن واتخاذ الصوامع وجعل
ابو علي الفارسي ورهبانية مقتطعة من العطف على ما قبلها من رافة ورحمة فانتصب عنده
ورهبانية على اضمار فعل يفسره ما بعده فهو من باب الاشتغال اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واتبعه
الزمخشري فقال وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها انتهى وهذا اعراب المعتزلة وكان ابو علي معتزليا
وهم يقولون ما كان مخلوقا لله لا يكون مخلوقا للعبد فالرافة والرحمة من خلق الله والرهبانية
من ابتداع الانسان فهي مخلوقة له وهذا الاعراب الذي لهم ليس بجيد من جهة صناعة
العربية لان مثل هذا هو مما يجوز فيه الرفع بالابتدا ولا يجوز الابتدا هنا بقوله ورهبانية لانها نكرة
لا مسوغ لها من المسوغات للابتدا بالنكرة وروي في ابتداعهم الرهبانية انهم افترقوا
ثلث فرق ففرقة قاتلت الملوك على الدين فغلبت وقتلت وفرقة قعدت في المدن يدعون الى الدين
ويبينونه ولم تقاتل فاخذها الملوك ينشرونهم بالمناشير فقتلوا وفرقة خرجت الى الفيافي وبنت
الصوامع والديارات وطلبت ان تسلم على ان تعتزل فتركت والرهبانية الفعلة المنسوبة الى الرهبان

وهو الخائف بني فعلان من رهب كالخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم قال الزمخشري
كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان انتهى والاولى ان يكون منسوبا الى رهبان
وغير بضم الراء لان النسب باب تغيير ولو كان منسوبا الى رهبان الجمع لرد الى مفرده فكان
يقال راهبية الا ان كان قد صار كالعلم فانه ينسب اليه على لفظه كالانصار والظاهر انه
الا ابتغاء رضوان الله استثناء متصل من ما هو مفعول من اجله وصار المعنى انه تعالى
كتبها عليهم ابتغاء مرضاته وهذا قول مجاهد ويكون كتب بمعنى قضى وقال قتادة وجماعة
المعنى لم يفرضها عليهم ولكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله تعالى والظاهر ان الضمير في رعوها
عائد على ما عاد عليه في ابتدعوها وهو ضمير الذين اتبعوه اي لم يرعوها كما يجب على الناذر
رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه وقال الكلبي ابن زيد فما لم يرعوها على ذلك وما وفوه
حقه بل غيروا وبدلوا وعلى تقدير ان فيهم من رعى يكون المعنى فما رعوها باجمعهم وقال
ابن عباس وغيره الضمير للملوك الذين حاربوهم واجلوهم وقال الضحاك وغيره الضمير للاخلاف الذين
جاءوا بعد المبتدعين لها ۝ فاتينا الذين امنوا وهم اهل الرافة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام
وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها ۝ يا ايها الذين امنوا الظاهر انه نداء لمن امن من امة
محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى امنوا دوموا واثبتوا وهكذا المعنى في كل امر يكون المامور
ملتبسا بها ۝ امنوا به يؤتكم كفلين قال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة
انتهى والمعنى انه يؤتكم مثل ما وعد من امن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين انه سوى بين اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المومنين بانهم يؤتون اجرهم
مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل النداء متوجه لمن امن من اهل الكتاب فالمعنى يا ايها
الذين امنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم الله كفلين اي نصيبين من رحمته
وذلك لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله من الرسل ۝ ويجعل لكم نورا تمشون به
وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي ويؤيد هذا
المعنى ما ثبت في الصحيح ثلثة يؤتيهم الله اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بي
الحديث ۝ لئلا يعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين
والنور والمغفرة لانهم لم يومنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم
يكسبهم فضلا قط واذا كان النداء للمومنين من هذه الامة والامر لهم فروي انه لما نزلت هذه الوعد
لهم حسدهم اهل الكتاب وكانت اليهود تعظم دينها وانفسها وتزعم انهم احباء الله واهل
رضوانه فنزلت هذه الاية معلمة ان الله تعالى فعل ذلك واعلم به ليعلم اهل الكتاب انهم
ليسوا كما يزعمون وقرا الجمهور لئلا يعلم ولا زائدة كهي في قوله ما منعك ان لا تسجد وفي قوله
انهم لا يرجعون في بعض التاويلات وقرا خطاب بن عبد الله لان لا يعلم وعبد الله وابن عباس
وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة على اختلاف ليعلم والجحدري لينعلم اصله لان يعلم قلب
الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وادغم النون في الياء بغير غنة كقراءة خلف ان يضرب بغير غنة وروى
ابن مجاهد عن الحسن ليلا مثل ليلى اسم المراة يعلم برفع الميم اصله لان لا بفتح لام الجر وهي لغة
فحذفت الهمزة اعتباطا وادغمت النون في اللام فاجتمعت الامثال وثقل النطق بها فابدلوا
من الساكنة ياء فصار ليلا ورفع الميم لان ان هي المخففة من الثقيلة لا الناصبة للمضارع اذ
الاصل انه لا يعلم وقطرب عن الحسن ايضا بكسر اللام وتوجيهه كالذي قبله الا انه كسر

اللام

اللام على اللغة المشهورة في لام الجر وعن ابن عباس كي يعلم وعنه لكيلا يعلم وعن عبد الله وابن
جبير وعكرمة لكي يعلم وقرا الجمهور ان لا يقدرون بالنون فان هي المخففة من الثقيلة و
وعبد الله يقدروا فان الناصبة للمضارع والله تعالى اعلم ۝ فتفسح في المجلس وسع لغيره ۝

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير ۝ الذين يظهرون
منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول
وزورا وان الله لعفو غفور ۝ والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ۝ فمن
لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين
مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين
يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين
عذاب مهين ۝ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل
شيء شهيد ۝ الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا
يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم ۝ هذه السورة مدنية قال الكلبي الا قوله ما يكون من
نجوى ثلثة الا هو رابعهم وعن عطاء العشر الاول منها مدني وباقيها مكي قرا الجمهور قد
سمع بالبيان وابو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن بالادغام قال خلف بن هشام
البزار سمعت الكسائي يقول من قرا قد سمع فبين الدال عند السين فلسانه اعجمي ليس
بعربي ولا يلتفت الى هذا القول فالجمهور على البيان والتي تجادل خولة بنت ثعلبة ويقال
بالتصغير او خولة بنت خويلد او خولة بنت حكيم او خولة بنت دليج او خولة بنت
الصامت اقوال للسلف واكثر الرواة على ان الزوج في هذه النازلة اوس بن الصامت
اخو عبادة وقيل سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امراته فاتت زوجته يا رسول الله اكل
اوس شبابي ونثرت له بطني فلما كبرت ومات اهلي ظاهر مني فقال لها ما اراك الا قد حرمت
عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي اهل سواه فراجعها بمثل مقالته
فراجعته فهذا هو جدالها وكانت في خلال ذلك تقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان
ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله فنزل الوحي عند
جدالها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها سبحان من وسع سمعه الاصوات كان بعض كلام
خولة يخفى علي وسمع الله جدالها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اوس وعرض
عليه كفارة الظهار العتق فقال ما املك والصوم فقال ما اقدر والاطعام فقال لا اجد
الا ان تعينني فاعانه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ودعا له فكفر بالاطعام
وامسك اهله وكان عمر رضي الله تعالى عنه يكرمها اذا دخلت عليه ويقول قد سمع
الله لها قال الزمخشري معنى قد التوقع لانه صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين
ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها انتهى وقرا الحرميان وابو عمرو
يظهرون بشدهما والاخوان وابن عامر يظاهرون مضارع ظاهر وابي يتظاهرون

مضارع تظاهر وعنه يتظهرون مضارع تظهر والمراد به كلمة الظهار وهو قول الرجل
لامرأته انت علي كظهر امي يريد في التحريم كانه اشارة الى الركوب اذ عرفه في ظهور الحيوانات
والمعنى انه لا يعلموها الا تعلموا منه ولذلك تقول العرب في مقابلة ذلك نزلت عن امراتي اي
طلقتها وقوله منكم اشارة الى توبيخ العرب ونهي من عادتهم في الظهار لانه كان من ايمان
اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرا الجمهور امهاتهم بالنصب على لغة الحجاز والمفضل
عن عاصم بالرفع على لغة تميم وابن مسعود بامهاتهم بزيادة البا قال الزمخشري في لغة من
ينصب انتهى يعني انه لا يزاد البا في لغة تميم وبعد الليس لشي وقد رد ذلك على الزمخشري
وزيادة الباقي مثل ما زيد بقايم كثير في لغة تميم والزمخشري تبع في ذلك ابا علي الفارسي
ولما كان معنى كظهر امي كامي في التحريم ولا يراد خصوصية الظهر الذي هو من الجسد جا النفي
بقوله ما هن امهاتهم ثم اكد ذلك بقوله ان امهاتهم اي حقيقة الا اللائي ولدنهم والحق بهن
في التحريم امهات الرضاع وامهات المومنين ازواج الرسول صلى الله عليه وسلم والزوجات
لسن بامهات حقيقة ولا ملحقات بهن فقول المظاهر منكر من القول تنكره الحقيقة
وينكره الشرع وزورا كذب باطل منحرف عن الحق وهو محرم تحريم المكروهات جدا فاذا
وقع لزم وقد رجى تعالى بعد بقوله فانه عفور رحيم مع الكفارة وقال الزمخشري وان الله
لعفو غفور لما سلف منه اذا تاب عنه ولم يعد اليه انتهى وهي نزعة اعتزالية والظاهر
ان الظهار لا يكون الا بالام وحدها فلو قال انت علي كظهر اختي او ابنتي لم يكن ظهارا وهو قول
قتادة والشعبي وداود ورواية ابي ثور عن الشافعي وقال الجمهور الحسن والنخعي والزهري
والاوزاعي والثوري وابو حنيفة ومالك والشافعي في قول هو ظهار والظاهر ان الذمي لا يلزم
ظهاره لقوله منكم اي من المومنين وبه قال ابو حنيفة والشافعي لكونها ليست من نسائه
وقال مالك يلزم ظهاره اذا نكحها ويصح من المطلقة الرجعية وقال المزني لا يصح وقال
بعض العلماء لا يصح ظهار غير المدخول بها ولو ظاهر من امته التي يجوز له وطؤها لزمه عند
مالك وقال ابو حنيفة والشافعي لا يلزم وسبب الخلاف هو هل تندرج في نسائهم ام لا
والظاهر صحة ظهار العبد لدخوله في يظهرون منكم لانه من جملة المسلمين وان تعذر منه
العتق والاطعام فهو قادر على الصوم وحكى الثعلبي عن مالك انه لا يصح ظهاره وليست المراة
مندرجة في الذين يظهرون فلو ظاهرت من زوجها لم يكن شيا وقال الحسن ابن زياد تكون
مظاهرة وقال الاوزاعي واسحاق وعطا وابو يوسف اذا قالت لزوجها انت علي كظهر امي فانه
يمين تكفرها وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار ولا يحول قولها هذا بينها وبين
زوجها ان يصيبها والظاهر ان قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا ان يعودوا للفظ الذي
سبق منهم وهو قول الرجل ثانيا انت علي كظهر امي فلا تلزم الكفارة بالقول وانما تلزم بالثاني
وهذا مذهب اهل الظاهر وروي ايضا عن بكير ابن عبد الله ابن الاشج وابي العالية وابي حنيفة
وهو قول الفرا وقال طاووس وقتادة والزهري والحسن ومالك وجماعة لما قالوا اي للوطي
والمعنى لما قالوا انهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ثم وطي تحنيثه يلزمه الكفارة وان طلق
او ماتت وقال ابو حنيفة ومالك ايضا والشافعي وجماعة معناه يعودون لما قالوا بالعزم
على الامساك والوطي فمتى عزم على ذلك لزمته الكفارة طلق او ماتت قال الشافعي العود الموجب
للكفارة ان يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضي بعده زمان يمكن ان يطلقها فيه فلا يطلق

وقال

وقال قوم المعنى والذين يظهرون من نسائهم في الجاهلية اي كان الظهار عادتهم ثم يعودون
الى ذلك في الاسلام وقاله القتبي وقال الاخفش فيه تقديم وتاخير والتقدير فتحرير رقبة لما قالوا
وهذا قول ليس بشي لانه يفسد نظم الاية فتحرير رقبة والظاهر انه يجزي مطلق رقبة فتجزي
الكافرة وقال مالك والشافعي شرطها الاسلام كالرقبة في كفارة القتل والظاهر اجزا المكاتبة لانه
عبد ما بقي عليه درهم وبه قال ابو حنيفة واصحابه وان عتق نصفي عبدين لا يجزي وقال الشافعي يجزي
من قبل ان يتماسا لا يجوز للمظاهر ان يطا حتى يكفر فان فعل عصى ولا يسقط عنه التكفير وقال
مجاهد يلزمه كفارة اخرى وقيل تسقط الكفارة الواجبة عليه ولا يلزمه شي وحديث اوس ابن الصامت
يرد على هذا القول وسوا كانت الكفارة بالعتق ام بالصوم ام الاطعام وقال ابو حنيفة اذا كانت
بالاطعام جاز له ان يطا ثم يطعم وهو ظاهر قوله فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا اذ لم يقل
فيه من قبل ان يتماسا وقيد ذلك في العتق والصوم والظاهر في التماس الحقيقة فلا يجوز تماسهما
قبلة او مضاجعة او غير ذلك من وجوه الاستمتاع وهو قول مالك واحد قولي الشافعي وقال
الاكثرون هو الوطي فيجوز له الاستمتاع بغير قبل التكفير وقاله الحسن والثوري وهو الصحيح
من مذهب الشافعي والضمير في يتماسا عايد على ما عاد عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها
ذلكم توعظون به اشارة الى التحرير اي فعل عظة لكم لتنتهوا عن الظهار فمن لم يجد اي الرقبة
ولا ثمنها او وجدها وثمنها وهو محتاج الى ذلك فقال ابو حنيفة يلزمه العتق ولو كان محتاجا
اليه ذلك ولا ينتقل الى الصوم وهو الظاهر وقال الشافعي ينتقل الى الصوم والشهران بالاهلة
وان جا احدهما ناقصا او بالعدد لا بالاهلة فيصوم الى الهلال ثم شهرا بالهلال ثم يتم الاول بالعدد
والظاهر وجوب التتابع فان افطر بغير عذر استانف او بعذر من سفر ونحوه فقال ابن المسيب
وعطا ابن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي ومالك والشافعي في احد قوليه يبني وقال النخعي وابن
جبير والحكم بن عيينة والثوري واصحاب الراي والشافعي في احد قوليه والظاهران وحلت
الرقبة بعد ان شرع في الصوم انه يصوم ويجزيه وهو مذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة
واصحابه يلزمه العتق ولو وطي في خلال الصوم بطل التتابع ويستانف وبه قال مالك وابو
حنيفة وقال الشافعي يبطل ان جامع نهارا لا ليلا فمن لم يستطع الصوم لزمانة به او كونه
يضعف به ضعفا شديدا كما جا في حديث اوس لما قال اهله لا يستطيع ان يصوم شهرين متتابعين
فقال والله يا رسول الله اني اذا لم اكل في اليوم والليلة ثلث مرات كل بصري وخشيت
ان تعشوا عيني والظاهر مطلق الاطعام وتخصيصه بما كانت العادة في الاطعام وقت النزول
وهو ما يشبع من غير تحديد بمد ومذهب مالك انه مد وثلث بالمد النبوي ويجب استيعاب
العدد ستين عند مالك والشافعي وهو الظاهر وقال ابو حنيفة واصحابه لو اطعم مسكينا
واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد اجزاه ذلك لتومنوا قال ابن عطية اشارة الى الرجعة
والتسهيل في الفعل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شدد تعالى بقوله وتلك حدود الله اي
فالزموها وقفوا عندها ثم توعد الكافرين بهذا الحكم الشرعي وقال الزمخشري ذلك البيان والتعليم
للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرايعه التي شرعها في الظهار
وغيره ورفض ما كنتم عليه من جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين
الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم انتهى ان الذين يحادون الله ورسوله نزلت
في مشركي مكة قريش اخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما اخزي من قاتل الرسل من قبلهم ولما ذكر المومنين

الواقعين عند حروده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة المعاداة والمخالفة في الحدود ٥ كبتوا قال
قتادة اخزوا وقال السدي لعنوا قبيل وهي لغة مذحج وقال ابن زيد وابو روق ردوا وقال ابن
وقال الفراء غيظوا يوم الخندق كما كبت الذين من قبلهم اي من قاتل الانبيا وقيل يوم بدر
وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وعن ابي عبيدة ان التا بدل من الدال اي كبد وا اصابهم دا في اكبادهم
قيل ٥ والذين من قبلهم منافقوا الامم قبل وكبتوا بمعنى سيكبتون وهي بشارة للمومنين بالنصر
وعبر بالماضي لتحقق وقوعه وتقدم الكلام في مادة كبت في ال عمران ٥ وقد انزلنا ايات بينات
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جا به وللكافرين اي الذين يحادونه ٥ عذاب مهين
اي يهينهم ويذلهم والناصب ليوم يبعثهم العامل في للكافرين او مهين او اذكر او يكون على انه
جواب لمن سال متى يكون عذاب هولاء فقيل له يوم يبعثهم الله اي يكون يوم يبعثهم الله
وانتصب جميعا على الحال اي يجتمعين في صعيد واحد او معناه كلهم اذ جميع يحتمل ذينك
المعنيين فينبيهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا احصاه بجميع تفاصيله وكميته وكيفيته وزمانه
ومكانه ونسوه لاستحقارهم اياه واحتقارهم له انه لا يقع عليه حساب تنتد بل لا يخفى عليه
شي وقرا الجمهور ٥ ما يكون بالياء وابو جعفر وابو حيوة وشيبة بالتاء لتانيث النجوى قال
صاحب اللوامح وان شغلت بالجار فهي بمنزلة ما جاءني من امراة الا ان الاكثر في هذا الباب
التذكير على ما في العامة يعني القراءة العامة قال لانه مسند الى من نجوى وهو يقتضي الجنس
وذلك مذكر انتهى وليس الاكثر في هذا الباب التذكير لان من زايدة فالفعل مسند الى مونث
فالاكثر التانيث وهو القياس قال تعالى ما تاتيهم من اية من ايات ربهم ما تسبق من امة اجلها
ويكون هنا تامة ونجوى احتمل ان يكون مصدرا مضافا الى ثلاثة اي من تناجي ثلاثة او مصدرا
على حذف مضاف اي من ذوي نجوى او مصدرا اطلق على الجماعة المتناجين فثلاثة على هذين
التقديرين قال ابن عطية بدلا او صفة وقال الزمخشري صفة وقرا ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة
بالنصب على الحال والعامل يتناجون مضمرا يدل عليه نجوى وقال الزمخشري او على تاويل
نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه وقال ابن عيسى كل سرار نجوى وقال ابن سراقة السرار
ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين اكثر قيل نزلت في المنافقين واختص الثلاثة والخمسة
لان المنافقين كانوا يتناجون على هذين العددين مغايظة لاهل الايمان والجملة بعد الا في المواضع
الثلاثة في موضع الحال تعالى ٥ رابعهم وسادسهم ومعهم بالعلم وادراك ما يتناجون به وقال
ابن عباس نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان ابن امية تحدثوا فقال احدهم اترى الله يعلم
ما نقول وقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا فقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله ٥ ولا ادنى
من ذلك اشارة الى الثلاثة والخمسة والادنى من الثلاثة الاثنين ومن الخمسة الاربعة والاكثر
يدل على ما يلي الستة فصاعدا وقرا الجمهور ولا اكثر عطفا على لفظ المخفوض والحسن وابن ابي
اسحاق والاعمش وابو حيوة وسلام ويعقوب بالرفع عطفا على موضع نجوى ان اريد بها المتناجون
ومن جعله مصدرا محضا على حذف مضاف اي ولا نجوى ادنى ثم حذف واقيم المضاف اليه مقامه
فاعرب باعرابه ويجوز ان يكون ولا ادنى مبتدا والخبر الا هو معهم فهو من عطف الجمل وقرا الحسن
ايضا ومجاهد والخليل بن احمد ويعقوب ايضا ولا اكثر بالباء بواحدة والرفع واحتمل الاعرابين
العطف على الموضع والرفع بالابتدا وقرى ينبيهم بالتخفيف والهمز وزيد بن علي بالتخفيف
وترك الهمز وكسر الهاء والجمهور بالتشديد والهمز وضم الهاء قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن

النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاوك
حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس
المصير ٥ يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
وتناجوا بالبر والتقوى ٥ واتقوا الله الذي اليه تحشرون ٥ انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين
امنوا وليس بضارهم شيا الا باذن الله ٥ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ٥ يا ايها الذين امنوا اذا قيل
لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم ٥ واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ٥ نزلت الم تر في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
دون المومنين وينظرون اليهم ويتغامزون باعينهم عليهم موهمين المومنين ان اقرباهم انهم
اصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى يقدم اقرباوهم فلما كثر ذلك منهم شكا المومنون الى الرسول
صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المومنين فلم ينتهوا فنزلت قاله ابن عباس وقال
مجاهد نزلت في اليهود وقال ابن السايب في المنافقين وقرا الجمهور ويتناجون وحمزة وطلحة
والاعمش ويحيى بن وثاب ورويس وينتجون مضارع انتجى بما لم يحيك الله كانوا يقولون السام
عليك وهو الموت فيرد عليهم وعليكم وتحية الله لنبيه وسلام على عباده الذين اصطفى ٥ لولا
يعذبنا الله بما نقول ٥ اي ان كان نبيا فلم لا يدعو علينا حتى نعذب بما نقول فقال تعالى حسبهم
جهنم ثم نهى المومنين ان يكون تناجيهم مثل تناجي الكفار وبدا بالاثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته
في النفوس اذ هي ظلامات العباد ثم ترقى الى ما هو اعظم وهو معصية الرسول عليه الصلاة والسلام
وفي هذا طعن على المنافقين اذ كان تناجيهم في ذلك وقرا الجمهور فلا تتناجوا وابن محيصن
بالتاء وقرا الكوفيون والاعمش وابو حيوة ورويس ولا تنتجوا مضارع انتجى والجمهور بضم العين
من العدوان وابو حيوة بكسرها حيث وقع والضحاك ومعصيات الرسول على الجمع والجمهور
على الافراد وقرا عبد الله اذا انتجيتم فلا تنتجوا وال في انما النجوى للعهد في نجوى الكفار بالاثم والعدوان
وكونها من الشيطان لانه هو الذي يزينها لهم فكانها منه ٥ ليحزن الذين امنوا كانوا يوهمون
المومنين ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا وليس اي التناجي او الشيطان او الحزن بضارهم
اي المومنين الا باذن الله اي بمشيته فيقضي بالقتل او الغلبة وقال ابن زيد هي نجوى قوم من
المسلمين يقصدون مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس لهم حاجة ولا ضرورة يريدون
التبجح بذلك فيظن المسلمون ان ذلك في اخبار بعدو وقصد نحوه وقال عطية العوفي نزلت في المنامات
التي يراها المومن في النوم تسوءه فكانه نجوى يناجي بها انتهى ولا يناسب هذا القول ما قبل الاية
ولا ما بعدها وتقدمت القراتان في يحزن وقرى بفتح اليا والزاي فيكون الذين فاعلا وفي
القراتين مفعولا ولما نهى تعالى المومنين عما هو سبب للتباغض والتنافر امرهم بما هو سبب
للتوادد والتقارب فقال ٥ يا ايها الذين امنوا الاية قال مجاهد وقتادة والضحاك كانوا يتنافسون
في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد مجالس
القتال اذا اصطفوا للحرب وقال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان الصحابة يتشاحون على
الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في الشهادة فنزلت وقرا الجمهور تفسحوا وداود ابن
ابي هند وقتادة وعيسى تفاسحوا والجمهور في المجلس وعاصم وقتادة وعيسى في المجالس وقرى
في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه والظاهر ان الحكم مطرد في المجالس
التي للطاعات وان كان السبب مجلس الرسول وقيل الاية مخصوصة بمجلس الرسول صلى الله عليه وسلم

وكذا مجالس العلم ويؤيده قراءة من قرا في المجالس ويتناول الجمع اعلى ان لكل احد مجلسا في بيت الرسول
صلى الله عليه وسلم والجزم ليفسح الله على جواب الامر في رحمته او في منازلكم في الجنة او في قبوركم
او في قلوبكم او في الدنيا والاخرة اقوال ۵ واذا قيل انشزوا اي انهضوا في المجلس للتفسح لان من به
التوسعة على الوارد يرتفع الى فوق فيتسع الموضع امروا اولا بالتفسح ثم ثانيا له امتثال الامر فبدا اذا انشزوا
وقال الحسن وقتادة والضحاك معناه اذا دعوا الى قتال وصلاة او طاعة فانهضوا وقيل اذا دعوا الى
القيام عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فانهضوا اذ كان عليه الصلاة والسلام ما احيانا يؤثر
الانفراد في امر الاسلام وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن عامر ونافع وحفص بضم الشين في اللفظين
والحسن والاعمش وطلحة وبا في السبعة بكسرها والظاهران قوله والذين اوتوا العلم معطوف
على الذين امنوا والعطف مشعر بالتغاير وهو من عطف الصفات والمعنى يرفع الله المؤمنين العلماء
درجات فالوصفان لذات واحدة وقال ابن مسعود وغيره تم الكلام عند قوله منكم وانتصب
والذين اوتوا العلم بفعل مضمر تقديره ويخص الذين اوتوا العلم درجات فللمؤمنين رفع وللعلماء
درجات ۵ بين يدي نجواكم استعارة والمعنى قبل نجواكم وعن ابن عباس وقتادة ان قوما من
المؤمنين واغنياءهم كثرت مناجاتهم للرسول صلى الله عليه وسلم في غير حاجة الا لتظهر منزلتهم
وكان صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد احدا فنزلت مشددة عليهم امر المناجاة وهذا الحكم قيل نسخ
قبل العمل وقال قتادة عمل به ساعة من نهار وقال مقاتل عشرة ايام وقال علي كرم الله وجهه ما عمل بها
احد غيري اردت المناجاة ولي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيته عشر مرار اتصدق في كل
مرة بدرهم ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة وقرئ صدقات بالجمع
وقال ابن عباس هي منسوخة بالاية بعدها وقيل باية الزكاة ۵ أأشفقتم اي اخفتم من ذهاب
المال في الصدقة او من العجز عند وجود ما تتصدقون به فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم
عذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وافعال الطاعات وقرا عباس
عن ابي عمرو ۵ خبير بما يعملون بالياء من تحت والجمهور بالتاء قوله تعالى الم تر الى الذين تولوا
قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ۵ اعد الله لهم عذابا
شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون ۵ اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۵ يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون ۵ استحوذ
عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
ان الذين يحادون الله ورسوله ۵ اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي
عزيز ۵ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر ۵ يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب
الله هم المفلحون ۵ الذين تولوا هم المنافقون والمغضوب عليهم هم اليهود عن السدي ومقاتل انه صلى
الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل
عبد الله بن سلول وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال عليه الصلاة والسلام علام
تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له فعلت فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما
سبوه والضمير في ما هم عائد على الذين تولوا وهم المنافقون اي ليسوا منكم ايها المؤمنون ولا منهم

اي

اي ليسوا من الذين تولوهم وهم اليهود ۵ وما هم استئناف اخبار بانهم مذبذبون لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء كما قال عليه الصلاة والسلام مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين لانه
مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه وقال ابن عطية يحتمل تاويلا اخر وهو ان يكون قوله ما هم
يريد به اليهود وقوله ۵ ولا منهم يريد به المنافقين فيجي فعل المنافقين على هذا التاويل
احسن لانهم تولوا مغضوبا عليهم ليسوا من انفسهم فيلزمهم ذمامهم ولا من القوم المحقين
فتكون الموالاة صوابا انتهى والظاهر التاويل الاول لان الذين تولوا هم المحدث عنهم والضمير في
ويحلفون عائد عليهم فتتسق الضمائر لهم ولا تختلف وعلى هذا التاويل يكون ما هم استئنافا
وجاز ان يكون حالا من ضمير تولوا وعلى احتمال ابن عطية يكون ما هم صفة لقوما ۵ ويحلفون على
الكذب اما انهم ما سبوا كما روي في سبب النزول او على انهم مسلمون والكذب هو ما ادعوه من
الاسلام ۵ وهم يعلمون جملة حالية تقبح عليهم اذ حلفوا على خلاف ما ابطنوا والمعنى وهم عالمون متعمدون
له والعذاب الشديد المعد لهم في الاخرة وقرا الجمهور ايمانهم جمع يمين والحسن ايمانهم بكسر الهمزة
اي ما يظهرونه من الايمان جنة اي ما يستترون به ويتقون المحذور وهو الترس قوله
فصدوا اي اعرضوا او صدوا الناس عن الاسلام اذ كانوا يثبطون من لقوا عن الاسلام ويضعفون
امر الايمان واهله او صدوا المسلمين عن قتلهم باظهار الايمان وقتلهم هو سبيل الله فيهم لكن ما
اظهروه من الايمان والاسلام صدوا به المسلمين عن قتلهم ذلك ۵ لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا تقدم الكلام على هذه الجملة في اوائل ال عمران ۵ فيحلفون له اي لله تعالى الا
ترى الى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ۵ كما يحلفون لكم انهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين والعجب
منهم كيف يعتقدون ان كفرهم يخفى على عالم الغيب والشهادة ويجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطلاعهم
على كفرهم ونفاقهم والمقصود انهم مقيمون على الكذب قد تعودوه حتى كان على السنتهم في الاخرة كما كان
في الدنيا ۵ ويحسبون انهم على شيء اي شيء نافع لهم ۵ استحوذ عليهم الشيطان اي احاط بهم من كل جهة
وغلب على نفوسهم واستولى عليها وتقدمت هذه المادة في قوله تعالى الم نستحوذ عليكم في النساء وانها
من حاذ الحمار العانة اذا ساقها وجمعها غالبا لها ۵ ومنه كان احوذيا بالتسبيح وحده ۵ وقرا عمر
استحاذ اخرجه على الاصل والقياس واستحوذ شاذ في القياس فصيح في الاستعمال ۵ فانساهم ذكر الله
فهم لا يذكرونه لا بقلوبهم ولا بالسنتهم ۵ وحزب الشيطان جنده قال ابو عبيدة ۵ اولئك في الاذلين
هي افعل التفضيل اي في جملة من هو اذل خلق الله تعالى لا ترى احدا اذل منهم وعن مقاتل
لما فتح الله مكة للمؤمنين والطائف وخيبر وما حولها قالوا نرجوا ان يظهرنا الله على فارس
والروم فقال عبد الله بن ابي اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر
عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت كتب الله لاغلبن انا ورسلي كتب في اللوح
المحفوظ او قضى وقال قتادة بمعنى قال ورسلي من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة
ان الله قوي ۵ ينصر حزبه ۵ عزيز يمنع من ان يذل ۵ لا تجد قوما قال الزمخشري من باب
التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين والغرض منه انه
لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته
والتصلب في مجانبة اعداء الله وزاد ذلك تاكيدا بقوله ۵ ولو كانوا اباءهم اخره وبدا بالاباء لانهم
الواجب على الاولاد طاعتهم فنهاهم عن موادتهم وقال تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به
علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب ثم اتى ثالثا بالاخوان لانهم هم

النفاصفه كما قيل ۝ اخاك اخاك ان من لا اخا له ۝ كساع الى الهيجا بغير سلاح ۝
ثم رابعا بالعشيرة لان بها التناصر وبهم المقاتلة والتغلب والتسرع اليهم دعوا الهيجا كما قال
لا يسالون اخاهم حين يندبهم ۝ في النايبات على ما قال برهانا ۝ وقرا الجمهور
كتب مبنيا للفاعل ۝ في قلوبهم الايمان نصبا اي كتبه الله وابو حيوة والمفضل عن عاصم كتب مبنيا
للمفعول والايمان رفع والجمهور او عشيرتهم على الافراد وابو رجا على الجمع والمعنى اثبت الايمان
في قلوبهم وايدهم بروح منه تعالى وهو الهدى والنور واللطف وقيل الروح القران وقيل جبريل
يوم بدر وقيل الضمير في منه عايد على الايمان والايمان روح والانسان في نفسه روح يحيى به المومن
والاشارة باولئك كتب الى الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله قيل والاية نزلت في ابي حاطب
ابن ابي بلتعة وقيل الظاهر ان الاية متصلة بالايات التي في المنافقين الموالين لليهود وقيل
نزلت في ابن ابي وابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان منه سب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فصكه ابو بكر صكة سقط منها فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم او فعلته قال نعم قال
لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله
ابن الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وفي مصعب بن عمير قتل اخاه
ابن عمير يوم احد وقال ابن شوذب يوم بدر وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر
وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة
يوم بدر وقال الواقدي في قصة ابي عبيدة انه قتل اباه قال كذلك يقول اهل الشام وقد
سالت رجالا من بني فهر فقالوا توفي ابوه قبل الاسلام انتهى يعنون في الجاهلية قبل ظهور الاسلام
وقد رتبا المفسرون ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم على قصة ابي عبيدة وابي بكر
ومصعب وعمر وعلي وحمزة وعبيدة مع اقربائهم والله تعالى اعلم **المفردات** اللينة
قال الاخفش كانه لون من النخل اي ضرب منه واصلها لونة قلبوا الواو يا لسكونها وانكسار
ما قبلها ۝ وانشد ۝ قد شجاني الاصحاب لما تغنوا ۝ بفراق الاحباب من فوق لينة ۝
انتهى وجمعها لين كتمرة وتمر وقد كسروه على ليان وتكسير ما بينه وبين واحده هاء التانيث
قليلا نحو رطبة ورطب شذ وابنية فقالوا ارطاب ۝ وقال الشاعر
۝ وسالفة كسحوق الليان ۝ اضرم فيها الغوي السعر ۝ وقال ابو الحجاج الاعلم
الليان جمع لينة وهي النخلة انتهى وياتي اقوال المفسرين في اللينة او وجف البعير حمله على الوجيف
وهو السير السريع تقول وجف البعير يجف وجيفا وقال نصيب الا رب ركب قد قطعت وجيفهم
اليك ولولا انت لم يوجف الركب ۝

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ۝ هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا ۝ وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ۝ يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين ۝
فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلا لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار
شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ۝ ما قطعتم من لينة او تركتموها
قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين ۝ وما افا الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من
خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشا والله على كل شي قدير ۝ ما افا الله على رسوله

من

من اهل القرى ۝ فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ۝ كي لا يكون دولة
بين الاغنيا منكم ۝ وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ۝ واتقوا الله ان الله شديد
العقاب ۝ هذه السورة مدنية وقيل نزلت في بني النضير وتقدمت المدينة لتداينهما ما قبلها وكان
بنو النضير صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا
هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب
ابن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فاخبر جبريل الرسول
عليهما الصلاة والسلام بذلك فامر بقتل كعب فقتله محمد بن مسلمة غيلة وكان اخاه من الرضاعة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم في دية المسلمين الذين قتلهما عمرو
ابن امية الضمري منصرفه من بير معونة فهموا بطرح الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعصمه الله تعالى فلما قتل كعب امر عليه الصلاة والسلام بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية
يقال لها الزهرة فسار وهو عليه الصلاة والسلام على حمار مخطوم بليف فوجدهم ينوحون
على كعب وقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم امر امرك فقال اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب لنا من
ذلك وتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا عشرة ايام ليتجهزوا للخروج ودس المنافق عبد الله
ابن ابي واصحابه ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم وان اخرجتم لنخرجن
معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم اجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
اخرج في ثلثين من اصحابك ويخرج منا ثلثون ليسمعوا منك فان صدقوا امنا كلنا ففعل فقالوا
كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلثة ويخرج اليك ثلثة من علمائنا ففعلوا فاشتملوا على الخناجر
وارادوا الفتك فارسلت امراة منهم ناصحة الى اخيها وكان مسلما فاخبرته بما ارادوا فاسرع
الى الرسول عليه الصلاة والسلام فساره بخبرهم قبل ان يصل الرسول اليهم فلما كان من الغد
غدا عليهم بالكتايب فحاصرهم احدا وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من
نصر المنافقين فطلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلا على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاءوا
من المتاع فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن
اخطب فلحقوا بخيبر ولحقت طايفة بالحيرة وقبض اموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا
وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا وكان ابن ابي قد قال لهم معي الفان من قومي وغيرهم
وتمدكم قريظة وحلفاكم من غطفان فلما نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزلتهم قريظة
وخذلهم ابن ابي وحلفاؤهم من غطفان ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر حال المنافقين واليهود
وتولي بعضهم بعضا ذكر ايضا ما حل باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم وامكان الله تعالى
رسوله عليه السلام ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم واظهر
العداوة مع حلفهم مع قريش وتقدم الكلام في تسبيح الجمادات التي يشملها العموم المدلول عليه بما
من اهل الكتاب هم قريظة وكانت قبيلة عظيمة توازن في القدر والمنزلة بني النضير ويقال
لهما الكاهنان لانهما من ولد الكاهن بن هارون نزلوا قريبا من المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا
لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان من امرهم ما قصه الله تعالى في كتابه من ديارهم يتعلق باخرج
ومن اهل الكتاب يتعلق بمحذوف اي كائنين من اهل الكتاب وصحت الاضافة اليهم لانهم كانوا نزلوا
برية لا عمران فيها فبنوا فيها وانشاوا واللام في لاول الحشر يتعلق باخرج وهي لام التوقيت كقوله
لدلوك الشمس والمعنى عند اول الحشر والحشر الجمع للتوجيه الى ناحية ما والجمهور ان هؤلاء

الذين اخرجوا هم بنوا النضير وقال الحسن هم بنوا قريظة ورد هذا بان بني قريظة ما حشروا
ولا اجلوا وانما قتلوا وهذا الحشر هو بالنسبة لاخراج بني النضير وقيل الحشر هو حشر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكتائب لقتالهم وهو اول حشر منه لهم واول قتال قاتلهم واول يقتضي ثانيا
فقيل الاول حشرهم للجلا والثاني حشر عمر لاهل خيبر وجلاهم وقد اخبر عليه الصلاة والسلام
بجلا اهل خيبر بقوله صلى الله عليه وسلم لا يبقين دينان بجزيرة العرب وقال الحسن اراد حشر
القيمة اي هذا اوله والقيام من القبور اخره وقال عكرمة والزهري المعنى لاول موضع الحشر وهو
الشام وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لبني النضير اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر
وقيل الثاني نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وهذا الجلا كان في ابتدا الاسلام واما الان فقد
نسخ فلا بد من القتل والسبي او ضرب الجزية ❊ ما ظننتم ان يخرجوا لعظم امرهم ومنعتهم وقوتهم
ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم ❊ وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من حرب الله وباسه
ولما كان ظن المؤمنين منفيا هنا اجري مجرى نفي الرجا والطمع فتسلط على ان الناصبة للفعل
كما يتسلط الرجا والطمع فتتسلط على ان الناصبة للفعل ولما كان ظن اليهود قويا جدا يكاد ان يلحق
بالعلم تسلط على ان المشددة وهي التي يصحبها غالبا فعل التحقيق كعلمت وتحققت وايقنت
وحصونهم الوطيح والنطاة والسلالم والكتيبة وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين
قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جا عليه قلت تقديم الخبر على المبتدا
دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد
الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع
في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم انتهى ويعني ان حصونهم هو المبتدا ومانعتهم
الخبر ولا يتعين هذا بل الراجح ان يكون حصونهم فاعله بمانعتهم لان في توجيهه تقديما وتاخيرا
وفي جائز مثله من نحو قائم زيد على الابتدا والخبر خلاف ومذهب اهل الكوفة منعه ❊ فاتاهم
الله اي باسه ❊ من حيث لم يحتسبوا اي لم يكن في حسابهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
قاله السدي وابو صالح وابن جريج وذلك مما اضعف قوتهم ❊ وقذف في قلوبهم الرعب فسلب
قلوبهم الامن والطمانينة حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ يخربون بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين قال قتادة خرب المؤمنون من خارج ليدخلوا وخربوا هم من داخل
ونحوه قال الضحاك والزجاج وغيرهما كانوا كلما خرب المسلمون من حصونهم هدموا هم من البيوت
خربوا الحصن وقال الزهري وغيره كانوا لما ابيح لهم ما تستقل به الابل لا يدعون خشبة حسنة
ولا سارية الا قلعوها وخربوا البيوت عنها فيكون قوله ❊ وايدي المؤمنين اسنادا للتخريب
اليها من حيث كان المؤمنون محاصرتهم اياهم داعية الى ذلك وقيل ليتخوا على بقايها سليمة خربوها
ايضا وقرا قتادة والجحدري ومجاهد وابو حيوة وعيسى وابو عمرو يخربون مشددا وباقي
السبعة مخففا والقراتان بمعنى واحد عدي خرب اللازم بالتضعيف وبالهمزة وقال صاحب
الكامل في القران ان التشديد الاختيار على التكثير وقال ابو عمرو بن العلا خرب بمعنى هدم
وافسد واخرب ترك الموضع خرابا وذهب عنه فاعتبروا فاتعظوا بما دبر الله من اخراجهم وتسليط
المؤمنين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله
ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال ولولا ان كتب الله عليهم الجلا لعذبهم في الدنيا اي لولا انه تعالى
قضى انه سيجليهم عن ديارهم ويبقون مدة يؤمن بعضهم ويولد لبعضهم من يؤمن لعذبهم في الدنيا

بالقتل

بالقتل والسبي كما فعل باخوانهم بني قريظة وكانوا بنوا النضير من الجيش الذين عصوا موسى
في كونهم لم يقتلوا الغلام ابن ملك العماليق تركوه لجماله وعقله وقال موسى عليه الصلاة و
السلام لا تستحيوا منهم احدا فلما رجعوا الى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد مات
فقال لهم بنوا اسرائيل انتم عصاة والله لا دخلتم علينا بلادنا فانصرفوا الى الحجاز فكانوا فيه
فلم يجر عليهم الجلا الذي اجلاه بختنصر على اهل الشام وكان الله قد كتب على بني اسرائيل جلا
فنالهم هذا الجلا على يد محمد صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالسيف والقتل
كاهل بدر وغيرهم ويقال اجلاه القوم من منازلهم واجلاهم وغيرهم قيل والفرق بين الجلا والاخراج
ان الجلا ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون لواحد وجماعة وقرا الجمهور الجلا ممدودا
والحسن ابن صالح واخوه علي بن صالح مقصورا وطلحة مهموزا من غير الف كالنبا ولهم في الاخرة
عذاب النار اي ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا في الاخرة وقرا طلحة ومن يشاقق بالاظهار
كالمتفق عليه في الانفال والجمهور بالادغام وكان بعض الصحابة قد شرع في بعض نخل بني النضير
يقطع وذلك في صدر الحرب فقالوا ما هذا الافساد يا محمد وانت تنهى عن الافساد
فكفوا عن ذلك ونزل ما قطعتم من لينة الاية ردا على بني النضير واخبارا ان ذلك بتسويغ
الله وتمكينه ليخزيهم به ويذلهم واللينة والنخلة اسمان بمعنى واحد قاله الحسن ومجاهد
وابن زيد وعمرو بن ميمون وقال الشاعر ❊

❊ كان قتودي فوقها عش طاير ❊ على لينة سوقا يهفوا جنوبها ❊ وقال اخر ❊
❊ طراف الحوابي واقع فوق لينة ❊ ندى ليلة في ريشه يترقرق ❊ وقال ابن

عباس وجماعة من اهل اللغة هي النخلة ما لم تكن عجوة وقال الثوري الكريمة من النخل وقال
ابو عبيدة وسفيان ما تمرها لون وهي نوع من التمر يقال له اللون قال سفيان هو شديد
الصفرة يشف عن نواه فيرى من خارج وقال ايضا ابو عبيدة اللين الوان النخل المختلطة
التي ليس فيها عجوة ولا برني وقال جعفر بن محمد هي العجوة وقيل هي السيلان ❊ وانشد فيه

❊ غرسوا لينها بمجرى معين ❊ ثم حف النخيل بالاجام ❊ وقيل هي اغصان الاشجار

للينها فعلى هذا لا يكون اصل اليا الواو وقيل هي النخلة القصيرة وقال الاصمعي هي الدقل وما
شرطية منصوبة بقطعتم ومن لينة تبيين لابهام ما وجواب الشرط ❊ فباذن الله اي
فقطعها او تركها باذن الله وقرا الجمهور قايمة انثى قايمة والضمير في تركتموها على معنى ما
وقرا عبد الله والاعمش وزيد بن علي قوما على وزن فعل كضرب جمع ضارب قايم وقري
قايما اسم فاعل مذكر على لفظ ما وانث في على اصولها وقري اصله بغير واو ولما جلا بنوا
النضير عن اوطانهم وتركوا رباعهم واموالهم طلب المسلمون تخميسها كغنايم بدر فنزلت
ما افا الله على رسوله بين ان اموالهم فيء لم يوجف عليها خيل ولا ركاب ولا قطعت مسافة
انما كانوا ميلين من المدينة مشوا مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عمر بن الخطاب كانت اموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق منها على
اهل نفقة سنته ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله تعالى وقال الضحاك
كانت له عليه الصلاة والسلام فاثر بها المهاجرين وقسمها عليهم ولم يعط الانصار منها شيئا
الا ابا دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة اعطاهم لفقرهم وما في قوله وما افا الله
شرطية او موصولة وافا بمعنى يفي ولا يكون ماضيا في اللفظ والمعنى فلذلك صلة ما الموصولة

اذا كانت الباء في خبرها لانه اذ ذاك يتنهض باسم الشرط فان كانت الاية نزلت قبل جلابهم
كانت مخبرة بغيب فوقع كما اخبرت وان كانت نزلت بعد حصول اموالهم للرسول صلى الله
عليه وسلم كان ذلك بيانا لما يستقبل وحكم الماضي المتقدم حكمه ومن في من خيل زايدة
في المفعول يدل على الاستغراق والركاب الابل يسلط الله رسوله عليهم وعلى ما في ايديهم كما
كان يسلط رسله على من يشا من اعدايهم وقال بعض العلما كلما فتح على الايمة مما لم يوجف
عليه فهو لهم خاصة ما افا الله على رسوله من اهل القرى قال الزمخشري لم يدخل العاطف
على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسوله الله صلى الله عليه
وسلم ما يصنع بما افا الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنايم مقسوما على
الاقسام الخمسة انتهى وقال ابن عطية اهل القرى المذكورون في هذه الاية هم اهل الصفرا وينبع
ووادي القرى وما هنالك من قرا العرب التي تسمى قرى عربية وحكمها مخالف لحكم النضير ولم
يحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيا بل امضاها لغيره بل انها في ذلك الوقت تختص
انتهى وقيل ان الاية الاولى خاصة في بني النضير وهذه الاية عامة ومذهب الجمهور كي لا يكون بالياء
وعبد الله وابو جعفر وهشام بالتا والجمهور دولة بضم الدال ونصب التا وابو جعفر
وابو حيوة وهشام بضمها وعلي والسلمي بفتحها قال عيسى بن عمر هما بمعنى واحد
وقال الكسايي وحذاق البصرة الفتح في الملك بضم الميم لانها الفعلة بالضم في الدهر والضم في الملك
بكسر الميم والضمير في تكون بالتا تانيثا عايد على معنى ما اذ المراد به الاموال والغنايم وذلك
الضمير هو اسم يكون وكذا من قرا بالياء اعاد الضمير على لفظ ما اي يكون الفي وانتصب
دولة على الخبر ومن رفع دولة تكون تامة ودولة فاعل وكيلا يكون تعليل لقوله ٭ فلله وللرسول
اي فالفي وحكمه لله وللرسول يقسمه على ما امر الله تعالى ٭ كي لا يكون الفي الذي حقه ان يعطى
للفقرا بلغة يعيشون بها متداولا بين الاغنيا يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية
بينهم كما كان رؤساهم يستاثرون بالغنايم ويقولون من عز بز والمعنى كي لا يكون اخذه
غلبة واثرة جاهلية وروي ان قوما من الانصار تكلموا في هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا
منها سهمها ٭ فنزل ٭ وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعن الكلبي ان رؤسا من
المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية
فنزل وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وهذا عام يدخل فيه قسمة ما افا الله والغنايم وغيرها
حتى انه قد استدل بهذا العموم على تحريم الخمر وحكم الواشمة والمستوشمة وتحريم المخيط للمحرم
ومن غريب الحكايات في الاستنباط ان الشافعي رحمه الله تعالى قال سلوني عما شيتم اخبركم
به من كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن محمد بن هارون
ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن
حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر
وعمر وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن
شهاب عن عمر بن الخطاب انه امر بقتل الزنبور انتهى ويعني في الاحرام بين انه يقتدى
بعمر وان الرسول صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا به وان الله تعالى امر بقبول ما يقوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم

واموالهم

واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ٭
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ٭ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ٭
والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ٭ ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ٭ الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب لين اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم
والله يشهد انهم لكاذبون ٭ لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم ولين نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون ٭ لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ٭
لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من ورا جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ٭ للفقرا قال الزمخشري بدل من قوله
ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان
المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقرا في قوله وينصرون
الله ورسوله وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بالفقير وان الابدال
على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل انتهى وانما جعله الزمخشري بدلا من
قوله ولذي القربى لانه مذهب ابي حنيفة والمعنى انما يستحق ذو القربى الفقير فالفقر شرط فيه
على مذهب ابي حنيفة فعشى الزمخشري على مذهبه واما الشافعي فيرى ان سبب الاستحقاق
هو القرابة فيا خذه ذو القربى الغني لقرابته وقال ابن عطية للفقرا المهاجرين بيان لقوله
والمساكين وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل انما
هو منها انتهى وقيل متعلق اللام بما دل عليه قوله كيلا يكون دولة بين الاغنيا منكم اي
ولكن يكون للفقرا انتهى ثم وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم ويقتضي الاستحقاق عليهم
اولئك هم الصادقون ٭ اي في ايمانهم وجهادهم قولا وفعلا والظاهر ان قوله والذين تبوؤا معطوف
على المهاجرين وهم الانصار فيكون قد وقع بينهم الاشتراك فيما يقسم من الاموال وقيل هو
مستانف مرفوع بالابتدا والخبر يحبون اثنى الله تعالى بهذه الخصال الجليلة كما اثنى على
المهاجرين بقوله يبتغون فضلا الخ والايمان معطوف على الدار وهي المدينة والايمان
ليس مكانا فيتبوا فقيل هو من عطف الجمل اي واعتقدوا الايمان واخلصوا فيه قاله
ابو علي فيكون كقوله ٭ علفتها تبنا وما بارد ٭ او يكون ضمن تبوؤا معنى لزموا
واللزوم قدر مشترك في الدار والايمان فيصح العطف او لما كان الايمان قد شملهم صار
كالمكان الذي يقيمون فيه لكن يكون ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز قال الزمخشري
او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف
من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان
بالايمان قال ابن عطية والمعنى تبوؤا الدار مع الايمان معا وبهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم
فتامله انتهى ومعنى من قبلهم من قبل هجرتهم حاجة اي حسدا ٭ مما اوتوا اي مما اعطي المهاجرون
ونعم الحاجة ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من اعطا المهاجرين من اموال بني النضير
والقرى ويوثرون على انفسهم من ذلك قصة الانصاري مع ضيف الرسول صلى الله عليه وسلم حيث
لم يكن لهم الا ما ياكل الصبية فاوهمهم انه ياكل حتى اكل الضيف فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام

عجب الله من فعلكما البارحة فالآية متناولة إلى ذلك وروي غير ذلك في إيثارهم والخصاصة الفاقة مأخوذ من خصاص البيت وهو ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتوح فكأن حال الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة شح بكسر الشين والجمهور بإسكان الواو وتخفيف القاف وضم الشين والشح اللؤم وهو أن تكون النفس على ما عندها والحرص على المنع ⁂ قال الشاعر ⁂ يمارس نفسا بين جنبيه كزة ⁂ إذا هم بالمعروف قالت له مهلا ⁂ وأضيف الشح إلى النفس لأنه غريزة فيها قال تعالى وأحضرت الأنفس الشح وفي الحديث من أدى الزكاة المفروضة وقرى الضيف وأعطى في النائبة فقد برئ من الشح ⁂ والذين جاءوا من بعدهم الظاهر أنه معطوف على ما قبله من المعطوف على المهاجرين قال الفراء هم الفرقة الثالثة من الصحابة وهو من آمن أو كثر في آخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الجمهور أراد من يجيء من التابعين فعلى القول الأول يكون معنى من بعدهم أي من بعد المهاجرين والأنصار السابقين بالإيمان وهؤلاء تأخر إيمانهم أو سبق إيمانه وتأخرت وفاته حتى انقرض معظم المهاجرين والأنصار وعلى القول الثاني يكون معنى من بعدهم أي من بعد ممات المهاجرين والأنصار مهاجريهم وأنصارهم وإذا كان والذين معطوفا على المجرور قبله فالظاهر أنهم مشاركوا من تقدم في حكم الفيء وقال مالك بن أوس قرأ عمر إنما الصدقات للفقراء الآية فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم فقال وهذه لهؤلاء ثم قرأ ما أفاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين إلى والذين جاءوا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها وعنه أيضا أنه استشار المهاجرين والأنصار فيما فتح الله عليه من ذلك في كلام كثير آخره أنه تلا ما أفاء الله على رسوله الآية فلما بلغ أولئك هم الصادقون قال هي لهؤلاء فقط وتلا والذين جاءوا من بعدهم الآية إلى قوله رؤوف رحيم ثم قال ما بقي أحد من أهل الإسلام إلا وقد دخل في ذلك وقال عمر رضي الله تعالى عنه لولا من يأتي من آخر الناس ما فتحت قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقيل والذين جاءوا من بعدهم مقطوع مما قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات فإعرابه والذين مبتدأ يدعون بالدعاء للأولين والثناء عليهم وهم من يجيء بعد الصحابة إلى يوم القيامة والخبر يقولون أخبر تعالى عنهم أنهم لإيمانهم ومحبة أسلافهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا وعلى القول الأول يكون يقولون استئنافا إخبارا قيل أو حالا ⁂ ألم تر إلى الذين نافقوا الآية نزلت في عبد الله بن أبي ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقي الأنصار كانوا بعثوا إلى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله يقولون واللام في لإخوانهم للتبليغ والأخوة بينهم أخوة الكفر وموالاتهم ⁂ ولا نطيع فيكم في قتالكم أحدا من الرسول والمؤمنين أو لا نطيع فيكم أي في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة ولننصرنكم جواب قسم محذوف قبل إن الشرطية وجوابها محذوف والكثير في كلام العرب إثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل أداة الشرط ومن حذفها قوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين التقدير ولئن لم ينتهوا لكاذبون أي في مواعيدهم لليهود وفي ذلك دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب ولذلك لم يخرجوا حين أخرج بنو النضير بل أقاموا في ديارهم وهذا إذا كان قوله لإخوانهم هم بنو النضير وقيل هم يهود المدينة والضمائر على هذين القولين لو قيل اختلاف أي لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون ولئن نصر اليهود المنافقين ليولن اليهود الأدبار وكأن صاحب هذا القول نظر إلى قوله ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فقد أخبر أنهم لا ينصرونهم فكيف يأتي ولئن نصروهم فأخرجه في حيز الإمكان وقد أخبر أنهم لا ينصرونهم فلا يمكن نصرهم إياهم

بعد

بعد إخبار تعالى أنه لا يقع وإذا كانت الضمائر متفقة فقال الزمخشري معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون وقال ابن عطية معناه ولئن خالفوا ذلك فإنهم ينهزمون انتهى والظاهر أن الضمير في ليولن الأدبار وفي ثم لا ينصرون عائد على المعز وفين أنهم ينصرونهم أي ولئن نصرهم المنافقون ليولن المنافقون الأدبار ثم لا ينصر المنافقون وقيل الضمير عائد على اليهود وكذا في لا ينصرون قال ابن عطية وجاءت الأفعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرون لأنها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر انتهى وأي نظر في هذا وهذا جاء على القاعدة المتفق عليها من أنه إذا تقدم القسم على الشرط كان الجواب للقسم وحذف جواب الشرط وكان فعله بصيغة المضي أو مجزوما بلم وله شرط وهو أن لا يتقدمه طالب خبر واللام في لئن مؤذنة بقسم محذوف قبله فالجواب له وقد أجاز الفراء أن يجاب الشرط وإن تقدم القسم ورد عليه البصريون ثم خاطب المؤمنين بأنها واحد لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله لأنهم إنما يتوقعون عاجل شركم ولعدم إيمانهم لا يتوقعون آجل عذاب الله وذلك لقلة فقههم ورهبة مصدر رهب المبني للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية فالرهبة واقعة منهم لا من المخاطبين والمخاطبون مرهوبون وهذا كما قال

⁂ فلهو أخوف عندي إذ أكلمه ⁂ وقيل إنك محبوس ومقتول ⁂

⁂ من ضيغم بثراء الأرض مخدره ⁂ ببطن عثر غيل دونه غيل ⁂

فالمخبر عنه مخوف وكذا خائف والضمير في صدورهم قيل لليهود وقيل للمنافقين وقيل للفريقين وجعل الصدور محلا للرهبة لأنها على تمكنها منهم بحيث صارت الصدور محلا لها والمعنى أنهم منكم أشد رهبة من الله عز وجل لا يقاتلونكم أي بنو النضير وجميع اليهود وقيل اليهود والمنافقون جميعا أي مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضا ⁂ إلا في قرى محصنة إلا في القرى لخوفهم منكم وتحصينها بالدروب والخنادق أو من وراء جدار يستترون به من أن تصيبوهم وقرأ الجمهور جدر بضمتين جمع جدار وأبو رجاء والحسن وابن وثاب بإسكان الدال تخفيفا ورويت عن ابن كثير وعاصم والأعمش وقرأ أبو عمرو وابن كثير وكثير من المكيين جدار بالألف وكسر الجيم وقرأ كثير من المكيين وهارون عن ابن كثير جدر بفتح الجيم وسكون الدال قال صاحب اللوامح وهو واحد بلغة اليمن قال ابن عطية ومعناه أصل بنيان كالسور ونحوه قال ويحتمل أن يكون من جدر النخل أي من وراء نخلهم إذ هي مما يتقى به عند المصافة ⁂ بأسهم بينهم شديد أي إذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان بأسهم شديدا أما إذا قاتلوكم فلا يبقى لهم بأس لأن من حارب أولياء الله خذل تحسبهم جميعا أي مجتمعين ذوي ألفة واتحاد وقلوبهم شتى أي وأهواؤهم متفرقة وكذا حال المخذولين لا تستقر أهواؤهم على شيء واحد وموجب ذلك الشتات هو انتفاء عقولهم فهم كالبهائم لا تتفق على حالة وقرأ الجمهور شتى بألف التأنيث ومبشر بن عبيد منونا جعلها ألف الإلحاق وعبد الله وقلوبهم أشت أي أشد تفرقا ومن كلام العرب شتى تؤوب الحلبة قال الشاعر ⁂ إلى الله أشكو نية شقت العصا ⁂ وهي أمس جميع ⁂ كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ⁂ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ⁂ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ⁂ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ⁂ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار

واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفايزون ۝ لو انزلنا هذا القران علي جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ۝ هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم ۝ هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ۝ هو الله الخالق الباري المصور له الاسما الحسني يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝ كمثل خبر مبتدا محذوف اي مثلهم اي بني النضير كمثل
الذين من قبلهم قريبا وهم بنوا قينقاع اجلاهم الرسول صلي الله عليه وسلم من المدينة قبل بني النضير
وكانوا مثلا لهم قاله ابن عباس او اهل بدر الكفار فانه عليه الصلاة والسلام قتلهم فهم مثلهم
في ان غلبوا وقهروا وقيل الضمير في من قبلهم للمنافقين والذين من قبلهم منافقوا الامم الماضية
غلبوا وذلوا علي وجه الدهر فهولاء مثلهم ويبعد هذا التاويل لفظة قريبا ان جعلته متعلقا
بما قبله وقريبا ظرف زمان وان جعلته معمولا لذاقوا اي ذاقوا وبال امرهم قريبا من عصيانهم اي
لم تتاخر عقوبتهم في الدنيا كما لم تتاخر عقوبة هولا ولهم عذاب اليم في
الاخرة كمثل الشيطان لما مثلهم بمن قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين فالمنافقون كالشيطان وبنوا
النضير كالانسان والجمهور علي ان الشيطان والانسان اسما جنس لورطة في المعصية ثم يفر منه
كذلك اغوي المنافقون بني النضير وحرضوهم علي الثبات ووعدوهم بالنصر فلما نشب بنو النضير
خذلهم المنافقون وتركوهم في اسوء حال ۝ وقيل المراد واستغوا الشيطان قريشا يوم بدر وقوله
لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الي قوله اني بري منكم وقيل التمثيل بشيطان مخصوص
مع عابد مخصوص استودع امراة وقع عليها فحملت فخشي الفضيحة فقتلها ودفنها سول له الشيطان
ذلك ثم شهره فاستخرجت فوجدت مقتولة وكان قال انها ماتت ودفنتها فعلموا ذلك فتعرض
له الشيطان ۝ وقال اكفر واسجد لي وانجيك ففعل وتركه عند ذلك ۝ وقال اني بري منك وقول
الشيطان اني اخاف الله رياء ولا يمنعه الخوف عن سوء يوقع ابن ادم فيه وقرا الجمهور عاقبتهما بنصب
التاء والحسن وعمرو بن عبيد وسليم بن ارقم برفعها والجمهور خالدين بالياء حالا وفي النار خبر ان
وعبد الله وزيد بن علي والاعمش وابن ابي عبلة بالالف فجاز ان يكون خبر ان والظرف ملغي
وان كان قد اكد بقوله فيها وذلك جايز علي مذهب سيبويه ومنع ذلك اهل الكوفة لانه اذا اكد عندهم
لا يلغي ويجوز ان يكون خبر ان وخالدان خبر ثان فلا يكون فيه حجة علي مذهب سيبويه ولما في النار ح
انقضي في هذه السورة وصف المنافقين واليهود وعظ المومنين لان الموعظة بعد ذكر المصيبة لها
موقع في النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العذاب وكرر الامر بالتقوي علي سبيل التوكيد او لاختلاف
متعلق التقوي فالاولي في اداء الفرايض لانه مقترن بالعمل والثانية في ترك المعاصي لانه مقترن بالتهديد
والوعيد وقرا الجمهور ولتنظر امرا واللام ساكنة وابو حيوة ويحيي بن الحارث بكسرها وروي ذلك
عن حفص عن عاصم والحسن بكسرها وفتح الراء جعلها لام كي وليوم غد يوم القيامة كانه لقربه عبر عنه
بالغد وهو اليوم الذي يلي يومك علي سبيل التقريب وقال الحسن وقتادة لم يزل يقربه حتي جعله
كالغد ونحوه كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الاخرة بالغد كان
الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد قال ابن عطية ويحتمل ان يريد بقوله لغد ليوم الموت لانه لكل
انسان كغده وقال مجاهد وابن زيد بالامس الدنيا وغد الاخرة وقال الزمخشري اما تنكير النفس
فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه انتهي وقرا الجمهور
ولا تكونوا بالتاء للخطاب وابو حيوة بالياء علي سبيل الغيبة علي سبيل الالتفات وقال ابن عطية كناية عن نفس التي هي

اسم

اسم الجنس كالذين تسوهم الكفار وتركوا عبادة الله وامتثال ما امروا واجتناب ما نهي وهذا تنبيه
علي فرط غفلتهم واتباع شهواتهم ۝ فانساهم انفسهم حيث لم يسعوا اليها في الخلاص من العذاب وهذا من
المجازات بالذنب علي الذنب عوقبوا علي نسيان جهة الله تعالي بان انساهم انفسهم قال سفيان
المعني حظ انفسهم ثم ذكر مباينة الفريقين اصحاب النار في الجحيم واصحاب الجنة في النعيم كما قال
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال تعالي ام نجعل المتقين كالفجار ۝ لو انزلنا هذا القران
هذا من باب التخييل والتمثيل كما مر في قوله تعالي انا عرضنا الامانة علي السموات ودل علي ذلك وتلك
الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان علي قسوة قلبه وعدم تاثره لهذا الذي لو انزل
علي الجبل لتخشع وتصدع واذا كان الجبل علي عظمه وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدع فابن
ادم كان اولي بذلك لكنه علي حقارته وضعفه لا يتاثر ۝ وقرا طلحة مصدعا بادغام التاء في الصاد
وابو السمال وابو دينار الاعرابي القدوس بفتح القاف والجمهور علي الضم وقرا الجمهور المومن بكسر
الميم اسم فاعل من امن بمعني امن وقال ثعلب المصدق المومنين في انهم امنوا وقال النحاس او في شهادته
علي الناس يوم القيمة وقيل المصدق نفسه في اقواله الازلية وقرا ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
وقيل ابو جعفر المدني المومن بفتح الميم قال ابو حاتم لا يجوز ذلك لانه لو كان كذلك لكان المومن به
وكان جايزا لكن المومن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خايفا فامن وقال الزمخشري
يعني المومن به علي حذف حرف الجر كما تقول في قوم موسي واختار موسي قومه المختارون
المهيمن تقدم شرحه الجبار القهار الذي جبر خلقه علي ما اراد وقيل الجبار الذي لا يدانيه
شي ولا يلحق ومنه نخلة جبارة اذا لم تلحق ۝ وقال امرو القيس

سوابق جبار اثيث فروعه ۝ وعالين قنوانا من البسر احمرا ۝

وقال ابن عباس هو العظيم وجبروته عظمته وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح جبرت العظم اصلحته بعد
الكسر وقال الفرا من اجبره علي الامر قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك انتهي
وسمع اسار فهو سار ۝ المتكبر المبالغ في الكبريا والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم العباد الخالق المقدر عباده
لما يوجده الباري المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل وقرا علي وحاطب
ابن ابي بلتعة والحسن وابن السميفع المصور بفتح الواو والراء فانتصب مفعولا بالباري واراد به
جنس المصور وعن علي فتح الواو وكسر الراء علي اضافة اسم الفاعل الي المفعول نحو الضارب
الغلام

سورة الممتحنة بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا تلقون اليهم بالمودة ۝ وقد
كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم ۝ ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي
وابتغا مرضاتي تسرون اليهم بالمودة ۝ وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل ۝ ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ۝ ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ۝ قد كانت لكم اسوة
حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا ابدا حتي تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
وما املك لك من الله من شي ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ۝ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ۝ لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ۝ عسي الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم

منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ۝ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ۝ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ۝ هذه السورة مدنية ونزلت بسبب حاطب بن ابي بلتعة كان قد وجه كتابا مع امراة الى اهل مكة يخبرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجه اليهم لغزوهم فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ووجه الى المراة من اخذ الكتاب منها والقصة مشهورة في كتب الحديث والسير ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفار افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودد اليهم واضاف في قوله عدوي تغليظا لجرمهم واعلاما بحلول عقاب الله بهم والعدو ينطلق على الواحد وعلى الجمع واولياء مفعول ثان لتتخذوا تلقون بيان لموالاتهم فلا موضع له من الاعراب او استئناف اخبار وقال الحوفي والزمخشري حال من الضمير في لا تتخذوا او صفة لاولياء وهذا تقدمه توصل وعند البصريين لا توصل بل تتقيد الحال والصفة قيد وهم قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا والتقييد يدل على انه يجوز ان يتخذوا اولياء اذا لم يكونوا في حال القاء المودة واذا لم يكن الاولياء متصفين بهذا الوصف وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فدل على انه لا تتقيد بتلك الحال واذا لك الوصف والاولياء عبارة عن الافضاء بالمودة ومفعول تلقون محذوف اي تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم واسراره والباء في بالمودة للسبب اي بسبب المودة التي بينهم وقال الكوفيون الباء زائدة كما قيل في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي ايديكم قاله الحوفي وقال البصريون هي متعلقة بالمصدر الذي دل عليه الفعل وكذلك قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم اي ارادته بالحاد انتهى فعلى هذا يكون بالمودة متعلقا بالمصدر اي القاؤهم بالمودة وهذا ليس بجيد لان فيه حذف المصدر وهو موصول وحذف الخبر اذ القاؤهم مبتدا وبما متعلق به وقد كفروا جملة حالية وذو الحال الضمير في تلقون اي توادونهم وهذه حالهم وهي الكفر بالله ولا يناسب الكافر بالله ان يود واجاز الزمخشري ان يكون حالا من فاعل لا تتخذوا وقرا الجمهور بما جاءكم والجحدري والمعلى عن عاصم لما باللام مكان الباء اي لاجل ما جاءكم ۝ يخرجون الرسول استئناف كالتفسير لكفرهم او حال من ضمير كفروا واياكم معطوف على الرسول وقدم على اياكم الرسول لشرفه ولانه الاصل للمؤمنين به ولو تقدم الضمير لكان جائزا اي في العربية خلافا لمن خص ذلك بالضرورة قال لانك قادر على ان تاتي به متصلا فلا تفصل الا في الضرورة وهو محجوج بهذه الاية وبقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقدم الموصول هنا على المخاطبين للسبق في الزمان وبغير ذلك من كلام العرب ۝ وان تؤمنوا مفعول من اجله اي يخرجون لايمانكم او لان امنتم ۝ ان كنتم خرجتم شرط جوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله لا تتخذوا عدوي ونصب جهادا وابتغاء على المصدر في موضع الحال اي مجاهدين ومبتغين او على انه مفعول من اجله ۝ تسرون استئناف اي تسرون وقد علمتم اني اعلم الاخفاء والاعلان والمطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فلا طائل في فعلكم هذا وقال ابن عطية تسرون بدل من تلقون اليهم وهو تشبيه ببدل الاشتمال لان الالقاء يكون سرا وجهرا فهو ينقسم الى هذين النوعين واجاز ايضا ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره انتم تسرون والظاهر ان اعلم افعل تفضيل ولذلك عداه بالباء واجاز ابن عطية ان يكون مضارعا عدي بالباء قال لانك تقول علمت بكذا وانا اعلم جملة حالية والضمير في ومن يفعله الظاهر انه الى اقرب مذكور اي ومن يفعل الاسرار وقال ابن عطية يعود على الاتخاذ وانتصب سواء على المفعول به على تقدير تعدي ضل او على الظرف على تقدير اللزوم والسواء الوسط ولما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار اولياء شرح ما به التوادد من القاء بالمودة

بينهم

بينهم وذكر ما صنع الكفار بهم وامن اخراج الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ذكر صنيعهم اخذا لو قدروا عليه منهم انه ان تمكنوا منكم تظهر عداوتهم لكم ۝ ويبسطوا ايديهم بالقتل والتعذيب والسنتهم بالسب وودوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو احب الاشياء اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم قال الزمخشري فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والاخرة جميعا انتهى ولو كان الزمخشري فهم من قوله وودوا [illegible] معطوف على جواب الشرط لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسلط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم ام لم يظفروا وانما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء اخبر تعالى بخبرين احدهما اتضاح عداوتهم والبسط اليهم ما ذكر على تقدير الظفر بهم والاخر ودادتهم كفرهم لا على تقدير الظفر بهم ولما كان حاطب قد اعتذر بان له بمكة قرابة فكتب الى اهلها بما كتب ليرعوه في قرابته قال تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ويوم معمول لتنفعكم او ليفصل وقرا الجمهور يفصل بالياء مخففا مبنيا للمفعول وقرا الاعرج وعيسى وابن عامر كذلك الا انه مشدد والمرفوع اما بينكم وهو مبني على الفتح لاضافته الى مبني واما ضمير المصدر المفهوم من يفصل اي يفصل هو اي الفصل وقرا عاصم والحسن والاعمش يفصل ~~اي يفصل~~ هو بالياء مخففا مبنيا للفاعل وحمزة والكسائي وابن وثاب مبنيا للفاعل بالياء مضمومة مشددا وابو حيوة وابن ابي عبلة كذلك الا انه بالنون مشددا وهما ايضا وزيد بن علي بالنون مفتوحة مخففا مبنيا للفاعل وابو حيوة ايضا بالنون مضمومة مخففة فهذه ثمان قراءات ولما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان من سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به في ذلك ويتاسوا وقرا الجمهور اسوة بكسر الهمزة وعاصم بضمها وهما لغتان ۝ والذين معه قيل من امن به وقال الطبري وغيره الانبياء معاصروه او قريبا من عصره لانه لم يرو انه كان له اتباع مؤمنون في مكافحته لهم ولنمروذ والانبياء قال الا تراه قال لسارة حين رحل الى الشام مهاجرا من بلد نمروذ ما على الارض من يعبد الله غيري وغيرك والتاسي بابراهيم عليه السلام هو في التبرؤ من الشرك وهو في كل ملة وبرسولنا عليه الصلاة والسلام على الاطلاق في العقائد واحكام الشرع وقرا الجمهور برءاء جمع بريء كظريف وظرفاء وعيسى براء جمع بريء ايضا كظريف وظراف وابو جعفر بضم الباء كتؤام وظؤار وهو اسم جمع الواحد بريء وتوام وظئر وروي عن عيسى قال ابو حاتم زعموا ان عيسى الهمداني وعنه براء على فعال كالذي في قوله تعالى انني براء مما تعبدون في الزخرف وهو مصدر على فعال يوصف به المفرد والجمع وقال الزمخشري وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب انتهى فالضمة في ذلك ليست بدلا من كسرة بل هي ضمة اصلية وهو قريب من اوزان اسماء الجموع وليس جمع تكسير فتكون الضمة بدلا من الكسرة ۝ الا قول ابراهيم استثناء من قوله اسوة حسنة قاله قتادة والزمخشري قال مجاهد وقتادة وعطاء الخراساني وغيرهم المعنى ان الاسوة لكم في هذا الوجه لا في الوجه الاخر لانه كان لعلة ليست في نازلتكم وقال الزمخشري فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء

الا تزكي الى قوله فمن يملك لكم من الله شيئا قلت اراد استثناء قوله جملة لابيه والقصد الى موعد الاستغفار
وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار انتهى وقال
الزمخشري او ابعد ان ذكر ان الاستثناء هو من قوله اسوة حسنة قال لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم
الذي حق عليهم بان يأتسوا به ويتخذونه سنة يستنون بها والذي يظهر انه مستثنى من مضاف
لابراهيم تقديره اسوة حسنة في مقالات ابراهيم ومحاوراته لقومه الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك فليس فيه اسوة حسنة فيكون على هذا استثناء متصلا واما ان يكون قول ابراهيم مندرجا
في اسوة حسنة لان معنى الاسوة هو الاقتدا والتاسي فالقول ليس مندرجا تحت مقالات ابراهيم
عليه السلام وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون الاستثناء من التبري والقطيعة التي ذكرت لم تبق
جملة الا كذا انتهى وقيل هو استثناء منقطع المعنى لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تاتسوا
فتستغفروا وتفدوا اباكم الكفار بالاستغفار ربنا عليك توكلنا وما بعده الظاهر انه من تمام قول
ابراهيم متصلا بما قبل الاستثناء وهو من جملة ما يتاسى به وفصل بينهما بالاستثناء اعتناء
بالاستثناء ولقربه من المستثنى منه ويجوز ان يكون امرا من الله للمؤمنين اي قولوا ربنا عليك توكلنا
علم بذلك قطع العلائق التي بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا قال ابن عباس لا تسلطهم
علينا فيسبونا ويعذبونا وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيظنوا انهم
محقون وانا مبطلون فيفتتنوا لذلك وقال قريبا منه قتادة وابو مجلز وقول ابن عباس ازجح لانه
دعا لانفسهم وعلى قول غيره دعا للكافرين والضمير في فيهم عائد على ابراهيم والذين معه وكررت الاسوة
والكون لكم بالعنم ايضا ولمن يرجوا بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كل وروي انه لما نزلت هذه الاية
عزم المسلمون على اظهار عداوات اقربائهم الكفار ولحقهم هم لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادوا فنزل
عسى الله الاية مؤنسة وموجبة فاسلم الجميع عام الفتح وصاروا اخوانا ومن ذكر ان هذه المودة هي
تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفين وانها كانت بعد الفتح فقد اخطا لانه
تزوجها كان وقت هجرة الحبشة وهذه الايات سنة ست من الهجرة ولا يصح ذلك عن ابن عباس
الا ان يسوقه مثالا وان كان متقدما لهذه الاية لانه استمر بعد الفتح كسائر ما نشا من
المودات قال ابن عطية وعسى من الله تعالى واجبة الوقوع والله قادر على تقليب القلوب
وتيسير العسير والله غفور لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله الاية قال مجاهد نزلت في قوم
بمكة امنوا ولم يهاجروا فكانوا في رتبة سوء لتركهم فرض الهجرة وقيل في مؤمنين من اهل مكة
وغيرها تركوا الهجرة وقال الحسن وابو صالح في خزاعة وبني الحارث بن كعب وكنانة ومزينة وقبائل من
العرب كانوا مظاهرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل فيمن لم يقاتل ولا اخرج ولا اظهر سوءا من كفار قريش وقال قرة الهمداني وعطية العوفي في قوم
بني هاشم منهم العباس وقال عبد الله بن الزبير في النسا والصبيان من الكفرة والنحاس والثعلبي
اراد المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة وقيل قدمت على اسما بنت ابي
بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما امها نفيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم
تاذن لها بالدخول فنزلت الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وتقبل
منها وتكرمها وتحسن اليها قال ابن عطية وكانت المراة فيما روي خالتها فسمتها اما وفي التحرير ان
ابا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه طلق امراته نفيلة في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر الصديق
فقدمت في المدة التي فيها الهدنة واهدت الى اسما قرطا واشياء فكرهت ان تقبل منها فنزلت الاية
ان تبروهم وان تولوهم بدلان مما قبلهما بدل اشتمال قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم

المومنات

المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا
بعصم الكوافر واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم
وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا
الله الذي انتم به مؤمنون يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان
لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور
رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور كان صلح الحديبية قد تضمن ان من اتى اهل مكة من المسلمين
لم يرد اليهم ومن اتى المسلمين من اهل مكة رد اليهم فجاءت ام كلثوم وهي بنت عقبة بن ابي
معيط وهي اول امراة هاجرت بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية فخرج
في اثرها اخواها عمارة والوليد فقالا يا محمد اوف لنا بشرطنا فقالت يا رسول الله حال
النسا الى الضعف كما قد علمت فتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي فنقض الله
العهد في النسا وانزل فيهن الاية وحكم بحكم رضوه كلهم وقيل سبب نزولها سبيعة بنت
الحارث الاسلمية جاءت الحديبية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي
ابن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك
منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النسا
وذكر ابو نعيم الاصبهاني ان سبب نزولها اميمة بنت بشر بن عمرو بن عوف امراة حسان
ابن الدحداحة وسماهن تعالى مؤمنات قبل ان يمتحن وذلك لنطقهن بكلمة الشهادة ولم
يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان وقريب مهاجرات
بالرفع على البدل من المؤمنات وامتحانهن قالت عائشة رضي الله عنها بالله المبايعة وقيل بان
يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال ابن عباس بالحلف انها ما خرجت الا حبا
لله ورسوله ورغبة في دين الاسلام وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة وعكرمة كانت
تستحلف انها ما هاجرت لبغض في زوجها ولا لجريرة جرتها ولا لسبب من اعراض الدنيا سوى
حب الله ورسوله والدار الاخرة الله اعلم بايمانهن لانه تعالى هو المطلع على اسرار القلوب ومخبآت
العقائد فان علمتموهن اطلق العلم على الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات بالخروج من الوطن
والحلول في قوم ليسوا من قومها ويئس الكفار رجعهن الى ازواجهن وذلك هو التحريم
بين المسلمة والكافر وقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والنفي التحريم بين الجملة وجا قوله ولا هم
يحلون لهن على سبيل التاكيد وتشديد الحرمة لانه اذا لم تحل المؤمنة للكافر علم انه لا حل بينهما
البتة وقيل افاد قوله ولا هم يحلون لهن استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا على
الاشراك وهن على الايمان وآتوهم ما انفقوا امر ان يعطي الزوج الكافر ما انفق على زوجته اذا
جاءت اسلمت فلا يجمع عليه خسران الزوجة والمالية قال ابن عباس اعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد امتحانها زوجها الكافر ما انفق عليها فتزوجها عمر رضي الله تعالى عنه
وكان اذا امتحنهن اعطى ازواجهن مهورهن وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما كان في
نساء اهل العهد فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليه الصداق والامر كما قال

قتادة ثم نسخ الحرج في نكاح المومنين اياهن اذا اتوهن مهورهن ثم امر تعالى المومنين بفراق نسائهن
الكوافر عوابد الاوثان وقرا الجمهور تمسكوا مضارع امسك كاكرم وابو عمرو ومجاهد بخلاف
عنه وابن جبير والحسن والاعرج مضارع مسك مشددا والحسن ايضا وابن ابي ليلى وابن
عامر في رواية عبد الحميد وابو عمرو في رواية معاذ تمسكوا بكسر السين مضارع مسك
ثلاثيا وقال الكرخي الكوافر يشمل الرجال والنسا فقال له ابو علي الفارسي النحويون لا يرون
هذا الا في النسا جمع كافرة قال اليس يقال طائفة كافرة وفرقة كافرة قال ابو علي فبهت
فقلت هذا تائيد انتهى وهذا الكرخي معتزلي فقيه وابو علي معتزلي فاعجبه هذا التخريج
وليس بشي لانه لا يقال كافرة في وصف الرجال الا تابعا لموصوفها او يكون محذوفا مرادا ومع
ذلك فلا يجمع فاعلة على فواعل الا ويكون للمونث • والعصم جمع عصمة وهو سبب البقا
في الزوجية • واسالوا ما انفقتم اي واسالوا الكافرين ما انفقتم على ازواجكم اذا فررن اليهم
وليسالوا اي الكفار ما انفقوا على ازواجهم اذا فروا الى المومنين ولما تقرر هذا الحكم قالت
قريش فيما روي لا نرضى هذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك
هذه الاية الاخرى • وان فاتكم فامر تعالى المومنين ان يدفعوا لمن فرت زوجته من المسلمين
ففاتت بنفسها الى الكفار وانقلبت من الاسلام ما كان مهرها قال الزمخشري فان
قلت هل لايقاع شي في هذا الموضع فايدة قلت نعم الفايدة فيه ان لا يغادر شي من هذا
الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه انتهى واللاتي
ارتددن من نساء المهاجرين ولحقن بالكفار • ام الحكم ابنة ابي امية زوج عمر بن الخطاب — عياض بن شداد الفهري واختها ام سلمة فاطمة بنت ابي امية زوج ع
رضي الله عنه • وعبدة بنت عبد العزى زوج هشام بن العاصي • وام كلثوم بنت جرول
زوج عمر ايضا وذكر الزمخشري انهن ست فذكر ام الحكم وفاطمة بنت ابي امية زوج عمر بن الخطاب
وعبدة وذكر ان زوجها عمرو بن ود وكلثوم • وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان
وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاصي اعطى ازواجهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مهورهن من الغنيمة وقرا الجمهور فعاقبتم بالف ومجاهد والزهري والاعرج وعكرمة
وحميد وابو حيوة والزعفراني بشد القاف والنخعي والاعرج ايضا وابو حيوة ايضا والزهري
ايضا وابن وثاب بخلاف عنه بخف القاف مفتوحة ومسروق والنخعي ايضا والزهري ايضا
بكسرها ومجاهد ايضا فاعقبتم على وزن افعل يقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اي جا فعل كل واحد
منهما بعقب فعل الاخر ويقال اعقب • قال ———
• وعقب اصاب عقبى والتعقيب غزو اثر غزو • وعقب بفتح القاف وكسرها مخففا وقال
الزمخشري فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء
مهور نسا اولئك تارة واولئك مهور نسا هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فاتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر
المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم ومعنى اعقبتم
دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه
وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال
بعقوبة حتى غنمتم وفسر غيرها من القراات لكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والكفار
من فرت له الى الكفار ظاهر العموم في جميع الكفار قاله قتادة ومجاهد قال قتادة ثم نسخ هذا الحكم

وقال ابن عباس

وقال ابن عباس يعطى من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفي وعنه من صداق من لحق بنا
وقيل الكفار مخصوص باهل العهد وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال الثوري لا يعمل به اليوم
وقال مقاتل كان في عهد الرسول فنسخ وقال ابن عطية هذه الاية كلها قد ارتفع حكمها وقال ابو بكر
ابن العربي القاضي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة باجماع الامة
وقال القشيري قال قوم هو ثابت الحكم الى الان • يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك كانت بيعة
النسا في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعدما فرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر اسفل
منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امراة اجنبية
قط وقالت اسما بنت يزيد بن السكن كنت في النسوة المبايعات فقلت يا رسول الله ابسط يدك
نبايعك فقال لي عليه السلام اني لا اصافح النسا لكن اخذ عليهن ما اخذ الله عليهن وكانت هند
بنت عتبة في النسا فقرا عليهن الاية فلما قررهن على ان لا يشركن بالله شيئا قالت هند وكيف
نطمع ان تقبل منا ما لم تقبله من الرجال تعني ان هذا بين لزومه فلما وقف على السرقة قالت والله
اني لا اصيب الهنة من مال ابي سفيان لا ادري ايحل لي ذلك فقال ابو سفيان ما اصبت من شي فيما
مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني
الحرة قال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وكان ابنها حنظلة ابن
ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله تعالى عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح ولا يامر الله الا بالرشد
ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا
ان نعصيك في شي ومعنى قول هند او تزني الحرة انه كان في قريش في الاما غالبا والاما البغايا
ذوات الرايات فذي الحرائر وقرا علي والحسن والسلمي ولا يقتلن مشددة وقتلهن من اجل الفقر
والفاقة وكانت العرب تفعل ذلك والبهتان قال الاكثرون ان تنسب الى زوجها ولدا ليس
منه وكانت المراة تلتقط المولود وتقول لزوجها هو ولدي منك • بين ايديهن لان بطنها الذي
تحمل فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده منه بين الرجلين وروى الضحاك البهتان العضة
لانها اذا قذفت المراة غيرها فقد بهتت ما بين يدي المقذوفة ورجليها اذ نفت عنها
ولدا قد ولدته او الحقت بها ولدا لم تلده وقيل البهتان السحر وقيل بين ايديهن السنتهن
بالنميمة وارجلهن فروجهن وقيل بين ايديهن قبلة او جسة وارجلهن الجماع ومن
البهتان الغرية بالقول على احد من الناس والكذب فيما اوتمن عليه من حمل وحيض والمعروف
الذي نهى عن العصيان فيه قال ابن عباس وانس وزيد بن اسلم هو النوح وشق الجيوب ووشم الوجوه
ووصل الشعر وغير ذلك من اوامر الشريعة فرضها وندبها وروي ان قوما من فقرا المسلمين
كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم وعلى انهم اليهود
فسرهم الحسن وابن زيد ومنذر بن سعيد لان غضب الله قد صار عرفا لهم وقال ابن عباس
نزلت يشير الى كل من كان عليه غضب من الله وقيل اليهود والنصارى • قد يئسوا من الاخرة
قال ابن عباس من خيرها وثوابها والظاهر ان من في من اصحاب القبور لابتدا الغاية اي من لقاء اصحاب
القبور وقيل الثانية كالاولى من الاخرة فالمعنى انهم لا يلقونهم في دار الدنيا بعد موتهم وقال ابن عرفة هم
الذين قالوا ما يهلكنا الا الدهر انتهى والكفار على هذا نعت لهم لانهم اذا مات لهم حميم قالوا هذا اخر العهد

به لن يبعث أبدا وهذا تأويل ابن عباس وقتادة والحسن وقيل من لبيان الجنس أي الكفار الذين هم أصحاب القبور من رحمة الله تعالى يائسون إذ كل حي لم يقبر كان يوجد له أن لا ييأس من رحمة الله إذ هو متوقع إيمانه وهذا تأويل مجاهد وابن جبير وابن زيد وقال ابن عطية وبيان الجنس أظهر انتهى وقد ذكرنا أن الظاهر كون من لابتداء الغاية إذ يحتاج الكلام إلى تقدير محذوف وقرأ ابن أبي الزناد كما يئس الكافر بالإفراد والجمهور على الجمع ولما افتتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء ختمها بمثل ذلك تأكيدا لترك موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عن توليهم وإلقاء المودة إليهم والله تعالى أعلم.

المفردات المرصوص قال الفراء والقاضي منذر بن سعيد هو المعقود بالرصاص وقال المبرد رصصت البناء لاءمت بين أجزائه وقاربته حتى يصير كقطعة واحدة ٭ قال الراعي ٭

٭ ما لقي البيض من الحرقوص ٭ يفتح باب المغلق المفتوح ٭

الحرقوص دويبة تولع بالنساء الأبكار وقيل هو من التراصيص وهو انضمام الأسنان ٭ والله تعالى أعلم بالصواب

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ٭ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ٭ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ٭ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ٭ وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ٭ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ٭ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ٭ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ٭ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون ٭ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ٭ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ٭ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ٭ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ٭ وبشر المؤمنين ٭ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ٭ فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ٭ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

هذه السورة مدنية في قول الجمهور ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال ابن يسار مكية وروي ذلك أيضا عن ابن عباس ومجاهد وسبب نزولها قول المنافقين للمؤمنين نحن منكم ومعكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك أو قول شبان من المسلمين فعلنا في الغزو كذا ولم يفعلوا أو قول ناس وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى ربنا حتى نعمل فيه ففرض الجهاد وأعلم تعالى أنه يحب المجاهدين فكرهه قوم وفر بعضهم يوم أحد فنزلت أقوال الأول لابن زيد والثاني لقتادة والثالث لأبي صالح ومناسبتها لآخر السورة قبلها أن في آخر تلك يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم فحض تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم والنداء بيا أيها الذين آمنوا إن كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به التلطف في العتب وإن كان للمنافقين فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ وتهكم بهم في إسناد الإيمان

إليهم

إليهم ولم يتعلق بالفعل وحده وقف عليه قبالها وليسكون الميم ومن سكن بالوقف فلإجرائهم مجرى الوقف والظاهر انتصاب مقتا على التمييز وفاعل كبر أن تقولوا وهو من التمييز المنقول من الفاعل والتقدير كبر مقت قولكم ما لا تفعلون ويجوز أن يكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالتمييز وأن تقولوا هو المخصوص بالذم أي بئس مقتا قولكم كذا والخلاف الجاري في المرفوع في بئس رجلا زيد جار في أن تقولوا هنا ويجوز أن يكون في كبر ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله لم تقولون أي كبر هو أي القول مقتا ومثله كبرت كلمة أي ما أكبرها كلمة وأن تقولوا بدل من المضمر أو خبر ابتداء مضمر وقيل هو من بنية التعجب أي ما أكبره مقتا وقال الزمخشري قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله ٭ غلت ناب كليب بواؤها ٭ ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه وعند الله أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته انتهى وقال ابن عطية والمقت البغض من أجل ذنب أو ريبة أو دناءة يصنعها الممقوت انتهى ٭ وقال المبرد رجل ممقوت ومقيت إذا كان يبغضه كل أحد انتهى وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقيل قرئ يقتلون وانتصب صفا على الحال أي صافين أنفسهم أو مصفوفين كأنهم لتراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص بعضه إلى بعض والظاهر تشبيه الذوات في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص وقيل المراد استواء نياتهم في القتال حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص قيل وفيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وصفا وكأنهم قال الزمخشري حالان متداخلان وقال الحوفي كأنهم في موضع النعت لصفا انتهى ويجوز أن يكونا حالين من ضمير يقاتلون ولما كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل وهو راجع إلى الكذب فإن ذلك في معنى الأذية للرسول عليه الصلاة والسلام إذ كان في أتباعه من يعاني الكذب فناسب ذكر قصة موسى وقوله لقومه لم تؤذونني وأذيتهم له كانت في انتقاص في نفسه وجحود آيات الله ومعجزاته واقتراحهم عليه ما ليس لهم اقتراحه وقد تعلمون جملة حالية تقتضي تعظيمه وتكرمه فرتبوا على علمهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يناسب العلم وهو الأذية وقد تدل على التحقيق في الماضي والتوقع في المضارع والمضارع هنا معناه المضي أي وقد علمتم كقوله قد يعلم ما أنتم عليه أي قد علم قد نرى تقلب وعبر عنه بالمضارع ليدل على استصحابه للفعل ٭ فلما زاغوا عن الحق ٭ أزاغ الله قلوبهم قال الزمخشري بأن منع ألطافه ٭ والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف وقال غيره أسند الزيغ إليهم ثم قال أزاغ الله تعالى قلوبهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم وهو من العقوبة التي على الذنب بالذنب كما في قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ولما ذكر شيئا من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ذكر شيئا من قصة عيسى عليه السلام وهناك قال يا قوم لأنه من بني إسرائيل وهنا قال عيسى عليه السلام يا بني إسرائيل من حيث لم يكن فيهم أب وإن كانت أمه منهم ٭ ومصدقا ومبشرا حالان والعامل رسول أي مرسل ويأتي واسمه جملتان في موضع الصفة لرسول أخبر أنه مصدق لما تقدم من كتب الله الإلهية ولمن تأخر من النبي المذكور أن التبشير بأنه رسول تصديق برسالته وروي أن الحواريين قالوا يا رسول الله هل بعدنا

من امة قال نعم امة احمد صلى الله عليه وسلم حكما علما ابرار اتقيا كانهم من الفقه انبيا يرضون
من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم بالقليل من العمل واحمد علم منقول من المضارع او
للمتكلم او من احمد افعل التفضيل • وقال حسان •

صلى الاله ومن يحف بعرشه • والطيبون على المبارك احمد • وقال

القشيري تبشر كل نبي قومه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانما افرد عيسى بالذكر في هذا الموضع لانه اخر نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فبين ان البشارة به عمت جميع الانبيا واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى عليه السلام والظاهر ان الضمير المرفوع في جاهم يعود على عيسى لانه المحدث عنه وقيل يعود على احمد لما فرغ من كلام عيسى تطرق الى الاخبار عن احمد صلى الله عليه وسلم وذلك على سبيل الاخبار للمومنين اي فلما جا المبشر به هولاء الكفار بالمعجزات قالوا صحنة قالوا هذا سحر مبين وقرا الجمهور سحر اي ما جا به من البينات وقرا عبد الله وطلحة والاعمش وابن وثاب ساحر اي هذا الكاذب ساحر وقرا الجمهور يدعى مبنيا للمفعول وطلحة يدعي مضارع ادعى مبنيا للفاعل وادعى يتعدى بنفسه الى المفعول به لكنه لما تضمن معنى الانتما والانتساب عدي بالى وقال الزمخشري يدعي بمعنى يدعو كلمسه والتمسه والضمير عنه عائد على الله تعالى اي وهو يدعو الى الاسلام وقال الزمخشري وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعي لتشديد الدال بمعنى يدعي دعاه وادعاه كلمسه والتمسه يريدون في الاية تقدم تفسير نظيرها في سورة التوبة وقال الزمخشري اصله يريدون ان يطفئوا كما جا في سورة براة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جيتك لاكرمك كما زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا ابا لك انتهى وقال ابن عطية قال واللام في قوله ليطفئوا لام موكدة دخلت على المفعول لان التقدير يريدون ان يطفئوا واكثر ما تلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم تقول لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت انتهى وما ذكره ابن عطية انتهى من ان هذه اللام اكثر ما تلزم المفعول اذا تقدم ليس بالكثير بل الاكثر زيدا ضربت من لزيد ضربت واما قوله ان اللام للتاكيد وان التقدير يريدون ان يطفئوا فالاطفا مفعول يريدون فليس بمذهب سيبويه والجمهور قال ابن عباس وابن زيد هنا يريدون ابطال القران وتكذيبه بالقول وقال السدي يريدون دفع الاسلام بالكلام وقال الضحاك هلاك الرسول صلى الله عليه وسلم بالاراجيف وقال ابن بحر ابطال حجج الله بتكذيبهم وعن ابن عباس سبب نزولها ان الوحي ابطا اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم نوره فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت واتصل الوحي وقرا العربيان ونافع وابو بكر والحسن وطلحة والاعرج وابن محيصن متم بالتنوين نوره بالنصب وباقي السبعة والاعمش بالاضافة وقرا الجمهور تنجيكم مخففا والحسن وابن ابي اسحاق والاعرج وابن عامر مشددا والجمهور تومنون وتجاهدون وعبد الله امنوا بالله ورسوله وجاهدوا امرين وزيد بن علي بالتا فيهما بحذف النون فيهما فاما توجيه قراءة الجمهور فقال المبرد هو بمعنى امنوا على الامر ولذلك جا يغفر مجزوما انتهى فصورته صورة الخبر ومعناه الامر ويدل عليه قراءة عبد الله ونظيره قولهم اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه اي ليتق الله وجي به على صورة الخبر قال الزمخشري للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجا

كانها

كانها كانت ووجدت انتهى وقال الاخفش هو عطف بيان على تجارة وهذا لا يتخيل الا على تقدير ان يكون الاصل تومنوا حتى يتقدر بمصدر ثم حذف ان فارتفع الفعل كقوله •

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • يريد ان احضر فلما حذف ان ارتفع الفعل وكان

تقدير الاية هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ايمان بالله ورسوله وجهاد وقال ابن عطية تومنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تومنون انتهى وهذا ليس بشي لان فيه حذف المبتدا وحذف انه وابقاء الخبر وذلك لا يجوز وقال الزمخشري وتومنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل وكذلك يكون وقال الزمخشري فقال تومنون ثم اتبع المبرد فقال هو خبر في معنى الامر وبهذا اجيب بقوله يغفر لكم انتهى واما قراءة عبد الله فظاهرة المعنى وجواب الامر يغفر واما قراءة زيد فتتوجه على حذف لام الامر التقدير لتومنوا كقول الشاعر •

قلت لبواب على بابها • تيذن لي اني من احمايها • يريد لتيذن ويغفر مجزوم على

جواب الامر في قراءة عبد الله وقراءة زيد وعلى تقدير المبرد وقال الفرا هو مجزوم على جواب الاستفهام وهو قوله هل ادلكم واستبعد هذا التخريج قال الزجاج ليسوا اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا وقال المهدوي انما يصح حملا على المعنى وهو ان يكون تومنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل ادلكم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قال هل تومنون وتجاهدون قال فان لم تقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما يجب بالقبول والايمان لا بالدلالة وقال الزمخشري وجه قول الفرا ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قال هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم انتهى وتقدم شرح بقية الاية انتهى ولما ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب في الاخرة ذكر ما يسرهم في العاجلة وهو ما يفتح عليهم من البلاد واخرى صفة لمحذوف اي ولكم مثوبة اخرى او نعمة اخرى عاجلة الى هذه النعمة الاجلة واخرى مبتدا وخبره المقدر لكم وهو قول الفرا ويجوز البدل يعني بقوله نصر من الله وتحبونها صفة لكم اي محبوبة البتة وقال قوم واخرى في موضع نصب باضمار فعل اي ويمنحكم اخرى ونصر خبر مبتدا اي ذلك او هو نصر وقال الاخفش واخرى في موضع جر عطفا على تجارة وضعف هذا القول لان هذه الاخرى ليست مما دل عليه انما هي من الثواب الذي يعطيهم الله على الايمان والجهاد بالنفس والمال وقرا الجمهور نصر بالرفع وكذا وفتح قريب وابن ابي عبلة بالنصب فيها ثلاثتها ووصفها اخرى بتحبونها لان النفس قد وكلت بحب العاجل وفي ذلك تحريض على ما يحصل ذلك وهو الايمان والجهاد وقال الزمخشري وفي تحبونها شي من التوبيخ على محبة العاجل قال فان قلت لم نصب من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينتصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويوتكم اخرى نصرا وفتحا قريبا فان قلت علام عطف قوله وبشر المومنين قلت على تومنون لانه في معنى الامر كانه قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المومنين بذلك انتهى • كونوا انصار الله ندب المومنين الى النصرة ووضع لهم هذا الاسم وان كان قد صار عرفا للاوس والخزرج وسماهم الله به وقرا الاعرج وعيسى وابو عمرو والحرميان انصارا لله بالتنوين والحسن والجحدري وباقي السبعة بالاضافة الى الله والظاهر ان الكاف في موضع نصب على اضمار اي قلنا لكم ذلك كما قال عيسى وقال مكي نعت لمصدر محذوف والتقدير كونوا كونا وقيل نعت لانصار اي كونوا انصارا لله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال من انصاري الى الله

انتهى والحواريون اثنا عشر رجلا وهم اول من آمن بعيسى بثهم عيسى في الافاق فبعث بطرس
وبولس الى رومية واندراس ومتى الى الارض التي ياكل اهلها الناس وتوماس الى ارض بابل وفيلبس
الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوب الى بيت المقدس
وابن تلما الى ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر وما حولها وفي بعض اسمائهم اشكال من جهة
الضبط فليلتمس من كتب من هنا لك. فايدنا الذين آمنوا بعيسى على عدوهم وهم الذين كفروا
بعيسى فاصبحوا ظاهرين اي قاهرين لهم مستولين عليهم وقال زيد بن علي وقتادة ظاهرين
غالبين بالحجة والبرهان وقيل ايدنا المسلمين على الفرقتين الضالتين والله تعالى اعلم السفر
الكتاب المجتمع الاوراق منضدة.

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح
لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم. هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين.
وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم. مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا. بئس مثل
القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين. قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم
انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين. ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين. قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في
الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قائما. قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين. هذه
السورة مدنية وقيل مكية وهو خطأ لان امر اليهود وانفضاض الناس في الجمعة لم يكن الا بالمدينة
ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر تاييد من آمن على اعدائهم اتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة
ملكه وتقديسه وذكر ما انعم به على امة محمد صلى الله عليه وسلم من بعثته وتلاوته عليهم
كتابه وتزكيتهم فصارت امته غالبة سائر الامم قاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت دعوة الحواريين
في زمانهم وقرأ الجمهور الملك بالجر وجر ما بعده وابو وائل ومسلمة بن محارب ورؤبة وابو الدنيا
والاعرابي بالرفع على اضمار هو وحسنه الفصل الذي فيه طول بين الموصوف والصفة وكذلك
جاء عن يعقوب وقرأ ابو الدنيا وزيد بن علي القدوس بفتح القاف والجمهور بالضم وهو الذي بعث
الآية تقدم الكلام في نظيرها في آل عمران وفي تفسير الامي وآخرين الظاهر انه معطوف على الاميين
لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وقيل وآخرين منصوب معطوف على الضمير في ويعلمهم اي ويعلم آخرين لم
الآخرين عليه الصلاة والسلام جوابا لما بيناه من التعليم الجاري الزمان وتلا بعضه بعضا فكأنه
عليه الصلاة والسلام ~~كان المبينا سق التعليم~~ وجد منه وقال ابو هريرة رضي الله عنه وغيره
وآخرين هم فارس وجاء نصا عنه في صحيح البخاري ومسلم ولو فهم منه الحصر في فارس لم يجز
ان يفسر بها الآية ولكن فهم المفسرون فاعلم منه انه تمثيل فقال مجاهد وابن جبير الروم والعجم وقال
مجاهد ايضا وعكرمة ومقاتل التابعين من ابناء العرب لقوله منهم اي في النسب وقال مجاهد
ايضا والضحاك وابن حبان الطوائف من الناس وقال ابن عمر اهل اليمن وعن مجاهد ايضا ابناء الاعاجم

وعن

وعن ابن زيد ايضا هم التابعون وعن الضحاك ايضا هم العجم وعن ابي روق الصغار بعد الكبار
وينبغي ان تحمل هذه الاقوال على التمثيل كما حملوا اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم على فارس. وهو
العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتاييده واختياره من سائر البشر.
ذلك فضل الله اي ايتاء النبوة وجعله خير خلقه واسطة بينه وبين خلقه. مثل الذين حملوا
التوراة هم اليهود المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم كلفوا القيام باوامرها ونواهيها
ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهي ناطقة بنبوته وقرأ الجمهور حملوا
مشددا مبنيا للمفعول ويحيى بن يعمر وزيد بن علي مخففا مبنيا للفاعل شبه صفتهم بصفة
الحمار الذي يحمل كتبا فهو لا يدري ما عليه اكتب ام صخر وغير ذلك وانما يدرك من ذلك ما يلحقه
من التعب بحملها. وقال الشاعر في ذلك.

زوامل للاشعار لا علم عندهم ... بجيدها الا كعلم الاباعر.
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ... باوساقه او راح ما في الغرائر.

وقرأ عبد الله حمار منكرا والمأمون بن هارون يحمل بشد الميم مبنيا للمفعول والجمهور الحمار
معرفا ويحمل مبنيا مخففا مبنيا للفاعل ويحمل في موضع نصب على الحال قال الزمخشري او الجر على الوصف
لان الحمار كاللئيم في قوله. ولقد امر على اللئيم يسبني. انتهى وهذا الذي قاله ذهب اليه بعض
النحويين وهو ان مثل هذا من المعارف يوصف بالجمل وحملوا عليه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
وهذا وامثاله عند المحققين في موضع الحال لا في موضع الصفة ووصفه بالمعرفة ذي اللام دليل على تعريفه
مع ما في ذلك المذهب من هدم ما ذكره المتقدمون من ان المعرفة لا تنعت الا بالمعرفة والجمل
نكرات. بئس مثل القوم قال الزمخشري بئس مثلا مثل القوم انتهى فخرجه على ان يكون التمييز
محذوفا وفي بئس ضمير يفسره مثلا الذي ادعى حذفه وقد نص سيبويه على ان التمييز الذي
يفسر الضمير المستكن في نعم وبئس وما اجري مجراهما لا يجوز حذفه وقال ابن عطية والتقدير
بئس المثل مثل القوم انتهى وهذا ليس بشيء لان فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز والظاهر ان مثل القوم
فاعل والذين كفروا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف اي مثل الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود او يكون
الذين كذبوا صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف التقدير بئس مثل القوم المكذبين مثلهم اي مثل
هؤلاء. قل يا ايها الذين هادوا روي انه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود
خيبر ان اتبعتموه اطعناه وان خالفتموه خالفناه فقالوا لهم نحن ابناء خليل الرحمن ومنا عزير
ابن الله والانبياء ومتى كانت النبوة في العرب نحن احق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت قل يا ايها
الذين هادوا وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ان كان قولكم حقا فتمنوا ان تنقلوا سريعا الى دار كرامته
المعدة لاوليائه وتقدم تفسير نظير هذه الآية في سورة البقرة وقرأ الجمهور فتمنوا الموت بضم الواو
وابن يعمر وابن ابي اسحاق وابن السميفع بكسرها وعن ابن السميفع ايضا فتحها وحكى الكسائي عن بعض
الاعراب انه قرأ بالهمزة مضمومة بدل الواو وهذا كقراءة من قرأ المؤون بالهمز بدل الواو بدلهم
قال الزمخشري ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا وتشديدا ليس
في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه انتهى وهذا منه رجوع عن مذهبه
في ان لن تقتضي النفي على التأبيد الى مذهب الجماعة في انها لا تقتضيه وقوله الا ان في لن تأكيدا
وتشديدا ليس في لا فيحتاج في ذلك الى نقل عن مستقري اللسان وقرأ الجمهور فانه والفاء دخلت
في خبر ان اذ الاسم اجري الموصوف مجرى صفته فكأنه قيل ان الذي تفرون منه وفي الذي معنى الشرط

الغاني الخبر وقد منع هذا اخو حرمنهم الفرا وجعلوا الفا زائدة وقرا زيد بن علي انه تفرون وخرجه الزمخشري
على الاستيناف وخبران هو الذي كانه قال ان الموت هو الذي تفرون منه انتهى ويحتمل ان يكون
خبران هو قوله انه ملاقيكم بجملة خبران ويحتمل ان يكون انه توكيدا لان الموت وملاقيكم خبر لما طال
الكلام اكد الحرف بضمير الاسم الذي لانه اذا نودي اي اذن وكان الاذان عند قعود الامام على المنبر
وكذا كان في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل
بعد الخطبة اقيمت الصلاة وكذا كان في عهد ابي بكر وعمر الى زمان عثمان كثر الناس وتباعدت
المنازل فزاد مؤذنا اخر على داره التي تسمى زورا فاذا جلس على المنبر اذن الثاني فاذا نزل من المنبر
اقيمت الصلاة ولم يعب ذلك احد على عثمان رضي الله تعالى عنه فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي
قلت هي بيان لاذا وتفسير له انتهى وقرا الجمهور الجمعة بضم الميم وابن الزبير وابو حيوة وابن ابي
عبلة ورواية عن ابي عمرو وزيد بن علي والاعمش بسكونها وهي لغة تميم ولغة بفتحها لم يقرا بها وكان
هذا اليوم يسمى عروبة ويقال العروبة قيل واول من سماه الجمعة سعد بن ابي زرارة صلى بهم
ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة فهي اول جمعة جمعت
في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة نزل قبا
على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم
الجمعة عامدا المدينة فادرك صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة
والظاهر وجوب السعي لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانه يكون في المشي خفة وبدارا وقال
الحسن وقتادة ومالك وغيرهم انما تؤتى الصلاة بالسكينة والسعي هو بالنية والارادة والعمل
وليس الاسراع في المشي كالسعي بين الصفا والمروة وانما هو بمعنى قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشي كله سعي والظاهر ان الخطاب بالامر بالسعي
للمؤمنين عموما وانه فرض على الاعيان وعن بعض الشافعية انها فرض كفاية وعن مالك في
رواية شاذة انها سنة وقال القاضي ابو بكر ابن العربي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم وقالوا المامور بالسعي المؤمن الصحيح الحر
الذكر المقيم فلو حضر غيرهم اجزاتهم انتهى والمسافة التي يسعى الى صلاة الجمعة لم تتعرض الاية لها
واختلف الفقها في ذلك فقال ابن عمر وابو هريرة وانس والزهري ستة اميال وقيل خمسة
وقال ربيعة اربعة وروي ذلك عن الزهري وابن المنكدر وقال مالك والليث ثلاثة اميال
وقال ابو حنيفة واصحابه على من في المصر سمع النداء او لم يسمع لا على من هو خارج المصر وان سمع
النداء وعن ابن عمر وابن المسيب والزهري واحمد واسحاق على من سمع النداء وعن ربيعة على
من اذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلاة وقرا اكثر الصحابة والتابعين
فامضوا بدل فاسعوا وينبغي ان يحمل على التفسير من حيث انه لا يراد بالسعي هنا الاسراع
في المشي ففسروه بالمضي ولا يكون قرانا لمخالفته سواد ما اجمع المسلمون عليه وذكر الله
تعالى هنا هو الخطبة قاله ابن المسيب وهي شرط في انعقاد الجمعة عند الجمهور وقال
الحسن هي مستحبة والظاهر انه يجزي من ذكر الله تعالى ما يسمى ذكرا قال ابو حنيفة لو قال
الحمد لله او سبحان الله واقتصر عليه جاز وقال غيره لا بد من كلام يسمى خطبة وهو قول
الشافعي وابو يوسف ومحمد بن الحسن والظاهر تحريم البيع وانه لا يصح وقال ابن العربي يفسخ
وهو الصحيح وقال الشافعي ينعقد وهو الصحيح ولا يفسخ وكلما يشتغل من العقود كلها فهو حرام

شرط

شرط مفسوخ ودعا وانما ذكر البيع من بين سائر المحرمات لانه اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق
اذ يكثر الوافدون الامصار من القرى ويجتمعون للتجارة اذا تعالى النهار فامروا بالبدار
الى تجارة الاخرة ونهوا عن تجارة الدنيا ووقت التحريم من الزوال الى الفراغ من الصلاة قاله
الضحاك والحسن وعطا وقال ناس غيرهم من وقت اذان الجمعة الى الفراغ والاشارة
بذلكم الى السعي وترك البيع والامر بالانتشار والابتغا امر اباحة وفضل الله هو ما يلبسه
في حالة حسنة لعيادة المريض وصلة صديق واتباع جنازة في بيع وشرا وتصرفات دينية
ودنيوية فامر مع ذلك باكثار ذكر الله تعالى وقال مكحول والحسن وابن المسيب الفضل المامور
بابتغائه هو العلم وقال جعفر الصادق ينبغي ان يكون بكرة صبح يوم السبت وينبغي ان يكون البقية
يوم الجمعة في عبادة وروي انه كان اصاب اهل المدينة جوع وغلا سعر فقدم دحية بعير
تحمل ميرة قال مجاهد وكان من عرفهم ان يدخلوا بالطبل والمعازف من دراتها فدخلت بها فانفضوا
اليها رويته لذلك وسماعه وتركوه صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر في اثني عشر رجلا قال
جابر انا احدهم قال ابو بكر غالب بن عطية لهم العشرة المشهود لهم بالجنة والحادي عشر
قيل عمار وقيل ابن مسعود وقيل ثمانية قالوا فنزلت واذا راوا وقرا الجمهور اليها بضمير التجارة
وابن ابي عبلة اليه بضمير اللهو وكلاهما جائز نص عليه الاخفش عن العرب وقال ابن عطية وقال
اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت التجارة
على اللهو في الروية لانها اهم واخرت مع التفضيل لتقع النفس على الابين انتهى وفي قوله
قائما التنبيه دلالة على مشروعية القيام في الخطبة واول من استراح في الخطبة عثمان واول
من خطب جالسا معاوية وقرئ اليهما بالتثنية للضمير كقوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما ويتخرج على ان يتجوز باو فتكون بمعنى الواو وقد تقدم هذا التخريج في قوله
فالله اولى بهما في موضعه في سورة النسا وناسب ختمها بقوله والله خير الرازقين
لانهم كانوا قد مسهم شي من غلاء الاسعار كما تقدم في سبب النزول وقد ملا المفسرون
كتبهم اسن اوراقهم باحكام وخلاف في مسايل الجمعة مما لا تعلق لها بلفظ القران المفردات الجسم
والخشب معروفان اسندت ظهرك الى الحايط املته واصغته اليه ونسا بنداء القوم
اصطفوا وتقابلوا للقتال

سورة المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون • اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون • ذلك بانهم
امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون • واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون •
سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزاين السموات والارض
ولكن المنافقين لا يفقهون • يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون • يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون • وانفقوا مما رزقناكم

من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين
ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها والله خبير بما تعملون • هذه السورة مدنية نزلت في غزوة
بني المصطلق كانت من عبد الله بن ابي بن سلول واتباعه فيها اقوال فنزلت وسبب نزولها
مذكورة في قصة طويلة مضمونها ان اثنين من الصحابة ازدحما على ماء وذلك في غزوة بني
المصطلق فشج احدهما الاخر فدعا المشجوج بالانصار والشاج بالمهاجرين فقال عبد الله
ابن ابي سلول ما حكى الله تعالى عنه من قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله
وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وكلاهما قبيح فسمعه زيد بن ارقم
ونقل ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
فحلف ما قال شيا من ذلك فاتهم زيد فانزل الله تعالى اذا جاك المنافقون الى قوله لا يعلمون
تصديقا لزيد وتكذيبا لعبد الله بن ابي سلول ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما كان
سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلا عن المنافقين واتبعهم ناس كثير من
المومنين في ذلك وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة اذ كان وقت مجاعة جا ذكر المنافقين
وما هم عليه من كراهة اهل الايمان واتبعهم بقبايح افعالهم وقولهم لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا اذ كانوا هم اصحاب اموال والمهاجرون فقرا قد تركوا اموالهم
ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى • قالوا نشهد يجري مجرى اليمين ولذلك يتلقى بما يتلقى به
به القسم وكذا فعل اليقين والعلم يجري مجرى القسم بقوله انك لرسول الله واصل الشهادة
ان يواطي اللسان القلب هذا بالنطق وذلك بالاعتقاد فاكذبهم الله وفضحهم بقوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون اي لم تواطئ قلوبهم السنتهم على تصديقك واعتقادهم انك غير
رسول الله فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم او كاذبون عند انفسهم اذ كانوا
يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله تعالى
والله يعلم انك لرسوله ايذانا ان الامر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقا ولم تات هذه
الجملة لفهم ان قولهم هذا كذب فوسطت الامر بينهما ليزول ذلك التوهم اتخذوا ايمانهم
سمى شهادتهم تلك ايمانا وقرا الجمهور ايمانهم بفتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها مصدر
امن ولما ذكر انهم كاذبون اتبعهم بموجب كفرهم وهو اتخاذ ايمانهم جنة ليستتروا بها ويذبون
بها عن انفسهم واموالهم كما قال بعض الشعرا •

• وما انتسبوا الى الاسلام الا • لصون دمايهم ان لا تسالا • ومن ايمانهم ايمان
عبد الله ومن حلف معه من قومه انه ما قال ما نقله زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعلوا ايمانهم جنة تقي من القتل • وقال اعشى همدان

• اذا انت لم تجعل لعرضك جنة • من الذم سار الذم في كل مسير •

وقال الضحاك اتخذوا حلفهم بالله انهم لمنكم وقال قتادة كلما ظهر على شي منهم يوجب مواخذتهم
حلفوا كاذبين عصمة لاموالهم ودمايهم وقال السدي جنة من ترك الصلاة عليهم اذا ماتوا
فصدوا اي اعرضوا وصدوا اليهود والمشركين عن الدخول في الاسلام • ذلك اي ذلك الحلف الكاذب
والصد المقتضيان لهم سوء العمل بسبب ايمانهم ثم كفرهم وقال ابن عطية ذلك اشارة الى فعل
الله بهم في فضيحتهم وتوبيخهم ويحتمل ان تكون الاشارة الى سوء ما عملوا فالمعنى ساء عملهم
بان كفروا وقال الزمخشري ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالا بسبب انهم امنوا

ثم كفروا

ثم كفروا اي ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستخفاف بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم امنوا
ثم كفروا وقرا الجمهور فطبع مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل اي فطبع الله وكذا قراءة
الاعمش وزيد في رواية مصرحا بالله ويحتمل على قراءة زيد الاولى ان يكون الفاعل ضميرا يعود
على المصدر المفهوم من ما قبله اي فطبع هو اي تلعابهم بالدين ومعنى امنوا نطقوا بكلمة الشهادة
وفعلوا كما يفعل المسلمون ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما نطقوا به من قولهم لين كان ما يقوله محمد حقا فنحن
شر من الحمير وقولهم ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات او نطقوا بالايمان
عند المومنين وبالكفر عند شياطينهم او ذلك فيمن امن ثم ارتد • واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او للسامع اي لحسنها ونضارتها وجهارة اصواتهم فكان منظرهم
يروق ومنطقهم يحلو وقرا الجمهور تسمع بتا الخطاب وعكرمة وعطية العوفي يسمع بالياء مبنيا
للمفعول ولقولهم الجار والمجرور وهو المفعول الذي لم يسم فاعله وليست اللام زايدة بل ضمن
يسمع معنى يصغى ويميل تعدى باللام وليست زايدة فيكون قولهم هو المسموع وشبهوا بالخشب
لعزوب افهامهم وفراغ قلوبهم من الايمان ولم يكف حتى جعلها مسندة الى الحايط لا انتفاع بها لانها
اذا كانت في سقف او مكان ينتفع بها واما اذا كانت غير منتفع بها فانها تكون مهملة مسندة
الى الحيطان او ملقاة على الارض قد صففت او شبهوا بالخشب التي هي الاصنام وقد اسندت الى الحيطان
او شبهوا في اصطفافهم في الاندية بالخشب المصطفة الى الحيطان والجملة التشبيهية مستانفة
او على اضمار هم وقرا الجمهور خشب بضم الخاء والشين والبراء بن عازب والنحويان وابن كثير بالتسكين
تخفيف خشب المضموم وقيل جمع خشبا كحمر جمع حمرا وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في فساد
بواطنهم وقرا ابن المسيب وابن جبير خشب بفتحتين اسم جنس الواحد خشبة وانث وصف
كقوله اعجاز نخل خاوية اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وذكر ممن كان ذا بها وفصاحة
عبد الله بن ابي والجد بن قيس ومعتب بن قشير • قال الشاعر في مثلها ولا •

• لا تخدعنك اللحى ولا الصور • تسعة اعشار من ترى بقر •
• تراهم كالسحاب منتشرا • وليس فيها لطالب مطر •
• في شجر السرو منهم شبه • له روا وما له ثمر •

وقيل الجمل التشبيهية
وصفت له بالجبن والخور ويدل عليه يحسبون كل صيحة عليهم في موضع المفعول الثاني ليحسبون
اي واقعة عليهم وذلك لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب قال مقاتل كانوا اذا سمعوا بنشدان ضالة
او صياحا باي وجه كان او اخبروا بنزول وحي طارت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكون في غير شانهم
وكانوا يخافون ان ينزل الله تعالى فيهم ما يباح به دماوهم واموالهم ونحو هذا قول الشاعر

• يروعه السرار بكل ارض • مخافة ان يكون به السرار • وقال جرير
• ما زلت تحسب كل شي بعدهم • خيلا تكر عليهم ورجالا • قال ويجوز ان يكون هم العدو

المفعول الثاني كما لو طرح الضمير فان قلت فحقه ان يقول هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر
كما ذكر في هذا ربي وان تقدر مضاف محذوف بل يحسبون اهل كل صيحة انتهى وتخريج هم العدو
على انه مفعول ثان ليحسبون تخريج متكلف بعيد عن الفصاحة بل المتبادر الى الذهن السليم
ان يكون هم العدو اخبارا منه تعالى بانهم وان اظهروا الاسلام واتباعهم المبالغون في عداوتك
ولذلك جاء بعده امره تعالى اياه بحذرهم فقال فاحذرهم فالامر بالحذر متسبب عن اخباره بانهم
هم العدو قاتلهم الله تعالى دعا يتضمن ابعادهم • وان لا دعوا عليهم المومنون لذلك الى يوفكون

هذا البيت الزمخشري الا خطر ماله والشعر من عطية لجرير ونسب
ونخرج
لهم

أي كيف يصرفون عن الحق وفيه تعجب من ضلالهم وجهلهم ولما أخبر تعالى بعداوتهم أمرهم بحذرهم
فلا يثق بإظهار مودتهم ولا بلين كلامهم وقاتلهم الله كلمة ذم وتوبيخ وقالت العرب قاتله الله ما أشعره
يضعونه موضع التعجب ومن قاتله الله فهو مغلوب لأنه تعالى هو القاهر لكل معاند وكيف استفهام
أي كيف يصرفون عن الحق ولا يرون رشد أنفسهم قال ابن عطية ويحتمل أن يكون أنى ظرفا لقاتلهم
كأنه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا أو صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى
ولا يصح أن يكون أنى لمجرد الظرف بل لا بد أن يكون ظرفا استفهاما إما بمعنى أين أو بمعنى متى أو بمعنى
كيف أو شرطا بمعنى أين وعلى هذه التقادير لا يعمل فيها ما قبلها ولا تتجرد لمطلق الظرفية بحال من غير
اعتبار ما ذكرناه فالقول بذلك باطل ولما صدق الله زيد بن أرقم فيما أخبر به عن ابن سلول
مقت الناس ابن سلول ولامه المؤمنون من قومه وقال له بعضهم امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي وقال لهم لقد أشرتم علي بالإيمان
فآمنت وأشرتم علي بأن أعطي زكاة مالي ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد ويستغفر
مجزوم على جواب الأمر ورسول الله يطلبه عاملان أحدهما يستغفر والآخر تعالوا فأعمل
الثاني على المختار عند أهل البصرة ولو أعمل الأول لكان التركيب تعالوا يستغفر لكم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرأ مجاهد ونافع وأهل المدينة وأبو حيوة وابن أبي عبلة والمفضل وأبان عن عاصم
والحسن ويعقوب بخلاف عنهما لووا بفتح الواو لووا بفتح الواو وأبو جعفر والأعمش وطلحة
وعيسى وأبو رجاء والأعرج وباقي السبعة بشدها للتكثير ولي رؤوسهم على سبيل الاستهزاء
واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق فيستغفر لهم إذ كان استغفاره مترتبا
على استتابتهم ليتوبوا وهم يصدون عن المجيء واستغفار الرسول وقرئ يصدون
ويصدون جملة حالية وأتت بالمضارع ليدل على استمرارهم وهم مستكبرون جملة حالية
أيضا ولما سبق في علمه تعالى أنهم لا يؤمنون البتة سوى بين استغفاره لهم وعدمه
وحكى مكي أنه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر لهم لأنهم أظهروا له الإسلام وقال ابن عباس
نزلت هذه بعد في براءة إن تستغفر لهم لأنهم أظهروا له الإسلام سبعين مرة وقوله عليه
الصلاة والسلام سوف أستغفر لهم زيادة على السبعين مرة فنزلت هذه الآية فلم يبق له
للاستغفار وجه وقرأ الجمهور أستغفرت بهمزة التسوية التي أصلها همزة الاستفهام
وطرح ألف الوصل وأبو جعفر بمدة على الهمزة قيل هي عوض من همزة الوصل وهي مثل المدة في قوله
قل الذكرين حرم لكن هذه المدة في الاسم لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولا يحتاج ذلك في الفعل
لأن همزة الوصل فيه مكسورة وعن أبي جعفر أيضا ضم ميم عليهم إذ أصلها الضم ووصل
الهمزة وروى معاذ بن معاذ العنبري عن أبي عمرو كسر الميم على أصل التقاء الساكنين
ووصل الهمزة فتسقط في القراءتين واللفظ خبر والمعنى على الاستفهام والتسوية وجاز
حذف الهمزة لدلالة أم عليها كما دلت على حذفها في قوله بسبع رمين الجمر أم بثمان يريد
أبسبع وقال الزمخشري وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان
لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما في السحر والله وقال ابن عطية وقرأ أبو جعفر بن القعقاع آستغفرت
بمدة على الهمزة وهي ألف التسوية وقرأ أيضا بوصل الألف دون همز على الخبر وفي هذا كله ضعف
لأنه في الأولى أثبت همزة الوصل وقد أغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة الاستفهام
وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل إلا في الشعر هم الذين يقولون إشارة إلى ابن سلول ومن

وافقه

وافقه من قومه سفه أحلامهم في أنهم ظنوا أن رزق المهاجرين بأيديهم وما علموا أن ذلك بيد الله
تعالى لا تنفقوا على من عند رسول الله إن كان الله تعالى حكى نص كلامهم فقولهم على من عند
رسول الله هو على سبيل الهزء كقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون أم لكونه جرى عندهم
مجرى اللقب أي هو معروف وأطلقوا هذا اللفظ عليه إذ لو كانوا مقرين برسالته ما صدر منهم
ما صدر فالظاهر أنهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللفظ ولكنه تعالى عبر به عن رسوله
صلى الله عليه وسلم إكراما له وإجلالا وقرأ الجمهور ينفضوا أي يتفرقوا عن الرسول والفضل
ابن عيسى ينفضوا من أنفض القوم فني طعامهم فنفض الرجل وعاءه والفعل من باب ما
يعدى بغير الهمزة وبالهمزة لا يتعدى قال الزمخشري وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم
وقرأ الجمهور ليخرجن الأعز منها الأذل فالأعز فاعل والأذل مفعول وهو من كلام ابن سلول
كما تقدم ويعني بالأعز نفسه وأصحابه وبالأذل المؤمنين والحسن وابن أبي عبلة والسبي في اختياره
لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل فالأعز مفعول والأذل حال وقرأ الحسن فيما ذكر
أبو عمرو الداني لنخرجن بنون الجماعة مفتوحة وضم الراء ونصب الأعز على الاختصاص كما حكى
نحن العرب أقرى الناس للضيف ونصب الأذل على الحال وحكى هذه القراءة أبو حاتم وحكى الكسائي
والفراء أن قوما قرؤوا ليخرجن بالياء مفتوحة وضم الراء فالفاعل الأعز ونصب الأذل
على الحال وقرئ ليخرجن مبنيا ~~للفاعل~~ للمفعول وبالياء الأعز مرفوع به الأذل نصبا على الحال
ومجيء الحال بصورة المعرفة متأول عند البصريين لما كان منها بأل فعلى زيادتها لا أنها معرفة
ولما سمع عبد الله ولد عبد الله ابن أبي هذه الآية جاء إلى أبيه فقال أنت والله يا أبت الذليل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز فلما دنا من المدينة جرد السيف عليه ومنعه
الدخول حتى يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما قال له وراءك لا تدخلها حتى
تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز وأنا الأذل ولم يزل حبيسا في يده حتى أذن
له الرسول صلى الله عليه وسلم بتخليته وفي الحديث أنه قال لأبيه لئن لم تشهد لله ولرسوله
بالعزة لأضربن عنقك قال أفاعل أنت قال نعم فقال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين
وقيل للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما إن فيك تيها فقال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا
هذه الآية لا تلهكم أموالكم بالسعي في نمائها والتلذذ بجمعها ولا أولادكم بسروركم بهم وبالنظر
في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم عن ذكر الله هو عام في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح
والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال نحوا منه الحسن وجماعة وقال الضحاك وعطاء الذكر هنا
الصلاة المكتوبة وقال الحسن جميع الفرائض وقال الكلبي الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم
وقيل القرآن ومن يفعل ذلك أي الشغل عن ذكر الله بالمال والولد فأولئك هم الخاسرون
حيث آثروا العاجل على الآجل والفاني على الباقي وأنفقوا مما رزقناكم قال الجمهور المراد
الزكاة وقيل عام في المفروض والمندوب وعن ابن عباس في مانعي الزكاة والله لو رأى خيرا
ما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به
قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها لولا أخرتني أي هلا أخرت موتي
إلى زمان قليل وقرأ الجمهور فأصدق وهو منصوب على جواب الرغبة وأبي وعبيد وابن
جبير فأتصدق على الأصل وقرأ جمهور السبعة وأكن مجزوما قال الزمخشري
عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع

بان التقدير ان تؤخرني اصدق واكن وهذا مذهب ابي علي الفارسي فاما ما حكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم واكن على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فمن قرا بالجزم عطف على موضع فلا هادي له لانه لو وقع هناك فعل كان مجزوما انتهى والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم ان العامل في العطف على الموضع موجود دون موثره والعامل في العطف على التوهم مفقود واثره موجود وقرا الحسن وابن جبير وابو رجا وابن ابي اسحاق ومالك بن دينار والاعمش وابن ابي اسحاق ومالك بن
والاعمش؟
دينار وابن محيصن وعبد الله بن الحسن العنبري وابو عمرو واكون بالنصب عطفا على فاصدق وكذا في مصحف عبد الله وابي وقرا عبيد بن حميد واكون بضم النون على الاستيناف واكون اي وانا اكون وهو وعد بالصلاح ولن يوخر الله نفسا تحريض على المبادرة باعمال الطاعات حذار ان يجي الاجل ويفوت ولم يستعد للقاء الله • وقرا الجمهور تعملون بتاء الخطاب للناس كلهم وابو بكر بالياء خص الكفار بالوعيد ويحتمل العموم المفردات التغابن تفاعل من الغبن وليس من اثنين بل هو من واحد كتواضع وتحامل والغبن اخذ الشي بدون قيمته او بقيمة كذلك وقيل الغبن الاخفا ومنه غبن البيع لاستخفائه ويقال غبنت الثوب وغبنته اذا اخذت ما طال منه عن مقدارك فمعناه النقص

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير • هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن والله بما تعملون بصير • خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير • يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور • الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم • ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد • زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير • فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير • يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم • هذه السورة مدنية في قول الاكثرين وقال ابن عباس وغيره مكية الا ايات من اخرها يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم الخ نزلت بالمدينة وقال الكلبي مدنية ومكية ومناسبة هذه السورة لما قبلها ان ما قبلها مشتمل على حال المنافقين وفي اخر ما هنا خطاب المومنين فاتبعهم بما يناسبه من قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن وهذا تقسيم في الايمان والكفر بالنظر الى الاكتساب عند جماعة من المتاولين لقوله كل مولود يولد على الفطرة وقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقيل ذلك في اصل الخلقة بدليل ما في حديث النطفة من قول الملك اشقي ام سعيد والغلام الذي قتله الخضر عليه السلام انه طبع يوم طبع كافرا وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله فرعون في البطن كافرا ويحيى بن زكريا مومنا وعن عطا بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكوكب ومومن بالله كافر بالكوكب وقدم الكافر لكثرته الا ترى الى قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وحين ذكر الصالحين قال وقليل ما هم قال الزمخشري فمنكم ات بالكفر وفاعل له

ومنكم

ومنكم ات بالايمان وفاعل له لقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقال ايضا وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مومن به وعن الحسن في الكلام حذف دل عليه تقديره ومنكم فاسق وكان من كذب المعتزلة عن الحسن وتقدم الجار والمجرور في قوله له الملك وله الحمد قال الزمخشري ليدل بتقديمهما على معنى الاختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على الحقيقة له لانه مبدي كل شي ومبدعه والقايم به المهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعا وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وقرا الجمهور صوركم بضم الصاد وزيد بن علي وابو رزين بكسرها والقياس الضم وهذا تعديد للنعمة في حسن الخلقة لان اعضا بني ادم متصرفة بجميع ما تتصرف به اعضا الحيوان وبزيادة كثيرة فضل بها ثم هو مفضل بحسن الوجه وجمال الجوارح كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل النعمة هنا انما هي صورة الانسان من حيث هو انسان مدرك عاقل فهذا هو الذي حصل له حتى لحقته كمالات كثيرة وتكاد العرب لا تعرف الصورة الا الشكل لا المعنى القايم بالصورة ونبه تعالى بعلمه بما في السموات والارض ثم بعلمه بما يسر العباد وما يعلنونه ثم بعلمه بما اكنته الصدور على انه تعالى لا يغيب عن علمه شي لا من الكليات ولا من الجزييات فابتدا بالعلم الشامل للعالم كله ثم بخاص العباد من سرهم واعلانهم ثم بما خصصه وهو ما تنطوي عليه صدورهم من خفي الاشيا وكامنها وهذا كله في معنى الوعيد اذ هو تعالى المجازي على جميع ذلك بالثواب والعقاب وقرا الجمهور ما تسرون وما تعلنون بتاء الخطاب وعبيد عن ابي عمرو وابان عن عاصم بالياء • الم ياتكم الخطاب لقريش ذكروا بما حل بالكفار قبلهم عاد وثمود وقوم ابراهيم وغيرهم ممن صرح بذكرهم في سورة براة وغيرها وقد سمعت قريش اخبارهم فذاقوا وبال امرهم اي مكروههم وما يسوؤهم من ذلك ابي الوبال يا نداي بان الانسان والحديثا استبعدوا ان يبعث الله تعالى من البشر رسولا كما استبعدت قريش فقالوا على سبيل الاستغراب البشر يهدوننا وذلك انهم يقولون في البشرية فانى يكون لهولاء تميز علينا بحيث يصيرون هداة لنا وارتفع البشر عند الحوفي وابن عطية على الابتدا والخبر يهدوننا والاحسن ان يكون مرفوعا على الفاعلية لان همزة الاستفهام تطلب الفعل فالمسالة من باب الاشتغال فكفروا بالعطف بالفا يدل على تعقيب توهم مجي الرسل بالبينات اي لم ينظروا في تلك البينات ولا تاملوها بل عقبوا مجيها بالكفر واستغنى الله استفعل بمعنى الفعل المجرد وغناه تعالى ازلي فالمعنى انه ظهر تعالى غناه عنهم اذ اهلكهم وليست استفعل هنا للطلب وقال الزمخشري معناه وظهر استغنا الله حيث لم يلجيهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والزعم تقدم تفسيره والذين كفروا اهل مكة وبلى اثبات لما بعد حرف النفي وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف فامنوا بالله ورسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا هو القران وانتصب يوم يجمعكم بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد والجزا او باذكر مضمرة قاله الزمخشري والاول عن النحاس والثاني عن الحوفي وقرا الجمهور يجمعكم بالياء وضم العين وروي عنه سكونها واشمامها الضم وسلام ويعقوب وزيد بن علي والشعبي بالنون

ليوم الجمع يجمع فيه الاولون والاخرون وذلك ان كل واحد يبعث طامعا في الخلاص ورفع المنزلة • ذلك يوم التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لان السعدا نزلوا منازل الاشقيا لو كانوا سعدا ونزل الاشقيا منازل السعدا لو كانوا اشقيا وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اسا ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وذلك معني يوم التغابن وعن مجاهد وغيره اذا وقع الجزا غبن المومنون الكافرين لانهم يحوزون الجنة ويحصل الكفار في النار وقرا الاعرج وشيبة وابو جعفر وطلحة ونافع وابن عامر والمفضل عن عاصم وزيد بن علي والحسن بخلاف عنه نكفر وندخله بالنون فيهما والاعمش وعيسي والحسن وباقي السبعة بالياء فيهما **قوله تعالى** ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شي عليم • واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما علي رسولنا البلاغ المبين • الله لا اله الا هو وعلي الله فليتوكل المومنون • يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم • فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم • ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون • ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم • عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم • الظاهر ان المصيبة في الرزية وما يسو العبد اي في نفس او مال او ولد او قول او فعل وخصت بالذكر وان كان جميع الحوادث لا تصيب الا باذن الله تعالى فيحتمل ان يريد بالمصيبة الحادثة من خير وشر اذ الحكمة في كونها باذن الله وما نافية ومفعول اصاب محذوف اي ما اصاب احدا والفاعل من مصيبة ومن زايدة ولم يلحق التا اصاب وان كان الفاعل مونثا وهو فصيح والتا بيت لقوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وقوله وما تاتيهم من اية الا باذن الله اي بارادته وعلمه وتمكينه ومن يومن بالله اي يصدق بوجوده ويعلم ان كل حادثة بقضا به وقدره يهد قلبه علي طريق الخير والهداية وقرا الجمهور يهد بالياء مضارعا لهدي مجزوما علي جواب الشرط وقرا ابن جبير وطلحة وابن هرمز والازرق عن حمزة بالنون والسلمي والضحاك وابو جعفر يهد مبنيا للمفعول • قلبه رفع وعكرمة وعمرو بن دينار ومالك ابن دينار يهدا بهمزة ساكنة قلبه بالرفع والمعني يطمين قلبه ويسكن بايمانه ولا يكون فيه اضطراب وعمرو بن فايد يهدا بالف بدلا من الهمزة الساكنة وعكرمة ومالك بن دينار ايضا يهد بحذف الالف بعد ابدالها من الهمزة الساكنة وابدال الهمزة الفا في مثل يقرا ويهدا ليس بقياس خلافا لمن اجاز ذلك قياسا وبني عليه جواز حذف تلك الالف للجازم وخرج عليه قول زهير ابن ابي سلمة • جري متي يظلم يعاقب بظلمه سريعا • وان لا يبد بالظلم يظلم • اصله يبدا ثم ابدل من الهمزة الساكنة حرفا للجازم تشبيها بالف يخشى اذا دخل الجازم ولما قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ثم امر بطاعة الله وطاعة رسوله وحذر مما يلحق الرجل من امراته وولده بسبب ما يصدر من بعضهم من العداوة والعدو علي الرجل من زوجته وولده اذا كانا عدوين وذلك في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فذهاب ماله وعرضه واما في الاخرة فيما يسعي في اكتسابه من الحرام لهما وبما يكتسبانه منه بسببه جاهه وكم من امراة قتلت زوجها وجذمته وافسدت عقله وكم من ولد قتل اباه وفي التواريخ وفيما شاهدناه من ذلك كثير وعن عطا بن ابي رباح ان عوف بن مالك الاشجعي اراد الغزو مع النبي صلي الله عليه وسلم فاجتمع اهله وولده فثبطوه وتشكوا اليه فراقه فرق ولم يغز ثم انه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية وقيل امن قوم

بالله

بالله وثبطهم ازواجهم واولادهم عن الهجرة ولم يهاجروا الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقه في الدين فندموا واسفوا وهموا بمعاقبة ازواجهم واولادهم فنزلت وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لين جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة ومن في من ازواجكم واولادكم للتبعيض وقد توجد زوجة تسر زوجها وتعينه علي مقاصده في دينه ودنياه وكذلك الولد وقال الشعبي العبسي يمدح ولده رباطا •

• اذا كان اولاد الرجال حزازة • فانت الحلال الحلو والبارد العذب •

• لنا جانب منه دميث وجانب • اذا رامه الاعدا مركبه صعب •

وقال عوف بن الاحوص في ابنه منازل وكان عاقا له قصيدة فيها بعض طول منها •

• وربيته حتي اذا ما تركته • اخا القوم واستغني عن المسح شاربه •

• فلما رايت الشخص اشخص شخصنا • لبعيدا وذا الشخص البعيد اقاربه • ٥

• تعمد حقي ظالما ولوي يدي • لوي يده الله الذي هو غالبه • ا

انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلا ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة والابتلا عظيم منهما ولا باب العداوة جا بمن التي تقتضي التبعيض وفي الفتنة حكم بها علي الاموال والاولاد دخل بعضها وذلك لغلبة الفتنة بهما وكفي بالمال فتنة قصة ثعلبة بن حاطب احد من نزل فيه ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله الايات وقد شاهدنا من ذكر انه يشتغل بالكسب والتجارة في امواله حتي يصلي كثيرا من الصلوات الخمس فايتة وقد شاهدنا من كان موصوفا عند الناس بالديانة والورع يحضر لاجل منصب وتولاه استنابه من يلوذ به من اولاده واقاربه وان كان بعض من استنابه صغير السن قليل العلم سيي الطريقة ونعوذ بالله من الفتن وقدمت الاموال علي الاولاد لانها اعظم فتنة كلا ان الانسان ليطغي ان راه استغني • شغلتنا اموالنا واهلونا والله عنده اجر عظيم تزهيد في الدنيا وترغيب في الاخرة والاجر العظيم الجنة فاتقوا الله ما استطعتم قال ابو العالية جهدكم وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصي واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما امرتم به ونهيتم عنه وانفقوا فيما وجب عليكم وخيرا منصوب بالفعل محذوف تقديره واتوا خيرا وعلي اضمار يكن ليكون خيرا وعلي انه نعت لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا وعلي انه حال وعلي انه مفعول بانفقوا خيرا اي مالا اقوال الاول عن سيبويه ولما امر بالانفاق اكد بقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا ورتب عليه تضعيف القرض وغفران الذنوب وفي لفظ القرض تلطف في الاستدعا وفي لفظ المضاعفة تاكيد للبذل لوجه الله تعالى ثم اتبع جوابي الشرط بوصفين احدهما عايد الي المضاعفة اذ شكره تعالى مقابل للمضاعفة وحلمه مقابل للغفران قيل وهذا الحض هو في الزكاة المفروضة وقيل هو في المندوب اليه وتقدم الخلاف في القراة في يوق • وفي شح • وفي يضاعفه • ه

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا • فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف • واشهدوا ذوي عدل منكم • واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا

ويرزقه من حيث لا يحتسب ۝ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدرا ۝ هذه السورة مدنية بقيل وسبب نزولها طلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفصة قاله قتادة عن انس وقال السدي طلاق عبد الله بن عمر وقيل نفر من مثل فعله
منهم عبد الله بن عمر وعمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت
وقال القاضي ابو بكر ابن العربي وهذا وان لم يصح فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع
مبتدأ ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر الفتنة بالمال والولد اشار الى الفتنة بالنسا وانهن قد يوقعن
الرجال للفتنة حتى لا يجد مخلصا منها الا بالطلاق قد اراد انه ينفصل منهن بالوجه الجميل بان لا يكون
بينهن اتصال بالمطالب ولد واحد ۝ يا ايها النبي ندا للنبي صلى الله عليه وسلم وخطاب على سبيل التكريم
والتنبيه اذا طلقتم خطاب له عليه الصلاة والسلام مخاطبة الجمع على سبيل التعظيم او لامته على سبيل
تلوين الخطاب امثل عليه الصلاة والسلام او لانه رجع اليه الخطاب او على اضمار القول اي قل لامتك
اذا طلقتم او له ولامته وكانه ثم محذوف تقديره يا ايها النبي وامته اذا طلقتم فالخطاب له
والى امته وامتك اقواله وقال الزمخشري خص النبي صلى الله عليه وسلم وعم بالخطاب لان النبي امام
امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا
لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون برايه دونه فكان هو
وحده في حكم كلهم وساد مسد جميعهم انتهى وهو كلام حسن ومعنى اذا طلقتم اي اذا اردتم تطليقهن
والنسا يعني المدخول بهن ۝ فطلقوهن اي اوقعوا الطلاق لعدتهن هو على حذف مضاف اي لاستقبال
عدتهن واللام للتوقيت نحو كتبته لليلة بقين من شهر كذا وتقدير الزمخشري هنا حالا محذوفة
يدل عليها المعنى يتعلق بها المجرور اي مستقبلات لعدتهن ليس بجيد لانه قدر عاملا خاصا ولا يحذف
العامل في الظرف والجار والمجرور اذا كان خاصا بل اذا كان كونا مطلقا فلو قلت زيد عندك او في الدار
تريد ضاحكا عندك او ضاحكا في الدار لم يجز فتعلق اللام بقوله فطلقوهن ويجعل على حذف مضاف
هو الصحيح وما روي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم من انهم قروا فطلقوهن
في قبل عدتهن وعن بعضهم في قبل عدتهن وعن عبد الله لقبل طهرهن فهو على سبيل التفسير
لا على انه قران لخلافه سواد المصحف الذي اجمع عليه المسلمون شرقا وغربا والمراد تعتبر العدة بالنسبة
الى الاطهار او الحيض تقدم ذلك في البقرة في قوله ثلاثة قروء والمراد ان يطلقهن في طهر لم يجامعهن
فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن فان شا ردها وان شا اعرض عنها لتكون مهيأة للتزوج وهذا الطلاق
ادخل في السنة وقال مالك لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكره الثلاث مجموعة او مفرقة وابو
حنيفة كره ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا وقال الشافعي لا باس بارسال
الطلاق الثلاث ولا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح راعى في السنة الوقت فقط وابو
حنيفة التفريق والوقت وقوله فطلقوهن مطلق الغرض فيه العدد ولا الوصف من تفريق او جمع والجمهور
على انه لو طلق لغير السنة وقع وعن ابن المسيب وجماعة من التابعين انه لو طلق في حيض ولا ثلث
لم يقع والظاهر ان الخطاب في واحصوا العدة للازواج اي اضبطوا بالحفظ وفي الاحصا فوايد مراعاة
الرجعة وزمان النفقة والسكنى ۝ وتوزيع الطلاق على الاقرا واذا اراد ان يطلق ثلاثا
والعلم بانها قد بانت فيتزوج باختها وباربع سواها ونهى تعالى عن اخراجهن من مساكنهن حتى
تنقضي العدة ونهاهن ايضا عن خروجهن واضاف البيوت اليهن لما كان سكناهن فيها ونهيهن عن
الخروج لا يبيحه اذن الازواج اذ لا اثر لاذنهم والاسكان على الزوج فان كان ملكه او بكرا منه كان ومكنها

فلها عليه

فلها عليه اجرته وسوا كانت في ذلك الرجعية والمبتوتة وسنة ذلك ان لا يبتن عن بيوتهن ولا يخرج
عند نهارا الا لضرورة وذلك لحفظ النسب والاحتفاظ بالنسا الا ان ياتين بفاحشة مبينة
وهي الزنا عند قتادة ومجاهد والحسن والشعبي وزيد بن اسلم والضحاك وعكرمة وحماد والليث
ورواه مجاهد عن ابن عباس فيخرجن للحد وعن ابن عباس البذا على الاحما فتخرج ويسقط حقها
من السكنى وتلزم الاقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب وعنه ايضا جميع المعاصي من سرقة او قذف
او زنا او غير ذلك واختاره الطبري فيسقط حقها في السكنى وعن ابن عمر والسدي وابن السائب
هي خروجها من بيتها خروج انتقال فيسقط حقها في السكنى وعن قتادة ايضا النشوز ان نشزت عن الزوج
فتطلق بسبب ذلك فلا يكون عليه سكنى واذا سقط حقها من السكنى اتمت العدة لا تدري ايها
السامع لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال المفسرون الامر هنا الرغبة في ارتجاعها والميل اليها بعد
التحرف عنها او ظهور حمل فيراجعها من اجله وينصب لا تدري على جملة الترجي فلا تدري معلقة
عن العمل وقد تقدم لنا الكلام على قوله وان ادري لعله فتنة لكم وذكرنا انه ينبغي ان يزاد في المعلقات
لعل فالجملة المترجاة في موضع نصب بلا تدري فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن على انقضا العدة ۝
فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف اي بغير ضرار او فارقوهن بمعروف اي سرحوهن باحسان
والمعنى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن وفي الجمهور اجلهن على الافراد والضحاك
وابن سيرين على الجمع والامساك بمعروف هو احسان العشرة فيما للزوجة على الزوج والمفارقة بمعروف
هو ادا المهر والتمتيع والحقوق الواجبة والوفا بالشرط ۝ واشهدوا والظاهر وجوب الاشهاد على ما
يقع من الامساك وهو الرجعة او المفارقة وهي الطلاق وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة
كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعية واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل واشهدوا
يريد على الرجعة وعلى الطلاق فقط والاشهاد شرط في صحتها فلها منعه في نفسها حتى يشهد وقال
ابن عباس الاشهاد على الرجعة فقط وعلى الطلاق يرفع عن النوازل اشكالا لا كثيرا ولفقد
تاريخ الاشهاد يسن الاشهاد وقيل وفائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وان
يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث انتهى ومعنى منكم قال الحسن من المسلمين وقال
قتادة من الاحرار ۝ واقيموا الشهادة لله هذا امر للشهود اي لوجه الله خالصا للمراعاة مشهود
له ولا مشهود عليه لا يلحظ سوى اقامة الحق ۝ ذلكم اشارة الى اقامة الشهادة اذ تنوازل الاشيا
لقد وعليها وما يتبين الحق من المبطل ۝ ومن يتق الله قال علي ابن ابي طالب وجماعة هي في معنى الطلاق
اي ومن لا يتعدى طلاق السنة الى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعل له
مخرجا اي ندم بالرجعة ۝ ويرزقه من حيث لا يحتسب اي بطيب اهله انتهى ومفهوم الشرط انه لم يتق الله فبت
الطلاق وندم لم يبق له مخرج وزال عنه رزق زوجته وقال ابن عباس للمطلق ثلاثا انك لم تتق
الله بانت منك امراتك ولا ارى لك مخرجا وقال يجعل له مخرجا يخلصه من كرب الدنيا والاخرة والظاهر
ان قوله ومن يتق الله متعلق بامر ما سبق من احكام الطلاق وروي انها في غير هذا المعنى وهو ان
اسير ابن يسمى سالما لعوف بن مالك الاشجعي فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بالتقوى
فقيل ثم لم يلبث ان تفلت ولده واستاق ما بها من الابل كذا في الكشاف وفي الوجيز فطيعا
من الغنم كانت للذين اسروه وجا اباه فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايطيب له فقال نعم ونزلت
الاية وقال الضحاك ويرزقه من حيث لا يحتسب امراة اخرى وقيل ومن يتق الحرام يجعل له مخرجا
الى الحلال وقيل مخرجا من الشدة الى الرخا وقيل من النار الى الجنة وقيل من العقوبة ۝ ويرزقه من

من حيث لا يحتسب من الثواب وقال الكلبي ومن يتق الله عند المصيبة يجعل له مخرجا الى الجنة
ومن يتوكل على الله اي يفوض امره اليه فهو حسبه اي كافيه • ان الله بالغ امره قال مسروق اي لا بد
من نفوذ امر الله توكلت او لم تتوكل • وقرا الجمهور بالغ بالتنوين امره بالنصب وحفص والمفضل
وابان وجبلة وابن ابي عبلة وجماعة عن ابي عمرو ويعقوب وابن مصرف وزيد بن علي بالاضافة وابن
ابي عبلة ايضا وداود بن ابي هند وعصمة عن ابي عمرو بالغ امره رفع اي نافذ امره والمفضل بالغا
ايضا بالنصب امره بالرفع وخرجه الزمخشري على انه بالغا حال وخبران هو قوله تعالى قد جعل تجوران و
الله ويخرج هذه القراءة على قول من نصب بان الجزئين كقوله •
• اذا اسود جنح الليل فلتات ولتكن خطاك خفافا ان حراسنا اسدا •
ومن رفع امره فمفعول بالغ محذوف تقديره بالغ امره ما شا • قد جعل الله لكل شي قدرا • اي تقديرا
وميقاتا لا يتعداه وهذه الجمل تحضه على التوكل وقرا جناح بن حبيش قدرا بفتح الدال والجمهور باسكانها
قوله تعالى والائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر • واللائي لم يحضن
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن • ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا • ذلك امر الله انزله
اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا • اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن
اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى • لينفق ذو سعة من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا
وروي ان قوما منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر او كبر فنزلت هذه الاية فقال قايل
فما عدة الحامل فنزلت واولات الاحمال اجلهن وقرا الجمهور يئسن فعلا ماضيا وقري ييأسن مضارعا
ومعنى ان ارتبتم في انها يئست ام لا لاجل مكان ظهور الحمل وان كان انقطع دمها وقيل ان ارتبتم
في دم البالغات مبلغ الياس اهو دم حيض او استحاضة واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير
المرتاب بها اولى بذلك وقدر بعضهم مبلغ الياس بستين سنة وبعضهم بخمس وخمسين وقيل غالب
سن ياس عشيرة المراة وقيل اقصى عادة امراة في العالم وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة
اطبق بها الدم لا تدري هو دم حيض او دم علة وقيل ان ارتبتم [illegible] فلم تدر
وا ما حكمهن فلم تدروا ما حكمهن فالحكم ان عدتهن ثلاثة اشهر [illegible] ان ارتبتم
فلم تدروا ما الحكم فقيل ان [illegible] يتقيم اياسهن وهو من الاعتداد وقال الزجاج
المعنى ان ارتبتم في حيضها [illegible] تحيض مثلها وقال مجاهد ايضا ان ارتبتم
هو للمخاطبين اي ان لم تعلموا [illegible] لم يحضن فالعدة هذه فتلخص في قوله ان ارتبتم
قولان احدهما انه على [illegible] وهو حصول الشك والاخر ان معناه التيقن للاياس
والقول الاول معناه ان ارتبتم في دم [illegible] حيض او دم علة وان ارتبتم في علوق بحمل ام لا
وان ارتبتم اي جهلتم [illegible] اقوال والظاهر ان قوله واللائي لم يحضن يشمل من لم يحض لصغر
ومن لا يكون لها حيض البتة وهو موجود في النسا وهو انها تعيش الى ان تموت ولا تحيض ومن اتى عليها
زمان الحيض وما بلغت به ولم تحض فقيل هذه تعتد سنة • واللائي لم يحضن معطوف على
واللائي يئسن فاعرابه مبتدا كاعراب واللائي لم يئسن وقدروا خبره جملة من جنس خبر الاول
اي فعدتهن ثلاثة اشهر والاولى ان يقدر مثل اولئك او كذلك فيكون المقدر الجملة مفرد الاجلة

واولات

واولات الاحمال عام في المطلقة وفي المتوفى عنها زوجها وهو قول عمر وابن مسعود وابي مسعود البدري
وابي هريرة وفقهاء الامصار وقال علي وابن عباس واولات الاحمال في المطلقات واما المتوفى عنها
فعدتها اقصى الاجلين فلو وضعت قبل اشهر وعشرا صبرت الى اخرها والحجة عليهما حديث سبيعة وقال اربعة ؟
ابن مسعود من شا لاعنته نزلت واولات الاحمال الاجل بعد اية المتوفى عنها زوجها وقرا الجمهور حملهن
مفردا والضحاك احمالهن جمعا ذلك امر الله يريد ما علم من حكم المعتدات وقرا الجمهور يعظم بالياء مضارع
اعظم والاعمش نعظم بالنون خروجا من الغيبة للتكلم وابن مقسم بالياء والتشديد مضارع عظم
مشددا ولما كان الكلام في امر المطلقات واحكامهن من العدد وغيرها وكن لا يطلقن ازواجهن
الا عن بغض لهن وكراهة جاء عقيب بعضها الجمل الامر بالتقوى من حيث المعنى مبرزا في صورة شرط
وجزا في قوله ومن يتق الله اذ كان الزوج المطلق قد ينسب الى مطلقته بعض ما يشينها به وينفر
الخطاب عنها ويوهم انه انما فارقها لامر ظهر له فلذلك تكرر قوله ومن يتق الله في العمل بما انزله
من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من ترك الضرار والنفقة على المعتدات وغير
ذلك مما يلزمه يرتب له تكفير السيئات واعظام الاجر ومن في من حيث سكنتم للتبعيض اي
بعض مكان سكناكم وقال قتادة ان لم يكن له الا بيت واحد اسكنها في بعض جوانبه قاله الزمخشري
وقال الحوفي من لابتداء الغاية وكذا قال ابو البقا ومن وجدكم قال الزمخشري فان قلت فقوله مكانا و
من وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من
مسكنكم مما تطيقونه والوجد والطاقة انتهى ولا نعرف عطف بيان يعاد فيه العامل انما هذا طريقة
البدل مع حرف الجر ولذلك اعربه ابو البقا بدلا من قوله من حيث سكنتم وقرا الجمهور من وجدكم بضم
الواو والحسن والاعرج وابن ابي عبلة وابو حيوة بفتحها والفياض عن عمرو بن ميمون
ويعقوب بكسرها وذكرها المهدوي عن الاعرج وهي لغات ثلاث بمعنى الوسع والوجد بالفتح
يستعمل في الحزن والغضب والحب ويقال وجدت في المال ووجدت على الرجل وجدا وموجدة
ووجدت الضالة وجدانا والوجد بالضم الغنى والفقر يقال افتقر الرجل بعد وجد ولما امر تعالى
باسكان المطلقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت واما المبتوتة فقال ابن المسيب وسليمان بن
يسار وعطا والشعبي والحسن ومالك والاوزاعي وابن ابي ليلى والشافعي وابو عبيد لها السكنى
ولا نفقة لها وقال الثوري وابو حنيفة لها السكنى والنفقة وقال الحسن واحمد وحماد واحمد واسحاق
وابو ثور لا سكنى لها ولا نفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض
الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل
هو المضارة في مراجعتها اذا بقي من عدتها قليل ثم يطلقها فيطول حبسها في عدتها الثانية وقيل
الجاوها الى ان تفتدي منه • وان كن اولات حمل لا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بتت او لم تبت
فان كانت متوفى عنها فاكثر العلما على انه لا نفقة لها وعن علي وابن مسعود يجب نفقتها في التركة • فان
ارضعن لكم اي ولدت وارضعن المولود وجب لها النفقة وهي الاجر والكسوة وساير المؤن على ما ذكر
في كتب الفقه ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد بينهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي
وفي تعميم المطلقات بالسكنى وتخصيص اولات الاحمال بالنفقة دليل على ان غيرها من المطلقات لا يشاركها
في النفقة • ولتشاوركم في السكنى • وائتمروا افتعلوا من الامر يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر
بعضهم بعضا والخطاب للاباء والامهات اي وليامر بعضكم بعضا بمعروف اي في الاجرة والارضاع والعرف
الجميل بان تسامح الام ولا يماكس الاب لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه

وقال الكسائي وابن مسعود وائتمروا ووروا ومنه قوله تعالى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك • وقول امرئ القيس
• ويعدو على المرء ما يأتمر • وقيل المعروف الكسوة والدثار • وان تعاسرتم اي تضايقتم
وتشاكستم فلا ترضى الام بما ترضى به الاجنبية وابى الزوج الزيادة او ان ابى الزوج الارضاع الا
مجانا وابت هي الا بعوض فسترضع له اخرى اي فليستأجر غيرها وليس له اكراهها فان لم يقبل الا ثدي
امه اجبرت على الارضاع باجرة مثلها ولا يختص هذا الحكم من وجوب الارضاع بالمطلقة بل المنكوحة في معناها
وقيل فسترضع خبر في معنى الامر اي فلترضع له اخرى وفي قوله فسترضع له اخرى يسير معاتبة للام له
اذا تعاسرت كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت
ملوم والضمير في له عائد على الاب كما تعدى في قوله • فان ارضعن لكم اي للازواج لينفق الموسر
والمقرور عليه مما اتاه وسعة اي على المطلقات والمرضعات ولا يكلف ما لا يطيقه والظاهر ان المأمور
بالانفاق الازواج وهذا اصل في وجوب نفقة الولد على الوالد دون الام وقال محمد بن المواز انها
على الابوين على قدر الميراث وفي الحديث يقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني ذكره من صحيح البخاري
وقرا الجمهور لينفق بلام الامر وحكى ابو معاذ لينفق بلام كي ونصب القاف ويتعلق بمحذوف
تقديره شرعنا ذلك لينفق وقرا الجمهور قدر مخففا وابن ابي عبلة مشددا اللاه سيجعل الله وعد
من قدر عليه رزقه بفتح له ابواب الرزق ولا يختص هذا الوعد بفقراء ذلك الوقت ولا بفقراء
الازواج مطلقا بل من انفق ما قدر عليه ولم يقصر ولو عجز عن نفقة امراته فقال ابو هريرة
والحسن وابن المسيب ومالك والشافعي واحمد واسحاق يفرق بينهما وقال عمر بن عبد العزيز وجماعة
لا يفرق بينهما قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا
وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا
فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات
ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور • ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما
تقدم الكلام على كاين في ال عمران وعلى نكرا في الكهف عتت اعرضت على سبيل العناد عن امر ربها
والتكبر والظاهر في فحاسبناها الجمل الاربعة ان ذلك في الدنيا لقوله بعدها اعد الله لهم عذابا شديدا
وظاهره ان المعد عذاب الاخرة والحساب الشديد هو الاستقصا والمناقشة فلم تغتفر لهم زلة
بل اخذوا بالدقائق من الذنوب وقيل الجمل الاربعة من الحساب والعذاب والذوق والخسر في الاخرة
وجي به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة ويكون قوله اعد الله لهم تكريرا للوعيد وبيانا
لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب وقال الكلبي الحساب في الاخرة والعذاب النكر في الدنيا
بالجوع والسيف والسخط ولما ذكر ما حل بهذه القرية العاتية امر المتقين بتقوى الله تحذيرا من عقابه
وبنعلها بحض على التقوى وهو انزال الذكر والظاهر ان الذكر هو القران وان الرسول هو محمد صلى الله عليه
وسلم فاما ان يجعل نفس الذكر مجازا لكثرة يقوم منه الذكر فكان هو الذكر او يكون نزيد على حذف
مضاف اي ذكر رسول وقيل رسولا نعته على حذف رسولا فيكون رسولا بعينه الذكر المحذوف
او بدلا وقيل رسولا بمعنى رسالة فيكون بدلا من ذكرا ويبعده قوله بعد يتلوا عليكم والرسالة
لا تسند التلاوة اليها الا مجازا وقيل الذكر اسم من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الذكر الشرف لقوله
وانه لذكر لك ولقومك فيكون رسولا بدلا منه وبيانا له وقال الكلبي الرسول هنا هو جبريل عليه السلام

وتبعه الزمخشري فقال رسولا هو جبريل عليه السلام ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله
في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا
اشتمال وهذه الاعاريب على ان يكون ذكر ورسولا لشي واحد وقيل رسولا منصوب بفعل محذوف
اي بعث رسولا او ارسل رسولا وحذف لدلالة انزل عليه ونحا الى هذا السدي واختاره ابن عطية وقال
الزجاج وابو علي الفارسي يجوز ان يكون رسولا معمولا للمصدر الذي هو الذكر انتهى فيكون
المصدر مقدرا بان والفعل تقديره ان ذكر رسولا وعمل منونا كما عمل والطعام ذو مسغبة يتيما
وكما قال الشاعر • بضرب بالسيوف رؤس قوم • ازلنا هامهن عن المقيل • وقرئ رسول
بالرفع على اضمار هو ليخرج يصح ان يتعلق بيتلوا وبانزل • الذين امنوا اي الذين قضى وقدر وارادا
ايمانهم او اطلق عليهم امنوا باعتبار ما ال امرهم اليه وقال الزمخشري ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من
الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مومنين وانما امنوا بعد الانزال والتبليغ انتهى والضمير
في ليخرج عايد على الله تعالى او على الرسول صلى الله عليه وسلم او على الذكر ومن يومن راعى اللفظ اولا في من
الشرطية فافرد الضمير في يومن ويعمل ويدخله ثم راعى المعنى في خالدين ثم راعى اللفظ في قد احسن الله
له فافرد واستدل النحويون بهذه الاية على مراعاة اللفظ اولا ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ واورد
بعضهم ان هذا ليس كما ذكروا لان الضمير في خالدين ليس عايدا على من بخلاف الضمير في يومن ويعمل ويدخله
وانما هو عايد على مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط • الله الذي خلق
سبع سموات لا خلاف ان السموات سبع بنص القران والحديث كما جا في حديث الاسرا ولقوله صلى الله
عليه وسلم لسعد حكمت بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة وغيره من نصوص الشريعة وقرا الجمهور مثلهن
بالنصب والمفضل عن عاصم وعصمة عن ابي بكر مثلهن بالرفع والنصب قال الزمخشري عطفا على سبع سموات
انتهى وفيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف وهو على الواو والمعطوف وهو يختص بالضرورة
ابو علي الفارسي واضمر بعضهم العامل بعد الواو لدلالة ما قبله عليه اي وخلق من الارض مثلهن فمثلهن
مفعول للفعل المضمر لا معطوف وصار ذلك من عطف الجمل والرفع على الابتدا ومن الارض الخبر
والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الاوصاف فقال الجمهور المثلية في العدد اي مثلهن في كونها سبع سموات
ارضين وفي الحديث طوقه من سبع ارضين ورب الارضين السبع وما اقللن فقيل سبع طباق من غير
فتوق وقيل بين كل طبقة وطبقة مسافة قيل وفيها سكان من خلق الله فقيل ملائكة وجن وعن
ابن عباس من رواية الواقدي الكذاب قال في كل ارض ادم كادم ونوح كنوح ونبي كنبيكم وابراهيم كابراهيم
وعيسى كعيسى وهذا حديث لا شك في وضعه وقال ابو صالح انها سبع ارضين منبسطة ليس
بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السما يتنزل الامر بينهن من السموات السبع الى الارضين
السبع وقال مقاتل وغيره الامر هنا الوحي فبينهن اشارة الى بين هذه الارض التي هي ادناها وبين السما
السابعة وقال الاكثرون الامر القضا فبينهن اشارة الى بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السما
السابعة التي هي اعلاه وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة وموت وغنى وفقر وقيل هو ما يدبر فيهن
من عجيب تدبيره وقرا الجمهور يتنزل مضارع تنزل وقرا عيسى وابو عمرو في رواية ينزل مضارع
نزل مشددا الامر بالنصب والجمهور لتعلموا بتا الخطاب وقرئ بيا الغيبة والله تعالى اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم سورة التحريم قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم • قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم
الحكيم • واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض

فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير • إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا
عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير • عسى ربه إن طلقكن أن
يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا • يا أيها الذين ازواجا
آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون • يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون • هذه
السورة مدنية وسبب نزولها ما يأتي ذكره في تفسير أوائلها والمناسبة بينها وبين السورة قبلها
أنه لما ذكر جملة من أحكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات المومنين رسول الله
صلى الله عليه وسلم • يا أيها النبي نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس
بمعصوم لم تحرم سؤال تلطف ولذلك قدم قبله يا أيها النبي كما جاء في قوله تعالى عفا الله عنك
لم أذنت لهم ومعنى تحرم تمتنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله وإنما هو امتناع لتطييب خاطر
بعض من يحسن معه العشرة • ما أحل الله لك هو مباشرة مارية جاريته وكان صلى الله عليه وسلم
ألم بها في بيت بعض نسائه فغارت من ذلك صاحبة البيت فطيب خاطرها بامتناعه منها
واستكتمها ذلك فأفشته إلى بعض نسائه فكانت بينهما [illegible] وقيل هو عسل كان يشربه
عند بعض نسائه فكان يتناوب بينهن لذلك فغار بعضهن من دخوله بيت التي عندها العسل وتواصين
على أن يذكرن له أن رائحة ذلك العسل ليس بطيب فقال لا أشربه وللزمخشري هنا كلام أضربت
عنه صفحا كما ضربت عن كلامه في قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم وكلامه هذا ونحوه يخفق فوقه
فيه وبعزوه إلى المعصوم ما ليس لائقا فلو حرم الإنسان على نفسه شيئا أحل الله كشرب
عسل أو وطء سرية واختلفوا إذا قال لزوجته أنت علي حرام أو الحلال علي حرام ولم يستثن زوجته
فقال جماعة منهم الشعبي ومسروق وربيعة وأبو سلمة وأصبغ هو كتحريم الماء والطعام وقال
تعالى لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما أحله الله وقال أبو بكر وعمر وزيد
وابن عباس وابن مسعود وعائشة وابن المسيب وعطاء وطاوس وسليمان بن يسار وابن
جبير وقتادة والحسن والأوزاعي وأبو ثور وجماعة هو يمين يكفرها وقال ابن مسعود وابن عباس
أيضا في إحدى روايتيه والشافعي في أحد قوليه فيه تكفير يمين وليس بيمين وقال أبو حنيفة وسفيان
والكوفيون هو ما أراد من الطلاق فإن لم يرد طلاقا فهو لا شيء وقال آخرون كذلك فإن لم يرد فهو
يمين وفي التحرير قال أبو حنيفة وأصحابه إن نوى الطلاق فواحدة بائنة وإن نوى ثنتين فواحدة أو ثلاثا
فثلاث أو لم ينو شيئا فيمين وهو مول وإن نوى الظهار فظهار وقال ابن القاسم لا تنفعه نية الظهار
ويكون طلاقا وقال يحيى بن عمر يكون طلاقا فإن ارتجعها فلا يجوز له وطؤها حتى يكفر كفارة الظهار
ما أراد من أعداده فإن نوى واحدة فرجعية وهو قول الشافعي وقال الأوزاعي وسفيان وأبو ثور
أي شيء نوى به من الطلاق وقع وإن لم ينو شيئا فقال سفيان لا شيء عليه وقال الأوزاعي وأبو ثور
تقع واحدة وقال الزهري له نيته ولا يكون أقل من واحدة فإن لم ينو فلا شيء عليه وقال ابن جبير عليه
عتق رقبة وإن لم يكن ظهارا وقال أبو قلابة وعثمان وأحمد وإسحاق التحريم ظهار ففيه كفارة
وقال الشافعي إن نوى أنها محرمة كظهر أمه فظهار أو تحريم عينها بغير طلاق ولم ينو فكفارة يمين
وقال مالك هي ثلاث في المدخول بها وينوي في غير المدخول بها فهو ما أراد واحدة أو ثنتين أو ثلاثا وقاله
علي وزيد وأبو هريرة وقيل في المدخول بها ثلاث قاله علي أيضا وزيد بن أسلم والحكم وقال ابن أبي ليلى وعبد
الملك بن الماجشون هي ثلاث في الوجهين ولا ينوي في شيء وروى ابن خويز منداد عن مالك وقاله زيد

وحماد

وحماد بن أبي سليمان أنها واحدة بائنة في المدخول بها وغير المدخول بها وقال الزهري وعبد العزيز بن
بن الماجشون هي واحدة رجعية وقال أبو مصعب ومحمد بن الحكم هي في التي لم يدخل بها واحدة
وفي المدخول بها ثلاث وفي الكشاف لا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن
وإن نوى الطلاق فهو رجعي وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة وعن عثمان
ظهار انتهى وقال أيضا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله هو حرام علي
وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل
الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا
عليه المراضع أي منعناه منها انتهى وتبتغي في موضع الحال وقال الزمخشري تفسير لتحرم أو استئناف مرضات
رضي أزواجك أي بالامتناع مما أحله الله لك • قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم الظاهر أنه كان حلف على أنه يمتنع
من وطء مارية أو من شرب ذلك العسل على الخلاف في السبب وفرض أحال لا على أنه العقود ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الأيمان وتحلة مصدر حلل كتكرمة من كرم وليس مصدرا مقيسا والمقيس التحليل والتكرم وكان
قياس تفعل الصحيح العين غير المهموز هو التفعيل وأصل هذا تحللة فأدغم وعن مقاتل أعتق رقبة
في تحريم مارية وعن الحسن لم يكفر انتهى خرج على أنه لم يكن ثم يمين وبعض أزواجه حفصة والحديث
هو تحريم مارية • فلما نبأت به أي أخبرت عائشة وقيل الحديث إنما هو شربت عسلا وقال ميمون بن
مهران هو إسراره إلى حفصة أن أبا بكر وعمر يملكان أمر أمتي من بعدي خلافة وقرأ الجمهور فلما نبأت به
وطلحة أنبأت والعامل في إذ اذكروا ذكر ذلك على سبيل التأنيب لمن أسر له فأفشاه ونبأ وأنبأ الأصل
أن يتعديا إلى واحد بأنفسهما وإلى ثان بحرف الجر ويجوز حذفه فتقول نبأت به المفعول الأول كما ابن هشام
أي عنها ومن أنبأك هذا أي قال نبأني أي نبأني به وأنبأنيه فإذا ضمنت معنى أعلم تعدت إلى ثلاثة
مفاعيل كقول الشاعر • نبئت زرعة والسفاهة كاسمها • تهدي إلي غرائب الأشعار •
وأظهره الله عليه أي أطلعه على إفشائه وكان قد كتمه فيه وذلك بإخبار جبريل عليه السلام وجاءت
الكناية هنا عن القصة والحديث المفشى إليها بالسر حياطة وصونا عن التصريح بالأسماء ولا يتعلق بالتصريح
بالاسم غرض وقرأ الجمهور عرف بتشديد الراء والمعنى أعلم به وأنب عليه وقرأ السلمي والحسن وقتادة وطلحة
والكسائي وأبو عمرو في رواية هارون عنه بتخفيف الراء أي جازى بالعتب واللوم كما تقول لمن يؤذيك
لأعرفن لك ذلك أي لأجازينك وقيل إنه طلق حفصة وأمر بمراجعتها وقيل عاتبها ولم يطلقها وقرأ
ابن المسيب وعكرمة عراف بألف بعد الراء وهي إشباع وقال ابن خالويه ويقال إنها لغة يمانية ومثالها
قوله • أعوذ بالله من العقراب • الشائلات عقد الأذناب • يريد من العقرب • وأعرض عن بعض
أي تكرما وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل
من فعل الكرام ومفعول عرف المشدد محذوف أي عرفها بعضه أي أعلم ببعض الحديث وقيل المعرف
خلافة الشيخين والذي أعرض عنه حديث مارية ولما أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتتمتها
إياه ونبأها الرسول صلى الله عليه وسلم به ظنت أن عائشة فضحتها فقالت من أنبأك هذا على سبيل
التثبت فأخبرها أن الله هو الذي نبأه به فسكتت وسلمت إن تتوبا إلى الله انتقال من غيبة إلى
خطاب ويسمى الالتفات والخطاب لحفصة وعائشة فقد صغت مالت عن الصواب وفي حرف عبد الله
فقد زاغت وأتى بالجمع في قوله قلوبكما وحسن ذلك إضافته إلى مثنى وهو ضميرهما والجمع في مثل هذا أكثر
استعمالا من المثنى والتثنية دون الجمع كما قال الشاعر •
فتخالسا نفسيهما بنوافذ • كنوافذ العبط التي لا ترقع • وهذا كان القياس وذلك أن يعبر

وهذا كان ابن عباس وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع لأن التثنية جمع في المعنى والإفراد لا يجوز عند أصحابنا إلا في الشعر كقوله ۞

۞ حمامة بطن الواديين ترنمي ۞ يريد بطني وغلط ابن مالك فقال في كتاب التسهيل ويختار لفظ الإفراد على لفظ التثنية وقرأ الجمهور تظاهرا بتشديد الظاء وأصله تتظاهرا وأدغمت التاء في الظاء وبالأصل قرأ عكرمة وبتخفيف الظاء قرأ أبو رجاء والحسن وطلحة وعاصم ونافع في رواية وبتشديد الظاء والهاء دون ألف قرأ أبو عمرو في رواية والمعنى وإن تتعاونا عليه في إفشاء سره والإفراط في الغيرة فإن الله هو مولاه أي مظاهره ومعينه والأحسن الوقف على قوله مولاه ويكون وجبريل مبتدأ وما بعده معطوف عليه والخبر ظهير فيكون ابتداء الجملة بجبريل وهو أمين وحي الله واختتامه بالملائكة وبدئ بجبريل وأفرد بالذكر تعظيما له وإظهارا لمكانته عند الله تعالى ويكون قد ذكر مرتين مرة بالنص ومرة في العموم واكتنف صالح المؤمنين جبريل تشريفا لهم واعتناء بهم إذ جعلهم بين الذين يسبحون بالليل والنهار لا يفترون فعلى هذا جبريل داخل في الظهور لا في الولاية ويختص الرسول بأن الله هو مولاه ويجوز أن يكون وجبريل وصالح المؤمنين عطفا على اسم الله فيدخلان في الولاية ويكون والملائكة مبتدأ والخبر ظهير فيكون جبريل داخلا في الولاية بالنص وفي الظهير بالعموم والظاهر عموم صالح المؤمنين فيشمل كل صالح وقال قتادة والعلاء بن زيد هم الأنبياء وتكون مظاهرتهم له كونهم قدوة فهم ظهراء بهذا المعنى وقال عكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد المراد أبو بكر وعمر وزاد مجاهد وعلي بن أبي طالب وقيل الصحابة وقيل الخلفاء وعن ابن جبير من برئ من النفاق وصالح يحتمل أن يراد به الجمع وإن كان مفردا فيكون كالسامر في قوله مستكبرين به سامرا أي سمارا ويحتمل أن يكون جمعا حذفت منه الواو خطا لحذفها لفظا كقوله سندع الزبانية وأفرد الظهير لأن المراد فوج ظهير وجمع ظهير وكثيرا ما أتى فعيل نحو هذا للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المفرد كأنهم في المظاهرة يد واحدة على من يعاديه فما قدر تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وذلك إشارة إلى تظاهرهما أو إلى الولاية وفي الحديث أن عمر قال يا رسول الله لا تكترث بأمر نسائك والله معك وجبريل معك وأبو بكر وأبو بكر وأنا معك فنزلت وروي عنه أنه قال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه إن طلقكن الآية فنزلت وقرأ الجمهور طلقكن بفتح القاف وأبو عمرو في رواية ابن عباس بإدغامها في الكاف وتقدم ذكر الخلاف في أن يبدله في سورة الكهف والمبدل به مخبر وفيه دلالة المعنى عليه تقديره أن يبدله خيرا منكن لأنه إذا طلقكن كان تطليقه لسوء عشرتكن واللواتي يبدلهن يحفظن الأوصاف يكن خيرا منكن وبدأ في وصفهن بالإسلام وهو الانقياد ثم بالإيمان وهو التصديق ثم بالقنوت وهو الطواعية ثم بالتوبة وهي الإقلاع عن الذنب ثم بالعبادة وفيها التلذذ ثم بالسياحة وهي كناية عن الصوم قاله أبو هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك وقيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر بذلك قاله أيضا الحسن وابن جبير وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن قال الفراء والقتبي وسمي الصائم سائحا لأن السائح لا زاد معه وإنما يأكل من حيث يجد الطعام وقال زيد بن أسلم ويمان مهاجرات وقال ابن زيد ليس في الإسلام سياحة إلا الهجرة وقيل ذاهبات في طاعة الله عز وجل وقرأ الجمهور سائحات وعمرو بن فائد سيحات وهذه الصفات تجتمع وأما الثيوبة والبكارة فلا يجتمعان فلذلك عطف أحدهما على الآخر ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى وذكر الجنسين لأن في أزواجه صلى الله عليه وسلم من تزوجها

ثيبا

ثيبا ومن تزوجها بكرا والثيب الراجع بعد زوال العذرة يقال ثاب يثوب ثوبا ووزنه فيعل كسيد ولما وعظ أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم موعظة خاصة أتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم وعهدوا أهليكم على أنفسكم لأن رب المنزل راع وهو مسؤول عن أهله ومعنى وقايتهم حملهم على طاعته وإلزامهم أداء ما فرض عليهم قال عمر يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا قال تنهوهن عما نهاكم الله تعالى عنه وتأمروهن بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار ودخل الأولاد في وأهليكم وقيل دخلوا في أنفسكم لأن الولد بعض من أبيه فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي وقرئ وأهلوكم بالواو وهو معطوف على الضمير في قوا وحسن العطف للفصل بالمفعول وقال الزمخشري فإن قلت أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم قلت لا ولكن العطف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب انتهى وتقدم الخلاف في فتح الواو في قوله وقودها وضمها في البقرة وتفسير وقودها الناس والحجارة في البقرة عليها ملائكة هي الزبانية التسعة عشر وأعوانهم ووصفهم بالغلظ إما الشدة لجسامتهم وقوتهم وأما الغلظ طبعهم لقوله ولو كنت فظا غليظ القلب أي ليس فيهم رقة ولا حنو على العصاة وانتصب ما أمرهم على البدل أي لا يعصون أمره لقوله تعالى أفعصيت أمري أو على إسقاط حرف الجر أي فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فيتكرر المعنى توكيدا وقال الزمخشري فإن قلت أليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه لا تعتذروا خطاب لهم عند دخولهم النار أنهم لا ينفعهم الاعتذار فلا فائدة فيه

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ۞ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ۞ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ۞ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ۞ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين

ذكروا في التوبة النصوح أربعة وعشرين قولا وروي عن عمر وعبد الله وأبي ومعاذ أنها التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع ورفعه معاذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الجمهور نصوحا بفتح النون وصفا للتوبة وهو من أمثلة المبالغة كضروب وقتول وقرأ الحسن والأعرج وعيسى وأبو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع بضمها وهو مصدر وصف به ووصفها بالنصح على سبيل المجاز إذ النصح صفة التائب وهو أن ينصح نفسه بالتوبة فيأتي بها على طريقها وهي خلوصها من جميع الشوائب المفسدة لها من قولهم عسل ناصح أي خالص من الشمع أو من النصاحة وهي الخياطة إذ أخذ أحكامها وأوثقها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه وسمع علي أعرابيا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا إن سرعة

اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشيا على الماضي من الذنوب
الندامة وعلى الفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود وان
تذيب نفسك في طاعة الله كما اذبتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة
المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب من الذنب ثم يعود فيه انتهى ونصوحا
من نصح فاحتمل وهو الظاهر ان تكون التوبة تنصح نفس التائب واحتمل ان يكون متعلق
النصح الناس اي يدعوهم الى مثلها لظهور امرها على صاحبها وقرا زيد بن علي توبا بغير تا ومن
قرا بالضم جاز ان يكون مصدرا وصف كما قدمناه وجاز ان يكون مفعولا له اي توبوا للنصح
انفسكم وقرا الجمهور ويدخلكم عطفا على ان يكفر وقال الزمخشري عطفا على محل عسى ان يكفر
كانه قيل توبوا يوجب تكفير سياتكم ويدخلكم انتهى والاولى ان يكون حذف الحركة تخفيفا وتشبيها
لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة تقول في قمع ونطع قمع وقطع يوم لا يخزي منصوب بيدخلكم
ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والنبي هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
الحديث انه صلى الله عليه وسلم تضرع الى الله عز وجل في امر امته فاوحى الله تعالى اليه ان شئت
جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال تعالى اذا لا اخزيك فيهم وجاز ان يكون والذين
معطوفا على النبي فيدخلون في انتفا الخزي وجاز ان يكون مبتدا والخبر نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم وقرا سهل بن شعيب وابو حيوة وبايمانهم بكسر الهمزة وتقدم في الحديد يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا قال ابن عباس والحسن يقولون ذلك اذا طفي نور المنافقين وقال الحسن ايضا
يدعونه تقربا اليه كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله من يمر على الصراط زحفا
وحبوا وقيل يقوله من يعطى من النور مقدار ما يبصر به موضع قدميه يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين تقدم تفسير نظير هذه الاية في التوبة ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب تعالى المثل لهم
بامراة نوح وامراة لوط في انه لا ينفعهم في كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر اذ الكفر قاطع العلائق
بين الكافر والمومن وان كان المومن في اقصى درجات الصلاح الا ترى الى قوله تعالى انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح كما لم ينفع تلك المراتين مع كونهما زوجتي نبيين وجاءت الكناية عن اسميهما العلمين
بقوله عبدين من عبادنا لما في ذلك من التشريف بالاضافة اليه تعالى ولم يات التركيب بالضمير
عنهما فيكون تحتهما لما قصد من ذكر وصفهما بقوله صالحين لان الصلاح هو الوصف الذي يمتاز
به من اصطفاه الله تعالى كقوله في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانه في الاخرة لمن الصالحين
وفي قوله يوسف عليه السلام والحقني بالصالحين وقول سليمن عليه السلام وادخلني
في عبادك الصالحين • فخانتاهما وذلك بكفرهما وقول امراة نوح عليه السلام هو مجنون ونميمة
امراة لوط عليه السلام بمن ورد عليه من الاضياف قاله ابن عباس وقال لم تزن امراة نبي
قط ولا ابتلي في نسايه بالزنى قال في التحرير وهذا اجماع للمفسرين وفي كتاب ابن عطية
وقال الحسن في كتاب النقاش فخانتاهما بالكفر والزنا وغيره وقال الزمخشري ولا يجوز ان يراد
بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفر لا يستسمجونه حقا وقال
الضحاك خانتاهما بالنميمة كان اذا اوحى اليه بشي افشتاه للمشركين وقيل خانتاهما بنفاقهما
قال مقاتل اسم امراة نوح واهلة واسم امراة لوط والعة • فلم يغنيا اي الغنية والالف ضمير نوح ولوط
اي على قربهما منهما فرق بينهما الخيانة وقيل ادخلا النار اي وقت موتهما او يوم القيامة مع الداخلين
الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا عليهم السلام او مع من دخلها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط

وقرا

وقرا مبشر بن عبيد تغنيا بالتا والالف ضمير المراتين ومعنى عنهما عن انفسهما ولا بد من
هذا المضاف الا ان تجعل عن اسما كهي في دع عنك لانها ان كانت حرفا كان في ذلك تعدية الفعل الرافع
للضمير المتصل الى ضميره المجرور وهو يجري مجرى المنصوب المتصل وذلك لا يجوز وضرب
الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون مثل حال المومنين في ان وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقص من
ثوابهم بحال امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون عدو الله
تعالى والمدعي الالهية بل نجاها منه ايمانها وبحال مريم اذ اوتيت من كرامة الله تعالى في الدنيا والاخرة
والاصطفا على نسا العالمين مع ان قومها كفار اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة هذا يدل على ايمانها
وتصديقها بالبعث قيل كانت عمة موسى عليه السلام وامنت حين سمعت تلقف عصاه ما افك
السحرة طلبت من ربها القرب من رحمته وكان ذلك اهم عندها فقدمت الظرف وهو عندك بيتا
ثم بينت مكان القرب فقالت في الجنة وقال بعض الظرفا وقد سيل اين في القران مثل قولهم الجار قبل
الدار قال قوله تعالى ابن لي عندك بيتا في الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا في الجنة هو الدار وقد تقدم
عندك على قوله بيتا ونجني من فرعون قيل دعت بهذه الدعوات حين امر فرعون بتعذيبها
لما عرف ايمانها بموسى عليه السلام وذكر المفسرون انواعا مضطربة في تعذيبها وليس في القران
نص انها عذبت وقال الحسن لما دعت بالنجاة نجاها الله تعالى اكرم نجاة ورفعها الى الجنة تاكل
وتشرب وتتنعم وقيل لما قالت ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى • وعمله
قيل كفره وقيل عذابه وظلمه وشماتته وقال ابن عباس الجماع • ونجني من القوم الظالمين قال
الكلبي اهل مصر وقال مقاتل القبط وفي هذا دليل على الالتجا الى الله تعالى عند المحن وسوال
الخلاص منها وان ذلك من سنن الصالحين والانبيا ومريم معطوف على امراة فرعون ابنة
عمران • التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا تقدم تفسير نظير هذه في سورة الانبيا
عليها السلام وقرا الجمهور ابنت بفتح التا وايوب السختياني ابنه بسكون الها وصلا اجراه مجرى
الوقف وقرا الجمهور فنفخنا فيه اي في الفرج وعبد الله فيها كما في سورة الانبيا اي في الجملة وجمع تعالى
في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لقلوبهن وقرا الجمهور وصدقت
بشد الدال ويعقوب وابو مجلز وقتاده وعصمة عن عاصم بخفها اي كانت صادقة بما اخبرت به
من امر عيسى عليه السلام وما اظهر الله لها من الكرامات وقرا الجمهور بكلمات جمعا فاحتمل ان تكون
الصحف المنزلة على ادريس وغيره عليهم السلام وسماها كلمات لقصرها ويكون المراد بكتبه الكتب
الاربعة واحتمل ان تكون الكلمات ما كلم الله تعالى به ملايكته وغيرهم وبكتبه جميع ما يكتب في اللوح
المحفوظ وغيره واحتمل ان تكون الكلمات ما صدر في امر عيسى عليه السلام وقرا الحسن ومجاهد
والجحدري بكلمة على التوحيد فاحتمل ان يكون جنس اسم واحتمل ان يكون كناية عن عيسى لانه قد اطلق
عليه انه كلمة الله القاها الى مريم وقرا ابو عمرو وحفص وكتبه جمعا وراوي كذلك خارجة •
عن نافع وقرا باقي السبعة وكتابه على الافراد فاحتمل ان يراد به الجنس وان يراد به الانجيل لا سيما
ان فسرت الكلمة بعيسى وقرا ابو رجا وكتبه قال ابن عطية بسكون التا وكتبه كلها يراد به التوراة والانجيل
وقال صاحب اللوامح وابو رجا وكتبه بفتح الكاف وهو مصدر اقيم مقام الاسم قال سهل
وكتبه اجمع الا من كتابه ان فيه موضع المضاف موضع الجنس فالكتبه عام والكتاب هو الانجيل
فقط انتهى • وكانت من القانتين غلب الذكور على الاناث والقانتين شامل للذكور والاناث
ومن للتبعيض وقال الزمخشري ويجوز ان يكون لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب

هارون اخي موسى صلوات الله وسلامه عليهما وقال يحيى بن سلام مثل ضربه الله يحذر به عائشة
وحفصة من المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامراة فرعون
ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعات والثبات على الدين انتهى واخذ الزمخشري كلام ابن
سلام هذا وحسنه وزمكه بفصاحته فقال وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي
المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه من التغليظ ومن قوله ومن كفر وجه
فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين
علا انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصين والتعريض
بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار
التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره انتهى
وقال ابن عطية وقال بعض الناس ان في المثلين عبرة لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم حين تقدم عتابهن
وفي هذا بعد لان النص انه للكفار يبعد هذا ● والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تبارك الذي بيده
الملك وهو على كل شيء قدير ● الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور ● الذي
خلق سبع سموات طباقا ● ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ● ثم ارجع
البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ● ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير ● وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ● اذا القوا
فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا
في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ● ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة
واجر كبير ● واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور ● الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ● هذه السورة مكية
ومناسبتها لما قبلها انه لما ضرب للكفار بتينك المراتين المحتوم لهما بالشقاوة وان كانتا تحت نبيين
ومثلا للمؤمنين باسية ومريم وهما محتوم لهما بالجنة وان كان قومهما كافرين كان ذلك تصرفا في
ملكه على ما سبق في قضائه فقال تبارك الذي بيده الملك وتعاظم الذي بيده الملك وهو كناية عن الاحاطة والقهر
وكثيرا ما جاء نسبة اليد اليه تعالى كقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء بيدك الخير وذلك في حقه تعالى استعارة
لتحقق الملك اذ كانت في عرف الادميين آلة للتملك والملك هنا على الاطلاق ليس ببيد ولا يختل وعن ابن عباس
ملك الملوك لقوله تعالى قل اللهم مالك الملك وناسب الملك ذكر وصف القدرة والحياة ما يصح بوجوده
الاحساس ومعنى خلق الموت ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون
وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر وفي الحديث انه فسر ايكم احسن
عملا ايكم احسن عقلا واشدكم خوفا واحسنكم في امره ونهيه نظرا وان كانت اقلكم تطوعا وعن ابن عباس
والحسن والثوري ايكم ازهدكم في الدنيا وقيل كنى بالموت عن الدنيا اذ هو واقع فيها وعن الاخرة بالحياة من
حيث لا موت فيها فكانه قال هو الذي خلق الدنيا والاخرة وصفهما بالمصدرين وقدم الموت لانه اهيب
في النفوس ● وليبلوكم متعلق بخلق وايكم احسن عملا مبتدا وخبر فقدر الحوفي قبلها فعلا تكون الجملة

في موضع

في موضع مفعوله وهو معلق عنه تقديره فينظر وقدره ابن عطية فينظر او فيعلم وقال الزمخشري فان
قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة
موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق
ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى
انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان
تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا انتهى واصحابنا
يسمون ما منعه الزمخشري تعليقا فيقولون في الفعل اذا عدي الى اثنين ونصب وجاءت بعده جملة
استفهامية او بلام الابتداء او بحرف نفي كانت الجملة معلقا عنها الفعل وكانت في موضع نصب وكما لو وقعت
في موضع المفعولين وفيهما ما يعلق الفعل عن العمل وقد تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الكهف في قوله
تعالى ليبلوهم ايهم احسن عملا وانتصب طباقا على الوصف لسبع فاما ان يكون مصدر طابق مطابقة
وطباقا لقولهم النعل خصفها طبقا على طبق وصف به على سبيل المبالغة واما على حذف مضاف
اي ذات طباق واما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب والمعنى بعضها فوق بعض
وما ذكر من موارد هذه السموات فالاولى من موج مكفوف ● والثانية من درة بيضاء ● والثالثة من
حديد ● والرابعة من نحاس ● والخامسة من فضة ● والسادسة من ذهب ● والسابعة من زمردة
بيضاء يحتاج الى نقل صحيح وقد كان بعض من ينتمي الى الصلاح وكان اعمى لا يبصر موضع قدمه يخبر انه [illegible]
السموات على بعض اوصاف مما ذكر ناس تفاوت قال ابن عباس من تفرق وقال السدي من عيب وقال
عطاء بن يسار من عدم استواء وقال قتادة اصله من الفوت وهو ان يفوت شيء شيئا فيقع الخلل وقيل
من اضطراب وقيل من اعوجاج وقيل من تناقض وقيل من اختلاف وقيل عدم التناسب والتفاوت
تجاوز الحد الذي يجب له زيادة او نقصا ● قال بعض الادباء ●

تناسبت الاعضاء فيه فلا ترى ● بهن اختلافا بل اتين على قدر ●

وقرا الجمهور من تفاوت
بالف مصدر تفاوت وعبد الله وعلقمة والاسود وابن جبير وطلحة والاعمش بتشديد الواو مصدر تفوت
وحكى ابو زيد عن العرب تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها والفتح والكسر شاذان والظاهر عموم خلق الرحمن
من الافلاك وغيرها فانه لا تفاوت فيه ولا فطور بل كل جار على الاتقان وقيل المراد في خلق الرحمن السموات
فقط والظاهر ان قوله تعالى ما ترى من استئناف انه لا يدرك في خلقه تعالى تفاوت وجعل الزمخشري
هذه الجملة صفة متابعة لقوله طباقا اصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق
الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته
هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ترى لكل مخاطب او للرسول صلى الله عليه وسلم ولما
اخبر تعالى انه لا تفاوت في خلقه امر بترديد البصر في الخلق المناسب فقال فارجع ففي الفاء معنى
التسبب والمعنى ان العيان يطابق الخبر والفطور قال مجاهد الشقوق فطر ناب البعير شق اللحم
وظهر ● قال الشاعر ●

بنى لكم بلا عمد سماء ● وسواها فما فيها فطور ●

وقال ابو عبيدة صدوع وانشد
قول عبيد بن عتبة بن مسعود ● شققت القلب ثم ذررت فيه ● هواك فليط فالتام الفطور ●
وقال السدي من خروق وقال قتادة من خلل ومنه التفطر والانفطار وقال ابن عباس من وهن وهذه تفاسير
متقاربة والجملة من قوله هل ترى من فطور في موضع نصب بفعل معلق محذوف اي فانظر هل ترى
من فطور في موضع نصب بفعل متعلق محذوف اي فانظر هل ترى وضمن معنى فارجع البصر معنى

فانظر ببصرك هل ترى فيكون معلقا ثم ارجع البصر اي رده كرتين هي تثنية لا يشفع الواحد بل يراد بها
التكرار كانه قال كرة بعد كرة اي كرات كثيرة كقولهم لبيك يريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض واريد
بالتثنية التكثير كما اريد بما هو اصل لها التكثير وهو مفرد عطف على مفرد نحو قوله لو عد قبر وقبر
كان امرهم بيتا وابعدهم عن منزل الذم * يريد لو عدت قبور كثيرة وقال ابن عطية وغيره كرتين معناه
مرتين ونصبه على المصدر وقيل ان ترجع البصر الى السماء مرتين غلط في الاولى فيستدرك بالثانية
وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها وقرا الجمهور ينقلب
جزما على جواب الامر والخوارزمي عن الكسائي برفع الباء اي فينقلب على حذف الفاء او على انه موضع
حال مقدرة اي ان رجعت البصر وكررت النظر لتطلب فطورا وشقوقا وخللا وعيبا رجع اليك
مبعدا عما طلبته لانتفاء ذلك عنها وهو كال من كثرة النظر وكلاله يدل على ان المراد بالكرتين ليس شفع
الواحد لانه لا يكل البصر بالنظر مرتين اثنتين والحسير الكال قال الشاعر *
* لهن الوجى لم كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وحسير * يقال حسر بعيره يحسر حسورا
اي كل وانقطع فهو حسير ومحسور قال الشاعر يصف ناقة *
* ومستظرها نظر العينين محسور * اي ونحوها وقد جمع حسير بمعنى اعيا وكل قال الشاعر
* بها جيف الحسرى فاما عظامها * البيت * السماء الدنيا هي التي نشاهدها والدنو امر نسبي والا
فليست قريبة بمصابيح اي بنجوم مضيئة كالمصابيح ومصابيح مطلق الاعلام فلا يدل اعتزال بسماء
الدنيا ليست هي فيها مصابيح * وجعلناها رجوما للشياطين اي جعلنا منها لان السماء ذاتها
ليست الرجوم هنا ان عاد الضمير في قوله وجعلناها على السماء والظاهر عوده على مصابيح ونسبة الرجم
اليها لان الشهاب المنقض للشيطان منفصل من نارها والكوكب قار في ملكه على حاله فالشهاب كقبس
يوخذ من النار والنار باقية لا تنقص والظاهر ان الشياطين مسترقي السمع وان الرجم هو حقيقته
يرمون بالشهب كما تقدم في سورة الحجر والصافات وقيل معنى رجوما ظنونا لشياطين الانس وسورة ق
وهم المنجمون ينسبون الى النجوم اشياء على جهة الظن من جهالهم والتمويه والاختلاق من اكاذيبهم ولهم
في ذلك تصانيف تشتمل على خرافات يموهون بها على الملوك وضعفاء العقول ويعملون موالد يحكمون
فيها باشياء لا يصح منها شي وقد وقفنا على اشياء من كذبهم في تلك الموالد وما يحكونه عن ابي معشر وغيره
من شيوخ السوء الكذب يغترون به الناس الجهال وقال قتادة خلق الله تعالى النجوم زينة للسماء
ورجوما للشياطين وليهتدى بها في البر والبحر فمن قال غير هذه الخصال الثلاث فقد تكلف واذهب
حظه من الاخرة والضمير في لهم عائد على الشياطين * وقرا الجمهور عذاب جهنم برفع الباء والضحاك
والاعرج واسيد بن اسيد المزني والحسن في رواية هارون عنه بالنصب عطفا على عذاب السعير اي
واعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به
ومثله حصب جهنم سمعوا لها اي لجهنم شهيقا اي صوتا مثل صوت الحمار تصويت مثل ذلك
لشدة توقدها وغليانها ويحتمل ان يكون على حذف مضاف اي سمعوا لاهلها كما قال تعالى لهم فيها
زفير وشهيق * وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل تكاد تميز اي ينفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها
ويقال فلان يتميز من الغيظ اذا وصفوه بالافراط في الغضب * وقرا الجمهور تميز بتاء واحدة
خفيفة والبزي بتشديدها وطلحة بتاءين وابو عمرو بادغام الدال في التاء والضحاك تمايز على وزن
تفاعل واصله تتمايز وزيد بن علي وابن ابي عبلة تميز من ماز من الغيظ على الكفرة جعلت
كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ومثل هذا في التجوز قول الشاعر *

في كلب

* في كلب يشتد في جريه * يكاد ان يخرج من اهابه * ومن قولهم غضب فلان فطارت منه شقة
في الارض وشقة في السماء اذا افرط في الغضب ويجوز ان يراد من غيظ الزبانية * كلما القي فيها فوج اي
فريق من الكفار سالهم خزنتها سؤال توبيخ وتقريع وهو مما يزيدهم عذابا الى عذابهم وخزنتها مالك
واعوانه الم ياتكم نذير ينذركم بهذا اليوم قالوا بلى اعتراف بمجيء النذر اليهم قال الزمخشري اعتراف
منهم بعدل الله تعالى واقرار بانه عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه
وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار
الله وامر به واوعد على ضده انتهى وهو على طريق المعتزلة والظاهر ان قوله ان انتم الا في ضلال
كبير من قول الكفار للرسل الذين جاءوا نذرا اليهم انكروا ان الله نزل شيئا واستجهلوا من اثبتوا
من اخبار انه تعالى ارسل اليهم الرسل وان قائل ذلك في حيز عظيم ويجوز ان يكون من قول
الخزنة للكفار اخبارا لهم وتقريعا بما كانوا عليه في الدنيا وارادوا بالضلال الهلاك الذي هم فيه
وسموا عقاب الضلال باسمه لما كان ناشئا عن الضلال وقال الزمخشري او من كلام الرسل لهم
حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله انتهى فان كان الخطاب في ان انتم للرسل فقد
اريد به الجنس ولذلك جاء الخطاب بالجمع وقالوا اي للخزنة حين حاوروهم لو كنا نسمع سماع
طالب للحق او نعقل عقل متامل له لم نستوجب الخلود في النار * فاعترفوا بذنبهم اي بتكذيب
الرسل * فسحقا اي فبعدا لهم وهو دعاء عليهم والسحق البعد وانتصابه على المصدر اي
سحقهم الله سحقا قال الشاعر * يجول باطراف البلاد مغربا * وتسحقه ريح الصبا كل مسحق *
والفعل منه ثلاثي وقال الزجاج اي اسحقهم الله سحقا اي باعدهم بعدا وقال ابو علي الفارسي
القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كما قيل وان اهلك فذلك كان قدري اي تقديري
انتهى ولا يحتاج الى ادعاء الحذف في المصدر لان فعله جاء ثلاثيا كما انشد *
* وتسحقه ريح الصبا كل مسحق * وقرا الجمهور بسكون الحاء وعلي وابو جعفر
والكسائي بخلاف عن ابي الحارث عنه بضمها قال ابن عطية فسحقا نصبا على جهة الدعاء
عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث هذا القول فيهم مستقر ازلا ووجوده
لم يقع ولا يقع الا في الاخرة فكانه لذلك في حيز المتوقع الذي يدعى به كما تقول سحقا لزيد وبعدا
والنصب في هذا كله باضمار فعل واما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل
للمطففين وسلام عليكم وغير هذا من الامثلة انتهى * يخشون ربهم بالغيب اي الذي
اخبروا به من امر المعاد واحواله او غائبين عن اعين الناس اي في خلواتهم ورجل ذكر الله
خاليا ففاضت عيناه * واسروا قولكم خطاب لجميع الخلق قال ابن عباس وسببه ان
بعض المشركين قال لبعض اسروا قولكم لا يسمعكم اله محمد * الا يعلم من خلق الهمزة للاستفهام
ولا للنفي والظاهر ان من مفعول والمعنى اينتفي علمه بمن خلق وهو الذي لطف علمه ودق واحاط
بخفيات الامور وجلياتها واجاز بعض النحاة ان يكون من فاعلا والمفعول محذوف كانه
قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام معناه الانكار اي كيف لا يعلم ما تكلم به من
خلق الاشياء واوجدها من العدم الصرف وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من
خلقه وما بطن * هو الذي جعل لكم الارض ذلولا منة تعالى بذلك والذلول فعول للمبالغة من
ذلك تقول دابة ذلول بينة الذل ورجل ذليل بين الذل وقال ابن عطية والذلول فعول بمعنى
مفعول اي مذللة فهي كركوب وحلوب انتهى وليس بمعنى مفعول لان فعله قاصر وانما تعدى بالهمزة

كقوله وننزل من نشا واما بالتضعيف كقوله ودللنا لها لهم وقوله ابي مذلولة بالجهوانه خطا
فامشوا في مناكبها امر بالتصرف فيها والاكتساب ومناكبها عن ابن عباس وقتادة وبشر بن كعب
اطرافها وهي الجبال وقال الفرا والكلبي ومنذر بن سعيد جوانبها ومنكبا الرجل جانباه وقال
الحسن والسدي طرقها وفجاجها قال الزمخشري والمشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته
الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شي من البعير وابناه عن ان يطاه الراكب
بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك انتهى وقال الزجاج سهل لكم
السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل ٥ واليه النشور اي البعث فيسائلكم عن شكر هذه النعم عليكم

قوله تعالى ءامنتم من في السما ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ٥ ام امنتم من في السما ان
يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ٥ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى
الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شي عليم بصير ٥ ام من هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن انه بكل شي بصير ان الكافرون الا في غرور ٥ ام من
هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ٥ افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
ام من يمشي سويا على صراط مستقيم ٥ قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار ٥
والافئدة قليلا ما تشكرون ٥ قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون ٥ ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين ٥ قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين ٥ فلما راوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ٥ قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن
يجير الكافرين من عذاب اليم ٥ قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال
مبين ٥ قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين ٥ قرا نافع وابو عمرو والبزي ءامنتم
بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية وادخل ابو عمرو وقالون بينهما الفا وقيل بابدال الاولى واوا
لضمة ما قبلها وعنه وعن ورش اوجه غير هذه والكوفيون وابن عامر بتحقيقهما من في السما هذا
مجاز وقد قام البرهان العقلي على انه تعالى ليس بمتحيز في جهة ومجازه ملكوته في السما لان من
في السما هو صلة من ففيه الضمير الذي كان في العامل فيه وهو استقر اي من في السما هو اي ملكوته
فهو على حذف مضاف وملكوته في كل شي لكن خص السما بالذكر لانها مسكن ملائكته وثم عرشه
وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وامره ونهيه او جا هذا على طريق اعتقادهم
اذ كانوا مشبهة فيكون المعنى ءامنتم من تزعمون انه في السما وهو المتعالي عن المكان وقيل من على
حذف مضاف اي خالق من في السما وقيل من هم الملائكة وقيل جبريل وهو الملك الموكل بالخسف
وغيره وقيل في بمعنى على ويراد بالعلو القهر والقدرة لا بالمكان وفي التحرير الاجماع منعقد
على انه ليس في السما بمعنى الاستقرار لان من قال من المشبهة والمجسمة انه على العرش يقول
بانه في السما ان يخسف بكم الارض وهو ذهابها بها سفلا فاذا هي تمور اي تذهب وتموج كما يذهب
التراب في الريح وقد تقدم شرح الحاصب في سورة الاسرا والنذير والنكير مصدران بمعنى
الانذار والانكار وقال حسان بن ثابت ٥
٥ وانذر مثلها نصحا قريشا ٥ من الرحمن ان قبلت نذيري ٥ واثبت ورش
يا نذيري ونكيري وحذفها باقي السبعة ولما حذرهم ما يمكن احلاله بهم من الخسف
وارسال الحاصب نبههم على الاعتبار بالطير وما احكم من خلقها وعجز الهتهم عن شي من ذلك
وناسب ذلك الاعتبار بالطير اذ قد تقدمه ذكر الحاصب وقد اهلك اصحاب الفيل بالطير والحاصب

الذي

الذي رمتهم به فعقبه اذكار قريش بهذه القصة وانه تعالى لو شا لاهلكهم بحاصب ترميهم به الطير
كما فعل باصحاب الفيل صافات باسطات اجنحتها صافتها حين كانها ساكنة ويقبضن يضممن
الاجنحة الى جوانبهن وهاتان حالتان للطاير يستريح من احداهما الى الاخرى وعطف الفعل على الاسم
لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى
فاللاتي اغرن صبحا فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وعكسه ايضا جايز الا عند السهيلي فانه قبيح
كقوله ٥ بات يعشيها بعضب باتر ٥ يقصد في اسوقها وجاير ٥ اي قاصد
في اسوقها وجاير وقال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت
لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهوى
كالسباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجي بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن
القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح انتهى وملخصه ان الغالب هو البسط فكانه هو
الثابت فعبر عنه بالاسم والقبض متجدد فعبر عنه بالفعل ما يمسكهن الا الرحمن اي بقدرته قال
الزمخشري وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصايص قد تاتى
منها الجري في الجو ٥ انه بكل شي بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجايب انتهى وفيه نزوع الى
قول اهل الطبيعة ونحن نقول ان ثقل الاجسام الكثيفة ذا ارادها مساكها في الهوى واستعلاها على
الى العرش كان ذلك واذا ارادها انزال ما هو اخف سفلا الى منتهى ما ينزل كان وليس ذلك
معزوا لشكل لا من ثقل ولا خفة وقرا الجمهور ما يمسكهن مخففا والزهري مشددا وقرا
الجمهور امن بادغام ميم ام في ميم من اذ الاصل ام من وام هنا بل خاصة لان الذي بعدها
هو اسم استفهام في موضع رفع على الابتدا وهذا خبره والمعنى هو ناصر لكم ان ابتلاكم بعذابه
وكذلك امن هو الذي يرزقكم ان امسك رزقه والمعنى لا احد ينصركم ولا يرزقكم وقرا طلحة امن بتخفيف
الميم ونقلها الى الثانية كالجماعة قال صاحب اللوامح ومعناه التقرير والتوبيخ انتهى
بل لجوا تمادوا في عتو في تكبر وعناد ونفور وشراد عن الحق لثقله عليهم وهذا اشارة
الى اصنامهم افمن يمشي مكبا على وجهه قال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وان الكفار
يمشون فيها على وجوههم والمومنون يمشون على استقامة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف
يمشي الكافر على وجهه فقال ان الذي امشاه في الدنيا على رجليه قادر ان يمشيه في الاخرة على وجهه
فالمشي على قول قتادة حقيقة وقيل هو مجاز ضرب مثلا للكافر والمومن في الدنيا فقيل عام
وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك نزلت فيهما وقال ابن عباس ايضا في ابي جهل والرسول
عليه السلام وقيل في ابي جهل وحمزة والمعنى ان الكافر في اضطرابه وتعسفه في عقيدته لا
وتشابه الامر عليه كالماشي في انخفاض وارتفاع كالاعمى يتعثر كل ساعة فيخر لوجهه واما
المومن فانه لطمانينة قلبه بالايمان وكونه قد وضح له الحق كالماشي صحيح البصر مستويا
لا ينحرف على طريق واضح الاستقامة لا حزون فيها فاله نظره صحيحة ومسلكه لا صعوبة فيه
ومكبا حال من اكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار والهمزة فيه
للدخول في الشي او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب وقال الزمخشري ولا شي
من بنا افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب

سيبويه وكم من نص في كتاب سيبويه عمي لبصره وبصيرته حتى ان الامام ابا الحجاج يوسف ابن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهل من كتاب سيبويه والهدي افعل يتعدى من الهدى في الظاهر وهو نظير العسل احلى من الخل وهذا الاستفهام لا يراد حقيقته بل المراد منه ان كل سامع يجيب بان الماشي سويا على صراط مستقيم اهدى وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف وما زائدة وتشكرون مستانف او حال مقدرة اي تشكرون شكرا قليلا وقال ابن عطية ظاهره انهم يشكرون قليلا وما عسى ان يكون للكافرين شكر وهو قليل غير نافع واما ان يريد به نفي الشكر جملة فعبر بالقلة كما تقول العرب هذه ارض قل ما تنبت كذا وهي لا تنبته البتة انتهى وقد تقدم نظير قوله والرد عليه في ذلك ذراكم بثكم والحشر البعث والوعد المشار اليه هو وعد يوم القيامة اي متى انجاز هذا الوعد • فلما راوه زلفة اي راوا العذاب وهو الموعود به زلفة اي قربا اي ذا قرب وقال الحسن عيانا وقال ابن زيد حاضرا وقيل التقدير مكانا ذا زلفة فانتصب على الظرف • سيئت اي ساءت رؤيته وجوههم وظهر فيها السوء والكآبة وغشيها السواد كمن يساق الى القتل واخلص الجمهور كسرة السين واشمها الضم ابو جعفر والحسن وابو رجا وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع والكسائي وقيل لهم اي تقول لهم الزبانية ومن يوبخهم وقرا الجمهور تدعون بشد الدال مفتوحة تفتعل من الدعوى قال الحسن تدعون انه لا جنة ولا نار وقيل تطلبون وتستعجلون وهو من الدعا ويقوي هذا القول قراءة ابي رجا والضحاك والحسن وقتادة وابن يسار وعبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب تدعون بسكون الدال وهي قراءة ابن ابي عبلة وابي زيد وعصمة والاصمعي عن نافع وروي ان الكفار كانوا يدعون على الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه بالهلاك وقيل كانوا يتوامرون بينهم بان يهلكوهم بالقتل ونحوه فامر ان يقول ان اهلكنا الله كما تريدون او رحمنا بالنصر عليكم فمن يجيركم من العذاب الذي سببه كفركم ولما قال او رحمنا قال هو الرحمن ثم ذكر ما به النجاة وهو الايمان والتفويض الى الله تعالى وقرا الجمهور فستعلمون بتاء الخطاب والكسائي بيا الغيبة نظرا الى قوله • فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ولما ذكر العذاب وهو مطلق ذكر فقد ما به حياة النفوس وهو الما وهو عذاب مخصوص والغور مشروح في الكهف • والمعين في قد افلح وجواب ان اهلكني فمن يجير وجواب ان اصبح فمن ياتيكم وتليت هذه الاية عند بعض المستهزئين فقال يجي به الفؤوس والمعاول فذهب ما عينيه • المعز دا المهين قال الرماني الوضيع لاكثاره من القبيح من المهانة وهي القلة الهماز اصله في اللغة الضرب طعنا باليد وبالعصا ونحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه قال القاضي منذر بن سعيد وبعينه واشارته النميم والنميمة مصدران لنم وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويحرش النفوس وقيل النميم جمع نميمة يريدون به اسم الجنس العتل قال الكلبي والفرا الشديد الخصومة بالباطل وقال معمر هو الفاحش اللئيم قال الشاعر • بعتل من الرجال زنيم • غير ذي نجدة وغير كريم •
وقيل الذي يعتل الناس اي يجرهم الى حبس او عذاب ومنه خذوه فاعتلوه قال ابن السكيت عتلته باللام والنون الزنيم الدعي قال حسان • زنيم تداعاه الرجال زيادة • كما زيد في عرض الاديم الاكارع •
وقال ايضا • وانت زنيم نيط في ال هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد •
والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتبقى معلقة في حلقها سمي الدعي بذلك لانه زيادة معلقة بغير اهله • وسمة جعل له سمة وهي العلامة منه ندل على ... • قال جرير لما وضعت

على الفرزدق

على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل • الخرطوم الانف والخرطوم من صفات الخمر قال الشاعر • فلا تشهد الشرب فيهم من نعيم زنيم • والقوم تسقيهم صهبا خرطوم •
قال الشنتمري الخرطوم اول خروجها من الدن ويقال لها الانف ايضا وذكر الاصمعي لها وارا ف وقال النضر بن شميل الخرطوم الخمر • وانشد
• تظل يومك في لهو وفي لعب • وانت بالليل شراب الخراطيم • الصرام جداد النخل الحرد المنع من قولهم حاردت السنة قل مطرها وحبسها قاله ابو عبيدة والقتبي والحرد الغضب قال ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعي وهو مخفف وانشد
• اذا جياد الخيل جاءت تردي • مملوءة من غضب وحرد • وقال الاشهب بن رميلة
• اسود شرى لاقت اسود خفية • تساقوا على حرد دماء الاساود • وقال
ابن السكيت تقول حرد بالكسر حردا فهو حارد ومنه قيل اسد حارد وليوث حوارد والحرد الانفراد حرد يحرد حرودا تنحى عن قومه ونزل منفردا لم يخالطهم وكوكب حرود معتزل عن الكواكب وقال الاصمعي المنحرد المنفرد في لغة هذيل انتهى والحرد القصد حرد يحرد بالكسر قصد ومنه حرد نحوه حردك اي قصدت قصدك • ومنه قول الشاعر
• اقبل سيل جاء من عند الله • يحرد حرد الجنة المغلة •

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون • وان لك لاجرا غير ممنون • وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون • ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم • مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين • سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون • فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين • فانطلقوا وهم يتخافتون • ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين • فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين • فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون • قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين • عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون • كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون • هذه السورة مكية ولا خلاف فيها بين احد من اهل العلم بالتاويل ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وابي جهل ومناسبتها لما قبلها انه فيما قبلها ذكر اشيا من احوال السعدا والاشقيا وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وانه تعالى لو شا لخسف بهم او لارسل عليهم حاصبا وكان ما اخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي وكان الكفار ينسبونه مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدا سبحانه وتعالى في هذه السورة ببراته مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم اجره على صبره على اذاهم وبالثناء على خلقه العظيم • ن حرف من حروف المعجم نحو ص وق وهو غير معرب كبعض الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل والحكم على موضعها بالاعراب تخرص وما يروى عن ابن عباس ومجاهد انه اسم الحوت الاعظم الذي عليه الارضون السبع

وعن ابن عباس ايضا والحسن والضحاك انه اسم الدواة وعن معاوية بن قرة يرفعه انه لوح من
نور وعن ابن عباس ايضا انه اخر حرف من حروف الرحمن وعن جعفر الصادق انه نهر
من انهار الجنة لعله لا يصح شي من ذلك وقال ابو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره ن
حرف من حروف المعجم فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذن حرف هجا كما في سائر
مفاتيح السور انتهى ومن قال انه اسم الدواة او الحوت وزعم انه مقسم به كالقلم فان كان علما
فينبغي ان يجر فان كان مونثا منع الصرف او مذكرا صرف وان كان جنسا اعرب ونون وليس
فيه شي من ذلك فضعف القول به وقال ابن عطية اذا كان اسما للدواة فاما ان يكون لغة
لبعض العرب او لفظة اعجمية اعربت قال الشاعر
اذا ما الشوق برح بي اليهم • القت النون بالدمع السجوم • فمن جعلها اسما
جعل القلم هو الذي خلقه الله وامره بكتب الكاينات وجعل الضمير في يسطرون للملايكة ومن
قال هو اسم جعل القلم المتعارف بايدي الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير في
يسطرون للناس فجا القسم على هذا المجموع امر الكتاب الذي هو قوام للعلوم وامور الدنيا
والاخرة فان القلم اخو اللسان ونعمة من الله عامة انتهى وقرا الجمهور نون بسكون النون
وادغامها في واو والقلم بغنة وبغير غنة واظهرها حمزة وابو عمرو وابن كثير وقالون
وحفص وقرا ابن عباس وابن ابي اسحاق والحسن وابو السمال بكسر النون لالتقا الساكنين
وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنهما بفتحها فاحتمل ان تكون حركة اعراب وهو اسم
للسورة اقسم به وحذف حرف الجر فانتصب ومنع الصرف للعلمية والتانيث ويكون
والقلم معطوفا عليه واحتمل ان يكون لالتقا الساكنين واوثر الفتح تخفيفا كاين وتحتمل
ان تكون موصولة ومصدرية والضمير في يسطرون عايد على الكتاب لدلالة القلم عليهم
فاما ان يراد بهم الحفظة واما ان يراد كل كاتب وقال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم
اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم فكانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وتسطيرهم
انتهى فيكون كقوله كظلمات في بحر لجي اي وكذي ظلمات ولهذا عاد عليها الضمير في قوله يغشاه
موج وجواب القسم ما انت بنعمة ربك بمجنون وبظهران بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم
عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفا الوصف الذميم عنه صلى الله
عليه وسلم وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما يقول الانسان انت بحمد الله فاضل انتهى ولم
يبين ما يتعلق به الباء في بنعمة ربك وقال الزمخشري يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل
في قولك انت بنعمة الله عاقل مثبتا في ذلك النفي والاثبات استويا بها في قولك ضرب زيد عمرا
وما ضرب زيد عمروا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قيل
ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباان تعمل مجنون فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي
والمعنى استبعاد ما كان تنسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله تعالى عليه
بحصافة العقل والشهامة التي تقتضيها التاهل للنبوة بمنزل انتهى وما ذهب اليه الزمخشري
من ان بنعمة ربك بمجنون وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على محكوم
به وذلك له معمول ففي ذلك طريقان احدهما ان النفي يتسلط على ذلك المعمول فقط والاخر ان يتسلط
النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفايه بيان ذلك تقول ما زيد قايم مسرعا فالمتبادر الى الذهن
انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه الاخر انه انتفى قيامه فانتفى

استراعه

استراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتاتى معه قول الزمخشري بوجه بل يودي الى
ما لا يجوز ان ينطق به في حق المعصوم صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة
لربك لقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله • ومنه قول لبيد
• واخرجني في الدنيا لفقد عشيرتي • وفارقني جار باربد نافع • اي وهو اربد
انتهى وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب • وفي المنتخب ما ملخصه المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة
ربك اي حصول الصفة المحمودة وزوال الصفة المذمومة بواسطة انعام ربك ثم قرر بهذه الدعوى
ما هو كالدليل القاطع على صحتها لان نعمه كانت ظاهرة في حقه من كمال الفصاحة والعقل والسيرة
المرضية والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة فحصول ذلك وظهوره جار مجرى اليقين
في كونهم كاذبين في قولهم انه مجنون • وان لك لاجرا في احتمال طعنهم وفي دعا الخلق الى الله تعالى
فلا يمنعك ما قالوه من الدعا الى الله تعالى • وانك لعلى خلق عظيم هذا كالتفسير لما تقدم من قوله
بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون انه كذب واخطا وان من كان بتلك الاخلاق المرضية لا يضاف
الجنون اليه وتعظيم يدل على الاستعلا والاستيلا انتهى • وان لك لاجرا اي على ما تحملت من ثقال
النبوة ومن اذاهم مما يشنعون اليك مما انت لا تليق به من المعايب غير ممنون اي غير مقطوع
مشتق الحبل قطعته وقال الشاعر •
• عبس كواسب لا يمن طعامها • اي لا يقطع وقال مجاهد غير محسوب وقال الحسن
غير مكدر بالمن وقال الضحاك بغير عمل وقيل غير مقدر وهو معنى قول مجاهد وقال الزمخشري او غير
ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتدا وانما تمن الفواضل لا الاجور
على الاعمال انتهى ومنه دسيسة الاعتزال • وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد دين
عظيم ليس دين احب الى الله تعالى منه وقالت عايشة كان خلقه القران وقال علي هو ادب القران
وقال قتادة ما كان ياتمر به من امر الله تعالى وقيل سمي عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه من
كرم السجية ونزاهة القريحة والملكة الجميلة وجودة الضرايب ما دعاه احد الا قال لبيك
وقال ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق ووصى ابا ذر وخالق الناس بخلق حسن وعنه صلى الله
عليه وسلم ما من شي يوضع في الميزان افضل من خلق حسن وقال احبكم الى الله احسنكم اخلاقا
والظاهر تعلق بايكم المفتون بما قبله • وقال ابو عثمان المازني تم الكلام في قوله ويبصرون
ثم استانف قوله بايكم المفتون انتهى فيكون قوله بايكم المفتون استفهاما يراد به الترداد بين
امرين ومعلوم نفي الحكم عن احدهما ويعينه وهو المومن ليس بمفتون وانه فتون واذا كان
متعلقا بما قبله فهو قول الجمهور فقال قتادة وابو عبيدة معمر البا زايدة والمعنى ايكم المفتون
وزيدت البا في المبتدا كما زيدت فيه في قولهم بحسبك درهم اي حسبك • وقال الحسن والضحاك والاخفش
البا ليست بزايدة والمفتون بمعنى الفتنة اي بايكم هي الفتنة والفساد الذي سموه جنونا وقال
الاخفش ايضا بايكم فتن المفتون حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ففي قوله الاول
جعل المفتون مصدرا وهنا ابقاه اسم مفعول وتاوله على حذف مضاف وقال مجاهد والفرا
البا بمعنى في اي في اي فريق منكم النوع المفتون انتهى فالبا ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي في البصرة
فيظهر من هذا القول ان البا في القول قبله للسببية بل هي سببية وقال الزمخشري المفتون
المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتاك منهم
انتهى وقرا ابن ابي عبلة في ايكم المفتون • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة حيث

كانت لهم عقول لم ينتفعوا بها ولا استعملوها فيما جاءت به الرسل او يكون اعلم كناية عن جزاء
المتقين • فلا تطع المكذبين اي الذين كذبوا بما انزل الله عليك من الوحي وهذا نهي في طواعيتهم في
شي مما دعوه اليه من تعظيم آلهتهم • ودوا لو تدهن فيدهنون على راي البصريين بمضمر ينتصب بمعنى
انا اي ودوا ادهانكم وتقدم الكلام في ذلك في قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومذهب الجمهور
ان معمول ودوا محذوف اي ودوا ادهانكم وحذف لدلالة ما بعده عليه ولو باقية على بابها
من كونها حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابه محذوف تقديره لسروا بذلك وقال
ابن عباس والضحاك وعطية والسدي لو تدهن لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس
ايضا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك وقال
الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقونك
ويراءونك وقال الربيع ابن انس لو تكذب فيكذبون وقال ابو جعفر لو تضعف فيضعفون
وقال الكلبي والفرا لو تلين فيلينون وقال ابن تغلب لو تحابي فيحابون وقال مجاهد الاقوال
وقال الفرا الدهان التليين وقال المفضل النفاق وترك المناصحة وهذا نقل اهل اللغة وما قالوه
لا يخرج عن ذلك لانه ما خالف ذلك هو تفسير باللازم وفيدهنون عطف على تدهن وقال
الزمخشري عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن
بربه فلا يخاف بمعنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانكم فهم الان يدهنون
لطمعهم في ادهانك انتهى وجمهور المصاحف على اثبات النون وقال هارون انه في بعض المصاحف
فيدهنوا ولنصبه وجهان احدهما انه جواب ودوا لتضمنه معنى ليت والثاني انه على توهم
انه نطق بان اي ودوا ان تدهن فيدهنوا فيكون عطفا على التوهم ولا يجي هذا الوجه الا على قول
من جعل لو مصدرية بمعنى ان • ولا تطع كل حلاف مهين تقدم تفسير مهين وما يعرض في المفردات
وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة ونوسب فيها فجا حلاف وليعقب مهين لان النون فيها مع
الميم تواخ ثم جا هماز مشاء بنميم بصيغتي المبالغة ثم جا مناع للخير معتد اثيم فمناع واثيم صفتا
مبالغة والظاهر ان الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير وقيل الخير هنا المال يريد
مناع للمال عتل بعد ذلك عن التنجيح معناه متجاوز الحد في الظلم وفي حديث شداد بن اوس قلت
يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما العتل الزنيم قال الرحيب الجوف الوتير الخلق الاكول
الشروب الغشوم الظلوم وقرا الحسن عتل برفع اللام والجمهور بجرها بعد ذلك قال الزمخشري
جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل
معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ويعين نظيره ثم كان من
الذين امنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك انتهى
وقال ابن عطية بعد ذلك اي بعد ما وصفناه به فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف
لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه انتهى والزنيم
الملصق في القوم وليس منهم قاله ابن عباس وغيره وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال
وعن ابن عباس ايضا الزنيم الذي له زنمة في عنقه كزنمة الشاة وما كنا نعرف المشار اليه
حتى نزلت فعرفناه بزنمته انتهى وروي ان الاخنس بن شريق كان بهذه الصفة كان له زنمة
وروى ابن جبير عن ابن عباس ان الزنيم هو الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بالزنمة وعنه ايضا
انه المعروف بالابنة وعنه ايضا انه الظلوم وعن عكرمة هو اللئيم وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيب

انه ولد الزنا

انه ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني
عشرة سنة من مولده وقال مجاهد كانت له ستة اصابع في يد في كل ابهام اصبع زائدة والذي
يظهر ان هذه الاوصاف ليست لمعين الا ترى الى قوله كل حلاف وقوله انا بلوناهم فانما وقع النهي
عن طاعة من هو بهذه الصفات قال ابن عطية ما ملخصه قرا النحويان والحرميان وحفص
واهل المدينة ان كان على الخبر وباقي السبعة والحسن وابن ابي اسحاق وابو جعفر على الاستفهام
وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية باقيهم فاما على الخبر فقال ابو علي الفارسي يجوز ان يعمل فيها
عتل وان كان قد وصف انتهى وهذا قول كوفي ولا يجوز ذلك عند البصريين وقيل زنيم لا سيما
على قول من فسره بالقبيح الافعال وقال الزمخشري متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه
مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى
لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب اياتنا دل عليه الجملة من معنى التكذيب انتهى
واما على الاستفهام فيحتمل ان يعمل فيه عامل يدل عليه ما قبله اي ايكون مطاعا لان كان
وقدره الزمخشري اتطيعه لان كان او عامل يدل عليه ما بعده اي اكذب او جحد لان كان
وقرا نافع في رواية اليزيدي عنه ان كان بالكسر قال الزمخشري والشرط للمخاطب اي
لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا طاع الكافر للغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى
ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر انتهى واقول ان كان شرط
واذا تليه شرط فهو مما اجتمع فيه شرطان وليسا من الشروط المترتبة الوقوع المتاخر
لفظا هو المتقدم والمتقدم لفظا هو شرط في الاول فهو كقوله فان عثرن بعدها ان والت
نفسي من هاتا فقولا لا لعا لان الحامل على ترك تدبر ايات الله تعالى كونه ذا مال وبنين فهو
مشغول القلب بذلك غافل عن النظر والفكر قد استولت عليه الدنيا وابطرته وقرا
الحسن ائذا بالاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله القران اساطير الاولين
لما تليت عليه ايات الله ولما ذكر قبائح افعاله واقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعد فقال
سنسمه على الخرطوم والسمة العلامة ولما كان الوجه اشرف ما في الانسان والانف اكرم
ما في الوجه لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف
شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه وكان ايضا مما تظهر السمات فيه
لعلوه قال سنسمه على الخرطوم وهو غاية الاذلال والاهانة والاستذلال اذ صار
كالبهيمة لا يملك الدفع عن وسمه في الانف واذا كان الوسم في الوجه شينا فكيف به على اكرم
عضو فيه وقد قيل الجمال في الانف • وقال بعض الادبا •

وحسن الفتى في الانف والانف عاطل • فكيف اذا ما الخال كان له حليا •

وسنسمه فعل مستقبل لم يتعين زمانه وقال ابن عباس هو الضرب بالسيف اي يضرب
به وجهه وعلى انفه فيجي ذلك كالوسم على الانف وحل به ذلك يوم بدر وقال المبرد ذلك في
عذاب الاخرة في جهنم وهو تعذيب بنار على انوفهم وقال اخرون ذلك يوم القيامة اي يوسم
على انفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره وقال قتادة وغيره معناه سنفعل به
في الدنيا من الذم والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به فيكون ذلك كالوسم على
الانف ثابتا بينا كما تقول سأطوقك طوق الحمامة اي اثبت لك الامر بينا فيك ونحو
هذا اراد جرير بقوله • لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وجا الوسم على الانف تشويه

فجأة استعارة في المرمات بليغة جدا قال ابن عطية واذا تاملت حال ابي جهل ونظرائه
وما ثبت لهم في الدنيا من سوء الاحدوثة رايت انهم قد وسموا على الخراطيم انتهى وقال ابو العالية
ومقاتل واختاره الفراء يسود وجهه قبل دخول النار وذكر الخرطوم والمراد الوجه لان بعض
الوجه يؤدي عن بعض وقال ابو عبد الله الرازي انما بالغ الكفار في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
بسبب الانفة والحمية فلما كان منشأ هذا الانكار هو الانفة والحمية عبر عن هذا الاختصاص بقوله
سنسمه على الخرطوم انتهى كلامه وفي استعارة الخرطوم مكان الانف استهانة واستخفاف
لان حقيقة الخرطوم هو للسباع وتلخص من هذا ان قوله سنسمه على الخرطوم اهو حقيقة ام مجاز
واذا كان حقيقة فهل ذلك في الدنيا او في الاخرة وابعد النضر بن شميل في تفسير الخرطوم بالخمر
وان معناه سنحده على شربها ولما ذكر المتصف بتلك الاوصاف الذميمة كفار قريش اخبر تعالى
بما حل بهم بالمحل من الابتلاء ومن القحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف الحديث كما بلونا اصحاب الجنة المعروف
خبرها عندهم كانت بارض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان يؤدي حق الله منها
فمات فصارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله تعالى فاهلكها الله تعالى
حيث لم يمكنهم دفع ما حل بهم وقيل كانت بصوران على فراسخ من صنعاء لناس بعد رفع عيسى
عليه السلام وكان صاحبها ينزل للمساكين ما اخطاه المنجل وما اسقط الاكداس وما اخطاه
القطاف من العنب وما بقي على البساط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما
مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا
ليصرمنها مصبحين في السدف خفية من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم والكاف في كما بلونا
في موضع نصب وما مصدرية وقيل بمعنى الذي واذ معمول لبلوناهم ليصرمنها جواب
القسم لا على منطوقهم اذ لو كان على منطوقهم لكان لنصرمنها بنون المتكلمين والمعنى ليجدن
ثمرها اذا دخلوا في الصباح قبل خروج المساكين الى عادتهم مع ابيهم ولا يستثنون اي
ولا يستثنون مما عزموا عليه من منع المساكين وقال مجاهد معناه لا يقولون ان شاء الله بل عزموا
على ذلك عزم من يملك امره وقال الزمخشري متبعا لقول مجاهد ولا يقولون ان شاء الله فان
قلت لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت لانه يؤدي الاستثناء من حيث ان معنى قولك
لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد انتهى فطاف عليها طائف قرئ طيف
قال الفراء والطائف الامر الذي ياتي بالليل ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف من الشيطان
فلم يتخصص بالليل وطائف مبهم فقيل هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها
حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في ارض
الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها وقال ابن عباس طائف من امر ربك وقال قتادة
عذاب من ربك وقال ابن جريج عنق خرج من وادي جهنم فاصبحت كالصريم قال ابن عباس
كالرماد الاسود والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وعنه ايضا الصريم رملة باليمن
معروفة لا تنبت فشبه جنتهم بها وقال الحسن صرم عنها الخير اي قطع فالصريم بمعنى مصروم
وقال الثوري كالصبح من حيث ابيضت كالزرع المحصود وقال مؤرج كالرملة انصرمت
من معظم الرمل والرملة لا تنبت شيئا ينفع وقال الاخفش كالصبح انصرم من الليل وقال
المبرد كالنهار فلا شيء فيها وقال شمر الصريم الليل والصريم النهار اي ينصرم هذا عن ذاك وذاك

عن هذا وقال الفراء والقاضي منذر بن سعيد وجماعة الصريم الليل من حيث اسودت جنتهم
فتنادوا دعا بعضهم بعضا الى المضي الى ميعادهم ان اغدوا على حرثكم قال الزمخشري فان
قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه
كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى
عليهم بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين انتهى واستسلف الزمخشري ان غدا يتعدى
بالى ويحتاج ذلك الى نقل بحيث يكثر ذلك فيصير اصلا فيه ويتأول ما خالفه والذي في حفظي
انه متعد بعلى كقول الشاعر

بكرت عليه غدوة فرايته • قعودا عليه بالصريم عواذله •

ان كنتم صارمين
الظاهر انه من صرام النخل وقيل ويحتمل ان يريد ان كنتم اهل عزم واقدام على رايكم من قولك سيف
صارم. يتخافتون يخفون كلامهم خوفا من ان يشعر بهم المساكين ان لا يدخلنها اي
يتخافتون بهذا الكلام وهو لا يدخلنها باسقاط ان على اضمار يقولون او على اجراء وان
مصدرية ويجوز ان تكون تفسيرية وقرا عبد الله وابن ابي عبلة لا يدخلنها باسقاط ان
على اضمار يقولون او على اجراء يتخافتون مجرى القول اذ معناه يتسارون القول والنهي عن
الدخول نهي عن التمكين منه اي لا تمكنوهم من الدخول فيدخلوا وغدوا على حرد قادرين اي
على قصد وقوة في انفسهم يظنون انهم تمكنوا من مرادهم قال معناه ابن عباس اي قاصدين
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها قال ابو عبيدة والقتبي على حرد على
منع اي قادرين في انفسهم على منع المساكين من خيرها فجزاهم الله بان منعهم خيرها
وقال الحسن على فخر اي حاجة وفاقة وقال السدي وسفيان على حرد على غضب اي لم
يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض وقيل على حرد على انفراد اي انفردوا دون
المساكين وقال الازهري على حرد اسم قريتهم وقال السدي اسم جنتهم اي غدوا على تلك الجنة
قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام قيل ويحتمل ان
يكون من التقدير بمعنى التضييق لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اي مضيقين على المساكين
اذ حرموهم ما كان ابوهم ينيلهم منها فلما راوها على غير الحالة التي كانوا عهدوها عليها من
هلاكها وذهاب ما فيها من الخير قالوا انا لضالون اي عن الطريق اليها قاله قتادة وذلك
في اول وصولهم انكروا انها هي واعتقدوا انهم اخطأوا الطريق اليها ثم وضح لهم انها هي وانه
اصابها من عذاب الله تعالى ما اذهب خيرها وقيل لضالون عن الصواب في غدونا على نية
منع المساكين فقالوا بل نحن محرومون خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اي افضلهم
وارجحهم عقلا الم اقل لكم لولا تسبحون وبخهم على تركهم ما حضهم عليه من تسبيح الله اي ذكره
وتنزيهه عن السوء ولو ذكروا الله واحسانه اليهم لامتثلوا ما امر به من مواساة المساكين
واقتفوا سنة ابيهم في ذلك فلما غفلوا عن ذكر الله تعالى وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله تعالى
وهذا يدل على ان اوسطهم كان قد تقدم اليهم وحرضهم على ذكر الله تعالى وقال مجاهد وابو صالح
كان استثناؤهم سبحان الله وان يكون لشيء الا بمشيئته وقال الزمخشري لالتقائهما في معنى التعظيم لله
لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التنزيه والتفويض تعظيم له وقيل
لولا تسبحون لولا تستغفرون ولما ابهم رجعوا الى ذكر الله تعالى واعترفوا على انفسهم بالظلم وبادروا الى
تسبيح الله تعالى فقالوا سبحان ربنا قال ابن عباس اي نستغفر الله من ذنبنا وما اقروا بظلمهم

سلام بعضهم لبعض وجعل اللوم في حيز غيره اذ كان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف
ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت على رضى منه ثم اعترفوا بانهم طغوا ويرجوا انتظار الفرج في
ان يبدلهم خيرا من تلك الجنة. عسى ربنا ان يبدلنا اي بهذه الجنة خيرا منها وتقدم في الكهف الخلاف
في تخفيف يبدلنا وتثقيلها منسوبا للقرا. انا الى ربنا راغبون اي طالبون ايصال الخير الينا
منه والظاهر ان اصحاب هذه الجنة كانوا مومنين اصابوا معصية وتابوا وقيل كانوا من اهل
الكتاب وقال ابن مسعود بلغني ان القوم دعوا الله واخلصوا وعلم الله منهم الصدق فابدلهم بها
جنة وكل عنقود منها كالرجل الاسود القايم وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وقال القشيري
المعظم يقولون انهم تابوا واخلصوا انتهى وتوقف الحسن في كونهم مومنين وقال
اكان قولهم انا الى الله راغبون ايمانا او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة. كذلك
العذاب هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم في امر قريش بغتة ثم عذاب الاخرة بعد ذلك
اشد عليهم قال ابن عطية والاشارة بذلك العذاب اي الذي نزل بقريش بغتة ثم عذاب الاخرة
بعد ذلك اشد عليهم من عذاب الدنيا وقال كثير من المفسرين العذاب النازل بقريش المماثل لامر
الجنة هو الجدب الذي اصابهم سبع سنين حتى راوا الدخان واكلوا الجلود وقال الزمخشري مثل
ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا. ولعذاب الاخرة اشد واعظم
منه انتهى وللتشبيه بلا قريش ببلاء اصحاب الجنة هو ان اصحاب الجنة عزموا على الانتفاع
بثمرها وحرمان المساكين فقلب الله تعالى عليهم وحرمهم وان قريشا حين خرجوا الى بدر وحلفوا
على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه فاذا رجعوا الى مكة طافوا بالكعبة
وشربوا الخمور فقلب الله عليهم بان قتلوا واسروا ولما عذبهم بذلك في الدنيا قال ولعذاب الاخرة
اكبر **قوله عز وجل** ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف
تحكمون. ام لكم كتاب فيه تدرسون. ان لكم فيه لما تخيرون. ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما
تحكمون. سلهم ايهم بذلك زعيم. ام لهم شركا فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين. يوم يكشف عن
ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون. فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين. ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون. ام عندهم الغيب فهم يكتبون
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما
سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين. لما ذكر تعالى انه بلا كفار قريش وشبه
بلاهم ببلا اصحاب الجنة اخبر تعالى بحال اضدادهم وهم المتقون فقال ان للمتقين اي الكفر جنات
النعيم اضافها الى النعيم لان النعيم لا يفارقها اذ ليس فيها الا هو فلا يشوبه كدر كما كان
ثم جنة فلنا فيها اكثر الحظ فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين وقال مقاتل قالوا فضلنا الله
عليكم في الدنيا فهو يفضلنا عليكم في الاخرة وان لا فالمشاركة فاجاب تعالى افنجعل اي
لا يتساوى المطيع والعاصي وهو استفهام فيه توقيف على خطا ما قالوا وتوبيخ ثم التفت
اليهم فقال مالكم اي شي لكم فيما تزعمون وهو استفهام انكار عليهم ثم قال كيف تحكمون وهو استفهام
ثالث على سبيل الانكار عليهم استفهم عن هيئة حكمهم ففي قوله مالكم استفهام عن كينونة مبهمة
وفي كيف تحكمون استفهام عن هيئة حكمهم ثم اضرب عن هذا اضراب انتقال لا ابطال لما

فقيل

قبله فقال ام لكم اي بل الكم كتاب نزل من عند الله تدرسون ان ما تختارونه يكون لكم وقرا الجمهور
ان لكم بكسر الهمزة فقيل هو استيناف قول على معنى ان لكم كتاب فلكم فيه متخير وقيل ان معموله
لتدرسون اي تدرسون في الكتاب ان لكم لما تخيرون اي تختارون من النعيم وكسرت الهمزة
من ان لدخول اللام في الخبر وهو بمعنى ان بفتح الهمزة قاله الزمخشري وبدا به قال ويجوز ان
يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح انتهى وقرا طلحة والضحاك
ان لكم بفتح الهمزة واللام في لما زايدة كهي في قراة من قرا الا انهم ليأكلون الطعام بفتح الهمزة انهم وقرا
الاعرج الان لكم على الاستفهام ام لكم ايمان اي اقسام علينا بالغة اي متناهية في التوكيد
يقال لفلان علي يمين اذا حلفت له على الوفا بما حلفت عليه والى يوم القيمة متعلق بما تعلق
به الخبر وهو لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيمة او ببالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقرا
الجمهور بالغة بالرفع على الصفة والحسن وزيد بن علي بالنصب على الحال من الضمير المستكن
في علينا وقال ابن عطية حال من نكرة لانها تخصصت بقوله علينا ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى
ام لكم علينا ام اقسمنا لكم قاله الزمخشري وقرا الاعرج اان لكم على كالتي قبلها على الاستفهام
سلهم ايهم بذلك زعيم اي ضامن بما يقولونه ويدعون صحته وسل معلقة عن مطاوعه
الثاني اصله ان يتعدى بعن او بالبا كما قال تعالى يسالونك عن الشهر الحرام. وقال الشاعر

فان تسالوني بالنسا فانني . عليم بادوا النسا طبيب .

ولو كان غير استفهام
لتعدى اليه بعن او بالبا كما تقول سل زيدا عمن ينظر في كذا ولكنه علق سلهم فالجملة
في موضع نصب وقرا الجمهور ام لهم شركا فلياتوا بشركائهم وعبد الله وابن ابي عبلة فلياتوا بشركهم
قيل والمراد في القراتين الاصنام او ناس يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم عليه اي لا احد يقول
بقولهم كما انه لا كتاب لهم ولا عهد من الله ولا زعيم بذلك فلياتوا بشركائهم فلا يستدعا وتوقيف
قيل في الدنيا قيل في الدين اي ليحضروهم حتى نرى حالهم بحال من يضر وينفع ام لا وقيل في الاخرة
على ان ياتوا بهم يوم يكشف عن ساق وعلى هذا القول الناصب ليوم فلياتوا وقيل اذكر وقيل
التقدير يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت وحذف لانه هول عظيم بما يكون فيه من الحوادث
وقول الجمهور ان هذا اليوم هو يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا اليوم هو في الدنيا لانه قال ويدعون
الى السجود ويوم القيمة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما اخر ايام الرجل في دنياه
لقوله يوم يرون الملايكة لا بشرى ثم يرى الناس يدعون الى الصلاة اذا حضرت اوقاتها فلا يستطيع
الصلاة لانه الوقت الذي لا ينفع فيه نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والعجز وقد كانوا
قبل ذلك اليوم يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم الان فذلك اما لشدة النازلة بهم من
هول ما عاينوا عند الموت واما من العجز والهرم واجيب بان الدعا ليس الى السجود ليس
على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل وعند ما يدعون الى السجود سلبوا القدرة
عليه وحيل بينهم وبين الاستطاعة حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين دعوا اليه
وهم سالمون الاطراف والمفاصل وقرا الجمهور يكشف مبنيا للمفعول وقرا عبد الله وابن ابي
عبلة يكشف بفتح اليا مبنيا للفاعل وابن عباس وابن مسعود ايضا وابن هرمز بالنون وابن مسعود
يكشف بضم اليا مبنيا للفاعل وعنه ايضا بتا مضمومة مبنيا للمفعول وقري تكشف بالتا
المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل انقلبت شفته
العليا وكشف الساق كناية عن شدة الامر وتفاقمه قال مجاهد هي اول ساعة من يوم القيمة وهي

وهي افظعها ومما جاء في الحديث من قوله فيكشف لهم عن ساق محمول ايضا على الشدة في ذلك اليوم
وهو مجاز شايع في لسان العرب قال حاتم •

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا •

وقال الراجز • عجبت من نفسي ومن اشفاقها • ومن طرادي الخيل عن ارزاقها •
في سنة قد كشفت عن ساقها • حمرا تبري اللحم عن عراقها •

وقال آخر • صبرا امام ان شر باق • وقامت الحرب بنا على ساق •

وقال الشاعر • كشفت لهم عن ساقها • وبدا من الشر البوارح • وبرح الصراح

وقال ابن عباس يوم يكشف عن شدة وقال ابو عبيدة هذه كلمة تستعمل في الشدة يقال كشف
عن ساقه اذا تشمر قال ومن هذا تقول العرب لسنة الجدب كشفت عن ساقها فالدلالة
على انه امر مبهم في الشدة خارج عن المألوف كقوله تعالى يوم يدع الداعي الى شيء نكر فكانه قيل
يوم يقع امر فظيع هايل ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ثم هو انهم يدعون ونتقدم
ان ذلك على سبيل التوبيخ لا على سبيل التكليف وقيل الداعي ما يرونه من سجود المؤمنين له
فيريدون ثم السجود فلا يستطيعونه كما ورد في الحديث الذي حاورهم فيه الله تعالى انهم يقولون
انت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وتصير اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر
عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا انتهى ونفي الاستطاعة للسجود في الآخرة لا يدل على ان
لهم استطاعة في الدنيا كما ذهب اليه الجبائي وخاشعة حال و ذو الحال الضمير في يدعون
وخص الابصار بالخشوع وان كانت الجوارح كلها خاشعة لانه يتبين منه في كل جارحة ترهقهم
تغشاهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود فقيل هو عبارة عن جميع الطاعات وخص الذكر من حيث
هو اعظم الطاعات ومن حيث امتحنوا به في الآخرة وقال النخعي والشعبي ارادوا بالسجود الصلاة المكتوبة
قال ابن جبير كانوا يسمعون النداء للصلاة وحي على الفلاح فلا يجيبون • فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث المعنى خل بيني وبينه فاني ساجازيه ولعين ثم مانع وهو ادام وعيد شديد
لمن يكذب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من امر الآخرة وغيره وكان تعالى قدم شيئا من
احوال السعداء والاشقياء ومن في موضع نصب اما عطفا على الضمير في ذرني واما على انه
مفعول معه سنستدرجهم الى قوله متين تكلم عليه في الاعراف ام تسألهم اجرا الى يكتبون تكلم
عليه في الطور روي انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يدعو على الذين انهزموا في احد حين اشتد
بالمسلمين الامر وقيل اراد ان يدعو على ثقيف فنزلت فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم
وتاخير نصرك عليهم وامض لما امرت به من التبليغ واحتمال الاذى ولا تكن كصاحب الحوت هو
يونس عليه السلام اذ نادى اي في بطن الحوت وهو قوله ان لا اله الا انت سبحانك وليس
النهي منصبا على الذات وانما المعنى لا يكن حالك مثل حاله اذ نادى فالعامل في اذ هو المحذوف
المضاف اي كحال او قصة صاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم مملوء غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا
لما دعاهم الى الايمان واحرجوه الى استعجال مطر نقمته اياهم وقال ذو الرمة •

وانت من حب مي مضمر حزنا • عاني الفؤاد قريح القلب مكظوم •

وتقدمت مادة كظم في قوله والكاظمين الغيظ وقرا الجمهور تداركه ماضيا ولم تلحقه علامة
التانيث لتحسين الفصل • وقرا عبد الله وابن عباس تداركته بتاء التانيث وابن هرمز
والحسن والاعمش بتشديد الدال قال ابو حاتم ولا يجوز ذلك والاصل في ذلك تتداركه وهو مستقبل

انتصب

انتصب بان الخفيفة قبله وقال بعض المناحي بن هذا لا يجوز على حكاية الحال الماضية المقتضية
اي لولا ان كان يقال تتداركه ومعناه لولا هذه الحالة الموجودة كانت له من نعمة الله تعالى لنبذ
بالعراء ونحو قوله فوجد فيها رجلين يقتتلان وجواب لولا قوله لنبذ بالعراء وهو مذموم
كما قال فنبذناه بالعراء والمعتمد فيه على الحال لا على النبذ مطلقا بل بقيد الحال وقيل النبذ بعراء القيامة منه
مذموما ويدل عليه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم اخبر تعالى انه
اجتباه اي اصطفاه وجعله من الصالحين اي الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه
في قومه ولما امره تعالى بالصبر لما اراده تعالى ونهاه عن ما نهاه اخبر بشدة عداوتهم ليتلقى
ذلك بالصبر لما اراده تعالى ونهاه عن ما نهاه اخبر فقال وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
اي ليزلقون قدمك بنظرهم الحاد الدال على العداوة المفرطة او ليهلكونك من قولهم نظر الي نظرا
يكاد يصرعني ويكاد يأكلني اي لو امكنه بنظره الصرع والاكل لفعله وقال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في موطن • نظرا يزيل مواطئ الاقدام •

وقال الكلبي ليزلقونك ليصرفونك وقرا الجمهور ليزلقونك بضم الياء من ازلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل
عدي بالفتحة من زلق الرجل بالكسر كحزنت عينه بالكسر وحزنها الله بالفتح وقرا
عبد الله وابن عباس والاعمش وعيسى ليزهقونك وقيل معنى ليزلقونك بابصارهم
لياخذونك بالعين وذكر ان اللفظ بالعين كان في بني اسد قال الكلبي كان رجل من
العرب يمكث يومين او ثلاثة لا ياكل ثم يرفع جانب خبايه فيقول لم ار كاليوم ابلا او غنما
احسن من هذه فما تذهب الا قليلا ثم تسقط طائفة وعدة منها فقال الكفار لهذا الرجل
ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابهم • وانشد •

قد كان قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معيون • اي مصاب

بالعين وعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل عليه هذه الآية قال قتادة نزلت
لدفع العين حكى ارادوا ان يعينوه عليه الصلاة والسلام وقال الحسن دوا
من اصابته العين ان يقرا هذه الآية وقال القشيري الاصابة بالعين انما تكون مع الاستحسان
لا مع الكراهة والبغض وقال ويقولون انه لمجنون وقال القرطبي لا يمنع كراهة الشي ان
يصاب بالعين عداوة حتى يهلك انتهى وقد يكون في المعين وان كان مبغضا عند العاين
صفة يستحسنها العاين فيعينه من تلك الصفة لا سيما من تكون فيه صفات كمال لما سمعوا
على قول من يقول لما ظرف يكون العامل فيه ليزلقونك وان كان حرف وجوب لوجوب
وهو الصحيح كان الجواب محذوفا لدلالة ما قبله عليه اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك
والذكر القرآن ويقولون انه لمجنون تنفيرا عنه وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم اتمهم فضلا
وارجحهم عقلا • وما هو اي القرآن الا ذكر عظة وعبرة للعالمين اي الجن والانس فكيف
ينسبون الى الجن من جاء به

الحاقة

الحسوم قال الفراء التتابع من حسم الداء الكي
تابع بالمكواة عليه قال الشاعر •

ففرق بين جمعهم زمان • تتابع فيه اعوام حسوم •

وقال المبرد حسمت الشي فصلته عن غيره ومنه الحسام • قال الشاعر •

فارسلت ريحا دبورا عقيما • فدارت عليهم فكانت حسوما •

وقال الليث الحسوم الشؤم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقال في الصحاح مرعي

تفكي الواحد صريع وهي السي وهي صنعف ونداعي للسقوط قال ابن شجرة من قولهم وهي السقا
اذا انخرق ومن امثالهم قول الراجز
خل سبيل من وهي سقاه ومن هريق بالفلاة ماؤه * الارجا الجوانب واحدها
رجا اي جانب من حايط او بير ونحوه وهو من ذوات الواو ولذلك يورث في التثنية
قال الشاعر كان لم ترى قبلي اسيرا مقيدا ولا رجلا يرمى به الرجوان * وقال
الاخر فلا يرمى بي الرجوان اني اقل اليوم من يغني مكاني * ها بمعنى خذ وفيها
لغات ذكرناها في شرح التسهيل وقال الكسايي وابن السكيت العرب تقول ها يا رجل وللاثنين
رجلين او امراتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمراة هاء بهمزة مكسورة من غير يا وللنسا
هاؤن وقيل ومعنى هاؤم خذوا ومنه الخبر في الربا الا هاء وهاء اي يقول كل واحد لصاحبه
خذ وقيل تعالوا وزعم القتبي ان الهمزة بدل من الكاف وهذا ضعيف الا ان كان عني انها
تحل محلها في لغة من قال هاك وهاكما وهاكم وهاكن فيمكن ان يقول معناه لان الكاف
لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها وقيل ها كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي
الحديث انه عليه الصلاة والسلام ناداه اعرابي بصوت عالي فجاوبه عليه السلام هاؤم يطول
بصولة صوته وزعم قوم انها مركبة في الاصل والاصل ها امّوا ثم نقله التخفيف والاستعمال
وزعم قوم ان هذه الميم ضمير جماعة الذكور * القطوف جمع قطف وهو ما يجتنى منه الثمر
ويقطف * السلسلة معروفة وهي حلق يدخل في حلق على سبيل الطول * والذراع مونث
وهو معروف قال الشاعر
ارمي عليها وهي فرع اجمع * وهي ثلاثة اذرع واصبع * حض على الشي حمل اهل
فعله بتوكيد * الغسلين قال اللغويون ما يجري من الجراح اذا غسلت * الوتين عرق
يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وقال الكلبي عرق بين العلبا والحلقوم والعلبا
عصب العنق وهما علبا وان بينهما العرق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر ومنه
قول الشماخ * اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين والله تعالى اعلم

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحاقة ما الحاقة
وما ادراك ما الحاقة * كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية * وجاء فرعون ومن قبله
والموتفكات بالخاطية * فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية * انا لما طغى الما حملناكم في الجارية
لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية * فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الارض والجبال
فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السما فهي يومئذ واهية * والملك
على ارجايها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية * هذه السورة
مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر شيا من احوال السعدا والاشقيا وقال فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث ذكر حديث القيمة وما اعد الله لاهل السعادة واهل الشقاوة وادرج بينهما شيا
من احوال الذين كذبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم الكفار
الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمود وفرعون

فنص

فنص عليهم لذلك * الحاقة المراد بها القيمة والبعث قاله ابن عباس وغيره لانها حقت لكل عامل
عمله وقال ابن عباس وغيره لانها تبدي حقايق الاشيا وقيل سميت بذلك لان الامر يحق فيها
فهي من باب ليل نايم والحاقة اسم فاعل من حق الشي اذا ثبت ولم يشك في صحته وقال الازهري
حاققته فحققته اي غالبته فغلبته فالقيمة حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل
اي كل مخاصم فتغلبه وقيل الحاقة مصدر كالعاقبة والعافية والحاقة مبتدا وما مبتدا
ثان والحاقة خبره والجملة خبر عن الحاقة والرابط تكرار المبتدا بلفظه نحو زيد ما زيد وما
استفهام لا يراد به حقيقته بل التعظيم واكثر ما يربط بتكرار المبتدا اذا اريد معنى التعظيم
والتهويل * وما ادراك ما الحاقة مبالغة في التهويل والمعنى ان فيها ما لم يدر ولم يحط به وصف
من امورها الشاقة وتفصيل اوصافها وما استفهام ايضا مبتدا وادراك الخبر والعايد على
ما ضمير الرفع في ادرك وما مبتدا والحاقة خبر والجملة في موضع نصب بادراك وادراك معلقة
واصل درى ان يعدى بالبا وقد تحذف على قلة فاذا دخلت همزة النقل تعدى الى واحد بنفسه
والى الاخر بحرف الجر فقوله ما الحاقة بعد ادراك في موضع نصب بعد اسقاط حرف الجر والقارعة
من اسما القيمة لانها تقرع القلوب بصدمتها وقال الزمخشري تقرع الناس بالاهوال
والافزاع والسما بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس
والانكدار موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها
وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا
لهم من عاقبة تكذيبهم انتهى وقرا الجمهور فاهلكوا رباعيا مبنيا للمفعول وزيد بن علي
فهلكوا مبنيا للفاعل قال قتادة بالطاغية بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة وقال
مجاهد وابن زيد بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها وقال ابن عباس وابن زيد ايضا
وابو عبيدة ما معناه الطاغية مصدر كالعافية فكانه قال بطغيانهم ويدل عليه
كذبت ثمود بطغواها وقيل الطاغية عاقر الناقة والهاء فيه للمبالغة كرجل راوية واهلكوا
كلهم برضاهم بفعله وقيل بسبب الفئة الطاغية واختار الطبري وغيره ان الطاغية هي الصيحة
ويرجح ذلك مقابلة سبب الهلاك في ثمود بسبب الهلاك في عاد وهو قوله بريح صرصر وتقدم
القول في صرصر في سورة القمر * عاتية عتت على خزانها فخرجت بغير مقدار وعلى
عاد فما قدروا على ان يتستروا منها او وصفت بذلك استعارة لشدة عصفها والتسخير
استعمال الشي باقتدار عليه فمعنى سخرها عليهم اي اقامها وادامها سبع ليال بدئت عليهم
صبح الاربعا لثمان بقين من شوال الى اخر الاربعا تمام الشهر حسوما قال ابن عباس
وعكرمة ومجاهد وقتادة وابو عبيدة تباعا لم يتخللها انقطاع وقال الخليل شوما ونحسا
وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم اي تلك الايام قطعتهم بالاهلاك ومنه
حسم العلل والحسام وقال الزمخشري وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعل مضمر
اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او تكون صفة كقولك ذات حسوم او تكون
مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها
عليهم مستاصلة وقيل هي ايام العجوز وهي اواخر الشتا واسماوها الصن والصنبر والوبر
والامر والموتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن * فترى القوم فيها اي في الليالي
والايام او في ديارهم او في مهاب الريح احتمالات اظهرها الاول لانها اقرب ومصرح به وقوا

وقرا ابو السمال اعجز على وزن كضبع واضبع وحكى الاخفش انه قرى نخل خاوية خلت اعجازها
بلي وفسدت وقال ابن شجرة كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم
فصاروا كالنخل الخاوية وقال يحيى بن سلام خلت ابدانهم من ارواحهم وقال ابن جريج كانوا
في سبعة ايام في عذاب ثم في الثامن ماتوا والقتهم الريح في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم
من باقية وقال ابن الانباري من باقية اي من باق والها للمبالغة وقال ايضا من فئة باقية
وقيل من بقية مصدر جاء على فاعلة كالعافية وقرا ابو رجا وطلحة والجحدري
والحسن بخلاف عنه وعاصم في رواية ابان والنحويان ومن قبله بكسر القاف وفتح البا اي
اجناده واهل طاعته وتقول زيد قبلك اي فيما يليك من المكان وكثر استعمال قبلك حتى
صار بمنزلة عندك وفي جهتك وما يليك باي وجه وليه وقرا باقي السبعة وابو جعفر
وشيبة والسلمي ومن قبله ظرف زمان اي الامم الكافرة التي كانت قبله كقوم نوح وقد
اشار الى بعض من حديثه بعد هذا والمؤتفكات قرى قوم لوط وقرا الحسن هنا والمؤتفكة
على الافراد بالخاطئة اي بالفعلات او الفعلات الخاطئة قاله مجاهد وبالخطا فيكون مصدرا
جاء على فاعلة كالعافية قاله الجرجاني ● فعصوا رسول ربهم رسول جنس وعوض جاهم
من عند الله تعالى كموسى ولوط عليهما السلام وقيل لوط عليه السلام اعاده على اقرب
مذكور وهو رسول المؤتفكات وقال الكلبي موسى عليه السلام اعاده على الاسبق وهو
رسول فرعون وقيل رسول بمعنى رسالة ● رابية اي نامية قال مجاهد شديدة يريد
انها زادت على غيرها من الاخذات وهي الغرق وقلب المداين ● انا لما طغى الما حملناكم
اي زاد وعلا على اعلى جبل في الدنيا خمس عشرة ذراعا قال ابن جبير طغى على الخزان كما طغت
الريح على خزانها ● حملناكم اي في اصلاب ابائكم في الجارية هي سفينة نوح عليه السلام وكثر استعمال
الجارية في السفينة ومنه قوله تعالى ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام وقال
الشاعر ● تسعون جارية في بطن جارية ● وقال المهدوي المعنى في السفن الجارية
يعني انه ذكر ذلك على سبيل الامتنان والمحمولون هم المخاطبون ● لنجعلها اي سفينة نوح عليه
السلام ● لكم تذكرة بما جرى لقومه الهالكين وقومه الناجين فيها وعظة قال قتادة ادركها
اوايل هذه الامة وقال ابن جريج كانت الواحها على الجودي وقيل لنجعل تلك الحملة في سفينة نوح
عليه السلام ● وتعيها اي وتحفظ قصتها اذن من شانها ان تعي المواعظ يقال وعيت
لما حفظ في النفس واوعيت لما حفظ في غير النفس من الاوعية وقال قتادة الاذن التي عقلت
وانتفعت بما سمعت من كتاب الله وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي اني دعوت الله تعالى
اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما بعد ذلك سمعت شيئا فنسيته وقراها ونعيها بكسر العين
وتخفيف اليا العامة وابن مصرف وابو عمرو في رواية هارون وخارجة عنه وقنبل بخلاف عنه باسكانها
وحمزة باخفاء الحركة ووجه الاسكان التشبيه في الفعل بما كان على وزن فعل في الاسم والفعل
نحو كبد وعلم ونعي ليس على وزن فعل بل هو مضارع وعى فصار الى فعل واصله يفعل
حذفت واوه وروي عن عاصم عصمة وحمزة الازرق ونعيها بتشديد اليا قيل وهو خطا وينبغي
ان يتاول على انه اريد به شدة بيان اليا احترازا ممن سكنها لا ادغام حرف في حرف وما ينبغي
ان يجعل ذلك من باب التضعيف في الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف وان كان قد ذهب
الى ذلك بعضهم وروي عن حمزة وعن موسى بن عبد الله العبسي ونعيها باسكان اليا فاحتمل

الواهية هي و

الاستيناف

من ا وسطع

الاستيناف وهو الظاهر واحتمل ان يكون مثل قراءة ما تطعمون اهاليكم بسكون اليا وقال
الزمخشري فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة
فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت
عن الله تعالى فهي السواد الاعظم عند الله تعالى وان ما سواها لا يبالي بالة وان ملوا ما بين الخافقين
انتهى وفيه تكثير ولما ذكر تعالى ما فعل بمكذبي الرسل من العذاب في الدنيا ذكر امر الاخرة وما يعرض
فيها لاهل السعادة واهل الشقاوة وبدا باعلام يوم القيامة فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
وهذه النفخة هي نفخة الفزع قال ابن عباس وهي النفخة الاولى التي يحصل عنها خراب العالم ويريد
ذلك قوله وحملت الارض والجبال وقال ابن المسيب ومقاتل هي النفخة الاخرة وقيل هذا لا يكون
الدك بعد النفخ والواو لا ترتب وروي ذلك عن ابن عباس ايضا ولما كانت النفخة مرة اكدت بقوله
واحدة وقرا الجمهور نفخة واحدة برفعهما ولم يلحق التاء نفخ لان تانيث النفخة مجازي ووقوع
الفصل وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت لان النفخة مصدر محدود
والنفخة ليس بنعت تخصيص انما هو نعت توكيد وقرا ابو السمال بنصبهما اقام الجار والمجرور مقام
الفاعل وقرا الجمهور وحملت بتخفيف الميم وابن ابي عبلة وابن مقسم والاعمش وابن عامر
في رواية يحيى بتشديدها فالتخفيف على ان تكون الارض والجبال حملتها الريح العاصف او الملايكة
او القدرة من غير واسطة مخلوق ويبعد قول من قال انها الزلزلة لان الزلزلة ليس فيها حمل
انما هي اضطراب والتشديد على ان تكون للتكثير او يكون التضعيف للنقل فجاز ان تكون
الارض والجبال المفعول الاول اقيم مقام الفاعل والثاني محذوف اي ريحا تفتتها او ملايكة او قدرة
وجاز ان يكون الثاني اقيم مقام الفاعل الاول محذوف وهو واحد من الثلاثة المقدرة وثنى الضمير
في فدكتا وان كان قد تقدمه ما يعود عليه ضمير الجمع لان المراد جملة الارض وجملة الجبال
اي ضرب بعضها ببعض حتى تفتتت وترجع كما قال تعالى كثيبا مهيلا والدك فيه تفرق الاجزا
لقوله هبا والدق فيه اختلاف الاجزا وقيل تبسط فتصير ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
وهو من قولهم بعير ادك وناقة دكا اذا ضعفا فلم يرتفع سنامهما واستوت جراجيهما مع ظهريهما
فيومئذ معطوف على فاذا نفخ في الصور وهو منصوب بوقعت كما ان اذا منصوب بنفخ على ما
اخترناه وقررناه واستعدد للنازلة في ان العامل في اذا هو الفعل الذي يليها والجواب وان كان
مخالفا لقول الجمهور والتنوين في اذ للعوض من الجملة المحذوفة وهي في التقدير فيومئذ اذ نفخ
في الصور وجرى كيت وكيت والواقعة هي القيامة وقد تقدم في اذا وقعت الواقعة ان بعضهم
قال هي صخرة بيت المقدس وانشقت السما اي تفطرت وتميز بعضها من بعض فهي يومئذ
واهية ضعيفة لتشققها بعد ان كانت شديدة ءانتم اشد خلقا ام السما او متخرقة كما يقال
وهي السقا انخرق وقيل انشقاقها لنزول الملايكة قال تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل
الملايكة تنزيلا وقيل انشقاقها لهول يوم القيامة ● والملك على ارجائها قال ابن عباس على حافاتها
حين تنشق والظاهر ان الضمير في حافاتها عائد على السما وقال ابن جبير والضحاك على حافات
الارض ينزلون اليها يحفظون اطرافها وان لم يجر لها ذكر قريب كما روي ان الله يامر
ملايكة سما الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم ملايكة الثانية فيصفون حولهم
ثم ملايكة كل سما فكلما ند احد من الجن والانس وجد الارض احيط بها والملك اسم جنس يراد به الملايكة
وقال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قولك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملايكة انتهى والظاهر

ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام الجنسية فصاراه ان يراد به الجمع المحلى بهما
ولذلك صح الاستثناء منه فقصاراه ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى
الى قوله فليس دليلا على دعواه لان من ملك نكرة مفرده في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة
للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة
فان من دخلت على جمع منكر فعم كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد فرد من
الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال جاز ان يكون فيها واحد لان النفي انما انسحب على جمع
ولا يلزم من انتفاء الجمع من جمع دخلت عليه من وانما جيء به مفردا لانه اخف ولان قوله على ارجائها
يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون على ارجائها في وقت واحد بل في اوقات والمراد
والله تعالى اعلم ان الملائكة على ارجائها في اوقات تتشقق وقال الزمخشري يعني انها تنشق وهي
مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها انتهى والضمير في فوقهم
عائد على الملائكة ضمير جمع يعود على المعنى لانه يراد به الجنس قال معناه الزمخشري وقيل يعود على
الملائكة الحاملين اي فوق رؤوسهم وقيل على العالم كلهم والظاهر ان التمييز المحذوف في قوله
ثمانية املاك اي ثمانية اشخاص من الملائكة وعن الضحاك ثمانية صفوف وعن الحسن الله اعلم
كم هم ثمانية صفوف ام ثمانية اشخاص وذكروا في صفتها واشكالها اشياء لا تحل ضربنا
عن ذكرها صفحا يومئذ اي يوم اذ كان ما ذكر تعرضون اي للحساب وتعرضون هو جواب قوله
فاذا نفخ فان كانت النفخة هي الاولى فجاز ذلك لانه اتسع في اليوم فجعل ظرفا للنفخ ووقوع الواقعة وجميع
الكائنات بعدها وان كانت النفخة هي الثانية فلا يحتاج الى اتساع لان قوله فيومئذ معطوف
على فاذا ويومئذ تعرضون بدل من فيومئذ وما بعدها من الظروف واقع في يوم القيمة والخطاب
في تعرضون لجميع العالم المحاسبين وعن عبد الله وابي موسى في القيمة عرضتان فيهما معاذير
وتوقيف وخصومات وثالثة تتطاير فيها الصحف للايمان والشمائل وقرأ الجمهور لا تخفى
بتاء التانيث وعلي وابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وابن مقسم عن عاصم وابن
سعدان بالياء خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا قوله تعالى فاما من اوتي كتابه
بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ۝ اني ظننت اني ملاق حسابيه ۝ فهو في عيشة راضية
في جنة عالية ۝ قطوفها دانية ۝ كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ۝ واما من
اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ۝ ولم ادر ما حسابيه ۝ يا ليتها كانت القاضية
ما اغنى عني ماليه ۝ هلك عني سلطانيه ۝ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ۝ ولا يحض على طعام المسكين ۝ فليس له اليوم
ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون ۝ اما حرف تفصيل فصل بها ما
وقع في يوم العرض ونظهر ان من يقضى عليه دخول النار من الموحدين انه في يوم العرض ياخذ كتابه
بيمينه مع الناجين من النار ويكون ذلك بانس به من العذاب وقيل لا ياخذه حتى يخرج من
النار واعتراض من العذاب وهذا يظهر لان من يسار به الى النار كيف يقول
هاؤم اقرءوا كتابيه وهل هذا الا استبشار سرور فلا بد سبب دخول الجنة وهاؤم ان كان مدلولها
خذ فهي متسلطة على كتابيه بغير واسطة الى وكتابيه يطلبه هاؤم واقرءوا فالبصريون يعملون
اقرءوا والكوفيون يعملون هاؤم وفي ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم الفعل والفعل وقرأ
الجمهور كتابيه وحسابيه في موضعيهما وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه باثبات

هاء

هاء السكت وقفا ووصلا لمراعاة خط المصحف وقرأ ابن محيصن بحذفها وصلا ووقفا واسكان
الياء في ذلك كتابي وحسابي ومالي وسلطاني ولم ينقل ذلك فيما وقفت عليه في ماهيه في القارعة وابن
ابي اسحاق والاعمش بطرح الهاء فيهن ووقف عليه فيهن في الوصل لا في الوقف وطرحها حمزة
والكسائي في ماليه وسلطانيه وماهيه في الوصل لا في الوقف وفتح الياء فيهن وما قاله الزهراوي
من ان اثبات الهاء في الوصل لحن لا يجوز عند احد علمته ليس كما قال بل ذلك منقول نقل التواتر فوجب
قبوله اني ظننت اي ايقنت ولو كان ظنا فيه تجويز لكان كفرا فهو في عيشة راضية
ذات رضى وقال ابو عبيدة والفراء راضية مرضية كقوله من ماء دافق اي مدفوق ۝ في جنة
عالية اي مكانا وقدرا قطوفها اي ما يجنى منها ۝ دانية اي قريبة التناول يدركها القائم
والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها كلوا واشربوا اي يقال وهنيئا تقدم الكلام عليه
في اول النساء وقال الزمخشري هنا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا على المصدر انتهى
فقوله اكلا وشربا هنيئا يظهر منه جعل هنيئا صفة للمصدر ولا يجوز ذلك الا على تقدير
الاضمار عند من يجيز ذلك اي اكلا هنيئا وشربا هنيئا بما اسلفتم اي قدمتم من العمل الصالح
في الايام الخالية يعني ايام الدنيا وقال مجاهد وابن جبير ووكيع وعبد العزيز بن رفيع ايام الصوم
اي بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى والظاهر العموم في قوله بما اسلفتم اي
من الاعمال الصالحة يا ليتني لم اوت كتابيه لما راى فيه قبائح افعاله وما يصير امره اليه تمنى انه
لم يعطه وتمنى انه لم يدر حسابه فانه انجلى عنه حسابه عما يسوءه فيه اذ كان عليه لا له ۝ يا ليتها
اي الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث ولم اعذب او يا ليت
الحالة التي انتهيت اليها الان كانت الموتة التي متها في الدنيا حيث راى ان حالته التي هو فيها
امر مما ذاقه من الموتة وكيف لا وهو انما الى عذاب لا ينقطع ما اغنى عني ماليه يجوز
ان يكون نفيا محضا اخبر بذلك متاسفا على ماله حيث لم ينفعه ويجوز ان يكون استفهاما
وبخ نفسه وقررها عليه هلك عني سلطانيه اي حجتي قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك
وعكرمة والسدي وقال ابن زيد يقول ذلك ملوك الدنيا وكان عضد الدولة ابن بويه
لما تسمى بملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بقوله هلك عني
سلطانيه ۝ خذوه اي يقال للزبانية خذوه فغلوه اي اجعلوا في عنقه غلا ثم الجحيم صلوه
قال الزمخشري ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس
يقال صلي النار وصلاه النار انتهى وانما قدره لا تصلوه الا لانه يزعم ان تقديم المفعول
يدل على الحصر وقد تكلمنا معه في ذلك عند قوله اياك نعبد وليس ما قاله مذهبا
لسيبويه ولا لحذاق النحاة واما قوله لانه كان سلطانا يتعظم على الناس فهذا قول ابن زيد وهو
مرجوح والراجح قول ابن عباس ومن ذكر معه ان السلطان هنا هو الحجة التي كان يحتج بها في الدنيا
لان من اوتي كتابه بشماله ليس مختصا بالملوك بل هو عام في جميع اهل الشقاوة ۝ ثم في سلسلة
ذرعها اي قيلها ومقدار طولها سبعون ذراعا يجوز ان يراد ظاهره من العدد ويجوز ان
يراد به المبالغة في طولها وان لم يبلغ هذا العدد قال ابن عباس وابن جريج ومحمد بن المنكدر
بذراع الملك وقال نوف البكالي وعنه الذراع سبعون باعا في كل باع كما بين مكة والكوفة
وهذا يحتاج الى نقل صحيح وقال الحسن الله اعلم باي ذراع هي وقيل بالذراع المعروف وانما خاطبنا
تعالى بما نعرفه ونحصله وقال ابن عباس لو وضع منها حلقة على جبل لذاب كالرصاص فاسلكوه

اي ادخلوه كقوله فسلكه ينابيع والظاهر انه يدخله في السلسلة ولطولها تلتوي عليه من جميع
جهاته فيبقى داخلا فيها مضغوطا حتى تعمه وقيل في الكلام قلب والسلسلة تدخل في فيه
وتخرج من دبره فهي في الحقيقة التي تسلك فيه ولكن جي تدعوا الي اخراج الكلام عن ظاهره الا ان دل الدليل
الصحيح علي خلافه وقال الزمخشري والمعنى في تقديم السلسلة علي السلك مثله في تقديم الجحيم علي
التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من ساير مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى
ثم الدلالة علي تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا علي تراخي
المدة انتهى وتقدم ان من مذهبه الحصر في تقديم المعمول وا مانم فيمكن بنا وها علي موضوعها
من المهلة وانه اولي يوخذ فيغل ولما لم يعذب بالعجلة صارت له استراحة ثم جا تصلية الجحيم فكان
ذلك ابلغ في عذابه اذ جاءه ذلك وقد سكنت نفسه قليلا ثم جا سلكه بعد ذلك بعد كونه مغلولا معذبا
في النار لكنه كان له انتقال من مكان الي مكان فيجد بذلك بعض تنفس فلما سلك في السلسلة كان
ذلك اشد ما عليه من العذاب حيث صار لا حراك له ولا انتقال وانه يضيق عليه غاية فهذا يصح فيه
ان تكون ثم علي موضوعها من المهلة الزمانية • انه كان لا يومن بدا بالاقوى اسباب تعذيبه وهو
كفره بالله وانه تعليل مستانف كان قيلا قال لم يعذب هذا العذاب البليغ وقيل انه كان لا يومن
ويعطف ولا يحض علي لا يومن داخل في العلة وذكر يدل علي عظم ذنب من لا يحض علي طعام المسكين اذ
جعل قرين الكفر وهذا حكم ترك الحض فكيف يكون ترك الاطعام والتقدير علي طعام اطعام المسكين
واضاف الطعام الي المسكين من حيث له اليه نسبة اذ يستحق المسكين حقا في مال الغني الموسر ولو بادني
يسار وللعرب في مكارمهم وايثارهم اثار عجيبة غريبة بحيث لا توجد في غيرهم وما احسن ما قيل
فيهم • علي مكثريهم رزق من يعتريهم • وعند المقلين السماحة والبذل •
وكان ابو الدردا لم يحض امراته علي تكثير الرزق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان
افلا نخلع نصفها الاخر وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشا الله اطعمه يعني انه اذا انتفى الحض
انتفى الاطعام بجهة الاولى كما صرح به في قوله تعالى لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فليس له اليوم
ههنا حميم اي صديق ملاطف واذ الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو وقيل قريب يدفع عنه ولا طعام الا
من غسلين قال ابن عباس هو صديد اهل النار وقال قتادة وابن زيد هو والزقوم اخبث شي واشنعه
وقال الضحاك والربيع هو شجر ياكله اهل النار وقيل هو شي يجري من اهل النار يدل علي هذا قوله في
الغاشية ليس لهم طعام الا من ضريع فهما شي واحد ومتداخلان وقيل يجوز ان يكونا متباينين
واخبر كل واحد منهما عن طايفة غير الطايفة التي الاخرى طعامها وله خبر ليس وقال المهدوي ولا يصح
ان يكون ههنا ولم يبين ما المانع من ذلك وتبعه القرطبي في ذلك وقال لان المعنى يصير ليس
ههنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره وههنا متعلق بما في له من معنى
الفعل انتهى واذا كان غيره من الطعام وكان الاكل عن الاكل اخرج الحصر بالنسبة الي اختلاف الاكلين
واما ان كان الضريع هو الغسلين كما قال بعضهم فلا تنافي اذ المحصور في الايتين هو شي واحد
وانما يمتنع ذلك من وجه غير ما ذكره وهو انه اذا جعلنا الخبر ههنا كان له واليوم متعلقا
بما تعلق به الخبر وهو العامل في ههنا وهو عامل معنوي فلا يتقدم معموله عليه فلو كان العامل لفظيا
كقولك قايما كان زيد جاز واذا
لم يكن له كفوا احد فله متعلق بكفوا وهو خبر ليكن وقرا الجمهور الخاطئون بالهمز اسم فاعل
من خطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك والمخطئ الذي يفعله غير متعمد وقرا الحسن
والزهري والعقيلي وطلحة في نقل بالياء مضمومة بدلا من الهمزة وقرا ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع بخلاف

عنه

عنه بضم الطاء دون همز فالظاهر اسم فاعل من خطي كقراءة من همز وقال الزمخشري ويجوز ان يراد
الذين يتخطون الحق الي الباطل ويتعدون حدود الله انتهى فيكون اسم فاعل من خطا يخطو كقوله
تعالى لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان خطا الي المعاصي قوله تعالى
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • انه لقول رسول كريم • وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين • ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا
لنعلم ان منكم مكذبين • وانه لحسرة علي الكافرين • وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم •
تقدم الكلام في لا قبل القسم في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقراءة الحسن لا اقسم بجعلها لاما دخلت
علي اقسم وقيل لا هنا نفي للقسم اي لا يحتاج في هذا الي قسم لوضوح الحق في ذلك وعلي هذا فجوابه جواب
القسم قال مقاتل سبب ذلك ان الوليد قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة
كاهن فرد الله عليهم بقوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون عام في جميع مخلوقاته وقال
عطا ما تبصرون من اثار القدرة وما لا تبصرون من اسرار القدرة وقيل وما لا تبصرون الملايكة
وقيل الاجساد والارواح • انه اي ان القران لقول رسول كريم هو محمد صلى الله عليه وسلم في قول
الاكثرين ويؤيده وما هو بقول شاعر وما بعده ونسبة القول اليه لانه هو مبلغه والعامل به
وقال ابن السايب ومقاتل وابن قتيبة هو جبريل عليه السلام اذ هو الرسول عن الله ونفى
تعالى ان يكون قول شاعر لمباينته لضروب الشعر ولا قول كاهن لانه ورد بسب الشياطين
وانتصب قليلا علي انه صفة لمصدر محذوف او لزمان محذوف اي تومنون ايمانا قليلا او زمانا
قليلا وكذا التقدير في قليلا ما تذكرون والقلة هو اقرارهم اذا سيلوا من خلقهم قالوا الله وقال
ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تومنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم
البتة ويحتمل ان تكون ما مصدرية ويتصف بالقلة هو الايمان اللغوي لانهم صدقوا باشيا يسيرة
لا تغني عنهم شيئا اذ كانوا يصدقون ان الخير والصلة والعفاف الذي كان يامر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو حق صواب انتهى اما قوله ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تومنون
فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه تومنون اما ان تكون ما نافية او مصدرية كما ذهب
اليه فان كانت ما نافية فذلك المضمر الدال عليه تومنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير
ما تومنون قليلا ما تومنون والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما لا يجوز زيدا
اما ضربت زيدا ما اضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع رفع علي الفاعلية بقليلا اي قليلا
ايمانكم ويبقى قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في موضع رفع علي الابتدا
فيكون مبتدا لا خبر له لان ما قبله منصوب لا مرفوع وقال الزمخشري والقلة في معنى العدم
اي لا تومنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم انتهى ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض
كما زعم وذلك لا يكون الا في اقل نحو اقل رجل يقول ذلك الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد
تستعمل في قليل وقليلة اذا كانا مرفوعين نحو ما جوز في قوله قليل بها الا صوات الا بغامها
اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت او قليلا ما ضربت علي ان تكون ما مصدرية فان ذلك لا يجوز
لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا لكثير
واما في قليلا ما ضربت علي ان تكون ما مصدرية فتحتاج الي رفع قليل لان ما المصدرية في موضع رفع
علي الابتدا وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بخلاف عنهما والحسن والجحدري يومنون يذكرون بالياء فيهما

بومئذ؟

وباقي السبعة بتاء الخطاب وابي بن كعب وقرا الجمهور تنزيل بالرفع وابو السمال تنزيلا بالنصب ومن الجمهور ولو تقول والتقول ان يقول الانسان عن الاخر انه قال شيئا لم يقله وقرا ذكوان وابنه محمد يقول مضارع قال وهذه القراءة معترضة بما صرحت به قراءة الجمهور وقرئ ولو تقول مبنيا للمفعول وحذف الفاعل وقام المفعول مقامه وهو بعض ان كان قرئ مرفوعا وان كان قرئ منصوبا بعلينا قام مقام الفاعل والمعنى ولو تقول علينا متقول ولا يكون الضمير في تقول عايدا على الرسول صلى الله عليه وسلم لاستحالة وقوع ذلك منه فتحت تمنع ان يكون ذلك على سبيل الفرض في حقه عليه الصلاة والسلام والاقاويل جمع الجمع وهو اقوال كابيات وابابيت قال الزمخشري وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والظاهر ان قوله باليمين المراد به الجارحة فقال الحسن المعنى قطعناه عبرة ونكالا والباء على هذا ايزة وقيل الاخذ على ظاهره قال الزمخشري والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما تفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين على اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يلحقه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله تعالى لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه انتهى وهو قول للمتقدمين حسنه الزمخشري بتكثير الفاظه ومصارعها قالوا المعنى لاخذنا بيده التي هي اليمين على جهة الاذلال والصغار كما يقول السلطان اذا اراد عقوبة رجل يا غلام خذ بيده وافعل كذا قاله او قريبا منه الطبري وقيل اليمين هنا مجاز فقال ابن عباس باليمين بالقوة معناه لنلنا منه عقابه بقوة منا وقال مجاهد بالقدرة وقال السدي عاقبناه بالحق ومن على هذا صلة وقال نفطويه لقبضنا بيمينه عن التصرف وقيل لنزعنا منه قوته وقيل لاذللناه واعجزناه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس وهو نياط القلب وقال مجاهد حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع والموتون الذي قطع وتينه والمعنى لو تقول علينا لاذهبنا حياته معجلا والضمير في عنه الظاهر انه يعود على الذي تقول ويجوز ان يعود على القتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه والخطاب في منكم للناس والظاهر في حاجزين ان يكون خبرا لما على لغة الحجاز لان حاجزين هو محط الفائدة ويكون منكم لو تاخر لكان صفة لاحد فلما تقدم صار حالا وفي جواز هذا نظر ويكون للبيان وتتعلق بحاجزين كما تقول ما فيك زيد راغبا ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب خبر ما وقال الحوفي والزمخشري حاجزين نعت لاحد على اللفظ وجمع على المعنى لانه في معنى الجماعة يقع في النفي العام للواحد والجمع والمذكر والمونث ومنه لا نفرق بين احد من رسله وقوله لستن كاحد من النساء مثل بهما الزمخشري وقد تكلمنا على ذلك في موضعيهما وفي الحديث لم تحل لاحد سود الرووس قبلكم واذا كان حاجزين نعتا فمن احد مبتدا والخبر منكم ويضعف هذا القول لان النفي يتسلط على الخبر وهو كينونته منكم فلا يتسلط على الحجز واذا كان حاجزين خبرا تسلط النفي عليه وصار المعنى ما احد منكم يحجزه عما يريد به من ذلك • وانه لتذكرة اي وان القران او الرسول صلى الله عليه وسلم • وانا لنعلم ان منكم مكذبين بالقران او بالرسول صلى الله عليه وسلم • وانه لحسرة اي القران من حيث يكفرون به ويرون من امن به ينعم وهم يعذبون وقال مقاتل وان تكذيبهم بالقران لحسرة عليهم عاد الضمير على المصدر المفهوم من قوله مكذبين كقوله

اذا نهي السبعه

اذا نهي السفيه جرى اليه • اي للسفه • وانه اي وان القران لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وسبق الكلام على اضافة حق الى اليقين في آخر الواقعة

المفردات

العهن الصوف دون تقييد او الاحمر او المصبوغ الوانا اقوال • الفصيلة قال ثعلب الاباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقيل عشيرته الاقربون • لظى اسم لجهنم او للدركة الثانية من دركاتها وهو علم منقول من اللظى وهو اللهب ومنع الصرف للعلمية والتانيث • الشوى جمع شواة وهي جلدة الراس • وقال الاعشى •

قالت قتيلة ماله • قد جللت شيبا شواته •

والشوى جلد الانسان والشوى قوائم الحيوان والشوى كل عضو ليس بمقتل ومنه رمى فاشوى اذا لم يصب المقتل والشوى رذال المال والشوى الشي الهين اليسير • الهلع الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير وقال ابو عبيدة الهلع في اللغة اشد الحرص واسوا الجزع • الجزع الخوف • قال الشاعر •

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا •

عزين جمع عزة قال ابو عبيدة جماعات في تفرقة وقيل الجمع اليسير كثلاثة وثلاثة واربعة واربعة • وقال الاصمعي في الدار عزون اي اصناف الناس • قال عنترة •

وقرن قد تركت لدى ولي • عليه الطير كالعصب العزين

وقال الراعي • اخليفة الرحمن ان عشيرتي • امسى سوامهم عزين فلولا •

وقال الكميت • ونحن وجندل باغ تركنا • كتائب جندل شتى عزينا •

وقال اخر • فلما ان اتين على اضاخ • ضرحن حصاه اشتاتا عزينا •

وقال اخر • ترانا عنده والليل داج • على ابوابه حلقا عزينا •

وعزة مما حذفت لامه فقيل هي واو واصله عزوة وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم متفرقون ويقال عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره وقيل لامها هاء والاصل عزهة وجمعت عزة بالواو والنون كما جمعت سنة واخواتها بذلك وتكسر العين في الجمع وتضم وقالوا عزى على فعل • ولم يقولوا عزات • والله تعالى اعلم بالصواب

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

سال سايل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج • تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل • وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يوميذ ببنيه • وصاحبته واخيه • وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه • كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا • اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دايمون والذين في اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم • والذين يصدقون بيوم الدين • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • ان عذاب ربهم غير مامون • والذين هم لفروجهم حافظون • الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فاوليك هم العادون • والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم بشهاداتهم قايمون • والذين هم على صلواتهم يحافظون • اوليك في جنات مكرمون • هذه السورة مكية قال الجمهور نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقال الربيع ابن انس في ابي جهل وقيل في جماعة من قريش قالوا اللهم ان كان

هذا هو الحق الاية وقيل السائل نوح عليه السلام سال العذاب على الكافرين وقيل السائل رسول الله
صلى الله عليه وسلم سال الله ان يشتد وطاته على مضر الحديث فاستجاب الله دعوته ومناسبة
اول هذه السورة لاخر ما قبلها انه لما ذكروانا لنعلم ان منكم مكذبين اخبر عن ما صدر عن بعض المكذبين بتهم الله
وان كان السائل نوحا عليه السلام او الرسول صلى الله عليه وسلم فناسب تكذيب المكذبين
ان دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا صدق ما جاهم به وقرا الجمهور سال بالهمز اي دعا داع
من قولهم دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه فالبا على اصلها وقيل المعنى بحث باحث واستفهم قيل
فالبا بمعنى عن وقرا نافع وابن عامر سال بالالف فيجوز ان يكون قد ابدلت همزته الفا وهو بدل
على غير قياس وانما قياس هذا بين بين ويجوز ان يكون على لغة من قال سلت اسال كخفت اخاف
سيبويه وقال الزمخشري هي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان انتهى وينبغي ان
يتثبت في قوله انها لغة قريش لان ما جا في القران من باب السوال فهو مهموز واصله الهمز
كقراة من قرا وسلوا الله ولا يجوز ان يكون من سال التي عينها واو اذ كان يكون ذلك وسالوا
الله مثل خافوا الامر فيبعد ان يجي ذلك كله على لغة قريش وهم الذين نزل القران بلغتهم الا يسيرا
فيه لغة غيرهم ثم جا في كلام الزمخشري وهما يتسايلان بالياء واظنه من الناسخ وانما هو يتساولان
بالواو فان لو اتفقت النسخ بالياء فيكون التخريج من الزمخشري وعلى تقدير ثبوته من السوال
فسايل اسم فاعل منه وتقدم ذكر الخلاف في السايل من هو وقيل سال من السيلان ويويده
قراة ابن عباس سال سيل وقال زيد بن ثابت في جهنم واد يسمى سايلا واخبر هنا عنه قال
ابن عطية ويحتمل ان لم يصح امر الوادي ان يكون الاخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير
له السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه وقال الزمخشري والسيل مصدر في معنى
السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم انتهى واذا
كان السايل هم الكفار فسوالهم انما كان على انه كذب عندهم فاخبر تعالى انه واقع وعبد الله وقرا
ابي وعبد الله سال سال مثل مال بالقا صورة الهمز وهي اليا من الخط تخفيفا وقيل
والمراد سايل انتهى ولم يحك هل قرا بالهمز او باسقاطها البتة فان قرا بالهمز فظاهر
وان قرا بحذفها فهو مثل شاك في شايك حذفت عينه واللام جرت فيها الاعراب
والظاهر تعلق بعذاب بسال وقال ابو عبد الله الرازي يتعلق بمصدر دل عليه
فعله كانه قيل ما سواله فقيل سواله بعذاب واقع والظاهر تعلق للكافرين بواقع فيكون
متعلقا به واللام للعلة اي نازل بهم لاجلهم اي لاجل كفرهم او على ان اللام بمعنى على قاله
بعض النحاة ويويده قراة ابي على الكافرين او على انه في موضع اي واقع كاين للكافرين وقال
قتادة والحسن المعنى كان قايلا قال لمن هذا العذاب الواقع فقيل للكافرين وقال
الزمخشري او بالفعل اي دعا للكافرين ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ما ذكر من توجيهه في الكافرين
قال هو كلام مبتدا جواب للسايل اي هو للكافرين وكان قد قرر ان سال معنى ضمن دعا
فعدي تعديته كانه قال دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه
ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى فعلى ما قرر انه متعلق بدعا يعني بسال
فكيف يكون كلاما مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين هذا لا يصح وقد اخذ قول قتادة
والحسن واسنده والاجود ان يكون من الله متعلقا بقوله واقع وليس له دافع جملة اعتراض
بين العامل والمعمول وقيل يتعلق بدافع اي من جهته اذا جا وقته ذي المعارج لغة

الدرج

الدرج وهنا استعارة قال ابن عباس وقتادة في الرتب والفواضل والصفات الحميدة
وقال ابن عباس ايضا المعارج السموات تعرج فيها الملائكة من سما الى سما وقال الحسن
هي المراقي الى السما وقيل المعارج الغرف اي جعلها لاوليائه في الجنة تعرج قراة الجمهور بالتا
على التانيث وعبد الله والكسائي وابن مقسم وزائدة عن الاعمش بالياء والروح قال
الجمهور وهو جبريل خص بالذكر تشريفا واخر هنا بعد الملائكة وقدم في قوله يوم يقوم الروح
والملائكة صفا وقال مجاهد ملائكة حفظة للملائكة اي الحافظين لبني ادم لا تراهم الحفظة كما
لا نرى نحن حفظتنا وقيل الروح ملك غير جبريل عظيم الخلقة وقال ابو صالح خلق كهيئة الناس
وليسوا بالناس وقال قبيصة بن ذويب روح الميت حين تقبض اليه الضمير عايد على
الله تعالى اي الى عرشه وحيث يهبط منه امره تعالى وقيل اليه اي الى المكان الذي هو محلهم
وهو في السما لانها محل بره وكرامته والظاهر ان المعنى انها تعرج في يوم من ايامكم هذه ومقدار
المسافة ان لو عرجها ادمي خمسون الف سنة قاله ابن عباس وابن اسحاق وجماعة من
الحذاق منهم القاضي منذر بن سعيد فان كان العارج ملكا فقال مجاهد المسافة من قعر
الارض السابعة الى العرش ومن جعل الروح جنسا لانواع الحيوان قال وهب المسافة
من وجه الارض الى منتهى العرش وقال عكرمة والحكم اراد مدة الدنيا فانها خمسون الف سنة
لا يدري احد ما مضى منها وما بقي منها وما بقي اي تعرج في مدة الدنيا وبقا هذه البنية وقال
ابن عباس ايضا يوم القيمة وقيل طوله ذلك العدد وهذا ظاهر ما جا في الحديث في مانع الزكاة
فانه قال في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري قدره في
رزاياه وهوله وشدته للكفار ذلك العدد وفي الحديث يخف على المومن حتى يكون عليه اخف من
صلاة مكتوبة وقال عكرمة مقدار ما ينقضي فيه من الحساب قدر ما يقضى فيه بالعدل
في خمسين الف سنة من ايام الدنيا وقال الحسن نحوه وقيل لا يراد حقيقة العدد وانما
اريد به طول الموقف يوم القيمة وما فيه من الشدايد والعرب تصف ايام الشدة بالطول
وايام الفرح بالقصر قال الشاعر يصف ايام الفرح والسرور . ويوم كظل الرمح قصر
طوله . دم الزق عنا واصطفاق المزاهر . والظاهر ان قوله في يوم متعلق بتعرج وقيل
بدافع والجملة من قوله تعرج اعتراض ولما كانوا قد سالوا استعجال العذاب وكان السوال
على سبيل الاستهزا والتكذيب وكانوا قد وعدوا به امره تعالى بالصبر ومن جعله من السيلان
فالمعنى انه اشرف على الوقوع والضمير في يرونه عايد على العذاب او على اليوم اذا اريد به يوم القيمة
وهذا الاستبعاد على سبيل الاحالة منهم . ونراه قريبا اي هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا
متعذر وكل ما هو ات قريب والبعد والقرب في الامكان لا في المسافة . يوم تكون منصوب
باضمار فعل اي يقع يوم تكون او يوم تكون السما كالمهل كان كيت وكيت او بقريبا او بدل
من ضمير يراه اذا كان عايدا على يوم القيمة وقال الزمخشري او هو بدل في يوم فيمن علقه بواقع انتهى
ولا يجوز هذا لان في يوم وان كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس
من المواضع التي تراعى في التوابع لان حرف الجر فيها ليس بزايد والمحكوم له بحكم الزايد كرب
وانما يجوز مراعاة المواضع في حرف الجر الزايد على مراعاة موضع بزيد في ما مررت بزيد وعمرا
ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو واخاك على مراعاة المواضع فان قلت
في يوم تكون حركة بنا لا حركة اعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت لا يجوز بناوه على مذهب البصريين

لا نداء أضيف إلى معرب لكنه يجري على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم إن
كان استحضره وقصده • كالمهل تقدم الكلام عليه في سورة الدخان • وتكون الجبال
كالعهن المنفوش كما في القارعة لما نسفت طارت في الجو كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح
قال الحسن تسير الجبال مع الرياح ثم تنهدم ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء وقرأ
الجمهور ولا يسأل مبنيا للفاعل أي لا يسأله نصرة ولا منفعة لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده
وقال قتادة لا يسأله عن حاله لأنها ظاهرة وقيل لا يسأله أن يحمل عنه من أوزاره شيئا ليأسه
عنه ذلك وقيل شفاعة وقيل حميما منصوب على إسقاط من أي عن حميم لشغله بما هو فيه
وقرأ أبو حيوة وشيبة وأبو جعفر والبزي بخلف عن ثلاثتهم مبنيا للمفعول أي لا يسأل
إحضاره كل من المؤمن والكافر له سيما يعرف بها وقيل عن ذنوب حميمه ليؤخذ بها • يبصرونهم
استئناف كلام قال ابن عباس في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفر عنه لشغله بنفسه وقيل
يبصرونهم في النار وقيل يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب وقال الزمخشري ويجوز أن يكون
يبصرونهم صفة أي حميما مبصرين معرفين إياهم انتهى وحميما نكرة في سياق النفي فيعم ولذلك جمع
الضمير وقرأ قتادة يبصرونهم مخففا مع كسر الصاد أي يبصر المؤمن الكافر في النار قال مجاهد
وقال ابن زيد يبصر الكافر من أضله في النار عبرة وانتقاما وحزنا • يود المجرم أي الكافر وقد
يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذب وقرأ الجمهور من عذاب مضافا وأبو حيوة منونا والجمهور
بكسر ميمها والأعرج وأبو حيوة بفتحها • وصاحبته زوجته • وفصيلته أقرباؤه الأدنون تؤويه
تضمه انتماء إليها أو لياذا بها في النوائب • ثم ينجيه عطف على يفتدي أي ثم ينجيه الافتداء أو من تقدم
ذكرهم وقرأ الزهري تؤويه وتنجيه بضم الهاءين كلا ردع لودادتهم الافتداء وتنبيه على أنه لا ينفع إنها
الضمير للقصة ولظى نزاعة تفسير لها أو للنار الدال عليها عذاب • يومئذ ولظى بدلا من الضمير ونزاعة
خبران أو خبر مبتدأ ولظى خبران أي هي نزاعة أو بدل من لظى أو خبر بعد خبر كل هذا ذكروه وذلك على
قراءة الجمهور برفع نزاعة وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر انتهى ولا أدري
ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا أنه ذكر بعد
هذا وضمير القصة لحملت كلامه عليه وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة والزعفراني وابن مقسم وحفص
واليزيدي في اختياره نزاعة بالنصب فتعين أن يكون لظى خبر إن والضمير في إنها عائد على النار
الدال عليها عذاب وانتصب نزاعة على الحال المؤكدة أو المبينة والعامل فيها لظى وإن كان علما لما
فيه من معنى التلظي كما عمل العلم في الظرف في قوله • أنا أبو المنهال بعض الأحيان • أي المشهور
بعض الأحيان أو على الاختصاص للتهويل قال الزمخشري وكأنه يعني القطع فالنصب فيه كالرفع إذا
أضمر هو فتنصب هنا بأعني تدعو أي حقيقة يخلق الله فيها الكلام كما يخلقه في الأعضاء قال ابن عباس
وغيره تدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقال الزمخشري وكما خلقه في الشجرة انتهى فلم يترك مذهب
الاعتزال وقال الخليل مجاز عن استدنائها منهم وما توقعه بهم من عذابها وقال ثعلب يهلك
تقول العرب دعاك الله أي أهلكك وحكاه الخليل عن العرب قال الشاعر •
• ليالي يدعوني الهوى فأجيبه • وأعين من أهوى إلي رواني • وقال آخر
• ترفع للعينان وكل فج • طباه الرعي منه والخلاء • يصف ظليما وطباه أي دعاه والهوى
والرعي لا يدعون حقيقة ولكنه لما كان فيهما ما يجذب صارا داعيين مجازا وقيل تدعو أي خزنتها
فحين تدعو أضيف دعاؤهم إليها من أدبر عن الحق وتولى وجمع فأوعى أي وجمع المال فجعله في وعاء

وكنزه

وكنزه ولم يؤد حق الله فيه وهذه إشارة إلى كفار أغنياء وقال الحكم كان عبد الله بن حكيم لا يربط
كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فأوعى • إن الإنسان خلق هلوعا • ولذلك استثنى منه
إلا المصلين وقيل الإشارة إلى الكفار قال ثعلب قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت
قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع
وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس انتهى ولما كان شدة الجزع والمنع متمكنة في الإنسان
جعل كأنه خلق مجبولا عليها كقوله خلق الإنسان من عجل والخير المال • إلا المصلين استثنا
من الإنسان ولذلك وصفهم بما وصفهم به من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التي
جاوروها وقرأ الجمهور على صلاتهم بالإفراد والحسن جمعا ودوامهم عليها قال الجمهور
المواظبة عليها وقال ابن مسعود صلاتها لوقتها وقال عقبة بن عامر يقرون فيها
ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا ومنه الماء الدائم وقال الزمخشري دوامهم عليها أن يواظبوا
على أدائها لا يشتغلون عنها بشيء ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها
ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم
والدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها انتهى وهو جواب لسؤال فإن قلت
كيف قال أولا على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم يحافظون وأقول إن الديمومة على
الشيء والمحافظة عليه شيء واحد لكنه لما كانت الصلاة هي عمود الإسلام بولغ في التوكيد
فذكرت أول خصال الإسلام المذكورة في هذه السورة وآخرها ليعلم مرتبتها في الأركان
التي بني الإسلام عليها والصفات التي بعد هذه تقدم تفسيرها ومعظمها في سورة قد
أفلح وقرأ الجمهور بشهادتهم على الإفراد والسلمي وأبو عمرو وحفص على الجمع قوله تعالى
فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين • أيطمع كل امرئ
منهم أن يدخل جنة نعيم • كلا إنا خلقناهم مما يعلمون • فلا أقسم برب المشارق والمغارب
إنا لقادرون • على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين • فذرهم يخوضوا ويلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب
يوفضون • خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون • كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة ويقرأ القرآن فكانوا يحتفون به حلقا
حلقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد
فلندخلنها قبلهم فنزلت وتقدم شرح مهطعين في سورة إبراهيم عليه السلام ومعنى
قبلك أي في الجهة التي تليك عن اليمين وعن الشمال أي عن يمينك وشمالك وقيل نزلت
في المستهزئين الخمسة وقرأ الجمهور أن يدخل مبنيا للمفعول وابن يعمر والحسن وأبو رجاء
وزيد بن علي وطلحة والمفضل عن عاصم مبنيا للفاعل كلا ردع ورد لطمعهم إذ ظهر وذلك
وإن كانوا لا يعتقدون صحة البعث ولا أن ثم جنة ولا نارا إنا خلقناهم مما يعلمون أي إنا أنشأناهم
من نطفة مذرة فنحن قادرون على إعادتهم وبعثهم يوم القيامة وعلى الاستبدال بهم خيرا
منهم وقيل فليس بنفس الخلق ومنته عليهم لذلك يعطي الجنة بل بالإيمان والعمل الصالح
وقال قتادة في تفسيرها إنما خلقت من قذر يا ابن آدم وقال أنس كان أبو بكر إذا خطبنا
ذكر منا نتن ابن آدم ومروره في مجرى البول مرتين وكذلك نطفة في الرحم ثم علقة ثم مضغة
إلى أن يخرج فيتلوث في نجاسته طفلا فلا يقلع أبو بكر حتى يقذر أحدنا نفسه فكأنه قبل

اذا كان خلقكم من نطفة مذرة فمن اين تتشرفون وتدعون دخول الجنة قبل المؤمنين وابهم
في قوله مما تعلمون وان كان قد صرح به في عدة مواضع احالة على تلك المواضع ورأى مطرف بن
عبد الله بن الشخير المهلب ابن ابي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له عبد الله ما هذه المشية
التي يبغضها الله تعالى فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت
تحمل عذرة فمضى المهلب وترك مشيته وقرأ الجمهور فلا اقسم برب المشارق والمغارب
بالجمع وقرأ قوم بلام دون الف وعبد الله بن مسلم وابن محيصن والجحدري المشرق والمغرب
مفردين اقسم تعالى بمخلوقاته على ايجاب قدرته على ان يبدل خيرا منهم وانه لا يسبقه شيء الى
ما يريد. فذرهم يخوضوا ويلعبوا وعيد وما فيه من معنى المهادنة هو منسوخ باية السيف
وقرأ [illegible] وابن محيصن يلقوا مضارع لقي والجمهور يلاقوا مضارع لاقى والجمهور يخرجون
مبنيا للفاعل قال ابن عطية وروى ابو بكر عن عاصم مبنيا للمفعول ويوم بدل من يومهم
وقرأ الجمهور نصب بفتح النون وسكون الصاد وابو عمران الجوني ومجاهد بفتحهما وابن
عامر وحفص بضمهما والحسن وقتادة بضم النون وسكون الصاد والنصب ما نصب
للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم او بناء او صنم وغلب في الاصنام حتى قيل الانصاب
وقال ابو عمرو وهو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها مخافة ان يفلت
الصيد منها وقال مجاهد نصب علم ومن قرأ بضمها قال ابن زيد اصنام منصوبة
كانوا يعبدونها وقال الاخفش هو جمع نصب كرهن ورهن والانصاب جمع الجمع يوفضون
يسرعون وقال ابو العالية يستبقون الى غاياته. قال الشاعر.

فوارس ذبيان تحت الحديد ٭ كالجن يوفضن من عبقر ٭ وقال آخر يعني الاسراع

لانعتن نعامة ميفاضا ٭ خرجا ظلت تطلب الاضاضا ٭ وقال ابن عباس وقتادة

يسعون وقال الضحاك ينطلقون وقال الحسن يبتدرون وقرأ الجمهور ذلة منونا ذلك
اليوم برفع الميم مبتدأ وخبر وقرأ عبد الرحمن بن خلاد عن داود بن سالم عن
يعقوب والحسن بن عبد الرحمن عن التمار ذلة بغير تنوين مضافا الى ذلك واليوم بخفض
الميم. المفردات الاطوار الاحوال المختلفة. قال فان افاق فقد طارت عمايته
والمرء يخلق طورا بعد اطوار. ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا اسماء اصنام
اعلام لها اتخذها قوم نوح عليه السلام الهة. والله تعالى اعلم بالصواب

سورة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا ارسلنا
نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم. قال يا قوم اني لكم نذير مبين
ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر لو كنتم تعلمون. قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما
دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا.
ثم اني دعوتهم جهارا. ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا. فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا.
ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا. هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها
انه تعالى لما اقسم على ان يبدل خيرا منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين وكذبوا بما وعدوا به

من العذاب

من العذاب ذكر قصة نوح عليه السلام وقومه معه وكانوا اشد تمردا من المشركين فاخذهم
الله اخذ استئصال حتى انه لم يبق لهم نسلا على وجه الارض وكانوا عبادا لاصنام كمشركي
مكة فحذر تعالى قريشا ان يصيبهم عذاب يستأصلهم ان لم يؤمنوا ونوح عليه السلام
اول نبي ارسل ويقال له شيخ المرسلين وآدم الثاني وهو نوح بن لامك ابن متوشلخ بن
خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن انوش ابن قينان بن شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام
ان انذر قومك يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون تفسيرية. عذاب اليم قال
ابن عباس عذاب النار في الآخرة وقال الكلبي ما حل بهم من الطوفان. من ذنوبكم من للتبعيض
لان الايمان انما يجب ما قبله من الذنوب لا ما بعده وقيل لابتداء الغاية وقيل زائدة
وهو مذهب ... ونحو قال ابن عطية كوفي واقول اخفشي لا كوفي لانهم يشترطون للتبعيض
من تكرة ولا يبالون بما قبلها من واجب وغيره والاخفش يجيز مع الواجب وغيره وقيل
النكرة والمعرفة وقيل لبيان الجنس ورد بانه ليس قبلها ما يتبينه قال الزمخشري
فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض
قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم
على راس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله تعالى
وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء
ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لهم حيلة فبادروا الى اوقات الامهال
والتأخير انتهى وقال ابن عطية ويؤخركم الى اجل مسمى مما تعلقت المعتزلة به في قولهم
ان للانسان اجلين قالوا لو كان واحدا محددا لما صح التأخير ان كان الحد قد بلغ ولا المعاجلة
ان كان لم يبلغ قال وليس لهم في الآية تعلق لان المعنى ان نوحا عليه الصلاة لم يعلم هل هم
ممن يؤخر او ممن يعاجل ولا قال لهم انكم تؤخرون عن اجل قد حان لكم لكن قد سبق في الازل
انهم اما ممن قضي له بالايمان والتأخير واما ممن قضي له بالكفر والمعاجلة ثم تشدد هذا
المعنى ولاح بقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وجواب لو محذوف تقديره لو كنتم تعلمون
لبادرتم الى عبادته وتقواه وطاعته فيما جئتكم به منه تعالى ولما لم يجيبوه واذوه شكا
الى ربه شكوى من يعلم ان الله تعالى عالم بحاله مع قومه لما امره بالانذار فلم يجد فيهم قال
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي جميع الاوقات من غير فتور ولا تعطيل في وقت
ولما ازدادوا اعراضا ونفارا عن الحق جعل الدعاء هو الذي زادهم اذ كان سبب الزيادة
ومثله فزادتهم رجسا الى رجسهم. واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليتوبوا فتغفر لهم
المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح في اعراضهم عنه جعلوا اصابعهم في آذانهم
الظاهر انه حقيقة سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا دعاءه اليه وتغطوا بثيابهم حتى
لا ينظروا اليه كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح ويجوز ان يكون ذلك كناية
عن المبالغة في اعراضهم عما دعاهم اليه فهم بمنزلة من سد سمعه ومنع بصره ثم ذكر صفة
دعائه بيانا وتوكيدا لما ذكر دعاه عموم الاوقات. ذكر عموم حالات الدعاء وثم كلما
دعوتهم يدل على تكرار الدعوات فلم يبين حالة دعائه اولا وظاهره ان يكون دعاه
اولا اسرارا لانه يكون الطف بهم ولعلهم يقبلون كمن ينصح في السر فانه جدير ان
يقبل منه فلما لم يجد له الاسرار انتقل الى اشد منه وهو دعاؤهم جهارا صلتا بالدعاء الى

إجابتهم أحد فلما لم يجد دعا إلى الإعلان ثم إلى الإسرار قال الزمخشري ومعنى ثم للدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما انتهى وكثيرا ما يكرر الزمخشري أن ثم للاستبعاد ولا نعلمه من كلام غيره وانتصب جهارا بدعوتهم وهو أحد نوعي الدعاء ويجيء فيه من الخلاف في نصبه ما في يشتمل الصماء قال الزمخشري أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا أي دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا ثم أخبرهم أنه أمرهم بالاستغفار وأنهم إذا استغفروا أدر لهم الرزق في الدنيا فقدم لهم ما يسرهم وما هو أحب إليهم إذ النفس متشوقة إلى الحصول على العاجل كما قال تعالى وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب • ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل الآية • وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم قال قتادة كانوا أهل حب للدنيا فاستدعاهم إلى الآخرة من الطريق التي يحبونها وقيل لما كذبوه بعد طول تكرار الدعاء قحطوا وأعقم نساؤهم فبدأهم في وعده بالمطر ثم ثنى بالأموال والبنين ومدرارا من الدر وهو صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث ومفعال لا تلحقه التاء إلا نادرا فيشترك فيه المذكر والمؤنث تقول رجل محرامة ومطرابة والسماء المظلة قيل لأن المطر ينزل منها إلى السحاب ويجوز أن يراد السحاب والمطر كقوله • إذا نزل السماء بأرض قوم • البيت الرجاء بمعنى الخوف وبمعنى الأمل • فقال أبو عبيدة وغيره لا ترجون لا تخافون قالوا والوقار بمعنى العظمة والسلطان والكلام على هذا وعيد وتخويف وقيل لا تأملون له توقيرا أي تعظيما قال الزمخشري والمعنى لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب من وقر إذا ثبت واستقر انتهى وقيل ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله وتلقاه وقارا ويكون على هذا منهم كأنه يقول تؤدة منكم وتمكنا في النظر لأن الفكر مظنة الخفة والطيش وركوب الرأس انتهى وفي التحرير قال سعيد ابن جبير ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون عقابا وقاله ابن جبير عن ابن عباس وقال عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم أرج لم أبال انتهى لا ترجون حال وقد خلقكم أطوارا جملة حالية تحمل على الإيمان بالله وإفراده بالعبادة إذ في هذه الجملة الحالية التنبيه على تدريج الإنسان في أطوار لا يمكن أن تكون إلا من خلقه تعالى قال ابن عباس ومجاهد من النطفة والعلقة والمضغة وقيل في اختلاف ألوان الناس وخلقهم وخلقتهم ومللهم وقيل صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا وضعفاء ثم أقوياء وقيل معنى أطوارا أنواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا **قوله تعالى** ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا • والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا • قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا • وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين

ديارا

ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في أنفسهم وكيف انتقلوا من حال إلى حال وكانت الأنفس أقرب ما يفكرون فيه منهم أرشدهم إلى الفكر في العالم علوه وسفله وما أودع تعالى فيه أي في العالم العلوي من هذين النيرين اللذين بهما قوام الوجود وتقدم شرح طباقا في سورة الملك والضمير في فيهن عائد على السموات ويقال القمر في السماء الدنيا وصح كون السموات ظرفا للقمر لأنه لا يلزم من الظرف أن يملأه المظروف تقول زيد في المدينة وهو في جزء منها ولم تقيد الشمس بظرف فقيل هي في الرابعة وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة وهذا شيء لا يوقف على معرفته إلا من علم الهيئة ويذكر أصحاب هذا العلم أنه يقوم عندهم البراهين القاطعة على صحة ما يدعونه وإن في معرفة ذلك دلالة واضحة على عظمته وقدرته وباهر مصنوعاته • سراجا يستضيء به أهل الدنيا كما يستضيء الناس بالسراج في بيوتهم ولم يبلغ القمر مبلغ الشمس في الإضاءة ولذلك جاء هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور والإنبات استعارة في الإنشاء أنشأ آدم من الأرض وصارت ذريته منه فصح نسبتهم كلهم إلى أنهم أنبتوا منها وانتصاب نباتا بأنبتكم مصدرا على حذف الزائد أي إنباتا أو على إضمار فعل أي فنبتم نباتا وقال الزمخشري المعنى أنبتكم فنبتم أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم انتهى ولا أعقل معنى هذا الوجه الثاني الذي ذكره ثم يعيدكم فيها أي يصيركم فيها مقبورين • ويخرجكم إخراجا أي يوم القيامة وأكده بالمصدر أي ذلك واقع لا محالة • بساطا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وظاهره أن الأرض ليست كرية بل هي مبسوطة سبلا طرقا فجاجا متسعة وتقدم الكلام على الفج في سورة الحج ولما أصروا على العصيان وعاملوه بأقبح الأقوال والأفعال قال نوح رب إنهم عصوني الضمير للجميع وكان قد قال لهم وأطيعون وكان قد أقام فيهم ما نص تعالى ألف سنة إلا خمسين عاما وكانوا قد وسع عليهم في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين واتبعوا أي عامتهم وسفلتهم إذ لا يصح عود كم على الجميع في عبادة الأصنام • من لم يزده أي رؤساءهم وكبراءهم وهم الذين كان ما أطغاهم من المال وما تكثروا به من الولد سببا في خسارتهم في الآخرة وكان سبب هلاكهم في الدنيا • وقرأ ابن الزبير والحسن والنخعي والأعرج ومجاهد والأخوان وابن كثير وأبو عمرو ونافع في رواية خارجة وولده بضم الواو وسكون اللام والسلمي والحسن أيضا وأبو رجاء وابن وثاب وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر بفتحهما وهما لغتان كبخل وبخل والحسن أيضا والجحدري وقتادة وزر وطلحة وابن أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية بكسر الواو وسكون اللام وقال أبو حاتم يمكن أن يكون الولد بالضم جمع الولد كخشب وخشب وقد قال حسان بن ثابت •

يا بكر آمنة المبارك بكرها • من ولد محصنة بسعد الأسعد •

ومكروا يظهر أنه معطوف على صلة من وجمع الضمير على المعنى ومكروا وقالوا على المعنى ومكرهم احتيالهم في الدين وتحريش الناس على نوح عليه السلام وقرأ الجمهور كبارا بتشديد الباء وهو بناء فيه مبالغة كثيرة قال عيسى بن عمر هي لغة يمانية وعليها قول الشاعر •

والمرء يلحقه بفتيان الندى • خلق الكريم وليس بالوضاء •

وقول الآخر

بيضاء تصطاد الغوي وتستبي • بالحسن قلب المسلم القراء •

ويقال حسان وطوال وجاء وقرأ عيسى وابن محيصن وأبو السمال بتخفيف الباء وهو بناء مبالغة وقرأ زيد بن علي وابن محيصن

فيما روي عنه ابو الاخيرط وهب من واضح كبارا بكسر الكاف وفتح البا وقال ابن الانباري هو جمع كبير لم يجئ على مكان ذنوب او فاعيل انتهى يعني فلذلك وضعه بالجمع وقالوا اي كبراؤهم لاتباعهم او قالوا اي جميعهم لبعضهم لبعض لا تذرن لا تتركن آلهتكم اي اصنامكم وهو عام في جميع اصنامهم ثم خصوا بعد اكابر اصنامهم وهو ود ومن عطف عليه وروي انهم رجال صالحين كانوا في صدر الزمان قال عروة بن الزبير كانوا بني آدم وكان ود اكبرهم وابرهم به وقال محمد بن كعب كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام ماتوا فصور منهم تماثيلهم لتذكر افعالهم الصالحة ثم هلك من صورهم وخلف من يعظمها ثم كذلك حتى عبدت وقيل ثم انتقلت تلك الاصنام باعيانها وقيل بل الاسماء فقط الى قبائل من العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل • وسواع لهذيل وقيل لهمدان • ويغوث لمراد وقيل لمذحج ويعوق لهمدان وقيل لمراد ونسر لحمير وقيل لذي الكلاع من حمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وما وقع من هذا الخلاف في سواع ويغوث ويعوق يمكن ان يكون لكل واحد منهما صنم يسمى بهذا الاسم اذ يبعد بقاء اعيان تلك الاصنام فانما بقيت الاسماء فسموا اصنامهم بها قال ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص يحمل على جمل اجرد يسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فينزلون حوله ويضربون له بناء انتهى وقال الثعلبي كان يغوث لكهلان من سبا يتوارثونه حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري • ولا يبري يغوث ولا يريش •

وقال الماوردي • ود اسم صنم معبود سمي ودا لودهم له انتهى وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهذا مناف لما تقدم من انهم صوروا صور ناس صالحين وقرا نافع وابو جعفر وشيبة بخلاف عنهم ودا بضم الواو والحسن والاعمش وطلحة وباقي السبعة بفتحها وقال الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا • لهو النساء وان الدين قد عزما •

وقال آخر

فحياك ود من هداك لفتية • وخوص باعلى ذي فضالة هجد •

قيل اراد ذلك الصنم ويغوث ويعوق بغير تنوين فان كانا عربيين فمنع الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا عجميين فللعجمة والعلمية وقرا الاشهب ولا يغوثا ويعوقا بتنوينهما قال صاحب اللوامح جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فاما في العامة فانهما صفتان من الغوث والعوق يفعل منهما وهما معرفتان فلذلك منع الصرف لاجتماع الفعلين اللذين هما تعريف ومشابهة الفعل المستقبل انتهى وهذا تخبيط اما اولا فلا يمكن ان يكونا فعولا لان مادة يغث مفقودة وكذلك يعق واما ثانيا فليسا بصفتين من الغوث والعوق لان يفعل لم يجئ اسما ولا صفة وانما امتنعا من الصرف لما ذكرناه وقال ابن عطية وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وذلك وهم لان التعريف لازم ووزن الفعل انتهى وليس ذلك بوهم ولم ينفرد الاعمش بذلك بل قد وافقه الاشهب العقيلي على ذلك وتخريجه على احد الوجهين احدهما انه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف عند عامة العرب وذلك لغة وقد حكاها الكسائي وغيره والثاني انه صرف لمناسبة ما قبله وما بعده من المنون اذ قبله ودا ولا سواعا وبعده ونسرا كما قالوا في صرف سلاسلا وقواريرا قواريرا لمن صرف ذلك للمناسبة وقال الزمخشري وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما منع الصرف ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج انتهى

وكأن

وكأن الزمخشري لم يدر ان ثم لغة لبعض العرب تصرف كل ما لا ينصرف عند عامتهم فلذلك استشكلها • وقد اضلوا اي الرؤساء المتبوعون كثيرا من اتباعهم وعامتهم وهذا اخبار من نوح عليه الصلاة والسلام عنهم بما جرى على ايديهم من الضلال وقال الحسن وقد اضلوا اي الاصنام عاد الضمير عليها كما يعود على العقلاء كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس وحسنه عوده على اقرب مذكور ولكن عوده على الرؤساء اظهر هم المحدث عنهم والمعنى فيهم امكن ولما اخبر انهم قد ضلوا كثيرا دعا عليهم بالضلال فقال • ولا تزد وهي معطوفة على وقد اضلوا اذ تقديره فقد ضلوا كثيرا فهي معمولة لقال المضمرة المحكي بها قوله وقد اضلوا ولا يشترط التناسب في عطف الجمل بل قد يعطف جملة الانشاء على جملة الخبر والعكس خلافا لمن يدعي التناسب وقال الزمخشري ما ملخصه عطف ولا تزد على رب انهم عصوني اي قال هذين القولين • الا ضلالا قال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع الياس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه وذلك على مذهب الاعتزال قال ويجوز ان يراد بالضلال الضياع والهلاك كما قال ولا تزد الظالمين الا تبارا احسن لنا قاله ابن بحر الا ضلالا الا عذابا قال كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا ضلالا في امر دنياهم وترويج مكرهم وحيلهم وقرا الجمهور مما خطاياهم جمعا بالالف والتاء مهموزا وابو رجاء كذلك الا انه ابدل الهمزة يا وادغم فيها الياء والجحدري وعبيد عن ابي عمرو وعلى الافراد مهموزا والحسن وعيسى والاعرج بخلاف عنهم وابو عمرو خطاياهم جمع تكسير وهذا اخبار من الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام بان قوم نوح غرقوا بسبب خطيئاتهم وما زائدة للتوكيد ومن قال ابن عطية لابتداء الغاية ولا يظهر انها للسبب وقرا عبد الله من خطياتهم ما اغرقوا بزيادة ما بين اغرقوا وخطياتهم وقرا الجمهور اغرقوا بالهمزة وزيد بن علي غرقوا بالتشديد بدلا للنقل وخطياتهم الشرك وما انجر معه من الكبائر فادخلوا نارا اي جهنم وعبر عن المستقبل بالماضي لتحققه وعطف بالفاء على ارادة الحكم او عبر بالدخول عن عرضهم على النار غدوا وعشيا وقال الزمخشري او اراد عذاب القبر انتهى وقال الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب • فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة وعدم قدرة الهتهم على نصرهم ودعا نوح عليه الصلاة والسلام بعد ان اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن الاصلاب قاله قتادة وعنه ايضا ما دعا عليهم الا بعد ان اخرج الله كل مؤمن من الاصلاب واعقم ارحام نسائهم وهذا لا يظهر لانه قال انك ان تذرهم الآية فقوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا يدل على انه لم يعقم ارحام نسائهم وقاله ايضا محمد بن كعب والربيع وابن زيد ولا يظهر كما قلنا وقد كان قبل ذلك طامعا في ايمانهم عاطفا عليهم وفي الحديث انه ربما ضربه ناس منهم احيانا حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • وديارا من الفاظ العموم التي تستعمل في النفي وما اشبهه ووزنه فيعال اصله ديوار اجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون فادغمت ويقال منه دوار ووزنه فعال وكلاهما من الدوران كما قالوا قيام وقوام والمعنى معنى احد وعن السدي من سكن دارا وقال الزمخشري وهو فيعال من الدور او من الدار انتهى والدار ايضا من الدور والفها منقلبة عن واو • ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وصفهم بحالة الولادة بما يصيرون اليه من الفجور والكفر ولما دعا على الكفار استغفر للمؤمنين فبدا بنفسه ثم بمن وجب بره عليه

عليهم للمؤمنين فكان هو ووالده اندرجا في المؤمنين والمؤمنات وقرأ الجمهور ولوالديّ والظاهر أنهما أبواه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش وقيل هما آدم وحواء وقرأ ابن جبير والجحدري ولولدي بكسر الدال فاحتمل أن يكون خص أباه الأقرب أو أراد جميع من ولده إلى آدم عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس لم يكفر لنوح عليه السلام أب ما بينه وبين آدم عليه السلام وقرأ الحسين بن علي ويحيى ابن يعمر والنخعي والزهري وزيد بن علي ولولديه تثنية ولد يعني ساما وحاما ولمن دخل بيتي قال ابن عباس والجمهور مسجدي وعن ابن عباس أيضا شريعتي استعار لها بيتا كما قالوا قبة الإسلام وفسطاط الدين وقيل سفينتي وقيل داري وللمؤمنين والمؤمنات دعا لكل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة والتبار الهلاك

المفردات الجد لغة العظمة والجلال وجد في عيني عظم وجل وقال أبو عبيدة والأخفش الملك والسلطان والجد الحظ والجد أبو الأب. الحرس اسم جمع الواحد حارس كغيب واحده غائب ويجمع على أحراس قال الشاعر

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر * كشاهد وأشهاد والحارس الحافظ للشيء يرقبه. القدد السير المختلفة الواحد قدة قال الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته * في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد

وقال الكميت

جمعت بالرأي منهم كل رافضة * إذ هم طرائق في أهوائهم قدد

تحرى الشيء طلبه باجتهاد وتوخاه وقصده. العدد الكثير اللبد جمع لبدة وهو ما تراكم بعضه فوق بعض ومنه لبدة الأسد ويقال للجراد الكثير المتراكم لبد ومنه اللبد الذي يفرش لتلبد صوفه ودخول بعضه في بعض

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من الجن فزادوهم رهقا وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا

هذه السورة مكية ووجه مناسبتها لما قبلها أنه لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام وكان عليه السلام أول رسول إلى الأرض كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول إلى الأرض والعرب الذين هو منهم عليه السلام كانوا عبادا أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك وكان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هاديا إلى الرشد وقد سمعته العرب وتوقف عن الإيمان به أكثرهم أنزل الله تعالى سورة الجن إثر سورة نوح تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان إذ كانت الجن خيرا منهم وأقبل للإيمان هذا وهم من غير جنس الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فبمجرد ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس بخلاف العرب فإنه نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزا وهم مع ذلك مكذبون له ولمن جاء به حسدا وبغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء

من عباده

من عباده. وقرأ الجمهور قل أوحي رباعيا وابن أبي عبلة عن أبي عمرو وأبو إياس جوية بن عائذ الأسدي وحي ثلاثيا يقال وحي وأوحى بمعنى واحد قال العجاج

وحى لها القرار فاستقرت

وقرأ زيد بن علي وجوية فيما روى عن الكسائي وابن أبي عبلة أيضا أحي بإبدال الواو همزة كما قالوا في وعد أعد وقال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة انتهى وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولا وحشوا وآخرا ولكل منها أحكام وفي بعضها خلاف وتفصيل مذكور في النحو قال الزمخشري وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا كإشاح وإسادة وإعاء أخيه انتهى وهذا تبجح وكان يذكر هذا في وعاء أخيه في سورة يوسف وعن المازني في ذلك قولان أحدهما القياس كما قال والآخر قصره على السماع وأنه استمع في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لأوحي استماع نفر من الجن والمشهور أن هذا الاستماع هو المذكور في الأحقاف في قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وهي قصة واحدة وقيل قصتان والجن الذين أتوه بمكة جن نصيبين والذين أتوه بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها قال عكرمة اقرأ باسم ربك وقيل سورة الرحمن ولم تتعرض الآية هاهنا ولا في سورة الأحقاف إلى أنهم رأوه وكلمهم ويظهر من الحديث أن ذلك كان مرتين إحداهما في مبدأ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوقت الذي جاء فيه عن عبد الله بن مسعود أنه لم يكن معه ليلة الجن وقد كانوا افتقدوه عليه الصلاة والسلام فالتمسوه في الأودية والشعاب فلم يجدوه فلما أصبحوا إذا هو جاء من قبل حراء وفيه أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم والمرة الأخرى كان معه ابن مسعود وقد استندب صلى الله عليه وسلم من يقوم معه إلى أن يتلو القرآن على الجن فلم يقم أحد غير عبد الله بن مسعود فذهب معه إلى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا وقال لا تجاوزه فانحدر عليه صلى الله عليه وسلم أمثال الحجل يجرون الحجارة بأقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفهن حتى غشوه فلا أراه فقمت فأومأ إلي بيده أن اجلس فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع واختلفوا بالأرض حتى ما أراهم الحديث ويدل على أنهما قصتان اختلافهم في العدد فقيل سبعة وقيل تسعة وعن زر كانوا ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير القرية التي بالعراق وعن عكرمة كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل وأين سبعة من اثني عشر ألفا فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا أي قالوا لقومهم لما رجعوا إليهم ووصفوا قرآنا بقولهم عجبا وصفا بالمصدر على سبيل المبالغة أي هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مباينا لسائر الكتب والعجب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره يهدي إلى الرشد أي يدعو إلى الصواب وقيل إلى التوحيد والإيمان وقرأ الجمهور الرشد بضم الراء وسكون الشين وعيسى بضمهما وعنه أيضا فتحهما فآمنا به أي بالقرآن ولما كان الإيمان به متضمنا الإيمان بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا أحدا وقرأ الحرميان والأبوان بفتح الهمزة من قوله وأنه تعالى وما بعده وهي ثنتا عشرة آية آخرها وأنا منا المسلمون وباقي السبعة بالكسر فأما الكسر فواضح لأنها معطوفات على قوله إنا سمعنا فهي داخلة في معمول القول وأما الفتح فقال أبو حاتم هو على أوحي فهو كله في موضع رفع على ما لم يسم فاعله انتهى وهذا لا يصح لأن من المعطوف ما لا يصح دخوله تحت أوحي وهو كل ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ألا ترى أنه لا يلائم أوحي إلي أنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع وكذلك باقيها وخرجت قراءة الفتح على أن تلك كلها معطوفة

على الضمير المجرور في به من قوله فآمنا به أي وبأنه وكذلك باقيها وهذا جار على مذهب الكوفيين
وهو الصحيح وقد تقدم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله وكفر به والمسجد الحرام وقال مكي هو
أجود في أن منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع أن وقال الزجاج وجهه أن يكون محمولا على
آمنا به لأنه تعالى جد ربنا وسبقه إلى نحو الفراء قال فتحت أن لوقوع الإيمان عليها وأنت تجد
الإيمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنعك ذلك من إمضائهن على الفتح فإنه يحسن فيه
ما يوجب فتح أن نحو صدقنا وشهدنا وأشار الفراء إلى بعض ما فتح لا يناسب تسليط آمنا عليه
نحو قوله وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا وتبعهما الزمخشري فقال ومن فتح
كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا وأنه تعالى جد ربنا
وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي انتهى ومن لم يتفطن لما تفطن له الفراء من أن بعضها
لا يحسن أن يعمل فيه آمنا وقرأ الجمهور جد ربنا بفتح الجيم ورفع الدال مضافا إلى ربنا أي عظمته
قاله الجمهور وقال أنس والحسن غناه وقال مجاهد ذكره وقال ابن عباس قدرته وأمره
وقرأ عكرمة جد منونا ربنا مرفوع الباء كأنه قال عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد في اللغة
العظيم وقرأ حميد بن قيس جد بضم الجيم مضافا ومعناه العظيم حكاه سيبويه وهو من
إضافة الصفة إلى الموصوف والمعنى تعالى ربنا العظيم حكاه سيبويه وقرأ عكرمة جدا
ربنا بفتح الجيم والدال منونا ورفع ربنا وانتصب جدا على التمييز المنقول من الفاعل
أصله تعالى جد ربنا وقرأ قتادة وعكرمة أيضا جدا بكسر الجيم والتنوين وقال عنه هو صفة
لمصدر محذوف تقديره تعاليا جدا جدا وربنا مرفوع بتعالى وقرأ ابن السميفع جدى ربنا
أي جدواه ونفعه وقال الجمهور يقول سفيهنا هو إبليس وقيل هو اسم جنس لكل سفيه
وإبليس مقدم السفهاء والشطط التعدي وتجاوز الحد قال الأعشى

أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

ويقال أشط في السوم إذا تعدى فيه أي قولا هو في نفسه شطط وهو نسبة الصاحبة والولد
إلى الله تعالى وأنا ظننا الآية أي كنا حسبنا الظن بالإنس والجن واعتقدنا أن أحدا لا يجترئ
على أن يكذب على الله فينسب إليه الصاحبة والولد فاعتقدنا صحة ما أغوانا به إبليس
ومردته حتى سمعنا القرآن فتبينا كذبهم وقرأ الجمهور أن لن تقول مضارع قال والحسن والجحدري
وعبد الرحمن بن أبي بكرة ويعقوب وابن مقسم تقول مضارع تقول حذف إحدى التاءين لأنه
وانتصب كذبا في قراءة الجمهور بتقول لأن الكذب نوع من القول أو على أنه صفة لمصدر
محذوف أي قولا كذبا أي مكذوبا فيه وفي قراءة الحسن ومن ذكر على أنه مصدر لتقول لأنه هو
الكذب فصار كقعدت جلوسا وأنه كان رجال روى الجمهور أن الرجل كان إذا أراد
المبيت والحلول في واد نادى بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء
الذين في طاعتك فيعتقد بذلك أن الجني الذي بالوادي يمنعه ويحميه فروي أن الجن كانت تقول
ذلك لا نملك لكم ولا لأنفسنا شيئا من الله قال مقاتل أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو
حنيفة ثم فشا ذلك في العرب والظاهر أن الضمير المرفوع في فزادهم عائد على رجال من الإنس إذ هم
المحدث عنهم وهو قول مجاهد والنخعي وعبيد بن عمير فزادوهم أي الإنس رهقا أي جرأة وانتخاء
وطغيانا وغشيان المحارم وإعجابا بحيث قالوا سدنا الإنس والجن وفسر قوم الرهق بالإثم
وأنشد الطبري في ذلك بيت الأعشى

بابي

بابي ينفعني من دونها ... لا يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

قال معناه ما لم يغش محرما والمعنى زادت الإنس والجن مأثما لأنهم عظموهم فزادوهم استحلالا
لمحارم الله تعالى وقال قتادة وأبو العالية والربيع بن زيد فزادوهم أي الجن زادت الإنس مخافة
يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويغوونهم لما رأوا من خفة أحلامهم فازدادوا واحتقروهم وقال ابن
جبير رهقا كفرا وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون
من شر الجن برجال من الإنس وكان الرجل يقول مثلا أعوذ بحذيفة بن اليمان من جن هذا
الوادي وهذا قول غريب وأنهم أي كفار الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن أو خاطب به بعضهم بعضا
وأنهم ظنوا وظننتم كل منهما يطلب أن لن يبعث فالمسألة من باب الإعمال وأن هي المخففة من
الثقيلة وقيل الضمير في وأنهم يعود على الجن والخطاب في ظننتم لقريش وهذه والتي قبلها هما من
الموحى به لا من كلام الجن أن لن يبعث الله أحدا الظاهر أنه بعثة الرسالة إلى الخلق وهو
المناسب لما تقدم من الآي ولما تأخر وقيل بعث القيامة وأنا لمسنا السماء أصل اللمس
المس ثم استعير للتطلب والمعنى طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فوجدناها ملئت
الظاهر أن وجد هنا بمعنى صادف وأصاب وتعدت إلى واحد والجملة ملئت في موضع الحال
وأجيز أن تكون تعدت إلى اثنين فملئت في موضع المفعول الثاني وقرأ الأعرج مليت بالياء
دون همز والجمهور بالهمز وشديدا صفة للحرس على اللفظ لأنه اسم جمع كالخدم كما قال

أخشى رجيلا أو ركيبا عاديا

ولو لحظ المعنى لقال شدادا بالجمع والظاهر أن المراد بالحرس
الملائكة أي حافظين منا أن تقربها الشياطين وشهبا جمع شهاب وهو ما يرجم به الشياطين
إذا استمع وقيل ويحتمل أن يكون المراد بالشهب هو الحرس وذكر المعنى لما اختلف اللفظ نحو

وهند أتى من دونها النأي والبعد

وقوله فوجدناها ملئت يدل على أنها كانت قبل
ذلك يطوفون السماء ولم يجدوها قد ملئت مقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلى
الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى احترق الأعلى طلع الذي تحته
مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان الكلمة
مائة كذبة فمن يستمع الآن الآن ظرف زمان للحال ويستمع مستقبل فاتسع في الظرف
واستعمل للاستقبال كما قال

سأسعى الآن إذ بلغت أناها

فالمعنى فمن يقع منه استماع
في الزمان الآتي يجد له شهابا رصدا أي يرصد فيحرقه هذا لمن استمع وأما السمع فقد
انقطع كما قال تعالى إنهم عن السمع لمعزولون والرجم كان في الجاهلية وذلك مذكور في
أشعارهم ويدل عليه الحديث حين رأى عليه الصلاة والسلام نجما قد رمي به فقال
ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم قال أوس
بن حجر

وانقض كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون إلفه ... أو الثور كالدري يتبعه الدم

وقال بشر ابن أبي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ... ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

قال التبريزي وهؤلاء الشعراء كلهم جاهليون ليس فيهم مخضرم وقال معمر قلت للزهري
أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الجاحظ القول
بالرمي أصح لقوله فوجدناها ملئت وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت

لبعض م

وبما روي عن ابن عباس وذكر الحديث السابق وقال الزمخشري تابعا للجاحظ وفي قوله دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة فلذلك نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها المقاعد خالية من الحرس والشهب والان ملئت المقاعد كلها انتهى وهذا كله يبطل قول من قال ان الرجم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى اياته والظاهر ان رصدا على معنى راصد وقال الزمخشري والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ولما راوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض وهو كفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم فينزل بهم الشر ام اراد بهم ربهم رشدا فيؤمنون به فيرشدون وحين ذكروا الشر لم يسندوه الى الله تعالى وحين ذكروا الرشد اسندوه اليه تعالى • وانا منا الصالحون اخبروا بما هم عليه من صلاح وغيره • ومنا دون ذلك اي دون الصالحين ويقعدون في مواضع موضع غير فكانه قال ومنا غير صالحين ويجوز ان يريد ومنا دون ذلك في الصلاح اي فيهم ابرار وفيهم من هو غير كامل في الصلاح ودون في موضع الصفة لموصوف محذوف اي ومنا قوم دون ذلك ويجوز حذف هذا الموصوف في التفصيل بمن حتى في الجمل قالوا منا ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق اقام والجملة من قوله كنا طرائق قددا تفسير للقسمة المتقدمة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة اهواء مختلفة وقيل فرقا مختلفة وقال الزمخشري اي كنا ذوي مذاهب مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة • كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه انتهى وفي تقديره الاول حذف المضاف من طرائق واقامة المضاف اليه مقامه اذ حذف ذوي مثل واما التقدير الثالث وهو ان ينتصب على اسقاط في فلا يجوز ذلك الا في الضرورة وقد نص سيبويه على ان عسل الطريق شاذ فلا يخرج القران عليه • وانا ظننا ان لن نعجز الله اي ايقنا في الارض اي كائنين في الارض • ولن نعجزه هربا اي من الارض الى السما وفي الارض وهربا حالان اي فارين او هاربين وانا لما سمعنا الهدى وهو القران • امنا به اي بالقران • فمن يؤمن بربه فلا يخاف اي فهو لا يخاف • وقرا ابن وثاب والاعمش والجمهور فلا يخاف وخرجته قراته على النفي وقيل الفا زائدة ولا نفي وليس بنفي وكان الجواب بالفا اجود من المجي بالفعل مجزوما دون الفا لانه اذا كان بالفا كان على اضمار مبتدا اي فهو لا يخاف والجملة الاسمية اول واكد من الفعلية بحيا تحقق مضمون الجملة • بخسا قال ابن عباس ما تنقص الحسنات ولا رهقا قال زيادة في السيات ولا رهقا قيل تحميل ما لا يطاق وقال الزمخشري اي جزا بخس ولا رهق لانه لم يبخس حقا ولا رهق ظلم احدا فلا يخاف جزاهما ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزي الجزا الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله عز وجل ترهقهم ذلة انتهى وقرا الجمهور بخسا بسكون الخاء وابن وثاب بفتحها • ومنا القاسطون اي الكافرون الجائرون عن الحق قال مجاهد وقتادة والقاسط الجائر الظالم • ومنه قول الشاعر •

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة • وهم اقسطوا على النعمان •

وجاء هذا التقسيم وان كان قد تقدم • وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ليذكر حال الفريقين من النجاة والهلكة ويرغب من يدخل في الاسلام والظاهر ان فمن اسلم الى اخر الشرطين من كلام الجن وقال ابن عطية

الوحي

الوحي ان يكون فمن اسلم مخاطبة من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده ما بعده من الايات وقرا الاعرج رشدا بضم الرا وسكون الشين والجمهور بفتحهما وقال الزمخشري وقرئ عن من لا يرى الجن تحروا ابانت الله اوعد القاسطين ووعد مسلميهم وكفى به وعيدا اي فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد انتهى وفيه دسيسة الاعتزال في قوله وموجبه قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ما غدقا لنفتنهم فيه • ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا • وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا • وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا • قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا • قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا • قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا • الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا • حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا • قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا • عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا • الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا • ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شي عددا • هذا من جملة الوحي المندرج تحت اوحي الي وان مخففة من الثقيلة والضمير في استقاموا قال الضحاك والربيع بن انس وزيد ابن اسلم وابو مجلز هو عائد على قوله فمن اسلم والطريقة طريقة الكفر اي لو كفر من اسلم من الناس لاسقيناهم املا لهم واستدراجا واستعارة الاستقامة للكفر قلقة لا تناسب وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير هو عائد على القاسطين والمعنى على طريقة الاسلام والحق لانعمنا عليهم نحو قوله ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الاية وقيل الضمير في استقاموا عائد على الخلق كلهم وان هي المخففة من الثقيلة • لاسقيناهم ما غدقا كناية عن توسعة الرزق لان الما اصل المعاش وقال بعضهم المال حيث الما وقرا الجمهور غدقا بفتح الدال وعاصم في رواية الاعشى بكسرها ويقال غدقت العين تغدق فهي غدقة اذا كثر ماؤها لنفتنهم اي لنختبرهم كيف يشكرون ما انعم عليهم به او لنمتحنهم ولنستدرجهم وذلك على الخلاف فيمن يعود عليه الضمير في استقاموا وقرا الاعمش وابن وثاب بضم واو لو والجمهور بكسرها وقرا الكوفيون يسلكه بالياء وباقي السبعة بالنون وابن جندب بالنون من اسلك وبعض التابعين بالياء من اسلك ايضا وهما لغتان سلكه وسلك واسلك • قال الشاعر • حتى اذا اسلكوهم في قتائدة وقرا الجمهور صعدا بفتحتين وهو مصدر صعد ووصف به العذاب اي يعلو المعذب ويغلبه وفسر بشاق يقال فلان في صعد من امره اي في مشقة وقال عمر ما تصعدني شي كما تصعدني خطبة النكاح اي ما شق علي وقال ابو سعيد الخدري وابن عباس صعد جبل في النار وقال الخدري كلما وضعوا ايديهم عليه ذابت وقال عكرمة هو صخرة ملسا في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم فعلى هذا يجوز ان يكون بدلا من عذاب على حذف مضاف اي عذاب صعد ويجوز ان يكون صعدا مفعولا ليسلكه وعذابا مفعولا من اجله وقرا قوم صعدا بضمتين وابن عباس والحسن بضم الصاد وفتح العين قال الحسن معناه لا راحة فيه وقرا الجمهور وان المساجد بفتح الهمزة عطفا على انه استمع فهو من جملة الموحى وقال الخليل معنى الاية ولان المساجد لله فلا تدعوا اي لهذا السبب وكذلك عنده لايلاف قريش فليعبدوا وكذلك وان هذه امتكم اي ولان هذه وقرا ابن هرمز وطلحة وان المساجد

يكسرها على الاستئناف وعلى تقدير الخليل والمعنى فلا تدعوا مع الله احدا لانها لله خاصة ولعبادته
والظاهر ان المساجد هي البيوت المعدة للصلاة والعبادة في كل ملة وقال الحسن كل موضع سجد فيه
فهو مسجد كان مخصوصا لذلك او لم يكن لان الارض كلها مسجد هذه الامة وابعد من عطا في قوله انها الاراب
التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان عدا الجبهة
والانف واحدا وابعد ايضا من قال المسجد الحرام لانه قبلة المساجد وقال انه جمع مسجد وهو السجود
وروي انها نزلت حين تغلبت قريش على الكعبة فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبد
حيث كنت وقال ابن جبير نزلت الاية لان الجن قالت يا رسول الله كيف لنشهد الصلاة معك على تأبنا
عنك فنزلت الاية ليخاطبهم على معنى ان عبادتكم حيثما كنتم مقبولة اذا دخلتم المساجد وقرأ
الجمهور وانه لما قام عبد الله بفتح الهمزة عطفا على قوله انه استمع وان المساجد بالفتح وقرأ ابن هرمز وطلحة
ونافع وابو بكر بكسرها على الاستئناف وعبد الله هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه اي
يدعو الله كادوا اي كاد الجن قال ابن عباس والضحاك يتقصفون عليه لاستماع القران وقال
الحسن وقتادة الضمير في كادوا للكفار من الانس والعرب في اجتماعهم على رده وقال ابن جبير المعنى انه
قول الجن لقومهم يحكون والضمير في كادوا لاصحابه الذين يطوعون له ويقتدون به في الصلاة *
قال الزمخشري فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله
فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل
او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا *
ومعنى قام يدعو قام يعبد يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته * كادوا
يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء
اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القراءة لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم
يسمعوا بنظيره انتهى وهو قول مقدم من كلام الزمخشري بخطابته وقرأ الجمهور لبدا بكسر اللام
وفتح الباء جمع لبدة نحو كسرة وكسر وهي الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض ومنه قول عبد مناف
ابن ربع * صافوا بستة ابيات واربعة * حتى كأن عليهم جابيا لبدا * وقال ابن عباس اعوانا
وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر بخلاف عنه بضم اللام جمع لبدة كزبرة وزبر وعن ابن محيصن
ايضا تسكين الباء وضم اللام لبدا وقرأ الحسن والجحدري وابو حيوة وجماعة عن ابي عمرو بضمتين
جمع لبد كرهن ورهن او جمع لبود كصبور وصبر وقرأ الحسن والجحدري بخلاف عنهما لبدا بضم اللام
وشد الباء المفتوحة قال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام الرسول للدعوة تلبدت الانس
والجن تظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويتم نوره انتهى وابعد من قال عبد الله هنا نوح عليه السلام
كادوا قومه يقتلونه حتى استنقذه الله منهم قاله الحسن وابعد منه قول من قال انه عبد الله بن سلام
وقرأ الجمهور قال انما ادعوا ربي اي قال للمتظاهرين عليه انما ادعوا ربي اي لم آتكم بامر ينكر انما
اعبد ربي وحده وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على عداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس
ما ترون من عبادة الله بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يعبد غيره او قال الجن لقومهم ذلك حكاية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله مترتب على الخلاف في عود الضمير في كادوا وقرأ عاصم وحمزة وابو
والكسائي وابو عمرو بخلاف عنه * قل اي قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك وهم اما الجن واما المشركون
على اختلاف القولين في ضمير كادوا ثم امره تعالى ان يقول لهم ما يدل على تبريه من القدرة على ايصال خير
او شر اليهم وجعل الضر مقابلا للرشد تعبيرا به عن الغي اذ الغي ثمرته الضر ويمكن ان يكون المعنى ضرا ولا نفعا

ولا غيا

ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل ما يدل عليه مقابله وقرأ الاعرج رشدا بضمتين ولما تبرأ
عليه السلام من قدرته على نفعهم وضرهم امر بان يخبرهم بانه مربوب لله تعالى يفعل فيه
ربه ما يريد وانه لا يمكن ان يجيره منه احد ولا يجد من دونه ملجأ يركن اليه قال قريبا
منه قتادة وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض وقيل ناصرا وقيل مذهبا
ومسلكا * ومنه قول الشاعر
* يا لهف نفسي ونفسي غير مجزية * عني وما من قضاء الله ملتحد * وقيل في الكلام
حذف وهو قالوا اتترك ما تدعوا اليه ونحن نجيرك فقيل له قل لن يجيرني وقيل
هو جواب لقول وردان سيد الجن وقد ازدحموا عليه قال وردان وانا ارحلهم عنك فقال
اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي * الا بلاغا قال الحسن هو استثناء منقطع
اي لن يجيرني احد لكن ان بلغت رحمني بذلك والاجارة للبلاغ مستعارة اذ هو سببها جارة
الله تعالى ورحمته وقيل على هذا المعنى هو استثناء متصل والمعنى لن اجد شيئا اميل اليه واعتصم به
الا ان ابلغ واطيع فيجيرني الله فيجوز نصبه على الاستثناء من ملتحدا او على البدل وهو الوجه
لان قبله نفيا وعلى البدل خرجه * وقال ابو عبد الله الرازي هذا الاستثناء
منقطع لانه لم يقل ولا احد ملتحدا بل قال من دونه والبلاغ من الله لا يكون داخلا تحت قوله
من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله وباعانته وتوفيقه وقال قتادة
التقدير لا املك الا بلاغا اليكم فاما الايمان والكفر فلا املكه انتهى وفيه بعد لطول الفصل بينهما
وقيل الا في تقدير الانفصال ان شرطية ولا نافية وحذف الفعل قبلها لدلالة المصدر عليه
والتقدير ان لم ابلغ بلاغا من الله ورسالاته وهذا كما تقول ان لا قياما فقعودا اي ان لم
تقم قياما فاقعد قعودا وحذف هذا الفعل قد يكون لدلالة ما عليه بعده او قبله كما حذف
في قوله * فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام * التقدير والا تطلقها
يحذف فطلقها لدلالة فطلقها عليه ومن لابتداء الغاية وقال الزمخشري تابعا لقتادة
اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي
الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او موت
او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا ياوي اليه انتهى ورسالاته
قيل عطف على بلاغا اي الا ان ابلغ عن الله وابلغ رسالاته عطف على الله اي الا ابلغ عن الله
وعن رسالاته * ومن يعص الله ورسوله اي بالشرك والكفر ويدل عليه قوله خالدين فيها
ابدا وقرأ الجمهور فان له بكسر الهمزة وقرأ طلحة بفتحها والتقدير فجزاؤه ان له قال
ابن خالويه وسمعت ابن مجاهد يقول ما قرأ به احد وهو لحن لانه بعد فاء الشرط وسمعت نادر
ابن الانباري يقول هو صواب ومعناه فجزاؤه ان له جهنم انتهى وكان ابن مجاهد اماما في
القراءات ولم يكن متسع النقل فيها كابن شنبوذ وكان ضعيفا في النحو وكيف يقول ما قرأ به احد
وهذا طلحة بن مصرف قرأ به وكيف يقول وهو لحن والنحويون قد نصوا على ان ان بعد فاء الشرط
يجوز فيها الفتح والكسر وجمع خالدين حملا على معنى من وذلك بعد الحمل على لفظ من في قوله
يعص فان له * حتى اذا راوا حتى هنا حرف ابتداء اي يصلح ان يجيء بعدها جملة الابتداء والخبر
ومع ذلك فيها معنى الغاية قال الزمخشري فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت
بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده

حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله لهم عليهم أو من يوم القيامة فسيعلمون
حينئذ أنهم أضعف ناصراً وأقل عدداً ويكون أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من
استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما
يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكاراً له فقيل قل إنه كائن لا ريب فيه
فلا تنكروه فإن الله وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فلا أدري متى يكون
لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة وقوله بم تعلق إن عنى تعلق حرف
الجر فليس بصحيح لأنها حرف ابتداء فما بعدها ليس في موضع جر خلافاً للزجاج وابن
درستويه فإنهما زعما أنها إذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر
وإن عنى بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح وأما
تقديره أنها تتعلق بقوله يكونون عليه لبداً فبعيد جداً لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة
وقال التبريزي حتى جاز أن تكون غاية لمحذوف ولم يبين ما المحذوف وقيل المعنى دعهم
حتى إذا رأوا ما يوعدون من الساعة فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً أهم أم أهل
الكتاب والذي يظهر لي أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كأنه
قيل إن العاصي يحكم له بكينونة النار له والحكم بذلك هو وعيد حتى إذا رأوا ما حكم بكينونته لهم
فسيعلمون فقوله فإن له نار جهنم هو وعيد لهم بالنار ومن أضعف مبتدأ وخبر في موضع
نصب لما قبله وهو معلق عنه لأن من استفهام ويجوز أن تكون من موصولة في موضع نصب
بيعلمون وأضعف خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة لمن وتقديره هو أضعف وحسن حذفه
طول الصلة بالمعمول وهو ناصراً قال مكحول لم ينزل هذا إلا في الجن أسلم منهم من وفق وكفر
من خذله كالإنس قال وبلغ من تابع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن سبعين ألفاً وفرغوا عند
انشقاق الفجر ثم أمر تعالى أن يقول لهم إنه لا يدري وقت حلول ما وعدوا به أهو قريب أم بعيد
قال الزمخشري فإن قلت ما معنى قوله أم يجعل له ربي أمداً والأمد يكون قريباً وبعيداً ألا ترى
إلى قوله تعالى تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب
الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية أي هو عالم
الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى
الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف
إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع
على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط انتهى
وقال ابن عباس عالم الغيب قال الحسن ما غاب عن خلقه وقيل الساعة وقال ابن عباس إلا بمعنى
لكن فجعله استثناء منقطعاً وقيل إلا بمعنى ولا ومن ارتضى من رسول وعالم خبر مبتدأ
محذوف أي هو عالم الغيب أو بدل من ربي وقرئ عالم بالنصب على المدح وقال السدي علم الغيب
فعلاً ماضياً ناصباً الغيب والجمهور عالم الغيب اسم فاعل مرفوعاً وقرأ الجمهور فلا يظهر
من أظهر والحسن يظهر بفتح الياء والهاء من ظهر إلا من ارتضى من رسول استثناء من أحد
أي فإنه يظهره على ما يشاء من ذلك فإنه يسلك الله من بين يديه أي الرسول ومن خلفه
رصداً أي حفظة يحفظونه من الجن ويحفظونه ويحرسونه في حفظ ما يلقيه تعالى إليه ذلك
الرسول من علم الغيب وعن الضحاك ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن

يتشبهوا

يتشبهوا بصورة الملك وقال القرطبي قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون
خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم
ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم ثم ذكر استدلالاً
على بطلان ما يقوله المنجم ثم قال باستحلال دم المنجم وقال الواحدي في هذا دليل على أن من ادعى أن
النجوم تدل على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن قال أبو عبد الله
الرازي والواحدي يجوز الكرامات وأن الله يعرف أولياءه وقوع الوقائع في المستقبل ونسبة
الآية إلى الصورتين واحدة فإن جعل دلالة الآية على المنع أحكام النجوم فيجعلها دالة على الكرامات
على ما قال صاحب الكشاف فجعلها تدل على المنع من الأحكام النجومية ولا تدل على الإلهامات مجردة
تشبه وعندي أن الآية لا تدل على شيء مما قالوه لأن قوله على غيبه ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل
بمقتضاه أن لا يظهر خلقه تعالى على غيب واحد من غيوبه ونحمله على وقت قيام القيامة فلا
يبقى دليل في الآية على أنه لا يظهر شيئاً من الغيوب لأحد ويؤكده أنه ذكر هذه الآية عقيب قوله
إن أدري أقريب ما توعدون الآية أي لا أدري وقت وقوع القيامة إذ هي من الغيب الذي لا يظهره
الله لأحد وإلا من ارتضى استثناء منقطع كأنه قال فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى المخصوص
من رسول فله حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والإنس ثم قال أبو عبد الله الرازي واعلم
أنه لا بد من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يطلع أحد على شيء من المغيبات إلا الرسل
عليهم الصلاة والسلام والذي يدل عليه وجوه أيضاً أحدها أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر
أن شقاً وسطيحاً كانا كاهنين يخبران بظهور محمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا في العرب
مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع إليهما كسرى في تعرف أخبار رسولنا صلى الله عليه وسلم
وثانيها إطباق الأمم على صحة علم التعبير فيخبر المعبر عما يأتي في المستقبل ويكون
بغداد الجح صادقاً وثالثها أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد إلى خراسان
سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها قال فقد رأيت أناساً
محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت
كذلك وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها في كتاب التعبير وقال فحصت عن حالها
منذ ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقة موافقة ورابعها
أنا نشاهد أصحاب الإلهامات الصادقة وليس هذا مختصاً بالأولياء فقد توجد في السحرة
وفي الأحكام النجومية ما يوافق الصدق وإن كان الكذب يقع منهم كثيراً وإذا كان ذلك مشاهداً
محسوساً فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر إلى الطعن في القرآن وذلك باطل فعلمنا أن التأويل
الصحيح ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذه المسألة لننظر
فيما ذكر من تلك الوجوه أما قصة شق وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه مما تخبر به
رئي الكهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في الحديث أنهم يسمعون الكلمة ويكذبون
ويلقون إلى الكهنة وتزيد الكهنة للكلمة مائة كذبة وهذا ليس من علم الغيب إذ تكلمت به الملائكة
وتلقفها الجني وتلقفها منه الكاهن فالكاهن لم يعلم الغيب وأما تعبير المنامات فالمعبر غير المعصوم
لا يعبر بذلك على سبيل البت والقطع بل على سبيل الحزر والتخمين وقد يقع ما يعبره وقد لا يقع وأما
الكاهنة البغدادية وما حكي عنها فحسبه عقلاً أن يستند لأحوال امرأة لم يشاهدها ولو شاهد
ذلك لكان في غفلة مما يجوز أنه لبس عليه هذا وهو العالم المصنف الذي طبق ذكره الآفاق وهو الذي

تشكك في دلايل الفلاسفة وساءهم الخسف واما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودي اظهر
الاسلام وهو منتحل طريقة الفلاسفة واما منتنا هذه اصحاب الالهامات الصادقة فلي من العمر
نحو من ثلاث وسبعين سنة اصحب العلما واتردد الى ما من ينتمي الى الصلاح فلم ار احدا منهم صاحب
الهام صادق واما الكرامات فلاشك في صدور شي منها لكن على سبيل الندرة وذلك في من سلف من
صلحاء هذه الامة وربما قد يكون في اعصارنا من تصدر منه الكرامات والله تعالى ان يخص من يشا
بما شا والله الموفق وقرا الجمهور ليعلم مبنيا للفاعل قال قتادة ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم
ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم وحفظوا وقال ابن جبير ليعلم محمد ان الملايكة الحفظة الرصد
النازلين بين يدي جبريل وخلفه قد بلغوا رسالات ربهم وقال مجاهد ليعلم من اشرك وكذب
ان الرسل قد بلغت خارجة الى الوجود لانه علمه بكل شي قد سبق واختار الزمخشري هذا القول
الاخير فقال ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبيا وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه
ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة
من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين انتهى وقيل ليعلم اي رسول كان
ان الرسل سوا بلغوا وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه
واستراق اصحابه وقيل ليعلم الرسل ان الملايكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم محمد ان قد بلغ جبريل
ومن معه اليه رسالة ربه وقيل ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل اليهم ولم يكونوا هم المتلقين
باستراق السمع وقرا ابن عباس وزيد بن علي ليعلم بضم اليا مبنيا للمفعول والزهري وابن ابي عبلة
بضم اليا وكسر اللام اي ليعلم الله اي من شا ان يعلمه ان الرسل قد ابلغوا رسالاته وقرا الجمهور
رسالات على الجمع وابو حيوة على الافراد وقرا الجمهور واحاط بما لديهم واحاط مبنيا للفاعل اي الله واحصى
مبنيا للفاعل اي الله كل نصبا وابن ابي عبلة واحيط واحصي مبنيا للمفعول كل رفعا ولما كان ليعلم مضمنا
معنى علم وصار المعنى قد علم ذلك فعلم واحاط عطف على هذا المضمر والمعنى واحاط بما عند الرسل
من الحكم والشرايع لا يفوته منها شي واحصى كل شي عددا اي معدودا ومحصورا وانتصابه على الحال
من كل شي وان كان نكرة لاندراج المعرفة في العموم ويجوز ان ينتصب نصب المصدر لاحصى
لانه في معنى احصا وقال ابو البقا ويجوز ان يكون تمييزا انتهى فيكون منقولا من المفعول اذ اصله واحصى
عدد كل شي وفي كونه ثابتا من لسان العرب خلاف **المفردات** تزمل في ثوبه التف وزمل
غيره قال امرؤ القيس • كبير اناس في بجاد مزمل • وقال ذو الرمة •
• وكاين تخطت ناقتي من مفازة • ومن نايم عن ليلها متزمل • تبتل اي كذا انقطع
اليه ومنه هبة بتلة وطلقة بتلة والبتول وبتل الحبل قال الليث التبتل تمييز الشي من الشي
والبتول المراة المطلقة عن الرجال لا شهوة لها ولا حاجة لها فيهم والتبتل ترك النكاح والزهد فيه
ومنه قول امرئ القيس • تضي الظلام بالعشا كانها • منارة ممسى راهب متبتل • وفي
النهي عن التبتل اي عن الانقطاع عن التزوج ومنه قيل للراهب متبتل لانقطاعه عن الناس
وانفراده للعبادة الغصة الشجي وهو ما ينشب بالحلق من عظم او غيره وجمعها غصص
والفعل غصصت فانت غاص وغصان • قال • كنت كالغصان بالما اعتصاري • الكثيب
الرمل المجتمع وجمعه كثب وكثبان في الكثرة واكثبة في القلة • قال ذو الرمة •
• فقلت لها لا ان اهلي جيرة • لاكثبة الدهنا جميعا وماليا • المهيل الذي يمر تحت الرجل
رهلت عليه التراب صببته وقال الكلبي المهيل الذي اذا وطيته القدم زل من تحتها واذا اخذت

اسفله

اسفله انهال واهلته لغة في هلته • الشيب جمع اشيب •

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها
المزمل قم الليل الا قليلا • نصفه او انقص منه قليلا • او زد عليه ورتل القران ترتيلا • انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا • ان ناشية الليل هي اشد وطا واقوم قيلا • ان لك في النهار سبحا طويلا • واذكر
اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا • رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا • واصبر على
ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا • وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا • ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما • يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا • انا ارسلنا اليكم
رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا اليهم رسولا شاهدا عليكم • كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول • فاخذناه اخذا وبيلا • فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا • السما
منفطر به كان وعده مفعولا • هذه السورة مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر
وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال
الجمهور هي مكية الا قوله تعالى ان ربك يعلم الخ فانه نزل بالمدينة وسبب نزولها فيما ذكر الجمهور انه عليه
الصلاة والسلام لما جاءه الملك في غار حرا وحاوره بما حاوره رجع الى خديجة فقال زملوني زملوني
فنزلت يا ايها المزمل قالت عايشة والنخعي وجماعة ونودي بذلك لانه كان في وقت نزول
الاية متزملا بكسا وقال قتادة كان تزمل في ثيابه للصلاة واستعد فنودي على معنى يا ايها
المستعد للعبادة وقال عكرمة معناه المزمل للنبوة واعبايها اي المشمر المجد فعلى هذا
يكون التزمل مجازا وعلى ما سبق يكون حقيقة وروي ان عايشة رضي الله عنها سيلت
ما كان تزميله الى اخر الرواية قالت مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نايمة
ونصفه عليه الى اخر الرواية كذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة في اوايل مبعثه وتزوج
عايشة كان بالمدينة ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ختم ما قبلها العقبة الايات افتتح
بقوله يا ايها المزمل اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصايص
وكفاه شر اعدايه وقرا الجمهور المزمل بشد الزاي وكسر الميم اصله المتزمل فادغمت
التا في الزاي وقرا ابي المتزمل على الاصل وعكرمة بتخفيف الزاي اي المزمل جسمه او نفسه
وقرا بعض السلف بتخفيف الزاي وفتح الميم اي الذي لفه وللزمخشري في كيفية نداه له
بهذا الوصف كلام ضربت عن ذكره صفحا فلم اذكره في كتابي وقال السهيلي ليس المزمل باسم من
اسمايه عليه السلام يعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان ملتبسا بها حالة الخطاب
والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب تترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي
هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام ولصق بجنبه التراب
قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة وقرا
الجمهور قم الليل بكسر الميم على اصل التقا الساكنين وابو السمال بضمها اتباعا للحركة من القاف
وقرى بفتحها طلبا للتخفيف قال ابن جني الغرض بالحركة الهروب من التقا الساكنين فباي
حركة تحرك الحرف حصل الغرض وقم طلب فقال الجمهور هو على جهة الندب وقيل كان فرضا
على الرسول خاصة وقيل عليه وعلى الجميع قال قتادة ودام عاما او عامين وقالت عايشة
ثمانية اشهر ثم رحمهم الله فنزلت ان ربك يعلم الايات فخفف عنهم ثم الليل الا قليلا استثنا

المدثر وعلى هذا نزلت يا ايها المزمل

كان ذو

ان القيام المامور به يستغرق جميع الليل ولذلك صح الاستثناء لان القيام المامور به يستغرق جميع
الليل صح الاستثناء منه اذ لو كان غير مستغرق لم يصح الاستثناء منه واستغراق جميعه بالقيام على
الدوام غير ممكن فلذلك استثني منه القليل لراحة الجسد وهذا عند البصريين منصوب على
الظرف وان استغرق الفعل وهو عند الكوفيين مفعول به وفي قوله الا قليلا دليل على
ان المستثنى قد يكون مبهم المقدار لقوله ما فعلوه الا قليل منهم في قراءة من نصب ثم توليتم الا قليلا
منكم قال وهب بن منبه القليل ما دون المعشار والسدس وقال الكلبي ومقاتل الثلث
وقيل ما دون النصف وجوزوا في نصفه ان يكون بدلا من الليل ومن قليلا فاذا كان بدلا من
الليل كان الاستثناء منه وكان المامور بقيامه نصف الليل وقد تكرر لكنه غير فصيح الا قليلا
منه والضمير في منه وعليه عائد على النصف فيصير المعنى قم نصف الليل الا قليلا من نصف
الليل قليلا بتكرار القول الا قليلا من نصف الليل وذلك تركيبه غير فصيح ينزه القران عنه قال
الزمخشري في نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من الليل والضمير (من نصفه)
في منه وعنه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين
ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه انتهى فلم يتنبه للتكرار
الذي يلزمه في هذا القول لانه على تقديره قم اقل من نصف الليل كان قوله او انقص منه من
نصف الليل تكرارا واذا كان نصفه بدلا من قوله الا قليلا فالضمير في نصفه اما ان يعود على المبدل
منه او على المستثنى منه وهو الليل لا جائز ان يعود على المبدل منه لانه يصير استثناء مجهولا
من مجهول اذ التقدير الا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة وان عاد الضمير على
الليل فلا فائدة في الاستثناء من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد من الالباس ان يكون
التركيب قم الليل نصفه وقد ابطلنا قول من قال الا قليلا استثناء من البدل وهو نصفه وان
التقدير قم الليل نصفه الا قليلا منه اي من النصف وايضا ففي دعوى ان نصفه بدل من الا
قليلا والضمير في نصفه عائد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم ايضا ان يصير
التقدير الا نصفه فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه او زد على النصف الذي لا تقمه
وهذا معنى لا يصح وليس المراد من الاية قطعا وقال الزمخشري وان شئت جعلت
نصفه بدلا من قليلا فكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان
شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من
نصف الليل وقم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف
وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى
نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل
اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها
مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى وما اوسع خيال
هذا الرجل فانه يجوز ما يقرب وما يبعد والقران لا ينبغي بل لا يجوز ان يحمل الا على احسن
الوجوه التي تاتي في كلام العرب كما ذكرناه في خطبة هذا الكتاب وممن نص على جواز ان يكون
نصفه بدلا من الليل ومن قليلا الزمخشري كما ذكرنا عنه وابن عطية اورده مورد الاحتمال
وابو البقاء وقال لا يتخبط هذا الا ان يكون بدلا من قليلا او زد عليه والها فيهما للنصف

فلو كان

فلو كان الاستثناء من النصف لكان التقدير قم نصف الليل الا قليلا او انقص منه قليلا
والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يتحصل انتهى واما الحوفي فاجاز ان يكون بدلا من (قوله)
الليل ولم يذكر غيره وقال ابن عطية وقد يحتمل عندي الا قليلا انه استثناء من القيام فيجعل
الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الليالي التي تخل بقيامها عند العذر البين ونحوه وهذا
النظر يحسن مع القول بالندب انتهى وهذا خلاف الظاهر وقيل المعنى او نصفه كما
تقول اعطه درهما درهمين ثلاثة تريد ثلاثة او درهمين او ثلاثة انتهى وفيه حذف
حرف العطف من غير دليل عليه وقال التبريزي الامر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان
وقع على الثلثين من اخر الليل لان الثلث الاول وقت العتمة والاستثناء وارد على المامور به
فكانه قال قم ثلثي الليل الا قليلا ثم جعل نصفه بدلا من قليلا فصار القليل مفسرا بالنصف
من الثلثين وهو قليل من الكل فقوله او انقص منه قليلا اي من المامور به وهو قيام
الثلثين قليلا اي ما دون نصفه او زد عليه اي على الثلثين فكان التخيير في الزيادة
والنقصان واقعا على الثلثين وقال ابو عبد الله الرازي قد اكثر الناس في تفسير هذه
الاية وعندي فيه وجهان ملخصان وذكر كلاما طويلا ملفقا يوقف عليه من كتابه
ونتقدم لتفسير التنزيل في اخر الاسراء قوله ثقيلا هو القران وثقله بما اشتمل عليه من
التكاليف الشاقة كالجهاد ومداومة الاعمال الصالحة قال الحسن ان الهذ خفيف
ولكن العمل ثقيل وقال ابو العالية والقرطبي ثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعيده
وقيل ثقله ما كان يحل بجسمه صلى الله عليه وسلم حالة تلقيه الوحي حتى كانت ناقته
تبرك به ذلك الوقت وحتى كادت راسه الكريمة ان ترض فخذ زيد بن ثابت وقيل
كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف قال ابن عباس كلاما عظيما وقيل ثقيل في
الميزان يوم القيامة وهو اشارة الى العمل به وقيل كناية عن بقائه على وجه الدهر لان الثقيل
من شانه ان يبقى في مكانه ان ناشئة الليل قال ابن عمر وانس بن مالك وعلي بن الحسين
هي ما بين المغرب والعشاء وقالت عائشة ومجاهد هي القيام بعد النوم ومن قام اول الليل
قبل ان ينام فلم يقم ناشئة الليل وقال ابن جبير وابن زيد هي لفظة حبشية نشا الرجل قام من الليل فناشئة
على هذا جمع ناشئ اي قائم وقال ابن جبير وابن زيد ايضا وجماعة ناشئة الليل ساعاته
لانها تنشا شيئا بعد شيء وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وابو مجلز ما كان بعد
العشاء فهو ناشئة وما كان قبلها فليس بناشئة قال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل
وقال هو وابن الزبير الليل كله ناشئة وقال الكسائي ناشئة الليل اوله وقال الزمخشري ناشئة
الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشات
السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز اذا نهض قال الشاعر
نشانا الى خوص برى نيها السرى ۞ والصق منها مشرفات القماحد ۞ او قيام الليل
على ان الناشئة مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية انتهى وقرا الجمهور وطاء
بكسر الواو وفتح الطاء ممدودا وقرا قتادة وشبل عن اهل مكة بكسر الواو وسكون الطاء
والهمزة مقصورة وقرا ابن محيصن بفتح الواو ممدودا والمعنى اشد مواطاة اي يواطئ القلب فيها
اللسان او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ومن قرا وطا اي اشد ثبات قدم
وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلاة النهار من قولهم اشتدت وطاته

وقال الأخفش أشد قياما وقال الفراء أثبت قراءة وقياما وقال الكلبي أشد للنشاط
للمصلي لأنه في زمان راحته وقيل أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة
والليل وقت فراغ فالعبادة تدوم • وأقوم قيلا أي أشد استقامة على الصواب لأن
الأصوات هادية فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه قال قتادة ومجاهد أصوب للقراءة
وأثبت للقول لأنه زمان التفهم وقال عكرمة أتم نشاطا وإخلاصا وبركة وحكى ابن شجرة
أعجل إجابة للدعاء وقال زيد بن أسلم أجدر أن يتفقه فيها القارئ وقرأ الجمهور سبحا
أي تصرفا وتقلبا في المهمات كما يتردد السابح في الماء • قال الشاعر •
أباحوا لكم شرق البلاد وغربها • ففيها لكم يا صاح سبح من السبح • وقيل سبحا سبحة
أي نافلة وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة سبخا بالخاء المنقوطة ومعناه خفة من
التكاليف والتسبيخ التخفيف وهو استعارة من سبخ الصوف إذا نفشه ونشر أجزاءه
فمعناه انتشار الهمة وتفرق الخاطر بالشواغل وقيل فراغا وسعة لنومكم وتصرفكم
في حوائجكم وقيل المعنى إن فاتك حزب الليل بنوم أو عذر فليخلف بالنهار فإن فيه
سبحا طويلا قال صاحب اللوامح وعن يحيى بن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء معجمة وقال معناه
نوما أي تنام بالنهار لتستعين به على قيام الليل وقد تحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى
لكنهما فسراها فلا يجاوز عنه انتهى وفي الحديث لا تسبخي بدعائك أي لا تخففي وقال
الشاعر • فسبخ عليك الهم واعلم بأنه • إذا قدر الرحمن شيئا فكائن • وقال
الأصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى أي خففها وقيل السبخ المد يقال سبخي قطنك أي مديه
ويقال لقطع القطن سبائخ الواحدة سبيخة ومنه قول الأخطل •
• فأرسلوهن يذرين التراب كما • يذري سبائخ قطن ندف أوتار •
واذكر اسم ربك أي دم على ذكره وهو يتناول كل ذكر من تسبيح وتهليل وغيرهما وانتصب
تبتيلا على أنه مصدر على غير الصدر وحسن ذلك كونه فاصلة وقرأ
الأخوان وابن عامر وأبو بكر ويعقوب رب بالخفض على البدل من ربك وباقي السبعة
بالرفع وزيد بن علي بالنصب والجمهور المشرق والمغرب موحدين وعبد الله وأصحابه
وابن عباس بجمعهما وقال الزمخشري وعن ابن عباس على القسم يعني خفض رب بإضمار
حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد انتهى
ولعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس إذ فيه إضمار الجار في القسم ولا يجوز عند البصريين
إلا في لفظة الله ولا يقاس عليه ولأن الجملة المنفية في جواب القسم إذا كانت اسمية فإنها
تنفى بما وحدها ولا تنفى بلا إلا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا أو بماض في معناه قليلا نحو
• ردوا فوالله لا ذدناكم أبدا • ما دام في مائنا ورد لوراد • لعمركما سعد بخلة
آثم ولا نائيا يوم الحفاظ ولا حصر • فاتخذه وكيلا لأنه من انفرد بالألوهية لم يتخذ وكيلا إلا هو
واصبر واهجرهم قيل منسوخ بآية السيف • وذرني والمكذبين قيل نزلت في صناديد
قريش وقيل في المطعمين يوم بدر وتقدم من أسمائهم في سورة الأنفال وتقدم شرح مثل
هذا في ذرني ومن يكذب بهذا الحديث • أولي النعمة أي غضارة العيش وكثرة المال والولد
والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وما ينعم به وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين ومهلهم
قليلا وعيد لهم بسرعة الانتقام منهم والقليل موافاة آجالهم وقيل وقعة بدر • إن لدينا

أي

أي ما يضاد تنعمهم أنكالا قيودا في أرجلهم قال الشعبي لم يجعل في أرجلهم خوفا من هربهم
ولكن إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الأنكال الأغلال والأول أعرف في اللغة
ومنه قول الخنساء • دعاك فقطعت أنكاله • وقد كن قبلك لا تقطع • وجحيما نارا شديدة
الاتقاد • وطعاما ذا غصة قال ابن عباس شوك من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل
وقال مجاهد وغيره شجرة الزقوم وقيل الضريع وشجرة الزقوم • يوم منصوب بالعامل
في لدينا وقيل بذرني ترجف تضطرب وقرأ الجمهور ترجف بفتح التاء مبنيا للفاعل وزيد
ابن علي بضمها مبنيا للمفعول • كثيبا أي رملا مجتمعا • مهيلا أي رخوا لينا منهالا
ويقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون والإتمام في ذوات الياء
لغة تميم والحذف لأكثر العرب ولما هدد المكذبين بأهوال القيامة ذكرهم بحال فرعون وأنه
أخذه الله تعالى إذ كذب موسى عليه السلام وأنه تعالى إن دام تكذيبهم أهلكهم الله تعالى
فقال • إنا أرسلنا إليكم والخطاب عام للأسود والأحمر وقيل لأهل مكة • رسولا شاهدا
عليكم كما قال وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وشبه إرساله إلى أهل مكة بإرسال موسى
إلى فرعون في التعيين لأن كلا منهما ربا في قومه واستحقروه وكان عندهم علم
بما جرى من غرق فرعون فناسب أن يشبه الإرسال بالإرسال وقيل الرسول بلام
التعريف لأنه تقدم ذكره فأحيل عليه كما تقول لقيت رجلا فضربت الرجل لأن المضروب
هو الملقى • والوبيل الردي العقبى من قولهم كلأ وبيل أي وخيم لا يستمرأ الغفلة أي لا ينزل
في المريء قوله تعالى • فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا • السماء منفطر
به كان وعده مفعولا • إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا • إن ربك يعلم أنك
تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل
والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم
مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل
الله • فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا
وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله
إن الله غفور رحيم • يوما منصوب بتتقون نصب المفعول به على المجاز أي
كيف تستقبلون هذا اليوم العظيم الذي من شأنه كذا وكذا والضمير في يجعل لليوم أسند
إليه الجعل لما كان واقعا على سبيل المجاز وقال الزمخشري يوما مفعول به أي فكيف
تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا انتهى وتتقون
مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسر به وتعدى إلى واحد ووقى يتعدى إلى اثنين
قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك قدر الزمخشري تقون أنفسكم يوم القيامة
لكنه ليس تتقون بمعنى تقون فلا يعدى تعديته ودس في قوله ولم يؤمنوا ويعملوا صالحا الاعتزال
قال ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا قال
ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم
يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه انتهى وقرأ الجمهور يوما منونا يجعل
بالياء والجملة من قوله يجعل صفة ليوم فإن كان الضمير في يجعل عائدا على اليوم فواضح وهو
الظاهر وإن عاد على الله كما قال بعضهم فلا بد من حذف ضمير يعود إلى اليوم أي يجعل فيه

نقوله يوما لا تجزي نفس وقرأ زيد بن علي يوم بغير تنوين نجعل بالنون فالظرف
مضاف إلى الجملة والشيب مفعول ثان لنجعل أي نصير الصبيان شيوخا والظاهر أنه
عبارة عن شدة ذلك اليوم ويقال في اليوم الشديد يوم تشيب نواصي الأطفال والأصل فيه
أن الهموم إذا تفاقمت أسرعت بالشيب. قال المتنبي
والهم يخترم الجسيم نحافة ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم
وقال قوم ذلك حقيقة تشيب رؤوسهم من شدة الهول كما قد يرى الشيب في الدنيا من الهم المفرط كهول البحر ونحوه
وقال الزمخشري ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة
وقال السدي الولدان أولاد الزنا وقيل أولاد المشركين والظاهر العموم أي يشيب الصغير
من غير كبر وذلك حين يقال لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار وقيل هذا وقت الفزع قبل
أن ينفخ في الصور نفخة الصعق. السماء منفطر به قال الفراء السماء تذكر وتؤنث
فجاء منفطر على التذكير ومنه قول الشاعر
فلو رفع السماء إليه قوما ... لحقنا بالسماء وبالسحاب
وعلى القول بالتأنيث فقال أبو علي الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الأخضر وأعجاز نخل منقعر انتهى
يعني أنها من باب اسم الجنس الذي بينه وبين مفرده تاء التأنيث وأن مفرده سماءة واسم
الجنس يجوز فيه التذكير والتأنيث فجاء منفطر على التذكير وقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة
والكسائي وتبعهم القاضي منذر بن سعيد مجازها السقف فجاء عليه منفطر ولم يقل منفطرة
وقال أبو علي أيضا التقدير ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع أي ذات رضاع فجرى على
طريق النسب وقال الزمخشري أو السماء شيء منفطر فجعل منفطرا صفة لخبر محذوف مقدر
بمذكر وهو شيء والانفطار التصدع والانشقاق والضمير في به الظاهر أنه يعود على اليوم
والباء للسبب أي بسبب شدة ذلك اليوم أو ظرفية أي فيه وقال مجاهد يعود على الله
أي بأمره وسلطانه والظاهر أن الضمير في وعده عائد على اليوم فهو من إضافة المصدر
إلى المفعول أي أنه تعالى وعد عباده هذا اليوم وهو يوم القيامة فلا بد من إنجازه ويجوز
أن يكون عائدا على الله تعالى فيكون من إضافة المصدر إلى الفاعل وإن لم يجر له ذكر قريب لأنه
معلوم أن الذي هذه مواعيده هو الله تعالى. إن هذه أي السورة أو الأنكال وما عطف عليه
والأخذ الوبيل أو آيات القرآن المتضمنة شدة القيامة تذكرة أي موعظة فمن شاء اتخذ إلى
ربه سبيلا بالتقرب إليه بالطاعة ومفعول شاء محذوف يدل عليه الشرط أي من شاء النجاة أي فمن
شاء أن يتخذ سبيلا اتخذ إلى ربه وليست المشيئة هنا على معنى الإباحة بل تتضمن معنى الوعد
والوعيد. إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية لما كان أكثر أحوال الصلاة القيام
عبر بها عنها وهذه الآية نزلت تخفيفا لما كان استمر استعماله من أمر قيام الليل إما على
الوجوب وإما على الندب على الخلاف الذي سبق. أدنى من ثلثي الليل أي زمانا أقل من
ثلثي الليل واستعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل
ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك وقرأ الجمهور من ثلثي بضم اللام والحسن وشيبة
وأبو حيوة وابن السميفع وهشام وابن مجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل بإسكانها
وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيما ذكر صاحب اللوامح وقرأ العربيان ونافع ونصفه
وثلثه بجرهما عطفا على ثلثي الليل وباقي السبعة وزيد بن علي بالنصب عطفا على أدنى لأنه

منصوب

منصوب على الظرف أي وقتا أدنى من ثلثي الليل فقراءة النصب مناسبة للتقسيم الذي
في أول السورة لأنه إذا قام الليل إلا قليلا صدق عليه أدنى من ثلثي الليل لأن الزمان الذي لم يقم
فيه يكون الثلث وشيئا من الثلثين فيصدق عليه قوله إلا قليلا وأما قوله ونصفه فهو
مطابق لقوله أولا نصفه وأما وثلثه فإن قوله أو انقص منه قليلا قد ينتهي النقص في القليل
إلى أن يكون الوقت ثلث الليل وأما قوله أو زد عليه فإنه إذا زاد على النصف قليلا كان الوقت
أقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله أدنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه أو انقص
منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل إلا قليلا وعلى قراءة النصب قال الحسن وابن جبير معنى
تحصوه تطيقوه أي قد قدر تعالى أنهم يقدرون الزمان على ما مر في أول السورة فلم يطيقوا
قيامه لكثرته وشدته فخفف تعالى عنهم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير وإحصاء الأوقات
وأما قراءة الجر فالمعنى أنه قيام مختلف مرة أدنى من الثلثين ومرة أدنى من النصف ومرة
أدنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر مقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان
حقيقة إنما هو لله تعالى والبشر لا يحصون ذلك أي لا يطيقون مقادير ذلك فتاب عليهم
أي رجع بهم من الثقل إلى الخفة وأمرهم بقيام ما تيسر وعلى القراءتين يكون علمه تعالى بذلك
على حسب الوقوع منهم لأنهم قاموا تلك المقادير في أوقات مختلفة فقاموا أدنى من الثلثين ونصفا
وثلثا وقاموا أدنى من النصف فلا تنافي بين القراءتين وقرأ الجمهور وثلثه بضم اللام وابن
كثير في رواية شبل بإسكانها وطائفة معطوف على الضمير المستكن في تقوم وحسن العطف
بينهما وقوله وطائفة من الذين معك دليل على أنه ليس فرضا على الجميع إذ لو كان فرضا لكان
التركيب والذين معك إلا إن اعتقد أنهم كانوا منهم من يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه
فيمكن إذ ذاك الفرضية في حق الجميع والله يقدر الليل والنهار أي هو وحده تعالى العالم بمقادير
الساعات قال الزمخشري وتقديم اسمه تعالى مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص
بالتقدير انتهى وهذا من هيئة وإنما استفيد الاختصاص من سياق الكلام لا من تقديم المبتدأ
لو قلت زيد يحفظ القرآن أو يتفقه في كتاب سيبويه لم يدل تقديم المبتدأ على الاختصاص
وأن مخففة من الثقيلة والضمير في تحصوه الظاهر أنه عائد على المصدر المفهوم من يقدر
أي أن لن تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار وتحيطوا بها على الحقيقة وقيل الضمير يعود
على القيام المفهوم من قوله فتاب عليكم قيل فيه دليل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به وقيل
رجع بكم من ثقل إلى خف ومن عسر إلى يسر ورخص لكم في ترك القيام المقدر فاقرؤوا ما تيسر
من القرآن عبر بالقراءة عن الصلاة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود
أي فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل وقيل وهذا ناسخ للأول ثم نسخا جميعا بالصلوات
الخمس وهذا الأمر بقوله فاقرؤوا قال الجمهور أمر إباحة وقال ابن جبير وجماعة هو فرض لا بد منه
ولو خمسين آية وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة وقيل هو أمر
بقراءة القرآن بعينها لا كناية عن الصلاة وإذا كان المراد فاقرؤوا في الصلاة ما تيسر فإن ظاهره
أنه لا يتعين بل إذا قرأ ما تيسر وسهل عليه أجزأه وقدر أبو حنيفة بآية كما عند الماوردي وبه
وبثلاث حكاه ابن العربي وعين مالك والشافعي ما تيسر فقالا هو فاتحة الكتاب لا يعدل
عنها ولا يقتصر على بعضها. علم أن سيكون منكم مرضى بيان لحكمة النسخ وهي تعذر
القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله. فاقرؤوا ما تيسر منه

كون ذلك على سبيل التوكيد ثم امر بجمود كي الاسلام البدني والمالي ثم قال واقرضوا الله قرضا
حسنا العطف يشعر بالتغاير فقوله وآتوا الزكاة امر باداء الواجب واقرضوا الله امر
باداء الصدقات التي يتطوع بها وقرا الجمهور هو خيرا واعظم اجرا بنصبهما واحتمل هو
ان يكون فصلا وان يكون تاكيدا للضمير المنصوب في تجدوه ولم يذكر الزمخشري والحوفي وابن
عطية في اعرابه هو الا الفصل وقال ابو البقا هو فصل وبدلا او توكيد مفعوله او بدل وهم
لو كان بدلا لطابق في النصب فكان يكون اياه وقرا ابو السمال وابن السميفع هو خير واعظم
برفعهما على الابتدا والخبر قال ابو زيد هي لغة تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون كان
زيد هو العاقل بالرفع وهذا البيت لقيس بن ذريح * وهو تحن الى ليلى وانت تركتها
* وكنت عليها بالملا انت اقدر * قال ابو عمر والجرمي انشد سيبويه هذا البيت
شاهدا للرفع والقوافي مرفوعة ويروى اقدرا وقال الزمخشري وهو فصل وجاز
وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة
انتهى وليس هذا ذكر متفقا عليه ومنهم من اجازه وليس افعل من من احكام الفصل ومسايل
والخلاف الوارد فيها كثير جدا وقد جمعنا فيه كتابا سميناه بالفصل في احكام الفصل واودعنا
معظمه شرح التسهيل من تاليفنا المدثر لابس الدثار وهو الثوب
الذي فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار
شعار والناس دثار * النقر الصوت * قال الشاعر *
* اخفضه بالنقر لما علوته * ويرفع طرفا غير جاف غضيض * وقال الراجز *
انا ابن ماوية اذ جد النقر * يريد النقر فنقل الحركة فالناقور فاعول منه كالجاسوس ماخوذ
من التجسس عبس يعبس عبسا وعبوسا قطب والعبس ما يتعلق باذناب الابل من
ابعارها وابوالها قال ابو النجم * كأن في اذنابهن الشول * من عبس الصيف قرون الايل
بسر قبض ما بين عينيه واربد وجهه * قال *
* صحبنا تميما غداة الجفار بشهبا * ململمة باسره * واهل اليمن يقولون بسر
المركب وابسر اذا وقف وقد ابسرنا ونقول العرب وجه باسر بين البسور اذا تغير واسود
لوحه الشمس غير خلقته * قال * تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمي لاحني الهواجر
وقال اخر * وتعجب هند ان رأتني شاحبا * تقول لشي لوحته السمائم * وقال الاخفش
اللوح شدة العطش لاحه العطش ولوحه غيره * وقال الشاعر *
* سقتني على لوح من الماء شربة * سقاها به الله الرهام الغواديا *
ويقال اللتاح اي عطش * القسورة الرماة والصيادون قاله ابن كيسان والاسد قاله
جماعة من اللغويين * قال * مضمر تحذره الابطال * كانه القسورة الرئبال * والرجال الشداد
قال لبيد * اذا ما هتفنا هتفة في ندينا * اتانا الرجال الصايدون القساور *
اوظلمة اول الليل ظلمة اخرى قاله ابن الاعرابي وثعلب * ه ه ه

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر
وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * فاذا
نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير * ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له

مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع ان ازيد * كلا انه كان لاياتنا عنيدا *
سارهقه صعودا * انه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس
وبسر * ثم ادبر واستكبر * فقال ان هذا الا سحر يوثر * ان هذا الا قول البشر * سأصليه
سقر * وما ادراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر * وما
جعلنا اصحاب النار الا ملايكة * وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا * ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا * ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون * وليقول
الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا * هذه السورة مكية
قال ابن عطية باجماع وفي التحرير قال مقاتل الا اية وهي وما جعلنا عدتهم الا فتنة ومناسبتها
لما قبلها ان في ما قبلها ذرني والمكذبين وفيه ان هذه تذكرة فناسب يا ايها المدثر قم فانذر
وناسب ذكر يوم القيمة بعد وذكر بعض المكذبين في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا قال
الجمهور لما فرغ من رويته جبريل على كرسي بين السما والارض فرعب منه ورجع الى خديجة
فقال زملوني دثروني فنزلت يا ايها المدثر قال النخعي وقتادة وعايشة نودي وهو في
حال تدثر فدعي بحال من احواله وروي انه كان دثر في قطيفة فقيل وسمع من قريش
ما كرهه فاغتم وتغطى بثوبه مفكرا فامر الا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه قال
عكرمة معناه يا ايها المدثر للنبوة واثقالها كما قال في المزمل وقرا الجمهور المدثر بتشديد الدال
واصله المتدثر وادغم وكذا هو في حرف ابي على الارض وقرا عكرمة بتخفيف الدال كما
قرى بتخفيف الزاي في المزمل اي دثر نفسه وعن عكرمة ايضا فتح الثا اسم مفعول
وقال دثرت هذا الامر وعصب بك * قم فانذر اي قم من مضجعك او قم بمعنى الامر لجد في الشي كما
تقول قام زيد يضرب عمروا اي اخذ وكما قال * على ما قام يشتمني لييم * اي اخذ والمعنى
قم قيام تصميم وجد * فانذر اي حذر عذاب الله ووقايعه والانذار عام لجميع الناس ولبعثه
الى الخلق * وربك فكبر اي فعظم كبرياه وقال الزمخشري واختص ربك بالتكبير وهو الوصف
بالكبريا وان يقال الله اكبر انتهى وهذا على مذهبه من ان تقديم المفعول على الفعل يدل على
الاختصاص قال ودخلت الفا لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره انتهى وهو
قريب مما قدره النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره تنبه فاضرب زيدا فالفا هي
جواب الامر وهذا الامر اما مضمن معنى الشرط واما الشرط بعده محذوف على الخلاف
الذي فيه عند النحاة * وثيابك فطهر الظاهر انه امر بتطهير الثياب من النجاسات لان
طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ويقبح ان تكون ثياب المومن نجسة والقول بانها
الثياب حقيقة هو قول ابن سيرين وابن زيد والشافعي ومن هذه الاية ذهب الشافعي
الى وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي وقيل تطهيرها تقصيرها ومخالفة العرب
في تطويل الثياب وجرهم الذيول على سبيل الفخر والتكبر * قال الشاعر *
* ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر * ولا يومن من اصابتها
النجاسة وفي الحديث ازرة المومن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين
ما كان اسفل من ذلك ففي النار وذهب الجمهور الى ان الثياب هنا مجاز فقال ابن عباس
والضحاك تطهيرها ان لا تكون تلبس بالغدر * وقال ابن عباس وابن جبير ايضا كنى بالثياب
عن القلب كما قال امرو القيس * فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي * اي قلبي من قلبك وعلى الطهارة من الغدر

وانشد قول غيلان بن سلمة الثقفي فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة اتقنع
وقيل كناية عن طهارة النفس يعني وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد وقال ابن زيد اذا كان
الرجل خبيث العمل قالوا فلان خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا فلان طاهر الثياب
ونحو هذا عن السدي ومنه قول الشاعر
لاهم ان عامر بن جهم اوذم حجا في ثياب دسم اي دنسة بالمعاصي وقيل كني
عن النفس بالثياب قاله ابن عباس قال الشاعر
فشككت بالرمح الطويل ثيابه وقال اخر
ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم عند المشاهد غران اي انفسهم وقيل
كني بها عن الجسم قالت ليلى وقد ذكرت ابلا
رموها باثواب خفاف فلا ترى لها شبها الا النعام المنفرا اي ركبوها
فرموها بانفسهم وقيل كناية عن الاهل قال تعالى هن لباس لكم والتطهير منهن اختيار المومنات
العفايف وقيل وطيهن في القبل لا في الدبر وفي الطهر لا في الحيض حكاه ابن بحر وقيل كناية
الخلق اي وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي ومنه قوله
ويحيى ما يلام بسوء خلق ويحيى طاهر الاثواب حر اي حسن الاخلاق وقرا الجمهور
والرجز بكسر الرا وهي لغة قريش والحسن ومجاهد والسلمي وابو جعفر وشيبة وابن محيصن
وابن وثاب وقتادة والنخعي وابن ابي اسحاق والاعرج وحفص بضمها فقيل هما بمعنى واحد يراد
بهما الاصنام والاوثان وقيل الكسر للبين والنقايص والفجور والضم لصنمين اساف
ونايلة وقال عكرمة ومجاهد والزهري للاصنام عموما وقال ابن عباس الرجز السخط اي
اهجر ما يودي اليه وقال الحسن كل معصية والمعنى في الامر اثبت ودم على هجره لانه صلى الله عليه
وسلم كان بريا منه وقال النخعي الرجز الاثم وقال القتبي العذاب اي اهجر ما يودي اليه وقرا
الجمهور ولا تمنن تستكثر بفك الادغام والحسن وابو السمال بادغام النون قال ابن عباس وغيره لا تعط
عطا لتعطى اكثر منه كانه من قولهم منّ اذا اعطى قال الضحاك هذا خاص به صلى الله عليه وسلم
ومباح ذلك في امته لكنه لا اجر لهم وعن ابن عباس ايضا لا تقل دعوت فلم اجب وعن قتادة لا
تدل بعملك وعن ابن زيد لا تمنن بنبوتك تستكثر باجر وكسب تطلبه منهم وقال
الحسن لا تمنن على الله بجدك تستكثر عملك ويقع لك بها اعجاب وهذه الاقوال كلها من المن
تعداد اليد وذكرها وقال مجاهد ولا تمنن تستكثر ما حملناك من اعباء الرسالة او لا تستكثر
من الخير من قولهم حبل متين اي ضعيف وقيل ولا تعط مستكثرا رايبا لما تعطيه وقرا الجمهور
تستكثر برفع الرا والجملة حالية اي مستكثرا قاله الزمخشري ويجوز في الرفع ان تحذف
ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع انتهى وهذا لا يجوز ان يحمل القران عليه لانه لا يجوز
ذلك الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة الحال اي مستكثرا وقرا الحسن وابن ابي
عبلة بجزم الرا ووجهه انه بدل من تمنن اي لا تستكثر كقوله يضاعف له العذاب في قراءة
من جزمه بدلا من قوله يلق وكقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ويكون من المن
الذي في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لان من شان المانّ ان يعطي ان يراه كثيرا
ويعتد به واجاز الزمخشري فيه وجهين احدهما ان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا

لا يستكثر هنا

والثاني

والثاني ان يعتبر حال الوقف يعني فيجري الوصل مجرى الوقف وهذان لا يجوزان حمل القران
عليهما مع وجود ما هو ارجح عليهما وهو البدل وقرا الحسن ايضا والاعمش لا تستكثر بنصب
الرا اي لن تستكثرها وقرا ابن مسعود ان تستكثر باظهار ان ولربك فاصبر اي لوجه ربك
امر بالصبر فقيل والصبر على تكاليف النبوة وعلى اداء طاعة الله وعلى اذى الكفار قال
ابن زيد على حرب الاحمر والاسود لكل مصبور عليه ومصبور عنه يندرج في الصبر وقال
الزمخشري والفا في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قيل فاصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم
عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى
عاقبة صبرك عليه وقال الزمخشري والفا في فذلك للجزا فان قلت بم انتصب اذا وكيف
صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزا لان المعنى
فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير
ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور
ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم
النقر يوم عسير فان قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال
على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على
المومنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المومنين
وتسليتهم ويجوز ان يراد به عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من امور
الدنيا انتهى وقال الحوفي فاذا اذا متعلقة بالذي فانذرهم اذا نقر في الناقور قال ابو البقا
يجوز على قول الاخفش ان تكون اذا مبتدا والخبر فذلك والفا زايدة فاما يومئذ فظرف
لذلك واجاز ابو البقا ان يتعلق على الكافرين بيسير اي غير يسير اي غير سهل على الكافرين
وينبغي ان لا يجوز لان فيه تقديم معمول العامل المضاف اليه غير على العامل وهو ممنوع على
الصحيح وقد اجازه بعضهم فيقول انا زيدا غير راض ذرني ومن خلقت وحيدا لا خلاف
انها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي فروي انه كان يلقب بالوحيد اي لانه لا نظير له
في ماله وشرفه في بيته والظاهر انتصاب وحيدا على الحال من الضمير المحذوف العايد
على من اي خلقته منفردا ذليلا قليلا لا مال له ولا ولد فاتاه الله تعالى المال والولد فكفر
نعمته واشرك به واستهزا بدينه وقيل حال من ضمير النصب في ذرني قاله مجاهد اي ذرني
وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه او حال من التاء في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني
في خلقه احد فانا اهلكه لا احتاج الى ناصر في اهلاكه وقيل وحيدا لا يتبين ابوه وكان
الوليد معروفا بانه دعي كما تقدم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم واذا كان يدعى وحيدا فلا
يجوز ان ينتصب على الذم لانه لا يجوز ان يصدقه الله تعالى في انه كان وحيدا لا نظير له ورد
ذلك بانه لما لقب بذلك صار علما والعلم يفيد في المسمى صفة وايضا فيمكن حمله على انه
وحيد في الكفر والخبث ودناءته وجعلت له مالا ممدودا قال ابن عباس كان له بين
مكة والطايف ابل وخيول ونعم وجنان وعبيد وجوار وقيل كان صاحب زرع وضرع
وتجارة وقال النعمان بن بشير المال الممدود هو الارض لانها مدت وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه هو الريع المستغل مشاهرة فهو مدد في الزمان لا ينقطع وقيل هو مقدار
معين واضطربوا في تعيينه فقيل الف دينار وقيل الف الف دينار وكل هذا تحكم

وبنين شهودا اي رجالا يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه واختلف
في عددهم فذكر منهم خالد وهشام وعمارة وقد اسلموا والوليد والعاصي وقيس وعبد شمس قال
مقاتل فما زال الوليد بعد هذه الاية وبعد نزولها في نقص في ماله وولده حتى هلك ومهدت
له تمهيدا اي وطات وهيات وبسطت له بسطا حتى اقام ببلدته مطمئنا يرجع الى رايه وقال
ابن عباس وسعت له ما بين اليمن الى الشام وقال مجاهد مهدت له المال بعضه فوق بعض
كما يمهد الفراش ثم يطمع ان ازيد اي على ما اعطيته من المال والولد كلا اي لست ازيده كذلك
مع كفره بالنعم وقال الحسن وغيره ثم يطمع ان ادخله الجنة لانه كان يقول ان كان محمد صادقا
فما خلقت الجنة الا لي ثم يطمع قال الزمخشري استبعاد للطمع واستنكار اي لا مزيد على ما اوتي
كثرة وسعة كلا قطع لرجائه وردع انتهى وطمعه في الزيادة دليل على مستحقه وحبه للدنيا
انه كان لاياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقال
انه كان يعاند ايات المنعم وكفى بذلك والكافر لا يستحق المزيد وانما جعلت الايات بالنسبة
الى الانعام لمناسبة قوله وجعلت له مالا ممدودا الى اخره ما اتاه الله والاحسن ان يحمل ايات
القران لعوده في القران وزعمه انه سحر سارهقه اي ساكلفه واعنته بمشقة وعسر صعودا اي
عقبة في جهنم كلما وضع عليها شيء من الانسان ذاب ثم يعود والصعود في اللغة العقبة الشاقة
وتقدم شرح عنيد في سورة ابراهيم عليه السلام انه فكر وقدر روي ان الوليد حاج ابا جهل
وجماعة من قريش في امر القران وقال ان له لحلاوة وان اصله لمغدق وان فرعه لجناه وانه ليحطم
ما تحته وانه ليعلو وما يعلى ونحو هذا من الكلام فخالفوه وقالوا هو شعر فقال والله ما هو
بشعر قد عرفنا الشعر هزجه وبسيطه قالوا فهو كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد راينا
الكهان قالوا هو مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد راينا المجنون وخنقه قالوا هو سحر
قال اما هذا فيشبه انه سحر ويقول اقوال نفسه وروي هذا بالفاظ غير هذه تقرب من حيث
المعنى وفيه وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا
فما هو ففكر ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما
الذي يقول الا سحر يؤثر عن مثل مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين
بقوله متعجبين منه وروي ان الوليد سمع من القران ما اعجبه ومدحه ثم سمع كذلك مرارا حتى
كاد ان يقارب الاسلام ودخل الى ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مرارا فجاءه ابو جهل فقال
يا وليد اشعرت ان قريشا قد ذمتك بدخولك الى ابن ابي قحافة وزعمت انك انما تقصده ان تاكل
طعامه وقد ابغضتك لمقاربتك امر محمد وما يخلصك عندهم الا ان تقول في هذا الكلام قولا يرضيهم
ففتنه ابو جهل فافتتن وقال افعل انه فكر تعليل للوعيد في قوله سارهقه
صعودا قيل ويجوز ان يكون انه فكر بدلا من قوله انه كان لاياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده
وفكر اي في القران ومن اتى به وقدر اي في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر قيل قتل
لعن وقيل غلب وقهر وذلك من قوله لتسهمك في اعشار قلب مقتل اي مذلل مقهور بالحب
فلعن دعا عليه بالطرد والابعاد وغلبه وذلك اخبار بقهره وذلته وكيف قدر معناه وكيف
قدر ما لا يصح تقديره وما لا يسوغ ان تقدره عاقل وقيل دعا مقتضاه الاستحسان والتعجب
فقيل ذلك لمنزعه الاول في مدحه القران وفي نفيه الشعر والكهانة والجنون عنه فيجري هذا مجرى
قول عبد الملك بن مروان قاتل الله كثيرا كانه راني حين قال كذا وقيل ذلك لاصابته ما طلبت

منه قريش

قريش منه وقيل ذلك ثناء عليه على جهة الاستهزاء وقيل ذلك حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف
قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه
في كلام العرب الاستعظام عند استعظام الامر والتعجب منه ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي
يحسد عليه ويدعى عليه حساده والاستفهام في كيف قدر في معنى ما اعجب تقديره وما
اغربه كقولهم اي رجل زيد اي ما اعظمه وجاء التكرار بثم ليدل على ان الثانية ابلغ من الاولى
للتراخي الذي بينهما كانه دعي عليه اولا ورجي ان يقلع عما كان يروم فلم يفعل فدعي عليه
ثانيا ثم نظر اي فكر ثانيا وقيل نظر الى وجوه الناس ثم عبس وبسر اي قطب وتكلح لما
ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر
رجع مدبرا وقيل ادبر عن الحق واستكبر فقيل تشاوس مستكبرا وقيل استكبر عن الحق
ووصفه بالصفات التي تتشكل بها حين اراد ان يقول ما قال كلها على سبيل الاستهزاء وانه لما
يتولد كذب وافترا لو كان ممكنا لكان له هيئات غير هذه من فرح القلب وظهور السرور
والجذل والبشر في وجهه ولو كان حقا لم يحتج الى هذا الفكر لان الحق ابلج يتضح بنفسه من
غير ادا فكر وابطا تامل الا ترى الى ذلك الرجل وقوله حين راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعلمت ان وجهه ليس بوجه كذاب واسلم من حينه وقيل ثم نظر فيما يحتج به للقران فراى
ما فيه من الاعجاز والاعلام بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ودام نظره في ذلك ثم عبس
وبسر دلالة على تاميله وتمهله في تامله اذ بين ذلك تراخ وتباعد وكان العطف في وبسر
حرفي وادبر واستكبر لان البسور قريب من العبوس فهو كانه على سبيل التوكيد والاستكبار يظهر
انه سبب للادبار اذ الاستكبار معنى في القلب والادبار حقيقة من فعل الجسم فهما سبب ومسبب
فلا يعطف بثم وقدم المسبب على السبب لانه الظاهر للعين وناسب العطف بالواو وكان العطف
في فقال بالفاء لدلالة على التعقيب لانه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلبه لم يتمالك ان نطق به
من غير تمهل ومعنى يؤثر يروى وينقل قال الشاعر

لقلت من القول ما لا يزال ؞ يؤثر عنه يد المسند ؞ وقيل يؤثر اي يختار ويرجح

على غيره من السحر فيكون من الايثار ومعنى الاسحر اي يشبه بالسحر ان هذا الا قول البشر
تاكيد لما قبله اي يلتقط من اقوال الناس ويظهر ان كفر الوليد انما هو عناد الا ترى ثناءه
على القران ونفيه عنه جميع ما نسبوا اليه من الشعر والكهانة والجنون وقصته مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين قرا عليه اول سورة فصلت الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وكيف ناشده بالله والرحم ان يسكت سأصليه
سقر قال الزمخشري بدل من سارهقه صعودا انتهى ويظهر انهما جملتان اعتقبتا كل واحدة
منهما على سبيل الوعيد والعصيان الذي قبل كل واحدة منهما فتوعد على كونه عنيدا لايات
الله بارهاق صعود وعلى قوله بان القران سحر يؤثر باصلاء سقر وتقدم الكلام على سقر
في اواخر سورة القمر وما ادراك ما سقر تعظيم لهولها وشدتها لا تبقي ولا تذر اي لا تبقي
على من القي فيها ولا تذر غاية من العذاب الا وصلته اليه لواحة للبشر قال ابن عباس ومجاهد
وابو رزين والجمهور معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسودة لها والبشر جمع
بشرة وتقول العرب لاحت النار الشيء اذا احرقته وسودته وقال الحسن وابن كيسان
لواحة بناء مبالغة من لاح اذا ظهر والمعنى انها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمسمائة سنة

عام وذلك لعظمها ولهولها وزجرها كقوله تعالى لترون الجحيم وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى
وقرا الجمهور لواحة بالرفع اي هي لواحة وقرا العوفي وابن زيد وزيد بن علي والحسن وابن ابي عبلة
لواحة بالنصب على الحال المؤكدة لان النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون الا مغيرة للابشار وقال
الزمخشري نصبا على الاختصاص للتهويل • عليها تسعة عشر التمييز محذوف والمتبادر
الى الذهن انه ملك الا ترى العرب وهم الفصحا كيف فهموا منه ان المراد شخص حين سمعوا ذلك
فقال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر
وانتم الدهم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاسد ابن اسيد ابن كلدة الجمحي
وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وانزل الله تعالى في ابي جهل اولى لك
فاولى وقيل التمييز المحذوف صنفا من الملائكة وقيل نقيبا ومعنى عليها اي يتولون امرها
واليهم جماع زبانيتها فالذي يظهر من العدد ومن الاية بعد ذلك ومن الحديث ان هؤلاء هم النقبا
الا ترى الى قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقوله عليه الصلاة والسلام يوتى بجهنم يوميذ
لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقد ذكر المفسرون من نعوت
هؤلاء الملائكة وخلقهم وقوتهم وما اعدلهم الله تعالى عليه من الافعال ما الله اعلم بصحته وكذلك
ذكر الله ابو عبد الله الرازي حكما بالزعمه في كون هؤلاء الملائكة على هذا العدد المخصوص يوقف
عليها في تفسيره وقرا الجمهور تسعة عشر مبنيين على الفتح على المشهور اللغة في هذا العدد
وقرا ابو جعفر وطلحة بن سليمان باسكان العين كراهة توالي الحركات وقرا انس بن مالك وابن
عباس وابن قطيب وابراهيم بن قنة بضم التا وهي حركة بنا عليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات وابنهم
ابنها حركة اعراب لو كانت حركة اعراب لاعرب عشر وقرا انس ايضا تسعة بالضم اعشر بالفتح
وقال صاحب اللوامح فيجوز انه جمع العشرة على اعشر ثم اجراه مجرى تسعة عشر وعنه ايضا
تسعة عشر بالضم وقلب الهمزة من اعشر واوا خالصة تخفيفا والتا فيهما مضمومة ضمة
بنا لانها معاقبة للفتحة فرارا من الجمع بين خمس حركات على جهة واحدة وعن سليمن بن قنة
وهو اخو ابراهيم انه قرا تسعة اعشر بضم التا ضمة اعراب واضافته الى اعشر واعشر بحرول منون
وذلك على فك التركيب قال صاحب اللوامح ويجي على هذه القراة وهي قراة عشر سبعا او سبعين
من حيث هو جمع ان الملائكة الذين هم تسعون ملكا انتهى وفيه بعض تلخيص وقال
الزمخشري وقري تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن انتهى وسليمان بن قنة هذا
هو الذي مدح اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القايل •
• مررت على ابيات ال محمد • فلم ار امثالا يوم حلت •
• وكانوا ثمالا ثم عادوا رزية • لقد عظمت تلك الرزايا وجلت •
وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة اي جعلناهم خلقا لا قبل لاحد من الناس بهم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
اي سبب فتنة وفتنة مفعول ثان لجعلنا اي جعلنا تلك العدة وهي تسعة عشر سببا
لفتنة الكفار فليس فتنة مفعولا من اجله وفتنتهم هي كونهم اظهروا امنا ومنهم في مقالتهم
وذلك على سبيل الاستهزا فانهم يكذبون بالبعث وبالنار وبخزنتها • ليستيقن هذا مفعول
من اجله وهو متعلق بجعلنا لا بفتنة فليست الفتنة معلولة الاستيقان بل المعلول جعل
العدة سببا لفتنة الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى • ان هذا القران هو من عند الله
ا ذهم

اذهم يجدون هذه العدة في كتبهم المنزلة ويعلمون ان الرسول لم يقراها ولا قرا عليه احد ولكن
كتابه يصدق كتب الانبيا اذ كل ذلك حق يتعاضد من عند الله تعالى قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد
وغيرهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي يزداد كل ذي ايمان ايمانا ويزول الريب عن المصدق في
ورود الحقايق من عند الله تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون نفي عن اهل الكتاب وعن المؤمنين وقيل لما صار جعلهم فتنة لانهم يستهزءون ويقولون لم لم يكونوا
عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد بالوجود ويقولون هذا العدد القليل يقوون بتعذيب
بتعذيب اكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله تعالى الى قيام الساعة وقال الزمخشري
فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة
ايمان المؤمنين واستهزا الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة
سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع
تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من
لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزي ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه
قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين
انتهى وهو سؤال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله تعالى اذ زعم ان معنى الا فتنة للذين
كفروا الا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له ادنى ذكا وكفى ردا عليه تحريف
كتاب الله ووضع الفاظ مخالفة لالفاظ ومعنى مخالف لمعنى وقيل ليستيقن متعلق بفعل مضمر
اي فعلنا ذلك ليستيقن ولا يرتاب توكيد لقوله ليستيقن اذ اثبات اليقين نفي الارتياب
ابلغ واكد في الوصف لسكونها لنفس السكون التام والذين في قلوبهم مرض قال الحسين بن
الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما المرض في الاية الاضطراب وضعف الايمان وقيل
هو اخبار بالغيب اي وليقول المنافقون الذين يجيئون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد
الهجرة • ماذا اراد الله بهذا مثلا لما سمعوا هذا العدد لم يهتدوا وحاروا فاستفهم
بعضهم بعضا عن ذلك استبعادا ان يكون هذا من عند الله تعالى وسموه مثلا استعارة من
المثل المضروب استغرابا منهم لهذا العدد والمعنى اي شي اراد الله بهذا العدد العجيب ومرادهم انكار
اصله وقيل ولبيس وانه ليس من عند الله وتقدم اعراب مثل هذه الجملة في اوايل البقرة قوله عز وجل
كذلك يضل الله من يشا ويهدي من يشا • وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى
للبشر كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر • انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر • لمن
شا منكم ان يتقدم او يتاخر • كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتسالون
عن المجرمين ما سلككم في سقر • قالوا لم نك من المصلين • ولم نك نطعم المسكين • وكنا
نخوض مع الخايضين • وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين • فما تنفعهم شفاعة
الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين • كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل
يريد كل منهم ان يوتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الاخرة • كلا انه تذكرة فمن شا ذكره
وما يذكرون الا ان يشا الله هو اهل التقوى واهل المغفرة • الكاف في محل نصب وذلك
اشارة الى ما قبله الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال
والهدى • يضل الكافرين فيشكون فيزيدهم كفرا وضلالا ويهدي المؤمنين فيزيدهم ايمانا
وما يعلم جنود ربك الا هو اعلام بان الامر فوق ما يتوهم وان الخزان انما هم من بعض العدد له

عن كلها والسما عامرة بانواع من الملايكة وفي الحديث اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها
موضع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا ، وما هي اي النار قاله مجاهد والمخاطبة والنذارة او نار
الدنيا او الايات التي ذكرت او العدة التسعة عشر او الجنود اقوال راجحها الاول وهي سقر ذكر بها
البشر ليخافوا ويطيعوا وقد جرى ذكر النار ايضا في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة ، الا
ذكرى للبشر اي الذين اهلوا للتذكر والاعتبار ، كلا قال الزمخشري كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى
ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون انتهى ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى ان يخبر انها ذكرى للبشر
ثم ينكر ان تكون لهم ذكرى وانما قوله للبشر عام مخصوص وقال الزمخشري او ردع لمن ينكر ان
يكون احدى الكبر نذيرا وقيل ردع لقول ابي جهل واصحابه انهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم وقيل
ردع عن الاستهزا بالعدة المخصوصة وقال الفراء هي صلة للقسم وقدرها بعضهم حقا وبعضهم
بالاستفتاحية ونحن نقدم الكلام عليها في اخر سورة مريم عليها السلام ، والقمر والليل اذ ادبر
اي ولى ويقال دبر وادبر في اخر سورة مريم عليها السلام بمعنى واحد اقسم تعالى بهذه
الاشيا تشريفا لها وتنبيها على ما يظهر بها وفيها من عجايب الله وقدرته وقوام الوجود
بايجادها وقرا ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطا وابن يعمر وابو جعفر وشيبة
وابو الزناد وقتادة وعمر بن عبد العزيز والحسن وطلحة والنحويان والابنان وابو بكر
اذا ظرف زمان مستقبل ، دبر بفتح الدال وابن جبير والسلمي والحسن بخلاف عنهم
وابن سيرين والاعرج وزيد بن علي وابو شيخ وابن محيصن ونافع وحمزة وحفص اذ ظرف
زمان ماض ادبر رباعيا والحسن ايضا وابو رزين وابو رجا وابن يعمر ايضا والسلمي
ايضا وطلحة ايضا والاعمش ويونس بن عبيد ومطر اذا بالالف ادبر بالهمز وكذا هو في
مصحف عبد الله وابي وهو مناسب لقوله اذا اسفر ويقال كامس الدابر وامس المدبر
بمعنى واحد وقال يونس بن حبيب دبر انقضى وادبر تولى وقال قتادة دبر الليل ولى
وقال الزمخشري ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقيل هو من دبر الليل النهار خلفه وقرا
الجمهور اسفر رباعيا وابن السميفع وعيسى بن الفضل سفر ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة
عن وجهه ، انها لاحدى الكبر الظاهر ان الضمير في انها عايد على النار وقيل ويحتمل ان
يكون للنذارة وامر الاخرة فهو للحال والقصة وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر فعاد
الضمير الى غير مذكور ومعنى احدى الكبر الدواهي الكبر اي لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال
وهي احدى النسا والكبر العظايم من العقوبات ، قال الراجز ،
يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر ، داهية الدهر وصماء الغير ، والكبر جمع الكبرى
طرحت الف التانيث في الجمع كما طرحت همزته في قاصعا فقالوا قواصع وفي كتاب ابن عطية
والكبر جمع كبيرة ولعله من وهم الناسخ وقرا الجمهور لاحدى بالهمز وهي منقلبة عن واو اصله
وحدى وهو بدل لازم وقرا نصر بن عاصم وابن محيصن ووهب بن جرير عن ابن كثير بحذف
الهمزة وهو حذف لا ينقاس وتخفيف مثل هذه الهمزة ان يجعل بين بين والظاهر ان هذه الجملة
جواب للقسم ، وقال الزمخشري او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد انتهى وقرا الجمهور نذيرا واحتمل
ان يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار فيكون تمييزا اي لاحدى الكبر انذارا كما تقول
هي احدى النسا عفافا كما ضمن احدى معنى اعظم جاء عنه التمييز وقال الفرا هو مصدر نصبه باضمار
فعل اي انذر انذارا واحتمل ان يكون اسم فاعل بمعنى منذر فقال الزجاج حال من الضمير في انها

وقيل

وقيل حال من الضمير في احدى ومن جعله متصلا بقم في اول السورة او بفانذر في اول السورة
او حالا من الكبر او حالا من ضمير الكبر فهو بمعزل عن الصواب قال ابو البقا والمختار ان يكون
حالا مما دلت عليه الجملة تقديره عظمت نذيرا انتهى وهو قول لا باس به قال النحاس وحذفت الها
من نذير وان كان للنار على معنى النسب يعني ذات الانذار وقال ابو علي بن سليمان اعني نذيرا
وقال الحسن لا انذار ادهى من النار قال ابن عطية وهذا القول يقتضي ان نذيرا حال من الضمير
في انها او من قوله لاحدى قال ابو رزين نذير هنا هو الله تعالى فهو منصوب باضمار فعل
اي ادعوا نذيرا وقال ابن زيد نذير هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو منصوب بفعل مضمر
اي نادوا وبلغ واعلن وقرا ابي وابن ابي عبلة نذير بالرفع فان كان من وصف النار جاز ان يكون
خبرا وخبر مبتدا محذوف اي هي لمن بدل نذير وان كان من وصف الله او الرسول فهو على اضمار
هو والظاهر ان لمن بدل من البشر باعادة الجار وان يتقدم منصوب بشا ضمير يعود على
من وقيل الفاعل ضمير يعود على الله تعالى اي لمن شا هو اي الله تعالى وقال الحسن هو وعيد
نحو قوله تعالى فمن شا فليومن ومن شا فليكفر قال ابن عطية هو بيان في النذارة واعلام بان
كل احد يسلك طريق الهدى والحق اذا حقق النظر اذ هو بعينه يتاخر عن هذه الرتبة بغفلته
وسو نظره ثم قوى هذا المعنى بقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وقال الزمخشري ان
يتقدم في موضع الرفع بالابتدا ولمن شا خبر مقدم عليه كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه
مطلق لمن شا التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير
والتخلف عنه وهو كقوله فمن شا فليومن ومن شا فليكفر انتهى وهو معنى لا يتبادر الى الذهن
وفيه حذف قيل والتقدم الايمان والتاخر الكفر وقال السدي ان يتقدم الى النار المتقدم
ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة وقال الزجاج ان يتقدم الى المامورات او يتاخر عن المنهيات
والظاهر العموم في كل نفس وقال الضحاك كل نفس حقت عليها العذاب ولا يرتهن الله احدا من
اهل الجنة ، ورهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست بمعنى مفعول لانها
بغير تا للمذكر والمونث نحو رجل قتيل وامراة قتيل بمعنى كل نفس بما كسبت رهن ومنه
قول الشاعر ، ابعد الذي بالنعف نعف كويكب ، رهينة رمس ذي تراب وجندل
اي رمس رهن والمعنى ان كل نفس رهن عند الله غير مفكوك وقيل الها في رهينة للمبالغة
وقيل على تانيث اللفظ لا على الانسان والذي اختاره انها مما دخلت فيه التا وان كان بمعنى
مفعول في الاصل كالنطيحة ويدل على ذلك انه لما كان خبرا عن المذكر كان بغير ها قال
كل امري بما كسب رهين فانت ترى خبرا عن المذكر اتى بغير تا وحيث كان خبرا عن المونث
اتى بالتا كما في هذه الاية فاما الذي في الاية البيت فانث على معنى النفس الا اصحاب اليمين
قال ابن عباس هم الملايكة وقال علي هم اطفال المسلمين فعلى هذين القولين يكون استثنا
منقطعا اي لكن اصحاب اليمين في جنات وقال ابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا
بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وهذا القول الضحاك الذي تقدم وقال الزمخشري الا اصحاب
اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق
والظاهر ان هذا استثنا متصل ، في جنات اي هم في جنات يتسالون اي يسال بعضهم
بعضا ويكون يتسال بمعنى يسال اي يسالون عنهم غيرهم كما تقول دعوته وتداعوته
بمعناه وعلى هذين التقديرين يكون ما سلككم في سقر مقررا بالخطاب للمجرمين وفي الكلام حذف

العيون ان اصحاب اليمين يسال بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم عن من غاب من معارفهم
فاذا عرفوا انهم مجرمون في النار قالوا لهم او قالت لهم الملائكة هكذا فقرر بعضهم والا قرب
ان يكون التقدير يتساءلون عن المجرمين قائلين لهم بعد التساؤل ما سلككم في سقر
وقال الزمخشري فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن
المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون عن المجرمين وانما يطابق
ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم
وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين
المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به
على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه انتهى وفيه تفسيف والاظهر ان السائلين
هم المتساءلون وما سلككم على اضمار القول كما ذكرنا وسؤالهم ما سلككم سؤال توبيخ لهم
وتحقير والا فهم عالمون ما الذي ادخلهم النار والجواب انهم لم يكونوا متصفين بخصائص
الاسلام من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ثم ارتقوا من ذلك الى الاعظم وهو الكفر والتكذيب
بيوم الجزاء كقوله فلا اقتحم العقبة ثم قال ثم كان من الذين امنوا واليقين اي يقينا على انكار
يوم الجزاء اي وقت الموت وقال ابن عطية واليقين عندي صحة ما كانوا يكذبون من الرجوع الى
الله تعالى والدار الاخرة وقال المفسرون الموت وذلك عندي هنا متعقب لان نفس الموت
يقين عند الكافر وهو حي وانما اليقين الذي عنوا في هذه الاية الشيء الذي كانوا يكذبون به وهم
احياء في الدنيا فتيقنوه بعد الموت وانما يتفسر اليقين بالموت في قوله تعالى واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين ۞ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس المعنى انهم يشفع لهم فلا تنفع شفاعة
من يشفع لهم وانما المعنى نفي الشفاعة فانتفى النفع اي لا شافعين فيشفعون فتنفعهم
من باب ولا ترى الضب بها ينجحر ۞ اي لا منار له فيهتدى به وتخصيصهم بانتفاء شفاعة
الشافعين يدل على انه قد تكون شفاعات وينتفع بها وورد ناحاديث في صحة ذلك ۞ فما لهم
عن التذكرة وهي مواعظ التي تذكر الاخرة ۞ معرضين اي والحال المنتظرة هذه الموصوفة ثم
شبههم بالحمر المستنفرة في شدة اعراضهم ونفارهم عن الايمان وايات الله تعالى وقرا الجمهور بضم الميم
والاعمش باسكانها قال ابن عباس المراد الحمر الوحشية شبههم تعالى بالحمر مذمة وتهجينا
لهم وقرا نافع وابن عمر والمفضل عن عاصم مستنفرة بفتح الفا استنفرها فزعها من القسورة
وباقي السبعة بكسرها اي نافرة نفر واستنفر بمعنى عجب واستعجب وسخر واستسخر ومنه
قول الشاعر ۞ امسك حمارك انه مستنفر ۞ في اثر احمرة عمدن لغرب ۞
ويناسب الكسر قوله فرت وقال محمد بن سلام سالت ابا سوار الغنوي وكان اعرابيا فصيحا
فقلت كانهم حمر ماذا مستنفرة طردها قسورة فقلت انما هو فرت من قسورة قال
افرت قلت نعم قال فمستنفرة اذن قال ابن عباس وابو موسى الاشعري وقتادة وعكرمة
القسورة الرماة وقال ابن عباس ايضا وابو العالية وجمهور من اللغويين الاسد وقال
ابن جبير رجال القنص وهو قريب من القول الاول وقال ابن عباس ايضا وقال
ابو الاعرابي القسورة اول الليل والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شيء اشد نفارا من حمر الوحش
ولذلك يشبه بها العرب الابل في سرعة سيرها وخفتها ۞ بل يريد كل امرئ منهم اي عن الموضين
عن صفات الله واياته ۞ ان يؤتى صحفا منشرة غير مطوية تقرا كالكتب التي كانت بها

اوكننه

اوكننه في السما نزلت بها الملايكة ساعة كتبت رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتاب من السما عنوانها من
رب العالمين الى فلان ابن فلان يومر فيها باتباعك ونحو لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا
نقروه وروي ان بعضهم كان يتمنى في صحف ما يعمل كل انسان ولتعرض تلك الصحف عليهم
فنزلت هذه الاية وقرا الجمهور صحفا بضم الصاد والحا منشرة مشددا وابن جبير باسكانها
منشرة مخففا ونشر وانتشر مثل نزل وانزل شبه الصحيفة بالنشر الله الموتى فعبر
عنه بمنشر من النشور والمحفوظ في الصحيفة والثوب نشرت مخففا ثلاثيا وتقال
في الميت انشره الله تعالى ونشره وتقال انشر الله فنشر هو اي احياه فحيي ۞ كلا ردع عن ارادتهم
تلك وزجرهم عن اقتراح الايات ۞ بل لا يخافون الاخرة ولذلك اعرضوا عن التذكرة ثم كلا امتناع
ابتا الصحف وقرا الجمهور يخافون بيا الغيبة وابو حياة انها بالخطاب التفاتا كلا ردع عن
اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة فمن شا ذكره في اندرج في ذكره لان التذكرة ذكر وقرا
نافع وسلام ويعقوب تذكرون بتا الخطاب ساكنة الذال وباقي السبعة وابو جعفر والاعمش
وطلحة وعيسى والاعرج باليا وروي عن ابي حيوة يذكرون بيا الغيبة وشد الدال وروي
عن ابي جعفر تذكرون بالتا وادغام التا في الذال ۞ هو اهل التقوى اي اهل ان يتقى ويخاف
واهل ان يغفر وروى انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه
الاية فقال يقول لكم ربكم جلت قدرته وعظمته انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله غيري ومن اتقى
ان يجعل معي الها غيري فانا اغفر له ۞ وقال الزمخشري في قوله وما يذكرون الا ان يشا
الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجيهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يومنون
اختيارا ۞ المفردات برق بكسر الرا فزع ودهش واصله من برق الرجل اذا نظر الى
البرق فدهش بصره ومنه قول ذي الرمة ۞
ولو ان لقمان الحكيم تعرضت ۞ لعينيه مي سافرا كاد يبرق ۞ وقال الاعشى
وكنت ارى في وجه مية لمحة ۞ فابرق مغشيا علي مكانيا ۞ ويبرق بفتح الرا شق
بصره وهو من البريق اي لمع بصره من شدة شخوصه ابوان زماني اليه من حصن وجبل رعنه ما
قال الشاعر ۞ لعمرك ما اخشى من وزر ۞ من الموت يدركه والكبر الحضرة النعمة وجمال
البشرة وطراوتها قال الشاعر ۞ ابي لي قبر الابرار مقابلي ۞ وحضر نعلوا بسرق اي فاق ۞
اي موتها التراقي جمع ترقوة وهي عظام الصدر ولكل انسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة
قال دريد بن الصمة ۞ ورب عظيم دا فعت عنهم ۞ وقد بلغت نفوسهم التراقي ۞ رقى يرقي من
الرقية وهي ما يستشفى به للمريض من الكلام المعد لذلك تمطى تبختر في مشيته واصله من
المطا وهو الظهر اي يلوي مطاه تبخترا وقيل اصله تمطط اي تمدد في مشيته ومد منكبيه قلبت
الطا يا حروف التخفيف علة كراهة اجتماع الامثال كما قالوا تظنى من الظن واصله تظنن والمطيطا
التبختر ومد اليدين في المشي والمطيط الما الخاثر في اسفل الحوض لانه يتمطط فيه اي يتمد وعلى
هذا الاشتقاق لا يكون اصله من المط لاختلاف المادتين اذ مادة المطا ط و ى ومادة
تمطط م ط ط ۞ سدى مهمل يقال ابل سدى اي مهملة ترعى حيث شاءت بلا راع واسديت
الشي اي اهملته واسديت حاجتي ضيعتها ۞ قال الشاعر ۞
فاقسم بالله جهد اليمين ۞ ما خلق الله شيئا سدى ۞ وقال ابو بكر ابن دريد في المقصورة

فال الح

لم ار كالمزن سواما بهلا • تحسبها مرعية وهي سدى •

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ﴿لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة • ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه • بلى قادرين على ان نسوي بنانه • بل يريد الانسان ليفجر امامه • يسأل ايان يوم القيمة • فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر • يقول الانسان يومئذ اين المفر • كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر • ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر • بل الانسان على نفسه بصيرة • ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه • ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة • وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة • كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق • وظن انه الفراق • والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق • فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى • ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى • ايحسب الانسان ان يترك سدى • الم يك نطفة من مني يمنى • ثم كان علقة فخلق فسوى • فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه من ذكر ما قبلها في قوله كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة وفيها كثير من احوال القيمة فذكر هنا يوم القيمة وجملا من احوالها وتقدم الكلام في لا اقسم والخلاف في لا والخلاف في قراءتها واقرا النواقص اقسم تعالى بيوم القيمة لعظمه وهوله ولا اقسم فقيل فقيل لا نافية نفى ان يقسم بالنفس اللوامة واقسم بيوم القيمة نص عليه الحسن والجمهور على ان الله اقسم بالامرين واللوامة قال الحسن هي التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوها فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله بها وروي نحوه عن ابن عباس وعن مجاهد تلوم على ما فات وتندم على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل النفس المتقية التي تلوم النفوس في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى وقال ابن عباس وقتادة هي الفاجرة الخشعة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا واعراضها فهي على هذا ذميمة ويحسن نفي القسم بها والنفس اللوامة اسم جنس بهذا الوصف وقيل هي نفس معينة وهي نفس ادم عليه السلام لم تزل لائمة له على فعله الذي اخرجه من الجنة قال ابن عطية وكل نفس متوسطة ليست بمطمئنة ولا امارة بالسوء فانها لوامة في الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ما تشتهي فاذا اطمانت خلصت وصفت انتهى والمناسبة بين القسمين من حيث احوال النفس من سعادتها وشقاوتها وظهور ذلك في يوم القيمة وجواب القسم محذوف يدل عليه يوم القيمة المقسم به وما بعده من قوله ايحسب الاية وتقديره لتبعثن وقال الزمخشري فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي وكان قد انشد قول امرئ القيس

فلا وابيك ابنة العامري • لا يدعي القوم اني افر • وقول غوية بن سلمى •

الا نادت امامة باحتمالي • لتحزنني فلا بك ما ابالي •

قال فهلا زعمت ان لا التي للقسم زيدت موطئة للنفي الذي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف هاهنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف نفى لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم انه لقران كريم ثم قال الزمخشري وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه

وهو

اي ما يصلح لغيرهم ان كانوا فيعود الى ارحامهم تعالى التنبيه لم يجعل في ارحامهم يحنوفا هو بعينهم وهو لتبعثن انتهى وهو تقدير النحاس وقول من قال جواب القسم هو ايحسب الانسان وما روي عن الحسن ان الجواب بلى قادرين وما قيل ان لا في القسمين لنفيهما اي لا اقسم على شيء ولكن اسألك ايحسب الانسان اقوال لا تصلح ان يرد بها بل تطرح ولا يسود بها الورق ولولا انهم سردوها في الكتب لم انبه عليها والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث روي ان عدي بن ربيعة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك اويجمع الله هذه العظام بعد بلاها فنزلت وقيل نزلت في ابي جهل كان يقول ايزعم محمد صلى الله عليه وسلم ان يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرقها فيعيدها خلقا جديدا وقرا الجمهور نجمع بنون عظامه نصبا وقتادة بالتاء مبنيا للمفعول عظامه رفعا والمعنى بعد تفرقها واختلاطها بالتراب وتطيير الرياح اياها في اقاصي الارض وقوله ايحسب استفهام تقرير وتوبيخ حيث ينكر قدرة الله تعالى على اعادة المعدوم بلى جواب للاستفهام المنسحب على النفي اي بلى نجمعها وذكر العظام وان كان المعنى اعادة الانسان وجمع اجزائه المتفرقة لان العظام هي قالب الخلق وقرا الجمهور قادرين بالنصب على الحال من الضمير الذي في الفعل المقدر وهو نجمعها وابن ابي عبلة وابن السميفع قادرون اي نحن قادرون على ان نسوي بنانه وهي الاصابع اكثر العظام تفرقا وادقها اجزاء وهي العظام التي في الانامل ومفاصلها وهذا عند البعث وقال ابن عباس والجمهور المعنى نجعلها في حياته هذه بضعة او عظما واحدا كخف البعير لا تفاريق فيه اي في الدنيا فيقل منفعته بها وهذا القول فيه توعد والمعنى الاول هو الظاهر والمقصود من رصف الكلام وذكر الزمخشري هذين القولين بالفاظ متعقب على عادته في حكاية اقوال المتقدمين وقيل قادرين منصوب على خبر كان اي بلى كنا قادرين في الابتداء • بل يريد الانسان بل اضراب وهو انتقال من كلام الى كلام من غير ابطال والظاهر ان يريد اخبار عن ما يريد الانسان وقال الزمخشري بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر ويضرب عن مستفهم عنه الى موجب انتهى وهذه التقادير الثلاثة لا تظهر وهي متكلفة بل المعنى الاخبار عن الانسان من غير ابطال لمضمون الجملة السابقة وهي نجمعها قادرين لتبيين ما هو عليه الانسان من عدم الفكر في الاخرة وانه معني بشهواته ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل ليفجر قال مجاهد والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك والسدي معنى الاية ان الانسان انما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها قدما راكبا راسه مطيعا امله ومسوفا توبته قال السدي ليظلم على قدر طاقته وعلى هذا الضمير في امامه عائد على الانسان وهو الظاهر وقال ابن عباس ما يقتضي ان الضمير عائد على يوم القيمة اذ الانسان في زمان وجوده امام يوم القيمة وبين يديه ويوم القيمة خلفه فهو يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث وغير ذلك بين يديه يوم القيمة وهو لا يعرف قدر الذي هو فيه واللام ظرف مكان استعير هنا للزمان اي ليفجر فيما بين يديه ويستقبل من زمان حياته • يسأل ايان يوم القيمة سؤال استهزاء وتكذيب وتعنت وقرا الجمهور برق بكسر الراء وزيد بن ثابت ونصر ابن عاصم وعبد الله بن ابي اسحاق وابو حيوة وابن ابي عبلة والزعفراني وابن مقسم ونافع وزيد

ابن علي وابان عن عاصم وهارون ومحبوب كلاهما عن ابي عمرو والحسن والجحدري بخلاف عنهما
بفتحها قال ابو عبيدة برق بالفتح شق وقال ابو اسحاق تحير عند الموت قال مجاهد هذا
عند الموت وقال الحسن هو يوم القيامة وقرا ابو السمال بلق بلا باللام عوض الراء اي انفتح وانفرج
يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته هذا قول اهل اللغة الا الفرا فانه يقول بلقه وابلقه اذا
اغلقه وقال ثعلب اخطا الفرا انما هو بلق الباب وابلقه اذا فتحه انتهى ويجوز ان تكون
اللام بدلا من الراء فهما يتعاقبان في بعض الكلام نحو قولهم نثره ونثله ووجر ووجل وقرا
الجمهور وخسف مبنيا للفاعل وابو حيوة وابن ابي عبلة ويزيد بن قطيب وزيد بن علي
مبنيا للمفعول يقال خسف القمر وخسفه الله وكذلك الشمس قال ابو عبيدة وجماعة من اهل
اللغة الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن ابي اويس الكسوف ذهاب بعض الضوء
والخسوف ذهاب جميعه وجمع الشمس والقمر لم تلحق علامة التانيث لان تانيث الشمس
مجاز او لتغليب التذكير على التانيث وقال الكسائي حمل على المعنى والتقدير جمع النوران
او الضياءان ومعنى الجمع بينهما قال عطاء بن يسار يجمعان فيلقيان في النار وعنه يجمعان
يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمع بينهما في الطلوع من المغرب
فيطلعان اسودين مكورين وقال علي وابن عباس يجعلان في نور الحجب وقيل يجتمعان ولا
يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر وكان المعنى يجمع حرهما وقيل يجمع بينهما
في ذهاب الضوء فلا يكون ثم تعاقب ليل ونهار وقرا الجمهور المفر بفتح الميم والفاء
ابن العزار وقرا الحسن بن علي ابن ابي طالب والحسن ابن زيد وابن عباس والحسن وابو رجا
وعكرمة وايوب السختياني وكلثوم بن عياض ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وابو رجا
وعيسى وابن ابي اسحاق وابو حيوة وابن ابي عبلة والزهري بكسر الفا وهو موضع الفرار وقرا
الحسن بكسر الميم وفتح الفا ونسبها ابن عطية للزهري اي الجيد الفرار واكثر ما يستعمل هذا
الوزن في الالات وفي صفات الخيل نحو قوله مكر مفر مقبل مدبر معا والظاهر ان قوله
كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر من تمام قول الانسان وقيل هو من كلام الله تعالى لا حكاية
عن الانسان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا وعبر المفسرون عنه بالجبل قال
مطرف بن الشخير هو كان وزر فرار العرب في بلادهم فلذلك استعمل والحقيقة انه الملجا
من جبل او حصن او سلاح او رجل وغيره الى ربك يومئذ المستقر اي الى حكمه يومئذ
يقول ابن العز المستقر اي الاستقرار او موضع الاستقرار من جنة او نار الى مشيئته
تعالى يدخل من يشا الجنة ويدخل من يشا النار بما قدم واخر قال عبد الله وابن عباس
بما قدم في حياته واخر من سنة يعمل بها بعده وقال ابن عباس ايضا بما قدم من المعاصي
واخر من الطاعات وقال زيد بن اسلم بما قدم من ماله لنفسه وبما اخر منه للوارث
وقال النخعي والظاهر حمله على العموم اي يخبر بكل ما قدم وكل ما اخر مما ذكره المفسرون وما لم
يذكروه بصيرة خبر عن الانسان اي شاهد قاله قتادة والها للمبالغة وقال الاخفش هو كقولك
فلان عبرة وحجة وقيل انث لانه اراد جوارحه اي جوارحه على نفسه بصيرة وقيل بصيرة
مبتدا محذوف الموصوف اي عين بصيرة والخبر على نفسه والجملة في موضع خبر عن الانسان
والتقدير عين بصيرة واليه ذهب الفرا وانشد

كان على ذي العقل عينا بصيرة ۞ بمقعده او منظر هو ناظره

ومجاهد باول عمله واخره وقال النخعي بما قدم من فرض واخر من فرض

يكاد

يكاد رحتي يجيب الناس كلهم ۞ من الخوف لا يخفى عليهم سرايره

وعلى هذا اختار ان يكون بصيرة فاعلا بالجار والمجرور وهو الخبر عن الانسان الا انه
قد اعتمد بوقوعه خبرا عن الانسان وعلى هذا فالتا للتانيث وقال ابن عباس البصيرة
بالجوارح او الملايكة الحفظة والمعاذير عند الجمهور الاعذار فالمعنى ولو جا بكل معذرة يعتذر
بها عن نفسه فانه هو الشاهد عليها والحجة البينة عليها والمعاذير جمع معذرة
وقال الزمخشري قياس معذرة معاذر فالمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع
لها ونحوه المناكير في المنكر انتهى وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع
وانما هو من ابنية جمع التكسير فهو كمذاكير وملاميح والمفرد منهما لمحة وذكر على غير قياس او هما جمع لمفرد
احد البابين من اسماء الجموع بل قيل ما جمع للمحة وذكر
لم ينطق به وهو مذكار وملمحة وقال السدي والضحاك المعاذير الستور بلغة اليمن
واحدها معذار وهو يمنع رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة الذنب وقال
الزجاج ايضا اي وان رمي ستوره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه
وانشد في ان المعاذير الستور

قول الشاعر

ولكنها ضنت بمنزل ساعة ۞ علينا واطت فوقها بالمعاذر

وقيل البصيرة الكاتبان يكتبان ما يكون من خير او شر اي وان تستر
بالستور واذا كانت من العذر فمعنى ولو القى اي نطق بمعاذيره وقالها
وقيل ولو رمي باعذاره واستسلم وقال السدي ولو ادلى بحجة وعذر وقيل
ولو احال بعضهم على بعض كقوله لولا انتم لكنا مؤمنين فالمعذرة والعذر
المعذرة قال الشاعر ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت وقال
لا تعدل المحدود لا تحرك به لسانك الظاهر والمنصوص الصحيح في سبب
النزول انه خطاب للرسول عليه السلام في ما سنذكره ان شا الله وقال
القفال هو خطاب للانسان المذكور في قوله ينبا الانسان وذلك حال
تنبيه يقال له يعرض عليه كتابه فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك عليك
حسيبا فاذا اخذ في القراة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراة
فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان
نجمع اعمالك عليك وان نقراها عليك فاذا قراناه عليك فاتبع قرانه بالاقرار بانك
فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيانه امره وشرح عقوبته وحاصل هذا
القول انه تعالى يقرا الكافر جميع اعماله على التفصيل وفيه اشد الوعيد
في الدنيا واشد التهويل في الاخرة وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه
عليه السلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه مخافة ان
يذهب عنه ما يوحى اليه لحينه فنزلت وقال الضحاك السبب انه عليه السلام
كان يخاف ان ينسى القران فكان يدرسه حتى غلب ذلك وشق فنزلت وقال
الشعبي بحرصه عليه السلام على اداء الرسالة والاجتهاد في ذات الله
ربما اراد النطق ببعض ما اوحي اليه قبل كمال ايراد الوحي فامر ان
لا يعجل بالقران من قبل ان يقضى اليه وحيه وجات هذه الاية في هذا
المعنى والضمير في به للقران دل عليه مساق الاية ان علينا جمعه اي في
صدرك وقرانه اي قراتك اياه والقران مصدر كالقراة قال الشاعر

فيحولوا باسمط عنوان الحودية يقطع الليل تسبيحا وقرانا
وقيل وقرانه وثابتة في صدرك فهو مصدر من قرات اي جمعت ومنه قولهم للمراة
التي لم تلد ما قرات سلا قط **وقال الشاعر** ذراعي بكرة ادماء بكر هجان اللون
لم تقرا جنينا فاذا قرأناه اي الملك المبلغ عنا فاتبع اي بذهنك وفكرك اي فاستمع قراءته قاله
ابن عباس وقال البصيرا هو وقتادة والضحاك فاتبع في الاوامر والنواهي وفي كتاب ابن عطية
وقرا ابو العالية قرته فاذا قرته فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز
ولا الف في الثلاثة ولم يتكلم في توجيه هذه القراءة الشاذة ووجه اللفظ الاول انه مصدر
اي ان علينا جمعه وقراته فنقل حركة الهمزة الى الراء الساكنة وحذفها فبقي قرته كما ترى
واما الثاني فانه فعل ماض اصله فاذا قرأته اي اردت فسكن الهمزة فصار قرأته
ثم حذف الالف في جهة الشذوذ كما حذفت في قول العرب ولو ترما الصبيان يريدون
ولو ترى ما الصبيان وماذا ابن واما اللفظ الثالث فتوجيهه كتوجيه اللفظ الاول
اي فاذا قرأناه اي اردت قراءته فاتبع قراءته بالدرس وبالعمل ثم ان علينا بيانه
قال قتادة وجماعة ان نبينه لك ونحفظك وقيل ان تبينه انت وقال قتادة
ايضا ان تبين حلاله وحرامه ومجمله ومفسره وفي التحرير والتحبير قال ابن عباس
ان علينا جمعه اي حفظه في حياتك وقراءته تاليفه في لسانك وقال الضحاك نثبته
في قلبك بعد جمعه لك وقيل جمعه باعادة جبريل عليك مرة اخرى الى ان يثبت في
صدرك فاذا قرأناه قال ابن عباس انزلناه اليك فاستمع قراءته وعنه ايضا فاذا
تلي عليك فاتبع ما فيه وقال قتادة فاتبع حلاله واجتنب حرامه وقد حقق الزمخشري
ايراده تفسير هذه الاية فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي
نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان
يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه
وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بالوحي ما دام
جبريل يقرأ لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة
بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة
جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قراءته فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك
انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك
شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض
الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه انتهى
وذكر ابو عبد الله الرازي في تفسيره انه جماعة من قدماء الروافض زعموا
ان القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص منه واحتجوا بانه لا مناسبة بين
هذه الاية وما قبلها ولو كان الترتيب من الله تعالى ما كان الامر كذلك ثم ذكر
الرازي مناسبات على زعمه يوقف عليها في كتابه ويظهر ان المناسبة بين
هذه الاية وما قبلها انه تعالى لما ذكر منكري القيامة والبعث معرضين عن ايات
الله تعالى ومعجزاته وانه قاصر شهواته عن الفجور غير مكترث بما يصدر منه
ذكر حال من يبادر في تعلم ايات الله وحفظها وتلقنها والنظر فيها وعرضها على
من ينكرها رجاء قبوله اياها فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل ايات الله
ومن يرغب عنها وبضدها تتبين الاشياء ولما كان عليه السلام لمثابرته على ذلك كان يبادر

للتحفظ

للتحفظ تحريك لسانه اخبره تعالى انه يجمعه له ويوضحه كلا بل يحبون العاجلة
ويذرون الاخرة لما فرغ من خطابه عليه السلام رجع الى حال الانسان السابق ذكره
المنكر البعث وان همه في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الاخرة اذ هو
منكر لذلك **وقرا** الجمهور بل تحبون العاجلة وتذرون بتاء الخطاب للكفار قريش
المنكرين البعث وكلا ردع عليهم وعلى اقوالهم اي ليس كما زعمتم وانما انتم قوم
غلبت عليكم محبة شهوات الدنيا حتى تتركون معه الاخرة والنظر في امرها وقال
الزمخشري كلا ردع وذكر في كتابه ما يوقف عليه فيه **وقرا** مجاهد والحسن وقتادة
والجحدري وابن كثير وابو عمرو بيا الغيبة فيهما اولا وكانهم يحبون العاجلة وترك
الاهتمام بالاخرة فلا تخلص الى شيء من احوال الاخرة فقال وجوه يومئذ ناضرة وجه
بالوجه عن الجملة **وقرا** الجمهور ناضرة بالف وزيد بن علي نضرة بغير الف قال
ابن عطية وجوه رفع بالابتدا وابتدأ بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ
وناضرة خبر وجوه وقوله الى ربها ناظرة جملة هي في موضع خبر بعد خبر انتهى
وليس يومئذ تخصيصا للنكرة فيسوغ الابتداء بها بالنكرة كون الموضع موضع
تفصيل وناضرة الخبر وناظرة صفة وقيل ناضرة نعت لوجوه والى
ربها ناظرة الخبر وهو قول سائغ ومسالة النظر ورؤية الله مذكورة في علم
اصول الدين ودلائل الفريقين اهل السنة واهل الاعتزال فلا نطول بذكر ذلك
هنا ولما كان الزمخشري من المعتزلة ومذهبه ان تقديم المفعول يدل على
الاختصاص قال هنا ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر
في محشر يجمع الله فيه الخلائق فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه
محال فوجب حمله على معنى لا يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون
من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجاء ومنه
قول الشاعر • واذا نظرت اليك من ملك • والبحر دونك زدتني نعما
وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم
ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم
لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا
يرجون الا اياه انتهى وقال ابن عطية ذهبت يعني المعتزلة الى ان المعنى
الى رحمة ربها ناظرة او الى ثوابه او ملكه فقدروا مضافا محذوفا وهذا
وجه سائغ في العربية كما يقول فلان ناظر اليك في كذا اي الى صنعك
في كذا انتهى والظاهر ان الى في قوله الى ربها حرف جر يتعلق بناظرة
وقال بعض المعتزلة الى هنا واحد الالاء وهي النعم وهي مفعول به مقدم
لناظرة بمعنى منتظرة ووجوه يومئذ باسرة يجوز ان تكون وجوه مبتدأ
خبره باسرة وتظن خبر بعد خبر وان تكون باسرة صفة
وتظن الخبر والفاقرة قال ابن المسيب قاصمة الظهر وتظن بمعنى توقن
او يغلب على اعتقادها وتتوقع ان يفعل بها فاقرة فعل هو من شدته داهية
تقصم وقال ابو عبيدة فاقرة من فقرت البعير اذا وسمت انفه بالنار كلا ردع
لهم عن ايثار الدنيا على الاخرة وتذكير بما يؤول اليه من الموت الذي
تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها الى الاجلة والضمير في بلغت عائد على النفس الدال

عليها سياق الكلام كقول حاتم لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا يكادون يسمونه يقولون السماء وذكرهم تعالى
بصعوبة الموت وهو اول احوال الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل
مبني للمفعول فاحتمل ان يكون القائل حاضري المريض طلبوا له من يرقيه ويطب
ويشفيه وغير ذلك مما يتمناه له اهله قال ابن عباس والضحاك وابو قلابة وقتادة
وهو استفهام حقيقة وقيل هو استفهام استبعاد وانكار اي قد بلغ مبلغا
لا احد يرقيه كما عند الياس من الذكي فقد اريد في هذا الحرف في الموت
قاله عكرمة وابن زيد واحتمل ان يكون القائل الملائكة اي من يرقى بروحه
الى السما ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب قاله ابن عباس ايضا وسليمان التيمي
وقيل انما يقولون ذلك لكراهتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها ويدل
عليه قوله بعد فلا صدق ولا صلى الاية ووقف حفص على من وابتدا راق وادغم
الجمهور قال ابو علي لا ادري ما وجه قراته وكذلك قرا بل ران انتهى وكان
حفصا قصد ان لا يتوهم انها كلمة واحدة فسكت سكتا لطيفا ليشعر انهما كلمتان
وقال س ان النون تدغم في الرا وذلك نحو من راشد والادغام بغنة وبغير
غنة ولم يذكر البيان وحكى ذلك من نقل غيره من الكوفيين وعاصم شيخ حفص
يذكر انه كان عالما بالنحو واما بل ران فقد ذكر س ان اللام البيان فيهما والادغام
مع الرا حسنان فلما افرط في بيان البيان في بل ران صار كالوقف القليل وظن اي
المريض انه اي ما نزل به الفراق فراق الدنيا التي هي محبوبته والظن هنا على
بابه وقيل فراق الروح الجسد والتفت الساق بالساق قال ابن عباس والحسن
والربيع بن انس واسمعيل بن ابي خالد استعارة لشدة كرب الدنيا في اخر يوم
منها لشدة كرب الاخرة في اول يوم منها لانه بين الحالتين قد اختلطا به
كما تقول شمرت الحرب عن ساق استعارة لشدتها وقال ابن المسيب والحسن هي
حقيقة والمراد ساقا الميت عند ما لفا في الكفن وقال الشعبي وقتادة وابو
مالك التفافهما لشدة المرض لانه يقبض ويبسط ويركب هذه على هذه وقال
الضحاك اسوق حاضر به من الانس والملائكة هؤلاء يجهزونه الى القبر وهؤلاء
يجهزون روحه الى السما وقيل التفافهما موتهما اولا اذ هما اول ما تخرج الروح
منهما فتبردان قبل سائر الاعضاء وجواب اذ المحذوف تقديره وجد ما عمله في
الدنيا من خير وشر الى ربك يومئذ المساق اي موعود ربك المساق المرجع والمصير
والمساق مفعل من السوق فهو اسم مصدر اما الى جنة واما الى نار فلا صدق ولا
صلى الجمهور انها نزلت في ابي جهل وكادت ان تصرح به في قوله يتمطى فانها
كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم وكان يكثر منها وتقدم ايضا انه
قيل في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه انها نزلت في ابي جهل وقال
الزمخشري يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا
ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله
يسال ايان يوم القيامة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقران
ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه انتهى ويكون فلا صدق
معطوفا على قوله يسال فيه بعد ولا هنا نفت الماضي اي لم يصدق ولم يصل
وفي هذا دليل على ان لا يدخل على الماضي فتنفيه ومثله قول الشاعر

واي

واي خميس لا ابانا نهابه واسيافنا يقطرن من كبشه دما وقال الراجز
ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما وصدق معناه برسالة الله وقال قوم
هو من الصدقة وهذا الذي يظهر نفي هنا الزكاة والصلوة واثبت له التكذيب
لقوله قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين
وكنا نكذب بيوم الدين وصل فلا صدق على نفي التصديق بالرسالة فيقتضي
ان يكون ولكن كذب تكرارا ولزم ان يكون لكن استدراكا بعد ولا صلى
لا بعد فلا صدق لانه كان يساوي الحكم في فلا صدق وفي كذب ولا يجوز
ذلك اذ لا يقع لكن بعد متوافقين وتولى اعرض عن رسول الله وكذب بما
جا به ثم ذهب الى اهله اي قومه يتمطى يتبختر في مشيته روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبب ابا جهل يوما في البطحا وقال له ان الله يقول لك
اولى لك فاولى فنزل القران على نحوها وقالت الخنسا هممت بنفسي كل الهموم
فاولى لنفسي اولى لها وتقدم الكلام على اولى في اخر حا والد باقي قوله فاولى لهم في
سورة القتال وتكراره هنا مرارا مبالغة في التهديد والوعيد ولما ذكر حاله
في الموت وما كان من حاله في الدنيا قرر له احواله في بدايته ليتامل فيها فلا
ينكر معها جواز البعث من القبور وقرا الجمهور الم يك بيا الغيبة والحسن
بالتا على سبيل الالتفات وقرا الجمهور تمنى اي النطفة يمنيها الرجل وابن
محيصن والجحدري وسلام ويعقوب وحفص وابو عمرو بخلاف عنه باليا
اي يمنى وهو اي المني فخلق اي الله منه بشرا مركبا من اشيا مختلفة فسوى
اي سواه شخصا مستقلا فجعل منه الزوجين اي النوعين او المزدوجين
من البشر وفي قراة زيد بن علي الزوجان بالالف وكانه على لغة بني الحارث
ابن كعب ومن وافقهم من العرب من كون المثنى بالالف في جميع احواله
وقرا ايضا يقدر مضارعا والجمهور بقادر اسم فاعل مجرور بالبا الزائدة اليس ذلك
اي الخالق المسوي بقادر وفيه توقيف وتوبيخ لمنكر البعث وقرا طلحة بن
سليمان والفيض بن غزوان يحيي بسكون اليا من قوله ان يحيي وهي حركة اعراب
لا تنحذف الا في الوقف وقد جا في الشعر حذفها وقرا الجمهور بفتحها وجاء
معصم يحيي بنقل حركة اليا الى الحا وادغام اليا في اليا قال ابن خالويه لا يجيز
اهل البصرة سيبويه واصحابه ادغام يحيي قالوا لسكون اليا الثانية ولا يعتدون
بالفتحة في اليا لانها حركة اعراب غير لازمة واما الفرا فاحتج بهذا البيت تمشي
بسدة بيتها فتعي [illegible] الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين المفردات
او مشج كعدل واعدال ومشيج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابي وقال رؤبة
يطرحن كل معجل نشاج لم يكسه جلدا من دم امشاج وقال الهذلي
كان الريش والفوقين منها خلاف النصل سيط به مشيج وقال
الشماخ طوت احشا مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين وقال
الشاعر ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط سرج
قال الشاعر فكان نسبة [illegible] راسي يجود سراجها عسل وما
استطار الشي انتشر وتقول العرب استطار الصدع في القارورة وشبهها واستطال
ومنه قول الشاعر فبانت وقد اسارت في الفواد صدعا على نايها مستطيرا

وقال الفراء مستطيرا مستطيلا يقال يوم قمطرير وقماطر واقمطر فهو مقمطر اذا كان
صعبا شديدا **وقال الراجز** بكرت المقرب تزتي تزتي تكسوا استها لحما وتقمطر
وقال الشاعر ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها ولج بها اليوم الشديد القماطر
وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه ويقال اقمطرت
الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل
الميم زائدة **وقال اسد بن ناعصة** واصطليت الحروب في كل يوم باسل
الشر قمطرير الصباح واختلف في هذا الوزن واكثر النحاة لا يثبت افمعل في
اوزان الافعال **الزمهرير** اشد البرد وقال ثعلب هو القمر بلغة طي
وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر **القارورة**
اناء رقيق صاف توضع فيه الاشربة قيل ويكون من الزجاج **الزنجبيل**
الدينوري نبت في ارض عمان عروق تسري في الارض وليس بشجرة يوكل
رطبا واجوده ما يحمل من بلاد الصين كانت العرب تحبه لانه يوجب لذعا في
اللسان اذا امزج بالشراب فيلتذون به **قال الشاعر** كان جنيا من الزنجبيل
بات بفيها واربا مشورا **وقال المسيب بن علس** وكان طعم الزنجبيل به
اذ ذقته وسلافة الخمر **السلسبيل** والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية
في السلاسة قاله الزجاج وقال ابن الاعرابي لم اسمع السلسبيل الا في القرآن
ثم ظرف مكان للبعد **سورة الانسان بسم الله الرحمن الرحيم**

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا

هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال مجاهد وقتادة مدنية وقال الحسن وعكرمة مدنية الا اية واحدة فانها مكية ولا تطع منهم اثما او كفورا وقيل مدنية الا من قوله فاصبر لحكم ربك الى اخرها فانه مكي حكاه الماوردي ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا لا يحتاج الى شرح هل حرف استفهام فان دخلت على الجملة الاسمية لم يمكن تاويله بقد لان قد من خواص الفعل فان دخلت على الفعل فالاكثر ان تاتي للاستفهام المحض وقال ابن عباس وقتادة هي هنا بمعنى قد قيل لان الاصل اهل فكان الهمزة حذفت واجتزئ بها في الاستفهام ويدل على ذلك **قوله** سائل فوارس يربوع بشدتنا اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فالمعنى قد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر وقيل هل هنا للاستفهام المحض اي هو ممن

يسأل

يسأل عنه لغرابته اتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه يكون الجواب اتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة وما تليته عند ابي بكر وقيل عند عمر رضي الله عنهما قال ليتها تمت اي ليت تلك الحالة تمت وهي كونه نطفة وانتقاله من رتبة الى رتبة حتى حين امكان خطابه فانه في تلك المدة لا ادرك له وسمي انسانا باعتبار ما صار اليه وقيل ادم عليه السلام والحين الذي مر عليه المدة التي بقي فيها الى ان نفخ فيه الروح وعن ابن عباس بقي طينا اربعين سنة ثم صلصالا اربعين سنة ثم حما مسنونا اربعين فتم خلقه في مائة وعشرين سنة وسمي انسانا باعتبار ما ال اليه والجملة من لم يكن في موضع الحال من الانسان كانه قيل غير مذكور وهو الظاهر او في موضع الصفة لحين فيكون العايد على الموصوف محذوفا اي لم يكن فيه انا خلقنا الانسان هو جنس بني ادم لان ادم لم يخلق من نطفة امشاج اخلاط وهو وصف للنطفة فقال ابن مسعود واسامة بن زيد عن ابيه هي العروق التي في النطفة وقال ابن عباس ومجاهد والربيع هو ماء الرجل وماء المراة اختلطا في الرحم فخلق الانسان منهما وقال الحسن اختلاط النطفة بدم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض وقال ابن عباس ايضا وعكرمة وقتادة امشاج منتقلة من نطفة الى علقة الى مضغة الى عظم وكذا الى انشائه انسانا وقال ابن عباس ايضا والكلبي هي الوان النطفة وقيل اخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء والنطفة اريد بها الجنس فلذلك وصفت بالجمع كقوله على رفرف خضر او لتنزيل كل جزء من النطفة نطفة نطفة وقال الزمخشري نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشج ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما انتهى وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا قال س وليس في الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما للجميع وما ورد من وصف المفرد بافعال تاولوه نبتليه اي نختبره بالتكليف في حال مقدرة لانه تعالى حين خلقه من نطفة لم يكن مبتليا له بالتكليف في ذلك الوقت وقال الزمخشري ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة انتهى وهذا معنى قول ابن عباس وقيل في الكلام تقديم وتاخير الاصل فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اي جعله سميعا بصيرا هو للابتلاء ولا حاجة الى ادعاء التقديم والتاخير والمعنى يصح بخلافه وامتن تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين وهما كناية عن التمييز والفهم اذ آلتهما سبب لذلك وهما اشرف الحواس تدرك بهما اعظم المدركات ولما جعله بهذه المثابة امر تعالى انه هداه الى السبيل اي ارشده الى الطريق وعرفه مآل طريق النجاة ومآل طريق الهلاك اذ ارشدناه طريق الهدى وقال مجاهد سبيل الشقاوة والسعادة وقال السدي سبيل الخروج من الرحم وقال الزمخشري اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا فاذا دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يومن او يكفر لالزام الحجة انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرا الجمهور اما بكسر الهمزة فيهما وابو السمال وابو العاج

وهو كثير عن عبد الله السلمي أتى إلى البصرة لهشام بن عبد الملك بفتحهما فيهما وهي لغة
حكاها أبو زيد عن العرب وهي التي عدها بعض الناس في حروف العطف وأنشدوا

تلقحها إما شمال عرية ... وإما صبا جنح العشي هبوب

وقال الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى إما شاكرا بتوفيقنا وإما كفورا فبسوء
اختياره انتهى فجعلها إما التفصيلية المتضمنة معنى الشرط ولذلك تلقاها بفا
الجواب فصار كقول العرب إما صديقا فصديق وانتصب شاكرا وكفورا على
الحال من ضمير النصب في هديناه وقال الزمخشري ويجوز أن يكونا حالين
من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا كقوله
وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجاز انتهى ولما كان
الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثير من يتصف به ويكثر
وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر جاء كفورا بصيغة المبالغة ولما ذكر
الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد **وقرا** طلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير
وأبو عمرو وحمزة سلاسل بمنع الصرف وقفا ووصلا وقيل عن حمزة وأبي عمرو
الوقف بالألف **وقرا** حفص وابن ذكوان بمنع الصرف واختلف عنهم في
الوقف وكذا عن البزي **وقرا** باقي السبعة بالتنوين وصلا وبالألف المبدلة
منه وقفا وهي قراءة الأعمش قيل وهذا على ما حكاه الأخفش من لغة من
يصرف كل ما لا ينصرف إلا أفعل من وهي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في
كلامهم وعلل ذلك بأن هذا الجمع لما كان يجمع فقالوا صواحبات يوسف
ونواكسي الأبصار أشبه المفرد فجرى فيه الصرف **قال بعض الرجاز**

والصرف في الجمع أتى كثيرا ... حتى ادعى قوم به التخييرا

والصرف ثابت في مصاحف مكة والمدينة والكوفة والبصرة وفي مصحف أبي
وعبد الله وكذا قواريرا وروى هشام عن ابن عباس سلاسل في الوصل وسلاسلا
بالألف دون تنوين في الوقف وروي أن من العرب من يقول رأيت عمرا
بالألف في الوقف من كأس من لابتداء الغاية كان مزاجها كافورا قال قتادة
يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقيل هو على التشبيه أي طيب رائحة
وبرد كالكافور وقال الكلبي كافور اسم عين في الجنة وصرفت لتوافق الآي
وقرا عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف وهما كثيرا ما يتعاقبان في الكلمة
كقولهم عربي قح وكح وعينا بدل من كافورا ومفعولا يشربون أي ماء عين
أو بدل من محل من كأس على حذف مضاف أي يشربون خمرا خمر عين أو نصب على
الاختصاص ولما كانت الكأس مبدأ شربهم أتى بمن وفي يشرب بها أي يمزج
شرابهم بها أتى بالباء الدالة على الإلصاق والمعنى يشرب عباد الله بها الخمر
كما تقول شربت الماء بالعسل أو ضمن يشرب معنى يروى فعدي بالباء وقيل
الباء زائدة والمعنى يشربها **وقال الهذلي**

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... متى لجج خضر لهن نئيج

قيل أي شربنا ماء البحر **وقرا** ابن أبي عبلة يشربها وعباد الله هنا هم المؤمنون
يفجرونها يثقبونها بعود قضب ونحوه حيث شاؤوا فهي تجري عند كل أحد منهم
هكذا ورد الأثر وقيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر إلى دور

الانبيا

الأنبيا والمؤمنين يوفون بالنذر قال الفرا التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا
وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون
ذلك انتهى فاستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز والتي تعدى بالمضارع مقرون
بأن وهو تعليل لا نحو والظاهر أن المراد بالنذر ما هو المعهود بالشريعة
أنه نذر قال الأصم وتبعه الزمخشري هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر على
أدا الواجبات لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان لما أوجبه الله أوفى
وقيل النذر هنا عام لما أوجبه الله وما أوجبه العبد فيدخل فيه الإيمان
وجميع الطاعات على حبه أي على حب الطعام إذ هو محبوب للفاقة والحاجة
قاله ابن عباس ومجاهد أو على حب الله أي لوجهه وابتغاء مرضاته قاله
الفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني والأول أمدح لأن فيه الإيثار
على النفس وأما الثاني فقد يفعله الأغنيا أكثر وقال الحسن بن الفضل
على حب الإطعام أي يحبون أن يفعلوا ذلك لا ريا فيه ولا تكلف مسكينا
وهو الطواف المنكشف في السؤال ويتيما هو الصبي الذي لا أب له
وأسيرا والأسير معروف وهو من الكفار قاله قتادة وقيل من المسلمين
تركوا في بلاد الكفر رهائن وخرجوا لطلب الفدا وقال ابن جبير وعطا هو
الأسير من أهل القبلة وقيل الأسير استعارة وتشبيه فقال مجاهد وابن جبير
وعطا هو المسجون وقال أبو حمزة اليماني هي الزوجة وعن أبي سعيد
الخدري هو المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك
إنما نطعمكم لوجه الله هو على إضمار القول ويجوز أن يكون قولا هذا
خطابا للمذكورين منعا منهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول
لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وهذا هو الظاهر وقال مجاهد أما
إنهم ما تكلموا به ولكن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم به لا نريد منكم جزا
أي بالأفعال ولا شكورا أي ثنا بالأقوال وهذه الآية قيل نزلت في علي
ابن أبي طالب كرم الله وجهه وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا
ظاهرة الاختلاق وفيها أشعار للمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت
النبوة وأشعار لفاطمة عليها السلام تخاطب كل واحد منهم ظاهرها الاختلاف
لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها وسفاطة معانيها يوما عبوسا نسبة العبوس
إلى اليوم مجاز قال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق
كالقطران **وقرا** الجمهور فوقاهم بخف القاف وأبو جعفر بشدها ولقاهم
نضرة بدل عبوس الكافر وسرورا فرحا بدل حزنه ولا يكاد يكون النظر إلا مع
فرح النفس وقرة العين وقرا الجمهور وجزاهم وعلي وجازاهم بما صبروا
على الطاعة وجنة وحريرا أي بستانا فيه كل مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي وناسب
ذكر الحرير مع الجنة لأنهم أوثروا على ما مر هم على الجوع والعري لا يرون فيها
أي في الجنة شمسا أي حر شمس ولا شدة برد أي لا شمس فيها فترى فتؤذي
حرها ولا زمهريرا يرى فيؤذي بشدته أي هي معتدلة الهوا وفي الحديث
هوا الجنة سجسج لا حر ولا برد وقيل لا يرون فيها شمسا ولا قمرا والزمهرير في
لغة طي القمر وقرا الجمهور ودانية قال الزجاج هو حال عطفا على متكئين

وقال ايضا ويجوز ان يكون صفة للجنة فالمعنى وجزاهم جنة دانية وقال الزمخشري
ما معناه انها حال معطوفة على وهي لا يرون اي غير رائين و دخلت الواو
للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين
فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرا ابو حيوة ودانية
بالرفع واستدل به الاخفش على جواز رفع اسم الفاعل من غير ان يعتمد نحو
قولك قائم الزيدون ولا حجة فيه لان الاظهر ان يكون ظلالها مبتدا وخبره له
وقرا الاعمش ودانيا عليهم وهو كقوله خاشعا ابصارهم وقرا ابي ودان
مرفوع وهذا يمكن ان يستدل به الاخفش وذللت قطوفها قال مجاهد وقتادة
ومجاهد وسفيان اذا الانسان قائما تناول الثمر دون كلفة وان كان قاعدا مضطجعا
فكذلك فهذا تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك قال ما جاء قراة الجمهور ودانية
بالنصب كان وذللت معطوفا على دانية لانها في تقدير المفرد اي ومذللة وعلى
قراة الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية ويجوز ان يكون في موضع
الحال اي وقد ذللت رفعت دانية او نصبت ويطاف عليهم بانية من فضة
واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كاسا
كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون
اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم
ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا
عليك القران تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلا
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من
يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم
وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم وقدم ذكر الانية التي يسقون بها والانية جمع اناء وتقدم
شرح الاكواب وقرا نافع والكسائي وابو بكر قواريرا قواريرا بتنوينهما ووقفا بالا
لف وقفا وابن عامر وحمزة وابو عمرو وحفص بمنع صرفهما وابن كثير بصرف الاول
ومنع الصرف في الثاني وقال الزمخشري وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق
لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول انتهى وكذا قال في قراة من قرا سلاسلا
بالتنوين انه بدل من حرف الاطلاق اجرى الفواصل مجرى ابيات الشعر فكما انه
يدخل التنوين في القوافي المطلقة اشعارا بترك الترنم كما قال الشاعر
يا صاح ما هاج الدموع الذرفن فهذه النون بدل من الالف اذ لو ترنم
لوقف بالف الاطلاق من فضة اي مخلوقة من فضة ومعنى كانت
انه اوجدها تعالى من قوله كن فكانت تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان
الجامعة بين بياض الفضة ونصوعها وشفيف القوارير وصفائها ومن ذلك
قوله كان مزاجها كافورا وقرا الاعمش قوارير من فضة ومعنى تقديرهم
لها انهم قدروها في انفسهم على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروها

وقيل

وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر
الري وهو الذ الشراب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد
لا يفيض ولا يغيض انتهى وقرا علي وابن عباس والشعبي وابن ابزى وقتادة
وزيد بن علي والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وابو حيوة وعباس
عن ابان والاصمعي عن ابي عمرو وابن عبد الخالق عن يعقوب قدروها
مبنيا للمفعول قال ابو علي كان اللفظ قدروا عليها وفي المعنى قلب لان حقيقة
المعنى ان يقال قدرت عليهم فهي مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
اولي القوة ومثل قول العرب اذا طلعت الجوزاء القى العود على الحرباء وقال
الزمخشري ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشي
وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا
واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا انتهى وقال ابو حاتم قدرت الاواني
على قدر ريهم ففسر بعضهم قول ابي حاتم هذا قال فيه حذف على وهو انه
كان تقديرهم اياها ثم حذف على فصار ريهم مثل اسم فاعله ثم حذف
قدر فصار ريهم ثم ثم فلعله تحذف الري فصارت الواو مكان الهاء والميم لما
حذف المضاف مما قبلها وصارت الواو مفعول ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول
الثاني في تقدير النصب بالفعل بعد الواو التي تحولت من الهاء والميم حتى
اقيمت مقام الفاعل انتهى والاقرب في تخريج هذه القراة الشاذة ان يكون
الاصل قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف وهو الري واقيم الضمير مقامه
فصار التقدير قدروا منها ثم اتسع في الفعل فحذفت من ووصل الفعل الى
الضمير بنفسه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف واتساع في المجرور
والظاهر ان الكاس تمزج بالزنجبيل والعرب تستلذه وتذكره في وصف
رضاب افواه النسا كما انشدنا لهم في الكلام على المفردات وقال الزمخشري
تسمى العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها انتهى وقال قتادة الزنجبيل اسم
لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقال
الكلبي يسقى بجامين الاول مزاجه الكافور والثاني مزاجه الزنجبيل وعينا
بدل من كاسا على حذف اي كاس عين او من زنجبيلا على قول قتادة وقيل
منصوبة على الاختصاص والظاهر ان هذه العين تسمى سلسبيلا بمعنى توصف
بانها سلسة في الاتساع سهلة في المذاق ولا يحمل سلسبيل على انه اسم حقيقة
لانه اذ ذاك كان ممنوع الصرف للتانيث والعلمية وقد روي عن طلحة انه
قراه بغير الف جعله علما لها فان كان علما فوجه قراة الجمهور بالتنوين
المناسبة للفواصل كما قال ذلك بعضهم في سلاسلا وقواريرا ويحسن ذلك
انه لغة لبعض العرب اعني صرف ما لا ينصرف عند اكثر العرب وقال الزمخشري وقد
زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية وكان قد ذكر فقال
شراب سلسل وسلسال وسلسبيل قال كان يعني انه زيد حقيقة فليس
بجيد لان الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة في علم النحو وان عنى انها
حرف جاء في سنخ الكلمة وليس في سلسل ولا في سلسال فيصح ويكون مما
اتفق معناه وكان مختلفا في المادة وقال بعض المعربين سلسبيلا امر للنبي

صلى الله عليه وسلم ولا مثله من الابل البيا وقد نسبوا هذا القول الى علي كرم الله وجهه
ويجب طرحه من كتب التفسير واعجب من ذلك توجيه الزمخشري له واشتغاله بحكايته
ونسبته الى علي رضي الله عنه وقال قتادة هي عين تنبع من تحت العرش من
جنة عدن الى الجنان وقال عكرمة عين سلس ماؤها وقال مجاهد عين جريدة
الجرية سلسة سهلة المساغ وقال مقاتل عين تتسلسل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف
شاؤوا وتقدم شرح مخلدون وتشبيه الولدان باللولو المنثور في بياضهم وصفا
الوانهم وانتشارهم في المساكن في خدمة اهل الجنة يجيئون ويذهبون وقيل
شبهوا باللولو الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن في العين واهيج للنفس وجواب
اذا رايت نعيما ومفعول فعل الشرط محذوف حذف اقتصارا والمعنى واذا رميت
ببصرك هناك وثم ظرف العامل فيه رايت وقيل التقدير واذا رايت ما ثم فحذف
كما حذف في قوله لقد تقطع بينكم اي ما بينكم قال الزجاج وتبعه الزمخشري
فقال ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول
وترك الصلة انتهى وليس بخطا مجمع عليه بل قد اجاز ذلك الكوفيون ولهم شواهد
من لسان العرب كقول الشاعر فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
اي ومن يمدحه فحذف الموصول وابقى صلته وقال ابن عطية وثم ظرف العامل فيه
رايت او معناه التقدير رايت ما ثم حذفت ما انتهى وهذا فاسد لانه من حيث
جعله معمولا لرايت لا يكون صلة لما لان العامل فيه اذ ذاك محذوف اي ما استقر ثم
وقرا الجمهور ثم بفتح الثا وحميد الاعرج ثم بضم الثا حرف عطف وجواب اذا على هذا
محذوف اي واذا رميت ببصرك رايت نعيما وملكا كبيرا قيل النظر الى الله تعالى
وقال السدي استيذان الملايكة عليهم وقال الاكثر التنكير الملك الكبير اتساع مواضعهم
وقال الكلبي كبيرا عريضا يبصر ادناهم منزلة في الجنة في ملكه مسيرة الف عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه وقال عبد الله بن عمر قال ما من اهل الجنة من احد الا
يسعى عليه الف غلام كلهم مختلف شغله من شغل اصحابه وقال الترمذي واظنه الترمذي
الحكيم لا ابا عيسى المحدث صاحب الجامع هو ملك التكوين والمشية اذا ارادوا شيا
كان لقوله تعالى لهم ما يشاوون فيها وقيل غير هذه الاقوال وقرا عمر وابن عباس
والحسن ومجاهد والجحدري واهل مكة وجمهور السبعة عاليهم بفتح اليا وابن
عباس بخلاف عنه والاعرج وابو جعفر وشيبة وابن محيصن ونافع وحمزة بسكونها
وهي رواية ابان عن عاصم وقرا ابن مسعود والاعمش وطلحة وزيد بن علي بالتا
مضمومة وعن الاعمش ايضا وابان عن عاصم بفتح التا وقرا عليهم حرف جر ابن
سيرين ومجاهد وقتادة وابو حيوة وابن ابي عبلة والزعفراني وابان ايضا
وقرات عايشة علتهم بتا التانيث فعلا ماضيا فثياب فاعل ومن قرا بالياء
ساكنة او بالتا مضمومة فمبتدا خبره ثياب ومن قرا عليهم حرف جر فثياب
مبتدا ومن قرا بنصب اليا والتا فعلى الحال وهو حال من المجرور في يطوف
عليهم فذو الحال المطوف عليهم والعامل يطوف وقال الزمخشري وعاليهم بالنصب
على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا
للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لولوا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت
اهل نعيم وملك عاليهم ثياب انتهى اما ان يكون حالا من الضمير في حسبتهم فانه

لايعني

لا يعني الا ضمير المفعول وهو عايد على ولدان ولذلك قدر عاليهم بقوله عاليا لهم اي للولدان
وهذا لا يصح لان الضماير الاتية بعد ذلك بدل على انها للمطوف عليهم من قوله وحلوا
وسقاهم ربهم وان هذا كان لكم وفك الضماير يجعل هذا لهذا وذا لذا مع عدم الاحتياج
والاضطرار الى ذلك لا يجوز واما من جعله حالا من محذوف وتقديره اهل نعيم
فلا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف وثياب
مرفوع على الفاعلية بالحال وقال ابن عطية ويجوز في النصب في القراتين ان يكون
على الظرف لانه بمعنى فوقهم انتهى وعال وعالية اسم فاعل فيحتاج في اثبات
كونهما ظرفين الى ان يكون منقولا من كلام العرب عاليك او عاليتك ثوب وقرا
الجمهور ثياب بغير تنوين الى عطف الاضافة الى سندس وقرا ابن ابي عبلة
وابو حيوة عليهم ثياب سندس خضر واستبرق برفع الثلاثة فرفع سندس
بالصفة لانه جنس كما تقول ثوب حرير تريد من حرير وترفع خضر بالصفة
ايضا لان الخضرة لونها ورفع استبرق بالعطف عليها وهو صفة اقيمت مقام
الموصوف تقديره وثياب استبرق اي من استبرق وقرا الحسن وعيسى
ونافع وحفص خضر برفعهما وقرا العربيان ونافع في رواية خضر
بالرفع صفة لثياب واستبرق جرا عطفا على سندس وقرا ا
بن كثير وابو بكر خضر صفة لسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب
وقرا الاعمش وطلحة والحسن وابو عمرو بخلاف عنهما خضر والكسائي
بجرهما ووصف اسم الجنس الذي بينه وبين واحده تا التانيث بالجمع
جايز فصيح كقوله تعالى وينشي السحاب الثقال وقال والنخل باسقات فجعل الحال
جمعا واذا كانوا قد جمعوا صفة اسم الجنس الذي ليس بينه وبين واحده
تا التانيث المحكي بالجمع كقولهم اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم
البيض فلان يجمعوا صفته هذا اولى وهو قول ابن عطية وهذا تنبيه الى
الدينار الصفر والدرهم البيض ضعيف ومنها السيبويه بريد نكرة فهو جايز
اورده النحاة مورد الجواز بلا قبح وقرا ابن محيصن واستبرق وقد
تقدم ذلك والكلام عليه في الكهف وقال هنا الزمخشري وقري
واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة
يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل
علما لهذا الضرب من الثياب وقري واستبرق بوصل الهمزة والفتح على
انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه
وان اصله استبره انتهى ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن وقوله بعد
وقري واستبرق بوصل الهمزة والفتح ان قراة ابن محيصن هو بقطع الهمزة
مع فتح القاف والمنقول عنه في كتاب القراات انه قرا بوصل الالف وفتح
القاف وقال ابو حاتم لا يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغي ان يحمل ضميرا
ويؤيد ذلك دخول لام المعرفة عليه والصواب قطع الالف واجراوه على قراة
الجماعة انتهى ونقول ان ابن محيصن قاري جليل مشهور بمعرفة العربية
وقد اخذ عن اكابر العلماء ويتطلب لقراته وجه وذلك انه يجعل استفعل من
البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب ولما كان قوله خضر يدل على

الخمرة وهي لون ذلك السندس وكان الخضرة مما يكون فيها اشرتها وهمته وجيء امراد
في ذلك اللون بريقا وصايرا بلعينه فاستبرق تعلماص والضمير منه عايد على السندس
او على الاخضر الدال عليه قوله خضر وهذا التخريج اولى من تلحين من يوقف الوصفه ونونهم
ضابط ثقة اساور من فضة وفي موضع اخر من ذهب اي يحلون منهما على التعاقب
او على الجمع بينهما كما يقع للنسا في الدنيا قال الزمخشري وما احسن بالمعصم ان يكون
فيه سواران من ذهب وسوار من فضة انتهى فقوله بالمعصم اما ان يكون معمولا
احسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون معمولا احسن وقد فصل بينهما بالحال
والمجرور فان كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في معمول افعل التعجب
لا تقول ما احسن بزيد تريد ما احسن زيدا وان كان الثاني ففي مثل هذا
الفصل خلاف فالمنقول عن س انه لا يجوز والمولد منا اذا تكلم ينبغي ان يتحرز في
كلامه مما فيه الخلاف وسقاهم ربهم شرابا طهورا طهور صفة مبالغة في الطهارة
وهي من دنس لانه وطهارتها لكونها لم يوم بامتهانها دليست كخمر الدنيا التي
هي في الشرع رجس وكونها لم تدس بوطء عنسه وقوم عنس بيد وصنع وكم
توضع في المكة تالم بعف ستطيبه ذكر با بسط من هذا الزمخشري ثم قال
او لانه لا يبول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك انتهى
وهذا الاخر قاله ابو قلابة والنخعي وابراهيم التيمي قالوا لا تنقلب الى البول بل
تكون رشحا من الابدان اطيب من المسك ان هذا اي النعيم السرمدي كان
لكم جزاء في الاعمال الصالحة وكان سعيكم مشكورا اي مقبولا مثابا قال قتادة
لقد شكر الله سعيا قليلا وهذا على اضمار يقال لهم وهذا القول لهم هو على
سبيل التهنية والسرور لهم بضد ما يقال للمعاقب ان هذا بعملك الرديء
فيزداد غما وحزنا ولما ذكر اولا حال الانسان وقسمه الى العاصي والطايع
واتبعن جفا اعده للطايع ذكر ما شرف به نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه
وسلم فقال انا نحن الاية وامره بالصبر لحكمه وجاء التوكيد بانا نحن لما خبر
ومدلول الخبر عنه واكد الفعل بالمصدر ولا تطع منهم اثما او كفورا قال قتادة
نزلت في ابي جهل قال ان رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه فانزل الله ولا تطع
الاية والنهي عن طاعة كل واحد منهما ابلغ من النهي عن طاعتهما لانه يستلزم النهي
عن طاعتهما لان في طاعتهما طاعة احدهما ولو قال لا تضرب هذا او عمرا لجاز ان
يكون نهيا عن ضربهما جميعا لا عن ضرب احدهما وقال ابو عبيدة او بمعنى
الواو والكفور وان اثما فان فيه مبالغة في الكفر ولما كان بوصف الكفور
مباينا للموصوف بمجرد الاثم صلح التغاير فحسن العطف وقيل الاثم عتبة
والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان
بكرة الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك يعني صلاة
الصبح واصيلا الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشا وقال ابن زيد
وغيره كان ذلك فرضا ونسخ فلا فرض الا الخمس وقال قوم هو محكم على وجه
الندب ان هولا اشارة الى الكفرة يحبون العاجلة يوثرونها على الاخرة
ويذرون وراهم اي امامهم وهو ما يستقبلون من الزمان يوما
ثقيلا استعير الثقل لليوم لشدته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب حامله

وتقدم

وتقدم شرح الاسر في سورة القتال واذا شئنا بدلنا امثالهم باهلاكهم بدلنا امثالهم
ممن يطيع وقال الزمخشري وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ان يشا يذهبكم انتهى يعني انهم قالوا ان اذا للمحقق وان للممكن
وهو تعالى لم يشا لكنه قد يوضع اذا موضع ان وان موضع اذا كقوله افان
مت فهم الخالدون ان هذه اي السورة او ايات القران او جملة الشريعة ليس
على جهة التخيير بل على جهة التحذير من اتخاذ غير سبيل الله وقال الزمخشري
لمن شا من اختار الخير لنفسه والعاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن
التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤون الطاعة الا ان يشا الله بقسرهم
عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه
بهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقرا العربيان وابن كثير وما
يشاؤون بيا الغيبة وباقي السبعة بتا الخطاب ومذهب اهل السنة
انه نفي لقدرتهم على الاختراع وايجاد المعاني في انفسهم ولا يرد هذا وجود
ما لهم من الاكتساب وقال الزمخشري فان قلت ما محل ان يشا قلت
النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله ولذلك قرا ابن مسعود
الا ما يشا الله لان ما مع الفعل كان انتهى ونصوا على انه لا يقوم مقام الظرف
الا المصدر المصرح به كقولك اجيئك صياح الديك ولا يجيزون اجيئك ان
يصيح الديك ولا ان يصيح الديك ولا ما يصيح الديك فعلى هذا لا يجوز ما قاله
الزمخشري يدخل من يشا في رحمته وهم المومنون وقرا الجمهور والظالمين
ايضا باضمار فعل يفسره قوله اعد لهم وتقديره يعذب الظالمين وهو من
باب الاشتغال عطف جملة فعلية على جملة فعلية وقرا ابان بن عثمان
وابن ابي عبلة والظالمون عطف جملة اسمية على فعلية وهو جائز حسن
وقرا عبد الله وللظالمين بلام الجر وهو متعلق باعد لهم توكيدا ولا يجوز
ان يكون من باب الاشتغال ويقدر فعل يفسره الفعل الذي بعده فيكون
التقدير واعد للظالمين اعد لهم وهذا مذهب الجمهور وفيه خلاف ضعيف
يذكر في النحو فيقول بزيد مررت به ويكون التقدير مررت بزيد
مررت به ويكون من باب الاشتغال والمحفوظ المعروف عن العرب نصب
الاسم وتفسير مررت المتاخر وما اشبهه من جهة المعنى فعلا ناصبا
المفردات فرجت التي تفتح فانفرج قال الشاعر النار صوبا باب الامير المبهم نعت
صفر وجمع ومنه قوله عليه السلام واكفتوا صبيانكم ومنه قيل لبقيع الغرقد
كفتة وكفته والكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع يقال هذا الباب جماع
الابواب وقال الصمامة بن الطرماح فانت اليوم فوق الارض حي
وانت غدا تضمك في كفات وقال ابو عبيدة الكفات الوعا شمخ ارتفع
الشرر ما يتطاير من النار متبددا في كل جهة واحدة شررة ولغة تميم
شرار بالالف واحدة شرارة القصر الدار الكبيرة المشيدة والقصر قطع
الخشب قدر الذراع وفوقه ودونه يستعد به للشتا واحده قصرة والقصر
بفتح الصاد اعناق الابل والنخل والناس واحده قصرة وبكسر القاف وفتح
الصاد جمع قصرة كحلقة من الحديد وحلق سورة والمرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السما
فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما
ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين
كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين
الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم
ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين هذه السورة مكية وحكي عن ابن عباس وقتادة
ومقاتل ان فيها مدنية وهي واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ومناسبتها لما قبلها
ظاهرة جدا وهو انه ذكر انه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين فهذا وعد
منه صادق فاقسم على وقوعه في هذه فقال انما توعدون لواقع ولما كان
المقسم به موصوفات قد حذفت واقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين
تلك الموصوفات فقال ابن مسعود وابو هريرة وابو صالح ومقاتل والفرا المرسلات
الملائكة ارسلت بالعرف ضد النكر وهو الوحي وبالتعاقب على العباد طرفي النهار
وقال ابن عباس وجماعة الانبيا ومعنى عرفا افضالا من الله على عباده ومنه قول الشاعر
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف او متتابعة بشبهها
بعرف الفرس في تتابع شعره واعراف الخيل وتقول العرب الناس الى فلان عرف واحد
اذا توجهوا اليه متتابعين وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه وانتصابه على
الحال وقال ابن مسعود ايضا وابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة الرياح وقال الحسن
السحاب وقرا الجمهور عرفا بسكون الرا وعيسى بضمها والعاصفات قال ابن مسعود
الشديدات الهبوب وقيل الملائكة تعصف بارواح الكفار اي تزعجها بشدة
او تعصف في مضيها كما تعصف الرياح تحققا في امتثال امره وقيل هي الايات
المهلكة كالزلازل والصواعق والخسوف والناشرات قال السدي وابو صالح
ومقاتل الملائكة تنشر صحف العباد بالاعمال وقال الربيع تنشر الناس من قبورهم
وقال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة الرياح تنشر رحمة الله ومطره وقال
ابو صالح الامطار تحيي الارض بالنبات وقال الضحاك الصحف تنشر على الله باعمال
العباد فعلى هذا تكون الناشرات على معنى النسب اي ذات النشر فالفارقات
قال ابن عباس وابن مسعود وابو صالح ومجاهد والضحاك الملائكة تفرق بين الحق
والباطل والحلال والحرام وقال قتادة والحسن وابن كيسان ايات القران فرقت
بين الحلال والحرام وقال مجاهد ايضا الرياح تفرق بين السحاب فتبدده وقيل
الرسل حكاه الزجاج وقيل السحاب الماطر تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل
التي تجزع حين تضع وقيل العقول تفرق بين الحق والباطل والصحيح والفاسد
فالملقيات ذكرا قال ابن عباس وقتادة والجمهور الملائكة تلقي ما حملت من
الوحي الى الانبيا وقال قطرب الرسل تلقي ما انزل اليها الى الامم وقال الربيع
ايات القران القيت على النبي صلى الله عليه وسلم واختار الزمخشري من الاقوال
ان يكون والمرسلات الى اخر الاوصاف اما الملائكة واما الرياح فالملائكة
يكون عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين والرياح يكون المعنى فالقين ذكرا اما
عذرا

عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها
واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانوا وجعلن ملقيات للذكر
لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت قاله الزمخشري والذي اراه
ان المقسم به شيان ولذلك جا العطف بالواو في والناشرات والعطف بالواو يشعر
بالتغاير بل هو موضوعه في لسان العرب واما العطف بالفا اذا كان في الصفات
فيدل على انها راجعة لموصوف واحد كقوله والعاديات فالموريات فالمغيرات
فانها راجعة الى العاديات وهي الخيل وكقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالايب فهذه راجعة لموصوف واحد وهو الحارث فاذا تقرر هذا فالظاهر انه اقسم اولا
بالرياح فهي مرسلاته تعالى ويدل عليه عطف الصفة بالفا كما قلنا وان العصف
من صفات الريح في عدة مواضع من القران والقسم الثاني فيه ترق الى اشرف
من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون فالفارقات فالملقيات من صفاتهم
كما قلنا في عطف الصفات والقاؤهم الذكر وهو ما انزل الله تعالى اشاره اليهم
وقرا الجمهور فالملقيات اسم فاعل خفيفا اي تلقيه اليهم وابن عباس مشددا
من التلقية وهي ايضا ايصال الكلام الى المخاطب يقال لقيته الذكر فتلقاه وقرا
ابن عباس ايضا فيما ذكر المهدوي بفتح اللام والقاف مشددة اسم مفعول اي
تلقته من قبل الله تعالى وقرا ابراهيم التيمي والنحويان وحفص عذرا او نذرا
بسكون الذالين وزيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وابو جعفر وابو حيوة
وعيسى والحسن بخلاف والاعمش عن ابي بكر بضمهما وابو جعفر ايضا وشيبة
وزيد بن علي والحرميان وابن عامر وابو بكر بسكونها في عذرا وضمها في نذرا
فالسكون على انهما مصدران مفردان او مصدران مجموعان فعذر جمع عذير
بمعنى المعذرة ونذر جمع نذير بمعنى الانذار وانتصابهما على البدل من ذكرا كانه
قيل فالملقيات عذرا او نذرا او على المفعول من اجلهما او لانهما مصدران في موضع
الحال اي عاذرين او منذرين ويجوز مع الاسكان ان يكونا جمعين على ما قررناه
وقيل يصح انتصاب عذرا او نذرا على المفعول به بالمصدر الذي هو ذكرا اي
فالملقيات اي فذكروا عذرا ومنه بعد لان المصدر هنا لا يراد به العمل
انما يراد به الحقيقة كقوله اولقي عليه الذكر والاعذار هو بقيام الحجة على الخلق
والانذار هو العذاب والنقمة انما توعدون اي من الجزا بالثواب
والعقاب لواقع وما موصولة وان كانت قد كتبت موصولة بان وهذه
الجملة هي المقسم عليها وقرا الجمهور او نذرا بواو التفصيل وابراهيم التيمي
ونذرا بواو العطف فاذا النجوم طمست اي اذهب نورها فاستوت مع
جرم السما او عبر عن الحق ذواتها بالطمس وهو انتثارها وانكدارها او اذهب
نورها فاستوت مع جرم السما او عبر عن محق ذواتها بالطمس ثم انتثرت ممحوقة
النور واذا السما فرجت اي صار فيها فروج بانفطارها وقرا عمرو بن ميمون
طمست فرجت بشد الميم والرا والجمهور بخفهما واذا الجبال نسفت اي فرقتها
الرياح وذلك بعد التسيير وقيل كونها هبا وقرا الجمهور اقتت بالهمز
وشد القاف وبتخفيف القاف والهمز النخعي والحسن وعيسى وخالد
وقرا ابو الاشهب وعمرو بن عبيد وعيسى ايضا وابو عمرو بالواو وشد القاف

قال عيسى وهي لغة سفلى مضر وعبد الله والحسن وابو جعفر بواو واحدة وخف القاف
والحسن ايضا ووقتت بواوين على وزن فوعلت والمعنى جعل لها وقت منتظر فحان
وجاء او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة والواو في هذا كله
اصل والهمزة بدل وقال الزمخشري ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي
يحضرون فيه للشهادة على اممهم وجواب اذا محذوف لدلالة ما قبله عليه
وتقديره اذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون لاي يوم اجلت تعظيم لذلك
اليوم وتعجيب مما يقع فيه من الهول والشدة والتاجيل من الاجل اي ليوم
عظيم اخرت ليوم الفصل اي بين الخلائق وهو بدل من لاي يوم وما ادراك
ما يوم الفصل مبالغة في تعظيم ذلك اليوم في الخلائق ويل تقدم الكلام فيه
اول ثاني حزب من سورة البقرة يومئذ يوم اذ النجوم طمست النجوم وكان
ما بعدها وقرا الجمهور نهلك بضم النون وقتادة بفتحها وقال الزمخشري
من هلكه بمعنى اهلكه وقال العجاج ومهمه هالك من تعرجا انتهى وخرج
بعضهم هالك من تعرجا ان هالكا هو من اللازم ومن موصول فاستدل
به على ان الصفة المشبهة باسم الفاعل قد يكون معمولها موصولا وقرا
الجمهور ثم نتبعهم بضم العين على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة ويقوي
الاستيناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين الاستقبال وقرا الاعرج والعباس عن
ابي عمرو باسكانها فاحتمل ان يكون معطوفا على نهلك واحتمل ان يكون سكن
تخفيفا كما سكن وما يشعركم فعلى الاستيناف يكون
الاولين الامم التي تقدمت قريشا اجمعها ويكون الاخرين من تاخر من
قريش وغيرهم وعلى التشريك يكون الاولين قوم نوح وابراهيم عليهما
السلام ومن كان معهم والاخرين قوم فرعون ومن تاخر وقرب من مدة
الرسول عليه السلام والاهلاك هنا اهلاك عذاب ونكال ولذلك جاء كذلك نفعل
بالمجرمين ياتي بالصفة المقتضية لاهلاك العذاب وهي الاجرام ولما ذكر
افناء الاولين والاخرين ذكر وخص حاصل الخلقة التي تقتضي النظر
فيها تجويز البعث من ماء مهين اي ضعيف وهو مني الرجل والمراة في
قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي عند الله وهو وقت الولادة وقرا
علي بن ابي طالب فقدرنا بشد الدال من التقدير كما قال من نطفة خلقه فقدره
وباقي السبعة بخفها من القدرة وانتصب احياء وامواتا بفعل يدل عليه
ما قبله اي كافتة احياء على ظهرها وامواتا في بطنها واستدل بهذا من قال ان النباش
يقطع لان بطن الارض حرز للكفن فاذا نبش واخذ منه فهو سارق وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال
من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس انتهى رواسي جبالا ثابتات
شامخات مرتفعات ومنه شمخ بانفه ارتفع مثله تشبيه المعنى والجسم هو
واسقيناكم جعلناه سقيا لمزارعكم ومشاربكم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي
بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم

والاولين

والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في
ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك
نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون
ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث
بعده يؤمنون يقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي من العذاب
انطلقوا الى ظل امر وقراءة الجمهور تكرارا او بيانا لما ينطلق اليه وقرا رويس عن
يعقوب بفتح اللام على معنى الخبر كانهم لما امروا امتثلوا فانطلقوا الى ان غشيهم
اتباعا اذ صاروا مضطرين الى الانطلاق ذي ثلاث شعب قال عطاء هو دخان
جهنم وروي انه يعلو من ثلاثة مواضع يظن الكفار انه مغن من النار فيهرعون
اليه فيجدونه على شر وصف وقال ابن عباس يقال ذلك لعبدة الصليب فالمؤمنون
في ظل الله وهم في ظل معبودهم وهو الصليب له ثلاث شعب والشعب ما تفرق
من جسم واحد لا ظليل نفي لمحاسن الظل ولا يغني اي ولا مغن عنهم من حر اللهب
شيا انها ترمي الضمير في انها لجهنم وقرا الجمهور بشرر وعيسى بشرار بالف
بين الرائين وابن عباس وابن مقسم كذلك الا انه كسر الشين فاحتمل ان يكون
جمع شرر اي بشرار من العذاب وان يكون صفة اقيمت مقام موصوفها
اي بشرار من الخلق كما تقول قوم شرار جمع شر غير افعل التفضيل وقوم
خيار جمع خير غير افعل التفضيل ويؤنث هذا فيقال للمؤنث شرة وخيرة
بخلافهما اذا كانا للتفضيل فلهما احكام مذكورة في النحو وقرا الجمهور
كالقصر وابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم بفتح القاف والصاد
وابن جبير ايضا والحسن ايضا كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد وبعض القراء
بفتح القاف وكسر الصاد وابن مسعود بضمهما كانه مقصور من القصور
كما قصروا النجم والنمر من النجوم والنمور قال الراجز فيها عيائل اسود ونمر
وتقدم شرح الشرر هذه القراءات في المفردات وقرا الجمهور وسبعهم
عن ابن الخطاب جمالات بكسر الجيم وبالالف والتاء جمع جمال جمع الجمع
وهي الابل كقولهم رجالات قريش وابن عباس وقتادة وابن جبير
والحسن وابو رجاء بخلاف عنهما كذلك الا انهم ضموا الجيم وهي حبال السفن
الواحد منها جمل لكونه جملة من الطاقات والقوى ثم جمع على جمل
وجمال ثم جمع جمال ثانيا جمع صحة فقالوا جمالات وقيل الجمالات قلوس
الجسور وقرا حمزة والكسائي وحفص وابو عمرو في رواية الاصمعي
وهارون عنه جمالة بكسر الجيم لحقت التاء جمالا لتانيث الجمع
كحجارة وقرا ابن عباس والسلمي والاعمش وابو حيوة وابو بحرية وابن
ابي عبلة ورويس كذلك الا انهم ضموا الجيم قال ابن عباس وابن جبير
الجمالات قلوس السفن وهي حبالها العظام اذا جمعت مستديرة بعضها
الى بعض جاء منها اجرام عظام وقال ابن عباس ايضا الجمالات قطع النحاس
الكبار وكان اشتقاق هذه من اسم الجملة وقرا الحسن صفر بضم الفاء
والجمهور باسكانها شبه الشرر اولا بالقصر وهو الحصن من جهة
العظم ومن جهة الطول في الهواء وثانيا بالجمال لبيان التشبيه الا

تراهم يشبهون الإبل بالأقداب وهي القصور كما قال الشاعر
فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم
ومن شرابهم الجمل فالتشبيه من جهة العظم والطول والصفرة الفاقعة أشبه
بلون الشرر قاله الجمهور وقيل سود تضرب إلى الصفرة وقال عمران بن حطان
الرقاشي دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى
وقرأ الأعمش والأعرج وزيد بن علي وعيسى وأبو حيوة وعاصم في رواية
هذا يوم لا ينطقون بفتح الميم والجمهور برفعها قال ابن عطية لما أضاف إلى
غير متمكن بناه فهي فتحة بناء وهي في موضع رفع وقال صاحب اللوامح قال
عيسى هي لغة سفلى مضر يعني بناءهم يوم مع لا على الفتح لأنهم جعلوا يوم
مع لا كالاسم الواحد فهي في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ انتهى والجملة المصدرة
بمضارع مثبت أو منفي لا يجيز البصريون في الظرف المضاف إليها البناء وإنما
هذا مذهب كوفي قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون نصبا صحيحا على الظرف
فيصير هذا إشارة إلى ما تقدمه من الكلام دون إشارة إلى يوم ويكون
العامل في نصب يوم نبأ تقدمه من صفة جهنم ورميها بالشرر في يوم لا ينطقون
فيكون يومئذ كلام معترض لا يمنع من تقديم العامل للمعمول كما كانت فبأي
آلاء ربكما تكذبان كذلك من حيث إنه لم يمنع اتباع الصفة للموصوف في نحو
ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان انتهى وقال
ابن عطية ويحتمل أن يكون ظرفا وتكون الإشارة بهذا إلى رميها بشرر
وقال الزمخشري ونصبه الأعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ
وهنا نفى نطقهم وقد أخبر الله عنهم أنهم نطقوا في مواضع من هذا اليوم
وذلك باعتبار طول اليوم فيصح أن ينفي القول فيه في وقت وينفي نطقهم
بحجة تنفع وجعل نطقهم بما لا ينفع كلا نطق وقرأ الجمهور ولا
يؤذن لهم فيعتذرون مبنيا للمفعول وحكى أبو علي الأهوازي أن زيد بن علي قرأ ولا يأذن مبنيا
للفاعل أي الله تعالى فيعتذرون عطف على ولا يؤذن داخل في حيز لا أي
فلا إذن فاعتذار ولم يجعل الاعتذار متسببا عن الإذن فينصب وقال
ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤوس الآي والوجهان جائزان
انتهى فجعل امتناع النصب هو تشابه رؤوس الآي وقال والوجهان جائزان
فظهر من كلامه استواء الرفع والنصب وأن معناهما واحد وليس كذلك لأن
الرفع كما ذكرنا لا يكون متسببا بل صريح عطف والنصب يكون فيه متسببا
فافترقا وذهب أبو الحجاج الأعلم إلى أنه قد يرفع الفعل ويكون معناه معنى
المنصوب بعد الفاء وذلك قليل وإنما جعل النحويون معنى الرفع غير معنى
النصب رعيا للأكثر في كلام العرب وجعل دليله ذلك وهذه الآية وكلام
ابن عطية وقد رد ذلك عليه ابن عصفور وغيره هذا يوم الفصل خطاب
خطاب للكفار والأولين قوم نوح وغيرهم من الكفار الذين تقدم زمانهم
على زمان المخاطبين أي جمعناكم للفصل بين السعداء والأشقياء فإن كان
لكم كيد أي في هذا اليوم كما كان لكم في الدنيا ما تكيدون به دين الله وأولياءه

فكيدون اليوم وهذا تعجيز لكم وتوبيخ ولما كان في سورة الإنسان ذكر نزرا من أحوال الكفار
في الآخرة وأطنب في وصف أحوال المؤمنين فيها جاء في هذه السورة الإطناب في وصف
الكفار والإيجاز في وصف المؤمنين فوقع بذلك الاعتدال بين السورتين وقرأ الجمهور
في ظلال جمع ظل والأعمش في ظلل جمع ظلة كلوا واشربوا خطاب لهم في الآخرة على إضمار
القول ويدل عليه بما كنتم تعملون كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا
قليلا أي زمانا قليلا إذ قصارى أكلكم وتمتعكم الموت وهو خطاب
تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم وإذا قيل لهم اركعوا قال ابن عباس نزلت
في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا
لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال لهم الرسول عليه السلام لا خير في دين لا صلاة فيه ومعنى اركعوا اخشعوا
لله وتواضعوا له بقبول وحيه وقيل الركوع هنا عبارة عن الصلاة وخص
من أفعالها الركوع لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود وكأن في
هذه الآية السورة بعد كل جملة قوله ويل يومئذ للمكذبين لأن كل جملة
فيها إخبار الله تعالى عن أشياء وأشياء من أحوال الآخرة وتقديرات
من أحوال الدنيا فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب
بالويل في يوم الآخرة والضمير في بعده عائد على القرآن والمعنى أنه قد تضمن
من الإعجاز والبلاغة والإخبار بالمغيبات وغير ذلك مما احتوى عليه ما لم
يتضمنه كتاب إلهي فإذا كانوا مكذبين به فبأي حديث بعده يصدقون
أي لا يمكن تصديقهم بحديث بعد أن كذبوا بهذا الحديث الذي هو
القرآن وقرأ الجمهور يؤمنون بياء الغيبة ويعقوب وابن عامر
في رواية بتاء الخطاب
المفردات
السبات قال ابن قتيبة السبات أصله القطع
والمد فالنوم قطع الأشغال الشاقة ومن المد قول الشاعر وإن سبتته مال
جبلا إليه سبتي وأهلات من نواشج حشمها أي إن مدت سبوتها مال
ب
والتفت كالتفات السدي بأيدي سابغا بسحابات الوهاج المتوقد المتلألئ
المعصر قال الفراء السحاب الذي يحلب المطر ولما يجمع مثل الجارية المعصر
قد كادت تحيض ولما تحض وقال نحوه ابن قتيبة وقال أبو النجم العجلي
تمشي الهوينا مائلا خمارها قد أعصرت أو قد دنا إعصارها الثج
الصب بشدة الانصباب وواشتقاقه عند القيسي قال الشاعر وصف الغيث
إذا رمت فيها رحاة من جهنه ثج كعزيز الحواقر الألفاف جمع لف
بكسر اللام قاله جمهور أهل اللغة بالواو والألف والجنة الملتفة بالأغصان
وقال الكسائي جمع لفيف وقال الشاعر أحابيش الغاف بتاين بوجهلهم
وقال ابن قتيبة هو جمع الجمع جمع كفاء لفاء
ثم جمع جمع اللف ألفاف الكواعب جمع كاعب وهي التي يبرز ثديها ومنه كعب
الرجل لنتوئه وقال قيس بن عاصم المنقري
وكم من حصان ذات وجه كأنه بعيد كاعب تحت الذيوس معسكم
الدهاق الملأى مأخوذ من الدهق وهو ضغط الشيء وشده باليد كأنه
لامتلائه انضغط وقيل الدهاق المتتابعة قال الشاعر
...

• أتانا عامر يبغي قرانا • فأترعنا له كأسا دهاقا •
وقال الآخر • لأنت إلى الفؤاد أحب قربا • من الصادي إلى كأس دهاق • تم
سورة النبأ بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم
فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الأرض مهادا والجبال
أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا إن يوم
الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت
أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا إن جهنم كانت مرصادا للطاغين
هذه السورة مكية وروي أنه عليه السلام لما بعث جعل المشركون يتساءلون
بينهم فيقولون ما الذي أتى به ويتجادلون فيما بعث به فنزلت ومناسبتها
لما قبلها ظاهرة لما ذكر فبأي حديث بعده يؤمنون أي بعد الحديث الذي هو
القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه قال عم يتساءلون وقرأ الجمهور
وعبد الله وأبي وعكرمة وعيسى عما بالألف وهو أصل عم والأكثر حذف الألف
من ما الاستفهامية [illegible] في مهاد وقرأ الضحاك وابن كثير في رواية
عمه بهاء السكت أجرى الوصل مجرى الوقف لأن الأكثر في الوقف على ما
الاستفهامية هو بإلحاق هاء السكت إلا إذا أضيف إليها فلا بد من الهاء في الوقف
نحو مجيء مه والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب كما تقول
أي رجل زيد وزيد ما زيد كأنه لما كان عديم النظير أو قليله خفي عليك جنسه
فأخذت تستفهم عنه ثم جرد العبارة عن تفخيم الشيء فجاء في القرآن والضمير في
يتساءلون لأهل مكة ثم أخبر تعالى أنهم يتساءلون عن النبأ العظيم وهو أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن وقيل الضمير لجميع العالم
فيكون الاختلاف تصديق المؤمن وتكذيب الكافر وقيل النبأ العظيم البعث
والاختلاف فيه عن متعلق بيتساءلون ومن قرأه بالهاء في الوصل فقد ذكرنا
أنه يكون أجرى الوقف ومن النبأ متعلق بمحذوف أي يتساءلون عن النبأ
وأجاز الزمخشري أن يكون وقف على عمه ثم ابتدأ يتساءلون عن النبأ العظيم
على أن يضمر لعم يتساءلون وحذفت لدلالة ما بعدها عليه كشيء يبهم ثم يفسر
وقال ابن عطية قال أكثر النحاة قوله عن النبأ العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر
كأنه قال لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقال الزجاج الكلام تام في قوله عم
يتساءلون ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبأ
فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه
الحال والمحاورة اقتضابا بالحجة وإسراعا إلى موضع قطعهم وقرأ عبد الله
وابن جبير يساءلون بغير تاء وشد السين وأصله يتساءلون بتاء الخطاب فأدغم
التاء الثانية في السين كلا ردع للمتسائلين وقرأ الجمهور بالياء في
فيهما ومالك بن دينار والحسن وابن عامر بخلاف عنهما وابن مقسم بتاء
الخطاب فيهما ومن الضحاك الأول بالتاء على الخطاب والثاني بالياء على
الغيبة وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على
سبيل

سبيل التهويل أي سيعلمون ما يحل بهم ثم قررهم تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب
مخلوقاته التي ابتدعها من العدم الصرف وأن النظر في ذلك يفضي إلى الإيمان بما جاءت
به الرسل من البعث والجزاء فقال ألم نجعل الأرض مهادا بدأ بما هم دائما يباشرونه
والمهاد الفراش الموطأ وقرأ الجمهور مهادا ومجاهد وعيسى وبعض الكوفيين
مهدا بفتح الميم وسكون الهاء ونسب ابن عطية عيسى في هذه القراءة وقال
ابن خالويه مهدا على التوحيد مجاهد وعيسى الهمداني وهو الحوفي فاحتمل
أن يكون قول ابن عطية وبعض الكوفيين كناية عن عيسى هذا الهمداني
وإذا أطلقوا عيسى أو قالوا عيسى البصرة فهو عيسى بن عمر الثقفي وتقدم الكلام
في المهاد في سورة البقرة في قوله واذكروا الله والجبال أوتادا أي ثبتنا
الأرض بالجبال كما يثبت البيت بالأوتاد كما قال الأفوه الأودي
• والبيت لا يبتنى إلا له عمد • ولا عماد إذا لم ترس أوتاد •
أزواجا أي أنواعا في اللون والصورة واللسان وقال الزجاج وغيره مزدوجين
ذكرا وأنثى سباتا سكونا وراحة سبت الرجل استراح وترك الشغل والسبات علة
معروفة يفرط على الإنسان السكوت حتى يصير صار قاتلا والنوم شبيه به
إلا في الضرر وقال قتادة النائم مسبوت لا يعقل كأنه ميت لباسا أي يستترون
به عن العيون فيما لا يحبون أن يظهر عليه وجعلنا النهار قابل النوم بالنهار
إذ فيه اليقظة معاشا وقت عيش وهو الحياة تتصرفون فيه في حوائجكم
سبعا أي سموات شدادا محكمة الخلق به قوية لا تتأثر بمرور الأعصار إلا إذا
أراد الله وقال الشاعر • فلما جئته أعلى محلي • وأجلسني على السبع الشداد •
سراجا هو الشمس وهاجا حارا مضطرما لاتقاد وقال عبد الله بن عمرو الشمس
في السماء الرابعة إلينا ظهرها ولهبها يضطرم علوا من المعصرات قال أبي
والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم وقتادة ومقاتل هي السموات وقال
ابن عباس وأبو العالية والربيع والضحاك السحاب القاطرة مأخوذ من العصر
لأن السحاب ينعصر فيخرج منه الماء وقيل السحاب التي فيها الماء ولم تمطر وقال
ابن كيسان سميت بذلك من حيث تغيث فهي من العصرة ومنه قوله فيه
يعصرون والعاصر المغيث فهو ثلاثي وقد جاء هنا من أعصر أي دخلت في حين
العصر فحان لها أن تعصر وأفعل للدخول في الشيء وقال ابن عباس أيضا ومجاهد
وقتادة الرياح لأنها تعصر السحاب جعل الإنزال منها لما كانت سببا فيه وقرأ
ابن الزبير وابن عباس والفضل بن عباس أخوه وعبد الله بن يزيد وعكرمة
وقتادة بالمعصرات بالباء بدل من قال ابن عطية فهذا يقوي أنه أراد الرياح
وقال الزمخشري فيه وجهان أن يراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب
وأن يراد السحاب لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده
درهما وأعطى بيده درهما ثجاجا منصبا بكثرة ومنه أفضل الحج العج والثج
أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرأ الأعرج ثجاحا بالحاء
آخرا ومثاجح الماء مصاب الماء يجتمع في الوادي حبا ونباتا بدأ بالحب لأنه
الذي يتقوت به كالحنطة والشعير وثنى بالنبات فيشمل كل ما ينبت من
نجم وشجر وذيل بالجنات ألفافا ملتفة قال الزمخشري ولا واحد له
كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الإقليد أنشدني الحسن

ابن الطوي حبة لف وغيري معترف ، وندمي كالهم بيض زهر ،
وقيل هو جمع لفيف بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها انتهى ولا حاجة الى هذا
التطويل الى قياسه فقد ذكر في المفردات المفرده لف بكسر اللام وانه قول
جمهور اهل اللغة ان يوم الفصل هو يوم القيامة يفصل فيه بين الحق والباطل
كان ميقاتا اي في تقدير الله وحكمه حدا يوقت به الدنيا وينتهي عنده او حدا
للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل قال الزمخشري
او عطف بيان وتقدم الكلام في الصور وقرا ابو عياض في الصور بفتح الواو جمع
صورة اي يرد الله الارواح الى الابدان والجمهور بسكون الواو فتاتون من
القبور الى الموقف امما كل امة بامامها وقيل جماعات مختلفة وذكر الزمخشري
حديثا في كيفيات قبيحة لعشرة اصناف يحشرون عليها وسبب خلقة كل
خلق منها تلك الكيفية الله اعلم بصحته وقرا الكوفيون وفتحت خفيفة والجمهور
بالتشديد فكانت ابوابا اي تنشق حتى يكون فيها فتوح كالابواب في الجدران
وقيل ينقطع قطعا صغارا حتى تكون كالواح الابواب المعهودة وقال الزمخشري
فتحت فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا
مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب
الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شي فكانت
سرابا اي تصير شيئا كلا شي لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها انتهى وقال
ابن عطية عبارة عن تلاشيها وفنائها بعد كونها هباء منبثا ولم يرد ان الجبال
تشبه الماء بعد من الناظر اليها وقال الواحدي في حذف مضاف اي ذات
ابواب ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مابا لابثين فيها احقابا لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون
حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شي احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا
دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا
رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
ذلك اليوم الحق فمن شا اتخذ الى ربه مابا انا انذرناكم عذابا قريبا
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
مرصادا مفعالا من الرصد رصد من حقت عليه كلمة العذاب وقال مقاتل
محبسا للاعداء وممرا للاولياء ومفعال للمذكر والمونث بغير تا وفيه معنى النسب
اي ذات رصد وكل ما جاء من الاخبار والصفات على معنى النسب فيه
التكثير واللزوم وقال الازهري المرصاد المكان الذي يرصد فيه العدو
وقال الحسن الا ان على النار الرصد فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجي بجواز
احتبس وقرا ابو عمر والمنقري وابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة والجمهور
بكسرها مابا مرجعا وقرا عبد الله وعلقمة وزيد بن علي وابن وثاب
وعمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل وابن جبير وطلحة والاعمش وحمزة
وقتيبة وسورة وروح لبثين بغير الف بعد اللام والجمهور بالالف

وفعل

وفاعل يدل على من وجد منه الفعل وفعل على من شانه ذلك كحاذر وحذر احقابا تقدم الكلام
على ذلك في الكهف في قوله او امضي حقبا والمعنى هنا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب
تبعه اخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة كقول
ابي تمام لقد اخذت من دار ماوية الحقب ، انحل المغاني للبلى هي ام نهب ،
ويجوز ان يتعلق للطاغين بمرصادا ويجوز ان يتعلق بمابا وكونه حالا من
الطاغين واحقابا منصوب على الظرف وقال الزمخشري وفيه وجه اخر وهو
ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطا الرزق
فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا منهم يعني لابثين فيها حقبين
جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع
يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن
من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا انتهى وكان قد قدم
قبل هذا الوجه ما نصه ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم
والغساق من جنس اخر من العذاب انتهى وهذا الذي قاله هو قول
للمتقدمين حكاه ابن عطية قال وقال اخرون انما المعنى لابثين فيها
احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا فهذه الحال يلبثون احقابا ثم يبقى
العذاب سرمدا وهم يشربون اشربة جهنم والذي يظهر ان قوله لا يذوقون
كلام مستانف وليس في موضع الحال والا حميما استثناء متصل من قوله
ولا شرابا وان احقابا منصوب على الظرف حملا على المشهور من لغة العرب لا منصوب على
الحال في تلك اللغة التي ليست مشهورة وقول من قال ان الموصوفين باللبث
احقابا هم عصاة المؤمنين او ان الاي يدفعه وقول من قال ان ذلك
منسوخ بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فاسد والظاهر وهو قول الجمهور
ان البرد هو مس الهوا القر اي لا يمسهم منه ما يستلذ ويكسر شدة الحر وقال
ابو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد ومعاذ النحوي البرد هنا النوم والعرب
تسميه بذلك لانه يبرد سورة العطش ومن كلامهم منع البرد البرد وقال
الشاعر فلو شئت حرمت النساء سواكم ، وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ،
النقاخ الماء والبرد النوم وفي كتاب اللغات في القران ان البرد هو النوم
بلغة هذيل والذوق على هذين القولين مجاز وقال ابن عباس البرد الشراب
البارد المستلذ ومنه قول حسان بن ثابت يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل ومنه قول الاخر اماني من سعدى حسان كانما
سقتك بها سعدى على ظما بردا ، والذوق على هذا حقيقة والنحويون ينشدون
بيت حسان بردى بفتح الراء والدال بعدها الف التانيث وهو نهر في دمشق
وتقدم شرح الحميم والغساق وخلاف القراء في تشديد السين وتخفيفها وفاقا
اي لاعمالهم وكفرهم وصف الجزاء بالمصدر لوافق او على حذف مضاف اي
ذا وفاق وقال الزجاج جمع وفق وقرا الجمهور وفاقا بخفة الفاء وابو حيوة
وابو بحرية وابن ابي عبلة بشدها من وفقه كذا لا يرجون لا يخافون
او لا يؤملون ثوابها والاول تفسير ابن وهب والمعنى هنا لا يصدقون بالحساب

بالحساب فهم لا يرجون ولا يخافون. وقرأ الجمهور كذابا بشد الذال مصدر كذب وهي لغة
بعض العرب يمانية يقولون في مصدر فعّل فِعّالا وغيرهم يجعل مصدره على التفعيل نحو تكذيب
ومن تلك اللغة قول الشاعر: لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي ... وعن حاجة قضاؤها من شفائيا
ومن كلام أحدهم وهو يستفتي الحلق أحب إليك أم القصار يريد التقصير يعني في الحج. وقال
الزمخشري وفِعّال في باب فعّل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره
وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله. وقرأ علي وعوف
الأعرابي وعيسى بخلاف والأعمش وعيسى بخلاف عنه بتخفيف الذال. قال صاحب اللوامح وعن
عيسى البصرة وعوف الأعرابي كذابا كلاهما بالتخفيف وذلك لغة اليمن بأن
يجعلوا مصدر كذب مخففه كذابا بالتخفيف مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا
من معنى الفعل دون لفظه مثل أعطيته عطاء انتهى. وقال الأعشى:
فصدقتها وكذبتها ... والمرء ينفعه كذابه
وقال الزمخشري هو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا
كذابا أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب وإن
جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين
لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم
مكاذبة أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمر فيبلغ فيه
أقصى جهده انتهى. والأظهر الإعراب الأول وما سواه تكلف. وفي كتاب ابن
عطية وكتاب اللوامح: وقرأ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وفي كتاب ابن
خالويه عمر بن عبد العزيز والماجشون ثم اتفقوا كذابا بضم الكاف وشد
الذال فخرج على أنه جمع كاذب وانتصب على الحال المؤكدة وعلى أنه مفرد صفة
لمصدر أي تكذيبا كذابا أي مفرطا في التكذيب. وقرأ الجمهور وكل شيء
بالنصب وأبو السمال بالرفع وانتصب كتابا على أنه مصدر من معنى أحصيناه
أي إحصاء أو يكون أحصيناه في معنى كتبناه لالتقاء الإحصاء إما في المصدر وإما في
الفعل وذلك لالتقائهما في معنى الضبط أو على أنه مصدر في موضع الحال
أي مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة. وكل شيء عام مخصوص أي كل شيء مما يقع
عليه الثواب والعقاب وهي جملة معترضة. فذوقوا مسبب عن كفرهم
بالحساب وتكذيبهم بالآيات. وقال عبد الله بن عمر ما نزلت في أهل النار
آية أشد من هذه. ورواه أبو برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذا الخطاب
بذوقوا على طريق الالتفات توبيخ لهم وشدة غضب عليهم. ولما ذكر شيئا من
حال أهل النار ذكر ما لأهل الجنة فقال إن للمتقين مفازا أي موضع فوز وظفر
حيث زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة. وحدائق بدل من مفازا وفوزا فيكون
أبدل الجرم من المعنى على حذف أي فوز حدائق أي بها. دهاقا قال الجمهور
مترعة. وقال مجاهد وابن جبير متتابعة. وقرأ الجمهور ولا كذابا
بالتشديد أي لا يكذب بعضهم بعضا. وقرأ الكسائي بالتخفيف كالحرف
الأول في قوله وكذبوا بآياتنا كذابا بالتشديد أي لا يكذب بعضهم بعضا
وقرأ الجمهور ولا كذابا بالتشديد. والكسائي بالتخفيف كالحرف
الأول في قوله وكذبوا بآياتنا كذابا والكذاب الذي هو مصدر كذب المخفف

فيحتمل

في لغة اليمن والمعنى لا يكذب بعضهم بعضا أو لا يكاذبه لأن كذابا مصدر كذب ومصدر
كاذب. قال الزمخشري جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله إن للمتقين مفازا انتهى
وهذا لا يجوز لأن جعله مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي إن للمتقين مفازا والمصدر
المؤكد لا يعمل لأنه ليس ينحل بحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا. وقرأ
الجمهور حسابا. وهنا بتقسيط على الأعمال لأن دخول الجنة برحمة الله والدرجات
فيها على قدر الأعمال فالحساب هنا بموازنة الأعمال. وقرأ ابن قطيب حسابا بفتح الحاء
وشد السين قال ابن جني بنى فعالا من أفعل كدراك من أدرك انتهى. فمعناه
محسبا أي كافيا. وقرأ ابن شريح وسراج حسانا بالنون من الحسن وحكى عنه
المهدوي حسبا بفتح الحاء وسكون السين والباء نحو قولك حسبك كذا أي كافيك.
وقرأ عبد الله وابن أبي إسحاق والأعمش وابن محيصن وابن عامر وعاصم
رب الرحمن بالجر والأعرج وأبو جعفر وشيبة وأبو عمرو والحرميان برفعهما والأخوان
رب بالجر والرحمن بالرفع وهي قراءة الحسن وابن وثاب والأعمش وابن محيصن
بخلاف عنهما. فالجر على البدل من ربك والرحمن صفة أو بدل من رب أو عطف
بيان. وهل يكون بدلا من ربك بدلا لأن البدل الظاهر أنه لا يتكرر فيكون كالصفات
والرفع على إضمار هو رب أو على الابتداء وخبره لا يملكون والرحمن صفة أو خبران
على البدل أو رفع الرحمن فعلى إضمار هو وعلى الابتداء وخبره لا يملكون والضمير في
لا يملكون عائد على المشركين قاله عطاء عن ابن عباس أي لا يخاطب المشركون الله
أما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم. وقيل عائد على المؤمنين أي
لا يملكون أن يخاطبوه في أمر من الأمور لعلمهم أنه ما يفعله عدل منه. وقيل
عائد على أهل السموات والأرض والضمير في منه عائد عليه تعالى والمعنى أنهم
لا يملكون من الله أن يخاطبوه في شيء من الثواب والعقاب خطابا واحدا
لأنه في سياق النفي. وقال الزمخشري الذي في أيديهم مما يخاطب به الله في
أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون
فيه أو ينقصون منه. والعامل في يوم إما لا يملكون وإما لا يتكلمون. وقد
تقدم الخلاف في الروح أهو جبريل أم ملك أكبر الملائكة خلقة أو خلق على
صورة بني آدم أو خلق حفظة على الملائكة أو أرواح بني آدم أو القرآن وقيامه
مجاز يعني به ظهور آثاره الكائنة عن تصديقه أو تكذيبه. والظاهر عود
الضمير في لا يتكلمون على الروح والملائكة. وقال ابن عباس عائد على الناس فلا
يتكلم إلا بإذن منه تعالى ونطق بالصواب. وقال عكرمة الصواب لا إله إلا الله
أي قالها في الدنيا. وقال الزمخشري هما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذونا
له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا
يشفعون إلا لمن ارتضى انتهى. ذلك اليوم الحق أي كيانه ووجوده. فمن شاء
... وتهديد والخطاب في إنا أنذرناكم لمن حضر النبي صلى الله عليه وسلم
... بعدهم عذابا هو عذاب الآخرة قريبا لتحقق وقوعه
وكل آت قريب. يوم ينظر المرء عام في المؤمن والكافر ما قدمت يداه
من خير أو شر لقيام الحجة له وعليه. وقال الزمخشري وقاله قبله عطاء المرء هو
الكافر لقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة

الإثم ويعني ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم
وقال ابن عباس وقتادة والحسن المرء هنا المؤمن لأنه ينظر إلى ما قدمه بدليل قوله
ويقول الكافر وقرأ الجمهور المرء بفتح الميم وابن أبي إسحاق بضمها وضعفها
أبو حاتم ولا ينبغي أن تضعف لأنها لغة يتبعون حركة الميم لحركة الهمزة
فيقولون مرؤ ومرا ومري على حسب الإعراب وما منصوب بينظر ومعناه
ينظر ما قدمت يداه فهي موصولة ويجوز أن يكون ينظر من النظر ويعلق عن
الجملة فهي في موضع نصب على تقدير إسقاط الخافض وما استفهامية منصوبة
بقدمت ويتمنى ذلك أي ترابا في الدنيا ولم أخلق أو في ذلك اليوم وقال
أبو هريرة وعبد الله بن عمر إن الله يحشر البهائم يوم القيامة فيقتص من بعضها
لبعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فتعود جميعها ترابا فإذا رأى الكافر ذلك
يتمنى مثله وقيل الكافر هنا إبليس إذا رأى ما حصل للمؤمنين من الثواب قال
يا ليتني كنت ترابا كآدم الذي خلق من تراب واحتقره هو أولا وقيل كنت ترابا
أي متواضعا لطاعة الله لا جبارا ولا متكبرا أغرق في الشيء بالغ فيه وأنهاه وأغرق المفردات
النازع في القوس بلغ غاية المد حتى ينتهي إلى النصل والاستغراق الاستيعاب
والغرق في قشر البيضة نشط البعير والإنسان ربطه وأنشطه حله ومنه كأنما
أنشط من عقال ونشط ذهب من قطر إلى قطر ولذلك قيل لبقر الوحش النواشط
لأنهن يذهبن بسرعة من مكان إلى مكان ومنه قول الشاعر وهو هميان
ابن قحافة أرى همومي تنشط المناشطا الشام بي طورا وطورا واسطا
وكأن هذه اللفظة مأخوذة من النشاط وقال أبو زيد نشطت الحبل أنشطه
نشطا عقدته أنشوطة وأنشطته حللته وانتشطت الحبل مددته وقال
الليث أنشطته بأنشوطة أي وثقته وانتشطت العقال مددت أنشوطته
فانحلت ويقال نشط بمعنى أنشط والأنشوطة عقدة يسهل انحلالها إذا جذبت
كعقدة التكة وجف القلب وجيفا اضطرب من شدة الفزع وكذلك وجب
وجيبا وفي كتاب لغات القرآن المروي عن ابن عباس واجفة خائفة
بلغة همدان الحافرة يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقته التي جاء
منها فحفرها أي أثر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدمه حفرا وتوقعها العرب على
أول أمر يرجع إليه من آخره ومنه قول الشاعر

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

أي أرجع إلى الصبا بعد الصلع والشيب الناخرة المصوتة بالريح المجوفة والنخرة
معناها كطامع وطمع وحاذر وحذر قاله الفراء وأبو عبيدة وأبو حاتم وجماعة
وقيل النخرة البالية المتعفنة الصائرة رميما نخر العود والعظم بلي وتفتت
فمعناه مغاير للناخرة وهو قول الأكثرين وقال أبو عمرو بن العلاء الناخرة
التي لم تنخر بعد والنخرة التي قد بليت وقال الراجز يوم ذي قار

أقدم نجاح إنها الأساورة ولا يهولنك رجل نادرة
فإنما قصرك ترب الساهرة ثم تعود بعدها في الحافرة
من بعد ما كنت عظاما ناخرة

قال الشاعر

وأخليتها من مخها فكأنها قوارير في أجوافها الريح تنخر

ويروي

ويروي تصفر ونخير الريح صوتها من شدة هبوبها والنخرة أيضا مقدم أنف
الإنسان والحمار والخنزير يقال هشم نخرته الساهرة وجه الأرض والفلاة
وصفت بما يقع فيها وهو السهر للخوف وقال أمية بن أبي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به أبدا مقيم

وقال أبو كبير الهذلي يرتدن ساهرة كأن جميمها وعميمها أسداف ليل مظلم
والساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف قال أمية بن أبي الصلت
قمر وساهور يسل ويغمد وقال آخر في وصف امرأة
أو شقة خرجت من جوف ساهورها يريد شقة القمر وقال الزمخشري
الساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من
قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقال الأشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا لأقطارها قد جئتها متلثما

سمكت الشيء رفعته في الهواء وسمك سموكا ارتفع وقيل السمك ضد شيء من أسفل إلى أعلاه
وقبة سمك وبناء مسموك وسنام سامك تامك عال ويقال اسمك في الدرجة
أي اصعد غطش الليل أظلم وهو لازم وغطش الليل ويتعدى بالهمزة أي أغطشه
الله قال الأعشى عقرت لهم ناقتي موهنا فليلهم مدلهم غطش وأغطش
وغطش هو ليل أغطش وليلة غطشاء وفي كتاب اللغات في القرآن وأغطش
ليلها أظلم بلغة أنمار وأشعر دحا يدحو دحوا ودحى يدحى دحيا بسط ويقال
يعني لغة فيه وأدحوه سطحه ومنه الأرض وقال أمية بن أبي الصلت

وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم قطانها حتى التنادي

وقيل دحاها سواها قال زيد بن عمرو

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها بأيد وأرسى عليها الجبالا

طم الطامة الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وفي أمثالهم جرى
الوادي فطم على القري ويقال طم الشيء أي كبسه إذا دفنه والطم الدفن والعلو
بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون في الحافرة
أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك إذا كرة خاسرة فإنما هي زجرة واحدة فإذا
هم بالساهرة هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك
إلى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى
فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى
إن في ذلك لعبرة لمن يخشى هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها الإنذار
بالعذاب يوم القيامة أقسم في هذه على البعث يوم القيامة ولما كانت
الموصوفات المقسم بها محذوفات وأقيمت صفاتها مقامها وكان لهذه
الصفات تعلقات مختلفة اختلفوا في المراد بها فقال عبد الله وابن عباس
النازعات الملائكة تنزع نفوس بني آدم وغرقا إغراقا وهو المبالغة
في الفعل أو غرقا في جهنم يعني نفوس الكفار قاله علي وابن عباس وقال

الحسن وقتادة وابو عبيدة وابن كيسان والاخفش هي النجوم تنزع من افق الى افق
وقال السدي وجماعة النفوس تنزع بالموت الى ربها وغرقا اغراقا في الصدر وقال
السدي ايضا النفوس تحن الى اوطانها وتنزع الى مذاهبها ولها نزع عند الموت
وقال عطا وعكرمة القسي انفسها تنزع بالسهام وقال ايضا الجماعات النازعات
بالقسي وغيرها اغراقا وقال مجاهد المنايا تنزع النفوس وقيل النازعات
الوحشي ينزع الى الكلا حكاه يحيى بن سلام وقيل خيل الغزاة التي تنزع في اعنتها
نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام
الى دار الحرب قاله في الكشاف والناشطات قال ابن عباس ايضا وقتادة والحسن
والاخفش النجوم تنشط من افق الى افق تذهب وتسير بسرعة وقال مجاهد
ايضا المنايا وقال عطا البقر الوحشية وما جرى مجراها من الحيوان الذي
ينشط من قطر الى قطر وقال ابن عباس ايضا النفوس المومنة تنبسط عند
الموت للخروج وقيل التي تنشط للازهاق والسابحات قال علي ومجاهد الملائكة تتصرف
في الافاق بامر الله تجي وتذهب وقال قتادة والحسن النجوم تسبح في الفلك
وقال ابو روق الشمس والقمر والليل والنهار وقال عطا وجماعة الخيل يقال
لفرس سابح وقيل السحاب لانها كالعائمة في الهوا وقيل الحيتان دواب
البحر فما دونها وذلك من عظم المخلوقات فيروى ان الله تعالى بث في الدنيا
[illegible] نوع من الحيوان منها اربعمائة في البر وستمائة في البحر وقال عطا ايضا السفن
وقال مجاهد ايضا المنايا تسبح في نفوس الحيوان فالسابقات قال مجاهد
الملائكة سبقت بني ادم بالخير والعمل الصالح وقاله ابو روق وقال ابن مسعود انفس
المومنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقا
الله وقال عطا الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق الامال فالمدبرات قال ابن
عطية لا احفظ خلافا انها الملائكة ومعناها انها التي تدبر الامور التي سخرها
الله لها وصرفها فيها كالرياح والسحاب وساير المخلوقات انتهى وقيل الملائكة
الموكلون بالاحوال جبريل للوحي وميكائيل للمطر واسرافيل للنفخ في الصور وعزرائيل
لقبض الارواح وقيل تدبيرها نزولها بالحلال والحرام وقال معاذ هي الكواكب السبعة
واضافة التدبير اليها مجاز اي يظهر تقلب الاحوال عند قرانها وتربيعها
وغير ذلك ولفق الزمخشري من هذه الاقوال اقوالا اختارها واوردها على
تلك الملائكة والخيل والنجوم وترتيب جميع الاوصاف في كل واحد من الثلاثة
فقال اقسم سبحانه بطوايف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوايف
التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها وبالطوايف التي
تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما
يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي
الاجساد من اناملها واظفارها واقسم بخيل الغزاة التي تنزع من اعنتها الى اخر
ما نقلناه عنه ثم قال من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح
في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها
لانها من اسبابه واقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في
النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى المغرب والتي تخرج من برج الى
برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب
وقيل

وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام
والتي تنشط للارهاق انتهى والذي يظهر ان ما عطف بالفاء هو من وصف
المقسم به قبل الفاء وان المعطوف بالواو وهو مغاير لما هو كما قررناه
في والمرسلات فانه يحتمل ان يكون المعطوف بالواو ومن عطف
الصفات بعضها على بعض والمختار في جواب القسم ان يكون محذوفا
وتقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه قاله الفرا وقال محمد بن علي الترمذي الجواب
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى والمعنى فيما اقتصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى
وفرعون قال ابن الانباري وهذا قبيح لان الكلام قد طال وقيل اللام
التي يتلقى بها القسم محذوفة من قوله يوم ترجف الراجفة اي ليوم
كذا تتبعها الرادفة فالمقسم عليه هو تتبعها الرادفة ولم يدخل نون
التوكيد لانه قد فصل بين اللام المقدرة والفعل وقول ابي حاتم هو على
التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات قال ابن
الانباري خطا لان الفا لا يفتتح بها الكلام وقيل التقدير يوم ترجف
الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات على التقديم والتاخير ايضا وليس بشي
وقيل الجواب هل اتاك حديث موسى لانه في تقدير قد اتاك وليس بشي
وهذا كله اعراب من لم يحكم العربية وحذف الجواب هو الوجه ويترجح
القول بحذف اللام من يوم ترجف قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد
هما الصيحتان اي النفختان الاولى يموت كل شي والثانية يحيى وقال
مجاهد ايضا الراجفة الزلزلة والرادفة الصيحة وقال ابن زيد الارض
والرادفة الساعة والعامل في يوم اذكر مضمرة او لتبعثن المحذوف
واليوم متسع تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك اليوم المتسع
وتتبعها حال قيل ومستانف واجفة مضطربة ووجيف القلب يكون
من الفزع ويكون من الاشفاق ومنه قول قيس بن الخطيم
ان بني جحجبى واسرتهم ۝ اكبادنا من ورائهم تجف
قلوب مبتدا وواجفة صفة ويومئذ معمول لواجفة ابصارها اي ابصار اصحاب القلوب خاشعة
مبتدا وخبر في موضع خبر قلوب وقال ابن عطية رفع قلوب بالابتدا وجاز ذلك
وهي نكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ ولا تخصص الاجرام بظروف الزمان
وانما تخصصت بقوله واجفة يقولون حكاية حالهم في الدنيا والمعنى هم
الذين يقولون والحافرة قال مجاهد فاعلة بمعنى مفعولة وقيل على النسب
اي ذات حفر والمراد القبور اي لمردودون احيا في قبورنا وقال زيد بن
اسلم الحافرة النار وقيل جمع حافر بمعنى القدم اي احيا نمشي على اقدامنا
ونطا بها الارض وقال ابن عباس الحياة الثانية اول الامر ويقول التجار
النقد في الحافرة اي في اول السوم وقال الشاعر
اليت لا انسا كرما علوا ۝ حتى يرد الناس في الحافرة
وقرا ابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة في الحفرة بغير الف والجمهور بالالف
فقيل هما بمعنى واحد وقيل الحفرة الارض المنتنة المتغيرة باجساد موتاها
من قولهم حفرت اسنانه اذا تاكلت وتغيرت وقرا عمرو وابي وعبد الله

وابن الزبير وابن عباس ومسروق ومجاهد والاخوان وابو بكر ناخرة بالالف وابو رجا
والحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة والسلمي وابن جبير والنخعي وقتادة وابن
وثاب وايوب واهل مكة وشبل وباقي السبعة بغير الف قالوا تلك اي الرجعة
الى الحافرة اذا اي ان رددنا كرة خاسرة اي ذات خسران لتكذيبهم بالبعث اي
لو كان هذا حقا لكانت ردتنا خاسرة اذ هي الى النار وقال الحسن خاسرة
كاذبة اي ليست بكائنة وهذا القول منهم استهزاء وكان بعض
صناديد قريش يقول ذلك فانما هي زجرة لما تقدم يقولون ائنا لمردودون
تضمن قولهم استبعاد النشاة الثانية واستعظاما فامرها تعالى يقول له
فانما هي اعادة لا كما غلبه استبعادهم فكانه قيل ليس بصعب ما يقولون
فانما هي نفخة واحدة فاذا هم يسيرون احيا على وجه الارض قال ابن عباس
الساهرة ارض من فضة يخلقها الله تعالى وقال وهب بن منبه جبل بالشام
يمده الله يوم القيامة بحشر الناس وقال ابو العالية وسفيان ارض قريبة
من بيت المقدس وقال ابن عباس ارض مكة وقال قتادة جهنم لانه لا نوم
لمن فيها اي انها السابقة اما هي بكفار قريبة بجهنم وقيل الارض السابعة
ياتي بها الله يحاسب عليها الخلائق ولما انكروا البعث وتمردوا وشق ذلك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قص عليه تعالى قصة موسى وتمرد فرعون
على الله حتى ادعى الربوبية وما ال اليه حال موسى من النجاة وحال فرعون
الى الهلاك فكان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبشيرا بهلاك
من يكذبه ونجاته هو من اذاهم فقال هل اتاك توقيفا له على جمع
النفس لما يلقيه اليه وتقدم الكلام في الوادي المقدس والخلاف في القراءات
في طوى اذهب الى فرعون تفسير للندا او على اضمار القول فقل هل لك الى
ان تزكى تلطف في الاستدعاء لانه كل انسان يحب هذا السؤال انعم وتزكى
تتحلى بالفضائل وتتطهر من الرذائل والزكوة هنا يندرج فيها الاسلام
وتوحيد الله تعالى وقرا الحرميان وابو عمرو بخلاف تزكى وتصدى
بشد الزاي والصاد وباقي السبعة بخفها وتقول العرب هل لك في كذا
وهل لك الى كذا فيحذف القيد الذي تتعلق به الى اي هل لك رغبة او حاجة
الى كذا او سبيل الى كذا قال الناظم
فهل لكم فيها الي فانني بصير بما اعيى النطاسي حذيما
واهديك الى ربك فتخشى هذا تفسير للتزكية وهي الهداية الى توحيد الله
ومعرفته فتخشى اي تخافه لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة انما يخشى الله
من عباده العلماء وذكر الخشية لانها ملاك الامر وقيل الكلام حذف اي
فذهب وقال له ما امر به ربه واتبع ذلك بالمعجزة الدالة على صدقه فاراه
الاية الكبرى وهي العصا واليد جعلهما واحدة لان اليد كانها من جملة العصا
لكونها تابعة لها او العصا وحدها لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع
لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك فكذب اي فرعون
وما اتى به من المعجز وجعله من باب السحر وعصى الله تعالى بعد
ما علم صحة ما اتى به موسى وانه ايد من الله ثم ادبر يسعى قيل ادبر
حقيقة

حقيقة اي قام من مكانه فارا بنفسه وقال الجمهور هو كناية عن اعراضه عن الايمان يسعى
مجتهدا في مكايدة موسى فحشر اي جمع السحرة وارباب دولته فنادى اي في مقام
فيهم خطيبا او ونادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه فقال انا ربكم الاعلى
قال ابن عطية بهاية من المخرقة وكونها باقية في ملوك مصر واتباعهم انتهى
انما قال ذلك ابن عطية لان ملك مصر في زمانه كان اسماعيليا وهو مذهب
يعتقدون فيه الالهية لملوكهم وكان اول من ملكها منهم المعز بن المنصور
القائم بن المهدي عبيد الله وآخرهم العاضد وطهر الله مصر من هذا المذهب
بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي رحمه
الله وجزاه عن الاسلام خيرا فاخذه الله نكال الاخرة والاولى قال ابن
عباس الاخرة قوله ما علمت لكم من اله غيري والاولى قوله
انا ربكم الاعلى وقيل العكس وكان بين قولتيه اربعون سنة وقال
الحسن وابن زيد نكال الاخرة بالحرق والاولى يعني الدنيا بالغرق
وقال مجاهد عذاب اخر حياته ويوم القيامة واولا واخرا وقيل الاولى
كفره وعصيانه والاخرة قوله انا ربكم الاعلى وقال مجاهد عبارة عن اول
معاصيه واخرها اي نكل بالجميع وانتصب نكال على المصدر والعامل فيه
واحدة لانه في معناه وعلى راي المبرد باضمار فعل من لفظه اي نكل نكال
والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وقال الزمخشري هو مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى انتهى
والمصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة يقدر له عامل من معنى الجملة
ان في ذلك اي فيما جرى لفرعون واخذه تلك الاخذة لعبرة لعظة
لمن يخشى اي لمن يخاف عقوبة الله يوم القيامة وفي الدنيا أأنتم اشد
خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها
والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال
ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر
الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى واثر الحياة
الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى يسالونك عن الساعة ايان
مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر
من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
الخطاب الظاهر انه عام والمقصود الكفار منكروا البعث وقفهم على
توبيخ الله تعالى أأنتم اشد خلقا اي اصعب انشا ام السما فالمسؤول عنه هنا
مختلف ولا بد ان السما ابرى من جرومها بقاؤها وعدم تاثرها ثم
بين تعالى كيفية خلقها رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في العلو
مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام والسمك الارتفاع الذي بين سطح
السما التي تليها وسطحها الاعلى الذي يلي ما فوقها فسواها اي
جعلها ملسا مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض او تممها
واتقن انشاها بحيث انها محكمة الصنعة واغطش اي اظلم ليلها

واخرج ابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها وقولهم وقت الضحى للوقت
تشرق فيه الشمس واضيف الليل والضحى الى السماء لان الليل ظلها والضحى هو
نور سراجها والارض بعد ذلك اي بعد خلق السما وما فيها دحاها اي بسطها
خلق الارض قبل السما ثم دحا الارض وقرا الجمهور والارض والجبال بنصبهما
والحسن وابو حيوة وعمرو بن عبيد وابن ابي عبلة وابو السمال برفعهما برفع والارض
واضيف الماء والمرعى الى الارض لانهما يظهران منها والجمهور هنا على النصب
اي فعل ذلك متاعا لكم وابن ابي عبلة بالرفع اي ذلك متاع وقال الزمخشري فان
قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد
بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل والمشرب وامكان
القرار عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاءوكم
حصرت صدورهم انتهى واضمار قد قول للبصريين ومذهب الكوفيين
والاخفش ان الماضي يقع حالا ولا يحتاج الى قد وهو الصحيح في
كلام العرب فلا ذكر لنا انتهى ومرعاها مفعل من الرعي فيكون مكانا
وزمانا ومصدرا وهو هنا مصدر يراد به اسم المفعول كانه قيل ومرعيها
اي النبات الذي يرعى وقدم الماء على المرعى لانه سبب في وجود المرعى
ونبه بمرعاها ما يتقوت به الادمي والحيوان غيره فهو في حق الادمي
استعارة ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق
به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء فاذا جاءت الطامة
قال ابن عباس والضحاك القيامة وقال ابن عباس ايضا والحسن النفخة الثانية نية
وقال القاسم وقت سوق اهل الجنة اليها واهل النار اليها وهو معنى قول مجاهد
يوم يتذكر الانسان ما سعى اي عمله الذي كان سعى فيه في الدنيا وقرا
الجمهور وبرزت مبنيا للمفعول مشدد الراء لمن يرى بالغيبة
اي لكل احد فيشكر المؤمن نعمة الله وقيل لمن يرى هو الكافر وقرات عائشة
وزيد بن علي وعكرمة ومالك بن دينار مبنيا للفاعل مخففا وبتاء يجوز ان
يكون خطابا للرسول اي لمن ترى من اهلها وان يكون اخبارا عن الجحيم
فهي تا للتانيث قال تعالى اذا راتهم من مكان بعيد وقرا ابن نهيك
وابو السمال وهرون عن ابي عمرو وبرزت مبنيا مخففا ويوم يتذكر بدل
من فاذا وجواب اذا قال الزمخشري فان الامر كذلك وقيل عاينوا
او علموا ويحتمل ان يكون التقدير انقسم الراءون قسمين والاولى ان يكون
الجواب فاما وما بعده كما تقول اذا جاءك بنو تميم فاما العاصي فاهنه
واما الطايع فاكرمه فهي تجاوز الحرف فصيانه وان الجحيم هي الماوى
في الاعراب وهي مبتدا وفصل او العايد من الخبر محذوف على راي البصريين
اي الماوى له وحسن حذفه وقوع الماوى فاصلة واما
الكوفيون فمذهبهم ان ال عوض من الضمير وقال الزمخشري والمعنى
فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف
واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى

وانه

وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في الماوى
والطرف للتعريف لانهما معروفان انتهى وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العايد
على المبتدا اذ قد نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر ضميرا محذوفا كما قدره
البصريون فرام حصول الرابط بلا رابط واما من خاف مقام ربه اي مقامه
بين يدي ربه يوم القيامة للجزا وفي اضافة المقام الى الرب تفخيم للمقام
وتهويل عظيم موقفا عظيما قال ابن عباس خاف فندم فيما هم بالمعصية فانتهى
عنها ونهى النفس عن الهوى اي عن شهوات النفس واكثر استعمال الهوى
فيما ليس بمحمود قال سهل لا يسلم من الهوى الا الانبيا والصديقون وقال
بعض الحكما اذا اردت الصواب فانظر هواك فخالفه وقال ابو عمران الميرتلي
فخالف هواها واعصها ان من يطع هوى نفسه ينزع به شر منزع
ومن يطع النفس اللجوج ترده وترم به في مصرع اي مصرع
وقال الفضيل افضل الاعمال خلاف الهوى وهذا التفصيل يوم عام في
اهل النار واهل الجنة وعن ابن عباس نزل ذلك في ابي جهل ومصعب
بن عمير العبدري وعنه ايضا فاما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر
فلم يشدوا وثاقه واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعبا
فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحا حليا وملا
ولقوه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص
في جوفه انتهى يسالونك اي قريش وكانوا يلحون في البحث عن وقت
الساعة اذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك فنزلت هذه الاية ايان مرساها
متى ارساها اي متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها
ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم
انت من ذكراها قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسال عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الاية انتهى والمعنى
٤م في اي شي انت من ذكر تحديدها ووقتها اي لست من ذكر في شي انما
انت منذر الى ربك منتهاها اي انتهاء وقت لم يوت علم ذلك احدا من
خلقه وقيل فيم انكار لسوالهم اي فيم هذا السوال ثم قال انت من ذكراها
اي ارسالك وانت خاتم الانبيا واخر الرسل في سمة الساعة ذكر
من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها
ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسوالهم عنها انما انت
منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فايدة
لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك
لطفا له في الخشية منها انتهى وهذا القول حكاه الزمخشري هو
ومن قبله لكنه لفظه وهو تحكيم [illegible] للكلام وخروج عن الظاهر
[illegible] الى العهد وكله من دسيسة الاعتزال وقرا الجمهور منذر
من بالاضافة وقرا عمر بن عبد العزيز وابو جعفر وشيبة وخالد الحذاء
وابن هرمز [illegible] وطلحة وابن محيصن وابو عمرو في رواية وابن مقسم

منذر بالتنوين وقال الزمخشري وقرئ منذرٌ بالتنوين وهو الأصل والإضافة
تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة
كقولك هو منذر زيد أمس انتهى أما قوله وهو الأصل يعني التنوين فهو قول قد
قاله غيره ممن تقدم وقد قررنا في هذا الكتاب وفيما كتبناه في هذا أن الأصل
الإضافة لأن العمل إنما هو بالشبه والإضافة هي أصل في الأسماء وأما قوله
فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة ففيه تفصيل وخلاف مذكور في
علم النحو وخص من يخشاها لأنه هو المنتفع بالإنذار كأنهم يوم يرونها
تقريب وتقرير لقصر مدة لبثهم في الدنيا لم يلبثوا أي لم يقيموا في الدنيا
إلا عشية يوم أو بكرته وأضاف الضحى إلى العشية لكونهما طرفي
النهار بدأ بذكر أحدهما فأضاف الآخر إليه نحو [illegible] وحسن الإضافة
كون الكلمة فاصلة. تصدى تعرض قال الراعي: تصدي لوضاح كأن جبينه
سراج الدجى يجبى إليه الأساور. وأصله تصدد من الصدد وهو ما استقبلك
وصار قبالتك يقال داري صدد داره أي قبالتها وقيل من الصدى وهو
العطش وقيل من الصدى وهو الصوت الذي يسمعه إذا تكلمت من بعيد
وخلاء كالجبل. والمصاداة المعارضة. السفرة الكتبة الواحد سافر وسفرت
المرأة كشفت النقاب وسفرت بين القوم أسفر سفارة أصلحت بينهم
قاله الفراء الواحد سفير والجمع سفراء. وقال الشاعر
فما أدع السفارة بين قومي وما أسعى بغش إن مشيت
القضب قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة ويقال بالسين فإذا
يبست فهي القت قال والقضب اسم يقع على ما يقضب من أغصان الشجر ليتخذ
منها سهام أو قسي. الغلب جمع غلباء يقال حديقة غلباء غليظة الشجر ملتفة
واغلولب العشب بلغ والتف بعضه ببعض ورجل أغلب غليظ الرقبة والأصل
في هذا الوصف أن يستعمل في الرقاب ومنه قول عمرو بن معدي كرب
يمشي بها غلب الرقاب كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا. الأب
المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال الشاعر
جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع
وقيل الأب ما تأكله الآدميون من النبات يسمى الحصيد وما تأكله غيرهم يسمى الأب
ومنه قول الصحابي يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: له دعوة ميمونة ريحها الصبا
بها ينبت الله الحصيدة والأبا. الصاخة قال الخليل صيحة
تصخ الآذان صخًا أي تصمها لشدة وقعتها وقيل مأخوذ من صخه
بالحجر إذا صكه وقال الزمخشري صاخ لحديثه مثل أصاخ له. القترة الغبار
القترة سواد كالدخان وقال أبو عبيدة القتر في كلام العرب الغبار جمع القترة
وقال الفرزدق: متوج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا
سورة عبس بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك
لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما
عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها
تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام

بررة

المفردات

بررة قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم
السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الإنسان
إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا
وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا
لكم ولأنعامكم فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه
وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة أولئك هم الكفرة الفجرة. هذه السورة مكية وسبب نزولها مجيء
ابن أم مكتوم إليه عليه السلام وقد ذكر أهل الحديث وأهل التفسير
قصته ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر إنما أنت منذر من يخشاها
ذكر في هذه من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار وهم الذين
كان الرسول يناجيهم في أمر الإسلام عتبة وربيعة وأبو جهل وأبي وأمية
ويدعوهم إليه. أن جاءه مفعول من أجله لأن جاءه ومتعلق بتولى على
ما اختار البصريون في الإعمال وبعبس على ما اختار أهل الكوفة وقرأ
الجمهور عبس مخففا أن بهمزة واحدة وزيد بن علي بشد الباء وهو
والحسن وأبو عمران الجوني وعيسى آن بهمزة ومدة بعدها وبعض القراء
بهمزتين محققتين والهمزة فيهما ثبت الرازي للاستفهام وفيه ما يقف
على تولى والمعنى الآن جاءه كان كذا أو بإضمار العامل أي عبس وتولى فلا
له عليه السلام ولطفا به في المخاطبة لما في المشافهة بالخطاب مما لا يخفى
ودل لفظ الأعمى إشعار بما يناسب من الرفق به والصغو لما يقصده ولابن
عطية هنا كلام وكذا لأبي عبد الله الرازي كلام ضربت عنه صفحا وكذا ذكرهما
في كتابيهما وكذا الزمخشري كلام أضربت عنه صفحا والضمير في لعله كلام كثير
عائد على الأعمى أي يطهر بما يتلقف من العلم أو يذكر أو يتعظ فتنفعه
ذكراك أي موعظتك والظاهر نصب يدريك على جملة الترجي فالمعنى
لا يدري ما هو مترجى منه من تزكٍ أو تذكر وقيل المعنى وما يطلعك على
أمره وعقبى حاله ثم ابتدأ القول لعله يزكى أي تنمو بركته ويتطهر لله
وقال الزمخشري وقيل الضمير في لعله للكافر يعني أنك طمعت في أن
يتزكى بالإسلام أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق وما يدريك
أن ما طمعت فيه كائن انتهى وهذا قول يرده وصل القرآن عليه
الجمهور أو يذكر بشد الذال والكاف وأصله يتذكر فأدغم والأعرج
وعاصم في رواية أو يذكر بسكون الذال وضم الكاف وقرأ الجمهور
فتنفعه برفع العين عطفا على يذكر وعاصم في المشهور والأعرج وأبو
حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني بنصبها قال ابن عطية في جواب التمني
لأن قوله أو يذكر في حكم قوله لعله يزكى انتهى وهذا ليس تمنيا إنما هو
ترجٍ وفرق بين التمني والترجي وقال الزمخشري وبالنصب جوابا
للعلم كقوله فأطلع إلى إله موسى انتهى والترجي عند البصريين لا جواب
له فينصب بإضمار أن بعد الفاء وأما الكوفيون فيقولون بنصب في جواب

الترجي وقد تقدم لنا الكلام على ذلك في قوله فاطلع الى اله موسى في قراءة حفص ووجهنا
مذهب البصريين في نصب المضارع اما من استغنى ظاهره من كان ذا ثروة وغنى
وقال الكلبي عن الله وقيل عن الايمان بالله وقيل وكونه بمعنى الثروة لا يليق بمنصب
النبوة ويدل على ذلك انه لو كان من الثروة لكان المقابل واما من جاءك فقيرا حقيرا
وقرا الحسن وابو رجا وقتادة والاعرج وعيسى والاعمش وجمهور السبعة
تصدى بخف الصاد واصله تتصدى فحذف والحرميان بشدها ادغم التا
في الصاد وابو جعفر تصدى بضم التا وتخفيف الصاد اي تصدى بك حرصك
على اسلامه يقال تصدى الرجل وصديته وهذا المستغنى هو الوليد او العباس
او امية او عتبة وشيبة او امية او جميع المذكورين في سبب النزول اقوال
خمسة قال القرطبي وهذا كله غلط من المفسرين لان امية والوليد كانا بمكة
وابن ام مكتوم بالمدينة ما حضر معهما وماتا كافرين احدهما قبل الهجرة والاخر
في بدر ولم يقصد قط امية المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع احد انتهى واغلط
من القرطبي كيف ينفي حضور ابن ام مكتوم معهما وهو وهم كلهم من قريش وكان
ابن ام مكتوم بها والسورة كلها مكية بالاجماع وكيف يقول وابن ام مكتوم بالمدينة
كان اولا بمكة ثم هاجر الى المدينة وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه السورة وابن
ام مكتوم هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي
وام مكتوم ام ابيه عاتكة وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وما عليك الا يزكى تحقير
لامر الكافر وحض على الاعراض عنه وترك الاهتمام به اي واي شي عليك في كونه
لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر واما من جاءك يسعى اي يمشي بسرعة في امر دينه
وهو يخشى اي يخاف الله او يخاف الكفار العثار والسقوط لكونه اعمى وقد جا
بلا قايد يقوده تلهى تشتغل يقال لهي عن الشي يلهى اذا اشتغل عنه قيل وليس من
اللهو الذي هو من ذوات الواو انتهى ويمكن ان يكون منه لان ما بني على فعل
من ذوات الواو تنقلب واوه يا لكسرة ما قبله نحو شقي يشقى فان كان مصدره
جا باليا فيكون من مادة اللهي وقرا الجمهور تلهى والبزي عن ابن كثير عنهو
تلهى بادغام تا المضارعة في تا تفعل وابو جعفر بضمها مبنيا للمفعول اي يشغلك
دعا الكافر للاسلام وطلحة بتايين وعنه بتا واحدة وسكون اللام كلا انها اي سورة القران
او الايات تذكرة عظة ينتفع بها فمن شا ذكره اي فمن شا ان يذكره هذه الموعظة
ذكره اي بالضمير مذكرا لان التذكرة هي الذكر وهي جملة معترضة تتضمن الوعد
والوعيد كقوله فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا واعترضت بين تذكرة وبين صفته
اي تذكرة كاينة في صحف قيل اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبيا المنزلة وقيل
مصاحف المسلمين فيكون اخبارا بمغيب اذ لم يكتب القران في صحف زمان كونه
عليه السلام بمكة ينزل عليه القران مكرمة عند الله مرفوعة في السما السابعة
قاله يحيى بن سلام او مرفوعة عن الشبه والتناقض او مرفوعة المقدار
مطهرة اي منزهة عن كل دنس قاله الحسن وقال ايضا مطهرة من ان ينزل على
المشركين وقال الزمخشري منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملايكة
مطهرين سفرة كتبة ينسخون الكتب من اللوح انتهى بايدي سفرة قال ابن عباس
هم الملايكة لانهم كتبة وقال ايضا لانهم يسفرون بين الله وانبيايه وقال

قتادة

قتادة هم القرا وواحد السفرة سافر وقال وهب هم الصحابة لان بعضهم يسفر الى
بعض في الخير والتعليم والتعلم قتل الانسان ما اكفره قيل نزلت في عتبة بن ابي
لهب غاضب اباه فاسلم ثم استصلحه ابوه واعطاه مالا وجهزه الى الشام
فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى
روي انه عليه السلام قال اللهم ابعث عليه كلبك حتى يفترسه فلما
انتهى الى الغاضرة ذكر الدعا فجعل لمن معه الف دينار ان اصبح حيا فجعلوه
وسط الرفقة والمتاع حوله فاقبل الاسد الى الرحال ووثب فاذا هو
فوقه فمزقه فكان ابوه يندبه ويبكي عليه وقال ما قال محمد شيا قط
الا كان والاية نزلت في مخصوص فالانسان يراد به الكافر وقتل دعا
عليه والقتل اعظم شدايد الدنيا ما اكفره والظاهر انه تعجب من افراط كفره
والتعجب بالنسبة للمخلوقين اذ هو مستحيل في حق الله تعالى اي هو
ممن يقال فيه ما اكفره وقيل ما استفهام توقيف اي اي شي اكفره اي جعله
كافرا بمعنى لاي شي يسوغ له ان يكفر من اي شي خلقه استفهام على معنى التقرير
على حقارة ما خلق منه ثم بين ذلك الشي الذي خلق منه فقال من نطفة
خلقه فقدره اي هياه لما يصلح له وقال ابن عباس اي في بطن امه وعنه قدر
اعضاه وحسنا ودميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل من حال الى حال
نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره اي ثم يسر السبيل اي سهل قال
ابن عباس وقتادة وابو صالح والسدي سبيل النظر القويم المودي الى الايمان
وتيسيره له هو هبة العقل وقال مجاهد والحسن وعطا وابن عباس في رواية
ابي صالح عنه السبيل علم امر الخير والشر فهدى وضل الاي سهل اما هذا لقوله
انا هديناه السبيل الاية وقوله وهديناه النجدين وعن ابن عباس يسره
للخروج من بطن امه ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا صيانة لجسده ان
ياكله الطير والسباع فقبره دفنه واقبره صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا
والقابر الدافن بيده وقال الاعشى لو اسندت ميتا الى نحرها ح
عاش ولم ينقل الى قابر ح ثم اذا شا انشره اي اذا اراد انشاره انشره والمعنى
اذا بلغ الوقت الذي شاه الله وهو يوم القيامة وفي كتاب اللوامح
شعيب بن الحبحاب شا نشره بغير همز قبل النون وهما لغتان في
الاحيا وفي كتاب ابن عطية وقرا شعيب بن ابي حمزة شا نشره كلا ردع للانسان
عما هو فيه من الكفر والطغيان كلا لما يقض يعني من ادم مدة تكليفه الى حين
اقباره ما امره به الله تعالى فالضمير في يقض للانسان وقال ابن فورك الضمير لله تعالى
اي لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقضه له ولما
عدد تعالى نعمه في نفس الانسان ذكر النعم فيما به قوام حياته وامر بالنظر الى
طعامه وكيفيات الاحوال التي اعتورت الى طعامه حتى صار بصدد ان يطعم
والظاهر ان الطعام هو المطعوم وكيف يسره الله تعالى بهذه الوسايط المذكورة
من صب الما وشق الارض والانبات وهذا قول الجمهور وقال ابي وابن عباس
ومجاهد والحسن وغيرهم الى طعامه اي اذا صار رجيعا ليتامل عاقبة الدنيا على اي شي
يتفانى اهلها وقرا الجمهور انا بكسر الهمزة والاعرج وابن وثاب والاعمش والكوفيون

وروي أنا بفتح الهمزة والحسين بن علي رضي الله عنهما أنّى بفتح الهمزة ممالاً فالكر على الإنسان في ذكر
تعداد الوصول إلى الطعام والفتح قال وعلى البدل من طعامه فقولد الثاني نعني الأول لتحقق ونبينها
رجعوا إلى المعنى فلينظر الإنسان إلى إنعامنا في طعامه فترتب آية لعصا ثم كأنه
جعلوه بدلاً من كل ذا الذي يظهر الله منه بدل الاشتمال وقراءة أنّى بمعنى كيف فيحلها
الإنسان كيف صببنا وأسند تعالى الصب والشق إليه حقيقة إسناد الفعل إلى السبب ومن
الماهو الظاهر أن الشق كناية عن شق النبات بجاري العادة أن يشق به وقيل الشق
الأرض هو بالنبات مما يحمل ما يمتص حبا من حنطة وشعير وذرة وسلت وعدس وغير ذلك
وقضبا قال الحسن العلف وأهل مكة يسمون القت القضب وقيل الفصفصة ومنعا لأنه
داخل في الأب وقيل كل ما يقضب ليأكله بنو آدم غضا من النبات كالبقول والهليون وقال
ابن عباس هو الرطب لأنه يقضب من النخل ولأنه ذكر العنب قبله غلبا قال ابن عباس غلاظا
وعنه طوالا وعن قتادة وابن زيد كرامها وفاكهة ما يأكله الناس من ثمار الشجر كالخوخ
والتين وأبا ما تأكله البهائم من العشب وقال الضحاك التين خاصة وقال الكلبي كل
نبات سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطبها والأب يابسها الصاخة اسم من أسماء
القيامة يصم نبأها الآذان وتقول العرب صختهم الصاخة ونابتهم النائبة
أي الداهية وقال الحافظ أبو بكر بن العربي الصاخة هي التي تورث الصمم وإنها
لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة لقوله أصمهم شر أيامهم ونقيهم فهل سمعتم
بشر يورث الصمم وقول الآخر أصم بك الناعي وإن كان أسمعا ولعمر الله إن
صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة انتهى يوم يفر بدل
من إذا وجواب إذا محذوف تقديره اشتغل كل إنسان بنفسه يدل عليه لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه وفراره من شدة الهول يوم القيامة كما جاء من قول
الرسل نفسي نفسي وقيل خوف التبعات لأن الملابسة تقتضي المطالبة يقول الأخ لم تواسني
بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون
لم تعلمنا وترشدنا وقرأ الجمهور يغنيه أي عن النظر في شأن الآخر من الإغناء والزهري
وابن محيصن وابن أبي عبلة وحميد وابن السميفع يعنيه بفتح الياء والعين المهملة من قولهم
عناني الأمر قصدني مسفرة أي مضيئة من أسفر الصبح أضاء ترهقها تغشاها قترة أي
غبار والأولى ما يغشاه من العبوس عند الهم والثانية من غبار الأرض وقيل غبرة أي تراب
وقترة سواد كالدخان وقال زيد بن أسلم الغبرة ما انحطت إلى الأرض والقترة ما ارتفع
إلى السماء وقرأ الجمهور قترة بفتح التاء وابن أبي عبلة بإسكانها انكدرت النجوم
انتثرت وقال أبو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب إذا كسرت قال العجاج دجيف
فضراء انقض حزمات فلاة فانكدر تقضي البازي إذا البازي كسر العشار
جمع عشراء وهي الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع في تمام السنة
التعطيل التفريغ والإهمال الوحوش حيوان البر الذي ليس في طبعه التأنس في
بني آدم الموءودة البنت التي تدفن حية وأصله من الثقل كأنها تثقل بالتراب
حتى تموت ومنه ابتدأ أي نوفر والثقل لا يخف الكشط التقشير كشطت جلد الشاة
سلخته عنها الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء تقول خنس بين القوم
وانخنس الكنس جمع كانس وكانسة يقال إذا دخل الكناس وهو المكان الذي
تأوي إليه الظباء والخنس تأخر الأنف عن الشفة مع ارتفاع قليل من الأرنبة

قال الفرا

المفردات

قال الفراء عسعس الليل وسعسع إذا لم يبق منه إلا القليل وقال الخليل عسعس الليل إذا أقبل
وأدبر وقال المبرد هو من الأضداد وقال علقمة بن قرط:
حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وقال رؤبة:
يا هند ما أسرع ما تعسعسا من بعد ما كان فتى ترعرعا
التنفس خروج النسيم من الجوف واستعير للصبح ومعناه امتداده حتى يصير نهاراً واضحاً الظنين المتهم فعيل بمعنى مفعول من
ظننت الرجل اتهمته والضنين البخيل قال الشاعر:
أجود بمكنون الحديث وإنني بسرك عمن سالني لضنين

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين

هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أن في آخرها الطامة وتكوير الشمس قال ابن عباس إذا قالها
في الوسط قال مجاهد وقتادة والحسن ذهاب ضوئها وقال الربيع بن خثيم رمي بها ومنه كورته
فتكور وقال أبو صالح نكست وعن ابن عباس أيضاً أظلمت وعن مجاهد اضمحلت وقيل
غورت وقيل يذهب بعضها ببعض ويرمى بها في البحر وقال أبو عبيدة كورت مثل تكوير
العمامة وقال الراغب تكوير الشيء إدارته وضم بعضه إلى بعض ككور العمامة فقوله إذا الشمس كورت إشارة إلى جري الشمس في
تكويرها حتى يمحى ضوءها ثم يرمى بها وقال الزمخشري فإن قلت ارتفاع الشمس
على الابتداء أو الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت
لأن إذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط انتهى وهو طريقة البصريين المنقول الذي لم
في علاوة سيبويه في الإملاء وليس ما ذكر من الأعراب بمجمع عليه عند النحاة بل يجوز رفع
الشمس على الابتداء عند الأخفش والكوفيين لأنهم يجيزون إيلاء الجملة الاسمية بعد إذا
نحو إذا زيد يكرمك فأكرمه انكدرت عن ابن عباس تساقطت وعنه أيضاً تغيرت فلم يبق لها ضوء زوالها
عن أماكنها من قولهم ماء كدر أي متغير وتسيير الجبال إذهابها عن وجه الأرض أو صيرت هباء منبثاً
السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب وهذا قيل نفخها وحكى في أهوال يوم القيامة والعشار أنفس
ما عند العرب من المال وتعطيلها تركها مسيبة مهملة أو بلا حالب لاشتغالهم بأنفسهم وعن أن
يحمل عليها الفحول والملوك عليها عشار وإنما كانت ذلك قال القرطبي وهذا على وجه المثل لأنه
في القيامة لا يكون عشراء بل المعنى أنه لو كان عشار لعطلها أهلها واشتغلوا بأنفسهم وقيل
إذا قاموا من القبور وشاهدوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التي كانت كرائم
أموالهم لم يعبأوا بها لشغلهم بأنفسهم وقيل العشار السحاب يعطلها عن المطر والعرب
تسمي السحاب بالحامل وقيل العشار الديار تعطل فلا تسكن وقيل الأرض التي يعشر زرعها
تعطل فلا تزرع وقرأ الجمهور عطلت بتشديد الطاء ومضر عن اليزيدي بتخفيفها

وكذا في كتاب ابن خالويه وفي كتاب اللوامح عن ابن كثير قال في اللوامح فقيل هو وهم انما هو عطلت بتخفيف
معنى عطلت لان التشديد فيه التعدي يقال منه عطلت الشي واعطلته فعطل بنفسه وعطلت المراة فهي عاطل
اذا لم يكن عليها الحلي فلعل هذه القراءة من ابن كثير لغة استوى فيها فعلت وافعلت واسا اعلم انتهى وقال
امرؤ القيس وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل حزرت اي جمعت يقال ابن
عباس حشرت بالموت فلا تبعث ولا تحضر في القيامة غير الثقلين وعنه وعن قتادة حشرها
كل شي حتى الذباب وعنه تحشر الوحوش حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها
موتي فتموت وقيل اذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني ادم واعجاب بصورته
كالطاووس ونحوه وقال ابي في الدنيا اي ذهلت الوحوش في الارض وجمع الى بني ادم تانيسا لهم وقرا
الجمهور حشرت بخفة الشين وقرا ابن معوك بشدها واذا البحار سجرت تقدم معنى سجرت في
سجر البحر في قوله في الطور والبحر المسجور وفي كتاب لغات القران سجرت جمعت بلغة خثعم وقال القشيري
عطية ويحتمل ان يكون المعنى ملكت وقيد اضطرابها حتى لا تخرج على الارض من الهول فتكون اللفظة
ماخوذة من ساجور الكلب وقرا ابن كثير وابو عمرو بخف الجيم وباقي السبعة بشدها قال ابن عطية وذهب
قوم الى ان هذه الاشيا المذكورة استعارات في ابن ادم واحواله عند الموت فالشمس نفسه والنجوم عينه
وحواسه وهذا قول ذاهب الى اشتقاق الرموز في كتاب الله تعالى انتهى وهذا مذهب الباطنية
من ينتمي الى الاسلام من غلاة الصوفية وقد تكلمنا اليوم في خطبة هذا الكتاب على هولاء زنادقة
تستروا بالانتما الى ملة الاسلام وكتاب الله جا بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن ولا
ايما الى شي مما ينتحله الفلاسفة ولا اهل الطبائع ولقد ضل من نسب الى ابي عبد الله الرازي المعروف بابن خطيب
الري اشيا من هذا القبيل اعتمد عليها اصحاب النجوم واصحاب الحكمة وذكر ذلك بعض المعتزلة في كتاب
الله تعالى وكذلك ما ذكره التبريزي ولا يدعي حي واد انه مغلوب على ادراك كلامهما كامل التصرف في
الماضي والامر المضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول لحكيتها في وقوعها بتاء التعليل الذي يحتاج
الا انه ليس التعليل الا يكون اما الظاهر فيه فكر يشهد له بالامالة والاضطراب كذلك او كونه بحرف من
حروف الزيادة والاخر فيه مزيدا وكونه اكثر تصرفا والاخر ليس كذلك او اكثر استعمالا من الاخر وهذا على
ما تقرر وتحرر في علم التصريف فالاول كيئس وايس والثاني كطامن واطمان والثالث كشواعي وشوايع والرابع
كلعمري ورعملي وقرا الجمهور الموءودة بهمزة بين الواوين وهي اسم مفعول وقرا البزي في رواية الموودة
بهمزة مضمومة على الواو فاحتمل ان يكون الاصل الموءودة كقراءة الجمهور ثم نقل حركة الهمزة الى الواو بعد
حذف الهمزة ثم همز الواو المنقول اليها الحركة فاحتمل ان يكون اسم مفعول من اود فالاصل مؤودة ثم حذف احد
الواوين على الخلاف الذي فيه المحذوف واو المد او الواو التي هي عين نحو مقول ومصون فالوزن مفول او مفعل وقرا
الموودة بضم الواو الاولى وتسهيل الهمزة اعني التسهيل بالحذف ونقل حركتها الى الواو وقرا الاعمش
الموده بسكون الواو على وزن الفعلة وكذا وقف لحمزة ابن مجاهد وقلة ذلك

وقرا الجمهور سئلت مبنيا للمفعول باي ذنب قتلت كذلك بخفة اليا

وبالتاء فيهما وهذا السوال هو لتوبيخ الفاعل في الموءودة لانه سوال لها يتوجه الى سوال الفاعل فيها وتقريره لم
قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها وكي ما خوطبت به حتى سئلت لقيل قتلت وقرا الحسن والاعرج
بكسر السين وذلك على لغة من قال سال يسال بغير همز وقرا ابو جعفر بشد اليا لان الموءودة اسم جنس فناسب
التكثير باعتبار الاشخاص وقرا ابن مسعود وعلي وابن عباس وجابر بن زيد وابو الضحى ومجاهد
سالت مبنيا للفاعل قتلت بسكون اللام وضم التاء حكاية لكلامها حين سالت وعن ابي وابن مسعود
ايضا والربيع بن خيثم وابن يعمر سالت مبنيا للفاعل باي ذنب قتلت مبنيا للمفعول بتا التانيث
فيهما اخبار عنها ولو حكي كلامها لكان قتلت بضم التاء وكانت العرب اذا ولد لاحدهم بنت
واستحياها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم فاذا اراد قتلها تركها حتى اذا كانت

سراية

اصله بياض

[illegible]

سداسية قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بيرا في الصحرا فيذهب بها اليها فيقول
لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت وضعها
حفرت حفرة فتمخضت على راسها فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته وقد افتخر
الفرزدق وهو ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بجده صعصعة اذ كان منع واد البنات

بياض اصله

فقال ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم يوأد وفي الكامل لابي العباس المبرد

والصحف منشورة صحف الاعمال كانت مطوية على الاعمال فنشرت يوم القيامة ليقرا كل انسان كتابه وقيل الصحف
التي تتطاير بالايمان والشمائل بالجزا وهي صحف غير صحف الاعمال وقرا ابو رجاء وقتادة والحسن والاعرج
وشيبة وابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم نشرت بخف الشين وباقي السبعة بشدها وكشطت السما كما يكشط الجلد
عن الذبيحة كما يكشط الجلد عن الذبيحة وقرا عبد الله قشطت بالقاف وهما كثيرا ما يتعاقبان كقولهم عربي
قح وكح ونشرت فيه قراءة كافور كافور وقرا نافع وابن عامر وحفص سعرت بشد العين وباقي السبعة بخفها وفي
قراءة في القافة سعرها غضب الله تعالى وذنوب بني ادم وعن ابي واذا ومعطوفه علمت نفس ما احضرت وشي
مكرم تعم في الاثبات من حيث العقيدة وحيث يصير تدخل به الجنة او يصير تدخل به النار وقال ابن عطية ووقع
الافراد لينبه الذهن على حقارة المرء الواحد وكله دفاعة عن نفسها اي وترتيب هذه السورة عند عبد الله فلا
بلغ القاري علمت نفس ما احضرت قال عبد الله وانقطاع ظهراه بالخنس قال الجمهور الدراري السبعة الشمس والقمر
وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري وقال علي الخمسة دون الشمس والقمر تجري مع الشمس والقمر
حتى تخفى مع ضوء الشمس قال الزمخشري تختفي نهارا ومجيها وكونها اختفاؤها تحت ضوء الشمس قال
الزمخشري وقال ابن عطية تخنس في جريها اي تتقهقر فيما ترى العين وهي جوار في السما وهي تكنس في ابراجها
اي تستتر وقال علي ايضا والحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها تخنس وتكنس بالنهار حين تخفى وقال
الزمخشري اي تختفي بالنهار وتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها
انتهى وقال عبد الله والنخعي وجابر بن زيد وجماعة المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش لانها تفعل هذه
الافعال في كنسها وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك هي الظبا وجعل من صفة الانوف لانها يلزمها الخنس
وكذا بقر الوحش عسعس بلغة قريش وقال الحسن اقبل ظلامه ويرجحه مقابلته بقوله والصبح اذا تنفس
فيها حالات الصبح وقال المبرد اقسم بما قبله وادبار ويرشحه ثم يجي بعده ونسيم نسائم تعني بريح الفجر
انه اي هذا القسم عليه اي ان القران لقول رسول كريم الجمهور على انه جبريل عليه السلام وقيل محمد عليه السلام
وذكر صفة تقتضي الى المرام كلها واثبات صفات المدح اللائقة به ذي قوة لقوله شديد القوى عند ذي العرش
اي كائن عند ذي العرش المكانة اللائقة به من شرف المنزلة وعظم المكانة مكين حظي ذي الوجه عنده مطاع
ثم اي هنالك في الملا الاعلى الوسطى انه سطاع فيه ما يكتبه اليه ما يكون صدر ويرد عن امره وقرا ابو جعفر وابو
حيوة وابو البرهسم وابن مقسم ثم بضم الثا حرف عطف والجمهور ثم بفتحها ظرف مكان للبعيد وقال الزمخشري
وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفات المعدودة انتهى وقال صاحب اللوامح بمعنى ذلك الموضع
اتنا بحار وقد كانت على اللام وانانية يا مدينة وليسعد ومع الافق بالمبين لانه رءي الرحمن بين الارض
من حيث تطلع الشمس قاله قتادة وسفيان واتصافه الا فوق في غاية البيان لا يدخل في الوقت الماء الغربي وكلاهما
وقال مجاهد اراد نحو اجياد وهو مشرق مكة وقرا ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن
عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم ومن السبعة النحويان وابن كثير بظنين
باليا اي متهم وهذا نظير الوصف السابق بامين وقيل معناه ضعيف القوة على التبليغ من قولهم
بير ظنون اذا كانت قليلة الما وكذا هو في الامام مصحف عبد الله وقرا عثمان وابن عباس ايضا والحسن وابو رجا
والاعرج وابو جعفر وشيبة وجماعة غيرهم وباقي السبعة بالضاد اي ببخيل يشح به ولا يبلغ ما قيل له ويبخل كما يفعل الكاهن حتى
يعطى حلوانه قال الطبري وبالضاد خطوط المصاحف كلها وما هو بقول شيطان رجيم اي ليس بقول ملك هو ملك لا مثل
الذي يتراءا للكهان فاين تذهبون استضلال لهم حيث ينسبونه مرة الى الجنون ومرة الى الكهانة وغير ذلك مما هو
بريء منه قال الزمخشري كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم
بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل انتهى ذكر تذكرة وعظة لمن شا منكم للعالمين ثم خص من شا
العدل لنسبة ان شا ان يستقيم ثم خصص بقوله لمن شا الاستقامة بالذكر تشريفا وتنبيها وذكر اهليتهم افعال الانسان
ثم بين تعالى ان تكسب العبد على العموم في استقامة وغيرها انما يكون مع خلق الله تعالى واختراع الايمان
في صدر المرء انتهى وقال الزمخشري وانما ابدلوا منهم لان الذين شاوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون
بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاون الاستقامة يا من يشا وهو الانسان حتى الله ولطفه او
ما تشاونها انتم يا من لا يشاها الا بقسر الله والجائه انتهى وهو كلام ابن عطية والزمخشري على مذهب وقال الحسن

[illegible]

مانلت العرب الاسلام حتى ثنا اشها معترف المتاع قلبهم ظهر البطن ديعترف الحوض تخربهم هرمته وجعلنا ملاذا لسغله

سورة الانفطار بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله

هذه السورة مكية وانفطارها انشقاقها ثم وانتثار الكواكب سقوطها من مواضعها لانتظام وقرا الجمهور فجرت بالتخفيف وقرا مجاهد والربيع بن خثيم والزعفراني والثوري فجرت وكثرتها من اسفلها فيخرج ملاها وتفتح بعضها في بعض فيذهب الله ماها صارت ارادة وعن كاهد فجرت مبنيا للمفعول مخففا بمعنى بغيت بزوال البرزخ نظرا الى تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور يشبهان بعينه فبعثرت قال بعضهم بحثت وقال السدي اثيرت لبعث الاموات قال الفرا اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة وقال الزمخشري بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل المراد البعث لانها تعرف ان الله فيتعا تهي بعاهر وهذا اسماء مركبات مادتها ما ذكر والراء ضمت الى هذه المادة والامر ليس كما يقتضيه كلامه لان الراء ليست من حروف الزيادة بل هما مادتان مختلفتان وان اتفقا من حيث المعنى اما ان الراء زائدة فلا ونظيره قولهم دمث ودمثر وسبط وسبطر ما قدمت واخرت تقدم الكلام على شبهه في سورة القيامة وقرا الجمهور ما غرك فما استفهامية وقرا ابن جبير والاعمش ما اغرك بهمزة فاحتمل ان يكون ما استفهامية واغرك بمعنى ادخلك في الغرة قال الزمخشري من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وان يكون تعجبا انتهى وروي انه عليه السلام قرأ ما غرك بربك الكريم فقال جهله وقال عمر وقرا انه كان ظلوما جهولا وهذا يترتب في الكافر والعاصي وقال قتادة عدوه المسلط عليه وقيل ستر الله عليه وقيل كرم الله ولطفه الكريم يكشف هذا الجواب فهذا لطف بالعاصي المومن وقيل عفوه عنه ان لم يعاقبه اول مرة وقال الفضيل ستره المرخي وقال ابن السماك يا كاتم الذنب اما تستحي من الله في الخلوة مع اسكاره عزك من ربك امهاله وستره طول مساويكا وقال الزمخشري اي صورة متعلق بركبك اي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وطول وذكورة وشبه ببعض الاقارب اومقابل ذلك وما زايدة وشا في موضع الصفة لصورة ولم يعطف ركبك بالفا كالذي قبله لانه بيان لعدلك وكون في اي صورة متعلقا بركبك هو قول الجمهور وقيل يتعلق بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور وقال بعض المتاولين انه يتعلق بقوله فعدلك اي فعدلك في صورة اي صورة واي تقتضي التعجب والتعظيم فلا يجعلك في صورة خنزير او حمار وعلى هذا يكون ما منصوبة بشا كانه قال اي تركيب حسن شا ركبك والتركيب التاليف وجمع شي الى شي وادغم خارجة عن نافع ركبك كما في وحيم وفي دعاميه الكبير كلا ردع وزجر لما دل عليه ما قبله من اغترارهم بالله او لما دل عليه ما بعد كلا من تكذيبهم بيوم الجزا والدين الجزا او شريعة الاسلام وقرا الجمهور بل تكذبون خطابا للكفار والحسن وابو جعفر وشيبة وابو بشر بيا الغيبة وان عليكم لحافظين استئناف اخبار اي عليهم من يحفظ اعمالهم ويضبطها ويجوز ان تكون جملة حالية والواو واو الحال اي تكذبون بيوم الجزا والكاتبون الحفظة يضبطون اعمالكم لان تجازوا عليها وفي تعظيم الكتبة بالثنا عليهم تعظيم لامر الجزا وقرا الجمهور يصلونها مضارع صلي مخففا وابن مقسم مشددا مبنيا للمفعول يعلمون ما تفعلون فيكتبون ما تعلق به الجزا قال الحسن يعلمون لما ظهر دون حديث النفس وقال سفيان اذا هم العبد بحسنة او سيئة وجد الكاتبان ريحها وقال الحسين بن الفضل حين قال يعلمون ولم يقل يكتبون دل على انه لا يكتب الجميع فيخرج عنه السهو والخطا وما لا تبعة فيه وما يقوي عنها بغايبين اي عن الجحيم اي لا يمكنهم الغيبة لقوله وما هم بخارجين من النار وقيل انهم مشاهدوها في البرزخ لما ضرب عنهم يوم القيامة اخبر باستقامتهم عنها قبل الصلي اي يرون مقاعدهم من النار وما ادراك تعظيم لهول ذلك اليوم وقرا ابن ابي اسحاق وعيسى وابو جعفر سوا ابن كثير وابو عمرو يوم لا تملك برفع الميم اي هو يوم واجاز الزمخشري فيه ان يكون بدلا مما قبله وقرا محبوب عن ابي عمرو يوم لا تملك على التنكير منونا مرفوعا فكه عن الاضافة وارتفاعه على هو يوم ولا تملك جملة في موضع الصفة والعايد محذوف اي لا تملك فيه وقرا زيد بن علي والحسن وابو جعفر وشيبة والاعرج وباقي السبعة يوم بالفتح على الظرف فعند البصريين هي حركة اعراب وعند الكوفيين يجوز ان تكون حركة بنا وهو على التقديرين في موضع رفع من المحذوف تقديره الجزا يوم لا تملك او في موضع نصب على الظرف اي يدانون يوم لا تملك او على انه مفعول به اي اذكر يوم لا تملك ويجوز على راي من يجيز بناءه ان يكون في موضع رفع خبر المبتدا محذوف تقديره هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا عام لقوله فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا

وقال مقاتل

وقال مقاتل لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله قال قتادة وكذلك هو اليوم لكنه هناك لا يدعيه احد ولا ينازعه فيه وهو واحد كما هو في الدنيا **المفردات** **التطفيف** النقصان واصله من التطفيف وهو النزر الحقير والمطفف الاخذ في وزنا وكيل طفيفا اي شيئا حقيرا خفيا **ران** غطى وغشي كالصدا يغشي السيف قال الشاعر

وكم ران من ذنب على قلب فاجر ... فتاب من الذنب الذي ران فانجلا

واصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقل شاربها وران النعاس على عقل الراكب قال ابو زبيد

ثم لما راه رانت به الخمر ... وان لا ترينه باتقاء

وقال ابو زيد يقال رين بالرجل يران به رينا اذا وقع فيما لا يستطيع منه الخروج **الرحيق** قال الخليل اجود الخمر وقال الاخفش والزجاج الشراب الذي لا غش فيه قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

نافس في الشي رغب فيه ونفست عليه بالشي انفس نفاسة اذا بخلت به عليه ولم تحب ان يصير اليه **التسنيم** اصله الارتفاع ومنه تسنيم القبر وسنام البعير وتسنمت على فلان علوته **الغمز** الاشارة بالعين والحاجب

سورة المطففين

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل** ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم **هذه** السورة مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل مدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل ايضا وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا من ان الذين اجرموا الى اخرها فهو مكي ثمان ايات وقال السدي كان بالمدينة رجل يكنى ابا جهينة له مكيالان ياخذ بالاوفى ويعطي بالانقص فنزلت وقيل انها اول سورة انزلت بالمدينة وقال ابن عباس نزل بعضها بمكة ونزل امر التطفيف بالمدينة لانهم كانوا اشد الناس فسادا في هذا المعنى فاصلحهم الله بهذه السورة وقيل نزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى امرهم قبل ورود رسول الله صلى الله عليه وسلم والمناسبة بين السورتين ظاهرة لما ذكر تعالى السعدا والاشقيا ويوم الجزا وعظم شان يومه ذكر ما اعد لبعض العصاة وذكرهم باخس ما يقع من المعصية وهي التطفيف الذي لا يكاد يجري ذكره في تنمية المال وتنميته اذا اكتالوا على الناس قبضوا لهم واذا كالوهم او وزنوهم اقبضوهم وقال الفرا من وعلى يعتقبان هنا اكتلت على الناس واكتلت من الناس فاذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيته منك واذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك والظاهر ان على متعلق باكتالوا كما قررناه وقال الزمخشري لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق بيستوفون اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها انتهى وكال ووزن مما يتعدى بحرف الجر فتقول كلت لك ووزنت لك ويجوز حذف اللام كقولك نصحت لك ونصحتك وشكرت لك وشكرتك والضمير ضمير نصب اي كالوا لهم او وزنوا لهم

بحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف واهو المكيل والموزون وعن
عيسى وحمزة الكيل له والموزون له محذوف وهم ضمير مرفوع تاكيد للضمير المرفوع الذي
هو الواو وقال الزمخشري ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى
نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت
الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل والوزن
هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر انتهى ولا تنافر
فيه بوجه ولا فرق بين ان يؤكد الضمير وان يؤكد الحديث والحديث واقع في الفعل غاية ما
في هذا ان متعلق الاستيفا وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم او وزنوهم محذوف
للعلم به لانه معلوم انهم لا يخسرون الكيل والميزان اذا كان لانفسهم انما
يخسرون ذلك لغيرهم وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل
او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفا والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملى واذا
اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون انتهى ويخسرون
معدى بالهمزة يقال خسر الرجل واخسره غيره ﴿الا يظن﴾ توقيف على امر القيمة وانكار عليهم
في فعلهم ﴿ذلك ليوم عظيم﴾ وهو يوم القيمة ويوم ظرف العامل فيه مقدر اي يبعثون
يوم يقوم الناس ويجوز ان يعمل فيه مبعوثون ويكون معنى ليوم الحساب معنى يوم وقال
الفرا هو بدل من ليوم ~~ولكنه بني~~ وقرئ يوم بالجر وهو يوم ويبطن بمعنى
يوقن او هو على وضعه من الترجيح وفي هذا الانكار والتعجب ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس لله خاضعين ووصفه برب العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف ﴿كلا﴾
ردع لما كانوا عليه من التطفيف وهذا القيام تختلف الناس فيه بحسب احوالهم وفي هذا
القيام الجام العرق للناس واحوالهم فيه مختلفة كما ورد في الحديث ﴿ان كتاب الفجار﴾ وكتابهم
هو الذي فيه تحصيل اعمالهم ﴿وسجين﴾ قال الجمهور فعيل من السجن كسكير او في موضع
ساجن فجاء مبنا مبالغة فسجين على هذا صفة لموضع المحذوف قال ابن مقبل
ورفقة يضربون البيض ضاحية ۞ ضربا تواصت به الابطال سجينا ۞ وقال
الزمخشري فان قلت ما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم
وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف انتهى وكان قد قدم انه كتاب جامع
وهو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس
وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه والمعنى
ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان انتهى واختلفوا في سجين اذا كان مكان
اختلاف مضطرب حذفنا ذكره والظاهر ان سجينا هو كتاب ولذلك ابدل منه كتاب
مرقوم وقال عكرمة سجين عبارة عن الخسار ~~وقال بعض اللغويين~~ والهوان كما تقول
بلغ فلان الحضيض اذا صار في غاية الخمول وقال بعض اللغويين سجين نونه بدل من لام
وهو من السجيل فتلخص من اقوالهم ان سجين نونه اصلية او بدل من لام واذا كانت اصلية فاشتقاقه
من السجن وقيل هو مكان فيكون كتاب مرقوم خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب ويعني بالضمير
عوده على كتاب الفجار او على سجين على حذف اي هو محل كتاب مرقوم وكتاب جامع لديوان

الشر

كان ابو اسحاق وقرأ بل رين على ... يوم بالرفع اي ذلك يوم يبعثون

الشر فيه اعمال الاشقيا من الثقلين ﴿كتاب مرقوم﴾ تفسير له على جهة البدل او خبر مبتدا
والضمير المقدر الذي هو عائد على سجين او عائد على الكتاب والمقدر هو علي صفة او علم
﴿وما ادراك ما سجين﴾ اي ليس ذلك مما كنت تعلم ﴿مرقوم﴾ اي مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحى وقال
قتادة رقم لهم بشر لا يزاد فيهم احد ولا ينقص منهم احد وقال ابن عباس والضحاك مرقوم
مختوم بلغة حمير واصل الرقم الكتابة ومنه قول الشاعر ۞
سار نقم في الما القراح البكم ۞ على بعدكم ان كان للما راقم ۞ ونبين من الاعراب
السابق ان كتاب مرقوم بدل او خبر مبتدا محذوف وكان ابن عطية قد قال ان سجينا موضع
ساجن على قول الجمهور وعبارة عن الخسار على قول عكرمة ثم قال كتاب مرقوم من قال بالقول الاول
في سجين فكتاب مرتفع عنده على خبر ان والظرف الغي ... هو كتاب مرقوم ويكون هذا الكتاب
مفسرا لسجين ما هو انتهى فقوله والظرف الذي هو لفي سجين ملغى قول لا يصح لان اللام التي
في سجين داخلة على الخبر واذا كانت داخلة على الخبر فلا الغا في الجار والمجرور بل هو الخبر
ولا يجوز ان تكون هذه اللام دخلت ملغى لا خبرا لان كتاب موصوف بمرقوم فلا يعمل وان مرقوما
الذي هو صفة لكتاب لا يجوز ان تدخل اللام في معموله ولا يجوز ان يتقدم معموله على الموصوف
فتعين بهذا ان قوله لفي سجين هو خبر ان الذين يكذبون صفة ذم ﴿كل معتد﴾ متجاوز الحد اثيم
صفة مبالغة وقرا الجمهور اذا والحسن ايذا بهمزة الاستفهام والجمهور تتلى بتاء التانيث وابو
حيوة وابن مقسم بالياء قيل ونزلت في النضر بن الحارث ﴿بل ران﴾ قرىء بادغام اللام في الراء
وبالاظهار ووقف حفص على بل وقفا خفيفا ليبين الاظهار وقال ابو جعفر بن الباذش
واجمعوا يعني القراء على ادغام اللام في الرا الا ما كان من سكت حفص على بل ثم يقول ران
وهذا الذي ذكره ليس كما ذكر من الاجماع ففي كتاب اللوامح عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام عند
الرا نحو قوله بل رفعه الله اليه بل ربكم وفي كتاب ابن عطية وقرا نافع بل ران غير مدغم وفيه
ايضا وقرا نافع ايضا بالادغام والامالة وقال سيبويه في اللام مع الرا نحو اشغل رحمه
البيان والادغام حسنان وقال الزمخشري وقرئ بادغام اللام في الرا وبالاظهار والادغام
اجود وامليت الالف وفخمت انتهى وقال سيبويه فاذا كانت يعني اللام غير لام المعرفة نحو لام
هل وبل فان الادغام في بعضها احسن وذلك هل رايت فان لم تدغم فقلت هل رايت فهي لغة
لاهل الحجاز وهي عربية جايزة انتهى وقال الحسن والسدي هو الذنب على الذنب وقال الحسن حتى
يموت قلبه وقال السدي حتى يسود القلب وفي الحديث نحو من هذا وقال الكلبي طبع على قلوبهم
وقال ابن سلام غطى ﴿ما كانوا يكسبون﴾ وقال ابن عطية وعلق اللوم بهم فيما كسبوه وان كان ذلك
بخلق منه تعالى واختراع لان الثواب والعقاب متعلقان بكسب العبد والضمير في قولهم للكفار
ثم قال بالرؤية وهو قول اهل السنة قال ان هولاء لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه واحتج بهذه الاية
مالك على مسيلة الرؤية من جهة دليل الخطاب والا فلو حجب الكل لما اغنى عن هذا التخصيص وقال
الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ومن قال بان لا رؤية وهو قول
المعتزلة قال انهم محجوبون عن رحمة ربهم وغفرانه انتهى وقال انس بن مالك لما حجب اعداءه
فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الزمخشري كلا ردع عن الكسب الراين على قلوبهم وكونهم
محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يوذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم
ولا يحجب عنهم الا الادنيا المهانون عندهم قال الشاعر

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا ۝ والناس ما بين مرجوب ومحجوب ۝ وعن ابن عباس وقتادة
وابن ابي مليكة محجوبين من رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته انتهى وعن مجاهد المعنى محجوبون
عن كرامته ورحمته وعن ربهم متعلق بمحجوبون وهو العامل في يومئذ والتنوين تنوين العوض
من الجملة المحذوفة ولم يتقدم جملة قريبة يكون عوضا منها لكنه تقدم يقوم الناس لرب
العالمين فهو عوض من هذه الجملة كأنه قيل يوم اذ يقوم الناس ثم هم مع الحجاب عن الله هم صالوا
النار وهذه ثمرة الحجاب ثم يقال اي تقول لهم خزنة النار هذا اي العذاب وصلي النار وهذا
اليوم الذي كنتم به تكذبون قال ابن عطية هذا الذي يعني الجملة مفعول لم يسم فاعله لانه قول
بني له الفعل الذي هو يقال انتهى وتقدم الكلام على نحو هذا فيما والبقرة في قوله تعالى واذا قيل
لهم لا تفسدوا في الارض **قوله عز وجل** كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون ۝
كتاب مرقوم يشهده المقربون ۝ ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون ۝ تعرف في وجوههم نضرة
النعيم ۝ يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ۝ ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ۝ ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ۝ واذا
مروا بهم يتغامزون ۝ واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ۝ واذا راوهم قالوا ان هؤلاء
لضالون ۝ وما ارسلوا عليهم حافظين ۝ فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون ۝ على
الارائك ينظرون ۝ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ۝ **لما** ذكر تعالى امر كتاب الفجار
عقبه بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق عليون جمع واحده علي مشتق من العلو وهو
المبالغة قاله يونس وابن جني قال ابو الفتح وسبيله ان يقال علية كما قالوا للغرفة علية فلما
حذفت التاء عوضوا منها الجمع بالواو والنون وقيل هو وصف للملائكة فلذلك جمع بالواو والنون
وقال الفراء هو اسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك عشرين وثلثين والعرب
اذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنيته قالوا في المذكر والمؤنث بالواو والنون وقال
الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب هذا الجمع هذه قنسرون ورايت قنسرين وعليون الملائكة
او المواضع العلية او علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين او علو
في علو مضاعف اقوال ثلثة للزمخشري وقال ابو مسلم كتاب الابرار كتابة اعمالهم في
عليين ثم وصف عليين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الابرار واذا كان مكانا فقد اختلفوا
في تعيينه اختلافا مضطربا رغبنا عن ذكره واعراب لفي عليين وكتاب مرقوم كاعراب لفي
سجين وكتاب مرقوم وقال ابن عطية وكتاب مرقوم في هذه الاية خبر ان والظرف ملغى انتهى
كما قال في لفي سجين وقد رددنا عليه ذلك وهذا مثله والمقربون هنا قال ابن عباس وغيره
هم الملائكة اهل كل سما ينظرون قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الى ما اعد لهم من الكرامات
وقال مقاتل الى اهل النار وقيل ينظر بعضهم الى بعض وقرا الجمهور تعرف بتاء الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او للناظر نضرة النعيم نصبا وقرا ابو جعفر وابن ابي اسحاق وطلحة وشيبة
ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول نضرة رفعا وزيد بن علي كذلك الا انه قرا يعرف
بالياء اذ تانيث نضرة مجازي والنضرة تقدم شرحها في قوله نضرة وسرورا ۝ مختوم الظاهر
ان الرحيق ختم عليه تهمما وتنظفا بالرائحة المسكية كما فسره ما بعده وقيل تختم اوانيه من الاكواب
والاباريق بمسك مكان الطينة وقرا الجمهور ختامه اي خلطه ومزاجه قاله عبد الله وعلقمة
وقال ابن عباس وابن جبير والحسن معناه خاتمته الشراب رائحة المسك وقال ابو علي ابا بزاره

المقطع

المقطع وذكا الواجد منه طيب الطعم وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وفي الصحاح الختام الطين
الذي يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد ختم اناؤه بالمسك بدل الطين ۝ وقال الاعشى ۝
۝ كان مشعشعا من خمر بصرى ۝ نمته البخت مشدود الختام ۝ وقرا علي والنخعي والضحاك
وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة والكسائي خاتمه بعد الخا الف وفتح التا وهذه بينة المعنى لا
انه يراد بها الطبع على الرحيق وعن الضحاك وعيسى واحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي كسر
التا اي اخره مثل قوله وخاتم النبيين ومنه حرف ابي خاتمه رائحة المسك او خاتمه الذي يختم به
ويقطع من التسنيم قال عبد الله وابن عباس هو اشرف شراب الجنة وهو اسم مذكر لما عين في الجنة
وقال الزمخشري تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه وعينا
نصبا على المدح وقال الزجاج على الحال انتهى وقال الاخفش يسقون عينا يشرب بها اي يشربها
او منها وضمن يشرب معنى يروى بها اقوال المقربون قال ابن مسعود وابن عباس والحسن
وابو صالح يشربها المقربون قال ابن مسعود وابن عباس صرفا ويمزج للابرار ومذهب الجمهور
ان الابرار هم اصحاب اليمين وان المقربين هم السابقون وقال قوم الابرار والمقربون في هذه الاية
بمعنى واحد يقع لكل من نعم في الجنة وروي ان عليا وجمعا معه من المؤمنين مروا بجمع من كفار
مكة فضحكوا منهم واستخفوا بهم عبثا فنزلت ان الذين اجرموا قبل ان يصل علي رضي الله تعالى
عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار مكة هؤلاء قيل هم ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي
ابن وائل والمؤمنون عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين والظاهر
ان الضمير في مروا عائد على الذين اجرموا اذ في ذلك تناسق الضماير لواحد وقيل للمؤمنين
اي واذا مر المؤمنون بالكافرين يتغامز الكافرون اي يشيرون باعينهم وما كانوا يتلذذون
بذكرهم وبالضحك منهم وقرا الجمهور فاكهين بالالف اي اصحاب فاكهة ومزح وسرور باستخفافهم
باهل الايمان وابو رجا والحسن وعكرمة وابو جعفر وحفص بغير الف والضمير المرفوع في راوهم عائد
على المجرمين اي اذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وهم محقون بنسبتهم اليه وما ارسلوا على الكفار
حافظين وفي الاشارة للمؤمنين لم يرسلوا حافظين على الكفار وهذا على هذا القول منسوخ باية
السيف وقال الزمخشري وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكار لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم
الى الاسلام وجدهم في ذلك ولما تقدم ذكر يوم القيمة قيل فاليوم الذين امنوا واليوم منصوب
بيضحكون منهم في الاخرة وينظرون حال من الضمير في يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى
ما هم فيه من الهوان والعذاب بعد العزة والنعيم وقال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها الى
اهل النار وقيل ستر شفاف بينهم يرون منه حالهم هل ثوب اي هل جوزي يقال ثوبه
واثابه اذا جازاه ۝ ومنه قول الشاعر ۝
۝ سأجزيك او يجزيك عني مثوب ۝ وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي ۝ وهو استفهام
بمعنى التقرير للمؤمنين اي هل جوزوا بها وقيل هل ثوب متعلق بينظرون وينظرون معلق
بالجملة في موضع نصب بعد اسقاط حرف الجر الذي هو الى وقرا الجمهور هل ثوب باظهار لام هل
والنحويان وحمزة وابن محيصن بادغامها في الثا وفي قوله ما كانوا حذف تقديره جزاء وعقاب
ما كانوا يفعلون **المفردات** الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه
قال ابن مقبل ۝ وما الدهر الا تارتان فمنهما ۝ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ۝
وقال اخر ۝ ومضت بشاشة كل عيش صالح ۝ وبقيت اكدح للحياة وانصب ۝ حار رجع

قال الشاعر • وما المرء إلا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا إذ هو ساطع • والشفق الحمرة
بعد مغيب الشمس حين تأتي صلاة العشاء الآخرة قيل أصله من رقة الشيء يقال شيء شفق
أي لا يتماسك لرقته ومنه أشفق عليه رق قلبه والشفقة الاسم من الإشفاق وكذلك
الشفق • قال الشاعر • تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا • والموت أكرم نزال على الحرم •
ووسق ضم وجمع ومنه الوسق الأصواع المجموعة وهي ستون صاعا وطعام موسوق أي
مجموع وإبل مستوسقة • قال الشاعر •
إن لنا قلائصا حقائقا • مستوسقات لم يجدن سائقا • اتسق قال الفراء اتساق
القمر امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع يقال وسقته
فاتسق ويقال أمر فلان متسق أي مجتمع على الصلاح منتظم • طبقا عن طبق حالا بعد حال
والطبق ما طابق غيره وأطباق الثرى ما تطابق منه ومنه قيل للغطاء الطبق قال الأقرع
ابن حابس • إني امرؤ قد حلبت الدهر أشطره • وساقني طبق منه إلى طبق •
وقال امرؤ القيس • ديمة هطلاء فيها وطف • طبق الأرض تحرى وتدر •

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى إذا السماء انشقت •
وأذنت لربها وحقت • وإذا الأرض مدت • وألقت ما فيها وتخلت • وأذنت لربها وحقت •
يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه • فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا • وينقلب إلى أهله مسرورا • وأما من أوتي كتابه وراء ظهره
فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا • إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور •
بلى إن ربه كان به بصيرا • فلا أقسم بالشفق • والليل وما وسق • والقمر إذا اتسق • لتركبن
طبقا عن طبق • فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ القرآن لا يسجدون • بل الذين كفروا يكذبون • عليهم
والله أعلم بما يوعون • فبشرهم بعذاب أليم • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون •
هذه السورة مكية واتصالها بما قبلها ظاهر قال ابن عباس انشقت تنشق أي
تتصدع بالغمام وقاله الفراء والزجاج وقيل تنشق لهول يوم القيامة لقوله وانشقت
السماء فهي يومئذ واهية وقرأ الجمهور بسكون تاء انشقت وما بعدها وصلا ووقفا
وقرأ عبيد بن عقيل عن أبي عمرو بإشمام الكسر وقفا بعد ما لم تختلف في الوصل
إسكانا قال صاحب اللوامح وهذا من التغييرات التي تلحق الروي في القوافي وفي
هذا الإشمام بيان أن هذه التاء من علامة تأنيث الفعل للإناث وليست مما تنقلب
في الأسماء فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل لمن وقف على ما في الأسماء بالتاء وذلك لغة
طي وقد حمل في المصاحف بعض الطلات على ذلك انتهى وقال ابن خالويه إذا السماء انشقت
بكسر التاء عبيد عن أبي عمرو • وقال ابن عطية وقرأ أبو عمرو انشقت يقف على التاء
كأنه يشمها شيئا من الجر وكذلك في أخواتها قال أبو حاتم سمعت أعرابيا فصيحا في بلاد
قيس يكسر هذه التاءات وهي لغة انتهى وذلك أن الفواصل قد تجرى مجرى القوافي فكما
أن هذه التاء تكسر في القوافي تكسر في الفواصل ومثال كسرها في القوافي قول كثير عزة •
وما أنا بالداعي لعزة بالردى • ولا شامت إن نعل عزة زلت • وكذلك باقي القصيدة
وإجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا

في سورة

في سورة الأحزاب وحمل الوصل على حالة الوقف أيضا موجود في الفواصل • وأذنت
أي استمعت وسمعت أمره ونهيه وفي الحديث ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن •
وقال الشاعر • صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به • وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا •
وقال قعنب • إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا • وما هم أذنوا من صالح دفنوا •
وقال الجحاف بن حكيم • أذنت لكم لما سمعت هريركم • وأذنت لربها انقيادها لله تعالى
حين أراد انشقاقها فعل المطيع إذا ورد عليه أمر المطاع أنصت وانقاد كقوله تعالى
قالتا أتينا طائعين • وحقت قال ابن عباس وابن جبير ومجاهد وحق لها أن تسمع وقال
الضحاك أطاعت وحق لها أن تطيع وقال قتادة وحق لها أن تفعل ذلك وهو الفعل مبني
للمفعول والفاعل هو الله تعالى أي وحق الله تعالى عليها الاستماع ويقال فلان محقوق بكذا
وحقيق بكذا والمعنى أنه لم يكن في جرم السماء ما يمنع من تأثير القدرة في انشقاقه وتفريق
أجزائه وإعدامه قيل ويحتمل أن يريد وحق لها أن تنشق لشدة الهول وخوف
الله تعالى وقال الزمخشري وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر
الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك انتهى وفي قوله القادر الذات دسيسة
الاعتزال وما أولع هذا الرجل بمذهب الاعتزال يدس منه ما أمكنه في كل ما يتكلم به • وإذا
الأرض مدت قال مجاهد سويت وقال الضحاك بسطت باندكاك جبالها ومنه الحديث
تمد الأرض مد الأديم العكاظي حتى لا يكون لأحد من الناس إلا موضع قدميه وذلك أن الأديم إذا
مد زال ما فيه من تثن وانبسط فتصير الأرض إذ ذاك كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا أمتا • وألقت ما فيها وتخلت قال الجمهور ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت بن جبير
ممن على ظهرها من الأحياء وقيل تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها وقال
الزجاج ومن الكنوز وضعف هذا بأن ذلك يكون وقت خروج الدجال وإنما تلقي يوم
القيامة الموتى • وتخلت أي عن ما كان فيها لم تتمسك منهم بشيء وخلت تخلت أي تكلفت
أقصى جهدها في الخلو كما تقول تكرم الكريم بلغ جهده في الكرم أو تكلف وتكلف فوق ما في طبعه
ونسبة ذلك إلى الأرض من نسبة مجاز به والله تعالى هو الذي أخرج تلك الأشياء من باطنها
وجواب إذا محذوف فإما أن يقدر الذي صرح به في سورة التكوير والانفطار وما دل
عليه • إنك كادح أي لاقى كل إنسان كدحه • وقال الأخفش والمبرد وهو منقول إذا انشقت
السماء فأنت ملاقيه وقيل يا أيها الإنسان على حذف الفاء تقديره فيا أيها الإنسان
وقيل وأذنت على زيادة الواو وعن الأخفش إذا السماء مبتدأ خبره وإذا الأرض على
زيادة الواو والعامل فيهما على قول الأكثر بين الجواب وأما المحذوف الذي قدروه وأما الظاهر
الذي قيل إنه جواب قال ابن عطية وقال بعض النحويين العامل انشقت وأبى ذلك كثير من
أئمتهم لأن إذا مضافة إلى انشقت ومن يجيز ذلك يضعف عنده الإضافة ويقوي معنى
الجزاء انتهى وهذا القول نحن نختاره وقد استدللنا على صحته فيما كتبناه والتقدير
وقت انشقاق السماء وقت مد الأرض وقيل الجواب لها إذ هي قد نصبت باذكر نصب
المفعول به فليست شرطا • وأذنت لربها أي في إلقاء ما في بطنها وتخليها والإنسان يراد به
الجنس والتقسيم بعد ذلك يدل عليه وقال مقاتل المراد به الأسود بن عبد الأسد
ابن هلال المخزومي جادل أخاه أبا سلمة في أمر البعث فقال أبو سلمة والذي خلقك لتركبن الطبقة

ولنواقير العقبة فقال الاسود فما بين الارض والسما وما حال الناس انتهى وكان مقاتلا يريد
انها نزلت في الاسود ويحى نعم الجنس وقيل المراد ابي بن خلف كان يكدح في طلب الدنيا وايذا
الرسول صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر وانجو من ذهب الى انه الرسول صلى الله عليه وسلم
والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده واحتمال الضرر من الكفار فابشر
فانك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضايع عنده ﴿انك كادح﴾ اي جاهد في عملك من خير وشر
الى ربك اي طول حياتك الى لقا ربك وهو اجل موتك فملاقيه اي جزا كدحك من ثواب وعقاب
قال ابن عطية فالفا على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها والتقدير فانت ملاقيه ولا يتعين
ما قاله بل يصح ان يكون معطوفا على كادح عطف المفردات وقال الجمهور الضمير في فملاقيه
عايد على ربك اي فملاقي جزايه فاسم الفاعل معطوف على اسم الفاعل ﴿حسابا يسيرا﴾ قالت عايشة
رضي الله تعالى عنها يغفر ذنوبه ثم لا يحاسب بها وقال الحسن يجازى بالحسنة ويتجاوز عن
السيئة وفي الحديث من حوسب عذب فقالت عايشة الم يقل الله تعالى فسوف يحاسب
حسابا يسيرا فقال عليه السلام انما ذلك العرض واما من نوقش الحساب فيهلك ﴿وينقلب
الى اهله﴾ اي الى من اعد الله له في الجنة من نسا المومنات ومن الحور العين او الى عشيرته المومنين
فيخبرهم بخلاصه وسلامته او الى المومنين اذ هم كلهم اهل ايمان وقرا زيد بن علي ويقلب
مضارع قلب مبنيا للمفعول ﴿وراء ظهره﴾ روي ان شماله تدخل من صدره حتى تخرج من وراء ظهره
فياخذ كتابه بها قال ابن عطية واما من ينفذ عليه الوعيد من عصاتهم يعني عصاة المومنين
فانه يعطى كتابه عند خروجه من النار وقد جوز قوم ان يعطاه اولا قبل دخوله النار
وهذه الاية ترد على هذا القول لتنبي والظاهر من الاية ان الانسان انقسم الى هذين
ولم يتعرض للعصاة الذين يدخلهم الله النار ﴿يدعوا ثبورا﴾ يقول واثبوراه والثبور الهلاك وهو
جامع لانواع المكاره وقرا قتادة وابو جعفر وعيسى وطلحة والاعمش وعاصم وابو عمرو
وحمزة ويصلى بفتح اليا مبنيا للفاعل وباقي السبعة وعمر بن عبد العزيز وابو الشعثا والحسن
والاعرج بضم اليا وفتح الصاد واللام مشددة وابو الاشهب وخارجة عن نافع وابان
عن عاصم وعيسى ايضا والعتكي وجماعة عن ابي عمرو بضم اليا ساكن الصاد مخفف اللام بنى
للمفعول من المتعدي بالهمزة كاتبي ويصلى المشدد للمفعول من المتعدي بالتضعيف ﴿انه كان
في اهله مسرورا﴾ اي فرحا بطرا مترفا لا يعرف الله ولا يفكر في عاقبته لقوله تعالى ولا تفرح
ان الله لا يحب الفرحين بخلاف المومن فانه حزين مكتئب يتفكر في الاخرة ﴿انه ظن ان
لن يحور﴾ اي ان لن يرجع الى الله وهذا تكذيب بالبعث ﴿بلى﴾ ايجاب بعد النفي اي بلى ليحورن ﴿ان ربه
كان به بصيرا﴾ اي لا يخفى عليه فعاله فلا بد من حوره ومجازاته ﴿فلا اقسم بالشفق﴾ اقسم
تعالى بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق تقدم شرحه وقال ابو هريرة
وعمر بن عبد العزيز وابو حنيفة هو البياض الذي يتلو الحمرة وروى اسد بن عمرو ان ابا
حنيفة رجع عن قوله هذا الى قول الجمهور وقال مجاهد والضحاك وابن ابي نجيح الشفق هنا
كان لما عطف عليه الليل قال ذلك قال ابن عطية وهذا قول ضعيف انتهى وعن مجاهد هو
الشمس وعن عكرمة ما بقي من النهار ﴿وما وسق﴾ ما ضم من الحيوان وغيره اذ جميع ذلك ينضم
ويسكن في ظلمة الليل وقال ابن عباس وما وسق اي ما غطى عليه من الظلمة وقال مجاهد
وما ضم من خير وشر وقال ابن جبير وما ساق وحمل وقال ابن بحر وما عمل فيه ومنه قول

ربكم

قول الشاعر

قول الشاعر ﴿ حنوبا نار يا صالحين وتارة ﴿ تقوم بنا كالواسق المتلبب ﴿
وقال ابن الفضل لفظه كل احد الى ماواه سكن الخلق اليه ورجع كل الى ماواه فقوله لتسكنوا فيه وقرا
عمر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد والاسود وابن جبير ومسروق والشعبي وابو العالية
وابن وثاب وطلحة وعيسى والاخوان وابن كثير بتا الخطاب وفتح البا فقيل خطابا للرسول
صلى الله عليه وسلم اي حالا بعد حال من معالجة الكفار وقال ابن عباس سما بعد سما في الاسرا
وقيل عدة بالنصر اي لتركبن امر العرب قبيلا بعد قبيل وفتحا بعد فتح كما كان ووجد
بعد ذلك وقال الزمخشري وقرى لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان وقال
ابن مسعود المعنى لتركبن السما في اهوال القيمة حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر
وتنشق فالتا للتانيث وهو اخبار عن السما بما يحدث لها والضمير الفاعل عايد على السما
وقرا عمر وابن عباس ايضا باليا من اسفل وفتح البا على ذكر الغايب قال ابن عباس يعني نبيكم
صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير الغايب يعود على القمر لانه يتغير احواله من سرار واستهلال
وابدار وقال الزمخشري ليركبن الانسان وقرا عمر وابن عباس ايضا وابو جعفر والحسن
وابن جبير وقتادة والاعمش وباقي السبعة بتا الخطاب وضم البا اي لتركبن ايها الانسان
وقال الزمخشري ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس فالمعنى لتركبن الشدايد
الموت والبعث والحساب حالا بعد حال او يكون الاحوال من النطفة الى الهرم كما تقول طبقة
بعد طبقة قاله عكرمة وقيل وعن بمعنى بعد وقيل المعنى لتركبن هذه الاحوال
امة بعد امة ومنه قول العباس ابن عبد المطلب في رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ وانت لما ولدت اشرقت الارض ﴿ وضاقت بنورك الافق ﴿
﴿ تنقل من صالب الى رحم ﴿ اذا مضى عالم بدا طبق ﴿

وقال مكحول وابو عبيدة المعنى لتركبن سنن من قبلكم وقال ابن زيد المعنى لتركبن الاخرة بعد الاولى وقرا
عمر ايضا ليركبن باليا الغيبة وضم البا فبلا زاد به الكفار لا بيان توبيخهم بعد ما بين يركبون
حالا بعد اخرى من الملالة والهوان في الدنيا والاخرة وقرا ابن مسعود وابن عباس لتركبن
بكسر التاء وهي لغة تميم وقيل والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرى بالتا وكسر البا
على خطاب النفس وطبق الشي مطابقه لان كل حالة مطابقة للاخرى في الشدة ويكون ان تكون
اسم جنس واحده طبقة وهي المرتبة من قولهم هم على طبقات وعن طبق في موضع الصفة لقوله
طبقا او في موضع الحال من الضمير في لتركبن وعن مكحول كل عشرين تجدون امرا لم تكونوا
عليه ﴿فما لهم لا يومنون﴾ تعجب من انتفا ايمانهم وقد وضحت الدلايل ﴿لا يسجدون﴾ لا يخضعون
ولا يخشعون قاله قتادة وقال عكرمة لا يباشرون بجباههم المصلى وقال محمد بن كعب
لا يصلون وقرا الجمهور يكذبون مشددا والضحاك وابن ابي عبلة مخففا وفتح اليا بما
يوعون بما يجمعون من الكفر والتكذيب كانهم يجعلونه في اوعية وعيت العلم واوعيت المتاع
قال يحيى بن زيد وقال ابن عباس بما يضمرون من عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
والمومنون وقال مجاهد بما يكتمون من افعالهم وقرا ابو رجا بما يعون من وعى ﴿الا الذين
امنوا﴾ اي سبق لهم في علمه انهم يومنون ﴿غير ممنون﴾ غير مقطوع وقال ابن عباس ممنون معدود
عليهم محسوب منغص بالمن وتقدم الكلام على ذلك في فصلت والله الموفق المفردات
الاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بنا ومعنى الاحقوق والاخفوق ﴿ ومنه

وسنه ، فساحت فوائده ، في اخافيف جردان ،

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، قتل اصحاب الاخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ، ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ، ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز الكبير ، ان بطش ربك لشديد انه هو يبدي ويعيد ، وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد فعال لما يريد ، هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود ، بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قران مجيد ، في لوح محفوظ ، هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها لما ذكر انه تعالى اعلم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من المكر والخداع واذاية من اسلم بانواع من الاذى كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس واحماء الصخر ووضع اجساد من يريدون ان يفتتنوا عليه ذكر ان هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الامم يعذبون بالنار وان اولئك الذين عرضوا على النار كان لهم من الثبات في الايمان ما منعهم ان يرجعوا عن دينهم اي كرموا وان اولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون فكذا الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذب ، ذات البروج قال ابن عباس والجمهور هي المنازل التي عرفتها العرب وهي اثنا عشر على ما قسمته وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوما وقال عكرمة والحسن ومجاهد هي القصور وقال الحسن ومجاهد ايضا هي النجوم وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل هي ابواب السماء وقد تقدم ذكر البروج في سورة الحجر ، واليوم الموعود هو يوم القيامة اي الموعود به ، وشاهد ومشهود هذان منكران وينبغي حملهما على العموم لقوله علمت نفس ما احضرت وان كان اللفظ لا يقتضيه لكن المعنى يقتضيه اذ لا يقسم بنكرة ولا يدري من هي فاذا لوحظ فيها معنى العموم اندرج فيها المعرفة فحسن القسم وكذا ينبغي ان يحمل ما جاء من هذا النوع نكرة كقوله والطور وكتاب مسطور لانه اذا حمل وكتاب مسطور على العموم دخل فيه معينات الكتب الالهية كالتوراة والانجيل والقران فيحسن اذ ذاك القسم به ولما ذكر اليوم الموعود وهو يوم القيامة باتفاق وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ناسب ان يكون المقسم به من يشهد في ذلك اليوم ومن يشهد عليه ان ذلك من الشهادة وان كان من الحضور فالشاهد الخلائق الحاضرون للحساب والمشهود اليوم كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود كان موعودا به فصار مشهودا وقد اختلفت اقوال المفسرين في تعيينهما وعن ابن عباس الشاهد الله تعالى وعنه وعن الحسن بن علي وعكرمة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد وعكرمة وعطاء بن يسار ادم عليه السلام وذريته وعن ابن عباس ايضا والحسن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم الجمعة في كل قول منها المشهود يوم القيامة وعن علي وابن عباس وابي هريرة والحسن وابن المسيب وقتادة والشاهد يوم الجمعة وعن المسيب يوم التروية وعن علي ايضا يوم القيامة وعن النخعي يوم الاضحى والمشهود في هذه الاقوال يوم عرفة وعن ابن عمر يوم الجمعة والمشهود الناس وعن محمد بن كعب بن ادم والمشهود الله

تعالى وعن ابن جبير عكس هذا وعن ابي مالك عيسى والمشهود امته وعن علي يوم عرفة والمشهود يوم النحر وعن الترمذي الحكيم الحفظة والمشهود عليهم الناس وعن عبد العزيز ابن يحيى محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود عليه امته وعنه الانبياء والمشهود اممهم وعن ابن جبير ومقاتل الجوارح يوم القيامة والمشهود اصحابها وقيل هما يوم الاثنين ويوم الجمعة وقيل الملائكة المتعاقبون وقران الفجر وقيل النجم والليل والنهار وقيل الله والملائكة واولو العلم والمشهود به الوحدانية وان الدين عند الله الاسلام وقيل مخلوقاته تعالى والمشهود به وحدانيته وقيل هنا الحجر الاسود والحجيج وقيل الليالي والايام وبنو ادم وهي اقوال تسعة وعشرون لكل منها متمسك وللصوفية اقوال غير هذه والظاهر ما قلناه اولا وجواب القسم قيل محذوف فقيل لتبعثن ونحوه وقال الزمخشري يدل عليه قتل اصحاب الاخدود وقيل الجواب مذكور فقيل ان الذين فتنوا وقال المبرد ان بطش ربك لشديد وقيل قتل وهذا نختاره وحذفت اللام اي لقتل وحسن حذفها كما حذفت في قوله تعالى والشمس وضحاها ثم قال قد افلح من زكاها اي لقد افلح من زكاها ويكون الجواب دليلا على لعنة الله على من فعل ذلك وطرده من رحمة الله تعالى وتنبيها لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على انهم ملعونون بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين واذا كان قتل جوابا للقسم فهي جملة خبرية وقيل دعاء فيكون الجواب غيرها وقرا الحسن وابن مقسم بالتشديد والجمهور بالتخفيف وذكر المفسرون في اصحاب الاخدود اقوالا فوق العشرة ولكل قول منها قصة طويلة كسلنا عن كتابتها في كتابنا هذا ومضمنها ان ناسا من الكفار خدوا اخدودا في الارض وسجروه نارا وعرضوا المؤمنين عليها فمن رجع عن دينه تركوه ومن اصر على الايمان احرقوه واصحاب الاخدود هم المحرقون للمؤمنين وقال الربيع وابو العالية وابن اسحاق بعث الله على المؤمنين ريحا فقبضت ارواحهم او نحو هذا وخرجت النار فاحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الاخدود فعلى هذا يكون القتل حقيقة لا بمعنى اللعن ويكون خبرا عما فعله الله بالكفار والذين ارادوا ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم وقرؤوا النار ذات مخالف لقول الجمهور النار بالجر وهو بدل اشتمال او بدل كل من كل على تقدير محذوف اي اخدود النار وقرا قوم النار بالرفع فقيل على معنى قتلهم ويكون اصحاب النار الاخدود اذ ذاك المؤمنين وقيل حقيقته وقرا الحسن وابو رجاء وابو حيوة وعيسى الوقود بضم الواو وهو مصدر والجمهور بفتحها وهو ما يوقد به وقد حكى سيبويه انه بالفتح ايضا مصدر كالضم والظاهر ان الضمير في اذ هم عائد على الذين يحرقون المؤمنين وكذلك في وهم على قول الربيع يعود على الكافرين ويكون هم ايضا عائدا عليهم ويكون معنى على ما يفعلون ما يجري بينهم من فعلهم بالمؤمنين وقيل اصحاب الاخدود محرقين ، وتم الكلام عند قوله ذات الوقود ويكون المراد بقوله وهم قريش الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات واذ العامل فيه قتل اي لعنوا وقعدوا على النار ، او على ما يدنو منها من حافات الاخدود كما قال الاعشى ،

، تشب لمقرورين يصطليانها ، وبات على النار الندى والمحلق ، شهود دليشهد بعضهم لبعض عند الملك اي لم يفرط فيما امر به او شهود يوم القيامة او على ما فعلوا بالمؤمنين يوم تشهد عليهم جوارحهم باعمالهم وقرا الجمهور نقموا بفتح القاف وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة بكسرها اي ما عابوا من الكفار والايمان كقوله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وكقول قيس الرقيات

ما نقموا من بني امية الا ۞ انهم يحلمون ان غضبوا ۞ جعلوا ما هو في غاية الحسن قبيحا حتى نقموا عليه كما قال الشاعر ۞ ولا عيب فيها غير شكلة عينها ۞ كذاك عتاق الطير شكلا عيونها ۞ وفي المنتخب انما قال الا ان يؤمنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قال الا ان يدوموا على ايمانهم انتهى وذكر الاوصاف التي يستحق بها تعالى ان يؤمن به وهو كونه تعالى عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته له ملك السموات والارض وكل من فيهما يحق عليه عبادته والخضوع والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي ۞ والله على كل شي شهيد وعيد لهم اي انه علم ما فعلوا فهو يجازيهم ۞ والظاهر ان الذين فتنوا عام في كل من ابتلى المومنين والمومنات بتعذيب او اذى وان لهم عذابين عذابا لكفرهم وعذابا لفتنتهم وقال الزمخشري يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى تتسع كما يتسع الحريق او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم انتهى وينبغي ان لا يجوز هذا الذي جوزه لان في الاية ثم لم يتوبوا واولئك المحرقون لم ينقل لنا انه احد منهم تاب بل الظاهر انهم لم يقلعوا الا وهم قد وافوا على الكفر وقال ابن عطية ثم لم يتوبوا يقوي ان الايات في قريش لان هذا اللفظ في قريش احكم منه في الذين قد علموا انهم ماتوا على كفرهم واما قريش فكان فيهم وقت نزول الاية من تاب وامن انتهى وكذلك قوله ان الذين امنوا المراد به العموم لا المطروحون في النار ۞ والبطش الاخذ بقوة يبدي ويعيد قال ابن زيد والضحاك يبدي الخلق بالانشا ويعيد بالحشر وقال ابن عباس عام في جميع الاشيا اي كل ما يبدا وكل ما يعاد وقال الطبري يبدي العذاب ويعيده على الكفار ونحوه عن ابن عباس قال تاكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا وفي بيدا من بدا ثلاثيا حكاه ابو زيد ولما ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفورا ساترا لذنوب عباده ودودا لطيفا بهم محسنا اليهم وهاتان صفتا فعل والظاهر ان الودود مبالغة في الواد وعن ابن عباس المتودد الى عباده بالمغفرة وحكى المبرد عن القاضي اسماعيل بن اسحاق ان الودود هو الذي لا ولد له وانشد

۞ واركب في الروع عريانة ۞ ذلول الجماع لقاحا ودودا ۞ اي لا ولد لها تحن اليه وقيل الودود فعول بمعنى مفعول كركوب وحلوب اي يوده عباده الصالحون ۞ ذو العرش خص العرش باضافة نفسه تشريفا للعرش وتنبيها على انه اعظم المخلوقات وقرا الجمهور ذو بالواو وابن عامر في رواية ذي بالياء صفة لربك وقال القفال ذو العرش ذو الملك والسلطان ويجوز ان يراد بالعرش السرير العالي ويكون خالق سرير في سمائه في غاية العظمة بحيث لا يعرف عظمته الا هو ومن يطلعه عليها انتهى وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وابن وثاب والاعمش والمفضل عن عاصم والاخوان المجيد بخفض الدال صفة للعرش ومجادته عظمته وعلوه ومقداره وحسن صورته وتركيبه فانه قيل العرش احسن الاجسام صورة وتركيبا ومن قرا ذي العرش بالياء جاز ان يكون المجيد والودود ذو العرش صفتين للغفور وفعال خبر مبتدا واتى بصيغة فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة والمعنى كل ما تعلقت به ارادته فعله لا معترض عليه ۞ هل اتاك حديث الجنود تقرير لحال الكفرة اي قد اتاك حديثهم وما جرى لهم مع انبيائهم وما حل بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم فكذلك يحل بهؤلاء من العذاب مثل ما حل بهم والجنود الجموع المعدة للقتال ۞ فرعون وثمود بدل من الجنود وكانه على حذف مضاف اي جنود فرعون واختصر ما جرى لهم اذ هم مذكور في غير ما سورة من القران وذكر ثمود لشهرة قصتهم في بلاد العرب وهي متقدمة وذكر فرعون

بحوران

لشهرة قصته عند اهل الكتاب وعند العرب الجاهلية ايضا الا ترى الى زهير بن ابي سلمى وقوله

۞ الم تر ان الله اهلك تبعا ۞ واهلك لقمن بن عاد وعاديا ۞

۞ واهلك ذا القرنين من قبل ما ترى ۞ وفرعون جبارا طغى والنجاشيا ۞ وكان فرعون من المتاخرين في الهلاك فدل بقصته وقصة ثمود على امثالهما من قصص الامم المكذبين وهلاكهم ۞ بل الذين كفروا اي من قومك في تكذيب حسدا لك لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا انبياءهم ۞ والله من ورائهم محيط اي هو قادر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون وثمود ومن كان محاطا به فهو محصور في غاية ولا يستطيع دفعا والمعنى دنو هلاكهم ولما ذكر انهم في تكذيب وان التكذيب عمهم حتى صار كالوعا لهم وكان صلى الله عليه وسلم قد كذبوه وكذبوا ما جا به وهو القران اخبر تعالى عن الذي جا به وكذبوا فقال بل هو قران اي بل الذي كذبوا به قران مجيد ومجادته شرفه على سائر الكتب باعجازه في نظمه وصحة معانيه واخباره بالمغيبات وغير ذلك من محاسنه وقرا الجمهور قران مجيد موصوف وصفة وقرا ابن السميفع قران مجيد بالاضافة قال ابن خالويه سمعت ابن الانباري يقول معناه بل هو قران رب مجيد كما قال الشاعر ۞ ولكن رب غفور ۞ معناه ولكن الغنى غنى رب غفور انتهى ونقل هذا التخريج الزمخشري وقال ابن عطية وقرا اليماني قران مجيد على الاضافة وان يكون الله تعالى هو المجيد انتهى ويجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف لصفته فيكون مدلوله ومدلول التنوين ورفع مجيد واحدا وهو اولى لتوافق القراتين وقرا الجمهور في لوح بفتح اللام ۞ محفوظ بالخفض صفة للوح واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الاشيا وقرا ابن يعمر وابن السميفع بضم اللام قال ابن خالويه اللوح الهوا وقال الزمخشري يعني اللوح فوق السما السابعة الذي فيه اللوح المحفوظ من وصول الشياطين اليه انتهى وقرا الاعرج وزيد بن علي وابن محيصن ونافع بخلاف عنه محفوظ بالرفع صفة للقران كما قال تعالى وانا له لحافظون اي هو محفوظ في القلوب لا يلحقه خطا ولا تبديل المفردات طرق يطرق طروقا اي ليلا ۞ قال امرو القيس

۞ ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا ۞ واصله الضرب لان الطارق يطرق الباب ومنه المطرقة وهي المطرقة والنسج فيه فكل ما جا بليل يقال له طارق ويقال اطرق فلان امسك عن الكلام والطرف بعينيه نحو الارض دفق الما يدفقه دفقا صبه وشيء دافق على النسب ويقال دفق الله روحه اذا دعا عليه بالموت ۞ الترائب موضع القلادة من الصدر قال امرو القيس

۞ مهفهفة بيضاء غير مفاضة ۞ ترائبها مصقولة كالسجنجل ۞

جمعها لما حولها فقال ترائبها ۞ وقال الشاعر

۞ والزعفران على ترائبها ۞ شرقا به اللبات والنحر ۞ وقال ابو عبيدة

۞ وجمع تريبة تريب ۞ قال المثقب العبدي

۞ ومن ذهب يبين على تريب ۞ كلون العاج ليس بذي غضون ۞ الهزل ضد الجد ۞ وقال الكميت ۞ يجد بنا في كل يوم ونهزل ۞ امهلته الرجل انتظرته والمهل والمهلة السكينة ومهلته ايضا تمهيلا ومهل بن ادم انا اد واستمهلته انتظرته ويقال مهلا اي رفقا وسكونا رويدا مصدرا رود يرود مصغر تصغير الترخيم

رمي بها

واصله ارواد رويدا تصغير رود من قوله يمشي على رود اي على مهل ويستعمل مصدرا
نحو رويد عمرو بالاضافة اي امهال عمرو كقوله فضرب الرقاب ونعتا لمصدر نحو ساروا
سيرا رويدا وحالا نحو سار القوم رويدا ويكون اسم فعل وهذا كله موضح في علم النحو والله تعالى اعلم

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسما
والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه
لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض
ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل
الكافرين امهلهم رويدا هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقران
نبه هنا على ضعف الانسان ثم استطرد منه الى ان هذا القران قول فصل جد ليس فيه
ولا باطل ثم امر نبيه بامهال اولئك الكفرة المكذبين وهي موادعة منسوخة
باية السيف والسما هي المعروفة قاله الجمهور وقيل السما هنا المطر والطارق هو الاتي ليلا
اي يظهر بالليل وقيل لانه يطرق الجني اي يصكه من طرقت الباب اذا ضربته ليفتح لك
اتى بالطارق معنيا به وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب
اظهارا لفخامة ما اقسم به لما علم فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وتنبيها على ذلك
كما قال تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقال ابن عطية معنى الاية والسما
وجميع ما يطرق فيه من الامور والمخلوقات ثم ذكر بعد ذلك على جهة التنبيه اجل الطارقات
قدرا وهو النجم الثاقب وكانه قال وما ادراك ما الطارق حق الطارق انتهى فعلى هذا يكون
النجم الثاقب بعضا مما دل عليه والطارق اذ هو اسم جنس يراد به جميع الطوارق وعلى قول غيره
يراد به واحد مفسر بالنجم الثاقب والنجم الثاقب عن ابن عباس الجدي وعن ابن زيد زحل
وقال هو ايضا وعنه الثريا وهو الذي تطلق عليه العرب اسم النجم وقال علي نجم في السما
السابعة لا يسكنها غيره من النجوم امكنتها من السما هبط فكان معها ثم رجع الى مكانه من
[في الهامش: فاذا اخذت النجوم]
السما السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وقال الحسن هو اسم جنس لانها كلها
ثواقب اي ظاهرة الضوء وقيل المراد جنس النجوم التي يرمى بها ويرجم والثاقب قيل المضي
يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اذا اضا اي يثقب الظلام بضوئه وقيل المرتفع العالي ولذلك
قيل هو زحل لانه ارفعها مكانا وقال الفرا ثقب الطائر ارتفع وعلا وقرا الجمهور ان خفيفة
كل رفعا لما خفيفة وهي عند البصريين الداخلة مخففة من الثقيلة وكل مبتدا واللام هي
الداخلة للفرق بين ان النافية وان المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدا وعليها متعلق
به وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا وما زائدة وكل وحافظ مبتدا وخبر والترجيح
بين المذهبين مذكور في علم النحو وقرا الحسن والاعرج وقتادة وعاصم وابن عامر وحمزة
وابو عمرو ونافع بخلاف عنهما لما مشددة وهي بمعنى الا لغة مشهورة في هذيل وغيرهم
تقول العرب اقسمت عليك لما فعلت كذا اي الا فعلت قاله الاخفش فعلى هذه القراة يتعين ان
تكون نافية اي ما كل نفس الا عليها حافظ وحكى هارون انه قرى ان بالتشديد كلا بالنصب
فاللام هي الداخلة في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر ان وجواب القسم هو ما دخلت عليه ان

سوا

سوا كانت المخففة او المشددة او النافية لان كلا منها يتلقى به القسم فتلقيه بالمشددة مشهور
وبالمخففة تالله ان كدت لتردين وبالنافية ولئن زالتا ان امسكهما وقيل جواب القسم
انه على رجعه لقادر وما بينهما اعتراض والظاهر عموم كل نفس وقال ابن سيرين وقتادة
وغيرهما ان كل نفس مكلفة عليها حافظ يحصي اعمالها ويعدها للجزا عليها فيكون في الاية
وعيد وزاجر وما بعده كذا يدل عليه وقيل حفظة من الله يذبون عنها ولو وكل المرء الى
نفسه لاختطفته الغير والشياطين وقال الكلبي والفرا حافظ من الله يحفظها حتى يسلمها
حتى يسلمها الى المقادير وقيل الحافظ العقل يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره وقيل
حافظ مهيمن ورقيب عليه وهو الله تعالى ولما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبع ذلك
بوصية الانسان بالنظر في اول نشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزايه
فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام ومن متعلقة
بخلق والجملة في موضع نصب بفلينظر وهي معلقة وجواب الاستفهام ما بعده وهو خلق
من ماء دافق وهو مني الرجل والمراة لما امتزجا في الرحم واتحدا عبر عنهما بما وهو مفرد
ودافق قيل هو بمعنى مدفوق وهي قراة زيد بن علي وعند الخليل وسيبويه هو على النسب
كلابن وتامر اي ذو دفق وعن ابن عباس بمعنى دافق لزج وكانه اطلق عليه وصفه لانه
موضوع في اللغة لذلك والدفق الصب فعله متعد وقال ابن عطية والدفق دفع الما بعضه
ببعض تدفق الوادي والسيل اذا جا يركب بعضه بعضا ويصح ان يكون الما دافقا لان بعضه
يدفع بعضا فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى وركب قوله هذا على تدفق وتدفق لازم دفقته
فتدفق نحو كسرته فتكسر ودفق ليس في اللغة معناه ما فسر من قوله والدفق دفع الما
بعضه ببعض بل المحفوظ انه الصب وقراة الجمهور يخرج مبنيا للفاعل من بين الصلب بضم
الصاد وسكون اللام وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول وهما واهل مكة وعيسى بضم
الصاد واللام واليماني بفتحهما قال العجاج في صلب مثل العنان المودم وتقدمت
اللغات في الصلب في سورة النسا واعرابها صالب كما قال العباس تنقل من صالب الى رحم
قال قتادة والحسن معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمراة وترايبه وقال
سفين وقتادة ايضا من بين صلب الرجل وترايب المراة وتقدم شرح الترايب
في المفردات وقال ابن عباس موضع القلادة وعن ابن جبير هي اضلاع الرجل التي اسفل الصلب
وقيل ما بين المنكبين والصدر وقيل هي الغراقي وعن معمر هي عصارة القلب ومنه يكون الولد
ونقل مكي عن ابن عباس ان الترايب اطراف المرء رجلاه ويداه وعيناه قال ابن عطية
وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة انتهى انه الضمير يعود على الخالق الدال عليه خلق على رجعه
قال ابن عباس وقتادة الضمير في رجعه عايد على الانسان اي على رده حيا بعد موته اي
من النشا او كما قادر على بعثه يوم القيمة لا يعجزه شي وقال الضحاك على رده من الكبر الى الشباب
وقال عكرمة ومجاهد الضمير عايد على الما اي على رده في الاحليل او في الصلب وعلى هذا القول
وقول الضحاك يكون العامل في يوم تبلى مضمرا تقديره اذكر وعلى قول ابن عباس وهو الاظهر
فقال بعض النحاة العامل ناصر من قوله ولا ناصر وهذا فاسد لان ما بعد الفا لا يعمل فيما
قبلها وكذلك ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها على المشهور المنصور وقال اخرون ومنهم
الزمخشري العامل رجعه ورد بان فيه فصلا بين الموصول ومتعلقه وهو من تمام الصلة

والنجوم وقال الحذاق من النحاة العامل فيه مضمر يدل عليه المصدر تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر
قال ابن عطية وكل هذه الفرق فرت من ان يكون العامل لقادر لان ذلك يظهر منه تخصيص القدرة
في ذلك اليوم وحده واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز ان يكون العامل لقادر وذلك انه
قال انه على رجعه لقادر على الاطلاق اولا واخرا وفي كل وقت ثم ذكر تعالى وخصص من الاوقات الوقت
الاهم على الكفار لانه وقت الجزا والوصول الى العذاب ليجتمع الناس الى حذره والخوف منه انتهى تبلى
قيل تختبر وقيل تعرف وتتصفح ويميز صالحها من سيئها والسرائر ما اكتنته القلوب من العقايد
والنيات وما اخفته الجوارح من الاعمال والظاهر عموم السرائر وفي الحديث انها التوحيد والصلاة
والزكاة والغسل من الجنابة وكان المذكور في الحديث هو اعظم السرائر ٭ وسمع الحسن من ينشد
٭ سيبقى لها في مضمر القلب والحشى ٭ سريرة ود يوم تبلى السرائر ٭ فقال ما اغفله عما في السما
والطارق والبيت للاحوص ولما كان الامتناع في الدنيا ما بقوة في الانسان واما بناصر خارج عن نفسه
نفى عنه تعالى ما يمتنع به واتى بمن الدالة على العموم في نفي القوة والناصر والسما اقسم ثانيا بالسما
وهي المطلقة فقيل ويحتمل ان يكون السحاب ذات الرجع قال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر
وقال الحسن ترجع بالرزق كل عام وقال ابن زيد الرجع مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب
من حال الى حال ومن منزلة الى منزلة تذهب وترجع وقيل الرجع المطر ٭ ومنه قول الهذلي
٭ ابيض كالرجع رسوب اذا ٭ ما ثاخ في محتفل يختلي ٭ يصف سيفا شبهه بما
المطر في بياضه وصفائه وسمي رجعا كما سمي اوبا ٭ قال الشاعر
٭ ربا شماء لا ياوي لقلتها ٭ الا السحاب والا الاوب والسبل ٭ تسميته بمصدر
اب ورجع تزعم العرب ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض اذا اريد والتفول وسموه
رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل ان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا ٭ قالت الخنسا
٭ كالرجع في المدجنة السارية ٭ وقيل الرجع الملايكة سموا بذلك لرجوعهم باعمال العباد وقيل
السحاب والمشهور عند اهل اللغة وقول الجمهور ان الرجع هو المطر والصدع ما تتصدع عنه الارض من
النبات وربما سيب قولين قال الرجع المطر وقال ابن زيد ذات الانشقاق ايضا وقال ايضا ذات
الحرث وقال مجاهد الصدع ما في الارض من شقاق ولصاب وخندق وتشقق بحرث وغيره
وهي امور فيها معتبر وعنه ايضا ذات الطرق تصدعها المشاة وقيل ذات الاموات لتصدعها
عنهم يوم النشور والضمير في انه قال لواحد على القرآن فصل اي فاصل بين الحق والباطل كما قيل له
فرقان واول من يجري تعود الضمير في انه على الكلام الذي اخبر فيه ببعث الانسان يوم القيمة وابتلا
سرائره اي ان ذلك القول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه ويكون قد عاد على مذكور وهو الكلام الذي تضمن الضمير
الاخبار عن البعث وليس من الاخبار التي فيها هزل بل هو جد كله ٭ انهم اي الكافرون ٭ يكيدون اي
في ابطال امر الله واطفاء نور الحق ٭ واكيد اي اجازيهم على كيدهم فسمي الجزا كيدا على سبيل المقابلة
نحو قوله تعالى ومكروا ومكر الله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم
فقال امهلهم اي انتظر عقوبتهم ولا تستعجل ذلك ثم اكد امره فقال ٭ امهلهم رويدا اي امهالا لما
كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين على ان الاول مطلق وهذا الثاني مقيد بقوله رويدا وقرا
ابن عباس مهلهم بفتح الميم وشد الهاء موافقة للفظ الامر الاول المفردات الغثا بخفة
الثاء ومشددها ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش قال
الشاعر ٭ كأن طميات المجيمر غدوة ٭ من السيل والغثاء فلكة مغزل ٭ ورواه الفرا والاغثاء

بالجمع

الجمع وهو غريب من حيث جمع فعال على افعال ٭ الحوة سواد يضرب الى الخضرة ٭ قال ذو الرمة
٭ لميا في شفتيها حوة لعس ٭ وفي اللثات وفي انيابها شنب ٭ وقيل خضرة عليها
سواد والاحوى الظبي الذي في ظهره خطان من سواد وبياض ٭ قال الشاعر
٭ وفي الحي احوى ينفض المرد شادن ٭ مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد ٭ وفي الصحاح الحوة
سمرة وقال الاعلم لون يضرب الى السواد ٭ وقال ايضا الشديد الخضرة التي تضرب الى السواد

سورة الاعلى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق
فسوى ٭ والذي قدر فهدى ٭ والذي اخرج المرعى ٭ فجعله غثاء احوى ٭ سنقرئك فلا
تنسى ٭ الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ٭ ونيسرك لليسرى ٭ فذكر ان نفعت
الذكرى ٭ سيذكر من يخشى ٭ ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ٭ ثم لا يموت فيها ولا
يحيى ٭ قد افلح من تزكى ٭ وذكر اسم ربه فصلى ٭ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير
وابقى ٭ ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى هذه السورة مكية ولما ذكر فيما
قبلها فلينظر الانسان مم خلق كان قايلا قال من خلقه على هذا المثال فقيل سبح اسم ربك الاعلى
وايضا لما قال انه لقول فصل قيل هو سنقرئك بذلك القول سبح نزه عما لا يليق به اسم
ربك الظاهر ان التنزيه يقع على الاسم اي نزهه عن ان يسمى به صنم او وثن فيقال له رب واله واذا
كان امر بتنزيه هذا اللفظ ان يطلق على غيره فهو ابلغ وتنزيه الذات احرى وقيل الاسم
هنا المسمى وقيل معناه نزه اسم الله عن ان تذكره الا وانت خاشع وقال ابن عباس المعنى صل
باسم ربك الاعلى كما تقول ابدا باسم الله وحذف حرف الجر وقيل لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في
سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت قالوا الاعلى يصح ان يكون
صفة لربك وان يكون صفة لاسم فيكون منصوبا وهذا الوجه لا يصح على ان يعرب الذي خلق
صفة لربك فيكون في موضع جر لانه قد حال بينه وبين الموصوف صفة لغيره لو قلت
مررت بابن غلام هند العاقل الحسنة لم يجز بل لا بد ان تاتي بصفة هند ثم تاتي بصفة الغلام
فتقول رايت ابن غلام هند الحسنة العاقل فان لم يجعل الذي صفة لربك بل ترفعه على انه خبر مبتدا
محذوف او تنصبه على المدح جاز ان يكون الاعلى صفة لاسم ٭ الذي خلق اي كل شي ٭ فسوى اي
لم يات متفاوتا بل متناسبا على احكام واتقان دلالة على انه صادر عن عالم حكيم ٭ وقرا
الجمهور قدر بشد الدال فاحتمل ان يكون من القدر والقضا واحتمل ان يكون من التقدير والموازنة
بين الاشيا وقال الزمخشري قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به
انتهى وقرا الكسائي قدر مخففة الدال من القدرة او من التقدير والموازنة وهدى عام
لجميع الهدايات وقال الفرا ٭ فهدى واضل اكتفى بالواحد عن الآخر وقال الكلبي ومقاتل
هدى الحيوان الى وطء الذكور للاناث وقال مجاهد هدى الانسان للخير والشر والبهايم للمراتع
وقيل هدى المولود عند وضعه الى مص الثدي وهذه الاقوال محمولة على التمثيل لا على التخصيص
والظاهر ان احوى صفة لغثا قال ابن عباس المعنى فجعله غثا احوى اي اسود لان الغثا
اذا قدم واصابته الامطار اسود وتعفن فصار احوى وقيل احوى حال من المرعى اي اخرج
المرعى احوى اي للسواد من شدة خضرته ونضارته لكثرة ريه وحسن تاخير احوى لاجل الفواصل

قال وعنت من الوسمي حوٌّ تلاعه ۞ تبطنته بشيظم صلتان ۞ سنقرئك فلا تنسى قال
الحسن وقتادة ومالك هذا في معنى لا تحرك به لسانك وعد الله ان يقريه واخبره انه لا ينسى
وهذه آية للرسول صلى الله عليه وسلم في انه امي وحفظ الله عليه الوحي وامنه من نسيانه
وقيل هذا وعد باقراء السور وامره ان لا ينسى على معنى التثبيت والتاكيد وقد علم ان النسيان
في قدرته وهو نهي عن اغفال التعاهد واثبتت الالف في فلا تنسى وان كان نهيا وما لا الا الثنى
للنهي لتعديل رؤس الاي ۞ الا ما شا الله الظاهر انه استثنا مقصود قال الحسن وقتادة
وغيرهما مما قضى الله نسخه وان ترتفع تلاوته وحكمه وقال ابن عباس الا ما شا الله ان ينسيك
لتسن به على نحو قوله عليه الصلاة والسلام اني لانسى او انسى لاسن وقيل الا ما شا الله
ان يغلبك النسيان عليه ثم يذكرك به بعد كما قال عليه الصلاة والسلام حين سمع قراءة
عباد بن بشير لقد ذكرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا وقيل فلا تنسى اي فلا تترك
العمل به الا ما شا الله ان تتركه بنسخه اياه فهذا في نسخ العمل وقال الفرا وجماعة هذا استثنا و
واخذ الزمخشري هذا القول فقال وقال الا ما شا الله والغرض نفي النسيان راسا كما
يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شا الله ولا يقصد استثنا شي وهو
من استعمال القلة في معنى النفي انتهى وقال الفرا والزمخشري يجعل الاستثنا كلا استثنا
وهذا لا ينبغي ان يكون في كلام الله تعالى بل ولا في كلام فصيح وكذلك القول بان لا في فلا تنسى للنهي
والالف ثابتة لاجل الفاصلة وهذا قول ضعيف ومفهوم الاية في غاية الظهور وقد
تعسفوا في فهمها والمعنى انه تعالى اخبر انه سيقريه وانه لا ينسى الا ما شا الله فانه
ينساه اما النسخ واما ان يسن واما على ان يتذكر وهو صلى الله عليه وسلم معصوم
من النسيان فيما امر بتبليغه فان وقع نسيان فيكون على وجه من الوجوه
الثلاثة ومناسبة سنقريك لما قبله انه لما امر تعالى بالتسبيح وكان التسبيح لا يتم
الا بقراءة ما انزل عليه من القران وكان يتذكر في نفسه مخافة ان ينسى فازال عنه
ذلك وبشره تعالى بتقريه وانه لا ينسى استثنا ما شا ان ينسيه لمصلحة من تلك
الوجوه ۞ انه يعلم الجهر اي جهرك بالقران ۞ وما يخفى اي في نفسك من خوف التفلت
وقد كفاك ذلك بكونه تكفل باقرايك اياه واخبارك انك لا تنسى الا ما استثناه وتضمن
ذلك احاطة علمه بالاشيا ۞ ونيسرك معطوف على سنقريك وما وما بينهما من الجملة
المؤكدة اعتراض اي نوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني في حفظ الوحي وقيل
للشريعة الحنيفية السهلة وقيل نذهب بك الى الامور الحسنة في امر دنياك واخرتك
من النصر وعلو المنزلة والرفعة في الجنة ولما اخبره انه يقريه ويسره امره بالتذكير
اذ ثمرة الاقراء انتفاعه في ذاته وانتفاع من ارسل اليهم والظاهر ان الامر بالتذكير
مشروط بنفع الذكرى وهذا الشرط انما جي به توبيخا لقريش اي ان نفعت الذكرى
في هولاء الطغاة العتاة ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى فهو كما قال الشاعر
لقد اسمعت لو ناديت حيا ۞ ولكن لا حياة لمن تنادي ۞ كما تقول قل لفلان
واعد له ان سمعك فقوله ان سمعك انما هو توبيخ واعلام انه لن يسمع وقال الفرا والنحاس
والزهراوي والجرجاني معناه وان لم تنفع فاقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني
وقيل انه بمعنى اذ كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم اذ لم يخبر بكونهم الاعلون

الابعد

علم

الا بعد ايمانهم ۞ سيذكر من يخشى اي ينتفع بالذكرى من يخاف فان الخوف حامل للنظر في الذي
يُنجيه مما يخافه فاذا نظر فاداه النظر الى الحق وهولاء هم العلما والمومنون كل على
قدر ما وفقوا له ۞ ويتجنبها اي الذكرى الاشقى اي المبالغ في الشقاوة لان الكافر بالرسول صلى
الله عليه وسلم هو اشقى الكفار كما ان المومن به وبما جا به هو افضل ممن امن برسول قبله ثم
وصفه بما يوول اليه حاله في الاخرة وهو صلي النار ووصفها بالكبرى قال الحسن النار الكبرى
نار الاخرة والصغرى نار الدنيا وقال الفرا الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل في الاخرة
تتفاضل فيها اشياء كالدرك الاسفل ۞ ثم لا يموت فيها فيستريح ۞ ولا يحيى حياة هنيئة وجي بثم المقتضية
للتراخي ايذانا بتفاوت مراتب الشدة لان التردد بين الحياة والموت اشد وافظع من
الصلي بالنار ۞ قد افلح اي فاز وظفر بالبغية من تزكى من تطهر قال ابن عباس من الشرك
وقال لا اله الا الله وقال الحسن من كان عمله زاكيا وقال ابو الاحوص وقتادة وجماعة من
يعطي من ماله الزكاة ۞ وذكر اسم ربه اي وحده لم يقرنه بشي من الانداد ۞ فصلى اي اتى بالصلاة
المفروضة وما امكنه من النوافل والمعنى انه لما تذكر امن بالله ثم اخبر عنه تعالى انه افلح من
اتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة واحتج بقوله وذكر اسم ربه على وجوب تكبيرة الافتتاح
وعلى انها جائزة بكل اسم من اسمائه وانها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة على الذكر الذي
هو تكبيرة الافتتاح وهو احتجاج ضعيف وقال ابن عباس وذكر اسم ربه في معاده وموقفه
بين يدي ربه ۞ فصلى له وقرا الجمهور بل تؤثرون بتا الخطاب للكفار وقيل خطاب للبر
والفاجر يؤثرها البر فيقتني الثواب والفاجر لرغبته فيها وقرا عبد الله وابو رجا
والحسن والجحدري وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو عمرو والزعفراني وابن مقسم بيا الغيبة
ان هذا اي المختار باقلاح من تزكى وايثار الناس للدنيا قاله ابن زيد وابن جرير
ويرجح بقرب المشار اليه بهذا وقال ابن عباس وعكرمة والسدي الى معاني السورة وقال
الضحاك الى القران وقال قتادة الى قوله والاخرة خير وابقى لفي الصحف الاولى لم ينسخ افلاح
من تزكى والاخرة خير وابقى في شرع من الشرايع فهو في الاولى وفي اخر الشرايع وقرا
الجمهور الصحف بضم الحا كالحرف الثاني والاعمش وهارون وعصمة كلاهما عن ابي عمرو
بسكونها وفي كتاب اللوامح العقيلي عن ابي عمرو الصحف صحف باسكان الحا فيهما لغة
تميم وقرا الجمهور ابراهيم بالف وبيا والها مكسورة وابو رجا بحذفهما والها مفتوحة
مكسورة معا وابو موسى الاشعري وابن الزبير ابراهام بالف في كل القران ومالك
ابن دينار ابراهم بالف وفتح الها وبغير يا وعبد الرحمن ابن ابي بكرة ابراهم بكسر الها
وبغير يا في جميع القران قال ابن خالويه وقد جا ابراهم يعني بالف وضم الها وتقدم
في والنجم الكلام على صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام المفردات الضريع قال
ابو حنيفة والطفه صاحب النبات الضريع الشبرق وهو مرعى سوء لا تعقد السائمة عليه شحما
ولا لحما ۞ ومنه قول ابي عزارة الهذلي ۞
وحبسن في هزم الضريع فكلها ۞ حدبا دامية اليدين حرود ۞ وقال ابو ذويب
رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ۞ وصار ضريعا بان عنه النحايص ۞
وقال بعض اللغويين يبيس العرفج اذا تحطم وقال الزجاج هو نبت كالعوسج ۞ وقال
الخليل نبت اخضر منتن الريح يرمي به البحر النمارق الوسايد واحدها نمرقة بضم النون

والراء وكسرها وقال زهير كهولا وشبانا حسانا وجوههم . على سرر مصفوفة ونمارق . الزرابي البسط عراض فاخرة . وقال الفرا هي الطنافس المخملة واحدها زربية بكسر الزاي وبفتحها بسطت الارض بسطت وطيت .

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** هل اتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية تسقى من عين انية . ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع . وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية . في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة . واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السما كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر . ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم هذه مكية ولما ذكر فيما قبلها فذكر وذكر النار والاخرة قال هل اتاك حديث الغاشية والغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يوم القيمة قاله سفين والجمهور وقال ابن جبير ومحمد بن كعب النار قال تعالى وتغشى وجوههم النار وقال ومن فوقهم غواش فهي تغشى سكانها وهذا الاستفهام توقيف فايدته تحريك نفس السامع الى تلقي الخبر وقيل المعنى هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك وفي هذا تعديد النعمة وقيل هل بمعنى قد . وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت والتنوين عوض من الجملة ولم تتقدم جملة تصلح ان يكون التنوين عوضا منها لكن لما تقدم لفظ الغاشية وال موصولة باسم الفاعل فتنحل للتي غشيت اي للداهية التي غشيت فالتنوين عوض من هذه الجملة التي انحل لفظ الغاشية اليها والى الموصول الذي هو التي خاشعة ذليلة عاملة ناصبة قال ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة عاملة في النار ناصبة تعبة فيها لانها تكبرت عن العمل في الدنيا قيل وعملها في النار جر السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقائها دائبة في صعود نار وهبوطها في حدورها وقال ابن عباس ايضا وزيد بن اسلم وابن جبير عاملة في الدنيا ناصبة فيها لانها على غير هدى فلا ثمرة لها الا النصب وخاتمته النار والاية في القسيسين وعباد الاوثان وكل مجتهد في كفر وقال عكرمة والسدي عاملة ناصبة بالنصب على الذم والجمهور برفعهما وقرا تصلى بفتح التا وابو رجا وابن محيصن والابوان بضمها وخارجة بضم التا وفتح الصاد مشدد اللام وقد حكاها ابو عمرو بن العلا . حامية مسعرة انية قد انتهى حرها كقوله وبين حميم ان قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقال ابن زيد حاضرة لهم من قولهم انى الشي حضر والضريع قال ابن عباس شجر من نار وقال الحسن وجماعة الزقوم وقال ابن جبير حجارة من نار وقال ابن عباس ايضا وقتادة وعكرمة ومجاهد شبرق النار وقيل الشبرق وقيل رطب العرفج وتقدم ما قيل فيه في المفردات وقيل واد في جهنم والضريع ان كان الغسلين والزقوم فظاهر ولا تنافي في الحصر في الا من غسلين والا من ضريع وان كانا اغيارا مختلفة والجمع بان الزقوم لطايفة والغسلين لطايفة والضريع لطايفة وقال الزمخشري لا يسمن مرفوع المحل ومجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شي ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذا منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة

القوة والسمن في البدن انتهى فقوله مرفوع المحل اي مجرور ومن على وصف لطعام او ضريع اما جره على وصفا ضريع لانه متلبس بنفي عنه السمن والاغنا من الجوع واما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لان الطعام منفي والسمن منفي فلا يصح تركيبه اذ يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا من ضريع فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير ضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه ان له مالا ينتفع به من غير مال عمرو ولو قيل الجملة في موضع رفع صفة للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لانه في موضع على انه بدل من اسم ليس اي ليس لهم طعام الا كاين من ضريع اذ الاطعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح قال الزمخشري او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهايم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع واسمن فهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد انتهى فعلى هذا يكون الاستثنا منقطعا اذ لم يندرج الكاين من الضريع تحت لفظ طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي قوله ولا طعام الا من غسلين لان الطعام هو ما يتطعمه الانسان وهذا قدر مشترك بين المستلذ والمكروه وما لا يستلذ ولا يستنكر . وجوه يومئذ ناعمة صح الابتدا بها وفي قوله وجوه يومئذ خاشعة بالنكرة لوجود مسوغ ذلك وهو التفصيل ناعمة حسنة ومضارتها او متنعمة . لسعيها راضية اي لعملها في الدنيا بالطاعة راضية اذ كان ذلك العمل جزاؤه الجنة . في جنة عالية اي مكانا ومكانة وقرا الاعرج واهل مكة والمدينة ونافع وابن كثير وابو عمرو بخلاف عنهم لا يسمع مبنيا للمفعول . لاغية رفعا اي كلمة لاغية او جماعة لاغية او لغو فيكون مصدرا كالعاقبة ثلاثة اقوال الثالث لابي عبيدة وابن محيصن وعيسى وابن كثير وابو عمرو كذلك الا انهم قرؤا بالتا لمجاز التانيث والفضل والجحدري كذلك الا انه نصب لاغية بالنصب بمعنى لا يسمع فيها اي احد من قولك اسمعت زيدا والحسن وابو رجا وابو جعفر وقتادة وابن سيرين ونافع في رواية خارجة وابو عمرو بخلاف عنه وباقي السبعة لا تسمع بتا الخطاب عموما او للرسول عليه الصلاة والسلام او الفاعل الوجوه لاغية بالنصب فيها عين جارية عين اسم جنس اي عيونا وخصوصه ذكرت لتشريفها . فيها سرر مرفوعة من رفعة المنزلة او رفعة المكان ليرى ما حوله ربه من الملك والنعيم ومخبوة من رفعت لك هذا اي خبات . واكواب موضوعة اي باشربتها معدة لا تحتاج الى ملي او موضوعة بين ايديهم او موضوعة على حافات العيون . ونمارق مصفوفة اي وسايد صف بعضها الى جنب بعض للاستناد اليها والاتكا عليها . وزرابي مبثوثة متفرقة هنا وهنا في المجالس ولما ذكر تعالى امر القيامة وانقسام اهلها الى اشقيا وسعدا وعلم انه لا سبيل الى اثبات ذلك الا بواسطة الصانع الحكيم اتبع ذلك بذكر هذه الدلايل وذكر ما العرب مشاهدون وملابسون دايما فقال . افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وهي الجمال فان ما اجتمع فيها بعد ما تفرق من المنافع في غيرها من اكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى البلاد الشاسعة وعيشها باي نبات اكلته وصبرها على العطش حتى ان فيها ما يرد الماء لعشر وطواعيتها لمن يقودها ونهضتها وهي باركة بالاحمال الثقال وكثرة حنينها وتاثرها بالصوت الحسن على غلظ اكبادها وهي لا شي من الحيوان جمع هذه

الجمال غيرها وقد ابان تعالى امتنانه عليهم بقوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون الايات ولكونها افضل ما عند العرب جعلوها دية القتل ووهبوا المائة منها من يقصدهم ومن ارادوا اكرامه وذكرها الشعرا في مدح من وهبها كما قال

• اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية • وقال اخر • الواهب المائة الهجان برمتها

وناسب التنبيه بالنظر اليها والى ما حوت من عجايب الصفات ما ذكر معها من السماء والجبال والارض لانتظام هذه الاشيا في نظر العرب في اوديتهم وبواديهم وليدل على الاستدلال على اثبات الصانع وانه ليس مختصا بنوع دون نوع بل هو عام في كل موجود فانه كما قيل • وفي كل شي له اية تدل على انه واحد • وقال ابو العباس المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تشبهها بذلك اذ تاتي ارسالا كالابل وتزجى كما تزجى الابل وهي في هيئتها احيانا تشبه الابل والنعام • ومنه قوله •

• كأن السحاب دوين السما • نعام تعلق بالارجل •

وقال الزمخشري ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريقة التشبيه والمجاز انتهى وقرا الجمهور الابل بكسر البا وتخفيف اللام والاصمعي عن ابي عمرو باسكان البا وعلي وابن عباس بتشديد اللام ورويت عن ابي عمرو وابي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب عن قوم من اهل اللغة وقال الحسن خص الابل بالذكر لانها تاكل النوى والقت وتخرج اللبن فقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره والابل لا واحد له من لفظه وهو مونث ولذلك اذا صغر دخلته التا فقالوا ابيلة وقالوا في الجمع آبال وقد اشتقوا من لفظه فقالوا تأبل الرجل وتعجبوا من هذا الفعل على غير قياس فقالوا ما آبل زيدا وابل اسم جا على فعل ولم يحفظ سيبويه مما جا على هذا الوزن غيره وكيف خلقت جملة استفهامية في موضع البدل من الابل وينظرون تعدى الى الابل بواسطة الى والى كيف خلقت على سبيل التعليق وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على اصح الاقوال على ان العرب قد ادخلت الى على كيف فحكي انهم قالوا انظر الى كيف يصنع وكيف سوال عن حال والعامل فيها خلقت واذا علق الفعل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته وقد بينا ذلك في كتابنا المسمى بالتذكرة وفي غيره وقرا الجمهور خلقت رفعت نصبت سطحت بتا التانيث مبنيا للمفعول وعلي وابو حيوة وابن ابي عبلة بتا المتكلم مبنيا للفاعل والمفعول محذوف اي خلقتها رفعتها نصبتها رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد نصبت نصبا ثابتا لا تميل ولا تزول سطحت سطحا حتى صارت كالمهاد للمتقلب عليها وقرا الجمهور سطحت خفيفة الطا والحسن وهارون بتشديدها ولما حضهم على النظر امر رسوله صلى الله عليه وسلم بتذكيرهم فقال فذكر ولا يهمنك كونهم لا ينظرون • انما انت مذكر • كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ • لست عليهم بمسيطر اي بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقرا الجمهور بالصاد وكسر الطا وابن عامر في رواية ونظيف عن قنبل وزرعان عن حفص بالسين وحمزة في رواية باشمام الزاي وهارون بفتح الطا وهي لغة تميم وسيطر متعد عندهم ويدل عليه فعل ومسيطر ومبيقر وهما اسما فاعلين

من مسيطر

مسيطر ومبيقر فيمطر وجا مجيمر اسم واحد ومديبر ويمكن ان يكون اصلهما مدبر ومجمر فصغرا وقرا الجمهور الا حرف استثنا فقيل متصل اي فانت مسيطر عليه وقيل منفصل من تذكر فذكر الامر انقطع طمعه من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقيل منقطع وهي اية موادعة نسخت بالسيف وقرا ابن عباس وزيد بن علي وقتادة وزيد بن اسلم الا حرف تنبيه واستفتاح والعذاب الاكبر هو عذاب جهنم وقرا الجمهور ايابهم بتخفيف اليا مصدر اب يوب ايابا وابو جعفر وشيبة بتشديدها مصدر ايب فيعل من اب على وزن فيعال ومصدر الفوعل نحو حوقل على وزن فيعال ايضا كحيقال ومصدرا لفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار فاصله ايواب فقلبت الواو الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمع في هذا البنا والذي قبله واو ويا وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغم ولم يمنع الادغام من القلب لان الواو واليا ليستا عينين من الفعل بل اليا في فيعل والواو في فعول زايدتان وقال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون اصله اوابا مصدر اوب نحو كذب كذابا ثم قيل ايوابا فقلبت الواو الاولى يا لانكسار ما قبلها قال الزمخشري كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل بسيد يعني انه اجتمع يا وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا في الواو فاما كونه مصدر اوب فانه لا يجوز لانهم نصوا على ان الواو الاولى اذا كانت موضوعة على الادغام وجا ما قبلها مكسورا فلا تقلب الواو الاولى يا لاجل الكسرة ومثلوا باخروط اخرواطا مصدر اخروط ومثلوا ايضا بمصدر اوب نحو اوب اوابا فهذه وضعت على الادغام فحصنها من الابدال ولم تتاثر للكسرة واما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة فلم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم ان اصل هذه اليا واو وايضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون من ايب فيجي ايوابا سهلت الهمزة وكان اللازم في الادغام يردها اوابا لكنه استحسنت فيه اليا على غير قياس انتهى فقوله وكان اللازم في الادغام يردها اوابا ليس بصحيح بل اللازم اذا اعتبر الادغام ان يكون ايابا لانه قد اجتمعت يا وهي المبدلة من الهمزة بالتسهيل وواو وهي عين الكلمة واحداهما ساكنة فتقلب الواو يا وتدغم فيها اليا فيصير ايابا ولما كان من مذهب الزمخشري ان تقديم المعمول يفيد الحصر قال معناه ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه تعالى وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة والله تعالى اعلم

المفردات

الحجر العقل قال الفرا العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه حافظا لها كانه من حجرت على الرجل • ارم • امة قديمة وقيل اسم ابي عاد كلها وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح عليه السلام وقيل مدينة وعلى الثاني قبيلة قال زهير •

• واخرين ثوا ما ذي بن عدنهم • من آل سبح داوود وما ورثته ارم • وقال ابن الرقيات

• مجدا تليدا بناه اوله • ادرك عادا وقبله ارما • جاب خرق وقطع

تقول جبت البلاد اجوبها اذا قطعتها وجاوزتها • قال •

• ولا رايت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا جابت بها بلدا • السوط

آلة للضرب معروفة قال بعض اللغويين وهو مصدر من ساط يسوط اذا اختلط وقال الليث

ساطه اذا خلطه بالسوط . ومنه قول الشاعر
احارث انا لو تساط دماؤنا . تزايلن حتى لا يمس دم دما . وقال ابو زيد
يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة . السوط الجمع واللف قاله ابو عبيدة لممته ما على
الخوان اذا اكلته جميع ما عليه باسره . وقال الحطيئة
اذا كان لما يتبع الذم ربه . فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا . ومنه
لممت الشعث قال النابغة . ولست بمستبق اخا لا تلمه . على شعث اي الرجال المهذب
الجم الكثير

سورة والفجر

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع
والوتر والليل اذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر . الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الاوتاد
الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك
لبالمرصاد . فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن . واذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحضون على
طعام المسكين . وتاكلون التراث اكلا لما . وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض
دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى
له الذكرى . يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه
احد . يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي . هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال علي بن ابي طلحة مدنية ولما ذكر فيما
قبلها وجوه يومئذ خاشعة ووجوه يومئذ ناعمة اتبعه بذكر الطوائف المكذبين
المتجبرين الذين وجوههم خاشعة بقوله يا ايتها النفس المطمئنة وايضا لما قال الا من تولى وكفر
قال هنا ان ربك لبالمرصاد بتهديد لمن كفر وتولى وقرا ابو الدينار الاعرابي والفجر والوتر ويسر
بالتنوين في الثلاثة قال ابن خالويه هذا كما روي عن بعض العرب انه وقف على آخر القوافي
بالتنوين وان كان فعلا وان كان فيه الالف واللام . قال الشاعر
اقلي اللوم عاذل والعتابا . وقولي ان اصبت لقد اصابا . انتهى وهذا ذكره
النحويون في القوافي المطلقة اذا لم يترنم الشاعر وهو احد الوجهين اللذين للعرب اذا وقفوا
على الكلم في الكلام لا في الشعر ~~وهو احد الوجهين~~ وهذا الاعرابي اجرى الفواصل مجرى القوافي
وقرا الجمهور وليال عشر بالتنوين وابن عباس بالاضافة فضبطه بعضهم وليال
عشر بلام دون يا وبعضهم بليالي عشر بالياء ويريد وليالي ايام عشر ولما حذف الموصوف
المعدود وهو مذكر جاز في عدده حذف التاء من عشر والجمهور والوتر بفتح الواو وسكون
التاء وهي لغة قريش والاغر عن ابن عباس وابو رجا وابن وثاب وقتادة وطلحة والاعمش
والحسن بخلاف عنه والاخوان بكسر الواو وهي لغة تميم واللغتان في الفرد فاما في الذحل فالكسر
لا غير وحكى الاصمعي فيه اللغتين ويونس عن ابي عمرو بفتح الواو وكسر التاء والجمهور ويسر بحذف
الياء وصلا ووقفا وابن كثير باثباتها فيهما ونافع وابو عمرو بخلاف عنه بياء في الوصل وبحذفها
في الوقف والظاهر وقول الجمهور علي وابن عباس وابن الزبير ان الفجر هو المشهور اقسم به كما اقسم
بالصبح ويراد به الجنس لا فجر يوم مخصوص وقال ابن عباس ومجاهد من يوم النحر وعكرمة من

يوم

يوم الجمعة والضحاك من ذي الحجة ومقاتل من ليلة جمع وابن عباس وقتادة من اول يوم من المحرم
وعن ابن عباس ايضا الفجر النهار كله وعنه ايضا وعن زيد بن اسلم الفجر هو صلاة الصبح وقرانها
هو قران الفجر وقيل فجر العيون من الصخور وغيرها وقال ابن الزبير والكلبي وقتادة ومجاهد
والضحاك والسدي وعطية العوفي هي عشر ذي الحجة وابن عباس والضحاك العشر الاواخر من
رمضان وقال ابن جريج الاول منه ويمان وجماعة الاول من المحرم ومنه يوم عاشوراء ومسروق
ومجاهد وعشر موسى عليه السلام التي اتمها الله تعالى فيقبل والاظهر قول ابن عباس للحديث المتفق
على صحته قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر
شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله قال الترمذي اتفقوا على انه العشر الاواخر من رمضان لم
يخالف فيه احد فتعظيمه مناسب لتعظيم القسم وقال الزمخشري واراد بالليالي العشر
عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر
بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليالي
معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن
ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية انتهى اما السؤالان فظاهر
واما الجواب عنهما فغلظ ملفق لا يحصل منه معنى فيقبل او يرد والشفع والوتر ذكر في كتاب
التحرير والتحبير فيهما ستة وثلاثين قولا ضجرنا من قراءتها فضلا عن كتابتها في كتابنا
هذا وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الصلوات منها الشفع ومنها
الوتر وروى ابو ايوب عنه عليه السلام عنه صلى الله عليه وسلم الشفع يوم عرفة ويوم الاضحى
والوتر ليلة النحر وروى جابر عنه صلى الله عليه وسلم الفجر بالصبح والليالي العشر بعشر
النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين يوم عرفة
وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وذكر ابن عطية في الشفع والوتر اربعة عشر
قولا والزمخشري ثلاثة اقوال ثم قال وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون
اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه انتهى . والليل اذا يسر
قسم بجنس الليل ويسري يذهب وينقرض كقوله والليل اذ ادبر وقال الاخفش وابن قتيبة
يسرى فيه فيكون من باب ليل نائم وقال مجاهد وعكرمة والكلبي المراد ليلة جمع لانه
يسرى فيها وجواب القسم محذوف قال الزمخشري وهو ليعذبن يدل عليه قوله
الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري الجواب ان ربك
لبالمرصاد والذي يظهر ان الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية
وهو قوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وتقديره لايابهم الينا وحسابهم علينا
وقول مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب
القسم قول لم يصدر عن تامل لان المقسم عليه على تقدير ان يكون التركيب ان في ذلك قسما لذي حجر
لا يصح ان يكون مقسما عليه وهل في ذلك قسم لذي [illegible] عقل فيزدجر ويفكر في آيات الله
تعالى ثم وقف المخاطب على مصارع الامم الكافرة الماضية مقصودا بذلك توعد قريش ونصب
المثل لها وعاد هو عاد بن عوص واطلق ذلك على عقبه ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى
وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة وقال مجاهد وقتادة هي قبيلة بعينها

بعني و

الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة في الحديث تفسير عليه السلام الفجر

وقال ابن اسحاق ارم هو ابو عاد كلها وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه
الدهر باليمن وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية وقال ابن المسيب والمقبري هي دمشق
وقال مجاهد ايضا ارم معناه القديمة وقرا الجمهور بعاد مصروفا ارم بكسر الهمزة وفتح
الرا والميم ممنوع الصرف للتانيث والعلمية لانه اسم للقبيلة وعاد وان كان اسم القبيلة فقد
يلحظ فيه معنى الحي فينصرف او لا يلحظ فجاء على لغة من صرف هندا وارم عطف بيان او بدل
وقرا الحسن بعاد غير ممنوع الصرف مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم جدا او مدينة والضحاك
ارم بفتح الدال وما بعدها ممنوعي الصرف وقرا ابن الزبير بعاد بالاضافة ارم بفتح الهمزة
وكسر الرا وهي لغة في المدينة والضحاك بعاد مصروفا وبعاد غير مصروف ايضا ارم بفتح الهمزة
وسكون الرا تخفيفا ارم بكسر الرا وعن ابن عباس والضحاك ارم فعلا ماضيا اي بلي يقال
رم العظم وارم هو اي بلي وارمه غيره معدى بالهمزة من رم الثلاثي وذات نصب على هذه القراءة
متسوقا لنا وابن عباس ايضا فعلا ماضيا ذات بنصب التا على المفعول به وذات بالكسر
صفة لارم وسوا كانت اسم قبيلة ام مدينة وان كان يترجح كونها مدينة بقوله لم يخلق
مثلها في البلاد فاذا كانت قبيلة صح اضافة عاد اليها وفكها بدلا او عطف بيان وان
كانت مدينة فالاضافة اليها ظاهرة والفك فيها يكون على حذف مضاف اي بعاد اهل ارم ذات
العماد وقرب ارم ذات باضافة ارم الى ذات والارم العلم يعني بعاد اعلام ذات العماد ومن
قرا ارم فعلا ماضيا ذات بالنصب اي جعل الله ذات العماد رميما ويكون ارم بدلا من فعل ربك
وتبيينا لفعل واذا كانت ذات العماد صفة للقبيلة فقال ابن عباس هي كناية عن طول
ابدانهم ومنه قيل رفيع العماد شبهت قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان
اي طويل وقال عكرمة ومقاتل اعمدة بيوتهم كانوا يرحلون بها لانهم كانوا اهل عمود وقال
ابن زيد اعمدة بنيانهم واذا كانت صفة للمدينة فاعمدة الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور
العالية والابراج يقال لها عماد وحكي عن مجاهد ارم مصدر ارم يارم اذا اهلك والمعنى
كهلاك ذات العماد وهذا قول غريب كان معنى كيف فعل ربك بعاد كيف اهلك عادا
كهلاك ذات العماد وذكر المفسرون ان ذات العماد مدينة ابتناها شداد بن عاد
لما سمع بذكر الجنة على اوصاف بعيدة او مستحيلة عادة ان يبنى في الارض مثلها وان
الله تعالى بعث عليها وعلى اهله صيحة قبل ان يدخلها هلكوا اجمعين ويوقف على قصتهم
في كتاب التحبير ومنهم في الكشاف وقرا الجمهور لم يخلق مثلها رفع وابن الزبير مبنيا
للفاعل مثلها نصبا وعنه نخلق بالنون والضمير في مثلها عائد على المدينة التي هي ذات مبنيا للمفعول
العماد في البلاد اي في بلاد الدنيا او عائد على القبيلة اي في عظم اجسام وقوة وقرا
ابن وثاب وثمود بالتنوين والجمهور بمنع الصرف جابوا الصخر خرقوه ونحتوه فاتخذوا
في الحجارة منه بيوتا كما قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال
والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بالوادي وادي القرى
وقيل جابوا واديهم وجلبوا ماءهم في صخر شقوه فعل ذي القوة والامال ذي الاوتاد تقدم
الكلام عليه في سورة ص الذين صفة لعاد وثمود وفرعون او منصوب على الذم او مرفوع
على الذم على اضمارهم فصب عليهم سوط عذاب ايهم هنا واوضح في العاقبة الحاقة وفي غيرها
ويقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه واستعمل الصب لاقتضائه السرعة في النزول

على

على المضروب ويقال فصب عليهم محصرات كانها شآبيب ليس لبعضهن سحاب وافطر يرند المجرود
في فتنة الافك وقال بعض المتاخرين في صفة صف الخيل صببنا عليهم ظالمين سياطنا
فطارت بها ايد سراعا وارجل وخص السوط فاستعير للعذاب لانه يقتضي من التكرار والترداد
ما لا يقتضيه السيف ولا غيره وقال الزمخشري وذكر السوط اشارة الى ما احله بهم في الدنيا
من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به
والمرصاد والمرصد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده
العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون المرصاد في الاية اسم فاعل كانه
قال لبالراصد فعبر ببنا المبالغة انتهى ولو كان كما زعم لم تدخل الباء لانها ليست في مكان دخولها
لا زائدة ولا غير زائدة فاما الانسان ذكر تعالى ما كانت قريش تقوله وتستدل به على اكرام
الله تعالى واهانته لعبده فيكرون الكرم من عند الله الثروة والاولاد والمهانة ضده
ولما كان هذا غالبا عليهم تذكر والانسان اسم جنس ويوجد هذا غالبا عليهم في كثير وكره
من اهل الاسلام قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله
ان ربك لبالمرصاد كانه قال ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد للعاصين فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها
انتهى وفيه التصريح بمذهب الاعتزال في قوله لا يريد من الانسان الا الطاعة واذا العامل
فيه ونقول والنية فيه التاخير اي فيقول كذا وقت الابتلاء وهذه الفا لا تمنع ان يعمل ما بعدها
فيما قبلها وان كانت قد دخلت في خبر المبتدا لاجل اما التي فيها معنى الشرط ونعرامنا الثانية
مصر به وقع التوازن بين الجملتين تقديره اما اذا هو ما ابتلاه وفيقول خبر عن ذلك المبتدا
المضمر وابتلاه معناه اختبره ابشكر ام يكفر اذا بسط له وابصبر ام يجزع اذا ضيق
عليه لقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فاكرمه ونعمه بقوله فقدر عليه رزقه قدوم بقابل فاكرمه
ورزقه بالعظم فاهانه لانه ليس من ضيق عليه الرزق كان ذلك اهانة له الا ترى الى ناس
كثير من اهل الصلاح مضيقا عليهم الرزق كحال الامام ابي سليمان داود بن علي الاصبهاني
رضي الله تعالى عنه وغيره وذم الله تعالى العبد في حالتيه هاتين اما في قوله هذه فيقول
ربي اكرمن فلانه اخبار منه على انه يستحق الكرامة ويستوجبها واما قوله اهانني فلانه
سمى ترك التفضيل من الله تعالى اهانة وليس باهانة ويكون اذا تفضل عليه اقر
باحسان الله اليه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك تفضل الله اهانة الى الاعتراف بقوله
اكرمن وقرا ابن كثير اكرمني واهانني باليا فيهما ونافع باليا وصلا وحذفهما وقفا
وخير في الوجهين ابو عمرو وحذفها في السبعة فيهما وصلا ووقفا ومن حذفها
وقفا سكن النون فيه وقرا الجمهور فقدر بتخفيف الدال وابو جعفر وعيسى وخالد والحسن
بخلاف عنه وابن عامر بشدها قال الجمهور هما بمعنى واحد بمعنى ضيق والتضعيف فيه
للمبالغة لا للتعدي ولا يقتضي ذلك قول الانسان اهانني لان اعطا ما يكفيه لا اهانة فيه
كلا رد على قولهم ومعتقدهم اي ليس اكرام الله وتقدير الرزق ما ذكرتم بل الاكرام والعبد
بتيسيره لتقواه واهانته بتيسيره للمعصية ثم اخبرهم بما عليه من اعمالهم السيئة وقال
الزمخشري كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هنا شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم
بكثرة المال فلا يؤدون فيه ما يلزمهم من اكرام اليتيم بالنفقة والمبرة وحض اهله على طعام

المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به انتهى وفي الحديث أحياء اليتيم إلى
الله تعالى بيت فيه يتيم مكرم وقرأ الحسن ومجاهد وأبو رجاء وقتادة والجحدري
وأبو عمرو بل لا يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بياء الغيبة فيها وباقي السبعة
بتاء الخطاب فيهما وباقي السبعة بتاء الخطاب وأبو جعفر وشيبة والكوفيون وابن
مقسم تحاضون بفتح التاء والألف أصله تتحاضون وهي قراءة الأعمش أي يحض بعضكم
بعضا وعبد الله وعلقمة وزيد بن علي وعبد الله بن المبارك والشيزري عن الكسائي كذلك
إلا أنهم ضموا التاء أي تحاضون أنفسكم أي يحض بعضكم بعضا وتفاعل وفاعل يأتي بمعنى فعل أيضا
وطعام يجوز أن يكون بمعنى الإطعام كالعطاء بمعنى الإعطاء والأولى أن يكون على حذف مضاف
أي على بذل طعام ٭ ويأكلون التراث كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد فيأكلون
نصيبهم ويقولون لا يأخذ الميراث إلا من يقاتل ويحمي الحوزة والتراث تاؤه بدل من
واو كالتخمة والتكأة من توكلت ووخمت وقيل كانوا يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة
وهم عالمون بذلك فيجمعون بين الحلال والحرام ويسرفون في إنفاق ما ورثوه لأنهم ما
تعبوا في تحصيله كما شاهدنا الوارثين البطالين كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى
بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه في دار الدنيا دكا دكا حال كقولهم بابا بابا أي مكررا
عليها الدك ٭ وجاء ربك قال القاضي منذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وليس
بمجيء نقلة وكذلك مجيء الطامة والصاخة وقيل وجاء قدرته وسلطانه وقال الزمخشري
هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال
الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور
عساكره كلها ووزرائه وخواصه انتهى والملك اسم جنس يشمل الملائكة وروي أن ملائكة
كل سماء تكون صفا حول الأرض في يوم القيامة قال الزمخشري صفا صفا تنزل ملائكة كل
سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس انتهى ٭ وجيء يومئذ بجهنم كقوله
تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى يومئذ بدل من إذا قال الزمخشري وعامل النصب فيهما يتذكر
انتهى ظاهر كلامه أن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه وهو قول قد نسب
إلى سيبويه والمشهور خلافه وهو أن البدل على نية تكرار العامل أي يتذكر ما فرط فيه وأنى
له الذكرى لأنه وقت لا ينفع فيه التذكر لو اتعظ في الدنيا لنفعه ذلك في الآخرة قال الجمهور وقال
الزمخشري وعنى أو وقت حياتي في الدنيا كما تقول جئته لطلوع الشمس ولتاريخ كذا وكذا وقال
قوم لحياتي في قبري يعني الذي كنت أكذب به قال الزمخشري وهذا أبين دليل على أن الاختيار
كان في أيديهم ومعلقا بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجورين عن الطاعات مجبرين على
المعاصي كمذهب أهل الأهواء وإلا فما معنى التحسر انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرأ الجمهور
لا يعذب ولا يوثق مبنيين للفاعل والضمير في عذابه ووثاقه عائد على الله تعالى أي لا يكل
عذابه ولا وثاقه إلى أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك أو هو من الشدة في حيز لم يعذب قط أحد في الدنيا
مثله والأول أوضح لقوله لا يعذب ولا يوثق ولا ينطلق على الماضي إلا بمجاز بعيد بل موضوعها إذا
دخلت على المضارع أن يكون مستقبلا ويجوز أن يكون الضمير فيهما عائدا على الكافر أي لا يعذب
أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقيل إلى الله أي لا يعذب أحد في الدنيا عذاب الله الكافر قيل
ويضعف هذا عمل لا يعذب في يومئذ وهو ظرف مستقبل وقرأ ابن سيرين وابن أبي إسحاق

وسوار

وسوار القاضي وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو بحرية وسلام والكسائي ويعقوب
وسهل وخارجة عن أبي عمرو بفتح الذال والثاء مبنيين للمفعول فيجوز أن يكون
الضمير فيهما مضافا للمفعول وهو الأظهر أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل
والأغلال مثل وثاقه أو لا يحمل أحد عذاب الإنسان لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى
وعذاب وضع موضع تعذيب وفي إعمال مثله هذا خلاف وهو أن يحملها وضع بغير المصدر
كالعطاء والثواب والعذاب والكلام فالبصريون لا يجيزونه وإن جاء منه شيء نادرا ولو على إضمار
فعل يدل عليه هذا اللفظ والكوفيون يجيزونه ويقيسونه وقرأ أبو جعفر وشيبة
ونافع بخلاف عنهم وثاقه بكسر الواو والجمهور بفتحها والمعذب هو الكافر على العموم وقيل هو
أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف وقيل المراد به إبليس وقام الدليل على أنه أشد من الناس
عذابا ويدفع هذا القول قوله يومئذ يتذكر الإنسان والضميرين كلها مسوقة له ولما
ذكر تعالى شيئا من أحوال من يعذب ذكر شيئا من أحوال المؤمن فقال يا أيتها النفس وهذا النداء
الظاهر أنه على لسان ملك وقرأ الجمهور يا أيتها بتاء التأنيث وقرأ زيد بن علي يا أيها بغير
تاء ولا أعلم أحدا ذكر أنها تذكر وإن كان المنادى مؤنثا إلا صاحب البديع وهذه القراءة شاهدة
بذلك ولذلك وجه من القياس وذلك أنه لم يثن ولم يجمع في نداء المثنى والمجموع فكذلك لم يؤنث
في نداء المؤنث المطمئنة الآمنة التي لا يلحقها خوف ولا حزن أو التي كانت مطمئنة إلى الحق
لم يخالطها شك قال ابن زيد يقال لها ذلك عند الموت وخروجها من جسد المؤمن في الدنيا
وقيل عند البعث وقيل عند دخول الجنة إلى ربك إلى موعد ربك وقيل الرب هنا الإنسان
دون النفس أي ادخلي في الأجساد والنفس اسم جنس وقيل هذا النداء هو الآن للمؤمنين لما ذكر
حال الكفار أي يا مؤمنون دوموا وجدوا حتى ترجعوا راضين مرضيين راضية وقيل مرضية
عند الله ٭ فادخلي في عبادي أي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم وقيل النفس
الروح والمعنى فادخلي في أجساد عبادي وقرأ الجمهور في عبادي جمعا وابن عباس وعكرمة
والضحاك ومجاهد وأبو جعفر وأبو صالح والكلبي وأبو شيخ الهنائي واليماني في عبدي
على الإفراد والأظهر أنه أريد به اسم الجنس فمدلوله ومدلول الجمع واحد وقيل هو على حذف
مضاف خاطب النفس مفردة فقال فادخلي في عبدي أي في جسد عبدي وتعدى فادخلي
أولا بفي وثانيا بغير في وذلك أنه إذا كان المدخول فيه غير ظرف حقيقي تعدت إليه بفي دخلت
في الأمر ودخلت في غمار الناس ومنه فادخلي في عبادي وإذا كان المدخول فيه ظرفا
حقيقيا تعدت إليه في الغالب بغير وساطة في قيل في عثمان بن عفان وقيل في حمزة وقيل
في خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنهم أجمعين المفردات الكبد المشقة والمشقة وأصله
من كبد الرجل كبدا فهو أكبد إذا وجعته كبده وانتفخت فاستعمل في كل تعب ومشقة ومنه المكابدة
وقال لبيد ٭ يا عين هلا بكيت أربد إذ ٭ قمنا وقام الخصوم في كبد وقال أبو الإصبع لي ابن عم
لو ان الناس في كبد ٭ لظل محتجرا بالنبل يرميني ٭ الشفة معروفة أصلها شفهة حذفت منها
الهاء ويدل عليه شفيهة وشفاه وشافهته وهي مما لا يجوز جمعه بالألف والتاء وإن كان مؤنثا النجد
الطريق العالي وجمعه نجود وبه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة والنجد الطريق العالي
قال امرؤ القيس ٭ فريقان منهم جازع بطن نخلة ٭ وآخر منهم قاطع نجد كبكب ٭ الفك تخليص الشيء
من الشيء قال الشاعر ٭ فيا رب مكروب كررت وراءه ٭ وعان فككت الغل عنه ففداني ٭

السغب الجوع العام وقد يقال سغب الرجل اذا جاع ، ترب الرجل اذا افتقر ولصق بالتراب
واترب اذا استغنى وصار ذا مال كالتراب وكذلك اترب ، اوصدت الباب واصدته
اذا اغلقته واطبقته ، قال الشاعر

تحن الى اجبال مكة ناقتي ، ومن دونها ابواب صنعا موصدة

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الانسان في كبد ، ايحسب ان لن يقدر
عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ، ايحسب ان لم يره احد ، الم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة
او اطعم في يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين امنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، اولئك اصحاب الميمنة ، والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة
عليهم نار موصدة ، هذه السورة مكية في قول الجمهور وقيل مدنية ولما ذكر تعالى
ابتلاءه للانسان بحالة التنعم وحالة التقدير وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما ال
اليه حاله وحال المؤمن نبه على نوع من ابتلائه ومن حاله الشي ومال اليه في الاخرة والاشارة
بهذا البلد الى مكة وانت حل جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به اي وانت مقيم به وهذا هو الظاهر
وقال ابن عباس وجماعة معناه وانت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وهذا
يوم فتح مكة وقال ابن عطية وهذا يتركب على قول من قال لا نافية اي ان هذا البلد لا يقسم
الله به وقد جاء اهله باعمال توجب الاحلال احلال حرمته وقال شرحبيل ابن سعد
يعني وانت حل بهذا البلد جعلوك حلالا مستحل الاذى والقتل والاخراج وهذا القول
بدأ به الزمخشري وقال وفيه تثبيت على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجب من حالهم
في عداوته او سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلوا
من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس
عنه فقال وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر ثم قال
الزمخشري بعد كلام طويل فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال
قلت قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام
والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة
المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة
بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى وحمله على ان الجملة
اعتراضية لا يتعين وقد ذكرنا اولا انها جملة حالية وبينا حسن موقعها وهي حال
مقارنة لا مقدرة ولا محكية فليست من الاخبار بالمستقبل واما سؤاله والجواب فهذا
لا يسأله من له ادنى تعلق بالنحو لان الاخبار قد تكون بالمستقبلات وان اسم الفاعل وما يجري
مجراه حالة اسناده او الوصف به لا يتعين حمله على الحال بل يكون للماضي [illegible] احرى
وللمستقبل احرى وهذا من مبادي علم النحو واما قوله وكفاك دليلا [illegible] فليس
بشي لانا لم نحمل وانت حل على انه يحل لك ما تصنع في مكة من الاسر والقتل [illegible] انما
بمكة قتنا وانما حملناه على انه مقيم بها خاصة وهو وقت النزول كان [illegible] صورة

وايضا

ابي حو

وايضا فما حكاه من الاتفاق على انها نزلت بمكة فليس بصحيح وقد حكى الخلاف فيها من قول
ابن عطية ولا يرد قوله وانت حل بهذا البلد على ما ذكروه من ان المعنى يستقبل اذ ذاك
ولا على انه يستحيل فيه اسيتبا بل الظاهر ما ذكرناه اولا من انه تعالى اقسم بها لما جمعت
من الشرف بين شرفها باضافتها الى الله تعالى وشرفها بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقامته فيها فصارت اهلا ان يقسم بها والظاهر ان قوله ووالد وما ولد لا يراد به معين
بل ينطلق على كل والد وقال ابن عباس ذلك قال هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان وقال
مجاهد ادم وجميع ولده وقيل والصالحين من ذريته وقيل نوح وذريته وقال
ابو عمران الجوني ابراهيم عليه السلام وجميع ولده وقيل والد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما ولد ابراهيم عليه السلام وقال الطبري والماوردي يحتمل ان يكون الوالد النبي صلى
الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد
ولقراءة عبد الله وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فاقسم تعالى به وبامته بعد ان اقسم
ببلده مبالغة في تشرفه عليه السلام وقال الزمخشري فان قلت ما المراد بوالد وما ولد
قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم
ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسماعيل وبمن ولده وبه فان قلت لم نكر قلت للابهام المستقل
بالمدح والتعجب فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت
اي باي شي وضعت يعني موضوعا عجيب الشان انتهى وقال الفرا وصلح ما للناس كقوله
ما طاب لكم وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى انتهى وقال ابن عباس وعكرمة
وابن جبير المراد بالوالد الذي يولد له وبما ولد العاقر الذي لا يولد له جعلوا ما نافية فتحتاج
الى تقدير موصول يصح به هذا المعنى كانه قال ووالد والذي ما ولد واضمار الموصول
لا يجوز عند البصريين ، لقد خلقنا الانسان في كبد هذه الجملة المقسم عليها والجمهور على
ان الانسان اسم جنس وفي كبد يكابد مشاق الدنيا والاخرة ومشاقه لا تكاد تنحصر
من اول قطع سرته الى ان يستقر اما في الجنة فتزول عنه المشقات واما في النار
فتتضاعف مشقاته وشدائده وقال ابن عباس وعبد الله بن شداد وابو صالح والضحاك
ومجاهد معناه منتصب القامة واقفا ولم يخلق منكبا على وجهه وهذا امتنان عليه وقال
ابن كيسان منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن له في الخروج قلب راسه الى قدمي
امه وعن ابن عمر يكابد الشكر على السرا ويكابد الصبر على الضرا وقال ابن زيد الانسان ادم
في كبد اي في السما سماها كبدا وهذه الاقوال ضعيفة والاول هو الظاهر والظاهر ان الضمير
في ايحسب عايد على الانسان اي هو لشدة شكيمته وعزته وقوته يحسب ان لا يقاومه
احد ولا يقدر عليه لاستعصائه وعدده يقول على سبيل الفخر اهلكت مالا لبدا
اي في المكارم وما يحصل به الثنا ايحسب ان اعماله تخفى وانه لا يراه احد ولا يطلع عليه
في انفاقه ومقصده ما ينبغيه مما ليس لوجه الله منه شي بل عليه حفظة لا يكتمون مما
يصدر عنه من عمل في حياته ويحصونه الى يوم الجزا وقيل الضمير في ايحسب لبعض
صناديد قريش وقيل هو ابو الاشد اسيد بن كلدة كان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم
عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد
ابن المغيرة وقيل الحارث بن عامر بن نوفل وكان اذا اذنب استفتى النبي صلى الله عليه وسلم

فيأمره بالكفارة فقال الفراهكذا ما الابدا في الكفارات والنفقات منذ بعث محمد صلى الله عليه
وسلم وقرأ الجمهور لبدا بضم اللام وفتح البا وابو جعفر بتشديد البا وحده وعن زيد بن علي لبدا
بسكون البا ومجاهد وابن ابي الزناد بضمهما ثم عدد تعالى على الانسان النعم فقال الم نجعل
له عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به عما في باطنه وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين
بهما على الاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين قال ابن عباس وابن مسعود
والجمهور طريق الخير والشر وقال ابن عباس ايضا وعلي وابن المسيب والضحاك الثديين لانهما
كالطريقين لحياة الولد ورزقه فلا اقتحم العقبة اي لم يشكر تلك النعم السابقة والعقبة
استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل وما
صعب منه وكان صعودا فانه يلحقه مشقة في سلوكها واقتحمها دخلها بسرعة وضغط
وشدة والقحمة الشدة والسنة الشديدة ويقال قحم في الامر قحوما رمى بنفسه فيه من
غير روية والظاهر ان لا للنفي وهو قول ابي عبيدة والفرا والزجاج كانه قال وهبنا له
الجوارح ودللناه على السبيل فما فعل خيرا اي فلم يقتحم قال الفرا والزجاج ذكر لا مرة واحدة والعرب
لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى يعيد كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وانما افردها لدلالة
اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين امنوا قائما مقام التكرير كانه قال
فلا اقتحم العقبة ولا امن وقيل هو جار مجرى الدعا كقوله لا نجا ولا سلم دعا عليه ان لا يفعل
خيرا وقيل هو تحضيض بالا ولا يعرف ان لا وحدها تكون للتحضيض وليس معها الهمزة وقيل
العقبة جهنم لا ينجي منها الا هذه الاعمال قاله الحسن وقال ابن عباس ومجاهد وكعب جبل
في جهنم وقال الزمخشري يعني لا متكررة في المعنى لان
معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة
بذلك انتهى ويدل له هذا الاعل قراءة من قرا فك فعلا ماضيا وقرا ابن كثير والنحويان فك
فعلا ماضيا رقبة بنصب او اطعم فعلا ماضيا وباقي السبعة فك مصدر مرفوع رقبة مجرور
واطعام مصدر منونا معطوف على فك وقرأ علي وابو رجا كقراءة ابن كثير الا انهما قرآ
ذا مسغبة بالالف وقرأ الحسن وابو رجا ايضا او اطعام في يوم ذا بالالف ونصب ذا على
المفعول اي انسانا ذا مسغبة ويتيما بدل منه او صفة وقرا بعض التابعين فك رقبة بالاضافة
او اطعم فعلا ماضيا ومن قرا فك بالرفع فهو تفسير لاقتحام العقبة والتقدير
وما ادراك ما اقتحام العقبة ومن قرا فعلا ماضيا فلا يحتاج الى تقدير مضاف بل يكون
التعظيم للعقبة نفسها ويجي فك بدلا من اقتحم قاله ابن عطية وفك الرقبة تخليصها من الاسر
والرق ذا مقربة لجمع صدقة وصلة واو هنا للتنويع ووصف يوم بذي مسغبة على
الاتساع ذا متربة قال ابن عباس المطروح على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت له وقال
ابن عباس هو الذي يخرج من بيته ثم يقلب وجهه اليه مستيقنا انه ليس فيه الا التراب ثم كان
من الذين امنوا هذا معطوف على قوله فلا اقتحم ودخلت ثم لتراخي الايمان والفضيلة لا للتراخي
في الزمان لانه لا بد ان يسبق تلك الاعمال الحسنة الايمان اذ هو شرط في صحة وقوعها من الطاعات وقيل
المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين وافوا الموت على الايمان اذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات
او يكون التراخي في الذكر كانه قيل ثم اذكر انه كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وصى بعضهم بعضا
بالصبر على الايمان والطاعات وعن المعاصي وتواصوا بالمرحمة اي بالتعاطف والتراحم او بما يودي

ابي

ابي رحمة الله والميمنة والمشأمة تقدم القول فيهما في الواقعة وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص
موصدة بالهمز هنا وفي الهمزة فيظهر انه من اصدت قبل ويجوز ان يكون من اوصدت
والهمز على حد من قرا بالسؤق مهموزا وقرا باقي السبعة بغير همز فيظهر انه من اوصدت
وقيل يجوز ان يكون من اصدت وسهل الهمز وقال الشاعر

قوم يعالج قملا ابناؤهم • وسلاسلا حلقا وبابا موصدا

المفردات

طحا ودحا بمعنى واحد اي بسط ووطا ويأتي طحا بمعنى ذهب قال علقمة طحا بك قلب في الحسان
طروب ويقال ما ادري اين طحا اي ذهب قاله ابو عمرو وفي ايمان العرب لا والقمر الطاحي
اي المشرق المرتفع ويقال طحا يطحو طحوا ويطحي طحيا التدسية الاخفا واصله دسس
فابدل من ثالث المضاعف حرف علة كما قالوا في تقضض تقضى قال الشاعر

وانت الذي دسست عمرا فاصبحت • حلائله منه ارامل ضيعا

وينشد ايضا

ودسست عمرا في التراب • دمدم عليه القبر طبقه وقال مؤرج الدمدمة
اهلاك باستئصال وقال في الصحاح دمدمت الشي الزقته بالارض وطحطحته والله اعلم

سورة والشمس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والشمس وضحاها •
والارض وما طحاها والقمر اذا تلاها • والنهار اذا جلاها • والليل اذا يغشاها •
والسما وبناها • والارض وما طحاها • ونفس وما سواها • فالهمها فجورها
وتقواها • قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها • كذبت ثمود بطغواها • اذ انبعث
اشقاها • فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها • فكذبوه فعقروها • فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم فسواها • ولا يخاف عقباها • هذه السورة مكية ولما تقدم القسم
ببعض المواضع الشريفة وما بعدها اقسم هنا بشي من العالم العلوي والعالم السفلي وبما
هو آلة التفكر في ذلك وهو النفس وكان اخر ما قبلها مختتما بشي من احوال الكفار في الاخرة
فاختتم هذه بشي من احوالهم في الدنيا وفي ذلك بما لهم في الاخرة الى النار وفي الدنيا الى الهلاك
المستاصل وتقدم الكلام في ضحى في سورة طه عند قوله وان يحشر الناس ضحى وقال
مجاهد هو ارتفاع الضوء وكماله وقال مقاتل حرها كقوله ولا تضحى وقال قتادة هو النهار
كله وهذا ليس بجيد لانه تقدم قسم بالنهار والمعروف في اللغة ان الضحى هو بعيد طلوع الشمس
قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد وفتح الضاد الى الزوال وقول مقاتل تفسير باللازم وما نقل
عن المبرد من ان الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس والالف مقلوبة من الحا الثانية وكذلك
الواو في ضحوة مقلوبة عن الحا الثانية لعله تحريف عليه لان المبرد اجل من ان يذهب الى هذا وقد
ان مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما من الاخرى • والقمر اذا تلاها قال الحسن والفرا تلاها
معناه تبعها دائبا في كل وقت لانه يستضي منها فهو يتلوها لذلك وقال ابن زيد يتلوها في الشهر
كله يتلوها في النصف الاول من الشهر بالطلوع وفي الاخر بالغروب وقال ابن سلام في النصف
الاول من الشهر وذلك لانه ياخذ موضعها ويسير خلفها اذا غابت يتبعها القمر طالعا وقال قتادة
انما ذلك ليلة البدر تغيب هي فيطلع هو وقال الزجاج وغيره تلاها معناه امتلا واستدار وكان
لها تابعا للمنزل من الضيا والقدر لانه ليس في الكواكب شي يتلو الشمس في هذا المعنى غير القمر
وقيل من اول الشهر الى نصفه في الغروب تغرب هي ثم يغرب هو وفي النصف الاخر يتحاوران وهو ان تغرب هي

فيطلع هو وقال الزمخشري تلاها طالعا عند غروبها اخذا من نورها وذلك في النصف الاول
من الشهر والنهار اذا جلاها الظاهر ان مفعول جلاها هو الضمير عايد على الشمس لانه عند انبساط
النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلا وقيل يعود على الظلمة وقيل على الارض وقيل على الدنيا
والذي يجلي الظلمة هو الشمس والنهار فانه وان لم تطلع الشمس لا تبقى الظلمة والفاعل بجلاها ضمير
النهار قيل ويحتمل ان يكون عايدا على الله تعالى كانه قال والنهار اذا جلاها الله الشمس فاقسم
بالنهار في اكمل حالاته والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس فيدخل وقت تغيب وتظلم الافاق
ونسبة ذلك الى الليل مجاز وقيل الضمير عايد على الارض والذي تقتضيه الفصاحة ان الضماير
كلها الى قوله يغشاها عايدة على الشمس وكما ان النهار جلاها كان الليل هو الذي يغشاها
ولما كانت الفواصل ترتبت على الف وها المونث اتى والنهار والليل اذا يغشاها بالمضارع لانه
الذي ترتب فيه ولو اتى بالماضي كالذي قبله وبعده كان يكون التركيب اذا غشيها فتفوت
الفاصلة وهي مقصودة وقال القفال ما ملخصه هذه الاقسام بالشمس في الحقيقة بحسب
اوصاف اربعة ضوءها عند ارتفاع النهار وفيها ينتشر الحيوان وطلب المعاش وتلو القمر
لها باخذه الضوء وتكامل طلوعها وبروزها وغيبوبتها بمجي الليل وما في قوله وما بناها
وما طحاها وما سواها بمعنى الذي قال الحسن ومجاهد وابو عبيدة واختاره الطبري قالوا لان ما
تقع على اولي العلم وغيرهم وقيل مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج وهذا قول من ذهب
الى ان ما لا تقع على احاد اولي العلم وقال الزمخشري جعلت مصدرية وليست بالوجه لقوله فالهمها
وما يودي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى
الوصفية كانه قيل والسما والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها
وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا انتهى اما قوله وليس بالوجه لقوله فالهمها يعني من عود
الضمير في فالهمها على الله تعالى فيكون قد عاد على مذكور وهو المراد بالذي ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها
مصدرية عاد الضمير على الله تعالى اي وبنايها هو الله تعالى كما اذا رايت زيدا قد ضرب عمروا فقلت
عجبت مما ضرب عمروا تقديره من ضرب عمرو وهو كان حسنا فصيحا جايزا وعود الضمير
على ما يفهم من سياق الكلام كثير وقوله وما يودي اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يودي جعلها
مصدرية الى ما ذكر وقوله وانما اوثرت الخ لا يراد بما ولا بمن الموصولتين معنى الوصفية لانهما لا يوصف
بهما بخلاف الذي فاشتراكهما في انهما لا يودي بان معنى الوصفية موجود فيهما فلا ينفرد به ما دون
من وقوله وفي كلامهم الخ تاوله اصحابنا على ان سبحان علم وما مصدرية ظرفية وقال الزمخشري
فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في
العطف على عاملين وفي قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما
اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل
اطراحا كليا وكان لها شان خلاف شان البا حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قايمة
مقام الفعل والبا سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوايب عن هذه فحقهن ان يكن عوامل
على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب
لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملها انتهى اما قوله في واوات العطف فتنصب بها وتجر فليس
هذا بالمختار اعني ان يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل
بل المختار ان العمل انما هو للعامل في المعطوف عليه ثم انه لا تناقض في ذلك وقوله فتقع في العطف على

عاملين

عاملين ليس ما في الاية من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف اسمين مجرور
ومنصوب على اسمين مجرور ومنصوب فحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك
امرر بزيد قايما وعمرو جالسا وقد انشد سيبويه في كتابه فليس بمعروف ان تزودها
صحا حاوي مستنكرات تقصوا فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على
عاملين فيه اربعة مذاهب وقد نسب الجواز الى سيبويه وقوله وفي نحو قولك مررت امس
بزيد واليوم عمرو وهذا المثال مخالف لما في الاية بل وزان ما في الاية مررت بزيد امس وعمرو
اليوم ونحن نجيز هذا واما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل كلام الخليل يدل على المنع قال
الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخيرتان
ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو
والاولى بمنزلة البا والتا انتهى واما قوله ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا
فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل قد اجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فتقول اقسم
او احلف والله لزيد قايم واما قوله والواوات العواطف نوايب عن هذه الخ فمبني على ان
حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا بالمختار والذي نقوله ان المعضل
هو تقدير العامل فاذا بعد الاقسام كقوله والنجم اذا هوى والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر
والقمر اذا تلاها والليل اذا يغشى وما اشبهها فاذا ظرف مستقبل لا جايز ان يكون العامل فيه
فعل القسم لانه فعل انشاي فهو في الحال ينافي ان يعمل في المستقبل ضرورة ان زمان المعمول
ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول
لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة ان زمان المعمول زمان العامل ولا جايز
ان يعمل فيه نفس المقسم به لانه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما ان كان جرما ولا جايز ان يقدر محذوف
قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال وتقديره والنجم كاينا
اذا هوى والليل كاينا اذا يغشى لانه يلزم كاينا ان يكون منصوبا بالعامل ولا يصح ان يكون
معمولا لشي مما فرضناه ان يكون عاملا وايضا فقد يكون المقسم به جثة وظروف الزمان
لا تكون احوالا عن الجثث كما لا تكون اخبارا ونفس وما سواها اسم جنس ويدل
على ذلك ما بعده من قوله فالهمها وما بعدها ولنسويتها الا لعقلها ونظرها ولذلك ارتبط
به فالهمها لان الفا تقتضي الترتيب على ما قبلها من التسوية التي هي لا تكون الا بالعقل وقال
الزمخشري فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة
من النفوس وهي نفس ادم كانه قال وواحدة من النفوس انتهى وهذا فيه بعد للاوصاف
المذكورة بعدها فلا تكون الا للجنس الا ترى الى قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
كيف تقتضي التغاير في المزكي وفي المدسي فالهمها قال ابن جبير الزمها وقال ابن عباس عرفها
وقال ابن زيد بين لها وقال الزجاج وفقها للتقوى والهمها فجورها اي خذلها ومبلغ فهمها
وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور واكتساب التقوى وقال الزمخشري ومعنى الهام
الفجور والتقوى افهامهما واعقالها وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار
ما شا منهما بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية
والتدسية ومتوليهما والتزكية الانما والتدسية النقص والاخفا بالفجور انتهى
وفيه دسيسة الاعتزال قد افلح من زكاها قال الزجاج وغيره هذا جواب القسم وحذفت اللام

ليطول الكلام وتقدير لقد افلح وقيل الجواب محذوف تقديره لتبعثن وقال الزمخشري تقديره
ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا
صالحا واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس
من جواب القسم في شيء انتهى وزكاها طهرها بالعمل الصالح ودساها اخفاها وحقرها بعمل المعاصي
والظاهر ان فاعل زكى ودسى ضمير يعود على من وقال الحسن وغيره ويجوز ان يكون ضمير الله تعالى قاله
ابن عباس وغيره كانه قال قد افلحت النفس التي زكاها الله تعالى وعاد الضمير مؤنثا باعتبار المعنى
من مراعاة التانيث وفي الحديث ما يشهد لهذا التاويل كان عليه السلام اذا قرا هذه الاية قال
اللهم ات نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها وقال الزمخشري واما قول من
زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تانيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية
الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها
اليه انتهى فجرى على عادته في سب اهل السنة هذا وقايل ذلك هو حبر العلم عبد الله بن عباس والرسول تعالى
صلى الله عليه وسلم يقول وزكها انت خير من زكاها وقال ثعلب دساها اي دس نفسه في اهل الخير بالرياء
وليس منهم وجن قال وتقواها اعقبه بقوله قد افلح من زكاها ولما قال قد خاب من دساها
اعقبه باهل الجنة ولما ذكر تعالى خيبة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم بطغواها
الباء عند الجمهور سببية اي كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها وقال ابن عباس الطغوى هنا
العذاب كذبوا به حتى نزل بهم لقوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وقرا الجمهور بطغواها
بفتح الطا وهو مصدر من الطغيان قلبت فيه الياء واوا فصلا بين الاسم وبين الصفة قالوا فيها
صريا وحريا وقالوا في الاسم تقوى وشروى وقرا الحسن ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة بضم
الطا وهو مصدر كالرجعى وكان قياسها الطغيا بالياء كالسقيا لكنهم شذوا فيه انتهى اذ انبعث
اي خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص والناصب له كذبت واشقاها قدار بن سالف وقد
يراد به الجماعة لان افعل التفضيل اذا اضيف الى مع فجاز افراده وان عني به جمع وقال
الزمخشري ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع
والمذكر والمونث وكان يجوز ان يقال اشقوها انتهى فاطلق الاضافة وكان ينبغي ان يقول الى معرفة
لان اضافته الى نكرة لا يجوز فيها الا ان يكون مفردا والحالة اذ ذاك ان يمن والظاهر ان الضمير
في لهم عائد على اقرب مذكور وهو اشقاها اذا اريد به الجماعة ويجوز ان يعود على ثمود رسول الله هو
صالح عليه السلام وقرا الجمهور ناقة الله بنصب التا وهو منصوب على التحذير مما يجب ضمانه
عاملة لانه قد عطف عليه فصار حكمه بالعطف حكم المكرر كقولك الاسد الاسد اي احذروا ناقة الله
وسقياها فلا تفعلوا ذلك وكذبوه فكذبوه الجمهور على انهم كانوا قرنين وروي انهم كانوا قد اسلموا قبل
ذلك ثم ابعوا صالحا مدة ثم كذبوا وعقروا واسند العقر للجماعة لكونهم راضين به ومتمالئين
عليه وقرا الجمهور فدمدم بميم بعد الدال وابن الزبير فدهدم بها بينهما اي اطبق عليهم
العذاب مكررا ذلك عليهم بذنبهم فيه تخويف من عاقبة العذاب فسواها قيل فسوى القبيلة
في الهلاك عاد عليها بالتانيث كما عاد في بطغواها وقيل سوى الدمدمة اي سواها بينهم فلم يفلت
منهم صغير ولا كبير وقرا ابي والاعرج ونافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء وباقي السبعة ولا بالواو
والضمير في يخاف الظاهر عوده على اقرب مذكور وهو ربهم اي لا درك عليه تعالى في فعله بهم لا يسئل عما ٢
يفعل قاله ابن عباس والحسن ونعقبه اثارهم وقيل يحتمل ان يعود على صالح اي لا يخاف

عقبى

عقبى هذه الفعلة بهم اذ كان قد انذرهم وحذرهم ومن قرا ولا يحتمل الضمير الوجهين وقال
السدي والضحاك ومقاتل والزجاج وابو على الواو واو الحال والضمير في يخاف عايد على اشقاها
اي انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه والعقبى خاتمة الشي وما يجي من الامور
بعقبه وهذا فيه بعد لطول الفصل بين الحال وصاحبها

سورة والليل

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله اذا تردى
ان علينا للهدى وان لنا للاخرة والاولى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى ولسوف يرضى هذه السورة مكية وقال علي بن ابي طلحة مدنية وقيل فيها
مدني ولما ذكر فيما قبلها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ذكر هنا من الاوصاف
ما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة ثم حذر النار وذكر من يصلاها ومن يتجنبها ومفعول
يغشى محذوف فاحتمل ان يكون النهار كقوله يغشي الليل النهار وان يكون الشمس كقوله والليل
اذا يغشاها وقيل الارض وجميع ما فيها بظلامه وتجلى انكشف وظهر اما بزوال ظلمة الليل
واما بنور الشمس فتنتشر بالليل الذي فيه كل حيوان يأوي الى ماواه وبالنهار الذي تنتشر فيه
وقال الشاعر يجلي السرى من وجهه عن صحيفة على السير مشراق كثير شحومها
وقرا الجمهور تجلى فعلا ماضيا فاعله ضمير النهار وقرا عبد الله بن عبيد بن عمير تتجلى بتاءين
يعني الشمس وقرئ تجلي بضم التا وسكون الجيم اي الشمس وما خلق ما مصدرية او بمعنى
الذي والظاهر عموم الذكر والانثى وقيل من بني ادم فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته
وقال ابن عباس والكلبي والحسن هما ادم وحوا والثابت في مصاحف الامصار والمتواتر وما
خلق الذكر والانثى وما ثبت في الحديث من قراءة والذكر والانثى نقلا احاد مخالف للسواد فلا يعد
قرانا وذكر ثعلب ان من السلف من قرا وما خلق الذكر بجر الذكر وذكرها الزمخشري عن الكسائي
وقد خرجوه على البدل من ما على تقدير والذي خلقه الله وقد يخرج على توهم المصدر اي وخلق
الذكر والانثى كما قال الشاعر تطوف العفاة بابوابه كما طاف بالبيعة الراهب بجر الراهب
على توهم النطق بالمصدر اي كطواف الراهب بالبيعة ان سعيكم اي مساعيكم لشتى لمتفرقة
مختلفة ثم فصل هذا السعي فاما من اعطى الاية روي انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
كان يعتق ضعفة عبيد الذين اسلموا وينفق على رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله وكان
رضي الله عنه وابي سفيان بن حرب وقال السدي نزلت في ابي الدحداح الانصاري بسبب ما كان
يعلق في المسجد صدقة وبسبب النخلة التي اشتراها من المنافق بحايط له وكان الرسول صلى
الله عليه وسلم ساوم المنافق في شرائها بنخلة في الجنة وذلك بسبب الايتام الذين كانت النخلة
تشرف على بيتهم فيسقط منها الشي فتاخذه الايتام فمنعهم المنافق فجاء ابو الدحداح وقال
يا رسول الله انا اشتري النخلة التي في الجنة بهذه وحذف مفعولي اعطى اذ المقصود الثنا على المعطي
دون تعرض للمعطى والعطية وظاهره بذل المال في واجب ومندوب ومكرمة واتقى قال
ابن عباس اتقى الله وقال مجاهد اتقى البخل وقال قتادة واتقى ما نهي عنه وصدق بالحسنى الحسنى
صفة تانيث الاحسن فقال ابن عباس وعكرمة وجماعة هي الخلف في الدنيا الوارد به وعد الله تعالى وقال

وقال مجاهد والحسن وجماعة الجنة وقال جماعة الثواب وقال السلمي وغيره لا اله الا الله فسنيسره
لليسرى اي نهيئه للحالة التي هي اليسر عليه واهون وذلك في الدنيا والاخرة وقابل اعطى ببخل
واتقى باستغنى لانه زهد فيما عند الله بقوله واستغنى والعسرى وهي الحالة السيئة في الدنيا
والاخرة وقال الزمخشري فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده
كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها
اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي نهديهما
في الاخرة للطريقين انتهى وفي اول كلامه دسيسة الاعتزال وجاء فسنيسره للعسرى على سبيل
المقابلة لقوله فسنيسره لليسرى والعسرى لا تيسير فيها وقد يراد بالتيسير التهيئة وذلك
يكون في اليسرى والعسرى ٭ وما يغني يجوز ان تكون ما نافية واستفهاما مبتدا اي واي شيء يغني
عنه ماله اذا تردى تفعل من الردى اي هلك قاله مجاهد وقال قتادة وابو صالح تردى في جهنم
اي سقط من حافاتها وقال قوم تردى باكفانه من الردى وقال مالك بن الذيب
٭ وخطا باطراف الاسنة مضجعي ٭ وردا على عيني فضل ردائيا ٭ وقال اخر
٭ نصيبك مما تجمع الدهر كله ٭ رداءان تلوى فيهما وحنوط ٭ ان علينا للهدى اي التعريف
بالسبيل ومنحهم الادراك كما قال تعالى وعلى الله قصد السبيل وقال الزمخشري ان الارشاد الى
الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع ٭ وان لنا للاخرة والاولى اي ثواب الدارين
لقوله تعالى واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقرا ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة وسفيان
ابن عيينة وعبيد بن عمير تتلظى بتاءين والبزي بتاء مشددة والجمهور بتاء واحدة وقال الزمخشري
الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما
المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقال الاتقى وجعل مختصا
بالنجاة وكان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر الصديق رضي الله عنه
يتزكى من الزكا اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة
انتهى ٭ وقرا الجمهور يتزكى مضارع تزكى وقرا الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم بادغام التاء في الزاي ويتزكى في موضع الحال فموضعه نصب واجاز الزمخشري
ان لا يكون له موضع من الاعراب لانه جعله بدلا من صلة الذي وهو يؤتي قال وهو اعراب متكلف
وما تجزى مبنيا للمفعول لكونه فاصلة وكان اصله نجزيه اياه او يجزيه اياه وقرا الجمهور الا ابتغاء
بنصب الهمزة وهو استثناء منقطع لانه ليس داخلا في من نعمة وقرا ابن وثاب بالرفع على البدل في موضع
نعمة لانه رفع وهي لغة تميم وانشد بالوجهين قول بشر بن ابي خازم
٭ اضحت خلاء قفارا لا انيس بها ٭ الا الجاذر والظلمان تختلف ٭ وقال الراجز في الرفع
٭ وبلدة ليس بها انيس ٭ الا اليعافير والا العيس ٭ وقرا ابن ابي عبلة الا ابتغا مقصورا
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ابتغاء وجه الله مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله
الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة انتهى وهذا اخذه من قول الفراء ونصب على تاويل ما اعطيتك ابتغاء
جزائك بل ابتغاء وجه الله ٭ ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضاه وقرا الجمهور يرضى بفتح اليا
وقرئ بضمها اي يرضى فعله يرضاه الله ويجازيه عليه المفردات سجى الليل دبر وقيل اقبل
ومنه ٭ يا حبذا القمراء والليل الساج ٭ وطرق مثل ملاء النساج ٭ وبحر ساج ساكن قال الاعشى
٭ وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم ٭ وبحرك ساج لا يواري الدعامصا ٭ وطرف ساج غير مضطرب

بالنظر

بالنظر وقال الفراء سجى الليل اظلم وركد ٭ وقال ابن الاعرابي سجى الليل اشتد ظلامه

سورة والضحى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك
ربك وما قلى ٭ وللاخرة خير لك من الاولى ٭ ولسوف يعطيك ربك فترضى ٭ الم يجدك
يتيما فاوى ٭ ووجدك ضالا فهدى ٭ ووجدك عائلا فاغنى ٭ فاما اليتيم فلا تقهر ٭ واما
السائل فلا تنهر ٭ واما بنعمة ربك فحدث ٭ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها
وسيجنبها الاتقى وكان سيد الاتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هنا نعمه عليه وقرا
الجمهور ما ودعك بتشديد الدال وعروة بن الزبير وابنه هشام وابو حيوة وابو بحرية
وابن ابي عبلة بخفها اي ما تركك واستغنت العرب في فصيح كلامها بترك عن ودع وودر
وعن اسم فاعلهما بتارك وعن اسم مفعولهما بمتروك وعن مصدرهما بالترك وقد سمع ودع وودر
قال ابو الاسود ٭ وثم ودعنا آل عمرو وعامر ٭ فرائس اطراف المثقفة السمر ٭ والتوديع
مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك وما قلى ما ابغضك والقلى
الشهير في مضارع قلى يقلي وطي تقول يقلى بفتح العين وحذف المفعول اختصارا في قلى
وفي فاوى وفي فهدى وفي فاغنى اذ يعلم انه ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس وغيره ابطا الوحي مرة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة حتى شق ذلك
عليه فقالت ام جميل امراة ابي لهب يا محمد ما ارى شيطانك الا تركك فنزلت وقال زيد بن اسلم
انما احتبس عنه جبريل عليه الصلاة والسلام لجرو كلب كان في بيته ٭ وللاخرة خير لك من
الاولى يريد الدارين قاله ابن اسحاق وغيره ويحتمل ان يريد حالتيه قبل نزول السورة
وبعدها وعده تعالى بالنصر والظفر قاله ابن عطية احتمالا وقال الزمخشري فان
قلت كيف اتصل قوله وللاخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع
والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة
اجل منه اخبره ان حاله في الاخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء
الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الجمهور ذلك في الاخرة وقال ابن عباس رضاه ان
لا يدخل احد من اهل بيته النار وقال ايضا رضاه انه وعد بالف قصر في الجنة بما يحتاج
اليه من النعم والخدم وقيل في الدنيا بفتح مكة وغيره والاولى ان هذا موعد شامل لما
اعطاه في الدنيا من الظفر ولما ادخر له من الثواب واللام في وللاخرة لام ابتداء وكدت
مضمون الجملة وكذا في ولسوف على اضمار مبتدا اي ولانت سوف يعطيك ولما وعده
هذا الموعود الجليل ذكره نعمه عليه في حال نشاته ٭ الم يجدك يتيما فاوى ٭ توفي ابوه
عليه السلام وهو جنين اتت عليه ستة اشهر وماتت امه عليها السلام وهو ابن ثمان
سنين فكفله عمه ابو طالب فاحسن تربيته وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه
وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق قال الزمخشري ومن بدع التفاسير
انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك انتهى وقرا
الجمهور فاوى رباعيا وابو الاشهب العقيلي فاوى ثلاثيا بمعنى رحم تقول اويت لفلان
رحمته ومنه قول الشاعر ٭ اراني ولا كفران لله انه ٭ لنفسي قد طالبت غير منيل

ووجدك ضالا لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى لان الانبيا معصومون من ذلك قال ابن عباس هو ضلاله وهو في صغره في شعاب مكة ثم رده الله الى جده عبد المطلب وقيل ضلاله من حليمة مرضعته وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب ولبعض المفسرين اقوال فيها بعض ما لا يجوز نسبته الى الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولقد رايت في النوم اني افكر في هذه الجملة فاقول على الفور ووجدك اي وجد رهطك ضالا فهداه بك ثم اقول على حذف مضاف نحو واسال القرية، وقرا الجمهور عايلا اي فقيرا فاغناه بما نزل في الكتاب وبعضه للفقير العايل، كثر لاختلاف اللفظ وقرا اليماني عيلا كسيد بتشديد اليا المكسورة ومنه قول احيحة بن الجلاح،

وما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل

قال افتقر واعال كثر عياله قال مقاتل فاغنى رضاك بما اعطاك من الرزق وقيل اغناك بالقناعة والصبر وقيل بالكفاف ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث وصى بثلاث كانها مقابلة لها، فلا تقهر قال مجاهد لا تحتقره وقال ابن سلام لا تستذله وقال سفيان لا تظلمه بتضييع ماله وقال الفرا لا تمنعه حقه والقهر هو التسلط بما يوذي وقرا الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود وابراهيم التيمي بالكاف بدل القاف وهي لغة بمعنى قراة الجمهور واما السايل ظاهره المستعطي، فلا تنهر اي تزجره ولكن اعطه او رده ردا جميلا وقال قتادة لا تغلظ عليه وهذه في مقابلة ووجدك عايلا فاغنى فالسايل كما قلنا المستعطي وقاله الفرا وجماعة وقال ابو الدردا والحسن وغيرهما السايل هنا السايل عن العلم والدين لا سايل المال فيكون بازا ووجدك ضالا فهدى، واما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد والكلبي معناه حدث بالقران وبلغ ما ارسلت به وقال محمد بن اسحاق هي النبوة وقال اخرون هي عموم في جميع النعم وقال الزمخشري التحديث بالنعم شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايوا والهداية والاغنا وما ذلك انتهى ويظهر انه لما تقدم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة امر بثلاثة فذكر اليتيم اولا وهي البداية ثم ذكر السايل ثانيا وهو العايل وكان اشرف ما امتن به عليه هي الهداية فترقى من هذين الى الاشرف وجعله مقطع السورة وانما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة لانه بعد اليتم هو زمان التكليف وهو عليه الصلاة والسلام معصوم من اقتراف ما لا يرضي الله عز وجل في القول والفعل والعقيدة فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليتم وحالة التكليف وفي الاخر ترقي الى الاشرف فهما مقصدان في الخطاب والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك، الذي انقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب، هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وشرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى اليه قاله الجمهور والاولى العموم لهذا ولغيره من مقاساة الدعا الى الله تعالى وحده واحتمال المكاره من اذاية الكفار وقال ابن عباس وجماعة اشارة الى شق جبريل صدره في وقت صغره ودخلت همزة الاستفهام على النفي فافاد التقرير على هذه النعمة وصار المعنى قد شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه الماضي وهو ووضعنا وهذا نظير قوله الم نربك فينا وليدا ولبثت وقرا الجمهور نشرح بجزم الحا لدخول الجازم وقرا ابو جعفر بفتحها وخرجه ابن عطية في كتابه

علي انه الم نشرحن فابدل من النون الفا ثم حذفها تخفيفا فيكون مثل ما انشد ابو زيد في نوادره من قول الراجز

من اي يومي من الموت افر ... ايوم لم يقدر ام يوم قدر

وقال الشاعر

اضرب عنك الهموم طارقها ... ضربك بالسيف قونس الفرس

وقال القراة مرد وله وقال الزمخشري وقد ذكرها عن ابي جعفر المنصور وقالوا لعله بين الحا واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها انتهى ولهذه القراة تخريج احسن من هذا كله وهو انه لغة لبعض العرب حكاها اللحياني في نوادره وهي الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس وانشد قول عايشة بنت الاعجم تمدح المختار بن ابي عبيد وهو القايم بثار الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما

قد كان سمك الهدى ينهد قايمه ... حتى ابيح له المختار فانعمدا

في كل ما هم امضى رايه قدما ... ولم يشاور في اقدامه احدا

بنصب يشاور وهذا محتمل للتخريج وهو احسن مما تقدم، ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول القايل رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه له وقال اهل اللغة انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وسمعت نقيض الرحل اي صريره قال العباس بن مرداس

وانقض ظهري ما تطويت منهم ... وكنت عليهم مشفقا متحننا

وقال جميل

وحتى تداعت بالنقيض حباله ... وهمت بواي زوره ان تحطما

والنقيض صوت الانقضاض والانفكاك، ورفعنا لك ذكرك هو ان قرنه بذكره تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القران وفي تسميته نبي الله ورسول الله وذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبيا واممهم ان يومنوا به وقال حسان

اغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي الى اسمه ... اذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وتعديد هذه النعم عليه صلى الله عليه وسلم يقتضي انه تعالى كما احسن اليك بهذه المراتب فانه يحسن اليك بظفرك على اعدايك وينصرك عليهم وكان الكفار ايضا يعيرون المومنين بالفقر فذكر هذه النعم وقوى رجاه بقوله، فان مع العسر يسرا اي مع الضيق فرجا ثم كرره لك مبالغة في حصول اليسر ولما كان العسر يعقبه اليسر من غير تطاول ازمان جعل كانه معه وفي ذلك تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بحصول اليسر عاجلا والظاهر ان التكرار للتوكيد كما قلنا وقيل تكرر اليسر باعتبار المحل فيسر في الدنيا ويسر في الاخرة وقيل مع كل عسر يسران من حيث ان العسر معرف بالعهد واليسر منكر فالاول غير الثاني وفي الحديث لن يغلب عسر يسرين وضم سين العسر واليسر فيهن ابن وثاب وابو جعفر وعيسى وسكنها الجمهور ولما عدد تعالى نعمه السابقة عليه صلى الله عليه وسلم ووعده بتيسير ما عسر امره بان يداب في العبادة اذا فرغ من مثلها ولا يفتر وقال ابن مسعود فاذا فرغت فرضك فانصب في التنفل عبادة لربك وقال ايضا فانصب في قيام الليل وقال مجاهد قال فاذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك وقال ابن عباس وقتادة فاذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعا وقال الحسن فاذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة وتعقب قوله هذا بان الجهاد فرض بالمدينة وقرا الجمهور فرغت بفتح الرا وابو السمال

بكسرها وهي لغة قال الزمخشري ليست بفصيحة وقرا الجمهور فانصب بسكون البا خفيفة ومنهم من يشددها مفتوحة من الانتصاب وقرا اخرون من الامامية فانصب بكسر الصاد بمعنى اذا فرغت من الرسالة فانصب خليفة قال ابن عطية وهي قراة شاذة ضعيفة المعنى لم يثبت عن عالم انتهى وقرا الجمهور فارغب من رغب ثلاثيا اي صرف وجه الرغبات اليه لا الي سواه وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغب امر من رغب بشد الغين التين هو التين المعروفة واسم جبل ويأتي اقوال المفسرين

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والتين والزيتون ٭ وطور سينين وهذا البلد الامين ٭ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ٭ ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات ٭ فلهم اجر غير ممنون ٭ فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين ٭ هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة مدنية ولما ذكر فيما قبلها من كمله الله خلقا وخلقا وفضله على سائر العالم ذكر هنا حالة من يعاديه وانه يرده اسفل سافلين في الدنيا والاخرة واقسم تعالى بما اقسم به انه خلقهم مهيا لقبول الحق ثم نقله كما اراد الى الحالة السافلة والحالات التين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم وفي الحديث مدح التين وانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والنخعي وعطا ابن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وقال كعب وعكرمة اقسم تعالى بمنابتهما فان التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا فاقسم بالارضين وقال قتادة هما جبلان بالشام على احدهما دمشق وعلى الاخر بيت المقدس انتهى وفي شعر النابغة ذكر التين وشرح بانه جبل مستطيل قال النابغة

٭ صهب الظلال اتين التين عن عرض ٭ يزجين غيما قليلا ماوه شبما ٭ وقيل هما مسجدان واضطربوا في مواضعهما اضطرابا كثيرا اضربنا عن ذكره صفحا ولم يختلف في طور سينا انه جبل بالشام وهو الذي كلم الله موسي عليه السلام عليه ومعني سينين ذو الشجر وقال عكرمة حسن مبارك وقرا الجمهور سينين وابن ابي اسحاق وعمرو بن ميمون وابو رجا بفتح السين وهي لغة بكر وتميم قال الزمخشري ونحو سيبون يبرون في جواز الاعراب بالواو والبا والاقرار على اليا تحريك النون بحركات الاعراب انتهى وقرا عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن سينا بكسر السين والمد عمر ايضا وزيد بن علي بفتحها والمد وهو لفظ سرياني اختلفت بها لغات العرب وقال الاخفش سينين شجر واحده سينينة وهذا البلد هو مكة وامين للمبالغة اي امن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان او من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين واما نته حفظه من دخله وما فيه من طير وحيوان او من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين كما يحفظ الامين ما يومن عليه ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوايل كما وصف بالامن في قوله حرما امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشيا ابانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكني الانبيا والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسي ومنشاه والطور المكان الذي نودي عليه موسي عليه السلام ومكة مكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين في احسن تقويم قال النخعي ومجاهد وقتادة حسن صورته وحواسه وقبل انتصاب قامته وقال ابو بكر بن طاهر عقله وادراكه زيناه بالتمييز وقال عكرمة

شبابه وقوته والاولى العموم في كل ما هو احسن والانسان هنا اسم جنس واحسن صفة لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم ٭ ثم رددناه اسفل سافلين قال عكرمة وقتادة والضحاك والنخعي بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبر حتى يصير لا يعلم شيا اما المومن فمرفوع عنه القلم والاستثنا على هذا منقطع وليس المعنى ان كل انسان يعتريه هذا بل في الجنس من يعتريه ذلك وقال الحسن ومجاهد وابو العالية وابن زيد وقتادة ايضا اسفل سافلين في النار على كفره ثم استثنى استثنا متصلا وقرا الجمهور سافلين منكرا وعبد الله السافلين معرفا بالالف واللام واخذ الزمخشري اقوال السلف وحسنها ببلاغته وانتقاء الفاظه فقال في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار واسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شي فيه فمشيه دلف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف انتهى وفيه تكثير وعلى ان ذلك الرد هو الى الهرم فالمعنى ولكن الصالحين من الهرمى لهم ثواب دايم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وفي الحديث اذا بلغ ما يدوم لم يعمل كتب له مثل ما كان يعمل في صحته ولم تكتب عليه سيئة وفيه ايضا ان المومن اذا رد لارذل العمر كتب له ما كان يعمل في قوته وذلك اجر غير ممنون ومنوع مقطوع او محسوب يمن به عليهم والخطاب في فما يكذبك بعد بالدين للانسان الكافر قاله الجمهور اي ما الذي يكذبك اي يجعلك مكذبا بالدين تجعل لله تعالى اندادا وتزعم ان لا بعث بعد هذه الدلايل وقال قتادة والاخفش والفرا قال الله لرسوله فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزا والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي يوجب النظر فيها صحة ما قلت ٭ اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار واخبار بعدله تعالى المفردات السفع قال المبرد الجذب بشدة وسفع بناصية فرسه جذب قال عمرو بن معديكرب ٭ قوم اذا كثر الصياح رايتهم ٭ من بين ملجم مهره او سافع ٭ وقال مورج معناه لاخذن لغة قريش النادي والندي المجلس ومنه قول الاعرابية ٭ سيد ناديه وثمال عافيه ٭ وقال زهير ٭ وفيهم مقامات حسان وجوههم ٭ واندية ينتابها القول والفعل ٭ الزبانية ملايكة العذاب فقيل جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وقيل واحدهم زبنية على وزن عفرية وعن ابو تمالة ابو عبيدة وقال الكسائي زبني وكانه نسبه الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم انسي له واصله زباني قال عيسي بن عمر والاخفش واحدهم زابن والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه ومنه قول الشاعر ٭ ومستعجب مما يرى من اناتنا ٭ ولو زبنته الحرب لم يترمرم ٭ وقال عتبة بن ابي سفيان ٭ وقد زبنتنا الحرب وزبناها ٭

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق ٭ اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ٭ علم الانسان ما لم يعلم ٭ كلا ان الانسان ليطغى ٭ ان راه استغنى ٭ ان الى ربك الرجعى ٭ ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ٭ ارايت ان كان على الهدى ٭ او امر بالتقوى ٭ ارايت ان كذب وتولى ٭ الم يعلم بان الله يرى ٭ كلا لين لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية ٭

كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية * كلا لا تطعه واسجد واقترب *
هذه السورة مكية وصدرها اول ما نزل من القرآن وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح
البخاري وغيره وقول جابر اول ما نزل المدثر وقول ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل اول ما نزل
الفاتحة لا يصح وقال الزمخشري عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين
على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم ولما ذكر فيما قبلها خلق الانسان في احسن تقويم ثم ذكر
ما عرض له بعد ذلك ذكر هنا منبها على شيء من اطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤول
اليه حاله في الآخرة * وقرأ الجمهور اقرأ بالهمزة ساكنة والاعشى عن ابي بكر عن عاصم بفتحها كأنه
على قول من يبدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول قرا يقرا كسعى يسعى فلما امر منه قيل اقر
بحذف الالف كما تقول اسع والظاهر تعلق الباء باقرأ وتكون للاستعانة ومفعول اقرأ
محذوف اي اقرأ ما يوحى اليك وقيل باسم ربك هو المفعول وهو المأمور بقراءته كما تقول
اقرأ الحمد لله وقيل المعنى اقرأ في اول كل سورة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وقال الاخفش
الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم الله وقيل المعنى اقرأ القرآن مبتدئا باسم ربك وقال
الزمخشري محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ ٢
انتهى وهذا قاله قتادة قال قتادة المعنى اقرأ ما انزل عليك من القرآن مفتتحا
باسم ربك وقال ابو عبيدة الباء صلة والمعنى اذكر ربك وقال ايضا الاسم صلة والمعنى
اقرأ بعون ربك وتوفيقه وجاء باسم ربك ولم يأت بلفظ الجلالة لما في لفظ الرب من معنى
من معنى الذي رباك ونظر في مصلحتك وجاء الخطاب ليدل على الاختصاص والتأنيس اي
ليس لك رب غيره ثم جاء بصفة الخالق وهو المنشئ للعالم لما كانت العرب تسمي الاصنام
اربابا اتى بالصفة التي لا يمكن شركة الاصنام فيها ولم يذكر متعلق الخلق اولا فالمعنى انه قصد
الى استبداده بالخلق فاقتصر وحذف اذ معناه خلق كل شيء ثم ذكر خلق الانسان وخصه
من بين المخلوقات لكونه هو المنزل اليه وهو اشرف قال الزمخشري اشرف ما على الارض وفيه
دسيسة ان الملك اشرف قال الزمخشري ~~اشرف~~ ما علي ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان
كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق تفخيما لخلق
القرآن الانسان ودلالة على عجيب فطرته انتهى والانسان هنا اسم جنس والعلق جمع
علقة فلذلك جاء من علق وانما ذكر من خلق من علق لانهم مقرون به ولم يذكر اصلهم آدم لانه
ليس متقررا عند الكفار فسبق الفرع وترك اصل الخلقة تقريبا لافهامهم ثم جاء الامر ثانيا
تأنيسا له كأنه قيل امض لما امرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو الاكرم الذي لا يلحقه
نقص والاكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم ينعم بالنعم التي لا تحصى
ويحلم على الجاني ويقبل التوبة ويتجاوز عن السيئة وليس وراء التكرم بافادة الفوائد
العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه
علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه
من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار
الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا والآخرة
ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا امر الخط والقلم لكفى به * ولبعضهم في الاقلام
* ورواقم رقش كمثل اراقم * قطف الخطا نيالة اقصى المدى * سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى *

انتهى

انتهى من كلام الزمخشري ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة
لله تعالى الاكرم والرشيد وفخر السعداء وسعيد السعداء والشيخ الرشيد فينالهم مخزية
على من يدعوهم بها يحشرون عقبى لها يوم عرض الاقوال والافعال ومفعولا علم محذوفان
اذ المقصود اسناد التعليم الى الله تعالى وقدر بعضهم الذي علم الخط بالقلم وهي قراءة تعزى
لابن الزبير وهي عندي على سبيل التفسير لا على انها قرآن لمخالفتها سواد المصحف والظاهر
ان المعلم كل من كتب بالقلم وقيل آدم لانه اول من كتب والانسان في قوله علم الانسان الظاهر
انه اسم الجنس عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها وقيل الرسول عليه الصلاة
والسلام * كلا ان الانسان ليطغى نزلت بعد مدة في ابي جهل ناصب رسول الله صلى الله
عليه وسلم العداوة ونهاه عن الصلاة في المسجد فروي انه قال لئن رأيت محمدا يسجد
عند الكعبة لأطأن على عنقه فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره
وتوعده فقال ابو جهل ايتوعدني محمد والله ما بالوادي اعظم ناديا مني ويروى انه قصد
ان يمنعه من الصلاة فكف عنه * كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه لطغيانه وان لم يتقدم
ذكر لدلالة الكلام عليه * ان الانسان ليطغى اي يجاوز الحد * ان رآه استغنى الفاعل
ضمير الانسان وضمير المفعول عائد عليه ايضا ورأى هنا من رؤية القلب يجوز ان يتحد
فيها الضميران متصلين فتقول رأيتني صديقك وفقد وعدم بخلاف غيرها فلا يجوز
زيد ضربه وهما ضميرا زيد وقرأ الجمهور ان رآه بالف بعد الهمزة وهي لام الفعل وقيل
بخلف عنه الالف وهي رواية ابن مجاهد عنه قال وهو غلط لا يجوز وينبغي ان لا يغلطه
بل يتطلب له وجها وقد حذفت الالف في نحو من هذا * قال وصاني العجاج فيما وصى
يريد وصاني فحذفت الالف وهي لام الفعل وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم اصاب
الناس جهد ولو تر اهل مكة وهو حذف لا ينقاس لكن اذا صحت الرواية به وجب
قبوله والقراآت جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها * ان الى ربك الرجعى اي الرجوع
مصدر على وزن فعلى الالف فيه للتأنيث وفيه وعيد للطاغي المستغني وتحقير
لما هو فيه حيث ما آله الى البعث والحساب والجزاء على طغيانه * أرأيت الذي ينهى عبدا
اذا صلى تقدم انه ابو جهل قال ابن عطية ولم يختلف احد من المفسرين ان الناهي
ابو جهل وان العبد المصلي هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وفي الكشاف
وقال الحسن هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة وقال التبريزي المراد بالصلاة
هنا صلاة الظهر قيل هي اول جماعة اقيمت في الاسلام كان معه ابو بكر وعلي وجماعة من
السابقين فمر به ابو طالب ومعه ابنه جعفر فقال له صل جناح ابن عمك وانصرف
مسرورا * وانشأ ابو طالب يقول

* ان عليا وجعفرا ثقتي * عند ملم الزمان والكرب *
* والله لا اخذل النبي ولا * يخذله من يكون من حسبي *
* لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * اخي لامي من بينهم وابي *

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والخطاب في ارأيت الظاهر انه للرسول وكذا ا
رأيت الثاني والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النظم وقيل ارأيت خطاب للكافر التفت
الى الكافر فقال ارأيت بلى ان كانت صلاته هدى ودعاء الى الله تعالى وامرا بالتقوى انتهاه

ومفعولا ع
وقال الضحاك ادريس

مع ذلك والضمير في انه كانه في ان كذب عايد على الناهي قال الزمخشري ومعناه اخبرني عن
من ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة
الله وكان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان
على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ٥ الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله
من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد انتهى وقال ابن عطية في الضمير في ان
كان على الهدى عايد على المصلي وقاله الفرا وغيره قال الفرا المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
وهو على الهدى وامر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر اي فما اعجب هذا الم يعلم ابو
جهل بان الله تعالى يراه ويعلم فعله فهذا تقرير وتوبيخ انتهى وقال من جعل الضمير
في ان كان عايدا على المصلي لما ضم الى فعل الصلاة الامر بالتقوى قال ان ابا جهل كان يشق عليه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم امران الصلاة والدعا الى الله وانه صلى الله عليه وسلم لا يوجد
الا في امرين صلاح لنفسه بفعل الصلاة واصلاح غيره بالامر بالتقوى وقال ابن عطية
الم يعلم بان الله يرى اكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاثة يصلح مع كل واحد
منها بجاء بها في نسق ثم جا بالوعيد الكافي بجميعها اختصارا واقتضابا ومع كل تقرير تكملة
مقدرة تتسع العبارات فيها والم يعلم دال عليها مغن وقال الزمخشري فان قلت
ما متعلق ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت
فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم
بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت فكيف صح
ان يكون جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل (ألم يعلم)
تحسن اليه فان قلت فما ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت قلت هي زايدة مكررة
للتوكيد انتهى وقد تكلمنا على احكام ارايت بمعنى اخبرني في غير موضع منها التي في سورة الانعام واشبعنا
الكلام عليها في شرح التسهيل وما قرره الزمخشري هنا ليس بجار على ما قررناه فمن ذلك انه ادعى
ان جملة الشرط في موضع المفعول الواحد والموصول هو الاخر وعندنا ان المفعول الثاني لا يكون الا
جملة استفهامية كقوله افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب افرايت الذي كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام وهو كثير فيتخرج
هذه الاية على ذلك القانون ويجعل ارايت الاولى هو الموصول وجا بعدها ارايت وهي تطلب مفعولين (مفعولين)
وارايت الثانية كذلك فمفعول ارايت الثانية والثالثة محذوف يدل عليه الذي ينهى فيهما
او على عبدا الثانية وعلى الذي ينهى في الثالثة على الاختلاف السابق في عود الضمير والجملة
الاستفهامية توالى عليها ثلاث طوالب فنقول حذف المفعول الثاني لارايت وهو جملة الاستفهام
الدال عليها الاستفهام المتاخر لدلالته عليه وحذف المفعول الثاني لارايت الثانية لدلالة (عليه)
الاول عليه وحذف الاول لارايت الثالثة لدلالة مفعول الاخرى وهذه الطوالب
ليس طلبها على طريق التنازع لان الجمل لا يصح اضمارها وانما ذلك من باب الحذف
في غير التنازع وانما تخريج الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير
فا فلا اعلم احدا اجازه بل نصوا على وجوب الفا في كل ما اقتضى طلبا بوجه ما ولا يجوز
حذفها الا ان كان في ضرورة شعر ٥ كلا ردع لابي جهل ومن في طبقته عن نهي عباد
الله عن عبادة الله تعالى لئن لم ينته عما هو فيه وعيد شديد لنسفعا اي لنأخذن بالناصية

وعبر بها

وعبر بها عن جميع الشخص اي سحبا الى النار لقوله فيوخذ بالنواصي والاقدام واكتفى بتعريف العهد
عن الاضافة اذ علم انها ناصية الناهي وقرا الجمهور بالنون الخفيفة وكتبت بالالف باعتبار الوقف
عليها بابدالها الفا وكثر ذلك حتى صارت رويا فكتبت الفا كقوله ٥
ومهما تشا منه فزارة تمنعا ٥ وقال الاخر يحسبه الجاهل ما لم يعلما ٥ ومحبوب وهارون
كلاهما عن ابي عمرو بالنون المشددة وقيل هو ماخوذ من سفعت النار والشمس اذا غيرت وجه
الحال بشديد وقال التبريزي قيل اراد لنسودن وجهه من السفعة وهي السواد وكفت
من الوجه لانها في مقدمه وقرا الجمهور ناصية كاذبة خاطئة بجر الثلاثة على ان ناصية بدل نكرة من
معرفة قال الزمخشري لانها وصفت فاستقلت بفائدة انتهى وليس شرطا في ابدال النكرة من
المعرفة ان توصف عند البصريين خلافا لمن شرط ذلك من غيرهم ولا ان يكون من لفظ الاول
ايضا خلافا لزاعمه وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وزيد بن علي بنصب الثلاثة على الشتم والكسائي
في رواية برفعها اي هي ناصية كاذبة خاطئة ووصفها بالكذب والخطا مجازا والحقيقة صاحبها
وذلك احسن من ان يضاف فيقال ناصية كاذب خاطئ لانها هي المحدث عنها في قوله لنسفعا
بالناصية فليدع ناديه اشارة الى قول ابي جهل وما بالوادي اكثر ناديا مني اي اهل النادي (والمراد اهل)
وقال جرير ٥ لهم مجلس صهب السبال اذلة اي اهل مجلس ولذلك وصف بقوله صهب
السبال اذلة وهو امر تعجيز اي لا يقدر الله على ذلك لو دعا ناديه لاخذته الملائكة عيانا
وقرا الجمهور سندع بالنون مبنيا للفاعل وكتبت بغير واو لانها تسقط في الوصل لالتقاء
الساكنين وقرا ابن ابي عبلة سيدعى مبنيا للمفعول الزبانية رفع كلا ردع لابي جهل ورد عليه
لا تطعه اي لا تلتفت الى نهيه وكلامه واسجد امر له بالسجود والمعنى دم على صلاتك وعبر
عن الصلاة بافضل الاوصاف التي يكون العبد الى الله تعالى واقترب الى ربك وثبت
في الصحيحين سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السما انشقت وفي هذه السورة
وهي من العزايم عند علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وكان مالك يسجد فيها في خاصة
نفسه

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا
انزلناه في ليلة القدر ٥ وما ادراك ما ليلة القدر ٥ ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر ٥ هذه السورة مدنية في قول
الاكثر وحكى الماوردي عكسه وذكر الواحدي انها نزلت بالمدينة وفي الحديث اربعة عبدوا الله (اول سورة)
ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين ٥ ايوب ٥ وزكريا ٥ وحزقيل ٥ ويوشع فعجب
الصحابة من ذلك فقرا انا انزلناه السورة فسري بذلك ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما قال
اقرا باسم ربك فكانه قال اقرا ما انزلناه عليك من كلامنا انا انزلناه في ليلة القدر والضمير
عايد على ما دل عليه المعنى وهو ضمير القرآن قال ابن عباس وغيره انزله الله تعالى ليلة القدر
الى سماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة وقال
الشعبي وغيره انا ابتدانا انزال هذا القرآن اليك في ليلة القدر وروي ان نزول الملك في حرا
كان في العشر الاواخر من رمضان وقيل المعنى انا انزلنا هذه السورة في شان ليلة القدر
وفضلها ولما كانت السورة من القرآن جا الضمير للقرآن تفخيما وتحسينا فليست ليلة
القدر ليلة ظرفا للنزول بل على نحو قول عمر رضي الله تعالى عنه لقد خشيت ان ينزل في قرآن

وقوله ايضا ليشهد انا اخذ في تعظيمه من ان ينزل في قرآن وقال الزمخشري عظم من القرآن من اسناد انزاله الى مختصا به ومن مجيئه بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه وبالرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه انتهى وفيه بعض تلخيص وسميت ليلة القدر لانه يقدر فيها الآجال والارزاق وحوادث العالم كلها وتدفع الى الملائكة لتمتثله قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما وقال الزهري معناه ليلة القدر العظيم والشرف وعظم الشأن من قولك رجل له قدر وقال ابو بكر الوراق سميت بذلك لانها تكسب من احياها قدرا عظيما لم يكن له قبل وترده عظيما عند الله تعالى وقيل سميت بذلك لان كل العمل فيها له قدر وخطر وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر لامة ذات قدر وقيل لانه ينزل فيها ملائكة ذات قدر وخطر وقيل لانه قدر فيها الرحمة على المومنين وقال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وقد اختلف السلف والخلف في تعيينها وقربها اختلافا متعارضا جدا وبعضهم قال رفعت والذي يدل عليه الحديث انها لم ترفع وان العشر الاخير تكون فيه وانها في اوتاره كما قال عليه الصلاة والسلام التمسوها في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة وفي الصحيح من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ۝ وما ادراك ما ليلة القدر تفخيم لشانها اي لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك قال سفين بن عيينة ما كان في القرآن وما ادراك فقد اعلمه وما فيه وما يدريك فانه لم يعلمه قيل واخفاها الله تعالى عن عباده ليجدوا في العمل ولا يتكلوا على فضلها ويقصروا في غيرها والظاهر ان الف شهر يراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة اعوام والعمل في ليلة القدر افضل من العمل في هذه الشهور والمراد خير من الف شهر عار من ليلة القدر وعلى هذا اكثر المفسرين وقال ابو العالية خير من الف شهر رمضان لا يكون فيها ليلة القدر وقيل المعنى خير من الدهر كله لان العرب تذكر الالف في غاية الاشياء كلها قال تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر وعوتب الحسن بن علي على تسليمه الامر لمعاوية فقال ان الله تعالى اري في المنام نبيه صلى الله عليه وسلم بني امية ينزون على منبره نزو القردة فاهتم لذلك فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وهي خير من مدة ملوك بني امية واعلمه انهم لم يملكون هذا القدر من الزمان قال القاسم بن الفضل الحداني فعددنا ذلك فاذا هي الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما وخرج قريبا من معناه الترمذي وقال حديث حسن غريب انتهى وقيل اخر ملوكهم مروان الجعدي في اخر هذا القدر من الزمان ولا يعارض هذا ملك بني امية في جزيرة الاندلس مدة غيرهم لانهم كانوا في بعض اطراف الارض واخر اقاليم العرب اذ كان في اقليم العرب اذ ذاك ملوك كثيرون غيرهم وذكر ايضا في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المومنون من ذلك وتقاصرت اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقال ابو بكر الوراق ملك كل من سليمن وذي القرنين خمسمائة سنة فصار الف شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من الف شهر ملكهما ۝ تنزل الملائكة والروح تقدم الخلاف في الروح اهو جبريل ام رحمة ينزل بها من السماء ام ملك غيره ام اشراف الملائكة ام جند من غيرهم ام حفظة على غيرهم من الملائكة والتنزل اما الى الارض واما الى سماء الدنيا باذن

ربهم

ربهم متعلق بتنزل من كل امر متعلق بتنزل ومن للسببية اي تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل ۝ وسلام هي خبر مقدم وهي المبتدأ الذي هو هي اي سلام هي الى اول يومها قاله ابو العالية ونافع المقرئ والفراء وهذا على قول من قال ان تنزلهم لتقدير الامور لهم وقال ابو حاتم من بمعنى الباء اي بكل امر وابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امر اي من اجل كل انسان وقيل يراد بكل امر الملائكة اي من كل ملك تحية على المومنين العاملين بالعبادة وانكر هذا القول ابو حاتم سلام لها اي هي سلام جعلها سلاما لكثرة السلام فيها قيل لا يلقون مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه في تلك الليلة وقال الشعبي ومنه ليوم سلام بمعنى التحية اي تسلم الملائكة على المومنين ومن قال تنزلهم ليس لتقدير الامور في تلك السنة جعل الكلام تاما عند قوله باذن ربهم وقال من كل امر متعلق بقوله سلام هي اي من كل امر مخوف ينبغي ان يسلم منه هي سلام وقال مجاهد لا يصيب احد فيها داء وقال صاحب اللوامح وقيل معناه هي سلام من كل امر وامرئ سالمة او مسلمة منه ولا يجوز ان يكون سلام بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر كذلك لا يجوز تقدم ما في الموصول انتهى وعن ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى سلام ولفظة هي اشارة الى انها ليلة سبع وعشرين من الشهر اذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة انتهى ولا يصح مثل هذا عن ابن عباس وانما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله تعالى وقرأ الجمهور مطلع بفتح اللام وابو رجاء والاعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وابو عمرو بخلاف عنه بكسرها فقيل هما مصدران في لغة بني تميم وقيل المصدر بالفتح وموضع الطلوع بالكسر عند اهل الحجاز

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ۝ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة ۝ ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ۝ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ۝ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ۝ هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار مدنية قال ابن عطية وفي كتاب النحوي مدنية وهو قول الجمهور وروى ابو صالح عن ابن عباس مكية واختاره يحيى بن سلام ولما ذكر انزال القرآن وفي السورة التي قبلها اقرأ باسم ربك ذكر هنا ان الكفار لم يكونوا منفكين عن ما هم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ما انزل عليه من الصحف المطهرة التي امر بقراءتها ۝ وقسم الكافرين هنا الى اهل الكتاب واهل الاشراك وقرأ بعض القراء والمشركون رفعا عطفا على الذين كفروا والجمهور بالجر عطفا على اهل الكتاب واهل الكتاب اليهود والنصارى والمشركون عبدة الاوثان من العرب وقال ابن عباس اهل الكتاب اليهود الذين كانوا بيثرب هم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة وحولها قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة وقال الفراء وغيره لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف لامره حتى جاءتهم البينة فتفرقوا عند ذلك وقال الزمخشري كان الكفار من الفريقين يقولون قبل المبعث لا ننفك مما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة

والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحقق الله ما كانوا يقولونه وقال ابن عطية ويتجه في معنى الاية قول ثالث بارع المعنى وذلك انه يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من امر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يبعث الله تعالى اليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة ويتم على من آمن النعمة فكانه قال ما كانوا ليتركوا سدى ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى انتهى وقيل لم يكونوا له منفكين عن حياتهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة والظاهر ان المعنى لم يكونوا منفكين اي منفصلا بعضهم من بعض بل كان منهم مقر للآخر على ما هو عليه مما اختاره لنفسه هذا من اعتقاده في شريعته وهذا من اعتقاده في صنمه والمعنى انه اتصلت مودتهم واجتمعت كلمتهم الى ان اتتهم البينة وقيل معنى منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب انتهى ومنفكين اسم فاعل من انفك وهي التامة وليست الداخلة على المبتدا والخبر وقال بعض النحاة هي الناقصة ويقدر منفكين عارفين امر محمد صلى الله عليه وسلم او نحو هذا وخبر كان واخواتها لا يجوز حذفه لا اقتصارا ولا اختصارا نص على ذلك اصحابنا ولهم علة في منع ذلك ذكروها في علم النحو وقالوا في قوله حين ليس مجير اي في الدنيا فحذف الخبر انه ضرورة. والبينة الحجة الجلية وقرأ الجمهور رسول بالرفع بدلا من البينة وأبي وعبد الله بالنصب حالا من البينة. يتلوا صحفا اي قراطيس مطهرة من الباطل. فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق. وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من المشركين وانفصل بعضهم من بعض فقال كل ما يدل عنده على صحة قوله الا من بعد ما جاءتهم البينة وكان يقتضي مجيء البينة ان يجتمعوا على اتباعها وقال الزمخشري كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال ايضا افرد اهل الكتاب يعني في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب بعد جمعهم والمشركين قيل لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند وقال ابن عطية ذكر تعالى مذمة من لم يؤمن من اهل الكتاب من انهم لم يتفرقوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما راوا الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته فلما جاء من العرب حسدوه انتهى وقرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام والدين منصوب به والحسن بفتحها اي يخلصون هم انفسهم في نياتهم وانتصب الدين اما على المصدر من ليعبدوا اي ليعبدوا الله بالعبادة الدين واما على اسقاط في اي في الدين والمعنى وما امروا اي في كتابيهما بما امروا به الا ليعبد واحنفا اي مستقيمي الطريقة وقال محمد بن الاشعث الطالقاني القيمة هنا الكتب التي جرى في ذكرها كانه لما تقدم لفظ قيمة نكرة كانت الالف واللام في القيمة للعهد كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة فالهاء في هذه القراءة للمبالغة او انث على ان عنى بالدين الملة كقوله ما هذه الصوت يريد ما هذه الصيحة وذكر تعالى مقر الاشقيا وجزاء السعداء. والبرية جميع الخلق وقرأ الاعرج وابن عامر ونافع البريئة بالهمز من برأ بمعنى خلق والجمهور بشد اليا فاحتمل ان يكون اصله الهمز ثم سهل بالابدال وادغم واحتمل ان يكون من البرا وهو التراب قال ابن عطية وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطا وهو اشتقاق غير مرضي انتهى ولا يجعل خطا

بل قراءة

بل قراءة الهمز مشتقة من برا والقراءتان قد تختلفان في الاشتقاق وتتناسبا او تتباينا فهو اشتقاق مرضي وحكم على الكفار من الفريقين بالخلود في النار وبكونهم شر البرية وبدا باهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته وجنايتهم اعظم لانهم انكروه مع العلم به وشر البرية ظاهره العموم وقيل شر البرية الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لا يبعد ان يكون في كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح وقرأ الجمهور خير البرية مقابل شر البرية وحميد وعامر بن عبد الواحد خيار البرية جمع خير كجيد وجياد وبقية السورة واضحة وتقدم شرح ذلك افرادا وتركيبا. المفردات الذرة نملة صغيرة حمرا رقيقة وتقدم انها اصغر ما تكون اذا مضى لها حول وقال امرؤ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول. من الذر فوق الاتب منها لاثرا. وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهبا

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها. واخرجت الارض اثقالها. وقال الانسان ما لها. يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها. يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. هذه السورة مكية في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء مدنية في قول قتادة ومقاتل لان آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار وجزاء المؤمنين فكان قائلا قال متى ذلك فقال اذا زلزلت الارض زلزالها قيل والعامل فيها مضمر يدل عليه مضمون الجمل الآتية تقديره تحشرون وقيل اذكر وقال الزمخشري تحدث انتهى واضيف الزلزال الى الارض اذ المعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها ولو لم يضف لصدق على كل قدر من الزلزال وان قل والفرق بين اكرمت زيدا كرامة وكرامته واضح وقرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاي والجحدري وعيسى بفتحها قال ابن عطية وهو مصدر كالوسواس وقال الزمخشري المكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف انتهى اما قوله والمفتوح اسم فجعله غير مصدر جاء على فعلال بالفتح ثم قيل قد يجي بمعنى اسم الفاعل فتقول وصفصاف في معنى مصفصف وصلصال في معنى مصلصل واما قوله وليس في الابنية الى آخره فقد وجد فيها فعلال بالفتح من غير المضاعف قالوا ناقة بها خزعال بفتح الخا وليس بمضاعف. واخرجت الارض اثقالها جعل ما في بطنها اثقالا لها وقال النقاش والزجاج والقاضي منذر بن سعيد اثقالها كنوزها وموتاها ورد بان الكنوز انما تخرج وقت الدجال لا يوم القيامة وقائل ذلك يقول هو الزلزال يكون في الدنيا وهو من اشراط الساعة وزلزال يوم القيامة كقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فلا يرد عليه بذلك اذ قد اخذ الزلزال عاما باعتبار وقتيه له ففي الاول اخرجت كنوزها وفي الثانية اخرجت موتاها وصدق انها زلزلت زلزالها واخرجت اثقالها وقيل اثقالها كنوزها ومنه قوله تلقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة وقال ابن عباس موتاها وهو اشارة الى البعث وذلك عند النفخة الثانية فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذي هو من الاشراط وقال الانسان ما لها يعني معنى التعجب لما يرى من الهول والظاهر عموم الانسان فقال ذلك الكافر لانه يرى ما لم يقع في ظنه قط

ولا صدقة والمومن وان كان مومنا بالبعث فانه اسهول للواي وفي الحديث ليس الخبر كالعيان
وقال الجمهور الانسان هو الكافر يرى ما لم يظن • يومئذ اي يوم اذا زلزلت واخرجت
تحدث ويومئذ بدل من اذا فيعمل فيه لفظ العامل في المبدل منه او المكرر على الخلاف في العامل
في البدل تحدث اخبارها الظاهر انه تحديث وكلام حقيقة بان يخلق فيها حياة وادراكا فتشهد
بما عمل عليها من صالح او فاسد وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما ويشهد له ما جاء في
الحديث بانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر الا شهد له يوم القيمة وما
جاء في الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله
ورسوله اعلم فقال ان اخبارها انها تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها هو تقول
عمل يوم كذا وكذا قال فهذا اخبارها هذا حديث حسن صحيح غريب وقال الطبري وقوم
التحديث مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان
حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت
الانبيا ينذرونه ويحدثون عنه وقال يحيى بن سلام تحدث بما اخرجت من اثقالها وهذا قول
من زعم ان الزلزلة هي التي من اشراط الساعة وفي سنن ابن ماجة حديث في اخره تقول الارض
يوم القيمة يا رب هذا ما استودعتني وعن ابن مسعود تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان
ما لها فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الاخرة قد اتى فيكون ذلك جوابا لهم عن سوالهم وتحدث
هنا تتعدى الى اثنين والاول محذوف اي تحدث الناس وليست بمعنى اعلم المنقولة من علم
المتعدية الى اثنين فتتعدى الى ثلاثة • بان ربك وحى لها اي بسبب ايحا الله تعالى اياها فتحدث
تحدث قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها
اخبارها على ان تحدثها بان ربك اوحى لها تحديثها اخبارها كما تقول نصحتني بكل نصيحة
بان نصحتني في الدين انتهى وهو كلام فيه عفش ينزه القران عنه وقال ايضا ويجوز بان
يكون بان ربك وحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا انتهى واذا كان الفعل تارة يتعدى
بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزايد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في
الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز انك تقول من
الذنب ولا اخترت زيدا الرجال الكرام بنصب الرجال وخفض وكذلك لا يجوز ان تقول
استغفرت من الذنب العظيم بجر الذنب ونصب العظيم وكذلك في اخترت فلو كان حرف الجر زايدا
جاز الاتباع على موضع الاسم بشروطه المحررة في علم النحو تقول ما رايت من رجل عاقلا لان
من زايدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل مراعاة جواز دخول
من وان ورد شي من ذلك فبابه الشعر وعدي اوحى باللام لا بالى وان كان المشهور تعديتها
بالى لمراعاة الفواصل • قال العجاج يصف الارض •
• اوحى لها القرار فاستقرت • وشدها بالراسيات الثبت •
فعداها باللام وقيل الموحى اليه محذوف اي اوحى اليه ملايكته المصرفين ان تفعل في الارض
تلك الافعال واللام في لها للسبب اي من اجلها ومن حيث الافعال فيها • واذا كان الايحا اليها
احتمل ان يكون وحي الهام واحتمل ان يكون برسول من الملايكة • يومئذ يصدر الناس
انتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون عن ورد وقال الجمهور هو كونهم في الارض مدفونين
والصدر قيام للبعث واشتاتا جمع شتت اي فرق فمومن وكافر وعاص سايرون الى العرض

ليروا اعمالهم وقال النقاش الصدر قوم الى الجنة وقوم الى النار وورودهم هو ورود المحشر
فعلى الاول المعنى ليرى عمله ويقف عليه وعلى قول النقاش ليرى جزا عمله وهو الجنة
والنار والظاهر تعلق ليروا بقوله يصدر وقيل بأوحى لها وما بينهما اعتراض وقال
ابن عباس اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة
وقال الزمخشري اشتاتا بيض الوجوه امنين وسود الوجوه فزعين انتهى ويحتمل
ان يكون اشتاتا اي كل واحد وحده لا ناصر له ولا عاضد لقوله تعالى ولقد جيتمونا فرادى
وقرا الجمهور ليروا بضم اليا والحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهري وابو
حيوة وعيسى ونافع في رواية بفتحها والظاهر تخصيص العامل اي فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا من السعدا لان الكافر لا يرى خيرا في الاخرة ونعيم • ومن يعمل مثقال ذرة
شرا من الفريقين لانه تقسيم جا بعد قوله يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وقال ابن عباس
قال هذه الايات في الاخرة فيرى الخير كل من كان مومنا والكافر لا يرى في الاخرة خيرا لان خيره
قد عجل له في دنياه والمومن تعجل له سيات الصغاير في دنياه في المصايب والامراض
ونحوها وما عمل من شر او خير راه ونبه بقوله مثقال ذرة على ان ما فوق الذرة يراه
قليلا كان او كثيرا وهذا مفهوم الخطاب وهو ان يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم
واحد بل يكون المسكوت عنه بالاولى في ذلك الحكم كقوله ولا تقل لهما اف والظاهر
انتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال ذرة مقدارا وقيل بدل من مثقال
وقرا الجمهور بفتح اليا فيهما اي يرى جزاه من ثواب وعقاب وقرا الحسين بن علي
وابن عباس وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي وابو حيوة وخليد بن نشيط وابان
عن عاصم والكسايي في رواية حميد ابن الربيع بضمها وهشام وابو بكر يسكنون الها
فيهما وابو عمرو بضمهما مشبعتين وباقي السبعة باشباع الاولى وسكون الثانية والاسكان
في الوصل لغة حكاها الاخفش ولم يحكها سيبويه وحكاها الكسايي ايضا عن بني كلاب
وبني عقيل وصف الرويه رونه بصر وقال النقاش ليست برويه بصر وانما المعنى
يصيبه وينا له وقرا عكرمة يراه بالالف فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف
الحركة المقدرة في حروف العلة حكاها الاخفش او على توهم ان من موصولة لا شرطية
كما قيل في انه من يتق ويصبر في قراة من اثبت يا يتقي وجزم يصبر توهم ان من
شرطية لا موصولة فجزم ويصبر عطفا على التوهم والله تعالى اعلم • العاديات
العاديات ليس عنه وهو وصف ويأتي في التفسير الخلاف في الموصوف • الضبح تصويت
جهير عند العدو والشديد ليس بصهيل ولا رغا ولا نباح بل هو غير المعتاد من صوت
الحيوان الذي تضبح وعن ابن عباس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب قيل ولا يصح
عن ابن عباس لان الابل تضبح والاسود من الحيات والبوم والصدى والارنب والثعلب
والقوس كما استعملت لها الضبح • انشد ابو حنيفة في صفة قوس •
• حنانة من نشب او تالب • تضبح في الكف ضباح الثعلب • وقال اهل
اللغة اصله للثعلب فاستعير للخيل وهو من ضحته النار غيرت لونه ولم تبالغ فيه وانضبح
لونه تغير الى السواد قليلا • وقال ابو عبيدة الضبح والضبع بمعنى العدو الشديد
وكذا قال المبرد • الخيل من اضباعها في السير • القدح الصك وقيل الاستخراج ومنه قدحت

العرب و

العين اخرجت منها الفاسد والقداح والقداحة والمقدحة ما توري به النار • اغار على العدو ومضى
لنهب او قتل او اسار انقطاع الغبار • قال الشاعر •
• تخرجن من مستطار النقع دامية • كان اذنابها اطراف اقلام • وقال
ابن رواحة • عدمت بنيتي ان لم تروها • تثير النقع من كنفي كداء • وقال ابو عبيدة
النقع رفع الصوت • ومنه قول لبيد •
• فمتى ينقع صراخ صادق • يحلبوها ذات جرس وزجل • الكنود لو
والكفور للنعمة • قال الشاعر •
• كنود لنعماء الرجال ومن يكن • كنودا لنعماء الرجال يبعد • وعن ابن عباس
الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان
كنانة البخيل السيء الملكة وقاله مقاتل وقال الكلبي مثله الا انه قال وبلسان بني مالك
البخيل ولم يذكر حضرموت • ويقال كند النعمة كنودا • ابو زبيد في البخيل •
• ان تفتني فلم اطب عنك نفسا • غير اني امنى بدهر كنود • جمع الشيء
جمعه وقيل ميزه من غيره ومنه قيل للمنخل المحصل وحصل الشيء ظهر واستبان

سورة والعاديات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله • والعاديات ضبحا
فالموريات قدحا • فالمغيرات صبحا • فأثرن به نقعا • فوسطن به جمعا • ان
الانسان لربه لكنود • وانه على ذلك لشهيد • وانه لحب الخير لشديد • افلا يعلم اذا
بعثر ما في القبور • وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير • هذه السورة
مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية في قول ابن عباس وانس
وقتادة لما ذكر فيما قبلها ما يقتضي تهديدا ووعيدا بيوم القيمة تعقيبا لمن لا يستعد
لذلك اليوم ومن اثر دنياه على آخرته والجمهور من اهل التفسير واللغة على ان
العاديات هنا الخيل تعدو في سبيل الله وتضبح حالة عدوها • وقال عنترة •
• والخيل تكدح حين تضبح • في حياض الموت ضبحا • وقال ابو عبد الله وعلي وابراهيم
والسدي ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير العاديات الابل • اقسم بها حين تعدو من عرفة
ومن المزدلفة اذا دفع الحاج • وباهل غزوة بدر لم يكن فيها غير فرسين فرس للزبير
وفرس للمقداد وبهذا احتج علي رضي الله عنه على ابن عباس حين تماريا فرجع ابن عباس الى قول
علي رضي الله عنهما • وقالت صفية بنت عبد المطلب •
• فلا والعاديات غداة جمع • بايديها اذا سطع الغبار • وانتصب
ضبحا على اضمار فعل اي يضبحن ضبحا او على انه في موضع الحال اي ضابحات او على المصدر على
قول ابي عبيدة ان معناه العدو والشديد فهو منصوب بالعاديات وقال الزمخشري
او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو انتهى واذا كان الضبح مع العدو
فلا يكون معنى والعاديات معنى الضابحات فلا ينبغي ان يفسر به • فالموريات قدحا الايرا
اخراج النار اي تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار بصك بعض الحجارة بعضا
ويقال قدح فاورى وقدح فاصلد وتسمى تلك النار التي تقدحها الحوافر من الخيل والابل
نار الحباحب • قال الشاعر • تقد السلوقي المضاعف نسجه • وتوقد بالصفاح نار الحباحب •

وقيل

نارا
وقيل فالموريات قدحا مجاز واستعارة في الخيل تشعل الحرب قاله قتادة وقال تعالى كلما اوقدوا
للحرب اطفاها الله ويقال حمي الوطيس اذا اشتد الحرب • وقال ابن عباس ومجاهد وزيد
ابن اسلم الموريات الجماعة التي تمكر في الحرب والعرب تقول اذا ارادت المكر بالرجل والله
لامكرن بك ثم لأورين لك • وعن ابن عباس ايضا التي توري نارها بالليل لحاجتها ولطعامها
وعنه ايضا هي الغزاة تكثر النار لارهابا • وقال عكرمة السنة الرجال توري النار
من عظيم ما تتكلم به وتظهر من الحجج والدلائل واظهار الحق وابطال الباطل • فالمغيرات صبحا اي
تغير على العدو في الصبح ومن قال الابل قال العرب تقول اغار اذا عدا جريا اي من مزدلفة
الى منى او في بدر وفي هذا دليل ان هذه الاوصاف لذات واحدة لعطفها بالفا التي تقتضي
التعقيب والظاهر انها الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار ولا يستند على انها الابل بوقعة
بدر وان لم يكن فيها الا فرسان لانه لم يذكر ان سبب نزول هذه السورة هو وقعة بدر ثم بعد
ذلك لا يكاد يوجد ان الابل جوهد عليها في سبيل الله بل المعلوم انه لا يجاهد في سبيل الله الا
على الخيل في شرق البلاد وغربها • فاثرن معطوف على اسم الفاعل الذي هو صلة ال لانه في
معنى الفعل اذ تقديره فاللاتي عدون فاغرن فاثرن وقال الزمخشري معطوف على الفعل
الذي وضع اسم الفاعل موضعه انتهى ونقول اصحابنا هو معطوف على الاسم لانه في معنى الفعل
وقرا الجمهور فاثرن فوسطن بتخفيف الثا والسين وابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديدهما
وعلي وزيد بن علي وقتادة وابن ابي ليلى بشد السين وقال الزمخشري وقرا ابو حيوة
بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن
وقلب الواو همزة وقرى فوسطن بالتشديد للتعدية والبا مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به
وهي مبالغة في وسطن انتهى اما قوله او قلب فيحل بارد واما ان التشديد للتعدية
فقد نقلوا ان وسط مخففا ومثقلا بمعنى واحد وانهما لغتان والضمير في به عايد في الاول
على الصبح اي هيجن في ذلك الوقت غبارا وفي به الثاني على الصبح قيل وعلى النقع اي وسطن
النقع الجمع فيكون وسطن بمعنى توسطن وقال علي وعبد الله فوسطن به جمعا
اي الابل وجمعا اسم المزدلفة وليس بجمع من الناس وقال بشر بن ابي حازم • فوسطن
جمعهم وافلت حاجب • تحت العجاجة في الغبار الاقتم • وقيل الضمير في به معا يعود
على العدو الدال عليه والعاديات ايضا وقيل يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى وان
لم يجر له ذكر لان والعاديات وما بعدها عليه وقيل المراد بالنقع هنا الصياح والكلام
ان المقسم به هو جنس العاديات وليست ال فيه للعهد والمقسم عليه ان الانسان لربه
لكنود وفي الحديث الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال ابن عباس
والحسن هو الجحود لنعمة الله تعالى وعن الحسن ايضا هو اللائم لربه يعد السيئات وينسى
الحسنات وقال الفضيل هو الذي تنسيه سيئة واحدة حسنات كثيرة ويعامل الله على
عقد عوض وقال عطا هو الذي لا يعطي في النائبات مع قومه وقيل البخيل وقال
ابن قتيبة ارض كنود لا تنبت شيئا والظاهر عود الضمير في وانه على ذلك لشهيد اي
لشهيد على كنوده ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقاله الحسن ومحمد بن كعب وقال ابن عباس
وقتادة هو عايد على الله تعالى اي وربه شاهد عليه ولهو على سبيل الوعيد وقال
التبريزي هو عايد على الله وربه شاهد عليه هو الاصح لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور

ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي انتهى ولا يتنزح بالقرب الا اذا التقيا وبامن حيث المعنى والانسان هنا هو المحدث عنه والمسند اليه الكنود وايضا فتنا سق الضماير لواحد مع صحة المعنى اولى من جعلهما مختلفين ولاسيما اذا توسط الضمير بين ضميرين عايدين على واحد وانه اي وان الانسان لحب الخير لشديد اي المال اي قوي في حبه وقيل لبخيل بالمال ضابط له ويقال للبخيل شديد ومتشدد وقال طرفة

اري الموت يعتام الكرام ويصطفي ۝ عقيلة مال الفاحش المتشدد ۝ وقال قتادة الخير حيث وقع في القران هو المال قال ابن عطية ويحتمل ان يراد هنا الخير الديني ويدمر مال وصحة وجاه عند الملوك ونحو ذلك لان الكفار والجهال لا يعدون غير ذلك فاما المحب في خير الاخرة لممدوح مرجو له الفوز وقال الفرا نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال لشديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الاي كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا للايام كانه قال في يوم عاصف الريح انتهى وقال غيره ما معناه انه ليس اصله ذلك التركيب بل اللام في لحب لام العلة اي وانه لاجل حب المال لبخيل او وانه لحب المال وايثاره قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا قال الزمخشري او اراد وانه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض ۝ افلا يعلم توقيف الى ما يؤول اليه الانسان ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف اي افلا يعلم ما له اذا بعثر وقال الحوفي اذا ظرف مضاف الى بعثر والعامل فيه يعلم انتهى وليس بمتضح لان المعنى افلا يعلم الان وقرا الجمهور بعثر بالعين مبنيا للمفعول وقرا عبد الله بالحاء وقرا الاسود بن زيد بحث وقرا نصر بن عاصم بحثر على بنائه للفاعل وقرا ابن يعمر ونصر ابن عاصم ايضا وحصل مبنيا للفاعل خفيف الصاد والمعنى جمع ما في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز وكشف ليقع الجزا عليه وقرا الجمهور ان بكسر الهمزة الخبير باللام وهو استيناف اخبار والعامل في بهم وفي يومئذ لخبير وهو تعالى خبير دايما لكنه ضمن خبير معنى مجاز لهم في ذلك اليوم وقرا ابو السمال والحجاج بفتح الهمزة واسقاط اللام وينبغي في هذه القراة ان تتسلط يعلم على ان لكنه لا يمكن اعمال خبير في اذ لكونه في صلة ان المصدرية لكنه لا يمتنع ان يقدر له عامل فيه من معنى الكلام فانه قال يجزيهم اذا بعثر وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون يعلم معلقة عن العمل في قراة الجمهور وسدت مسد المفعول في ان وفي خبرها اللام ظاهرا ذهي في موضع نصب بيعلم وان العامل فيها من معنى مضمون الجملة تقديره كما قلنا يجزيهم اذا بعثر ۝ الفراش قال الفرا هو الهمج الطاير من بعوض وغيره ومنه الجراد وقال هو طيش من فراشة قال وقد كان اقوام ردت قلوبهم عليهم وما لوا كالفراش من الجهل وقيل فراشة الحلم تعتبت الصوف والقطن ومن فت ما كان ملبدا من اجزايه ۝ ۝ ۝ ۝ ۝

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى القارعة ما القارعة ۝ وما ادراك ما القارعة ۝ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ۝ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ۝ فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ۝ واما من خفت موازينه فامه هاوية ۝ وما ادراك ما هيه نار حامية ۝ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لانه ذكر وقت بعثرة القبور

وذلك

وذلك هو وقت الساعة وقال الجمهور القارعة القيمة نفسها لانها تقرع القلوب بهولها وقيل صيحة النفخة في الصور لانها تقرع الاسماع وفي ضمن ذلك القلوب وقال الضحاك هي النار ذات التغيظ والزفير وقرا الجمهور القارعة ما القارعة بالرفع فما استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب وهو مبتدا والقارعة خبر وتقدم تقرير ذلك في الحاقة ما الحاقة وفي قوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وقال الزجاج هو تحذير والعرب تحذر وتغري بالرفع كالنصب قال الشاعر ۝ اخو النجدة السلاح السلاح ۝ وقرا عيسى بالنصب وتخريجه على انه منصوب باضمار فعل اي اذكروا القارعة وما زايدة للتوكيد والقارعة تاكيد لفظي للاولى وقرا الجمهور يوم بالنصب وهو ظرف العامل فيه قال ابن عطية القارعة فان كان عنى القارعة اللفظ الاول فلا يجوز الفصل بين العامل وهو في صلة ال والمعمول بالخبر وكذا لو صار القارعة علما للقيمة لا يجوز ايضا وان كان عنى اللفظ الثاني والثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه وقال الزمخشري الظرف نصب بمضمر دل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس وقال الحوفي تاتي يوم يكون وقيل اذكر يوم وقرا زيد بن علي يوم يكون بالرفع اي وقتها يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال قتادة هو الطير الذي يتساقط في النار وقال الفرا هو غوغا الجراد وهو صغيره الذي ينتشر في الارض يركب بعضه بعضا من الهول وقيل الفراش طير دقيق يقصد النار ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق شبهوا في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجي والذهاب على غير نظام والتطاير الى الداعي من كل جهة حتى تدعوهم الى المحشر بالفراش المتطاير الى النار ۝ قال جرير ۝

ان الفرزدق ما علمت وقومه ۝ مثل الفراش غشين نار المصطلي ۝

وقرن بين الناس والجبال تنبيها على تاثير تلك القارعة في الجبال حتى صارت كالعهن المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند سماعها وتقدم الكلام في الموازين ثقلها وخفتها في الاعراف وعيشة راضية في الحاقة ۝ فامه هاوية دركة من دركات النار وامه معناه ماواه كما قيل للارض ام الناس لانها تؤويهم وكما قال عتبة بن ابي سفين في الحرب فنحن بنوها وهي امنا وقال قتادة وابو صالح وعكرمة فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وقيل هو تفاول لشر واذا دعوا بالهلكة قالوا هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا ۝ قال الشاعر ۝

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ۝ وماذا يرد الليل حين يؤوب ۝ وقرا الجمهور فامه بضم الهمزة وطلحة بكسرها قال ابن خالويه وحكى ابن دريد انها لغة واما النحويون فانهم يقولون لا يجوز كسر الهمزة الا ان يتقدمها كسرة او يا انتهى وما ادراك ما هيه هي ضمير يعود على هاوية ان كانت كما قيل دركة من دركات النار معروفة بهذا الاسم وان كانت غير ذلك بما قيل فيها فهي ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية والها في هيه هاء السكت وحذفها في الوصل ابن ابي اسحاق والاعمش وحمزة واثبتها الجمهور نار حامية تكون مبتدا محذوف اي هي نار اعاذنا الله منها بمنه وكرمه

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ۝ ثم كلا سوف تعلمون ۝ كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ۝ ثم لترونها عين اليقين ۝ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ۝ هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين وقال البخاري مدنية ومناسبتها

لما قبلها ظاهر وسبب نزولها انه فيما روى الكلبي ومقاتل كان بين بني سهم وبين بني عبد مناف
لحا فتعادوا والاشراف الاحياء ايهم اكثر فكثرهم بنو عبد مناف ثم تعادوا الاموات فكثرهم بنو سهم لانهم
كانوا اكثر عددا في الجاهلية وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر عددا
من بني فلان وقال ابن زيد نزلت في بطن من الانصار الهاكم تفاخركم فعلى ما روى الكلبي ومقاتل
يكون المعنى الهاكم التكاثر بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات
عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وهذا معنى قول ابو عبد الله الفطر زرتم فيقال صبحي زرتم
اي متم وزرتم باجسادكم مقابرها اي قطعتم بالتكاثر والمفاخرة بالاولاد والاموال والعدد اعماركم
حتى متم وسمع بعض الاعراب يحيى زرتم فقال بعث القوم للقيامة ورب الكعبة فان الزائر منصرف
لا مقيم وعن عمر بن عبد العزيز نحو من قول الاعرابي وقيل هذا تانيب على الاكثار من زيارة
القبور تكثرا بمن سلف واشارة بذكرهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور
ثم قال فزوروها امر اباحة للاتعاظ بها لا لمعنى المباهات والتفاخر قال ابن عطية كما يصنع الناس
في ملازمتها وتسنيمها بالحجارة والرخام وتلوينها شرفا وبنيان النواويس عليها قال ابن عطية لم يرد
الا قبور اهل الاندلس فكيف لو رأى ما يتباهى به اهل مصر في مرافقهم بالقرافة الكبرى والقرافة
الصغرى وباب النصر وغير ذلك مما يضيع فيها من الاموال لتعجب من ذلك ولرأى ما لم يخطر
له ببال واما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين الى الصوفية قوم ليس لهم شغل الا زيارة
القبور زرت قبر سيدي فلان بكذا وقبر فلان بكذا والشيخ فلانا بكذا والشيخ فلانا بكذا فيذكرون
اقاليم طافوها على قدم التجريد وقد حفظوا حكايات عن اصحاب تلك القبور وعن اولئك المشايخ بحيث
لو كتبت لجاءت اسفارا وهم مع ذلك لا يعرفون فروض الوضوء ولا سننه وقد سخر لهم الملوك وعوام
الناس في تحسين الظن بهم وبذل اموالهم لهم واما من شذ منهم لان يتكلم للعامة فيأتي بعجائب
يقولون هذا فتح هذا من العلم اللدني علم الخضر حتى ان من ينتمي الى العلم لما رأى رواج هذه الطائفة سلك
مسلكهم ونقل كثيرا من حكاياتهم ومزج ذلك بيسير من العلم طلبا للمال والجاه وتقبيل اليد ونحن
نسأل الله عز وجل ان يوفقنا لطاعته وقرأ الجمهور الهاكم على الخبر وابن عباس وعائشة ومعاوية
وابو عمران الجوني وابو صالح ومالك بن دينار وابو الجوزاء وجماعة بالمد على الاستفهام وقد روي
كذلك عن الكلبي ويعقوب وعن ابي بكر الصديق وابن عباس ايضا والشعبي وابو العالية وابن ابي
عبلة والكسائي في رواية الهاكم بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير على قبح فعلهم
والجمهور على ان التكرير توكيد قال الزمخشري والتكرير تأكيد للردع والانذار وثم دلالة على ان
الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى
سوف تعلمون الخطاب فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى وقال علي بن ابي طالب رضي
الله تعالى عنه كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث غاير بينهما بحسب
التعلق وبقيت ثم على بابها من المهلة في الزمان وقال الضحاك الزجر الاول وعيد للكافرين والثاني
للمؤمنين ۞ كلا لو تعلمون اي ما بين ايديكم مما تقدمون عليه علم اليقين اي كعلم ما تستيقنونه
من الامور لما الهاكم التكاثر او العلم اليقين فاضاف الموصوف الى صفته وحذف الجواب لدلالة
ما قبله عليه وهو الهاكم التكاثر وقيل اليقين هنا الموت وقال قتادة البعث لانه اذا جاء زال
الشك ثم قال لترون الجحيم والظاهر انه هذه الرؤية هي رؤية الورود كما قال تعالى وان منكم
الا واردها وانه تكون رؤية عند الورود فيكون الخطاب للكفار لانه قال بعد ذلك ثم لتسألن

يومئذ عن النعيم ثم لترونها عين اليقين تأكيد للجملة التي قبلها وزاد التوكيد بقوله
عين اليقين نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الاولى وعن ابن عباس هو خطاب للمشركين فالرؤية
رؤية دخول ۞ وقرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وباقي السبعة بالفتح وعلي
وابن كثير في رواية وعاصم في رواية بفتحها في لترون وضمها في لترونها ومجاهد
والاشهب وابن ابي عبلة بضمها وروي عن الحسن وابي عمرو بخلاف عنهما
انهما همزا الواوين استثقلوا الضمة على الواو فهمزوا كما همزوا في وقتت وكان
القياس ان لا تهمز لانها حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها لكنها لما تمكنت من
الكلمة بحيث لا تزول اشبهت الحركة الاصلية فهمزوا وقد همزوا من الحركة العارضة
ما يزول في الوقف نحو اشتروا الضلالة فهمزهذه اولى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
الظاهر العموم في النعيم وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب
فالمؤمن يسأل سؤال اكرام وتشريف والكافر سؤال توبيخ وتقريع وعن ابن مسعود
والشعبي وسفيان ومجاهد هو الامن والصحة وعن ابن عباس البدن والحواس
ثم استعملتا وعن ابن جبير كل ما يتلذذ به وفي الحديث بيت يكنك وخرقة تواري
عورتك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم سورة العصر بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر مكية في قول ابن عباس وابن الزبير والجمهور ومدنية
في قول مجاهد وقتادة ومقاتل لما قال فيما قبلها الهاكم التكاثر ووقع التهديد
بتكرار كلا سوف تعلمون بين حال المؤمن والكافر والعصر قال ابن عباس هو الدهر
يقال فيه عصر وعصر اقسم به تعالى لما في مروره من اصناف العجائب وقال
قتادة العصر العشي اقسم به كما اقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة وقيل العصر
اليوم والليلة ومنه قول حميد بن ثور ۞ ولن يلبث العصران يوم وليلة
اذا طلبا ان يدركا ما تيمما ۞ وقيل العصر بكرة والعصر عشية وهما الابردان
فعلى هذا القول فيكون القسم بواحد منهما غير معين وقال مقاتل العصر
الصلوة الوسطى اقسم بها وبهذا القول بدأ الزمخشري قال لفضلها بدليل قوله
والصلوة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته
صلوة العصر فكأنما وتر اهله وماله لان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس
في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم انتهى ۞ وقرأ سلام والعصر
بكسر الصاد والصبر بكسر الباء قال ابن عطية وهذا لا يجوز الا في الوقف على نقل الحركة
وروي عن ابي عمرو بالصبر بكسر الباء اشماما وهذا ايضا لا يكون الا بالوقف انتهى
وفي الكامل للهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هرون
وابن موسى عن ابي عمرو والباقون بالاسكان كالجماعة انتهى وقال ابن خالويه وتواصوا
بالصبر بنقل الحركة عن ابي عمرو وقال صاحب اللوامح عيسى البصرة بالصبر بنقل حركة
الراء الى الباء لئلا يحتاج الى ان يأتي ببعض الحركة في الوقف ولا الى ان يسكن فيجمع
بين ساكنين وذلك لغة شايعة وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك دلالة
على الاعراب وانفصال من التقاء الساكنين وتأدية حق الموقوف عليه من
السكون انتهى وقد انشدنا في الدلالة على هذا في شرح التسهيل هذه الابيات
كقول الشاعر ۞ انا جرير كنيتي ابو عمرو ۞ اضرب بالسيف وسعد في العصر ۞
يريد ابو عمرو والعصر والانسان اسم جنس يعم ولذلك صح الاستثناء منه والخسر
الخسران كالكفر والكفران اي ضران اعظم من خسر الدنيا والاخرة ۞ وقرأ ابو عمرو

وزيد بن علي وهرون عن ابي بكر عن عاصم خسر بضم السين والجمهور بالسكون ومن باع اخرته بدنياه فهو في غاية الخسران بخلاف المومن فانه اشترى الاخرة بالدنيا فربح وسعد وتواصوا بالحق اي بالامر الثابت من الدين عملوا به وتواصوا به وتواصوا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي الحطمة اصله الوصف من قولهم رجل حطمة اي اكول قال الشاعر

قد لفها الليل بسواق حطم · وقال اخر · انا بعثنا بالقضيب مصعبا ·
يوم كسرنا انفه ليغضبا ·

سورة الهمزة بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة مكية ولما قال فيما قبلها ان الانسان لفي خسر بين حال الخاسر فقال ويل لكل همزة ونزلت في الاخنس بن شريق او العاص بن وايل او جميل ابن معمر او الوليد بن المغيرة او امية بن خلف اقوال ويمكن ان تكون نزلت في الجميع وهي مع ذلك عامة فيمن اتصف بهذه الاوصاف وقال السهيلي هو امية بن خلف الجمحي كان يهمز النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبه ذكره في ابن اسحاق وانما ذكره وان كان اللفظ عاما لان الله سبحانه تابع في اوصافه والخبر عنه حتى يعلم انه يشير الى شخص بعينه وكذلك قوله في ن ولا تطع كل حلاف مهين تابع في الصفات حتى يعلم انه يريد انسانا بعينه وتقدم الكلام في الهمز في ن والقلم وفي اللمز في سورة براءة وفعلة من ابنية المبالغة كنومة وعيبة وسخرة وضحكة وقال زياد الاعجم

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا · وان اغيب فانت الهامز اللمزه ·

وقرا الجمهور بفتح الميم فيهما والباقر بسكونها وهو المسخرة الذي ياتي بالمضاحيك فيضحك منه ويشتم وبهمز ويلمز الذي بدل او نصب على الذم وقرا الحسن وابو جعفر وابن عامر والاخوان جمع بشد الميم وباقي السبعة بالتخفيف والجمهور وعدده بشد الدال الاولى اي احصاه وحافظ عليه وقيل جعله عدة لطوارق الدهر والحسن والكلبي بتخفيفها اي جمع المال وضبط عدده وقيل وعددا من عشيرته وقيل وعدده على ترك الادغام كقوله · اني اجود لاقوام وان ضننوا · اخلده اي ابقاه حيا اذ به قوام حياته وحفظه مدة عمره قال الزمخشري اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت قيل وكان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف دينار كلا ردع له عن حسبانه وقرا الجمهور لينبذن بفتح الذال ضميرا لواحد وعلي والحسن بخلاف عنه وابن محيصن وحميد وهرون عن ابي عمرو لينبذان بالف ضمير اثنين الهمزة وماله وعن الحسن ايضا لينبذن بضم الذال اي هو وانصاره وعن ابي عمرو لينبذنه وقرا الجمهور في الحطمة وما ادراك ما الحطمة وزيد بن علي في الحاطمة وما ادراك ما الحاطمة وهي النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها قال الضحاك الحطمة الدرك الرابع من النار وقال الكلبي الحطمة الطبقة السادسة من جهنم وحكى عنه القشيري انها الدركة الثانية وعنه ايضا الباب الثاني وقال الواحدي باب من ابواب جهنم انتهى نار الله الموقدة اي هي نار الحطمة التي تطلع على الافيدة ذكرت الافيدة لانها الطف ما في البدن واشده تالما بادنى شيء من الاذى واطلاع النار عليها هو انها تعلوها وتشتمل عليها وهي تعلو الكفار في جميع ابدانهم لكن نبه على الاشرف لانها مقر العقايد وقرا الاخوان وابو بكر في عمد بضمتين جمع عمود وهرون عن ابي عمرو بضم العين وسكون الميم وباقي السبعة بفتحهما وهو اسم

جمع

جمع الواحد عمود وقال الفراء جمع عمود كما قالوا اديم وادم وقال ابو عبيدة جمع عماد قال ابن زيد في عمد حديد مغلولين بها وقال ابو صالح هذه النار هي في قبورهم والظاهر انها نار الاخرة اذ ييئسوا من الخروج باطباق الابواب عليهم وتمدد العمد كل ذلك ايذانا بالخلود الى غير نهاية وقال قتادة كنا نحدث انها عمد يعذبون بها في النار وقال ابو صالح هي القيود الفيل اكبر ما رايناه من وحوش البر يجلب الى ملك مصر ولم نره بالاندلس بلادنا ويجمع على افيال وفي الكثرة على فيول وفيلة الابابيل الجماعات يجي شيا بعد شي قال الشاعر

كادت تهد من الاصوات راحلتي · اذ سالت الارض بالجرد الابابيل ·

وقال الاعشى · طريق وجبار رواء اصوله · عليه ابابيل من الطير تنعب ·

قال ابو عبيدة والفراء لا واحد له من لفظه فيكون مثل عباديد وبياديد وقيل واحده ابول مثل عجول وقيل ابيل مثل سكين وقيل ابال وذكر الرقاشي وكان ثقة انه سمع في واحده ابالة وحكى الفراء ابالة مخففا

سورة الفيل بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول مكية ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الاخرة اخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا والظاهر ان الخطاب للرسول يذكر نعمته عليه اذ كان صرف ذلك العدو العظيم عام مولده السعيد عليه السلام وارهاصا بنبوته اذ مجي تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين ايدي الانبيا ومعنى الم تر الم تعلم قدره على وجوه علمه بذلك اذ هو امر منقول نقل التواتر فكانه قيل قد علمت فعل الله ربك بهولاء الذين قصدوا حرمه ضلل كيدهم واهلكهم باضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها ان تقتل وقصة الفيل ذكرها اهل السير والتفسير مطولة ومختصرة وتطالع في كتبهم واصحاب الفيل ابرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده والظاهر انه فيل واحد وهو قول الاكثرين وقال الضحاك ثمانية فيلة وقيل اثنا عشر فيلا وقيل الف فيل وهذه الاقوال متكاذبة وكان العسكر ستين الفا لم يرجع منهم احد الا اميرهم في شرذمة قليلة فلما اخبروا بما راوا اهلكوا وكان الفيل يوجهونه نحو مكة لما كان قريبا منها فيبرك ويوجه نحو اليمن والشام فيسرع وقال الواقدي ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقرا السلمي تر بسكون الراء وهو جزم بعد جزم ونقل عن صاحب اللوامح ترا بهمزة مفتوحة مع سكون الراء على الاصل وهي لغة لتيم اللات وتر معلقة والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب به وكيف معمولة لفعل وفي خطابه تعالى لنبيه بقوله فعل ربك تشريف له عليه السلام واشادة من ذكره كانه قال ربك معبودك هو الذي فعل ذلك لا اصنام قريش اساف ونايلة وغيرهما الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضايعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه وتضليل كيدهم هو بان احرق الله البيت الذي بنوه قاصدين ان يرجع حج العرب اليه وباهلاكهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة بان ارسل عليهم طيرا جاءت من جهة البحر ليست نجدية ولا تهامية ولا حجازية سودا وقيل خضرا على قدر الخطاف وقرا الجمهور ترميهم بالتاء والطير اسم جمع كهذه القراءة وقوله

كالطير ينجو من الشوبوب ذي البرد ·

وابو حنيفة وابن يعمر وعيسى وطلحة

في رواية السماك عن عكرمة بالباء وقيل الضمير عائد على ربك بحجارة كان كل طائر في منقاره حجر فوقعت به
العدو ودولة الحجر مكتوب في الحجر اسم من رمي به ينزل على رأسه ويخرج من دبره وبرص
أبرهة فتتقطع أنملة أنملة وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت أبو يكسوم وزيره
وطائر يتبعه حتى وصل إلى النجاشي وأخبره بما جرى للقوم فرماه الطائر بحجر فمات بين
يدي الملك وتقدم شرح سجيل في سورة هود والعصف في سورة الرحمن شبهوا بالعصف
ورق الزرع الذي أكل أي وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود والذي أكلته الدواب
وراثته وجاء على آداب القرآن نحو قوله كانا يأكلان الطعام أو الذي أكل حبه فبقي بلا
حبة أنه أكل كأنه المأكول حبه لا هو وقرأ الجمهور ما فعل بسكون الهمزة وهو
الأصل لأنه صيغة مفعول من فعل وقرأ أبو الدرداء فيما نقل ابن خالويه بفتح الهمزة
إتباعا لحركة الميم وهو شاذ وهذا كما اتبعوا في قولهم محموم بفتح الحاء لحركة الميم
قال ابن إسحاق لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله
قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقيل هو
إجابة لدعاء الخليل عليه السلام قريش علم اسم قبيلة وهم بنو النضر بن كنانة
فمن كان من بني النضر فهو من قريش دون بني كنانة وقيل هم بنو فهر بن
مالك بن النضر فمن لم يلده فهر فليس بقرشي قال القرطبي والقول الأول أصح
وأثبت وسموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع والالتئام ومنه
قول الشاعر: أخوه قريش الذنوب علينا ۞ في حديث من دهرهم وقديم
كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا ومنه
قول الشاعر: أبونا قصي كان يدعى مجمعا ۞ به جمع الله القبائل من فهر
وقال الفراء التقريش التكسب وقد قرش يقرش قرشا إذا كسب وجمع ومنه
سميت قريش وقيل كانوا يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها والقرش
التفتيش ومنه قول الشاعر: أيها الشامت المقرش عنا ۞ عند عمرو فهل له إبقاء
وسأل معاوية ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال بدابة في البحر تكون أعظم دوابه
يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى ومنه قول تبع

وقريش هي التي تسكن البحر ۞ بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا ۞ تترك فيها لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ۞ يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي ۞ يكثر القتل فيهم والخموشا

وفي الكشاف يعني بالسفن ولا يطاق إلا بالنار فإن كان قريش من مزيد فيه
فهو تصغير ترخيم وإن كان من ثلاثي مجرد فهو تصغير على أصل التصغير الشتاء
والصيف فصلان معروفان من فصول السنة الأربعة وهمزة الشتاء بدل من
واو قالوا الشتوة وقالوا شتا يشتو والشتاء مفرد وليس جمع شتوة

سورة لإيلاف قريش بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء
والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك وابن السائب ومناسبتها لما قبلها ظاهرة
ولا سيما إن جعلت اللام متعلقة بنفس فجعلهم وهو قول الأخفش أو بإضمار فعلنا
ذلك لإيلاف قريش وهو مروي عن الأخفش حتى يطمئنوا في بلدهم فذكر ذلك
لامتنان عليهم إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في الأقاليم ولم تجتمع لهم
كلمة قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت

بالذي

بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه
قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى والتين والمعنى أنه أهلك أهل الحبشة
الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم
فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم قال الحوفي ورد هذا القول
جماعة وقالوا لو كان كذلك لكان لإيلاف بعض سورة ألم تر وفي إجماع الجميع
على الفصل بينهما ما يرد على ما قال وعن الأخفش والكسائي والفراء
تتعلق بما بعده اعجبوا أي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم
عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بالعبادة بعد وأعلمهم أن الله هو الذي
أطعمهم وآمنهم لا سعيهم أي فليعبدوا الذي أطعمهم بدعوة أبيهم حيث قال
وارزقهم من الثمرات وآمنهم بدعوته حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا
ولا يشتغلوا بالأسفار التي إنما هي طلب كسب وعرض دنيا وقال الخليل عليه السلام تتعلق
بقوله فليعبدوا والمعنى لأن فعل الله بقريش هذا ومكنهم من النعم هذه النعمة
فليعبدوا أو أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلة قال الزمخشري فإن قلت
فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم
على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه
النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة انتهى وقرأ الجمهور لإيلاف قريش مصدر آلف
رباعيا وابن عامر لإلاف على وزن فعال مصدر ألف ثلاثيا يقال ألف الرجل
الأمر ألفا وإلافا وآلفه غيره إياه إيلافا وقد يأتي آلف متعديا لواحد
كألف قال الشاعر: من المؤلفات الرمل أدماء حرة ۞ شعاع الضحى في متنها يتوضح بتوضح
ولم يختلف القراء السبعة في قراءة إيلافهم مصدر الرباعي وروي عن أبي بكر عن
عاصم أنه قرأ بهمزتين فيهما الثانية ساكنة وهذا شاذ وإن كان الأصل أبدلوا
الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين ولم يبدلوا في نحو مؤلف على جهة
اللزوم لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه وهذا المروي عن عاصم هو من
طريق الشموني عن الأعشى عن أبي بكر وروى محمد بن داود النقار عن عاصم
إئيلافهم بهمزتين مكسورة بعدها ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية
لما أشبعت كسرتها والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية وأنه قرأ كالجماعة
وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري لإلف قريش وقرأ فيما حكى ابن عطية إلفهم
وقال الشاعر: زعمتم أن إخوتكم قريشا ۞ لهم إلف وليس لكم إلاف
جمع بين مصدري ألف الثلاثي وعن أبي جعفر وابن عامر إلافهم على وزن فعال
وعنه أبي جعفر وابن كثير إلفهم على وزن فعل وبذلك قرأ عكرمة وعن أبي جعفر
أيضا ليلاف بياء ساكنة بعد اللام اتبع لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى حذفا
على غير قياس وعن عكرمة ليألف قريش وعنه أيضا لتألف على الأمر وعنه
وعن هلال بن فتيان بفتح لام الأمر وأجمعوا على صرف قريش راعوا فيه
معنى الحي ويجوز منعه ملحوظا فيه معنى القبيلة للتأنيث والعلمية
قال الشاعر: غلب المساميح الوليد سماحة ۞ وكفى قريش المعضلات وسادها
جعله اسما للقبيلة وقال سيبويه في معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للأحياء أكثر وإن
جعلتها اسما للقبائل فجائز حسن وقرأ الجمهور رحلة بكسر الراء وأبو السمال بضمها

فالكسر مصدر، والضم الجهة التي يرحل إليها، والجمهور على أنهما رحلتان، فقيل: إلى الشام في التجارة ونيل الأرباح، ومنه قول الشاعر:

سفرين بينهما له ولغيره ... سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وقال ابن عباس: رحلة إلى اليمن ورحلة إلى بصرى. وقال أيضاً: يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، ويرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائر أغراضهم. وقال الزمخشري: وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس، كقوله:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... فإن زمانكم زمن خميص

انتهى. وهذا عند سيبويه لا يجوز إلا في الضرورة، ومثله:

حمامة بطن الواديين ترنمي

يريد بطني الواديين، أنشده أصحابنا على الضرورة. وقال النقاش: كانت لهم أربع رحل. قال ابن عطية: وهذا قول مردود. انتهى. ولا ينبغي أن يرد، فإن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف: هاشم كان يؤلف ملك الشام، أخذ منه حبلاً فأمن به في تجارته، وعبد شمس يؤلف إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، فكان هؤلاء يسمون المجيرين، تختلف تجر قريش إلى الأمصار بحبل هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم. قال الأزهري: الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة، فإذا كان كذلك جاز أن يكون لهم رحل أربع باعتبار هذه الأماكن التي كانت التجار في خفارة هؤلاء الأربعة فيها، وفيهم قال الشاعر يمدحهم:

يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاتها ... والراحلين لرحلة الإيلاف
والرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين هلم للأضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي

فيكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد ولأكثر، وإيلافهم بدل من لإيلاف، ... المبدل منه، وقيد البدل بالمفعول وهو رحلة، أي لأن تؤلفوا رحلة، تفخيماً لأمر الإيلاف وتذكيراً بعظيم النعمة فيه. ورب هذا البيت هو الكعبة، ويمكن هنا هذا اللفظ لتقدم حمايته في السورة التي قبلها. ومن هنا للتعليل، أي لأجل الجوع، كانوا قطاناً ببلد غير ذي زرع عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى بهم، وذلك بدعوة إبراهيم، قال تعالى: يجبى إليه ثمرات كل شيء. وآمنهم من خوف: فضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيثما حلوا، فيقال: هؤلاء قطان بيت الله، فلا يتعرض إليهم أحد، وغيرهم خائفون. وقال ابن عباس والضحاك: وآمنهم من خوف، معناه من الجذام، فلا يرى بمكة مجذوم. قال الزمخشري: والتنكير في جوع وخوف لشدتهما، يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم. وقرأ الجمهور من خوف بإظهار النون عند الخاء، والمسيبي عن نافع بإخفائها، وكذلك مع العين نحو من علي، وهي لغة حكاها سيبويه. وقال ابن الأسلت يخاطب قريشاً:

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق ... غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله ... على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاهم نصر ذي العرش ردهم ... جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب ... إلى أهله ملحبش غير عصائب

سها

سها عن كذا يسهو سهواً إذا تركه عن غفلة. الماعون: فاعول من المعن وهو الشيء القليل، تقول العرب: ماله سعنة ولا معنة، أي شيء قليل، قاله قطرب. وقيل: أصله معونة والألف عوض من الهاء، فوزنه مفعل في الأصل على وزن مكرم، فيكون الميم زائدة، ووزنه بعد زيادة الألف عوضاً ما فعل. وقيل: هو اسم مفعول من أعان يعين، جاء على زنة مفعول، قلب فصار معوون، نقلت حركة العين إلى الفاء فصار موعون، ثم قلبت الواو ألفاً كما قالوا في توب تابة، فصار ماعون، فوزنه على هذا مفعول. وقال أبو عبيدة والزجاج: هو في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقداحة، وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير، وأنشدوا بيت الأعشى:

بأجود منه بماعونه ... إذا ما سماؤهم لم تغم

وقالوا: المراد به في الإسلام الطاعة. ويأتي أقوال أهل التفسير فيه إن شاء الله تعالى.

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم. أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراءون، ويمنعون الماعون.

مكية في قول الجمهور، مدنية في قول ابن عباس وقتادة. قال هبة الله المفسر الضرير: نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق. ولما عدد نعمه تعالى على قريش، وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه. ونزلت في أبي جهل، أو الوليد بن المغيرة، أو العاصي بن وائل، أو عمرو بن عائذ، أو رجل من المنافقين، أو أبي سفيان بن حرب كان ينحر في كل أسبوع جزوراً فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصا؛ أقوال، أظهرها لابن جريج. والظاهر أن أرأيت هي التي بمعنى أخبرني، فتتعدى لاثنين: أحدهما الذي، والآخر محذوف، فقدره الحوفي: أليس مستحقاً عذاب الله، وقدره الزمخشري: من هو. ويدل على أنها بمعنى أخبرني قراءة عبد الله: أرأيتك، بكاف الخطاب، لأن كاف الخطاب لا يلحق البصرية. قال الحوفي: ويجوز أن تكون من رؤية العين، فلا يكون في الكلام حذف. وهمزة الاستفهام تدل على التقرير والتنبيه ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة. والدين: الجزاء بالثواب والعقاب. وقال الزمخشري: والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء، هو الذي يدع اليتيم، أي يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى، ولا يحض ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف. انتهى. وقرأ الجمهور يدع بضم الدال وشد العين، وعلي والحسن وأبو رجاء واليماني بفتح الدال وخف العين، أي يتركه، بمعنى لا يحسن إليه ويجفوه. وقرأ الجمهور ولا يحض مضارع حض، وزيد بن علي: يحاض مضارع حاضضت. وقال ابن عباس: بالدين: بحكم الله، ومجاهد: بالحساب، وقيل: بالجزاء، وقيل: بالقرآن. وقال إبراهيم بن عرفة: يدع اليتيم يدفعه عن حقه. وقال مجاهد: يدفعه ولا يطعمه. وفي قوله: ولا يحض، إشارة إلى أنه هو لا يطعم إذا قدر، وهذا من باب الأولى، لأنه إذا لم يحض غيره بخلاً فلأن يترك هو ذلك فعلاً أولى وأحرى. ولما ذكر أولاً عمود الكفر وهو التكذيب بالدين، ذكر ما يترتب على التكذيب من الإيذاء والمنع من النفع، وذلك مما يتعلق بالمخلوق، ثم ذكر ما يترتب عليه مما يتعلق بالخالق وهو عبادته بالصلاة

فقال فويل للمصلين والظاهر ان المصلين هم غير المذكور وقيل هو داع اليتيم غير الحاض وان
كان كل من الاوصاف الذميمة ناشئا عن التكذيب بالدين فالمصلون هنا والله اعلم
هم المنافقون اثبت لهم الصلوة وهي الهيئات التي يفعلونها ثم قال الذين هم عن
صلاتهم ساهون نظرا الى انهم لا يوقعونها كما يوقعها المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب
بها الى الله تعالى وفي الحديث عن صلاتهم ساهون يؤخرونها عن وقتها تهاونا بها
قال مجاهد تاخير ترك واهمال وقال ابراهيم هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا
ملتفتا وقال قتادة هو التارك لها او هم الغافلون الذين لا يبالي احدهم اصلى
ام لم يصل وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله وقال ابن عباس المنافقون
يتركون الصلاة سرا ويفعلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
الاية ويدل على انها في المنافقين قوله تعالى الذين هم يراءون وقاله ابن وهب
عن مالك قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم لكانت في المؤمنين وقال عطا الحمد لله الذي
قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم وقال الزمخشري بعد ان قدم فيما نقلته من
كلامه ما يدل لظاهر ان فذلك الذي يدع في موضع رفع قال وطريقته اخرى ان يكون
فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون
جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قال وما تقول فيمن يكذب بالجزا
وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي
اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم
لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين اموالهم
فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت
معناه الجمع لان المراد به الجنس انتهى فجعل فذلك في موضع نصب عطفا على المفعول
وهو تركيب غريب كقولك اكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن الينا فالمتبادر
الى الذهن ان فذلك مرفوع بالابتداء وعلى تقدير النصب يكون التقدير اكرمت الذي
يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم الاشارة في هذا التقدير غير متمكن
ما هو فصيح اذ لا حاجة الى الاشارة الى الذي يزورنا فالذي يحسن الينا او اكرمت
الذي يزورنا فيحسن الينا واما قوله اما عطف ذات على ذات فلا يصح لان فذلك اشارة
الى الذي يكذب فليسا بذاتين لان المشار اليه بقوله فذلك هو واحد واما قوله
ويكون جواب ارايتك محذوفا فلا يسمى جوابا بل هو في موضع المفعول الثاني لارايت
واما تقديره انعم ما يصنع فهمزة الاستفهام لا نعلم دخولها على نعم ولا بئس لانهما
انشاء والاستفهام لا يدخل الا على الخبر واما وضعه المصلين موضع الضمير وان المصلين
جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف واضح ولا ينبغي ان يحمل القرآن الا على
ما اقتضاه ظاهر التركيب وفصيحه وهكذا عادة هذا الرجل يتكلف اشياء في
فهم القرآن ... وتقدم الكلام في الربا في سورة البقرة وقرأ الجمهور يراءون
مضارع راءى على وزن فاعل وابن ابي اسحاق والاشهب يرءون مقصورة مشددة
الهمزة وعن ابن ابي اسحاق بغير شد في الهمزة فتوجيه الاولى انه ضعف الهمزة
معدى كما عدوها بالهمزة فقالوا في رأى ارأى فجاء المضارع يرئى
وكان الجمع يرءون كما تقول يصلون وتوجيه الثانية انه استثقل التضعيف في الهمزة فخففها
او حذف الالف ... ويمنعون الماعون قال ابن المسيب وابن
شهاب الماعون بلغة قريش المال وقال الفراء عن بعض العرب الماعون الماء وقال ابن

مسعود

مسعود وابن عباس وابن الحنفية والحسن والضحاك وابن زيد ما يتعاطاه الناس بينهم
كالفاس والدلو والانية والمقص وفي الحديث سئل عليه السلام ما الشيء الذي لا يحل
منعه فقال الماء والملح والنار وفي بعض الطرق الابرة والخمير وقال علي وابن
عمر وابن عباس ايضا الماعون الزكوة ومنه قول الراعي

اخليفة الرحمن انا معشر ... حنفاء نسجد بكرة واصيلا
عرب نرى لله في اموالنا ... حق الزكوة منزلا تنزيلا
قوم على الاسلام لما يمنعوا ... ماعونهم ويضيعوا التهليلا

يعني بالماعون الزكاة وهذا القول يناسبه ما ذكره قطرب من ان اصله من المعن
وهو الشيء القليل فسميت الزكوة ماعونا لانها قليل من كثير وكذلك الصدقة
غيرها وقال ابن عباس هو العارية وقال محمد بن كعب والكلبي هو المعروف كله
وقال عبد الله بن عمر منع الحق وقيل الماء والكلا. انحر امر من النحر وهو ضرب النحر
للابل بما يحيت الروح من محدد. الابتر الذي لا عقب له والبتر القطع بترت الشيء
قطعته بالكسر فهو ابتر انقطع ذنبه وخطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد فيها
الله ولا صلى على رسوله ورجل اباتر بضم الهمزة الذي يقطع رحمه ومنه قول الشاعر

لئيم بدت في انفه خنزوانة ... على قطع ذي القربى اجذ اباتر

والتربية ... من التربية نسبوا الى المغيرة بن شعبة ولقبه الابتر

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر

مكية في المشهور وقول الجمهور ومدنية في قول الحسن وعكرمة وقتادة
ولما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة قابل
في هذه السورة البخيل بقوله انا اعطيناك الكوثر والسهو عن الصلاة بقوله فصل
والرياء بقوله لربك ومنع الزكاة بقوله وانحر اراد به التصدق بلحم الاضاحي
فقابل اربع باربع ونزلت في العاصي بن وائل كان يسمي الرسول عليه السلام بالابتر
وكان يقول دعوه انما هو رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره واسترحتم منه
وقرأ الجمهور اعطيناك بالعين والحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني
انطيناك بالنون وهي قراءة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التبريزي
هي لغة للعرب العاربة من اولي قريش ومن كلامه عليه السلام اليد العليا
المنطية واليد السفلى المنطاة ومن كلامه ايضا عليه السلام وانطوا الثبجة
وقال الاعشى: جيادك خير من جياد الملوك ... تصان الجلال وتنطى الشعيرا
قال ابو الفضل الرازي ابو زكريا التبريزي ابدال من العين نونا فان
عنيا النون في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن وان عنيا البدل
الصناعي فليس كذلك بل كل واحدة من اللغتين كاملة في بابها لعدم
التصرف من كل واحدة فلا يقول احد اصل العين ثم ابدلت النون منها
وذكر في التحرير في الكوثر ستة وعشرين قولا والصحيح هو ما فسره به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه من الدر والياقوت
تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم واقتطعنا منه قال اتدرون
ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض

ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم امتي قال ذكر عليه السلام عندما نزلت هذه
السورة وقراها وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير وقيل لابن جبير ان ناسا يقولون
هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقال الحسن الكوثر القرآن وقال ابو بكر
ابن عياش ويمان بن رئاب كثرة الاصحاب والاتباع وقال هلال بن يساف هو
التوحيد وقال جعفر الصادق نور في قلبه دله على الله وقطعه عما سواه وقال
عكرمة النبوة وقال الحسين بن الفضل تيسير القرآن وتخفيف الشرائع
وقال ابن كيسان الايثار وينبغي حمل هذه الاقوال على التمثيل لان الكوثر
مصدر في واحد منها والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل
لاعرابية رجع ابنها من السفر آب ابنك قال آب بكوثر قال الشاعر
وانت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان ابوك ابن العقائل كوثرا
فصل لربك وانحر والظاهر ان فصل امر بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل
والنحر نحر الهدي والنسك والضحايا قاله الجمهور ولم يكن في ذلك الوقت جهاد
فامر بهذين قال انس كان ينحر يوم الاضحى قبل الصلاة فامر ان يصلي وينحر
وقاله قتادة وقال ابن جبير نزلت وقت صلح الحديبية قيل له صل وانحر الهدي
فعلى هذه الاية من المدني وفي قوله لربك تعريض بالكفار حيث صلاتهم مكاء
وتصدية ونحرهم للاصنام وعن علي صل لربك وضع يمينك على شمالك عند نحرك
في الصلاة وقيل ارفع يديك في استفتاح صلاتك عند نحرك وعن عطية وعكرمة
هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقال الضحاك استو بين السجدتين جالسا حتى يبدو
نحرك وقال ابو الاحوص استقبل القبلة بنحرك ان شانئك اي مبغضك تقدم
انه العاص بن وائل وقيل ابو جهل وقال ابن عباس لما مات ابراهيم بن رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله ان
شانئك هو الابتر وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقال قتادة
الابتر هنا يراد به الحقير الذليل وقرا الجمهور شانئك بالالف وابن عباس
شنئك بغير الف فقيل مقصور من شانئ كما قالوا برد وبر في بارد وبار ويجوز
ان يكون بناء على فعل وهو مضاف للمفعول ان كان بمعنى الحال او الاستقبال
وان كان بمعنى الماضي فتكون اضافته [illegible] على مذهب البصريين
وقد قال الواحدي [illegible] يتوهمن كونه مضافا للمفعول
وهو مبتدا والاحسن الاعرف في المعنى ان يكون فصلا اي هو المنفرد بالبتر
المخصوص به لا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسله [illegible] الوصف [illegible]
المنتفي ذكره وان ترك منها نسلا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع المؤمنين
اولاده وذكره مرفوع على المنابر والمنار ومسرود على لسان كل عالم وذاكر الى
آخر الدهر يبدا بذكر الله ويثنى بذكره وله في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف
سورة الكافرون بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا
انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين
وروي عن قتادة انها مدنية وذكروا ان في اسباب نزولها انهم قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم دع ما انت فيه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا ونملكك
علينا

علينا وان لم تفعل هذا فلتعبد آلهتنا ونحن نعبد الهك حتى نشترك فحيث كان
الخير نلناه جميعا ولما كان اكبر شانئيه قريشا وطلبوا منه ان يعبد آلهتهم
سنة ويعبدون الهه سنة انزل الله هذه السورة تبريا منهم واخبارا ان الامر
لا شك فيه ان ذلك لا يكون وفي قوله قل دليل على انه مامور بذلك من عند الله
وخطابه لهم بيا ايها الكافرون في ناديهم ومكان بسطة ايديهم مع ما في الوصف
من الارذال بهم دليل على انه محروس من عند الله لا يبالي بهم والكافرون ناس
مخصوصون وهم الذين قالوا له تلك المقالة الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل
والاسود بن المطلب وامية وابي ابنا خلف وابو جهل وابنا الحجاج ونظراؤهم
ممن لم يسلم ووافى على الكفر تصديقا للاخبار في قوله ولا انتم عابدون
ما اعبد وللمفسرين في هذه الجملة اقوال احدها انها للتوكيد فقوله ولا انا
عابد ما عبدتم توكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد ثانيا تاكيد لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد اولا والتوكيد في لسان
العرب كثير جدا وحكوا من ذلك نثرا ونظما ما لا يكاد يحصر وفائدة هذا التوكيد
قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون
والثاني انه ليس للتوكيد واختلفوا فقال الاخفش المعنى لا اعبد الساعة
ما تعبدون ولا انتم عابدون السنة ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل ما عبدتم
ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل جملة
بزمان مغاير وقال ابو مسلم ما في الاوليين بمعنى الذي والمقصود المعبود
وما في الاخريين مصدرية اي لا اعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر
ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين وقال ابن عطية لما كان
قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الآن ويبقى المستانف منتظرا ما يكون فيه
جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ابدا وما حييت ثم جاء قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد الثاني حتما عليهم انهم لا يؤمنون به ابدا كالذي كشف الغيب
فهذا كما قيل لنوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن اما ان هذا
في معينين وقوم نوح عموا بذلك فهذا معنى الترديد الذي في السورة
وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته انتهى وقال الز
مخشري لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع
في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى
لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون
فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط
عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية
فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم
في وقت ما انا على عبادته. فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل
ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم
يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت انتهى اما حصره في قوله لان
لا لا تدخل [illegible] فليس بصحيح بل ذلك غالب فيها لا متحتم
وقد ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع [illegible]

يراد به الاستقبال وذلك مذكور في المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يورد
سيبويه ذكر باداة الحصر اذ قال ويكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يفعل لنفي فعل وقالوا واما
ما فهو نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال الفعل فذكروا الغاية فيهما اوليا
فقلده في قوله ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم
فيه فلا يستقيم لان عابدا اسم فاعل قد عمل في ما عبدتم فلا يفسر بالماضي انما يفسر
بالحال والاستقبال وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي وهشام من جواز
اعماله اعماله ماضيا واما قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت
في وقت ما انا على عبادته فعابدون قد اعمله في ما اعبد فلا يفسر بالماضي واما قوله
وهو لم يكن الى آخره فسوء ادب منه على منصب النبوة وغير صحيح لانه عليه السلام
لم يزل موحدا لله منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله مجتنبا للاصنام بحج بيت
الله ويقف بمشاعر ابراهيم عليه السلام وهذه عبادة واي عبادة اعظم من
توحيد الله ونبذ اصنامهم والمعرفة بالله من اعظم العبادات قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المفسرون معناه ليعرفون
فسمى الله تعالى المعرفة به عبادة والذي اختاره في هذه الجمل انه اولا نفى
عبادته في المستقبل لان لا الغالب انما تنفي المستقبل قيل ثم عطف عليه
ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للمستقبل على سبيل المقابلة ثم قال ولا انا
عابد ما عبدتم نفيا للحال لانه عليه السلام لا يعبد
ما تعبدون لا حالا ولا مستقبلا وهم لم يكذبوا اذ قد ختم الله موافاتهم على الكفر ولما
قال لا اعبد ما تعبدون فاطلق ما على الاصنام قابل الكلام بما في قوله ما اعبد وان كانت
يراد به الله تعالى لان المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد وهذا على مذهب
من يقول انه ما لا يقع على آحاد من يعلم اما من جوز ذلك وهو منسوب الى
سيبويه فلا يحتاج الى استعذار بالتقابل وقيل ما مصدرية في قوله ما اعبد
وقيل فيها جميعها وقال الزمخشري المراد الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولا
تعبدون الحق ولي دين اي لكم شرككم ولي توحيدي وهذا غاية في التبري
ولما كان الاهم انتفاؤه عليه السلام من دينهم بدا بالنفي في الجمل السابقة
بالمنسوب اليه ولما تحقق النفي رجع الى خطابهم في قوله لكم دينكم على سبيل
المهادنة وهي منسوخة باية السيف وقرأ سلام ويعقوب ديني بياء وصلا ووقفا
وحذفها القراء السبعة سورة النصر
بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله
افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا مدنية نزلت منصرفه عليه
السلام من غزوة حنين وعاش بعد نزولها سنتين وقال ابن عمر نزلت في اوسط
ايام التشريق بمنى في حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها صلى
الله عليه وسلم ولما كان في قوله لكم دينكم موادعة جاء في هذه عا بدل على تخويفهم
وتهديدهم وانه آن مجيء نصر الله وفتح مكة واضمحلال ملة الاصنام
واظهار دين الله وقال الزمخشري اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام
بذلك قبل كونه من اعلام النبوة انتهى وكذا قال الحوفي ولا يصح اعمال فسبح
في اذا لاجل الفاء لان الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها
على اسم الشرط فلا تعمل فيه بل العامل في اذا الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصور

في علم

في علم العربية وقد استوفينا ذلك في شرح التسهيل وغيره وان كان المشهور غيره
والنصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد ومتعلق النصر والفتح محذوف
فالظاهر انه نصر رسول الله والمؤمنين على اعدائهم وفتح مكة وغيرها عليهم كالطائف
ومدن الحجاز وكثير من اليمن وقيل نصره عليه السلام على قريش من المهاجرين
والانصار وقرأ الجمهور يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول
في دين الله في ملة الاسلام الذي لا دين له يضاف غيرها افواجا اي جماعات كثيرة
كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين
اثنين قال الحسن لما فتح عليه السلام مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا
اما الظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل
وقال ابو عمر بن عبد البر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل
كافر بل دخل الكل في الاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده قال
ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة الاوثان واما نصارى بني تغلب
فما اراهم اسلموا قط في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن اعطوا الجزية وقال عكرمة
ومقاتل المراد بالناس اهل اليمن وفد منهم سبعمائة رجل وقال الجمهور وفود العرب
وكان دخولهم بين فتح مكة وموته عليه السلام وافواجا جمع فوج قال
الحوفي وقياس جمعه اقواج ولكن استثقلت الضمة على الواو فعدل الى
افواج كانه يعني انه كان ينبغي ان يكون معتل العين كالصحيح فكما ان
قياس فعل صحيحها ان يجمع على افعل لا على افعال فكذلك هذا والامر في هذا
المعتل بالعكس القياس فيه افعال كحوض واحواض وقد جاء فيه افعل كثوب
واثوب وهو حال ويدخلون حال او مفعول ثان ان كان رايت بمعنى علمت
المتعدية لاثنين وقال الزمخشري اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت
او عرفت انتهى ولا نعلم رايت جاءت بمعنى عرفت فيحتاج في ذلك الى اثبات
فسبح بحمد ربك اي ملتبسا بحمده على هذه النعم التي خولكها من نصرك على
الاعداء وفتحك البلاد واسلام الناس واي نعمة اعظم من هذه اذ كل حسنة
يعملها المسلمون فهي في ميزانه وعن عائشة كان عليه السلام يكثر قبل موته
ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك قال الزمخشري والامر
بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين
الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته
ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة انتهى
وقد علم هو عليه السلام من هذه السورة دنو اجله وحين قراها عليه السلام
استبشر الصحابة وبكى العباس فقال وما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك
فقال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رؤي فيهما ضاحكا مستبشرا
سورة تبت مكية ... انه كان توابا ترجيه عظيمة للمستغفرين
بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد التباب
الخسران وقيل الهلاك ... تب خسر وقيل هلك ... قاله النحاس وقيل الجيد العنق
... هو نحو يا اليق بمعنى المسد ... وقد يكون من جلود الابل او من اوبارها
قال الراجز ومسد امر من ايانق ورجل سود الخلق اي مجدول شديدة

سورة تبت بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما
كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

لما ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله أتبع بذكر من لم يدخل في الدين فخسر
وخسر ولم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الإيمان وتقدم التباب في سورة غافر
ومعناه قال ابن عباس خابت وقتادة خسرت وابن جبير هلكت وعطا ضلت ويمان
بن رئاب صفرت من كل خير وهذه أقوال متقاربة في المعنى وقالوا فيما أتى
أشابة أم ثابة أتوك هالكة من الهرم والتعجيز وأسند الهلاك إلى اليدين
لأن العمل أكثر ما يكون بهما وهو في الحقيقة للنفس كقوله ذلك بما قدمت
يداك وقيل يديه محمد الذي يحمي به الرسول فأسند التب إليهما والظاهر أن التب
دعاء وتب إخبار بحصول ذلك كما قال الشاعر

جزاني جزاه الله شر جزائه ❊ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة عبد الله وقد تب وقد روي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك
الأقربين قال يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد لا أغني لكما
من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما ثم صعد الصفا فنادى بطون قريش
يا بني فلان يا بني فلان وروي أنه صاح بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعوا
إليه من كل وجه فقال لهم أرأيتم لو قلت لكم إني أنذركم خيلا بسفح هذا الجبل
أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فتفرقوا عنه ونزلت هذه
السورة وأبو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرأ ابن محيصن وابن كثير أبي لهب بسكون الهاء وفتحها باقي السبعة ولم يختلفوا في ذات
لهب لأنها فاصلة والسكون يزيلها عن حسن الفاصلة وقال الزمخشري وهو من تغيير
الأعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم يعني بسكون الهاء في لهب وضم الشين في شمس ويعني
في قول الشاعر إني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عمي الصدق شمس بن مالك
فأما أبي لهب فالمشهور في كنيته فتح الهاء وأما شمس بن مالك فلا يتعين أن يكون تغيير
الأعلام بل يمكن أن يكون سمي بشمس المنقول من شمس الجمع كما جاء أذناب خيل شمس قيل
وكني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه ولم يذكره تعالى باسمه لأن اسمه عبد العزى فعدل
عنه إلى الكنية أو لأن الكنية كانت أغلب عليه من الاسم أو لأن ماله إلى النار فوافقت
حالته كنيته كما يقال للشرير أبو الشر وللخير أبو الخير أو لأن الاسم أشرف من الكنية
فعدل إلى الأنقص ولذلك ذكر الله الأنبياء بأسمائهم ولم يكن أحدا منهم والظاهر أن
ما في ما أغنى نفي أي لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه وما كسب هو
بنفسه أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها أو ما كسب من أرباح ماله الذي
يتجر به ويجوز أن تكون ما استفهاما في موضع نصب أي أي شيء يغني عنه ماله على
وجه التقرير والإنكار والمعنى أين الغنى الذي لماله ولكسبه والظاهر أن ما
في قوله وما كسب موصولة وأجيز أن تكون مصدرية وإن كانت ما في ما أغنى نافية
فيجوز أن تكون ما في وما كسب موصولة وأجيز أن تكون مصدرية أو كانت
ما في نفي استفهاما فيجوز أن يكون نافيا وما كسب استفهاما أيضا أي وأي
شيء كسب أي لم يكسب شيئا وعن ابن عباس وما كسب ولده وفي الحديث ولد
الرجل من كسبه وعن الضحاك وما كسب هو عمله الخبيث في عداوة الرسول وعن

قتادة

قتادة وعمله الذي ظن أنه منه على شيء وروي عنه أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا
فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي وقرأ عبد الله وما اكتسب تبا الافتعال وقرأ
أبو حيوة وابن مقسم وعباس في اختياره وهو ابن سمعان سيصلى بضم الياء وفتح الصاد
وشد اللام ورويت عن ابن مقسم وعنه أيضا وعن ابن مقسم في التصغير فيهما بالهمز وبابدالها
تأول دعام بالتصغير فيهما وقرأ أيضا حمالة للحطب بالتنوين في حمالة وبلام الجر
في الحطب وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق سيصلى بضم الياء وسكون الصاد وأبو قلابة
حاملة الحطب على وزن فاعلة مضافا واختلس حركة الهاء في وامرأته أبو عمرو
في رواية والحسن وزيد بن علي والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن
محيصن وعاصم حمالة بالنصب وقرأ الجمهور سيصلى بفتح الياء وسكون الصاد
وامرأته على التكبير حمالة على وزن فعالة للمبالغة مضافا إلى الحطب رفعا
والسين للاستقبال وإن تراخى الزمان وهو وعيد كائن إنجازه لا محالة
وارتفع وامرأته عطفا على الضمير المستكن في سيصلى وحسنه وجود الفصل
بالمفعول وصفته وحمالة في قراءة الجمهور خبر مبتدأ محذوف أو صفة
لامرأته لأنه مثال ماض فيتعرف بالإضافة وفعال أحد الأمثلة الستة
وحكمها كاسم الفاعل وفي قراءة النصب انتصب على الذم وأجازوا في قراءة الرفع
أن يكون وامرأته مبتدأ وحمالة الخبر وفي جيدها حبل ثان أو في موضع
الحال من الضمير المستكن في حمالة وامرأته أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت
عوراء والظاهر أنها كانت تحمل الحطب أي ما فيه شوك تؤذي بإلقائه في طريق الرسول عليه
السلام وأصحابه لتعقرهم فذمت بذلك وسميت حمالة الحطب قاله ابن عباس فحمالة
معرفة فإن كان زمانا ولقبا لها جاز فيه حالة الرفع أن يكون عطف بيان وأن يكون بدلا
قيل وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وقتادة والسدي كانت
تمشي بالنميمة كان يقال لمن يمشي بالنميمة يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم النائرة
ويورث الشر قال الشاعر

من البيض لم يصطد على ظهر لامة ❊ ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال الراجز

إن بني الأدرم حمالو الحطب ❊ هم الوشاة في الرضا وفي الغضب

وقال ابن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطب على ظهره قال تعالى
وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس أي تحمل
الجناة على الجنايات والظاهر أن الحبل من مسد قال عروة بن الزبير ومجاهد وسفين
سلسلة والمراد السلسلة من حديد في جهنم وقال قتادة قلادة من ودع وقال ابن المسيب
قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لأنفقنها في عداوة محمد قال
ابن عطية فإنما عبر عن قلادتها بحبل من مسد على جهة التفاؤل لها وذكر تبرجها
في هذا السعي الخبيث انتهى وقال الحسن إنما كانت خرزا وقال الزمخشري والمعنى
في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها
في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة
بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في
بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل

ابن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال
ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي * ام ما تعير من حمالة الحطب
غرا شادخة في المجد سامية * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب
ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين
كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم
او الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما
يجانس حاله في جرمه انتهى ولما سمعت ام جميل هذه السورة اتت ابا بكر وهو مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر فقالت بلغني ان صاحبك
هجاني ولافعلن وافعلن واعمى الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروي ان ابا بكر قال لها هل ترين معي احدا فقالت اتهزا بي لا ارى غيرك وان
كان شاعرا فانا مثله اقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فسكت
ابو بكر ومضت هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجبتني عنها ملائكة
فما راتني وكفى الله شرها وذكر انها ماتت مخنوقة بحبلها وابو لهب رماه الله
بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال الصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه
اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج ويستقل بها قال
الا بكر الناعي بخيري بني اسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد
وقال اخر علوته بحسام ثم قلت له * خذها حذيف فانت السيد الصمد الكفو
النظير سورة الاخلاص بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد مكية في قول عبد الله والحسن
وعكرمة وعطا ومجاهد وقتادة مدنية في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وابي
العالية والضحاك ولما تقدم فيما قبلها عداوة اقرب الناس الى الرسول وهو عمه
ابو لهب وما كان يقاسي من عباد الاصنام الذين اتخذوا مع الله الهة جاءت هذه
السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الاوثان والقائلين بالثنوية
وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد عن ابن عباس ان اليهود
قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت وعن ابي العالية قال قتادة الاحزاب
انسب لنا ربك فنزلت فان صح هذا الخبر كان هو ضميرا عائدا على الذي قالوا
هو الله تعالى اي ربي الله ويكون مبتدا وخبرا واحد خبر ثان وقال الزمخشري
واحد بدل من قوله الله او على هو احد انتهى وان لم يصح السبب فهو ضمير
الامر والشان مبتدا والجملة بعده مبتدا وخبر في موضع خبر هو واحد بمعنى
واحد اي فرد من جميع جهات الوحدانية اي في ذاته وصفاته لا يتجزا وهمزة
احد هذا بدل من الواو وابدال الهمزة مفتوحة من الواو قليل من ذلك
امراة اناة يريدون وناة لانه من الونى وهو الفتور كما ان احدا من الوحدة
وقال ثعلب بين واحد واحد فرق الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان
والاحد لا يدخله فيقال الله احد ولا يقال زيد احد لان الله خصوصية له الاحد
وزيد تكون منه حالات انتهى وما ذكر من ان احدا لا يدخله ما ذكر منقوض
بالعدد المعطوف تقول احد وعشرون واثنان وعشرون وثلاثة وعشرون
فقد دخله العدد وقرا ابان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن

سيرين والحسن وابن ابي اسحاق وابو السمال وابو عمرو في رواية يونس ومحبوب والاصمعي
واللؤلؤي وعبيد وهارون عنه احد الله بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف
وهو موجود في كلام العرب واكثر ما يوجد في الشعر نحو قوله ولا ذاكر الله الا قليلا
ونحو قوله عمرو الذي هشم الثريد لقومه * الله الصمد مبتدا وخبر والافصح
ان تكون هذه جملا مستقلة بالاخبار على سبيل الاستئناف كما تقول
زيد العالم زيد الشجاع وقيل الصمد صفة والخبر في الجملة بعده وتقدم
شرح الصمد في المفردات وقال الشعبي ويمان بن رئاب هو الذي
لا ياكل ولا يشرب وقال ابي بن كعب يفسره ما بعده وهو قوله لم يلد ولم
يولد وقال الحسن الصمد المصمت الذي لا جوف له ومنه قول الشاعر
شهاب حروب لا تزال جياده * عوابس يعلكن الشكيم المصمدا
وفي كتاب التحرير اقوال غير هذه لا يساعد عليها اللغة وقال ابن الانباري
لا خلاف بين اهل اللغة ان الصمد هو السيد الذي ليس فوقه احد الذي
يصمد اليه الناس في امورهم وحوائجهم قال الزمخشري لم يلد لانه لا يجانس حتى
يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده
وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة
في النكاح نفيا للصاحبة انتهى ولم يكن له كفوا احد يقال له كفو بضم الكاف
وكسرها وفتحها مع سكون الفا وبضم الكاف مع ضم الفا وقرا حمزة وحفص بضم
الكاف واسكان الفا وهمز حمزة وابدلها حفص واوا وباقي السبعة بضمهما
والهمز وسهل الهمزة الاعرج وابو جعفر وشيبة ونافع في رواية وعن نافع ايضا
كفا من غير همز نقل حركة الهمزة الى الفا وحذف الهمزة وقرا سليمان بن
علي بن عبد الله بن عباس كفا بكسر الكاف وفتح الفا والمد كما قال النابغة
لا تقذفني بركن لا كفاء له * قال الاعلم لا كفاء له لا مثل له وقال مكي
س يختار ان يكون الظرف خبرا اذا قدمه وقد خطاه المبرد بهذه الاية
لانه قدم الظرف ولم يجعله خبرا والجواب ان س لم يمنع الغا الظرف اذا تقدم
انما اجاز ان يكون خبرا وان لا يكون خبرا ويجوز ان يكون حالا من النكرة وهي
احد لما تقدم نعتها عليها نصب على الحال فيكون له الخبر على مذهب س واختياره
ولا يكون للمبرد حجة على هذا القول انتهى وخرجه ابن عطية ايضا على الحال
وقال الزمخشري فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو
غير مستقر ولا يقدم وقد نص س على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح
كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري
سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شي
واعناه واحقه بالتقديم واحراه انتهى وهذه الجملة ليست من هذا الباب
وذلك ان قوله ولم يكن له كفوا احد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو
ناقص لا يصلح ان يكون خبرا لكان بل هو متعلق بكفوا وقدم عليه فالتقدير
ولم يكن له كفوا اي مكافيه فهو في معنى المفعول متعلق بكفوا وتقدم
على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان

الاصل الناخر لان تاخر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي
وغيره ان له الخبر وكفوا حال من احد لانه ظرف ناقص لا يصلح ان يكون خبرا وبذلك يبطل
سوال الزمخشري وقوله وانما تكلم في هذا الظرف الذي يصح ويصلح ان يكون غير خبر
قال س وتقول ما كان فيها احد خير منك وما كان احد مثلك فيها وليس احد فيها
خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم اجريت الصفة
على الاسم فان جعلته على قولك فيها زيد قائم نصبت تقول ما كان فيها احد خيرا منك وما
كان احد خيرا منك فيها الا انك اذا اردت الالغا فكلما اخرت الملغى كان احسن واذا
اردت ان يكون مستقرا فكلما قدمته كان احسن والتقديم والتاخير والالغا والاستقرا
عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا احد وقال الشاعر
ما دام فيهن فصيل حيا • انتهى ما نقلناه ملخصا وهو بالفاظ س فانت ترى كلامه
وتمثيله بالظرف الذي يصلح ان يكون خبرا ومعنى قوله مستقرا اي خبرا للمبتدا ولكان
فان قلت فقد مثل بالاية الكريمة قلت هذا الذي اوقع مكيا والزمخشري
وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما اراد س ان الظرف التام وهو في قوله ما دام فيهن
فصيل حيا اجري فضلة لا خبرا كما ان له في الاية اجري فضلة فجعل الظرف العامل
ان يكون خبرا كالظرف الناقص في كونه لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح
انه لا ينعقد كلام من قوله ولم يكن له احد بل لو تاخر كفوا وارتفع على الصفة
وجعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل انت ترى ان النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي
هو كفوا وله متعلق به والمعنى ولم يكن له احد مكافيه وقد جا في فضل
هذه السورة احاديث كثيرة ومنها انها تعدل ثلث القران وقد تكلم العلما
على ذلك وليس هذا موضعه الفلق فعل بمعنى مفعول وياتي اقوال
اهل التفسير فيه ان شا الله وقب الليل اظلم والشمس غابت والعذاب حل
قال الشاعر • وقب العذاب عليهم فكانهم • لحقتهم نار السموم فاحصدوا •
النفث شبه النفخ دون تفل بريق قاله ابن عطية وقيل نفخ بريق معه
قاله الزمخشري وقال صاحب اللوامح شبه النفخ من الفم في الرقية ولا
ريق معه فاذا كان بريق فهو التفل قال الشاعر
• فان يبرا فلم انفث عليه • وان يفقد فحق له الفقود • سورة الفلق
بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق
اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد
مكية في قول الحسن وعطا وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس مدنية
في قول ابن عباس في رواية ابي صالح وقتادة وجماعة قيل وهو الصحيح وسبب
نزول المعوذتين قصة سحر لبيد بن الاعصم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانها فرج ما سحر به وهو مشط ومشاطة وجف طلع فيه مشاطة راسه عليه السلام
واسنان مشطه ووتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغروز بالابر فانزلت
عليه المعوذتان فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد عليه السلام في نفسه
خفة حين انحلت العقدة الاخيرة فقام فكانما نشط من عقال ولا سرح امر
الالهية في السورة فليلتمس ما استعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم
ومراتب مخلوقاته الفلق الصبح قاله ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد

وقتادة

وقتادة وابن جبير والقرظي وابن زيد وفي المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح قال الشاعر
يا ليلة لم انمها بت مرتقبا ارعى النجوم الى ان نور الفلق وقال الشاعر يعني الثور
الوحشي • حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق • هاديه في اخريات الليل منتصب •
وقيل الفلق كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب
عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقال ابن عباس ايضا
وجماعة من الصحابة والتابعين الفلق جب في جهنم ورواه ابو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لما اطمان من الارض الفلق وجمعه فلقان
وقيل واد في جهنم وقال بعض الصحابة بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل
النار من شدة حره وقرا الجمهور من شر ما خلق باضافة شر الى ما وما عام يدخل
فيه جميع من يوجد منه الشر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالاحراق
بالنار والاغراق بالبحر والقتل بالسم وقرا عمرو بن فايد من شر بالتنوين
وقال ابن عطية وقرا عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بان الله تعالى
لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية
على مذهب باطل الله خالق كل شي انتهى ولهذه القراة وجه غير النفي فلا
ينبغي ان ترد وهو ان يكون ما خلق بدلا من شر على تقدير محذوف
اي من شر شر ما خلق فحذف لدلالة شر الاول عليه اطلق اولا ثم عم ثانيا
والغاسق الليل ووقب اظلم ودخل على الناس قاله ابن عباس والحسن
ومجاهد وتركه الزمخشري على عادته فقال والغاسق الليل اذا اعتكر
ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلات
دمعا وغسقت الجراحة امتلات دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شي انتهى
وقال الزجاج هو الليل لانه ابرد من النهار والغاسق البارد استعيذ من شره
لان فيه تنبث الشياطين والهوام والحشرات واهل الفتك قال الشاعر
• يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا • اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا •
وقال محمد بن كعب النهار دخل في الليل وقال ابن شهاب المراد بالغاسق الشمس
اذا غربت وقال القتبي وغيره هو القمر اذا دخل في ساهوره فخسف وفي الحديث
نظر عليه السلام الى القمر فقال يا عائشة نعوذ بالله من هذا فانه الغاسق
اذا وقب وعنه عليه السلام الغاسق النجم وقال ابن زيد عن العرب الغاسق
الثريا اذا سقطت وكانت الاسقام والطاعون يهيج عند ذلك وقيل الحية
اذا لدغت والغاسق سم نابها لانه يسيل منه والنفاثات النسا او النفوس
او الجماعات السواحر يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين
وقرا الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وابن عمر والحسن ايضا
وعبد الله بن القاسم ويعقوب في رواية النافثات والحسن ايضا وابو
الربيع النفثات بغير الف نحو الحذرات والاستعاذة من شرهن هو
ما يصيب الله به من الشر عند فعلهن ذلك وسبب نزول هاتين
المعوذتين ينفي ذلك والزمخشري في قوله ويجوز ان يراد بهن النسا
ذوات الكيد من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث
في العقد واللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن

يسحرونهم بذلك انتهى وقال ابن عطية وهذا النفث هو على عقد تعقد في خيوط ونحوها على اسم
المسحور فيؤذى بذلك وهذا الشأن في زماننا موجود شائع في صحراء المغرب وحدثني ثقة
انه راى عند بعضهم خيطا احمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع امهاتها
فكان اذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل الى امه في الحين فرضع انتهى وقيل الغاسق
والحاسد بالطرفين لانه اذا لم يدخل الليل لا يكون منسوبا اليه وكذا كل ما افرد به
الغاسق وكذلك الحاسد لا يؤثر حسده الا اذا اظهر بان يحتال للمحسود فيما يؤذيه
اما اذا لم يظهر الحسد فانما يتأذى به هو لا المحسود لاغتمامه بنعمة غيره قال
الزمخشري ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره
اثره انتهى وعمم اولا فقال من شر ما خلق ثم خص هذه الشرور الخفية ازهى من حيث
لا يعلم وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر ونكر غاسق وحاسد
وعرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة وكل غاسق لا يكون فيه الشر انما
يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو
الحسد في الخيرات ومنه لا حسد الا في اثنتين وقال ابو تمام
وحاسد في الكرمات بحاسد وقول المنظور اليه للحاسد اذا نظر الخمس
على عينيك يعني به هذه السورة لانها تعوذ بها ومن الحاسد من العائن
لانه تعوذ بالله من شرها **سورة الناس بسم الله الرحمن الرحيم**
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس
الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
تقدم انها نزلت مع ما قبلها والخلاف اهي مدنية ام مكية واضيف الرب الى
الناس لان الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم استعاذوا بربهم
مالكهم والههم كما يستعيذ العبد بمولاه اذا دهمه امر والظاهر ان ملك
الناس اله الناس صفتان وقال الزمخشري هما عطفا بيان بين بملك
الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كما
قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك
الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان انتهى
وعطف البيان المشهور انه يكون بالجوامد وظاهر قوله انهما عطفا بيان
لواحد ولا انقل عن النحاة شيئا في عطف البيان هل يجوز ان يتكرر لمعطوف
عليه واحد ام لا يجوز وقال الزمخشري فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف
اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان
مظنة للاظهار دون الاضمار انتهى والوسواس قالوا اسم من اسماء الشيطان
والوسواس ايضا ما يوسوس به شهوات النفس وهو الهوى المنهي عنه
والخناس الراجع على عقبه المستتر احيانا وذلك في الشيطان متمكن اذا ذكر
العبد الله تاخر واما الشهوات فتخنس بالايمان وبلمة الملك وبالحياء
فهذان المعنيان مندرجان في الوسواس ويكون من الجنة
والناس من الشياطين ونفوس الناس او يكون الوسواس اريد به
الشيطان والهوى المزين من قرناء السوء فيكون من الجنة والناس
تبيينا لذلك الوسواس وقال تعالى عدوا شياطين الانس والجن يوحي

بعضهم

بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال قتادة ان من الانس شياطين ومن
الجن شياطين فنعوذ بالله منهم وقال ابو ذر لرجل هل تعوذت بالله من
شياطين الانس وقال الزمخشري الوسواس اسم بمعنى الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد
به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته
وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس وقد تكلمنا معه
في دعواه ان الزلزال بالفتح اسم وبالكسر المصدر في اذا زلزلت
ويجوز في الذي الجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ومن
في من الجنة والناس للتبعيض اي كائنا من الجنة والناس
فهي في موضع الحال اي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض
الناس وقال الزمخشري ويجوز ان تكون من متعلقة بيوسوس
ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة
ومن جهة الناس انتهى ولما كانت مضرة الدين وهي
انه الوسوسة اعظم من مضرة الدنيا وان عظمت جاء في
الاستعاذة منها بصفات ثلاث الرب والملك والاله وان اتحد
المطلوب وفي الاستعاذة من ثلاث الغاسق والنفاثات
والحاسد بصفة واحدة وهي الرب وان تكثر الذي
يستعاذ منه كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه
جمع كفيه ونفث فيهما وقرا قل هو الله احد
والمعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من
جسده يبدا براسه ووجهه وما
اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا
صلى الله عليه وسلم تم السفر الحادي
عشر من البحر المحيط من تفسير
القران العظيم بحمد ربنا
وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على محمد نبيه
وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دايما
ابدا الى يوم
الدين
والحمد
وصلى
[illegible]

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وقفي عبده ١١٧٥

T.C. ... Kütüphanesi
1923